ORIENTALIA
ARABIC
SM24
S24
Ac.4190.A

SM 24

SM 24

هو

تشرف بتملكه الفقير السيد محمد عارف
غفرله

سبحان من ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وبين له من شعائر الشرائع كل ما جل ودق وانزل عليه اظهر بينات وابهر حجج
قرآنا عربيا غير ذي عوج مصدقا لما بين يديه من الكتاب ليدبروا آياته وليذكر اولوا الالباب ناطقا بكل اوب رشيد
هاديا الى صراط العزيز الحميد آمرا بعبادة الصمد المعبود كتابا متشابها مثاني تقشعر منه الجلود تكاد الرواسي
لهيبته تمور ويذوب منه الحديد ويميع صم الصخور حقيقا بان يسير به الجبال ويتسير به كل صعب محال معجزا افحم كل
مصقع من مفحة فحطان وبكت كل مفلق من سحرة البيان بحيث لو اجتمعت الانس والجن على معارضته ومباراته لعجزوا
عن الاتيان بمثل آية من آياته نزل عليه على فترة من الرسل ليرشد الامة الى اقوم السبل فهداهم الى الحق وهم
في ضلال مبين فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين فمن اتبع هداه فاز بهداه ومن عانده وعصاه واتخذ الهه
هواه فقد ضل في هوامي الردى وتردى في مهاوي الثبور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور صلى الله عليه وعلى آله الاطهار
وصحبه الابرار ما تناوبت الانوار وعلى من تبعهم باحسان مدى الدهور **وبعد** فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه الهادي
ابو السعود بن محمد العمادي ان الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم وما كان حرف منها مسطورا والحكمة الكبرى
في تخمير طينة آدم ولم يكن شيئا مذكورا ليست الا معرفة الصانع المجيد وعبادة البارئ المبدئ المعيد ولا سبيل الى ذلك المطلب
الجليل سوى الوقوف على مواقف التنزيل فانه عز سلطانه وبهر برهانه وان صدر آياته قد رتبه في صحائف الاكوان
ونصب راياته وحدته في صفائح الاعراض والاعيان وجعل كل ذرة من ذرات العالم وكل قطرة من قطرات الغيم وكل نقطة هوى
عليها قلم الابداع وكل حرف رقم في لوح الاختراع مرآة تمثل هذه جماله ومطالعة صفات كماله حجة نيرة واضحة المكنون
وآية بينة لقوم يعقلون برهانا جليا لا ريب فيه ومنهاجا سويا لا يضل من نهجه بل ناطقا يتلو آياته فهل من سامع
واع ومجيبا صادقا فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب مقولهم بجاور نارة باوضح عبارة
ويلوح اخرى بالطف اشارة لكن الاستدلال بتلك الآيات والدلائل والاستشهاد بتينك الامارات والمخائل والتنبه لتلك
الاشارات السرية والتفطن لمعاني تينك العبارات العبقرية وما في تضاعيفها من رموز اسرار القضاء والقدر وكنوز آثار
التعاجيب والعبر مما لا يطيق به عقول البشر الا بتوفيق خلاق القوى والقدر فان مدار المراد ليس الا كلام رب العباد
اذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية والمفسر لمشكلات الآيات الكونية والكاشف عن خفايا خطائر القدس
والمطلع على ضبايا سرائر الانس وبه تكتب الملكات الفاخرة وبه يتوسل الى سعادتي الدنيا والآخرة فضلا انه ايضا
من علو الشان وسمو المكان ونهاية النهوض والاعتلاء وصعوبة المأخذ وعزة المنال في غاية الغاية القاصية

ومنهاية النهايات الثانية اعز من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق لا يتسنى العروج الى معارجه الدقيقه ولا يتاتى الترقى الى مدارجه المنيفه كيف لا وانه مع كونه متضمنا لدقائق العلوم النظرية والعملية منطويا على رقائق الفنون الخفية والجلية حاويا بالتفاصيل الاحكام الشرعية ومحيطا بانماط ودلائل الاصلية والفرعية منبئا عن اسرار الحقائق والنعوت مخبرا باطوار الملك والملكوت عليه يدور فلك الاوامر والنواهي واليه يستند الاشياء كما هي وقد نسج على اغرب منوال وابدع طراز فاضحت طلعته بسبحات الاعجاز ظويت حقائقه الابية عن العقول وروبت دقائقه الخفية عن اذهان الفحول يرد العقول سجاله ويخطف ابصار البصائر بريقه ولمعانه ولقد تصدى لتفسيره غوامض مشكلاته اساطين ائمة التفسير في كل عصر من الاعصار وتولى لتيسير عويصات معضلاته سلاطين اسدة التنوير والتحرير في كل قطر من الاقطار فغاصوا في لجيه وخاضوا في بحبوحه فنظموا فرائده في سلك التحرير وابرزوا فوائده في معرض التنوير وصنفوا كتبا جليلة الاقدار والفوا زبرا جميلة الآثار اما المتقدمون المحققون فافتقروا على تمهيد المعاني وتشييد المباني وتبيين المرام وترتيب الاحكام حسبما بلغهم من سيد الانام عليه شرائف التحية والسلام واما المتاخرون المدققون فراموا مع ذلك اظهار مزاياه الرائقه وابداء خفاياه الفائقه ليعاين الناس دلائل اعجازه ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه عن سائر الكتب الكريمة الربانية والزبر العظيمة السبحانية فدونوا اسفارا بارعة جامعة لفنون المحاسن الرائقه تتضمن كل منها فوائد شريفه تقر بها عيون الاعيان وعوائد لطيفه تشنف بها آذان الاذهان لا سيما الكشاف وانوار التنزيل المتنوعان بالشان الجليل والنعت الجميل فان كلا منهما قد احرز قصب السبق الى احراز كمالة جزاه لاجتلاء وجه الاعجاز صحائفهما مرايا المزايا الجمان وسطورهما عقود الجمان وقلائد العقيان ولقد كانت في سوابق الايام وسوالف الدهور والاعوام اوان اشتغالي بمطالعتهما ومدارستهما وزمان انتصابي لمقاولتهما وممارستهما يدور فلكي على استمرار آناء الليل واطراف النهار ان انظم درر فوائدهما في سمط دقيق وارتب غرر فرائدهما على ترتيب انيق واضيف اليهما الفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق وصادفته في اصداف العبائر الزاخرة من زواهر الدقائق واسلك خلالهما بطريق الترصيع على نسق انيق واسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة شان التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل ما سنح للفكر العليل بالعناية الربانية وسمح به النظر الكليل بالهداية السبحانية من عوارف معارف يمتد اليها اعناق الهمم من كل مامر لبيب وغرائب رغائب تنزلوا اليها احداق الامم من كل تحرير اريب وتحقيقات رصينة تقيل عثرات الافهام في مداحض الاقدام وتدقيقات متينة تزيل حظرات الاوهام من خواطر الانام في معارك افكار يشتبه فيها الشئون ومدارك انظار يختلط فيها الظنون وابدر من وراء استار الكمون من دقائق السر المخزون في خزائن الكتب المكنون ما تطمئن اليه النفوس وتقر به العيون من خفايا الرموز وخبايا الكنوز واهديها الى الخزانة العامرة للبحار الزاخرة بجناب من خصه الله تعالى بخلافة الارض واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض الا وهو السلطان الاسعد الاعظم والخاقان الامجد الافخم مالك الامة العظمى والسلطان الباهر وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر رافع راية الدين الازهر موضح ايات الشرع الانور مرغم انوف النواغة والجابرة معقر جباه القياصرة والاكاسرة فاتح بلاد المشارق والمغارب بنصر الله العزيز وجنده الغالب الهمام الذي شرق غرة المنير فانتهى الى المشرق الادنى وغرب حتى بلغ مغرب الشمس اودنا بجحافل عرمرم تزاحم الافواج وعسكر كخضم متلاطم الامواج فاصبح ما بين افقي الطلوع والغروب وما بين نطقتي الشمال والجنوب منتظما في سلك ولايته الواسعة ومندرجا تحت ظلال رايته الرائعة فاصبحت منابر الربع المسكون مشرفة بذكر اسمه الميمون فيالله من ملك استوعب ملكه البر البسيط واستغرق فلكه وجه البحر المحيط فكانه فضاء ضربت فيه خيامه او نصبت عليه الوهيته واعلامه مالك ممالك العالم

السجاله مصدر بمعنى الفرقه والتفرس منه

نضج كل شئ وسطه ومعظمه منه

الشنف القرط الا وعلق منه تشنيفا فتشنف منه

ظل الله الظليل على كافة الامم • قاصم القياصرة وقاهر الروم • سلطان العرب والعجم والروم • سلطان المشرقين • وخاقان البحرين •
الامام المعتضد بالقدرة الربانية • والخليفة المعتز بالعزة السبحانية • المفتخر بخدمة الحرمين الجليلين المعظمين • وحماية الثغرين
الجليلين المفخمين • ناشر القوانين السلطانية • عاشر الخواقين العثمانية • السلطان بن السلطان السلطان سليمان خان
ابن السلطان المظفر المنصور • والخاقان المؤقر المشهور • صاحب المغازى المشهورة فى أقطار الامصار • والفتوحات المذكورة
فى صحائف الاسفار • السلطان سليم خان • ابن السلطان السعيد • والخاقان المجيد • السلطان بايزيد خان • لازالت سلسلة
سلطنته متسلسلة الى انتهاء سلسلة الزمان • وارواح اسلافه العظام متنزهة فى روضة الرضوان • وكنت اتردد فى ذلك
بين اقدام واحجام • لقصور شانى وعزة المرام • ابن الحضيض من الذرى • شتان بين الثريا والثرى • وعجبت اصطياد العنقاء
بالشباك • واقتياد الجوزاء من بروج الافلاك • فمضت على الدهور والسنون • وتغيرت الاطوار وتبدلت الشئون •
فابتليت بتدبير مصالح العباد • وبرهة فى قضاء البلاد • واونى فى قضاء العساكر والاجناد • فحال بينى وبينما كنت اخال
تراكم المهمات وتزاحم الاشغال • وجموم العوارض فى العلائق • وانجوم الصوارف والعوائق • والتردد الى المغازى والاسفار • والتنقل من دار
الى دار • وكنت فى تضاعيف ماتيك الامور اقدر فى نفسى ان انتهز فرصة من الدهور • يتهنى لى النوار • وتطمئن لى
الدار • واطرح ثوب خال • انبتل فيه الى جناب ذى العظمة والجلال • واوجه اليه وجهتى • واسلم له سرى وعلانيتى •
وانظر الى كل شئ بعين الشهود • واتوقف سر الحق فى كل موجود • تلافيا لما فات • واستعدادا لما هو آت • واتصدى لما عز منه
عليه • واتولى لتكميل ما توجهت اليه برغابة واطمئنان • وحضور قلب وفراغ جنان • فبينما انا فى هذا الخيال • اذ بدا لى
مالم يخطر بالبال • تحولت الاحوال والدهر حول • فوقعت فى امر شق من الاول • امرث بحل مشكلات الانام • فيما شجر بينهم من النزاع
والخصام • فلفيت معضلة طويلة الذيول • وصرت كالهارب من المطر الى السيول • فبلغ السيل الزبى • وغرقنى اى غمر
غوارب ماجرى بين زيد وعمرو • فاضحيت فى ضيق المجال • وسعة الاشغال • اشهر ممن يضرب بها الامثال • فجعلت اتمثل
بقول من قال • لقد كنت اشكو الحوادث برهة • واستمرض الايام وهى صحائح • الى ان تغشتنى وقيت حوادث • تحقق
ان ان الكفاح منائح • فلما انهرمت عرى الآمال • عن الفوز بفراغ البال • ورايت ان الوقعة على جناح الفوات • وشمل الاسباب
فى شرف الشتات • وقد مضى الكبر • وتضالت القوى والقدر • ودنا الاجل من الحول • واشرفت شمس الحيوة على الافول •
عزمت على انشاء ما كنت انويه • وتوجهت الى انشاء ما ظللت ابتغيه • ناويا ان اسميه عند اتمامه • بتوفيق الله تعالى واتمامه •
ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم • فشرعت فيه مع تفاقم المكاره على • وتزاحم المشاره بين يدى • متضرعا
الى رب العظمة والجبروت • خلاق عالم الملك والملكوت • فى ان يعصمنى عن الزيغ والزلل • ويقينى مصارع السوء
فى القول والعمل • ويوفقنى لتحصيل ما ارومه وارجوه • ويهدينى الى تكميله على احسن الوجوه • ويجعله خير عدة وعتاد • انتمتع به
يوم المعاد • فيا من توجهت وجوه الذل والابتهال نحو بابه المنيع • ورفعت ايدى الضراعة والسؤال • الى جنابه الرفيع •
افض علينا شوارق انوار التوفيق • واطلعنا على دقائق اسرار التحقيق • وثبت اقدامنا على مناهج هداك • وانطقنا
بما فيه اجرك ورضاك • ولا تكلنا الى انفسنا لحظة ولا آن • وخذ بناصيتنا الى الخير حيث كان • جنابك
على جباه الاستكانة ضارعين • ولابواب فيضك قارعين • انت الملاذ فى امر كل مهم • وانت المعاذ فى كل
خطب ملم • لارب غيرك • ولا خير الا خيرك • بيدك مقاليد الامور • لك الخلق والامر واليك النشور •

سورة فاتحة الكتاب وهى سبع ايات

الفاتحة • فى الاصل اول كل امر من شانه ان يفتح كالكتاب والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة فى فتح الكل ثم اطلقت على اول

كل شئ فيه تدريج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجي حصولا والسطور والاوراق التدريجية قراءة وعدا والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية او هي مصدر بمعنى الفتح اطلقت على التسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته كانه نفس الفتح فان تعلقه به بالذات او بالباقي بواسطته لكن لا على معنى انه واسطة في تعلقه بالباقي ثانيا حتى يرد انه لا يتاتى في الخاتمة لما ان ختم الشئ عبارة عن بلوغ آخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الكلمات عن اجزائه الاول بل على معنى ان الفتح المتعلق بالاول فتح له اولا وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطته لكونه جزءا منه وكذا الكلام في الخاتمة فان بلوغ آخر الشئ يعرض للآخر اولا وبالذات ثم للكل بواسطته على الوجه الذي تحققته والمراد بالاول ما يعم الاضافي فلا حاجة الى الاعتذار بان اطلاق الفاتحة على السورة الكريمة بتمامها باعتبار جزئها الاول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصي لا العدد المشترك بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح اهل الاصول ولا ضير في اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم في اوائل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية من جهته عز وجل او من جهة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالاذن فيكفي فيها تحصله باعتبار تحققه في علمه عز وجل او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزل له على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام كما في جزء الشئ لا بمعنى من كما في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئي له ومدار التسمية كونه مبدأ الكتاب على الترتيب المعهود لا في القراءة في الصلوة ولا في التعليم ولا في النزول كما قيل اما الاول فلان اذ ليس المراد بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرأ في الصلوة حتى يعتبر في التسمية مبدئيتها له واما الاخيران فلان اعتبار المبدئية من حيث النزول ومن حيث التعليم يستدعي مراعاة الترتيب في بقية اجزاء الكتاب من تلك الحيثيتين ولا ريب في ان الترتيب التعليمي والترتيب النزولي ليسا على نمط الترتيب المعهود وتسمى ام القرآن لكونها اصلا ومنشأ له اما المبدئية فظاهرة واما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله عز وعلا والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الاشقياء والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب وتسمى ام الكتاب ايضا كما يسمى به اللوح المحفوظ لكونه اصلا لكل الكائنات والآيات الواضحة الدالة على معانيها لكونها بينة تحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر في ام القرآن لا ما اورده البخاري في صحيحه من انه يبدء بقراءتها في الصلوة فانه مما لا تعلق له بالتسمية كما اشير اليه وتسمى سورة الكنز لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انها نزلت من كنز تحت العرش او لما ذكر في ام القرآن كما انه الوجه في تسميتها الاساس والكافية والوافية وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسالة لاشتمالها عليها وسورة الصلوة لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات تثنى في الصلوة او لتكرر نزولها على ما روي انها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة اخرى حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص بخلاف الائمة في شان التسمية في اوائل السور الكريمة فقيل انها ليست من القرآن اصلا وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه ومذهب مالك والمشهور من مذهب فقهاء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها وقيل انها آية فذة من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هي آية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقد نسب الى ابن عمر رضه ايضا وعليه يحمل اطلاق ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال روي عن ابن عمر رضه انها انزلت مع كل سورة وهو ايضا مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطاء وعبد الله بن المبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وهو القول الجديد للشافعي وكذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص من ان هذا القول من الشافعي لم يسبق اليه احد

رد على صاحب الكشف

رد على صاحب الكشف

حنفية

وقيل انها آية من الفاتحة مع كونها قرآنا في سائر السور ايضا من غير تعرض لكونها جزءا منها اولا ولا لكونها آية تامة اولا
وهو احد قولي الشافعي على ما ذكره القرطبي ونقل عن الخطابي انه قول ابن عباس وابو هريرة رض وقيل انها آية تامة
في الفاتحة وبعض في البواقي وقيل بعض آية في الفاتحة وآية تامة في البواقي وقيل انها بعض آية في الكل وقيل انها آيات من القرآن
متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان يكون جزء منها وهذا القول غير معزي في الكتب الى احد وهناك قول آخر ذكره بعض
المتأخرين ولم ينسب الى احد وهو انها آية تامة في الفاتحة وليست بقرآن في سائر السور ولولا اعتبار كونها آية تامة لكان
ذلك احد محملي تردد الشافعي رح فانه قد نقل عنه انها بعض آية في الفاتحة واما في غيرها فقوله متردد فقيل ان يكون قرآنا اولا وقيل
بين ان يكون آية تامة اولا قال الامام الغزالي والصحيح من الشافعي هو التردد الثاني وعن احمد بن حنبل رح في كونها آية كاملة
وفي كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزي ونقل انه مع مالك وغيره ممن يقول انها ليست من القرآن هذا والمشهور من هذه
الاقاويل هي الثلثة الاول والاتفاق على اثباتها في المصاحف مع الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله عز وجل يقتضي ثبوت القدر المشترك بين الاخيرين من غير دلالة على خصوصية احدهما فان كونها جزءا من القرآن لا يستدعي كونها جزءا من كل سورة منه
كما لا يستدعي كونها آية منفردة منه واما ما روي عن ابن عباس رض من ان من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله تع
وما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه من انه عليه الصلوة والسلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وما روي
عن ام سلمة رض من انه عليه الصلوة والسلام قرأ سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية وان دل
كل واحد منهما على نفي القول الثاني فليس شيء منهما نصا في اثبات القول الثالث اما الاول فلانه لا يدل الا على كونها آيات من كتاب الله
تع متعددة بعدد السور المصدرة بها لا على ما هو المطلوب من كونها آية تامة من كل واحدة منها الا ان يلجأ الى ان يقال ان كونها
آيات متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان يكون جزءا منها قول لم يقل به احد واما الثاني فساكت عن التعرض لكونها في نفسها
السور واما الثالث فناطق بخلافه مع مشاركة الثاني في السكوت المذكور والباء فيها متعلقة بمضمر ينبئ عنه الفعل المصدر بها
كما انها كذلك في تسمية عند الحلول والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة الافعال ومعناها الاستعانة او الملابسة تبركا
اي بسم الله اقرأ او اتلو وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما في اياك نعبد وتقديم البدء للاقتضاء اقتصار التبرك
على البداية فمحل بما هو المقصود اعني شمول الحركة للكل واذ قد عرفت ان فيه امتثالا بالحديث الشريف من جهة اللفظ والمعنى معا وفي تعويد
اقوام من جهة المعنى فقط ليس بشيء فان مدار الامتثال هو البدء بالتسمية لا تقدير فعله اذ لم يقل في الحديث الكريم كل امر ذي بال
لم يتبدل فيه او لم يصر فيه ابدء وهذا الى آخر السورة الكريمة معقول على السنة العباد تلقينا لهم وارشادا الى كيفية التبرك باسمه تعالى
وهداية الى مناهج الحمد وسؤال الفضل ولذلك جعلت السورة الكريمة باذكر من تعليم المسألة واما كسرت ومن حق الحروف المزيدة ان تفتح
لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الاجر ولام الاضافة داخل على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند
البصريين من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنية الاوائل على السكون وقد دخلت عليها عند الابتداء همزة لان من ذاهبهم المبدأ
بالمتحرك والوقف على الساكن ويشهد له تصغيرهم على اسماء وسمي وتميت وسمي كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمي مباركا
آثرك الله به ايثارا كما والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفع للمسمى وتنويه له وعند الكوفيين من السمة
واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليدل اعلالها ورد عليه بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره
في كلامهم ومن لغاتهم سم وسم قال بسم الله الذي في كل سورة سمه واتما لم يقل بالله للفرق بين اليمين والتيمن او لتحقيق ما هو
المقصود بالاستعانة هنا فانها تكون تارة بذاته تعالى وحقيقتها طلب المعونة على ايقاع الفعل واحداثه اي افاضة القدرة عند
الاصوليين من اصحابنا يتمكن به العبد من ادآء ما لزمه المنقسمة الى ممكنة وميسرة وهي المطلوبة باياك نستعين وتارة اخرى

باسمه عز وعلا وحقيقتها طلب المعونة في كون الفعل معتدًا به شرعًا فانه ما لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت
كل واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم والا فالمتبادر من قولنا بالله عند الاطلاق لا سيما عند الوصف بالرحمن الرحيم
هي الاستعانة الاولى **ان قيل** فليحمل الباء على التبرك وليستغن عن ذكر الاسم لما ان التبرك لا يكون الا به **قلنا** ذاك فرع كون
المراد بالله هو الاسم وهل التشاجر الا فيه فلا بد من ذكر الاسم ليندفع احتمال الارادة المستمى وبتعين حمل الباء على الاستعانة الثانية
او التبرك وانما لم يكتب الالف لكثرة الاستعمال قالوا وطولت الباء عوضًا عنها والله اصله الاه حذفت همزته على غير قياس كما ينبئ عنه
وجوب الادغام وتعويض اللامين عنها حيث لزماه وجردا عن معنى التعريف ولذلك قيل يا الله بالقطع فان المحذوف انما يعتد به في
حكم الثابت فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض **وقيل** على قياس تخفيف الهمزة فيكون الادغام والتعويض من خواص الاسم
الجليل ليمتاز بذلك عن عداه امتيازًا مستماه عما سواه بالا يوجد فيه من نعوت الكمال والاله في الاصل اسم جنس يقع على كل معبود حق
او باطل ثم غلب في عرف الشرع على المعبود بالحق كالنجم والصعق والله
بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود الحق لم يطلق على غيره اصلًا واشتقاقه من الالهية والالوهية بمعنى العبادة صيغا نص عليه الجوهري
على انه اسم منها بمعنى المألوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على انه صفة منها بدليل انه يوصف ولا يوصف به حيث يقال آله واحد ويقال
كتاب مرقوم ولا يقال شيء كتاب والفرق بينهما ان الموضوع له في الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه بها
فمدلولها مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية اصلًا ومن معنى معين قائم بها على ان ملاحظة الامر المذكور لا خصوصية فاتي ذات ما
ذلك المبنى يصح اطلاق الصفة عليها كسائر الافعال ولذلك تعمل عملها كاسمي الفاعل والمفعول والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات
المعينة والمعنى الخاص فمدلوله مركب من ذينك المعنيين من غير رجحان للمعنى على الذات كما في الصفة ولذلك لم يعمل عملها **وقيل** اشتقاقه
من اله بمعنى تحير لان العقول تتحير في شأنه تعالى والافهام والا له كعبد وزنًا ومعنى فمشتق من الاه بالكسر كذا تأله واستأله
اشتقاق استوقد واستجر من النار والجر **وقيل** من اله الى فلان اي سكن اليه لاطمئنان القلوب بذكر الله تعالى ويكون للارواح لا معرفة
وقيل من الاه اذا فزع من امر نزل به والهه غيره اذا حاره اذ العابد يتحير في امره تعالى بنوع اليه وهو بمعزل عن حقيقة الامر في زعمه **وقيل** اصله لاه
على انه مصدر من لاه يليه بمعنى ارتفع وارتفع اطلق على الفاعل مبالغة **وقيل** هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه يدل ان
التوحيد في قولنا لا اله الا الله ولا يخفى ان اختصاص الجليل تعالى بالقلوب يذكر الله تعالى ويكون للارواح لا معرفة
وقيل من الاه اذا فزع من امر نزل به والهه غيره اذا حاره اذ العابد يتحير في امره تعالى بنوع اليه وهو بمعزل عن حقيقة الامر في زعمه **وقيل** اصله لاه
على انه مصدر من لاه يليه بمعنى ارتفع وارتفع اطلق على الفاعل مبالغة **وقيل** هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه يدل ان
التوحيد في قولنا لا اله الا الله ولا يخفى ان اختصاص الجليل تعالى بالقلوب يذكر الله تعالى ويكون للارواح لا معرفة
فيه كون ذلك لاختصاص بطريق الغلبة بعد ان كان اسم جنس في الاصل **وقيل** هو وصف في الاصل لكنه لما غلب بحيث لا يطلق
على غيره اصلًا صار كالعلم وبرده امتناع الوصف به **لا يقال** لعل المراد بالكلمة التوحيد هو المعبود بالحق فمعناه ما نوادي المعبودية
بالحق الا ذلك المعبود **وقيل** اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الثانية وادخال الالف واللام عليه وتفخيم لامه اذا انكسر
ما قبلها سنة **وقيل** مطلقًا وحذف النبذ لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر في قوله • الا ابارك الله
في سهيل • اذا ما الله بارك في الرجال • والرحمن الرحيم صفتان مبنيتان من رحم بعد جعله لازمًا بمنزلة الغرائز بنقله الى رحم بالضم
كما هو المشهور وقد قيل ان الرحيم ليس صفة مشبهة بل هي مبالغة نص عليه سيبويه في قوله هو رحيم فلانًا والرحمة في اللغة الانعطاف
والانعطاف منه الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد بها ههنا التفضل والاحسان او ارادتهما بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا
على مسببه البعيد والقريب فان اسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادئ التي هي انفعالات والاول من الصفات
الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعالى واما امتنع صرفه الى ما قاله بالاغلب فيه من غير نظر الى الاختصاص الحادثة فانه كما حظر وجود
فعل حظر وجود فعلانة فاعتباره يوجب اجتماع الصرف وعدمه فلزم الرجوع الى الاصل ههنا الكلمة قبل الاختصاص بان تناسى
الى نظائرها من باب فعل فاذا كان كلها ممنوعة من الصرف لتحقق وجود فعلا فيها علم ان هذه الكلمة ايضًا في اصلها مما تحقق فيها

باسمه

وجود فعلى فيمتنع من الصرف وفيه من المبالغة مالیس فی الرحیم ولذلک یحمل الدنیا ورحیم الآخرة وتقدیمه مع کون الغایة تأخیره رعایة
لاسلوب الترقی الی الاعلی کما فی قولهم فلان عالم نحریر وشجاع باسل وجواد فیاض لانه لاختصاصه عزوجل صار حقیقا بان یکون
قرینا للاسم الجلیل الخاص به تعالی ولان ما یدل علی جلائل النعم وعظائها احق بالتقدیم مما یدل علی دقائقها وفروعها وافراد الوصفین
الشریفین بالذکر لتحریک سلسلة الرحمة ۞ الحمد لله ۞ الحمد هو الثنا بالجمیل علی الجمیل اختیاریا کان او منبئا له علی وجه یشعر بتوجیه الاثنا
وبجهة الجمیلیة یمتاز عن المدح فانه قال عنها یرشدک الی ذلک ما تری بینهما من الاختلاف فی کیفیة التعلق بالمفعول فی قولک حمدته
ومدحته فان تعلق الثانی بمفعوله علی منهاج تعلق عامة الافعال بمفعولاتها واما الاول فتعلقه بمفعوله مبنی عن غرض الانتهاء کما فی قولک
کلمته فانه موهم عما یفیده لام التبلیغ فی قولک قلت له ونظیره شکرته وعبدته وخدمته فان تعلق کل منها مبنی عن المعنی المذکور وتحقیقه
ان مفعول کل فعل فی الحقیقة هو الحدث الصادر عن فاعله ولا یتصور فی کیفیة تعلق الفعل به ای فعل کان اختلاف اصلا واما المفعول
الذی هو محل وموقع فلما کان تعلقه به ووقوعه علیه علی انحاء مختلفة حسبما یقتضیه خصوصیات الافعال بحسب معانیها المختلفة فان بعضها
یقتضی ان یلابس ملابسة تامة مؤثرة فیه لعامة الافعال وبعضها یستدعی ان یلابسه ادنی ملابسة اما بالانتهاء الیه کالاعانة مثلا
اعتبر فی کل نحو من انحاء تعلقه به کیفیة لائقة بذلک النحو مغایرة لما اعتبر فی النحوین الاخیرین فنظم القسم الاول من التعلق فی سلک التعلق
بالمفعول الحقیقی واعاة لقوة الملابسة وجعل کل واحد من القسمین الاخیرین من قبیل التعلق بواسطة الجار المناسب له فان قولک
اعنته مشعر بانتهاء الاعانة الیه وقولک استعنته بابتدائها منه وقد یکون الفعل واحد مفعولاه یتعلق باحدهما علی الکیفیة الاولی
وبالآخر علی الثانیة او الثالثة کما فی قولک حدثنی الحدیث وسألنی المال فان التحدیث مع کونها فعلا واحدا قد تعلق بک علی الکیفیة
الثانیة وبالحدیث علی الاولی وکذا السؤال فانه فعل واحد وقد تعلق بک علی الکیفیة الثانیة وبالمال علی الاولی ولا ریب فی ان اختلاف
هذه الکیفیات الثلث وبناءها واختصاص کل من المفاعیل المذکورة بما ینسب الیه منها مما لا یتصور فیه تردد ولا نکیر وان کان
لا یتضح حق الاتضاح الا عند الترجمة والتفسیر وان مدار الاختلاف لیس الا اختلاف الفعل او اختلاف المفعول واذ لا اختلاف
فی مفعول الحمد والمدح فهل ان اختلافهما فی کیفیة التعلق لاختلافهما فی المعنی قطعا هذا وقد قیل المدح مطلق عن قید الاختیاریة
یقال مدحت زیدا علی حسنه ورشاقة قده وآیا ما کان فلیس بینهما ترادف بل اخوة من جهة الاشتراک الکبیر وتناسب تام
فی المعنی کالنصر والتأیید فانهما تتناسبان معنی من غیر ترادف کما تری بینهما من الاختلاف فی کیفیة التعلق بالمفعول وانما ترادف
النصر الاعانة وترادف التأیید التقویة فتدبر ثم ان ما ذکر من التفسیر هو المشهور من معنی الحمد واللائق بالارادة فی مقام
التعظیم واما ما ذکر فی کتب اللغة من معنی الرضی مطلقا کما فی قوله تعالی عسی ان یبعثک ربک مقاما محمودا وفی امرهم لهذا الامر
عاقبة حمیدة وفی قول الاطباء یحمد من البحران محمود مما لا یختص بالفاعل فضلا عن الاختیار فیعزل من استحقاق الارادة ههنا استقلالا
واستتبعا بما جعل الحمد علی ما یعم المعنیین اذ لیس فی اثباته له عز وجل فائدة یعتد بها واما الشکر فهو مقابلة النعمة بالثناء او
الجوارح وعد القلب علی وصف النعم بنعت الکمال کما قال من قال ۞ افادتکم النعماء منی ثلثة ۞ یدی ولسانی والضمیر المحجبا فانه
هو اعم منها من جهة واخص من اخری ونقیضه الکفران ولما کان الحمد من شعب الشکر ادخل فی اشاعة النعمة والاعتداد بها
وادل علی مکانها لما فی عمل القلب من الخفاء وفی اعمال الجوارح من الاضمحلال جعل الحمد راس الشکر ولما کان الامر فی قوله علیه السلام
الحمد راس الشکر ما شکر الله عبد لم یحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره الظرف واصله النصب کما هو شان المصادر المنصوبة بافعالها
المضمرة التی لا یکاد تستعمل معها خوفا من الشکر او عجبا کانه قیل یحمد الله حمدا لیتوافق ما فی قوله تعالی ایاک نعبد وایاک نستعین
لاتحاد الفاعل فی الکل واما ما قیل من انه بیان لحمدهم له تعالی کانه قیل کیف تحمدون فقیل ایاک نعبد فمنع الیه لانه لا حاجة الیه
مما لا صحة له فی نفسه فان السؤال المقدر لا بد وان یکون بحیث یقتضیه انتظام الکلام وینساق الیه الاذهان بادی الافهام ولا ریب

فان الحامد بعد ما ساق حمد تعالى على ذلك الكيفية الانفة لا يخطر ببال احد ان يسال عن كيفية على ان ما قدر من السؤال غير مطابق
للجواب فانه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بيانا لحمدهم والاعتذار بان المقام يخضع العبادة وبه تبين
كيفية الحمد تعكيس للامر وتحميل لتوفيق المنزل المقدر بالموسوم المقدر وبعد الاشباع واللتيا ان فرض السؤال من جهته عز وجل فانت بكتة
الالتفات التي اجمع عليها السلف والخلف وان فرض من جهة الغير يختل النظام لابتناء الجواب على خطابه تعالى وبهذا يتضح فساد ما قيل
انه استئناف جوابا لسؤال يقتضيه اجراء تلك الصفات العظام على الموصوف فكانه قيل ما شانكم معه وكيف توجهكم اليه فاجيب بحصر العبادة والاستعانة
فيه فان تناهي جانب السائل بالكلية وبناء الجواب على خطابه عز وجل مما يجب سربه ساحة التنزيل عن امثاله والحق الذي لا محيد عنه انه اثنا في
صدر عن الحامد بمحض ملاحظة انفعاله تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة للاقبال الكلي عليه من غير ان يتوسط هناك شئ آخر كما سيخبط به خبرا
واختيار الرفع على النصب الذي هو الاصل للايذان بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لاثبات مثبت وان ذلك امر دائم مستمر لا حادث متجدد كما يفيده
قراءة النصب وهو السر في كون تحية الخليل للملئكة عليهم التحية والسلام احسن من تحيتهم له في قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام وتنوينه للجنس
ومعناه الاشارة الى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد له تعالى المستدعي لتخصيص جميع افراده تعالى به
على الطريق البرهاني لكن لا بناء على ان افعال العباد مخلوقة له تعالى فيكون الافراد الواقعة بمقابلة ما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة
اليه تعالى بل بناء على تنزيل تلك الافراد ودواعيها في المقام الخطابي منزلة العدم كيفما وكما وقد قيل للاستغراق الحاصل بالقصد الى الحقيقة
من حيث تحققها في ضمن جميع افراده حسبما يقتضيه المقام وقرئ الحمد لله بكسر الدال اتباعا لها باللام وبضم اللام اتباعا لها بالدال بناء
على تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما معتبرتين منزلة كلمة واحدة مثل المقبرة ومنخر الجيل رب العالمين بالجر على انه صفة لله
فان اضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعين ارادة الاستمرار وقرئ منصوبا على المدح ولو دل عليه الجملة السابقة
كانه قيل نحمد الله رب العالمين وللاسماع للنصب بالحمد لعلة اعمال المصدر المحلى باللام ولانه يلزم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب
في الاصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشئ الى الكمال شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه
مثل تمه يتمه بعد جعل لازما الى فعل بالضم كما هو المشهور سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كرب
الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى فيسقي ربه خمرا وقوله تعالى ارجع الى ربك وما في الصحيحين من انه عليه السلام قال لا يقل احدكم اطعم ربك
وضئ ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي فقد قيل ان النهي فيه للتنزيه وانما الاولى فحيث لم يكن الخلاقة على الله تعالى جارية على
الاطلاق والتقييد كما في قوله تعالى ارباب متفرقون خير الآية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب في متعارف الصانع من المصنوعات
اي في القدر المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه يطلق في كل جنس منها في قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان
الى غير ذلك يطلق على المجموع ايضا كما في قولنا العالم بجميع اجزائه محدث وقيل هو اسم لاولي العلم من الملئكة والثقلين وتناوله لما سواهم
بطريق الاستتباع وقيل اريد بالناس فقط فان كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها
الصانع كما يعلم بما فيه عالم من خياله ولذلك امر بالنظر في الانفس كالنظر في الآفاق فقيل وفي انفسكم افلا تبصرون والاول هو الحق
الاظهر واثار صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق افراد كل منها باسرها اذ لو افرد لربما توهم
ان المقصود بالتعريف هو الحقيقة من حيث هي او استغراق افراد جنس واحد على الوجه الذي اشير اليه في تعريف الحمد وحيث صح ذلك
بمساعدة التعريف نزل العالم وان لم يتطرق على آحاد معلوله منزلة الجمع حتى انه جمع لا واحد له من لفظه فكما ان الجمع المعرف يستغرق
آحاد مفرده وان لم يصدق عليها كما في مثل قوله تعالى والله يحب المحسنين اي كل محسن كذلك العالم يشمل افراد الجنس المستتبع وان لم يطلق
عليها كما انها آحاد مفرد التقديري ومن قضيته هذا التنزيل جعله منزلة جمع الجمع فكما ان الاماديل تتناول كل واحد من آحاد الاقوال
يتناول لفظ العالمين كل واحد من آحاد الاجناس وروي عن وهب بن منبه انه قال خلق الله تعالى ثمانية عشر الف عالم والدنيا

عالم منها وانما جمع بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء وما في حكمها من الأعلام لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء
على غيرهم واعلم ان عدم انطلاق اسم العالم على كل واحد من تلك الاحاد ليس الا باعتبار الغلبة والاصطلاح واما باعتبار الاصل فلا ريب في صحة
الاطلاق قطعا لتحقق المصداق حتما فانه كما يستدل على الله سبحانه بمجموع ما سواه وبكل جنس من اجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء من اجزاء
ذلك المجموع وبكل فرد من افراد تلك الاجناس لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب لذاته في الكل فان كل ما ظهر فله الظاهر تماما وعونا وحضر
فهذه المحاضر كائنا من كان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد واما شمول ربوبيته وعدوله للكل فلما لاحاجة الى بيانه
اذ لا شيء مما اصدق به نطاق الامكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات والجسمانيات الا وهو في حد ذاته
بحيث لو فرض انقطاع آثار التربية عنه آنا واحدا لما استقر عنه القرار ولا اطمأنت به الدار الا في مطورة العدم ومهاوي البوار
لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شانه وتقدس في كل زمان بعض وكل آن بمر وينقضي من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوه
صفاته وكمالاته ما لا يحيط به فلك التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير ضرورة انه كما لا يخفى بشيء من الممكنات بذاته الوجود ابتداء لا يتحقق بقاء
وانما ذلك من جنابه المبدء الاول عز وعلا فكل لا يتصور وجوده ابتداء وما لم يبتن عليه جميع انحاء عدمه الاتي لا يتصور بقاؤه على الوجود
تحققه بعلته ما لم يبتن عليه جميع انحاء عدمه الطارئ لما ان الدوام خصائص الوجود الواجب فظاهر ان ما يتوقف عليه وجوده من الامور
الوجودية التي هي علله وشرائطه وان كانت متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن للامور العدمية التي لها دخل في وجوده
وهي المعبر عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة ان يكون لشيء واحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده وبقاؤه على ارتفاعها
اي بقائها على العدم مع امكان وجوده ما في انفسها فان بقاء تلك الموانع التي لا تتناهى على العدم تربيته لذلك الشيء من وجود غير متناهية
وبالجملة فآثار تربيته عز وجل الناشئة على كل افراد الموجودات في كل آن من آنات الوجود غير متناهية فسبحانه ما اعظم سلطانه
لا تلاحظه العيون بانظارها ولا تطالعه العقول باخطارها شانه لا يتناهى واحسانه لا يتناهى وكل في معرفته حائرون وفي اداء
واجب شكره قاصرون نسئلك اللهم الهداية الى مناهج موفقتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا يحصى ثناء عليك لا انت
الا انت نستغفرك ونتوب اليك الرحمن الرحيم صفتان لله فان اريد بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين او ما يعمهم
على الكل بعد الخروج الى بطون الوجود من العدم فوجه تاخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر وان اريد ما يعم الكل في الاطوار كلها حسبما قوله تعالى
رحمتي وسعت كل شيء فوجه الترتيب ان التربية لا تقتضي المغايرة للرحمة فاريد هما في عقبها للايذان بانه تعالى متفضل فيها فاعل
بمقتضى رحمته السابقة من غير وجوب عليه وبانها واقعة على حسن ما يكون والاقتصار على نعمة تعالى بهما في التسمية لما ان الادب
يحال المتبرك المستعين باسمه الجليل والاوفق لمقاصده مالك يوم الدين صفة رابعة لله تعالى وتاخيرها في الصفات الاول مما لا وجه
الى بيان وجهه وقرأ اهل الحرمين المحترمين ملك من الملك الذي هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة
والقدرة على التصرف الكلي في امور العامة بالامر والنهي وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين كما في قوله تعالى لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الماضي وملك بالنصب على المدح او على الحال وبالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدا
محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب اليوم في الوف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني
وغروب الشمس والمراد ههنا مطلق الوقت والدين الجزاء خيرا كان او شرا او من الثاني في المثل السائر كما تدين تدان والاول
في بيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا واما الاول والثاني فليس بجزاء حقيقة وانما سمي به مشاكلة
او تسمية للشيء باسم شبيه كما سميت ارادة القيام والزيارة باسمها في قوله عز اسمه اذا قمتم الى الصلوة وقوله تعالى فاذا قرات القران
فاستعذ بالله ولعله هو السر في بناء المفاعلة من الافعال التي تقوم اسبابها بفعولها نحو عاقبت اللص ونظائره فان قيام
السرقة التي هي سبب للعقوبة باللص نزل منزلة قيام المسبب وهي العقوبة فصار كانها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت

صفحه

صيغة المفاعلة الدالة على المشاركة بين الاثنين واضافة اليوم اليه لادنى ملابسة كاضافة سائر الظروف الزمانية الى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب وعام الفتح وتخصيصه من بين سائر ما يقع فيه من النعمة والجمع والحث لكونه ادخل في الترغيب والترهيب فان ما ذكر من النعمة وغيرها من مبادي الجزاء ومقدماته واضافة مالك الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف على نهج الاتساع المبني على اجرائه مجرى المفعول به مع بقاء المعنى على حاله كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك امور العالمين كلها في يوم الدين وخلوا اضافته عن افادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا اريد به الحال او الاستقبال واما عند ارادة الاستمرار الثبوتي كما هو اللائق بالمقام فلا ريب في كونها اضافة حقيقية كاضافة الصفة المشبهة الى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين وليوم الدين وان لم يكن مستمرا في جميع الازمنة الا انه لتحقق وقوعه وبقائه ابدا اجري مجرى المتحقق المستمر ويجوز ان يراد به الملك في هذا الاعتبار كما يشهد به الاضافة على صيغة الماضي وما ذكر من اجراء الظرف مجرى المفعول به انما هو من حيث المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية الا ترى انك تقول فرحت بمالك عبدا بين انه مضاف الى المفعول به على معناه كذلك لا انه منصوب محلا وتخصيصه بالاضافة انما للتعظيم تمهيدا وليا تنزه عن اجراء الاوصاف وانقطاع العلائق المجازية بين الملاك والاملاك حينئذ بالكلية واجراء ما يليق بالصفات الجليلة سبحانه تعليل لما سبق من اختصاص الحمد به تعالى المستلزم لاختصاص استحقاقه تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه فان كل واحد منها منصة عن وجوب ثبوت كل واحد منها له تعالى وامتناع ثبوتها لما سواه اما الاولى والرابعة فظاهر لانهما متوقفتان صراحة لكونه تعالى ربا مالكا وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة فلان اتصافه تعالى بهما ليس الا بالنسبة الى ما سواه من العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل متعبدا عليهم فظهر ان كل واحدة من تلك الصفات كما دلت على وجوب ثبوت الامور المذكورة له تعالى دلت على امتناع ثبوتها لما عداه على الاطلاق وهو المعنى بالاختصاص • اياك نعبد واياك نستعين • التفات من الغيبة الى الخطاب وللموزعين للنظم من باب الى باب جار على نهج البلاغة في افنان الكلام ومسلك البراعة حسبما يقتضيه المقام لما ان التنقل من اسلوب الى اسلوب ادخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد من المتكلم والمخاطب والغيبة الى كل واحد من الاخرين كما في قوله تعالى الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا الآية وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الى غير ذلك من الالتفاتات الواردة في التنزيل لاسرار تقتضيها • وزايا تستدعيها • ومما اثار هذا المقام الجليل من النكت الرائقة الدالة على ان تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما اوحى عليه من النعوت الجليلة التي اوجبت لكل تميز وانتظم ظهوره بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والاستدلال بان حق الالتفات بعد ما تأمل فيما سلف من تفرده تعالى بذاته الاقدس المستوجب للعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية واستبداده بجلائل الصفات واحكام الربوبية المميزة لمن جميع افراد العالمين واقتصار الكل اليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذي مرت اليه الاشارة ان يترقى من رتبة البرهان الى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة الى معالم الشهود ويلاحظ نفسه في خظائر القدس حاضرا وفي محاضر الانس ناظرا كانه واقف لدى مولاه مائل بين يديه وهو يدعوه بالخضوع والاخبات ويتوسع بالفرار باب المناجات • فالمأمول من هذه شئون ذاته وصفاته • تخصيك بالعبادة والاستعانة • فان كلا ما سواك كائنا ما كان بمعزل من استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق ان يعبد او يستعان • ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب التوارد في كل ركعة من الصلوة التي هي مناجاة العبد لمولاه • ومئنة للتنبيل اليه بالكلية واياك ضمير منفصل منصوب وما لحقه من الكاف والياء والها حروف زيدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وما ادعاه الخليل من الاضافة محتجا عليه بما كان عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياب الشواب فمما لا يعول عليه وقايل من الضمائر واياد عامة لها لتصير بانفصالها • وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد وهيناك تقلب الهمزة هاء والعبادة اقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق معبد اي مذلل والعبودية ادنى منها • وقيل العبادة فعل ما يرضى به الله

والعبودية الرضى بما فعل الله تعالى والاستعانة طلب المعونة على الوجه الذى قررناه وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص كما ذكره الزمخشرى وايا ضمير فاصبون مع ما فيه من الاهتمام به والتعظيم قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة والاستعانة ولابراز الاستلذاذ بالمناجات وبالخطاب وتقديم العبادة لما انها من مقتضيات مدلول الاسم الجليل وأن ساعده الصفات المجراة عليه ايضا والا الاستعانة فمن الاحكام المبنية على الصفات المذكورة ولان العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من حقوق المستعين ولان العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه فى الوجود وعدمه وقيل لان التقديم الوسيلى على المسئول ادعى الى الاجابة والقبول هذا على تقدير كون اطلاق الاستعانة عن المفعول فيه ليتناول كل مستعان فيه كما قالوا وقيل انه لما ان المسئول هو المعونة فى العبادة والتوفيق لاقامة مراسمها على ما ينبغى وهو اللائق بشان التنزيل والموافق لحال الحامد فان استعانة مسبوقة بملاحظة فعل من افعاله ليستعينه تعالى فى اتيانه ومن البين انه عند استغراقه فى ملاحظة شئونه تعالى واشتغاله بادراء ما يوجبه تلك الملاحظة من الثناء والحمد لا يكاد يخطر بباله من افعاله واحواله الا الاقبال الكلى عليه والتوجه التام اليه وقد فعل ذلك بتخصيص العبادة به تعالى اولا وباستدعاء الهداية الى ما يوصل اليه آخرا فكيف يتصور ان يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه من امور دنياه واخراه بايقرها وغيرها كائنة قيل واياك نستعين فى ذلك فانا غير قادرين على اداء حقوقه من غير اعانة منك فوجه الترتيب حينئذ واضح وفيه من الاشعار بعلو رتبة عبادته تعالى وعزة منالها وكونها عند العابد اشرف المبانى والمقاصد وكونها من مواهبه تعالى لا من اعمال نفسه ومن الملاينة لما يعقبه من الدعاء ما لا يخفى وقيل الواو للحال اى اياك نعبد نستعين بك وآثار صيغة التكلم مع الغير فى الفعلين للايذان بقصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف فى مواقف الكبرياء منفردا وعرض العبادة واستدعاء المعونة والهداية مستقلا وان ذلك انما يتصور من عصابته هو من جملتهم وجماعته هو من زمرتهم كما هو دين الملوك او للاشعار باشتراك سائر الموحدين له فى الحالة العارضة له بناء على تعاضد الادلة الملجئة الى ذلك وقرئ نستعين بكسر النون على لغة بنى تميم

اهدنا الصراط المستقيم اذ قد لمح من اوزار المعونة المسئولة بالذكر وتعيين لما هو الاهم او بيان لها كانه قيل كيف اعينكم فقيل اهدنا الهداية دلالة بلطف على ما يوصل الى البغية وانه لكما اختصت بالخير وقوله لكما فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على نهج التهكم والاصل تعديتها باللام كما فى قوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق فعومل معاملة اختيار فى قوله تعالى واختار موسى قومه وعليه قوله تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى مع تنوعها الى انواع لا تكاد تنحصر مختصة فى اجناس حقيرة منها انفسية كما فاضة القوى الطبيعية والحيوانية التى بها تصدر عن المرء افاعيله الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التى بها يتمكن من اقامة مصالح المعاشية والمعادية ومنها آفاقية فاما تكوينية موبئة عن الحق بلسان الحال فهى نصب الادلة الموزعة فى كل فرد فرد من افراد العالم صيما النوع به فيما سلف وكما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الاحكام النظرية والعملية بلسان المقال بارسال الرسل وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايا التى من جملتها الارشاد الى مسالك الاستدلال بتلك الادلة التكوينية الآفاقية والانفسية والتنبيه على مكانها كما اشير اليه مجملا فى قوله تعالى وفى الارض آيات للموقنين وفى انفسكم افلا تبصرون وفى قوله عز وعلا ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون ومنها الهداية الخاصة وهى كشف الاسرار على قلب المهدى بالوحى والالهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب ينتجها وطالب يستدعيها والمطلوب الآن زيادتها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى واما الثبات عليها كما روى عن على وابى رضى الله تعالى عنهما اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية على الوجه الاخير مجاز قطعا واما على الاول فان اعتبر مفهوم الزيادة داخلا فى المعنى المستعمل فيه كان مجازا ايضا وان اعتبر خارجا عنه مدلولا عليه بالقرائن كان حقيقة لان الهداية الزيادة هداية كما ان العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز

وقرئ ارشدنا والصراط الجادة اصله السين قلبت صادًا لمكان الطاء كمصيطر من سرط الشئ اذا ابتلعه
سميت به لانها تسرط السالكة اذا سلكوها كما سميت لقما لانها تلقم وقد تشم الصاد صوت الزاء محسا للقلب من المبدل منه
وقد قرئ بهذه جميعًا وفصحاها خالص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام وجمعه صراط كمكتاب وكتب وهو كالطريق
والسبيل في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد بطريق الحق وهي الملة الحنفية السمحة المتوسطة بين الافراط والتفريط
صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث ان المقصود بالنسبة وفائدته التاكيد
والتنصيص على ان طريق الذين انعم الله عليهم وهم المسلمون وهم العلم في الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم
عند ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام لقصد الشمول فان نعمة الاسلام عنوان النعم كلها فمن فازبها فقد حاز ما بجد افيرما
وقيل المراد بهم الانبياء ولعل اظهر انهم المذكورون في قوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين بشهادة ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطًا مستقيمًا وقيل هم اصحاب موسى وعيسى قبل النسخ والتحريف وقرئ
صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذ بها الانسان من النعمة وهي اللين ثم اطلقت على ما يستلذ
النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها تنحصر اصولها في دنيوي واخروي والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي
ايضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وامداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فانها من كونها من قبيل الهدايا نعمة جليلة في نفسها
وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة من الصحة وسلامة الاعضاء والكسبي تخلية النفس عن الرذائل
وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المرغبة وحصول الجاه والمال والثاني مغفرة
ما فرط منه والرضى عنه وتبوئته فراعلى عليين مع المقربين والمطلوب هو القسم الاخير وما هو ذريعة الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا ذلك
بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة غير المغضوب عليهم ولا الضالين صفة للموصوف على انه عن احدى الطوائف المذكورة المشهورة
بالانعام عليهم وباستقامة المسلك ومن ضرورة هذا الشهرة تعريفهم بالمغايرة لما اضيف اليه كلمة غير من المتضادين بمقتضى الوصف المذكور
اعني مطلق المغضوب عليهم ولا الضالين فاكتب بذلك تعرفا معتبرا لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون وصفوا
بذلك تكملة لما قبله وآية انها بان السلامة مما ابتلي به اولئك نعمة جليلة في نفسها اذ الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة الايمان
ونعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا باعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذي اللام اذا اريد به الجنس
او ضمن بعض الافراد لا بعينه وهو المسمى بالعهد الذهني والمغضوب عليهم ولا الضالين اليهود والنصارى كما ورد في مسند احمد
والترمذي فيبقى لفظة غير على ابهامه نكرة مثل موصوفه وانت خبير بان جعل الموصول عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة بدلية
ما اضيف اليه مما قبله فان مدار كون صراط المؤمنين عليًا في الاستقامة مشهودًا له بالاستواء على الوجه الذي تحققته فيما سلف
ومن البين ان ذلك من حيث اضافته وانتسابه الى الكل لا الى بعض منهم وبهذا تبين ان لا سبيل الى جعل غير المغضوب عليهم بدلا
من الموصول لما عرفت ان شان البدل ان يفيد متبوعه مزيد تاكيد وتقرير وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب في ان قصارى ما في حيزه
ان تكتسي مما اضيف اليه نوع تعريف صحيح لوقوعه صفة للموصول واما استحقاق ان يكون مقصودًا بالنسبة مفيدًا لما ذكر من الفوائد
فكلا وقرئ بالنصب على الحال والعامل انعمت او على المدح او على الاستثناء ان فسر النعم بالقبلين والغضب هيجان النفس
لارادة الانتقام وعند اسناده الى الله سبحانه يراد به غايته بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه القريب ان اريد
به ارادة الانتقام وعلى مسببه البعيد ان اريد به نفس الانتقام ويجوز حمل الكلام على التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من سخطه
للعصاة وارادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال الملك اذا غضب الى الذين عصوه واراد ان ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم
مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب اليه تعالى كالانعام جريًا على منهاج الادب الترتيبية في نسبة النعم

والخيرات اليه عز وجل دون اضدادها كما فى قوله تعالى الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين
وقوله تعالى وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض ام اراد بهم ربهم رشدا وللاضافة لتاكيد ما افاده غير من معنى النفى كانه قيل
لا المغضوب عليهم ولا الضالين وذلك جائز انا زيدا غير ضارب جوازا انا زيدا لا اضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب والضلال
هو العدول عن الصراط السوى وقرئ وغير الضالين وقرئ ولا الضالين بالفرق على لغة من جد فى الهرب عن التقاء الساكنين
آمين اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل
وبنى على الفتح كاين للالتقاء الساكنين وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله
ما بيننا بعدا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لقننى جبريل آمين عند فراغى من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب
وليست من القرآن وفاقا ولكن يسن ختم السورة الكريمة بها والمشهور عن ابى حنيفة رح ان المصلى ياتى بها مخافتة
وعنه انه لا ياتى بها الامام لانه الداعى وعن الحسن رح مثله وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس بن مالك عن النبى عليه السلام
وعند الشافعى رح يجهر بها لما روى وائل بن حجر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته
وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابى بن كعب رضى الله تعالى عنه الا اخبرك بسورة لم تنزل
فى التوراة ولا الانجيل ولا الزبور ولا القرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثانى والقرآن العظيم الذى
اوتيته وعن حذيفة اليمان ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب ضما مقضيا
فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

الم الالفاظ التى يعبر بها عن حروف المعجم التى من جملتها المقطعات المرقومة فى فواتح السور الكريمة اسماء لها لا ادراجها
تحت حد الاسم ويشهد بما يعبر بها من التعريف والتنكير والجمع والتصغير وغير ذلك من خصائص الاسم وقد نص اساطين ائمة العربية
وما وقع فى عبارات المتقدمين من التعريج بحرفيتها محمول على المسامحة واما ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه عليه السلام قال من قرا
حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وفى رواية الترمذى
والدارمى لا اقول الم حرف ذلك الكتاب حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف والكاف حرف فلا تحقق
له بالحق فيه قطعا فان اطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعته الصناعة واما الحرف عند الاوائل ما يتركب
منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة ايضا تجوزا فاريد بالحديث الشريف دفع توهم التجوز وزيادة تعيين ارادة
المعنى الحقيقى للتبيين بذلك ان الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات القرآنية بل بعدد حروفها المكتوبة فى المصاحف كما يلوح به
ذكر كتاب الله دون كلام الله والقرآن وليس هذا من تسمية الشئ باسم مدلوله فى شئ كما قيل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفية واستتباع الحسنة
انما هى المسميات البسيطة الواقعة فى كتاب الله عز وجل سواء عبر عنها باسمائها او انفسها كما فى قولك الشين معجمة مثلثة
وغير ذلك مما لا يصدق المحمول الا على ذات الموضوع لا اسماؤها المؤلفة كما اذا قلت الالف مؤلف من ثلثة احرف فكما ان الحسنات
فى قراءة قوله تعالى ذلك الكتاب بمقابلة حروفها البسيطة وموافقة لعددها كذلك فى قراءة قوله تعالى الم بمقابلة حروفها الثلثة المكتوبة
وموافقة لعددها لا لمقابلة اسمائها الملفوظة والالتفات الموافقة فى العدد والحكم بان كلا منها حرف واحد مستلزم للحكم بانه متبوع بحسنة
واحدة فالعبرة فى ذلك للمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر فيه ان استتباع الحسنة منوط بافادة المعنى المراد بالكلمات القرآنية
فكما ان سائر الكلمات الشريفة لا تفيد معانيها الا بتلفظ حروفها بانفسها كذلك الفواتح المكتوبة لا تفيد المعانى المقصودة الا بها
الا بالتعبير عنها باسمائها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الاول من غير فرق بينهما الا يرى الى ما فى الرواية الاخيرة من قوله عليه السلام

يارب لا تسلبنى رجاءه ابدا
ولا تباعد منى فضله ابدا

الكشاف

الذال حرف والكاف حرف كيف عبر عن طرفي ذلك باسميهما مع كونهما ملفوظين بانفسهما ولقد روعيت في هذه التسمية نكتة رائقة حيث جعل كل مسمى لكونه من قبيل الالفاظ صدر الاسم ليكون هو المفهوم منه اثر ذي اثير فلما ان الالف حيث تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها الهمزة وهي معرية اذ لا مناسبة بينها وبين مبنى الاصل لكنها لما لم تقبل العوامل ساكنة الاعجاز على الوقف كالاسماء الاعداد وغيرها حين خلت عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة اين وكيف وهؤلاء وان وليها عامل أمنتها الاعراب وقصرها آخره الف عند التهجي لانتفاء الخفة لان وزانه وزان لا تقصر تارة فتكون حرفا وتمد اخرى فتكون اسما لها كما في قول حسان رضي الله تعالى عنه ما قال لا قط الا في شعره • لولا الشعر لم يسمع له آه • هذا • وقد تكلموا في شان هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل انها من العلوم المستورة • والاسرار المحجوبة • مروي عن الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال في كل كتاب سر وسر القرآن اوائل السور • وعن علي رضي الله تعالى عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي • وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وسئل الشعبي عنها فقال سر الله تعالى فلا تطلبوه • وقيل انها اسماء الله تعالى • وقيل كل حرف منها اشارة الى اسم من اسمائه تعالى او صفة من صفاته تعالى انها صفات الافعال الالف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده وملكه • قال محمد بن كعب القرظي • وقيل انها من قبيل الحساب • وقيل الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي انزل الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد • وقيل هي اقسام اقسم الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات ومبادي كتبه المنزلة ومباني اسمائه الكريمة • وقيل اشارة الى انتهاء كلام آخر وقيل وقيل ولكن الذي عليه التعويل • انما كونها اسماء للسور المصدرة بها وعليه اجماع الاكثر واليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذانا بانها كلمات عربية موقوفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ فلولا انه وحي من الله عز وجل لما عجزوا من معارضته وتوبيخ منه ما قاله الكلبي والسدي وقتادة من انها اسماء للسورة والتسمية بثلثة اسماء فصاعدا انما تستنكر في لغة العرب اذا ركبت وجعلت اسما واحدا كما في حضرموت واما اذا كانت منثورة فلا استنكار فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط اذ يلزم اتحاد الاسم والمسمى غاية الامر دخول الاسم في المسمى لا لمحذور فيه كما لا محذور في عكس صيما لخفته • انتهى • واما كتبة في المصاحف صورة المسميات دون صورة الاسماء لانه ادل على كيفية التلفظ بها وهي ان يكون على نهج التهجي دون التركيب ولان فيه سلامة عن التطويل لاستباق الفواتح الخامسة على ان خط المصحف مما لا ينبغي ان يناقش فيه لمخالفة الاقياس واما كونها مسرودة على نمط التعديد والية جنح اهل التحقيق قالوا انما وردت هكذا ليكون ايقاظا لمن يجري بالقرآن وتنبيها لهم على انه منتظم من غير ما ينتظمون منه كلامهم فلولا انه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قواهم ولا تساقطت قدرتهم وهم فرسان حلبة الكلام وفرسان ميادي الفصاحة دون الاتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة بما ساواه مع تظاهرهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعادة والمعارة او ليكون مطلع ما تلي عليهم مستقلا بضرب من الغرابة انموذجا لما في الباقي فنون الاعجاز فان النطق بانفس الحروف في تضاعيف الكلام وان كان على طرف الثمام بنا ولا له الخواص والعوام من الاعراب والاعجام لكن التلفظ باسمائها انما ياتي ممن درس وضبط واما من لم يحم حول ذلك قط فاعزه من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق • لا سيما اذا كان على نمط عجيب واسلوب غريب • مبني على سر سري • مبني على نهج عبقري • بحيث يحار فهم ارباب العقول • ويعجز عن دركه الباب الفحول • كيف لا وقد وردت تلك الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها توزيعا بحيث ينطوي على انصاف اصنافها تحقيقا او توزيعا كما تنبه عند التفحص والتفتيش صبا فضله بعض افاضل ائمة التفسير فسبحان من دقت حكمته من ان يطالعها الانظار • وجلت قدرته عن ان يناله ايدي الافكار • وايراد بعضها ثنائية الى الخماسية جري على عادة الافنان مع مراعاة ابنية الكلم وتوزيعها الى السور دون ايراد كلها مرة لذلك وايثار التكرير على الاعادة من زيادة افادة • وتخصيص كل منها بسورتها تماما لا سبيل الى المطالبة

والتعصب ومن التسمية الالفاظ ومع العصب منه

وقع تشبيه بعوف بان تلك منه

بوجه وعد بعضها آية دون بعض مبني على توقيف البحث الم فاية حيثما وقعت وقيل في آل عمران ليست بآية والمص آية
والمر تعد آية والر ليست بآية في شيء من سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية
وحم آية في سورها كلها وكهيعص آية وحمعسق آيتان وص وق ون لم تعد واحدة منها آية هذا على رأي الكوفيين وقد قيل
ان جميع الفواتح آيات عندهم في السور كلها بلا فرق بينها واما من عداهم فلم يعد واشيئا منها آية ثم انها على تقدير كونها مسرودة
على نمط التعديد لا تشتم رائحة الاعراب ويوقف عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها اسماء للسور او للقرآن كان لها حظ من الاعراب
على الابتداء او على الخبرية واما النصب بفعل مضمر كما ذكر او بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن واما الجر بتقدير وفد حيثما يقتضيه
المقام ويستدعيه النظام ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز الا ان ما كانت
منها موزونة مثل ص وق ون يبنى فيها الاعراب اللفظي وايضا قد قرئت بالنصب على اضمار فعل اي اذكر او اقرأ صاد
وقاف ونون واما لم يتون لامتناع الصرف وكذا ما كانت منها موازنة لفوذ بحق حم وطس ويس الموازنة لقابيل وهابيل
حيث اجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال في باب اسماء السور من كتبه وقد قرأ بعضهم ياسين والقرآن وقاف والقرآن
فكأنه جعله اسما اعجميا ثم قال اذكر ياسين انتهى وحكى الكسائي ايضا عن بعضهم قراءة ياسين ويجوز ان يكون ذلك في الكل
تحريكا لالتقاء الساكنين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعدها من القرآن والقلم محلوف بهما وقد اسكروا
بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضاء الاول وهو السور فجعل ما عدا الواو الاولى في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار
اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى عاطفة ولا مجال للعطف ههنا للتخالفة بين الاول والثاني في الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاول
مجرورا باضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين ويجوز في طاسين
ان يفتح نونها ويجعل من دار الحرد ذكره سيبويه في الكتاب واما عدا ذلك من الفواتح فليس فيها الا الحكاية وسيجيء تفاصيل
سائر احكام كل منها مشروحة في مواضعها باذن الله عز سلطانه اما على الحكاية الشريفة فان جعلت اسما للسورة او للقرآن
فمحلها الرفع اما على انه خبر لمبتدإ محذوف والتقدير هذا الم اي مسمى به واما صحت الاشارة الى القرآن بعضا او كلا مع عدم سبق
ذكره لانه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشتريته فلان واما على انه مبتدأ واي المسمى به
والاول هو الاظهر لان ما يجعل عنوان الموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية قبل اخبارها
الاخبار بها وادعاء شهرتها باياه الترددون ان المسمى هو السورة او كل القرآن ذلك ذا اسم اشارة واللام عماد جيء به
للدلالة على بعد المشار اليه والكاف للخطاب والمشار اليه هو المسمى فانه منزلة المشاهد بالحس البصري وما فيه من معنى البعد مع قرب
العهد بالمشار اليه لا يذان بعلو شانه وكونه في الغاية القاصية من الفضل والشرف اثر تنويه بذكر اسمه وقيل فيه باعتبار المنقضي
او باعتبار الوصول من المرسل اليه المرسل اليه في حكم المتباعد وان كان مصغى لايراده لكنه بمنزل من ترصيح على ايراده ما وضع للاشارة
الى القريب وبذكره على تقدير كون المسمى هو السورة لان المشار اليه هو المسمى اليه بالاسم المذكور من حيث هو مسمى به لا من حيث
هو مسمى بالسورة ولئن اذعى اعتبار الحيثية الثابتة في الاولى بناء على ان التسمية لتمييز السور بعضها من بعض وهو
على الوجه الاول مبتدأ على حدة وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان وقوله عز وجل الكتاب اما خبره او صفته اما اذا كان خبر الم
فالجملة على الوجه الاول مستانفة مؤكدة لما افاده الجملة الاولى من نباهة شان المسمى لاحل لها من الاعراب وعلى الوجه
الثاني هو كون الم خبر المبتدإ محذوف في محل الرفع على انه خبر للمبتدإ الاول واسم الاشارة مغن عن الضمير الرابط الكتاب
اما مصدر سمي به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور واما فعال بني للمفعول كاللباس من الكتب الذي هو
ضم الحروف بعضها الى بعض واصله الجمع والضم في الامور البادية للحس البصري ومنه الكتيبة للعسكر كما ان اصل القراءة من الجمع

والضم

والقصر في الاشياء الخافية عليه واطلاق الكتاب على المنظوم عبارة لما انه مآله الكتابة والمراد على تقدير كون المسمى هو السورة جميع
القرآن الكريم وان لم يتم تنزيله عند نزول السورة الكريمة اما باعتبار تحققه في علم الله عز وجل او باعتبار ثبوته في اللوح او باعتبار نزوله
جملة الى السماء حسبما ذكر في فاتحة الفاتحة واللام للعهد والمعنى ان هذه السورة هو الكتاب اي العمدة القصوى منه كانه في احراز الفضل
كل الكتاب المعهود والغرض الوصف بالكمال لاشتهاره فيما بين الكتب على طريقة قوله عليه السلام الحج عرفة وعلى تقدير كون المسمى كل القرآن
فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بان يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الافراد في
حيازه كمالات الجنس كان ما عداه من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال
من مراضي الخصال وعليه قول من قال هم القوم كل القوم يا ام خالد فالمدح كما ترى من جهة حصر كمال الجنس في فرد من افراده وفي الصورة الاولى
من جهة حصر كمال الكلي في الجزئي ولا مساغ هناك لحمل الكتاب على الجنس لما ان فرد المعهود هو مجموع القرآن المقابل لسائر افراده من الكتب
السماوية لا بعضه الذي ينطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه جزئيا للجنس على حياله ولان حصر الكمال في السورة مشعر بنقصان سائر السور
وان لم يكن الحصر بالنسبة اليها لتحقق المغايرة بينهما هذا على تقدير كون الكتاب خبرا لذلك واما اذا كان صفة له فذلك الكتاب
على تقدير كون الم خبر مبتدأ محذوف اما خبر ثان او بدل من الخبر الاول او مبتدأ مستقل خبره ما بعده والجملة خبر للمبتدأ الاول والمشار اليه
على كلا التقديرين هو المسمى سواء كان هو السورة او القرآن ومعنى البعد ما ذكر من الاشعار بعلو شانه والمعنى ذلك الكتاب العجيب الشان
البالغ اقصى مراتب الكمال وقيل المشار اليه هو الكتاب الموعود ومعنى البديع ظاهر خلا انه ان كان المسمى هو السورة ينبغي ان يراد بالموعد
ما في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا كما قيل وان كان هو القرآن فهو ما في التورية والانجيل هذا على تقدير كون الم اسما للسورة
او للقرآن واما على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك مبتدأ والكتاب اما خبره او صفته والخبر ما بعده على نحو ما سلف او يقدر
مبتدأ اي المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرئ الم تنزيل الكتاب وقوله تعالى لا ريب فيه اما في محل الرفع على انه خبر لذلك
الكتاب على الصور الثلثة المذكورة او على انه خبر ثان لالم او لذلك على تقدير كون الكتاب خبره او للمبتدأ المقدر آخرا على راي من يجوز
كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى واما في محل النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة
واما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مؤكدة لما قبلها وكلمة لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة عمل ان لحملها عليها لكونها نقيضتها
ولازمة للاسم لزومها واسمها مبني على الفتح لكونه مفردا نكرة لا مضافا ولا مشابها به واما ما ذكره الزجاج من انه معرب وانما حذف
التنوين للتخفيف فمما لا تعويل عليه وسبب بنائه تضمنه معنى من الاستغراقية لا انه مركب معها تركيب خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف
اي لا ريب موجود او نحوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف صفة لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه عن الريب المفروض في الكتاب
او الخبر هو الظرف ومعناه سلب الكون فيه عن الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفا وجعل المذكور خبرا لما بعده وقرئ لا ريب فيه
على ان لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاول ان ذلك موجب للاستغراق وهذا مجوز له والريب في الاصل مصدر رابني اذا جعل فيك الريبة
وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم استعمل في معنى الشك مطلقا تسمية للشيء باسم اثره او مع تهمة لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة
وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك ومعنى نفيه عن الكتاب انه في علو الشان وسطوع البرهان بحيث ليس فيه مظنة ان يرتاب في حقيته
وكونه وحيا منزلا من عند الله تعالى لا انه لا يرتاب احد فيه اصلا الا يرى كيف جوز ذلك في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
ان يقال وان كان لكم ريب فيما نزلنا او وان ارتبتم فيما نزلنا الخ الا انه خولف في الاسلوب حيث فرض كونهم في الريب لا كون الريب فيه
لزيادة تنزيه ساحة التنزيل عنه مع نوع اشعار بان ذلك من جهتهم لا من جهته العالية ولم يقصد هنا ذلك الاشعار كما لم يقصد الاشعار
بثبوت الريب في سائر الكتب ليقتضي المقام تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول هدى مصدر من هداه كالسرى والبكى وهو الدلالة
بلطف على ما يوصل الى البغية اي من شانه ذلك وقيل هي الدلالة الموصلة اليها بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في قوله تعالى

والمقصود من الخبر ... الريب ... الريب يشتمل ... ومعناه ... الا صح

دع ما يريبك الى ما لا يريبك اي اذا ... جميع اصناف الشكوك والغلط الحر متعلقة بفعل محذوف اي اترك ما يشكك فيه بغير ... واذهب الى ما لا يشكك فيه ... ما ... حسنا وحلا لا ... يشكك ... كونه حسنا او قبيحا وفي كونه حلالا ...

منه عصمه نعلا

اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ولا شك في ان عدم الوصول معتبر
من مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مفهوم مقابله ومن ضرورة اعتباره في مفهوم الهدى المتعدى اذ لا فرق بينهما الا من حيث
التأثر والتأثير ومحصله ان الهدى المتعدى هو التوجيه الموصل لان اللازم هو التوجه الموصل بدليل ان مقابله الذي
هو الضلال توجه غير موصل قطعا وهذا كما ترى مبني على امرين اعتبار الوصول وجوبا في مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم
وجوبا في مفهوم المتعدى وكلا الامرين بمعزل من الثبوت اما الاول فلان مدار التقابل بين الهدى والضلال ليس هو الوصول
وعدمه على الاطلاق بل هما معتبران في مفهوميهما على وجه مخصوص به يتحقق التقابل بينهما وتوضيحه ان الهدى لا بد فيه من اعتبار
توجه عن علم اى عن شأنه الايصال من البغية كما ان الضلال لا بد فيه من اعتبار توجه عن القصد الى ما ليس من شأنه الايصال
قطعا وهذه المرتبة من الاعتبار مشتركة بين الموجبين ومحققة للتقابل بينهما واما النزاع في ان امكان الوصول الى البغية
هل هو كاف في تحصل مفهوم الهدى اذ لا بد فيه من خروج الوصول من القوة الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل معتبر في مفهوم
الضلال قطعا اذا تقرر هذا فنقول ان اريد باعتبار الوصول بالفعل في مفهوم الهدى اعتباره مقارنا له في الوجود زمانا حسب اعتبار
عدمه في مفهوم مقابله فذلك باطل بين البطلان لان الوصول غاية للتوجه المذكور فيتحقق به قطعا لاستحالة التوجه الى تحصيل الحاصل وما يتحقق
بعد ذلك فهو اما توجه الى الثبات عليه واما توجه الى زيادته ولان التوجه الى المقصد تدريجي والوصول اليه دفعي فيستحيل اجتماعهما
في الوجود ضرورة واما عدم الوصول فحيث كان امرا مستمرا مثل ما يقتضيه من الضلال وجب مقارنته له في جميع ازمنة وجوده
اذ لو فارقه في آن من آنات تلك الازمنة لفارقه في ذلك الآن مقابله الذي هو الوصول فما فرضناه ضلالا لا يكون ضلالا
وان اريد باعتباره من حيث انه غاية له واجب الترتب عليه لزم ان يكون التوجه المقارن لغاية الجد في السلوك الى من شأنه الوصول
عند تخلفه عنه لمانع خارجي كاحرام المتعة مثلا من غير تقصير ولا جور من قبل المتوجه ولا خلل من جهة المسلك ضلالا اذ لا واسطة
بينهما مع انه لا جور فيه عن القصد اصلا فبطل اعتبار وجوب الوصول في مفهوم اللازم قطعا وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدى
حتما واما اعتبار وجود اللازم فيه وجوبا وهو الامر الثاني فبيانه مبني على تمهيد اصل وهو ان فعل الفاعل حقيقة هو الذي يصدر
عنه ويتم من قبله لكن لما لم يكن له في تحققه في نفسه من تعلقه بمفعوله اعتبر ذلك في مدلول اسمه قطعا ثم لما كان باعتبار كيفية
صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله وغير ذلك انواعا شتى مترتبة عليه متمايزة في انفسها مستتبعة باحكام متضادة لا جرم ربما
يسمى خاصته ويعرض له بالقياس الى كل اثر من تلك الآثار اضافة خاصة ممتازة عما عداها من الاضافة العارضة له بالقياس
الى سائرها وكانت تلك الآثار تابعة له في التحقق غير منفكة عنه اصلا اذ لا مؤثر لها سوى فاعله عدت من متمماته واعتبر الاضافة
العارضة له بحسبها داخلة في مدلول اسمه كالاعتماد المتعلق بالجسم مثلا وضع له باعتبار الاضافة العارضة له من انكسار ذلك الجسم الذي هو
اثر خاص لذلك الاعتماد واسم الكسر وباعتبار الاضافة العارضة له من انقطاعه الذي هو اثر آخر له اسلم للقطع الى غير ذلك من الاضافات
العارضة له بالقياس الى آثاره اللازمة له وهكذا امر مطرد في آثاره الطبيعة واما الآثار التي لم تدخل في وجوده في الجملة من غير ان يجب
لها ترتب عليه تارة وتفارقه اخرى بحسب وجود اسبابها الموجبة لها وعدمها كالآثار الاختيارية الصادرة عن مؤثراتها بواسطة
كونها داعية اليها فحيث كانت تلك الآثار مستندة في انفسها مستندة الى مؤثراتها غير لازمة له لزوم الآثار الطبيعية التابعة له
لم تعد من متمماته ولم تعتبر الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاضافة العارضة للاحراق بحسب امتثال المأمور والاضافة
العارضة المدعوة بحسب اجابة المدعو فان الامتثال والاجابة وان عدا من آثار الامر والدعوة باعتبار ترتبهما عليهما غالبا لكنهما
حيث كانا فعلين اختياريين للمأمور والمدعو مستندين في انفسهما غير لازمين للامر والدعوة لم يعدا من متمماتهما ولم تعتبر الاضافة
العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلول اسمهما بل جعلا عبارة عن نفس الطلب المتعلق بالمأمور والمدعو سواء وجد الامتثال

امتثال واجابة منه

ارادة الامر والدعوة منه

والاجابة اولا اذا تمهد هذا فنقول كما ان الامتثال والاجابة فعلان مستقلان بانفسهما صادرين عن المدعو والمأمور باختيارهما غير لازمين للامر والدعوة لزوم الآثار الطبيعية التابعة للافعال الموجبة لها وان كانا مترتبين عليهما في الجملة كذلك يعني توجهه الى ما ذكر من المسلك فعل مستقل صادر عنه باختياره غير لازم للهداية اعني التوجه اليه لزوم ما ذكر من الآثار الطبيعية وان كان مترتبا عليها في الجملة فلما لم يعد من متممات الامر والدعوة ولم يعتبر الاضافة العارضة لها بحسبها داخلة في مدلولها علم انه لم يعد الهدى من متممات الهداية ولم يعتبر الاضافة لها بحسب دخولها في مدلولها **ان قيل** ليس الهدى بالنسبة الى الهداية كالامتثال والاجابة بالقياس الى اصليهما فان تعلق الامر والدعوة بالمأمور والمدعو لا يقتضي الا اتصافهما بكونهما مأمورا ومدعوا وليس من ضرورة اتصافهما بالامتثال والاجابة اذ لا تلازم بينهما وبين الاولين اصلا بخلاف الهدى بالنسبة الى الهداية فان تعلقها بالمهدي يقتضي اتصافه به لان تعلق الفعل المتعدي المبني للفاعل بمفعوله يدل على اتصافه بمصدره المأخوذ من المبني للمفعول قطعا وهو مستلزم لاتصافه بمصدر الفعل اللازم وهل هو الا اعتبار وجود اللازم في مدلول المتعدي ضمنا **قلنا** كما ان تعلق الامر والدعوة بالمأمور لا يستدعي الا اتصافهما بما ذكر من غير تعرض للامتثال والاجابة ايجابا وسلبا كذلك تعلق الهداية الخ هي عبارة عن الدلالة المذكورة بالمهدي لا يستدعي الا اتصافه بالمدلولية الخ هي عبارة عن المصدر المأخوذ من المبني للمفعول من غير تعرض لقبوله تلك الدلالة كما هو معنى الهدى اللازم ولا لعدم قبوله بل لعدم عين الوصول الى طريق الحق والاهتداء عين الاجابة فكيف يؤخذ في مدلولها واستلزام الاتصاف بمصدر الفعل المتعدي المبني للمفعول للاتصاف بمصدر الفعل اللازم مطلقا انما هو في الافعال الطبيعية كالمكسورية والانكسار والمقطوعية والانقطاع واما الافعال الاختيارية فليست كذلك كما تحققته فيما سلف **ان قلت** التعليم من قبيل الافعال الاختيارية مع انه معتبر في مدلول التعلم قطعا فليكن الهدى مع الهداية كذلك **قلت** ليس ذلك لكونه فعلا اختياريا على الاطلاق ولا لكون التعليم عبارة عن تحصيل العلم للمتعلم كما قيل فان المعلم ليس يستقل في ذلك فمن اسناده اليه ضرب تجوز بل لان كلا منهما متفرع تحققه وتحصله الى الآخر فان التعليم عبارة عن القاء المبادي العلمية على المتعلم وسوقها الى ذهنه شيئا فشيئا على ترتيب يقتضيه الحال بحيث لا يساق اليه بعض منها الا بعد تلقيه بعض آخر فكل منهما متمم للآخر معتبر في مدلوله واما الهدى الذي هو عبارة عن التوجه المذكور فعمل اختياري يستقل به فاعله لا دخل للهداية اصلا في كونها داعية الى ايجاده باختيار فلم يكن من متمماتها ولا معتبرا في مدلولها **ان قيل** التعليم نوع من انواع الهداية والتعلم نوع من انواع الاهتداء فيكون اعتباره في مدلول التعليم اعتبارا للهدى في مدلول الهداية **قلنا** اطلاق الهداية على التعليم انما هو عند وضوح المسلك واستبطه المتعلم بسلوكه من غير دخل للتعليم فيه سوى كونه داعيا اليه وقد عرفت حقية الامر على ذلك التقدير **ان قلت** اليس تخلف الهدى عن الهداية كتخلف التعلم عن التعليم فحيث لم يكن تعليما لم يكن تعلما في الحقيقة فليكن الهداية ايضا كذلك ولمجرد تسميته ما لم يستتبع الهدى على التجوز **قلت** شتان بين التخلفين فان تخلف التعلم عن التعليم يكون لقصور فيه كما ان تخلف الانكسار عن الضرب الضعيف كذلك واما تخلف الهدى عن الهداية فليس لشائبة قصور فيها بل انما هو لفقد سببها الموجب له من جهة المهدي بعد تكامل ما يتم من قبل الهادي وبهذا التحرير اتضح طريق الهداية وتبين انها عبارة عن مطلق الدلالة على ما من شانه الايصال الى البغية بتعريف حاله وتبيين مسالكه من غير ان يشترط في مدلولها الوصول لا القبول وان الدلالة المقارنة لها او لاحدهما والمفارقة عنهما كل ذلك مع قطع النظر عن قيد المقارنة وعدمها افراد حقيقية لها وان ما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت وقوله تعالى ولو شاء لهديكم وكذلك مما اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز وانكشف ان الدلالات التكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق والبينات التشريعية الواردة في الكتب السماوية على الاطلاق بالنسبة الى كافة البرية برا وفاجرا هدايات حقيقة فائضة من عند الله تعالى والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

• للمتقين • اي المتصفين بالتقوى حالا او مآلا وتخصيص الهدى بهم لما انهم منتسبون من انواره • المنتفعون باثاره • وان كان ذلك شاملا لكل ناظر • من مؤمن وكافر • وبذلك الاعتبار قال الله تعالى هدى للناس والمتقي اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية

واصل الاتقاء الحجز والحذر ومنه اتقى بترسه
اذا جعلها بينك وبين ما يضره فكان
المتقي جعل طاعة الله تعالى حاجزا بينه وبين العذاب
بحر اللطائف

وهي فرط الصيانة والتقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي عما يضره في الآخرة قال عليه السلام جماع التقوى في قوله تعالى
ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وعن عمر بن عبد العزيز انه ترك ما حرم الله وادى ما فرض الله وعن شهر بن حوشب المتقي من ترك
مالا بأس به حذرا من الوقوع فيما فيه بأس وعن ابي يزيد ان التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة وعن محمد بن حنيف انه مجانبة
كل ما يبعدك عن الله تعالى وعن سهل المتقي من تبرأ عن حوله وقدرته وقيل التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك
حيث امرك وعن ميمون بن مهران ان لا يكون الرجل تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر
وعن ابي تراب يدل التقوى خمس عقبات لا ينال من يجاوز من آثار الشدة على اللين والآثار الضعف على القوة وآثار الذل على العز
وآثار الجهد على الراحة وآثار الموت على الحيوة وعن بعض الحكماء انه لا يبلغ الرجل سنام التقوى الا ان يكون بحيث لو جعل
ما في قلبه في طبق فطيف به في السوق لم يستحي ممن نظر اليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق والتحقيق
ان للتقوى ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبرء عن الكفر وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى الثانية التجنب
عن كل ما يوثم من فعل وترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو ان اهل القرى
آمنوا واتقوا والثالثة ان ينزه عن كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل اليه بكليته وهو التقوى الحقيقي المأمور به
في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة عرض عريض تتفاوت فيه طبقات اصحابها حسب درجات
استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشية الالهية المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم السلام حيث جمعوا
بذلك بين رياستي النبوة والولاية وما عداهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى معالم الارواح ولم يسعدهم الملابسة بصالح الخلق
عن الاستغراق في شؤون الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهداية الكتاب المبين شاملة لارباب هذه المراتب
اجمعين فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاده اياهم الى تحصيل المرتبة الاولى فالمراد بهم العارفون للتقوى مجازا لاستحالة تحصيل
الحاصل واثباره على العبادة المعرفة عن ذلك للايجاز وتقدير السورة الكريمة بذكر اولياء تعالى وتفخيم شانهم وان اريد بارشاد
الى تحصيل احدى المرتبتين الاخيرتين فان عنى بالمتقين اصحاب الطبقة الاولى تعينت الحقيقة وان عنى بهم اصحاب احدى الطبقتين الاخيرتين
تعين المجاز لان الوصول اليها انما يتحقق بهذه المرتبة وكذا الحال فيما بين المرتبة الثانية والثالثة فان اريد بالهدى الارشاد
الى المرتبة الثالثة فان عنى بالمتقين اصحاب المرتبة الثانية تعينت الحقيقة وان عنى بهم اصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز واللفظ
حقيقة في جميع الصور واما ان اريد بكونه هدى لهم تثبيتهم على ما هم عليه او ارشادهم الى الزيادة فيه على ان يكون مفهوما داخلا
في المعنى المستعمل فيه مجازا لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى او بالمجرور وقع صفة له او حالا منه
ومحل هدى الرفع على انه خبر لمبتدإ محذوف اي هو هدى او خبر مع ريب فيه لذلك الكتاب او مبتدأ اخره الظرف المقدم كما اشير اليه
والنصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة او من الضمير فيه والعامل ما في الجار والمجرور من معنى الفعل المتقن
كانه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على انه قيد للنفي لا للمنفي وحاصله انتفى الريب فيه حال كونه هاديا وتنكير للتفخيم وحمله
على الكتاب اما للمبالغة كانه نفس الهدى او لجعل المصدر بمعنى الفاعل هذا والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شان ترتيب طرفي
الجملة ان تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم تتخلل بينها عاطف فالم جملة برأسها على انها خبر لمبتدإ مضمر
وطائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون به كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية
مقررة لجهة التحدي لما دلت عليه من كونه منعوتا بالكمال الفائق ثم تجعل على غاية فضله بنفي الريب فيه اذ لا فضل اعلى مما للحق
واليقين وهدى للمتقين مع ما يقدر له من المبتدإ جملة مؤكدة لكونه حقا لا يحوم حوله شائبة شك ما دالة على تكميله بعد كماله
او متبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول فانه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا

قال ابن عمر رضي الله عنهما التقوى ان لا ترى نفسك خيرا من احد بحر اللطائف

التقوى هو الحذر
بحر اللطائف

عن

عن معارضته بالمرة ظهرانه الكتاب البالغ اقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه فى غاية النزاهة عن مظنة الريب اذ لا نقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفى كل منهما من النكت الرائقة والمزايا الفائقة ما لا يخفى على الآنسة صبا تحقيقه الذين يؤمنون بالغيب اما موصولة بالمتقين ومحله الجر على انه صفة مفيدة لان فسر التقوى بترك المعاصى فقط فترتبه عليه بترتيب التخلية وموضحة ان فسر بما هو المتعارف شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا لانها حينئذ تكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف اجمالا وذلك لانها مشتملة على ما هو عماد الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها جامعة للاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر القرب الداعية الى التجنب عن المعاصى غالبا الا يرى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلوة والسلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مادحة للموصوفين بالتقوى المفسرة بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الخصال الثلث بالذكر لاظهار شرفها واما فيها على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات او النصب على المدح بتقدير اعنى والرفع عليه بتقدير هم واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم الاشارة كما سياتى بيانه فالوقف على المتقين ج وقف تام لانه وقف على مستقل ما بعده ايضا مستقل واما على الوجوه الاول فحسن لاستقلال الموصوف غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له اما على تقدير الجر على الوصفية فظاهر واما على تقدير النصب او الرفع على المدح فلما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه فى الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف الزموا حذف الفعل والمبتدا فى النصب والرفع روما للتصريح بكل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما قال ابو على اذا ذكرت صفات للمدح وخولف فى بعضها الاعراب فقد خولف للاقتران اى للتنافى الموجب بالتفات السامع ويخرجه الى الجد فى الاصغاء فان تغير الكلام المسوق لمعنى من المعانى وصرف عن سنن المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد شانه ان يتكلم به ويستجلب فرط رغبة فيه من المخاطب **ان قلت** لا ريب فى ان حال الموصول عند كونه خبر المبتدا المحذوف كحاله عند كونه مبتدا خبره او لكنك على هدى فى انه يستدعى جملة اسمية مفيدة لاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة ان كلا من الضمير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين وان كلا من اتصافهم بالايمان وفروعه واحرازهم للهدى والفلاح من النعوت الجليلة فما السر فى ازالة جعل ذلك فى الصورة الاولى من توابع المتقين وعد الوقف غير تام وفى الثانية منقطعا عنه وعد الوقف تاما **قلت** السر فى ذلك ان المبتدا فى الصورة الثانية وان كان عبارة عن المتقين لكن الخبر فى الاولى لما كان تفصيلا لما تضمنه المبتدا اجمالا صيانا لتحققه معلوم الثبوت بلا اشتباه غير السامع سوى فائدة التفصيل والتوضيح نظم ذلك فى سلك الصفات مراعاة لجانب المعنى وان حتمت مراعاة لجانب اللفظ كيف وقد اشتهر فى الفن ان الخبر اذا كان معلوم الانتساب الى المخبر عنه فحقه ان يكون وصفا له كما ان الوصف اذا لم يكن معلوم الانتساب الى الموصوف حقه ان يكون خبرا له قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار وبعد العلم بها صفات واما الخبر فى الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا على ما لا ينبئ عنه المبتدا من المعانى اللائقة كما ستحيط به خبرا مفيدا للمخاطب فوائد رائقة جعل ذلك منقطعا عما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعا والايمان افعال من الامن المتعدى الى واحد يقال امنته وبالنقل تعدى الى اثنين يقال امنته غيرى ثم استعمل فى التصديق لان المصدق يؤمن المصدق اى يجعله امينا من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء لتضمينه معنى الاعتراف ويطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن وطمانينة ومنه ما حكى من العرب بالمنته ان احد صاحبه اى صرت ذا امن وسكون وهو فى الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف فى ذلك او لا بد من انضمام الاقرار اليه للتمكن منه والاول رأى الشيخ الاشعرى ومن شايعه فان الاقرار عنده مشاء لاجراء الاحكام والثانى مذهب ابى حنيفة ومن تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزئين له خلافا لان الاقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد

قال اهل المعرفة الذين يؤمنون بالغيب العارفون الذين سمعوا انوار الحق حين عرفهم نعت بالخطاب وكشف النقاب حيث قال الست بربكم فهم الان يؤمنون بما شاهدوا وان العهد الاول

وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر
عند المعتزلة وقرئ يومنون بغير همزة والغيب اما مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب
والشهادة او فيعل خفف كفعل في صيد وهين في هيين وميت في ميت لكن لم يستعمل فيه الاصل كما استعمل في نظائره واياما كان
فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك باحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي
اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الشرائع
والاحكام واليوم الآخر واحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء صلة الايمان اما بتضمينه معنى الاعتراف
او بجعله من الوثوق وهو واقع موقع المفعول به واما مصدر على حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل كقوله تعالى
الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله تعالى ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي يومنون ملتبسين بالغيبة اما عن المؤمن اي غائبين عن النبي
عليه الصلوة والسلام غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة لما روي ان اصحاب ابن مسعود رضي الله تعالى عنهما ذكروا اصحاب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وايمانهم فقال رضي الله عنه ان امر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره
ما آمن مومن افضل من الايمان بغيب ثم تلا هذه الآية واما عن الناس اي غائبين عن المؤمنين كما لقوا الذين آمنوا
قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يومنون بقلوبهم لا كالذين
يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء للآلة وحرف ذكر المؤمن به على التقادير الثلثة اما للقصد الى احداث نفس الفعل
كما في قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الايمان واما للاكتفاء بما سيجيء فان الكتب الالهية ناطقة بتفاصيل ما يجب الايمان به
ويقيمون الصلوة اقامتها عبارة عن تعديل اركانها وحفظها من ان يقع في شيء من فرائضها وسننها وآدابها من زيغ
من اقام العود اذا قومه وعدله وقيل عن المواظبة عليها من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد
فيه واجتهد وقيل عن ادائها عبر عنه بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والسجود
والتسبيح والاول هو الاظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى واما كتبت بالواو
مراعاة للفظ المفخم واما تسمى الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين وهما العظمان النابتان
فوق الفخذين لان المصلي يفعل في ركوعه وسجوده واشباهها اللفظ في المعنى الثاني دون الاول لانه يدع فعله عنه واما سمي
الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة العطاء ويطلق
على الحظ المعطى كالذبح والرعي للمذبوح والمرعى وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع بالحيوان والمعتزلة
لما احالوا تمكين الله تعالى من الحرام لانه منع من الانتفاع به واجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا يرى انه تعالى
اسند الرزق الى ذاته ايذانا بانهم ينفقون من الحلال الفرق المطلق فان انفاق الحرام يستوجب من ايجاب الذم والتوبيخ
على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله عز وجل قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد
المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يجزم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا في شمول الرزق لهما
بما روي عنه في حديث عمرو بن وهب حين اتاه فقال يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا اراني ارزق الا من ورائي فاذن لي
في الغناء في غير فاحشة من انه قال عليه السلام لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت اي عدو الله والله لقد رزقك الله حلالا
طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزق مكان ما احل الله لك من حلاله وما به لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتعدي به طول
عمره مرزوقا وقد قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والانفاق والانفاذ اخوان خلافا في الثاني

معنى

معنى الاذعان بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسر بالزكوة ذكر افضل
انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة وتقديم المفعول للاهتمام والمحافظة
على رؤس الآى وادخال من التبعيضية عليه للكف عن التبذير هذا وقد جوز ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التي منحهم الله تعالى
من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام ان على الانبال به كلكن لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم
من انوار المعرفة يفيضون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك معطوف على الموصول الاول على تقدير وصله
بما قبله وفصله عنه مندرج معه في زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى معا او من حيث المعنى فقط اندراج خاص تحت
عام اذ المراد بالاولين الذين آمنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير عن المؤمن به بالغيب والآخرين
الذين آمنوا بالقرآن بعد الايمان بالكتب المنزلة قبل كعبد الله بن سلام واضرابه او على المتقين على ان يراد بهم الاولون خاصة
ويكون تخصيصهم بوصف الاتقاء للايذان بتنزههم عن حالتهم الاولى بالكلية لما فيها من كمال التباعة والمباينة للشرائع كلها
الموجبة للاتقاء عنها بخلاف الاخيرين فانهم غير تاركين لما كانوا عليه بالمرة بل متمكنين باصول الشرائع التي لا تكاد تختلف
باختلاف الاعصار ويجوز ان يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا تحت المتقين ولا يكون توسيط العاطف بينهما لتغاير
الذوات بل لاختلاف الصفات كما في قوله الى ملك القوم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله بالسيف رماه للحارث الصالح
فالعالم فالله للايذان بان كل واحد من الايمان بما اشير اليه من الامور العاتية والايمان بما يشهد بثبوتها من الكتب السماوية
نعت جليل على حياله شان خطير تستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولاجيل احدهما تتمة للآخر
وقد شفع الاول باداء الصلوة والصدقة اللتين هما من جملة الشرائع المندرجة تحت تلك الامور المؤمن بها تكملة له فان كمال
العلم بالعمل وقرن الثاني بالايمان بالآخرة مع كونه منوطا بالاخرة الاول تنبيها على كمال صحته وتعريضا بما في اعتقاد اهل الكتابين
من الخلل كما سياتي هذا على تقدير تعلق الباء بالايمان وقس عليه الحال عند تعلقها بالمحذوف فان كلا من الايمان الغيبي
المشفوع بما يصدقه من العبادتين مع قطع النظر عن المؤمن به والايمان بالكتب المنزلة الشارحة لتفاصيل الامور التي يجب
الايمان بها مقرونا بما اقترنت به فضيلة باهرة مستدعية لما ذكر والله تعالى اعلم وقد حمل ذلك على معنى انهم الجامعون بين الايمان
بما يدركه العقل جملة والايمان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بالطريق اليه غير السمع وذكر بالموصول
للتنبيه على تغاير الفريقين السبيلين فليتامل وان يراد بالموصول الثاني بعد اندراج الكل في الاول فريق خاص منهم وهم مؤمنوا
اهل الكتاب بان يخصوا بالذكر تخصيص جبرائيل وميكائيل به اثر جريان ذكر الملئكة عليهم السلام تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم
واقرانهم في تحصيل ما لهم من الكمال والانزال التنزل من الاعلى الى الاسفل وتعلقه بالمعاد انما هو بتوسط تعلقه بالاعيان
المستتبعة لها فنزول ما عدا الصحف من الكتب اللاحقة الى الرسل عليهم السلام والله اعلم بان يلقاها الملك من جناب عز وجل
تلقيا روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها عليهم السلام والمراد بما انزل اليك هو القرآن بما برز
والشريعة من آخرها والتعبير عن انزاله بالماضي مع كون بعضه مترقبا لتغليب المحقق على المقدر او لتنزيل ما اشرف الوقوع
لتحققه منزلة الواقع كما في قوله لك انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مع ان الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان
الجميع اذ ذاك نازلا وبما انزل من قبلك التوراة والانجيل وسائر الكتب السالفة وعدم التعرض لذكر من انزل اليه
من الانبياء عليهم السلام لقصد الايجاز مع عدم الغرض بالتفصيل حسب تعلقه به في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا
وما انزل الى ابرهيم واسمعيل الآية والايمان بالكل جملة فرض وبالقرآن تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله
فرض كفاية فان في وجوبه على الكل عينا حرجا بينا واخلالا بامر المعاش وبناء الفعلين للمفعول للايذان بتعين الفاعل

والجرى على سنن الكبرياء وقد قرئ على البناء للفاعل وبالآخرة هم يوقنون الايقان اتقان العلم بالشئ بنفى الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علم الله يقينا اى يعلمون علما قطعيا خريجا لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام التى من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات وامثالهم فمن نعم الجنة هل هو من نعيم الدنيا اولا وهل هو دائم اولا وفى تقديم الصلة وفى بناء يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم فى امور الآخرة بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول الى مرتبة اليقين والآخرة تانيث الآخر كما ان الدنيا تانيث الادنى غلبتا على الدارين فجرتا مجرى الاسماء وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يوقنون بقلب الواو همزة اجراء لضم ما قبلها مجرى ضمها فى وجوه ووقت ونظر ما فى قوله لحب المودان لا موسى وحده اذا ضاء ما الموفد وقوله اولئك اشارة الى الذين حكيت حصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى على هدى خبره وما فيه من الابهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كانه قيل على هدى اى هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وابراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم فى ملابستهم بالهدى بحال من يمتطى الشئ ويستولى عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد وعلى استعارة التمكن بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه او جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للايذان بقوة تمكنهم منه وكمال رسوخهم فيه وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة لهدى مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها اى على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف اليهم وتشريفهما ولزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه ويقتضيه وقد ادغمت النون فى الراء بغنة وبغيرها والجملة على تقدير كون الموصولين موصولين بالمتقين مستقلة لا محل لها من الاعراب معترضة لمضمون قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تاكيد وتحقيق كيف وكون الكتاب هدى لهم فن من فنون ما منحوه واستقروا عليه من الهدى حسبما تحققته لاستيفاء ما يستتبعه من الفوز والفلاح وقيل هو اعتراض موقع الجواب عن سؤال نشأ مما سيق كانه قيل ما للمنعوتين بما ذكر من النعوت اختصوا بهداية ذلك الكتاب العظيم الشان وهل هم احقاء بتلك الاثرة فاجيب بانهم بسبب اتصافهم بذلك مالكون لها اصل الاهتداء الجامع للفنون المستتبع للفوز والفلاح فاى ريب فى استحقاقهم لما هو فرع من فروعه ولقد جاء عن سنن الصواب من قال فى تقرير الجواب ان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واما على تقدير كونها مفصولين عنه فهو فى محل الرفع على انه خبر للمبتدإ الذى هو الموصول الاول والثانى معطوف عليه وهذه الجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل بيان مبادئ استحقاقهم لذلك كانه قيل ما بال المتقين مخصوصين به فاجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم اجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة اى الذين هذه شئونهم احقاء بما هو اعظم من ذلك كقولك احب الانصار الذى قاتلوا دون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبذلوا مهجهم فى سبيل الله تعالى اولئك سواد عينى وسويداء قلبى واعلم ان هذا المسلك يسلك تارة باعادة اسم المسئول عنه الحديث كقولك احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان واخرى باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك ولا ريب فى ان هذا ابلغ من الاول لما فيه من بيان الموجب للحكم او ابراد اسم الاشارة بمنزلة اعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من الاشعار بكمال تميزه بها وانتظامه بسبب ذلك فى سلك الامور المشاهدة والآيات البعيدة منزلته كما مر هذا وقد جوز ان يكون الموصول الاول مجرى على المتقين حسبما فصل والثانى مبتدأ واولئك الخ خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح توفيا بغير المؤمنين من اهل الكتاب حيث كانوا يزعمون انهم على الهدى ويطمعون فى نيل الفلاح واولئك هم المفلحون تكرير اسم الاشارة

تأمل الكشاف فتدبر

لاظهار

لاظهار مزيد العناية بشان المشار اليهم وللتنبيه على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضى نيل كل واحد من تينك الاثرتين وان كلا منهما كاف فى تميزهم بها عمن عداهم وتوبيخه توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما فى قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما يفيده تشبيههم بالبهائم فيكون الجملة الثانية مقررة للاولى واما الفلاح الذى هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغائرا للهدى نتيجة له وكان كل منهما فى نفسه امرا مما يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ اخبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتوسيط المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغت انهم هم المفلحون فى الآخرة والاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا وفى بيان اختصاص المتقين بنيل حظ المراتب الفائقة على فنون من الاعتبارات الرائقة اللائقة حسبما اشير اليه فى تضاعيف تفسير الآية الكريمة من الترغيب فى اقتفاء اثرهم والارشاد الى اقتداء سترهم مالا يخفى مكانه والله ولى الهداية والتوفيق ان الذين كفروا كلام مستانف سيق لشرح احوال الكفرة الغواة اثر بيان احوال اضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمساعيهم فى المآل والمآل واثما ترك العاطف بينهما ولم يسلك مسلك قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم لما بينهما من التنافى فى الكيفية والتباين فى الغرض فان الاولى مسوقة لبيان رفعة شان الكتاب فى باب الهداية والارشاد واما التعرض لاحوال المهتدين به فانما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول موصولا بما قبله او مفصولا عنه فان الاستئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام المتقدم فهو من مستتبعاته لا محالة واما الثانية فمسوقة لبيان احوال الكفرة اصالة وترامى امرهم فى الغواية والضلال الى حيث لا يجديهم الانذار والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون فى تيه الغى والفساد عن منهاج العقول وراكبون فى مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب ذلول واما اوثرت هذه الطريقة ولم يؤنس الكلام على بيان ان الكتاب هاد للاولين وغير مجد للاخرين لان العنوان الاخير ليس مما يورث كمالا حتى يتعرض له فى اثناء تعداد كمالاته وان من الحروف التى تشابه الفعل فى عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء ودخول نون الوقاية عليها كأنى ولعلنى ونظائرهما واعطاء معانيه والمتعدى خاصته فى الدخول على اسمين ولذلك اعملت عمل الفعل وهو نصب الاول ورفع الثانى ايذانا بكونه فرعا فى العمل داخلا فيه وعند الكوفيين لا عمل له فى الخبر بل هو باق على حاله بقضية الاستصحاب واجيب بان ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد عن العوامل اللفظية انتصب خبر كان وقد زال بدخولها فلا بد من اعمال الحروف واثرها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة ويؤتى بها مواقع الشك والانكار لدفعه وردّه قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه شاك فيه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابى لهب وابى جهل والوليد بن المغيرة واخوانهم واحبار اليهود او للجنس وقد خص منه غير المقرنين بما اسند اليه من قوله تعالى سواء عليهم والكفر فى اللغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح اى الستر ومنه قيل للزراع والليل كافر قال الله تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته وقال لبيد فى الليل كفر النجوم غمامها ومنه المتكفر بسلاحه وهو الذى غطى السلاح بدنه وفى الشريعة انكار ما علم بالضرورة مجىء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم به واما عند لبس العبادة وشد الزنار بغير اضطرار ونظائرهما كفر لدلالته على التكذيب قاله من صدق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يكاد يجرئ على امثال ذلك ولا داعى اليه كالزنا وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث القرآن بما جاء فيه بلفظ الماضى على وجه الاخبار فانه يستدعى سابقية المخبر عنه لا محالة واجيب بانه من مقتضيات التعلق وحدوثه لا يستدعى حدوث الكلام كما ان حدوث العلم بالمعلوم لا يستدعى حدوث العلم سواء هو اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء

اى للعهد الى آخره

بيان لما فى قوله اصحابه

متعلق بقوله احبار

بيننا وبينكم وقوله تعالى عليهم متعلق به ومعناه عندهم ارتفاعه على انه خبر لان وقوله تعالى ءانذرتهم ام لم تنذرهم مرتفع به
على الفاعلية لان الهمزة وام مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الامر والنهي عن معنييهما في قوله
عز وجل استغفر لهم او لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة عن معنى الطلب لمجرد التخصيص كانه قيل
ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او مبتدا وسواء خبر تقدم عليه اعتناء بشانه
والجملة خبر لان والفعل انما يمتنع الاخبار عنه عند بقائه على حقيقته اما لو اريد به الحدث مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على طريق
الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كما في قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا
وفي قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه كانه قيل انذارك وعدمه سيان عليهم والعدول الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد
والتوصل الى ادخال الهمزة ومعادلها عليه لافادة تقرير معنى الاستواء وتاكيده كما اشير اليه وقيل سواء مبتدا وما بعده خبره
وليس بذاك لان مقتضى المقام بيان كون الانذار وعدمه سواء لا بيان كون المستوى الانذار وعدمه والانذار اعلام المخوف
للاحتراز عنه افعال من نذر بالشيء اذا علمه فحذره والمراد ههنا التخويف من عذاب الله تعالى وعقابه على المعاصي والاقتصار عليه
لانهم ليسوا اهلا للبشارة اصلا ولان الانذار اوقع في القلوب واشد تاثيرا في النفوس فان دفع المضار اهم من جلب
المنافع فحيث لم يتاثروا به فلان لا يرفعوا للبشارة راسا اولى وقرئ بتوسيط الف بين الهمزتين مع تحقيقهما وبتوسيطها
والثانية بين بين وبتخفيف الثانية بين بين بلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله
كما قرئ قد افلح وقرئ بقلب الثانية الفا وقد نسب ذلك الى اللحن لا يؤمنون جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة
لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة له او بدل منه او خبر لان وما قبلها اعتراض بما هو علة للحكم
او خبر ثان على راي من يجوزه عند كونه جملة والآية الكريمة مما استدل به على جواز التكليف بما لا يطاق فانه تعالى قد اخبر
عنهم بانهم لا يؤمنون فظهر استحالة ايمانهم لاستلزامه المستحيل الذي هو عدم مطابقة اخباره تعالى للواقع مع كونهم مامورين
بالايمان باقين على التكليف ولان من جملة ما كلفوه الايمان بعدم ايمانهم المستمر والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز
عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي اغراضا لاسيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او بعدمه
لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وليس ما كلفوه الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم ان
الايمان بعدم ايمانهم المستمر بل هو الايمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اجمالا على ان كون
الموصول عبارة عنهم ليس معلوما لهم وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا يفيد الزام الحجة واحراز الرسول صلى الله عليه وسلم
فضل الابلاغ ولذلك قيل سواء عليهم ولم يقل عليك كما قيل لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
وفي الآية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهو من المعجزات الباهرة ختم الله على قلوبهم
استئناف تعليلي لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه او بيان وتاكيد له والمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد
والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه صيانة له او لما فيه من التعرض له كما في البيت الفارغ والكيس المملوء
والاول هو الانسب بالمقام اذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم بل احداث حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم
في التقليد واعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق اصلا اما على طريقة الاستعارة
التبعية بان شبه ذلك بضرب الخاتم على نحو ابواب المنازل الخالية المبنية للسكنى تشبيه معقول بمحسوس بجامع عقلي
هو الاشتمال على منع القابل عما من شانه وحقه ان يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي واما على التمثيل بان شبه
الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك الحالة المانعة من ان يصل اليها ما خلقت هي لاجله من الامور

دون البشارة قاضي سعدي

جواب للدليل الثاني تم

يكلفوه

انهماكهم في الكفر وتماديهم في الجهل تمت

الدينية

متعلقة بقوله بان بينه وبين الهيئة المنتزعة في القلوب ثم

الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة منتزعة من محال معدة لحلول ما تحليها حلولا مستتبعا للمصالح الجمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين ما اعدت للاجله بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبهة بها فيكون كل من طرفي التشبيه وكنا من امور عدة وقد اقتصر من جانب المشبه به على ما عليه يدور الامر في تصوير تلك الهيئة وانتزاعها وهو الختم والباقي منوي واذا قصدا بالعاف محله بها يتحقق التركيب في تلك الالفاظ وان كان لها مدخل في تحقيق وجه الشبه الذي هو امر عقلي منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بالاعد له بسبب مانع قوي لكن ليس في شيء منها على الانفراد تجوز باعتبار هذا المجاز بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا او كناية وانما التجوز في المجموع وحيث كان معنى المجموع مجموع معاني تلك الالفاظ التي ليس فيها التجوز المعهود ولم يكن الهيئة المنتزعة منها من معانيها مدلولا وضعيا لها لم يكون دالا على الهيئة المشبه بها عند استعماله في الهيئة المشبهة مستعملا في غير ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة التي هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في غير ما وضع له ذهب قدماء المحققين كالشيخ عبد القاهر واحزابه الى جعل التمثيل قسما برأسه ومن رام تفصيل الاقسام عد تلك الهيئة المشبهة بها من قبيل المدلولات الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله فيما يشبه بها من هيئة اخرى منتزعة من امور اخر من قبيل الاستعارة وسماه استعارة تمثيلية وانسناد احداث تلك الحالة في قلوبهم الى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق اليه سبحانه وتعالى ورود الآية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون افعالهم مستندة من حيث الكسب اليهم فان خلقها الله سبحانه ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتب على ما اقترفوه من القبائح كما يوجب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وكفرهم ذلك واما المعتزلة فقد سلكوا مسلك التاويل وذكروا في ذلك عدة من الاقاويل منها ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه ومنها ان المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او بقلوب قد ختم الله تعالى عليها كما في سائل به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طال غيبته ومنها ان ذلك فعل الشيطان او الكافر واسناده اليه سبحانه باعتبار كونه باقداره تعالى وتمكينه ومنها ان اعراقهم وتمحنهم في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق الى تحصيل ايمانهم طريق سوى الالجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم لانه سد لطريق ايمانهم بالكلية وفيه اشعار بتراميهم في الغي والعناد ونهاهم انهماكهم في الشر والفساد ومنها ان ذلك حكاية لما كانت الكفرة يقولونه مثل قولهم في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما بهم ومنها ان ذلك في الآخرة واتما اخبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه ويعضده قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما ومنها ان المراد بالختم وسم قلوبهم سمة يعرفها الملائكة فيبغضونهم ويتنفرون عنهم وعلى سمعهم عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه لا على قلوبهم ولاشتراكهما في الادراك من جميع الجوانب واعادة الجار للتاكيد والاشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم قلوبهم للايذان بانها الاصل في عدم الايمان وللاشعار بان ختمها ليس بطريق التبعية لختم سمعهم بناء على ان طريق البهائم الختم عليه ختم عليها بل هي مختومة تختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم فهو باق على حاله حسبما ينصح عنه قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها وهو المراد ههنا اذ هو المختوم عليه اصالة وتقديم حالة على حال ابصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك الحال ولان جنايتهم من حيث السمع الذي تتعلق الاحكام الشرعية وبه يتحقق الانذار اعظم منها من حيث البصر الذي به يشاهد الاحوال الدالة على التوحيد فبانها احق بالتقديم وانسب بالمقام قالوا السمع افضل من البصر لانه عز وجل ذكرهما فقدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة

اي في اسناد الختم الى الله سبحانه وتعالى

اي كون الختم في الآخرة

التهكم الاستهزاء والسخرية

ولذلك ما بعث الله تعالى رسولا اصم ولان التسمع وسيلة الى استكمال العقل بالمعارف التي تتلقفه من اصحابها وتوحيده لانه
عن اللبس واعتبارا بالاصل لا لتعذر المضاف اي وعلى حواس سمعهم والكلام ايقاع الختم على ذلك كما مر من قبل
وعلى ابصارهم غشاوة الابصار جمع بصر والكلام فيه كما سمعته في التسمع والغشاوة فعالة من التغشية اي التغطية
بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهي على رأي سيبويه مبتدأ خبره الظرف المقدم
والجملة معطوفة على ما قبلها واثبات الاسمية للايذان بدوام مضمونها فان ما يدرك بالقوة الباهرة من الآيات
المنصوبة في الآفاق والانفس حيث كانت مستمرة كان تعاميهم من ذلك ايضا كذلك واما الآيات تتلقى بالقوة
السامعة فلما كان وصولها اليها ضيا فحينا او فرق بيان الختم عليها وعلى ما هي احد طريقي معرفته اعني القلب الجملة
الفعلية وعلى رأي الاخفش مرتفع بالفاعلية تما تعلق به الجار وقرئ بالنصب على تقدير فعل ناصب اي وجعل
على ابصارهم غشاوة وقيل على حذف الجار وايصال الختم اليه والمعنى وضع على ابصارهم غشاوة وقرئ بالضم والفتح
وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع ولهم عذاب
عظيم وعيد وبيان لما يحتظونه في الآخرة والعذاب كالنكال بناء ومعنى نكل اعذب عن الشيء اذا امسك عنه ومنه الماء
العذب لما انه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا فانه ينقع العطش ويكسره وفراتا لانه يفرت على القلب
ويكسره ثم اتسع فيه فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن عقابا يراد به ردع الجاني عن معاودة وقيل اشتقاقه
من التعذيب الذي هو ازالة العذاب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون الحقير
دون الصغير كون العظيم فوق الكبير ويستعملان في الجثة والاحداث تقول رجل عظيم وكبير جثة او خطره ووصف العذاب
به تأكيد ما يفيده التنكير من التفخيم والتهويل والمبالغة في ذلك والمعنى ان ابصارهم ضربان من الغشاوة خارجا ما تعتاده
الناس وهي غشاوة التعامي عن الآيات ولهم عن الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته اللهم انا نعوذ
بك منك يا ارحم الراحمين ومن الناس شروع في بيان ان بعض ما حكيت احوالهم السالفة ليسوا مقتصرين على ما ذكر
من محض الاصرار على الكفر والعناد بل يضمون اليه فنونا اخر من الشر والفساد وتعديد لجناياتهم الشنيعة المستتبعة
لاهوال هائلة عاجلة وآجلة وأصل ناس أناس كما يشهد له انسان واناسية وانس حذفت همزته تخفيفا كما قيل او فت
في الوقت وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما واما ما في قوله ان المنايا يطلعن على الناس الامنينا
فشاذ سموا بذلك لظهور ما هو تعلق الانسان بهم كما سمي الجن جنا لاجتنانهم وذهب بعضهم الى ان اصله التوس
وهو الحركة انقلبت واوه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وبعضهم الى انه ماخوذ من نسي نقلت لامه الى موضع العين فصار
نيسا ثم قلبت الفا سموا بذلك لنسيانهم روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال سمي الانسان انسانا لانه عهد
فنسي واللام فيه اما للعهد او للجنس المقصور على المقربين صيانة ذكر في الموصول كانه قيل ومنهم او من اولئك والعدول الى الناس
للايذان بكثرتهم كما ينبئ عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ باعتبار مضمونه او نعت لمقدر هو المبتدأ كما في قوله عز وجل
ومنا دون ذلك اي وجميع منا الخ ومن قوله تعالى من يقول موصولة او موصوفة ومحله على الجرية والمعنى وبعض الناس
او بعض من الناس الذي يقول كقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي الخ او فريق يقول كقوله تعالى من المؤمنين رجال الخ
على ان يكون مناط الافادة والمقصود بالاصالة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة وما يتعلق به من الصفات جميعا
لا كونهم ذوات اولئك المذكورين واما جعل الظرف خبرا كما هو الشائع في موارد الاستعمال فلما به جزالة المعنى
لا لان كونهم من الناس ظاهر فالاخبار به عار عن العائدة كما قيل فان مبناه توهم كون المراد بالناس الجنس مطلقا

اي الموصوفين بالصفات المعدودة

وكذا

وكذا مدار الجواب عنه بان الفائدة هو التنبيه على ان الصفات المذكورة تنافي الانسانية فحقّ من يتصف بها ان لا يعلم كونه
من الناس فيخبر به ويتعجب منه وانت خبير بان الناس عبارة عن المعهودين او عن الجنس المقصور على المصرين واياً
ما كان فالفائدة ظاهرة بل لان خبرية الظرف تستدعي ان يكون اتصاف هؤلاء بتلك الصفات القبيحة الحقلية في تلك عنوان
عنوانا للموضوع مفروغا عنه غير مقصود بالذات ويكون مناط الافادة كونهم من اولئك المذكورين ولا ريب لاحد في انه
يجب حمل النظم الجليل على اجزل المعاني واكملها وتوحيد الضمير في يقول باعتبار لفظة من وجمعه في قوله تعالى آمنا بالله وباليوم
الآخر وما بعده باعتبار معناها والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا يتناهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار اذ لا حد وراءه وتخصيصهم للايمان بهما بالذكر مع تكرير الباء لادعاء انهم قد حازوا الايمان من قطريه
واحاطوا به من طرفيه وانهم قد آمنوا بكل منهما على الاصالة والاستحكام وقد دسوا تحته ما هم عليه من العقائد الفاسدة حيث لم يكن
ايمانهم بواحد منهما ايمانا في الحقيقة اذ كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الآخر بقولهم لن تمسنا النار
الا اياما معدودة ونحو ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم ودعارتهم فان ما قالوا لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق
وعقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف يقولونه تمويها على المسلمين واستهزاء بهم وما هم بمؤمنين رد لما ادعوه ونفي
لما انتحلوه واما حاذية فان جواز دخول الباء في خبرها لتأكيد النفي اتفاقي بخلاف التميمية وايثار الجملة الاسمية على الفعلية
الموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة في الرد بافادة انعدام الايمان عنهم في جميع الازمنة لا في الماضي فقط كما يفيده الفعلية
ولا يتوهم ان الجملة الاسمية الايجابية تفيد دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها يتعين الدلالة على نفي الدوام فانها
بمعونة المقام تدل على دوام النفي قطعا كما ان المضارع الخالي عن حروف الامتناع يدل على استمرار الوجود وعند دخول
حرف الامتناع عليه تدل على استمرار الامتناع لا على امتناع الاستمرار كما في قوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير
لقضي اليهم اجلهم فان عدم قضاء الاجل لاستمرار التعجيل لا لعدم استمرار التعجيل واطلاق الايمان عما قيدوه به للايذان
بانهم ليسوا من جنس الايمان في شيء اصلا فضلا عن الايمان بما ذكروا وقد جوز ان يكون المراد ذلك ويكون الاطلاق للظهور
ومدلول الآية الكريمة ان من اظهر الايمان واعتقاده بخلافه لا يكون مؤمنا فلا حجة فيها على الكرامية القائلين بان من تفوه
بكلمتي الشهادة فارغ القلب عما يوافقه وينافيه مؤمن يخادعون الله والذين آمنوا بيان ليقولوا وتوضيح لما عنهم
مما يقولون او استئناف وقع جوابا لسؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل ما بالهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون
اي يخدعون وقد قرئ ذلك وايثار صيغة المفاعلة لافادة المبالغة في الكيفية فان الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعا
او في الكمية كما في الممارسة والمزاولة فانهم كانوا مداومين على الخدع والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه
فيه من حيث لا يحتسب او يوهمه المساعدة على ما يريد هو به ليغتر بذلك فينجو منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي
اذا امر الحارس يده على باب جحره يوهمه الاقبال عليه فيخرج من بابه الآخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون
بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فيذيعوها الى المنابذين وان يدفعوا عن انفسهم ما يصيب سائر الكفرة
واياً ما كان فنسبته الى الله سبحانه اما على طريق الاستعارة والتمثيل لافادة كمال شناعة جنايتهم اي يعاملون معاملة
المخادعين واما على طريقة المجاز العقلي بان ينسب اليه تعالى حقه ان ينسب الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
ابانة لمكانته عنده تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى
من يطع الرسول فقد اطاع الله مع افادة كمال الشناعة كما مر واما لمجرد التوطئة والتمهيد لما بعده من نسبة الى الذين
آمنوا والايذان بقوة اختصاصهم به تعالى كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى ان الذين يؤذون الله

قوله من قطريه اي باوله وآخره

اوله الايمان بالله وآخره الايمان باليوم الآخر

قوله التميمية توجها اي حليته بنقيضه او وجب لحقه نحاس او حديد

في قوله تعالى ومن الناس من يقول

الله اه

ورسوله فاتيا بصيغة المفاعلة دلالة على معناها الحقيقي بناء على زعمهم الفاسد وترجمة عن اعتقادهم الباطل كانه قيل يزعمون
انهم يخادعون الله والله يخادعهم او على جعلها استعارة تبعية او تمثيلا لما ان صورة صنعهم مع الله تعالى والمؤمنين
وصنعه تعالى معهم باجراء احكام الاسلام عليهم وهم عنده اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم
وامتثال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين بامر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المتخادعين
كما قيل مما لا يرتضيه الذوق السليم اما الاول فلان المنافقين لو اعتقدوا ان الله تعالى يخدعهم عقابا على خداعهم له لم يتصور
منهم التصدي للخداع واما الثاني فلان مقتضى المقام ايراد حالهم خاصة وتصويرها بما يليق من الصور المستهجنة وبيان
ان غائلتها آيلة اليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله عز وجل وما يخدعون الا انفسهم فالتعرض لحال
الجانب الآخر مما يخل بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون اي يفعلون ما يفعلون والحال انهم ما يضرون بذلك
الا انفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم او ما يخدعون حقيقة الا انفسهم حيث يغرونها بالاكاذيب فيلقونها
في مهاوي الردى وقرئ وما يخادعون والمعنى هو المعنى ومن حافظ على الصيغة فيما قبل قال وما يعاملون تلك المعاملة
المخادعين الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وهي ايضا تغرهم وتمنيهم الاماني الفارغة وقرئ وما يخدعون من التخديع
وما يخدعون اي يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء
وحقيقته وقد يقال للروح لان نفس الحي به وللقلب ايضا لانه محل الروح او متعلقه وللدم ايضا لان قوامها به
وللماء ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد هنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم
الى غيرهم وقوله تعالى وما يشعرون حال من ضمير ما يخدعون اي يقتصرون على خدع انفسهم والحال انهم لا يحسون بذلك اصلا
جعل لحوق وبال ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة الامر المحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس مختل المشاعر في قلوبهم مرض
عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل في افاعله ويؤدي الى الموت استعير هنا لما في قلوبهم
من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وغير ذلك من فنون الكفر المؤدي الى الهلاك الروحاني
والتنكير للدلالة على كونه نوعا مبهما غير ما يتعارفه الناس من الامراض والجملة مقررة لما يفيده قوله تعالى وما هم بمؤمنين
من استمرار عدم ايمانهم وتعليل له كانه قيل ما لهم لا يؤمنون فقيل في قلوبهم مرض يمنعه فزادهم الله مرضا بان طبع
على قلوبهم لعلمه بانه لا يؤثر فيها التذكير والانذار والجملة معطوفة على ما قبلها والفاء للدلالة على ترتب مضمونها عليه وفيه تقبيح
كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة بيان السبب وقيل زادهم كفرا بزيادة التكاليف الشرعية لانهم كانوا كلما
ازدادوا التكاليف بنزول الوحي كفرا ويجوز ان يكون المرض مستعارا لما تداخل في قلوبهم من الضعف والجبن والخور
عند مشاهدتهم لعزة المسلمين فزيادته تعالى اياهم مرضا ما فعل بهم من القاء الرعب وقذف الرعب في قلوبهم عند اعزاز
الدين بامداد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بانزال الملائكة وتأييده بفنون النصر والتمكين فقوله تعالى في قلوبهم مرض الخ
استئناف تعليلي لقوله تعالى يخادعون الله الخ كانه قيل ما لهم يخادعون ويداهنون ولم يجاهدون بما في قلوبهم من الكفر
فقيل في قلوبهم ضعف مضاعف هذه حالهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم اي مولم يقال الم فهو اليم كوجع بوزن المفعول
فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة جد جده فان الالم والوجع حقيقة
للمولم والمضروب كما ان الجد للجاد وقيل هو بمعنى المولم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك بثبت كما سيجي في قوله تعالى بديع السموات بوزن الفاعل
والارض بما كانوا يكذبون الباء للسببية او للمقابلة وما مصدرية داخلة في الحقيقة على يكذبون وكان لافادة
لافادة دوام كذبهم وتجدده اي بسبب كذبهم او بمقابلة كذبهم المتجدد والمستمر الذي هو قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر

وهم

وهم غير مؤمنين فانه اخبار باحداثهم الايمان فيما مضى لا انشاء للايمان فيما يأتي والمسلم هو متضمن الاخبار بصدوره عنهم وليس
كذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الاذعان والقبول قطعا ويجوز ان يكون محمولا على الظن بناء على رأي من يجوز
ان يكون لكان الناقصة مصدر كما صرح في قول الشاعر ببذل وحلم سارف قومه الغنى وكونك اياه عليك يسير اي الهم العذاب
اليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب العذاب عليه من بين سائر موجبات القوية اما لان المراد ببيان العذاب الحال
بالمنافقين بناء على ظهور شركتهم للمجاهدين فيما ذكر من العذاب العظيم حيث اشتراكهم فيما يوجبه من الاصرار على الكفر كما ينبئ عنه
قوله تعالى ومن الناس الخ واما للايذان بانهم بمقابلة سائر جناياتهم العظيمة من العذاب ما لا يوصف واما للرمز الى كمال سماجة الكذب
نظرا الى ظاهر العبارة المخيلة لانواده بالبتة مع احاطة علم الناس مع بان لحوق العذاب بهم من جهات شتى وان الاقتصار
عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه للتصديق بح وروى مرفوعا ايضا الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اياكم والكذب
فانه مجانب للايمان وروى ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد به التعريض وانما سمي به تشبيها به صورة وقيل ما موصولة
والعائد محذوف اى بالذى يكذبونه وقرئ يكذبون والمفعول محذوف وهو اما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او القرآن او مصدرية
اى بسبب تكذيبهم اياه او القرآن او موصولة اى بالذى يكذبونه على ان العائد محذوف ويجوز ان يكون صيغة التفعيل للمبالغة
كما في بان في بان وفصل في فصل وللتكثير كما في موتت البهائم وتركت الخيل وان يكون معنى قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا
ثم وقف لينظر ما وراءه فان المنافق متوقف في امره متردد في رأيه وكذلك قيل لهم لا تفسدوا في الارض شروع في تعديد بعض من قبائحهم المتفرعة على ما حكي عنهم من الكفر والنفاق واذا ظرف زمان مستقبل
ويلزمها معنى الشرط غالبا ولا يدخل الا في الامر المحقق او المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل ومعناها الانتهاء والتبليغ
والقائم مقام فاعله جملة لا تفسدوا على ان المراد بها اللفظ وقيل هو مضمر يفسره المذكور والفساد خروج الشيء عن الحالة
اللائقة به والصلاح مقابله والفساد في الارض هيج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن احوال العباد
واختلال امر المعاش والمعاد والمراد بما نهوا عنه ما يؤدي الى ذلك من افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار واغرائهم عليهم وغير ذلك
من فنون الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك ليدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما يكاد عاقبته وهو اما معطوف
على يقول فان جعلت كلمة من موصولة فلا محل له من الاعراب ولا بأس بتخلل البيان او الاستئناف وما يتعلق بهما بين اجزاء
الصلة فان ذلك ليس توسيطا بالاجنبي وان جعلت موصوفة فمحله الرفع والمعنى ومن اهل الكتاب من اذا نهوا من جهة
المؤمنين عما هم عليه من الافساد في الارض قالوا ارادة للتنابين ان ذلك غير صادر عنهم مع ان المقصود هو الانكار كون
ذلك افسادا او ادعاء كونه اصلاحا محضا كما سيأتي توضيحه انما نحن مصلحون اى مقصورون على الاصلاح المحض بحيث
لا يتعلق به شائبة الافساد والفساد منتفيين بكلمة انما الى ان ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغي ان يرتاب فيه واما كلامهم
مستأنف سيق لتعديد شنائعهم واما عطف على يكذبون بمعنى ولهم عذاب اليم بتكذيبهم وبقولهم حين نهوا عن الافساد انما نحن مصلحون
كما قيل وبأيا ما ان هذا النحو من التعليل حقه ان يكون باوصاف ظاهرة العلية مسلمة الثبوت للموصوف غنية عن البيان
شهرة الاتصاف بها عند الناس مع اولية ذكره صريحا كما في قوله تعالى بما كانوا يكذبون فان مضمونه عبارة عما حكي عنهم من قولهم
آمنا بالله وباليوم الآخر ولذكر ما يستلزمه استلزاما ظاهرا كما في قوله عز وجل ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا
يوم الحساب فان ما ذكر من الضلال عن سبيل الله مما يوجب حتما نسيان جانب الآخرة التي من جملتها يوم الحساب وما لم يكن كذلك
فحقه ان يخبر بجملة قصدا كما في قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقوله تعالى ذلك بان الله نزل
الكتاب بالحق الآية الى غير ذلك ولا ريب في ان هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها ليس مضمون شيء

عطف على قولوا انما معطوف عليه

اعتراض بين قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار وبين ما يتعلق به من الاخبار بالعقد

منها معلوم الانتساب اليهم عند السامعين بوجه من الوجوه المذكورة حتى يستحق الانتظام في سلك التعليل المذكور فاذن حقها
ان تكون مسوقة على سنن تعديد قبائحهم على احد الوجهين مفيدة لاتصافهم بكل واحد من تلك الاوصاف قصدا واستقلالا
كيف وقوله عز وجل الا انهم هم المفسدون ينادي بذلك نداء جليا فانه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكية ابلغ رد وادله
على سخط عظيم حيث سلك فيه مسلك الاستيناف المؤدي الى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع وصدرت الجملة
بحرفي التاكيد ألا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان الهمزة الانكارية الداخلة على النفي يفيد تحقيق الاثبات قطعا كما في قوله
اليس الله بكاف عبده ولذلك لا يكاد يقع ما بعدها من الجملة الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من طلائع
القسم وقيل هما حرفان بسيطان للتنبيه والاستفتاح وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل لرد ما في ضمن
انفسهم على الاصلاح من التعريض بالمؤمنين ثم استدرك بقوله تعالى ولكن لا يشعرون للايذان بان كونهم مفسدين
من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه وهكذا الكلام في الشرطيتين الآتيتين وما بعدهما من رد مضمونهما
ولو ان المراد تفصيل جناياتهم وتعديد خباثتهم وهناتهم ثم اظهار فسادها وابانة بطلانها لما فتح هذا الباب والله اعلم بالصواب
واذا قيل لهم من قبل المؤمنين بطريق الامر بالمعروف واثر نهيهم عن المنكر اتماما للنصح واكمالا للارشاد آمنوا حذف
المؤمن به لظهوره او اريد افعلوا الايمان كما آمن الناس الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف
اي آمنوا ايمانا مماثلا لايمانهم فما مصدرية او كافة كما في ربما فانها تكف الحرف عن العمل وتصحح دخولها على الجملة ويكون
للتشبيه بين مضموني الجملتين اي حققوا ايمانكم كما تحقق ايمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في الانسانية
العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل في مسماه يستعمل فيما يكون جامعا للمعاني الخاصة به المقصودة منه
ولذلك يسلب عما ليس كذلك فيقال هو ليس بانسان وقد جمعهما من قال اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد
به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه ومن آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واضرابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا
بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم قالوا مقابلين بالامر بالمعروف بانكار المنكر وامتنعين للراجح
الرزان بضده واصفين له بالخسران انؤمن كما آمن السفهاء مشيرين باللام الى من اشير اليهم في الناس من الكاملين
او المعهودين او الى الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة رأي يورثهما قصور العقل
ويقابله الحلم والاناة وانما نسبوهم اليه مع انهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماك انفسهم
في السفاهة وتماديهم في الغواية او كونهم ممن زين له سوء عمله فرآه حسنا فمن حسب الضلال هدى يسمي الهدى لا محالة
ضلالا او لتحقير شأنهم فان كثيرا من المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالات بمن آمن
منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وامثاله وايا ما كان فالذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه
فخامة شأنه الجليل ان يكون صدور هذا القول عنهم بمحضر من المؤمنين الناصحين جوابا عن نصيحتهم وحيث كان فحواه
تسفيه اولئك المشاهير الاعلام والقدح في ايمانهم لزم كونهم مجاهرين لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السباق
والسياق وعن هذا قالوا ينبغي ان يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المؤمنين قال الامام الواحدي انهم كانوا يظهرون
هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر الله نبيه عليه الصلوة والسلام والمؤمنين بذلك عنهم وانت خبير بان ابراز
ما صدر عن احد المتحاورين في الخلاء في معرض ما جرى بينهما في مقام المحاورة مما لا عهد له في الكلام فضلا عما هو في منصب الاعجاز
فالحق الذي لا محيد عنه ان قولهم هذا وان صدر عنهم بمحضر من الناصحين لا يقتضي كونهم مجاهرين فانه ضرب من الكفر
انيق وفن في النفاق عريق مصنوع على شاكلة قولهم واسمع غير مسمع فكما انهم كانوا يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم

عطف على قوله الا المنبهة اي ثاني الطرفين منه

وهو الرد الى ما سبق في الوجه الابلغ منه

اي المعهودين او الكاملين حضرة مع

استهزاءً بهم مظهرين ارادة المعنى الاخير وهم مظهرون فى انفسهم المعنى الاول مطمئنون به ولذلك نهوا عنه كذلك هذا الكلام
محتمل للشر كما ذكر فى تفسيره وللجريان بحمل على ادعاء الايمان كايمان الناس وانكارما انتهوا به من النفاق وعلى معنى انؤمن
كما آمن السفهاء والمحانين الذين لا اعتداد بايمانهم لو آمنوا ولا نؤمن كايمان الناس حتى تامرونا بذلك قد خاطبوا به
انا صحين استهزاءً بهم مرادين لارادة المعنى الاخير وهم معقولون على الاول فرد عليهم ذلك بقوله عز قائلا الا انهم
هم السفهاء ولكن لا يعلمون ابلغ رد وجهلوا اشنع بجهيل حيث صدرت الجملة بحرف التاكيد وجيء بما اشير اليه فيما سلف
وجعلت السفاهة مقصورة عليهم وبالغة الى حيث لا يدرى ان انهم سفهاء وعن هذا اتضح لك سر ما فى تفسير قوله تعالى انا نحن
مصلحون فان حمل على المعنى الاخير كما هو راى الجمهور مناف لحالهم ضرورة ان مشافهتهم للناصحين بادعاء كون ما نهوا عنه
من الافساد واصلاحا كما فى اظهار منهم للشقاق وبرزوا بانشاء صهم نفق النفاق والاعتذار بان المراد بما نهوا عنه مدارات هم
للمشركين كما ذكر فى بعض التفاسير بالاصلاح الذى يدعونه اصلاح ما بينهم وبين المؤمنين وان مع قوله تعالى الا انهم هم المفسدون
انهم فى تلك المعاملة مفسدون لمصالح المؤمنين لاشعارها باعطاء الدنية وابنائها عن ضعفهم الملجئ الى التوسط من يتصدى
لاصلاح ذات البين فضلا عن كونهم مطمئنين مما لا سبيل اليه قطعا فان قوله تعالى ولكن لا يشعرون ناطق بفساده كيف لا وانه
يقتضى ان يكون المنافقين فى تلك الدعوى صادقين به فاسدين للاصلاح وبانهم الافساد من حيث لا يشعرون ولا ريب انهم
كانوا كاذبين لا يباشرونهم الا مضارة للدين وخيانة للمؤمنين فاذن طريق حل الاشكال ليس الا ما اشير اليهم فان قولهم
انما نحن مصلحون محتمل للحمل على الكذب وانكار صدور الافساد المنسوب اليهم عنهم على معنى انا نحن مصلحون لا يصدر عنا ما تنهوننا
عنه من الافساد وقد حصل به التصاحين استهزاءً بهم وارادة لارادة هذا المعنى وهم موحون على المعنى الاول فرد عليهم بقوله تعالى
الا انهم هم المفسدون والله سبحانه اعلم بما اودع فى تضاعيف كتابه المكنون من السر المخزون فنسأله الهداية والتوفيق
والهداية الى سواء الطريق وتفصيل هذه الآية الكريمة بلا يعلمون كما انه اكثر طوائف لذكر السفه الذى هو فتن من فنون
الجهل ولان الوقوف على ان المؤمنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك مما لا يتسنى
الا بالنظر والاستدلال وما النفاق وما فيه من الفتنة والفساد وما يترتب عليه من كون المتصف به مفسدا فاقد بهى يعيف
عليه من الشعور ولذلك فصلت الآية الكريمة السابقة بلا يشعرون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لتباين
احوالهم وتناقض اقوالهم فى اثناء المعاملة والمخاطبة حسب تباين المحلين ومساق ما صدرت به قصتهم لتحرير مذهبهم
والترجمة عن نفاقهم ولذلك لم يتعرض ههنا لمتعلق الايمان فليس فيه شائبة التكرير روى ان عبد الله بن ابى واصحابه
خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضى الله تعالى عنهم فقال ابن ابى انظروا كيف اردهؤلاء السفهاء عنكم فقالوا
منهم اخذ بيد ابى بكر رضى الله تعالى عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم اخذ بيد على رضى الله تعالى عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله
عليه الصلوة والسلام وختنه وسيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت وقيل قال له على رضه
يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله تعالى فقال له مهلا يا ابا الحسن انى لتعجبنى هذا والله ان ايماننا
كايمانك وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن ابى لاصحابه رايتمونى فعلت فاذا رايتمونى فعلوا مثل ما فعلت
فاثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال نخبر ما عثت فينا فرجع المسلمون لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبروه بذلك
فنزلت والالقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اى صادفته واستقبلته وترى اذا لاقوا واذا خلوا من خلوت
الى فلان اى انفردت معه وقد يستعمل بالباء ومن خلا بمعنى مضى ومنه القرون الخالية وقولهم خلاك ذم اى جاوزك

ومضى عنك وقد جوز كونه من خلوت به اذا سخرت منه على ان تعديته بالى فى قوله تعالى الى شياطينهم لتضمينه معنى الانتهاء
اى واذا انتهوا اليه السخرية الخ وانت خبير بان تعديد قولهم المحكى بذلك الانتهاء مما لا وجه له والمراد بشياطينهم المماثلون
منهم للشياطين فى التمرد والعناد المتظهرون لكفرهم واضافتهم اليهم للشاركة فى الكفر او كما بالمنافقين والفاعلون صغارهم
وجعل سيبويه نون الشيطان تارة اصلية فوزنه فيعال على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم
تشيطن واخرى زائدة فوزنه فعلان على انه من شاط اى هلك او بطل من اسمائه الباطل وقيل معناه ماج واحرق قالوا
انا معكم اى فى الدين والاعتقاد لانفاركم فى حال من الاحوال وانما خاطبوهم بالجملة الاسمية المؤكدة لان مدعاهم عندهم تحقيق
على ما كانوا عليه من الدين والتاكيد للانباء عن صدق رغبتهم وقوة نشاطهم لا لانكار الشياطين خلاف معاملتهم مع المؤمنين
فانهم انما يدعون عندهم احداث الايمان لجزمهم بعدم رواج ادعاء الكمال فيه او الثبات عليه انما نحن اى فى اظهار الايمان
عند المؤمنين مستهزءون بهم من غير ان يخطر ببالنا الايمان حقيقة وهو استئناف مبنى على سؤال مبنى من ادعائهم
المعية كانه قيل لهم عند قولهم انا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين بكلمة الايمان فقالوا انما نحن مستهزءون بهم فلا يقدح ذلك
فى كوننا معكم بل يؤكده وقد ضمنوا جوابهم انهم يهينون المؤمنين ويعدون ذلك نصرة لدينهم او تاكيدا لما قبله فان المستهزئ
بالشئ مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاستهزاء بالشئ السخرية منه يقال هزأت
واستهزأت بمعنى واصله الخفة من الهزل وهو الفعل السريع وهزأ بهزأ مات على مكانه وتهزأ به ناقته اى تسرع وتخفف
الله يستهزئ بهم اى يجازيهم على استهزائهم سمى جزاؤه باسمه كما سمى جزاء السيئة سيئة اما لانها كانت فى اللفظ
او للمشابهة فى القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو للمستهزأ
او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم اما فى الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة على التمادى
فى الطغيان واما فى الآخرة فبما يروى انه يفتح لهم باب الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك
قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف للايذان بانهم قد بلغوا فى المبالغة فى الاستهزاء الى غاية
ظهرت شناعتها عند الناس معينين وتعاظم ذلك عليهم حتى اضطرهم الى ان يقولوا ما مصير امر هؤلاء وما عاقبة حالهم وفيه ان الذى
هو الذى يتولى امرهم ولا يجوز بهم الى المعارضة بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذى ليس استهزاؤهم عنده من باب الاستهزاء
حيث ينزل بهم من النكال ويجل عليهم من الذل والهوان ما لا يوصف وانما ذكر صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار
كما يوب عنه عز قائلا اولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين وما كانوا خالين فى اكثر الاوقات من تهتك استاره
وتكشف اسراره ونزل فى شانهم واستشعار حذرهم من ذلك كما انبا عنه قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم
بما فى قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم اى يزيدهم ويقويهم من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه
مددت الدواة والسراج اذا اصلحتها بالجر والزيت وانما ذكره على تزيدهم للتوقر الى ان ذلك منوط بسوء اختيارهم لما انه
انما يتحقق عند الاستمداد وما يجرى مجراه من الحاجة الداعية اليه كما فى الامثلة المذكورة وقرئ يمدهم من الامداد وهو صريح
فى ان المادة المشهورة ليست من المدة فى العمر على انه يستعمل بالام قال الله تعالى ونمده من العذاب مدا وحذف الجار وايصال
الفعل الى ضمير خلاف الاصل للايذان بانه الاحق بان يسند اليه الابد لبيل فى طغيانهم متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد فى كل امر والمراد
افراطهم فى العتو وغلوهم فى الكفر وقرئ بكسر الطاء وهى لغة فيه كلقيان لغة فى لقيان وفى اضافته اليهم ايذان بتخصصهم
بهم وتاييد لما اشير اليه من ترتب المد على سوء اختيارهم يعمهون حال من الضمير المنصوب او المجرور لكون المضاف مصدرا
فهو مرفوع حكما والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدرى اين يتوجه وانما وصف المد لا الله تعالى

واخوانهم بمدّونهم فى الغى محقق لقاعدة اهل الحق من ان جميع الاشياء مستندة من حيث الخلق الى الله سبحانه وان كانت افعال العباد من حيث الكسب مسندة اليهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء النظم الكريم على مسلكه نكبوه الى شعاب التاويل فاجابوا اولا بانهم لما اصروا على كفرهم خذلهم الله تعالى ومنعهم الطافه فزاد الدين فى قلوبهم فسمى ذلك مدا فى الطغيان فاسند اليه تعالى المسند مجازا لغويا وفى الاسناد عقلى لانه اسناد الفعل الى مسبب له وفاعله الحقيقى هم الكفرة وثانيا بانه اريد بالمد فى الطغيان ترك القسر والالجاء الى الايمان كما فى قوله تعالى ونذرهم فى طغيانهم يعمهون فالمجاز فى المسند فقط وثالثا بان المراد به معناه الحقيقى وهو فعل الشيطان لكنه اسند اليه سبحانه مجازا لانه بتمكينه تعالى واقداره اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم ممن عداهم كل تمييز بحيث صاروا كانهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الشرية وسوء الحال ومحل الرفع على الابتداء خبره اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والجملة مسوقة لتقدير ما قبلها وبيان كمال جهالتهم فيما حكى عنهم من الاقوال والافعال باظهار غاية مساخرها وتصوير ما بصورة ما لا يكاد يتعاطاه من له ادنى تمييز فضلا عن العقلاء والضلالة الجور عن القصد والهدى التوجه اليه وقد استعير الاول للعدول عن الصواب فى الدين والثانى للاستقامة عليه والاشتراء استبدال السلعة بالثمن اى اخذ ما به الابذال لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر عند الشراء فى مفهومه الجلب دون السلب المعتبر فى عقد البيع ثم استعير لاخذ شئ بدلا مما فى يده باعطاء ما فى يده عينا كان كل منهما او معنى لا للاعراض عما فى يده محصلا به غيره كما قيل وان استلزامه لا ما قرره ومنه قوله اخذت بالجمة رأسا اذاعرى وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا فاشتراء الضلالة بالهدى مستعار لاخذ ما بدلا منه اخذا منوطا بالرغبة فيها والاعراض عنه ولما اقتضى ذلك ان يكون ما يجرى مجرى الثمن حاصلا للكفرة قبل العقد وما يجرى المبيع غير حاصل لهم صح حسبما هو الظاهر والبيت ولا ريب فى انهم بمعزل من الهدى مستمرون على الضلالة استدعى الحال تحقيق ما جرى مجرى العوضين فنقول وبالله التوفيق ليس المراد بما تعلق به الاشتراء ههنا جنس الضلالة الشاملة لجميع اصناف الكفرة حتى تكون حاصلة من قبل بل هو فرد ما الكامل الخاص بهؤلاء على ان اللام للعهد وهو عنادهم المؤدون بالمد فى الطغيان المترتب على ما حكى عنهم من القبائح وذلك انما يحصل لهم عند اليأس عن اعتدالهم والختم على قلوبهم وكذا ليس المراد بما فى حيز الثمن نفس الهدى بل هو التمكن التام منه بتعاضد الاسباب وتأخذ المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعارة كانه نفس الهدى بجامع المشاركة فى استتباع الجدوى ولا مرية فى ان هذه المرتبة من التمكن كانت حاصلة لهم بما يشاهدوه من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة من جهة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وبما سمعوه من نصائح المؤمنين التى من جملتها ما حكى من النهى عن الافساد فى الارض والامر بالايمان الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم فاخذوا بدلها الضلالة الهائلة التى هى الغمرة فى تيه الطغيان وحمل الهدى على الفطرة الاصلية الحاصلة لكل احد باعتبار ان اضاعتها غير مختصة بهؤلاء وكذا حمل على الاضاعة التامة الواصلة الى الختم على القلوب المختصة بهم فليس فى اضاعتها فقط من الشناعة ما فى اضاعتها مع ما يؤيدها من المؤيدات العقلية والنقلية على ان ذلك يفضى الى كون ذكر ما فصل من اول السورة الكريمة الى هنا ضائعا وابعد منه حمل اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه فى ايديهم بناء على انه يستعمل اتفاقا فى ايثار احد الشيئين الكائنين فى شرف الوقوع على الآخر فانه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة يخل برونق الترشيح الآتى بناء على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو الانسب بجانب اطراف النظم الكريم واما اذا جعل ترجمة عن جناية اخرى

موضع الآن قبل الانتهاء

مجرى م

اى للاريب

اى العقد هذه المرتبة

من جنايتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة صحة نبوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحقية دينه بما كانوا يشاهدونه
في التوراة من نعوته عليه الصلوة والسلام وقد كانوا على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم افتحنا
بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما نقول فنقاتلكم معه
فنقتل وزام فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سيأتي ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين فانها ضلالة
مضاعفة فما ربحت تجارتهم عطف على الصلة داخلة في حيز ما والفاء للدلالة على ترتب مضمونه عليها والتجارة صناعة
التجار وهو التصدي للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الفضل على رأس المال يقال ربح فلان في تجارة اي اصاب فيها
واصاب الربح واسناد عدمه الذي هو عبارة عن الخسران اليها وهو لاربابها بناء على التوسع المبني على بينهما من الملابسة
وفائدة المبالغة في تخييرهم لما فيه من الاشعار بكثرة الخسار وعموم المستتبع لسرايته الى مالهم بسببهم وايراد هما اثر الشراء
المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير لما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسار التجارة الذي
ينحاش عنه كل احد للاشباع في التنفير والتحجر ولا ينافي ذلك ان التجارة في نفسها استعارة لانها لهم فيما هم عليه
من ايثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معرية عن كون ذلك صناعة لهم راسخة اذ ليس من ضرورة الترشيح ان يكون
باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد بها الا تقويتها كما في قولك رأيت اسدا في الحمام فامسك لا تريد به الا زيادة
لتصوير الشجاع بالشجاع وانه اسد كامل من غير ان تريد بلفظ الحمام معنى آخر بل قد يكون مستعارا ممن يلائم المستعار له
ومع ذلك يكون ترشيحا لاصل الاستعارة كما في قوله فلما رأيت النسر عز ابن دايه * وعشش في وكريه جاش له صدري * فان لفظ
الوكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع تجمع الطائر للتفريخ للرأس واللحية او للفؤادين اعني جانب
الرأس ترشيح باعتبار معناه الاصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن دايه للشعر الاسود وكذا لفظ العشش
مع كونه مستعارا للحلول والنزول المميزين ترشيح لتينك الاستعارتين بالاعتبار المذكور وقوى تجارتهم وتعدد ما
لتعدد المضاف اليهم وما كانوا مهتدين الى طرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال مع حصول الربح ولم يحصل
الربح في صفقة فربما يتدارك في صفقة اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا
فهؤلاء الذين كانوا رأس مالهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة فاضاعوا كل الطلبتين فبقوا خائبين خاسرين
نائبين عن طريق التجارة بالف منزل فالجملة راجحة الى الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة له في الترتب على الاشتراء
المذكور والاولى عطفها على اشتروا مثلهم زيادة كشف لحالهم وتصوير لها غب تصوير بما يؤدي الى الخسار
بحسب المال بصورة ما يفضي الى الخسار من حيث النفس تهويلا لها وابانة لفظاعتها فان التمثيل اطف ذريعة الى التسخير
الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستقصاء عليه واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل الغبي ومنع سورة الجامح الابي
كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وابراز لها في معرض المحسوسات الجلية وابداء للمنكر في صورة المعروف
واظهار للوحشي في هيئة المالوف والمثل في الاصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل ومثل ومثيل وشبه وشبيه
ثم اطلق على القول السائر الذي بمثل مضربه بموارده وحيث لم يكن ذلك الا قولا بديعا فيه غرابة صيرته جديرا
بالتشهير في البلاد وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد واستعير لكل حال او صفة او قصة لها شان عجيب
وخطر غريب من غير ان يلاحظ بينها وبين شئ آخر تشبيه ومنه قوله عز وجل ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان
عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اي قصتها العجيبة الشان كمثل الذي اي الذين كما
في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا ظنا انه وحد الضمير في قوله تعالى استوقد نارا نظرا الى الصورة وانما جاز ذلك

مع عدم جواز وضع القائم مقام القائمين لان المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له دون نفسه بل انما هو صلة لوصف
المعارف بها ولانه حقيق بالتخفيف لاستيصاله بصلته ولذلك بولغ فيه فحذف بايوه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام فرقا بين
الفاعلين والمفعولين ولانه ليس باسم تام بل هو جزء فحقه ان لا يجمع ويستوي فيه الواحد والمتعدد كما هو شان اخوانه
وليس الذين جمعه المصحح بل النون فيه مزيدة للدلالة ولذلك جاء بالباء ابدا على اللغة الفصيحة او قصد به جنس المستوقد
او الوجه المستوقد والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا
واستيقادها طلب وقودها اي سطوعها وارتفاع لهبها وتنكيرها للتفخيم فلما اضاءت ما حوله الاضاءة فرط الانتباه
كما يوجب عنه قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وبنى متعدية ولازمة والتعاد للدلالة على تاثيرها على الاستمرار
اي فلما اضاءت النار ما حول المستوقد او فلما استضاء ما حوله والتانيث لكونه عبارة عن الاماكن والاشياء او اضاءت
النار نفسها فيما حوله على ان ذلك لاشراق النار المنزل منزلتها لانفسها او ما زائدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل
للعام حول لانه يدور ذهب الله بنورهم النور ضوء كل نير واشتقاقه من النار والضمير للذي والجمع باعتبار المعنى
اي اطفا الله نارهم التي هي مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار لانه المقصود بالاستيقاد دلالا الاستيقاد
ونحوه كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما اضاءت حيث لم يقل فلما شب حرامها ونحو ذلك فهو جواب لما او استئناف اجيب به عن سؤال
سائل يقول ما بالهم اشبهت حالهم حال مستوقد نارا وبل من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين
والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به وانجوا من الالباس كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات
حائرين متحيرين خائبين بعد الكدح في احيائها واسناد الاذهاب الى الله تعالى انما لان الكل بخلقه تعالى وانما لان الانطفاء حصل
بسبب خفي او امر سماوي كنضج او مطر وانما للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والامساك
تقول ذهب السلطان بماله اذا اخذه واخذه الله عز وجل فامسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر
الى النور لان ذهاب الضوء قد يجامع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوي لعدم الضعيف والمراد ازالته بالكلية
بقرينة عنه قوله تعالى وتركهم في ظلمات لا يبصرون فان الظلمة التي هي عدم النور والحاسة بالمرة لا سيما اذا كانت متفاقمة
متراكمة فتراكمها بعضها على بعض كما يفيده الجمع والتنكير والتفخيم وما بعدها من قوله تعالى لا يبصرون لا تحقق الا بعد ان لا يبقى
من النور ولا اثر قلت المراد بالنار ما لا يرضى به الله تعالى من النار المجازية التي هي نار الفتنة والفساد كما في قوله تعالى كلما
اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ووصفها باضاءة ما حول المستوقد من باب الترشيح او النار الحقيقية التي يوقدها الغواة ليتوصلوا
بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق الغي والفساد فاطفاها الله تعالى وخيب آمالهم وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله
مفعول واحد فتعين معنى التصيير فجرى مجرى افعال القلوب قال فتركته جزر السباع ينشنه يتعين حسن بنانه والمعصم والظلمة ماخوذة
من قولهم ما اظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنعه من الرؤية وقرئ في الظلمات بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد
ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كان الفعل غير متعد والمعنى ان حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي عبارة عن ظلمة
الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين يسعى نورهم بين ايديهم وباياتهم وظلمة العقاب
الشديد بالهدى الذي هو النور الفطري المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق او بالهدى الذي كانوا حصلوه من التوراة
صم بكم عمي اخبار لمبتدا محذوف هو ضمير المنافقين او خبر واحد بالتاويل المشهور كما في قولهم هذا حلو حامض والصمم
آفة مانعة من السماع واصله الصلابة والكناز للاجراء ومنه الحجر الاصم والقناة الصماء وصمام القارورة سداداتها

صم بكم عمي خبر مبتدا محذوف
وهي جمع اصم وابكم وابي
مجمع البحرين

سمّى به فقدان حاسّة السّمع لما أنّ سببه انكتاز باطن الصماخ وانسداد منافذه بحيث لا يكاد يدخله شيء لأجل الصوت
بتوجّه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شأنه أن يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما أنهم حيث
سدّوا مسامعهم عن الاصاخة لما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم وأبوا أن يتلقوها بالقبول وينطقوا بها ألسنتهم
ولم يخيلوا لما شاهدوا من المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينظروا الى آيات التوحيد المنصوبة
في الآفاق والانفس بعين التدبر وأعرضوا عن ذلك بحيث لم يسق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كأنما فقدوا تلك المشاعر بالكلية
وهذا عند مطلقي سحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسي التشبيه كما في قول من قال ويصعد حتى يظن
الجهول بان له حاجة في السماء لما أن المقدر في النظم في حكم الملفوظ لامن قبيل الاستعارة التي يطوى ذكر المستعار له بالكلية
حتى لو لم يكن هناك قرينة يحمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم
فهم لا يرجعون اشعار للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي حم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون الى الهدى الذي
تركوه وضيعوه او عن الضلالة التي اخذوها والآية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فان فضاعة امر هذا التمثيل
تباعدهم في ظلمات هائلة من غير تعرض لمشوى السمع والنطق والاضلال مشعر الابصار وقيل الضمير المقدر وما بعده للصوت
باعتبار المعنى كالضمائر المتقدمة فالآية الكريمة تتمة للتمثيل ومكملة له بان ما اصابهم ليس مجرد انطفاء نارهم وتباعدهم في ظلمات
كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اضافة مشاعرهم جميعا واتصافها بتلك الصفات على طريقة التشبيه او الحقيقة
فبقوا جامدين في مكانهم لا يرجعون ولا يدرون اين يتقدمون ام يتأخرون وكيف يرجعون الى ما تبدوا منه والعدول الى الجملة الاسمية
للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرئ صما بكما عميا اما على الذم كقوله تعالى حالة الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون
او المستوقدون واما على الحالية من الضمير المنصوب في تركهم او المرفوع في لا يبصرون واما على المفعولية لتركهم فالضمير ان للمستوقدين
او كصيب تمثيل لحالهم اثر تمثيل لتتم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفى حقها من التفظيع والتهويل فان تفننهم
في فنون الكفر والضلال وتنقلهم فيها من حال الى حال حقيق بان يضرب في شانها الامثال ويرخى في طلبته اعنة المقال
ويمد لشرحه اطناب الاطناب ويعقد لاجله فصول وابواب لما ان كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة
لابد ان يوفى فيه حق كل من مقامي الاطناب والايجاز فما ظنك في ذروة الاعجاز من التنزيل الجليل ولقد سبق عليهم
في هذا التمثيل تفاصيل ضلالاتهم وهو عطف على الاول على حذف المضاف للمشاق من الضمائر المستدعية لذلك اي كمثل ذوي صيب
وكلمة او للايذان بتساوي الفصتين في الاستقلال بوجه التشبيه وتصحيح التمثيل بكل واحد منهما وبهما معا والصيب فيعل
من الصوب وهو النزول الذي له وقع وتاثير يطلق على المطر والسحاب قال الشماخ عفا انه نسج الجنوب مع الصبا واسحم
فان صادف الرعد صيب ولعل الاول هو المراد ههنا لاستلزامه الثاني وتنكيره لما انه اريد به نوع منه شديد هائل كما انه
في التمثيل الاول وامدد به ما فيه من المبالغات من جهة مادته الاولى هي الصاد المستعلية والباء المشددة
ومادته الثانية اعني الصوب المنبئ عن شدة الانسكاب ومن جهة بنائه الدال على الثبات وقرئ او كصائب من السماء
متعلق بصيب او بمحذوف وقع صفة له والمراد بالسماء هذه المظلة وهي في الاصل كل ما علاك من سقف ونحوه وعن الحسن
رحمه الله انها موج مكفوف اي ممنوع بقدرة الله عز وجل من السيلان وتعريفها للايذان بان انبعاث الصيب ليس
افق واحد فان لكل افق من آفاقها اي كل ما يحيط بكل افق منها سماء على حدة فاك فاوه لذكرتها اذا ما ذكرتها ومن بعد
ارض بينها وسماؤكما ان كل طبقة من طباقها سماء قال الله تعالى واوحى في كل سماء امرها والمعنى انها صيب عام نازل
من غمام مطبق آخذ بالآفاق وقيل المراد بالسماء السحاب واللام لتعريف الماهية فيه ظلمات اي انواع منها وهي ظلمة

بتكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلاله بلزومه من الغمام الاسحم المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة الليل وجعله محلا لها
مع ان بعضها لغيره كظلمتي الغمام والليل لما انهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة في شدته وتهويلا لامره وايذانا بانه من الشدة
والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر في عدم جعل الظلمات هو الاصل المستتبع للبواقي مع ظهور ظرفيتها
للكل اذ لو قيل او كظلمات فيها صيب الخ لما افادت الصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها غالبة على غيرها ورعد وهو صوت
يسمع من السحاب والمشهور انه يحدث من اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض او من انقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق
الرياح اياه سوقا عنيفا وبرق وهو ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اي لمع وكلاهما في الاصل مصدر ولذلك لم يجمعا
وكونهما في الصيب باعتبار كونهما في اعلاه ومصبه ووصول اثرهما اليه وكونهما في الظلمات الكائنة فيه والتنوين في الكل للتفخيم والتهويل
كأنه قيل فيه ظلمات شديدة داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية لتحقق شرط العمل
بالاتفاق وقيل بالابتداء والجملة اما صفة لصيب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل فيما بعده من الجار او من المستكن
في الظرف الاول على تقدير كونه صفة لصيب والضمائر في قوله عز وجل يجعلون اصابعهم في آذانهم للمضاف الذي اقيم مقامه
المضاف اليه فان معناه باق وان حذف لفظه تعويلا على الدليل كما في قوله عز وجل وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا
او هم قائلون فان الضمير للاهل المدلول عليه بما اقيم مقامه من القرية قال حسان رض يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق
بالرحيق السلسل فان تذكير الضمير المستكن في يصفق لرجوعه الى الماء المضاف الى بردى والا لانث حتما وايثار الجعل
المنبئ عن دوام الملابسة واستمرار الاستقرار على الادخال المفيد لمجرد الانتقال من الخارج الى الداخل للمبالغة في بيان سد
المسامع باعتبار الزمان كما ان ايراد الاصابع بدل الانامل للاشباع في بيان سدها باعتبار الذات كأنهم سدوها بجملتها لا بانامالها
فحسب كما هو المعتاد ويجوز ان يكون هذا ايماء الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الى حيث لا يقدرون على ما لا يهتدون
الى استعمال الجوارح على النهج المعهود وكذا الحال في عدم تعيين الاصبع المعتادة اعني السبابة وقيل ذلك لرعاية الادب
والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل عند بيان احوالهم الهائلة فماذا يصنعون في تلك تضاعيف ﻫ
الشدة فقيل يجعلون الخ وقوله عز وجل من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق المقارنة للرعد من قولهم
سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل تنقض معها شقة نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت
وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدرا كالعافية وقد تطلق على كل هائل
مسموع او مشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او بشدة الصوت وسد الآذان انما يفيد على التقدير الثاني
دون الاول وقرئ من الصواقع وليس ذلك بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب
مصقع اي مجهر بخطبته حذر الموت منصوب بيجعلون على العلة وان كان معرفة بالاضافة كقوله واغفر عوراء الكريم
ادخاره واصفح عن شتم اللئيم تكرما ولا ضير في تعدد المفعول له فان الفعل يعلل بعلل شتى وقيل هو نصب على المصدرية
اي يحذرون حذرا مثل حذر الموت والحذر والحذار هو شدة الخوف وقرئ حذار الموت والموت زوال الحياة وقيل عرض
يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحياة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين اي لا يفوتونه
كما لا يفوت المحاط به المحيط شبه شمول قدرته تعالى لهم وانطواء ملكوته عليهم باحاطة المحيط بما احاط به في استحالة الفوت
او شبه الهيئة المنتزعة من شؤونه تعالى معهم بالهيئة المنتزعة من احوال المحيط مع المحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه
الاول استعارة تبعية في الصفة متفرعة على ما في مصدرها من الاستعارة والمبنية على الثاني تمثيلية قد اقتصر من طرف المشبه به
على ما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني الاحاطة والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر

تحريرية في قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم والجملة اعتراضية مبنية على ان ما صنعوا من سد الآذان بالاصابع لا يغني عنهم شيئا فان القدر لا يدافعه الحذر والحيل لا ترد بأس الله عز وجل وفائدة وضع الكافرين موضع الضمير الراجع الى اصحاب الصيب للايذان بان مادتهم من الامور الهائلة المحكية بسبب كفرهم على منهاج قوله تعالى كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته فان الاهلاك الناشئ من السخط اشد وقيل هذا الاعتراض من جملة احوال المشبه على ان المراد بالكافرين المنافقون فدل به على انه لا مدفع لهم من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة وانما وسط بين احوال المشبه به مع ان القياس تقديمه او تاخيره لاظهار كمال العناية وفرط الاهتمام بشان المشبه يكاد البرق استئناف آخر وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك يخطف ابصارهم اى يختلسها ويسلبها بسرعة وكاد من الافعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لتاخذ اسبابه ونقاضد مباديه لكنه لم يوجد بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا يكون خبرها الا مضارعا وعاريا عن ان وشذ مجيئه اسما صريحا كما في قوله فانبا في فهم وما كدت اساو وكذا مجيئه مع ان حملا لها على عسى كما في مثل قول رؤبة قد كاد من طول البلى ان يمصحا كما حمل عليها بالحذف لما بينها من المقاربة في اصل المقاربة وليس فيه شائبة الانشائية كما في عسى وقرئ يخطف ويخطف بفتح الياء والخاء وبنقل فتحة الياء الى الخاء وادغامها في الطاء ويخطف بكسرها على اتباع الياء الخاء ويخطف من صيغة التفعيل ويتخطف من قوله تعالى ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم كلما ظرف وما مصدرية والزمان محذوف اى كل زمان اضاءة وقيل ما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف اى كل وقت اضاء لهم فيه والعامل في كلما جوابها وهو استئناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في اثناء ذلك الهول فقيل يفعلون بابصارهم ما فعلوا باذانهم ام فصل كلما نور البرق لهم مشوا وسلكوا على ان اضاء متعد والمفعول محذوف او كلما لمع لهم على انه لازم ويؤيده قراءة كلما اضاء مشوا فيه اى في ذلك المسلك لوفور ضوئه فطوات يسيرة مع خوف ان يخطف ابصارهم وآثار المشي على ما فوقه من السعي والعدو لا تعار بعدم استطاعتهم لها واذا اظلم عليهم اى خفق البرق واسترد المطلوب وان كان غيره لكن لما كان الاظلام دائرا على اثناته اسند اليه مجازا تحقيقا لما اريد من المبالغة في موجبات تخطفهم وقد جوز ان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ومنه ما جاء في قول ابي تمام هيجا اظلما حالت لظى عن وضاح رداتشيب وتعضيده قراءة اظلم على البناء للمفعول قاموا وقفوا اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين لحقيقة اخرى عسى تتسنى لهم الوصول الى المقصد او الالتجاء الى ملجا يعصمهم وايرادكلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام للايذان بانهم حراص على المشي من قبول لما يصيخ فكلما وجدوا فرصة انتهزوها ولا كذلك الوقوف وفيه من الدلالة على كمال التحير وبطار اللب ما لا يوصف ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم كلمة لو لتعليق حصول امر ماض هو الجزاء بحصول امر مفروض فيه هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة او ادعاء ومن قضية مفروضية الشرط دلالتها على انتفائه قطعا وللمانع فيه مكابرة وانما دلالتها على انتفاء الجزاء فقد قيل وقيل والحق الذي لا محيد عنه ان كان ما بينهما من الدوران كليا او جزئيا قد بني الحكم على اعتباره فهي دالة عليه بواسطة مدلولها الوضعي لا محالة ضرورة استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلول آنفا في مادة الدوران الكلي كما في قوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين وقولك لو جئتني لاكرمتك فظاهر لان وجود المشية عليه لوجود الهداية حقيقة ووجود المجيء علة لوجود الاكرام اقناعا وقد انتفيا بحكم المفروضية فانتفى معلولها حتما ثم انه قد يساق الكلام لتعليل انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط كما في المثالين المذكورين وهو الاستعمال الشائع لكلمة لو ولذلك قيل هي لامتناع الثاني لامتناع الاول وقد يساق للاستدلال بانتفاء الثاني لكونه ظاهرا او مسلما على انتفاء الاول لكونه خفيا او متنازعا فيه كما في قوله

بحانه

سبحانه وتعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه فان فسادهما لازم لتعدد الالهة
حقيقة وعدم سبقهم الى الايمان لازم لخيريته في زعم الكفرة ولا ريب في انتفاء اللازمين فتعين انتفاء الملزوم ومنى حقيقة
في الاول وادعاء باطلاق الثاني ضرورة استلزام انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم لكن لا بطريق السببية الخارجية كما في المثالين
الاولين بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة الى سببية العلم بانتفاء الثاني للعلم بانتفاء الاول ومن لم يتنبه له زعم انه لانتفاء الاول
لانتفاء الثاني واما في مادة الدوران الجزئي كما في قولك لو طلعت الشمس لوجد الضوء فلان الجزاء المنوط بالشرط الذي هو طلوعها ليس
وجود اى ضوء كان كضوء القمر المجامع لعدم الطلوع مثلا بل انما هو وجود الضوء الخاص الناشئ من الطلوع ولا ريب في انتفائه بانتفاء
الطلوع هذا اذا بنى الحكم على اعتبار الدوران واما اذا بنى على عدمه فاما ان يعتبر هناك تحقق مدار آخر له اولا فان اعتبر فالدلالة
تابعة لحال ذلك المدار فان كان بينه وبين انتفاء الاول منافاة تعين الدلالة كما اذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فان وجود
الضوء وان علق صورة بعدم الطلوع لكنه في الحقيقة معلق بسبب آخر له ضرورة ان عدم الطلوع من حيث هو ليس مدارا لوجود
الضوء في الحقيقة وانما وضع موضع المدار لكونه كاشفا عن تحقق مدار آخر له فكانه قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء بسبب آخر
كالقمر ولا شبهة في ان هذا الجزاء منتف عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود الضوء القمري عند طلوع الشمس وان لم يكن بينهما منافاة تعين
عدم الدلالة كما في قوله عليه السلام في بنت ابي سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة فان المدار المعتبر في ضمن
الشرط اعني كونها ابنة اخيه عليه السلام من الرضاعة غير مناف لانتفائه الذي هو كونها ربيبته عليه السلام بل مجامع له ومن ضرورته مجامعة
اثريهما اعني الحرمة الناشئة من كونها ربيبته عليه السلام والحرمة الناشئة من كونها ابنة اخيه عليه السلام من الرضاعة وان لم يعتبر
هناك تحقق مدار آخر بل بني الحكم على اعتبار عدمه فلا دلالة لها على ذلك اصلا كيف لا ومساق الكلام ح لبيان ثبوت الجزاء على كل
حال بتعليقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه بالطريق الاولى كما في قوله عز وجل قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي
اذا لامسكتم وقوله عليه السلام لو كان الايمان في الثريا لناله رجال من فارس وقول علي رض لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا
فان الاجزية المذكورة قد نيطت بما ينافيها ويستدعي نقائضها ايذانا بانها في انفسها بحيث يجب ثبوتها مع فرض انتفاء اسبابها
او تحقق اسباب انتفائها فكيف اذا لم يكن كذلك على طريقة لو الوصلية في مثل قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ولها
تفاصيل وتفاريع حررناها في تفسير قوله تعالى ولو كنا كارهين وقول عمر رض الله تعالى عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ان حمل
على تعليق عدم العصيان في ضمن عدم الخوف بمدار آخر نحو الحياء والاجلال وغيرهما مما يجامع مع الخوف كان من قبيل حديث ابنة ابي سلمة
وان حمل على بيان استحالة عصيانه مبالغة كان من هذا القبيل والآية الكريمة واردة على الاستعمال الشائع مفيدة لكمال فظاعة حالهم
وغاية هول ما دهمهم من المشاق وانها قد بلغت من الشدة الى حيث لو تعلقت مشية الله بازالة مشاعرهم لزالت لتحقق ما يقتضيه
اقتضاء تاما وقيل كلمة لو فيها لربط جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفاء احدهما لانتفاء الآخر بمنزلة كلمة ان ومفعول
المشية محذوف جريا على القاعدة المستمرة فانها اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمونا للجزاء فلا يكاد يذكر الا ان يكون شيئا
مستغربا كما في قوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع اى لو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لفعل
ولكن لم يشأ لما يقتضيه من الحكم والمصالح وقرئ لاذهب باسماعهم على زيادة الباء كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
والافراد لما هو المشهور من ان السمع مصدر في الاصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها من الجمل الاستئنافية وقيل على كلما اضاء الخ
وقوله عز وجل ان الله على كل شيء قدير تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى على ازالة مشاعرهم بالطريق البرهاني
والشيء بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا ما كان على انه في الاصل مصدر شاء اطلق على المفعول واكتفى
في ذلك باعتبار تعلق المشية به من حيث العلم والاخبار عنه فقط وقد خص هاهنا بالممكن موجودا كان او معدوما بقضية اختصاص

اى ربط بين الشرط والجزاء ح
السبب انه اى الرضاعة والتربية
سببان ح

تعلق القدرة به شئ لما انها عبارة عن التمكن من الايجاد والاعدام الخاصين به وقيل هي صفة تقتضي ذلك التمكن والقادر
هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير هو الفعال لكل ما شاء كما شاء ولذلك لم يوصف به غير الباري جل جلاله ومعنى
قدرته تعالى على كل الممكن الموجود حال وجوده انه ان شاء اعدمه واعدمه ومعنى قدرته على المعدوم حال عدمه انه ان شاء ايجاده
اوجده وان لم يشأ لم يوجده وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز
واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل بقدر ما يقتضيه ارادته او بقدر قدرته وفيه دليل على ان مقدور العبد مقدور الله تعالى
صفته لانه شئ وكل شئ مقدور له تعالى واعلم ان كل واحد من التمثيلين وان احتمل ان يكون من قبيل التمثيل المفرق كما في قوله
كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان يشبه المنافقون في التمثيل الاول بالمستوقدين وهم في
الفطرة بالنار وتأييدهم آياه بما شاهدوه من الدلائل باستيقادها وتمكنهم التام من الانتفاع به باضاءتها ما حولهم وازالة
بذهاب النور النارية واخذ الصلابة بمقابلة عمايتهم الظلمات الكثيفة وتبلدهم فيها وبشبهوا في التمثيل الثاني بالبسايلة
والقرآن وما فيه من العلوم والمعارف التي هي مدار العلوم الحيوة الابدية بالصيب الذي هو سبب الحيوة الارضية وما عرض لهم
بنزوله من الغموم والاخوان وانكشاف البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصاماتهم عما يقرع اسماعهم
من الوعيد بحال من يتولاه الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيبتدأ ذنه منها والاخلاص لها واختطافهم لما يلمع لهم من رشد
يدركونه او رفد يحرزونه بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم في امرهم حين عن لهم مصيبة بوقوفهم اذا اظلم
عليهم لكن الحمل على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة في احد الجانبين بواحد من المفردات الواقعة
في جانب المشبه به بان يتنزع من المنافقين احوالهم المتقابلة فكل من التمثيل هيئة على حدة ويتنزع من كل واحد من المستوقدين
واصحاب الصيب واحوالهم المحكية هيئة بحالها فيشبه كل واحدة من الاولين بما يضاهيها من الاخريين هو الذي يقتضيه جزالة
التنزيل ويسند عيه فخامة شانه الجليل لاشتماله على التشبيه الاول اجمالا مع مزية زائدة هي قرآئد وهو تشبيه الهيئة بالهيئة
وايذانه بان اجتماع تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقة بان تكون مثلا في الغرابة يا ايها الناس اعبدوا ربكم
اثر ما ذكر الله تعالى علوا طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس في شانه الى ثلث فرق مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرائع
والاحكام وكافرة وقد نبذته وراء ظهورها بالمجاهرة والشقاق واخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق ونعت كل فرقة
منها بما لها من النعوت والاحوال وبين من المصير الى المآل اقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزا لهم الى الاصغاء وتوجيها
لعلوهم بخواتم التلقي وجبرا لما فات العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فادعاهم كافة بعبادة الله ونهاهم عن الاشراك به وياحرف وضع
لنداء البعيد وقد ينادى بها القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما اجلالا كما في قول الداعي يا الله ويا رب وهو اقرب اليه من حبل
الوريد استقصارا لنفسه واستبعادا لها من محافل الزلفى ومنازل المقربين واما تنبيها على غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به
التنبيه على ما يعقبه امر خطير وای اسم مبهم جعل وصلة الى نداء المعرف باللام لانه المنادى اصالة بل على انه صفة موضحة
له مزيلة لابهامه والتزم رفعه مع انتصاب موصوفه محلا اشعارا بانه المقصود بالنداء والمحت بينهما كلية التنبيه تاكيد المعنى
النداء وتعويضا عما يستحقه اى من المضاف اليه وكما ترى من استقلال هذه الطريقة بضروب من اسباب المبالغة والتاكيد
كثرة سلوكها في التنزيل المجيد كيف لا وكل ما ورد في تضاعيف العقائد من الاحكام والشرائع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة
بان تقشعر منها الجلود وتطمئن بها القلوب الآبية وتبلغوا بآذان واعية واكثرهم عنها غافلون فاقتضى الحال
المبالغة والتاكيد في الايقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين في ذلك العصر لان الجمع واسماءه ما
المحلاة باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتاكيد بما يفيد العموم كما في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون

واستدلال

واستدلال الصحابة رضي الله تعالى عنهم بعمومها شائعا وآتا من عداهم ممن سيوجد منهم فمندرجون في خطاب المشافهة
وانما ادخلوه تحت حكمه لما تواتر من دينه عليه السلام ضرورة ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم
الى قيام الساعة ولا يقدح في العموم ما روى عن علقمة والحسن البصري من ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي اذ ليس من ضرورة
نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه بها ولا من قضية اختصاصه بهم اختصاصه بالكفار اذ لم يكن كل اهلها كفرة ولا ضير
في تحقيق العبادة في بعض المكلفين قبل ورود هذا الامر لما ان الى مورد الامر المشترك الشامل لانشاء العبادة والثبات عليها والزيادة
فيها مع انها مكررة في حسب تكرر اسبابها والانتفاء شرطها فالآخرون منهم اعني الايمان لان الامر بها متنظم للامر بالاتيان لانه
وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها به فان امر المحدث بالصلوة مستتبع للامر بالتوضي لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة
ما يعم افعال القلوب ايضا لما انها عبارة عن غاية التذلل والخضوع روى عن ابن عباس رضه ان كل ما ورد في القرآن
من العبادة جعلنا ما للتوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا واطيعوا ولا كون بعض من الفرقتين الاخيرتين ممن لا يجدي فيهم
الانذار بموجب النص القاطع لما ان الامر يقطع الاعذار وليس فيه تكليفهم بما ليس في وسعهم من الايمان بعد ايمانهم اصلا او قطع
لاحد منهم بدخوله في حكم النص قطعا وورود النص بذلك لكونهم في انفسهم بسوء اختيارهم كذلك لا ان كونهم كذلك لورود
النص بذلك فلا جبر اصلا نعم لتخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف ستقف عليه عند قوله تعالى وانتم تعلمون وايراده تعالى
بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين تاكيد موجب الامر بالاشعار بعلتيتها للعبادة الذي خلقكم صفة اجريت
عليه سبحانه للتسجيل والتعليل اثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب
على ما هو اعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها ارباب او الخلق الايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال
خلق النعل اي قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم بادغام القاف في الكاف والذين من قبلكم عطف على الضمير المنصوب
ومتمم لما قصد من التعظيم والتعليل فان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف اي كانوا
من زمان قبل زمانكم وقيل خلقكم فحذف الخلق واقيم المصدر مقامه والمراد بهم من تقدمهم من الامم السالفة كافة وفي ضرورة
عموم الخطاب بيان شمول خلقه تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين يؤدي الى عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم واخرج الجملة
مخرج الصلة الى حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصول عندهم ايضا مع انهم غير معترفين بغاية الخلق وان اعترفوا
بنفسه كما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله للايذان بان خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا ينبغي لاحد
انكاره وقرئ وخلقكم من قبلكم وقرئ والذين من قبلكم بالجام الموصول الثاني بين الاول وصلته توكيدا كالجام اللام
بين المضافين في لا ابالك او بجعله موصوفا فالظرف خبر مبتدا محذوف اي الذين هم اناس كائنون قبلكم لعلكم تتقون
المعنى الوضعي لكلمة لعل هو انشاء توقع امر مترقب بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب فيتمنى ترجيا او مكروه
فيتمنى اشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل اما من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني وهو الاصل الشائع الاستعمال
لان معنى الانشاءات قائمة به واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بقرينة من التجوز ابتداء بان ذلك لامر فرض نفسه مبتنية
للتوقع متصف بجيثية مصححة له من غير ان يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع اصلا فان روعيت في الآية الكريمة
جهة المتكلم تسجيل ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار اما الى الاستعارة بان يشبه طلبه تعالى
من عباده التقوى مع كونهم مبنية لها التعاضد اسبابها بطلب جاء الراجي من المرجو منه امرا بين الحصول فيكون متعلق كل
منهما مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول فيستعار له كلمة لعل استعارة تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة

تعالى

الطلب وقرب المطلوب من الوقوع وأما الى التمثيل بان يلاحظ خلقه تعالى اياهم مستعدين للتقوى وطلبا ما منهم وهم متمكنون منها جامعون لاسبابها وينتزع من ذلك هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من الراجي ورجائه من المرجو منه شيأ سهل المنال فيستعمل في الهيئة الاولى ما صفة ان يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية فدرج من الفاظها بما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني كلمة الترجي والباقي منوط بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر مرارا وأما جعل المشبه ارادته تعالى في الاستعارة والتمثيل فامر مؤسس على قاعدة الاعزال القائلة بجواز تخلف المراد عن ارادته فالجملة حال اما من ضمير خلقكم اي طالبا منكم التقوى او من مفعوله وما عطف عليه بطريق تغليب المخاطبين لانهم المأمورون بالعبادة او خلقكم واياهم مطلوبا منكم التقوى او علة له فان خلقهم على تلك الحالة في معنى خلقهم لاجل التقوى كانه قيل خلقكم لتتقوا أما بناء على تجويز تعليل افعاله تعالى باغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل السنة وأما تنزيلا لترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متفننة خليلة من غير ان يكون هي علة غائية لها حيث لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال او العلة لتكميل علية المأمورية وتأكيدها فان ايانهم بما خلقوا لاجله دخل في الوجوب وايثارهم تتقون على تعبدون مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون للمبالغة في ايجاب العبادة والتشديد في الزامها اما ان التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جده فاذا الزمتهم كان ما هو دونها من الزم والاتيان به اهون وان روعيت جهة المخاطب فلعل في معناها الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا كانه قيل اعبدوا ربكم راجين الانتظام في زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على ان المراد بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي التبتل الاستغراق بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره عن مراقبته وهي اقصى غايات العبادة التي يتنافس فيها المتنافسون والمراد بالانتظام القدر المشترك بين انشائه والثبات عليه ير يجيه ارباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتي التوقي عن العذاب الخالد المخلد والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك كما ترى تفسير المتقين ولعل توسيط الحال من الفاعل بين وصفي المفعول الماضي والتقديم من فوات الاشعار بكون الوصف الاول معظم احكام الربوبية وكونه عريقا في ايجاب العبادة وفي التأخير من زيادة طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق التوقع بالفعل فاما ان اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة المذكورة اي خلقكم واياكم حال كونكم جميعا بحيث يرجو منكم كل راج ان تتقوا فانه سبحانه وتعالى لما برأهم مستعدين للتقوى جامعين لمباديها الآفاقية والانفسية كان حالهم بحيث يرجو منهم كل راج لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وان لم يتحقق الرجاء قطعا واعلم ان الآية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته على كافة الناس مرشدة لهم باشارتها الى ان مطالعة الآيات التكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق مما يقضي بذلك قضاء متحتما وقد بين فيها اولا من تلك الآيات ما يتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما انه اقوى شهادة واظهر دلالة ثم عقب بما يتعلق بمعايشهم فقيل الذي جعل لكم الارض فراشا وهو في حيز النصب على انه صفة ثانية لربكم موضحة وما دحة او على تقدير اعني او امدح او في حيز الرفع على المدح والتعظيم بتقدير المبتدا قال ابن مالك لترم حذف الفعل في المنصوب على المدح اشعارا بانه ان شاء كملازم النداء وحذف المبتدا في المرفوع اجراء للوجهين على سنن واحد واما كونه مبتدا خبره فلا تجعلوا كما قيل فيتدرع ان يكون مناط النهي ما في حيز الصلة فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في ذلك مع كونه اعظم شأنا وجعل بعض صير والمنصوبان بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق واستصاب الثاني على الحالية والظرف متعلق بجعل على التقديرين وتقديمه على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع المخاطبين والتشويق اليه لان النفس عند ذكر خير ما حقه التقديم لاسيما بعد الاشعار بمنفعته بنوع مترقبة له فتتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن ولما في المؤخر وما عطف عليه

من نوع

من نوع طول لو قدم لفات تجاوب اطراف النظم الكريم ومعنى جعلها فراشا جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب
وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للمقعود عليها والنوم فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها بسطى
حقيقيا فان كرية شكلها مع عظم جرمها مصححة لافتراشها وقرئ بساطا ومهادا والسماء بناء عطف على المفعولين
السابقين وتقديم حال الارض لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم بها اكثر واظهر اى جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يطلق
على الواحد والمتعدد او جمع سماوة او سماءة كما قرئ والبناء في الاصل مصدر سمي به المبنى بنيا كان او قبة او خباء ومنه قولهم
بنى على اهله لما انهم كانوا اذا تزوجوا امرأة ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء عطف على جعل اى انزل من جهتها
او منها الى السحاب او من السحاب لا الارض كما روى عنه عليه الصلوة والسلام او المراد بالسماء جهة العلو كما ينبئ عنه الاظهر
في موقع الاضمار وهو على الاولين لزيادة التقرير ومن لابتداء الغاية متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول الا كائنا
من السماء قدم عليه لكونه نكرة واما تقديمه على الوجه الاول مع ان حقه التاخير عن المفعول الصريح فلما ان السماء اصلا ومبدؤه
واما لما مر من التشويق مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى فاخرج به اى بسبب الماء من الثمرات رزقا لكم
وذلك بان اودع في الماء فاعلية وفي الارض قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار او بان اجرى عادته بايجاد
صور الثمار وكيفياتها المختلفة على المادة الممتزجة منهما وان كان المؤثر في الحقيقة قدرته تعالى ومشيته فانه تعالى قادر
على ان يوجد جميع الاشياء بلا مبادٍ ومواد كما ابدع نفوس المبادي والاسباب لكن له عز وعلا في انشائها متعلقة قل الاحوال
ومتبدلة في الاطوار من بدائع حكم باهرة تجدد للاولى الابصار عبرا او مزيد طمانينة الى عظيم قدرته ولطيف حكمته ما لم يخل ايجادها
بغتة ومن للتبعيض لقوله تعالى فاخرج به ثمرات ولوقوعها بين منكرين اعني ماء ورزقا كانه قيل وانزل من السماء بعض الماء
فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وبهذا الواقع اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج من الارض كل الثمرات ولا جعل
كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له او حال منه كقولك انفقت من الدراهم الفا
ويجوز من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق وانما شاع ورود الثمرات دون الثمار مع ان الموضع
كثرة لانه اريد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك ادركت ثمرة بستانه وتؤيده القراءة على التوحيد اولان المجموع يقع بعضها
موقع بعض كقوله تعالى ثم كلوا من كل الثمرات وعيون وقوله تعالى ثلثة قروء اولانها محلى باللام خارجة عن حد القلة واللام متعلقة
بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق اى رزقا كائنا لكم او دعامة لتعدية عمل رزقا على تقدير كونه مصدرا
كانه قيل رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا اما متعلق بالامر السابق مترتب عليه كانه قيل اذا امرتم بعبادة من هذا شانه
من التفرد بهذه النعوت الجليلة والافعال الجميلة فلا تجعلوا له شريكا وانما قيل اندادا باعتبار الواقع لا لان مدار النهي هو الطبيعة
وقرئ ندادا وايقاع الاسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات اثر تعيينه بالصفات وتعليل الحكم بوصف الالوهية التي عليها
يدور امر الوحدانية واستحالة الشركة والايذان باستتباعها سائر الصفات واما معطوف عليه كما في قوله تعالى اعبدوا الله واشكروا
به شيئا والفاء للاشعار بعلية ما قبلها من الصفات المجراة عليه تعالى للنهي والانتهاء اولان تامل هذا الامر بتخصيص العبادة
به تعالى المرتب على اصلها كانه قيل اعبدوه فخصوه بها والاظهار في موضع الاضمار لما مر آنفا وقيل هو نفي منصوب
باضمار ان جوابا للامر وايا ما ان ذلك فيما يكون الاول سببا للثاني ولا ريب في ان العبادة لا تكون سببا للتوحيد الذي
هو اصلها ومبناها وقيل هو منصوب بلعل نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى آلهة موسى
اى خلقكم لتتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوا بخلقه وحيث كان مدار هذا النصب تشبيه لعل في بعد المرجو بليت كان فيه
تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو القريب بمنزلة المتمنى البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذي جعل الخ على تقدير رفعه على المدح

اى هو الذى جعلكم بهذه الآيات العظام والدلائل النيرة فلا تتخذوا له شركاء وفيه ما قرر من لزوم كون خلقهم وخلق اصلهم
بمعزل من مناطية النهى مع عراقتها فيها وقيل هو خبر للموصول بتاويل معقول فى حقه وقد عرفت ما فيه مع لزوم المصير الى مذهب
الاخفش فى تنزيل الاسم الظاهر منزلة الضمير كما فى قولك زيد قام ابو عبد الله اذا كان ذلك كنيته والند المثل المساوى
من ندّ ندوداً اذا نفر ونادّه خالفه ضد بالمخالف للماثل بالذات كما خص المساوى بالماثل فى المقدار وتسمية ما يعبد المشركون
من دون الله اندادا او الحال انهم ما زعموا انها تماثله تعالى فى صفاته ولا انها تخالفه تعالى فى افعاله انما نزلوا عبادته تعالى
الى عبادتها وسووا آلهتهم شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله عز وجل
وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى بهم وشنع عليهم ان جعلوا انداداً لمن يستحيل ان يكون له ندّ واحد وفى قولك قال موقد الجاهلية زيد بن
عمرو بن نفيل ارباً واحداً ام الف ربٍّ اذبن اذا تفسخت الامور تركت الآلات والقوى جميعاً كذلك تفعل الرجل المصيب وقوله تعالى
وانتم تعلمون حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد الى ما افاده النهى من قبح المنهى عنه ووجوب الاجتناب عنه ومفعول تعلمون
مطروح بالكلية كانه قيل لا تجعلوا لذلك غاية قبيح واجب الاجتناب عنه والحال انكم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور
واصابة الرأى او مقدر حسبما يقتضيه المقام نحو وانتم تعلمون بطلان ذلك او تعلمون انه لا يماثله شئ او تعلمون ما بينه وبينها
من التفاوت او تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كما فى قوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ او غير ذلك وحاصله
تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا هو الذى يستدعيه عموم الخطاب فى النهى بجعل المنهى عنه القدر
المشترك المنتظم لانشاء الانتهاء كما هو المطلوب من الكفرة والثبات كما هو شان المؤمنين حسبما قرر مثله فى الامر وما حوف التقييد
الى نفس النهى فيستدعى تخصيص الخطاب بالكفرة لاحالة اذ لا يتاتى ذلك بطريق قصر النهى على حالة العلم ضرورة شمول
التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم بل انما يأتى بطريق المبالغة فى التوبيخ والتقريع بناء على قباحة العالمين
سحبها اقبح وذلك انما يتصور فى حق الكفرة فمن صرف التقييد الى نفس النهى مع تعميم الخطاب للمؤمنين ايضاً فقد نأى
عن التحقيق ان قلت ليس فى تخصيصه بالكفرة فى الامر والنهى خلاص من امثال ما قرر من التكلفات وحسن الانتظام
بين السباق والسياق اذ لا محيد فى آية التحدى من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة مع محالة مع ما فيه من رياء محل المؤمنين
ورفع شانهم عن حيز الانتظام فى سلك الكفرة والايذان بانهم مستمرون على الطاعة والعبادة حسبما قرر فى صدر السورة الكريمة
مستغنون فى ذلك عن الامر والنهى قلت بلى انه وجه سرىّ ومنهج سوىّ لا يضل من ذهب اليه ولا يذل من ثبت قدمه عليه

وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا شروع فى تحقيق ان الكتاب الكريم الذى من جملته ما يملى من الآيتين الكريمتين
انما طفحتا بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل على رسوله عليه السلام كما ان ما ذكر فيهما من الآيات التكوينية
الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتوضيح اتصافه بما ذكر فى مطلع السورة الشريفة من النعوت الجليلة التى من جملتها تنزاهه عن
ان يعتريه ريبٌ ما والتعبير عن اعتقادهم فى حقه بالريب مع انهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يوب عنه قوله تعالى ان كنتم
صادقين انما للايذان بان اقصى ما يمكن صدوره عنهم وان كانوا فى غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو الارتياب فى شانه
واما الجزم المذكور فخارج عن دائرة الاحتمال كما ان تنكيره وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون ضعيفاً
مشكوك الوقوع واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الاعجاز ونهاية قوتها
وانما قيل وان ارتبتم فيما الخ كما اشير اليه فيما سلف من المبالغة فى تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما
نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والاشعار بان ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار استمرارهم فيه واحاطته بهم
لا نافى لاعتبار ضعفه وقلته كما ان ما يقتضيه ذلك هو دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته ومن فى مما ابتدائية متعلقة بمحذوف

وقع صفة لريب وحملها على السببية ربما يوهم كونه محلا فى الريب فى الجملة وحاشاه ذلك وما موصولة كانت او موصوفة عبارة
عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين البعاضة وليس معنى كونهم فى ريب منه ارتيابهم فى استقامة معانيه وصحة احكامه
بل فى نفس كونه وحيا منزلا من عند الله عز وجل وآثار التنزيل المنبئ عن التدريج على مطلق الانزال لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء التحدى
عليه ارخاء للعنان وتوسيعا للميدان فانهم كانوا لاحظوا نزوله نجما وسيلة الى انكاره فجعل ذلك من مبادى الاعتراف به كانه
قيل ان ارتبتم فى شان ما نزلنا على مهل وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة ونجم فرد من افراده فانه ايسر عليكم من ان تنزل جملة واحدة
وتتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية ما يكون فى التبكيت وازاحة العلل وفى ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى ضمير
الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل وانقياده لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد هو عليه السلام
وامته او جميع الانبياء عليهم السلام ففيه ايذان بان الارتياب فيما انزل عليه ارتياب فيما انزل من قبله مصدقا له ومهيمنا عليه والامر
فى قوله تعالى فاتوا بسورة من باب التعجيز والمقام المجرد كما فى قوله تعالى فاتوا بها من الغرب والمقارن للجواب وسببية الارتياب للامر
والاتيان بالمامور به لكونه مما اشير اليه من انه عبارة عن جزء مما المذكور فانه سبب للاول مطلقا وللثانى على تقدير الصدق
كانه قيل ان كان الامر كما زعمتم من كونه كلام البشر فاتوا بمثله لانكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر بنى نوعكم والسورة
الطائفة من القرآن العظيم المترجمة وآقلها ثلث آيات وواو ما اصلية منقولة من سور البلد لانها محيطة بطائفة من القرآن
مؤزرة محوزة على حيالها او محتوية على فنون رائقة من العلوم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة الى سئ الرسة فان
ولرسط حراب وقد سوره فى المجد ليس غرابها بطار فان سور القرآن مع كونها فى انفسها رتبا من حيث الفضل والشرف
او من حيث الطول والعرض فهى من حيث انتظامها مع اخواتها فى المصحف مراتب يرتقى اليها القارئ شيئا فشيئا وقيل
واوها مبدلة من الهمزة لمناسبة البقية من الشئ ولا يخفى ما فيه ومن فى قوله تعالى من قبله بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة
لسورة والضمير لما نزلنا اى بسورة كائنة من مثله فى علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم الرائق والبيان البديع وصيارفة البلغاء
الاعجاز وجعلها تبعيضية لوهم الآلة مثلا محققا فاريد بتعجيزهم عن الاتيان ببعضه كانه قيل فاتوا ببعض ما هو مثله فلا يعجزهم
منه كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلا عن كونها مدار العجز مع انه المراد وبناء الامر على المجازاة معهم بحسب حسابهم حيث
كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا او على التهكم به باباه ما سبق من تنزيله منزلة الريب فان مبنى التهكم على تقدير تسليم ذلك
منهم وتسويغه ولو بغير جد وقيل هو زائدة كما هو رأى الاخفش بدليل قوله تعالى فاتوا بسورة مثله بعشر سور وقيل
هى ابتدائية فالضمير للمنزل عليه صلى الله عليه وسلم اى ان رجوعه الى المنزل عليه فان تحقق مثله عليه السلام فى البشرية والعربية والامية
يهون الخطب فى الجملة خلا ان تخصيص التحدى بنبوته وبشاركه عليه السلام فيما ذكر من الصفات المنافية للاتيان بالمامور به
لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم بل ربما يوهم قدرتهم على ذلك فى الجملة فوادى او مجتمعون مع انه يستدعى عراء المنزل
عما فصل من النعوت الموجبة لاستحالة وجود مثله فاين هذا ممن تحدى امة جمة وامرهم بان يجتمعوا وافوه جلية المعارضة بخيلهم
ورجلهم حسبما نطق به قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله وبناؤه على الاتيان بقدر يسير مماثل فى صفات الكمال
لما انى بجملة واحدة من ابناء جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر والقائم بالشهادة او الناصر ومعنى دون ادنى مكان
من مكان شئ يقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ثم استعير للتفاوت فى الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو
اى فى الفضل والرتبة ثم اتسع فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد وتخطى حكم الى حكم من غير ملاحظة الخطاط احدهما من الآخر
فجرى مجرى اداة الاستثناء وكلمة من اما متعلقة بادعوا فتكون لابتداء الغاية والظرف مستقر والمعنى ادعوا امتجاوزين بالله
تعالى لاستظهاركم من حضركم كائنا من كان او الحاضرين فى محافلكم ومشاهدكم من رؤسائكم واشرافكم الذين تزعمون انهم فى الملمات

وتقولون عليهم في المهمات او القائمين بشهاداتكم الجارية فيما بينكم من امنائكم المقولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول
عند الولاة او القائمين بنصرتكم حقيقة او زعما من الانس والجن ليعينوكم واخراجه سبحانه من حكم الدعاء في الاول مع اندراجه
في الحضور لتأكيد ذلك ولرجوع ما عداه للايذان باستبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم
اليه والمراد في سائر الوجوه فللتصريح من اول الامر ببراءتهم منه تعالى وكونهم في عداوة المحاده والمشاقة له فاصرين استظهارا عليهم سوء
والالتفات ادخال الروعة وتربية المهابة وقيل المعنى ادعوا من دون الله شهداءكم الذين هم وجوه الناس وزعماء المقاولة
والمناقلة ليشهدوا لكم ان ما آتيتم بمثله ايذانا بأنهم بان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة ما هو بين الفساد وجلي الاستحالة
وفيه انه يؤذن بعدم شمول التحدي للاولئك الرؤساء وقيل المعنى ادعوا شهداءكم فصححوا بهم دعواكم ولا تشهدوا بالله تعالى
قائلين اشهدوا ان ما تدعيه حق فان ذلك ديدان الحجج وفيه انه اريد بما يدعون حقيقة ما هم عليه من الدين الباطل فلا مساغ له
بمقام التحدي وان اريد مثلية ما اتوا به للمتحدى به فمع عدم ملائمته لابتداء التحدي بوهم انهم قد تصدوا للمعارضة واتوا بشبه المثال
متردد بين المثلية وعدمها وانهم ادعوا مشهدين في ذلك بالله سبحانه اذ عند ذلك يتسنى لهم اجابة الامر بالاستشهاد بالناس
وعن الاستشهاد به تعالى وانى لهم ذلك وقد خص لهم عرق ولا نبتوا بنت شفة وانما متعلقة بشهداءكم والمراد بهم الاصنام ودون
بمعنى التجاوز على انها ظرف مستقر وقع حالا من ضمير المخاطبين والعامل ما دل عليه شهداءكم اى ادعوا اصنامكم الذين تخذتموهم
آلهة متجاوزين الله تعالى فاتخاذهم كذلك وكلمة من ابتدائية فان الاتخاذ ابتداء من التجاوز والتعبير عن الاصنام بالشهداء
لتعيين مدار الاستظهار بما يذكر مما زعموا انها بمكان من الله تعالى وانها تشفعهم بشهادتها لهم تهكم عليهم فان ما هذا
شانه يجب ان يكون لهم في كل امر مهم وملجأ يأوون اليه في كل خطب ملم كأنه قيل عند تكم فادعوهم لهذه الداعية التي وسعتكم
فوضع الالتفات لايذان بكمال سخافة عقولهم حيث آثروا على عبادة من له الالوهية الجامعة لجميع صفات الكمال عبادة بالاصوعنه
وقيل لفظة دون مستعارة من معناها الوضعي الذي هو ادنى مكان من شيء لقدامه كما في قول الاعشى تريك القذى من دونها
وهي دونه اى تريك القذى قدامها وهي قدام القذى فيكون ظرفا لغوا معمولا للشهداء كما في الكفاية رائحة الفعل فيه من غير حاجة الى اعتماد
ولا الى تقدير ليشهدون اى ادعوا شهداءكم الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى ليعينوكم في المعارضة وايرادها بهذا العنوان
لما مر من الاشعار بحاطتها لاستحالة بهتا ووجه الالتفات تربية المهابة وترشيح ذلك المعنى فان ما يقوم بهذا الامر في ذلك المقام
الخطير حقه ان يستعان به في كل امر مهم على الوجهين بان يستظهروا في معارضة القرآن الذي اخرس كل منطق بالجماد
من التهكم بهم مالا يوصف وكلمة من هنا تبعيضية لما انهم يقولون جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل
ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل انما يقع في بعض تينك الجهتين كما تقول جبته من الليل تريد بعض الليل وقد تقال كلمة من
الداخلة على دون في جميع المواقع بمعنى في كما في سائر الظروف التي لا تتصرف ويكون منصوبة على الظرفية ابدا ولا يجر الا بمن خاصة
وقيل المراد بالشهداء مدار القوم ووجوه المحافل والمحاضر دون ظرف مستقر ومن ابتدائية اى ادعوا الذين يشهدون لكم ان ما
آتيتم به مثل ما جاوز بين في ذلك او لياء الله وبحصل شهداء مغايرين لهم ايذانا بانهم ايضا لا يشهدون بذلك وانما قدر المضاف
الى الله تعالى رعاية للمقابلة فان اولياء الله تعالى يقابلون اولياء الاصنام كما ان ذكر الله تعالى يقابل ذكر الاصنام والمقصود بهذا الامر
ارخاء العنان والاستدراج الى غاية التبكيت كأنه قيل تركنا الزامكم بشهداء لا ميل لهم الى احد الجانبين كما هو المعتاد واكتفينا
بشهدائكم المعروفين بالرتب عندكم فانهم ايضا لا يشهدون لكم حذرا من اللائمة وانفة من الشهادة البينة البطلان كيف لا
واء الاعجاز قد بلغ من الظهور الى حيث لم يبق الى انكاره سبيل قطعا وفيه ما مر من عدم الملائمة لابتداء التحدي وعدم تناوله
لاولئك الشهداء وايهام انهم تعرضوا للمعارضة واتوا بشيء اصلا وفي اثبات مثلية المتحدى به الى الشهادة وشتان بينهم

وبين ذلك ان كنتم صادقين اى فى زعمكم انه من كلامه عليه السلام وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه اى ان كنتم صادقين فأتوا بسورة من مثله الخ واستلزام المقدم للتالى من حيث ان صدقهم فى ذلك الزعم يستدعى قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام فى البشرية مع ما بهم من طول الممارسة فى الخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة فى حفظ الوقايع والايام لاسيما عند المظاهرة والتعاون ولا ريب فى ان القدرة على الشئ من موجبات الاتيان ودواعى الاتيان به فان لم تفعلوا اى أخرتم به من الاتيان بالمثل بعد ما بذلتم فى السعى غاية المجهود وجاوزتم فى الجد كل حد معهود منقلبين بالذلول راكبين متن صعب وذلول وانما لم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه بناء على كمال ظهورها لهم على ذلك وانما اورد فى حيز الشرط مطلق الفعل وجعل مصدر الفعل المأمور به مفعولا للايجاز البديع المغنى عن التطويل والتكرير مع سر سرى استقل به المقام وهو الايذان بان المقصود بالتكليف هو ايقاع نفس الفعل المأمور لاظهار عجزهم عنه لاتحصيل المفعول الى المأتى به ضرورة استحالته وان مناط الجواب فى الشرطية اعنى الامر باتقاء النار هو عجزهم عن ايقاء لافوت حصول المفعول فان مدلول لفظ الفعل هو نفس الافعال الخاصة لازمة كانت او متعدية من غير اعتبار تعلقها بمفعولاتها الخاصة فاذا علق بفعل ما من متعد فانما يقصد به ايقاع نفس ذلك الفعل واخراجه من القوة الى الفعل وانما متعلقة بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق وانما يستفاد ذلك من الافعال الخاصة ولذلك تراهم يتوسلون بذلك الى تجريد الافعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الافعال اللازمة فيقولون مثلا معنى فلان يعطى ويمنع ينعل الاعطاء والمنع يرشدك الى هذا قوله تعالى فان لم تأتوا به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون بعد قوله تعالى ائتونى بماء لكم فانه لما كان مقصود يوسف عليه السلام بالامر الاول ومرمى غرضه بالتكليف منه استحضار شيا ما ممن لم يكلف من الشرطية الداعية لهم الى الجد فى الامتثال والسعى فى تحقيق المأمور به بالاشارة الاجمالية الى الفعل الذى ورد به الامر بان يقول فان لم تفعلوا بل اعاده معينة متعلقا بمفعوله تحقيقا لمطلبه واعرابا عن مقصده هذا وقد اطلق الفعل واريد به الاتيان مع ما يتعلق به اما على طريقة التعبير عن الاسماء الظاهرة بالضمائر الراجعة اليها حذرا من التكرار او على طريقة ذكر اللازم وارادة الملزوم لما بينهما من التلازم المصحح للاستعمال بمعونة قرائن الحال فتدبر وانى ذا كله ان المعيدة للشك على اذا مع تحقق الجزم بعدم فعلهم مجازاة معهم بحسب حسبانهم قبل التجربة اذ هما ولن تفعلوا كلمة لن لنفى المستقبل خلافا لزعم الزمخشرى ان فى لن زيادة تاكيد وتشديد واصلها عند الخليل لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه حرف مقتضب للمعنى المذكور وهل هى عند الخليل والجملة اعتراض بين جزئى الشرطية متوسط لمضمون مقدمها ومؤكد لايجاب العمل بتاليها وهذه معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل فقد وقع الامر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشئ ما بديانيه فى الجملة لنقل الرواة خلفا عن سلف فاتقوا النار جواب للشرط على ان اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد اذ بذلك يتحقق تشبيه عنه وترتبه عليه كما مر قبل فاذا عجزتم عن الاتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من انكار كونه منزلا من عند الله عز وجل فانه مستوجب للعقاب بالنار لكن اوثر عليه الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاضافة فى عين الملابسة بها للمبالغة فى تهويل شانه وتفظيع امره ولاظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد فى تحقيق المكنى عنه وفيه من الايجاز البديع ما لا يخفى حيث كان الاصل فان لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم واذا صح ذلك كان لزوما لعنادكم وتركم الايمان به بسببا لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار الخ وقودها الناس صفة للنار موزنة لها زيادة هول وفظاعة اعاذنا الله تعالى من ذلك والوقود ما يوقد به النار ويرفع من الحطب فى قرئ بضم الواو وهو مصدر سمى به المفعول مبالغة كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى انها من الشدة بحيث لا تمتنع شيئا الا احرقته من رطب او يابس لا كنيران الدنيا تفتقر فى الالتهاب الى وقود

من خشب او حشيش وانما جعل هذا الوصف صلة للموصول تعقيبا لكون انتسابها الى ما نسب اليه معلوما للمخاطبين بناء على انهم سمعوه من الكتاب قبل ذلك او من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الآية المدنية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة فاشير هنا الى ما سمعوه اولا وكون سورة التحريم مدنية لا يستلزم كون جميع آياتها كذلك كما هو المشهور واما ان الصفة ايضا يجب ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب فالخطب فيها هين كما ان المخاطب هناك المؤمنون وظاهر انهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد بالحجارة الاصنام وبالنار عذبها انفسهم جميعا ورد قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية اعدت للكافرين اى هيئت للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم والمراد اما جنس الكفار والمخاطبون داخلون فيه دخولا اوليا واما هم خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم لذمهم وتعليل الحكم بكونهم وقرئ اعدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على ان النار مخلوقة موجودة الآن والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون ما قبلها ومؤكدة لايجاب العمل به ومبينة لمن اريد بالناس دافعة لاحتمال العموم وقيل حال اما ضمير قودها او النار لما فيه ذلك من الفصل بينهما بالجر وقيل صلة بعد صلة او عطف على الصلة بترك العاطف وبشر الذين امنوا اى بانه منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف على الجملة السابقة لكن لا على ان المقصود عطف نفس الامر حتى يطلب به مشاكل يصح عطفه عليها بل انه عطف قصة المؤمنين بالقرآن ووصف ثوابهم على قصة الكافرين به وكيفية عذابهم جريا على السنة الالهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد وكان تغاير السبك لتخييل كمال التباين بين حال الفريقين وقرئ وبشر على صيغة الفعل مبنيا للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا وتعليق التبشير بالموصول للاشعار بانه معلل بما في حيز الصلة من الايمان والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فانهما لا يكافيان النعم السابقة فضلا عن ان تقتضيا ثوابا فيما يستقبل بل لحكم الشارع ومقتضى وعده وجعل صلة فعلا مفيدا للحدوث بعد ايراد الكفار بصيغة الفاعل لحث المخاطبين بالاقتداء على احداث الايمان وتحذيرهم من الاصرار على الكفر والخطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل لكل من يتاتى منه التبشير كما قال عليه السلام بشر الشائين الى المساجد في الظلم الليالي بالنور التام يوم القيمة فانه عليه السلام لم يرد بذلك واحدا بعينه بل كل احد ممن يتاتى منه ذلك وفيه رمز الى ان الاولى بالواعظ ومحافظ شانه حقيق بان يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي يظهر به اثر السرور في البشرة وتباشير الصبح اوائل ضوئه وعملوا الصالحات الصالحة كالحسنة في الجريان مجرى الاسم ومن كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل واللام للجنس والجمع لافادة المراد بها حملة من الاعمال الصالحة الخ اشير الى انها تنال في مطلع الروح الكريمة وطائفة منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين في مواجب التكليف وفي عطف العمل على الايمان دلالة على تغايرهما واشعار بان احدهما استحقاق البشارة مجموع الامرين فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء عليه والاغناء باساس للبناء جنات تجري منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضمار مثل الله لا فعلق والجنة هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المكاثف المظلل بالتفافه اغصانه قال زهير كان عيسى في ذرى متفله من النواضح تسقى جنة سحقا اى نخلا طوالا كان لوطء تكاثفها والتفافها وتغطيها ما تحتها بالمرة نفس الستر وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم فحق المصدر ان يكون ماخوذا من الفعل المبني للمفعول وانما سميت دار الثواب بها مع ان فيها ما لا يوصف من الفواكه والقصور لما انها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لانها سبع على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما جنة الفردوس وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون ودكل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة حسب تفاوت الاعمال واصحابها من تحتها الانهار في حيز النصب على انه صفة جنات فان اريد بها الاشجار

فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فلا بد من تقدير مضاف اى من تحت اشجارها وان اريد بها مجموع الارض
والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل عن مسروق ره ان انهار الجنة تجرى فى غير اخدود
واللام فى الانهار للجنس كما فى قولك لفلان بستان فيه الماء الجارى والتين والعنب او عوض عن المضاف اليه كما فى قوله تعالى واشتعل
الرأس شيبا او للعهد والاشارة الى ما ذكر فى قوله غرد على انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق
الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والركب للسفينة والمراد بها ما يعم الاصلى او على المجاز اللغوى او على المجاز بغيرها وقد اسند
اليها الجريان مجازا عقليا كما فى سال الميزاب كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل صفة
اجريت لجنات اخرت عن الاولى لان جريان الانهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها وهذا وصف لها باعتبار اهلها المتنعمين بها
او خبر مبتدإ محذوف او جملة مستانفة كانه قيل حين وصفت الجنات بما ذكر من الصفة وقع فى ذهن السامع ان ثمارها كثمار جنات
الدنيا اولا فبين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال كانه
قيل كل وقت رزقوا مرزوقا من الجنات مبتدء من ثمرة على ان الرزق مقيد بكونه مبتدأ الحال كانه قيل من الجنات وابتداء ما منها
مقيد بكونه مبتدأ من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضمير المستكن فى الحال ويجوز كون من ثمرة بيانا قدم
على المبين كما فى قولك رأيت منك اسدا وهذا اشارة (بلفظ هذا) الى ما رزقوا وان وقعت على فرد معين منه كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء
لا ينقطع فلانك وان اشرت الى ما تعاينه بحسب الظاهر لكنك اتما تعنى بذلك النوع المعلوم المستمر فالمعنى هذا مثل الذى رزقنا
من قبل اى من قبل هذا فى الدنيا ولكن لما اتحد المشبه بينهما جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمرة الجنة كثمار الدنيا ليميل النفس حين تراه
فان الطباع مائلة الى المألوف مستقرة من غير موصوف وليتبين لها مزية وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه
لا يكون الا كذلك او مثل الذى رزقناه من قبل فى الجنة لان طعامها متشابه الصور كما يجلى عن الحسن رحمه الله ان احدهم يؤتى
بالصفحة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف كما روى
انه عليه السلام والذى نفس بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها
والاول انسب لمحافظة عموم كلما فانه يدل على تردديهم بهذه المقالة كل مرة رزقوا الا فيما عدا المرة الاولى يظهر من ذلك النتيج
وفرط الاستواء لما بينهما فى التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما فى الشكل واللون كانهم قالوا هذا عين ما رزقناه
فى الدنيا فمن اين لهذه الرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من انه ليس فى الجنة
من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لا لبيان ان لا تشابه بينهما
اصلا كيف لا واطلاق الاسماء منوط بالاتحاد النوعى قطعا هذا وقد فسرت الآية الكريمة بان مستلذات اهل الجنة مغايرة
لما رزقوه فى الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة الحال فيجوز ان يريد بهذا ثواب الذى رزقناه فى الدنيا من الطاعات ولا بعد
تخصيص ذلك بالثمرات فان الجنة وما فيها من فنون الكرامات واتوا به متشابها اعراض مقررة لما فى الضمير المجرور على الاول
راجع الى ما دل عليه محتوى الكلام مما رزقوا فى الدارين كما فى قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اى بجنسى الغنى والفقير
وعلى الثانى الى الرزق ولهم فيها ازواج مطهرة اى مما فى نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة من الحيض والدرن ودنس
الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل فى الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء
فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستجلت نصب الدرر فكلت فالجمع على اللفظ
والافراد على تأويل الجماعة وقرئ مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار
بان مطهرا طهرهن وما هو الا الله سبحانه واما التطهر فيحتمل ان يكون من قبيل انفسهن كما عند اغتسالهن والزوج يطلق على الذكر

منه قبيل الثواب الملائم

والانثى وهو في الاصل اسم لما له قرين من جنسه وليس في مفهومه اعتبار التوالد الذي هو مدار بقاء النوع حتى لا يصح اطلاقه على ازواج
اهل الجنة لخلودهم فيها واستغنائهم عن الاولاد كما ان الغذائية لبقاء الذات ليست بمعتبرة في مفهوم اسم الرزق حتى يخل ذلك باطلاق
على ثمار الجنة وهم فيها خالدون اي دائمون والخلود في الاصل الثبات المديد دام اولم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار الخوالد
وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ولو كان وضعه للدوام لما قيد بالتأبيد في قوله عز قائلا خالدين فيها ابدا ولما استعمل حيث لا دوام
فيه لكن المراد ههنا الدوام قطعا لما يقتضيه من الآيات والسنن وما قيل من ان الابدان مؤلفة من الاجزاء المتضادة في الكيفية
معرضة للاستحالات المؤدية الى الانحلال والانفكاك مداره قياس ذلك العالم الكامل على ما يشاهد في عالم الكون والفساد على انه
يجوز ان يعيدها الخالق تعالى بحيث لا يعتورها الاستحالة ولا يعتريها الانحلال قطعا بان يجعل اجزاءها متفاوتة في الكيفيات متساوية
في القوى بحيث لا يقوى شيء منها عند التفاعل على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض فتبقى على النسبة محفوظة
فيما بينهما ابدا لا يعتريها التغير بالاكل والشرب والحركات وغير ذلك واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن
والمطاعم والمناكح حسبما يقتضيه الاستقراء وكان ملاك الامر جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان جلت حيث كانت
في شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور
اللهم وفقنا لمرضيك وثبتنا على ما يؤدي اليها من العقد والعمل ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة
شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب خاص اعتراهم من جهة ما وقع فيه من ضرب الامثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق اثر تنزيهها
عما اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي والزام الحجر والافحام لكافة البلغاء من اهل المدر والوبر روى ابو صالح عن ابن عباس رض
ان المنافقين طعنوا في ضرب الامثال بالنار والظلمات والرعد والبرق وقالوا الله اجل واعلى من ضرب الامثال وروى
عطاء عنه ان هذا الطعن كان من المشركين وروى عنه ايضا انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الآية وقوله تعالى
مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء الآية اي تعيير للذباب والعنكبوت حيث يضرب تعالى بهما المثل وجعلوا ذلك ذريعة
الى انكار كونه من عند الله تعالى مع انه لا يخفى على احد ممن له تمييز انه ليس مما يتصور فيه التردد فضلا عن التكلم بل هو اوضح دلالة
كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وان التمثيل كما لم يكن الا لابراز المعنى المقصود وتحلية
المعقول بحلية المحسوس وتصوير اوابد المعاني بهيئة المأنوس لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته للعقل واستعصائه عليه
في ادراك الحقائق الخفية وفهم الدقائق الابية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه الى ما يرتضيه ولذلك شاعت الامثال في الكتب
الالهية والكلمات النبوية وذاعت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء من قضية وجوب التماثل بين المثل والممثل به
في مناط التمثيل تمثيل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة ومعارضة السفهاء باثارة الزنابير
وجاء في عبارات البلغاء اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واضعف من بعوضة الى غير ذلك مما لا يكاد يحصى
والحياء تغير النفس وانقباضها عما يعاب به او يذم عليه يقال حيي الرجل فهو حيي واشتقاقه من الحيوة واشتقاق شظي
ونسي وحشي من الشظى والنسا والحشا يقال شظي الفرس ونسي وحشي اذا اعتلت منه تلك الاعضاء كان من يعتريه
الحياء يعتل قوته الحيوانية وتنتقص واستحيى بمعناه خلا انه يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال استحييته واستحييت منه والاول
لا يتعدى الا بحرف الجر وقد يحذف منه احدى اليائين ومنه قوله الا يستحيي منا الملوك ويتقي محارمنا لا يبوء الدم بالدم وقوله اما تستحيي
مما يعرض نفسه لسبب فيه انا من الورد فكلما انه اسند اليه سبحانه بطريق الايجاب في مثل قوله عليه السلام ان الله يستحيي من ذي الشيبة
المسلم ان يعذبه وقوله عليه السلام ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا اريد به
الترك اللازم على طريقة التمثيل حيث مثل في الحديثين الاولين تركه تعذيب ذي الشيبة وتخييب العبد من عطائه بترك من يترك

صياد

كذلك اذا نفي في المواد الخاصة كما في هذه الآية وفي قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق يراد به سلب ذلك الترك الخاص المشابه لترك
المستحيي منه لا سلب وصف الحياء عنه تعالى رأسا كما في قولك ان الله لا يوصف بالحياء لان تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون الايجاب
من شأنه تعالى في الجملة فالمراد ههنا عدم ترك ضرب المثل المماثل لترك من يستحيي من ضربه وفيه رمز الى تعاضد الدواعي الى ضربه وتحافظ البواعث
اليه اذ لا استحياء في الافعال المقبولة للنفس المرضية عندها ويجوز ان يكون وروده على طريق المشاكلة فانهم كانوا يقولون اما يستحيي
رب محمد ان يضرب مثلا بالاشياء المحقرة كما في قول من قال من يبلغ افناء يعرب كلها اني بنيت الجار وضرب المثل استعماله في مضربه
وتطبيقه به لا صنعه وانشاؤه في نفسه والا لكان انشاء الامثال السائرة في مواردها ضربا لها دون استعمالها بعد ذلك في مضاربها
الانشاء هناك والامثال الواردة في التنزيل وان كان استعمالها في مضاربها عين انشائها في انفسها لكن التعبير عنها بالضرب ليس بهذا
الاعتبار بل باعتبار الاول قطعا وهو مأخوذ اما من ضرب الخاتم بجامع التطبيق فكما ان ضربه تطبيقه بقالبه كذلك استعمال الامثال في
مضاربها تطبيقها بها كأن المضارب قوالب تضرب الامثال على شاكلتها لكن لا بمعنى انها تنشأ بحسبها بعد ان لم يكن كذلك بل بمعنى انها
توجد منطبقة عليها سواء كان انشاؤها مع ذلك كعامة الامثال التنزيلية او قبل ذلك كسائر الامثال السائرة فانها وان كانت مصنوعة
من قبل الا ان تطبيقها اي ايرادها منطبقة على مضاربها انما يحصل عند الضرب واما من ضرب الطين على الجدار للتلزق به بجامع الالصاق
كأن من يستعملها يلصقها بمضاربها ويجعلها ضربة لازب لا تنفك عنها لشدة تعلقها بها ومحل ان يضرب على تقدير تعديته بنفسه
النصب على المفعولية واما على تقدير تعديته بالجار فعند الخليل الخفض باضمار من وعند سيبويه النصب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها
ومثلا مفعول ليضرب وما اسمية ابهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا كما في قولك اعطني كتابا ما كأنه قيل مثلا ما
من الامثال اي مثل كان فهي صفة لما قبلها او حرفية مزيدة لتقوية النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله وبعوضة
بدل من مثلا او عطف بيان عند من يجوزه في النكرات او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليها لكونها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه
معنى الجعل والتصيير وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو بعوضة والجملة على تقدير كونها موصولة اي صلة محذوفة الصدر
كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن وتفصيلا على قراءة الرفع وعلى تقدير كونها موصوفة صفة لها كذلك وفي محلها على الوجهين النصب على انه
بدل من مثلا او على انه مفعول ليضرب وعلى تقدير كونها ابهامية صفة لمثلا كذلك واما على تقدير كونها استفهامية فهي خبر لها كأنه لما رد
استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة واي مانع فيها حتى لا يضرب بها المثل بل له تعالى ان يمثل بما هو اصغر منها واحقر كجناحها على ما وقع
في قوله عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء والبعوض فعول من البعض وهو القطع
كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش في لغة هذيل من الخمش وهو الخدش فما فوقها عطف على بعوضة على تقدير نصبها
على الوجوه المذكورة وما موصولة او موصوفة صلتها او صفتها الظرف واما على تقدير رفعها فهو عطف على ما الاولى على تقدير كونها موصولة
او موصوفة واما على تقدير كونها استفهامية فهو عطف على خبرها اعني بعوضة لا على نفسها كما قيل والمعنى ما بعوضة فالذي فوقها او فشيء
فوقها حتى لا يضرب بها المثل وكذا على تقدير كونها صلة للنكرة او زائدة وبعوضة خبر لمضمر وذكر البعوضة فما فوقها من بين افراد المثل
انما هو بطريق التمثيل دون التعيين والتخصيص فلا يخل بالشيوع بل يقرره ويؤكده بطريق الاولوية والمراد بالفوقية اما الزيادة
في المعنى الذي اريد بالتمثيل اعني الصغر والحقارة واما الزيادة في الحجم والجثة لكن لا الى ما يبلغ بل في الجملة كالذباب والعنكبوت
وعلى تقدير الاول يجوز ان يكون ما الثانية خاصة استفهامية انكارية والمعنى ان الله تعالى لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فاي شيء
فوقها في الصغر والحقارة فاذن له تعالى ان يمثل بكل ما يريد ونظيره في احتمال الامرين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت
عائشة رضي الله تعالى عنها حين ذكر لها ذلك سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له
بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما يجاوز الشوكة في القلة كنخبة النملة لقوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة

لخطاياه حتى لحقه التملة وما نجا وزماخ الالم كامثال ما حكى من الحمر فاما الذين آمنوا شروع في تفصيل ما يترتب على ما ضرب من المثل
من الحكم اثر تحقيق حقيقة صدوره عنه تعالى والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كانه قيل فيضرب به فاما الذين الخ
وتقديم بيان حال المؤمنين على ما حكى من الكفرة مما لا يقتضيه الا بيان السبب وقت تصدير الجملتين باما من احوال المؤمنين وذم الكفرة
ما لا يخفى وهو حرف متضمن لمعنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شئ والذلك يجاب بالفاء وفائدته توكيد ما صدر به وتفصيل ما في حيز
المتكلم من الاقسام فقد تذكر جميعا وقد يقتصر على واحد منها كما في قوله عز من قائل فاما الذين في قلوبهم زيغ الخ قال سيبويه اما زيد فذاهب
معناه مهما يكن من شئ فزيد ذاهب لا محالة وانما منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها ما حرف الشرط
فادخلوها الخبر وعوض المبتدأ عن الشرط فقط والمراد بالموصول فريق المؤمنين المعهودين كما ان المراد بالموصول الآتي فريق الكفرة لا من
يضرب المثل ومن يكفر به لاضلال المضل اي فاما المؤمنون فيعلمون انه الحق من ربهم كائنا ما ورد منه تعالى والحق هو الثابت
الذي يحق ثبوته لامحالة بحيث لا سبيل للعقل الى انكاره للاثبات مطلقا واللام للدلالة على انه مشهور له بالحقية وان له حكما
ومصالح ومن لابتداء الغاية المجازية وعاملها محذوف وقع حالا من الضمير المستكن في الحق او من الضمير العائد الى المثل او الاخبر
اي كائنا وصادرا من ربهم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لنشر نعمها والايذان بان ضرب المثل تربية لهم وارشاد
الى ما يوصلهم الى كمالهم اللائق بهم والجملة سادة مسد مفعولي يعلمون عند الجمهور وسد مفعولا الاول والثاني محذوف عند الاخفش
اي فيعلمون حقيته ثابتة فعلل الاكتفاء بحكاية علمهم المذكور عن حكاية اقرارهم بموجبه كما في قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون آمنا به
كل من عند ربنا للاشعار بقوة ما بينهما من التلازم مع ظهور الغنى عن الذكر واما الذين كفروا ممن حكيت اقوالهم واحوالهم فيقولون
ماذا اراد الله بهذا مثلا او يقولون على ما لا يعلمون صريحا بمقتضى ظاهر قرينة دلالة على كمال غلوهم وتمادي امرهم في العتو فان مجرد
عدم العلم بحقيته ليس بمثابة الانكار بما والاستهزاء به صريحا وتمهيد التعداد ما نئ عنهم في تضاعيف الجواب من الضلال والفسق
ونقض العهد وغير ذلك من شنائعهم المترتبة على قولهم المذكور على ان عدم العلم بحقيته لا يعم جميعهم فان منهم من يعلم بها وانما يقول
ما يقول مكابرة وعنادا وحمل على عدم الاذعان والقبول الشامل للجهل والعناد تعسف ظاهر جدا وقد قيل كان من حقه
واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على جهلهم عد اعلمه على سبيل الكناية ليكون
كالبرهان عليه فتامل وكن على الحق المبين وماذا اما مؤلفة من كلمة استفهام وقعت مبتدأ وخبرا وذا بمعنى الذي وصلته ما بعده
والعائد محذوف فالحسن ان يجيء جوابه مرفوعا واما منزلة منزلة اسم واحد بمعنى اي شئ فالاحسن في جوابه النصب في الارادة نزوع
النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها اليه والقوة التي هي مبدؤه والاول مع الفعل والثاني قبله وكلاهما مما لا يتصور في حقه تعالى
ولذلك اختلفوا في ارادته عز وجل فقيل ارادته تعالى لافعاله كونه غير ساد فيه ولا مكره لافعال غيره امرا بها فلا يكون المعاصي بارادته
تعالى وقيل هي علمه بما يشتمل الامر على النظام الاكمل والوجه الصالح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه عبارة عن ترجيح احد طرفي
المقدور على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او وقت يوجبه دون عدم من الاختيار فانه ترجيح مع تفضل وفي كلمة هذا تحقير للمثل بالاشارة اليه
واستذال له ومثلا نصب على التمييز او على الحال كما في قوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية وليس مرادهم بهذه العظيمة استفهام الحكمة في ضرب
المثل ولا القدح في اشتماله على الفائدة مع اقرارهم بصدوره عنه جل وعلا بل غرضهم التنبيه بادعاء انه من الدناءة والحقارة بحيث
لا يليق بان يتعلق به امر من الامور الداخلة تحت ارادته تعالى على استحالة ان يكون ضرب المثل من عنده سبحانه فقوله عز من قائل
يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب عن تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان انه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة هي كونه
ذريعة الى هداية المستعدين للهداية واضلال المنهمكين في الغواية فوضع الفعلان موضع الفعل الواقع في الاستفهام مبالغة
في الدلالة على تحققهما فان ارادتهما دون وقوعهما بالفعل وتحافيا عن نظم الاضلال مع الهداية في سلك الارادة لابهام

صفة حقيقة ج

تساويها

فما ويهما فى تعلقها وليس كذلك فان المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكر والاهتداء كما ينبئ عنه قوله تعالى وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون ونظائره واما الاضلال فهو امر عارض مترتب على سوء اختيارهم واوثر صيغة الاستقبال
ايذانا بالتجدد والاستمرار وقيل وضع الفعلان موضع مصدريهما كانه قيل اراد اضلال كثير وهداية كثير وقدم الاضلال
على الهداية مع تقدم حال المهتدين على حال الضالين فيما قبله ليكون اول ما يقرع اسماعهم من الجواب امرا فظيعا يسوءهم ويفت
فى اعضادهم وهو السر فى تخصيص هذه الفائدة بالذكر وقيل هو بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا
هدى وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل فريق انما هى بالنظر الى انفسهم لا بالقياس
الى مقابلهم فلا يقدح فى ذلك اقلية اهل الهدى بالنسبة الى اهل الضلال حسبما نطق به قوله تعالى وقليل من عبادى الشكور ونحو ذلك
واعتبار كثرتهم الذاتية دون قلتهم الاضافية لتكميل فائدة ضرب المثل وتكثيرها ويجوز ان يراد فى الاولين الكثرة من حيث العدد
وفى الآخرين من حيث الفضل والشرف كما فى قول من قال ان الكرام كثير فى البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد
الاضلال اى خلق الضلال اليه سبحانه مبنى على ان جميع الاشياء مخلوقة له تعالى وان كان افعال العباد من حيث الكسب مستندة
اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه التصريح بالسبب وقرئ يُضَل به كثيرٌ ويُهدى به كثيرٌ على البناء للمفعول
وتكريره مع جواز الاكتفاء بالاول لزيادة تقرير السببية وتكريرها وما يضل به اى بالمثل او بضربه الا الفاسقين
عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد بزيادة تعيين لمن اريد اضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له واشارة الى ان ذلك
ليس اضلالا ابتدائيا بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه وقرئ وما يضل به الا الفاسقون على البناء
للمفعول والفسق فى اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها والفارة من جحرها اى خرجت قال رؤبة يذهبن فى نجد وغورا
غائرا فواسقا عن قصدها جوائرا وفى الشريعة الخروج عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التى من جملتها الاصرار على الصغيرة
وله طبقات ثلث الاولى التغابى وهو ارتكابها احيانا مستقبحا لها والثانية الانهماك فى تعاطيها والثالثة المثابرة عليها مع
جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذى عليه يدور
الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الآية والمعتزلة لما ذهبوا الى ان الايمان عبارة عن مجموع التصديق
والاقرار والعمل والكفر عن تكذيب الحق وجحوده لم يتسن لهم ادخال الفاسق فى احدهما فجعلوه قسما بين قسمى المؤمن والكافر
لمشاركته كل واحد منهما فى بعض احكامه والمراد بالفاسقين العاتون الماردون فى الكفر الخارجون عن حدوده حتى حكى عنهم
ما حكى من انكار كلام الله تعالى والاستهزاء به وتخصيص الاضلال بهم مترتبا على صفة الفسق وما اجرى عليهم من القبائح للايذان
بان ذلك هو الذى اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال فان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل صرفت وجوه
انظارهم عن التدبر فى حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه وقالوا فيه ما قالوا
الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير ما هم عليه من الفسق والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية
كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله فى ابطال العهد من حيث استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط احد كلامى المتعاهدين بالآخر
فان شفع بالحبل واريد به العهد كان ترشيحا للمجاز وان قرن بالعهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وتنبيها على مكانه وان المذكور
قد استعير له كما يقال شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس تنبيها على انه اسد فى شجاعته وبحر فى افاضته والعهد الموثق
يقال عهد اليه كذا اذا وصاه به ووثقه عليه والمراد ههنا اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عبادة الا لله تعالى وتوحيده
ووحدته وصدق رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وبه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا الآية او المأخوذ
منه او المأخوذ من جهة الرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموه امره

عن الطريقة المستقيمة

اى الفسوق

الى الكبيرة

وذكروه في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا حكمه كما ينبئ عنه قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا تكتمونه وقيل عهود الله تعالى ثلثة الاول ما اخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بان يقروا على بوبيته والثاني ما اخذه
على الانبياء عليهم السلام بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه
الميثاق اسم لما يقع به الوثاقة والاحكام وأما مصدر بمعنى الوثيقة كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الاول ان رجع الضمير الى العهد
كان المراد بالميثاق ما وثقوه به من القبول والالتزام وان رجع الى لفظ الجلالة يراد به اياته وكتبه وانذار رسله عليهم السلام والمضاف
محذوف على الوجهين اى من بعد تحقق ميثاقه وعلى الثاني ان رجع الضمير الى العهد والميثاق مصدر من المبنى للفاعل فالمعنى من بعد ان وثقوه
بالقبول والالتزام او من بعد ان وثقهم الله عز وجل بانزال الكتب وانذار الرسل وان كان مصدرا من المبنى للمفعول فالمعنى من بعد كونه موثقا
اياهم بتوثيقهم اياه بالقبول واما بتوثيقه تعالى اياه بانزال الكتب وانذار الرسل ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل طبيعة
لا يرضى بها الله سبحانه كقطع الرحم وموالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء والمرسلين والكفر بالتصديق وترك الجملة المؤكدة
وسائر ما فيه رفض خير او تعاطى شر فانه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل
وصل وفصل وامر هو القول الطالب للفعل مع العلو وقيل بالاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول
بالمصدر فانه مما يؤمر به كما يقال لشان وهو القصد والطلب لما انه اثر الشان وكذا يقال لشيء وهو مصدر شاء لما انه
اثر المشية ومحل ان يوصل اما النصب على انه بدل من الموصول او من ضميره والثاني اولى لفظا او معنى ويفسدون في الارض
بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه اولئك اشارة الى الفاسقين
باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القبيحة وقيل ايذان بانهم متميزون بها الكل تميز ومنتظمون بسبب ذلك في سلك الامور
المحسوسة وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الفساد هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص
ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات بالايمان بها والتامل في حقائقها والاقتباس من انوارها
واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والتفريق بالصلة والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله التفات
الى خطاب المذكورين مبني على ايراث ما عدد من قبائحهم السابقة لتزايد السخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ والتقريع والانكار
انكار ان لا يعني انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون عهد عند الله وعند رسوله الا يعني انكار الوقوع واستبعاده والتعجب منه
وفيه المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الكفر بان يقال اتكفرون لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من
الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على التطريق البرهاني وقوله عز وعلا وكنتم امواتا الى آخر الآية
حال من ضمير الخطاب في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد لما عدد فيها من الشؤن العظيمة الداعية الى الايمان الرادعة عن الكفر
من حيث كونها نعمة عامة ومن حيث دلالتها على قدرة تامة كقوله تعالى وقد خلقكم اطوارا وكيف منصوبة على التشبيه بالظرف
عند سيبويه وبالحال عند الاخفش اى في اى حال او على اى حال تكفرون به تعالى والحال انكم كنتم امواتا اى اجسادا مائية او حيوانا
عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة والاموات جمع ميت كقوال جمع قيل واطلاقها على تلك الاجسام باعتبار عدم
الحيوة مطلقا كما في قوله تعالى بلدة ميتا وقوله تعالى وآية لهم الارض الميتة فاحياكم بنفخ الارواح فيكم والفاء للدلالة
على التعقيب فان الاحياء حاصل اثر كونهم امواتا وان توارد عليهم في تلك الحالة اطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض
كما اشير اليه آنفا ثم يميتكم اى عند انقضاء آجالكم وكون الاماتة من دلائل القدرة ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة
الى الحيوة الثانية التي هي الحيوان والنعمة العظمى والتراخي المستفاد من كلمة ثم بالنسبة الى زمان الاحياء دون زمان الحيوة
فان زمان الاماتة غير متراخ عنه ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور او السؤال في القبور وأيا ما كان فهو متراخ

من زمان الامانة وان كان اثر زمان الموت المستتم ثم اليه ترجعون بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر
واليه تنشرون من قبوركم للحساب وعن الافعال وان كان بعضها ماضيا وبعضها مستقبلا لا يستثنى مقارنة شئ منها لما هو حال منه
فى الزمان بل الحاق الحقيقة هو العلم المتعلق بها كائنة قيل كيف تكفرون بالله وانتم عالمون بهذه الاحوال البالغة منه وما التعجب
من وقوعه مع تحقق ما ينفيه وانما نظم ما ينكرونه من الاحياء الاخير والرجع فى سلك ما يعترفون به من الاحياء الاول والاماتة
تنزيلا لتمكنهم من العلم لما عاينوه من الدلائل القاطعة منزلة العلم بذلك بالفعل فى ازاحة العلل والاعذار والكفر حقيقة
فى القوة الحاسة او باقتضيها وبهما سمى الحيوان حيوانا حيا وفى القوة النامية لكونها من طلائعها وكذا فيما يخص الانسان من العقل
والعلم والايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت بازائها انما تطلق على ما يقابل كلا من تلك المراتب قال الله تعالى قل الله
يحييكم ثم يميتكم وقال الله تعالى اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها وقال الله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى
به فى الناس او عند وصفه تعالى بها يراد به صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته تعالى
مقتض لذلك وقرئ ترجعون بفتح التاء والاول اوفق بالمقام هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا تقرير للانكار وتاكيد له
من الجهتين المذكورتين غير سبك ما قبله مع اتحاد مدلوليهما فى المقصود بانه لما بينهما من التفاوت فان ما يتعلق بذواتهم من الاحياء
والاماتة والحشر ادخل فى الحث على الايمان والكف من الكفر مما يتعلق بمعائشهم وما يجرى مجراها وفى جعل الضمير مبتدأ والموصول خبرا من الدلالة
على الجلالة ما لا يخفى وتقديم الظرف على المفعول للتشويق الى تعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وللتشويق اليه كما سلف فى خلق لاجلكم
جميع ما فى الارض من الموجودات لتنتفعوا بها فى امور دنياكم بالذات او بالواسطة وامور دينكم بالاستدلال بها على شئون الصانع تعالى
والاستشهاد بكل واحد منها على ما يليائم من الذات الآخرة والآلهية وما يعم جميع ما فى الارض لانفسها الا ان يراد بها جهة السفل
كما يراد بالسماء جهة العلو يعم كل جزء من اجزائها فانه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء فى الكل وجميعا حال من الموصول الثانى
مؤكدة لما فيه من العموم فانه كل فرد من افراد ما فى الارض بل كل جزء من اجزاء العالم لا مدخل فى استمراره على ما هو عليه من النظام اللائق
الذى عليه يدور انتظام مصالح الناس اما من جهة المعاش فظاهر واما من جهة الدين فلما انه ليس فى العالم شئ مما يتعلق به
النظر وما لا يتعلق به الا وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما فى قوله تعالى رب العالمين وان لم يستدل عليه بالعقل ثم
استوى الى السماء اى قصد اليها بارادته ومشيته قصدا سويا بلا صارف ربوبية ولا عاطف يثنيه من ارادة خلق شئ آخر
فى تضاعيف خلقها او غير ذلك ماخوذ من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر ههنا اما لعدم تحققه فى خلق السفليات
لما روى من تخلل خلق السموات بين خلق الارض ودحوها عن الحسن رضى الله عنه خلق الله تعالى الارض فى موضع بيت المقدس
كهيئة الفهر عليها دخان يلزق برياح ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى
كانتا رتقا ففتقناهما واما للاظهار كمال العناية بامر العلويات وقيل استوى استولى وملك والاول هو الاظهر وكلمة
ثم للايذان بما فيه من المزية والفضل على خلق السفليات لا للتراخى الزمانى فان تقدمه على خلق ما فى الارض المتاخر عن دحوها
مما لا مزيد عليه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها وما روى عن الحسن رضى الله عنه والمراد بالسماء اما الاجرام العلوية فان القصد اليها
بالارادة لا يستدعى سابقة الوجود واما جهات العلو فسواهن اى اتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج
والفطور لانه تعالى سواهن بعد ان لم يكن كذلك ولا يخفى ما فى مقارنة التسوية والاستواء من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان التفاوت
فيهن بالنمو والذبول كما فى السفليات والضمير على الوجه الاول للسماء فانها فى معنى الجنس وقيل هى جمع سماءة او سماوة على الوجه
الثانى مبهم يفسره قوله تعالى سبع سموات كما فى قولهم ربته رجلا وهو على الوجه الاول بدل من الضمير وتاخير ذكر هذا الصنع
البديع عن ذكر خلق ما فى الارض مع كونه اقوى منه فى الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما ان المنافع المنوطة

بلغ الاستماع
سعدی

بارة الارض اكثر • وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر • وان كان في ابداع العلويات ايضا من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يخفى هذا ما قالوا وسيأتي في تحقيق السجدة مزيد تحقيق وتفصيل باذن الله تعالى • وهو بكل شيء عليم اغراض تذييلية مقررة لما قبله من خلق السموات والارض وما فيهما على هذا النمط البديع المنطوي على الحكم الفائقة • والمصالح الرائقة • فان علمه عز وجل بجميع الاشياء ظاهرها وباطنها بارزها وكامنها ومايليق بكل واحد منها يستدعي ان يخلق كل ما يخلق على الوجه الرائق وقرئ وهو سيكون العار تشبيها له بعضد • واذ قال ربك بيان لامر آخر من جنس الامور المتقدمة المؤكدة للانكار والاستبعاد فان خلق آدم عليه السلام وما خصه به من الكرامات السنية المحكية من اجل النعم الداعية لذريته الى الشكر والايمان • الناهية عن الكفر والعصيان • وتقرير المضمون ما قبله من قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا • وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع وتلوين الخطاب بتوجيهه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة للايذان بان محوى الكلام ليس مما يهتدى اليه بادنى العقل كالامور الشاهدة التي نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل انما طريقه الوحي الخاص به عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من الانباء عن تشريفه عليه السلام ما لا يخفى وانما ظرف موضوع لزمان نسبة ماضية وقع فيه نسبة اخرى كما ان اذا موضوع لزمان نسبة مستقبلة تقع فيه اخرى مثلها ولذلك يجب اضافتها الى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله في قوله عز وجل واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد • وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها بما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني • ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا • وقيل ليس انتصابه على المفعولية بل على تاويل اذكر الحادث فيه بحذف المظروف واقامة الظرف مقامه • وانما كان وهو معطوف على مضمر آخر يسبب عليه الكلام كانه قيل لاعلمه السلام غبا اوحي اليه ما خوطب به الكفرة من الوحي الناطق بتفاصيل الامور الثابتة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم في ذلك واذكر لهم حق النعمة ليتنبهوا بذلك لبطلان ما هم فيه ويتنهوا عنه • واما قيل من ان المقدر هو اشكر النعمة في خلق السموات والارض او تدبر ذلك فغير سديد ضرورة ان مقتضى المقام تذكير المخاطبين بواجب الشكر وتنبيههم على ما يقتضيه واين من مقامه الجليل عليه السلام وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا وبابائه انه يقتضي ان يكون هو المقصود بالذات دون سائر القصة • وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ولا يخفى بعده • وقيل بمضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدا طفقكم اذ قال الخ ولا ريب في انه لا فائدة في تقييد بدء الخلق بذلك الوقت • وقيل بخلقكم او باصابكم مضمرا وفيه ما فيه • وقيل اذ زائدة ويقوى ذلك الى ابي عبيدة ومعمر • وقيل انه بمعنى قد واللام في قوله عز قائلا للملائكة للتبليغ وتقديم الجار والمجرور من هذا النبأ مطرد لما في المفعول غالبا مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر كما مر مرارا والملائكة جمع ملك باعتبار اصله الذي هو ملاك على ان الهمزة مزيدة كالشمائل جمع شمال • والتاء للتاكيد كما في الجماعة والشقاوة او ملك لما فيه من معنى الشدة والقوة • وقيل على انه مقلوب من مالك من الالوكة • وهي الرسالة او ارسل على انه مصدر بمعنى المفعول فانهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسله عز وجل او بمنزلة رسله عليهم السلام واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المتكلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك عليهم السلام وذهب الحكماء الى انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وانها اكثر عددا منها واقوى • واكثر عملا تجري منها مجرى الشمس من الاضواء منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم الله عز وجل بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض صاعدا وهابطا على ما قدر وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية

فمنهم

ومنهم ارضية وقالت طائفة من النصارى هى النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وتقدم شرح كفرهم انه عليه السلام اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروى ان بنى آدم عشر الجن وهم عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض الموكلين وهؤلاء كلهم عشر ملائكة سماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم كل اولئك فى مقابلة ملائكة الكرسى نذر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش التى عدد دونها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم ايهم رجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء فى مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالنقطة فى البحر ثم ملائكة اللوح الذين بهم جنود جبرئيل عم لا يحصى احصاءهم ولا مدة اعمارهم ولا كنيات عبادتهم الا بارئهم العليم الخبير على ما قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وروى انه عليه السلام حين عرج به الى السماء راى ملائكة فى موضع بمنزلة شرف يمشى بعضهم تجاه بعض فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى اين يذهبون فقال جبرئيل عليه السلام لا ادرى غير ان الله عز وجل يخلق فى كل اربعمائة الف كوكبا وقد خلق منذ خلقنى اربعمائة الف كوكب فسبحانه من آله ما اعظم قدره وما اوسع ملكوته واختلف فى الملئكة الذين قيل لهم ما قيل فقيل هم ملائكة الارض وروى الضحاك عن ابن عباس رضه انهم الخازنون مع ابليس حين بعثه عز وجل لمحاربة الجن حيث كانوا سكان الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فقتلوهم الا قليلا فدفعوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال وسكنوا الارض وخفف الله تعالى عنهم العبادة واعطى ابليس ملك السماء الدنيا وخزانة الجنة فكان يعبد الله تارة فى الارض وتارة فى السماء وتارة فى الجنة فاخذه العجب فكان من امره ما كان وقال اكثر الصحابة والتابعين انهم كل الملائكة لعموم اللفظ وعدم المخصص وقوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة فى جيز النصب على انه مفعول قال وصيغة الفاعل بمعنى المستقبل وانذاك عملت عمله وفيها ما لبس فى صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل ذلك لا محالة وهى بمعنى الجعل بمعنى التصيير المتعدى الى مفعولين فقيل اولهما خليفة وثانيهما الظرف المقدم على ما هو مقتضى الصناعة فان مفعولى التصيير فى الحقيقة اسم صار وخبرا اولهما الاول وثانيهما الثانى وهما مبتدا وخبر والاصل فى الارض خليفة ثم قيل صار فى الارض خليفة ثم صير فى الارض خليفة فمعناه بعد التنبا واللتيا انى جاعل خليفة من الخلائف او خليفة بعينه كائنا فى الارض فان خبر صار فى الحقيقة هو الكون المقدر العامل فى الظرف ولا ريب فى ان ذلك ليس مما يقتضيه المقام اصلا وانما الذى يقتضيه هو الاخبار بجعل آدم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملئكة فاذن قوله تعالى خليفة مفعول ثان والظرف متعلق بجاعل قدم على المفعول التفريح لما قد من التشويق الى ما أخر او بمحذوف وقع حالا مما بعده لكونه نكرة واما المفعول الاول فمحذوف تعويلا على القرينة الدالة عليه كما فى قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قياما حذف فيه المفعول الاول وهو ضمير الاموال لدلالة يمجلون عليه اى الكائن بين ايمجلهم هو خيرا لهم ولا ريب فى تحقق القرينة ههنا اما ان حمل على الحذف منه وقوع المحكى قبل واضحة لوقوعه فى اثناء ذكره عليه السلام على ما سنفصله كما نه قيل انى خالق بشرا من طين وجاعل فى الارض خليفة واما ان حمل على انه لم يحذف هناك بل قيل مثلا وجاعل اياه خليفة فى الارض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ما ذكر من جواب الملئكة عليهم السلام وقال العلامة الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملئكة انى خالق بشرا من طين ان قلت كيف يصح ان يقول لهم بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهد وا به قلت وجهه ان يكون قد قال لهم انى خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى فحيث جاز الاكتفاء عند الحكاية عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه فما ظنك بما كان فيه ومعه قرينة ظاهرة ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدى الى مفعول واحد هو خليفة وحال الظرف

في التعلق والتقديم كما قرر فيما لا يكون ما سيأتي من كلام الملئكة مترتبا عليه بالذات بل بالواسطة فانه روى انه تعالى لما قال لهم
اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال الله يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون
ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ما قالوا او الخليفة من يخلف غيره وينوب منابه فعيل بمعنى الفاعل والتاء للمبالغة والمراد به
اما آدم عليه السلام وبنوه والتاء اقتصر عليه استغناء بتذكيره عن ذكر القبيلة بتذكيرها كمضر وهاشم ومنه الخلافة
في قريش واما من يخلف او خلف يخلف فيقع عليه السلام وغيره من خلفاء ذريته والمراد بالخلافة اما الخلافة من جهته سبحانه
في اجراء احكامه وتنفيذ اوامره بين الناس وسياسة الخلق لكن لا لحاجة به تعالى الى ذلك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم
وعدم لياقتهم لقبول الفيض بالذات فيختص بالخواص من بنيه واما الخلافة ممن كان في الارض قبل ذلك فيعم حينئذ الجميع قالوا
استئناف وقع جوابا عما يساق اليه الاذهان كأنه قيل ماذا قالت الملئكة حينئذ فقيل قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
وهو ايضا من الجعل المتعدي الى اثنين فقيل فيهما ما قيل في الاول وان الظاهر ان الاول كلمة من وان في محذوف ثقة بما ذكر
في الكلام السابق كما حذف الاول تعويلا على ما ذكر ههنا قال قائلهم لا تخلنا على غرائك انا كالرماة قد وشى بنى الاعداء فحذف
المفعول الثاني اي لا تخلنا حاز عين على اغرائك والمعنى اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الاول متعلق بيجعل
وتقديمه لما حقه التأخير اما الثاني بيفسد وفائدته تأكيد الاستبعاد لما ان في استخلاف المفسد في محل افساده من البعد ليس
في استخلافه في غيره هذا وقد جوز كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو كلمة من وانت خبير بان مدار
تعجبهم ليس خلق من يفسد في الارض كيف لا وان ما يعقبه من الجملة الحالية الناطقة بدعوى احقيتهم منه يقتضي
ببطلانه ضمنا اذ لا صحة لدعوى الاحقية منه بالخلق وهم مخلوقون بل مداره ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها
باجراء احكام الله تعالى واوامره او يستخلف مكان المطيعين على الطاعة من شان بني نوعه الافساد وسفك الدماء
وهو عليه السلام وان كان منزها عن ذلك الا ان استخلافه مستتبع لاستخلاف ذريته التي لا تخلو عنه غالبا وانما اظهروا
تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم من الحكم التي برزت على تلك المفاسد والفتها واستخبارا عما يزيح شبهتهم ويرشدهم
الى معرفة ما فيه عليه السلام من الفضائل التي جعلته اهلا لذلك كسؤال المتعلم عما سمح في ذهنه لا اعتراضا على فعل الله سبحانه
ولا شكا في اشتماله على الحكمة والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه عليه السلام ولا في ذريته على وجه الغيبة فان منصبهم اجل من ان يظن
بهم امثال ذلك قال الله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ما قالوا اما بالحاق بر
عن الله تعالى حسبما نقل من قبل او بلوح من اللوح او باستنباط عما ارتكز في عقولهم من اختصاص العصمة بهم او بقياس
لاحد الثقلين على الآخر ويسفك الدماء السفك والسفح والسكب والسبك انواع من الصب والاول مختصان
بالدم بل لا يستعمل اولهما الا في الدم المحرم اي تسيل النفوس المحرمة بغير حق والتعبير عنه بسفك الدماء لما انه اقبح انواع
القتل وافظعه وقرئ يسفك بضم الفاء ويسفك من اسفك وقرئ بسفك على البناء للمفعول وحذف
الراجع الى من موصولة او موصوفة اي يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك جملة حالية مقررة
للتعجب السابق ومؤكدة له على طريقة قول من يجد في خدمة مولاه وهو يأمر غيره استخدم العصاة وانا مجتهد فيها
كأنه قيل استخدم من من شان ذريته الفساد مع وجود من ليس من شانه ذلك اصلا والمقصود عرض احقيتهم منهم
بالخلافة واستغفارهم عما رحمهم عليهم مع ما هو متوقع منهم من الموانع لا العجب والتفاخر فكأنهم شعروا بما فيهم من القوة الشهوية
التي رذيلتها الافراطية الفساد في الارض والقوة الغضبية التي رذيلتها الافراطية سفك الدماء فقالوا ولما كانوا ذاهلين
عما اذا نحتهما القوة العقلية ورسمها على الخير يحصل بذلك من علو الرتبة ما يقصر عن بلوغ رتبة القوة العقلية عند انفرادها

ف

فی افعالها کالاحاطة بتفاصیل احوال الجزئیات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الکائنات من القوة الی الفعل وغیر ذلک
مما نیط به امر الخلافة والتسبیح تنزیه الله تعالی وتبعیده اعتقادا او قولا او عملا عما لا یلیق بجنابه سبحانه من سبح فی الارض
والماء اذا ابعد فیهما وامعن ومنه فرس سبوح ای واسع الجری وکذلک تقدیسه تعالی من قدس فی الارض اذا ذهب فیها
وابعد ویقال قدسه ای طهره فان مطهر الشیء مبعده عن الاقذار والباء فی بحمدک متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمیر ای ننزهک
عن کل ما لا یلیق بشانک ملتبسین بحمدک علی ما انعمت به علینا من فنون النعم التی من جملتها توفیقنا لهذه العبادة فالتسبیح لاظهار
صفات الجلال والحمد لتذکیر صفات الانعام واللام فی لک اما مزیدة والمعنی نقدسک واما صلة للفعل کما فی سجدت لله واما للبیان
کما فی سقیا لک فیکون متعلقة بمحذوف ای نقدس تقدیسا لک ای نصفک بما یلیق بک من العلو والعزة وننزهک
عما لا یلیق بک وقیل المعنی نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلک کانهم قابلوا الفساد الذی اعظمه الاشراک بالتسبیح وسفک
الدماء الذی هو تلویث النفس باقبح الجرائم بتطهیر النفس عن الآثام لا تمدحا بذلک ولا اظهارا للمنة بل بیانا للواقع
قال استئناف لما سبق انی اعلم ما لا تعلمون لیس المراد بیان انه تعالی یعلم ما لا یعلمونه من الاشیاء کائنا ما کان
فان ذلک مما لا شبهة لهم حتی یغفلوا الی التنبیه علیه لا سیما بطریق التوکید بل بیان ان فیه علیه السلام معانی مستدعیة لاستخلافه
اذ هو الذی خفی علیهم وبنوا علیه ما بنوا من التعجب والاستبعاد فما موصولة او موصوفة عبارة عن تلک المعانی والمعنی انی اعلم
ما لا تعلمون من دواعی الخلافة فیه وانما لم یقتصر علی بیان تحققها فیه علیه السلام بان قیل مثلا ان فیه ما یقتضیه من غیر تعرض لاحاطته
تعالی وغفلتهم عنه تفخیما لشانه وایذانا بابتناء امره تعالی علی العلم الرصین والحکمة المتقنة وصدور قولهم عن الغفلة
وقیل معناه انی اعلم من المصالح فی استخلافه ما هو خفی علیکم وان هذا ارشاد للملائکة الی العلم بان افعاله تعالی کلها حسنة
وحکمة وان خفی علیهم وجه الحسن والحکمة وانت خبیر بانه مشعر بکونهم غیر عالمین بذلک من قبل وبکون تعجبهم مبنیا علی تردد
فی اشتمال هذا الفعل لحکمة ما وذلک مما لا یلیق بشانهم فانهم عالمون بان ذلک متضمن لحکمة ما ولکنهم مترددون فی انها
ماذا هل امر راجع الی محض حکم الله عز وجل او الی فضیلة من جهة المستخلف فبین سبحانه وتعالی لهم اولا علی وجه الاجمال
والابهام ان فیه فضائل غائبة عنهم استشرفوا الیها ثم ابرز لهم طرفا منها لیعاینوه جهرة ویظهر لهم بدیع صنعه وحکمته
ویزول شبهتهم بالکلیة وعلم آدم الاسماء کلها شروع فی تفصیل ما جری بعد الجواب الاجمالی تحقیقا لمضمونه
وتفسیرا لابهامه وهو عطف علی قال والابتداء بحکایة التعلیم یدل بظاهره علی ان ما مر من المقاولة المحکیة انما جرت بعد
خلقه علیه السلام بمحضر منه وهو الانسب بوقوف الملائکة علی احواله علیه السلام بان قیل اثر نفخ الروح فیه انی جاعل ایاه خلیفة
فقیل ما قیل کما اشیر الیه وایراده علیه السلام باسمه العلمی لزیادة تعیین المراد بالخلیفة ولان ذکره بعنوان الخلافة لا یلائم
مقام تمهید مبادیها وهو اسم اعجمی والاقرب ان وزنه فاعل کشالخ وعابر وفالغ ولا افعل والتصدی لاشتقاقه
من الادمة او الادمة بالفتح بمعنی الاسوة او من ادیم وجه الارض بناء علی ما روی عنه علیه السلام من انه تعالی قبض قبضة
من جمیع الارض سهلها وحزنها فخلق منها ولذلک اختلفت الوان ذریته او من الادم والادمة بمعنی الالفة تعسف
کاشتقاق ادریس من الدرس ویعقوب من العقب وابلیس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما یکون علامة للشیء
ودلیلا یرفعه الی الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا فی اللفظ الموضوع لمعنی مفردا کان او مرکبا مخبرا عنه
او خبرا او رابطة بینهما واصطلاحا فی المفرد الدال علی معنی فی نفسه غیر مقترن بالزمان والمراد ههنا اما الاول او الثانی
وهو مستلزم للاول اذ العلم بالالفاظ من حیث الدلالة علی المعنی مسبوق بالعلم بها والتعلیم حقیقة عبارة عن فعل یترتب علیه
العلم بلا تخلف عنه ولا یحصل ذلک بمجرد افاضة المعلم بل یتوقف علی استعداد المتعلم لقبول الفیض وتلقیه من جهته کما فی خیر الهدی

ملائکة بنیة نوری قوته نیک و دیگر ... بیان الفساد و ...
... الصلاح
... بحقیقه ...
... علم
... بالفضیلة
... الا ...
وعلم آدم الاسماء
قطب

وهو السر في إشاره عن الاعلام والانباء فانهما انما يتوقفان على سماع الخبر الذي يشترك فيه البشر والملك وبظهر احقيته
بالخلافة منهم عليهم السلام لما ان جبلتهم غير مستعدة للاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات الجسمانية خرافة على تعالى اياه
ان يخلق فيه اذ ذاك بموجب استعداده علما ضروريا تفصيليا باسماء جميع المسميات واحوالها وخواصها اللائقة بكل منها او يلقي
في روعه تفضلا ان هذا فرس وشانه كيت وكيت وذاك بعير وحاله ذيت وذيت الى غير ذلك من احوال الموجودات فتلقاها عليه السلام
حسبما يقتضيه استعداده وبستدعيه قابليته المتنزعة على فطرته المنطوية على طبائع متباينة • وقوى متخالفة • وغايات متغايرة •
وعن ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير رضي الله تعالى عنهم علمه اسماء جميع الاشياء حتى القصعة والقصيعة وحتى
الحمة والمحلب والحي منفعة كل شئ الى جنبه وقيل اسماء ما كان وما سيكون الى يوم القيمة وقيل معنى قوله تعالى وعلم آدم
الاسماء خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات
والهمه معرفة ذوات الاشياء واسمائها وخواصها ومعارفها واصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل آلاتها وكيفيات استعمالاتها
فيكون ما قدر من المقاولة قبل خلقه عليه السلام وقبل التعليم على ظاهره ولكن هناك جملا منطوية عليها المذكور اي فخلقه فسويه
ونفخ فيه الروح وعلمه الخ ثم عرضهم على الملائكة الضمير للمسميات المدلول عليها بالاسماء كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا
والتذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهن وعرضها اي عرض مسمياتها او مسمياتهن في الحديث انه تعالى عرضهم امثال الذر
ولعل عز وجل عرض عليهم من افراد كل نوع ما يصلح ان يكون انموذجا يتعرف منه احوال البقية واحكامها فقال انبئوني باسماء
هؤلاء تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم عن اقامة ما علقوا به رجاءهم من امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة من غير
وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل منهما
والمراد ههنا ما خلا عنه وانباره على الاخبار للايذان برفعة شان الاسماء وعظم خطرها فان النبأ يطلق على الخبر الخطير
والامر العظيم ان كنتم صادقين اي في زعمكم انكم احقاء بالخلافة ممن استخلفه كما ينبئ عنه مقالكم والتصديق كما يتعرف
لى الكلام باعتبار منطوقه قد يتعرف اليه باعتبار ما يلزمه من الاخبار فان ادنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على اسماء ذي الامر
واما قيل من ان المعنى في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء فليس مما يقتضيه المقام وان قل ان يغالب
في زعمكم اني استخلف من غالب امره الافساد وسفك الدماء من غير ان يكون له فرية من جهة اخرى اذ لا تعلق لامرهم
بالانباء وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه قالوا استئناف وقع موقع الجواب كانه قيل فماذا قالوا لما
هل خرجوا عن عهدة ما كلفوه او لا قيل قالوا سبحانك هو علم للتسبيح ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد جاء غير مضاف
على الشذوذ غير منصرف للتعريف والالف والنون المزيدتين كما في قولهم سبحان من علقمة الفاخر واما في قوله سبحانه ثم سبحانا
يعود له فقد قيل صرفه للضرورة وقيل لانه مصدر منكر كغفران لا اسم مصدر ومعناه على الاول نسبحك عما لا يليق بشانك
الاقدس من الامور التي من جملتها خلو افعالك من الحكم والمصالح وعلى الثاني ننزهك عن ذلك تنزيها ناشئا عن كمال طمانينة النفس وايقان
باشتمال استخلاف آدم عليه السلام على الحكم البالغة وعلى الثاني تنزهت عن ذلك تنزيها ناشئا عن ذاتك وارادوا به انهم قالوه
عن اذعان لما علموا اجمالا بانه عليه السلام يكلف ما كلفوه وانه يقدر على ما قد عجزوا عنه مما يتوقف عليه الخلافة وقولهم لا
لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه اذ معناه لا علم لنا الا ما علمتنا بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة
لعالمنا ولا قدرة بنا على ما هو خارج عنا واثرية استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لافضنا علينا وما في ما علمتنا موصولة
حذف من صلتها عائدها او مصدرية ولقد نبهوا عنهم العلم بالاسماء على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على بيان عدمه بان قالوا
مثلا لا علم لنا بها بل جعلوه من جملة ما لا يعلمونه واشعروا بان كونه من الجملة غني عن البيان انك انت العليم الذي

يقال رجل خطيه
اي له قدر
اخرى

لا يخفى عليه خافية وهذا اشارة الى تحقيقهم لقوله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون الحكيم اى المحكم لمصنوعاته الفاعل لها حسبما تقتضيه
الحكمة والمصلحة وهو خبر بعد خبر او صفة للاول وانت ضمير الفصل لا محل لها من الاعراب او له محل منه مشارك لما قبله كما قاله الفراء
او لما بعده كما قاله الكسائى وقيل تأكيد للكاف كما فى قولك مررت بك انت وقيل مبتدأ خبره ما بعده وتلك الجملة تعليل لما سبق
من قصر علمهم بما علمهم تعالى وما يفهم من ذلك من علم آدم عليه السلام بما خفى عليهم فكأنهم قالوا انت العالم بكل المعلومات التى من جملتها
استعداد آدم عليه السلام لما نحن بمعزل من الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما فى الارض من انواع المخلوقات التى عليها يدور
فلك الخلافة والحكيم الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة ومن جملته تعليم آدم عليه السلام ما هو قابل له من العلوم الكلية والمعارف
الجزئية المتعلقة بالاحكام الواردة على ما فى الارض وبناء امر الخلافة عليها قال استئناف كما سلف يا آدم انبئهم
اى اعلمهم آثر على انبئنى كما وقع فى امر الملائكة مع حصول المراد معه ايضا وهو ظهور فضل آدم عليه السلام ابانة لما بين الامرين
من التفاوت الجلى وايذانا بان علمه عليه السلام بها امر واضح غير محتاج الى ما يجرى مجرى الامتحان وانه عليه السلام حقيق بان يعلمها
غيره وقرئ بقلب الهمزة ياء وبحذفها ايضا والهاء مكسورة فيهما باسمائهم التى عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ
مرتبتها فلما انبأهم باسمائهم الفاء فصيحة عاطفة للجملة الشرطية على محذوف يقتضيه المقام وينسحب اليه الكلام للايذان بتقرره
وغناه عن الذكر والاشعار بتحققه فى اسرع ما يكون كما فى قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله سبحانه انا آتيك به قبل
ان يرتد اليك طرفك واظهار الاسماء فى موضع الاضمار لاظهار كمال العناية بشأنها والايذان بانه عليه السلام انبأهم بها على وجه
التفصيل دون الاجمال والمعنى فانبأهم باسمائهم مفصلة وبين لهم احوال كل منهم وخواصه واحكامه المتعلقة بالمعاش والمعاد
فعلموا ذلك لما رأوا انه عليه السلام لم يتلعثم فى شئ من التفاصيل التى ذكرها مع مساعدة ما بين الاسماء والمسميات من المناسبات
والمشاكلات وغير ذلك من القرائن الموجبة لصدق مقالاته عليه السلام فلما انبأهم بذلك قال عز وجل توبيخا لهم من الجواب
الاجمالى واستحضارا له الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض لكن لا لتقرير نفسه كما فى قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا
ونظائره بل لتقرير ما يفيده من تحقق دواعى الخلافة فى آدم لظهور مصداقه وايراد ما لا يعلمون بعنوان الغيب مضافا الى السموات
والارض للمبالغة فى بيان كمال شمول علمه وغاية سعته مع الايذان بان ما ظهر من عجزهم وعلم آدم عليه السلام من الامور المتعلقة باهل
السموات والارض وهذا دليل واضح على ان المراد بما لا تعلمون فيما سبق ما اشير اليه هناك كأنه قيل الم اقل لكم انى اعلم فيه من دواعى الخلافة
ما لا تعلمونه فيها هو هذا الذى عاينتموه وقوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون عطف على جملة الم اقل لكم لا على اعلم اذ هو غير
داخل تحت القول وما فى الموضعين موصولة حذف عائدها اى اعلم ما تبدونه وما تكتمونه وتغيير الاسلوب للايذان باستمرار كتمهم
قيل المراد بما تبدون قولهم اتجعل الخ وبما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وروى
انه تعالى لما خلق آدم عليه السلام رأت الملائكة فطرته العجيبة وقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا اكرم عليه منا وقيل
هو ما اسره ابليس فى نفسه من الكبر وترك السجود فاسناد الكتمان الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد من بينهم
ففى الآية الكريمة دلالة على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وان ذلك هو المناط للخلافة وان التعليم
يصح اطلاقه على الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف به وان اللغات توقيفية اذ الاسماء تدل
على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر فى القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعى سابقة وضع وما هو الا من الله تعالى
وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لزم التكرار وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك فى الطبقة
العليا منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم عليه السلام افضل من هؤلاء الملائكة عليهم السلام لانه اعلم منهم
وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة عطف على الظرف الاول منصوب بالناصب من المضمر او بناصب مستقل معطوف

ثم الازالة التى يجب الى ما وقفت عليها منه

نعم يعتبر الوصل فيما اذا كانت فيه ثانى وقال الخليل يحمل عليه بنفره صح

اى معاذ الله ان نسلم ما قيل [illegible] واراد به الجزء منه

حيث قالوا ايجعل [illegible] لديهم بالفعل منه

على ناصبه عطف القصة على القصة اى واذكر وقت قولنا لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام اى اطاعوا وقت قولنا الخ وقد عرفت
ما في امثاله وتخصيص هذا القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر ايراده على منهاج ما قبله من الاقوال المحكية المتصلة به للايذان
بان ما في حيزه نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر والتذكر على حيالها والالتفات الى التكلم لاظهار الجلالة وتربية المهابة
مع ما فيه من تاكيد الاستقلال وكذا اظهار الملائكة في موقع الاضمار والكلام في اللام وتقديمها مع مجرورها على المفعول كما مر
وقرئ بضم تاء الملائكة اتباعا لضم الجيم في قوله تعالى اسجدوا لآدم كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالى الحمد لله اتباعا لكسر اللام
وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة الخضوع والتطامن وفي الشرع وضع الجبهة على الارض على قصد العبادة فقيل امروا عليهم السلام
بالسجود على وجه التحية والتكرمة تعظيما له واعترافا بفضله واداء لحق التعليم واعتذارا عما وقع منهم في شانه وقيل امروا بالسجود
له تعالى وانما كان آدم قبلة لسجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه فكانه تعالى لما براه انموذجا للمبدعات كلها ونسخة منطوية
على تعلق العالم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما على نمط بديع امرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من عظيم قدرته فاللام فيه
كما في قول حسان رضي الله تعالى عنه اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تعالى اقم الصلوة
لدلوك الشمس والاول هو الاظهر وقوله عز وجل فسجدوا عطف على قلنا والفاء لافادة مسارعتهم الى الامتثال وعدم
تلعثمهم في ذلك وروي عن وهب ان اول من سجد جبرائيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عليهم السلام
وقوله تعالى الا ابليس استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه
في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
وهو منهم او لان الجن ايضا كانوا مامورين بالسجود له لكن استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم او منقطع وهو اسم اعجمي ولذلك
لم ينصرف ومن جعله مشتقا من الابلاس وهو الياس قال انه شبه بالعجمة حيث لم يسم به احد فكان كالاسم الاعجمي
واعلم ان الذي يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الاعراف من قوله تعالى قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية والتي
في سورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية ان سجود الملائكة انما ترتب
على الامر التنجيزي الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة كما يلوح به عبارة السجود دون الوقوع الذي ورد به الامر
التعليقي ولكن ما في سورة الحجر من قوله عز وعلا واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون وما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اني خالق
بشرا من طين الخ الآية يستدعيان بظاهرهما ترتبه على ما فيهما من الامر التعليقي من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما ينصح عنه الفاء
الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه عليه السلام وقد روي عن وهب انه كان السجود كما نفخ فيه بلا تاخير وتاويل
الآيات السابقة بحمل ما فيها من الامر على حكاية الامر التعليقي من غير ان يتوسط بعد تحقق المعلق به اجمالا فانه ح يكون في حكم
التنجيز يا باه ما في سورة الاعراف من كلمة ثم المنادية بتاخير ورود الامر عن التصوير المتاخر عن الخلق المتاخر عن الامر التعليقي
والاعتذار بحمل التراخي على الرتبي او التراخي في الاخبار او بان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به لما كان في عدم ايجاب المامور به
بمنزلة العدم جعل كانه انما حدث بعد تحققه فحكي على صورة التنجيز يؤدي بعد اللتيا والتي الى ان ما جرى بينه وبينهم في شان
الخلافة وما قالوا فيه وما سمعوا انما جرى بعد السجود المسبوق بمعرفة جلالة منزلته عليه السلام وخروج ابليس من البين باللعن
المؤبد لفساده وبعد مشاهدتهم لذلك كله عيانا وهل هو الا خرق لقضية العقل والنقل والالتجاء في التفصي عنه الى تاويل نفخ
الروح بجملة على ما يتم اضافته ما به حياة النفوس التي من جملتها تعليم الاسماء تعسف ينبئ عن ضيق المجال والذي يقتضيه التحقيق
ويستدعيه النظر الانيق بعد التصفح في مستودعات الكتاب المكنون والتفحص عما فيه من السر المخزون ان سجودهم له عليه السلام

مثال سبب الوجوب

رد لابن كمال

انما ترتب على الامر التنجيزي المتفرع على ظهور فضله المبني على المحاورة المسبوقة بالاخبار بخلافته المنتظم جميع ذلك في سلك ما نطق به
الامر التعليقي من التسوية ونفخ الروح اذ ليس من قضية وجوب السجود عقيب نفخ الروح فيه فان الفاء الجزائية ليس بنص في وجوب
وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود الشرط من غير تراخ للقطع بعدم وجوب السعي عقيب النداء لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا نودي
للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الآية وبعدم وجوب اقامة الصلوة عقيب الاطمئنان لقوله تعالى فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة بل انما يجب
عند دخول الوقت كيف لا والحكمة الداعية الى ورود ما نحن فيه من الامر التعليقي اثر ذي اثير انما هي حمل الملائكة عليهم السلام على التأمل
في شأنه عليه السلام ليتدبروا في احواله طرا ويحيطوا بما لديه خبرا ويستفهموا ما عسى يسهم عليهم في امره عليه السلام لابتنائه على حكم ابية
واسرار خفية طويت عن علومهم ويقفوا على جلية الحال قبل ورود الامر التنجيزي وتحتم الامتثال وقد قالوا عقيب ذلك
ما قالوا وعاينوا ما عاينوا وعدم نظم الامر التنجيزي في سلك الامور المذكورة في السورتين عند الحكاية لا يستلزم عدم انتظامه
فيه عند وقوع المحكي كما ان عدم ذكر الامر التعليقي عند حكاية الامر التنجيزي في السورة الكريمة لا يوجب عدم مسبوقيته به فان حكاية
كلام واحد على اساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام ليست بعزيزة في الكتاب العزيز وناهيك بما تلي في توجيه
قوله تعالى بشرا مع سبق معرفة الملائكة عليهم السلام بذلك وحيث صير اليه مع انه لم يرد به نقل فما ظنك بما قد وقع التصريح به في مواضع
عديدة فلعله قد القي اليهم ابتداء جميع ما يتوقف عليه الامر التنجيزي اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه
خليفة في الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم شأنه فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فقالوا عند
ذلك ما قالوا او القي اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المعدودة بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل هذا خليفة في الارض
فهناك ذكروا في حقه عليه السلام ما ذكروا فايده الله تعالى بتعليم الاسماء فشاهدوا منه ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر التنجيزي
اعتناء بشأن المأمور به وتعيينا لوقته وقد حكى بعض الامور في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن
عما ترك في موطن آخر والذي يحسم مادة الاشتباه ان ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الخ بدل من قوله تعالى
اذ يختصمون فيما قبله من قوله تعالى ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم والمراد بالملأ الاعلى الملائكة وآدم
عليهم السلام وابليس حسبما اطبق عليه جمهور الائمة وباختصامهم ما جرى بينهم في شأن خلافة آدم عليه السلام من التقاول الذي
من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف الشرح فيه
تفصيلا من الامر التعليقي وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة عليهم السلام وعناد ابليس
وما تبعه من لعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس
المستتبعة لطرده من بينهم لما عرفت من انه اطلاق المختصمين كما انه ليس قبل خلقه ضرورة استحالة الانباء بالاسماء تعين فهو اذن بعد
نفخ الروح وقبل السجود حتما باحد الطريقين والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة الامر ابى واستكبر استئناف مبين
لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء وانه لم يكن للتردد او للتأمل والاباء الامتناع بالاختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر
من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع اي امتنع عما امر به واستكبر من ان يعظمه او يتخذه وصلة في عبادة ربه وتقديم الاباء
على الاستكبار مع كونه مسببا عنه لظهوره ووضوح اثره واقتصر في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر
الاباء حيث قيل ابى ان يكون مع الساجدين وكان من الكافرين اي في علم الله تعالى او كان اصلا من كفرة الجن فلذلك
ارتكب ما ارتكبه على ما افصح عنه قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه والجملة اعتراضية مقررة لما سبق من الاباء والاستكبار
او صار منهم باستقباح امر الله تعالى اياه بالسجود لآدم عليه السلام زعما منه انه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالسجود
للمفضول كما يفصح عنه قوله انا خير منه حين قيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك

هذا التحقيق الفائق والتدقيق الرائق مما استبد به هذا العبد الضعيف [illegible] منه

الا انه اكتفي بذكر [illegible] كما اكتفي في قوله تعالى اذهبا الى فرعون منه

اي في سورة الحجر

اي عن الكشاف

الواجب وصن فالجملة معطوفة على ما قبلها وآثار الواو على الفاء للدلالة على ان محض الاباء والاستكبار كفر لا انهما سببان له كما يفيده الفاء • وقلنا • شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين آدم عليه السلام بعد تمام ما جرى بينه عز وجل وبين الملئكة وابليس من الاقوال والافعال وقد تركت حكاية توبيخ ابليس وجوابه ولعنه واستنظاره وانظاره اجزاء بما فصل في سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملئكة ولا يقدح في ذلك اختلاف وقتيهما فان المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة اذ زمان ممتد واسع للفعول وقيل هو عطف على اذ قلنا ماضيا او هذا تذكير لنعمة اخرى موجبة للشكر مانعة من الكفر وتصدير الكلام بالنداء في قوله تعالى • يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة • للتنبيه على الاعتمام بتلقي المأمور به وتخصيص اصل الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته في مباشرة المأمور به واسكن من السكنى وهو اللبث والاقامة والاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير المستكن ليصح العطف عليه واختلف في وقت خلق زوجه فذكر السدي عن ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ان الله لما اخرج ابليس من الجنة واسكنها آدم بقي فيها وحده وما كان معه من يتانس به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ ضلعا من جانبه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء فلما استيقظ وجدها عند رأسه قاعدة فقال لها ما انت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقال الملئكة تجربة لعله عليه السلام من عند ربه تعالى امرأة قالوا لم تسمى امرأة قال لانها من المرء اخذت فقالوا لما اسمها قال حواء قالوا لم سميت حواء قال لانها خلقت من شيء حي وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بعث الله تعالى جنده من الملئكة فحملوا آدم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور فادخلوهما الجنة وهذا كما ترى يدل على خلقها قبل دخول الجنة والمراد بها دار الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحانا لآدم عليه السلام وحمل الاهباط على النقل منها الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا لما ان خلقه عليه السلام كان في الارض بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان اولى بالذكر والتذكير لما انه من اعظم النعم ولانها لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس وقيل انها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم ان الاهباط الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل الكل ممكن والادلة النقلية متعارضة فوجب التوقف وترك القطع • وكلا منها • اي من ثمارها وانما وجه الخطاب اليهما تعميما للتشريف والترفيه ومبالغة في ازالة العلل والاعذار وايذانا بتباديهما في مباشرة المأمور به فان حواء اسوة له عليه السلام في الاكل بخلاف السكنى فانها تبع له فيه • رغدا • صفة للمصدر المؤكد اي اكلا واسعا رافها • حيث شئتما • اي اي مكان اردتما منها وهذا كما ترى للاطلاق كلي حيث اتيح لهما الاكل منها على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الحاقة للمأكولات حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعا منه بقوله تعالى • ولا تقربا • بفتح الراء من قرب الشيء بالكسر اقرب بالفتح اذا اللبث وتوقعت له وقال الجوهري قرب بالضم يقرب قربا اي دنى قربه بالكسر قربانا اي دنوت منه • هذه الشجرة • نصب على انه بدل من اسم الاشارة او نعت له بتاويلها بمشتق اي هذه الحاضرة من الشجرة انما كلا منها وانما علق النهي بالقربان منها مبالغة في تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة او العنبة او التينة وقيل هي شجرة من اكل منها احدث والاول عدم تعيينها من غير قاطع وقرئ هذي بالياء وبكسر شين الشجرة وتاء تقربا وقرئ الشيرة بكسر الشين وفتح الياء • فتكونا من الظالمين • مجزوم على انه معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب للنهي وايا ما كان فالقرب اي الاكل منها سبب لكونهما من الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية او نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخل بالكرامة والنعيم او تعدوا واحد وداند • فازلهما الشيطان عنها • اي اصدر زلتهما اي زلقهما وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذا في قوله وما فعلته عن امري اطلق زلهما عن الجنة بمعنى ازلهما عنها وابعدهما عنها يقال زل عنك كذا اذا ذهب عنك وبعضد قراءة ازالهما وهما متقاربان في المعنى فان الازلال اي الازلاق يقتضي

زوال الزال عن موضعه البتة وازلاله قوله تعالى هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله تعالى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته لهما انى لكما لمن الناصحين وهذه الآيات مشعرة بانه عليه السلام لم يؤمر بسكنى الجنة على وجه الخلود بل على وجه الكرمة والتشريف لما قلد من خلافة الارض الى حين البعث اليها واختلف فى كيفية توصله اليهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه انما منع من الدخول على وجه الكرمة كما يدخل الملئكة عليهم السلام ولم يمنع من الدخول الموسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل فى فم الحية فدخل معها وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله سبحانه وتعالى فاخرجهما مما كانا فيه اى من الجنة ان كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للايذان بتعجى منها وجلالتها وملابستهما اى من المكان العظيم الذى كانا مستقرين فيه ومن الكرامة والتنعيم ان كان الضمير للجنة وقلنا اهبطوا الخطاب لآدم عليه السلام وحواء بدليل قوله تعالى فاكل منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الجنس فكانهما الجنس كلهم وقيل لهما وللحية وابليس على انه اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او يدخلها سارقة او اهبط من السماء وقرئ بضم الباء بعضكم لبعض عدو حال استغنى فيها عن الواو بالضمير اى متعادين يبغى بعضكم لبعض بتضليله او استئناف لاحتمالها للامرين واوثر العدو على المتعادى للنظر الى لفظ البعض وانما لان وزانه وزان المصدر كالقبول ولكم فى الارض مستقر التى هى محل الاهباط والظرف متعلق بالمستقر او بما تعلق به الخبر اعنى لكم من الاستقرار ومتاع الى حين اى استقرارا او موضع استقرار فتلقى آدم اى تلقن به من ربه هو حين الدال على ان المتلقى تلقن كل فرد من افراد المخاطبين او القيه على انه تلقن الجنس فى ضمن بعض الافراد والجملة كما قبلها فى محل النصب على الحالية اى متلقنين للاستقرار والتمتع واستئنافا كلمات فتاب عليه اى استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها ووفق لها وقرئ بنصب آدم عليه السلام ورفع كلمات دلالة على انها استقبلته وبلغته وهى قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال يا رب الم تخلقنى بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ فى من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكنى جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت ارا جعى انت الى الجنة قال نعم والفاء للدلالة على ان التوبة حصلت بعد الامر بالهبوط قبل تحقق المأمور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليه عليه السلام للتشريف والايذان بجلبة الالفاء الكلمات المدلول عليها بتلقيها فتاب عليه اى رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة والفاء للدلالة على ترتبه على تلقى الكلمات المتضمن لمعنى التوبة التى هى عبارة عن الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود اليه واكتفى بذكر شان آدم عليه السلام لما ان حواء تبع له فى الحكم وكذلك طوى ذكر التلقى فى اكثر مواقع الكتاب والسنة انه هو التواب اى الرجاع على عباده بالمغفرة او الذى يكثر اعانته على التوبة واصل التوب الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به الباري عز وجل اريد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة الرحيم المبالغ فى الرحمة وفى الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى قلنا استئناف مبنى على سؤال ينسحب على الكلام كانه قيل فماذا وقع بعد قبول توبته اهبطوا منها جميعا كرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى يتوهم من مسبة عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك واظهارا للنوع عنه رأفة به عليه السلام لما بين الامرين من الفرق الكثير كيف لا والاول مشوب بضرب سخط مذيل ببيان ان مهبطهم دار بلية وتعاد ولا تخلدون فيها والثانى مقرون بوعد اتباع الهدى المؤدى الى النجاة والنجاح وما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما هو دائر على سوء اختيار المكلفين وقيل وفيه تنبيه على ان الحازم يكفيه فى الردع عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن بما عهد من الامرين فكيف بالمقترن بهما فتامل وقيل الاول من الجنة الى السماء والثانى منها الى الارض وتاباه التعرض لاستقرارهم فى الارض

يفيد ان آدم اصل ضعيف الرجال وحواء اصل ضعيف النساء

في الاول ورجوع الضمير الى الجنة في الثاني وجميعا حال في اللفظ وتأكيد في المعنى كأنه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي
الاجتماع على الهبوط في زمان واحد كما في قولك جاؤا جميعا فاما يأتينكم مني هدى الفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم
من الامر به واما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط لانه مبني لاتصاله بنون التأكيد
وقيل معرب مطلقا وقيل مبني مطلقا والصحيح التفصيل ان باشرته النون بني والا اعرب نحو هل يقومان وتقديم الظرف
على الفاعل لما مر مرارا والمعنى ان ما يأتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى فمن تبع هداي
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما في قولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك وايراد كلمة الشك مع تحقق الاتيان
لا محالة للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط ببعثة الرسل وانزال الكتب بل يكفي في وجوبه افاضة العقل ونصب
الادلة الآفاقية والانفسية والتمكين من النظر والاستدلال او للجري على سنن العظماء في ايراد عسى ولعل في مواقع القطع
والجزم والمعنى ان من تبع هداي منكم فلا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم
ما يوجب ذلك لا انهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور والنشاط
كيف واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص
الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يتوهم من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر
في موضعه ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واظهار الهدى مضافا الى ضمير الجلالة لتعظيم
وتأكيد وجوب اتباعه او لان المراد بالثاني ما هو اعم من الهدايات التشريعية وما ذكر من افاضة العقل ونصب الادلة الآفاقية
والانفسية كما قيل وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا بآياتنا عطف على من تبع الخ قسيم له — قاله الفاضل البيضاوي
كأنه قيل ومن لم يتبعه وانما اوثر عليه ما ذكر تفظيعا لحال الضلالة واظهارا لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار
بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب للايذان بتنوع الهدى الى ما ذكر من النوعين وايراد نون العظمة لتربية المهابة
وادخال الروعة واضافة الآيات اليها لاظهار كمال قبح التكذيب بها اي والذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم وكذبوا بآياتنا
المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا بآياته التي انزلها على الانبياء واظهرها بايديهم من المعجزات وقيل
كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة
قال النابغة توهمت آيات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع وتقال للمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته
ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها عما بعدها وقيل لانها تجمع كلمات منه
فيكون من قولهم خرج بنو فلان بآيتهم اي بجماعتهم قال خرجنا من النقبين لا حي مثلنا بآيتنا نزجي اللقاح المطافلا واشتقاقها
من اي او من اوى اليه اي رجع اصلها اوية او ايية فابدلت عينها الفا على غير قياس او اوية او ايية كرمكة فاعلت او آيية كقائلة
فحذفت الهمزة تخفيفا اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه اشعار بتميزهم بذلك
الوصف تميزا مصححا للاشارة الحسية وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر وهو مبتدأ وقوله عز وعلا اصحاب النار
اي ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول او اسم الاشارة بدل من الموصول او عطف بيان له واصحاب النار خبر له
وقوله تعالى هم فيها خالدون في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في قوله تعالى اصحاب النار خالدين فيها وقد جوز كونه حالا
من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او في محل الرفع على انه خبر آخر لاولئك على رأي من يجوز وقوع الجملة
خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون والخلود في الاصل المكث الطويل وقد انعقد الاجماع على ان المراد به الدوام يا بني اسرائيل
تلوين للخطاب وتوجيه له الى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لتذكيرهم بفنون النعم الفائضة عليهم

بعد توجيهه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وامره بتذكيرهم بالنعمة العامة لبنى آدم فاطبة بقوله تعالى واذ قال ربك الخ واذ قلنا للملائكة الخ لان المعنى كما اشير اليه بلغهم كلامى واذكر لهم اذ جعلنا اباهم خليفة فى الارض وسجود الملائكة عليهم السلام وشرفناه بتعليم الاسماء وقبلنا توبته والابن من البناء لانه مبنى ابيه والملك بنى المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرئيل بحذف الياء واسرال بحذفها واسرايل بقلب الهمزة ياء واسرائل بهمزة مفتوحة واسرائيل بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرا بها اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وقيل اشعارا بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لانهم أمروا بشكرها فقط واضافة النعمة الى ضمير الجلالة لتشريفها وايجاب تخصيص شكرها به تعالى وتغييب النعمة بهم لما ان الانسان مجبول على حب النعمة فاذا نظر الى ما فاض عليه من النعم حمله ذلك على الرضى والشكر قبل اريد بها ما انعم به على اباءهم من النعم التى سيجىء تفصيلها وعليهم من فنون النعم التى جلها ادراك عصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقرئ اذكروا من الافتعال وتعنى باسكان الياء واسقاطها فى الدرج وهو مذهب من لا يجرك الياء لسكون ما قبلها واوفوا بعهدى بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد ممن يتولى طرفيه وتعلق الاول مضاف الى الفاعل والثانى الى المفعول فانه عهدا اليهم بالايمان ونصب العمل الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم والوفاء بهما عرض عريض فاول مراتبه منتهى الايمان بكلمتى الشهادة ومن الله تعالى حصن الدمار والاموال وآخر مراتبه الاستغراق فى بحر التوحيد بحيث يغفل عن النفس فضلا عن غيرها ومن الله تعالى الفوز بالبقاء الدائم واما ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اوفوا بعهدى فى اتباع محمد عليه الصلوة والسلام اوف بعهدكم فى رفع الاصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتمونى من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهد بين فى قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل الى قوله تعالى ولادخلتكم جنات الخ وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة والتاكيد وايای فارهبون فبالتاء نون وما تذرون خصوصا فى نقض العهد وهو اكد فى افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه من التقديم من تكرير المفعول وآثار الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبونى والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد فان المؤمن ينبغى ان لا يخالف الله تعالى وآمنوا بما انزلت اقر الايمان بالقرآن بالامر لمكانة العمر القصوى فى شان الوفاء بالعهود مصدقا لما معكم من التوراة والتعبير عنها بذلك للايذان بعلمهم بتصديقه علمهم فان المعية مسمة لكثرة المراجعة اليها والوقوف على ما فى تضاعيفها المؤدى الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه للتوراة انه نازل بما نعت فيها او من حيث انه موافق لها فى القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها فى بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب الاعصار فليست بمخالفة فى الحقيقة بل هى موافقة لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره وزمانه متضمن للحكمة التى عليها يدور فلك التشريع وليس فى التوراة دلالة على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما نسخها وانما تدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل تنطق هى ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان نظقها بصحة القرآن الناسخ لها نطق بنسخها فاذن مناط المخالفة فى الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى لو تاخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتاخر ولو تقدم نزول المتاخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا

قال القاضى ايضا بطريق التمثيل

لما وسعه الاتباعي وتقييد النزل بكونه مصدقا لما معهم تأكيد وجوب الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم مما يقتضي الايمان
بما يصدقه قطعا ولا تكونوا اول كافر به اي لا تبادروا الى الكفر به فان وظيفتكم ان تكونوا اول من آمن به لما انكم
تعرفون شانه وحقيقته بطريق التلقي مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه
كما سيجئ فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدوره عنكم من كونكم اول كافر به ووقوع اول كافر به خبرا
من ضمير الجمع بتأويل اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة ومنزيهم عن التقدم في الكفر
مع ان مشركي العرب قدم منهم لما ان المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك انا اغلب نجا هل
اولان المراد نهيهم عن كونهم اول كافر بمن اهل الكتاب او ممن كفر بما عنده فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه
او مثل من كفر من مشركي مكة او اول فعل لا فعل له وقيل اصله اوول من وال اليه اذا رجع وخلص فابدلت الهمزة واوا
تخفيفا غير قياسي او اول من وال فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا اي لا تأخذوا لانفسكم
بدلا ما منها من الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مستنزلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل
كانت لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاختاروا متاع الايمان
وانما عبر عن المشتري الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصود فيها بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة فيها وقرنت الآيات
التي حقها ان تتنافس فيها المتنافسون بالآيات التي تقصم الوسائل اذ انما بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصود الاصلي وسيلة
والوسيلة مقصودا واياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن حطام الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة
على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي من مقدمات التقوى او لان الخطاب بها لما عم العالم والمتعلم
امر فيها بالرهبة المتناولة للفريقين واما الخطاب بالثانية فحيث خص بالعلماء امر فيها بالتقوى الذي هو المنتهى ولا تلبسوا
الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل
الذي تخترعونه وتكتمونه حتى يشتبه احدهما بالآخر ولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب الباطل الذي تكتبونه في تضاعيف ما تنزل
في تأويل وتكتموا الحق مجزوم داخل تحت حكم النهي كأنهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس
على من سمع الحق والاخفاء عمن لم يسمعه او منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين
كتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه وتكتمون اي وانتم تكتمون اي كاتمين وفيه اشعار بان استصحاب اللبس
لما يصحبه من كتمان الحق وتكرير الحق اما لان المراد بالاخير ليس عين الاول بل هو نعت النبي عليه الصلوة والسلام الذي كتموه وكتبوا
مكانه غيره كما سيجئ في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم واما لزيادة تقبيح المنهي او ذوق التصريح باسم الحق مالبس في ضمنه
وانتم تعلمون اي حال كونكم عالمين بانكم تلبسوه وكاتمون او وانتم تعلمون انه حق او وانتم من اهل العلم وليس المراد الحال المقيد
النهي به كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل عسى يعذر واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة اي صلوة المسلمين وزكوتهم فان غير هما بمعزل من كونه صلوة وزكوة امرهم الله تعالى بفروع الاسلام بعد
الامر باصوله وارکعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل على صلوة الفذ سبع وعشرين درجة
لما فيها من تظاهر النفوس في المناجاة وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن اليهود وقيل الركوع الخشوع والانقياد
لما يلزمهم الشارع قال الاضبط بن قريع السعدي لاخزن الضعيف انك ان تركع يوما والدهر قد رفعه اتأمرون الناس
بالبر بخ بدأ للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بعد توجيهه الى الكل والهمزة فيها تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر
الذي هو الفضاء الواسع يتناول جميع اصناف الخير ولذلك قيل البر ثلثة برّ في عبادة الله تعالى وبرّ في مراعاة الاقارب

يكون استفهاما توبيخيا

وبر فی معاملة الاجانب وتنسون انفسکم ای تترکونها من البر کالمنسیات روی عن ابن عباس رضی الله تعالی عنهما انها
نزلت فی احبار المدینة کان یأمرون سرا من نصحوه باتباع الرسول ولا یتبعونه طمعا فی الهدایا والصلات التی کانت تصل الیهم
من اتباعهم وقیل کانوا یأمرون بالصدقة ولا یتصدقون وقال السدی انهم کانوا یأمرون الناس بطاعة الله تعالی وینهونهم
عن معصیته وهم یترکون الطاعة ویقدمون علی المعصیة وقال ابن جریج انهم کانوا یأمرون الناس بالصلوة والزکوة وهم یترکونهما
ومدار الانکار والتوبیخ هی الجملة المعطوفة دون ما عطف هی علیه وانتم تتلون الکتاب تبکیت لهم وتقریع کقوله وانتم تعلمون
ای والحال انکم تتلون التوریة الناطقة بنعوته علیه السلام الآمرة بالایمان به او بالوعد بفعل الخیر والوعید علی الفساد والعناد
وترک البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون ای اتتلونه فلا تعقلون ما فیه او قبح ما تصنعون حتی ترتدعوا عنه فالانکار
متوجه الی عدم العقل بعد تحقق ما یوجبه فالمبالغة من حیث الکم والعقل فی الاصل المنع والامساک ومنه العقال الذی یشد به وظیف البعیر الذراع
لحبسه عن الحراک سمی به الروحانی الذی به یدرک النفس العلوم الضروریة والنظریة لانه یحبسه عن تعاطی ما یقبح ویعقله علی ما یحسن
والآیة کما تری ناعیة علی کل من یعظ غیره ولا یتعظ بسوء صنیعه وعدم تأثره وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالی
عن العقل فالمراد بها الاشارة الی حثه علی تزکیة النفس والاقبال علیها بالتکمیل لتقوم بالحق فیقیم غیرها لا منع الفاسق عن الوعظ
وروی انه کان عالم من العلماء مؤثر الکلام قوی التصرف فی القلوب وکان کثیرا ما یموت من اهل مجلسه واحد واثنان من شدة
تأثیر وعظه وکان فی بلده عجوز لها ابن صالح رقیق القلب سریع الانفعال وکانت تحترز علیه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ
فحضره یوما علی حین غفلة منها فوقع من امر الله تعالی ما وقع ثم ان العجوز لقیت الواعظ یوما فی الطریق فقالت اتهدی الانام
ولا تهتدی الا ان ذلک لا ینفع فیا حجر الشحذ حتی متی تسن الحدید ولا تقطع فلما سمعه الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه
مغشیا علیه فحملوه الی بیته فتوفی الی رحمة الله سبحانه واستعینوا بالصبر والصلوة متعلق بما قبله کأنهم لما کلفوا ما فیه
من ترک الریاسة والاعراض عن المال عولجوا بذلک والمعنی استعینوا علی حوائجکم بانتظار النجح والفرج توکلا علی الله تعالی
او بالصوم الذی هو الصبر عن المطعومات لما فیه من کسر الشهوة وتصفیة النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء الیها فانها جامعة
لانواع العبادات النفسانیة والبدنیة من الطهارة وستر العورة وصرف المال فیهما والتوجه الی الکعبة والعکوف علی العبادة
واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النیة بالقلب ومجاهدة الشیطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتکلم بالشهادة وکف
النفس عن الاطیبین حتی تجابوا الی تحصیل المآرب وجبر المصائب وروی انه علیه الصلوة والسلام کان اذا حزبه امر فزع الی الصلوة
ویجوز ان یراد بها الصلوة وانها ای الاستعانة بهما او الصلوة وتخصیصها برد الضمیر الیها لعظم شأنها واستمالها علی ضروب
من الصبر کما فی قوله تعالی واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا الیها او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لکبیرة لثقیلة شاقة
کقوله تعالی کبر علی المشرکین ما تدعوهم الیه الا علی الخاشعین الخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع
اللین والانقیاد ولذلک یقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب وانما لم تثقل علیهم لانهم یتوقعون ما اعد لهم بمقابلتها فتهون
علیهم ولانهم یستغرقون فی مناجاة ربهم فلا یدرکون ما یجری علیهم من المشاق والمتاعب ولذلک قال علیه السلام وقرة عینی
فی الصلوة والجملة حالیة او اعتراض تذییلی الذین یظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم الیه راجعون ای یتوقعون لقاء الله
تعالی ونیل ما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان الربوبیة مع الاضافة للایذان بفیضان احسانه الیهم ویتیقنون انهم
یحشرون الیه للجزاء فیعملون علی حسب ذلک رغبة ورهبة واما الذین لا یوقنون بالجزاء ولا یرجون الثواب ولا یخافون العقاب
کانت علیهم مشقة خالصة فتثقل علیهم کالمنافقین والمرائین فالتعرض للعنوان المذکور للاشعار بعلیة الربوبیة والمالکیة
للحکم ویؤیده ان فی مصحف ابن مسعود رضی الله تعالی عنهما یعلمون وکان الظن لما شابه العلم فی الرجحان اطلق علیه لتضمین

وجه قوله تعالی اتأمرون الناس منه

وجه قوله تعالی وتنسون انفسکم منه

متوجه الی عدم العقل بعد تحقق ما یوجبه فالمبالغة من حیث الکیف او ان الانکار متوجه الی الکم فلا تتلون فلا تعقلون

مطلب

البالغة فی نجعه راجع الی الشعر فافهم

معنى التوقع قال وارسلته مستيقن الظن انه يخالط ما بين الشراسيف خالف وجعل خبران في الموضعين اسما للآلالة على تحقق
اللقاء والرجوع وتذكيرهما عندهم يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرر التذكير للتاكيد ولربط ما بعده من الوعيد
الشديد به وانى فضلتكم عطف على نعمتي عطف الخاص على العام للكمال اى فضلت اباكم على العالمين اى عالمى زمانهم
بما منحتهم من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين وهم اباؤهم الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده
قبل ان يغيروا واتقوا يوما اى حساب يوم او عذاب يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا اى لا تقضى عنها شيئا من الحقوق
فانتصاب شيئا على المفعولية او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وقرئ لا تجزى اى لا تغنى عنها فيتعين النصب على المصدرية
واراده شيئا منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلى والجملة صفة يوما والعائد منها محذوف اى لا تجزى فيه ومن لا تجوز
الحذف قال انه حذف فيه فحذف الجار واجرى المجرور مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف في قول من قال فما ادرى اغيرهم شناءة
وطول العهد ام قال اصابوه اى اصابوه ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى من النفس الثانية العاصية او من الاولى
والشفاعة من الشفع كان المشفوع له فردا فجعله الشفيع شفعا والعدل الفدية وقيل البدل كاصله التسوية وسمى به الفدية
لانها تساوى المفدى وتجرى مجراه ولا هم ينصرون اى يمنعون من عذاب الله عز وجل والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة
الواقعة في سياق النفى من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد والاناسى والنكرة ههنا اخص من المعونة
لاختصاصها بدفع الضرر وكانه اريد بالآية نفى ان يدفع عذاب الله احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا
اولا والاول النصرة والثانى اما ان يكون مجانا اولا والاول الشفاعة والثانى اما ان يكون بادآء عين ما كان عليه
وهو ان يجزى عنه او بادآء غيره وهو ان يعطى عنه عدلا وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفى الشفاعة لاهل الكبائر
والجواب انها خاصة بالكفار للآيات الواردة في الشفاعة والاحاديث المروية فيها ويؤيد ان الخطاب معهم
ولردهم عما كانوا عليه من اعتقادهم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم واذ نجيناكم من آل فرعون تذكير لتفاصيل
ما اجمل في قوله تعالى نعمتي التي انعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الآلاء اى واذكروا وقت تنجيتنا اياكم اى آبائكم
فان تنجيتهم تنجيتهم لاعقابهم وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى الاول الاخطار
كالانبياء عليهم السلام والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس وقيصر لملك الروم وخاقان
لملك الترك وتعنوه اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه الوليد
من بقايا عاد وقيل انه كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فافلس فاضطر الى الخروج فعلى بالشام فلم يتسن له
المقام به فدخل مصر فراى فى ظاهره حملا من البطيخ بدرهم وفى نفسه بطيخا بدرهم فقال في نفسه ان تيسر لى اداء الديون
فهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى حملا بدرهم فتوجه الى السوق فكل من لقيه من المكابين اخذوا منه بطيخا فدخل البلد
وما معه الا بطيخة فتح فباعها بدرهم وقضى لوجهه ورأى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان
قد وقع به وبار عظيم فتوجه نحو المقابر فراى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم تدفنونه
حتى تعطونى خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لآخر وآخر حتى جمع في مقدار ثلثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض له احد قط
الى ان تعرض يوما لاولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا من نصبك هذا المنصب
فذهبوا به الى فرعون فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام قال لم يعينى احد وانما فعلت ما فعلت ليحضر ذا احدا الى ملك
فانبهك على اضلال حال فوقك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال فاحضره ودفعه الى فرعون فقال قد انى امورك
ترينى امينا كافيا فولاه اياها فاداروا بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت احوال الرعية

اذ الضمير راجع الى النفس الثانية
او الاولى والاول اولى
من الاحتياط والبقية تامل

والبقية

ولبث فيهم دهرًا طويلًا وتراخى امره في العدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموا مقامه فكان من امره ما كان وكان فرعون يوسف عم
ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم اي يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء
سوء العذاب اي افظعه واقبحه بالنسبة الى سائره والسوء مصدر من ساء يسوء ونصبه على المفعولية ليسومونكم
والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لاشتمالها على ضميريهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم
بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ما فعلوا لان فرعون رأى في المنام او اخبره
الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قضاء الله عز وجل شيئا قيل قتلوا بتلك الطريقة تسعمائة الف مولود
او تسعين الفا وقد اعطى الله عز وجل نفس موسى عليه السلام من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احياء
ولذلك كانت معجزاته عليه السلام ظاهرة باهرة وفي ذلكم اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء او الى الانجاء منه وجمع الضمير
للمخاطبين فعلى الاول معنى قوله تعالى بلاء محنة وبلية وكون استحياء نسائهم اي استبقائهن على الحياة محنة مع انه
عفو وترك للعذاب لما ان ذلك كان للاستعمال في الاعمال الشاقة وعلى الثاني نعمة واصل البلاء الاختبار ولكن لما كان ذلك
في حقه سبحانه محالا وكان ما يجري مجرى الاختبار لعباده تارة بالمحنة واخرى بالمنحة اطلق عليهما وقيل يجوز ان يشار
بذلكم الى الجملة ويراد بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما من ربكم من جهته تعالى بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه
لتخليصكم منهم او بهما معا عظيم صفة لبلاء وتنكيرهما للتفخيم وفي الآية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من السراء والضراء
من قبيل الاختبار فعليه الشكر في المسار والصبر على المضار واذ فرقنا بكم البحر بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها
اثر تذكيرها وبيان عظمها وهولها وقد بين في ذلك نعمة جليلة اخرى هي الانجاء من الغرق اي اذكروا اذ فلقناه بسلوككم
او ملتبسا بكم كقوله تعالى تنبت بالدهن او بسبب انجائكم وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت مسالك وقرئ بالتشديد
للتكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم اي من الغرق باخراجكم الى الساحل كما يلوح به العدول الى صيغة
الافعال بعد ايراد التخليص من فرعون بصيغة التفعيل وكذا قوله واغرقنا آل فرعون اريد فرعون وقومه وانما اقتصر
على ذكرهم للعلم بانه اولى به منهم وقيل شخصه كما روي ان الحسن رضي الله تعالى عنه كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه
واستغنى بذكره عن ذكر البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل
فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر
طريقا يابسا فسلكوها فقالوا انا نخاف ان نغرق بعض اصحابنا فلا نعلم به ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا
البحر فلما وصل اليه فرعون فرآه منفلقا اقتحمه هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم اعلم ان هذه الوقعة كما انها لموسى عليه السلام
معجزة عظيمة تخر لها صم الجبال ونعمة عظيمة لاوائل بني اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها على ما هي عليه من رسول الله
معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد لها النفوس العتية موجبة لاعقابهم ان يتلقوها بالاذعان فلا تاثرت
اوائلهم بمشاهدتها ولا تذكرت اواخرهم بتذكيرها وروايتها فيا لها من عصابة ما اعصاها وطائفة ما اطغاها
واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله تعالى موسى عليه السلام ان يعطيه التوراة
وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل وعد عليه السلام بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب
من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو شهر
ذي القعدة ثم زاده عشرا من ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي وقيل على اصلها
تنزيلا لقبول موسى عليه السلام منزلة الوعد واربعين ليلة مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف اي تمام اربعين ليلة

ز الخسف النقصان ويقال سامه خسفا اذا اولاه ذلا ديوان

سامه السلعة اذا طلبها ج

قاله البيضاوي

وقرئ وعدنا ثم اتخذتم العجل بتسويل السامري الهًا ومعبودًا وثم للتراخي الرتبي من بعده اي من بعد مضيه الى الميقات
على حذف المضاف وانتم ظالمون باشراككم ووضعكم الشيء في غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم او اعتراض تذييلي اي وانتم
قوم عادتكم الظلم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاه درسه وقد يجيء لازمًا قال عفت المنازل اي عفا
من بعد احوال عفاه كل ضافي كثير الوابل هطال وقوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد الاتخاذ الذي هو متناهٍ في القبح للايذان
بكمال بعد العفو بعد تلك المرتبة من الظلم لعلكم تشكرون لكي تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة •
واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان اي التوراة الجامعة بين كونها كتابًا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اريد
بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحرام والحلال
او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه والعمل بما حويه لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات
واذ قال موسى لقومه بيان لكيفية وقوع العفو المذكور يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل اي معبودًا
فتوبوا اي فاعزموا على التوبة الى بارئكم اي الى من خلقكم بريئًا من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض
بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب الخلوص عن الغير اما بطريق التفصي كما في برئ المريض او بطريق الانشاء كما في برأ الله
آدم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للاشعار بانهم بلغوا في الجهالة اقصاها ومن الغباوة منتهاها حيث تركوا
عبادة العليم الحكيم الذي خلقهم بلطيف حكمته بريئًا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة
وان من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بان تسترد هي منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب فاقتلوا انفسكم تمامًا
لتوبتكم بالبخع او بقطع الشهوات وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضًا وقيل امر من لم يعبد العجل بقتل من عبده يروى
ان الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر على المضي لامر الله تعالى فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون بها فاخذوا يقتلون
من الغدوة الى العشي حتى دعا موسى وهرون عليهما السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفًا
والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم اشارة الى ما ذكر من التوب والقتل خير لكم عند بارئكم لما انه طهرة
عن الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم عطف على محذوف على انه خطاب منه سبحانه
على نهج الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سباق النظم الكريم وسياقه فان مبنى الجميع على التكلم الى الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد
الفعل الى الضمير بارئكم المستتبع للايذان بعلية عنوان البارئية والخلق والاحياء لقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو عن القتل
تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وانما لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما ان ذلك نعمة اريد التذكير بها
للمخاطبين لا لاسلافهم هذا وقد جوز ان يكون فتاب عليكم متعلقًا بمحذوف على انه من كلام موسى عليه السلام لقومه تقديره
ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى تجرده من اللياقة بجلالة شان التنزيل كيف لا وهو حينئذ حكاية لوعد موسى عم
قومه بقبول التوبة منه تعالى لا لقبوله تعالى حتمًا وقد عرفت ان الآية الكريمة تفصيل لكيفية القبول المحكي فيما قبل وان المراد
تذكير المخاطبين بتلك النعمة انه هو التواب الرحيم تعليل لما قبله اي الذي يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ في قبولها
منهم وفي الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك تذكير لنعمة اخرى عليهم بعد ما صدر عنهم من الجناية العظيمة التي
هي اتخاذ العجل اي لن نؤمن لاجل قولك ودعوتك او لن نقر لك والمؤمن به اعطاء الله تعالى اياه التوراة او تكليمه اياه
او انه نبي او انه تعالى جعل توبتهم بقتلهم انفسهم حتى نرى الله جهرة اي عيانًا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت
بالقراءة استعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف الا ان الاول في المسموعات والثاني في المبصرات
ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول وقرئ بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة

قاله صاحب الكشاف

وهو ان يقتل الانسان نفسه منه

المجوز القاضي البيضاوي وقد رد عليه المولى صاحب التفسير قدس سره منه

او جمع كالكتبة فتكون حالا من الفاعل لا غير والقائلون هم السبعون المختارون لميقات التوبة عن عبادة العجل روي انهم لما ندموا على ما فعلوا قوله تعالى وقالوا الخ لن نرجع ربنا لنكون من الخاسرين اراد الله موسى عليه السلام ان يجمع سبعين رجلا ويحضرهم الطور ليظهروا فيه تلك التوبة فلما خرجوا الى الطور وقع عليه عمود من الغمام وتغشاه كله فكلم الله موسى يأمره وينهاه وكان كلما كلمه تعالى وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعه كلامه تعالى مع موسى افعل ولا تفعل فعند ذلك طمعوا في الرؤية فقالوا ما قالوا كما سيأتي في سورة الاعراف انشاء الله تعالى وقيل عشرة آلاف من قومه فاخذتكم الصاعقة لنوط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى كما يشبه الاجسام ويتعلق به الرؤية تعلقها به على طريقة المقابلة في الجهات والاصابة لا ريب في استحالة اتفاق الممكن في شأنه تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللآحاد من الانبياء الذين بلغوا من صفاء الجوهر الى حيث تراهم كأنهم وهم في جلابيب من اجسامهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس في بعض الاحوال في الدنيا فقيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا لحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وعن وهب رحمه الله تعالى انهم لم يموتوا بل لما رأوا تلك الهيبة الهائلة اخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم واثروا على الهلاك فعند ذلك بكى موسى عليه السلام ودعا ربه تعالى فكشف الله عز وجل عنهم ذلك فرجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم ولم يكن صعقة موسى عليه السلام موتا بل غشية لقوله تعالى فلما افاق وانتم تنظرون اى ما اصابكم بنفخة او آثاره ثم بعثناكم من بعد موتكم بتلك الصاعقة فقيل البعث به لما انه قد يكون من الاغماء وقد يكون من النوم كما في قوله تعالى ثم بعثناهم الخ لعلكم تشكرون اى نعمة البعث او ما كفرتموه بما رأيتم من بأس الله تعالى وظللنا عليكم الغمام اى جعلنا ما حيث تلقى عليكم ظلها وذلك انه تعالى سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم في التيه يظلهم من الشمس وينزل الليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن والسلوى اى الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن كالثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتهب الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا على ارادة القول اى قائلين لهم او قيل لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا كلام عدل به عن نهج الخطاب السابق للايذان باقتضاء جنايات المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم على طريق المشافهة معطوف على مضمر حذف للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح به اى فظلموا بان كفروا تلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذي يقتضيه السياق وفيه نوع تهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تمادبهم في الظلم واستمرارهم على الكفر واذ قلنا تذكير لنعمة اخرى من جنابته تعالى وكرة اخرى لاسلافهم اى واذكروا وقت قولنا لآبائكم اثر ما انقذناهم من التيه ادخلوا هذه القرية منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية عند الاخفش وهي بيت المقدس وقيل اريحا فكلوا منها حيث شئتم رغدا اى واسعا هنيئا ونصبه على المصدرية او الحالية من ضمير المخاطبين وفيه دلالة على ان الامر به الدخول على وجه الاقامة والتمكن فيدخل الاكل في سورة الاعراف من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية وادخلوا الباب اى باب القرية على ما روي من انهم دخلوا اريحا في زمن موسى عليه السلام كما يجيء في سورة المائدة او باب القبة الذي كانوا يصلون اليها فانه لم يدخل بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام سجدا اى متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اى مسئلتنا او امرنا حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة على انها مفعول قولوا اى قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اى ان نحط رحالنا في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم لما تفعلون من السجود

قريب من بيت المقدس

اخطاب سبق لحط مغفرة وحطة الذنوب

والدعاء وقرئ بالياء والتاء على البناء للمفعول وأصل خطايا خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها
بعد الالف واجتمعت همزتان وابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت
الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسئ وسببا لزيادة الثواب للمحسن
واخرج ذلك عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان الحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل
الذين ظلموا بما امروا من التوبة والاستغفار بان اعرضوا عنه واوردوا مكانه قولا آخر مما لا خير فيه روى انهم
قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية هطا شمعانا بمعنى حنطة حمراء استخفافا بامر الله عز وجل غير الذى
قيل لهم نعتا لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة من كل وجه
فانزلنا اى عقيب ذلك على الذين ظلموا بما ذكر من التبديل وانما وضع الموصول موضع الضمير العائد الى الموصول الاول
للتعليل وللمبالغة فى الذم والتنويع وللتصريح بانهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى رجزا من السماء
اى عذابا مقدرا منها والتنوين للتهويل والتفخيم بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر صبا يفيده الجمع بين صيغتى الماضى
والمستقبل وتعليل نزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله بظلمهم للايذان بان ذلك فسق وخروج عن الطاعة وغلو فى الظلم
وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبائح لا بعدم توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفاء والرجز فى الاصل ما يعاف عنه
وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روى انه مات به فى ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا
واذ استسقى موسى لقومه تذكير لنعمة اخرى كنوع ما وكان ذلك فى التيه حين استولى عليهم العطش الشديد وتغيير الترتيب
لما اشير اليه مرارا من قصد ابراز كل من الامور المعدودة فى معرض امر مستقل واجب التذكير والتكرير والتوبيخ على الترتيب الواقعى
لفهم ان الكل امر واحد امر بتذكره والام متعلقة بالفعل اى استسقى لاجل قومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر وروى
انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه منه ثلث اعين لسبط كل عين فى جدول الى سبط وكانوا ستمائة
الف وسعة العسكر اثنا عشر ميلا او كان حجرا اهبطه الله تعالى مع آدم عم من الجنة ووقع الى شعيب عم فاعطاه موسى عم
مع العصا او كان الحجر الذى فر بثوبه حين وضع عليه ليغتسل وبراه الله تعالى به عما رموا به من الادرة فاشار اليه جبريل عم
ان يحمله وكان حجرا من الحجارة وهو الاظهر فى الحجة فقيل لم يؤمر عم بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا كيف نبالوا عصا
الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا افى مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه اذا ارتحل فيبس فقالوا ان فقد
موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه ان لا تنزع الحجر وكلمه يعطك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام جمجمة
ذراع فى ذراع والعصا عشرة اذرع على طوله عليه السلام من آس الجنة ولها شعبتان سمعان فى الظلمة فانبجست عطف
على مقدر ينسحب عليه الكلام وقد حذف للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كانه حصل عقيب الامر بالضرب اى فضرب فانبجست
منه اثنتا عشرة عينا وانما تعلق الفاء بمحذوف اى فان ضرب فقد انبجست فتغيير صيغتى لجلالة شان النظم الكريم كما لا يخفى
على احد وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وبها ايضا لغتان قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم الخاصة كلوا واشربوا
على ارادة القول من رزق الله هو ما رزقهم من المن والسلوى والماء وقيل هو الماء وحده لانه يؤكل ما ينبت من الزروع
والثمار وبآياه ان المأمور به اكل النعمة العتيدة لا ما سيطلبونه واضافته اليه تعالى مع استناد الكل اليه خلقا وملكا اما
واما الظهور بغير سبب عادى واما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا ايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق
الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلام ولا تعثوا فى الارض اى لا تفسدوا فقيل لهم لا تزاولوا الفساد حال كونكم
مفسدين وقيل انما قيد به لما ان العثى فى الاصل مطلق الفساد وان غلب فى الفساد وقد يكون فى غير الفساد كما فى مقابلة

قوم موسى عم كانوا يتزلون بالبطائح بين العراقين منه

من المواضع التى استبد بها هذا التغيير الشريف منه

نهر صغير منه

الظالم

الظالم المعتدي بفعله وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل الخضر عليه السلام الغلام وخرقه للسفينة ونظيره العبث خلا أنه عابث
فيما يدرك حسناً وإذ قلتم تذكير لجناية أخرى لأسلافهم وكفرانهم لنعمة الله عز وجل وإخلادهم إلى ما كانوا فيه فادّ
من الدناءة والخساسة وإسناد القول المحكي إلى أخلافهم وتوجيه التوبيخ إليهم لما بينهم من الاتحاد يا موسى لن نصبر
على طعام واحد لعلهم لم يريدوا بذلك جمع ما طلبوا مع ما كان لهم من النعمة ولا زوالها وحصول ما طلبوا مكانها إذ يأباه
التعرض للوحدة بل أرادوا أن يكون هذا تارة وذاك أخرى روي أنهم كانوا فلاحة فنزعوا إلى عكرهم فأجموا ما كانوا فيه
من النعمة العتيدة لوحدتها النوعية واطرادها وتاقت أنفسهم إلى الشقاء فادع لنا ربك أي سله لأجلنا بدعائك إياه
والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء والتعرض لعنوان الربوبية لتمهيد مبادي الإجابة يخرج لنا أي يظهر لنا ويوجد والجزم لجواب
الأمر مما تنبت الأرض إسناد مجازي بإقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية والتي في قوله تعالى من بقلها وقثائها
وفومها وعدسها وبصلها بيانية واقعة موقع الحال أي كائناً من بقلها الخ وقيل بدل بإعادة الجار والبقل ما ينبت
الأرض من الخضر والمراد به أطايبه التي تؤكل كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهها والفوم الحنطة وقيل الثوم
وقرئ قثائها بضم القاف وهو لغة فيه قال أي الله تعالى أو موسى عليه السلام إنكاراً عليهم وهو استئناف وقع جواباً
عن سؤال مقدر كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال أتستبدلون أي أتأخذون لأنفسكم وتختارون الذي هو أدنى
أي أقرب منزلة وأدون قدراً سهل المنال وهين الحصول لعدم كونه مرغوباً فيه وكونه تافهاً مرذولاً قليل القيمة وأصل الدنو
القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة وقرئ أدنأ وقد حملت المشهورة
على أن ألفها مبدلة من الهمزة بالذي هو خير أي بمقابلة ما هو خير فإن الباء تصحب الزائل دون الآتي الحاصل
كما في التبدل والتبديل في مثل قوله عز وجل ومن يتبدل الكفر بالإيمان وقوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط
وليس فيه ما يدل قطعاً على أنهم أرادوا زوال المن والسلوى بالمرة وحصول ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال فيما تردد
من صورة المناوبة اهبطوا مصراً أمروا به بياناً لدناءة مطلبهم أو إسعافاً لمرامهم أي انحدروا إليه من التيه يقال
هبط الوادي وقرئ بضم الباء والمصر البلد العظيم وأصله الحد بين الشيئين وقيل أريد به العلم وإنما صرف لسكون
وسطه أو لتأويله بالبلد دون المدينة ويؤيده أنه في مصحف ابن مسعود غير منون وقيل أصله مصرائيم فعرب
فإن لكم ما سألتم تعليل للأمر بالهبوط أي فإن لكم فيه ما سألتموه ولعل التعبير عن الأشياء المسؤولة بما للاستهجان
ذكرها كأنه قيل فإنه كثير فيه مبتذل يناله كل أحد بغير مشقة وضربت عليهم الذلة والمسكنة أي جعلتا محيطتين
بهم إحاطة القبة بمن ضربت عليه أو ألصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب الطين
على الحائط بطريق الاستعارة بالكناية واليهود في غالب الأمر أذلاء مساكين إما على الحقيقة وإما لخوف أن تضاعف
جزيتهم وباؤوا أي رجعوا بغضب عظيم وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما أفاده
التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي بغضب كائن من الله تعالى أو صاروا أحقاء به من قولهم
باء فلان بفلان أي صار حقيقاً بأن يقتل بمقابلته ومنه قول من قال بؤ بشسع نعل كليب وأصل البوء المساواة
ذلك إشارة إلى ما سلف من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم بأنهم بسبب أنهم كانوا يكفرون
على الاستمرار بآيات الله الباهرة التي هي المعجزات الساطعة الظاهرة على يدي موسى عليه السلام مما عد وما لم يعد
ويقتلون النبيين بغير الحق كشعيا وزكريا ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع أن قتل الأنبياء يستحيل أن يكون
بحق الإيذان بأن ذلك عندهم أيضاً بغير الحق إذ لم يكن أحد معتقداً لحقية قتل أحد منهم عليهم السلام وإنما حملهم على ذلك

حب الدنيا واتباع الهوى والغلو في العصيان والاعتداء كما ينبئ عنه قوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
اى حرهم العصيان والتمادى فى العدوان الى ما ذكر من الكفر وقتل الانبياء عليهم السلام فان صغار الذنوب اذا داوم عليها
ادت الى كبارها كما ان مداومة صغار الطاعات مؤدية الى تكفير كبارها وقيل كررت الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم
كما انه بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصى واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والاباء
بمعنى مع ويجوز الاشارة الى المتعدد بالمفرد بتاويل ما ذكر او تقدم كما فى قول رؤبة بن العجاج فيها خطوط من سواد وبلق
كانه فى الجلد توليع البهق اى كان ما ذكر والذى حسن فى ذلك فى المضمرات والمبهمات ان تثنيتها وجمعها ليسا على الحقيقة
ولذلك جاء الذى بمعنى الذين إن الذين آمنوا اى بالسنتهم فقط وهم المنافقون بقرينة انتظامهم فى سلك الكفرة
والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بان تلك المرتبة وان عبر عنها بالايمان لا تجديهم نفعا اصلا ولا تعصمهم
من ورطة الكفر قطعا والذين هادوا اى تهودوا من هاد اذا دخل فى اليهودية ويهودا اما عربى من هاد اذا تاب سموا
بذلك حين تابوا من عبادة العجل وقضوا به لما كانت توبتهم توبة مائلة واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر اولاد
يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران كندامى جمع ندمان يقال رجل نصران وامرأة نصرانة والياء فى نصرانى
للمبالغة كما فى احمرى سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام او لانهم كانوا معه فى قرية يقال لها ناصرة فسموا
باسمها او نسبوا اليها والياء للنسبة وقال الخليل واحد النصارى نصرى كمهرى ومهارى والصابئين هم قوم
بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل هم عبدة الكواكب
فهو ان كان عربيا فمن صبا اذا خرج من دين الى دين آخر وقرئ بالياء اما بالتخفيف واما لانه من صبا اذا مال
لما انهم مالوا من سائر الاديان الى ما هم فيه او من الحق الى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر اى من احدث
من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد على الوجه اللائق وعمل عملا صالحا صالحا يقتضيه الايمان باذكر
فلهم بمقابلة ذلك اجرهم الموعود لهم عند ربهم اى مالك امرهم ومبلغهم الى كمالهم اللائق فمن اما فى محل الرفع
على الابتداء خبره جملة فلهم اجرهم والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط كما فى قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين الآية
وجمع الضمائر الثلثة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما فى الصلة باعتبار لفظه والجملة كما هى خبر ان والعائد الى اسمها
محذوف اى من آمن منهم الخ واما فى محل النصب على البدلية من اسم ان وما عطف عليه وخبرها فلهم اجرهم وعند متعلق بما تعلق
به لهم من معنى الثبوت وفى اضافته الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد لطف بهم وايذان بان اجرهم متيقن الثبوت
مامون عن الفوات ولا خوف عليهم عطف على جملة فلهم اجرهم اى لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم
يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامها
كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا لما قرر من ان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار
بحسب المقام هذا وقد قيل المراد بالذين آمنوا المتدينون بدين الاسلام المخلصون منهم والمنافقون فلا بد من تغيير من آمن
ممن اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدا والمعاد على الاطلاق سواء ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كايمان المخلصين
او بطريق احداثه وانشائه كايمان من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين فرط ترغيب المنافقين
فى البيان ببيان ان تاخرهم فى الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين فى استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن الدائم
واما ما قيل فى تفسيره من كان منهم فى دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل
اليه اصلا لان مقتضى المقام هو الترغيب فى دين الاسلام واما بيان حال من مضى على دين آخر قبل انتساخه فلا مناسبة

له بالمقام قطعًا بل ربما يخل بمقتضاه من حيث دلالته على حقيته في زمانه ف الجملة على ان المنافقين والصابئين لا يبقى
في حيزهم ما ذكر اما المنافقون فان كانوا من اهل الشرك فالامر بين وان كانوا من اهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخ
ليسوا بمنافقين واما الصابئون فليس لهم دين يجوز رواية في وقت من الاوقات ولو سلم انه كان لهم دين سماوي ثم خرجوا عنه
فمن مضى من اهل ذلك الدين فقبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين فكيف يمكن ارجاع الضمير الرابط بين اسم ان وخبرها اليهم
او الى المنافقين وارتكاب ارجاعه الى مجموع الطوائف من حيث مجموع لا الى كل واحدة منها قصدًا الى درج الفريق المذكور فيه
ضرورة ان من كان من اهل الكتاب عاملًا بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف بكلم اشتماله على اليهودي والنصارى
وان لم يكن من المنافقين والصابئين مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله على ان المخلصين مع اندراجهم في حيز اسم ان
ليس لهم في حيز خبرها عين ولا اثر فتامل وكن على الحق المبين وَاِذْ اَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ تذكير لجناية اخرى لاسلافهم
اي اذكروا وقت اخذنا ميثاقكم بالمحافظة على ما في التورية وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّوْرَ عطف على اخذنا او حال اي قد رفعنا
فوقكم الطور كانه ظلة روى انه عليه السلام لما جاءهم بالتورية فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم فابوا
قبولها فامر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا خُذُوْا على ارادة القول مَآ اٰتَيْنٰكُمْ من الكتاب بقوة
بجد وعزيمة واذكروا ما فيه اي احفظوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون
لكي تتقوا المعاصي او لتنجوا من هلاك الدارين او رجاء منكم ان تنتظموا في سلك المتقين او طمعًا لذلك وقد مر تحقيقه
ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ اي اعرضتم عن الوفاء بالميثاق مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ من بعد اخذ ذلك الميثاق المؤكد فَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهٗ
بتوفيقكم للتوبة او بمحمد عليه الصلوة والسلام حيث يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لَكُنْتُمْ مِّنَ الْخٰسِرِيْنَ اي المغبونين
بالانهماك في المعاصي والخبط في مهاوي الضلال عند الفترة وقيل لولا فضله تعالى عليكم بالامهال وتاخير العذاب
لكنتم من الهالكين وهو الانسب بما بعده وكلمة لولا ان بسيطة او مركبة من لو الامتناعية وحرف النفي ومعناها
امتناع الشيء لوجود غيره كما ان لو لامتناعه لامتناع غيره والاسم الواقع بعدها عند سيبويه مبتدا خبره محذوف وجوبا
لدلالة الحال عليه وسد الجواب مسده والتقدير لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف اي لولا ثبت
فضل الله تعالى عليكم وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ اي عرفتم الَّذِيْنَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ روى انهم مروا بان يتفرغوا يوم السبت
للعبادة ويتجردوا للصلاة ويتركوا الصيد فاعتدى اناس منهم في زمن داود عليه السلام فاشتغلوا بالصيد وكانوا يسكنون
قرية بساحل البحر يقال لها ايلة فاذا كان يوم السبت لم يبق في البحر حوت الا برز واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فخفروا حياضا
وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فالمعنى والله لقد علمتموهم حين فعلوا
من قبيل جنايتكم ما فعلوا فلم تنهاهم ولم تزعهم عقوبتهم بل عجلنا ما فعلنا بهم كونوا قِرَدَةً خٰسِـِٔيْنَ اي جامعين بين
صورة القردة والخسوء وهو الطرد والصغار على ان خاسئين نعت لقردة وقيل حال من اسم كونوا عند من يجيز عمل
كان في الظاف والحال وقيل من الضمير المستكن في قردة لانه في معنى مسوخين وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم
فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارًا والمراد بالامر بيان سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك
كما اراده عز وجل وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فَجَعَلْنٰهَا اي المسخة والعقوبة نَكَالًا عبرة
تنكل المعتبر بها اي تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا لما قبلها وما بعدها من الامم اذا ذكرت حالهم
في زمرة الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما تحضرهما من القرى وما تباعد منهما او لاهل تلك
القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر عنها وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِيْنَ من قومهم او لكل متقٍ سمعها

واذ قال موسى لقومه توبيخ آخر لاخلاف بني اسرائيل تذكير بعض جنايات صدرت عن اسلافهم اى اذكروا وقت قول موسى عليه السلام لاجدادكم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة وسببه انه كان فى بنى اسرائيل شيخ موسر قتله بنوعمه طمعا فى ميراثه فطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فامرهم الله تعالى ان تذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى فيخبرهم بقاتله قالوا استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه الكلام كانه قيل فاذا صنعوا لما رعوا الامتثال فقيل قالوا اتتخذنا هزوا بضم الزاء وقلب الهمزة واوا وقرئ بالهمزة مع الضم والسكون اى اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزء او مهزوا بنا او الهزء نفسه استبعادا للمأمور به واستخفافا به قال استئناف كما سبق اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزء فى اثناء تبليغ اوامر الله سبحانه جهل وسفه نفى عنه عليه السلام ما توهموه من قبله على ابلغ وجه واكده باخراجه مالا مكروه وراءه بالاستعاذة عنه استفظاعا له واستعظاما لما اقدموا عليه من العظيمة التى شافهوه عليه السلام بها قالوا استئناف كما مر كانه قيل فاذا قالوا بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال قالوا ادع لنا اى لاجلنا ربك يبين لنا ما هى مبتدأ وهى خبره والجملة فى حيز النصب ببينوا اى يبين لنا جواب هذا السؤال وقد سألوا عن حالها وصفتها لما وقع اسماعهم عالم العهد من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فان ما وان شاعت فى طلب مفهوم الاسم والحقيقة كما فى ما ان حقه والحقيقة لكنها قد تطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال طبيب او عالم كان حقه ان يستفهم بای لكنهم لما رأوا ما امروا به على حالة مغايرة لما عليه الجنس اخرج عن الحقيقة فجعلوه جنسا على حياله قال اى موسى عليه السلام بعد ما دعا ربه عز وجل بالبيان واتاه الوحى انه تعالى يقول انها اى البقرة المأمور بذبحها بقرة لا فارض ولا بكر اى لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا اى اسنت من الفرض بمعنى القطع كانها قطعت سنها وبلغت آخرها وتركيب البكر للاولية ومنه البكر والباكورة عوان اى نصف لا قحم ولا اضع قال طوال مثل اعناق الهوادى قواعم بين البكارة عون بين ذلك اشارة الى ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين لاختصاصه بالاضافة الى المتعدد فافعلوا امر من جهة موسى عليه السلام متفرع على ما قبله من بيان المأمور به ما تؤمرون اى ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به كما فى قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به فان حذف الجار قد شاع فى هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية الى مفعولين وهذا الامر منه عليه السلام لحثهم على الامتثال وزجرهم عن المراجعة ومع ذلك لم ينتهوا به وقولوا لما قالوا استئناف كما مر كانه قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان الشافى والامر المكرر فقيل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها حتى يتبين لنا البقرة المأمور بها قال اى موسى عليه السلام بعد المناجاة لا الله ومجئ البيان انه تعالى انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها اسناد البيان فى كل مرة الى الله عز وجل لاظهار كمال المساعدة فى اجابة مسئولهم بتولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة والفقوع بضوع الصفرة وخلوصها ولذلك يؤكد به يقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك واحمر قانئ وفى اسناده الى اللون مع كونه من احوال الملون بملابسته به مالا يخفى من فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن به سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالة صفر قيل ولعل التعبير عن السواد بالصفرة لما انها من مقدماته وانما لان سواد الابل يعلوه صفرة وبأياه وصفها بقوله تعالى تسر الناظرين كما ياباه وصفها بفقوع اللون والسرور لذة فى القلب عند حصول نوع او توقعه من السار عن على رضى الله تعالى عنه من لبس نعلا صفراء قل همه قالوا استئناف كنظائره ادع لنا ربك يبين لنا ما هى اى زيادة استكشاف عن حالها كانهم شكوا بيان حقيقتها بحيث تميز عن جميع ما عداها مما تشاركها فى الاوصاف المذكورة يشترك فيها والاحوال المشروحة فى اثناء البيان ولذلك علقوه بقولهم ان البقر تشابه علينا يعنون ان الاوصاف المعدودة يشترك فيها كثير من البقر ولا تهتدى بها الى تشخيص ما هو المأمور بها ولذلك لما يقولوا

ان البقرة تشابهت علينا فانا بان النعوت المعدودة ليست بمشخصة للمأمور بها بل صادقة على سائر افراد الجنس وقرئ ان البا قر وهو اسم لجماعة البقر والابا قر والبواقر وتشابه بالياء والتاء وشابه بطرح التاء والادغام على التذكير والتانيث مخففا ومشددا وتشبه بمعنى شبه وتشبه بالتذكير ومتشابهة ومشبه ومشتبهة وفيه دلالة على انهم مبتدؤا عن بعض ما عدا ما في الجملة وانما هي اشتباه بشرف الزوال كما ينبئ عنه قولهم وانا ان شاء الله لمهتدون مؤكدا بوجوه من التاكيد اي لمهتدون باشالنا من البيان الذي امروا بذبحها وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد قال الله يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية تاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وقرئ تسقي من اسقى مسلمة اي سلمها الله تعالى من العيوب واهلها من العمل اذا خلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له وتؤيده قراءة ابي لا شية فيها اي لا لون فيها يخالف لونها جلدا حتى قرنها وظلفها وهي فعولة من الوشي وشاه وشيا وشية اذا خالط بلونه لونا آخر قالوا عند ما سمعوا نعوت الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة بحيث ميزتها عن جميع ما عداها ولم يبق لنا في شانها اشتباه اصلا بخلاف المرتين الاوليين فان ما جئت به فيهما لم يكن في التعيين بهذه المرتبة ولعلهم كانوا قبل ذلك قد رأوها ووجدوها جامعة لجميع ما فصل من الاوصاف المشروحة في المرات الثلث من غير مشارك لها فيما عدد من المرة الاخيرة والا فمن اين عرفوا اختصاص النعوت الاخيرة بها دون غيرها وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها الفاء فصيحة كما في فانفجرت اي فحصلوا البقرة فذبحوها وما كادوا يفعلون كاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا اي فذبحوها والحال انهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه اما غرض تذبيحي وما لاستثقال استقصائهم واستبطائهم وانهم لغلظ تطويلهم وكثرة مراجعاتهم كانهم بنهاية ضيط اسرارهم فيها قيل مضى من اول الامر الى الامتثال اربعون سنة وقيل وما كادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها روى انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاهملها في العصة وقال اللهم اني استودعكها لابني وكان يكبر وكان بر بوالديه فيتوفى الشيخ وتثب العجلة وكانت احسن البقر واسمنها فساوموا اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا لما كانت وصيت بالصفات المذكورة وكانت البقرة اذ ذاك مائة دينار اعلم انه لا خلاف في ان مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مبهمة وان الامتثال في آخر الامر انما وقع بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها فرجوا عن عهدة الامر لكن الاختلاف في ان المراد المامور بها اثر ذي اثير هل هو المعينة وقد اخر البيان عن وقت الخطاب والمبهمة ثم لحقها التغيير المعينة بسبب ما قالوا في الامتثال وتمادوا في التعنت والاكتشاف فذهب بعضهم الى الاول تمسكا بان الضمائر في الاجوبة اعني بقرة الخ للمعينة قطعا ومن قضيته ان يكون في السؤال ايضا كذلك والاريب في ان السؤال انما هو عن البقرة المامور بذبحها فيكون هي المعينة وهو مدفوع بانهم لما تعجبوا من بقرة مبينة يضرب بعضها ميتة فيحيى ظنوا ما معينة خارجة عما عليه الجنس من الصفات والخواص فسالوا عنها فرجعت الضمائر الى المعينة في زعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وان لم يكن المراد من اول الامر هي المعينة والحق انها كانت في اول الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا اية بقرة كانت يحصل الامتثال بدلالة ظاهر النظم الكريم وتكرير الامر قبل بيان اللون وما بعد من كونها مسنة الخ وقد قال عليه السلام لو اعترضوا اي بقرة فذبحوها لكفتهم وروى مثله عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ثم رجع الحكم الاول منسوخا بالثاني والثاني بالثالث تشديدا عليهم لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية وانتقاله الى المعين بل على طريقة تقييد المطلق وتخصيصه به شيئا فشيئا كيف لا ولو لم يكن كذلك لما عدت مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادة فان الامتثال بالمامور به تماما يحاد تستي فيكون سؤالاتهم من باب الامتثال وإذ قتلتم نفسا منصوب بمضمر كما مرت نظائره والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله واسناد القتل اليهم لما قارن نسبة جنايات الاسلاف الى الاخلاف توبيخا وتقريعا وتخصيصها بالاسناد دون ما قارن هذا تهم

لظهور قبح القتل واسناده الى الغير اى اذكروا وقت قتلكم نفسا محرمة فادارأتم فيها اى تخاصمتم فى شانها اذ كل واحد
من الخصمين يدافع الآخر او تدافعتم بان طرح كل واحد قتلها الى آخر واصلها تدارأتم فادغمت التاء فى الدال واجتلبت لها همزة الوصل
والله مخرج ما كنتم تكتمون اى مظهر لما تكتمونه لا محالة وآثر الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار وانما اعمل مخرج
لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على فادارأتم وما بينهما اعتراض والالتفات لتربية المهابة والضمير للنفس او التذكير
باعتباره عن الرجل او بتاويل الشخص او القتل ببعضها اى ببعض البقرة اى بعض كان وقيل بلسانها وقيل بعجب ذنبها فمجد ما
اليمنى وقيل باذنها وقيل بعجبها وقيل بالعظم الذى يلى الغرروف وهذا لا اول له كما ينبئ عنه الضمير الراجع الى البقرة كانه قيل
واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها وانما غير الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ وتثنية التوبيخ
فان كل واحد من قتل المحرمة والاستهزاء برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والافتيات على اوه وترك المسارعة الى الامتثال
جناية عظيمة حقيقة بان تنعى عليهم بخيالها او كيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم علم استقلال كل منها بما يخص بها من التوبيخ
وانما حكى الامر بالذبح عن موسى عليه السلام مع انه من الله كالامر بالضرب لما ان جنايتهم كانت براجعتهم اليه عليه السلام والافتيات
عليه كذلك يحيى الله الموتى على ارادة قول معطوف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى فضربوه فحيى فقلنا كذلك فحذف الفاء
الفصيحة فحيى معا عطف عليه لدلالته كذلك على ذلك فالخطاب ح للحاضرين عند صيرورة القتيل وجوز ان يكون ذلك للحاضرين عند
نزول الآية الكريمة فلا حاجة الى تقدير القول بل ينتهى الحكاية عند قوله تعالى ببعضها مع قدر بعض فالجملة معترضة اى مثل ذلك الاحياء
العجيب يحيى الله الموتى يوم القيمة ويريكم آياته ودلائله الدالة على ان الله تعالى على كل شئ قدير وجوز ان يراد بالآيات هذا الاحياء والتعبير
عنه بالجمع لاشتماله على امور بديعة من ترتب الحيوة على عضو ميت واخباره بقاتله وما يليه من الامور الخارقة للعادات لعلكم
تعقلون اى لكى تكمل عقولكم وتعلمون ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملوا على قضية عقولكم وتعلل الحكمة
قل شرائطها اشترط فى الاحياء مع ظهور كمال قدرته على احيائه ابتداء بلا واسطة اصلا اشتماله على التوسل الى الله تعالى واداء الواجب
ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالدوان من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق
المتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالى بثمنه كما يروى عن عمر رضى الله تعالى عنه انه ضحى بكبش اشتراه بثلثمائة دينار وان المؤثر
هو الله تعالى وانما الاسباب امارات لا تاثير لها واوان من رام ان يعرف اعدى عدوه الساعى فى اماتته للموت الحقيقى فطريقه ان ينفخ
بقرة نفسه التى هى قوته الشهوية حين زال شرة الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة فى طلب الدنيا
مسلمة عن دنسها لاسمها من قبائحها حيث يتصل اثره الى نفسه فيحيى بها صيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين النعل
والوجم من التداء والجدال ثم قست قلوبكم الخطاب لمعاصرى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والقسوة عبارة عن الغلظ والجفاء
والصلابة كما فى الحجارة استعيرت لنبو قلوبهم عن التاثر بالعظات والقوارع تميع بها الجبال وتلين بها الصخور وايراد الفعل
المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم لم تزل قاسية لما ان المراد بيان بلوغهم الى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة
وانما لان الاستمرار على شئ بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه او حدوثه ومنع حادث وثم لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة
ما يزيلها كقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون من بعد ذلك اشارة الى ما ذكر من احياء القتيل والى جميع ما عدد من الآيات
الموجبة للين القلوب وتوجهها نحو الحق اى من بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته وعلو طبقته وتوحيد حرف
الخطاب مع تعدد المخاطبين اما بتاويل الفريق او لان المراد مجرد الخطاب لا تعيين المخاطبين كما هو المشهور فهى كالحجارة
فى القساوة او اشد منها قسوة اى مماثلة القسوة مثل الحجارة او زائدة عليها فيها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها
قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وتعضده القراءة بالجر عطفا على الحجارة وايراد الجملة اسمية مع كون

ما سبق فعلية للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم والقاء التشبيه مشابهتها الحاصل على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه
في قولك احمر خده فهو كالورد وانما للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة له حق وانما قيل او اقسى منها لما في التفريع بالفاء
من زيادة مبالغة ودلالة ظاهرة على اشتراك المعطوفين في الشدة واشتمال المفضل على زيادة او للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها
شبهها بالحجارة او بما هو اقسى او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة وترك الضمير المفضل عليه للامن من الالتباس
وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار بيان لشدة قلوبهم من الحجارة في القساوة وعدم التأثر واستحالة صدور الخير منها بيعني
ان الحجارة ربما تتأثر حيث يكون منها ما يتفجر منه المياه العظيمة وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء العيون فان منها
لما يهبط من خشية الله اي يتردى من الاعلى الى الاسفل بقضية ما اودعه الله عز وجل فيها من الثقل الداعي الى المركز وهو مجاز
من الانقياد لارادة الله تعالى والمعنى ان الحجارة ليس منها فرد الا وهو منقاد لامره عز وجل آت بما خلق له من غير استعصاء قلوبهم
ليست كذلك فيكون اشد منها قسوة لا محالة واللام في لما لام الابتداء دخلت على اسم ان لتقدم الخبر وقرئ ان على انها
مخففة من الثقيلة واللام فارقة وقرئ يهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون عن متعلقة بغافل وما موصولة والعائد
محذوف او مصدرية وهو وعيد شديد على ما عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الاعمال السيئة وقرئ بالياء على الالتفات
قوله تعالى افتطمعون تلوين للخطاب وصرف عن اليهود اثر ما عدت عنادهم وتعيت عليهم جنايتهم الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ومن معه من المؤمنين والهمزة للانكار الواقع واستبعاده كما في قولك انضرب اباك للانكار الوقوع كما في قوله اهرب ابي
والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ويسند عبه نظام الكلام لكن لا على قصد توجيه الانكار الى المعطوفين معا كما في
على تقدير المعطوف عليه منفيا اي الا يبتظرون فلا يتصرون فالمنكر كلا الامرين بل الى ترتيب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب
عليه بقضيه اي اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون وكمال المعنى ابعد ان علمتم تفاصيل شئونهم الموبقة عنهم تعلمون
ان يؤمنوا لكم فانهم متماثلون في شدة الشكيمة والاخلاق الذميمة لا يأتي من اخلافهم الا مثل ما اتى من اسلافهم
وان مصدرية حذف عنها الجار والاصل في ان يؤمنوا وهي مع ما في حيزها في محل النصب او الجر على الخلاف المعروف
واللام في لكم لتضمين معنى الاستجابة كما في قوله تعالى فآمن له لوط اي في ايمانهم مستجيبين لكم او للتعليل اي فان يجدوا الايمان
لاجل دعوتكم وصلة الايمان محذوفة لظهور ان المراد به معناه الشرعي وستقف على ما فيه من المزية باذن الله تعالى
وقد كان فريق منهم الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والجار والمجرور في محل الرفع اي في فريق منهم
وقوله تعالى يسمعون كلام الله خبر كان وقرئ كلم الله والجملة حالية مؤكدة للانكار حاسمة لمادة الطمع مثل احوالهم الشنيعة
المحكية فيما سلف على منهاج قوله تعالى وهم لكم عدو وبعد قوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني اي والحال طائفة منهم
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم قوم من السبعين المختارين للميقات كانوا يسمعون كلامه تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور
وما امر به ونهى عنه ثم يحرفونه عن مواضعه لانقصور فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله على ما ينبغي للاستيلاء الدهشة والمهابة
حسبما يقتضيه مقام الكبرياء بل من بعد ما عقلوه اي فهموه وضبطوه بقولهم ولم تبق لهم في مضمونه ولابة كونه كلام رب العزة
ريبة اصلا فلما رجعوا الى قومهم اداه الصادقون اليهم كما سمعوا وهؤلاء قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا
هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس فثم للتراخي زمانا او رتبة وقال القفال رحمه الله يسمعون الكلام الله وعقلوا
مراده تعالى منه فحرفوه تأويلا فاسدا وقيل هم رؤساء اسلافهم الذين تولوا تحريف التوراة بعد ما احاطوا بما فيها علما وقيل
هم الذين غيروا نعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في عصره وبدلوا آية الرجم وقيا به الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
الدال على وقوع السماع والتحريف فيما سلف الا ان يحمل ذلك على تقدمه على زمان نزول الآية الكريمة لا على تقدمه على عهد موسى عليه السلام

يتبصرون

فلان شديد الشكيمة اذا كان شديد النفس
آنف الاباء وفلان ذو شكيمة اذا كان
لا ينقاد

وهو قول مجاهد وقتادة وابن
وعكرمة والسدي

هذا والاول هو الانسب بالسماع والكلام اذ التورية وان كانت كلام الله عز وجل لكنها باسم الكتاب اشهر واثر التحريف فيها
اظهر ووصف اليهود بتلاوتها اكثر لاستمرارهم وساواهم المباشرون للتحريف فان وظيفتهم التلاوة دون السماع فكان الانسب
ح ان يقال يتلون كتاب الله فالمعنى افتطمعون في ان يؤمنوا هؤلاء بواسطتكم ويستجيبوا لكم والحال ان اسلافهم الموافقين لهم
في ضلال السوء كانوا يسمعون كلام الله بلا واسطة ثم يحرفونه من بعد ما علموه يقينا ولا يستجيبون له هيهات ومن ههنا ظهر ما في
على بالله من الغثاثة والجزالة وقوله عز وجل وهم يعلمون جملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة حالهم مؤذنة
بان تحريفهم ذلك لم يكن على نسيان لما عقلوه او على الخطاء في بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين به مستحضرين له
او وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون واذا لقوا جملة مستأنفة سيقت اثر بيان ما صدر عنهم بالذات من الشنائع المؤيسة
عن ايمانهم من نفاق بعض وعتاب آخرين عليهم او معطوفة على ما سبق من الجملة الحالية والضمير لليهود لما ستقف على سره لا لمنافقيهم
خاصة كما قيل تحرزا بالاتحاد الفاعل في فعلي الشرط والجزاء حقيقة الذين آمنوا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قالوا اي اللاقون لكن لا بطريق تصدي الكل للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت الباقين كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا
والقاتل واحد منهم وهذا ادخل في تقبيح حال الساكتين اولا العاتبين ثانيا لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف
احوالهم وتناقض آرائهم من اسناد القول الى المباشرين خاصة بتقدير المضاف اي قال منافقوهم آمنا لم يقتصروا
على ذلك بل عللوه بانهم وجدوا نعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في التورية وعلموا انه النبي المبشر به وانما لم يصرح به تعويلا
اي اعتمادا على شهادة التوبيخ الآتي واذا خلا بعضهم اي بعض المذكورين وهم الساكتون منهم اي واذا فرغوا
عن الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين الى بعض آخر منهم وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا نص على اشتراك
الساكتين في لقاء المؤمنين كما اشير اليه آنفا اذ الخلو انما يكون بعد الاشتغال ولان عتابهم معلق بمحض الخلو ولولا انهم
حاضرون عند المقاولة لوجب ان يجعل سماعهم لها من تمام الشرط ولان فيه زيادة تشنيع لهم على ما اتوا من السكوت ثم العتاب
قالوا اي الساكتون موبخين لمنافقيهم على ما صنعوا أتحدثونهم يعنون المؤمنين بما فتح الله عليكم ما موصولة والعائد
محذوف اي بينه لكم خاصة في التورية من نعوت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر مكنون
وباب مغلق لا يقف عليه احد وتجويز كون هذا التوبيخ من جهة المنافقين لاعقابهم اراءة للتصلب في دينهم كما ذهب اليه عصابة
مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل واللام في قوله عز وجل ليحاجوكم به متعلق بالتحديث دون الفتح والمراد تأكيد النكير وتشديد
التوبيخ فان التحديث بذلك وان كان منكرا في نفسه لكن التحديث به لاجل هذا الغرض مما لا يكاد يصدر عن العاقل اي
اتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيبكتوكم والمحدثون به وان لم يحوموا حول ذلك الغرض لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعا البتة
جعلوا فاعلين للغرض المذكور اظهارا لكمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم عند ربكم اي في حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا
اي في كتابه وشرعه وقيل عند ربكم يوم القيمة ورد عليه بان الاخفاء لا يدفعه اذ هم عالمون بانهم محجوجون يومئذ حدثوا به
او لم يحدثوا والاعتذار بان الزام المؤمنين اياهم وتبكيتهم بان يقولوا الم تحدثونا بما في كتابكم في الدنيا من حقية ديننا وصدق
نبينا اخش فيجوز ان يكون المحذور عندهم هذا الالزام بارجاع الضمير في به الى التحديث دون المحدث به ولا ريب في انه مدفوع
بالاخفاء لا يساعده الآية الكريمة الآتية كما ستقف عليه باذن الله عز وجل افلا تعقلون من تمام التوبيخ والعتاب والفاء
للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطأ الفاحش او شيئا من الاشياء التي من جملتها هذا
المنكر عدم التعقل ابتداء او تعقلونه ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون الى التنبيه عليه فالمنكر عدم التعقل
بعد الفعل هذا واما ما قيل من انه خطاب من جهة الله سبحانه للمؤمنين متصل بقوله تعالى افتطمعون والمعنى افلا تعقلون

اثباركم

قاضي بيضاوي رحمه الله

وقد جوز ابو البقاء كون ما مصدرية ولا ريب في ان ضمير به عائد اليها والمصدرية حرف لا يعود اليها الضمير الا عند الاخفش وابي بكر بن سراج ورجعه الى مصدر احد الفعلين التحديث والفتح لا صحة له كما ستحيط به خبرا منه

اي الخش الطرق واقبحها منه

رد للمولى خسرو منه

قاضي بيضاوي

حالهم

حالهم وان لامطمع لكم فى ايمانهم قنايا به قوله تعالى اَوَلَا يَعْلَمُوْنَ فانه الخ تجهيل لهم من جهته تعالى فيما حكى عنهم فيكون ايرادا خطابا
المؤمنين فى اثنائه من قبيل الفصل بين الشجر وحائه على ان فى تخصيص الخطاب بالمؤمنين من التعسف وفى تعميم النبى عليه السلام
ايضا كما فى اقتطعوه من سور الاذ مالا يخفى والهمزة للانكار والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن
والضمير للموبخين اليهود من هم على التحديث المذكور مخافة المحاجة ولا يعلمون اَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّوْنَ اى يسرونه فيما بينهم من المؤمنين
او يضمرون فى قلوبهم فشمل الحكم ذلك بالطريق الاولى وما يُعْلِنُوْنَ اى يظهرونه او لاصحابهم حسبما سبق فى يظهره الله تعالى للمؤمنين
ما اراده واخفاه بواسطة الوحى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع فى آيات الرجم وتحريم
بعض المحرمات عليهم فاى فائدة فى اللوم والعتاب ومن ههنا تبين ان المحذور عندهم هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهى حاصلة فى الدارين
حدثوا بلم لا الا بالتحديث به حتى يندفع بالاخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط اولهم وللموبخين اولا باتهم المجرمين اى ايفعلون
ما يفعلون ولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملة اسرارهم الكفر واظهارهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم
واظهار غيره وكتم اوصافه واظهار ما اظهروه افترآء وانما قدم الاسرار على الاعلان للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر
والمبالغة فى بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما فى الحقيقة على السوية فان علمه تع
بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل بوجود كل شئ فى نفسه بالنسبة اليه تعالى وفى هذا المعنى لا تختلف الحال بين الاشياء البارزة
والكامنة ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما فى انفسكم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء لما ذكر من الستر على عكس
ما وقع فى قوله تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فان الاصل فى تعلق المحاسبة به هو الامور البادية دون الخافية
ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة الستر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو ادمى قبل ذلك مضمر فى القلب
فتعلق علمه تعالى بالحالة الاولى متقدم على تعلقه بالحالة الثانية ومنهم اميون وقرئ بتخفيف الياء جمع امى وهو من لا يقدر
على الكتابة والقراءة واختلف فى نسبته قيل الى الام بمعنى انه شبيه بها فى الجهل بالكتابة والقراءة فانهما ليستا من شئون النساء
بل من خلال الرجال او بمعنى انه على الحالة التى ولدته امه فى الخلو عن العلم والكتابة وقيل الى الامة بمعنى انه باق على سذاجتها
خال عن معرفة الاشياء كقولهم عامى اى على عادة العامة روى عن عكرمة والضحاك ان المراد بهم نصارى العرب وقيل هم
قوم من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا اميين وعن على رضى الله تعالى عنه هم المجوس والحق الذى لا محيد عنه
انهم جهلة اليهود والجملة مستانفة مسوقة لبيان قبائحهم اثر بيان شنائع الطوائف السالفة وقيل هى معطوفة على الجملة
الحالية فان مضمونها مناف لرجاء الخير منهم وان لم يكن فيه ما يحسم مادة الطمع عن ايمانهم كما فى مضمون الجملة الحالية وما بعدها
فان الجهل بالكتاب فى مناقاة الايمان ليس بمثابة تحريف كلام الله تعالى بعد سماعه والعلم بمعانيه كما وقع من الاولين او التفوه
والتهى عن اظهار ما فى التوراة كما وقع من الفريقين الاخيرين اى ومنهم طائفة جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة لا يعلمون
الكتاب اى لا يعرفون التوراة ليطالعوها ويتحققوا ما فى تضاعيفها من دلائل النبوة فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة يأباه
سياق النظم الكريم وسياقه اِلَّآ اَمَانِىَّ بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع امنية اصلها امنوية افعولة من منى بمعنى قدر
او بمعنى تلا كتمنى فى قوله تمنى كتاب الله اول ليلة فاعلت لاعلال سيد وميت ومعناها على الاول ما يتقدره الانسان فى نفسه
ويتمناه وعلى الثانى ما يتلى وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع اذ ليس ما يتمنى وما يتلى من جنس علم الكتاب اى لا يعلمون الكتاب
لكن يتمنون امانى حسبما مناهم احبارهم من ان الله سبحانه وتعالى يعفو عنهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وغير ذلك من
امانيهم الفارغة المستندة الى الكتاب على زعمهم وساءهم او لا يعلمون الكتاب لكن يسمعونه قدر ما يتلى عليهم فيتلبونه من غير
ان يتمكنوا من التدبر فيه واما حمل الامانى على الاكاذيب المختلقة على الاطلاق من غير ان يكون لها علاقة بالكتاب

وحيث كان العطف هنا بالواو والدلالة
على مطلق الجمع من غير دلالة على الترتيب كان
اخلا ينتقون ثم يلزم من تقدير المعطوف عليه
جملة يكون منهم ما ذكر من كون الكثير عدم
العلم بالفصل

الفارغة الخالية عن مطابقة
الواقع

فلا يساعده النظم الكريم ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ماهم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا الى رتبة العلم
فانى يرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين ولما بين حال هؤلاء فى تمسكهم بحبال الامانى واتباع الظن
عقيب بيان هؤلاء حال الذين اوقعوهم فى تلك الورطة وكشف كيفية اضلالهم وتعيين مرجع الكل بالآخرة فقيل على وجه
الدعاء عليهم ﴿فَوَيْلٌ﴾ هو وامثاله من ويح وويس وويب وويه وويك وعول من المصادر المنصوبة بافعال من غير لفظها
لا يجوز اظهارها البتة فان اضيف نصب نحو ويلك وويحك واذا فصل عن الاضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر
قاله الخليل وقال الاصمعى الويل التفجع والويح الترحم وقال سيبويه ويل لمن وقع فى الهلكة وويح زجر لمن اشرف على الهلاك
وقيل الويل الحزن وهل ويح وويب وويس بذلك المعنى او بينه وبينها فرق وقيل ويل فى الدعاء عليه وما بعده فى الترحم
عليه وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الويل العذاب الاليم وعن سفيان الثورى رضه انه صديد اهل جهنم وروى
ابو سعيد الخدرى رضه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال الويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل
ان يبلغ قعره وقال سعيد المسيب رضه انه واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره وقال ابن بريدة
جبل قيح ودم وقال صهريج فى جهنم وحكى الزهراوى انه باب من ابواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدأ خبره قوله عز وعلا
﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ﴾ اى المحرف وما كتبوه من التأويلات الزائغة ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ تأكيد لدفع توهم المجاز كقولك كتبته
بيمينى ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا﴾ اى جميعا على الاول وبخصوصه على الثانى ﴿مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ روى ان احبار اليهود خافوا ذهاب مأكلهم
وزوال رياستهم حين قدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة فاحتالوا فى تعويق اسافل اليهود عن الايمان فعمدوا الى صفة النبى عليه السلام
فى التورية وكانت هى فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال ازرق سبط الشعر
فاذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرأوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته عليه السلام فيكذبونه وثم للتراخى الرتبى فان نسبة
المحرف والتأويل الزائغ الى الله سبحانه صريحا اشد شناعة من نفس التحريف والتأويل ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ﴾ اى يأخذوا لانفسهم
بمقابلته ﴿ثَمَنًا﴾ هو ما اخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتأويل وانما عبر عن المشترى الذى هو المقصود بالذات
وسيلة والوسيلة مقصود بالذات ﴿قَلِيلًا﴾ لا يعبأ به فان ذلك وان جل فى نفسه فهو اقل قليل عند ما استوجبوا به من العذاب
الالد ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم﴾ تكرير لما سبق للتأكيد وتصريح بتعليله بما قدمت ايديهم بعد الاشعار به فيما سلف بايراده فى حيز
الصلة وبعضه فى معرض الغرض والفاء للايذان بترتبه عليه او للتفصيل ومن فى قوله عز وجل ﴿مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ تعليلية
متعلقة بويل او بالاستقرار فى الخبر وما موصولة اسمية والعائد محذوف اى كتبته او مصدرية والاول ادخل فى الزجر عن تعاطى
المحرف والثانى فى الزجر عن التحريف ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ الكلام فيه كالذى فيما قبله والتكرير لما مر من التأكيد والتشديد
والقصد الى التعليل بكل من الجنايتين وعدم التعرض بقولهم هذا من عند الله لما انه من مبادى ترويج ما كتبت ايديهم فهو
داخل فى التعليل ﴿وَقَالُوا﴾ بيان لبعض آخر من جناياتهم وفصله عما قبله مشعر بكونه من الاكاذيب التى اختلقوها ولم يكتبوها
فى الكتاب ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ فى الآخرة ﴿إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ قليلة محصورة عدد ايام عبادتهم العجل اربعين يوما
مدة غيبة موسى عليه السلام عنهم وحكى الاصم عن بعض اليهود ان عدد ايام عبادتهم العجل سبعة وروى عن ابن عباس
ومجاهد ان اليهود قالوا عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما واحدا وروى الضحاك عن ابن
عباس رضى الله عنهما ان اليهود زعمت انهم وجدوا فى التورية ان ما بين طرفى جهنم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا
الى شجرة الزقوم وانهم يقطعون فى كل يوم مسيرة سنة فيكملونها ﴿قُلْ﴾ تبكيتا لهم وتوبيخا ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ باسقاط الهمزة
المجتلبة لوقوعها فى الدرج واظهار الذال وقرئ بادغامها فى التاء ﴿عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ خبرا او وعدا بما تزعمون فان ما تدعون

قال ابو البقاء ...
رد لصاحب الكشاف

الرشى بالضم والكسر
جمع رشوة

لا يكون

لا يكون الا بناء على وعد قوي ولذلك عبر عنه بالعهد فلن يخلف الله عهده الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف
كما في قول من قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا اي ان كان الامر كذلك فلن يخلفه والجملة
اعتراضية واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان عدم الاخلاف من قضية الالوهية واظهار العهد مضافا
الى ضميره عز وجل لما ذكر او لان المراد به جميع عهوده لعمومه بالاضافة فيدخل فيه العهد المعهود دخولا اوليا وفيه تجاف
عن التصريح بتحقق مضمون كلامهم وان كان معلقا بما لم يكد يشم رائحة الوجود قطعا اعني اتخاذ العهد ام تقولون مفترين
على الله ما لا تعلمون وقوعه وانما علق التوبيخ باسنادهم اليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه مع ان ما اسندوه اليه تعالى من قبيل ما يعلمون
عدم وقوعه للمبالغة في التوبيخ والتكرير فان التوبيخ على الادنى مستلزم للتوبيخ على الاعلى بالطريق الاولى وقولهم المحكي وان لم يصرح
بكونه بالافتراء عليه سبحانه لكنه مستلزم له لان ذلك الجزم لا يكون الا باسناد سببه اليه تعالى وام اما متصلة والاستفهام
للتقرير المؤدي الى التبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير كأنه قيل ام لم تتخذوه بل تتقولون عليه تعالى واما منقطعة والاستفهام
لانكار الاتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ بالانكار على اتخاذ العهد الى ما تفيده همزتها من التوبيخ
على التقول عليه سبحانه وتعالى كما في قوله سبحانه قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون بلى الخ جواب عن قولهم المحكي وابطال
له من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلا في ضمن تشريع كلي شامل لهم ولسائر الكفرة بعد اظهار كذبهم اجمالا وتفويض
ذلك الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما ان المحاجة والالزام من وظائفه عليه السلام مع ما فيه من الاشعار بانه امر جلي
لا يتوقف على التوقيف وبلى حرف ايجاب مختص بجواب النفي خبرا او استفهاما من كسب سيئة فاحشة من السيئات
اي كبيرة من الكبائر كدأب هؤلاء الكفرة والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به
من جميع جوانبه لم يبق له جانب من قلبه ولسانه وجوارحه الا وقد اشتملت واستولت عليه خطيئته التي كسبها وصارت
خاصة من خواصه كما ينبئ عنه الاضافة اليه وهذا انما يتحقق في الكافر ولذلك فسرها السلف بالكفر حسبما اخرجه ابن ابي حاتم
عن ابن عباس وابي هريرة وابن جرير وابي وائل ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع وقيل السيئة الكفر والخطيئة
الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما ان الاولى قد يطلق على ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض
لانها من الخطأ وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما وخطيئاته وخطاياه وفي ذلك ايذان بكثرة فنون
كفرهم فاولئك مبتدأ اصحاب النار خبره والجملة خبر للمبتدأ والفاء لتضمنه معنى الشرط وايراد اسم الاشارة المنبئ
عن استحضار المشار اليهم بما له من الاوصاف للاشعار بعليتها لصاحبية النار وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم
في الكفر والخطايا وانما اشير اليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى في كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ في الضمائر الثلاثة
لما ان ذلك هو المناسب لما اسند اليهم في تينك الحالتين فان كسب السيئة واحاطة خطيئته به في حالة الانفراد وصاحبية
النار في حالة الاجتماع اي اولئك الموصوفون بما ذكر من كسب السيئات واحاطة خطاياهم بهم اصحاب النار اي ملازموها
في الآخرة حسب ملازمتهم في الدنيا لما يستوجبها من الاسباب التي من جملتها ما هم عليه من تكذيب آيات الله تعالى وتحريف كلامه
والافتراء عليه وغير ذلك وانما لم يخص الجواب بحالهم بان يقال مثلا بلى انهم اصحاب النار الخ لما في التعميم من التهويل وبيان
حالهم بالبرهان والدليل مع ما مر من قصد الاشعار بالتعليل هم فيها خالدون دائما ابدا فانى لهم التقصي عنها بعد سبعة ايام
واربعين كما زعموا فلا حجة في الآية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر ولا حاجة الى حمل الخلود
على اللبث الطويل على ان فيه تهوين الخطب في مقام التهويل والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
جرت السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما تقتضيه الحكمة في ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب اخرى

اي شغلت الرجوع عن السفر تمام منه الباب الاول

من الاشعار بعلية الحكم منه

او تباعد

اي كما على الاقرار منه

يتدله بكتاب قل اتخذتم منه

مبني على مرتبة الاستعارة الكنية منه

اي التخلص منه

والتبشير مرة والانذار اخرى وَاِذْ اَخَذْنَا مِيْثَاقَ بَنِىْ اِسْرَائِيْلَ شروع فى تعداد بعض آخر من قبائح اسلاف اليهود
مما ينادى بعدم ايمان اخلافهم وكلمة اِذْ نصب باضمار فعل خوطب به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنون اليهود بهم
التأمل فى احوالهم الى قطع الطمع عن ايمانهم او اليهود الموجودون فى عهد النبوة توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اى اذكروا
اذ اخذنا ميثاقهم لَاتَعْبُدُوْنَ اِلَّا اللّٰهَ على ارادة القول وقلنا او قائلين لا تعبدون الخ وهو اخبار فى معنى النهى
كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب الى فلان وتقول كيت وكيت وهو ابلغ من صريح النهى لما فيه من ايهام
ان المنهى حقه ان يسارع الى الانتهاء عما نهى عنه فكانه انتهى عنه فيخبر به الناهى ويؤيده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه
وقيل تقديره ان لا تعبدوا الخ فحذف الناصب ورفع الفعل كما فى قوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغا وان اشهد اللذات
هل انت مخلدى ويعضده قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه
المعنى كانه قيل وحلفناهم لا تعبدون الا الله وقرئ بالياء لانهم غيب وَبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا متعلق بمضمر اى وتحسنون
او احسنوا وَذِى الْقُرْبٰى وَالْيَتَامٰى وَالْمَسَاكِيْنِ عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل ومسكين
مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه من الحراك واثخنه عن التقلب وَقُوْلُوْا لِلنَّاسِ حُسْنًا اى قولا حسنا سماه
حسنا مبالغة وقرئ كذلك وحسنا بضمتين وهى لغة اهل الحجاز وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد وَاَقِيْمُوا
الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ مما فرض عليهم فى شريعتهم ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ان جعل ناصب الظرف خطابا بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
والمؤمنين فهذا التفات الى خطاب بنى اسرائيل جميعا بتغليب اخلافهم على اسلافهم لجريان ذكرهم كلهم حينئذ على نهج الغيبة فان
الخطابات السابقة لاسلافهم محكية داخلة فى حيز القول المقدر قبل لا تعبدون كانهم استحضروا عند ذكرهم جنايتهم فنعيت هى عليهم وان جعل
خطابا باليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الاسلاف منزلة الاخلاف كما انه
تعميم للتولى بتنزيل الاخلاف منزلة الاسلاف للتشديد فى التوبيخ اى اعرضتم عن المضى على مقتضى الميثاق ورفضتموه اِلَّا قَلِيْلًا
مِّنْكُمْ وهم من اسلاف اليهود من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ من الاخلاف من اسلم كعبد الله بن سلام واضرابه وَاَنْتُمْ
مُّعْرِضُوْنَ جملة تذييلية اى وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق واصل الاعراض الذهاب
عن المواجهة والاقبال الى جانب العرض وَاِذْ اَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر من التغليب ونعى عليهم
اخلالهم بمواجب الميثاق المأخوذ منهم فى حقوق العباد على طريقة النهى اثر بيان ما فعلوا بالميثاق فى حق الله تعالى وهو الامر بتخصيص
العبادة به تعالى منصوب بفعل مضمر اى اذكروا وقت اخذنا ميثاقكم فى التورية وقوله تعالى لَا تَسْفِكُوْنَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُوْنَ
اَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ كما قبله اخبار فى معنى النهى غير السبك اليه لما ذكر من نكتة المبالغة والمراد به النهى الشديد
عن تعرض بعض بنى اسرائيل لبعض بالقتل والاجلاء والتعبير عن ذلك بسفك دماء انفسهم واخراجها من ديارهم بناء
على جريان كل واحد منهم مجرى انفسهم لما بينهم من الاتصال القوى نسبا ودينا للمبالغة فى الحمل على مراعاة حقوق الميثاق
بتصوير المنهى عنه بصورة تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة فضمير انفسكم للمخاطبين حتما اذ به يتحقق تنزيل المخرجين
منزلتهم كما ان ضمير دياركم للمخرجين قطعا اذ المحذور انما هو اخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين من حيث انهم مخاطبون كما يفصح
عنه ما سيأتى من قوله تعالى من ديارهم وانما الخطاب ههنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلة ديار المخاطبين بناء على تنزيل انفسهم
منزلتهم لتأكيد المبالغة وتشديد التشنيع واما ضمير دماءكم فيحتمل الوجهين مفاد الاول كون المسفوك دماء ادعائية للمخاطبين
حقيقة ومفاد الثانى كونه دماء حقيقة للمخاطبين ادعاء وهما متعاربان فى افادة المبالغة فتدبر واما ما قيل من ان المعنى
لا تباشروا ما يؤدى الى قتل انفسكم قصاصا او ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة

اى لما احضر الوغا فلما حذف ان حذف اثره اى معنى اخذ الميثاق منه

على وزن عمل او سكن جمع غائب كعامل وساكن منه

اى قولا هو حسن فى نفسه لافراط حسنه منه

يعنى ان بنى تميم يجعلونه بفتحتين منه

وهم التغليب من القائبين ح

وهم التغليب من الحاضرين ح

اى قولا حسنا

الخطاب

الابية

الابدية فان القتل في الحقيقة ولا تفوتوا ما تخرمون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي فما لا يساعد عليه النظم الكريم
بل هو نقض فيما قلناه كما ستقف عليه ثم اقررتم اي بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه وانتم تشهدون توكيد
للاقرار كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الحاضرون تشهدون اليوم على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق
ثم انتم هؤلاء خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ شديد واستبعاد قوي لما ارتكبوه بعد ما كان من الميثاق والاقرار والشهادة
عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره ومناط الافادة اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف الذات والمعنى انتم بعد ذلك هؤلاء
المشاهدون الناقضون المتناقضون حسبما يوب عنه الجمل الآتية فان قوله عز وجل تقتلون انفسكم الخ بيان له
وتفصيل لاحوالهم المنكرة المندرجة تحت الاشارة ضمنا كانهم قالوا كيف نحن فقيل تقتلون انفسكم اي الجارين مجرى انفسكم
كما اشير اليه وقرئ تقتلون بالتشديد للتكثير وتخرجون فريقا منكم الضمير اما للمخاطبين والمضاف محذوف اي من انفسكم واما
للمقتولين والخطاب باعتبار انهم جبلوا النفس المخاطبين وكرر لا فلا يتحقق التكافؤ بين المقتولين والمخرجين في ذلك العنوان الذي
عليه يدور فلك المبالغة في تاكيد المبالغة حسبما نقف عليه والاظهر كما في فاجأته جنابتهم في نقضه من ديارهم الضمير للفريق
وايثار الغيبة مع جواز الخطاب ايضا بناء على اعتبار العنوان المذكور كما مر في الميثاق للاحتراز عن توهم كون الاداة اخراجهم
من ديار المخاطبين من حيث هي ديارهم لا من حيث هي ديار المخرجين وقيل هؤلاء موصول والجملتان في حيز الصلة والمجموع هو
الخبر لانتم تظاهرون عليهم بحذف احدى التاءين وقرئ باثباتهما وبالادغام وتظهرون بطرح احدى التاءين من تظاهرون
ومعنى الكل تتعاونون وهو حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او منهما جميعا مبنية للكيفية الاخراج دافعة لتوهم اختصاص
الحرمة بالاخراج بطريق الاصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعاونة بالاثم متعلق بتظاهرون حال من فاعله اي ملتبسين
بالاثم وهو الفعل الذي يستحق فاعله الذم واللوم وقيل هو ما ينزعج عنه النفس ولا يطمئن اليه القلب والعدوان وهو
التجاوز في الظلم وان يأتوكم اسارى جمع اسير وهو من يؤخذ قهرا فعيل بمعنى مفعول من الاسر اي الشد وجمع اسرى
وهو جمع سير كجرحى وجريح وقرئ اسرى ومحل النصب على الحالية تفادوهم اي تخرجوهم من الاسر باعطاء الفداء
وقرئ تفدوهم قال السدي بين ان الله تعالى اخذ على بني اسرائيل في التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا
من ديارهم واي عبد او امة وجد بيد من بني اسرائيل فاشتروه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج
حين كان بينهما ما كان من العداوة والشنآن فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم منها
ثم اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا فيفدونه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا
ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة وهو محرم عليكم اخراجهم
هو ضمير الشان وقع مبتدأ ومحرم فيه ضمير قائم مقام الفاعل وقع خبرا عن اخراجهم والجملة خبر لضمير الشان واخراجهم مرفوع
على انه مفعول ما لم يسم فاعله وقيل الضمير مبهم يفسره اخراجهم او راجع الى ما يدل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم
تاكيد او بيان والجملة حال من الضمير في تخرجون او من فريقا او منهما كما مر بعد اعتبار التقييد بالحال السابقة وتخصيص بيان
الحرمة ههنا بالاخراج مع كونه قرينا للقتل عند اخذ الميثاق لكونه مظنة للمساهلة فيه بسبب قلة خطره بالنسبة الى القتل
ولان مساق الكلام لذمهم وتوبيخهم على جناياتهم وتناقض افعالهم معاودة ذلك مختص بصورة الاخراج حيث لم ينقل عنهم تدارك
القتل بشيء من دية او قصاص وهو الستر في تخصيص التظاهر به فيما سبق واما تاخيره من الشرطية المعترضة مع ان حقه
التقديم كما ذكره الواحدي فلان نظم افاعيلهم المتناقضة في سمط واحد من الذكر ادخل في اظهار بطلانها افتؤمنون
ببعض الكتاب اي التوراة التي اخذ فيها الميثاق المذكور والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام

اى اتنطون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب وهو المفادة وتكفرون ببعض وهو ومته القتال والاخراج مع ان من قضية
الايمان ببعضه الايمان بالباقى لكون الكل من عند الله داخلا فى الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع ايمانهم
بالبعض حسبما نبيده ترتيب النظم فان التقديم يستدعى فى المقام الخطابى اصالة المتقدم وتقدمه بوجه من الوجوه حتما واذ ليس
ذلك ههنا باعتبار الانكار والتوبيخ عليه فهو باعتبار الوقوع قطعا لايمانهم بالبعض مع كونهم بالبعض كما هو المفهوم
وقيل افتكفرون ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض ولا مجرد كفرهم بالبعض وايمانهم بالبعض كما نبيده ان ينال المحبوب
بين الايمان ببعض الكتاب والكفر ببعض او بالعكس فما جزاء من يفعل ذلك منافية ومن ان جعلت موصولة
فلا محل لفعل من الاعراب وان جعلت موصوفة فمحله الجر على انه صفتها وذلك اشارة الى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان ببعض
اولى ما فعلوا من القتل والاجلاء مع مفاداة الاساري منكم حال من فاعل يفعل الا خزى استثناء مفرغ وقع خبرا
خبر المبتدا والخزى الذل والهوان مع الفضيحة والتنكير للتفخيم وهو قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير الى اذرعات
واريحا من الشام وقيل الجزية فى الحيوة الدنيا فى حيز الرفع على انه صفة خزى اى خزى كائن فى الحيوة الدنيا
او فى حيز النصب على انه ظرف لتفعل الخزى ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على ما ذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات ايمانهم
ببعض الكتاب واظهارا لانه لا اثر له اصلا مع الكفر ببعض ويوم القيمة يردون وقرئ بالتاء اوثر صيغة الجمع نظرا
الى معنى من بعد ما اوثر الافراد نظرا الى لفظها لما ان الرد انما يكون بالاجتماع الى اشد العذاب لما ان معصيتهم
اشد المعاصى وقيل اشد العذاب بالنسبة الى امثالهم فى الدنيا من الخزى والصغار وانما غير سنبك النظم الكريم
حيث لم يقل مثلا واشد العذاب يوم القيمة للايذان بكمال التنافى بين جزائى الفريقين وتقديم يوم القيمة على ما ذكر
ما يقع فيه لتهويل الخطب وتنطيع الحال من اول الامر وما الله بغافل عما تعملون من القبائح التى من جملتها هذا المنكر
وقرئ بالياء على نسق يردون وهو تاكيد للوعيد اولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف القبيحة وهو مبتدا خبره قوله تعالى
الذين اشتروا اى آثروا الحيوة الدنيا واستبدلوها بالآخرة واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان ما ذكر
من الكفر ببعض احكام الكتاب انما كان لمراعاة جانب خلفائهم لما يعود اليهم منهم من بعض المنافع الدنيوية
فلا يخفف عنهم العذاب دنيويا كان واخرويا ولا هم ينصرون يدفعه عنهم شفاعة او خبرا والجملة معطوفة على قبلها
عطف الاسمية على الفعلية او ينصرون مفسر لمحذوف قبل الضمير فيكون من عطف الفعلية على مثلها ولقد آتينا موسى الكتاب
شروع فى بيان بعض آخر من جنايا تهم وتصدير بالجملة القسمية لاظهار كمال الاعتناء به والمراد بالكتاب التورية
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انها نزلت جملة واحدة او الله موسى عليه السلام بحملها فلم يطق ذلك فعبث
بكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا بحملها فخففها الله تعالى لموسى عليه السلام فحملها وقفينا من بعده بالرسل يقال قفاه به
اذا اتبعه اياه اى ارسلناهم على اثره كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمول وشمعون وداود وسليمان
وشعياء وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيا وغيرهم عليهم السلام وآتينا
عيسى بن مريم البينات المعجزات الواضحات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل
وعيسى بالسريانية ايشوع ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية من النساء كالزبد من الرجال وقيل فسر
قول رؤبة قلت لزيد لم تصله مريمه فقلل اهواء القصا تندمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه اى قويناه
وقرئ ايدناه بروح القدس بضم الدال وقرئ بسكونها اى بالروح المقدسة وهى روح عيسى عليه السلام كقولك
حاتم الجواد ورجل صدق وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب والارحام الطواهث وقيل

لفضليك بتشديد اللام
مبالغة الفضال منه

لمرسل

لجبرئيل عليه السلام وقيل بالانجيل كما قيل في القرآن وروحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره
وتخصيصه من الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه باذكر من انباء البينات والتأييد بروح القدس لما ان بعثتهم كانت لتنفيذ
احكام التورية وتقريرها وامّا عيسى عليه السلام فقد نسخ بشرعه كثيرا من احكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل في حقه عليه السلام
ببيان حقيقته واظهار كمال قبح ما فعلوا به عليه السلام افكلما جاءكم رسول من اولئك الرسل بما لا تهوى انفسكم من الحق
الذي لا محيد عنه اي لا محبة من هوى كفرح اذا احب والتعبير عنه بذلك للايذان بان مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة للاهواء
انفسهم والموافقة لها شيء آخر وتوسيط الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من الافعال الآتية لتوبيخهم على تعصبهم ذلك هذا
والتعجيب من شانهم ويجوز كون الفاء للعطف على مقدر يناسب المقام اي الم تطيعوهم فكلما جاءكم رسول منهم بما لا تهوى انفسكم
استكبرتم عن الاتباع له والايمان بما جاء به من عند الله تعالى ففريقا منهم كذبتم من غير ان تتعرضوا لهم بشيء آخر
من المضارّ والفاء للسببية او التعقيب وفريقا آخر منهم تقتلون غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام
وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر وآثار صيغة الاستقبال في القتل لاستحضار صورته
الهائلة او للاياء الى انهم بعد على تلك النية حيث هموا بما لم ينالوا من جهته عليه السلام وسحروه وسموا الشاة حتى قال عليه السلام
ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وقالوا بيان لفن آخر من قبائحهم على طريق الالتفات الى الغيبة ايذانا
بابعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل عن محاذيهم الموجبة للاعراض عنهم وحكاية نظائر ما لكل من بينهم بطلانها وقباحتها
من اهل الحق والقائلون هم الموجودون في عصر النبي عليه السلام قلوبنا غلف جمع اغلف مستعار من الاغلف الذي
لم يختن اي هي مغشاة بغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده ما روي عن ابي عمرو من القراءة بضمتين بمعنون ان قلوبنا اوعية من العلوم
فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس وعطاء وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا لا يصل اليها حديث الاوعية
ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا بل لعنهم الله بكفرهم ردّ لما قالوه وتكذيب لهم في ذلك والمعنى على الاول بل ابعدهم
سبحانه عن رحمته بان خذلهم وخلاهم وشانهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة
وكونهم بحيث لا ينفعهم الالطاف اصلا بعد ان خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق وعلى الثاني بل ابعدهم من رحمته
فانى لهم ادعاء العلم الذي هو اجل آثارها وعلى الثالث بل ابعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق المؤدي اليها
فقليلا ما يؤمنون ما مزيدة للمبالغة اي فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل فزمانا قليلا يؤمنون
وهو ما قالوا آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وكلاهما ليس بايمان حقيقة وقيل
اريد بالقلة العدم والفاء للسببية اللعن لعدم الايمان ولما جاءهم كتاب هو القرآن وتنكيره للتفخيم ووصفه
بقوله عز وجل من عند الله اي كائن من عنده تعالى للتشريف مصدقا لما معهم من التورية عبر عنها بذلك لما ان المعتبر
من موجباتها الوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها وقرئ مصدقا على انه حال من كتاب لتخصصه بالوصف
وكانوا من قبل اي من قبل مجيئه يستفتحون على الذين كفروا اي وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون به على المشركين ويقولون
اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التورية ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا
نقتلكم معه قتل عاد وارم قال ابن عباس وقتادة والسدي نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الاوس
والخزرج برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويبشرونهم بان نبيا يبعث منهم
قد قرب آوانه والسين للمبالغة كما في استعجب اي يسألون من انفسهم الفتح عليهم او يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم وعلى التقديرين

فالجملة حالية مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله عز وعلا فلما جاءهم تكرير للاول لطول العهد بتوسط الجملة الحالية
ما عرفوا عبارة عما سلف من الكتاب لان معرفة من انزل هو عليه معرفة له والاستفتاح باستفتاح به وايراد الموصول
دون الاكتفاء بالاضمار لبيان كمال مكابرتهم فان معرفة ما جاءهم من مبادي الايمان به ودواعيه لا محالة والفاء للدلالة على ترتب
مجيئه للاستفتاح به من غير ان يتخلل بينهما مدة مسهلة وقوله تعالى كفروا به جواب لما الاولى كما هو رأي المبرد او جوابها محذوف
كما قاله ابو البقاء وقيل جواب الاولى محذوف لدلالة المذكور عليه فيكون قوله تعالى وكانوا الخ جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة
على القصة والمراد بما عرفوا النبي عليه السلام كما هو المراد بما كانوا يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه
وكانوا قبل مجيئه يستفتحون بمن انزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي عليه السلام الذي عرفوه كفروا به فلعنة الله على الكافرين
اللام للعهد اي عليهم ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بان حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما ان الفاء للايذان بترتبها
عليه او للجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ الكلام فيهم وايا ما كان فهو محقق لمضمون قوله تعالى بئسما اشتروا به
انفسهم مانكرة منصوبة مفسرة للفاعل بئس واشتروا صفته اي بئس شيئا باعوا به انفسهم وقيل اشتروا به في زعمهم
حيث يعتقدون انهم بما فعلوا اخلصوا من العقاب وايا ما كان اذ لا بد ان يكون المذموم ما كان حاصلا لهم لا ما كان زائلا
عنهم والمخصوص بالذم قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة لكفرهم اصالة
دون اشتروا والمانع من الفصل بما هو اجنبي بالنسبة اليه وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله لان البغي مما يعلق
له بعنوان البيع قطعا لا سيما وهو معلل بما سيأتي من تنزيل الله تعالى من فضله على من يشاء وانما الذي بينه وبين علاقة
وهو كفرهم بما انزل الله والمعنى بئس شيئا باعوا به انفسهم كفرهم المعلل بالبغي الكائن لاجل ان ينزل الله من فضله الذي
هو الوحي على من يشاء اي يشاءه ويعطيه من عباده المتأهلين لتحمل اعباء الرسالة ومآله تعليل كفرهم بالمنزل
بحسدهم للمنزل عليه وايثار صيغة التفعيل ههنا للايذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الانزال وتكثره فباؤا بغضب على غضب
اي رجعوا ملتبسين بغضب كائن على غضب مستحقين لاحدهما اثر قولهم من كفرهم على كفرهم فانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه
وقيل كفروا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم بعد عيسى عليه السلام وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك
من فنون كفرهم وللكافرين اي لهم والاظهار في موقع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما لحق عذاب مهين يراد به
ايلامهم واذلالهم لما ان كفرهم بما انزل الله تعالى كان مبنيا على الحسد المبني على كظم الغيظ وعلى ادعاء الفضل على الناس
والاستهانة بمن انزل عليه عليه السلام واذا قيل من جانب المؤمنين لهم اي لليهود وتقديم الجار والمجرور لتقرير وجهه
لا سيما في لام التبليغ آمنوا بما انزل الله من الكتب الالهية جميعا والمراد به الامر بالايمان بالقرآن لكن سلك مسلك التعميم
ايذانا بتحتم الامتثال من حيث مشاركته لما آمنوا به فيما في حيز الصلة وموافقته له في المضمون وتنبيها على ان الايمان
بما عداه من غير ايمان به ليس بايمان بما انزل الله قالوا نؤمن اي نستمر على الايمان بما انزل علينا يعنون به التوراة
وما انزل على انبياء بني اسرائيل لتقرر حكمها وبدرسون فيه ان ما عداه ذلك غير منزل عليهم ورادهم بضمير المتكلم انا انفسهم تنفيسا
الانزال عليهم تكليفهم بما فيه المنزل من الاحكام واما انبياء بني اسرائيل وهو الظاهر لاشتماله على فرية الايذان بان عدم ايمانهم
بالقرآن لما قام من بغيهم وحسدهم على نزوله على من ليس منهم ولان مرادهم بالموصول وان كان هو التوراة وما في حكمها خاصة
لكن ايرادهم بعنوان الانزال عليهم مبني على ادعاء ان ما عداه ليس كذلك على وجه التعريض كما اشير اليه فلو اريد بالانزال
عليهم ما ذكر من تكليفهم بما يلزم من مغايرة القرآن لما انزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله عز وجل ويكفرون بما وراءه عدم كونهم
مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلا على واحد من بني اسرائيل على الوجه الاخير وتجريد الموصول عند الاضمار عما عرضوا به

رد للقاضي البيضاوي رحمه الله

راي بيان الانزال مكان المجيء

تعسف والوراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه
وهو امامه والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدا اى قالوا ما قالوا وهم يكفرون بما عداه وليس المراد به مجرد بيان ان اذعانهم
بما انزل عليهم بالذكر لنفي ايمانهم بما وراءه بل بيان ان ما يدعون من الايمان ليس بايمان بما انزل عليهم حقيقة فان قوله عز وجل
وهو الحق اى الموصوف بالحقية الحقيق بان يخص باسم الحق على الاطلاق حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى مصدقا حال
مؤكدة لمضمون الجملة صاحبها اما ضمير الحق وعاملها ما فيه من معنى الفعل قاله ابو البقاء واما ضمير ما دل عليه الكلام وعاملها فعل مضمر اى
مصدقا لما معهم من التورية والمعنى قالوا نؤمن بما انزل علينا وهم يكفرون بالقرآن والحال انه حق مصدق لما آمنوا به
فكيف يفهم الكفر بما آمنوا به ومثالهم انهم ادعوا الايمان بالتورية والحال انهم يكفرون بما يلزم من الكفر به الكفر بها قل تبكيتا لهم من جهة الله
عز من قائل ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم بعد بيان التناقض في اقوالهم فلم اصله لما حذفت عنه الالف فرقا بين الاستفهامية
والخبرية تقتلون انبياء الله من قبل الخطاب للحاضرين من اليهود والماضين على طريقة التغليب وحيث كانوا مشاركين في العقد
والحل كان الاعراض على سلافهم اعراضا على اخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف اى قل
لهم ان كنتم مؤمنين بالتورية كما تزعمون فلاى شئ كنتم تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيما حرام وقرئ انبياء الله وهو ظاهر وقوله
ان كنتم مؤمنين تكرير للاعراض لتاكيد الالزام وتشديد التهديد اى ان كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم وقد حذف من كل واحدة
من الشرطيتين ما حذف ثقة بما اثبت في الاخرى وقيل لا حذف فيه بل تقديم الجواب على الشرط وذلك لا يجيز الا على رأى
الكوفيين وابى زيد وقيل ان نافية اى ما كنتم مؤمنين والا لما قتلتموهم ولقد جاءكم موسى بالبينات من تمام
التبكيت والتوبيخ داخل تحت الامر بالتكذيب لما فيه من تضاعيف تعداد النعم التي من جملتها العفو عن عبادة العجل واللام
للقسم اى والله لقد جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات الظاهرة التي هي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والدم
والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عد منها التورية وليس بواضح فان المجئ بها بعد قصة العجل
ثم اتخذتم العجل اى الها من بعده اى من بعد مجيئه وقيل من بعد ذهابه الى الطور فيكون التورية حينئذ من جملة البينات وثم
للتراخي في الرتبة والدلالة على نهاية قبح ما صنعوا وانتم ظالمون حال من ضمير اتخذتم بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته
واضعين لها في غير موضعها او بالاخلال بحقوق آيات الله تعالى او اعراض اى وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا
ميثاقكم توبيخ من جهته تعالى وتكذيب لهم في ادعائهم الايمان بما انزل عليهم بتذكير جناياتهم التي طفقة يكذبهم اى
اذكروا حين اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور قائلين خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اى خذوا ما امرتم به
في التورية واسمعوا ما فيها سمع طاعة وقبول قالوا استئناف مبني على سؤال سائل كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا
سمعنا قولك وعصينا امرك فاذا قابل سلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة الباهرة
بمثل هذه العظيمة الشنعاء وكفروا بما في تضاعيف التورية فكيف يتصور من اخلافهم الايمان بما فيها واشربوا في قلوبهم
العجل على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للمبالغة اى تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به
وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كما في قوله تعالى انما يأكلون
في بطونهم نارا والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير بكفرهم السابق للموجب لذلك قيل كانه مجسمية او طولية
ولم يروا اجسم منه فتمكن في قلوبهم بان سول لهم السامري قل توبيخا لحاضري اليهود اثر ما بين احوال رؤسائهم الذين
بهم يقتدون في كل ما يأتون وما يذرون بئسما يأمركم به ايمانكم بما انزل عليكم من التورية حسبما تدعون والمخصوص
بالذم محذوف اى ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفي اسناد الامر الى الايمان تهكم بهم واضافة الايمان اليهم

للايذان بانه ليس بايمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فانه قدح في دعواهم الايمان بما انزل عليهم من التورية
وابطال لها وتقديره ان كنتم مؤمنين بها عاملين فيما ذكر من القول والعمل بما فيها فبئسما يامركم به ايمانكم بها واذ لا يسوغ الايمان
بها مثل تلك القبائح فلستم بها قطعا وجواب الشرط كما ترى محذوف لدلالة ما سبق عليه قل كرر الامر مع قرب العهد بالامر
السابق لا لأنه اخر بتبكيتهم واظهار كذبهم في فن آخر من اباطيلهم لكنه لم يحك عنهم قبل الامر بابطاله بل اكتفى بالاشارة
اليه في تضاعيف الكلام حيث قيل ان كانت لكم الدار الآخرة اي الجنة او يعم الدار الاخرة عند الله
خالصة اي سالمة لكم خاصة بكم كما تدعون انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ونصبها على الحالية
من الدار وعند ظرف للاستقرار في لكم اعني لكم وقوله تعالى من دون الناس في محل النصب بخالصة نعال خلص لي كذا
من كذا او اللام للجنس اي الناس كافة او للعهد اي المسلمين فتمنوا الموت فان من ايقن بدخول الجنة اشتاق
الى التخلص اليها من داره البوار وفراره الاكدار لا سيما اذا كانت خالصة له كما قال علي كرم الله وجهه لا ابالي استلقيت
على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بن ياسر بصفين الآن ألاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال ضديقة بن
اليمان حين احتضر وقد كان يتمنى الموت قبل جاء على فاقه لا افلح من ندم اي على التمني وقوله تعالى ان كنتم صادقين
تكرير للكلام لتشديد الالزام وللتنبيه على ان ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط في نفس الامر فقط بل في اعتقادهم ايضا
وانهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي ان كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى ولن يتمنوه
ابدا كلام مستانف غير داخل تحت الامر سيق من جهته سبحانه لبيان ما يكون منهم من الاحجام عما دعوا اليه الدال على كذبهم
في دعواهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي عليه السلام والقرآن وتحريف
التورية ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة صنعائه ومدار اكثر منافعه عبر بها تارة عن النفس واخرى
عن القدرة والله عليم بالظالمين وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في جميع الامور
التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم
من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى اقاصي العذاب وبما سيكون منهم من الاصرار على ما يؤدي الى ذلك فوقع الامر
كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد اذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يتمنوا الموت
لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض ولتجدنهم احرص الناس من الوجدان
العقلي وهو جار مجرى العلم ظلا انه مختص بما يقع بعد التجربة وكذا مفعولاه الضمير واحرص والتنكير في قوله تعالى على حياة
للايذان بان مرادهم نوع خاص منها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ بالتوبيخ ومن الذين اشركوا عطف على ما قبله
بحسب المعنى كانه قيل احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر مع دخولهم في الناس للايذان بامتيازهم
من بينهم لشدة الحرص للمبالغة في توبيخ اليهود فان حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان اشد من حرص المشركين
المنكرين له دل ذلك على جزمهم بمصير النار وجوز ان يحمل على حذف المعطوف ثقة بانباء المعطوف عليه عنه اي واحرص من الذين
اشركوا فتقول لك يود احدهم بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف ويجوز ان يكون في حيز الرفع صفة لمبتدإ
محذوف خبره الظرف المتقدم على ان يكون المراد بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن الله اي ومنهم طائفة يود احدهم انهم كان
اي كل واحد منهم لو يعمر الف سنة وهو حكاية لوداد تهم كانه قيل يتمنى احمر وانما اجري على الغيبة لقوله تعالى
يود كما تقول حلف بالله ليفعلن ومحل النصب على انه مفعول يود اجراء له مجرى القول لانه فعل قلبي وما هو بمزحزحه
من العذاب ما حجازية والضمير العائد الى احدهم اسمها وبمزحزحه خبرها والباء زائدة ان يعمر فاعل مزحزحه

وهو مقابل للاقدام بمعنى الاعراض منه

اى وما احدهم بمن يزحزحه اى يبعده وينجيه من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر وان يعمر بدل منه
وقيل هو مبهم وان يعمر مفسره والجملة حال من احدهم والعامل يود لا يعمر على انها حال من ضميره لفساد المعنى او اعتراض واصل
سنة سنوة لقولهم سنوات وسنية وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وسنيهة وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والله
بصير بما يعملون البصير فى كلام العرب العالم بكنه الشىء الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه اى عليم بخفيات اعمالهم فهو مجازيهم
بها لا محالة وقرئ بتاء الخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد قل من كان عدوا لجبريل نزل فى عبد الله بن صوريا من احبار
فدك حاج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسأله عمن ينزل عليه بالوحى فقال عليه السلام جبريل فقال هو عدونا ولو كان غيره
لآمنا بك وفى بعض الروايات ورسولنا ميكائيل فلو كان هو الذى يأتيك لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل
على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل عليه السلام وقال
ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه والا فباى حق تقتلونه وقيل امره الله تعالى ان يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا
روى انه كان لعمر رضى الله تعالى عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم
فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لشك فى دينى وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة
فى امر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وارى آثاره فى كتابكم ثم سألهم عن جبريل عم فقالوا ذاك هو عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو
صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل يجئ بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل اقرب منزلة هو عن يمينه
وميكائيل عن يساره وهما متعاديان فقال عمر رض ان كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما
فهو عدو للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله سبحانه ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
لقد وافقك ربك يا عمر لقد رايتنى فى دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبرئيل كسلسبيل وجبرئل كجحمرش وجبريل وجبرال وجبرائيل
كجراعيل وجرائيل كجراعيل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله فانه نزله تعليل لجواب الشرط قائم مقامه
والبارز الاول لجبريل عليه السلام والثانى للقرآن اضمر من غير ذكر ايذانا بفخامة شانه واستغنائه عن الذكر لكمال شهرته ونباهته
لاسيما عند ذكر شئ من صفاته على قلبك زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحى فانه القابل الاول ومدار الفهم والحفظ
وايثار الخطاب على التكلم المبنى على حكاية كلام الله تعالى بعينه كما فى قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لما فى النقل
بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون المقالة باذن الله بامره وتيسيره مستعارة من تسهيل الحجاب وفيه تلويح بكمال توجه جبريل عليه السلام
الى تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه اى من الكتب الالهية التى معظمها
التورية حال من مفعوله وكذا قوله تعالى وهدى وبشرى للمؤمنين والعامل فى الكل نزله والمعنى من عادى جبريل عليه السلام
من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته فانه نزل عليك كتابا مصدقا لكتبهم فالسبب فى عداوته تنزيله لكتاب
مصدق لكتابهم موافق له وهم كارهون لذلك حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته له لان الاعتراف بها اى بالتورية يوجب الايمان
به وذلك يستدعى انعكاس احوالهم وزوال رياستهم وقيل ان الجواب فقد خلع ربقة الانصاف او فقد كفر بما معه
من الكتاب او فليمت غيظا او فهو عدو لى وانا عدو له من كان عدوا لله اريد بعداوته تعالى مخالفته امره عنادا
والخروج عن طاعته مكابرة او عداوة خواصه ومقربيه لكن صدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشانهم وايذانا بان عداوتهم عز وجل
والله ورسوله احق ان يرضوه ثم صرح بالمرام فقيل وملائكته ورسله وجبريل وميكال وانما افردا مع انهما اول من يشتمله
عنوان الملكية والرسالة لاظهار فضلهما كانهما عليهما السلام من جنس آخر اشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة
التغاير فى الجنس وللتنبيه على ان عداوة جنسهما مادة اعتقادهم الباطل فى حقهما حيث زعموا انهما متعاديان وللاشارة

بحذف الالف وبلا ياء بعد الهمزة

بحذف الياء

اى معنى جبرئيل بالعربية عبد الله

الى أن معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستتباع العداوة من جهته سبحانه وأن من عادى احدهم فكأنما عادى الجميع
وقوله تعالى فان الله عدو للكافرين اى لهم جواب الشرط والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب وآثار الاسمية
للدلالة على التحقق والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر للايذان بان عداوة المذكورين كفر وان ذلك بين لا يحتاج الى الاخبار به
وان مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لاشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ ميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل
وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل ولقد انزلنا اليك آيات بينات واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله عز وجل
وما يكفر بها الا الفاسقون اى المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده فان من ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يجرى على الكفر بمثل
تلك الصفات قال الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم افراد ذلك النوع من كفر او غيره وعن ابن عباس رضه
انه قال قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك بها فنزلت والام
للعهد اى الفاسقون المعهودون وهم اهل الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا
أو كلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى اكفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهدا
ومن جملة ذلك ما اشير اليه في قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا من قولهم اللهم انصرنا عليهم قد اظل زمان نبي يخرج
بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقرئ بسكون الواو على تقدير النظم الكريم وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهودهم
واراد الكثرة وقرئ عوهدوا وعهدوا وقوله تعالى عهدا اما مصدر مؤكد لعاهدوا من غير لفظه منصوب على انه بمعنى اعطوا العهد بنذه
فريق منهم اى رموا بالمرة عهدا ورفضوه وقرئ نقضه واسناد النبذ الى فريق منهم لان منهم من لم ينبذه بل اكثرهم لا يؤمنون
اى بالتورية وهذا دفع لما يتوهم من ان النابذين هم الاقلون وان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون بها سرا ولما جاءهم رسول
هو النبي عليه السلام والتنكير للتفخيم من عند الله متعلق بجاء او بمحذوف وقع صفة لرسول عليه السلام لافادة وقوعه تعظيما تاكيد
ما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية مصدق لما معهم من التورية من حيث انه عليه السلام قرر صحتها
وحقق بحقيقة نبوة موسى عليه السلام بما انزل عليه او من حيث انه عليه السلام جاء على وفق ما نعت فيها نبذ فريق من الذين
اوتوا الكتاب اى التورية وهم اليهود الذين كانوا في عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ممن كانوا يستفتحون به قبل ذلك
لا الذين كانوا في عهد سليمان عليه السلام كما قيل لان النبذ عند مجيء النبي عليه الصلوة والسلام لا يتصور منهم وافراد هذا النبذ بالذكر
مع اخراجه تحت قوله عز وجل او كلما عاهدوا عهدا نبذ فريق منهم لانه معظم خباياتهم ولانه تمهيد لذكر اقتاعهم لما تلوا الشياطين
واثارهم له عليه والمراد باتيانهم اما ايتاء علمها بالدراسة والحفظ والوقوف على ما فيها فالموصول عبارة عن علمائهم واما مجرد
انزالها عليهم فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين فوضعه موضع الضمير للايذان بكمال التنافي بين ما اثبت لهم في حيز الصلة وبين
ما صدر عنهم من النبذ كتاب الله اى الذي اوتوه فان الذي لما جاءهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عارضوه بالتورية
فاتفقت التورية والفرقان فنبذوا التورية واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى ولما جاءهم
رسول من عند الله الخ واتى عبر عنها بكتاب الله تشريفا لها وتعظيما لحقها عليهم وتهويلا لما اجترؤا عليه من الكفر بها وقيل كتاب الله
القرآن نبذوه بعد ما الزمهم تلقيه بالقبول لاستيجابه بما كانوا يستفتحون به من قبل فان ذلك قبول له وتمسك به فيكون الكفر
به عند مجيئه نبذا له كانه قيل كتاب الله الذي جاء به فان مجيء الرسول معرف عن مجيء الكتاب وراء ظهورهم تمثيل لتركهم
واعراضهم عنه بالكلية على ما يروى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة الالتفات اليه كانهم لا يعلمون جملة حالية اى نبذوه
وراء ظهورهم مشبهين بمن لا يعلم فان اريد بهم احبارهم فالمعنى كانهم لا يعلمون على وجه الاتقان ولا يعرفون ما فيه من الدلائل
نبوته عليه السلام فعنيه ايذان بان علمهم به رصين لكنهم يتجاهلون او كانهم لا يعلمون انه كتاب الله اصلا كما اذا اريد

بهم الكل وفي هذين الوجهين زيادة مبالغة فلو اعراضهم عما في التورية من دلائل النبوة هذا وان اريد بما ينبذونه من كتاب الله القرآن فالمراد بالقرآن المنفي في قوله تعالى كأنهم لا يعلمون هو العلم بأنه كتاب الله فنفيه ما في الوجه الاول من الاشعار بأنهم متيقنون في ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعنادا قيل ان حبل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وفاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بقوله عز وجل بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ العهود وتعدي الحدود تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله لتجدن منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذ ما ولكن نبذوه بما جهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خلفية وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على جواب لما اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي كانت تقرؤها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلوها كاية حال ماضية والمراد باتباع التوغل والتحفظ فيه والاقبال عليه بالكلية فان اصل الاتباع كان حاصلا بعد مجيء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يتسنى عطفه على جواب لما ولذلك قيل هو معطوف على الجملة وقيل على اشتروا على ملك سليمان اي في عهد ملكه فقيل كانت الشياطين يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس وفشى ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن يعلم الغيب وكانوا يقولون تعلم سليمان وما تم له ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الانس والجن والطير والريح التي تجري بأمره وقيل ان سليمان كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله تعالى بها تحت سريره فلما مضت على ذلك مدة توصل اليه قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك اشياء من فنون السحر تناسب تلك الاشياء المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب وهموا انه من علم سليمان وانه ما بلغ هذا المبلغ الا بسبب هذه الاشياء وما كفر سليمان تنزيل لساحته عليه السلام عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه كان يعتقده ويعمل به والتعرض لكونه كفرا للمبالغة في اظهار براءة ساحته عليه السلام وكذب ما حيته بذلك ولكن الشياطين وقرئ بتخفيف لكن ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها وكون المخففة عند الجمهور للعطف انما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها مفردا كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير كفروا او من الشياطين فان ما في لكن من رائحة الفعل كاف في العمل في الحال او في محل الرفع على انها خبر ثان لكن او بدل من الخبر الاول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التعليم وتجدده او حكاية حال ماضية هذا على تقدير كون الضمير للشياطين واما على تقدير رجوعه الى فاعل اتبعوا فهي اما مستأنفة فحسب اعلم ان السحر انواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والشقاوة ويستدلون بالخوارق بواسطة القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم على نبينا وعليه السلام لابطال مقالتهم وهم ثلث فرق فرقة منهم يزعمون ان الافلاك والنجوم واجبة الوجود لذواتها وهم الصابئة وفرقة يقولون بالهية الافلاك ويتخذون لكل واحد منها هيكلا ويشتغلون بخدمتها وهم عبدة الاوثان وفرقة اثبتوا للافلاك والكواكب فاعلا مختارا لكنهم قالوا انه اعطاها قوة عالية تأثر في هذا العالم وفوض تدبيره اليها ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية فانهم يزعمون ان الانسان يبلغ روحه بالتصفية في القوة والتأثير الى حيث يقدر على الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وتغيير البنية والشكل ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات الآخذة بالعيون وتسمى الشعوذة ولا خلاف بين الامة في ان من اعتقد الاول فقد كفر وكذا من اعتقد الثاني وهو سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية واما من اعتقد ان الانسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزائم والترقي الى حيث يخلق الله تعالى عقيب ذلك على سبيل جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة اتفقوا على انه كافر لانه لا يمكنه بهذا الاعتقاد معرفة صدق الانبياء والرسل عليهم السلام بخلاف غيرهم ولعل التحقيق ان ذلك لان ان كان خيرا متشرعا في كل ما يأتي ويذر وكان من يستعين

امع الشعبذة تخييل الخيالات الباطلة وتوهيم اشياء خلاف ما تفعل المشعوذ يأخذ ثوب احمر ويريه تخييلا ثم ينفضه ويريه اصفر الخير منه

من الارواح الخبيثة قد كانت عزائمه ورقاه غير مخالفة لاحكام الشريعة ولم يكن فيما ظهر فيه من الخوارق ضرر شرعي لاحد
فليس ذلك من قبيل السحر وان كان شريرا غير متمسك بالشريعة فظاهر ان من يستعين به من الارواح الخبيثة الشريرة
لا محالة ضرورة امتناع تحقق التضام والتقارن بينهما من غير اشتراك بين الخبث والشرارة فيكون كافرا قطعا واما الشعوذة
وما يجري مجراها من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتب الالات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والاحجار
فاطلاق السحر عليها بطريق التجوز او لما فيها من الدقة لانه في الاصل عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفي سببه او من الصرف عن جهة
المعتادة لما انه في اصل اللغة الصرف على ما حكاه الازهري عن الفراء ويونس وما انزل على الملكين عطف على السحر اي يعلمونهم
ما انزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او هو نوع اقوى منه او على ما تتلو وما بينهما اعتراض اي واتبعوا ما انزل الخ
وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر او تمييزا بينه وبين المعجزة لئلا يغتر به
الناس او لان السحر كثرت في ذلك الزمان واستنبط انواعا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين
ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكذابين واظهار امرهم على الناس واما ما يحكى من ان الملائكة عليهم السلام
لما راوا ما يصعد من ذنوب بني آدم عيروهم وقالوا لله سبحانه وتعالى هؤلاء الذين اخترتهم لخلافة الارض يعصونك فيها
فقال عز وجل لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال تعالى فاختاروا من خياركم ملكين
فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلحهم واعبدهم فاهبطا الى الارض بعد ما ركب فيهما ما ركب في البشر من الشهوة وغيرها
من القوى ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا الى السماء مساء وقد نهيا عن الاشراك والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا
يقضيان بينهم نهارا فصعدا الى السماء فاختصمت اليهما ذات يوم امرأة من اجمل النساء تسمى زهرة وكانت من لخم وقيل كانت
من اهل فارس ملكة في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما رأياها افتتنا بها فراوداها عن نفسها فابت فالحا عليها فقالت لا
الا ان تقضيا لي على خصمي ففعلا ثم سألاها ما سألا فقالت لا الا ان تقتلاه ففعلا ثم سألاها ما سألا فقالت لا الا ان تعلماني
ما تصعدان به الى السماء فعلماها الاسم الاعظم فدعت به وصعدت الى السماء فمسخها الله سبحانه كوكبا فهما بالعروج حسب عادتهما فلم تطعهما
اجنحتهما فعلما ما حل بهما وكان في عهد ادريس عليه السلام فالتجآ اليه ليشفع لهما ففعل فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب
الآخرة فاختارا الاول لانقطاعه عما قليل فهما معذبان ببابل وقيل معلقان بشعورهما وقيل منكوسان يضربان بسياط
الحديد الى قيام الساعة فمما لا تعويل عليه لان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل ولعله من مقولة
الامثال والرموز التي قصد بها ارشاد اللبيب الاريب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا ملكين لصلاحهما
ويعضده قراءة الملكين بالكسر ببابل الباء بمعنى في وهي متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من الملكين او من الضمير في انزل
وهي بابل العراق وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه بابل ارض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة والعلمية او للتانيث
والعلمية هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر
لانصرفا واما من قرأ الملكين بكسر اللام او قال كانا رجلين فقال هما اسمان لهما وقيل هما اسما قبيلتين من الجن هما المراد من الملكين
بالكسر وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد من مزيدة في المفعول به لافادة تاكيد الاستغراق الذي يفيده
احد لا لافادة نفس الاستغراق كما في قولك ما جاءني من رجل وقرئ يعلمان من الاعلام حتى يقولا انما نحن فتنة الفتنة
الاختبار والامتحان وافرادها مع تعددهما لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطاة للمبالغة كانهما نفس الفتنة والقصر لبيان
انه ليس لهما فيما يتعاطيانه شأن سواها لينصرف عن تعلمه اي وما يعلمان ما انزل عليهما من السحر احدا من طالبيه حتى ينصحاه
قبل التعليم ويقولا له انما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى عن العمل به

فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم صح

حل اي نزل

قوله فمما لا تعويل جواب اما في قوله واما ما يحكى

او

الذريعة الوسيلة والسبب

او اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله يقع على الايمان فلا تكفر باعتقاد حقيته وجواز العمل به والظاهر ان غاية النفي ليست هذه المقالة فقط بل من جملتها التزام المخاطب بموجب النهي لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان اعتناء الملكين بشان النصح والارشاد والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير يعلمون لا معطوفة عليه كما قيل اي ولكن الشياطين يعلمون الناس انزل على الملكين ويحملونهم على العمل به اغواء واضلالا والحال انهما ما يعلمان احدا حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه والا ما قيل من ان ما في قوله تعالى وما انزل الخ نافية والجملة معطوفة على قوله تعالى وما كفر سليمان جيء بها لتكذيب اليهود في هذه القصة اي لم ينزل على الملكين ياحة السحر وان ماروت وماروت بدل من الشياطين على انهما قبيلتان من الجن خصا بالذكر لاصالتهما وكون باقي الشياطين اتباعا لهما وان المعنى ما يعلمان احدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فتكون مثلنا فيأباه ان مقام وصف الشياطين بالكفر واضلال الناس مما لا يلائمه وصف رؤسائهم بما ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام فان الابدال في حكم تنحية المبدل منه

قوله تعالى

فيتعلمون منهما عطف على الجملة المنفية فانها في قوة المثبتة كانه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن الخ والضمير لاحد حملا على المعنى كما في وما منكم من احد عنه حاجزين ما يفرقون به اي بسببه واستعماله بين المرء وقرئ بضم الميم وكسرها مع الهمزة وبتشديد الراء وزوجه بان يحدث الله تعالى بينهما التباغض والنفور والنشوز عند ما فعلوا من السحر على حسب جرى العادة الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الاسباب العادية ابتلاء لان السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعلمون به فراق الناس ويعتقدون انه حق فيكفرون فتبين ازواجهم وما هم بضارين به اي بما تعلموه واستعملوه من السحر من احد اي احدا ومن مزيدة لتاكيد النفي والمعلوم من احد والمعهود وان كان زيادتها في معمول فعل منفي الا انه حمل في ذلك على المفعولية كانه قيل وما يفرقون به من احد الا باذن الله لابه وغيره من الاسباب بمنزل من التأثير بالذات وانما هو بارسال الله تعالى عند استعمالهم السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او من مفعوله وان كان نكرة لاعتمادها على النفي او الضمير المجرور في به اي وما يفرقون به احدا الا باذن الله تعالى وقرئ بضارين على الاضافة بجعل الجار جزءا من المجرور وفصل ما بين المضافين بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانه يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم صريح بذلك ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر محض وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار باكاذيب من يدعي النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه ان الاجتناب عما لا يؤمن من غوائله خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان يجر الى الغوائية وان قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولقد علموا اي اليهود الذين حكيت جنايتهم لمن اشتراه اي استبدل بكتاب الله عز وجل والام الاولى جواب قسم محذوف والثانية لام الابتداء علق بها علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله تعالى ما له في الآخرة من خلاق اي من نصيب جملة من مبتدا وخبر ومن مزيدة في المبتدا وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير ما له خلاق في الآخرة وهذه الجملة في محل الرفع على انها خبر للموصول والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل متعديا الى اثنين او مفعول الواحد ان جعل متعديا الى واحد فجملة ولقد علموا الخ مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه الخ هذا ما عليه الجمهور وهو مذهب سيبويه وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان اللام الاخيرة موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتداء واشتراه خبرها وما له في الآخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف اكتفاء عنه بجواب القسم لانه اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا فلم يكون الجملتان معتمدا عليهما ولبئسما شروا به انفسهم اي باعوها واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم اي وبالله لبئسما باعوا به انفسهم السحر والكفر وفيه ايذان بانهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا انفسهم للهلكة وباعوها بما لا يزيدهم الا تبارا وتجويز كون الشرى بمعنى الاشتراء مما لا سبيل اليه

لان المشترى متعين وهو ما تتلوا الشياطين ولان متعلق الذم هو المأخوذ لا المنبوذ كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى بئسما اشتروا
به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله ولو كانوا يعلمون اى يعملون بعلمهم جعلوا غير عالمين لعدم عملهم بموجب علمهم او كانوا
يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعيين او حقيقة ما يتبعه من العذاب على ان المثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي
او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وجواب لو محذوف اى لما فعلوا ما فعلوا ولو انهم آمنوا اى بالرسول
المومى اليه في قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ او بما انزل اليه من الآيات المذكورة في قوله تعالى ولقد انزلنا اليك آيات بينات
وما يكفر بها الا الفاسقون او بالتورية التى اريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم
فان الكفر بالقرآن والرسول عليه السلام كفر بها واتقوا المعاصي المحكية عنهم لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله
لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير السبك الى ما عليه النظم الكريم دلالة على ثبات المثوبة
لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع
صفة تشريفية لمثوبة اى لشئ ما من المثوبة كائنة من عنده تعالى خير وقيل جواب لو محذوف اى لاثيبوا وما بعده جملة مستانفة
فان وقوع الجملة الابتدائية جوابا للو غير معهود في كلام العرب وقيل لو للتمني ومعناه انهم من فظاعة الحال بحيث يتمنى
العارف ايمانهم واتقاءهم تلهفا عليهم وقرئ لمثوبة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون
ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل لعدم العمل بموجب العلم يا ايها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين وارشاد لهم الى الخير واشارة
الى بعض آخر من جنايات اليهود لا تقولوا راعنا المراعاة المبالغة في الرعي وهو حفظ الغير وتدبير اموره وتدارك
مصالحه وكان المسلمون اذا القى اليهم رسول الله شيئا من العلم يقولون راعنا يا رسول الله اى راقبنا وانتظرنا وتان
بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه وكانت لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها وهى راعينا قيل معناها اسمع لا سمعت
فلما سمعوا بقول المؤمنين افترصوه واتخذوه ذريعة الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعنون به
تلك المسبة او نسبته عليه الصلوة والسلام الى الرعن وهو الحمق والهوج روى ان سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه سمعها منهم
فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاضربن عنقه
قالوا اولستم تقولونها فنزلت الآية فنهى المؤمنين عن ذلك قطعا لالسنة اليهود عن التدليس وامروا بما في معناها
ولا يقبل التلبيس فقيل وقولوا انظرنا اى انظر الينا بالحذف والايصال او انتظرنا على انه من نظره اذا انتظره وقرئ
انظرنا من النظرة اى امهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتوقير وراعنا على صيغة الفاعل اى قولا ذا رعن كدارع ولابن
لانه لما اشبه قولهم راعنا وكان سببا للسب بالرعن عمن اتصف به واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم رسول الله عليه السلام
ويلقى عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا ما كلفتموه من النهى
والامر بجد واعتناء حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه او واسمعوا سماع طاعة وقبول ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا
سمعنا وعصينا وللكافرين اى اليهود الذين توسلوا بقولكم المذكور الى كفرياتهم وجعلوه سببا للتهاون برسول الله عليه السلام
وقالوا له ما قالوا عذاب اليم لما اجترؤا عليه من العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا
عنه ما يود الذين كفروا الود حب الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ونفيه كناية عن الكراهة ووضع الموصول
موضع الضمير للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله من حيث ان القول المنهي عنه كثيرا ما كان
يقع عند تنزيل الوحي المعبر عنه في هذه الآية بالخير فكانه اشير الى ان سبب تحريفهم له الى ما حكى عنهم لوقوعه في اثناء حصول
ما يكرهونه من تنزيل الخير وقيل كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم

فيه اشارة الى ان التقوى والايمان كافيان في الاثابة منه

ان افتراص راعنا من الرعونة منه

الاهوج الطويل الاحمق وصف الكلام به مبالغة كما يقال كلمة حمقاء منه

في ذلك

في ذلك ومن في قوله تعالى مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ولا المشركين للتبيين كما في قوله تعالى يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
ولا خير لما استعرفه أَنْ يُنَزَّلَ عليكم في حيز النصب على انه مفعول يود وبناء الفعل للمفعول للثقة بتعيين الفاعل والتفريح
الآتي وقوله تعالى مِنْ خَيْرٍ هو القائم مقام فاعله ومن مزيدة للاستغراق والنفي وان لم يباشره ظاهرا لكنه منسحب عليه معنى والخير
الوحي وحمل على بعض وغير من العلم والنصرة كما قيل بأباه وصفه فيما يأتي بالاختصاص وتقديم الظرف عليه مع ان حقه التأخير
عنه لاظهار كمال العناية بدلالة المدار لعدم ودهم ومن في قوله تعالى مِنْ رَبِّكُمْ ابتدائية والتعرض لعنوان الربوبية للاشعار بعلية
لتنزيل الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهتهم لتنزيله على المخاطبين من حيث تعبدهم بما فيه وتوضيهم بذلك
لسعادة الدارين كيف لا وهم من ذلك الحيثية من جملة من نزل عليهم الخير من حيث وقوع ذلك التنزيل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وصيغة الجمع للايذان بان مدار كراهتهم ليس معنى خاصا بالنبي عليه السلام بل وصف مشترك بين الكل هو الخلو عن الدراسة
عند اليهود وعن الرياسة عند المشركين والمعنى انهم يودون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم ويكرهون ان ينزل عليكم
شيء من الوحي اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء الناشئون في مهابط الوحي وانتم اميون واما المشركون
فاذلالا بما كان لهم من الجاه والمال وعلما منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك قالوا
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقد كانت اليهود بهذا الداء اشهر لاجرم في اثناء ذكر ابتلائهم بما يلزم
من نفي ودادتهم لما ذكر نفي ودادة المشركين له فزيدت كلمة لان تأكيد النفي والله يختص برحمته جملة ابتدائية سيقت
لتقرير ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه على كمال حكمته وارغام الكارهين له والمراد برحمته الوحي كما في قوله سبحانه اولئك يرجون
رحمة ربك عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار اضافته اليه تعالى بالرحمة قال علي رضي الله تعالى عنه بنبوته
خص بها محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فالفعل متعد وصيغة الافتعال للانباء عن الاصطفاء وآثاره على التنزيل المناسب للمباهاة
الموافق لقوله تعالى ان يتزل الله من فضله على من يشاء لزيادة تشريفه عليه السلام واقناطهم مما علقوا به اطماعهم الفارغة والباء
داخلة على المقصور اي يؤتي رحمته مَنْ يَشَاءُ من عباده ويجعلها مقصورة عليه لا تتعداه الذاتي الفائض عليه بحسب ارادته
تفضلا لا يتعداه الى غيره وقيل الفعل لازم ومن يشاء فاعله والضمير العائد الى مَنْ محذوف على التقديرين وقوله تعالى
والله ذو الفضل العظيم تذييل لما سبق مؤذن بمضمونه وفيه ايذان بان ايتاء النبوة من فضله العظيم كقوله تعالى ان فضله
كان عليك كبيرا وان حرمان من حرم ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيته الجارية على سنن الحكمة البالغة وتصدير الجملتين
بالاسم الجليل للايذان بفخامة مضمونيهما وكون كل منهما مستقلة بشأنها فان الاضمار قد الثانية منبئ عن توقفها على الاولى
ما ننسخ من آية او ننسها كلام مستأنف مسوق لبيان سر النسخ الذي هو فرد من افراد تنزيل الوحي وابطال
مقالة الطاعنين فيه اثر تحقيق حقيقة الوحي ورد كلام الكارهين له إثر إلخ فيل نزلت حين قال المشركون او اليهود
ألا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأتي بخلافه والنسخ في اللغة الازالة والنقل يقال نسخت الريح الاثر
اي ازالته ونسخت الكتاب اي نقلته ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا
وانساؤها اذهابها من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرئ ننسخ من انسخ اي اتأمرك
او جبريل بنسخها او تجد منها منسوخة وننساها من النساء اي نؤخرها وننسها بالتشديد وننساها وننسها على خطاب
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ ما ننسخ من آية او ننسكها وقرئ ما ننسك من آية او ننسخها
والمعنى ان كل آية ننذهب بها على ما يقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها او حكمها او كليهما معا الى بدل اولا نغير بدل
نأت بخير منها اي بزوج آخر هو خير للعباد بحسب الحال في النفع والثواب من الذاهبة وقرئ بتلب الهمزة او مثلها

اى فيما ذكر من النفع والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الآية الناسة فما فوقها بل جار فيما دونها ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتبديل الآيات التى عليها مدار فلك الاحكام الشرعية انما هو بحسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف الاحوال وينبدل حسب تبدل الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش فرب حكم يقتضيه الحكمة فى حال اقوى نعصه فلم يجز النسخ لافضل مما بين الحكمة والاحكام من النظام الم تعلم الهمزة للتقرير كما فى قوله سبحانه اليس الله بكاف عبده وقوله تعالى الم نشرح لك والخطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله تعالى ان الله على كل شئ قدير سادّ مسدّ مفعولى تعلم عند الجمهور ومسدّ مفعول الاول والثانى محذوف عند الاخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بما ذكر على قدرته تعالى على النسخ وعلى الاتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لان ذلك من جملة الاشياء المقهورة تحت قدرته تعالى لجميع الاشياء علم قدرته على ذلك قطعا والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة والاشعار بنباط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية وكذا الحال فى قوله عز سلطانه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدأ والجملة خبر لان وايثاره على ان يقال ان لله ملك السموات والارض للقصد الى تقوى الحكم بتكرر الاسناد وهو الوجه للتقرير واعادة للاستشهاد على ما ذكر وانما لم يعطف ان مع ما فى خبرها على ما سبق من مثليها روما لزيادة التاكيد واشعارا باستقلال العلم بكل منهما وكفايته فى الوقوف على ما هو المقصود وانما تقرير مستقل للاستشهاد على قدرته تعالى على جميع الاشياء اى الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهما ايجادا واعداما واماتة واحياء حسبما يقتضيه مشيته لا معارض لامره ولا معقب لحكمه فمن هذا شانه كيف يخرج عن قدرته شئ من الاشياء وقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير معطوف على الجملة الواقعة خبرا لان داخل معها تحت تعلق العلم المقرر وفيه اشارة الى تناول الخطاب بين الثابتين للامة ايضا وانما افرده عليه السلام بها لما ان علوهم مستندة الى علو عليه السلام ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع الى اسم ان لتربية المهابة والايذان بمقارنة الولاية والنصرة للقوة والعزة والمراد بالاستشهاد بما تعلق به من العلم على تعلق ارادته تعالى بما ذكر من الاتيان بما هو خير من المنسوخ او بمثله فان مجرد قدرته تعالى على ذلك يستدعى حصول البغية وانما الله يستدعيه كونه تعالى مع ذلك وليا ونصيرا لهم فمن علم انه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعا انه لا يفعل به الا ما هو خير له فيفوض اليه تعالى ولا يخطر بباله ريبة فى امر النسخ وغيره اصلا والفرق بين الولى والنصير ان الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا من المنصور وما اما تميزية لا عمل لها ولكم خبر مقدم ومن ولى مبتدأ مؤخر زيدت فيه كلمة من للاستغراق وانما جازت ولكم خبرا للمنفى عند من يجيز تقديمه واسمها من ولى ومن مزيدة لما ذكر ومن دون الله فى حيز النصب على الحالية من اسمها لانه فى الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا ومعناه سوى الله والمعنى ان مقتضى العلم بما ذكر من الامور الثلثة وهو الجزم والايمان بانه تعالى لا يفعل بهم فى امر من امور دينهم ودنياهم الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الامور اليه من غير اصغاء الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التى من جملتها ما قالوا فى امر النسخ وقوله تعالى ام تريدون تجريد وتخصيص للخطاب عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتخصيص له بالمؤمنين وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال عن حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر من الامور الثلثة عند ظهور بعض مخايل المماحلة منهم فى ذلك وامارات التاثر من اقاويل الكفرة الى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة انكار وقوع الارادة منهم واستبعاده لما ان قضية الايمان وازعة عنها وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها للمبالغة فى انكاره واستبعاده ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدور نفسه والمعنى

وهو ثابت منه

وهو قدرته على النسخ ومنه الاتيان بما هو خير من المنسوخ ومثله منه

اقترحت عليه شيئا اذا سألته اياه من غير روية صح

بل تريدون ان تسألوا وانتم مؤمنون رسولكم وهو في تلك الرتبة من علو الشان وتقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين
في اموركم بفضل الله حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤونه سبحانه قيل لعلهم كانوا يطلبون منه عليه السلام بيان تفاصيل الحكم الداعية
الى النسخ وقيل سأله عليه السلام قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كانت للمشركين وهي شجرة كانوا يعبدونها
ويعلقون عليها المأكول والمشروب وقوله تعالى كما سئل موسى مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر مؤكد محذوف وما مصدرية
اي سؤالا مشبها بسؤال موسى عليه السلام حيث قيل له اجعل لنا الها وارنا الله جهرة وغير ذلك ومقتضى الظاهر ان يقال كما سألوا
موسى عليه السلام لان المشبه هو المصدر من المبني للفاعل اعني سائلية المخاطبين لا من المبني للمفعول اعني مسؤولية الرسول عليه السلام
حتى تشبه بمسؤولية موسى عليه السلام فلعله اريد التشبيه فيهما معا ولكنه اوجز النظم فذكر في جانب المشبه السائلية وفي جانب المشبه به
المسؤولية واكتفي بما ذكر في كل موضع عما ترك في موضع آخر كما ذكر في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو
وان يردك بخير فلا راد لفضله وقد جوز ان يكون ما موصولة على ان العائد محذوف اي كالسؤال الذي سأله موسى عليه السلام وقوله تعالى
من قبل متعلق بسئل جيء به للتأكيد وقرئ سيل بالياء وكسر السين وبتسهيل الهمزة بين بين ومن يتبدل الكفر اي يختره
ويأخذه لنفسه بالايمان بمقابلته بدلا منه وقرئ ومن يبدل من ابدل وكان مقتضى الظاهر ان يقال ومن يفعل ذلك اي السؤال
المذكور او ارادته وحاصله ومن يترك الثقة بالآيات البينة المنزلة بحسب المصالح التي من جملتها الآيات الناسخة التي هي خير محض
وحق بحت واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل اي عدل وجار من حيث لا يدري عن الطريق المستقيم الموصل الى معالم الحق
والهدى وتاه في تيه الهوى وتردى في مهاوي الردى وانما اوثر على ذلك ما عليه النظم الكريم للتصريح من اول الامر بانه
كفر وارتداد وان كونه كذلك امر واضح غني عن الاخبار به بان يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيق بان يعد من المسلمات ويجعل مقدما
للشرطية رَوْما للمبالغة في الزجر والافراط في الردع وسواء السبيل من باب اضافة الوصف الى الموصوف لقصد المبالغة في بيان
قوة الاتصاف كأنه نفس السواء على منهاج حصول الصورة في الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا
من السماء وقيل للمشركين حين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الخ فاضافة الرسول عليه السلام اليهم على القولين
باعتبار انهم من امة الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالايمان وهم بمعزل من الايمان ترك صرف قدرتهم اليه مع تمكنهم من ذلك وايثارهم للكفر
ودّ كثير من اهل الكتاب هم رهط من احبار اليهود روى ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود
قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو
خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد عليه السلام
ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبأ وقال حذيفة رض اما انا فقد رضيت بالله تعالى ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالكعبة
قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم أتيا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت لو يردونكم
حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وصيغة الغيبة كما في قولك حلف ليفعلن وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها
ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لود والتقدير ود كثير ردكم وقيل هي على حقيقتها وجوابها محذوف تقديره لو يردونكم كفارا
لسروا بذلك من بعد ايمانكم متعلق بيردونكم وقوله تعالى كفارا مفعول ثان على تضمين الرد معنى التصيير اي يصيرونكم
كفارا كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا
وقيل هو حال من مفعوله والاول ادخل لما فيه من الدلالة صريحا على كون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم
الحاجة اليه ضرورة كون المخاطبين مؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين
لاظهار كمال شناعة ما ارادوه وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبح الصارف للعاقل عن مباشرته واما لممانعة الايمان له

ابحث التعرف

صبأ الرجل صبوءا خرج من دين الى دين صح

بفتح الدال اسم حادثة في الليل والنهار اي في الزمان صح

كانة قيل من بعد اجانكم الراسخ وفيه من تشبيب المؤمنين مالا يخفى حسدا علة لوقا وحالا ربد به نعت الجمع اى حاسدين
لكم والحسد الاسف على من له خير بخيره من عند انفسهم متعلق بودادى ودوا ذلك من اجل تشبههم وحظوظ انفسهم
لا من قبيل التدين والميل مع الحق ولو على زعمهم او بحسدا اى حسدا منبعثا من اصل نفوسهم بالغا اقصى مراتبه من بعد ما تبين
لهم الحق بالمعجزات الباطعة وبما عاينوا فى التورية من الدلائل وعلموا انكم متمسكون به وهم منهمكون فى الباطل فاعفوا واصفحوا
العفو ترك المؤاخذة والعقوبة والصفح ترك التثريب والتأنيب حتى ياتى الله بامره الذى هو قتل بنى قريظة واجلاء
بنى النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم او الاذن فى القتال وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه منسوخ بآية السيف لا يتجه
فى ذلك ضرب الغاية لانها لا تعلم الا شرعا ولا يخرج الوارد بذلك من ان يكون ناسخا كأنه قيل فاعفوا واصفحوا الى ورود الناسخ
ان الله على كل شئ قدير فينتقم منهم اذا حان حينه وآن آوانه فهو تعليل لما دل عليه ما قبله واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
عطف على فاعفوا امروا بالصبر والمداراة والتجاء الى الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة
او صدقة او غير ذلك اى اى شئ من الخيرات تقدموه لصلح انفسكم تجدوه عند الله اى تجدوا ثوابه وقرئ تقدموا من التقدم
ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء فهو وعيد للكافرين وقالوا عطف على وقد
والضمير لاهل الكتابين جميعا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اى قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان
هودا والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد كلا منهما الى قائله
ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا وليس مرادهم بذلك من اتباع اليهودية والنصرانية قبل النسخ والتحريف على وجهها
بل انفسهم على ما هم عليه لانهم انما يقولونه لاضلال المؤمنين ورد هم الى الكفر والهود جمع هائد كعود جمع عائد وبذل جمع باذل
والافراد فى كان باعتبار لفظة من والجمع فى خبره باعتبار معناه وقرئ الا من كان يهوديا او نصرانيا تلك
امانيهم الاماني جمع امنية وهى ما يتمنى كالاعجوبة والاضحوكة والجملة معترضة مبينة لبطلان ما قالوا وتلك
اشارة اليه والجمع باعتبار صدوره عن الجميع وقيل فيه حذف مضاف اى امثال تلك الامنية امانيهم وقيل
تلك اشارة الى ما قبله من ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وبرده قوله تعالى قل هاتوا برهانكم
ان كنتم صادقين فانها ليست مما يطلب له البرهان ولا مما يحتمل الصدق والكذب قيل هاتوا اصله آتوا فقلبت الهمزة هاء
اى احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين فى دعواكم هذا ما يقتضيه المقام بحسب النظر الجليل والذى
يستدعيه اعجاز التنزيل ان يحمل الامر بالتبكيت على طلب البرهان على اصل الدخول الذى يتضمنه دعوى الاختصاص فان قوله
بلى الخ اثبات من جهته تعالى لما نفوه مستلزم لنفى ما اثبتوه وآذليس الاثبات به مجرد دخول غيرهم الجنة وكونهم
المنفى مجردا اختصاصهم به مع بقاء اصل الدخول على حاله بل هو اختصاص غيرهم بالدخول كما ستعرفه باذن الله تعالى ظهر ان النفى
دخولهم ومن ضرورته ان يكون هو الذى كلفوا اقامة البرهان عليهم لاختصاصهم به ليتحد مورد الاثبات والنفى وانما عدل
عن ابطال صريح ما ادعوه وسلك هذا المسلك ابانة لغاية حرمانهم مما علقوا به اطماعهم واظهارا لكمال عجزهم عن اثبات
مدعاهم لان من حرمانهم الاختصاص بالدخول وعجزهم عن اقامة البرهان عليه يقتضيان حرمانهم من اصل الدخول وعجزهم
عن اثباته وآما نفس الدخول فحيث ثبت حرمانهم منه وعجزهم عن اثباته فهم من الاختصاص به ابعد وعن اثباته اعجز
وانما الفائدة به من انتظام قوله تعالى من اسلم وجهه لله اى اخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيئا عبر عنها بالوجه لانه اشرف
الاعضاء ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخضوع الذى هو من اخص خصائص الاخلاص او توجه وقصد
بحيث لا يلوى عزيمته الى شئ غيره وهو محسن حال من فاعل اسلم والحال انه محسن فى جميع اعماله التى من جملتها الاسلام

الاسف اشد الحزن

انهمك الرجل فى الامر اذا جد وبالغ

اى التورية والانجيل

اى لن يدخل الجنة من كل فرد من افراد الفريقين

فيه رد على القاضى والكشاف

اى لن يدخل الجنة

المذكور

المذكور وحقيقة الاحسان الاتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفي التابع لحسنه الذاتي وقد فسره عليه السلام بقوله
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فله اجره الذي وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة او عما يدخل هو فيه
دخولا اوليا واياما كان فتصويره بصورة الاجر للايذان بتحقق ارتباطه بالعمل واستحالة نيله بدونه وقوله تعالى عند ربه حال من اجره
والعامل فيه معنى الاستقرار في الظرف والعندية للتشريف ووضع اسم الرب مضافا الى ضمير من اسلم موضع ضمير الجلالة لمزيد اللطف
وتقرير مضمون الجملة اي فله اجره عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى كماله والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة
والفاء لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويجوز ان يكون من فاعلا الفعل مقدر اي بلى يدخلها من اسلم وقوله تعالى
فله اجره معطوف على ذلك المقدر واياما كان فتعليق ثبوت الاجر بما ذكر من الاسلام والاحسان المختصين باهل الايمان قاض
بان اولئك المدعين من دخول الجنة بمعزل ومن الاختصاص به بالف منزل ولا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه
ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والجمع في الضمائر
الثلثة باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار اللفظ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء بيان لتضليل
كل فريق صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم
واتاهم احبار اليهود فتناظروا فارتفعت اصواتهم فقالوا لهم لستم على شيء اي امر يعتد به من الدين او على شيء ما منه اصلا
مبالغة في ذلك كما قالوا اقل من لاشيء وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى ليست اليهود على شيء على الوجه
المذكور وكفروا بموسى والتورية لا انهم قالوا ذلك بناء للامر على منسوخية التورية وهم يتلون الكتاب الواو للحال
واللام للجنس اي قالوا ما قالوا والحال ان كل فريق منهم من اهل العلم والكتاب اي كان حق كل منهم ان يعترف بحقية دين
صاحبه حسبما ينطق به كتابه فان كتب الله تعالى متصادقة كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به والكاف في محل النصب
اما على انها نعت لمصدر محذوف قدم على عامله لافادة القصر اي قولا مثل ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا له قال الذين
لا يعلمون من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة اي قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء واما على انها حال
من المصدر المضمر الموقوف الدال عليه قال اي قال القول الذين لا يعلمون حال كونه مثل ذلك القول الذي سمعت به مثل
قولهم اما بدل من محل الكاف واما مفعول للفعل المنفي قبله اي مثل ذلك القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود والنصارى
وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم اصلا فالله يحكم بينهم اي بين اليهود والنصارى
فان مساق النظم لبيان حالهم وانما التعرض لمقالة غيرهم لاظهار كمال بطلان مقالتهم ولان المحاجة المحوجة الى الحكم انما وقعت
بينهم يوم القيامة متعلق بيحكم وكذا ما قبله وما بعده ولا ضير فيه لاختلاف المعنى فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل
فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار والظرف الاخير متعلق بيختلفون قدم عليه للمحافظة
على رؤس الآي لا يحكم ومن اظلم ممن منع مساجد الله انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا
له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم
من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا الحكم عام لكل من فعل
ذلك في اي مسجد كان وان كان سبب النزول فعل طائفة معينة في مسجد مخصوص روي ان النصارى كانوا يطرحون
في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا
وقد نقل عن ابن عباس رض ان طيطوس الرومي ملك النصارى واصحابه غزوا بني اسرائيل وقتلوا مقاتليهم وسبوا ذراريهم
واحرقوا التورية وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في عهد عمر رضه

وكان حمل الرؤية على ماقاله بعض الاعاظم

او كانوا في ... للنصارى ... ومعبدهم ... نجران ... صح

وهو بينهم منه

وهو فيما منه

فنساره بعينوره وبعضهم خيرا وخنورا الى حقره قال الكسائي سمعت بعضهم يقول لا ينبغي ذاك صح

فيه رد على رواية الحسن التي وقعت في الكشاف ع

وبيت المقدس يشدد ويخفف والنسبة اليه مقدسي كمجلسي صح

وانما اوقع المنع على المساجد وان كان الممنوع هو الناس لما ان فعلهم من طرح الاذى والتخريب ونحوهما متعلق بالمساجد لا بالناس
مع كونه على حاله وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها مبطلة لدعوى النصارى اختصاصهم بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فتعلقوا بما تقدمها من جهة ان المشركين من جملة الجهلة الظالمين
لكل من عداهم ليسوا على شيء ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع لقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا وقوله تعالى وما منعنا
ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون ويجوز ان يكون ذلك بحذف الجار مع ان وان يكون ذلك مفعولا لاجله اي كراهة ان يذكر
فيها اسمه وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل بانقطاع الذكر اولئك الملعونون الظالمون الساعون في خرابها ما كان
لهم ان يدخلوها الا خائفين اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها او تعطيلها
او ما كان الحق ان يدخلوها الا على حال التهيب وارتعاد الفرائص من جهة المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها
ويمنعوهم منها وما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه بالآخرة الا ذلك فيكون وعدا للمؤمنين بالنصر والاستخلاص واستيلائهم
وقد انجز الوعد ولله الحمد روي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا ما رقه وقيل معناه النهي عن تمكينهم
من الدخول في المساجد واختلف الائمة في ذلك فجوزه ابو حنيفة رح مطلقا ومنعه مالك مطلقا وفرق الشافعي بين المسجد
الحرام وغيره لهم اي للاولئك المذكورين في الدنيا خزي اي خزي فظيع لا يوصف بالذل والتصبب والاذلال يضرب الجزية
عليهم ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو عذاب النار لما ان سببه ايضا وهو ما حكي من ظلمهم كذلك في العظم وتقديم
موجب لتوجه النفس اليه فيتمكن فيها عند وروده فضل تمكن كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وقوله تعالى وانزل لكم
من الانعام ثمانية ازواج الى غير ذلك ولله المشرق والمغرب اي له كل الارض التي هي عبارة عن ناحيتي المشرق والمغرب
لا يختص به من حيث الملك والتصرف من حيث المحلية لعبادته مكان منها دون مكان فاين منعتم من اقامة العبادة في المسجد
الاقصى او المسجد الحرام فاينما تولوا اي فثم اي مكان فعلتم توليته وجوهكم شطر القبلة فثم وجه الله ثم اسم الاشارة
للمكان البعيد خاصة مبني على الفتح ولا يتصرف سوى الجر بمن وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدأ والجملة في محل الجزم على انها جواب
الشرط اي حيثما جهة التي امركم بها فان امكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد ومكان دون آخر او فثم ذاته
بمعنى الحضور العلمي الهي فهو عالم بما يفعل فيه ومثيب لكم على ذلك وقرئ بفتح التاء واللام اي فاينما توجهوا القبلة ان الله
واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها والجملة تعليل للمضمون
الشرطية وعن علي رضي الله تعالى عنه نزلت في صلوة المسافرين على الراحلة اينما توجهوا وقيل في قوم عميت عليهم القبلة
فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم وعلى هذا لو اخطاء المجتهد ثم تبين له الخطاء لم يلزمه التدارك وقيل
هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون في جهة وقالوا اتخذ الله ولدا حكاية لطرف آخر من مقالاتهم
الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى وقالت الخ لا على صلة لما بينهما من الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود
والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو على الاستئناف نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله
والنصارى المسيح ابن الله وشركوا العرب الملائكة بنات الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى واحد
واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف اي صير بعض مخلوقاته ولدا سبحانه تنزيه وتبرئة له عما قالوا او سبحان علم للتسبيح
كعثمان للرجل وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه تنزيها لائقا به وفيه من التنزيه
البليغ من حيث الاشتقاق من التسبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول
من المصدر الى الاسم الموضوع لخاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل

ما

ما لا يخفى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه اى تنزه بذاته تنزها حقيقيا ففيه مبالغة من حيث اسناد البراءة الى الذات المقدسة وان كانت التنزيه اعتقاد تنزاهته تعالى عما لا يليق به لاثباتها له تعالى وقوله تعالى بل له ما فى السموات والارض رد لما زعموا وتنبيه على بطلانه وكلمة بل للاضراب عما يقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسته تعالى وتقدس لشئ من المخلوقات ومن سرعة فناء المحوجة الى اتخاذ ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان والفناء لا يوجب ذلك الا يرى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها بالاخرة مستغنية بدوامها وطول بقائها عما يجرى مجرى الولد من الحيوان اى ليس الامر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التى من جملتها عزير والمسيح والملئكة كل التنوين عوض عن المضاف اليه اى كل ما فيها كائنا ما كان من اولى العلم وغيرهم له قانتون منقادون لا يستعصى شئ على تكوينه وتقديره ومشيته ومن كان هذا شانه لم يتصور مجانسته لشئ ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد وانما جئ بما المختصة بغير اولى العلم تحقيرا لشانهم ولانه بكمال بعدهم عما نسبوا الى بعض منهم وصيغة جمع العقلاء فرقانتون للتغليب او كل من جعلوه لله ولدا قانتون اى مطيعون عابدون له معترفون بربوبيته تعالى كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة بديع السموات والارض اى مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبدع يطلق على المبتدع نص عليه اساطين اهل اللغة وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشاه كابتدعه كما ذكر فى القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع فى قوله امن ريحانة الداعى السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على تشبيهها باسم الفاعل كما هو المشهور اى بديع سمواته من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رائق وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم الشنعاء تقريرها ان الولد عنصر الوالد المنفصل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها على الاطلاق منزه على الانفعال فلا يكون والدا ورفع على انه خبر لمبتدا محذوف اى هو بديع الخ وقرئ بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الضمير فى له على رأى من يجوز الابدال من الضمير المجرور كما فى قوله لفتى بالماء حاتم واذا قضى امرا اى اراد شيئا كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون واصل القضاء الاحكام المطلق على الارادة الالهية المتعلقة بوجود الشئ لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى فانما يقول له كن فيكون كلاهما من الكون التام اى احدث فيحدث وليس المراد به حينئذ الامر والامثال وانما هو تمثيل لسهولة تاتى المقدورات بحسب تعلق مشيته تعالى وتصويرا لسرعة حدوثها بما هو علم فى الباب من طاعة المامور المطيع للآمر القوى المطاع وفيه تقرير بمعنى الابداع وتلويح بحجة اخرى لابطال ما زعموا بان اتخاذ الولد شان من يفتقر فى تحصيل مراده الى مباد يستدعى ترتبها مرور زمان وتبدل اطوار وفعله تعالى منزه عن ذلك وقال الذين لا يعلمون حكاية لنوع آخر من قبائحهم وهو قدحهم فى اثر النبوة بعد حكاية قدحهم فى شان التوحيد بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى واختلف فى هؤلاء القائلين فقال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود وقال مجاهد رضى الله عنه هم النصارى وصفهم بعدم العلم لعدم علمهم بالتوحيد والنبوة كما ينبغى اولعدم علمهم بموجب علمهم اولما ان ما يجئ عنهم لا يصدر عن له اثارة علم اصلا وقال قتادة واكثر اهل التفسير هم مشركو العرب لقولهم فليأتنا بآية كما ارسل الاولون وقوله تعالى وقالوا لو لا ينزل علينا الملئكة او نرى ربنا لولا يكلمنا الله اى هلا يكلمنا بلا واسطة امرا او نهيا كما يكلم الملئكة او هلا يكلمنا تنصيصا على نبوتك اوتانا تينا آية حجة تدل على صدقك حجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار الى حيث الموا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسيط الرسول والملك ومن العناد والمكابرة الى حيث لم يعدوا ما اتاهم من البينات الباهرة التى تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات قالهم الله انى يؤفكون كذلك مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد والغلو قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم هذا الباطل الشنيع فقالوا ارنا الله جهرة وقالوا لن نصبر على طعام واحد الآية وقالوا هل يستطيع ربك الخ وقالوا اجعل لنا الها الخ تشابهت قلوبهم اى قلوب هؤلاء واولئك فى العمى والعناد والا لما تشابهت اقاويلهم الباطلة قد بينا الآيات

الآية قول عمرو بن معدى كرب وتمامه يورقن واصحابنا الكوع منه

اى يوقظنى حال من الواو وهو جمع اى نائما منه

صدر على حالة لو ان فى القوم حاتما

ضم الجبال يعنى سقط على وجهه منه الجبال ق

العمى بالياء المقصور

الآغراء للمحافظة

اى انزلنا ما بيّنة بان جعلنا ما كذلك فى انفسهم كما فى قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا انا بينا ما بعد ان لم يكن
بيّنة لقوم يوقنون اى يطلبون اليقين ويوقنون بالحقائق لا يعتريهم شبهة ولا ريبة وهذا رد لطلبهم الآية وفى توبيخ
الآيات وجمعها وايراد التبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان الايمان الذى طلبوا ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم اقترحوا آية فذة
وكم قد بينا الآيات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين وانما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا بانه من ظهور البطلان
بحيث لا حاجة له الى الرد والجواب انا ارسلناك بالحق اى ملتبسا بالقرآن كما فى قوله تعالى بشيرا ونذيرا حال من المفعول باعتبار
تقييده بالحال الاولى اى ارسلناك ملتبسا بالقرآن حال كونك بشيرا لمن آمن بما انزل اليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به او ارسلناك صادقا
حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب لتختاروا لانفسهم ما احبوا لا ما سألوهم من الآيات فلا عليك
ان اصروا واكابروا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم مالهم لم يؤمنوا بعد ما بلغت ما ارسلت به وقرئ لن تسأل وما تسأل
وقرئ لا تسأل على صيغة النهى ايذانا بكمال شدة عقوبة الكفار وتهويلها كانها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها على لسانه
اولا يستطيع السامع ان يسمع خبرها وحمل على نهى النبى عليه السلام عن السؤال عن حال ابويه مما لا يليق بالنظم الكريم والجحيم
المتأجج من النار وفى التعبير عنهم بصاحبية الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم وايذان بانهم مطبوع عليهم
لا يزجرهم الا ذلك قطعا وقوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم بيان لكمال شدة شكيمة كل من
الطائفتين خاصة اثر بيان ما يقتضيها والمشركين من الاصرار على ما هم عليه الى الموت وايراد لا النافية بين المعطوفين لتأكيد النفى
لما قر من ان نصب اليهود فى امثال هذه العظائم اشد من النصارى ولذا اشعر بان رضى كل منهما مباين برضى الاخرى اى لن ترضى
عنك اليهود ولو خلتهم وشانهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فاوجز النظم ثقة بظهور المراد
وفيه من المبالغة فى اقناط عليه السلام من اسلامهم ما لا غاية وراءه فانهم حيث لم يرضوا عنه عليه السلام لملتهم فكيف يتوقع اتباعهم
لملته عليه السلام وهذه حالتهم فى انفسهم ومقالتهم فيما بينهم واما انهم اظهروا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فشاهده بذلك وقالوا
لن ترضى عنك وان بالغت فى طلب رضانا حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يأس عن النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فان قوله عز وجل
قل ان هدى الله هو الهدى صريح فى ان ما وقع هذا جوابا عنه ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم مضمونها او ما يلزمه من الدعوة
الى اليهودية والنصرانية واذعاء ان الاهتداء فيهما كقوله تعالى حكاية عنهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا اى قل ردا عليهم
ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى بالحق والذى يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون اليه
ليس بهدى بل هو هدى كما يعرب عنه قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم اى آراءهم الزائغة الصادرة عنهم بمقتضى شهواتهم
وانفسهم وهى التى عبر عنها فيما قبل بملتهم اذ هى التى ينتمون اليها واما ما شرعه الله تعالى لهم من الشريعة على لسان الانبياء وهو
المعنى الحقيقى للملة فقد غيروه وما تغيروه بعد الذى جاءك من العلم اى الوحى والدين المعلوم صحته ما لك من الله من جهة النصرة
من ولى يلى امرك عموما ولا نصير يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم نفى الولى النصير وسط لا بين المعطوفين لتأكيد النفى
وهذا من باب التهييج والالهاب والالفاتى بتوبيخهم امكان اتباعه لملتهم وهو جواب للقسم الذى وطأه اللام والشقى به
عن جواب الشرط الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه يتلونه حق تلاوته بمراعاة
لفظه عن التحريف وبالتدبر فى معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر وما بعده مستأنف اولئك اشارة
الى الموصوفين باتباع الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل يؤمنون به اى بكتابهم
دون المحرفين فانهم بمعزل من الايمان به فانه لا يجامع الكفر ببعض منه ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك
هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم ومن جملتها التوراة وذكر النعمة

ولو خلتهم يفعلون ما يفعلون بل ارتكبوا عنه عليه السلام ما لا يكاد يخطر ببال احد منا تابعة عليه السلام

انما يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن جملتها نعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن ضرورة الايمان بها الايمان بما عليه السلام
وأني فضلتكم على العالمين اوردت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعمة السالفة لانها فرقها فيما بين فنون النعم
واتقوا ان لم تؤمنوا يوما لا تجزي في ذلك اليوم نفس من النفوس عن نفس اخرى شيئا عن الاشياء او شيئا من الجزاء
ولا يقبل منها عدل اى فدية ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون وتخصيصهم بتكرير التذكير واعادة التحذير لمبالغة
في النصح وللايذان بان ذلك فذلكة القضية والمقصود من القصة لما ان نعم الله تعالى عليهم اعظم وكفرهم بها اشد واقبح واذ ابتلى
ابراهيم ربه بكلمات شروع في تحقيق ان هدى الله هو ما عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من التوحيد والاسلام الذي هو ملة
ابراهيم عليه السلام وان ما عليه اهل الكتابين اهواء زائغة وان ما يدعونه من انهم على ملته عليه السلام فرية بلامرية ببيان ما صدر عن ابراهيم
وابنائه الانبياء عليهم السلام من الاقاويل والافاعيل الناطقة بحقية التوحيد والاسلام وبطلان الشرك وبصحة نبوة النبي عليه السلام
وبكونه ذلك النبي الذي استدعاه ابراهيم واسمعيل عليهما السلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية فاذ منصوب على المفعولية بمضمر
مقدم خوطب به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق التلوين اى اذكر لهم وقت ابتلائه عليه السلام ليتذكروا بما وقع فيه من الامور الداعية
الى التوحيد الوازعة عن الشرك فيقبلوا الحق ويتركوا ما هم عليه من الباطل وتوجيه الامر بالتذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث
مع انها المقصود بالذات قد مر وجهه في اثناء تفسير قوله عز وجل واذ قال ربك للملئكة اني جاعل في الارض خليفة وقيل
على الظرفية بمضمر متأخر اى اذا ابتلاه كان كيت وكيت وقيل بما سيجئ من قوله تعالى قال الخ والاول هو اللائق بجزالة التنزيل
ولا يبعد ان ينتصب بمضمر معطوف على اذكر فاخوطب به بنو اسرائيل لتتأملوا فيما يحكى عن ينتهون الى ملته من ابراهيم وابنائه عليهم السلام
من الافعال والاقوال فيعتقدوا بهم ويسيروا بسيرتهم والابتلاء في الاصل الاختبار اى تطلب الخبرة بحال المختبر بتوجيه الامر عليه مما يشق عليه
غالبا فعلا او تركه وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور وانما من العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من مكنه للعبد
من اختيار احد الامرين قبل ان يترتب عليه شيئا هو من مبادي العادة كما يختبر عدو ليتعرف حاله من الكياسة فيعامله بما يليق
بحاله من مصالحه وابراهيم اسم اعجمي قال السهيلي كثيرا ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي الا يرى ان ابراهيم تفسيره
اب راحم ولذلك جعل هو وزوجته سارة كافلين للاطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيمة على ما روى البخاري في حديث
الرؤيا ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأى في الروضة ابراهيم عليه السلام وحوله اولاد الناس وهو مفعول مقدم لاضافة قال الى ضميره
والتعرض لعنوان الربوبية تشريف له عليه السلام وايذان بان ذلك الابتلاء تربية له وترشيح لاهر خطير والمعنى يعامله سبحانه
معاملة المختبر حيث كلفه اوامر ونواهي يظهر بحسن قيامه بحقوقها قدرته على الخروج عن عهدة الامانة العظمى وتحمل اعباء الرسالة
وهذه المعاملة وتذكيرها للناس لارشادهم الى طريق اتقان الامور بمباشرتها على التجربة وللايذان بان بعثة النبي عليه السلام
ايضا مبنية على تلك القواعد الرصينة واقعة بعد ظهور استحقاقه عليه السلام للنبوة العامة كيف لا وهي التي اجيب بها دعوة
ابراهيم عليه السلام كما سيأتي واختلف في الكلمات فقال مجاهد هي المذكورة بعدها وزاد بانه ياباه الفاء في فاتمهن ثم الاستئناف وقال
طاوس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه وهي سنة في شرعنا خمس في الرأس المضمضة والاستنشاق
وفرق الرأس وقص الشارب والسواك وخمس في البدن الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء
بالماء وفي الخبر ان ابراهيم عليه السلام اول من قص الشارب واول من قلم الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يبتل
احد بهذا الدين الا ابراهيم ابتلاه الله تعالى بثلثين خصلة من خصال الاسلام عشر منها في سورة براءة التائبون الخ وعشر
في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الخ وعشر في المؤمنين وسال سائل الى قوله عز وجل والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل
ابتلاه الله تعالى بسبعة اشياء بالشمس والقمر والنجوم والزكوة والصوم والضيافة والصبر عليها وقيل هي مناسك الحج

كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل هي قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين الآيات ثم قيل انما وقع هذا
الابتلاء قبل النبوة وهو الظاهر وقيل بعدها لانه يقتضي سابقية الوحي واجيب بان مطلق الوحي لا يستلزم البعثة
الى الخلق وقرئ برفع ابرهيم ونصب ربه اي دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن اولا فاتمهن اي قام بهن
حق القيام واداهن احسن التأدية من غير تفريط وتوان كما في قوله تعالى وابرهيم الذي وفى وعلى القراءة الاخيرة فاعطاه الله
ما سأله من غير نقص ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل ابرهيم ربه بقوله اجعل الآيات وقوله عز وجل قال
على تقدير انتصاب اذ بمضمر جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الكلام فان الابتلاء تمهيد لامر معظم وظهور فضيلة المبتلى
من دواعي الاحسان اليه فبعد حكايتهما ترقب النفس الى ما وقع بعدهما كأنه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال اني جاعلك للناس
اماما او بيانا لقوله تعالى ابتلى على رأي من جعل الكلمات عبارة عما ذكر اثره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده
وغير ذلك وعلى تقدير انتصاب اذ بقال فالجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة والواو في المعنى داخل على قال اي قال
اذ ابتلى الخ والجعل بمعنى التصيير احد مفعوليه الضمير والثاني اماما وجاعل اسم الفاعل بمعنى المضارع واوكد منه لدلالته على انه جاعل له
البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق بجاعلك اي لاجل الناس او بمحذوف وقع حالا من اماما
اذ لو تأخر عنه لكان صفة له والامام اسم لمن يؤتم به وكل نبي امام امته وامامته عليه السلام عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده
نبي الا كان من ذريته مأمورا باتباع ملته قال استئناف مبني على سؤال مقدر كأنه قيل فماذا قال ابرهيم عنده فقيل قال
ومن ذريتي عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة بجاعل اي وجاعل بعض ذريتي كما تقول زيدا لمن يقول ساكرمك
او بمحذوف اي واجعل فريقا من ذريتي اماما وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق وقيل
التقدير وماذا يكون من ذريتي والذرية نسل الرجل فعولة من ذروت او ذريت والاصل ذرووة فاجتمع في الاولى واوان
زائدة واصلية فقلبت الاصلية ياء فصارت كالثانية فاجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء
وادغمت الياء في الياء فصارت ذرية او فعيلة منها والاصل في الاولى ذريوة فقلبت الواو ياء لما سبق من اجتماعهما وسبق
احديهما بالسكون فصارت ذرية كالثانية فادغمت الياء في مثلها فصارت ذرية او فعلية من الذرء بمعنى الخلق والاصل
ذرئية فخففت الهمزة بابدالها ياء كهمزة خطيئة ثم ادغمت الياء الزائدة في المبدلة او فعلية من الذر بمعنى التفريق والاصل
ذريرة قلبت الراء الاخيرة ياء لتوالي الامثال كما في تسري وتقضي وتظني فادغمت الياء في الياء كما مر او فعولة منه والاصل
ذرورة فقلبت الراء الاخيرة ياء ثم فعل الادغام وقرئ بكسر الذال وهي لغة فيها وقرئ ابو جعفر المدني بالفتح وهي ايضا لغة
فيها قال استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كما سبق لا ينال عهدي الظالمين ليس هذا ردا لدعوته عليه السلام
بل اجابة خفية لها وعدة اجمالية منه تعالى بتشريف بعض ذريته عليه السلام بنيل عهدي الامامة حسبما وقع في استدعائه
من غير تعيين لهم بوصف مميز لهم عن جميع من عداهم فان التنصيص على حرمان الظالمين منه بمعزل من ذلك التمييز اذ ليس
معناه انه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما اشير اليه ولعل ايثار هذه الطريقة على تعيين الجامعين
لمبادي الامامة من ذريته اجمالا وتفصيلا وارسال الباقين لئلا ينتظم المقتدون بالائمة من الامة في سلك المحرومين
وفي تفصيل كل فرقة من الاطناب ما لا يخفى مع ما في هذه الطريقة من تخييب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع
اطماعهم الفارغة من نيلها وانما اوثر النيل على الجعل ايماء الى ان امامة الانبياء من ذريته عليه السلام كاسمعيل
واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهرون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وسيدنا محمد
عليه وعليهم السلام كثيرا ليست بجعل مستقل بل هي حاصلة في ضمن امامة ابرهيم عليه السلام تنال كلا منهم في وقت

فلا ينافيه تعيين بعض الكلمات منه

اصله توانى بمعنى الاهلاك منه

على الاطلاق المشهور في محله منه

قدره

قدره الله عز وجل وقرئ الظالمون على ان عهدي مفعول قدم على الفاعل اهتماما ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة
الانبياء عليهم السلام من الكبائر على الاطلاق وعدم صلاحية الظالم للامامة وقوله تعالى واذ جعلنا البيت اى الكعبة
المعظمة غلب عليها غلبة النجم على الثريا معطوف على اذ ابتلى على ان العامل فيه هو العامل فيه او مضمر مستقل معطوف
على المضمر الاول والجعل اما بمعنى التصيير فقوله تعالى مثابة اى مرجعا يثوب اليه الزوار بعد ما تفرقوا عنه او امنا لهم
او موضع ثواب يثابون بحجه واعماره مفعول الثاني واما بمعنى الابداع فهو حال من مفعوله واللام في قوله تعالى
للناس متعلقة بمحذوف وقع صفة لمثابة اى مثابة كائنة للناس او بجعلنا اى جعلناه لاجل الناس وقرئ
مثابات باعتبار تعدد الثائبين وامنا اى آمنا كما في قوله تعالى حرما آمنا على اتباع المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة
اى على تقدير المضاف اى ذا امن او على الاسناد المجازي اى امنا من حقه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب
ما قبله ومن دخل من التعرض له بالعقوبة كان جانيا حتى يخرج على ما هو رأى ابي حنيفة رح ويجوز ان يغير الامن بالتباس
الى كل شيء كائنا ما كان ويدخل فيه امن الناس دخولا اوليا وقواعد فيه امن الصيد حتى ان الكلب كان يهتم بالصيد
خارج الحرم فيفر منه وهو يتبعه فاذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة قول
هو عطف على جعلنا او حال من فاعل اى وقلنا او قائلين لهم اتخذوا الخ وقيل هو بتقدير معطوف على الامر الذي
يتضمنه قوله عز وجل مثابة للناس كأنه قيل توبوا اليه واتخذوا الخ وقيل على المضمر العامل في اذ وقيل هي جملة
مستأنفة والخطاب على الوجوه الاخيرة له عليه السلام ولامته والاول هو الاليق بجزالة النظم الكريم والامر حيثما كان فهو
من الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية والمقام اسم مكان وهو الحجر الذي اثر قدمه عليه السلام عليه والموضع الذي
كان عليه حين قام ودعا الناس الى الحج او حين رفع قواعد البيت وهو موضعه اليوم والمراد بالمصلى اما موضع الصلوة
او موضع الدعاء روى انه عليه السلام اخذ بيد عمر رضي الله تعالى عنه فقال هذا مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين
وقرئ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى والشافعي رحمه الله في وجوبها قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل
مواقف الحج وعرفة والمزدلفة والجمار واتخذنا مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله عز وجل وقرئ واتخذوا
على صيغة الماضي عطف على جعلنا اى واتخذ الناس ومن كان ابراهيم الذي وسم به لاقتدائه به واسكن ذريته
عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل اى امرناهما او مؤكدا ان طهرا بيتي بان طهراه
على ان ان مصدرية حذف عنها الجار حذفا مطردا لجواز ان كون صلتها امرا او نهيا كما في قوله عز وجل وان اقم وجهك
للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالة على المصدر وهي متحققة فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول
الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا يوصف الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك فان كان
الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء شارع وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي
نحو فيجب الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال او اى طهراه على ان ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول واضافة البيت
الى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه الامر بالتطهير هنا اليهما عليهما السلام لا ينافي ما في سواه الحج من تخصيصه بابراهيم عليه السلام
فان ذلك واقع قبل بناء البيت كما ينبئ عنه قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت وكان اسمعيل حينئذ بمعزل من مثابة الخطاب
وظاهر ان هذا بعد بلوغ مبلغ الامر والنهي وتمام البناء بمباشرته كما ينبئ عنه ايراده اثر حكاية جعله مثابة للناس الخ والمراد
تطهيره من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض وغير ذلك مما لا يليق به للطائفين حوله والعاكفين
المجاورين المقيمين عنده او المعتكفين او القائمين في الصلوة كما في قوله عز وجل للطائفين والقائمين والركع السجود

جمع راكع وساجد اى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود من هيئات المصلى ولتقارب الاخيرين ذاتا
وزمانا ترك العاطف بين موصوفيهما او خلاصة لهؤلاء لئلا يغشاه غيرهم وفيه ايماء الى ان يطالب غيرهم به وان كانت مع
معارضة او مباح من قبيل تلويثه وتدنيسه واذ قال ابرهيم عطف على ما قبله من قوله واذ جعلنا الخ اما بالذات
او بعامله المضمر كما مر رب اجعل هذا البلدا آمنا ذا امن كعيشة راضية او امنا اهله كليلة نائم اى اجعل
هذا الوادى من البلاد الآمنة وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان عليه السلام
لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا فى هذا البلقع وهو لا يرد عليها
جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادى
فقال ربنا انى اسكنت وتعريف البلد مع جعله صفة لهذا فى سورة ابرهيم عليه السلام ان حمل على تعدد السؤال لما انه عليه السلام
سال اولا كلا الامرين من البلدية والامن فاستجيب له فى احدهما وتاخر الآخر الى وقته المقدر له لما تقتضيه من الحكمة الباهرة
ثم كرر السؤال حسبما هو المعتاد فى الدعاء والابتهال او كان المسئول اولا البلدية ومجرد الامن المصحح للسكنى كما فى سائر
البلاد وقد اجيب الى ذلك وثانيا الامن المعهود او كان هو المسئول اولا ايضا وقد اجيب اليه السؤال الثانى لاستدامته
والاقتصار على سؤاله مع جعل البلد صفة لهذا لانه المقصد الاصلى اولان المعتاد فى البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف
الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسئول كلا الامرين وقد حكى ذلك ههنا
واقتصر ههنا على حكاية سؤال الامن اكتفاء عن حكاية سؤال البلدية بحكاية سؤال جعل افئدة الناس تهوى اليه كما سياتى تفصيله
هناك باذن الله عز وجل وارزق اهله من الثمرات من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار
الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد روى عن ابن عباس رضى
ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابرهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى فوضعها حيث وضعها
رزقا للحرم وعن الزهرى انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابرهيم عليه السلام من آمن منهم
بالله واليوم الآخر بدل من اهله بدل البعض خصهم بالدعاء اظهارا لشرف الايمان وابانة لخطره واهتماما بشان اهله
ومراعاة لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه فى الايمان وزجر عن الكفر كما ان فى حكايته ترغيبا وترهيبا لقريش وغيرهم من اهل
الكتاب قال استئناف مبنى على السؤال كما مر مرارا وقوله تعالى ومن كفر عطف على مفعول فعل محذوف تقديره وارزق
من آمن ومن كفر وقوله تعالى فامتعه معطوف على ذلك الفعل او فى محل رفع بالابتداء وقوله تعالى فامتعه خبره اى فانا امتعه
وانما دخلته الفاء تشبيها له بالشرط والكفر وان لم يكن سببا للتمتع المطلق لكنه يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار
وقيل هو عطف على من آمن عطف تلقين كانه قيل قل وارزق من كفر فانه ايضا احق به كانه عليه السلام قاس الرزق
على الامامة فنبهه تعالى على انه رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الامامة الخاصة بالخواص وقرئ فامتعه من امتع
وقرئ فنمتعه قليلا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا ثم اضطره الى عذاب النار اى الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه
ما متعه به من النعم وقرئ ثم نضطره على وفق قراءة فنمتعه وقرئ فامتعه قليلا ثم اضطره بلفظ الامر فيهما على انهما من دعاء
ابرهيم وفى قال ضميره وانما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه للايذان بان الكفر سبب لاضطرارهم الى عذاب
النار واما رزق من آمن فانما هو على طريقة التفضل والاحسان وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة وواطره
بادغام الضاد فى الطاء وهى لغة مرذولة فان الحروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس وبئس المصير المخصوص
بالذم محذوف اى بئس المصير النار او عذابها واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت عطف على ما قبله من قوله عز وعلا

واذ قال ابرهيم على احد الطريقين المذكورين في واذ جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة
عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من مقابل القيام
ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها لانه من هيئة الانخفاض الى الهيئة الارتفاع والمرتفع وان كان هو الذي بني عليها لكنها
لما التقى ماصارا شيئا واحدا فكانها نمت وارتفعت وقيل المراد بها ساقات البناء فان كل ساق قاعدة لما يبنى عليه وفوقها
بناء بعضها على بعض وقيل المراد برفعها رفع مكانة البيت واظهار شرفه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهامها اولا ثم تبيينها
من تفخيم شانها ما لا يخفى وقيل المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت واستوطا يعني يجعل هيئة القاعد المستوطاة مرتفعة عالية
بالبناء روي ان الله عز وجل انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك
ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم
لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم عليه السلام اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله
ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور كان موضعه خاليا الى زمن ابرهيم عليه السلام فامره سبحانه ببنائه وعرفه
جبريل مكانه وقيل بعث الله السكينة لتدله عليه فتبعها ابرهيم عليه السلام حتى اتيا مكة المعظمة وقيل بعث الله سحابة
على قدر البيت وسار ابرهيم في ظلها الى ان جاءت مكة المعظمة فوقفت على موضع البيت فنودي ان ابن على ظلها لا تزد
ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاء جبريل بالحجر الاسود
من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبي فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة
فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقال التاسي في منير الغرام في تاريخ البلد الحرام والذي يتحصل من جملة ما قيل في عدد بناء
الكعبة انها بنيت عشر مرات منها بناء الملائكة عليهم السلام ذكره النووي في تهذيب الاسماء واللغات والازرقي في تاريخه وذكر
انه كان قبل خلق آدم عليه السلام ومنها بناء آدم عليه السلام ذكره البيهقي في دلائل النبوة وروى فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعث الله عز وجل جبريل الى آدم فقال الى ولحواء ابنيا فخط جبريل وجعل آدم عليه السلام
يحفر وحواء تنقل التراب حتى اذا اصاب الماء نودي من تحته حسبك آدم فلما بناه اوحى اليه ان يطوف به فقيل له انت اول
الناس وهذا اول بيت وهكذا ذكر الازرقي في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه ومنها بناء ابني آدم عندما رفعت الخيمة التي
عزى الله تعالى بها آدم وكانت خربت في موضع البيت فبنى بنوه مكانها بيتا من الطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن
الى ان غرق في عهد نوح عليه السلام ذكره الازرقي بسنده الى وهب بن منبه ومنها بناء الخليل عليه السلام وهو منصوص
عليه في القرآن مشهور فيما بين خاص وعام ومنها بناء العمالقة ومنها بناء جرهم ذكرهما الازرقي بسنده الى علي بن ابي طالب رضي
ومنها بناء قصي بن كلاب ذكره الزبير بن بكار في كتاب النسب ومنها بناء قريش وهو مشهور ومنها بناء عبد الله بن الزبير
ومنها بناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء لكلها بل للجدار من جدرانها وقال الحافظ السهيلي ان بناءها لم يكن في الدهر
الا خمس مرات الاولى حين بناها شيث عليه السلام انتهى والله سبحانه اعلم واسمعيل عطف على ابرهيم ولعل تأخيره عن المفعول
بان الاصل في الرفع هو ابرهيم واسمعيل تبع له قيل انه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها وقيل كانا يبنيانه من طرفيه ربنا
تقبل منا على ارادة القول اي يقولان وقد قرئ به على انه هو العامل في اذ والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير يقولان
ربنا تقبل منا اذ يرفعان اي وقت رفعها وقيل واسمعيل مبتداء خبره قول محذوف وهو العامل في ربنا تقبل منا فيكون ابرهيم
هو الرافع واسمعيل هو الداعي والجملة في محل النصب على الحالية اي واذ يرفع ابرهيم القواعد والحال ان اسمعيل يقول
ربنا تقبل منا والتعريض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضته ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى الضمير هما عليهما السلام

على لفظ النبي المنقول من ابرهيم حجة وحجة مبرورا لا كالطريقة ... منه

والاشارة فيه بعض الاوتي ذنوبه من زار ١٩٥ ان كان ذنوبه بوزن هذه الجبال منه ج

بعدهم

ذكره مفصل الازرقي ... منه

فهذا البيت اليوم على بناء ابن الزبير ماعدا جدار الحجر فانه بناء الحجاج من تيسير الانام ومسائل الحج

ثم زيد فيه وسيبقى في الرابعة بامر عبد الملك بن مروان ... تاريخ ...

لتحريك سلسلة الاجابة وترك الاجابة وترك مفعول تقبل مع ذكره في قوله تعالى ربنا وتقبل دعاء لسبق الدعاء وغيره من الثواب
والطاعات الخ من جملتها ما هما بصدده من البناء كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية انك انت السميع لجميع المسموعات الخ
من جملتها دعاؤنا العليم بكل المعلومات الخ من زمرتها فيأتي فيما في جميع اعمالنا والجملة تعليل لاستدعاء التقبل لا من حيث ان كونه تعالى
سميعا لدعائهما عليها بنياتهما واخلاصهما في اعمالهما مستدع لايجاب الوعد تفضلا وتاكيد الجملة لوضوح كمال قوة يقينهما بمضمونها
وقصر نعتي السمع والعلم عليه تعالى للاظهار اختصاص دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية اعلم ان الظاهر ان اول
ما جرى من الامور المحكية هو الابتلاء وما يتبعه ثم دعاء البلدية والامن وما يتعلق به ثم رفع قواعد البيت وما تلوه ثم جعله مثابة للناس
والامر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب الوقوعي في الحكاية لنظم الشئون الصادرة عن جنابه تعالى في سلك مستقيل ونظم الامور من جهة
ابرهيم واسمعيل عليهما السلام من الافعال والاقوال في سلك آخر واما قوله تعالى ومن كفر الخ فانما وقع في تضاعيف الاحوال المتعلقة
بابرهيم لاقتضاء المقام واستجلاب ما سبق من الكلام ذلك بحيث لم يكن بد منه اصلا كما ان وقوع قوله عليه السلام ومن ذريتي في خلال
كلامه سبحانه لذلك ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد وايا ما كان
فالمطلوب الزيادة والثبات على ما كانا عليه من الاخلاص والاذعان وقرئ مسلمين على صيغة الجمع بادخال ما جرى معهما للدعاء
اولان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصاهم بالدعاء لانهم
احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح الاتباع وانما خصاه بعضهم لما علما ان منهم ظلمة وان الحكمة الالهية لا تقتضي اتفاق
الكل على الاخلاص والاقبال الكلي على الله عز وجل فان ذلك مما يخل بالمعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل
اراد بالامة المسلمة امة محمد عليه الصلوة والسلام وقد جوز ان يكون من مبينة قدمت على المبين وفصل بها بين العاطف
والمعطوف كما في قوله تعالى ومن الارض مثلهن والاصل وامة مسلمة لك من ذريتنا وارنا من الرؤية بمعنى الابصار او بمعنى
التعريف اي بصرنا او عرفنا مناسكنا اي متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع
في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرئ ارنا على فخذ ذفخذ وفيه اجحاف لان الكسر منقولة من الهمزة الساقطة
دليل عليها وقرئ بالاخلاس وتب علينا استتابة لذريتهما وحكايتها عنهما لترغيب الكفرة في التوبة والايذان بانها اوتوبة
لهما عما فرط منهما سهوا ولعلها قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم وهو تعليل للدعاء
ومزيد استدعاء للاجابة قيل اذا اراد العبد ان يتجاب له فليدع الله عز وجل بما يناسبه من اسمائه وصفاته ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم اي في الامة المسلمة رسولا منهم اي من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما
غير النبي صلى الله عليه وسلم فهو الذي اجيب به دعوتهما عليهما الصلوة والسلام روي انه قيل قد استجيب لك وهو في آخر الزمان
قال عليه السلام انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي وتخصيص ابرهيم عليه السلام بالاستجابة لما ان الاصل في الدعاء
واسمعيل تبع له عليهما السلام يتلو عليهم ايا تك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من البينات ويعلمهم بحسب فهمهم الفطرية
الكتاب اي القرآن والحكمة وما يكمل به نفوسهم من احكام الشريعة والمعارف الحقة ويزكيهم بحسب قوتهم العملية
اي يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصي انك انت العزيز الذي لا يغلبه ولا يغلب على ما يريده الحكيم الذي لا يفعل
الا ما يقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعاء واجابة المسئول فان وصف الحكمة متضمن لافاضة ما يقتضيه الحكمة من الامور
التي من جملتها بعث الرسول ووصف العزة مستدع للامتناع وجود المانع بالمرة ومن يرغب عن ملة ابرهيم انكار
واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن ملة التي هي الحق الصريح والدين الصحيح اي لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء
الا من سفه نفسه اي ذلها واسمهتها واستخف بها وقيل خس نفسه وقيل اوبقها واهلكها او جهل نفسه قال المبرد

الاجحاف اذهاب الحرف بالكلية
اي بنقله وبما يدل عليه

وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم وتشهد له ما ورد في الخبر الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل معناه ضل من قبل نفسه
وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التمييز نحو من زله والم رأسه ونحو قوله وتأخذ بعد بذباب عيش اجب الظهر ليس سنام
وقوله وما موى بثعلبة بن سعد ولا بزارة الشوا لرقابا وذلك لانه اذا رغب عما لا يرغب احد من العقلاء فقد بالغ في اذلال نفسه
اذا لها واما نهاها حيث خالف بها كل نفس عاقلة روى ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما
ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون
فاسلم سلمة وابو مهاجر فغزلت ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه بالنبوة والحكمة من بين سائر الخلق واصله اتخاذ صفوة
الشيء كما ان الاكل في الاصل اتخاذ ذخيره واللام لجواب قسم محذوف والواو اعتراضيه والجملة معترضة لمضمون ما قبلها اي والله
لقد اصطفيناه وانه في الآخرة لمن الصالحين اي من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح معطوف عليها داخل
في حيز القسم مؤكد لمضمونها مقرر لما تقرره ولا حاجة الى جعله اعتراضا آخر او حالا مقدرة فان من كان صفوة العباد في الدنيا
مشهودا له بالصلاح في الآخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه نفسه متسفه اذ نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتامل
وايثار الامية لما ان انتظامه في زمرة صالحي اهل الآخرة امر مستمر في الدارين لا انه يحدث في الآخرة وان تاكيد بان واللام
لما ان الامور الاخروية خفية عند المخاطبين فحقها الى التاكيد اشد من الامور التي تشاهد آثارها وكلمة في متعلقة
بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة عليها على انه قد يتوسع في الظرف على ما لا يتوسع
في غيره كما في قوله ربنه حتى اذا تمعددا كان جزاي بالعصا ان جلدا او بمحذوف من لفظه اي وانه لصالح في الآخرة لمن الصالحين
او من غير لفظه اي اعني في الآخرة كولك سعد عا وقيل هي متعلقة باصطفيناه على ان في النظم الكريم تقديما وتاخيرا
تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وانه لمن الصالحين اذ قال له ظرف لاصطفيناه لما ان المتوسط ليس باجنبي
بل هو متمم له لان اصطفاءه في الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح الآخرة او تعليل له او منصوب باذكر كانه قيل
اذكر ذلك الوقت لتقف على انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه ما نال الا بالمبادرة الى الاذعان والانقياد
لما امر به واخلاص سره على احسن ما يكون حين قال له ربه اسلم اي لربك قال اسلمت لرب العالمين
وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى احظر بباله دلائل التوحيد المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام من الكوكب
والقمر والشمس وقيل اسلم اي اذعن واطع وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص او استسلم وفوض
امورك الى الله تعالى فالامر على حقيقته والالتفات مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليه عليه السلام لاظهار مزيد
اللطف به والاعتناء بتربيته واضافة الرب في جوابه عليه السلام الى العالمين للايذان بكمال قوة اسلامه عليه السلام حيث تبين
حين النظر بشمول ربوبيته للعالمين قاطبة لانفسه وحدها كما هو المامور ووصى بها ابرهيم بنيه شروع في بيان
تكميله عليه السلام لغيره اثر بيان كماله في نفسه وفيه تاكيد لوجوب الرغبة في ملته عليه السلام والتوصية التقدم الى الغير بما فيه خيره
وصلاحه للمسلمين من فعل او قول واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله الى فعل الموصى
والضمير في بها للملة او قوله اسلمت لرب العالمين بتاويل الكلمة كما عبر بها عن قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني
في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه وقرئ اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابرهيم اي ووصى بها هو
ايضا بنيه وقرئ بالنصب عطفا على بنيه يا بني على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين لانه في معنى القول
كما في قوله رجلان من جنبة اسم قبيلة اخبرانا آنا ذ ابنا رجلا عريانا فهو عند الاولين بتقدير القول وعند الآخرين متعلق
بالاخبار الذي هو في معنى القول وقرئ ان يا بني وبنو ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية

وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرين وكان بنو يعقوب اثنى عشر روبيل وشمعون ولاوى ويهودا وشيوخور
وزيولون وزوانا وتفتونا وكوذا واوشير وبنيامين ويوسف عليهم السلام ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام
الذى هو صفوة الاديان ولا دين غيره عند الله تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهى على الموت على خلاف حال الاسلام
والمقصود الامر بالثبات على الاسلام الى حين الموت اى فاثبتوا عليه ولا تفارقوه ابدا كقولك لا تصلى الا وانت خاشع وتغيير
العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان حقه ان لا يحل بهم وانه يجب ان يحذروا غاية الحذر ونظيره
مت وانت شهيد يروى ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه اليهود يوم مات فنزلت
ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة متقدرة ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابراهيم
وشهداء جمع شهيد او شاهد بمعنى الحاضر واذ ظرف والمراد بحضور الموت حضور اسبابه وتقديم يعقوب عليه السلام لاهتمام به
او المراد بيان كيفية وصيته لبنيه بعد ما بين ذلك اجمالا ومعنى الاضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة ابراهيم عليه السلام
الى توبيخهم على افترائهم على يعقوب باليهودية جميعا كما حكى عنهم ولما تعميم الافتراء هنا لسائر الانبياء عليهم السلام كما قيل فيما ياه
تخصيص يعقوب بالذكر وما سيأتى من قوله عز وجل ام يقولون ان ابراهيم الخ ومعنى الهمزة انكار وقوع الشهود عند احتضاره
وتبكيتهم وقوله تعالى اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر اى كنتم حاضرين عند احتضاره عليه السلام وقوله لبنيه ما تعبدون من بعدى
اى اى شئ تعبدونه بعد موتى فمن اين لكم ان تدعوا عليه ما تدعون رجما بالغيب وعند هذا تم التوبيخ والانكار والتبكيت
ثم بين ان الامر قد جرى حق على خلاف ما زعموا وانه عليه السلام اراد بسؤاله ذلك تقرير بنيه على التوحيد والاسلام واخذ
ميثاقهم على الثبات عليهما اذ به يتم وصيته بقوله تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون وما يقال ان كل شئ مالم يوف فاذا عرف
حض العقلاء عن اذا سئل عن شئ بعينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب فقوله تعالى قالوا استئناف وقع
جوابا عن سؤال نشأ من حكاية سؤال يعقوب عليه السلام كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل
واسحق حسبما كان مراد ابيهم عليه السلام بالسؤال اى نعبد الاله المتفق على وجوده والهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل
من آبائه تغليبا للاب والجد لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه وقول عليه السلام فى العباس هذا بقية آبائى وقرئ ابيك
على انه جمع بالواو والنون كما فى قوله فلما تبين اصواتنا بكين وفدينا بالابينا وقد سقطت النون بالاضافة او مفرد
وابراهيم عطف بيان له واسمعيل واسحق معطوفان على ابيك الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله تعالى بالناصية ناصية
كاذبة وفائدة التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور او نصب على الاختصاص
ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله او منهما معا ويحتمل ان يكون اعتراضا محققا للمضمون ما سبق تلك امة مبتدأ
وخبر والاشارة الى ابراهيم ويعقوب عليهما السلام وبنيهما الموحدين والامة هى الجماعة الآتى تمامها فرق الناس اى يقصدونها
ويعتدون بها قد خلت صفة للخبر اى مضت بالموت وانقرضت عن عداها وآصلها صارت الى الخلاء وهى الارض التى لا انيس لها
لها ما كسبت جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى لامة او حال من المضمر فى خلت وما موصولة او موصوفة
والعائد محذوف اى لها ما كسبته من الاعمال الصالحة المحكية لا تخطاها الى غيرها فان تقديم المسند يوجب قصر المسند اليه على ما هو
المشهور ولكم ما كسبتم عطف على نظيرتها على الوجه الاول وجملة مبتدأ على الوجهين الاولين اذ لا رابط فيها ولا بد منه فى الصفة
ولا مقارنة فى الزمان ولا بد منها فى الحال اى لكم ما كسبتموه لا ما كسبه غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به قصره على المسند اليه كما قيل
فى قوله تعالى لكم دينكم ولى دين اى ولى دينى لا دينكم وحمل الاولى على هذا القصر على معنى ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا كما قيل
مما لا يساعد المقام اذ لا يتوهم منهم انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى يحتاج الى بيان امتناعه وانما الذى يتوهم انتفاع هؤلاء

بكسبهم

بكسبهم فتبين امتناعه بان اعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا تتخطاهم الى غيرهم وليس لاولاد انما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم اليهم
وانما ينفعهم اتباعهم لهم في الاعمال كما قال عليه السلام يا بني هاشم لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتونني بانسابكم ولا تسئلون
عما كانوا يعملون ان اجري السؤال على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما قبل من الجملتين تقريرا ظاهرا وان اريد به مسببه عن الجزاء
فهو تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة له وايا ما كان فالمراد بجب المخاطبين دفع اطماعهم الفارغة عن الانتفاع بحسنات الائمة الخ
وانما اطلق العمل لاثبات الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية هذا وقد جعل السؤال عبارة عن المؤاخذة والموصول عن السبب
فقيل اي لا تؤاخذون بسيآتهم كما لا تثابون بحسناتهم ولا ريب في انه مما لا يليق بشان التنزيل كيف لا وهم منزهون عن السيئات
فمن اين يتصور تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيان انتفائه وقالوا شروع في بيان فن آخر من فنون كفرهم وهو اضلالهم لغيرهم
اثر بيان ضلالهم في انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة الالتفات الموذن باعجاب حالهم لابعادهم من مقام المخاطبة والاعراض
عنهم وتقديد جنايتهم عند غيرهم اي قالوا للمؤمنين كونوا هودا او نصارى ليس هذا القول مقولا لكلهم ولاي طائفة
كانت من الطائفتين بل هو موزع اليهما على وجه خاص يقتضيه حالهما اقتضاء مغنيا عن التصريح به اي قالت اليهود كونوا هودا
او نصارى لو نصارى كونوا نصارى فتفعل بالتنكير المذكر ما تفعل بقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
اعتمادا على ظهور المرام تهتدوا جواب للامر اي ان تكونوا كذلك تهتدوا قل خطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اي قل لهم
على سبيل الرد عليهم وبيان ما هو الحق لديهم وارشادهم اليه بل ملة ابراهيم اي لا نكونوا كما تقولون بل نكون اهل ملة عليه السلام
وقيل بل نتبع ملة عليه السلام وقد جوز ان يكون المعنى بل اتبعوا انتم ملة عليه السلام وكونوا اهل ملته وقرئ بالرفع اي بل ملتنا
او امرنا ملة او نحن ملة اي اهل ملة حنيفا اي مائلا عن الباطل الى الحق وهو حال من المضاف اليه كما في ذرايت وجهه هند قائمة
او المضاف كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا الخ وما كان من المشركين تعريض بهم وايذان ببطلان
دعواهم اتباعه عليه السلام مع اشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله قولوا خطاب للمؤمنين بعد خطابهم بردهم لتلقين
الشفاء على الاجمال وارشادهم الى طريق التوحيد والايمان على ضرب من التفصيل اي قولوا لهم بمقابلة ما قالوا تحقيقا وردا
ضمنيا لهم اليه آمنا بالله وما انزل الينا يعني القرآن قدم على سائر الكتب الالهية مع تاخره عنها نزولا لاختصاصه بنا
وكونه سببا للايمان بها وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وان كانت نازلة الى ابرهيم
لكن من بعده عليه السلام حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل القرآن منزلا الينا
والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام وابناؤه الاثنى عشر وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم
واسحق وما اوتي موسى وعيسى من التوراة والانجيل وسائر المعجزات الباهرة الظاهرة بايديهما فصل في التنزيل
الجليل واريد الاتيان بما اشير اليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى وما اوتي النبيون من ربهم
اي جملة المذكورين وغيرهم من ربهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات لا نفرق بين احد منهم كما بين اليهود والنصارى
آمنوا ببعض وكفروا ببعض وانما اعتبر عدم التفريق بينهم مع ان الكلام فيما اوتوه لاستلزام عدم التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب
لعدم التفريق بين ما اوتوه وهمزة احدا اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب بستوى فيه المفرد والمثنى والجمع والمذكر
والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس ومنه ما في قوله عليه السلام ما احل الغنائم لاحد سود الرؤس
غيركم حيث وصف بالجمع واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف
قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وبين غيره كما في قول النابغة فما كان بين الخير لو جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل اي بين الخير
وبين الشر وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد منهم وبين من عداهم كائنا من كان ما ليس في ان يقال

الكافر اعوان وانصار الاولاد

لا نفرق بينهم والجملة حال من الضمير في آمنا وقوله عز وجل ونحن له مسلمون اي مخلصون له ومذعنون حال اخرى منه
او عطف على آمنا فان آمنوا الفاء للترتيب ما بعد ما على ما قبلها فان ما تقدم من ايمان المخاطبين على الوجه المحرر مظنة
لاهل الكتاب بين لما انه مشتمل على ما هو مقبول عندهم بمثل ما آمنتم به على الوجه الذي فصل على اثر مثل مفخم كما في قوله تعالى وشهد
شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه وتعضده قراءة ابن مسعود وشهد بما آمنتم به وقراءة ابي رضه بالذي آمنتم به ويجوز
ان يكون الباء للاستعانة على ان الفعل يجري مجرى اللازم اي فان آمنوا اباقرا مفصلا او فان فعلوا الايمان بشهادة
مثل شهادتكم وان يكون الاول زائدة والثاني سببية صلة آمنتم وما مصدرية اي فان آمنوا ايمانا مثل ايمانكم بما ذكر مفصلا
وان يكونا للملابسة اي فان آمنوا ملتبسين بمثل ما آمنتم او فان آمنوا ايمانا ملتبسا به من الاذعان والاخلاص وعدم التفريق
بين الانبياء عليهم السلام فان ما وجد فيهم وصدر عنهم من الشهادة والاذعان وغير ذلك مثل للمؤمنين لا عينه لتخالف
المؤمن به فانه لا يتصور فيه التعدد فقد اهتدوا الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق
واما ما قيل من ان المعنى فان تحروا الايمان بطريق يهتدى الى الحق مثل طريق فقد اهتدوا فان وحدة المقصد لا تأبى
تعدد الطريق فمما باباه ان مقام تعيين طريق الحق وارشادهم اليه يعينه لا يلائم تجويز ان يكون له طريق آخر وراءه و
ان تولوا اي اعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور بان اخلوا بشيء من ذلك كان آمنوا ببعض كما هو دينهم ودينهم
فانما هم في شقاق المشاقة والشقاق من الشق كالمخالفة والخلاف من الخلف والمعاداة والعداة من العدوة
اي الجانب فان احد المخالفين يعرض عن الآخر صورة او معنى ويولي خلفه وياخذ في شق غير شقه وعدوة
غير عدوة والتنوين للتفخيم اي هم مستقرون في خلاف عظيم بعيد من الحق وهذا الدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق
بسبب ايمانهم ببعض فآمن به المؤمنون والجملة اما شرط جواب كما هي على ان المراد مشاقتهم الحادثة بعد توليهم عن الايمان
كجواب الشرطية الاولى وانما اورثت الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستمرارهم في ذلك واما تأويل فاعلموا
انما هم في شقاق هذا هو الذي يستدعيه فخامة شان التنزيل الجليل وقد قيل قوله تعالى فان آمنوا الخ من باب
التعجيز والتبكيت على منهاج قوله تعالى فاتوا بسورة من مثله والمعنى فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مماثلا في الصحة
والسداد فقد اهتدوا وانى لهم الامكان له فلا امكان لاهتدائهم ولا ريب في انه مما لا يليق بجزل النظم الكريم عليه والاول
تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان ذلك مما يؤدي الى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول الله
وتبشير المؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمان التأييد والاعزاز بان الدالة على تحقق الوقوع البتة ف
فسيكفيكهم الله اي سيكفيك شقاقهم فان الكفاية لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد انجز عز وعلا وعده الكريم
بقتل بني قريظة وتشريدهم واجلاء بني النضير وتلوين الخطاب بتجريد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع ان ذلك كفاية
منه سبحانه للكل لما انه الاصل والعمدة في ذلك وللايذان بان القيام بامور الحروب وتحمل المؤن والمشاق ومقاساة الشدائد
في مناهضة الاعداء من وظائف الرؤساء فنعمة تعالى في الكفاية والنصرة حقه عليه السلام اتم واكمل وهو السميع العليم
تذييل لما سبق من الوعد وتأكيد له والمعنى انه تعالى يسمع ما تدعوه به ويعلم ما في ضمائر الذين فيستجيب لك ويوصلك
الى مرادك او وعيد للكفرة اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرونه في قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تأكيد
الوعد السابق فان وعيد الكفرة وعد للمؤمنين صبغة الله الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهي الحالة التي
يقع عليها الصبغ عبر بها عن الايمان بما ذكر على الوجه الذي فصل لكونه تطهيرا للمؤمنين من اوضار الكفرة وحلية تزينهم
بآثارة الجميلة ومتداخلا في قلوبهم كما ان شان الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل للتأكيد التقديرية

رد على القاضي

رد على البيضاوي

انجز ان قضى

المناسبة والتأويل ؟

فان النصارى كانوا يقسمون اولادهم فرقا اصفر يسمونه المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم
واضافتها اليه عز وجل مع استناده فيما سلف الى ضمير المتكلمين للتشريف والايذان بانها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد
بتحصيلها فهي اذن مصدر مؤكد لقوله تعالى آمنا واخلص معه في حيز قولوا منتصب عنه انتصاب وعد الله ما تقدمه لكونه مضمونه
فعله كانه قيل صبغنا الله صبغة وقيل هي منصوب بفعل الاغراء اي الزموا صبغة الله وانما وسط بينهما الشرطيان وما بعدهما
اعتناء ببيان ان الايمان الحق وبه الاهتداء ومسارعة الى تسلية عليه السلام ومن احسن من الله مبتدأ وخبر والاستفهام
للانكار والنفي وقوله تعالى صبغة نصب على التمييز من احسن منقول من المبتداء والتقدير ومن صبغته احسن من صبغة غيره تعالى
فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما اي لا صبغة احسن من صبغته تعالى على معنى انها احسن من كل صبغة على ما اشير اليه في قوله
ومن اظلم ممن منع الخ وحيث كان مدار التفضيل على تمام الحسن الحقيقي والغرض المبني على زعم الكفرة لم يلزم منه ان يكون في صبغة غيره
تعالى حسن في الجملة والجملة اعتراضية مقررة لما في صبغة الله من معنى البهج والابتهاج ونحن له اي لله الذي اولانا نعم النعمة
الجليلة عابدون شكرا لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف على آمنا داخل معه تحت الامر
واثبات الاسمية للاشعار بدوام العبادة او على فعل الاغراء لتقدير القول اي الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون فقوله تعالى
ومن احسن من الله صبغة ج يجري مجرى التعليل للاغراء قل اتحاجوننا تجريد الخطاب للنبي عليه السلام عقيب الكلام الداخل
تحت الامر الوارد بالخطاب العام لما ان المأمور به من الوظائف الخاصة به عليه السلام وقرئ بادغام النون والهمزة
للانكار والتوبيخ اي اتجادلوننا في الله اي في دينه وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة
والاهتداء عليهما وتقولون تارة لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتارة كونوا هودا او نصارى تهتدوا
وهو ربنا وربكم جملة حالية وكذلك ما عطف عليها اي اتجادلوننا والحال انه لا وجه للمجادلة اصلا لانه تعالى ربنا اي مالك
امرنا وامركم ولنا اعمالنا اي الحسنة الموافقة لامره ولكم اعمالكم السيئة المخالفة لكم لحكمه ونحن له تعالى مخلصون
في تلك الاعمال لا نبتغي بها الا وجهه فاي لكم المحاجة واي عار حقيقة ما انتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوة
الناس اليه وكلمة ام في قوله تعالى ام تقولون اما معادلة للهمزة في قوله تعالى اتحاجوننا داخلة في حيز الامر على معنى اي
الامرين ما تون اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما انتم عليه او الى ام ذكر ام التثبت بذيل التقليد والافتراء على الانبياء
وتقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى فنحن بهتدون والمراد هلا
الامرين والتوبيخ عليهما واما منقطعة مقدرة ببل والهمزة دالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ
على الافتراء على الانبياء عليهم السلام وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة فهي منقطعة لا غير والآية واردة من جهته تعالى توبيخا
لهم وانكارا عليهم لا من جهته عليه السلام على نهج الالتفات كما قيل بهذا واما ما قيل من ان المعنى اتحاجوننا في شان الله واصطفائه
نبيا من العرب دونكم لما روي ان اهل الكتاب قالوا للانبياء كلهم منا ولو كنت نبيا لكنت منا فنزلت ومعنى قوله تعالى وهو ربنا
وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم انه لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد ان يكرمنا بما لنا
كما اكرمكم باعمالكم كانة الزمكم على كل مذهب يعتجوا به فحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما بتفضيل من الله تعالى على من يشاء فلا دخل
فيه سواء واما اضافة حق على المستحقين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى
في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون اي لا انتم مع عدم ملائمة لسباق النظم الكريم وسياقه لا سيما على تقدير كون
كلمة ام معادلة للهمزة غير صحيح في نفسه لما ان المراد بالاعمال من التطرفين ما اشير اليه من الاعمال الصالحة او السيئة
ولا ريب في ان امر الصلاح والسوء يدور على موافقة الدين المبني على البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار تلك الاعمال

في استحقاق النبوة واستعداده المتقدم على البعثة بمراتب قل ءانتم اعلم ام الله اعادة الام ليست لمجرد تاكيد التوبيخ
وتشديد الانكار عليهم بل للايذان بان ما بعد ليس متصلا بما قبله بل بينهما كلام للمخاطبين مترتب على ما سبق مستتبع للحق
فضرب عنه الذكر صفحا للظهور وهو تصريحهم بما ذكر اعليه من الافتراء على الانبياء عليهم السلام كما في قوله عز وجل قال ومن يقنط
من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون وقوله عز قائلا قال ءاسجد لمن خلقت طينا قال ارءايتك هذا الذي
كرمت علي فان تكرير قال في الموضعين وتوسيطه بين قولي قائل واحد للايذان بان بينهما كلاما لصاحبه متعلقا بالاول
والثاني بالتبعية والاستتباع كما حرر اي كذبهم في ذلك وبكتهم قائلا ان الله يعلم وانتم لا تعلمون وقد نفى عن ابرهيم عليه السلام
كلا الامرين حيث قال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واصرح عليه بقوله تعالى وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده
وهؤلاء المعطوفون عليهم السلام اتباعه في الدين وفاقا فكيف تقولون ما تقولون سبحانك الله عما تصفون ومن اظلم
الانكار لان يكون احد اظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده كائنة من الله وهي شهادته تعالى عليه السلام بالحنيفية
والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما نطقت صفة لشهادة وكذا من الله جئ بها لتعليل الانكار وتاكيده
فان ثبوت الشهادة عنده وكونها من جناب الله تعالى من اقوى الدواعي الى اقامتها واشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الاول
مع انه متاخر في الوجود لمراعاة طريقة الترقي من الادنى الى الاعلى والمعنى انه لا احد اظلم من اهل الكتاب حيث كتموا هذه
الشهادة واثبتوا نقيضها بما ذكر من الافتراء وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان للايذان بان مرتبة من يرتد ما وبشهد بخلافها
في الظلم خارجة عن دائرة البيان اولا احد اظلم منا لو كتمنا ما فالمراد بكتمها عدم اقامتها في مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية
اظلمية اهل الكتاب على نحو ما اشير اليه وفي اطلاق الشهادة مع ان المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم
شهادة الله عز وجل للنبي عليه السلام في التوراة والانجيل وما الله بغافل عما تعملون من فنون السيات فيدخل فيها
كتمانهم لشهادته سبحانه وافترائهم على الانبياء عليهم السلام دخولا اوليا اي هو محيط بجميع ما تاتون وما تذرون فيجازيكم بذلك
اشد عقاب وقرئ عما يعلون على صيغة الغيبة فالضمير اما لمن كتم باعتبار المعنى واما لاهل الكتاب وقوله تعالى ومن اظلم الى الآخر
مسوق من جهته تعالى لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون
عما كانوا يعلون تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتراء بالاباء والاتكال على اعمالهم وقيل الخطاب الاول
لهم وهذا لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة الاولى الانبياء عليهم السلام وبالثانية اسلاف اليهود

الجزء الثاني

سيقول السفهاء اي الذين خفت احلامهم واستهتروا بالتقليد والاعراض عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفيه
اذا كان خفيف النسج وقيل السفيه الجاهل الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء
هم اليهود على ما روي عن ابن عباس ومجاهد رضه قالوه انكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا ياتون موافقته
عليه السلام لهم في القبلة وقيل هم المنافقون وهو الانسب بقوله عز وعلا انهم هم السفهاء وانا قالوه لمجرد الاستهزاء
والطعن لا لاعتقادهم حقية القبلة الاولى وبطلان الثانية اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون ولم يقولوا كراهة
للتحويل الى مكة بل طعنا في الدين فانهم كانوا يقولون رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها ولير جعن الى دينهم ايضا وقيل هم
المنافقون في التحويل منهم فيكون قوله تعالى من الناس اي الكفرة لبيان ذلك القول المحكي لم يصدر عن كل فرد من تلك
الطوائف الثلث بل عن اشقيائهم المقادين للخوض في فنون الفساد وهو الاظهر اذ لو اريد بهم طائفة مخصوصة منهم
لما كان لبيان كونهم من الناس فرط فائدة وتخصيص سفهائهم بالذكر لا يقتضي تسليم الباقين للتحويل وارتضائهم اياه
بل عدم التفوه بالقدح مطلقا او بالعبارة المحكية تاولا لهم اي اي شئ صرفهم والاستفهام للانكار والنفي

عن قبلتهم القبلة فعلة من المقابلة كالوجهة من المواجهة وهي الحالة التي يقابل الشيء غيره عليها كالجلسة للحالة التي تقع الجلوس يقال لا قبلة له ولا دبرة اذا لم يهتد لجهة امره وغلبت على الجهة التي يستقبلها الانسان في الصلوة والمراد بها هنا بيت المقدس واضافتها الى ضمير المسلمين ووصفها بقوله تعالى التي كانوا عليها اي ثابتين مستمرين على التوجه اليها واعتناء واعتقاد حقيتها لتأكيد الانكار فان الاختصاص بالشيء والاستمرار عليه باعتقاد حقيته مما لا يناسب الانصراف عنه فان اريد بالذين اليهود فذاك لانكارهم التحويل عنها وزعمهم انه خطأ وان اريد بهم المشركون فمداره مجرد القصد الى الطعن في الدين والقدح في احكامه واظهار ان كلا من التوجه اليها والانصراف عنها واقع بغير داع اليه لانكارهم الانصراف عنها او التوجه الى مكة وتعليق الانكار بما يوليهم عنها لا بما يوجههم الى غيرها مع تلازمهما في الوجود لما ان ترك القديم الذي بعد عند العقول والنكير سببه ادخل في الايذان بان المنكرين هم اليهود بناء على ان المنكر عندهم هو التحويل عن خصوصية بيت المقدس الذي هو القبلة الحقة عندهم لا التوجيه الى خصوصية قبلة اخرى وهم المشركون بناء على ان المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه الطعن والقدح لا التوجه الى الكعبة لانه الحق عندهم فانه يؤل من ذلك كيف لا والمنافقون من احد الفريقين لا محالة والاخبار بذلك قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حيث وقع كما اخبر لتوطين النفوس واعدادها ليكتهم فان مفاجأة المكروه على النفس اشق واشد والجواب الاقيد لشعف الحضم الا لذاذ وقوله عز وجل قل لله المشرق والمغرب استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فما ذا القول عند ذلك فقيل الخ اي لله تعالى حيثما الارض اي الجهات كلها ملكا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبلة دون ما عداها بل انما هو بامر الله سبحانه ومشيته يهدي من يشاء ان يهديه مشيته تابعة للحكم الخفية التي لا يعلمها الا هو الى صراط مستقيم موصل الى سعادة الدارين وقد هدانا الى ذلك حيث امرنا بالتوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى حسبما يقتضيه مشيته المقارنة لحكمه بالغة ومصالح خفية وكذلك جعلناكم توجيه للخطاب الى المؤمنين بني المخاطبين المختصين بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم تأييدا لما في مضمون الكلام من التشريف وذلك اشارة الى مصدر جعلناكم لا الى جعل آخر مفهوم مما سبق كما قيل وتوحيد الكاف مع القصد الى المؤمنين لما ان المراد مجرد التفوق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من النحامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير جعلناكم امة وسطا جعلا كائنا مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبر الكاف متعينة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لانفسه اي كذلك الجعل البديع جعلناكم امة وسطا لا جعلا آخر ادنى منه والوسط في الاصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب اليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة العبثرية لكن لا لان الاطراف بتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابن اوس الطائي

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا

فان تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار في هذا المقام اذ لا ملابسة بينها وبين اهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الافراط والتفريط كالعفة التي بين الفجور والخمود والشجاعة التي بين التهور والجبن والحكمة التي بين الجربزة والبلادة والعدالة التي هي بغية متنابهة حاصلة من اجتماع تلك الاوساط المحفوفة بأطراف الهائم الحلق على المتصف بها مبالغة كأنه نفسها ويستوي فيه بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجوانب الاصل كذا ب ما ثر الاسماء التي يوصف بها وقد روعيت هنا نكتة رائقة هي ان الجعل المشار اليه عبارة عما تقدم ذكره من هداية الحق الذي عبر عنه بالصراط المستقيم الذي هو الطريق السوي الواسع في وسط الطرق الجائزة عن القصد الى الجوانب فانا اذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة

طرفا ما

بين نقطتين متفاوتين فالخط المستقيم انما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطا بين
الطرف الجائرة كون الامة المهتدية اليامنة وسطا بين الامم السالكة الى تلك الطرق الزائغة اى متصفة بالخصال
الحميدة خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل لتكونوا شهداء على الناس بان الله عز وجل قد اوضح السبل وارسل الرسل
فبلغوا ونصحوا وذكروا فهل من مدكر وهو غاية للجعل المذكور مترتبة عليه فان العدالة كما اشير اليه حيث كانت هي
الكيفية المتشابهة المتألفة من العفة التي هي فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التي هي فضيلة القوة الغضبية
السبعية والحكمة التي هي فضيلة القوة العقلية الملكية المشار الى رتبتها بقوله عز وعلا ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا كان المتصف بها واقفا على الحقائق المودعة في الكتاب المبين المنطوي على احكام الدين واحوال الامم اجمعين
حاويا لشرائط الشهادة عليهم روى ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى
بالبينة وهو اعلم اقامة للحجة على المنكرين وزيادة لخزيهم بان كذبهم من بعدهم من الامم فيؤتى بامة محمد عليه السلام
وشيهدون فيقولون الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق
فيؤتى عند ذلك بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويسئل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله عز وعلا ويكون
الرسول عليكم شهيدا وكلمة الاستعلاء لما في الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن وقيل لتكونوا شهداء على الناس
في الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة الا من العدول الاخيار وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص شهادته عليه السلام
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها جرد الخطاب للنبي عليه السلام رمزا الى ان مضمون الكلام من الاسرار الخفية
بان يختص معرفته به عليه السلام وليس الموصول صفة للقبلة بل هو مفعول ثان للجعل وما قيل من ان الجعل تحويل الشئ
من حالة الى اخرى فالمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول الثاني كما في قولك جعلت الطين خزفا فينبغي ان يكون المفعول
الاول هو الموصول والثاني هو القبلة وكلام ضائع ينساق الى الذهن بحسب النظر الجليل ولكن التامل اللائق
يهدي الى العكس فان المقصود افادته ليس جعل الجهة قبلة لا غير كما يفيده ما ذكر بل هو جعل القبلة المحققة الوجود هي
الجهة دون غيرها والمراد بالموصول هذه الكعبة فانه عليه السلام كان يصلي اليها اولا ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة
تألفا لليهود او هي الصخرة لما روى عن ابن عباس رض من ان قبلته عليه السلام بمكة كان بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة
بينه وبينه وعلى هذه الرواية الجهة التي كنت عليها اثر ذي اثير وهي الكعبة وعلى الثاني وما جعلنا ما التي كنت عليها قبل
هذا الوقت وهي الصخرة الا لنعلم استثناء مفرغ من اعم العلل اى وما جعلنا ذلك لشئ من الاشياء الا لنمتحن
الناس اى نعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم حينئذ من يتبع الرسول في التوجه الى ما امر به من الدين او القبلة والالتفات
الى الغيبة مع ايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للاشعار بعلة الاتباع ممن ينقلب على عقبيه يرتد عن دين الاسلام
او لا يتوجه الى القبلة الجديدة او لنعلم الان من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول ما رد ذلك
الى كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام والناكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك
الجزاء من العلم الحالي اى ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل وقيل المراد علم الرسول عليه السلام والمؤمنين واسناده اليه سبحانه
لما انهم خواصه او لتميز الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذي
هو مسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على بناء المجهول من صيغة الغيبة والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق بما في من من معنى الاستفهام
او مفعوله الاول ممن ينقلب الخ اى لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة اى شاقة ثقيلة
وان هي المخففة من المثقلة ودخلت على ناسخ المبتداء والخبر واللام هي الفارقة بينها وبين النافية كما في قوله تعالى

لا يمكن ان يراد بالقبلة الاولى الكعبة واما الصخرة فيأتي ارادتها على الروايتين والمعنى على الاول وما جعلنا القبلة ح

اثر ذي اثير اى اول كل شئ قاموس

ان كان وعدّ تبا لمفعولا وزعم الكوفيون انها نافية واللام بمعنى الا اى ما كانت الا كبيرة والضمير الذى هو اسم كان راجع
الى ما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التى كنت عليها من الجعل او التولية او التحويلة او الردة او القبلة وقرئ لكبيرة
بالرفع على ان كان مزيدة كما فى قوله فكيف اذا مررت بدار قوم • واخوان لنا كانوا كرام • واصله وان هى لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق
الا على الذين هدى الله اى الى سر الاحكام الشرعية المبنية على الحكم والمصالح اجمالا او تفصيلا وهم المهديون الى صراط
مستقيم الثابتون على الايمان واتباع الرسول عليه السلام وما كان الله ليضيع ايمانكم اى ما صح وما استقام ان يضيع
ثباتكم على الايمان بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلوتكم اليها لما روى انه عليه الصلوة والسلام
لما توجه الى الكعبة قالوا كيف حال اخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت والام فى ليضيع اما متعلقة بالخبر المقدر
لكان كما هو رأى البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اى ما كان الله مريدا او متصديا بان يضيع الخ فنفى توجيه النفى الى ارادة
الفعل تاكيد ومبالغة ليس فى توجيهه الى نفسه والا لم يرد التاكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأى الكوفية ولا بقدح فى ذلك زيادتها
كما لا يقدح زيادة حروف الجر فى عملها وقوله تعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم تحقيق لتكرير الحكم وتعليل له فان اتصافه
عز وجل بها يقتضى لا محالة ان لا يضيع اجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلقة برؤف وتقديم على رحيم مع كونه ابلغ منه
لما فرق وجه تقديم الرحمن على الرحيم وقيل الرحمة اكثر من الرأفة فى الكمية والرأفة اقوى منها فى الكيفية لانها عبارة عن ايصال
النعم الصافية عن الآلام والرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد يكون مع الالم كقطع العضو المتآكل وقرئ رؤف بغير مد كقدس
قد نرى تقلب وجهك فى السماء اى تردده وتصرف نظرك فى جهتها تطلعا للوحى وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
كان يتبع فى دعوته ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله الى الكعبة لانه قبلة ابراهيم عليه السلام وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم
ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعى نزول جبريل بالوحى بالتحويل فلنولينك قبلة الفاء للدلالة على سببية ما قبلها
لما بعدها وهى مع الحقيقة داخلة على قسم محذوف يدل عليه اللام اى فوالله لنولينك اى لنعطينكها ولنمكننك من استقبالها
من قولك ولّيته كذا اى صيرته واليا او لنجعلنك تلى جهتها او نحولنك على ان نصب قبلة بحذف الجار اى الى قبلة وقيل هو متعد
الى مفعولين ترضاها تحبها وتشتاق اليها لمقاصد دينية وامور تعالى وحكمة فول وجهك الفاء لتفريع الامر بالتولية
على الوعد الكريم وتخصيص التولية بالوجه لما انه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن اى حاضره شطر المسجد
الحرام اى نحوه وهو نصب على الظرفية من ول او على نزع الخافض او على انه مفعول ثان له وقيل الشطر فى الاصل اسم
لما انفصل من الشئ ودار شطورا اذا كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اى محرم
فيه القتال او ممنوع من الظلمة ان يتعرض له وفى ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية مراعاة الجهة لان فى مراعاة
العين من البعيد حرجا عظيما بخلاف القريب روى عن البراء بن عازب ان نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدم المدينة
فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك فى رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين
ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسجد بنى سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول فى الصلوة واستقبل الميزاب
وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمى المسجد مسجد القبلتين وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول
بالخطاب تعظيما لجنابه واسعافا للمرامه ثم عمم الخطاب للمؤمنين مع التعرض لاختلاف اماكنهم تاكيدا للحكم وتصريحا بعمومه لكافة العباد
من كل حاضر وباد وحثا للامة على المتابعة وحيثما شرطية وكنتم فى محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا جوابها ويكون هى منصوبة على الظرفية
بكنتم كقوله تعالى ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وان الذين اوتوا الكتاب من فريقى اليهود والنصارى ليعلمون انه
اى التحويل او التوجه المفهوم من التولية الحق لا غير لعلمهم بان عادته سبحانه جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة ومعائبهم ما هو

مسطورٌ فی کتبهم من انه علیه السلام یصلی الی القبلتین کما یشهد بذلک التعبیر عنهم بالاسم الموصول بایتاء الکتاب وان مع اسمها وخبرها
سادّ مسدّ مفعولی یعلمون او مسدّ مفعوله الواحد علی ان العلم بمعنی المعرفة من ربهم متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق ای کائنا
من ربهم او صفة له علی ای من یجوز حذف الموصول مع بعض صلته ای الکائن من ربهم وما الله بغافل عما تعملون وعدٌ ووعید
للفریقین والخطاب للکل تغلیبا وقرئ علی صیغة الغیبة فهو وعیدٌ لاهل الکتاب ولئن اتیت الذین اوتوا الکتاب وضع
الموصول موضع الضمیر ایذانا بکمال سوء حالهم من العناد مع تحقق ما یزعمهم منه من الکتاب الناطق بحقیته ما کانوا قوله بکل آیة
ای حجة قطعیة دالة علی حقیة التحویل واللام موطئة للقسم وقوله تعالی ما تبعوا قبلتک جواب للقسم المضمر سادّ مسدّ
جواب الشرط والمعنی انهم ما ترکوا قبلتک لشبهة تزیلها الحجة وانما خالفوک مکابرة وعنادا او تجرید الخطاب للنبی صلی الله تعالی علیه وسلم
بعد تعمیم الامة لما ان المحاجة والابتیان بالآیة من الوظائف الخاصة به علیه السلام وقوله تعالی وما انت بتابع قبلتهم جملة
معطوفة علی الجملة الشرطیة لا علی جوابها مسوقة لقطع طامعهم الفارغة حیث قالت الیهود لو ثبت علی قبلتنا لکنا نرجو ان یکون
صاحبنا الذی ننتظره تعریضا له علیه السلام وتطمیعا فی رجوعه واثبات الجملة الاسمیة للدلالة علی دوام مضمونها واستمراره واذا
قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها فی البطلان ومخالفة الحق ولئلا یتوهم ان مدار النفی هو التعدد وقرئ بتابع قبلتهم علی الاضافة
وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان الیهود تستقبل الصخرة والنصاری مطلع الشمس لا یرجی توافقهم کما لا یرجی موافقتهم
لک لتصلب کل فریق فیما هو فیه ولئن اتبعت اهواءهم الزائغة المنحرفة من بعد ما جاءک من العلم ببطلانها وحقیة
ما انت علیه وهذه الشرطیة الرضیة واردة علی منهاج التبکیت والتهاب الثبات علی الحق ای ولئن اتبعت اهواءهم فرضا انک
اذا لمن الظالمین وفیه لطف للسامعین وتحذیر لهم عن متابعة الهوی فان من لیس من شانه ذلک اذا نهی عنه ورتب علی فرض
وقوعه ما رتب من الانتظام فی سلک الراسخین فی الظلم فما ظنّ من لیس کذلک واذا حرف جواب وجزاء توسطت بین اسم ان
وخبرها للتوسیط بینهما من التسویة اذا کان حقها ان تتقدم او تتاخر فلم یتقدم لئلا یتوهم انها للتعویل النسبة التی بین الشرط
وجوابه المحذوف لان المذکور جواب القسم ولم یتاخر للعنایة بالتواصل ولقد بولغ فی التاکید من وجوه تعظیما للحق المعلوم
وتحریضا علی اتباعه وتحذیرا عن متابعة الهوی استعظاما لصدور الزنب من الانبیاء علیهم السلام الذین آتیناهم الکتاب
ای علماؤهم لانهم العمدة فی ایتائه ووضع الموصول موضع المضمر مع قرب العهد للاشعار بعلیته لما فی حیز الصلة للحکم والضمیر
المنصوب فی قوله تعالی یعرفونه للرسول علیه السلام والالتفات الی الغیبة للایذان بان المراد لیس معرفتهم له علیه السلام
من حیث ذاته ونسبه الظاهر بل من حیث کونه مسطورا فی الکتاب منعوتا فیه بالنعوت التی من جملتها انه علیه السلام یصلی
الی القبلتین کما قیل الذین آتیناهم الکتاب یعرفون من وصفناه فیه ولهذا یظهر خزالة النظم وقیل هو اضمار قبل الذکر
للاشعار بنجامة شانه علیه السلام وانه علم معلوم بغیر اعلام فتامل وقیل الضمیر للعلم او سببه الذی هو الوحی او القرآن او التحویل
ویؤید الاول قوله عز وجل کما یعرفون ابناءهم ای یعرفونه علیه السلام باوصافه الشریفة المکتوبة فی کتابهم لا یشتبه
کما لا یشتبه ابناؤهم وتخصیصهم بالذکر دون ما یعم البنات لکونهم اعرف عندهم فربما یحتال بسبب کونهم احب الیهم عن عمر
رضی الله عنه انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم فقال انا اعلم به منی بابنی قال ولم قال عبد الله
لانی لست اشک فیه انه نبی فاما ولدی فلعل والدته خانت فقبل عمر رضی الله تعالی عنه راسه وان فریقا منهم لیکتمون الحق
وهم علماؤهم الذین کابروا وعاندوا والحق والثابتون هم الذین آمنوا منهم فانهم یظهرون الحق ولا یکتمونه واما الجهلة منهم
فلیس لهم معرفة بالکتاب الا بما فی تضاعیفه فما هم بصدد الاظهار ولا بصدد الکتم وانما کفرهم علی وجه التقلید الحق بالرفع
علی انه مبتدا وقوله تعالی من ربک خبره واللام للعهد والاشارة الی ما علیه النبی علیه السلام او الی الحق الذی یکتمونه او للجنس

والمعنى أن الحق ما ثبت أنه من الله تعالى كالذي أنت عليه لا غيره كالذي عليه أهل الكتاب وعلى أنه خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق
وقوله تعالى من ربك اما حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين اى شاكين فرضا لتمانعهم الحق عالمين به وقيل
في انه من ربك وليس المراد به نهي الرسول عليه السلام عن الشك فيه لانه غير متوقع منه عليه السلام وليس بقصد واختيار بل انما تحقيق
الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف والمزكية للشك على الوجه الابلغ ولكل اى لكل امة من الامم عالة التنوين
عوض عن المضاف اليه وجهة اى قبلة وقد قرئ كذلك او لكل قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة هو موليها احد المفعولين محذوف
اى موليها وجهها او الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى ولكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد وضعف
ضعف العامل وقرئ مولاها اى مولى تلك الجهة فهو وليها فاستبقوا الخيرات اى تسابقوا اليها بترغ الجاذبة في قوله تعالى
عليكم آل حرب من يمل سواكم فانى مهند غير مائل وهو ابلغ من الامر بالمسارعة لما فيه من الحث على الجواز فضلا عن الندب والمراد بالخيرات
جميع انواعها من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين والفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا ياتكم الله جميعا
اى في اى موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومتفرقها يحشركم الله تعالى للمحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض
وظلل الجبال تبعيض لرواحكم او اينما تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة يجعل صلواتكم كانها صلوة الى جهة واحدة ان الله على كل
شئ قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع فهو تعليل للحكم السابق ومن حيث خرجت تاكيد لحكم التحويل وتصريح بتعدم
تناول الامر حالة السفر والحضر ومن متعلقة بقوله تعالى فول او بمحذوف عطف هو عليه اى من اى مكان خرجت اليه للسفر فول
وجهك عند صلوتك شطر المسجد الحرام او افعل ما امرت به من اى مكان خرجت اليه فول الخ وانه اى هذا الامر للحق من ربك
اى الثابت الموافق للحكمة وما الله بغافل عما تعملون فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو وعد للمؤمنين وقرئ يعملون على صيغة الغيبة
فهو وعيد للكافرين ومن حيث خرجت اليه فراسارك مغاربك من المنازل القريبة والبعيدة فول وجهك شطر المسجد الحرام
الكلام فيه كما مر آنفا وحيثما كنتم من اقطار الارضين او مسافرين حسبما يعرب عنه اينما كنتم على ما حققناه فان الخطاب عام لكافة
المؤمنين المنتشرين في الآفاق من الحاضرين والمسافرين فلو قيل وحيثما خرجتم لما تناول الخطاب المعتابين في الاماكن المختلفة من حلب
اقامتهم فيها فولوا وجوهكم من محالكم شطره والتكرير لما ان القبلة لها شان خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة
فبالحري ان يؤكد امرها مرة بعد اخرى مع انه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة لئلا يكون للناس عليكم حجة متعلق بقوله تعالى
فولوا وقيل بمحذوف يدل عليه الكلام كانه قيل فعلنا ذلك الخ والمعنى ان التولية عن الصخرة تدفع اضجاج اليهود بان المنعوت
في التوراة من اوصافه ﷺ تحول الى الكعبة واضجاج المشركين بانه يدعي ملة ابراهيم عليه السلام ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم
وهم اهل مكة اى لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم الذين يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا
لبلده او بدالة فرجع الى قبلة آبائه ولا شك ان يرجع الى دينهم وتسميته هذه الكلمة الشنعاء قيل الحجة بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل
الاستثناء للمبالغة فان الحجة زائلا كالذي في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ضرورة ان لا حجة
للظالم وقرئ الا الذين بحرف التنبيه على انه استئناف فلا تخشوهم فان مطاعنهم لا تضركم شيئا واخشوني فلا تخالفوا
امري ولاتمم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة لمحذوف يدل عليه النظم الكريم اى وامرتكم بامر الاتمام لنعمة عليكم لما انه نعمة جليلة
ولارادة اهتدائكم لما انه صراط مستقيم مؤد لسعادة الدارين كما اشير اليه في قوله عز وجل يهدي من يشاء وفي التعبير عن الارادة
بكلمة لعل الموضوعة للترجي على طريقة الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية بالهداية ما لا يخفى وعطف على علة مقدرة
اى واخشوني لاحفظكم عنهم واتم الخ او على قوله تعالى لئلا يكون الخ وتوسيط قوله تعالى فلا تخشوهم الخ بينهما لما مر من التسلية والتشجيع

وفي الخبر تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله تعالى عنه تمام النعمة على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله والظرف الاول
متعلق بالفعل قدم على مفعوله التصريح لما في صفاته من الطول والظرف الثاني متعلق بمضمر وقع صفة لرسولا مبينة لتمام النعمة اي ولاتم
نعمتي عليكم في امر القبلة او الآخرة انما ما كانا ما مع ما بارسال رسول كائن منكم فان ارسال الرسول لا سيما لمجانس لهم نعمة لا يكافؤها
نعمة قط وقيل متصل بما بعده كما ذكرتم بالارسال فاذكروني الخ وآثار صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيما قبله اقتنان ووجهان
على سنن الكبرياء يتلو عليكم آياتنا صفة ثانية لرسولا كاشفة لكمال النعمة ويزكيكم عطف على يتلوا اي يحملكم على ما تصير به ازكياء
ويعلمكم الكتاب والحكمة صفة اخرى مترتبة في الوجود على التلاوة وآثار وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة
العلمية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المرتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المرتبة نعمة
جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكيهم لكانت العزيز الحكيم لينبه على ان الكل نعمة واحدة كما قرر نظيره في قصة البقرة وهو الستر في التعبير عن القرآن
تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يبدع في شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث
الشريفة من الشرائع وقوله عز وجل ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون مزيح في ذلك فان الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعا
قد عطف تعليمه على تعليمها وتاخر ذلك لا لتفصيل فنون النعم في مقام يقتضيه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ يعقب قوله تعالى نجيناهم هودا
والذين آمنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم انه ليس من شانهم ان يعلموه بالكسر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق في الوحي
فاذكروني الفاء للدلالة على ترتب الامر على ما قبله من موجبات ان فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب هو تخصيص على الذكر مع
الاشعار بما يوجبه واشكروا لي ما انعمت به عليكم من النعم ولا تكفرون بجحدها وعصيان ما امركم به يا ايها الذين آمنوا
وصفهم بالايمان اثر بعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطا لهم وحثا على مراعاة ما يعقبه من الامر استعينوا في كل ما تاتون
وما تذرون بالصبر على الامور الشاقة على النفس التي من جملتها معاداة الكفرة ومقاتلتهم المؤدية الى مقاتلتهم والصلوة
التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين تعليل للامر بالاستعانة بالصبر والصلوة
بما انه المحتاج الى التعليل واما الصلوة فحيث كانت عند المؤمنين اجل المطالب كما ينبئ عنه قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلوة
لم يفتقر الامر بالاستعانة بها الى التعليل ومعنى المعية الولاية الدائمة المستتبعة للنصرة واجابة الدعوة ودخول مع على الصابرين
لما انهم المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الحيثية ولا تقولوا عطف على استعينوا الخ مسوق لبيان ان لا قائلية للمامور به
وان الشهادة التي ربما يؤدي اليها الصبر حيوة ابدية لمن تقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء اهل هم احياء
ولكن لا يشعرون بحيوتهم وفيه رمز الى انها ليست مما يشعر به المشاعر الظاهرة من الحيوة الجسمانية وانما هي امر روحاني يدرك بالعقل
بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعالى توضع ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل
فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع قلت رايت في المنام سنة سبع وثلثين وتسعمائة اني ازور قبور شهداء احد
رضي الله تعالى عنهم وانا اتلو هذه الآية وما في سورة آل عمران واردد تها متفكرا في امرهم وفي نفسي ان حيوتهم روحانية لا جسمانية فبينما
انا في ذلك اذ رايت شابا منهم قاعدا في قبره تام الجسد كامل الخلقة في احسن ما يكون من الهيئة والمنظر لبس عليه شيء من اللباس
قد بدا منه ما فوق السرة والباقي في القبر خلا اني اعلم يقينا ان ذلك ايضا كما ظهر وانا لا يظهر لكونه عورة فنظرت الى وجهه فراته ينظر الي
متبسما كانه ينبئني على ان الامر بخلاف رايي فسبحان من علت كلمته وجلت حكمته وقيل الآية نزلت في شهداء بدر
وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت وتدركه وهو على ما هو الصحيح
والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء بذلك لما يستدعيه مقام التحريض

على مباشرة مبادئ الشهادة ولاختصاصهم بمزيد القرب من الله عز وعلا ولنبلونكم لنصيبنكم اصابة من يخبر احوالكم الصبر و
على البلاء وتسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اى بقليل من ذلك فان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة الى اصابهم
بالف مرة وكذا ما يصيب بعاندهم وانما اخبر به قبل الوقوع ليوطنوا به نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم صدق ما اخبر به ويعلموا
انه شيء يسير لعاقبة حميدة ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء وقيل على الخوف وعن الشافعي بالخوف خوف الله
والجوع صوم رمضان ومن الاموال الصدقات والزكوة ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول الله عز وجل اقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول الله تعالى
ماذا قال عبدي فيقولون حمدك فيقول الله عز وجل ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول عليه الصلوة والسلام ولكل من يتاتى منه البشارة والمصيبة ما يصيب الانسان
من مكروه بقوله عليه السلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس التصبر هو الاسترجاع بالقلب بل بالقلب بان يتصور ما خلق له
وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ويرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون ذلك على نفسه ويسلم والمبشر به
محذوف دل عليه ما بعده اولئك اشارة الى الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه للايذان
بعلو رتبتهم عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة من الله سبحانه المغفرة والرأفة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها
والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله تعالى رأفة ورحمة رؤف رحيم والتنوين فيها للتفخيم لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم للاظهار في مقام الغناية بهم اى اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فنون الرأفة الفائضة من مالك
امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم اللائقة بهم وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه
وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك اشارة اليهم لما بالاعتبار السابق والتكرير للاظهار كمال الغناية واما باعتبار صيرورتهم
لما ذكر من الصلوة والرحمة المترتب على الاعتبار الاول فعلى الاول المراد بالاهتداء في قوله عز وجل هم المهتدون هو الاهتداء للحق
والصواب مطلقا لا الاهتداء لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصة لانه متقدم عليهما فلا يتاتى اخباره عما يتاتى لهما من وراء بوجه
وليس بظاهر والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها كانه قيل واولئك هم المختصون بالاهتداء لكل خير وصواب ولذلك استرجعوا
واستسلموا لقضاء الله تعالى وعلى الثاني هو الاهتداء والفوز بالمطالب والمعنى اولئك هم الفائزون بمساعيهم الدينية والدنيوية
فان من نال رأفة الله تعالى ورحمته لم يبق له مطلب ان الصفا والمروة علمان لجبلين بمكة المعظمة كالنعمان والمعظم من شعائر الله
من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج في اللغة القصد والاعتمار الزيارة غلبا
في الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجه المعروف كالبيت والنجم في الاعيان وحيث اظهر البيت عجب بتجريده عن المتعلق به
فلا جناح عليه ان يطوف بهما اى فان يطوف بهما اصله يتطوف قلبت التاء طاء وادغمت الطاء في الطاء وفي ايراد صيغة
التفعل ايذان بان من حق الطائف ان يتكلف في الطواف ويبذل فيه جهده وهذا الطواف واجب عندنا وعن مالك والشافعي
انه ركن وايراده بعدم الجناح المشعر بالتخيير لما انه كان في عهد الجاهلية على الصفا صنم تعالى اساف وعلى المروة آخر
اسمه نائلة وكانوا اذا سعوا بينهما مسحوا بهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام كره المسلمون ان يطوفوا بهما لذلك فنزلت
وقيل هو تطوع وتعضده قراءة ابن مسعود رضه فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما ومن تطوع خيرا اى فعل طاعة
فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف وخيرا نصب على انه صفة لمصدر محذوف اى تطوعا
خيرا او على حذف الجار وايصال الفعل اليه او على تضمين معنى فعل وقرئ يطوع واصله يتطوع مثل يطوف وقرئ ومن يطوع
خيرا فان الله شاكر اى مجاز على الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة في الاحسان الى العباد عليم

مبالغ في العلم بالاشياء فيعلم مقادير اعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من اجورهم شيئا وهو علة لجواب الشرط قائم مقامه كما مر قيل
ومن تطوع خيرا جازاه الله واثابه فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون قيل نزلت في اصبار اليهود الذين كتموا
ما في التوراة من نعوت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وغير ذلك من الاحكام وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والربيع
والاصم رضي الله تعالى عنهم انها نزلت في اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيئا من احكام الدين
لعموم الحكم للكل والاقرب هو الاول فان عموم الحكم لا ياتي خصوص السبب والكتم والكتمان ترك اظهار الشيء قصدا مع
مساس الحاجة اليه وتحقق الداعي الى اظهاره وذلك قد يكون بمجرد تستره واضمحلاله وقد يكون بازالته ووضع شيء آخر في موضعه والهدى
فعلهما وتولاء ما انزلنا من البينات من الآيات الواضحة الدلالة على امر محمد عليه السلام والهدى اي والآيات الهادية الى كنه
امره ووجوب اتباعه والايمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للاصل وهي المرادة بالبينات ايضا والعطف لتغاير العنوان
كما في قوله عز وجل هدى للناس وبينات الخ وقيل المراد بالهدى الادلة العقلية وبما باه الانزال والكتم من بعد ما بيناه للناس
متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة ببيناه وكذا الظرف في قوله تعالى في الكتاب فان تعلق
جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازه او الاخير متعلق بمحذوف وقع حالا من ضميره اي كائنا في الكتاب
وتبيينه لهم تلخيصه وايضاحه بحيث يتلقاه كل احد منهم من غير ان يكون له فيه شبهة وهذا عنوان مغائر لكونه بيانا وهدى مؤكد
بقبح الكتم او تفهيمه لهم بواسطة موسى عليه السلام الاول انسب بقوله تعالى في الكتاب والمراد بكتمه ازالته ووضع غيره موضعه
فانهم محوا نعته عليه السلام وكتبوا مكانه ما يخالفه كما ذكر ناه وتفسير قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب اولئك اشارة
اليهم باعتبار ما وصفوا به للاشعار بعلية ما لحاق لهم وما فيه من معنى البعد للايذان بتراخي احرازهم وبعد منزلتهم في الفساد
يلعنهم الله اي يطردهم ويبعدهم من رحمته والالتفات الى الغيبة باظهار اسم الذات الجامع للصفات لتربية المهابة
وادخال الروعة والاشعار بان مبدأ صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال المغايرة لما هو مبدأ الانزال والتبيين من وصف
الجمال والرحمة ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتأتى منهم اللعن اي الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمني الثقلين
والمراد بيان دوام اللعن واستمراره وعليه يدور الاستثناء المتصل بقوله تعالى إلا الذين تابوا اي عن الكتمان
واصلحوا اي ما افسدوا بان ازالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا ازالوه عند التحريف وبينوا للناس
معانيه فانه غير الاصلاح المذكور او بينوا لهم ما وقع منهم اولا وآخرا فانه ادخل في ارشاد الناس الى الحق وصرفهم عن طريق
الضلال الذي كانوا اوقعوهم فيها وبينوا توبتهم ليحوا به سمعه ما كانوا فيه ويقتدي بهم اخرابهم وحيث كانت هذه التوبة
المقرونة بالاصلاح والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنية عليها لم يصرح بالايمان وقوله تعالى فاولئك اشارة
الى الموصول باعتبار اتصافه بما فيه من معنى البعد للاشعار بعلية الحكم والفاء لتأكيد ذلك اتوب عليهم اي بالقبول واضافة المغفرة
والرحمة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوب ونشر الرحمة اعتراض تذييلي محقق لمضمون ما قبله والالتفات
الى التكلم للافتنان في النظم البديع مع ما فيه من التلويح والرمز الى ما مر من اختلاف المبدأ في صلة تعالى التواب والاصح
ان الذين كفروا جملة سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتأكيد دوامه واستمراره على غير التائبين صريحا بعض
الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض لعدم التوبة والاصلاح والتبيين مبني على ما اشير اليه
فكما ان وجود تلك الامور الثلاثة مستلزم للايمان الموجب لعدم الكفر كذلك وجود الكفر مستلزم لعدم بعضها او كلها الذين
استمروا المستتبع للكتمان وعدم التوبة ماتوا وهم كفار لا يرعوون عن حالتهم الاولى اولئك الكلام فيه
كما في ما قبله عليهم اي مستقر عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ممن يعتد بلعنهم وهذا بيان لدوامها

ثم اخبر عن اوصاف وحدانيته والطاف رحمانيته بقوله والهكم اله واحد مبتدا وخبر والغرض من
تكرير الاله الوصف بالوحدة ليكون اكد والالف للكلام بعينه مستقيم اى ومعبودكم الواهب لكل اسكم
وربكم المستحق لعبادتكم معبود واحد بالذات ورب فرد لجميع المخلوقات موصوف بكمال الصفات ازلا وابدا
لا شريك ولا نظير في ذاته ولا شبيه في صفاته ولا شريك له في افعاله لا كما زعم عبدة الاصنام ان الهة
من الانام آلهة آخر رزقهم من الطعام ويحفظهم من الآلام ويطهرهم من الآثام وقال قوم منهم ان الهة
الهة لكل واحد منهم يوصل اليه نفعا ويدفع عنه ضرا اه مجمع اللطائف

لدوامها الثبوتي بعد بيان دوامها التجددي وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطف
عطف على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله
والملائكة الخ وقيل هو فاعل لفعل مقدر اى ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اى في اللعنة او في النار على انها اضمرت من غير ذكر تفخيما
لشانها وتهويلا لامرها لا يخفف عنهم العذاب اما مستانف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف اثر بيان كثرته من حيث الكم
او حال من الضمير في خالدين على جهة التداخل او من الضمير في عليهم على طريقة الترادف ولا هم ينظرون عطف على ما قبله جار فيه ما جرى
فيه وايثار الجملة الاسمية لافادة دوام النفي واستمراره اى لا يمهلون ولا يؤجلون ولا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة
والهكم خطاب عام لكافة الناس اى المستحق منكم للعبادة اله واحد اى فرد في الالهية لا صحة لتسمية غيره الها اصلا
لا اله الا هو خبر ثان للمبتدا او صفة اخرى للخبر او اعتراض وايا ما كان فهو مقرر للوحدانية ومزيح لما عسى يتوهم ان في الوجود
الها لكن لا يستحق العبادة الرحمن الرحيم خبران آخران للمبتدا او لمبتدا محذوف وهو تقرير للتوحيد فانه تعالى حيث كان موليا
لجميع النعم اصولها وفروعها جليلها ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان مفتقرا اليه في وجوده وما يتفرع عليه من كمالاته
تحققت وحدانيته بلا ريب وانحصر استحقاق العبادة فيه تعالى قطعا قيل للمشركين حول الكعبة المكرمة ثلثمائة وستون
صنما فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض
اى في ابداعهما على ما هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدائع صنائع يعجز عن فهمها عقول البشر وجمع السموات لما هو المشهور
من انها طبقات متخالفة الحقائق دون الارض واختلاف الليل والنهار اى اعتقابهما وكون كل منهما خلفا للآخر كقوله تعالى
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة او اختلاف كل منهما في انفسهما ازديادا وانتقاصا على ما قرره الله تعالى والفلك التي
تجري في البحر عطف على ما قبله وتانيثه اما بتاويل السفينة او بانه جمع فان ضمة الجمع مغايرة لضمة الواحد في التقدير
اذ الاولى كما في حمر والثانية كما في قفل وقرئ بضم اللام بما ينفع الناس اى ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها من انواع المنافع
او بنفعهم وما انزل الله من السماء من ماء عطف على الفلك وتاخيره عن ذكرها مع كونه اعم منها نفعا لما فيه من مزيد
تفصيل وقيل المقصود الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه
ولذلك قدم على ذكر المطر والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامر ومن الاولى ابتدائية والثانية بيانية او تبعيضية
وايا ما كان فتاخيرها لما مر مرارا من التشويق والمراد بالسماء الفلك والسحاب او جهة العلو فاحيا به الارض بانواع
النبات والازهار وما عليها من الاشجار بعد موتها باستيلاء اليبوسة عليها حسبما يقتضيه طبيعتها كما يؤذن به ايراد
الموت في مقابلة الاحياء وبث فيها اى فرق ونشر من كل دابة من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة على انزل
داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى فاحيا الخ متصل بالمعطوف عليه بحيث كانا في حكم شيء واحد كانه قيل وما انزل في الارض
من ماء وبث فيها الخ او على احيا بحذف الجار والمجرور العائد الى الموصول وان لم يتحقق الشرائط المعهودة كما في قوله
شهدت فيشفى بها ولكن على من صب الله علقم وقوله لعل الذي اصعدتني في ان يردني الى الارض ان لم يقدر الخير قادره على معنى
فاحيا بالماء الارض وبث فيها من كل دابة فانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح عطف على ما انزل اى تقليبها
من مهب الى آخر او من حال الى اخرى وقرئ على الافراد والسحاب عطف على تصريف او الرياح وهو اسم جنس واحده سحابة
سمي بذلك لانسحابه في الجو المسخر بين السماء والارض صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع
كما في قوله سحابا ثقالا وتسخيره تقليبه في الجو بواسطة الرياح حيث ما يقتضيه مشية الله تعالى ولعل تاخير تصريف الرياح
وتسخير السحاب في الذكر عن جريان الفلك وانزال الماء مع انعكاس الترتيب الخارجي لما مر في قصة البقرة من الاشعار

وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة
اختلفوا فيه قال ابن عباس والحسن وقتادة يعني خلفا وعوضا يقوم احدهما مقام الآخر فمن فاته عمل في احدهما قضاه في الآخر قال شقيق جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال فاتتني الصلوة الليلة قال ادرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله تعالى جعل الليل والنهار خلفة معالم سورة فرقان

لانه النازل من السماء مطر وغيره عنه

باستقلال كل من الامور المعدودة فى كونها آية ولو روعى الترتيب الخارجى لربما توهم كون المجموع المرتب بعضه على انه آية واحدة
لآيات اسم ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اى آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة
والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به سبحانه لقوم يعقلون اى يتفكرون فيها وينظرون الى ما
بعيون العقول وفيه تعريض بجهال المشركين الذين اقترحوا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الآية تصدقه فى قوله تعالى والهكم اله واحد
وتسجيل عليهم بسخافة العقول والآفن تأمل فى تلك الآيات وجد كلا منها ناطقة بوجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية
الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى استغنى بها عن سائر ما فات كل واحد من الامور المعدودة فقد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة
دون ما عداه مستتبعا لآثار معينة واحكام مخصوصة من غير ان يقتضى ذاته وجوده فضلا عن وجوده على نمط معين مستتبع لحكم مستقل
فاذن لابد قطعا من موجد قادر حكيم يوجده حسبما تقتضيه حكمته ويبدعه مشيئته منفعل عن معارضة الغير اذ لو كان معه اخر
يقدر على ما يقدر عليه لزم اما اجتماع المؤثرين على اثر واحد او التمانع المؤدى الى فساد العالم ومن الناس من يتخذ من دون الله
بيان لكمال ركاكة آراء المشركين اثر تنزيه ذاته سبحانه وتحرير الآيات الباهرة للجبلة العقلاء الى الاعتراف بها الفاضية
باستحالة ان يشاركه شئ من الموجودات فى صفة من صفات الكمال فضلا عن المشاركة فى صفة الالوهية والكلام فى اعرابه كالذى فصل
فى قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الخ ومن دون الله متعلق بيتخذ اى من الناس من يتخذ من دونه ذلك الاله
الواحد الذى ذكرت شئونه الجليلة واثبات الاسم الجليل لتعيينه تعالى بالذات غب تعيينه بالصفات اندادا اى امثالا واشباها وهم
الذين يتبعونهم فيما يأتون وما يذرون لا سيما فى الاوامر والنواهى كما ينبئ عنه ما سيأتى من وصفهم بالتبرى من المتبعين
وقيل هى الاصنام وارجاع ضمير العقلاء اليها فى قوله عز وعلا يحبونهم مبنى على آرائهم الباطلة فيما شانهم ومنهم عالما يحبونه
به الا العقلاء والمحبة ميل القلب من الحب استعير لمحبة القلب ثم اشتق منه الحب لاثبات اصابها ورسخ فيها والفعل منها حب
على حد مد لكن الاستعمال المستفيض على احب حبا ومحبة فهو محب وذاك محبوب ومحب جليل وحاب اقل منه ومحبة العبد
لله سبحانه ارادة طاعته فى اوامره ونواهيه والاعتناء بتحصيل مراضيه بمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة فى حيز النصب
اما صفة لاندادا او حال من فاعل يتخذ وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراده باعتبار لفظها كحب الله مصدر تشبيهى
اى مثل لمصدر مؤكد للفعل السابق ومن فضيلته كونه مبتدا للفاعل كونه ايضا كذلك والظاهر اتحاد فاعليهما فانهم كانوا
يحبون به تعالى ويتقربون اليه فالمعنى يحبونهم حبا كائنا كحبهم لله تعالى اى يسوون بينه تعالى وبينهم فى الطاعة والتعظيم
وقيل فاعل الحب المذكور هم المؤمنون فالمعنى حبا كائنا كحب المؤمنين لله تعالى فلا بد من اعتبار المشابهة بينهما فى اصل
الحب لا فى وصفه كما اوكبنا لما سيأتى من التفاوت البين وقيل هو مصدر من المبنى للمفعول اى كما يحب الله تعالى ويعظم
وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وانت خبير بانه لا مشابهة بين محبتهم للانداد وبين محبوبية الله تعالى فالمصير ح
ما اسلفناه فى تفسير قوله عز قائلا كما سئل موسى من قبل واظهار الاسم الجليل فى مقام الاضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف
وابانة كمال قبح ما ارتكبوه والذين آمنوا اشد حبا لله جملة مبتدا جئ بها توطئة لما يعقبها من بيان رداءة
حالهم وكونه حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف اى المؤمنون اشد حبا لله تعالى لانداده م وتمام ذلك ان حب اولئك لله تعالى
اشد من حب هؤلاء لانداده م وفيه من الدلالة على كون الحب مصدرا من المبنى للفاعل ما لا يخفى وانما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى
لما انه المقصود بيان انقطاعه وانقلابه بغضا وذلك انما يتصور فى حبهم لانداده م لكونه منوطا بايمان فاسدة ومبادئ موهومة
يزول بزوالها قيل ولذلك كانوا يعدلون عنها عند اشتداد البلاء كما نطق به قوله تعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وقد اكملت بابهلها عالم المجاعة وكان من حبس وانت خبير بان مدار ذلك اعتبار اضمحلال حبهم لها فى الدنيا

وليس الكلام فيه بل في انقطاعه في الآخرة عند ظهور حقيقة الحال ومعاينة الاحوال كما يأتي بل اعتباره مخل بما تقتضيه مقام المبالغة
في بيان كمال فتح ما ارتكبوه وغاية عظم ما افترقوه واثبات الاظهار في موقع الاضمار لتفخيم الحب والاشعار بعلته ولو يرى الذين
ظلموا اي باتخاذ الانداد ووضعها مقام المعبود إذ يرون العذاب المعد لهم يوم القيمة اذ لو علموه او عاينوه وانما اوثر صيغة
المستقبل لجريانها مجرى الماضي في الدلالة على التحقق فاضمار علام التعيين أن القوة لله جميعا سادة مسد مفعول يرى وأن الله
شديد العذاب عطف عليه وفائدة المبالغة في تهويل الخطب وتقطيع الاعراق اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه
عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن دائرة البيان اما لعدم الاحاطة بكنهه واما للضيق العبارة عنه واما لايجاب ذكره ملأ يستطيعه
الجبر المستتبع من الصغر والتفجع عليه اي لو علموا اذ رأوا اله العقاب قد حل بهم ولم يبعد منه احد من انداده ان القوة لله جميعا
ولا دخل لاحد في شيء اصلا لوقفوا من الحسرة والندم فيما لا يكاد يوصف وقرئ لو ترى بالتاء الفوقانية على ان الخطاب للرسول عليه السلام
او لكل احد ممن يصلح للخطاب فالجواب حينئذ كما يؤيده قراءة ابن عامر من الهول والفظاعة وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول وان الله شديد العذاب
على الاستئناف او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ الرؤساء من الذين اتبعوا من الاتباع
بان اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا ويدعونهم اليه من فنون الكفر والضلال واعتزلوا عنهم فخالطتهم وقابلوهم باللعن
كقول ابليس لعنه الله لما كفرت بما اشركتمون من قبل وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء والواو في قوله عز وعلا ورأوا العذاب
حالية وقد مضمرة وقيل عاطفة على تبرأ والضمير فيه والذي بعده للموصولين جميعا وتقطعت بهم الاسباب والوصل التي كانت بينهم من المودة
والمشايعة والاتفاق على الملة الزائغة والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر ونحوه وجملة معطوفة
على تبرأ وتوسيط الحال بينهما للتنبيه على علة التبري وقد جوز عطفها على جملة الحالية وقال الذين اتبعوا حين عاينوا تبرؤ الرؤساء
منهم ونذموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم في الدنيا لو ان لنا كرة اي ليت لنا رجعة الى الدنيا فنتبرء منهم هناك كما تبرؤا منا
اليوم كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده لا الى شيء آخر مفهوم مما سبق وما فيه من معنى البعد للايذان ببلوغه درجة المشار اليه
وبعد منزلته مع كمال تميزه عما عداه وانتظامه في سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة للتأكيد مما افاده اسم الاشارة من الفخامة
ومحله النصب على المصدرية اي ذلك الاراءة الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اي ندامات شديدة فان الحسرة شدة الندم
والكمد وهي تالم القلب بالخسارة عما يؤمله واشتقاقها من قولهم بعير حسير اي منقطع القوة وهي ثالث حسرات مكان اعمالهم ومأواهم
بخارجين من النار كلام مستأنف لبيان حالهم بعد دخولهم النار والاصل وما يخرجون فالعدول الى الاسمية لافادة دوام نفي الخروج
والتصدير للدلالة على احرمهم فيما اسند اليهم كما هم يخوضون الليد بحل طيبة واجر وساق بيد المغالبة يا ايها الناس كلوا مما في الارض
اي بعض ما فيها من اصناف المأكولات التي من جملتها ما حرمتموه افتراء على الله من الحرث والانعام نزل ابن عباس رضي الله عنهما في قوم
من ثقيف وبني عامر بن صعصعة وخزاعة وبني مدلج حرموا على انفسهم حرموا من الحرث والبحائر والسوائب والوصائل والحام
وقوله تعالى حلالا حال من الموصول اي كلوه حال كونه حلالا او مفعول كلوا على انه من ابتدائية وقد جوز كونه صفة لمصدر محذوف اي اكلا حلالا
وتوبيخ الاولين قوله تعالى طيبا فانه صفة له او وصف الاكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المؤمنين حرموا على انفسهم فتبع الطعمة
والملابس فيرده قوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان باب اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافتراء
على الله تعالى وانما الذي نزل فيهم ما في سورة المائدة من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآية وقرئ
خطوات بكسر الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة صعبت ضمة الطاء كأنها على الواو
وبفتحتين على انها جمع خطوة وهي المرة من الخطو إنه لكم عدو مبين تعليل للنهي اي ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان بظهر
الولاية لمن يفوته ولذلك سمي وليا في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء استئناف لبيان كيفية عداوته

وتفصيل لفنون شره وافساده واختصار معاملته معهم فى ذلك والسوء فى الاصل مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة
اذا فجره ثم اطلق على جميع المعاصى سواء كانت من اعمال الجوارح او افعال القلوب لاشتراك كلها فى انها تسوء صاحبها والفحشاء
ابلغ انواعها واعظمها مفسدة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون عطف على الفحشاء اى وبان تفتروا على الله بانه حرم هذا وذاك
ومعنى ما لا تعلمون ان الله تعالى امر به وتعليق امره بقولهم على الله تعالى ما لا يعلمون وقوعه منه تعالى مع ان حالهم ذلك كما لا يخفى
فى الزجر فان التحذير من الاول مع كونه فى القبح والشناعة دون الثانى تحذير عن الثانى على ابلغ وجه واكمله وللايذان بان العاقل
يجب عليه ان لا يقول على الله ما لا يعلم وقوعه منه تعالى مع الاضمار فضلا عن ان يقول عليه ما يعلم عدم وقوعه منه فالواو فيه بمعنى
على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظنه فمستند الى مدرك شرعى فهو به قطعى والظن فى طريقه
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله التفات الى الغيبة تسجيلا بكمال ضلالهم وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم
بصرف الخطاب عنهم وتوجيهه الى العقلاء وتفصيل مساوى احوالهم على نهج المسارة اى اذا قيل لهم على وجه النصيحة والارشاد
اتبعوا كتاب الله الذى انزله قالوا لا نتبعه بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا اى وجدناهم عليه اما على ان الظرف
متعلق بمحذوف وقع حالا من آبائنا والفينا متعد الى مفعول واحد واما على انه مفعول ثان له مقدم على الاول نزلت فى المشركين
امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله تعالى من الحجج الظاهرة والبينات الباهرة فجنحوا للتقليد والتقليد اما عبارة
عما سبق من اتخاذ الانداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك واما باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا قيل نزلت فى طائفة
من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا
واعلم فعلى هذا يعم ما انزل الله تعالى التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام وقوله عز وجل اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
استئناف مسوق من جهته تعالى رد المقالتهم الحمقاء واظهار البطلان آرائهم والهمزة للانكار الواقع واستقباحه والتعجب منه
لا للانكار الواقع كالنفى فى قوله تعالى اولو كنا كارهين وكلمة لو فى امثال هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشئ فى الزمان الماضى
لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف بدلالة ما قبلها عليه بل هى لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة
من الحكم الموجب او المنفى على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة ليحكم على الاجمال بادخالها على ابعد ما منه واشد ما منافاة له
ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشئ متى تحقق مع المنافى
القوى فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شئ من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها
القائلة لها المساوية لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى
ظاهر فى الخبر الموجب والمنفى والامر والنهى كما فى قولك فلان جواد يعطى ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطى ولو كان غنيا وقولك احسن اليه
ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اتاك ليغنائه على حاله واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء ناشئ من ورود الانكار عليه لكن الاصل فى الكلام
واحد الا ان كلمة لو فى الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله
وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق وان ما هو لو باق على ما هو عليه من الاستبعاد غالبا بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة
بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال مدلوله لا مدلول المذكور من حيث هو مدلوله وان الجملة حال
مما يتعلق به لا مما يتعلق بالمذكور من حيث هو متعلق به وان المقصود الاصلى انكار مدلوله باعتبار مقارنته للحالة المذكورة
واما بتقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما نحن فيه ليس لو لا يقصد استبعاده فى نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر محقق
الا انه اخرج مخرج الاستبعاد معاملة مع المخاطبين على مستندهم لئلا يئسوا من التفريح بنسبة آبائهم الى كمال الجهالة والضلالة جلود الكفر
فيركبوا متن العناد ومبالغة فى الانكار من جهة ان اتباعهم لآبائهم حيث كان منكرا مستقبحا عند احتمال كون آبائهم كما ذكر

اصناماً بعيداً فكان يكون منكراً عند تحقق ذلك اولى والتقدير اينبعون ذلك لو لم يكن آباؤهم لا يعقلون شيئاً من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا كذلك فالجملة في حيز النصب على الحالية من آبائهم على طريقة قوله تعالى ان اتبع ملة ابرهيم حنيفاً كانه قيل اينبعون دين آبائهم حال كونهم غافلين وجاهلين ضالين انكاراً لما افاده كلامهم من الاتباع على اى حالة كانت من الحالتين غير انه اكتفى بذكر الحالة الثانية تنبيهاً على انتهاهم الواقعة في نفس الامر وتعويلاً على اقتضائها للحالة الاولى اقتضاء بينا فان اتباعهم الذى تعلق به الانكار حين تحقق مع كون آبائهم جاهلين ضالين فلان يتحقق مع كونهم غافلين ومهتدين اولى ان قلت الانكار المستفاد من الاستفهام الانكارى بمنزلة النفى ولا ريب فى ان الاولوية فى صورة النفع معتبرة بالنسبة الى النفع الثابت فى الاولى لا يتحقق فيما ذكر من مثال النفى عند الحالة المسكوت عنها اعنى عدم النفع وعدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغى ان يكون الاولى لا يتحقق فيما نحن عند الحالة المسكوت عنها وهى حالة كون آبائهم غافلين ومهتدين انكار الاتباع لا نفسه اذ هو الذى يدل عليه اينبعون الخ فلم اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذى اريد بيان تحققه على كل حال وذلك فى مثال النفى عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفى المذكور واما فيما نحن فيه فنفس الاتباع المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذى يقتضيه الكلام السابق اعنى قولهم بل نتبع الخ واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لانكار ما يفيده واستقباح ما يقتضيه لا انه من تمامه كما فى صورة النفع وكذا الحال فيما اذا كانت الهمزة لانكار الوقوع ونفيه مع كونه بمنزلة صريح النفع كما سيأتى تحقيقه فى قوله تعالى اولو كنا كارهين وقيل الواو حالية ولكن التحقيق ان المعنى يدور على معنى العطف فى سائر اللغات ايضاً ومثل الذين كفروا جملة ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها بطريق التصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة قبل عليه ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى ما يرجع اليه الضمائر السابقة لذمهم بما فى حيز الصلة وللاشعار بعلة ما اثبت لهم من الحكم والتقدير مثل ذلك القائل وحاله الحقيقة لغرابتها بان يسمى مثلاً وقشية الآفاق فيما ذكر من دعوته اياهم الى اتباع الحق وعدم فهمهم اليه رأساً لانهماكهم فى التقليد واخلادهم الى ما هم عليه من الضلالة وعدم فهمهم من جهة الداعى ان الدعاء من غير ان يبلغوا اذ ما نهم الذى يبلغ عليهم كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء من البهائم فانها لا تسمع الا صوت الراعى وبهتة بها من غير فهم للكلام اصلا وقيل انما حذف المضاف من الموصول الثانى لدلالة كلمة ما عليه فانها عبارة عنه مشعرة مع ما فى حيز الصلة بما هو مدار التمثيل اى مثل الذين كفروا فيما ذكر فى انهماكهم فيما هم فيه وعدم التدبر فيما القى اليهم من الآيات كمثل البهائم الذى ينعق بها وهى لا تسمع بها الا جرس النغمة ودوى الصوت وقيل المراد تشبيههم فى اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التى تسمع الصوت ولا تتهم بالخبة وقيل تمثيلهم فى دعائهم الاصنام بالناعق فى نعقه وهو تصويته على البهائم وهذا غنى عن الاضمار لكن لا يساعده قوله تعالى الا دعاء ونداء فان الاصنام بمعزل من ذلك وقد عرفت ان حسن التمثيل فيما تشابه افراد الطرفين صم بكم عمى بالرفع على الذم اى هم صم الخ فهم لا يعقلون شيئاً لان طريق التعقل هو التدبر فى مبادى الامور المعقولة والتأمل فى ترتيبها وذلك انما يحصل باستماع آيات الله ومشاهدة عجائب الواضحة والمفاوضة مع من يؤخذ منه العلوم فاذا كانوا صماً بكماً عمياً فقد انسد عليهم ابواب التعقل وطرق الفهم بالكلية يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم اى من مستلذاته واشكروا لله الذى رزقكموها والالتفات لتربية المهابة ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته تعالى لا تتم الا بالشكر له عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول الله عز وجل انى والانس والجن فى نبأ عظيم اخلق ويعبد غيرى وارزق بشكر غيرى انما حرم عليكم الميتة اى اكلها والانتفاع بها وهى التى ماتت على غير زكوة والسمك والجراد خارجان عنها بالعرف او استثناء الشرع خروج الطحال من الدم والدم ولحم الخنزير انما خص لحمه مع ان سائر اجزائه ايضاً فى حكمه لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه بمنزلة التابع عليه وما اهل لغير الله به اى رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عند ما يسمى ذلك اهلالاً

ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستثناء على مضطر آخر ولا عاد متناول فوق القدر المسكة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا الاباحة للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه كلمة انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر وقيل المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمة على قصد الافتراء كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب المشتمل على فنون الاحكام التي من جملتها احكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر آنفا وقال ابن عباس رضي الله عنه نزلت في رؤساء اليهود حين كتموا نعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويشترون به اي ياخذون بدله ثمنا قليلا عوضا حقيرا وقد قرر التعبير عن ذلك الثمن الذي هو وسيلة في عقود المعاوضة وقوله تعالى اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما ذكر من صفة الوصفين الشنيعين المميزين لهم عن عداهم كل تمييز الى اتباعهم بحيث كانهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتدا خبره قوله تعالى ما ياكلون في بطونهم الا النار والجملة كلام مستانف لاشارة مبتدا ثان او بدل من الاول والخبر ما ياكلون الخ ومعنى اكلهم النار انهم ياكلون في الحال ما يستتبع ويستلزم اكله فكانه عين النار واكله اكلها كقوله اكلت دما ان لم اروع بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر او ياكلون في المال يوم القيمة عين النار عقوبة على اكلهم الشيء في الدنيا وفي بطونهم متعلق بيا كلون وفائدته تاكيد الاكل وتقرير بيان متعلق المأكول وقيل معناه ملا بطونهم كما في قولهم اكل في بطنه واكل في بعض بطنه ومنه كلوا في بعض بطنكم تعفوا فلا بد من الالتجاء الى تعليقه بمحذوف وقع حالا مقدرة من النار مع تقديمه على حرف الاستثناء والا فتعليقه بيا كلون يؤدي الى قصر ما ياكلونه الشيع على النار والمقصود قصر ما ياكلونه مطلقا عليها ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم لا يثني عليهم ولهم مع ما ذكر عذاب اليم مؤلم اولئك اشارة الى المشار اليه بنظيره بالاعتبار المذكور خاصة لا مع ما يتلوه من احوالهم الفظيعة اذ لا دخل لها في الحكم الذي يراد اثباته هيهنا فان المقصود تصوير ما باشروه من المعاملة بصورة قبيحة تنفر منها الطباع ولا يتعاطاها عاقل اصلا ببيان حقية ما نبذوه واظهاركنه ما اخذوه وابداء فظاعة تبعاته وهو مبتدا خبره الموصول الى اولئك الذين اشتروا بكتاب الله عز وجل ثمنا قليلا ليسوا بمشترين للثمن وان قل هم الذين اشتروا بالنسبة الى الدنيا الضلالة التي ليست مما يمكن ان يشترى قطعا بالهدى الذي ليس من قبيل ما يبذل بمقابلة شيء وان جل والعذاب اي اشتروا بالنظر الى الآخرة العذاب الذي لا يتوهم كونه مما يشترى بالمغفرة التي يتنافس في امثالها المتنافسون فما اصبرهم على النار تعجيب من حالهم الهائلة التي هم ملابسهم بما يوجب النار ايجابا قطعيا كانه عين لها وما عند سيبويه بمنزلة معنى التعجب وفوضه بالابتداء وتخصصها بتخصص شر في شر آخر ذا ناب خبرا ما بعدها اي شيء عظيم جعلهم صابرين على النار وعند الفراء استفهامية وما بعدها خبرها اي الذي اصبرهم على النار وقيل هي موصولة فقيل هي موصوفة بما بعدها او الخبر محذوف اي الذي اصبرهم على النار او شيء اصبرهم على النار امر عجيب فظيع ذلك العذاب بان الله نزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق اي ملتبسا به فلا جرم يكون من يرفضه بالتكذيب والكتمان ويركب متن الجهل والغواية مبتلى بمثل هذا من انواع العذاب وان الذين اختلفوا في الكتاب اي في جنس الكتاب الالهي بان آمنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها او في التوراة بان آمنوا ببعض آياتها وكفروا ببعض كالآيات المبشرة المشتملة على اوصاف بعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونعوته الكريمة فضلوا الاختلاف التخلف عن طريق الحق او الاختلاف في تاويلها او في القرآن بان قال بعضهم انه سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير كما حكي عن المشركين لفي شقاق بعيد عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر اسم جامع لمراضي الخصال والمراد لاهل الكتابين فانهم كانوا اكثروا الخوض في امر القبلة

حين حولت الى الكعبة وكان كل فريق يدعي خيرية التوجه الى قبلته من القطرين المذكورين وتقديم المشرق على المغرب مع تأخر زمان
الملة النصرانية اما لرعاية مابينهما من الترتيب المتنوع على ترتيب الشروق والغروب واما لان توجه اليهود الى المغرب ليس لكونه
مغربا بل لكون بيت المقدس من المدينة المنورة واقعا في جانب الغرب فقيل لهم ليس البر ما ذكرتم من التوجه الى تينك الجهتين
على ان البر خبر ليس مقدما على اسمها كما في قولهم ليس ان جهلت الناس غنى عنهم فليس سواء عالم وجهول وقوله ليس عظيما ان تلم
ملمة وليس علينا في الخطوب معول وانما اخترذلك لما ان المصدر المؤول اعرف من المحلى باللام لانه يشبه الضمير من حيث انه يوصف
ولا يوصف به والاعرف احق بالاسمية ولان في الاسم طولا فلو روعي الترتيب المعهود لفات تجاوب اطراف النظم الكريم
وقرئ برفع البر على انه اسمها وهو اقوى بحسب المعنى لان كل فريق يدعي ان البر هذا فيجب ان يكون الرد موافقا لدعواهم
وما ذلك الا بكون البر اسما كما ينبئ عنه جعله مخبرا عنه فالاستدراك بقوله عز وجل ولكن البر من آمن بالله وهو
تحقيق للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل لخصال البر مما لا يختلف باختلاف الشرائع وما يختلف باختلافها اي ولكن
البر المعهود الذي يجب ان يهتم بشانه ويجد في تحصيله به من آمن بالله وحد ايمانا بريئا من شائبة الاشراك
لا كما يقوله اليهود والنصارى والمشركين يقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله واليوم الآخر اي على ما هو عليه
لا كما يزعمون من ان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فقيه تعريض بان ايمان
اهل الكتابين حيث لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح لم يكن لغايا وفي تعليق البر بهما من اول الامر عقيب نفيه عن التوجه الى المشرق
والمغرب من الجزالة ما لا يخفى كانه قيل ولكن البر هو التوجه الى المبدا والمعاد الذين هو المشرق والمغرب في الحقيقة
والملئكة اي ومن آمن بهم وبانهم عباد مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين انبيائه بالقاء الوحي وانزال الكتب والكتاب
اي بجنس الكتاب الذي من افراده القرآن الذي نبذوه وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتمانهم نعوت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
واشترائهم بما انزل الله ثمنا قليلا والنبيين جميعا من غير تفرقة بين احد منهم كما فعل اهل الكتابين ووجه توسيط الكتاب
بين حملة الوحي وبين النبيين واضح وسيأتي في قوله تعالى كل آمن بالله وملئكته وكتبه ورسله وآتى المال على حبه حال
من الضمير في آتى والضمير المجرور للمال اي اتاه كائنا على حب للمال كما في قوله عليه السلام حين سئل ان الصدقة افضل ان تؤتيه
وانت صحيح شحيح وقول ابن مسعود رضي الله تعالى عنهما ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل البقاء وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت
الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير لله تعالى اي آتاه كائنا على محبته تعالى لا على قصد الشر والفساد فقيه نوع
تعريض لبارز الرشى واخذيها لتغيير التورية وقيل للصدر اي كائنا على حب الايتاء ذوي القربى مفعول اول لآتى قدم عليه
مفعوله الثاني اعني المال للاهتمام به اولان في الثاني مع ما عطف عليه طولا لو روعي الترتيب لفات تجاوب الاطراف في الكلام وهو الذي
اقتضى تقديم الحال ايضا وقيل هو المفعول الثاني واليتامى اي المحاويج منهم على ما يدل عليه المال وتقديم ذوي القربى عليهم لان ايتاءهم
صدقة وصلة والمساكين جمع مسكين وهو الدائم السكون لما ان الحاجة اسكنته بحيث لا حراك به او دائم السكون الى الناس
وابن السبيل اي المسافر سمي به لملازمته اياه كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضعيف والسائلين الذين
لجأتهم الحاجة الضرورة الى السؤال قال عليه السلام اعطوا السائل ولو جاء على فرس وفي الرقاب اي وضعه في فك
الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يتحللوا رقابهم وقيل في فك الاسارى وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها واياما كان فالعدول
عن ذكرهم بعنوان مصحح للملكية كالذين من قبلهم اما للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اوتوا كما في الوجهين الاولين وبعدم
ثبوته راسخا كما في الوجه الاخير واما في الاشعار بسوء حالهم في الاتحاف والحاجة كما ان في الظرفية المنبئة عن محليتهم للايتاء
واقام الصلوة اي المفروضة منها وآتى الزكوة اي المفروضة على ان المراد بما مر من ايتاء المال التنفل بالصدقات

قدم على الفرضية مبالغة في الحث عليه او المراد بهما المفروضة والاول لبيان المضاف والثاني لبيان وجوب الاداء والموفون بعهدهم
عطف على من آمن فانه في قوة ان يقال ومن اوفوا بعهدهم وآثار صيغة الفاعل للدلالة على وجوب استمرار الوفاء والمراد بالعهد
ما لا يجرم حلالا ولا يحلل حراما من العهود الجارية فيما بين الناس وقوله تعالى اذا عاهدوا للايذان بعدم كونه من ضروريات الدين
والصابرين نصب على الاختصاص غير سبكه عما قبله تنبيها على فضيلة الصبر وفرتبته وهو في الحقيقة معطوف على ما قبله قال
ابو علي اذا ذكرت صفات المدح او الذم فخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان ويستمر ذلك قطعا لان تغيير الوصف يدل
على زيادة ترغيب في استماع المذكور وفرط اهتمام بشانه كما قرئ صدر السورة وقد قرئ والصابرون كما قرئ والموفون في البأساء
اي في البؤس والشدة والضراء اي المرض والزمانة وحين البأس اي وقت مجاهدة العدو في مواطن الحرب وزيادة
الحين للاشعار بوقوعها احيانا وسرعة انقضائه اولئك اشارة الى الموصوفين باعتبار اتصافهم بالنعوت الجليلة المعدودة
وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من التنبيه على علو طبقتهم وسمو رتبتهم الذين صدقوا اي في الدين واتباع الحق وتحري البر
حيث لم يغيرهم الاحوال ولم يزلزلهم الاهوال واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه
شانهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم والآية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها نصر بجا
اوتلويحا لما انها مع تكاثر فنونها وتشعب شجونها منحصرة في خلال ثلث وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد شبر
الى الاولى بالايمان بافصل والى الثانية بايتاء المال والى الثالثة باقامة الصلوة الخ وذلك وصف الحائزون لها بالصدق
نظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم مع الخلق ومواظبتهم مع الحق والتعبير بقوله عليه السلام من عمل بهذه
الآية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان بعض الاحكام الشرعية على وجه التلاقي لما فرط من التحلي
بما ذكر من اصول الدين وقواعده التي عليها يبنى اساس المعاش والمعاد كتب عليكم اي فرض والزم عند مطالبة صاحب الحق فلا يشرع
فيه قدرة الولي على العفو فان الوجوب انما اعتبر بالنسبة الى الحكام او القاتلين القصاص في القتلى اي بسبب قتلهم كما في قوله
عليه السلام ان امراة دخلت النار في هرة ربطتها اي بسبب ربطها اياها الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كانت
في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى
فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت فامرهم ان يتناوبوا وليس فيها دلالة على عدم قتل
الحر بالعبد عند الشافعي ايضا لان اعتبار المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق
وقد رأيت الوجه ههنا واتانا تمسك في ذلك بما روي عن علي رضي الله تعالى عنه ان رجلا قتل عبده فجلده رسول الله عليه السلام
ونفاه سنة ولم يجده وبما روي عنه رضي الله عنه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذمي عهد ولا حر بعبد وبان ابا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما
كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وبالقياس على الاطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد لقوله تعالى ان النفس بالنفس
فان شريعة من قبلنا اذا قصت علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب علينا اتفاقا ولان القصاص يعتمد المساواة
في العصمة وهما بالدين او بالدار وهما سيان فيهما وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القصاص فمن عفي له من اخيه شيء
اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدة الاشعار بان بعض العفو بمنزلة كله في اسقاط القصاص وهو الواقع ايضا في العادة
اذ كثيرا ما يقع العفو من بعض الاولياء فهو شيء من العفو وقيل معنى عفي ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفاه بمعنى ترك
بل اعفاه وحمل العفو على المحو كما في قول من قال ديار عفاها جور كل معاند وقوله عفا كل ضان كثير الوبل بطان ليكون المعنى
فمن محي له من اخيه شيء صرف للعبارة المتداولة في الكتاب والسنة عن معناها المشهور للمعهود الى الغالبين معهود فيها وفي استعمال
الناس فانهم لا يستعملونه في باب الجنايات الا فيما ذكر من قبل وعفا يعدى بعن الى الجاني والذنب قال الله تعالى عفا الله عنك

الزمة قطعة من الجبل

لو قال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قبل عفوت لغلبان عما جنى كانه قيل فمن عفى له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وايراده بعنوان الاخوة الثابتة بينهما بحكم كونهما من بني آدم عليه السلام لتحريك سلسلة الرقة والعطف عليه فاتباع بالمعروف فالامر اتباع او فليكن اتباع والمراد وصيته الصافية بالمطالبة الدية بالمعروف من غير تعسف وقوله عز وجل وادآء اليه باحسان حث للمعفو عنه على ان يؤدي بها باحسان من غير مماطلة ومحس ذلك اي ما ذكر من الحكم تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية وعلى النصارى العفو على الاطلاق وحرم عليهم القصاص فخيرت هذه الامة بين الثلث تيسيرا عليهم وتنزيلا للحكم على حسب المنازل فمن اعتدى بعد ذلك بان قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم او قتل القاتل بعد العفو او اخذ الدية فله بارتكابه عذاب اليم اما في الدنيا فبالاقتصاص باقتله بغير حق وفي الآخرة فبالنار ولكم في القصاص حيوة بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لانه جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس نوعا من الحيوة عظيما لا يبلغه الوصف وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحيوة نهي الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة والنظر فان لما خير بين الحيوة احد هما خير والآخر صلة او حال من الكاف في لكم والعامل استقر في القصاص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلوب يا اولي الالباب اي ذوي العقول الصافية من شوب الاوهام خوطبوا بذلك بعد ما خوطبوا بعنوان الايمان تنشيطا لهم الى التأمل في حكمة القصاص لعلكم تتقون اي تتقون انفسكم من المهالك فانه والا يهمل المحافظة عليه الحكم به والاذعان له او من القصاص فتكفوا عن القتل المودي اليه كتب عليكم بيان لحكم آخر من الاحكام المذكورة اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهرت اماراته او دنا منه من الحضور وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت ورود عليها ان ترك خيرا اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله تعالى عنه انه اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال تعالى ان ترك خيرا وان هذا شيء يسير فاتركه لعيالك وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما اراك فيه فضلا وارادت آخر ان يوصي فقالت كم مالك فقال ثلثمائة الاف درهم قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا شيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين ونوع بكتب آخر عما بينهما لما قرر ارثا وايتاء تذكيرا للفعل مع جواز تأنيثه ايضا للفصل او على تاويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الضمير في قوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه واذا ظرف محض والعامل فيه كتب لكن لا من حيث صدور الكتب عنه تعالى بل من حيث تعلقه بهم تعلقا فعليا مستتبعا لوجوب الاداء كما ينبئ عنه البناء للمفعول وكلمة الا يجاب ولا مساغ لجعل العامل هو القضية لتقدمه عليها وقيل هو مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورة الشعر ومعنى كتب فرض وكان هذا الحكم في بدء الامر ثم نسخ عند نزول آية المواريث بقوله عليه السلام ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث فانه وان كان من اخبار الاحاد لكن حيث تلقته الامة بالقبول انتظم في سلك المتواتر فصلحت للنسخ عندنا ومتنا على ان التحقيق ان الناسخ حقيقة هي آية المواريث وانما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان انه تعالى كان قد كتب عليكم ان تؤدوا الى الوالدين والاقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم من غير تبيين لمراتب استحقاقهم ولا تعيين لمقادير انصبائهم بل فوض ذلك الى آرائكم حيث قال بالمعروف اي بالعدل فالآن قد رفع ذلك الحكم عنكم وتولى تبيين طبقات استحقاق كل واحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم بالذات واعطى كل ذي حق منهم حقه الذي يستحقه بحكم القرابة من غير نقص ولا زيادة ولم يدع ثمة شيئا فيه مدخل لرأيكم اصلا صيانة

عنه الجملة المنفية بلا النافية للجنس وتصويرها بكلمة التنبيه اذا تحققت هذا ظهر لك ان ما قيل من ان آية المواريث لا تعارضه
بل تحققه وتؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقي الامة اياه بالقبول لا يلحقه بالمتواتر
ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله عز وجل من توريث الوالدين والاقربين بقوله تعالى يوصيكم الله او بايصاء المحتضر
لهم بتوفير ما اوصى به الله تعالى عليهم بمعزل من التحقيق وكذا ما قيل من ان الوصية للوارث كانت واجبة بهذه الآية من غير تعيين
لانصبائهم فلما نزلت آية المواريث بيانا للانصباء بلفظ الايصاء فهم منها تنبيها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان المراد منه
الوصية التي كانت واجبة كأنه قيل ان الله تعالى اوصى بنفسه تلك الوصية فكان هذا معنى النسخ لا ان فيها دلالة على رفع
هذا الحكم فان مدلول آية الوصية حيث كان تفويضا للامر على آراء المكلفين على الاطلاق ومبنى الخروج عن عهدة التكليف
باداء ما ادى اليه آراؤهم بالمعروف فكون آية المواريث الناطقة بمراتب الاستحقاق وتفاصيل مقادير الحقوق القاطعة
بامتناع الزيادة والنقص بقوله تعالى فريضة من الله ناسخة لها رافعة لحكمها مما لا يشتبه على احد وقوله تعالى حقا على المتقين
مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله اي غيره من الاوصياء والشهود بعدما سمعه اي بعدما وصل اليه وتحقق
لديه فانما اثمه اي اثم الايصاء المغير او اثم التبديل على الذين يبدلونه لانهم خانوا وخالفوا حكم الشرع
ووضع الموصول في موضع الضمير الراجع الى من لتأكيد الايذان بعلية ما في حيز الصلة الاولى وايثار الجمع للاشعار بتعدد
المبدلين انواعا او كثرتهم افرادا او الايذان بشمول الاثم لجميع الافراد ان الله سميع عليم وعيد شديد
للمبدلين فمن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء وقرئ من موص جنفا
اي ميلا بالخطأ في الوصية او اثما اي تعمدا للجنف فاصلح بينهم اي بين الموصى لهم باجرائهم على منهاج الشريعة
فلا اثم عليه اي في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة
ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام بيان لحكم آخر من الاحكام الشرعية
وتكرير النداء لاظهار مزيد الاعتناء به والصيام والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس ومنه قوله تعالى
اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم الآية وقيل هو الامساك عن الشيء مطلقا ومنه صامت الريح اي امسكت عن الهبوب
والفرس اي امسك عن العدو وقيل خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج واخرى تعلك اللجما وفي الشريعة هو الامساك
نهارا مع النية عن المفطرات المعهودة التي هي معظم ما تشتهيه الانفس كما كتب في حيز النصب على انه نعت للمصدر المؤكد
اي كتبا كائنا كما كتب او على انه حال من المصدر المعرفة اي كتب عليكم الصيام الكتب مشبها بما كتب فما على الوجهين
مصدرية او على انه نعت لمصدر من لفظ الصيام اي صوما مماثلا للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة او على انه حال من الصيام
اي حال كونه مماثلا للمكتوب على الذين من قبلكم من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن آدم وفيه تأكيد للحكم وترغيب
فيه وتطييب لانفس المخاطبين به فان الشاق اذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة اما المماثلة في اصل الوجوب واما في الوقت
والمقدار كما يروى ان صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى اما اليهود فقد تركته وصامت يوما من السنة
زعموا انه يوم غرق فرعون وكذبوا في ذلك فانه كان يوم عاشوراء واما النصارى فانهم صاموا رمضان حتى صادفوا
حرا شديدا فاجتمعت آراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الصيف والشتاء فجعلوه في الربيع وزادوا عليه عشرة ايام
كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم مرض ملكهم او وقع فيهم موتان فزادوا عشرة ايام فصار خمسين لعلكم تتقون
اي المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة الداعية اليها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او تتقون
الاخلال بادائه لاصالته او تصلون بذلك الى رتبة التقوى اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل

الموتان بالضم يقع في الماشية
ويقع في المال موتان
جوهري

فان القليل من المال يعد عدا والكثير رياً هيلا والمراد بها الامر مضان او ما وجبت في بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشوراء
وثلثة ايام من كل شهر وانتصابه ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما بجنبي بل بمضمر دل هو عليه اعني صوموا
اما على الظرفية او المفعولية اتساعا وقيل بقوله تعالى كتب على احد الوجهين وفيه ان الايام ليست محلا له بل للمكتوب فلا تتحقق
الظرفية ولا المفعولية المتفرعة عليها اتساعا فمن كان منكم مريضا اى مريضا يضره الصوم او يزيد معه او على سفر
مستمرين عليه وفيه تلويح وورمز الى ان من سافر في اثناء اليوم له افطر فعدة اى فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام
اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف ثقة بظهوره وقرئ بالنصب على فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب
واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو مسلم رضه وعلى الذين يطيقونه او على المطيقين للصيام ان افطروا فدية اى اعطاء
فدية وهي طعام مسكين وهو نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق ومد عند اهل الحجاز وكان ذلك
في بدء الاسلام لما انه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين له فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرئ
يطوقونه اى يكلفونه اى يتقلدونه ويتطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلها
يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدبر المكان وما فيها دبر
وفيه وجهان احدهما كونه بمعنى يطيقونه وان نفى يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء
الافطار والفدية وهو حق غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اى يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم
فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو اى التطوع او الخير الذي تطوعه خير له وان تصوموا ايتها المطيقون او المطوقون
وتحملوا على انفسكم وتجهدوا طاقتكم او المرخصون في الافطار من المرضى والمسافرين خير لكم من الفدية او من التطوع
او منهما او من التأخير الى ايام اخر والالتفات الى الخطاب للحث والتنشيط ان كنتم تعلمون اى ما في صومكم مع تحقق
المشق للافطار من الفضيلة والجواب محذوف ثقة بظهوره اى اخترتموه او سارعتم اليه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم
والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدأ اسنادي خبره او خبر لمبتدأ محذوف اى ذلك شهر رمضان
او بدل من الصيام على حذف المضاف اى صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول تصوموا او بدل
من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض اى احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف
والنون كما قيل ابن وابة للغراب فقوله عليه السلام من صام رمضان الحديث وارد على حذف المضاف لامن من الالتباس
وانما سمي بذلك اما لارتماضهم فيه من الجوع والعطش او لارتماض الذنوب بالصيام فيه ولوقوعه في ايام رمض الحر عند نقل اسماء
الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القرآن خبر للمبتدأ على الاول وصفة لشهر رمضان على الوجوه الباقية
ومعنى انزاله فيه انه ابتدئ انزاله فيه وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل منجما على الارض
حسبما يقتضيه المشية الربانية او انزل في شانه القرآن وهو قوله عز وجل كتب عليكم عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
نزلت في صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين منه والانجيل لثلث عشرة والقرآن
لاربع وعشرين هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اى لنزل حال كونه هداية للناس
بما فيه من الاعجاز وغيره وآيات مرشدة موضحة للحق فارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد
منكم الشهر اى حضر فيه ولم يكن مسافرا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعظيم والمبالغة في البيان والفاء للتفريع على الترتيب
او لتضمن المبتدأ معنى الشرط اوزائدة على تقدير كون شهر رمضان مبتدأ والموصول صفة له وهذه الجملة خبرا له
وقيل هي جزاء له كأنه قيل لما كتب عليكم الصيام في ذلك الشهر فمن حضر فيه فليصمه اى فليصم فيه بالحذف والايصال الكامل

الجهد بالفتح المشقة وبالضم الطاقة وقيل العكس يجيء مهما فيه

لا المجرور اتساعا وقيل من شهد منكم هلال الشهر فليصم على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اى صلوتها فيكون ما بعده مخصصا له كانه قيل ومن كان مريضا او على سفر وان كان صحيحا فعدة من ايام اخر اى فعليه صيام ايام اخر لان المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بهذا الرخصة بكم اليسر ولا يريد بكم العسر لغاية رافته وسعة رحمته ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل الفعل المحذوف يدل عليه ما سبق اى ولتعلموا الامور شرع ما مر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله تعالى لتكملوا اعلام الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وتعدية فعل التكبير على لتضمينه معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ويجوز ان تكون معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا الخ ويجوز عطفها على اليسر اى يريد بكم لتكملوا الخ كقوله تعالى يريدون ليطفئوا الخ والمعنى بالتكبير تعظيمه تعالى بالحمد والثناء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدرية والموصولة اى على هدايته اياكم او على الذى هداكم اليه وقرئ ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادى عنى فلما قرب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما لا يخفى من تشريفه ورفع محله فاني قريب اى قل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه تعالى بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه روى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقريب ربنا فناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب وتحقيق له ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات على ما هم عليه لعلهم يرشدون راجين اجابة الرشد اى الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها ولما امرهم الله تعالى بصوم الشهر وبمراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الكريمة الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم سميع باقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم شرع في بيان احكام الصيام فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روى ان المسلمين كانوا اذا صلوا العشاء حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الاخيرة وربما نام احدهم قبل ان يفطر فلما اصاب عمر رضي الله تعالى عنه امرأته بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمينه معنى الافضاء والانتهاء وانتصاب هنا على الظرف ما اريد به وكذلك ستمن ضمنا وقرئ الرفوث وتقديم الظرف على العامل مرارا من التشويق فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن عند ما وقت وروده فضل تمكن هن لباس لكم وانتم لباس لهن استئناف مبين لنفس الاحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة بهن وجعل كل من الرجل والمرأة لباسا للآخر لاعتناقهم واشتمال كل منهما على الآخر بالليل قال اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت وكانت عليه لباسا اولان كلا منهما ستر لحال صاحبه ومنعه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم استئناف آخر مبين لما ذكر من السبب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب فتاب عليكم عطف على علم اى تاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم اى محى اثره عنكم فالآن بما نسخ التحريم باشروهن المباشرة الترامي البشرة بالبشرة كنى بها عن الجماع التي يستلزمها وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب بالسنة وابتغوا ما كتب الله لكم اى واطلبوا ما قدره الله لكم وقدره في اللوح من الولد وفيه ان المباشرة ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة في خلق الشهوة وشرع النكاح لاقضاء الشهوة وقيل فيه نهي عن العزل وقيل عن غير المأتي والتعذير

وابتغوا المحل الذى كتب الله لكم ◦ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ◦ شبه
اول ما يبدو من الفجر المعترض فى الافق وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض
بقوله تعالى من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض
فان ما يبدو بعض الفجر وما روى من انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود وطفقوا ياكلون ويشربون
حتى يتبين لهم فنزلت فلعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهار حاله ذلك
ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفى تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على ان تاخير جواز الغسل اليه وصحة صوم من اصبح جنبا
ثم اتموا الصيام الى الليل ◦ بيان لاخر وقته ◦ ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد ◦ اى معتكفون فيها والمراد
بالمباشرة الجماع وعن قتادة رضه كان الرجل يعتكف ثم يخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف
يكون فى المسجد غير مختص ببعض دون بعض وان الوطى فيه حرام ومفسد له لان النهى فى العبادة يوجب الفساد ◦ تلك
حدود الله ◦ اى الاحكام المذكورة حدودا وضعها الله تعالى لعباده ◦ فلا تقربوها ◦ فضلا عن تجاوزها نهى ان يقرب الحد الحاجة
بين الحق والباطل مبالغة فى النهى عن تخطيها كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك
ان يقع فيه ويجوز ان يراد بحدود الله تعالى محارمه ومناهيه كذلك ◦ اى مثل ذلك التبيين البليغ ◦ يبين الله اياته ◦ الدالة
على الاحكام التى شرعها للناس لعلهم يتقون ◦ مخالفة اوامره ونواهيه ◦ ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ◦ نهى عن اكل بعضهم
لاموال البعض على خلاف حكم الله عز وجل وبعد النهى عن اكل اموال انفسهم فى نهار رمضان اى لا ياكل بعضكم مال بعض بالوجه الذى
لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرفية او الحالية من اموالكم ◦ وتدلوا بها الى الحكام ◦ عطف على المنهى او نصب باضمار ان والادلاء
الالقاء اى ولا تلقوا حكومتها الى الحكام ◦ لتاكلوا ◦ بالتحاكم اليهم ◦ فريقا من اموال الناس بالاثم ◦ بما يوجب اثما كشهادة الزور
واليمين الفاجرة او ملتبسين بالاثم ◦ وانتم تعلمون ◦ انكم مبطلون فان ارتكاب المعاصى مع العلم بها اقبح وروى ان عبد ان الحضرمى
ادعى على امرئ القيس الكندى قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فنزلت
عليه السلام ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية ◦ فارتدع عن اليمين فسلم الارض الى عبد ان فنزلت وروى
انه اختصم اليه خصمان فقال عليه السلام انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون الى ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو
ما اسمع فمن قضيت له بشئ من حق اخيه فانما اقضى له قطعة من نار فبكيا فقال كل واحد منهما حقى لصاحبه فقال اذهبا فتوخيا
ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه ◦ يسالونك عن الاهلة ◦ سالة معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقال ما بال الهلال يبدو دقيقا
كالخيط ثم يزيد حتى يستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا ◦ قل هى مواقيت للناس والحج ◦ كانوا قد سالوه عليه السلام
عن الحكمة فى اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله العزيز الحكيم ان يجيبهم بان الحكمة الظاهرة فى ذلك ان يكون معالم للناس
فى عباداتهم لا سيما الحج فان الوقت مراعى فيه ادآء وقضاء وكذا فى معاملاتهم على حسب ما يتفقون عليه والمواقيت جمع ميقات
من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدائها الى منتهاها والزمان مدة
مقسومة الى الماضى والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض للامر وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ◦ كانت الانصار
اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من باب وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءها ويعدون ذلك برا فبين
لهم انه ليس ببر فقيل ◦ ولكن البر من اتقى ◦ اى بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا عن الاهلة من
اوانه لما ذكر انها مواقيت للحج ذكر عقيبه ما هو من افعالهم فى الحج استطرادا او انهم لما سالوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة
فانه عليه السلام قال انا مبعوث لبيان الشرائع لا لبيان حقائق الاشياء وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم الرسالة

عقب بذكره جواب ما سألوا عنه تنبيهاً على أن اللائق بهم أن يسألوا عن أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او اريد به التنبيه
على تعكيسهم في السؤال لكونه من قبيل دخول البيت من ورائه والمعنى وليس البر بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك
ولم يجتر على مثله • وأتوا البيوت من ابوابها • اذ ليس في العدول بر او باشروا الامور من وجوهها • واتقوا الله • في تغيير
احكامه او في جميع اموركم او بذلك صريحاً بعد بيان ان البر من اتقى اظهاراً لزيادة اعتنائه بشأن التقوى وتمهيداً لقوله تعالى
لعلكم تفلحون • اي لكي تظفروا بالبر والهدى • وقاتلوا في سبيل الله • اي جاهدوا لاعزاز دينه واعلاء كلمته وتقديم الظرف
على المفعول الصريح لابراز كمال العناية بشأن المقدم • الذين يقاتلونكم • قيل كان ذلك قبل ما امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين
منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة
والنساء او الكفرة جميعاً فان الكل بصدد قتال المسلمين وقصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله تعالى ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون
ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ويعضده ايراده في اثناء بيان احكام الحج • ولا تعتدوا
بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجاة به من غير دعوة او بالمثلة وقيل من نهيتهم عن قتله من النساء والصبيان ومن يجري
مجراهم • ان الله لا يحب المعتدين • او لا يريد بهم الخير وهو تعليل للنهي • واقتلوهم حيث ثقفتموهم • اي حيث وجدتموهم
من حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علماً او عملاً وفيه معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني
فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود • واخرجوهم من حيث اخرجوكم • من مكة وقد فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم منهم
والفتنة اشد من القتل • اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم
النفس بها وقيل شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه • ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام • اي لا تفاتحوهم
بالقتال هناك ولا تهتكوا حرمة المسجد الحرام • حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم • ثمة • فاقتلوهم • فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة لانهم
الذين هتكوا حرمته فاستحقوا اشد العذاب وفي العدول عن صيغة المفاعلة التي بها ورد النهي في الشرط عدة بالنصر والغلبة
وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد • كذلك جزاء الكافرين
يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم • فان انتهوا • عن القتال والكفر بعدما راوا فنا لكم • فان الله غفور رحيم • يغفر لهم ما قد سلف
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة • اي شرك • ويكون الدين لله • خالصاً ليس للشيطان فيه نصيب بعد منعكم عن الشرك
فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين • اي فلا تعتدوا عليهم اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم
وتسمية الجزاء بالعدوان للمشاكلة كما في قوله عز وجل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين
وتنعكس الحال عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء • الشهر الحرام بالشهر الحرام • قاتلهم المشركون عام الحديبية
في ذي القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء في ذي القعدة ايضاً وكراهتهم القتال فيه هذا الشهر الحرام بذاك الشهر الحرام
وهتكه بهتكه فلا تبالوا به • والحرمات قصاص • اي كل حرمة وهي ما يجب المحافظة عليه يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم
بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم ان قاتلوكم كما قال الله تعالى • فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم • وهو فذلكة مقررة لما قبلها • واتقوا الله • في شأن الانتصار واحذروا ان تعتدوا الى ما لم يرخص لكم
واعلموا ان الله مع المتقين • فيحرسهم ويصلح شؤونهم بالنصرة والتمكين • وانفقوا في سبيل الله • اي في الجهاد بالمال
بعد الامر به بالنفس ولا تمسكوا كل الامساك • ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة • بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف
عن الغزو والانفاق فان ذلك مما يقوي العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري رضه

فائدة الفقه قد يكون ما جاز في سبيل الجهاد
بنفسه وقد يكون آلة واعانة على القتال
فقد لا يجوز الا كما هي
منه

بقي النصرة والمسرة الخ

انه تعالى اعز الله تعالى الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اموالنا ونعيم فضلنا ونصلحنا فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل ملاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالتقاء طرح الشيء وتعديته بالى لتضمنه معنى الانتهاء او الباء زيدت والمراد بالايدي الانفس والتهلكة مصدر كالتنضرة والتسرة وهي والهلك والهلاك واحد اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم اولا تلقوا بايديكم انفسكم الربا فحذف المفعول وأحسنوا اي اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على الفقراء ان الله يحب المحسنين اي يريد بهم الخير وقوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله بيان لوجوب افعالهما عند التصدي لادائهما وارشاد للناس الى تدارك ما عسى يعتريهم من العوارض المخلة بذلك من الاحصار ونحوه من غير تعرض لحالهما في انفسهما من الوجوب وعدمه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل فانه بيان وجوب مد الصيام الى الليل من غير تعرض لوجوب اصله وانما هو بقوله تعالى كتب عليكم الصيام الآية كما ان وجوب الحج بقوله تعالى لله على الناس حج البيت الآية فان الامر باتمام فعل من الافعال ليس امرا باصله ولا مستلزما له اصلا فليس فيه دليل على وجوب العمرة قطعا واذ قد عرفت ان الامر باتمامهما امر بادائهما تامين كاملين حسبما يقتضيه قراءة واتموا الحج والعمرة وان الامر للوجوب بامم يدل على خلافه دليل مما لا سداد له ضرورة ان ليس للبيان معهودا على افعال الحج المفوض صحة تصوير ذلك بل الحق ان تلك القراءة ايضا محمولة على المشهورة ناطقة بوجوب اقامة افعالها كما ينبغي من غير تعرض لحالهما في انفسهما فالمعنى ائتوا بافعالهما وشرائطها وسائر افعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تعالى من غير اخلال بشيء منها هذا وقد قيل اتمامهما ان يحرم بهما من دويرة اهله روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم وقيل ان تؤدي كل واحد منهما كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل هو جعل نفقتهما حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من الاغراض الدنيوية وأيا ما كان فلا تعرض في الآية الكريمة لوجوب العمرة اصلا وانما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال ان العمرة لقرينة الحج وقول علي رضي الله تعالى عنه حديث لستة نبيك حين قال لرجل وجدت الحج والعمرة مكتوبين على اهلك بهما وفي رواية فاهللت بهما جميعا بمنزل من افادة الوجوب مع كونه معارضا بما روي عن جابر رضي الله تعالى عنه انه قال يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال عليه السلام لا ولكن ان تعتمر خير لك فقوله عليه السلام الحج جهاد والعمرة تطوع فتدبر فان احصرتم اي ممنعتم من الحج يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه من المضي لوجهه مثل صده واحده والمراد بمنع العدو عند مالك والشافعي رحمهما الله تعالى فاذا آمنتم لله ولرسوله وللحديبية ولقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الاحصار احصار العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى لما روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من كسر او عرج فعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي اي فعليكم او فالواجب ما استيسر وفائدة ما استيسر والمعنى ان المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة جبت احصر عند الاكثر وعند نا يبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث بين اماره فاذا جاء اليوم ظن انه تحلل لقوله تعالى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلقوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما وحرجهم في ذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل فلنا كان محصرا عليه السلام طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري رحمه الله تعالى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة والحل بالكسر يطلق على الزمان والمكان والهدي جمع هدية بكسر الدال وتشديد الياء وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا مخوجا الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة او قمل ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق

بالعفو والمغفرة روى عن علي رضه ان الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الآخرة الحور وعذاب النار امراة السوء
وعن الحسن رضه ان الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا عن الشهوات
والذنوب المؤدية الى النار اولئك اشارة الى الفريق الثاني باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجميلة وما فيه من معنى البعد
لما قرر ارام الاشارة الى علو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وقبل اليهما معا فالتثنية في قوله تعالى لهم نصيب مما كسبوا
على الاول للتفخيم وعلى الثاني للتنويع اي لكل منهم نوع نصيب من جنس ما كسبوا او من اجله كقوله تعالى مما خطيآتهم اغرقوا
او مما ادعوا عنه لعظمهم منه ما قدرناه وتسمية الدعاء كسبا لما انه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد
على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة فاحذروا من الاخلال بطاعة من هذا شان قدرته او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب
الناس فبادروا الى الطاعات واكثر الحسنات واذكروا الله اي كثروه في اعقاب الصلوات وعند ذبح القربان ورمي الجمار
وغيرها في ايام معدودات هي ايام التشريق فمن تعجل اي استعجل في النفر او النفر فان التفعل والاستفعال يجيئان
لازمين ومتعديين يقال تعجل في الامر واستعجل فيه وتعجله واستعجله والاول اوفى للتاخر كما في قوله فمن تاخر فلا اثم عليه
وقد يكون من المستعجل النذل فمن يومين اي في تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم النفر ويوم الرؤس واليوم بعده بنفر
اذا فرغ من رمي الجمار فلا اثم عليه بتعجله ومن تاخر في النفر من رمى في اليوم الثالث قبل الزوال او بعده وعند الشافعي
بعده فقط فلا اثم عليه بما صنع في التاخر والمراد التخيير بين التعجل والتاخر ولا يقدح فيه فضيلة الثاني وانما ورد
بنفي الاثم تضريحا بالرد على اهل الجاهلية حيث كانوا مختلفين فمن مؤثم للمتعجل ومؤثم للمتاخر لمن اتقى خبر لمبتداء
محذوف اي الذي ذكر من التخيير ونفي الاثم في المتعجل والمتاخر او في الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به
او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهم منهما واتقوا الله في مجامع امركم بفعل الواجبات وترك المحظورات ليعينكم وتنظموا
في سلك المتقين بالاحكام المذكورة والرخص واحذروا الاخلال بما ذكر من الاحكام وهو الانسب بقوله عز وجل
واعلموا انكم اليه تحشرون اي للجزاء على اعمالكم بعد الاحياء والبعث واصل الحشر الجمع وضم المتفرق وهو تاكيد
للامر بالتقوى وموجب للامتثال به فان من علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك من اقوى الدواعي الى ملازمة التقوى
ومن الناس من يعجبك قوله تحرير للخطاب وتوجيه له عليه السلام وهو كلام مبتدا سيق لبيان تحزب الناس في شان
التقوى الى حزبين وتعيين مآل كل منهما ومن موصولة او موصوفة واعرابه كما بين في قوله تعالى ومن الناس من يقول
امنا بالله وباليوم الآخر اي ومنهم من يروقك كلامه ويعظم موقعه في نفسك لما تشاهد فيه من ملائمة الهوى ولطف الاداء
والتعجب حيرة تعرض للانسان بسبب عدم الشعور بسبب ما يتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بقوله اي ما يقوله
في حق الحيوة الدنيا ومعناها فانها الذي يريده بما يتفيه من الايمان ومحبة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اشارة
الى ان له قولا آخر ليس على هذه الصفة او يعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا بحلاوة وفصاحته لانه في الآخرة لما انه يظهر هناك
كذبه وقبحه وقيل لما يلحقه بسببها من الجنة والملكية وانت خبير بانه لا مبالغة ح في سوء حاله فان مآله بيان حسن
كلامه في الدنيا وقبحه في الآخرة وقيل معنى في الحيوة الدنيا مدة الحيوة الدنيا لا يصدر منه فيها الا القول الحسن
ويشهد الله على ما في قلبه اي بحسب دعائه حيث يقول الله يعلم ان ما في قلبي موافق لما في لساني وهو عطف على يعجبك
وقرئ ويشهد على الامر للدعاء في قلبه ما فيه حقيقة وتؤيده قراءة ابن عباس رضه والله يشهد على ما في قلبه على ان كلمة على
للكون المشهود به مضرة فالجملة اعتراضية وقرئ ويستشهد الله وهو الد الخصام اي شديد العداوة والخصومة
للمسلمين على ان الخصام مصدر او اضافة الالد اليه بمعنى في قولهم ثبت العذر او اشد الخصوم لهم خصومة على انه جمع خصيم

كعصب

كصعب وصهاء فنبل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن حلو المنطق يوالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويدعى
الاسلام والمحبة وقيل في المنافقين والجملة حال من الضمير المجرور في قوله او من المستكن في يشهد وعطف على ما قبلها على التوازين
المتوسطتين واذا تولى اى من مجلسك وقيل اذا صار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله
الاخنس بثقيف حيث بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع
تعالى بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل على اسناد الهلاك اليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح اللام وهى لغة وقرئ على البناء للمفعول
من الاهلاك والله لا يحب الفساد اى لا يرتضيه ويبغضه ويغضب على من يتعاطاه وهو اعتراض تذييلى واذا قيل له على نهج
العظة والنصيحة اتق الله واترك ما تباشره من الفساد او النفاق واحذر سوء مغبته اخذته العزة بالاثم
اى حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذى نهى عنه لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه
فحسبه جهنم مبتدأ وخبر اى كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل لحسبه سادّ مسد خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل وقوى لاعتماده
على الفاء الرابطة للجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض اى كفته جهنم ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم
محذوف لظهوره وتعينه والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب والجملة اعتراض ومن الناس من يشرى نفسه مبتدأ
وخبر كما مر اى يبيعها ببذلها في الجهاد ومشاق الطاعات وتعريضها للمهالك في الحروب او يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وان ترتب
على الفعل ابتغاء مرضات الله اى طلبا لرضاه وهذا كمال التقوى وايراده قسيما للاول من حيث ان ذلك تأنف من الامر
بالتقوى وهذا يأمر بذلك وان ادى الى الهلاك وقيل نزلت في صهيب بن سنان الرومى اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال
انى شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلونى وما انا عليه وخذوا مالى فقبلوا منه ماله فاتى المدينة فبشرى
ح بمعنى يشترى لجريان الحال على صورة الشرى والله رءوف بالعباد ولذلك يكلفهم التقوى ويعرضهم للثواب والجملة اعتراض
تذييلى يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم اى الاستسلام والطاعة وقيل في الاسلام وقرئ بفتح السين وهى لغة فيه
وبفتح اللام ايضا وقوله تعالى كافة حال من الضمير في ادخلوا او من السلم او منهما جميعا كما في قوله خرجت بها تنفس تحور ادا.
على اثرينا ذيل مرط مرجل وهى في الاصل للجماعة تكف مخالفها ثم استعملت في معنى جميعا وتأنيثها ليست للتأنيث حتى يحتاج
الى جعل السلم مؤنثا مثل الحرب كما في قوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وفى قوله السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب
يكفيك من انفاسها جرع. وانما هى للنقل كما في عامة وخاصة وقاطبة والمعنى استسلموا الله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا
والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمنى اهل الكتاب فانهم كانوا يراعون بعض
احكام دينهم القديم بعد اسلامهم او في شرائع الله تعالى كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب كلهم
ووصفهم بالايمان اما على طريقة التغليب واما بالنظر على ايمانهم القديم او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشئ منها
والخطاب للمسلمين وانما خوطب اهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا يصح الايمان الا بما كلفوه الآن ايذانا بان ما يدعونه
لا يتم بدونه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق او بمخالفة ما امرتم به انه لكم عدو مبين ظاهر
العداوة او مظهر لها وهو تعليل للنهى او الانتهاء فان زللتم اى عن الدخول في السلم وقرئ بكسر اللام وهى لغة فيه
من بعد ما جاءتكم الآيات البينات والحجج القطعية الدالة على حقية الموجبة للدخول فيه فاعلموا ان الله عزيز
غالب على امره لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يترك ما يقتضيه الحكمة من مؤاخذة المجرمين المتعصين على اوامره بما او نواهيه
والانتهاء عما نهوا عنه الا ان يأتيهم الله اى امره وبأسه فحذف المأتى به لدلالة الحال عليه والالتفات الى الغيبة
للايذان بان سوء صنيعهم موجب للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من اهل الانصاف على طريق المباثة وايراد الانتظار

البأ اللتى من العزة او من الهاء او متعلق بمحذوف
واصل العزة الغلبة والشدة اى دعته الحمية الجاهلية
ملتبسا بالاثم او اثم او حملا التكبر والغضب
على العمل بمعصية الظلم الذى امر بتقواه
لجاجا او على رد قول الواعظ
نعم بعض
المحشى

هل ينظرون استفهام انكار في معنى النفى اى ما ينتظرون
بما يفعلون من العناد والمخالفة بالامتثال صح

للاشعار بانهم لانحاكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة كانهم طالبون لها مترقبون لوقوعها فى ظلل جمع ظلة كقلل جمع قلة
وهى ما اظلك وقرئ فى ظلال كقلال مخ جمع قلة من الغمام اى السحاب الابيض وانما انا هم العذاب فيه لما انه مظنة
الرحمة فاذا اتى منه العذاب كان افظع واقطع للطامع فان اتيان الشر من حيث لا يحتسب اصعب فكيف باتيانه من حيث يرجى
منه الخير والملئكة عطف على الاسم الجليل اى ويأتيهم الملائكة فانهم فى وسائط فى اتيان اوامره تعالى بل هم الآتون بانفسها على الحقيقة
وتوسيط الظرف بينهما للايذان بان الآتى اولا من جنس ما يلابس الغمام ويترتب عليه عادة واما الملائكة فوان كان اتيانهم
مقارنا لما ذكر من الغمام لكن الاتى ليس بطريق الاعتياد وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضى الامر اى اتم اهلاكهم
وفرغ منه وهو عطف على يأتيهم داخل فى حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضى دلالة على تحققه فكانه قد كان او جملة مستانفة
جئ بها اثر بيان وقوع مضمونها وقرئ وقضينا الامر عطفا على الملائكة والى الله لا الى غيره ترجع الامور بالتاء على البناء
للمفعول من الرجع وقرئ بالتذكير وعلى البناء للفاعل بالتانيث من الرجوع سل بنى اسرائيل الحكاية لرسول صلى الله عليه وسلم
او لكل احد من اهل الخطاب والمراد بالسؤال تبكيتهم وتقريعهم بذلك وتقريرهم بمجئ البينات كم اتيناهم من اية بينة معجزة
ظاهرة على ايدى الانبياء عليهم السلام وآية نائبة بحقيقة الاسلام المأمور بالدخول فيه وكم خبرية او استفهامية متقررة ومحلها
النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن يبدل نعمة الله الخ هى الآيات الباهرة
فانها سبب للهدى الذى هو اجل النعم وتبديلها جعلها سببا للضلالة وازدياد الرجس او تحريفها وتاويلها الزائغ
من بعد ما جاءته ووصلت اليه وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك مع ان التبديل لا يتصور قبل المجئ للاشعار بانهم قد بدلوها
بعد ما وقفوا على تفاصيلها كما نطق قوله عز وجل ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فانما حذف
للايذان بعدم الحاجة الى التصريح به لظهوره فان الله شديد العقاب تعليل للجواب كانه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه
اشد عقوبة فانه شديد العقاب واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا
اى حسنت فى اعينهم واشربت محبتها فى قلوبهم حتى ركنوا اليها وانهمكوا فيها معرضين عن غيرها والمزين من حيث الخلق
والايجاد هو الله سبحانه كما يوجب نسبة الزيادة على الاطلاق الى الفاعل اذا من شئ الا وهو خالقه وكل من الشيطان
والقوى الحيوانية وما فى الدنيا فى الامور البرهنية والاشياء الشهوية مزين بالعرض ويسخرون من الذين امنوا
عطف على زين وابثار صيغة الاستقبال للدلالة على استمرار السخرية منهم وهم فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب كانوا
يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن ابتدائية مكانية جعلوا السخرية مبتدأة منهم
والذين اتقوا هم الذين آمنوا بينهم واثما ذكروا بعنوان التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدنيا لاتقائهم عنها لكونها
مخلة بنيلهم الى جناب القدس شاغلة عنه فوقهم يوم القيمة لانهم فى اعلى عليين وهم فى اسفل سافلين اولانهم فى اوج
الكرامة وهم فى حضيض الذل والمهانة اولانهم نيطا ولون عليهم فى الآخرة فيسخرون منهم فى الدنيا وجملة معطوفة
على ما قبلها واثبات الاسمية للدلالة على دوام مضمونها والله يرزق من يشاء اى فى الدارين بغير حساب بغير تقدير
توسع فى الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على كلمة الحق ودين الاسلام
وكان ذلك بين آدم وادريس او نوح عليهم السلام او بعد الطوفان فبعث الله النبيين اى فاختلفوا فبعث الخ
وهى قراءة ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وقد حذف تعويلا على ما يذكر عقيبه مبشرين ومنذرين عن كعب الذى علمه عن عدد
الانبياء عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور فى القرآن ثمانية وعشرون وقيل
كان الناس امة واحدة متفقة على الكفر والضلال فى فترة ادريس او نوح عليهما السلام فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول

هو الأنسب بالنظم الكريم وأنزل معهم الكتاب اى جنس الكتاب أو مع كل واحد منهم متن له كتاب كتابه الخاص به أو مع كل
واحد منهم على الاطلاق أذ لم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافى خصوص الضمير
العائد اليه بعونة المقام بالحق حال من الكتاب اى ملتبسا بالحق أو متعلق بما انزل كقوله عز وعلا وبالحق انزلناه وبالحق نزل
ليحكم اى الكتاب أو الله سبحانه وتعالى أو كل واحد من النبيين بين الناس اى المذكورين والاظهار فى موقع الاضمار
لزيادة التعيين فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه اى فى الحق او فى الكتاب المنزل ملتبسا وألوا وحالية الا الذين اوتوه
اى الكتاب المنزل لازالة الاختلاف وازاحة الشقاق والتعبير عن الانزال بالايتاء للتنبيه من اول الامر على كمال تمكنهم من الوقوف
على ما فى تضاعيفه من الحق فاح الانزال لافادة تلك الفائدة اى عكسوا الامر حيث جعلوا ما انزل لازالة الاختلاف سببا
لاستحكامه ورسوخه من بعد ما جاءتهم البينات اى رسخت فى عقولهم ومن متعلقة بمحذوف يدل عليه الكلام اى فاختلفوا واختلفوا
فيه الخ وقيل بالملفوظ بناء على عدم منع الاعنة كما فى قولك ما قام الا زيد يوم الجمعة بغيا بينهم منعلق بما تعلقت من اى
اختلفوا بغيا بعضهم على البعض فهدى الله الذين آمنوا بالكتاب لما اختلفوا فيه اى للحق الذى اختلف فيه من اختلف
من الحق بيان لما وفى ابهامه اولا وتعيينه ثانيا مالا يخفى من التفخيم باذنه بامره او بتيسيره ولطفه والله يهدى من يشاء
الى صراط مستقيم موصل الى الحق وهو اعتراض مقرر لمضمون ما سبق ام حسبتم خوطب به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ومن معه من المؤمنين حثا لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل الشاق من جهتهم اثر بيان اختلاف الامم على الانبياء
وقد بين فيه مآل اختلافهم وما لقى الانبياء ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدائد ومقاساة الهموم وان عاقبة امرهم
النصر وامم منقطعة والهمزة فيها للانكار والاستبعاد اى بل احسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
من الانبياء ومن معهم من المؤمنين اى والحال انه لم يأتكم مثلهم بعد ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة التى
هى مثل فى الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر مسهم استئناف وقع جوابا عما يساق اليه الذهن كأنه قيل
كيف كان مثلهم فقيل البأساء اى الشدة من الخوف والفاقة والضراء اى الآلام والامراض وزلزلوا اى ازعجوا
ازعاجا شديدا بما وجدوا من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه اى لشدة ما نزل بهم من الشدة الى حيث
اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول وهو اعلم الخلق بشئون الله تعالى واولئهم بنصره والمؤمنون المعتدون بآثاره المستقيمون
بانواره متى اى متى يأتى نصر الله طلبا وتيمنا له واستطالة لمدة الشدة والعناء وقرئ حتى يقول بالرفع
على انه حكاية حال ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات ونهاية النهايات الثانية كيف لا والرسل مع علو كعبهم فى الثبات
والاصطبار حثت على صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضيق علم ان الامر بلغ الغاية لا مطمح وراءها الا ان نصر الله
قريب على تقدير القول اى فقيل لهم فى ذلك اسعافا لمرامهم والمراد بالقرب الوقت الذاتى وفى ايثار الجملة الاسمية
على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصدير ها بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقريره ما لا يخفى واختيار
حكاية الوعد بالنصر لما انها فى حكم انشاء الوعد لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والاقتصار على حكايته دون حكاية بقية النصر
مع تحققه للايذان بعدم الحاجة الى ذلك لاستحالة الخلف وجوز ان يكون هذا واردا من جهته تعالى عند الحكاية على نهج الاعتراض
لا واردا عند وقوع المحكى وفيه رمز الى ان الوصول الى جناب القدس لا ينبغى الا بفرض اللذات ومكابدة الشاق كما ينبئ عنه
قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسئلونك ماذا ينفقون اى من اصناف اموالهم قل
ما انفقتم من خير ما اما شرطية وما موصولة حذف عائدها اى ما انفقتموه من خير اى خير كان فعليه بتجويز الانفاق
من جميع انواع الاموال وبيان لما فى السؤال الا انه جعل من جملة ما فى حيز الشرط والصلة وابرز فى معرض البيان

المصرف حيث قيل فللوالدين والاقربين للايذان بان الاهم بيان المصارف المعدودة لان الانفاق
بحسب وقوعه في موقعه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ مهم له مال عظيم فقال يا رسول الله
ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت والايتامى اى المحتاجين منهم والمساكين وابن السبيل ولم يتعرض
للتاركين والرقاب اما اكتفاء بما ذكر في المواقع الاخر واما بناء على ادخالهم تحت عموم قوله تعالى وما تفعلوا من خير
فانه شامل لكل خير واقع في اى مصرف كان فان الله به عليم فيوفق ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكوة
لينسخ به كما نقل عن السدى كتب عليكم القتال ببناء الفعل للمفعول ورفع القتال اى قتال الكفرة وقرئ ببنائه
للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال وقرئ كتب عليكم القتل اى قتل الكفرة والواو في قوله تعالى وهو كره لكم
حالية اى والحال انه مكروه لكم طبعا على ان الكره مصدر وصف به للمفعول مبالغة او بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز
وقرئ بالفتح على انه بمعنى المضموم كالضعف والضعف او على انه بمعنى الاكراه مجازا كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له
ومشقته عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوه من الاموال الشاقة التي من جملتها القتال
فان النفوس تكرهه وتنفر عنه والجملة اعتراضية دالة على ان القتال خير لهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم
وهو جميع ما نهوا عنه من الامور المستلذة وهو معطوف على ما قبله لا محل لها من الاعراب والله يعلم ما هو خير لكم
فلذلك امركم به وانتم لا تعلمون اى لا تعلمونه ولذلك تكرهونه او والله يعلم ما هو خير وشر لكم وانتم لا تعلمونهما
فلا تتبعوا في ذلك آراءكم وامتثلوا امره تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام روى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بعث عبد الله بن جحش على ستة في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد واعير القريش فيهم عمرو بن عبد الله
الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير بما فيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم
من رجب وهم يظنون من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذع
فيه الناس الى معائشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نرى حتى
تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما نزلت اخذ
رسول الله عليه الصلوة والسلام الغنيمة والمعنى بسئلك الكفار والمسلمون عن القتال في الشهر الحرام قتال فيه
بدل الاشتمال من الشهر وتنكيره لما ان سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر الحرام لا عن القتال المعهود ولذلك
لم يقل يسئلونك عن القتال في الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن
منهم وقرئ قتل فيه قل في جوابهم قتال فيه كبير جملة من مبتدا وخبر محلها النصب بقول وانما جاز وقوع قتال
مبتدا مع كونه نكرة لتخصصه اما بالوصف ان تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة له اى قتال كائن فيه واما بالعمل ان تعلق
وانما او ثر التنكير احترازا عن توهم التعيين وايذانا بان المراد مطلق القتال الواقع فيه اى قتال كان وعن عطاء انه
سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوفيه الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخ في اكثر
الاقاويل انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدا قد تخصص بالعمل فيما بعده
اى ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله تعالى وكفر به عطف على صد عامل فيما بعده مثله اى وكفر بالله تعالى وحيث كان
الصد عن سبيل الله تعالى كفرا من اولاد الكفر به تعالم يتدرج العطف المذكور فحسن عطف قوله تعالى والمسجد الحرام على سبيل الله تعالى
لانه ليس باجنبي محض وقيل هو ايضا معطوف على صد بتقدير المضاف اى وصد المسجد الحرام واخراج اهله وهو النبي
عليه الصلوة والسلام والمؤمنون منه اى من المسجد الحرام وهو عطف على وكفر به اكبر عند الله خبر للاشياء المعدودة

اى كبائر اثمهما من اكبر عند الله ما عنوا بالسؤال فهو ما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وافعل يستوى فيه الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث والفتنة اى ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء اكبر من القتل
اى افظع من قتل الحضرمى ولا يزالون يقاتلونكم بيان لاستحكام عداوتهم واصرارهم على الفتنة فى الدين حتى
يردوكم عن دينكم الحق الى دينهم الباطل واضافة الدين اليهم لتذكير ما بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الافتراق
ان استطاعوا اشارة الى تصلبهم فى الدين وثبات قدمهم فيه كما قيل وانى لهم ذلك ومن يرتدد منكم عن دينه
تحذير من الارتداد اى ومن يفعل ذلك باضلالهم واغوائهم فيمت وهو كافر بان لم يرجع الى الاسلام وفيه ترغيب
فى الرجوع الى الاسلام بعد الارتداد فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة من الارتداد والموت عليه
وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم فى الشر والفساد والجمع نظرا الى المعنى اى اولئك المصرون على الارتداد الى حين
حبطت اعمالهم الحسنة التى كانوا عاملوها فى حالة الاسلام حبوطا لا تلافى له قطعا فى الدنيا والاخرة بحيث لم يبق
لها حكم من الاحكام الدنيوية والاخروية واولئك الموصوفون بما ذكر سابقا ولاحقا من القبائح اصحاب النار اى
ملابسوها وملازموها هم فيها خالدون كذا سائر الكفرة ان الذين امنوا نزلت فى اصحاب السرية للمظنون بهم انهم ان سلموا
من الاثم فلا اجر لهم والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله كرر الموصول مع ان المراد بهما واحد لتفخيم شان الهجرة والجهاد
بكونهما مستقلين فى تحقق الرجاء اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة يرجون بما لهم من مبادى الفوز
رحمة الله اى ثوابه اثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للايذان بانهم عالمون بان العمل غير موجب للاجر وانما هو على طريق
التفضل منه سبحانه لا لان فى فوزهم اشتباها والله غفور مبالغ فى مغفرة ما فرط من عباده خطأ رحيم يجزل لهم الثواب
والاجر والجملة اعتراض محقق لما قبلها يسئلونك عن الخمر والميسر تواردت فى شان الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات
النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون فشربوها ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين قالوا افتنا يا رسول الله فى الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون
ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فامّ احدهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا
الصلوة وانتم سكارى الآية فقل من يشربها ثم دعا عثمان بن مالك وسعد بن وقاص فى نفر فلما سكروا تفاخروا وتناشدوا
حتى انشد شاعرهم هجاء الانصار فضربه انصارى بلحى بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله عليه السلام فقال اللهم بين لنا فى الخمر
بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضى الله تعالى عنه انتهينا يا رب وعن على رضى الله تعالى عنه لو وقعت
قطرة منها فى بئر فبنيت فى مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف فنبت فيها الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر رضى الله عنهما
لو ادخلت اصبعى فيها لم تتبعنى وهذا هو الايمان والتقى رضى الله تعالى عنهم والخمر مصدر خمره اى ستره سميت به من عصير العنب غلا
واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كانها نفس الشر كما سميت سكرا لانها تسكر بهما اى تحجبهما والميسر مصدر ميمى
كالموعد والمرجع بمعنى اليسر يقال يسر يسرة اذا فمر ويسر واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ المال بيسر من غير كد وتعب واما من اليسار لانه سلب له
وصفته انه كانت لهم عشرة اقداح هى الازلام والاقلام الفذ والتوءم والرقيب والجلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح
والوغد للفذ سهم وللتوءم سهمان ولكل من الباقى نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلثة
هى المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوءم سهمان وللرقيب ثلثة وللجلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها
فى الربابة وهى خريطة وتضعونها على يدى عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل جزل قدحا قدحا فمن خرج له قدح من ذات النصباء
اخذ النصيب المعين لها ومن خرج له من تلك الثلثة غرم ثمن الجزور مع حرمانه وكانوا يذبحونها ويفرقونها على الفقراء ولا ياكلون منها

ويتجرون بذلك ويذمون من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وفى حكمه جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اياكم وهاتين الكعبتين المشؤومتين فانهما ميسر العجم وعن على رضى الله تعالى عنه ان النرد والشطرنج
من الميسر وعن ابن سيرين كل شىء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسئلونك عن حكمهما وعما فى تعاطيهما قل فيهما اثم كبير
اى فى تعاطيهما وذلك لما ان الاول مسلبة للعقول التى هى قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للاموال
ومنافع للناس من كسب الطرب واللذة ومصادقة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرئ اثم كثير بالمثلثة
وفى تقديم بيان اثمه ووصفه بالكبر وتأخير ذكر منافعه مع تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الاول ما لا يخفى على ما نطق
به قوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون اى عطف على يسئلونك عن الخمر الخ عطف القصة على القصة اى اى شىء ينفقون
قيل هو عمرو بن الجموح ايضا سال اولا عن اى جنس ينفق من اجناس الاموال فلما بين جواز الانفاق من جميع الاجناس
سال ثانيا عن اى اصنافها ينفق اهو من خيارها ام من غيرها وسئل عن مقدار ما ينفقه قل العفو بالنصب اى ينفقون
العفو او انفقوا العفو وقرئ بالرفع على ان ما استفهامية وذا موصولة صلتها ينفقون اى الذى ينفقونه العفو
قال الواحدى اصل العفو فى اللغة الزيادة وقال القفال العفو ما سهل وتيسر مما فضل عن الكفاية وهو قول قتادة
وعطاء والسدى وكانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل وروى
ان رجلا اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها فى بعض المغانم فقال خذها منى صدقة فاعرض عنه
فكرر ذلك مرارا حتى قال عليه السلام مغضبا هاتها فاخذها فحذفها حذفا لو اصابته لشجته ثم قال يأتى احدكم
بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتى وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه فى الفضل وكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك فى سلك الامور المشاهدة
والكاف لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل او الفريق
او لعدم القصد الى تعيين المخاطب كما مر ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى مثل ذلك البيان الواضح الذى
هو عبارة عما مضى فى اجوبة الاسولة المارة يبين الله لكم الآيات الدالة على الاحكام الشرعية المذكورة لا بيانا ادنى منه
وقد مر تمام تحقيقه فى قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وتبيين الآيات تنزيلها مبينة النحوى واضحة المدلول
لا انه تعالى يبينها بعد ان كانت مشتبهة ملتبسة وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة لعلكم تتفكرون لكى تتفكروا فيها
وتقفوا على معالمها وتعملوا بما فى تضاعيفها وقوله تعالى فى الدنيا والآخرة متعلق اما بيبين اى يبين لكم فيما يتعلق
بالدنيا والآخرة الآيات واما بمحذوف وقع حالا من الآيات اى يبينها لكم كائنة فيهما اى مبينة لاحوالكم المتعلقة بهما واما
على التعليل لمزيد الاعتناء بشأن التفكر واما بقوله تعالى تتفكرون اى تتفكرون فى الامور المتعلقة بالدنيا والآخرة فى الاحكام
الواردة فى اجوبة الاسولة المارة فتختارون منها ما يصلح لكم فيهما وتجتنبون عن غيره وهذا التخصيص هو المناسب لمقام تعداد
الاحكام الجزئية ويجوز التعميم لجميع الامور المتعلقة بالدنيا والآخرة فذلك ح اشارة الى ما مر فى البيانات كلا او بعضا لا الى مصدر
ما بعده فانه ح فعل مستقل ليس بعبارة عن تلك البيانات والمراد بالآيات غير ما ذكر والمعنى مثل ذلك البيان الوارد فى الاجوبة المذكورة
يبين الله لكم الآيات والدلائل لعلكم تتفكرون فى اموركم المتعلقة بالدنيا والآخرة وتأخذون بما يصلح لكم وينفعكم فيهما
وتذرون ما يضركم حسبما تقتضيه تلك الآيات المبينة ويسئلونك عن اليتامى عطف على ما قبله من نظيره روى انه لما نزلت
ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية تحاماه الناس عن مخالطة اليتامى وتعهد اموالهم فشق عليهم ذلك فذكر ذلك
للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اى التعرض لاحوالهم واموالهم على طريق الاصلاح خير من مجانبتهم اتقاء

الحذف بالخاء المعجمة رمى الحصا بالاصابع منه

وإن تخالطوهم وتعاشروهم على وجه ينفعهم فإخوانكم اى فهم إخوانكم فى الدين الذى هو العلاقة النسبية ومن حقوق الاخوة ومواجبها المخالطة بالاصلاح والنفع وقد حمل المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح العلم من المعرفة المتعدية الى واحد ومن تضمنه معنى التمييز اى يعلم من يفسد امورهم عند المخالطة أو من يقصد بمخالطته الخيانة والافساد متميزا له ممن يصلح فيها او يقصد الاصلاح فيجازى كلا منهما بجملة فعليه وعد ووعيد فلا ان فى تقديم المصلح فريدة تهديد وتاكيد للوعيد ولو شاء الله لاعنتكم اى لو شاء ان يعنتكم اى يكلفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة لفعل ولم يجوز لكم مداخلتهم إن الله عزيز غالب على امره لا يعزه عليه احد من الامور التى من جملتها اعنائكم فهو تعليل لمضمون الشرطية وقوله عز وجل حكيم اى فاعل لافعاله حسبما تقتضيه حكمته الداعية الى بناء التكليف على اساس الطاقة دليل على ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها ولا تنكحوا المشركات اى لا تتزوجوهم وقرئ بضم الياء من الانكاح اى لا تزوجوهن من المسلمين حتى يؤمن والمراد بهن ما يعم الكتابيات ايضا حسبما تقتضيه عموم التعليل فى الآتيين لقوله الخ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون فالآية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واما غير الكتابيات فهى ثابتة روى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث مرثد بن ابى مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان بمكة امراة مشركة فى الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك أن الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بى قال نعم ولكن ارجع الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة تعليل للنهى عن مواصلتهن وترغيب فى مصاهلة المؤمنات صدر بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم فى افادة التاكيد مبالغة فى الحمل على الانزجار واصل امة أمو حذف لامها على غير قياس وعوض منه تاء التانيث ودليل كون لامها واوا رجوعها فى الجمع قال الخلاصى اما الاماء فلا يدعونه ولدا اذا تدعى بنو الاموان بالغار وظهور ياء فى المصدر يقال هى امة بينة الامومة واقرت له بالامومة وقد وقعت مبتدا لما فيها من لام الابتداء والوصف اى ولامة مؤمنة مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر خير بحسب الدين والدنيا من مشركة اى امراة مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشان ولو اعجبتكم قد قرأن كلمة لو فى امثال هذه المواضع ليست لبيان انتفاء الشئ فى الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه مع انصباب المعنى على تقديره بل هى لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة لعلى الاجمال بادخالها على البعد بما منه واشدها منافاة له لينظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما أن الشئ متى تحقق مع المنافى القوى فلان يتحقق مع المنافى غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شئ من سائر الاحوال ويكتفى بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على وجه الاجمال كانه قيل ولو لم تعجبكم ولو اعجبتكم والجملة فى حيز النصب على الحالية من مشركة اذ المعنى ولامة مؤمنة خير من مشركة اتاكم حال عدم اعجابها وحال اعجابها اياكم بجمالها ومالها ونسبها وتعبير ذلك من مبادى الاعجاب وموجباته الرغبة فيها اى على كل حال وقد اقتصر على ذكر ما هو اشد منافاة للخيرية تنبيها على انها حيث تحققت معه فلان تتحقق مع غيره اولى وقيل الواو حالية وليس بواضح وقيل اعتراضية وليس ببديع والحق انها عاطفة مستتبعة لما ذكر من الاعتبار اللطيف نعم يجوز ان يكون الجملة الاولى مع ما عطف عليها مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها فتدبر ولا تنكحوا المشركين من الانكاح والمراد بهم الكفار على الاطلاق لا خصوص المشركين اى لا تزوجوا منهم المؤمنات سواء كن حرائر او اماء حتى يؤمنوا ويتركوا ما هم فيه من الكفر ولعبد مؤمن مع ما به من ذل المملوكية خير من مشرك مع ما له من عز المالكية ولو اعجبكم بما فيه من دواعى الرغبة فيه الراجعة الى ذاته وصفاته اولئك استئناف مقرر لمضمون التعليلين المارين اى اولئك المذكورين من المشركات والمشركين يدعون من يقارنهم ويعاشرهم

الى النار ۞ اى الى ما يؤدى اليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم والله يدعو بواسطة
عباده المؤمنين من يقاربهم ۞ الى الجنة والمغفرة ۞ اى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما وتقديم الجنة على المغفرة
مع أن حق التخلية ان تقدم على التحلية لرعاية مقابلة النار ابتداء ۞ باذنه ۞ متعلق بيدعو اى ملتبسا بتوفيقه الذى من جملته
ارشاد المؤمنين لمقاربتهم الى الخير ونصحهم لهم فهم اصفياء بالمواصلة ۞ ويبين آياته ۞ المشتملة على الاحكام الفائقة والحكم
الرائقة ۞ للناس لعلهم يتذكرون اى لكى يتذكروا ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما يدعوا اليه من الجنة والغفران هذا ۞ وقيل
معنى والله يدعوا وليا والله يدعون وهم المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا لهم والتفات
فى المعطوف على الخبر لما فى قوله ويبين لله تعالى فيلزم التفكيك ۞ وقيل معناه والله يدعوا باحكامه المذكورة الى الجنة والمغفرة
فانها موصولة لمن عمل بها اليهما وهذا وان كان مستدعيا للاتحاد وجوع الضميرين الكائنين فى الجملتين للمتعاطفين فى الجملة فقد
خبرا للمبتدأ الكن بثبوت حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالى اولئك يدعون الى النار ولعل الطريق الاسلم ما اوضحناه
اولا وايراد التذكر ههنا للاشعار بانه واضح لا يحتاج الى التفكر فى الاحكام التالية ۞ ويسئلونك عن المحيض ۞
عطف على ما تقدم من مثله ولعل حكاية هذه الاسئلة الثلثة بالعطف لوقوع الكل عند السؤال وحكاية ما عداها بغير عطف
لوقوع كل من ذلك فى وقت على حدة والمحيض مصدر من حاضت المرأة كالمجئ والمبيت روى أن اهل الجاهلية كانوا
لا يساكنون الحيض ولا يواكلونهن كفعل اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك الى ان سئل عن ذلك ابو الدحداح
فى نفر من الصحابة رضى الله تعالى عنهم فنزلت ۞ قل هو اذى ۞ اى شئ يستقذر منه ويؤذى من يقربه نوعة وكراهة ۞ فاعتزلوا
النساء فى المحيض ۞ اى فاجتنبوا مجامعتهن فى حالة الحيض فقيل اخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهن
فقال ناس من الاعراب يا رسول الله عليه السلام البرد شديد والثياب قليلة فان آثرنا هن هلك سائر اهل البيت
وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم نأمركم باخراجهن من البيوت
كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يفرطون فى الاعتزال فالمسلمون
بالاقتصاد بين الامرين ۞ ولا تقربوهن حتى يطهرن ۞ تاكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد به عدم قربانهن لاعدم
القرب منهن وبيان لغايته وهو انقطاع الدم عند ابى حنيفة رح فان كان ذلك فى اكثر المدة حل الزبان كما انقطع والا فلا بد
من الاغتسال او مضى وقت صلوة وعند الشافعى رح ان يغتسلن بعد الانقطاع كما تفصح عنه القراءة بالتشديد وينبئ عنه
قوله عز وجل ۞ فاذا تطهرن ۞ فان التطهر هو الاغتسال ۞ فاتوهن من حيث امركم الله ۞ من الماتى الذى حللكم وهو
القبل ۞ ان الله يحب التوابين ۞ مما عسى يعذر منهم من ارتكاب بعض ما نهوا عنه ومن سائر الذنوب ۞ ويحب المتطهرين ۞
المتنزهين عن الفواحش والاقذار وفى ذكر التوبة اشعار بمساس الحاجة اليها بارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه وكثير
الفعل لمزيد العناية بامر التطهير ۞ نساؤكم حرث لكم ۞ اى مواضع حرث لكم شبههن بها لما بين ما يلقى فى ارحامهن وبين
البذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه ۞ فاتوا حرثكم ۞ لما عبر عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن بالاتيان
وهو بيان لقوله تعالى فاتوهن من حيث امركم الله ۞ انى شئتم ۞ من اى جهة شئتم روى أن اليهود كانوا
يزعمون أن من اتى امرأته فى قبلها من دبرها يأتى ولده احول فذكر ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ۞ وقدموا
لانفسكم ۞ اى ما يقربكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل هو التسمية عند المباشرة ۞ واتقوا الله ۞ بالاجتناب
عن معاصيه التى من جملتها ما عد من الامور ۞ واعلموا انكم ملاقوه ۞ فترصنوا لتحصيل ما تنفقون به حج واجتنبوا اقتراف
ما تفتضحون به ۞ وبشر المؤمنين ۞ الذين تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهى بحسن القبول والامتثال عما يقصر عنه البيان

بمعنى المعرض

مسطح بر كشينك اسميدر كه حضرت عايشه صديقه يى ذم ايدن طائفه دن ايدى تجاوز الله عن سيئاته لمحرره

من الكرامة والنعيم المقيم او بكل ما يبشر به من الامور التي تسر بها القلوب وتقر بها العيون وفيه مع ما في تلوين الخطاب
وجعل المبشر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من المبالغة في تشريف المؤمنين ما لا يخفى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
قيل نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا يكلم بشر بن نعمان ولا يصلح بينه وبين اخته وقيل في الصديق رضي الله عنه
حين حلف ان لا ينفق على مسطح لخوضه في حديث الافك والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة تطلق على ما يعرض
دون الشيء فيصير حاجزا منه كما يقال فلان عرضة للخير وعلى المعرض للامر كما في قوله فلا تجعلوني عرضة للوائم فالمعنى على الوجه
الاول لا تجعلوا الله مانعا للامور الحسنة التي تحلفون على تركها وعبر عنها بالايمان لملابستها بها كما في قوله عليه السلام لعبد الله بن
سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وقوله تعالى ان تبروا وتتقوا وتصلحوا
بين الناس عطف بيان لايمانكم او بدل منها لما عرفت انها عبارة عن الامور المحلوف عليها واللام في لايمانكم متعلقة
بالفعل او بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض اي لا تجعلوا الله لبركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس عرضة اي برزخا حاجزا بان
تحلفوا به تعالى على تركها او لا تجعلوه تعالى عرضة اي شيئا يعترض الامور المذكورة ويحجزها بما ذكره من الحلف به تعالى على تركها
وقد جوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا الخ بالفعل او بعرضة فيكون الايمان بمعناها وانت خبير بانه يؤدي الى الفصل
بين العامل ومعموله باجنبي وعلى الوجه الثاني لا تجعلوا الله معرضا لايمانكم تبتذلونه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من نزل فيه
ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا
لان الحلاف مجترئ على الله سبحانه غير معظم له فلا يكون برا متقيا ثقة بين الناس فيكون بمعزل من التوسط في اصلاح ذات
البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم فحافظوا على ما كلفتموه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو
ما سقط من الكلام عن درجة الاعتبار والمراد به في الايمان ما لا عقد له ولا قصد كما ينبئ عنه قوله تعالى ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم الايمان وهو المعني بقوله عز وجل ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقد اختلف فيه فعندنا هو ان يحلف على شيء
يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه فانه لا قصد فيه الى الكذب وعند الشافعي رحمه الله هو قول العرب لا والله وبلى والله
مما يؤكدون به كلامهم من غير اخطار الحلف بالبال فالمعنى على الاول لا يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه
احدكم ظانا انه صادق فيه ولكن يؤاخذكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وذلك في الغموس
وعلى الثاني لا يلزمكم الكفارة بما لا قصد معه الى اليمين ولكن يلزمكموها بما نوت قلوبكم ولم يكن كسب اللسان فقط والله غفور
حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئا من عدم التثبت وقلة المبالاة حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة والجملة اعتراض
مقرر لمضمون قوله تعالى لا يؤاخذكم الخ وفيه ايذان بان المراد بالمؤاخذة المعاقبة لا ايجاب الكفارة التي هي التي يتعلق
بها المغفرة والحلم دونه للذين يؤلون من نسائهم الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى واستعماله بمن لتضمنه
معنى البعد اي للذين يحلفون متباعدين من نسائهم ويحتمل ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك
كذا وقرئ آلوا من نسائهم وقرئ من يقسمون من نسائهم والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا
على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه انه ان فاء اليها في المدة بالوطء ان امكن او بالقول
ان عجز منه صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة والتربص
الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف اتساعا اي لهم ان ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفيء او طلاق فان فاؤا
اي رجعوا عن اليمين بالحنث والفاء للتفصيل كانه اذا علمت انا تربصكم هذا الشهر فان احدكم لعب عندكم الى آخره والا لم
الا رتفاع الحول فان الله غفور رحيم يغفر للمولي بفيئته التي هي كتوبة اثم حنثه عند تكفيره او ما قصد بالايلاء من ضرار المرأة

وان عزموا الطلاق واجمعوا عليه فان الله سميع بما جرى بينهم من الطلاق وما يتعلق به من الندمة والمعاودة التي
لا تخلو عنها الحال عادة عليم بنياتهم وفيه من الوعيد على الاصرار وترك الفيئة ما لا يخفى والمطلقات اى ذوات
الاقراء من الحرائر المدخول بهن لما قد بين ان لا عدة على غير المدخول بها وان عدة من لا تحيض لصغر او كبر او حمل
بالاشهر ووضع الحمل وان عدة الامة قرآن او شهران يتربصن خبر في معنى الامر مفيد للتاكيد باشعاره
بان المامور به مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى الاتيان به فكانهن امتثلن بالامر بالتربص فيخبر به موجودا متحققا
وبناؤه على المبتدا مفيد لزيادة تاكيد بانفسهن البا للتعدية اى يمعنها ويجلنها على التربص بل تشق عليها
من التربص وفيه مزيد حث لهن على ذلك لما فيه من الانباء عن الانصاف بما يستنكف منه من كون نفوسهن طوامح الى الرجال
فيحملهن ذلك على الاقدام على الاتيان بما اوعن به ثلثة قروء نصب على الظرفية او المفعولية بتقدير مضاف
اى يتربصن مدة ثلثة قروء او يتربصن مضي ثلثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض بدليل قوله عليه السلام
دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله تعالى واللائي يئسن
من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر ولان المقصود الاصلي من العدة استبراء الرحم ومدار الحيض
دون الطهر ويقال اقرأت المراة اذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن مغناه مستقبلات لعدتهن وهن الحيض لثلث
واوراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان ايراد كل من الجمعين مكان الآخر شايع ذايع وقرئ
ثلثة قرو بغير همزة ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الحيض والولد استعجالا لما في العدة
وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفيا واثباتا ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر
جواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله دلالة واضحة اى فلا يكتمن على ذلك فان قضية الايمان بالله تعالى واليوم
الآخر الذي يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعا وبعولتهن البعولة جمع بعل وهو في الاصل السيد المالك
والتاء لتانيث الجمع كما في الحمولة والركوبة او مصدر بتقدير مضاف اى اهل بعولتهن ازواجهن الذين طلقهن
طلاقا رجعيا كما ينبئ عنه التعبير عنهم بالبعولة فالضمير لبعض افراد المطلقات احق بردهن الى نكاحهم بالرجعة اليهن
في ذلك اى في زمان التربص وصيغة التفضيل لافادة ان الرجل اذا اراد الرجعة والمراة تابا ما وجب ايثار
قوله على قولها لا ان لها ايضا حقا في الرجعة ان ارادوا اى الازواج بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن
واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن وليس المراد شرطية قصد الاصلاح بصحة الرجعة بل هو الحث عليه والزجر
عن قصد الضرار ولهن عليهم من الحقوق مثل الذي لهم عليهن بالمعروف من الحقوق التي يجب مراعاتها وتحتم
المحافظة عليها وللرجال عليهن درجة اى زيادة في الحق لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن في المهر والكفاف
وترك الضرار ونحوها او فرتبة في الفضل لما انهم قوامون عليهن حراس لهن ولما في ايديهن يشاركونهن فيما هو الغرض
من الازواج ويستبدون بفضيلة الرعاية والمصالح والله عزيز يقدر على الانتقام لمن يخالف احكامه حكيم
ينطوي شرائعه على الحكم والمصالح الطلاق هو بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعي لما ان السابق
الاقرب حكمه ولما روي انه عليه السلام سئل عن الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وهو مبتدا بتقدير مضاف
خبره ما بعده اى عدد الطلاق الذي يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حيضتان اثنتا قرءان اى اثنان
واثنا قرء وما ورد به النظم الكريم عليه للابذان بان حقهما ان يقعا مرة بعد مرة لا دفعة واحدة وان كان حكم الرد
ثابتا حينئذ ايضا فامساك اى فالحكم بعدهما امساك لهن بالرجعة بمعروف اى بحسن عشرة ولطف معاملة

أو تسريح بإحسان • بالتطليقة الثالثة كما روى عنه عليه السلام وبعدم الرجعة الى ان تنقضي العدة فتبين وقيل المراد بالطلاق الشرعي وبالمرتين مطلقه الكبرى لا التثنية بعينها كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اى كرة بعد كرة والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع بين التطليقتين او الثلث فان ذلك بدعة عندنا فقوله تعالى فامساك الخ حكم مبتدأ وخبر مستأنف والباء فيه للترتيب على التعليم كأنه قيل اذا علمتم كيفية الطلاق فاعلموا احد الامرين • ولا يحل لكم ان تأخذوا • منهن بمقابلة الطلاق • مما آتيتموهن • اى من الصدقات وتخصيصها بالذكر وان شاركها في الحكم سائر الاموال اما لرعاية العادة او للتنبيه على انه اذا لم يحل لهم ان يأخذوا مما اقوهن بمقابلة البضع عند فرط حبهم عن ملكهم فلان لا يحل ان يتناولوا مما لا تعلق له بالبضع اولى واحرى • شيئا • نذرا يسيرا فضلا عن الكثير وتقديم الظرف للاقرار والخطاب مع الحكام وامناء الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند المرافعة وقيل مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك مما يشوش النظم الكريم على القراءة المشهورة • الا ان يخافا • اى الزوجان وقرئ بظن وهو مؤيد لتفسير الخوف بالظن • الا يقيما حدود الله • اى ان لا يراعيا مواجب احكام الزوجية وقرئ بخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافوا وتقيما بناء الخطاب • فان خفتم • ايها الحكام • الا يقيما • اى الزوجان • حدود الله • بما بين من بعض الامارات والمخايل • فلا جناح عليهما • اى على الزوجين • فيما افتدت به • لا على الزوج فيما اخذ ما افتدت به ولا عليها فيما اعطاته اياه روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اتى رفعت جانب الخباء فرآه اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة وافبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة كان اصدقها اياها • تلك • اى الاحكام المذكورة • حدود الله فلا تعتدوها • بالمخالفة والتعرض • ومن يتعد حدود الله فاولئك • المعدون • والجمع باعتبار معنى الموصول • هم الظالمون • اى لانفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه ووضع الاسم الجليل في المواقع الثلثة لتربية موقع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتعقيب النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد فان طلقها • اى بعد الطلقتين الباقيتين • فلا تحل له من بعد • اى من بعد هذا الطلاق • حتى تنكح زوجا غيره • اى حتى تتزوج غيره فان النكاح ايضا يسند الى كل منهما وان كان بظاهره من اقتضى على العقد والجمهور على اشتراط الاصابة لما روى ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اترين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال عليه السلام لا الا ان تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وبمثله يجوز الزيادة على الكتاب وقيل النكاح بمعنى الوطء والعقد مستفاد من لفظ الزوج والحكمة من هذا التشريع الردع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل مكروه عندنا ويروى عدم الكراهة فيما لم يكن الشرط مصرحا به وفاسد عند الاكثرين لقوله عليه السلام لعن الله المحلل والمحلل له • فان طلقها • الزوج الثاني • فلا جناح عليهما • اى على الزوج الاول والمرأة • ان يتراجعا • اى يرجع كل منهما الى الآخر بالعقد • ان ظنا ان يقيما حدود الله • التي اوجب رعايتها على الزوجين من الحقوق والاوجه ان يتعلق الظن بالعلم لما ان العواقب غير معلومة ولان ان الناصبة للتوقع المنافي للعلم ولذلك لا يكاد يقال علمت ان يقوم زيد وتلك • اشارة الى الاحكام المذكورة لا هنا • حدود الله • اى احكامه المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير ونحوه • يبينها • بهذا البيان اللائق او سيبينها فيما سيأتي بناء على ان بعضها بلحقه زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنة والجملة خبر ان عند من يجوز كونه جملة كما في قوله ٭ فاذا هي حية تسعى او حال من حدود الله والعامل معنى الاشارة • لقوم يعلمون • اى يفهمون وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون بالبيان او لان ما سيلقى بعض النصوص من البيان للوقف عليه الا الراسخون في العلم • واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن • اى آخر عدتهن فان الاجل كما يطلق على المدة يطلق على منتهاها

والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه اتساعا وهو المراد ههنا لقوله عز وجل فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امكان للامساك بعد تحقق بلوغ الاجل اى فراجعوهن بغير ضرار او طلقوهن حتى ينقضي اجلهن باحسان من غير تطويل وهذا كما ترى اعادة للحكم في صور ما عناية بشانه ومبالغة في ايجاب المحافظة ولا تمسكوهن ضرارا تاكيد للامر بالامساك بمعروف وتوضيح لمعناه وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه اى لا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان للمطلق يترك المعتدة حتى اذا شارفت انقضاء الاجل يراجعها لا لرغبة فيها بل ليطول عليها العدة فنهى عنه بعد ما امر بضده ما ذكر وضرارا نصب على العلية او الحالية اى لا تمسكوهن للمضارة او مضارين واللام في قوله تعالى لتعتدوا متعلقة بضرارا اى لتظلموهن بالايجاء الى الافتداء ومن يفعل ذلك اى ما ذكر من الامساك المؤدي الى الظلم وما فيه من معنى البعد للاشارة على بعد منزلته في الشر والفساد فقد ظلم نفسه اى فوض ظلمها لهن بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله المنطوية على الاحكام المذكورة او جميع آياته وهي داخلة فيها هزوا ولعبا اى مهزوا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا في المحافظة على ما فرض فيها من الاحكام والحدود ومن قولهم لمن لم يجد في الامر انما كنت العب فنزلت تلك الآية لذلك قال عليه الصلوة والسلام ثلث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم حيث هداكم للاخذ فيما يعاد بكم الدينية والدنيوية اى قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من نعمة الله اى كائنة عليكم ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد بها الانعام لانها اسم مصدر كانبات من انبت ولا يقدح في عمل تاء التانيث لانه مبني عليها كما في قوله فلو لا رجاء النصر منك وهبته عقلت قد كانوا لنا كالموارد وما انزل عليكم عطف على نعمة الله وما موصولة حذف عائدها من الصلة ومن في قوله عز وجل من الكتاب والحكمة بيانية اى من القرآن والسنة او القرآن الجامع للعنوانين على ان العطف لتغاير الوصفين كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وفرارها ما اولائم بيانية من التعظيم ما لا يخفى وفي افراده بالذكر مع كونه اول ما دخل في النعمة المامور بذكرها ابانة لخطره ومبالغة في الحث على مراعاة ما ذكر قبله من الاحكام يعظكم به اى بما انزل حالا من فاعل انزل او من مفعوله او منهما معا واتقوا الله في شان المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة واعلموا ان الله بكل شيء عليم فلا يخفى عليه شيء مما تاتون وما تذرون فيثيبكم باحسن الثواب ويعاقبكم باشد العقاب واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن بيان لحكم ما كانوا يفعلون عند بلوغ الاجل حقيقة بعطفهم ما كانوا يفعلونه عند المشارفة اليه والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها ولم يخرج والمراد المنع والخطاب اما للاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلة ان ترجع الى زوجها الاول بالنكاح وقيل نزلت في جابر بن عبد الله حين عضل ابنة عم له واسناد التطليق اليهم لتسببهم فيه كما ينبئ عنه نسبتهم للفعل ولعل التعريض لبلوغ الاجل مع جواز التجوز بالزوج الاول قبله ايضا لوقوع العضل المذكور حينئذ وليس فيه دلالة على ان ليس للمراة ان تزوج نفسها واما احتياج الى نهي الاولياء عن العضل لما ان النهي للدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرت على التزويج انفسهن لكن عسى تعجز عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة واما للازواج حيث كانوا مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن ظلما وقرا لحمية الجاهلية واما للناس كافة فان اسناد ما فعله واحد منهم الى الجميع شائع مستفيض والمعنى اذا وجد فيكم طلاق فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء او من جهة الازواج او من غيرهم وفيه تهويل للامر العضل وتحذير عنه واييذان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم ومسامعهم ساكتون عنه بمنزلة صدوره عن الكل في استتباع اللائمة وسارية العائمة ان ينكحن

اى من ان ينكحن فمحل النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل على الخلاف المشهور وقيل هو بدل اشتمال من الضمير
المنصوب فى تعضلوهن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن • ازواجهن • ان ارادوا بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار
ما كان واما باعتبار ما يكون والا فباعتبار الاخير • اذا تراضوا • ظرف للتعضلوا وصيغة التذكير باعتبار تغليب الخطاب
على الغيبة والتقييد به لانه المعتاد لا لتجويز المنع قبل تمام التراضى وقيل ظرف لان ينكحن وقوله تعالى • بينهم • ظرف للتراضى
مفيد لرسوخه واستحكامه • بالمعروف • الجميل عند الشرع والمستحسن عند الناس والباء اما متعلقة بمحذوف وقع
حالا من فاعل تراضوا او نعت لمصدر محذوف اى تراضيا كائنا بالمعروف واما بتراضوا اى تراضوا بما يحسن فى الدين
والمروة وفيه اشعار بان المنع من التزوج بغير كفؤ او بما دون مهر المثل ليس من باب العضل ذلكم • اشارة الى ما مر
من الاحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم المشار اليه والخطاب لجميع المكلفين كلما وجد ما بعده والتوحيد اما باعتبار كل واحد
واما بتاويل الفعيل والفوج واما لان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين او لهما
عليه السلام كما فى قوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يعرفه كل احد
يوعظ به من كان • يؤمن منكم • يؤمن بالله واليوم الآخر فيتاثر لا لامتثال اوامره ونواهيه اجلالا له وخوفا من عقابه فقوله تعالى
منكم اما متعلق بكان عند من يجوز عملها فى الظروف وشبهها واما بمحذوف وقع حالا من فاعل يؤمن اى كائنا
منكم • ذلكم • اى الاتعاظ به والعمل بمقتضاه • ازكى لكم • اى انمى وانفع • واطهر من ادناس الآثام واوضار
الذنوب • والله يعلم • ما فيه صلاح امورهم من الاحكام والشرائع التى من جملتها ما بينه ههنا وانتم لا تعلمونها
فدعوا رايكم وامتثلوا اوامره تعالى ونواهيه فى كل ما تاتون وما تذرون • والوالدات يرضعن اولادهن • شروع
فى بيان الاحكام المتعلقة باولادهن خصوصا واشتراكا وهو امر اخرج مخرج الخبر مبالغة فى حمل على تحقيق مضمونه
ومعناه الندب والوجوب ان خصت بمادة عدم قبول الصبى ثدى الغير او فقدان النظر او عجز الوالد عن الاستيجار والتعبير
عنهن بالعنوان المذكور لهن عطفهن على اولادهن والحكم عام للمطلقات وغيرهن وقيل خاص بهن اذ الكلام فيهن
حولين كاملين • التاكيد بصيغة الكمال لبيان التقدير بتحقيق لا لترتيب مبنى على المسامحة المعتادة • لمن اراد ان يتم الرضاعة
وفيه دلالة على جواز النقص وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع لكمال تعالى
ارضعت فلانة لفلان ولده • وعلى المولود له • اى الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى
المقتضى لوجوب الارضاع ومؤنة المرضعة عليه • رزقهن وكسوتهن • اجرة لهن فاختلف فى استيجار الام وهو غير
جائز عندنا ما دامت فى النكاح او العدة وجائز عند الشافعى لعموم • بالمعروف • حسبما يراه الحاكم ويقضى به وسعه لا تكلف
الا وسعها • تعليل لايجاب المؤن بالمعروف او تغيير للمعروف وهو نص على ان الله تعالى لا يكلف العبد ما لا يطيقه وذلك لان بناء مكانه
لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده • تفصيل لما قبله وتوئيل له اى لا يكلف كل واحد منهما الا ما فى طيقه ولا يضاره
بسبب ولده وقرئ لا تضار بالرفع بدلا من لا تكلف واصله على التوارتين لا تضار بالكسر على البناء للفاعل وبالفتح على البناء
للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى يضر والباء من صلته اى لا يضر الوالدان بالولد غير طرق تعهده ويقصر فيما ينبغى له
وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد الى كل منهما
لاستعطافها اليه والتنبيه على انه جدير بان يتفقا على استصلاحه ولا ينبغى ان يضر ابه ويتضار ابسببه • وعلى الوارث مثل ذلك
عطف على قوله تعالى وعلى المولود له الخ وما بينهما تعليل او تغيير معترض والمراد به وارث الصبى ممن كان ذا محرم منه وقيل عصباته
وقال الشافعى رح هو وارث الاب وهو الصبى اى بان المرضعة من ماله عند موت الاب ولا نزاع فيه وانما الكلام فيما اذا لم يكن

اى

للصبي حال كونه الباقي من الابوين من قوله عليه السلام اجعل الوارث منا وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق
والكسوة • فان ارادا • اى الوالدان • فصالا • اى فطاما عن الرضاع قبل تمام الحولين والتنكير للايذان بانه فصال غير
معتاد • عن تراض • متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اى صادرا عن تراض • منهما • اى من الوالدين لا من احدهما فقط
لاحتمال اقدامه على ما يضر بالولد بان تمل المرأة الارضاع ويبخل الاب باعطاء الاجرة • وتشاور • في شأن الولد وتحقق احواله
واجماع منهما على استحقاقه للفطام والتشاور من المشورة وهي استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته وتنكيرهما للتفخيم
• فلا جناح عليهما • في ذلك لما ان تراضيهما انما يكون بعد استقرار رأيهما واجتهادهما على ان صلاح الولد في الفطام وقلما
يتفقان على الخطأ • وان اردتم • بيان لحكم عدم اتفاقهما على الفطام والالتفات الى خطاب الآباء لهزهم الى الامتثال بما امروا
به • ان تسترضعوا اولادكم • بحذف المفعول الاول استغناء عنه اى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف حرف الجر
ايضا كما في قوله تعالى واذا كالوهم اى كالوا لهم • فلا جناح عليكم • اى في الاسترضاع وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع
الولد ويمنع الام من الارضاع • اذا سلمتم • اى الى المراضع • ما آتيتم • اى ما اردتم ايتاءه كما في قوله تعالى فاذا قرأت
القرآن فاستعذ بالله وقرئ ما أتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ ما اوتيتم اى من جهة الله عز وجل كما في قوله تعالى
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه مزيد بعث لهم الى التسليم • بالمعروف • متعلق بسلمتم اى بالوجه المتعارف
المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو ندب الى ما هو الاليق
والاولى فان المراضع اذا اعطين ما قدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك ادخل في استصلاح شؤون الاطفال • واتقوا الله •
في شأن مراعاة الاحكام المذكورة • واعلموا ان الله بما تعملون بصير • فيجازيكم بذلك واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لتربية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى • والذين • على حذف المضاف اى وازواج الذين • يتوفون منكم • اى يقبض
ارواحهم بالموت فان التوفي هو القبض يقال توفيت مالي من فلان واستوفيته منه اى اخذته وقبضته والخطاب لكافة
الناس • ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا • او على حذف العائد الى المبتدأ في الخبر اى يتربصن
بعدهم كما في قولهم السمن منوان بدرهم اى منوان منه وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي
لانها غرر الشهور والايام ولذلك تراهم لا يكادون يستعملون التذكير في مثله اصلا حتى انهم يقولون صمت عشرا ومن البين
في ذلك قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل الحكمة في هذا التقدير ان الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا
لثلاثة اشهر وان كانت انثى يتحرك لاربعة فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما يضعف الحركة فلا يحس
بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية والحرة والامة في هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف في الامة وقوله
عز وجل واولات الاحمال خص الحامل منه وعن علي وابن عباس رضي الله تعالى عنهم انها تعتد بابعد الاجلين احتياطا
• فاذا بلغن اجلهن • اى انقضت عدتهن • فلا جناح عليكم • اى الحكام والمسلمون جميعا • فيما فعلن في انفسهن
من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة • بالمعروف • بالوجه الذي لا ينكره الشرع وفيه اشارة الى انهن لو فعلن
ما ينكره الشرع فعليهم ان يكفوهن عن ذلك والا فعليهم الجناح • والله بما تعملون خبير • فلا تعملوا خلاف ما امرتم به • ولا جناح عليكم
خطاب للكل • فيما عرضتم به • التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم
عليك واصله امالة الكلام عن نهجه الى عرض منه اى جانب والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك
طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف • من خطبة النساء • الخطبة بالكسر كالقعدة والجلسة ما يفعله الخاطب
من الطلب والاستلطاف بالقول والفعل فقيل هي مأخوذة من الخطب اى الشأن الذي له خطر لما انها شأن من الشؤون

يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها اياه وقيل انه يتعدى الى مفعولين يقال استرضعت المرأة للصبي اى ... ان تسترضعوا المراضع لاولادكم

العشر اعتبارا

ونوع من الخطوب **وقيل** من الخطاب لانها نوع مخاطبة يجرى بين جانب الرجل وجانب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة
والتعريض لخطبتهن ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافعة ومن غرضه ان اتزوج ونحو ذلك مما يوهم انه يريد نكاحها
حتى تحدث نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح • **أو أكننتم** في انفسكم • اى اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا
ولا تعريضا • **علم الله أنكم ستذكرونهن** • ولا تصبرون على التكوت عنهن وعن اظهار الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ
لهم على قلة التثبت • **ولكن لا تواعدوهن سرا** • استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اى فاذكروهن ولكن
لا تواعدوهن نكاحا بل اكتفوا بما رخص من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لان مسببه الذى هو الوطء مما يستر به
وآثاره على اسمه للابذان بانه مما ينبغى ان يستر به ويكتم وحمله على الوطء ربما يوهم الرخصة في المحظور الذى هو التصريح بالنكاح
وقيل انتصاب سرا على الظرفية اى لا تواعدوهن في السر على ان المراد بذلك المواعدة بما يستاجن وفيه ما فيه • **الا**
أن تقولوا قولا معروفا • استثناء مما يدل عليه النهى اى لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا
ومروءة يكون بطريق التعريض والتلويح والا مواعدة بقول معروف او لا تواعدوهن بشيء من الاشياء الا بان تقولوا قولا
معروفا **وقيل** هو استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لاداته الى جعل التعريض موعودا وليس كذلك • **ولا تعزموا**
عقدة النكاح • من عزم الامر اذا قصده فصدر اجازما وحقيقته القطع بدليل قوله عليه السلام لاصيام لمن لم يعزم الصيام
من الليل وروى لمن لم يبيت الصيام والنهى عنه للمبالغة في النهى عن مباشرة عقد النكاح اى لا تعزموا عقدة النكاح
حتى **يبلغ الكتاب أجله** • اى العدة المكتوبة المفروضة آخرها **وقيل** معناه لا تعقدوا عقدة النكاح اى لا تعزموا
ولا تلزموا ولا تشدوا عليها فيكون نهيا عن نفس الفعل لا عن قصده • **واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم** • من ذوات
القصود والتى من جملتها العزم على ما نهيتم عنه • **فاحذروه** • بالاجتناب عن العزم بالبتة او اقلاعا عنه بعد تحققه • **واعلموا**
أن الله غفور • يغفر لمن نطلع من عزمه خشية منه تعالى • **حليم** • لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتاخيرها على ان ما نهيتم
عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة • واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لادخال الروعة • **لا جناح عليكم** • الى التبعة
من مهر وهو الاظهر **وقيل** من وزر اذ لا بدعة في الطلاق قبل المس **وقيل** كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر النهى عن الطلاق
فظن ان فيه جناحا فنفى ذلك • **إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن** • اى مالم تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء
في جميع المواقع اى مدة عدم مسيسكم اياهن على ان ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف **وقيل** ابو البقاء انها شرطية
بمعنى ان فيكون من باب اعتراض الشرط على الشرط فيكون الثانى قيدا للاول كما في قولك ان تاتنى ان تحسن الى اكرمك اى
ان تاتنى محسنا الى والمعنى ان طلقتموهن غير ماسين لهن وهذا المعنى افعد من الاول لما ان ما الظرفية انما يحسن موقعها
فيما اذا كان المظروف امرا ممتدا منطبقا على ما اضيف اليها من المدة او الزمان كما في قوله لك ما خالد بن فيها ما دامت السموات والارض
وفعلك ما دمت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ولا يخفى ان التطليق ليس كذلك وتعليق الظرف بنفى الجناح ربما يوهم امكان المسيس
بعد الطلاق فالوجه ان يقدر الحال مكان الزمان والمدة • **أو تفرضوا لهن فريضة** • اى الا تفرضوا لهن او حتى تفرضوا لهن
عند العقد مهرا على ان فريضة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية وانتصابه على المفعولية ويجوز ان يكون
مصدرا لصيغة واعراما والمعنى انه لا تبعة على المطلق بمطالبة المهر اصلا اذا كان الطلاق قبل المس على كل حال الا في حال
تسمية المهر فان عليه حينئذ نصف المسمى وفي حال عدم تسمية علية المتعة لا نصف مهر المثل واما اذا كان بعد المس فعليه في صورة
التسمية تمام المسمى وفي صورة عدمه تمام مهر المثل **وقيل** كلمة او عاطفة لمدخولها على ما قبلها من الفعل المجزوم على معنى ما لم تمسوهن
منكم مسيسا ولا فرض مهر • **ومتعوهن** • عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المطلقة

جبرا لجاش الطلاق وهي درع وملحفة وخمار على حسب حالها كما ينبغي عنه قوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره
اي ما يليق بحال كل منهما وقرئ بسكون الدال وهي جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مبينة لمقدار المتعة بالنظر
الى حال المطلق ايسارا واقتارا او حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط اي على الموسع منكم الخ او على جعل اللام
عوضا عن المضاف اليه عند من يجوز اي على موسعكم الخ وهذا اذا لم يكن مهر مثلها اقل من ذلك فان كان اقل فلها الاقل
من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم متاعا اي تمتيعا بالمعروف اي بالوجه الذي يحسنه الشريعة
والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين اي الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة
الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع بالمعروف وانما سموا محسنين اعتبارا باللائق رفقا ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن قبل ذلك فريضة اي وان طلقتموهن قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن
فيما سبق اي عند النكاح مهرا على ان الجملة حال من فاعل طلقتموهن ويجوز ان يكون حالا من مفعوله لتحقق الرابط
بالنسبة اليها ونفس الغرض من المبنى للفاعل او للمفعول وان لم يقارن حالة التطليق لكن اتصاف المطلق بالفريضة
فيما سبق مما لا ريب في مقارنته كذا الحال في اتصاف المطلقة بكونها مفروضا لها فيما سبق فنصف ما فرضتم
اي فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر او فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح في ان المنفي في الصورة السابقة
انما هو تبعة المهر وقرئ بالنصب اي فادوا نصف ما فرضتم ولعل تاخير حكم التسمية مع انها الاصل في العقد والاكثر
في الوقوع لما ان الآية الكريمة نزلت في انصاري تزوج امرأة من بني حنيفة وكانت مفوضة فطلقها قبل الدخول بها
فمضى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له عليه السلام ان لا شيء له متعها بقلنسوتك إلا ان يعفون
استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي فلهن نصف المفروض معينا في كل حال الا حال عفوهن فانه يسقط ذلك حينئذ
وجوبه وظاهر الصيغة في نفسها يحتمل التذكير والتانيث وانما الفرق في الاعتبار والتحقيق فان الواو في الاولى ضمير
والنون علامة الرفع وفي الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك يؤثر فيه ان تاثيره فيما عطف على محله
او يعفو بالنصب في قرئ بسكون الواو الذي بيده عقدة النكاح اي بترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود
اليه من نصف المهر الذي ساقه اليها كملا على ما هو المعتاد نكر ما فان ترك ما حقه عليها عفو بلا شبهة او سمي بذلك
عفوا في صورة عدم التوفي مشاكلة او تغليبا لحال التوفي على حال عدمه فرجع الاستثناء حينئذ الى منع الزيادة في المستثنى منه
كما انه في الصورة الاولى الى منع النقصان فيه اي فلهن هذا المقدار بلا نقصان ولا زيادة في جميع الحال الا في حال
عفوهن فانه حينئذ لا يكون لهن المقدار المذكور بل ينتفي ذلك او ينحط او في حال عفو الزوج فانه حينئذ يكون لهن الزيادة
على ذلك المقدر هذا على التفسير الاول واما على التفسير الثاني فلا بد من المصير الى جعل الاستثناء منقطعا لان في صورة
عفو الزوج لا يتصور الوجوب عليه هذا عندنا وفي القول الثاني حنيفة رح ان المراد بعفو الولي الذي بيده عقدة نكاح
الصغيرة وهو ظاهر لما فذ خلا ان الاول اثبت بقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى الخ فان استاط حق الصغيرة
ليس في شيء من التقوى وعن جابر بن عبد الله انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول واكمل لها الصداق وقال انا
احق بالعفو وقرئ بالياء ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض كما ينبغي المنسي
وقرئ بكسر الواو والخطاب في الفعلين للرجال والنساء جميعا بطريق التغليب ان الله بما تعملون بصير فلا يكاد
يضيع ما علمتم من التفضل والاحسان حافظوا على الصلوات اي داوموا على ادائها لا وقاتها من غير اخلال
بشيء منها كما ينبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل الامر بها في تضاعيف بيان احكام الازواج والاولاد

قبل الاقام للايذان بانها حقيقة بكمال الاعتناء بشانها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها بشانهم بل بشان انفسهم ايضا كما نصح
عنه الامر بها في حالة الخوف ولذلك اخرها في خلال بيان ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية المتشابكة الاخذ بعضها بحجزة بعض
والصلوة الوسطى اى المتوسطة بينها او الفضلى منها وهي صلوة العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى
صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلوة التي شغل سليمان بن داود عليهما السلام وفضلها لكثرة اشتغال
في وقتها بتجارتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار ح وقيل هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق
الصلوة عليهم لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصليها بالهاجرة فكانت افضلها لقوله عليه السلام افضل الاعمال العفو
وقيل هي صلوة الفجر لانها بين صلوتي الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة كصلوة العصر وقيل
صلوة المغرب لانها متوسطة من حيث العدد ومن حيث الوقوع بين صلوة النهار والليل وتر النهار ولا تنقص في السفر
وقيل هي صلوة العشاء لانها بين الجهريتين الواقعتين في طرفي الليل وعن عائشة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم انه عليه الصلوة والسلام
بزر والصلوة الوسطى صلوة العصر فتكون ح احدى الاربع قد خصت بالذكر مع العصر لانزادهما بالفضل وقرئ وعلى الصلوة
الوسطى وقرئ بالنصب على المدح وقرئ الوصطى وقوموا لله اى في الصلوة قانتين ذاكرين له تعالى وقيل العيام لان القنوت
هو الذكر فيه وقيل هو الكمال الطاعة واتمامها بغير اخلال شئ من اركانها وقيل خاشعين وقال ابن المسيب ح المراد به القنوت
في الصبح وان خفتم اى من عدو او غيره فرجالا جمع راجل كقيام وقائم او جمع على راجل وقرئ بضم الراء مع التخفيف
وبضمها مع التشديد ايضا وقرئ فرجلا اى راجلا او ركبانا جمع راكب اى فصلوا راجلين او راكبين حيثما تيسر لكم
الحال ولا تخلوا بها ما امكن الوقوف في الجملة وقد جوز ان في ح اداء ما حال السابعة فاذا امنتم بزوال الخوف
فاذكروا الله اى فصلوا صلوة الامن عبر عنها بالذكر لانها معظم اركانها كما علمكم متعلق بمحذوف وقع وصفا لمصدر
محذوف اى ذكرا كائنا كما علمكم اى كتعليمها اياكم ما لم تكونوا تعلمون من كيفية الصلوة والمراد بالتشبيه ان يكون الصلوة المؤداة
موافقة لها على الله تعالى واجرا دا بذلك العنوان لتذكير النعمة او شكروا الله تعالى شكرا يوازي تعليمها اياكم ما لم تكونوا تعلمونه
من الشرائع والاحكام التي من جملتها كيفية اقامة الصلوة حالة الامن والخوف هذا وفي ايراد الشرطية الاولى بكلمة ان المنبئة
لمشكوكية وقوع الحذف وندرته وتصدير الشرطية الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق وقوع الامر وكثرته مع الايجاز في جواب
الاولى والاطناب في جواب الثانية المبنيين على تنزيل مقام وقوع المامور به فيهما منزلة مقام وقوع الامر تنزيلا مستدعيا للاجراء
مقتضى المقام الاول في كل منهما مجرى مقتضى المقام الثاني من الجزالة واللطف الاعتبار ما فيه عبرة لاولي الابصار والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا عود الى بيان بقية الاحكام المفصلة فيما سلف اثر بيان احكام وسطت بينها لما اشير
اليه من الحكمة الداعية الى ذلك وصية لازواجهم اى يوصون او ليوصوا او كتب الله عليهم وصية ويؤيد هذا قراءة
من قرا كتب عليكم الوصية لازواجكم وقرئ بالرفع على تقدير مضاف في المبتدا او الخبر اى حكم الذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم او كتب عليهم وصية او عليهم وقرئ متاع لازواجهم على
وصية متاعا الى الحول منصوب بيوصون ان اضمرته والا فبالوصية او بمتاع على القراءة الاخيرة غير اخراج بدل
منه او مصدر مؤكد كما في قولك هذا القول غير ما تقول وحال من ازواجهم اى غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون
ان يوصوا قبل الاحتضار لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى فكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة
بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا فانه وان كان متقدما في التلاوة متاخرا في النزول فسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن
وكذلك السكنى عندنا وعند الشافعي رح هي باقية فان خرجن عن منزل الازواج باختيارهن فلا جناح عليكم ايها الائمة

فيما فعلن في انفسهن من معروف لا ينكره الشرع كالتزين والتطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وفيه دلالة على ان المخطور
اخراجها عند ارادة القرار وملازمة مسكن الزوج والحداد من غير ان يجب عليها ذلك وانها كانت مخيرة بين الملازمة
مع اخذ النفقة وبين الخروج مع تركها والله عزيز غالب على امره يعاقب من خالفه حكيم يراعي في احكامه مصالح العباد
والمطلقات سواء كن مدخولا بهن اولا متاع اي مطلق المتعة الشاملة للواجبة والمستحقة وآوجبها سعيد بن جبير والنخعي
والزهري للكل وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام للعهد والمراد غير المدخول بهن والتكرير للتاكيد بالموصوف
شرعا وعادة حقا على المتقين اي مثل ما يبغي كذلك اي مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم آياته الدالة على الاحكام
التي شرعها للعباد لعلكم تعقلون لكي تفهموا ما فيها وتعلموا بموجبها الم تر تنزيل لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب
وارباب الاخبار وتعجيب من شانهم البديع فان سماعهم لها بمنزلة الرؤية النظرية او العلمية او لكل احد ممن له حظ من الخطاب
ايذانا بان قصتهم من الشهرة والشيوع بحيث يحق لكل احد ان يحمل على الاقرار برؤيتهم وسماع قصتهم ويعجب منها وانما عبر عن
من رآهم وسمع بقصتهم فان هذا الكلام قد جرى مجرى المثل في مقام التعجب لما انه شبه حال غير الرائي بشيء يعجب حال الرائي
له بناء على ادعاء ظهور امره وجلائه بحيث استوى في ادراكه الشاهد والغائب ثم اجري الكلام معه كما يجري مع الرائي
قصدا الى المبالغة في شهرته ومعرفته في التعجب وتعدية الرؤية بالى في قوله تعالى الى الذين خرجوا من ديارهم على تقدير
كونها بمعنى الابصار باعتبار معنى النظر وعلى تقدير كونها ادراكا قلبيا للتضمين معنى الوصول والانتهاء على معنى الم ينته علمك
اليهم وهم الوف اي الوف كثيرة وقيل عشرة آلاف وقيل ثلثون وقيل سبعون الفا والجملة حال من ضمير خرجوا وقوله عز وجل
حذر الموت مفعول له على ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا منها كما ريين فاماتهم الله
ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من حكم الله عز سلطانه وقضائه وقيل حزقيل عليهم رجز فقبل بعد زمان طويل وقد عريت
عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقيه واصابعه تعجبا مما رأى من امرهم فاوحى الله اليهم ما دفنهم ان قوموا باذن الله
فنادى فاذا هم قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد
فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله تعالى ثمانية ايام ثم احياهم وقوله عز وجل فقال لهم الله موتوا اما عبارة عن تعلق
ارادته تعالى بموتهم دفعة واما تمثيل لامانته تعالى اياهم ميتة نفس واحدة في اقرب وقت وادناه واسرع زمان واوجاه
باوامر مطاع لمأمور مطيع كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ثم احياهم عطف لمقدر
يستدعيه المقام اي فماتوا ثم احياهم وانما حذف للدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلف مراده تعالى عن ارادته
واما على قال لما انه عبارة عن الامانة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت حيثما كان
منه بد ولم ينفع منه الفر فاولى ان يكون في سبيل الله تعالى ان الله لذو فضل عظيم على الناس قاطبة اما الاولى
فاحياؤهم ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسالك الاعتبار
والاستبصار ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرون فضله كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار
واظهار الناس في مقام الاضمار لمزيد التشنيع وقاتلوا في سبيل الله عطف على مقدر يعتبر ما قبله كانه قيل فاشكروا
فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا في سبيل الله اعلموا ان الفرار لا ينجي من الحمام وان الموت المقدر لا مرد له فان كان
قد حان الاجل فموت في سبيل الله تعالى والا فنصر عزيز وثواب واعلموا ان الله سميع يسمع مقالة المتخلفين والمتخلفين
عليم بما يضمرونه في انفسهم وهو من دواعي الجزاء خير وشر فارعوا الى الامتثال واحذروا المخالفة والمبالغة
من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له او بدل منه واقراض الله تعالى

مثل لتقديم العمل العاجل طلبا للثواب الآجل والمراد ههنا الجهاد الذي هو عبارة عن بذل النفس والمال في سبيل الله عز وجل
ابتغاء لمرضاته وآثر مطلق العمل الصالح المنتظم لهما انتظاما اوليا قرضا حسنا اي اقراضا متروكا بالاخلاص وطيب النفس
او متصفا حلالا طيبا فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فانه في معنى ايقرضه وقرئ بالرفع
اي فهو يضاعف اجره وجزاوه جعل ذلك مضاعفة له بناء على ما بينهما من المناسبة بالسببية والمسببية ظاهرا وصيغة المغالبة وقرئ
فيضعفه بالرفع والنصب اضعافا جمع ضعف ونصبه على انه حال من الضمير المنصوب او مفعول ثان بتضمن المضاعفة معنى التصيير
او مصدر مؤكد على ان الضعف اسم للمصدر والجمع للتنويع كثيرة لا يعلم قدرها الا الله تعالى وقيل الواحد سبعمائة
والله يقبض ويبسط اي يقتر على بعض ويوسع على بعض او يقتر تارة ويوسع اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم
والمصالح فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل احوالكم ولعل ذكر البسط عن القبض في الذكر للاشعار الى انه يعقبه في الوجود
تسلية للفقراء وقرئ بيصط بالصاد لمجاورة الطاء واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم من الاعمال خيرا وشرا الم تر
تعجيب لما سبق قطع عنه الاذان بالاستقلال في التعجيب مع ان له مزيد ارتباط بما وسط بينهما في الامر بالقتال الى الملا
من بني اسرائيل الملا من القوم وجوههم واشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم ستوا بذلك
لما انهم يملئون العيون مهابة والمجالس بهاء ولانهم ملئوا بما يبتغى منهم ومن تبعيضية وما في قوله تعالى من بعد موسى
ابتدائية وعاملها مقدر وقع حالا من الملا اي كائنين بعض بني اسرائيل من بعد وفات موسى عليه السلام ولا ضير
في اتحاد الحرفين لفظا عند اختلافهما معنى اذ قالوا منصوب بمضمر يستدعيه مقام اي الم تر الى قصة الملا او حديثهم
حين قالوا لنبي لهم هو يوشع بن نون افرائيم بن يوسف عليه السلام وقيل شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوى
بن يعقوب عليه السلام وقيل اشمويل بن بال بن علقمة وهو بالعبرانية اسمعيل قال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام وقال
مجاهد اشمويل بن هلقانا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اي انهض للقتال لنا اميرا نصدر في تدبير الحرب
عن رايه وقرئ نقاتل بالرفع على انه حال مقدرة اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استئناف مبني على السؤال وقرئ يقاتل
بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب واللام للجحد قال استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فاذا قال
لهم النبي عليه السلام فقيل قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبرها بالشرط للاشعار
اي هل قاربتم الا تقاتلوا كما توقعه منكم والمراد تقرير ان المتوقع كائن وانما لم يذكر في معرض الشرط ما التمسوه
بان قيل هل عسيتم ان بعث لكم ملكا الخ مع انه اظهر تعلقا بكلامهم بل ذكر كناية القتال عليكم للمبالغة في بيان تخلصهم عنه
فانهم اذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال عليهم بايجاب الله تعالى فلان لا يقاتلوا عند عدم فرضيته اولى ولا يراد ما ذكروه ربما يوهم
ان سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث للقتال وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة قالوا استئناف كما سبق وما لنا الا نقاتل
اي اي سبب في ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي والحال انه قد عرض ما يوجب القتال
ايجابا بالغا من الاخراج عن الديار والاوطان والاغتراب من الاهل والاولاد وافراد الابناء بالذكر مزيد تقوية لاسباب القتال
وذلك ان جالوت رأس العمالقة وملكهم وهو جبار من اولاد عملیق بن عاد كان هو ومن معه من العمالقة يسكنون
ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل واخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابنائهم
اربعمائة واربعين نفسا وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم فلما كتب عليهم القتال بعد سؤال النبي عليه السلام
ذلك وبعث الملك تولوا اي اعرضوا وتخلفوا الكن لقلة البتة الا قليلا منهم بدل من كثرة العدد وشوكته كما سيجيء تفصيله
وانما ذكر ههنا تمائل امرهم اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين الا قليلا منهم وهم الذين التقوا

نقاتل

بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيدهم على ظلمهم بالتولي
عن القتال وترك الجهاد وتناقض اقوالهم وافعالهم والجملة اعتراض تذييلي وقال لهم نبيهم شروع في تفصيل
ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاقوال والافعال اثر الاشارة الاجمالية الى مصير حالتهم اي قال لهم بعد ما اوحي اليه
ما اوحي ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعلوه طالونا من الطول لانه منع صرفه
وملكا حال منه روي انه عليه السلام لما دعا ربه ان يجعل لهم ملكا اتى بعصا فقاس عليها فلم يساوها الا طالوت
قالوا استئناف كما مر انى يكون له الملك علينا اي من اين يكون او كيف يكون ذلك ونحن احق بالملك منه ولم يؤت
سعة من المال الواو الاولى حالية والثانية عاطفة جامعة للجملتين في الحكم اي كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق
التملك لوجود من هو احق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة ببسبط
معين من اسباط بني اسرائيل وهو سبط لاوى بن يعقوب عليه السلام وسبط الملكة ببسبط يهوذا ومنه داود وسليمان عليهما السلام
ولم يكن طالوت من احد هذين السبطين بل من ولد بنيامين قيل كان راعيا وقيل دباغا وقيل سقاء قال ان الله اصطفاه
عليكم لما استبعد وانكاره بسقوط نسبه وبفقره رد عليهم ذلك اولا بان ملاك الامر هو اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو
اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان العدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجامة البدن بعظم خطير في القلوب يا
ويقدر على مقاومة الاعداء ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحظ وافر وذلك قوله عز وعلا وزاده بسطة
في العلم والجسم اي العلم المتعلق بالملك وبه وبالديانات ايضا وقيل قد اوحي اليه وبني والجسم قيل بطول القامة فانه كان
اطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى ان الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه وقيل بالجمال وقيل بالقوة والله يؤتي
ملكه من يشاء لما انه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله ان يؤتيه من يشاء من عباده والله واسع يوسع
على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك ممن لا يليق به واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وقال لهم نبيهم توسيط
فيما بين قولتيه المحكيتين عنه عليه السلام للاشعار بعدم اتصال احدهما بالآخر وتخلل كلام من جهة المخاطبين متفرع على السابق
مستتبع للاحق كانهم طلبوا منه عليه السلام آية تدل على ان الله تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم روي انهم قالوا ما آية ملكه قال
ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت اي الصندوق وهي فعلوت من التوب الذي هو الرجوع لما انه لا يزال يرجع اليه
ما يخرج منه وتاؤه مزيدة لغير التانيث كملكوت ورهبوت والمشهور ان يوقف على تائه من غير ان تقلب هاء ومنهم
من يقلبها ايا ما والمراد به صندوق التوراة وكان قد رفعه الله عز وجل بعد وفاة موسى عليه السلام سخطا على بني اسرائيل
لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت من السماء
والملائكة يحفظونه فاتاهم كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت وهذا قول ابن عباس رضه وقال ربا
الاخبار ان الله تعالى انزل على آدم تابوتا فيه تماثيل الانبياء عليهم السلام من اولاده وكان من عود الشمشاد نحوا
من ثلثة اذرع في ذراعين فكان عند آدم عليه السلام الى ان توفي فتوارثه اولاده واحدا بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب
ثم بقي في ايدي بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام وكان عليه السلام يضع فيه التوراة وكان اذا قاتل قدمه
فكانت تسكن اليه نفوس بني اسرائيل وكان عنده الى ان توفي ثم تداولته ايدي بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء
تحاكموا اليه فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت
الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يتقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استعينوا النصر فلما عصوا وفسدوا
سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت فسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط فلما اراد الله تعالى

ان بملك طالوت سلط الله عليهم البلاء حتى ان كل من بال عنده ابتلي بالبواسير وهلكت من بلادهم خمس مدائن فعلم
الكفار ان ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه وجعلوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران وقد وكل الله بهما اربعة
من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فلما سألوا منهم البينة على ملك طالوت قال لهم النبي عليه السلام ان آية ملكه
انكم تجدون التابوت في داره فلما وجدوه عنده ايقنوا بملكه فيه سكينة من ربكم اي في اتيانه سكون لكم وطمأنينة كائنة
من ربكم او في التابوت ما تسكنون اليه وهو التورية المودعة فيه بناء على ما روي من ان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن
اليه نفوس بني اسرائيل وقيل ان السكينة صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهر وذنبه وجناحان
فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا او سكنوا ونزل وعن علي رضي الله تعالى عنه كان لها
وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون هي رضاض الالواح وعصى موسى وثيابه
وشيء من التورية وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما
او انبياء بني اسرائيل تحمله الملائكة حال من التابوت اي ان آية ملكه اتيانه حال كونه محمولا للملائكة وقد مر كيفية ذلك
ولعل حمل الملائكة على الرواية الاخيرة عبارة عن سوقهم للثورين الحاملين له ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شأن التابوت
وهو من تمام كلام النبي عليه السلام لقومه او الى نقل القصة وحكايتها فهو ابتداء كلام من جهة الله تعالى جيء به قبل تمام القصة اظهارا
لكمال العناية به وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين على التقديرين بتأويل الفرق او غيره كما سلف لآية عظيمة لكم دالة
على ملك طالوت او على نبوة محمد عليه الصلوة والسلام حيث اخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر ان كنتم مؤمنين
اي مصدقين بتمليكه عليكم او بشيء من الآيات وان شرطية والجواب محذوف ثقة بما قبله وقيل هي بمعنى اذ فلما فصل طالوت
بالجنود اي انفصل بهم عن بيت المقدس واصل الفصل القطع ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المحل حتى نزل
منزلة القاصر كانفصل وقيل فصل فصولا وقد جوز كونه اصلا برأسه ممتازا من المتعدي بمصدره كوقف وقوفا ووقفه وقفا
وكصده صدودا او صده صدا ورجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلق بمحذوف وقع حالا من طالوت اي مصحوبا بهم مصاحبا
لهم روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي
الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكانت الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا
ان يجري الله لهم نهرا فبعد ما ظهر له ما تعلقت مشيئته تعالى من جهة النبي عليه السلام او بطريق الوحي عند من يقول بنبوته
قال ان الله مبتليكم بنهر بفتح الهاء وقرئ بسكونها فمن شرب منه اي ابتدأ بشربه من النهر بان كرع لانه
الشرب منه حقيقة فليس مني اي من جملتي واشياع المؤمنين وقيل ليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كأنه بعضه
لكمال اختلاطهما ومن لم يطعمه اي لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا كان او مشروبا او غيرهما قال وان شئت
حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا اي نوما فانه مني الا من اغترف غرفة بيده استثناء
من قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني وانما اخر من الجملة الثانية لابراز كمال العناية بها ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد
دون الكروع والغرفة ما يغرف وقرئ بفتح الغين على انها مصدر والباء متعلقة باغترف او بمحذوف وقع صفة لغرفة اي غرفة
كائنة بيده يروى ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته ودوابه واما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم
العطش فشربوا منه عطف على مقدر يقتضيه المقام اي فابتلوا به فشربوا منه الا قليلا منهم وهم المشار اليهم
فيما سلف بالاستثناء من التولي وقرئ الا قليل منهم ميلا الى جانب المعنى واعراضا عن عدوة اللفظ جانبا فان قوله تعالى
فشربوا منه في قوة ان يقال فلم يطيعوه فحق ان يراد المستثنى مرفوعا كما في قول الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان لم يدع

قيظ اي حر
اي شديد الحر يقال قاظ يومنا اي اشتد حره صح
كرع اي تناوله بفيه

من المال لا مستحث ومختلف فان قوله لم يدع في حكم لم يبق فلما جاوزه اى النهر هو اى طالوت والذين آمنوا معه عطف على الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف متعلق بجاوز لا بآمنوا وقيل الواو حالية والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول كانه قيل فلما جاوز والحال ان الذين آمنوا كائنون معه وهم اولئك القليل وفيه اشارة الى ان من عداهم بمعزل من الايمان قالوا اى بعض من معه من المؤمنين لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ان لحاربتهم فضلا عن ان يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة وقيل كانوا ثمانية آلاف مقاتل شاكي السلاح قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فما ذا قال مخاطبهم فقيل قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله قيل انما تخلص منهم الذين يتيقنون لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه وآفرادهم بذلك لوصف لايناف ايمان الباقين فان درجات المؤمنين في التيقن والتوقع متفاوتة او الذين يعلمون انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عائد على المؤمنين كافة والضمير في قالوا للبعض منهم كانهم قالوا اعتذارا عن التخلف والتحير بينهما كم من فئة اى فرقة وجماعة من الناس من فاءت راسه اذا شقفتها او من فاء اليه اذا رجع فوزنها على الاول فعة وعلى الثاني فلة قليلة غلبت فئة كثيرة وكم خبرية كانت او استفهامية مفيدة للتكثير وهي في حيز الرفع بالابتداء خبرها غلبت اى كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة باذن الله اى بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور على مشيته تعالى فلا بد من نصره وان قل عدده ولا يغره من خذله وان كثر اسبابه وعدده وقد روعي في الجواب نكتة بديعة حيث لم يقل اطاقت بفئة كثيرة حسبما وقع في كلام اصحابهم مبالغة في رد مقالتهم وتسكين قلوبهم وهذا كما ترى جواب ما شئ من كمال ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه ولا دخل في ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لا سيما بالاستشهاد فان العلم به يورث اليأس من الغلبة ولا التوقع ثوابه تعالى ولا ريب في ان ما ذكر في حيز الصلة ينبغي ان يكون مدارا للحكم الوارد على الموصول لا اقل من ان يكون وصفا ملائما له فلعل المراد بلقائه تعالى لقاء نصره في تاييد عبر عنه بذلك مبالغة كما عبر عن مقارنة نصره تعالى حيث قيل والله مع الصابرين فان المراد معيته نصره وتوفيقه حقا وحملها على المعية بالاثابة كما فعل بأباه انهم انما قالوا تتميما لجوابهم وتاييدا لاطريق الاعتراض التذييلي تشجيعا لاصحابهم وتثبيتا لهم على الصبر المؤدي الى الغلبة ولا تعلق له بما ذكر من المعية بالاثابة قطعا وكذا الحال اذا جعل ابتداء كلامهم من جهته تعالى جيء به تقريرا لكلامهم والمعنى قال الذين يظنون او يعلمون من جهة النبي او من جهة التابوت والسكينة انهم ملاقو الله العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله تعالى فنحن ايضا نغلب جالوت وجنوده وايرادُ خبر ان ماضيا مع ان اللقاء مستقبل للدلالة على تحققه ولما برزوا اى ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا الى براز من الارض في مواطن الحرب لجالوت وجنوده وشاهدوا ما هم عليه من العُدد والعَدد وايقنوا انهم غير مطيقين بهم عادة قالوا اى جميعا عند تقوى قلوب الفريق الاول منهم بقول الفريق الثاني منتظرين الى الله سبحانه مستعينين به ربنا افرغ علينا صبرا على مقاساة شدائد الحرب وافتحام موارده الصعبة المضيقة وفي التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال وايثار الافراغ المنبئ عن الكثرة وتنكير الصبر المفصح عن التفخيم من الجزالة مالا يخفى وثبت اقدامنا في مداحض القتال ومزال النزال وثبات القدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند المعارك وعدم التزلزل وقت المقاومة لا مجرد التقرير في حيز واحد وانصرنا على القوم الكافرين بقهرهم ومنعهم ووضع الكافرين في موضع الضمير العائد الى جالوت وجنوده للاشعار بعلة النصر عليهم ولقد راعوا في الدعاء ترتيبا بديعا حيث قدموا سؤال افراغ الصبر الذي هو بملاك الامر ثم سؤال تثبيت القوم المتوقف عليه ثم سؤال النصر الذي هو الغاية القصوى فهزموهم اى كسروهم بلا مكث باذن الله بنصره وتاييده اجابة لدعائهم وايثارُ هذه الطريقة على طريقة قوله عز وجل

فاتاهم الله ثواب الدنيا الخ للمحافظة على مضمون قولهم غلبت فئة كثيرة باذن الله تعالى وقتل داود جالوت
كان ايشا ابو داود في عسكر طالوت معه ستة من بنيه وكان داود عسم سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تعالى
الى نبيهم ان الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد عرف طريقه بثلثة احجار فقال له كل منها احملنا فانك ستقتل جالوت
فحملها في مخلاته قيل لما ابطأ على ابيه خبر اخوته في المصاف ارسل داود اليهم لنيابته بحضورهم فاتاهم وهم في التراع وقد برز
جالوت بنفسه الى البراز ولا يكاد يبارزه احد وكان ظلوما فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فخرجوه فنحا
ناحية اخرى ليس فيها اخوته وقد قرب طالوت وهو يحرض الناس على القتال فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الاقلف
قال طالوت انكحه بنتي واعطيه شطر مملكتي فبرز له داود فرماه بما معه من الاحجار بالقلاع فاصابه في صدره فنفذ الاحجار وقتلت
بعده ناسا كثيرا وقيل انما كلمة الاحجار عند بروزه لجالوت في المعركة فلم يجز له طالوت ما وعده وقيل انه سرعان ما خرجه
من مملكته ثم ندم على ما صنعه فذهب يطلبه الى ان قتل وملك داود عليه السلام واعطي النبوة وذلك قوله عز وجل واتاه الله
الملك اي ملك بني اسرائيل في مشارق الارض المقدسة ومغاربها والحكمة اي النبوة ولم تجتمع في بني اسرائيل الملك والنبوة
قبله الا له بل كان الملك في سبط آخر وما اجتمعا قبله على ملك قط وعلمه مما يشاء اي مما يشاء الله تعالى تعليمه اياه كالمنطق
داود عليه السلام كما قيل لان معظم ما علمه تعالى اياه مما لا يكاد يخطر ببال احد ولا يقع في امنية بشر ليتمكن من طلبه ومشيته
كالتسرد بالة الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك من الامور الخفية ولولا دفع الله الناس بعضهم الخ
يباشرون الشر والفساد ببعض منهم بردهم عما هم عليه بما قدر الله تعالى من القتل كما في القصة المحكية او غيره وفيه
دفاع الله على ان صيغة المبالغة للمبالغة لفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر
ما يعمر الارض ويصلحها وقيل لولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بغيهم وقتلهم المسلمين اولو لم يدفع بهم المسلمين
لعم الكفر ونزلت السخطة فاستوصل اهل الارض قاطبة ولكن الله ذو فضل عظيم لا يبادر قدرته على العالمين
كافة وهذا اشارة الى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض المقدم منتج النقيض التالي هكذا انه قد وضع موضع
ما يستتبعه ويستوجبه اعني كونه تعالى ذا فضل على العالمين ايذانا بانه تعالى متفضل في ذلك الدفع من غير ان يجب عليه ذلك
فان فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من افراد فضله العظيم كما قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا يفسد
الارض وينتظم به مصالح العالم وينصلح احوال الامم تلك اشارة الى ما سلف من حديث الالوف وخبر طالوت على التفصيل
المرقوم وما فيه من معنى البعد للايذان ببعلو شان المشار اليه آيات الله المنزلة من عنده تعالى والجملة مستانفة
وقوله تعالى نتلوها عليك اي بواسطة جبريل عليه السلام اما حال من الآيات والعامل معنى الاشارة واما جملة مستانفة
لا محل لها من الاعراب بالحق في حيز النصب على انه حال من مفعول نتلوها اي ملتبسة بالبيان الذي لا يزيغ عنه احد من اهل
الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما في كتبهم او من فاعله اي نتلوها عليك ملتبسين بالحق والصدق او من الضمير
المجرور اي ملتبسا بالحق والصدق وانك لمن المرسلين اي من جملة الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالاتها
واجراء اوامرنا واحكامنا عليهم فان هذه المعاملة لا تجري بيننا وبين غيرنا شهادة منه سبحانه برسالته صلى الله عليه وسلم
اثر بيان ما يستوجبها والتاكيد من مقتضيات مقام المجادلين بها تلك الرسل استئناف فيه رمز الى انه عليه السلام من افاضل
الرسل العظام عليهم الصلوة والسلام اثر بيان كونه من جملتهم فالاشارة الى الجماعة الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم
فاللام في المال للاستغراق وما فيه من معنى البعد للايذان ببعلو طبقتهم وبعد منزلتهم وقيل الذين ذكرت قصصهم في السورة
وقيل الى الذين ثبت علمه عليه السلام بهم فضلنا بعضهم على بعض في مراتب الكمال بان خصصنا صبيا بعتضيه مشيتنا

الجزء الثالث

بآثار طلبية خلا عنها غيره منهم من كلم الله تفصيل للمفضل المذكور اجمالا اى فضله بان كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى
حيث كلمه تعالى ليلة الحيرة في الطور وقرئ كلم الله بالنصب وقرئ كلم الله من المكالمة فانه كلم الله تعالى كما انه تع
كلمه وتؤيده كليم الله بمعنى مكالمه وايراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة والرمز الى ما بين التكليم والرفع
وبين ما سبق من مطلق التفصيل وما لحق من ايتاء البينات والتاييد بروح القدس من التفاوت ورفع بعضهم درجات
والمعنى من رفعه على غيره من الرسل المتفاوتين في معارج الفضل بدرجات خاصية وسمات ثابتة وتغيير الاسلوب لتربية
ما بينهم من اختلاف بحال في درجات الشرف والظاهر انه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما ينبئ عنه الاخبار بكونه م
منهم فان ذلك في قوة بعضهم فانه قد خص بالدعوة العامة والحجج الجمة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة
بتعاقب الدهور والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه وللاشعار بانه العلم الذي لا يغني عن التعيين
وقيل انه ابراهيم عليه السلام حيث خصه الله بكرامة الخلة وقيل ادريس عليه السلام حيث رفعه مكانا عليا وقيل اولوا العزم
من الرسل عليهم السلام وآتينا عيسى بن مريم البينات الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من احياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وايدناه اى قويناه بروح القدس بضم الدال وقرئ بسكونها اى الروح
المقدسة كقولك رجل صدق وهي روح عيسى واما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب والارحام
الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما قرء وافراده بما ذكر لرد ما بين اهل الكتابين في شانه عليه السلام
من التفريط والافراط او لانه ناطقة بان الانبياء عليهم السلام متفاوتة الاقدار فيجوز تفضيل بعضهم على بعض
ولكن بقاطع ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم اى جاؤا من بعد الرسل من الامم المختلفة اى لو شاء الله
عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بان جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق فمفعول المشية محذوف لكونه مضمون
الجزاء على القاعدة المعروفة وقيل تقديره ولو شاء هدى الناس جميعا ما اقتتل الخ وليس بذاك من بعد ما جاءتهم
من جهته اولئك الرسل البينات المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الدالة على حقيقة الحق الموجبة لاتباعهم
الزاجرة عن الاعراض عن سننهم المؤدي الى الاقتتال فمن متعلقة باقتتل ولكن اختلفوا استدراك من الشرطية
اشير به الى قضايين استثنائي مؤلف من وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها الا انه قد وضع فيه الاختلاف موضع
نقيض المقدم المرتب عليه للايذان بان الاقتتال ناشئ من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء كان قبل ولكن لم شاء عدم اقتتالهم
لانهم اختلفوا اختلافا فمنهم من امن اى بما جاءت به اولئك الرسل من البينات وعملوا به ومنهم من كفر
بذلك كفرا لا ارعواء له عنه فاقتضى الحكمة عدم مشيته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب قضاء احوالهم ولو شاء الله
عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبة البضاء الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال بحسب العادة ما اقتتلوا وما ينصر
منهم عرق التظاول والتغادي الى ان الكل تحت ملكوته تعالى فالتكرير ليس للتاكيد كما ظن بل للتنبيه على ان اختلافهم
ذلك ليس موجبا لعدم مشيته تعالى لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه في الاستدراك موضعه بل سبحانه يجتاز ذلك
حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما يفصح عنه الاستدراك بقوله عز وجل ولكن الله يفعل ما يريد اى
من الامور الوجودية والعدمية التي من جملتها عدم مشيته عدم اقتتالهم فان الترك ايضا من جملة الافعال التي يفعل
ما يريد حسبما يريد من غير ان يوجبه عليه موجب او يمنعه منه مانع وفيه دليل بين على ان الحوادث تابعة لمشيته سبحانه
خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا في سبيل الله مما رزقناكم اى شيئا مما رزقناكموه
على ان ما موصولة حذف عائدها والتعرض لحصوله منه تعالى للحث على الانفاق كما مر في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم

متخلفين فيه والمراد به الانفاق الواجب بدلالة ما بعده من الوعيد • من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة • كلمة من متعلقة بما تعلقت به اختها ولا ضير فيه لاختلاف معنييهما فان الاولى تبعيضية وهذه لابتداء الغاية اى انفقوا بعض ما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون فيه على تلافي ما فرطتم فيه اذ لا تبايع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه او تفدون به من العذاب ولا خلة حتى يحابى محكم به اخلاءكم او يعينوكم عليه ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تسألوا بشفعاء يشفعون بكم في ضبط ما فرط منكم وآثار رفعت الثلثة مع فصل التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة • وقرئ بفتح الكل • والكافرون • اى والتاركون للزكوة وآثارة عليه للتغليظ والتهديد كما في قوله تعالى ومن كفر ومن لم يحج للايذان بان ترك الزكوة من صفات الكفار قال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة • هم الظالمون • اى الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا المال في غير موضعه وصرف الى غير وجهه • الله لا اله الا هو • مبتدا وخبر اى هو المستحق للمعبودية لا غير وفي اضمار خبر لا مثل في الوجود او يصح ان يوجد خلاف للتحاة معروف • الحي • الباقي الذي لا يجوز عليه الموت والفناء وهو اما خبر ثان او خبر مبتدا محذوف او بدل من لا اله الا هو او بدل من الله او صفة له ويعضد الثالثة قراءة بالنصب على المدح لاختصاصه بالنعت • القيوم • فيعول من قام بالامر اذا حفظه اى دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم لغيره • لا تاخذه سنة ولا نوم • السنة ما يتقدم النوم من الفتور قال عدي بن الرقاع العاملي وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم • والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث يقف المشاعر الظاهرة عن الاحساس رأسا والمراد بيان انتفاء اقرب شيء منهما له سبحانه لعدم كونهما من شانه تعالى لانهما قاصران بالقوة الالهية فانه بمعزل من مقام التنزيه فلا سبيل الى حمل النظم الكريم على طريقة المبالغة والترقي بناء على ان القادر على دفع السنة قد لا يقدر على دفع النوم القوي كما في قولك فلان لا يغفل ولا ينام وانما ترتب النوم للمحافظة على ترتيب الوجود الخارجي وتوسط كلمة لا للتنصيص على شمول النفي لكل منهما كما في قوله عز وجل ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة الآية وانما التعبير عن عدم الاعتراء والعروض بعدم الاخذ فلمراعاة الواقع اذ عروض السنة والنوم لعروضهما انما يكون بطريق الاخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والتجلية تاكيد لما قبلها من كونه تعالى حيا قيوما فان ما يعتريه احدهما يكون مؤنا للحيوة قاطعا لمحافظ والتدبير وقيل استئناف مؤكد لما سبق وقيل حال مؤكدة من الضمير المستكن في القيوم • له • ما في السموات وما في الارض • تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما هو اعم من جزائهما الداخلة فيهما من الامور التي رجعة عنهما المتمكنة فيهما في العقلاء وغيرهم • من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه • بيان لكبرياء شانه وآنه لا يدانيه احد ليقدر على تغيير ما يريده شفاعة وضراعة فضلا من ان يدافعه عنادا او مخالفة • يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم • اى ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس مستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة او بالعكس او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض تغليب ما فيهما من العقلاء على غيرهم او لما دل عليه من ذا الذي من الملائكة والانبياء عليهم السلام • ولا يحيطون بشيء من علمه • اى من معلوماته • الا بما شاء • ان يعلمهم وعطفه على ما قبله ايما انهما جميعا دليل على تفرده تعالى بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته • وسع كرسيه السموات والارض • الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرس الذي هو الملبد وليس ثمة كرسي ولا قاعد ولا قعود وانما هو تمثيل لعظمة شانه عز وجل وسعة سلطانه واحاطة علمه بالاشياء قاطبة على طريقة قوله عز قائلا وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة

والسموات مطويات بيمينه وقيل كرسيه مجاز عن علمه اخذا من كرسي العالم وقيل من ملكه اخذا من كرسي الملك فان الكرسي
كلما كان اعظم يكون القاعد اكبر واوفر فعبر عن شمول علمه او عن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه واحاطته بالاقطار
العلوية والسفلية وقيل هو جسم بين يدي العرش محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والارضون السبع
مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك الثامن وعن
البصري انه العرش ولا يؤوده اي لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما اي حفظ السموات والارض وانما لم يتعرض لذكر ما فيها
لما ان حفظهما مستتبع لحفظه وهو العلي المتعالي بذاته عن الاشباه والانداد العظيم الذي يحقر بالنسبة اليه كل
ما سواه ولما ترى من انطواء هذه الآية الكريمة على اقهار المسائل الالهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الجلية
فانها ناطقة بانه تعالى موجود متفرد بالالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره لما ان القيوم هو القائم بذاته المقيم
لغيره منزه عن التحيز والحلول متعال عن التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الاشياء ولا يعتريه ما يعتري النفوس والارواح
مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد لا يشفع عنده الا من اذن له فيه العالم وحده بجميع الاشياء
جليتها وخفيتها كليتها وجزئيتها واسع الملك والقدرة لكل ممن شاء انه يملك ويقدر عليه لا يشق عليه شاق ولا يشغله شان
متعال عما ينال الاوهام عظيم لا يحدق به الافهام تفردت بفضائل رائقة وخواص فائقة ظلت عنها اخواتها قال عليه السلام
ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله تعالى ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة
وقال عليه السلام ما قرئت هذه الآية في دار الا انتجعتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يطلبن
غلتها ولدك واهلك وجيرانك فما نزل آية اعظم منها وقال عليه السلام من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه
من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه امنه الله تعالى على نفسه وجاره
وجار جاره والابيات حوله وقال عليه الصلوة والسلام سيد البشر آدم عليه السلام وسيد العرب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولا فخر
وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام
القرآن وسيد القرآن سورة البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وتخصيص سيادته عليه السلام للعرب بالذكر في اثناء
تعداد السادات الخاصة لا يدل على نفي ما دلت عليه الاخبار المستفيضة وانعقد عليه الاجماع من سيادته عليه لجميع افراد البشر
لا اكراه في الدين جملة مستانفة جيء بها اثر بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشئون الجليلة الموجبة للايمان به وحده اذ انما
يأبى من حق العاقل ان لا يحتاج التكليف والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد ولعتيم وقيل هو خبر بمعنى النهي
اي لا تكرهوا في الدين فقيل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل خاص باهل الكتاب حيث قبلت
انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان قد تنصرا قبل مبعثه عليه السلام ثم قدما المدينة
فاسلما ابو هما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت فخليا سبيلهما
قد تبين الرشد من الغي استئناف تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله عز وجل قد بلغت من لدني
عذرا او قد تبين بما ذكر من نعوته تعالى التي يمتنع تعلق توهم اشتراك غيره في شيء منها الايمان الذي هو الرشد الموصل الى السعادة
الابدية من الكفر الذي هو الغي المؤدي الى الشقاوة السرمدية فمن يكفر بالطاغوت هو بناء مبالغة من الطغيان
كالملكوت والجبروت قلب مكان عينه ولامه فعلوت هو في الاصل مصدر والية ذهب الفاء دية وقيل اسم جنس مفرد مذكر وانما الجمع
والتانيث لارادة الالهة وهو راي سيبويه وقيل هو جمع وهو مذهب المبرد وقيل يستوي فيه الافراد والجمع والتذكير والتانيث
اي فمن يعمل اذا تميز الحق من الباطل بموجب الحجج الواضحة والآيات البينة ويكفر بالشيطان او بالاصنام او بكل ما عبد

من دون الله تعالى أو صدّ عن عبادته تعالى لما بيّن لكونه بمعزل من استحقاق العبادة ويؤمن بالله وحده لما شاهد من نعوته الجليلة المقتضية لاختصاص الالوهية به عز وجل الموجبة للايمان والتوحيد وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى للتوقف عليه فان التخلية متقدمة على التحلية فقد استمسك بالعروة الوثقى اى بالغ في التمسك بها كأنه وهو ملتبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه لا انفصام لها الفصم الكسر بغير ابانة كما ان القصم هو الكسر بابانة ونفي الاول يدل على انتفاء الثاني بالاولوية والجملة اما استئناف مقرر لما قبلها من وثاقة العروة واما حال من العروة والعامل استمسك او من الضمير المستتر في الوثقى ولها في حيز الجزاء كائن لها والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يجامل التغيض لشبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه فلا استعارة في المفردات ويجوز ان يكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان والتوحيد لا للنظر الصحيح المؤدي اليه كما قيل فانه غير مذكور في حيز الشرط والاستمساك بها مستعار لما ذكر فهي ملازمة او ترشيح للاستعارة الاولى والله سميع بالاقوال عليم بالعزائم والعقائد والجملة اعتراض تذييلي حامل للايمان رادع من الكفر والنفاق حامله من الوعيد الله ولي الذين آمنوا اى معينهم ومتولي امورهم والمراد بهم الذين ثبت في علمه تعالى ايمانهم في الجملة ماضيا او حالا يخرجهم تفسير للولاية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة او حال من الضمير في ولي من الظلمات التي هي اعم من ظلمات الكفر والمعاصي وظلمات الشبه بل تمامي في بعض مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس الى مراتبها العلوية الجلية بل تمامي في جميع مراتبها بالقياس الى مرتبة العيان كما ستوقف الى النور الذي يعم نور الايمان ونور الاتيان بمراتبه ونور العيان اى يخرج برهايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التي وقع فيها الى ما يقابلها من النور وافراد النور لوحدة الحق كما ان جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال والذين كفروا اى الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم اولياؤهم الطاغوت اى الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق فالموصول مبتدأ تمام والطاغوت خبره والجملة خبر للاول والجملة الحاصلة معطوفة على ما قبلها والعدل لتغيير السبك للاخبار عن وضع الطاغوت في مقابلة الاسم الجليل ولقصد المبالغة بتكرير الاسناد مع الايماء الى تباين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التغيير ايضا يخرجونهم بالوساوس وغيرها من طرق الاضلال والاغواء من النور الفطري الذي جبل عليه الناس كافة او من نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بتنزيل تمكنهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها الى الظلمات ظلمات الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام والجملة تفسير للولاية الطاغوت او خبر ثان كفروا استئناف للاخبار من حيث السببية الى الطاغوت لا يقدح في استناده من حيث الخلق الى قدرته سبحانه اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما تبعه من القبائح اصحاب النار اى ملابسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم هم فيها خالدون ماكثون ابدا الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه استشهاد على ما ذكر من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتنزيله على طريقة قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون كما ان بعده استشهاد على ولاية تعالى للمؤمنين وتنزيلها وانما بدئ بهذه الرعاية للاقتران بينه وبين مدلوله ولامتثاله بامر عجيب حقيق بان يصدر به المقال وهو اجتراؤه على المحاجة في الله عز وجل وما اتى به في اثنائها من العظيمة المنادية بكمال حماقته ولان فيما بعد تعدادا وتفصيلا يورث تقديمه انتشار النظم على انه قد اشير في تضاعيفه الى هدايته الله ايضا بواسطة ابراهيم عليه السلام فانما يحكى عنه من الدعوة الى الحق وارخاص حجته الكافرة من آثار ولايته تعالى وهمزة الاستفهام

كلمة لا اله الا الله

فعالة بالكسر تستعمل في الحسي كالعلاقة وفعالة بالفتح تستعمل في المعنوي كالعلاقة

رد للناصح البيضاوي رحمه الله

لانكار النفي وتقرير المنفي أي ألم تنظر وألم ينته علمك الى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لاضلال الناس واخراجهم
من النور الى الظلمات أي قد تحققت الرؤية وتقررت على أن امره من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد ممن له
حظ من الخطاب فظهر ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
تشريف له وايذان بتأييده في المحاجة ان آتاه الله الملك اي لأن آتاه اياه حيث ابطره ذلك وحمله على المحاجة
او حاجه لاجله وضعا للمحاجة التي هي اقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاديتني لأن احسنت اليك
او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر اذ قال ابرهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه
على الوجه الاخير ربي الذي يحيي ويميت بفتح ياء ربي وقرئ بحذفها روي انه عليه السلام لما كسر الاصنام سجنه ثم اخرجه
فقال من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت أي يخلق الحيوة والموت في الاجساد قال استئناف مبني
على السؤال كأنه قيل كيف حاجه في هذه المقالة الحقة فقيل قال انا احيي واميت روي انه دعا برجلين
فقتل احدهما واطلق الآخر فقال ذلك قال ابرهيم استئناف كما سلف كأنه قيل فماذا قال ابرهيم لمن في هذه
المرتبة من الحماقة وبماذا افحمه فقيل قال فان الله يأتي بالشمس من المشرق حسبما تقتضيه مشيئته فأت بها من المغرب
ان كنت قادرا على مثل مقدوراته تعالى لم يلتفت عليه السلام الى ابطال مقالة اللعين ايذانا بان بطلانها من الجلاء والظهور
بحيث لا يكاد يخفى على احد وان التصدي لابطالها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل وأتى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالا
للتمويه والتلبيس فبهت الذي كفر اي صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على ان الموصول مفعوله اي غلب ابرهيم
الكافر واسكته وايراد الكفر في حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاجة كفرا والله لا يهدي
القوم الظالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي لا يهدي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم
عن قبول الهداية الى مناهج الاستدلال او الى سبيل النجاة او الى طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية
استشهاد على ما ذكر من ولاية الله تعالى وتقرير له معطوف على الموصول السابق وايثار او العاطفة على الواو الجامعة
للاحتراز عن توهم اتحاد المستشهد عليه من اول الامر والكاف اما اسمية كما اختاره قوم جيء بها للتنبيه على تعدد الشواهد
وعدم انحصارها فيما ذكر كما في قولك الفعل الماضي مثل نصر واما زائدة كما ارتضاه آخرون والمعنى او لم تر الى مثل الذي
او الى الذي مر على قرية كيف هداه الله تعالى واخرجه من ظلمات الاشتباه الى نور العيان والشهود أفرأيت ذلك
وشاهدته فانه لا ريب في ان الله ولي الذين آمنوا الخ هذا واما جعل الهمزة لمجرد التعجب على ان يكون المعنى في الاول
ألم تنظر الى الذي حاج الخ اي انظر اليه وتعجب من امره وفي الثاني أرأيت مثل الذي مر الخ ريدا بأن حاله وما جرى
عليه في الغرابة بحيث لا يرى له مثل كما استقر عليه رأي الجمهور فغير خليق بجزالة التنزيل وفخامة شأنه الجليل فتدبر
والمار هو عزير بن شرخيا قاله قتادة والربيع وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة والضحاك والسدي
وقيل أرميا بن حلقيا من سبط هرون عليه السلام وقال وهب وعبيد الله بن عمير وقيل ارميا هو الخضر بعينه وقال
مجاهد كان المار رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد والقرية بيت المقدس قال وهب وعكرمة والربيع وقيل هي دير هرقل
على شط دجلة وقال الكلبي هي دير سابر اباد وقال السدي هي دير سلماباد والاول هو الاظهر والاشهر روي
ان بني اسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد والعناد وجاوزوا في العتو والطغيان كل حد معتاد وسلط الله عليهم بختنصر
البابلي فسار اليهم في ستمائة الف راية حتى وطئ الشام وخرب بيت المقدس وجعل بني اسرائيل اثلاثا ثلث منهم
سباهم وكانوا مائة الف غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل ملك منهم اربعة غلمة

فيه رد للقاضي البيضاوي

شط جانب نهر وجانب وادي اخترى

يافع اي معتدلا قارب بلوغه توانيا اوله اخترى

وكان عزير من جملتهم فلما نجاه الله تعالى منهم بعد حين قرجاره على بيت المقدس فرآه على اقطع مرأى واوحش منظر وذلك قوله عز وجل وهي خاوية على عروشها اى ساقطة على سقوفها بان سقطت السوش ثم سقطت الحيطان عليها البيت اذا سقط او من خوت الارض اى تهدمت والجملة حال من ضمير مرّ او من قرية عند من يجوز الحال من النكرة مطلقا قال اى تلهفا عليها وتشوقا الى عمارتها مع استشعار اليأس عنها انى يحيي هذه الله وهي على ما يدى من الحالة العجيبة المباينة للحيوة وتقديمها على العامل للابتناء بها من حيث ان الاستبعاد ناشئ من جهتها لا من جهة الفاعل وايّ نصب على الظرفية ان كانت بمعنى متى وعلى الحالية من هذه ان كانت بمعنى كيف والعامل يحيي وايا ما كان فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء والسكان من بقايا اهلها الذين تفرقوا ايدي سبا ومن غيرهم وانما عبر عنها بالاحياء الذي هو علم في البعد عن الوقوع عادة تهويلا للخطب وتاكيدا للاستبعاد كما انه لاجله عبر عن خرابها بالموت حيث قيل بعد موتها وحيث كان التعبير عن استبعاد الاحياء بعد الموت على البلغ وجه واكد اراه الله عز وجل اثر ذي اثر البعد الماثرين في نفسه ثم في غيره ثم اراه ما استبعده صريحا مبالغة في ازاحة ما عسى يختلج في خلده واما حمل احيائها على احياء اهلها فنيا باه التعرض لحال القرية دون حالهم والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم تراثا دعظاما مع كونه ادخل في الاستبعاد لشدة مباينة للحيوة وغايته بعده عن قبولها على انه لم يتعلق ارادته تعالى باحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينة الماثر لها كما ستحيط به خبرا فاماته الله والبثه على الموت مائة عام روي انه لما دخل القرية ربط حماره فطاف بها ولم ير بها احدا فقال وكانت اشجارا قد اثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصير ونام فاماته الله تعالى في منامه وهو شاب واما حماره وبقية تينه او عنبه وعصير عنده ثم اعمى الله تعالى عنه عيون المخلوقات فلم يره احد فلما مضى من موته سبعون سنة وجّه الله عز وعلا ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له بوشك الى بيت المقدس لعمره وعمالف فرمان ثلثمائة الف عامل فجعلوا يعمرونه واهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجّى الله من بقي من بني اسرائيل وردهم الى بيت المقدس وتراجع اليه من تزوق منهم في الاكناف فعمروه ثلثين سنة وكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا عليه فلما تمت المائة من موت عزير احياه الله تعالى وذلك قوله تعالى ثم بعثه واثباره على احياء للدلالة على سرعة ذلك بهولة ثانية على الباري تعالى كانه بعثه من النوم وللايذان بانه اعاده كهيئته يوم موته عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال له بعد بعثه فقيل قال كم لبثت لنظهر له عجزه عن الاحاطة بشؤنه وان احياءه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم انه يتين في جملة بل بعد مدة طويلة ويتحسم به مادة استبعاده بالمرة ويطلع في تضاعيفه على امر آخر من بدائع آثار قدرته تعالى وهو ابقاء الاغذية المتنوعة الى الف دما يطبع على ما كان عليه دهرا طويلا من غير تغير ما وكم نصب على الظرفية متميزا محذوف اى كم وقتا لبثت والقائل هو الله تعالى او ملك مامور بذلك من قبله تعالى قبل نودي من السماء يا عزير كم لبثت بعد الموت قال لبثت يوما او بعض يوم قال ذلك بناء على التقريب والتخمين او استقصارا لمدة لبثه واما ما نال من انه مات ضحى ثم بعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما فالتفت اليها فلما رآى منها بقية قال او بعض يوم على وجه الاضراب فمعول على التحقيق اذ لا وجه للجزم بتمام اليوم ولو بناء على حسبان الغروب لتحقق النقصان من اوله قال استئناف كما سلف بل لبثت مائة عام عطف على مقدر اى ما لبثت ذلك القدر بل هذا المقدار فانظر لتعاين امرا آخر من دلائل قدرتنا الى طعامك وشرابك لم يتسنه اى لم يتغير في هذه المدة المتطاولة مع تداعيه الى الفساد وروي انه وجد تينه او عنبه كما جنى وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال بغير واو كقوله تعالى لم يمسسهم سوء اما من الطعام والشراب

العرش سقف البيت

اثر ذي اثر اى اثر ماثر

فيه رد للمعتزلة

ما قال

تعالى

وافراد الضمير لجريانها مجرى الواحد كالفذاذ وأما من الاخير اكتفاء بدلالة حاله على حال الاول وتوبيخ قراءة من قرأ
وهذا شراب لم يتسن والهاء اصلية او تاء تسكت واشتقاقه من السنة لان لامها هاء او واو وقيل اصله يتسن
من الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة كما في تقضض البازي وقد جوز ان يكون معنى لم يتسنه لم يمر عليه السنون التي
مرت لا حقيقة بل تشبيها او هو على حاله كأنه لم يليث مائة عام وقرئ لم يسنه بادغام النون في السين وانظر الى حمارك
كيف نخرت عظامه وتفرقت وتقطعت اوصاله وتمزقت ليتبين لك ما ذكر من لبثك المديد وتظهر به نفسك وقوله
عز وجل ولنجعلك آية للناس عطف على مقدر متعلق بفعل مقدر قبله بطريق الاستئناف مقرر لمضمون ما سبق
اي فعلنا ما فعلنا من احيائك بعد ما ذكر لتعاين ما استبعدته من الاحياء بعد دهر طويل ولنجعلك آية للناس الموجودين
في هذا القرن بان يشاهدوك وانت من اهل القرون الخالية ويأخذوا منك ما طوى عنه منذ احقاب من علم التوراة
كما سيأتي او متعلق بفعل مقدر بعده اي ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا فهو على التقديرين دليل على ما ذكر
من اللبث المديد ولذلك قرن بينه وبين الامر بالنظر الى حماره وكرر الامر قوله تعالى وانظر الى العظام مع ان المراد
عظام حماره ايضا كما ان المأمور به اولا هو النظر اليها من حيث دلالتها على ما ذكر من اللبث المديد وثانيا هو النظر اليها من حيث
تغيرها الحسي ومبادي اي وانظر الى عظام حمارك شاهد كيفية الاحياء في غيرك بعد ما شاهدت نفسك كيف
ننشزها بالزاء المعجمة اي نرفع بعضها الى بعض ونردها الى ما كانت فتركبها لابسة اياها وقال الكسائي ننشرها ونعظمها وتعل
من فسره بمجرد ما اراد بالاحياء هذا المعنى وكذا من قرأ ننشرها بالراء من انشر الله تعالى الموتى اي احياها لا معنى ما ادعاه
الحقيق لقوله تعالى ثم نكسوها لحما اي نسترها به كما يستر الجسد باللباس وأما من قرأ ننشزها بفتح النون وضم الشين
فلعله اراد به ضد البطء كما قال القراء فالمعنى كيف ينشطها فالجملة اما حال من العظام اي وانظر اليها مركبة مكسوة لحما
او بدل اشتمال اي وانظر الى العظام كيفية انشازها وبسط اللحم عليها ولعل علم النوع لكيفية نفخ الروح لانها
مما لا تقتضي الحكمة بيانه روي انه نودي ايتها العظام البالية ان الله تعالى يأمرك ان تجتمعي فاجتمع كل جزء منها اجزائها
التي ذهبت بها الطير والسباع وطارت بها الرياح من كل سهل وجبل فانضم بعضها الى بعض والتصق كل عضو
بما يليق به الضلع بالضلع والذراع بمثلها والرأس بموضعها ثم العروق والاعصاب ثم انبط عليه اللحم ثم الجلد
ثم نبت منه الشعور ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فلما تبين له اي ما دل عليه الامر بالنظر اليه من كيفية
الاحياء بما بدا به والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الامر المذكور وانما حذف للايذان بظهور تحققه واستغنائه
عن الذكر وللاشعار بسرعة وقوعه كما في قوله عز وعلا فلما آتاه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك كأنه قيل فانشزها الله تعالى وكساها لحما فنظر اليها فتبين له كيفية ذلك اي اتضح اتضاحا
تاما قال اعلم ان الله على كل شيء من الاشياء التي من جملتها ما شاهده في نفسه في غيره من تعاجيب الآثار
قدير لا يستعصي عليه شيء من الامور وانما صيغة المضارع للدلالة على ان علمه بذلك مستمر نظرا الى ان اصله
لم يتغير ولم يتبدل بل انما يتبدل بالعيان وصفه وقد اشعر بانه انما قال ما قال بناء على ان الاستبعاد والاعتداد
واستعظام الامر وقد قيل فاعل تبين مضمر يفسره مفعول اعلم اي فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال
اعلم ان الله على كل شيء قدير وقرئ تبين له على صيغة المجهول وقرئ قال اعلم على صيغة الامر
روي انه ركب حماره وأتى محلته وانكر الناس وانكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله فاذا هو
بجوز عميا زمقعدة قد ادركت زمن عزير فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم وابن ذكرى عزير

قد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاءً شديدًا قال فاتى عزيرًا قالت سبحان الله انى يكون ذلك قال قد امات الله مائة
عام ثم بعثه قالت ان عزيرًا كان رجلًا مستجاب الدعوة فادع الله لعله يرد الى بصرى حتى اراك فدعا ربه ومسح
عينيها فصحتا فاخذ بيدها فقال لها قومى باذن الله تعالى فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال فنظرت اليه فقال اشهد
انك عزير فانطلقت الى محلة بنى اسرائيل وهم اخلاط وكان فى المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثمانية عشرة سنة
وبنو بنيه شيوخ فسادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انظروا فانى بدعائه رجعت الى هذه الحالة فنهض الناس
فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابى شامة سوداء بين كتفيه مثل نكتة فكشف فاذا هو كذلك قد كان قتل بخت نصر بيت المقدس
من قراءة التوراة اربعين الف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التورية ولا احد يوفق قراءتها على ظهر قلبه من غير
ان يخرم منها حرفا فقال رجل من اولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثنى عن ابى عن جدى
انه دفن التورية يوم سبينا فى خابية فى كرم فان رأيتموه فى كرم جدى اخبرتها لكم فذهبوا الى الكرم فحفروا
فوجدوها فاخذوها فاملى عليهم عزير عن ظهر القلب فما اختلفا فى حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى الله تعالى
عن ذلك علوا كبيرا • واذ قال ابرهيم • دليل آخر على ولايته تعالى للمؤمنين واخراجهم من الظلمات الى النور وانما سلك
مسلك الاستشهاد كما قبله بان تعال اذكر الذى قال ارب الاخره الجر بان ذكره عليه السلام فى اثناء المحاجة ولانه لا دخل لنفسه
عليه السلام فى اصل الدليل كذا عزير عليه السلام فان ما جرى عليه من احيائه بعد مائة عام من جملة الشواهد على قدرته تعالى
وهدايته والظرف منتصب بمضمر حتم مثله فى نحو قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من واذكر وقت قوله عليه السلام
وما وقع من تعاجيب صنع الله عز وجل لتقف على ما قرن ولايته تعالى وهدايته وتوجيه الامر بالذكر فى مثل هذه المواقع
الى الوقت دون ما وقع فيه من الواقعات مع انها المقصود بالتذكير لما ذكر غير مرة من المبالغة فى ايجاب ذكر ما لان ايجاب
ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهانى ولان الوقت مشتمل عليها مفصلة فاذا استحضرت كانت حاضرة
بتفاصيلها بحيث لا يشذ عنها شئ مما ذكر عند الحكاية اولم بذكر كأنها ماثلة عيانا • رب • كلمة استعطاف قدمت
بين يدى الدعاء مبالغة فى استدعاء الاجابة • ارنى • من الرؤية البصرية المتعدية الى واحد وتدخول همزة النقل
طلبت مفعولا آخر هو الجملة الاستفهامية المعلقة لها فانها تعلق كما يعلق النظر البصرى اى اجعلنى مبصرا كيف
تحيى الموتى • بان تجيبها وانا انظر اليه وكيف فى محل النصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش والعامل
فيها تحيى اى فى اى حال او على اى حال تحيى قال الرطبى الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حال شئ متقرر الوجود
عند السائل والمسئول فالاستفهام ههنا عن هيئة الاحياء المتقرر عند السائل اى بصرنى كيفية احيائك للموتى
وانما سأله عليه السلام ليتايد اتيانه بالعيان • ويزداد قلبه اطمئنانا على الاطمئنان • واما ما قيل من ان نمروذ لما قال
انا احيى وأميت قال ابراهيم عليه السلام ان احياء الله تعالى بردّ الارواح الى الاجساد فقال نمروذ هل عاينته فلم يقدر
على ان يقول نعم فانتقل الى تقرير آخر ثم شاء ربه ذلك فجاباه تعليل السؤال بالاطمئنان • قال • استئناف كما قرر
غير مرة • اولم تؤمن • عطف على مقدر اى الم تعلم ولم تؤمن بانى قادر على الاحياء كيف اشاء وحتى شئت لانى
اراده قال عز وعلا وهو اعلم بانه عليه السلام اشد ايمانا واقواهم يقينا ليجيب بما اجاب به فيكون ذلك
لطفا للسامعين • قال بلى • علمت وآمنت بانك قادر على الاحياء على اى كيفية شئت • ولكن • سألت ما سألت
ليطمئن قلبى • بضامة العيان • الى الايمان والايقان • وازداد بصيرة • بما شاهدت على كيفية معينة • قال فخذ •
الفاء لجواب شرط محذوف اى ان اردت ذلك فخذ • اربعة من الطير • قيل هو اسم لجمع طائر كركب وسفر وقيل

جمع له كناجد وبجر وفيل هو مصدر سمي به الجنس وفيل هو تخفيف طير بمعنى طائر كهين فى هين ومن متعلقة بخذ او بمحذوف
وقع صفة لاربعة اى اربعة كائنة من الطير فيل هو طاوس ودبك وغراب وحمامة وفيل نسر بدل الاخير وتخصيص الطير
بذلك لانه اقرب الى الانسان ولجمع خواص الحيوان ولسهولة تاتى ما يفعل به من التجزئة والتفريق فخذهن اليك اصغ
وكسرها وتشديد الراء من صره يصره وبصره اذا جمعه وقرئ فصرهن من التصرية بمعنى الجمع اى جمعهن اليك ثم اذبحهن
وتفرق شتاتها متصلة حتى تعلم بعد الاحياء ان جزءا من اجزائها لم ينتقل من موضعه الاول اصلا روى انه امر ان يذبحها
وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها رؤسها ثم امر ان يجعل اجزاؤها على الجبال ثم ادعهن
على كل جبل منهن جزءا اى جزء من اجزاء هن على ما يجذب من الجبال فيل كانت اربعة اجبل وفيل سبعة فجعل على كل
جبل ربعا او سبعا من كل طائر وقرئ جزءا بضمتين وجزءا بالتشديد بطرح همزته تخفيفا ثم تدبهن عند الوقف ثم
اجراء الوصل مجرى الوقف ثم ادعهن يا تينك فى حيز الجزم على انه جواب الامر ولكنه بنى لاتصاله بنون جعل المؤنث
سعيا اى ساعيات مسرعات او ذوات سعى طيرانا او مشيا وانما اقتصر على حكاية اوامره عز وجل من غير تعرض
لامتثاله عليه السلام ولما ترتب عليه من عجائب آثار قدرته تعالى كما روى انه عليه السلام ناداهن فقال تعالين باذن الله
فجعل كل جزء منهن يطير الى صاحبه حتى صارت جثثا ثم اقبلن الى رؤسهن فانضمت كل جثة الى رأسها فعاد كل
واحدة منهن الى ما كانت عليه من الهيئة لا يدان يا تى ترتب تلك الامور على الاوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها
من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة له الى الذكر اصلا وناهيك بالقصة دليلا على فضل الخليل وعين الفراسة فى الدعاء
وحسن الادب فى السؤال حيث اراه الله تعالى مسالة فى الحال على ابسر ما يكون من الوجوه وارى عز برهانه بعد ما اراه
مائة عام عليه السلام واعلم ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه شىء عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة فى افعاله
فليس بناء افعاله على الاسباب العادية يعجزه عن ايجادها بطريق آخر خارق للعادات بل لكونه مقتضيا للحكم والمصالح
مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله اى فى وجوه الخيرات من الواجب والنفل كمثل حبة لابد
من تقدير مضاف فى احد الجانبين اى مثل نفقتهم كمثل باذر حبة انبتت سبع سنابل اى اخرجت ساقا
تشعب منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة فى كل سنبلة مائة حبة كما يشاهد ذلك فى الذرة والدخرة
فى الاراضى المعدة بل اكثر من ذلك واسناد الانبات الى الحبة مجازى كاسناده الى الارض والربيع وهذا التمثيل
تصوير للاضعاف كانها حاضرة بين يدى الناظر والله يضاعف تلك المضاعفة او فوقها الى ما شاء الله تعالى لمن يشاء
ان يضاعفه له بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتبعه ولذلك تفاوت مراتب الاعمال فى مقادير الثواب والله
واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق ومقدار انفاقه وكيفية تحصيل ما انفقه الذين
ينفقون اموالهم فى سبيل الله جملة مبتدأة جئ بها لبيان كيفية الانفاق الذى باين فضله بالتمثيل المذكور ثم
لا يتبعون ما انفقوا اى ما انفقوه او انفاقهم منا ولا اذى المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه
ويريه انه وجب بذلك عليه حقا والاذى ان يتطاول عليه بسبب انعامه عليه وانما قدم المن لكثرة وقوعه وتوسط
كلمة لا للدلالة على شمول النفى لاتباع كل واحدة منهما وثم لاظهار رتبة المعطوف وفيل نزلت فى عثمان رضى الله عنه
حين جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه اتى النبى عليه السلام باربعة
آلاف درهم صدقة ولم يكد يخطر ببالها شىء من المن والاذى لهم اجرهم اى جزاؤهم الموعود لهم فى ضمن التمثيل وهو جملة
من مبتدا وخبر وقعت خبرا من الموصول وفى تكرير الاسناد وتقييد الاجر بقوله عند ربهم من التاكيد والتشريف ما لا يخفى

وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان بان ترتب الاجر على ما ذكر من الانفاق وترك اتباع المن والاذى
امر بين لا يحتاج الى التصريح بالسببية واما ايهام انهم لذلك اهل وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا فيفيد مبالغة في الترغيب
في الفعل والحث عليه ولا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه من المكاره ولا هم يحزنون لفوات مطلوب من المطالب قليل
او جل اي لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور وكيف لا والاستشعار للخوف والخشية استعظاما
لجلال الله تعالى وهيبته واستقصار الجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خواص الخواص من المؤمنين والمراد بيان انتفائهما لا انتفاء
دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما ان النفي وان دخل على مضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام قول معروف
اي كلام جميل تلقيه القلوب لا تنكره يرد به السائل من غير اعطاء شيء ومغفرة اي ستر لما وقع من السائل من الالحاف في المسئلة
وغيره مما يثقل على المسئول وصفح عنه وانما صح الابتداء بالنكرة في الاول لاختصاصها بالوصف وفي الثاني بالعطف او بالصفة او بالصفة
المقدرة اي ومغفرة كائنة من المسئول خير اي للسائل من صدقة يتبعها اذى لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها وخلوص الاولين عن الضرر
والجملة مستأنفة مقررة لاعتبار ترك اتباع المن والاذى وتقديم المغفرة بنيل مغفرة من الله تعالى بسبب الرد الجميل او بعفو السائل بناء
على اعتبار الخيرية بالنسبة الى المسئول وبنى الا ان يكون في الصدقة الموصوفة بالنسبة اليه خير في الجملة بالمرة والله غني لا يحوج
الى الفقراء الى مؤنة المن والاذى ويرزقهم من جهة اخرى حليم لا يعاجل اصحاب المن والاذى بالعقوبة لا انهم لا يستحقونها
بسببهما والجملة تذييل لما قبلها مشتمل على الوعد والوعيد مقرر لاعتبار الخيرية بالنسبة الى السائل قطعا يا ايها الذين آمنوا
اقبل عليهم بالخطاب اثر بيان ما بيني بطريق الغيبة مبالغة في ايجاب العمل بموجب النهي لمصدر محذوف اي لا تبطلوها ابطالا كابطال الذي
ينفق ماله رئاء الناس واما على انه حال من فاعل لا تبطلوا اي لا تبطلوها مشابهين الذي ينفق اي الذي يبطل انفاقه بالرئاء
وقيل من ضمير المصدر المقدر على ما هو رأي سيبويه وانتصاب رئاء اما على انه علة لينفق اي لاجل رئائهم او على انه حال من فاعله
اي ينفق ماله مرائيا والمراد به المنافق لقوله تعالى ولا يؤمن بالله واليوم الآخر حتى يرجو ثوابا او يخشى عقابا فمثله الفاء للربط
ما بعدها بما قبلها اي فمثل المرائي في الانفاق وحالته العجيبة كمثل صفوان اي حجر املس عليه تراب اي شيء يسير منه
فاصابه وابل اي مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس ليس عليه شيء من الغبار اصلا لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون
بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا والجملة استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا يكون
حالهم حينئذ فقيل لا يقدرون الخ ومن ضرورة كون مثلهم كما ذكر كون مثل من يشبههم وهم اصحاب المن والاذى كذلك والضمير الاخير
للموصول باعتبار المعنى كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا لما ان المراد به الجنس او الجمع او الفريق كما ان الضمائر الاربعة السابقة له باعتبار
اللفظ والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله وفيه تعريض بان كلا من الرئاء والمن والاذى
من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين ان يجتنبوها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اي لطلب رضاه وتثبيتا
من انفسهم اي وليثبتوا بعض انفسهم على الايمان فمن تبعيضية كما في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه فان المال شقيق الروح فمن بذل
ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها او وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم فمن ابتدائية
كما في قوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من عند انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس
عن البخل وحب المال الذي هو رأس كل خطيئة كمثل جنة بربوة الربوة بالحركات الثلث قطعة مرتفعة من الارض اي مثل نفقتهم في الزكاة
كمثل بستان كائن بمكان مرتفع مأمون من ان يصطلمه البرد للطافة هوائه بهبوب الرياح الملطفة له فان اشجار الربى تكون احسن منظرا
وازكى ثمرا واما الاراضي المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة هوائها بركود الرياح وقرئ كمثل حبة اصابها وابل مطر عظيم القطر
فآتت اكلها ثمرتها وقرئ بسكون الكاف تخفيفا ضعفين اي مثلي ما كانت تثمر في سائر الاوقات بسبب ما اصابها من الوابل والالف

لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اي لا تحبطوا اجرها
بواحد منهما كالذي في محل النصب على انه نعت

بالضعف المثل وقيل اربعة امثال ونصب على الحال من الكاف اى مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اى فطل يكفيها لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها فقيل فيصيبها طل هو المطر الصغير القطرة وقيل فالذى يصيبها طل والمعنى ان نفقات هؤلاء زكية عند الله تعالى لا يضيع بحال وان كانت متفاوتة باعتبار ما بقدرها من الاحوال ويجوز ان يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة وبين الجنة الموعودة باعتبار ما اصابها من المطر الكثير واليسير فكما ان كل واحد من المطرين يضعف كلها فكذلك نفقتهم حلت او قلت بعد ان يطلب بها وجه الله تعالى زاكية زائدة فى رضاهم وحسن حالهم عند الله تعالى والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شىء منه وهو ترغيب فى الاخلاص مع تحذير من الرياء ونحوه ايحب احدكم الخ وذا الشىء مع تنبيه ولذلك يستعمل استعمالها والهمزة لانكار الوقوع كما فى قولك اضرب ابا لانكار الواقع كما فى قولك اتضرب ابا لك على ان مناط الانكار ليس جميع ما تعلق به الود بل انما هو اصابة الاعصار وما يتبعها من الاحتراق ان تكون له جنة وقرئ جنات من نخيل واعناب اى كائنة منهما على ان يكون الاصل والركن فيها هذين الجنسين الشريفين الجامعين للفنون المنافع والبالغ فى المستتبعات الا على ان لا يكون فيها غيرهما كما ستوقفه والجنة تطلق على الاشجار الملتفة المتكاثفة قال زهير كان عليه جنة سحقل معقلة من النواضح تسقى جنة سحقا وعلى الارض المشتملة لها والاول هو الانسب بقوله عز وجل تجرى من تحتها الانهار اذ على الثانى لا بد من تقدير مضاف اى من تحت اشجارها وكذا لا بد من اسناد فعل الاحتراق اليها فيما سيأتى مجازا والجملة فى محل الرفع على انها صفة جنة كما ان قوله تعالى من نخيل واعناب كذلك او فى محل النصب على انه حال منها لانها موصوفة لا من كل الثمرات الظرف الاول خبر والثانى فى حال والثالث مبتدأ اى صفة للمبتدأ قائمة مقامه اى له رزق من كل الثمرات كما فى قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اى وما منا احد الا له الخ وليس المراد بالثمرات العموم بل انما هو التكثير كما فى قوله تعالى واوتيت من كل شىء واصابه الكبر اى كبر السن الذى هو مظنة شدة الحاجة الى منافعها ومئنة كمال العجز عن تدارك المعاش والموالاة اى وقد اصابه الكبر وله ذرية ضعفاء حال من الضمير فى اصابه اى اصابه الكبر والحال ان له ذرية صغارا لا يقدرون على الكسب ترتيب مبادى المعاش وقرئ ضعاف فاصابها اعصار اى ريح عاصفة تستدبر فى الارض ثم تنعكس منها صاعدة الى السماء على الهيئة العمود فيه نار شديدة فاحترقت عطف على فاصابها وهذا كما ترى تمثيل لحال من يعمل اعمال البر والحسنات ويضم اليها ما يحبطها من العوارض ثم يحتاج يوم الغيبة عند كمال حاجته الى ثوابها هباء منثورا فى التحسر والتاسف عليها كذلك توصيد الكاف مع كون المخاطب جمعا قد فرد وجهه واما اى مثل ذلك البيان الواضح الجلى فى الظهور مجرى المحسوس يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون كى تتفكروا فيها وتعتبروا بما فيها من العبر وتعلموا بموجبها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم بيان لما يتحقق به اثر بيان اصل الانفاق وكيفيته اى انفقوا من حلال ما كسبتم وجياده لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ومما اخرجنا لكم من الارض اى من طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمار والمعادن فحذف لدلالة ما قبله عليه ولا تيمموا اصله تتيمموا بحذف احدى التاءين وقرئ بادغامها ولا تاموا والكل بمعنى القصد اى لا تقصدوا الخبيث اى الرديء الخسيس وهو كالطيب من الصفات الغالبة لا تذكر موصوفا منه تنفقون الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا اى لا تقصدوا الخبيث قاصرين الانفاق عليه او من الخبيث اى مختصا به الانفاق واياما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة لا لتسويغ انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم كانوا يتصدقون بكشف التمر وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الخبيث والضمير للحال المدلول عليه بحسب المقام او للموصولين على طريقة قوله كما تدين فى الحديث تؤخذ بالاول والثانى وتخصيصه بذلك لما ان التفاوت فيه اكثر وتنفقون حال من الفاعل المذكور اى ولا تقصدوا الخبيث كائنا من الحال او مما كسبتم ومما اخرجنا لكم منفقين اياه وقوله تعالى ولستم بآخذيه حال على كل حال من واو تنفقون والحال انكم لا تأخذونه فى معاملاتكم فى وقت من الاوقات او بوجه من الوجوه الا ان تغمضوا فيه اى الا وقت اغماضكم وهو عبارة عن المسامحة بطريق الكناية

او الاستعارة يقال اغضى بصره اذا غضه وقرئ على البناء للمفعول على معنى الا ان تكلموا على الاغماض وتدخلوا فيها او توجدوا مغضين
وقرئ تغضوا وتغضوا بضم الميم وكسرها وقيل تم الكلام عند قوله تعالى والله غني حميد ثم استونف فقيل على طريقة التوبيخ والتقريع
منه تنفقون والحال انكم لا تأخذونه الا اذا اغمض فيه وتمامه الاستفهام الانكاري فكانه قيل امنه تنفقون الخ واعلموا
ان الله غني عن انفاقكم وانما امركم به لمنفعتكم وفي الامر بان يعلموا ذلك مع ظهوره عليهم توبيخ لهم على ما يصنعون من اعطاء
الخبيث وايذان بان ذلك من آثار الجهل بشانه تعالى فان اعطاء مثله انما يكون عادة اعتقاد المعطي ان الآخذ محتاج الى ما يعطيه
بل مضطر اليه حميد مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد بقبول الجيد والاثابة عليه الشيطان يعدكم الفقر
ابو عد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر متقدما على شيء من زمان او غيره يستعمل في الشر استعمال قرن الخير قال تعالى انما
وعدنا الله الذين كفروا اي بعدكم في الانفاق الفقر ويقول ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وانما عبر عن ذلك بالوعد
مع ان الشيطان لم يضف مجيء الفقر الى جهته للايذان بمبالغته في الاخبار بتحقق مجيئه كانه نزل مع توقع الوقوع منزلة افعاله
الواقعة بحسب ارادته او لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرئ بضم الفاء والسكون وضمتين وفتحتين ويامركم بالفحشاء
اي بالخصلة التي هي آية اي وتبخلكم على النفقة ومنع الصدقات اغراء للآمر المأمور على فعل المأمور به والوب تسمى البخيل فاحشا قال طرفة بن العبد
اري الموت سام الكلام يصطفي عقيلا فمال الفاحش المتشدد وقيل للمعاصي والسيئات والله يعدكم اي في الانفاق مغفرة
لذنوبكم ومجازاة قوله تعالى منه متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة بعني منها التي افادها تنكيرها اي مغفرة
مغفرة كائنة منه عز وجل وفضلا صفة محذوفة لدلالة المذكورة عليها كما في قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ونظائره
اي وفضلا كائنا منه تعالى اي خلفا مما انفقتموه زائدا عليه في الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل ثوابا في الآخرة والله واسع
قدرة وفضلا فيتحقق ما وعدكم به من المغفرة والخلف مما تنفقونه عليم مبالغ في العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم
او يعلم ما سيكون من المغفرة والتفضل فلا احتمال للخلف في الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها يؤتي الحكمة قال مجاهد
الحكمة هي القرآن والعلم والفقه وروي عن ابن نجيح انها الاصابة في القول والعمل وعن ابراهيم بن النخعي انها معرفة معاني
الاشياء وفهمها وقيل هي معرفة حقائق الاشياء وقيل هي الاقدام على الافعال الحسنة العقلية وعن مقاتل انها تفسير القرآن
باربعة اوجه فتارة بمواعظ القرآن واخرى بما فيه من عجائب الاسرار وقرة بالعلم والفهم واخرى بالنبوة ولعل الانسب
بالمقام ما ينتظم الاحكام المبينة في تضاعيف الآيات الكريمة من احد الوجهين الاولين ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق للعلم
والعمل بها اي يبينها ويوفق للعلم والعمل من يشاء من عباده ان يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه بما ان كلا من
فحوى الآي من الحكم البالغة التي عليها يدور فلك منافعكم فاعتنوا بها وسارعوا الى العمل بها والمفعول مفعول اول ليؤتي
قدم عليه الثاني للعناية والجملة مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها ومن يؤت الحكمة على بناء المفعول وقرئ على البناء للفاعل
اي ومن يؤته الله الحكمة والالتفات لتفخيم شانها والاشعار بعلة الحكم فقد اوتي خيرا كثيرا اي في
خير كثير فانه قد خير الدارين وما يذكر اي وما يتعظ بما اوتي من الحكمة او وما يتفكر فيها الا اولوا الالباب اي العقول
التي لصفتها عن شوائب الوهم والركون الى مشايعة الهوى وفيه من الترغيب في المحافظة على الاحكام الواردة في الانفاق
ما لا يخفى والجملة اما حال او اعتراض تذييلي وما انفقتم من نفقة بيان لحكم كل شامل لجميع افراد النفقات وما في حكمها اثر بيان
حكم ما كان منها في سبيل الله وما اما شرطية او موصولة حذف عائدها من القصلة اي وما انفقتموه من نفقة اي اي نفقة كانت في حق
او بالجعل في سبيل او علانية قليلة او كثيرة او نذرتم النذر عقد الضمير على شيء والتزامه وفعله كضرب ونصر من نذر اي نذر كان
في طاعة او معصية بشرط او بغير شرط متعلق بالمال او بالمال او بالافعال كالصيام والصلوة ونحوها فان الله يعلمه الفاعل الاول

داخلة على الجواب وعلى الثانى فريدة فى الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على كون العطف بكلمة او كما فى
زيد او عمرو اكرمته والاعمال اكرمتهما ولهذا صير الى التاويل فى قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما بعاد الضمير تارة
الى المقدم رعاية للاولية كما فى قوله عز وعلا واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها واخرى الى المؤخر رعاية للقرب كما فى هذه الآية الكريمة
وفى قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وحمل ضمير النظم عليها بالمذكور ونظائره او على حذف الاول ثقة بدلالة
الثانى عليه كما فى قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله وقوله لمن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى
مختلف ونحوهما مما عطف عليه بالواو الجامعة تعسف مستغنى عنه نعم يجوز ارجاع الضمير الى ما على تقدير كونها موصولة وتصوير الجملة
بانها تاكيد مضمونها افادة لتحقيق الجزاء اى فانه تعالى يجازيكم عليها البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو ترغيب وترهيب ووعد
ووعيد والظالمين بالانفاق والتذرع للمعاصى او بمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذور او بانفاق الخبيث او بالرياء والمن والاذى وغير ذلك
مما يتعلق بالظلم الذين هو عبارة عن وضع الشئ فى غير موضعه الذى يحق ان يوضع فيه من انصار اى اعوان ينصرونهم من بأس الله
وعقابه بشفاعة او مدافعة وايراد صيغة الجمع لمقابلة الظالمين اى وما للظالم من الظالمين من نصير من الانصار والجملة استئناف
مقرر لمضمون ما قبله من الوعيد مفيد لفظاعة حال من يفعل من الظالمين لتحصيل الاعوان ورعاية الخلاف ان تبدوا الصدقات فنعما هى
نوع من تفصيل لبعض ما اجمل فى الشرطية وبيان له ولذلك ترك العطف بينهما اى ان تظهروا الصدقات فنعم شيئا ابداؤها وما بعد ان اكيد
رياء وسمعة وقرئ بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرئ بكسر النون وسكون العين وقرئ بكسر النون واخفاء حركة العين وهو
فى الصدقات المفروضة واما فى صدقة التطوع فالاخفاء افضل وهى التى اريد بقوله تعالى وان تخفوها اى تعطوها خفية وتؤتوها
الفقراء والعطف للتصريح بانيانها للفقراء مع انه واجب فى الابداء ايضا لان الاخفاء مظنة الالتباس والاشتباه فان الغنى
ربما يدعى الفقر ويقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك عند الناس فهو خير لكم اى فالاخفاء خير لكم من الابداء وهذا فى التطوع
ومن لم يعرف بالمال واما فى الواجب فالامر بالعكس لدفع التهمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما صدقة السر فى التطوع تفضل على علانيتها
سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم اى والله يكفر او الاخفاء
ومن تبعيضية اى شيئا من سيئاتكم كما سترى وما وقيل مزيدة على رأى الاخفش وقرئ بالنون مرفوعا ومجزوما على ان الفعل
للصدقات وقرئ بالنون مرفوعا على انه جملة مبتدأة من فعل وفاعل او مجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط والله بما تعملون من الاسرار والاعلان خبير
فهو ترغيب فى الاسرار ليس عليك هداهم اى لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الاتيان بما امروا به من المحاسن والانتهاء
عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد الى الخير والحث عليه والنهى عن الشر والردع عنه بما اوحى اليك
من الآيات والذكر الحكيم ولكن الله يهدى هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما من يشاء هدايته الى ذلك عند ذكر ما ذكر
وتتبع الحق وبحار الخير والجملة معترضة جئ بها على تلوين الخطاب وتوجيهها الى رسول الله عليه السلام مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة
بالمكلفين مبالغة فى حثهم على الامتثال فان الاخبار بعدم وجوب تدارك العدم على النبى عليه السلام مؤذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الآيات الكريمة
قيل لما كثر فقراء المؤمنين نهى رسول الله عليه السلام عن التصدق على المشركين لحملهم الحاجة على الدخول فى الاسلام فنزلت ليس عليك هدى من خالفك
حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم فى الاسلام فلما التفت فى الكلام من الخطاب الى الغيبة للمعهودين من قراء المشركين بل فيه تلوين فقط وقوله تعالى
وما تنفقوا من خير على الاول التفات من الغيبة خطاب للمكلفين لزيادة زجرهم نحو الامثال وعلى الثانى تلوين الخطاب بتوجيهه اليهم وصرفه عن النبى
وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية بمحذوف وقع صفة لاسم الشرط مبينة ومخصصة له اى اى شئ تنفقوا كائنا
من المال فلانفسكم اى فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث اى فمنفعة الدين كله لغيركم من الفقراء
حتى تمنعوهم ممن لا ينتفع به من حيث الدين من قراء المشركين وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله استثناء من اعم العلل او اعم الاحوال اى ليس

او على انه جملة مبتدأة من فعل وفاعل او مجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده

نفقتكم شيئا من الاشياء الا ابتغاء وجه الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا توجهون مثله الى الله تعالى وقيل هو نفي في معنى
النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي اجره وثوابه اضعافا مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه
على احسن الوجه واجمله فهو تأكيد وبيان للشرطية السابقة اي يوف اليكم ما يخلفه من نتائج دعائه عليه السلام بقوله اللهم اجعل لمنفق خلفا
ولممسك تلفا وقيل حججت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها تسألها وهي مشركة فابت ان تعطيها وعن سعيد بن جبير انهم كانوا يتقون
ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا
كرهوا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وان كان ذميا وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون شيئا مما وعدتم
من الثواب المضاعف ومن الخلف للفقراء متعلق بمحذوف ينساق اليه الكلام كما في قوله عز وجل في تسع آيات الى فرعون اي اعمدوا الفقراء واجعلوا
ما تنفقونه للفقراء اي صدقاتكم الذين احصروا في سبيل الله بالغزو والجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض اي
ذهابا للكسب والتجارة وقيل هم اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد
يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف
اي من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم اي تعرف فقرهم واضطرارهم بما تعاين منهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب لرسول الله عليه السلام
او لكل احد ممن له حظ من الخطاب مبالغة في بيان وضوح فقرهم لا يسألون الناس الحافا اي الحاحا من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل
ما عنده والمعنى لا يسألونهم شيئا وان سألوا لحاجة اضطرتهم اليه لم يلحوا وقيل هو نفي لكلا الامرين جميعا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى لمناره
اي لا منار ولا اهتداء وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم بذلك احسن الجزاء فهو ترغيب في التصدق لا سيما على هؤلاء
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاحوال والاوقات بالخير والصدقة قيل نزلت في شأن الصديق رضي
حين تصدق باربعين الف دينار عشرة آلاف منها بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية وقيل في علي كرم الله وجهه حين لم يكن
عنده الا اربعة دراهم فتصدق بكل واحد منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للمزية
الاخفاء على الاظهار وقيل في رباط الخيل والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما قبلها
لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين الخ ولذلك جوز الوقف على علانية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقدم
تفسيره الذين يأكلون الربوا اي يأخذونه والتعبير عنه بالاكل لما انه اعظم ما قصد به ولشيوعه في المطعومات مع ما فيه من زيادة
تشنيع لهم وهو الزيادة في المقدار او في الاجل حسبما فصل في كتب الفقه وانما كتب بالواو كالصلوة على لغة من يفخم في امثاله وزيدت
الالف تشبيها بواو الجمع لا يقومون اي من قبورهم اذا بعثوا الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي الا قياما كقيام المصروع
وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب بغير استواء كخبط العشواء من المس اي من الجنون
وهو ايضا من زعماتهم ان الجن مسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بما قبله من الفعل المنفي اي لا يقومون من المس الذي
بهم اكلهم الربا او بيقوم او بيتخبطه فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلاف عقولهم بل لان الله تعالى اربى في بطونهم ما اكلوا من الربا فاثقلهم
فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف ذلك اشارة الى ما ذكر من حالهم وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان
بفظاعة المشار اليه بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح
فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربا اصلا في الحل وقاسوا به البيع مع وضوح
الفرق بينهما فان احد الدرهمين في الاول ضائع حتما وفي الثاني منجبر بمساس الحاجة الى السلعة او بتوقع رواجها واحل الله البيع وحرم الربوا
انكار من جهة الله تعالى لتسويتهم وابطال للقياس لوقوعه في مقابلة النص مع ما اشير اليه من عدم الاشتراك في المناط والجملة ابتدائية لا محل لها من الاعراب
فمن جاءه موعظة اي فمن بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربا وقرئ جاءته من ربه متعلق بجاءه او بمحذوف وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان الربوبية

قوله على لاحب [illegible]

يقال نهض فلان اي قام ونهض النبت اي استوى ١٢ اختري

البخس واستشهدوا شهيدين ايها الطالبون ما يتحمل الشهادة على ما جرى بينكما من المداينة وتسميتهما شهيدين
لتنزيل المشارف منزلة الكائن من رجالكم متعلق باستشهدوا ومن ابتدائية او بمحذوف وقع صفة لشهيدين
ومن تبعيضية اى شهيدين كائنين من رجال المسلمين الاحرار اذ الكلام فى معاملاتهم فان خطابات الشرع
لا تنتظم العبيد بطريق العبادة كما بين فى موضعه واما اذا كانت المداينة بين الكفرة او كان ممن عليه الحق كافرا فيجوز
استشهاد الكافر عندنا فان لم يكونا اى الشهيدان جميعا على طريقة نفى الشمول لا شمول النفى رجلين اما لاعوازهما
او لسبب آخر من الاسباب فرجل وامرأتان اى فليشهد رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان يكفون وهذا فيما عدا الحدود
والقصاص عندنا وفى الاموال خاصة عندالث فى ح ممن ترضون متعلق بمحذوف وقع صفة لرجالكم اى كائنين
مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره فى كل شهيد لغلبة اتصاف النساء به وقيل نعت لشهيدين
اى كائنين ممن ترضون وردّ بانه يلزم الفصل بينهما بالاجنبى وقيل بدل من رجالكم بتكرير العامل وردّ بما ذكر من الفصل وقيل
متعلق بقوله تعالى فاستشهد وافيلزم الفصل بين اشتراط المرتين وبين تعليله وقوله عزوجل من الشهداء متعلق بمحذوف
وقع حالا من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول اى ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم وتثبتكم بهم
وادراج النساء فى الشهداء بطريق التغليب ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى تعليل لاعتبار العدد فى النساء
والعلة فى الحقيقة هى التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته كما فى قولك اعددت السلاح ان يجئ عدو
فادفعه كانه قيل لاجل ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت الشهادة بان نسيتها ولعل ايثار ما على النظم الكريم على ان يقال
ان تضل احديهما فتذكرها الاخرى لتاكيد الابهام والمبالغة فى الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال باحديهما عينا
والتذكير بالاخرى وقرئ فتذكر من الاذكار وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه
ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او لتحملها وتسميتهم شهداء قبل التحمل لما مر من تنزيل المشارف
منزلة الواقع وما مزيدة عن قتادة انه كان الرجل يطوف فى الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت
ولا تسأموا اى لا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوه اى الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى به عن الكل
الذى هو صفة المنافق كما ورد فى قوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم
لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا اى قليلا او كثيرا او مجملا او مفصلا الى اجله متعلق بمحذوف وقع حالا
من الهاء فى تكتبوه اى مستقرا فى الذمة الى وقت حلوله الذى اقر به المديون اشارة الى ما اجرى به من الكتب والخطاب
للمؤمنين اقسط اى اعدل عند الله اى فى حكمه تعالى واقوم للشهادة اى اثبت لها واعون على اقامتها
وهما مبنيان من اقسط واقام فانه قياسى عند سيبويه او من قاسط بمعنى قسط وقويم وانما صحت الواو فى
اقوم كما صحت فى التعجب نحو ما اقومه وادنى الا ترتابوا واقرب الى انتفاء ريبكم فى جنس الدين وقدره واجله وشهوده
ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم استثناء منقطع من الامر بالكتابة اى لكن وقت
كون تداينكم او تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم بتعاطيها يدا بيد فليس عليكم جناح
الا تكتبوها اى فلا باس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان وقرئ برفع تجارة على انه اسم كان
وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها او على انها تامة واشهدوا اذا تبايعتم اى هذا التبايع او مطلقا لانه
احوط والامر الوارد فى الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف فى احكامها ونسخها ولا يضار
كاتب ولا شهيد نهى عن المضارة محتمل للبنائين كما ينبئ عنه قراءة من قرأ ولا يضار بالكسر والفتح وامر

حال من الضمير اى حال كونه صغيرا او كبيرا ٢ ه

نبهها

نهيهما عن ترك الاجابة والتغيير والتحريف في الكتبة والشهادة او نهى الطالب عن الضرار بهما بان يعجلهما عن مهمهما او
يكلفهما الخروج عما حد لهما او لا يعطي الكاتب جعله وقرئ بالرفع على انه نفي في معنى النهي وان تفعلوا ما نهيتم عنه
من الضرار فانه اي فعلكم ذلك فسوق بكم اي خروج عن الطاعة ملتبس بكم واتقوا الله في مخالفة اوامره
ونواهيه التي من جملتها نهيه عن المضارة ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم فلا يكاد
يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك كرر لفظ الجلالة في الجمل الثلث لادخال الروعة وتربية المهابة وللتنبيه على استقلال
كل منها بمعنى على حياله فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بالانعام والثالثة تعظيم لشانه تعالى وان كنتم
على سفر اي مسافرين او متوجهين اليه ولم تجدوا كاتبا في المداينة وقرئ كتابا وكتبا وكتابا فرهان مقبوضة
اي فالذي يستوثق به او فعليكم او فليؤخذ او فالمشروع رهان مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في شرعية
الارتهان كما حسبه مجاهد والضحاك لانه عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير واخذه
لاهله بل لاقامة التوثق بالكتبة في السفر الذي هو مظنته اعوازها وانما لم يتعرض لحال الشاهد لما انه في حكم الكاتب
توثقا واعوازا والجمهور على وجوب القبض في تمام الرهن غير مالك وقرئ فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن
بمعنى مرهون وقرئ بسكون الهاء تخفيفا فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه
به واستغنى بامانته عن الارتهان وقرئ فان اومن بعضكم اي آمنه الناس ووصفوه بالامانة فيكون انتصاب
بعضا على نزع الخافض اي على متاع بعض فليؤد الذي اؤتمن وهو المديون وانما عبر عنه بذلك العنوان
لتعينه طريقا للاعلام وحمله على الاداء امانته اي دينه وانما سمي امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذيتمن
بقلب الهمزة ياء وقرئ بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة لا تدغم لانها في حكمها وليتق الله ربه
في رعاية حقوق الامانة وفي الجمع بين عنوان الالوهية وصفة الربوبية من التاكيد والتحذير ما لا يخفى ولا تكتموا الشهادة
ايها الشهود والمديونون اي شهادتكم على انفسكم عند المعاملة ومن يكتمها فانه آثم قلبه آثم خبر ان وقلبه مرتفع به
على الفاعلية كانه قيل يأثم قلبه او مرتفع بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان
مما اقترفه ونظيره نسبة الزنا الى العين والاذن او للمبالغة لانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال كانه قيل تمكن
الاثم في نفسه وتملك اشرف مكان فيه وفاق سائر ذنوبه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اكبر الكبائر الاشراك بالله
لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كما في سفه نفسه وقرئ اثم قلبه
اي جعله آثما والله بما تعملون عليم فيجازيكم به ان خيرا فخير وان شرا فشر لله ما في السموات وما في الارض
من الامور الداخلة في حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من اولي العلم وغيرهم اي كلها له تعالى خلقا وملكا
وتصرفا فلا شركة لغيره في شيء منهما بوجه من الوجوه او تخفوه بان تكتموه منهم ولا تظهروه باحد الوجهين ولا يندرج
فيه ما لا يخلو عنه البشر من الوساوس واحاديث النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع
يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على منكري الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل
للاعتناء به واما تقديم الابداء على الاخفاء على عكس ما في قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه
يعلمه الله فلان المعلق بما في انفسهم هنا هو المحاسبة والاصل فيها الاعمال البادية واما العلم فتعلقه بها كتعلقه
بالاعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه وتعالى بمعلوماته متعال عن ان يكون بطريق حصول الصور بل وجود كل شيء
في نفسه في اي طور كان علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة

بالارتهان مقام التوثق صح

اي الدائن والمديون منه

اي على الدين منه

وان تبدوا ما في انفسكم من السوء والعزم عليه بان تظهروه للناس بالقول او بالعمل صح

خلا أن مرتبة الابداء متقدمة على مرتبة الاخفاء اذ ما من شئ يبدئ الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في النفس فتعلق
علمه تعالى بحالة الاولى متقدم على تعلقه بحالة الثانية وقد مر في تفسير قوله تعالى أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
فيغفر بالرفع على الاستيناف اى فهو يغفر بفضله لمن يشاء ان يغفر له ويعذب بعدله من يشاء ان يعذبه حسبما
يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفا على
جواب الشرط وقرئ بالجزم من غير فاء على انهما بدل من الجواب بدل البعض او الاشتمال ونظيره الجزم على البدلية من الشرط
في قوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ۞ تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ۞ وادغام الراء في اللام لحن والله على كل شئ قدير
تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان كمال قدرته تعالى على جميع الاشياء موجب بقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه
من المغفرة والتعذيب آمن الرسول لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة أن ما انزل الى الرسول عليه السلام من الكتاب
العظيم الشان هدى للمتقين بما فصل هناك من الصفات الفاضلة التي من جملتها الايمان به وبما انزل قبله من الكتب الالهية
وانهم حائزون الاثر في الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتحقق اتصافهم بها اذ ليس فيما يذكر
في حيز الصلة حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من كفر به من المجاهرين والمنافقين ثم شرع في تضاعيفها من فنون
الشرائع والاحكام والمواعظ والحكم واخبار سوالف الامم وغير ذلك مما يقتضي الحكمة شرحه عاجلا في خاتمتها
المتصفون بها وحكم باتصافهم بها على طريقة الشهادة لهم من جهته عز وجل بكمال الايمان وحسن الطاعة وذكر عليه السلام
بطريق الغيبة مع ذكره هناك بطريق الخطاب لما أن حق الشهادة الباقية على مر الدهور ان لا يخاطب بها المشهود له
ولم يتعرض ههنا لبيان فوزهم بمطالبهم التي من جملتها ما حكي عنهم من الدعوات الآتية ايذانا بانه امر محقق غني عن
التصريح به لا سيما بعد ما نص عليه فيما سلف وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة المنبئة عن كونه عليه السلام صاحب
كتاب مجيد وشرع جديد تمهيد لما يعقبه من قوله تعالى بما انزل اليه ومزيد توضيح لانذراجه في الرسل المؤمن بهم عليهم السلام
والمراد بما انزل اليه ما يعم كله وكل جزء من اجزائه ففيه تحقيق لكيفية ايمانه عليه السلام وتعيين لعنوانه اى آمن عليه السلام
بكل ما انزل اليه من ربه ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرائع والاحكام والقصص والمواعظ واحوال
الرسل عليهم السلام والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى واما الايمان بحقية احكامه وصدق اخباره ونحو
ذلك فمن فروع الايمان به من الحيثية المذكورة وفي هذا الاجمال الجلال لمحله عليه السلام واشعار بان تعلق ايمانه بتفاصيل
ما انزل اليه واحاطته بجميع ما انطوى عليه من الظهور بحيث لا حاجة الى ذكره اصلا وكذا في التعرض لعنوان الربوبية مع
الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وتنبيه على ان انزاله اليه تربية وتكميل له عليه السلام والمؤمنون اى للوحي
المعروفون بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولة لافضائها الى خلو الكلام عن الجدوى وهو مبتدأ وقوله عز وجل
كل مبتدأ ثان وقوله تعالى آمن خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والرابط بينهما الضمير الذي ناب منابه التنوين عوض
الضمير في آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان المراد بيان ايمان كل فرد فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك
في قوله تعالى وكل اتوه داخرين وتغيير سبك النظم الكريم عما قبله لتأكيد الاشعار بما بين ايمانه عليه السلام المبني على
المشاهدة والعيان وبين ايمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلي كأنهما متغايران
من كل وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الاسناد لمزيد الحكم بايمان كل واحد منهم على الوجه الآتي
من نوع خفاء محوج الى التقوية والتأكيد اى كل واحد منهم آمن بالله وحده من غير شريك له في الالوهية والمعبودية
وملائكته اى من حيث انهم عباد مكرمون له تعالى من شأنهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء

الوحي

الوحي فان مدار الايمان بهم ليس خصوصياتِ ذواتهم في انفسهم بل هو اضافتهم اليه تعالى من الحيثية المذكورة كما يلوح بالترتيب
في النظم وكتبه ورسله اى من حيث مجيئها من عنده تعالى لارشاد الخلق الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي
لكن لا على الاطلاق بل على ان كل واحد منزل منه تعالى الى رسولٍ معينٍ من اولئك الرسل عليهم السلام حسبما فصل في قوله تعالى
قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم
الآية ولا على ان مناط الايمانِ خصوصيةُ ذلك الكتاب او ذلك الرسول بل على ان الايمان بالكل مندرجٌ في الايمان بالكتاب
المنزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ومستندٌ اليه لما تلى من الآية الكريمة ولا على ان احكام الكتب السالفة وشرائعها
باقيةٌ بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبرٌ بالاضافة اليها بل على ان احكام كل واحد منها كانت حقةً ثابتةً الى ورودِ
كتابٍ آخر ناسخٍ له وان ما لم ينسخ منها الى الآن مما في الشرائع والاحكام من حيث انها من احكام هذا الكتاب المصون عن النسخ
الى يوم القيمة وانما لم يذكر ههنا الايمان باليوم الآخر كما ذكر في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة
والكتاب والنبيين لاندراجه في الايمان بكتبه وقرئ وكتابه على ان المراد به القرآن او جنس الكتاب كما في قوله تعالى فبعث الله
النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في افراد الجنس والجمع في مجموعه فلذلك
قيل الكتاب اكثر من الكتب وهذا نوع تفصيلٍ لما اجمل في قوله عز وجل بما انزل اليه من ربه اقتصر عليه ايذانًا بكفاية
في الايمان الاجمالي المتحقق في كل فردٍ من افراد المؤمنين من غير تفنٍّ للزيادة ضرورة اختلافِ طبقاتهم وتفاوتِ ايمانهم
بالامور المذكورة في مراتب التفصيل تفاوتًا فاحشًا فان الاجمال في الحكاية لا يوجب الاجمال في المحكي كيف وقد فصل
في حكاية ايمانه عليه السلام بما انزل اليه من ربه مع بداهة كونه متعلقًا عليها الا من جهة العليم الخبير كان الايمان بها
مصداقًا لما ذكر في صدر السورة الكريمة من الايمان بالغيب وآمنا الايمان بكتبه تعالى فاشارة الى ما في قوله تعالى يؤمنون بما انزل
اليك وما انزل من قبلك هذا هو اللائق بشان التنزيل والحقيق بمقدار الجليل وقد جوز ان يكون قوله تعالى والمؤمنون معطوفا
على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي عوض عنه التنوين راجع الى المعطوف منه معًا كانه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه
من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنين آمن بالله الخ خلا انه قدم المؤمن به على المعطوف اعتناءً
بشانه وايذانًا باصالته عليه السلام في الايمان به ولا يخفى انه مع خلوه عما في الوجه الاول من كمال الاجلال شانه عليه السلام
وتفخيم ايمانه مخل بجزالة النظم الكريم لانه ان حمل كل من الايمانين على ما يليق بشانه عليه السلام من حيث الذات
ومن حيث التعلق بالتفاصيل استحال اسنادهما الى غيره عليه السلام وضاع الكثير وان حملا على ما يليق بشان آحادِ
الامة كان ذلك حطًا لرتبته العلية عليه السلام واما حمل ما يليق بكل واحدٍ ممن نُسبا اليه من الآحاد ذاتًا وتعلقًا
بان يحملا بالنسبة الى الرسول عليه السلام على الايمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة الى آحاد الامة على الايمان
المكتسب من جهته عليه السلام اللائق بحالهم في الاجمال والتفصيل فاعتسافٌ بيّنٌ ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله
وقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله في حيز النصب بقول مقدر على صيغة الجمع رعايةً لجانب المعنى منصوب على انه
حال من ضمير آمن او مرفوع على انه خبر آخر لكل اى يقولون لا نفرق بينهم بان نؤمن ببعض منهم ونكفر بآخرين
بل نؤمن ببعضٍ رسالة كل واحد منهم قيدوا به ايمانهم تحقيقًا للحق وتحطئةً لاهل الكتابين حيث اجمعوا على الكفر
بالرسول وانقلبت اليهود بالكفر بعيسى عليه السلام ايضًا على ان مقصودهم الاصلي ابراز ايمانهم بما كفروا به من رسالته ثم
لاظهار موافقتهم لهم فيما آمنوا به وهذا كما ترى صريحٌ في ان القائلين آحادُ المؤمنين خاصةً اذ لا يمكن ان يسند
اليه عليه السلام ان يقول لا افرق بين احد من رسله وهو يريد به اظهار ايمانه برسالة نفسه وتصديقه في دعواها

بشاصيل ما فيه من الدلائل والدقائق شان الامور المذكورة حيث كانت من الامور الغيبية التي لا يوقف عليها

قال القاضي والفرق بالتصديق والتكذيب

وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وانما لم يعكس مع تحقق التلازم من الطرفين لما ان الاصل
في تفريق المفرقين هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم وقرئ بالياء على اسناد الفعل الى كل وقرئ
لا يفرقون حملا على المعنى كما في قوله تعالى وكل اتوه داخرين فالجملة نفسها حال من الضمير المذكور وقيل خبر ثان لكل كما قيل
في القول المقدر فلا بد من اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس اذ المراد شمول النفي لا نفي الشمول وفي الكلام في همزة احد
وفي دخول بين عليه قد مر تفصيله عند قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم وفيه من الدلالة صريحا على تحقيق عدم التفريق
بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بين رسله وايثار اظهار الرسل على الاضمار
الواقع مثله في قوله تعالى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم اما للاحتراز عن توهم اندراج الملائكة في الحكم
او للاشعار بعلة عدم التفريق او للايماء على عنوانه لان المعتبر عدم التفريق من حيث الرسالة دون سائر الحيثيات الخاصة
وقالوا عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية لامتثالهم بالاوامر اثر حكاية ايمانهم سمعنا
اي فهمنا ما جاء من الحق وتيقنا بصحته واطعنا ما فيه من الاوامر والنواهي وقيل سمعنا اجبنا دعوتك واطعنا
امرك غفرانك ربنا اي اغفر لنا غفرانك او نسالك غفرانك ذنوبنا المتقدمة او ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة
حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما ان تقديم الوسيلة على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للمبالغة في التضرع والجؤار واليك المصير اي الرجوع بالموت والبعث
لا الى غيرك فهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة الى المغفرة لما ان الرجوع للحساب والجزاء وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا
الا وسعها جملة مستقلة جيء بها اثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة اظهارا لما له تعالى عليهم
في ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما سيجيء هذا وقد روي انه لما نزل قوله تعالى
وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوه ثم بركوا
على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام والحج والجهاد وقد انزل اليك هذه
الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا
بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقراها القوم فانزل الله عز وجل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
الى قوله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير فنسخ لهم الغفران المعلق بمشيئته عز وجل في قوله فيغفر لمن يشاء ثم انزل الله تعالى
لا يكلف الله نفسا الا وسعها تهوينا للخطب عليهم ببيان ان المراد بما في انفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يعم
الخواطر التي لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق
عليه اي سنته تعالى انه لا يكلف نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود اى غاية ما عنها منه
فضلا منه تعالى ورحمة لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل
على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه وقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت للترغيب في المحافظة على
مواجب التكليف والتحذير عن الاخلال بها ببيان ان تكليف كل نفس مع مقارنته لنعمة التخفيف والتيسير
يتضمن مراعاته منفعة زائدة وانها تعود اليها لا الى غيرها ويستتبع الاخلال به مضرة تحيق بها لا بغيرها فان اختصاص
منفعة الفعل بفاعله من اقوى الدواعي الى تحصيله واقتصار مضرته عليه من اشد الزواجر عن مباشرته اي لها
ثواب ما كسبت من الخير الذي كلفت فعله لا لغيرها استقلالا او اشتراكا ضرورة شمول كلمة ما لكل جزء من اجزاء
مكسوبها وعليها لا على غيرها باحد الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر الذي كلفت تركه وايراد الاكتساب

في

فى جانب الشر لما فيه من اعمال ما شئ من اعتناء النفس بتحصيل الشر وسعيها فى طلبه ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا
او اخطانا شروع فى حكاية بقية دعواتهم اثر بيان ستر التكليف اى لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الامور
المؤدية الى النسيان او الخطأ من تفريط او قلة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت التكليف او باثرها
من حيث تربتهما على ما ذكر او مطلقا اذ لا امتناع فى المؤاخذة بهما عقلا فان المعاصى كالسموم فكما ان تناولها
ولو سهوا او خطأ مؤد الى الهلاك فتعاطى المعاصى ايضا لا يبعد ان يفضى الى العقاب وان لم يكن عن عزيمة
وقد عن تعالى بعدم لا يوجب استحالة وقوعه فان ذلك من آثار فضله ورحمته كما ينبئ عنه الرفع فى قوله عليه السلام
رفع عن امتى الخطأ والنسيان وقد روى ان اليهود كانوا اذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة فدعاؤهم بعد العلم
بتحقق الموعود للاستدامة والاعتداد بالنعمة فى ذلك كما فى قوله تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
ربنا ولا تحمل علينا اصرا عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لابراز مزيد الضراعة والاصر العبء الثقيل
الذى يأصر صاحبه اى يحبسه مكانه والمراد به التكاليف الشاقة وقيل الاصر الذنب الذى لا توبة
له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ اصارا وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين
من قبلنا فى جر النصب على انه صفة لمصدر محذوف اى حملا مثل حملك اياه على من قبلنا او على انه صفة لاصرا
اى اصرا مثل الاصر الذى حملته على من قبلنا وهو تكليف بنى اسرائيل من قتل النفس فى التوبة وقطع موضع النجاسة
وخمسين صلوة فى يوم وليلة وصرف ربع المال للزكوة وغير ذلك من التشديدات فانهم كانوا اذا اتوا بخطيئة
حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالا لهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
وقد عصم الله عز وجل بفضله ورحمته هذه الامة عن امثال ذلك وانزل فى شانهم ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى
كانت عليهم وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وعن العقوبات التى عوقب بها الاولون من المسخ
والخسف وغير ذلك وقال عليه السلام رفع عن امتى الخسف والمسخ والقذف ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به
عطف على ما قبله واستعفاء عن العقوبات التى لا انطاق بعد الاستعفاء عما يؤدى اليها التفريط فيه من التكاليف
الشاقة التى لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيها كانه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا فى الحفظ
عليها فيكون التعبير عن انزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدى اليها وقيل هو تكرير للاول وتصوير للاصر بصورة
ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو استعفاء عن التكليف بما لا يفى به الطاقة البشرية حقيقة فيكون دليلا على جوازه
عقلا والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا اى آثار ذنوبنا وعيوبنا
واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤس الاشهاد وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب
الرحمة لما ان التخلية سابقة على التحلية انت مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولى امورنا
فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر عبده ومن يتولى امره على الاعداء والمراد به عامة الكفرة
وفيه اشارة الى ان اعلاء كلمة الله والجهاد فى سبيله تعالى حسبما امر فى تضاعيف السورة الكريمة غاية مطالبهم روى
انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل دعوة قد فعلت وعنه عليه السلام انزل الله آيتين
من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفى عام من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل
وعنه عليه السلام من قرأ آيتين من سورة البقرة كفتاه وهو حجة على من استكره ان يقول سورة البقرة وقال
ينبغى ان يقال السورة التى يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التى يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن

فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال عليه السلام السحرة

سورة آل عمران مكية وهي مائتان آية بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو قد سلف أن ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة كصاد وقاف ونون ولا موازنة لمفرد
كحاميم وطاسين وياسين الموازنة لقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لدارابجرد حسبما ذكره سيبويه في الكتاب
فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الأعجاز على الوقف سواء جعلت أسماء أو مسرودة على نمط التعديد وإن لزمها
التقاء الساكنين لما أنه مغتفر في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة أن يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله أبو بكر
رواية عن عاصم وأما ما فيها من الفتح على القراءة المشهورة فإنما هي حركة همزة الجلالة ألقيت على الميم لتدل على ثبوتها
إذ ليس إسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي لبقاء حركتها في حكم الثابت المبتدأ به والميم بكون الحركة لغيرها في حكم الوقف على
دون الحركة كما توهم واعترض بأنه غير معهود في الكلام وقيل هي حركة لالتقاء السواكن التي هي الياء والميم ولام الجلالة
بعد سقوط همزتها وأنت خبير بأن سقوطها مبني على وقوعها في الدرج وقد عرفت أن سكون الميم وقفي موجب
لانقطاعها عما بعدها مستدع لثبوت الهمزة على حالها لا كما في الحروف والأسماء المبنية على السكون فإن حقها الاتصال
بما بعدها وضعا واستعمالا فيسقط بها همزة الوصل وتحرك أعجازها لالتقاء الساكنين ثم إن جعلت اسما للسورة فمحلها
إما الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف وأما النصب على إضمار فعل يليق بالمقام كاذكر أو اقرأ أو نحوهما وأما الرفع بالابتداء
أو النصب بتقدير فعل القسم أو الجر بتقدير حرفه فلا مساغ لشيء منها لما أن ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للإقسام عليه فإن الاسم
الجليل مبتدأ وما بعده خبره والجملة مستأنفة أي هو المستحق للمعبودية لا غير وقوله عز وجل الحي القيوم خبر آخر له
أو لمبتدأ محذوف أي هو الحي القيوم لا غير وقيل هو صفة للمبتدأ أو بدل منه أو من الخبر الأول وهو الخبر وما قبله اعتراض
بين المبتدأ والخبر مقرر لما يفيده الاسم الجليل أو حال منه وأيا ما كان فهو كالدليل على اختصاص استحقاق المعبودية به
سبحانه وتعالى لما مر أن معنى الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء ومعنى القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه
ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تعالى لاستحالة تحققه بدونهما وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اسم الله الأعظم في ثلث سور في سورة البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم وروي أن بني إسرائيل سألوا موسى عليه السلام عن اسم الله الأعظم قال الحي القيوم
ويروى أن عيسى عليه السلام كان إذا أراد إحياء الموتى يدعو يا حي يا قيوم ويقال إن آصف بن برخيا حين أتى بعرش بلقيس
دعا بذلك وقرئ الحي القيام وهذا رد على من زعم أن عيسى عم كان ربا فإنه روي أن وفد نجران قدموا على رسول الله
وكانوا ستين راكبا فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم ثلثة منهم أكابرهم إليهم يؤول أمرهم أحدهم أميرهم وصاحب مشورتهم
العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الأيهم وثالثهم حبرهم وأسقفهم وصاحب مدراسهم أبو حارثة
بن علقمة أحد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه ومولوه وأكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده في دينهم
وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب أبو حارثة بغلته وكان أخوه كرز بن علقمة إلى جنبه فبينا بغلة أبي حارثة
تسير إذ عثرت فقال كرز تعسا للأبعد يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو حارثة بل تعست أمك فقال كرز
ولم يا أخي قال إنه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك عنه وأنت تعلم هذا قال لأن هذه الملوك أعطونا أموالا
كثيرة وأكرمونا فلو آمنا به لأخذوا منا كلها فوقع ذلك في قلب كرز وأضمره إلى أن أسلم فكان يحدث بذلك فأتوا
المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا ليصلوا في المسجد

مسرودة على نمط التعديد فمحل الكل الاعراب كسائر الفواتح وان جعلت اسماء

عن اختصاص استحقاق المعبودية به سبحانه

بصلوة العصر عليهم ثياب الحبرات جبب وارديه فاوه يقول بعض من رآهم من اصحاب النبي عليه السلام

فقال عليه السلام دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلثة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تارة عيسى هو الله
لانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة اخرى هو ابن الله اذ لم يكن
له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلثة لقوله تعالى فعلنا فعلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك قال عليه السلام كذبتم يمنعكم من الاسلام دعاؤكم لله تعالى ولدا قالوا ان لم يكن
ولدا لله فمن ابوه فقال عليه السلام الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي
لا يموت وان عيسى عليه السلام يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه
قالوا بلى قال عليه السلام فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا فقال عليه السلام الستم تعلمون ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الارض
ولا في السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى
في الرحم كيف شاء وان ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل
المرأة وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث
قالوا بلى قال عليه السلام فكيف يكون هذا كما زعمتم فكتموا فابوا الا جحودا فانزل الله عز وجل من اول السورة الى نيف
وثمانين آية تقريرا لما اصبح به عليه السلام عليهم واجابة عن شبههم وتحقيقا للحق الذي يمترون فيه نزل عليك الكتاب
اي القرآن عبر عنه باسم الجنس ايذانا بكماله وتفوقه على بقية الافراد في صيانة كمالات الجنس كأنه هو الحقيق بان يطلق عليه
اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التصريح باسمي التوراة والانجيل وصيغة التفعيل للدلالة على التنجيم وتقديم
الظرف على المفعول لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة اما مستانفة او خبر آخر من الاسم الجليل
او هي الخبر وقوله تعالى لا اله الا الله الخ اعتراض او حال وقوله تعالى الحي القيوم صفة او بدل كما مر وقرئ نزل عليك الكتاب
بالتخفيف ورفع الكتاب فالظاهر ان تكون مستانفة وقيل يجوز كونها خبرا بحذف العائد اي نزل الكتاب من عنده
بالحق حال من الفاعل او المفعول اي نزله محقا في تنزيله على ما هو عليه او ملتبسا بالعدل فراصكامه او بالصدق في اخباره
التي من جملتها خبر التوحيد وما يليه وفي وعده ووعيده او بالحق انه من عند الله تعالى بالحجج البينة مصدقا حال من الكتاب
بالاتفاق على تقدير كون قوله تعالى بالحق حالا من فاعل نزل واما على تقدير حاليته من الكتاب فهو عند من يجوز تعدد الحال
بلا عطف ولا بدلية حال منه بعد حال واما عند من يمنعه فقد قيل انه حال من محل الحال الاولى على البدلية وقيل من المستكن في الجار
والمجرور لانه حينئذ يتحمل ضمير العهدة مقام عامله المتحمل له فيكون حالا متداخلة وعلى كل حال فهي حال مؤكدة وفائدة تقييد
التنزيل بها حث اهل الكتابين على الايمان بالمنزل وتنبيههم على وجوبه فان الايمان بالمصدق موجب للايمان
بما يصدقه قطعا لما بين يديه مفعول لمصدقا واللام دعامة لتقوية العمل نحو فعال لما يريد اي مصدقا لما قبله
من الكتب السالفة وفيه ايماء الى حصولها وكمال ظهورها مما بين الناس وتصديقه اياها في الدعوة الى الايمان والتوحيد
وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق بشانه الجليل والامر بالعدل والاحسان وكذا في الانبياء والامم الحالية وكذا في نزوله
على النعت المذكور فيها وكذا في الشرائع التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار ظاهر لا ريب فيه واما في الشرائع
المختلفة باختلافها من حيث ان كلا منها واردة حسبما يقتضيه الحكمة التشريعية بالنسبة الى خصوصيات
الامم المكلفة بها مشتملة على المصالح اللائقة بشانهم وانزل التوراة والانجيل تبيينا لما بين يديه
وتعيين لرفعة محله تاكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده اذ بذلك يترقى شان ما يصدقه رفعة ونباهة ويزداد
في القلوب قبولا ومهابة وتفاوت حال من كفر بها في الشناعة واستتباع ما سنذكر من العذاب الشديد

والانتقام ای انزلهما جملة على موسى وعيسى عليهما السلام وانما لم يذكرا لان الكلام في الكتابين لا فيمن انزلا عليه وهما اسمان
اعجميان الاول عبراني والثاني سرياني ويعضده القراءة بفتح همزة الانجيل فان افعيل ليس من ابنية الغرب
والتصدي لاشتقاقهما من الورى والنجل يعتفّ من قبل متعلق بانزل اي انزلهما من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به
مع ظهور الامر للمبالغة في البيان هدى للناس في حيّز النصب على انه علة للانزال اي انزلهما لهداية الناس او على انه
حال منهما اي انزلهما حال كونهما هدى لهم والافراد لما انه مصدر جعلا نفس الهدى مبالغة او حذف منه المضاف اي ذوي هدى
ثم ان اريد هدايتهما بجميع ما فيهما من حيث هو جميع فالمراد بالناس الامم الماضية من حين نزولهما الى زمان نسخهما وان اريد
هدايتهما على الاطلاق وهو الانسب بالمقام فالناس على عمومه لما ان هدايتهما ما عدا الشرائع المنسوخة من الامور التي يصيد فيها
القرآن فيها ومن جملتها البشارة بنزوله وبمبعث النبي صلى الله عليه وسلم نعم الناس فاطبة وانزل الفرقان
في الاصل مصدر كالغفران اطلق على الفاعل مبالغة والمراد به ههنا اما جنس الكتب الالهية عبر عنها بوصف شامل
لما ذكر منها وما لم يذكر على طريق التتميم بالتعميم اثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذكر كما في قوله عز وجل فانبتنا فيها حبا
وعنبا الى قوله تعالى وفاكهة واما نفس الكتب المذكورة اعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف
بتكرير لفظ الانزال تنزيلا للتغاير الوصفي الذاتي كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا
ونجيناهم من عذاب غليظ واما الزبور فانه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية الى الخير
والرشاد الزاجرة عن الشر والفساد وتقديم الانجيل عليه مع تاخره عنه نزولا لقوة مناسبته للتورية
في الاشتمال على الاحكام والشرائع وشيوع ذكر التوراة فيه وقد نعت ما مدح له بعد ما ذكرها باسم الجنس تعظيما
لشانه ورفعا لمكانه وقد بين اولا تنزيله التدريجي الى الارض وثانيا انزاله الدفعي الى السماء الدنيا او اريد
بالانزال القدر المشترك العاري عن قيد التدريج وعدمه واما المعجزات المقرونة بانزال الكتب المذكورة الفارقة بين
المحق والمبطل ان الذين كفروا بآيات الله وضع موضع الضمير العائد الى ما فصل من الكتب المنزلة او منها ومن المعجزات
الآيات مضافة الى الاسم الجليل تعيينا لحيثية كفرهم وتهويلا لامرهم وتاكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد وايذانا
بان ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل بل يكفي فيه الكفر ببعض منها والمراد بالموصول اما اهل الكتابين وهو
الانسب بمقام الحاجة او جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا اي الذين كفروا بما ذكر من ايات الله الناطقة
لا سيما بتوحيده تعالى وتنزيهه عما لا يليق بشانه الجليل كلا او بعضا مع ما بها من النعوت الموجبة للايمان بها بان كذبوا
بالقرآن اصالة وبسائر الكتب الالهية تبعا لما ان تكذيب ما يصدقه حتما واصالة ايضا بان كذبوا آياتها الناطقة
بالتوحيد والتنزيه وآياتها المبشرة بنزول القرآن ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك لهم بسبب كفرهم بها
عذاب مرتفع اما على الفاعلية مما الجار والمجرور راد على الابتداء والجملة خبران والتنوين للتفخيم اي اي عذاب عذاب
شديد لا يقادر قدره وهو وعيد جيء به اثر تقرير امر التوحيد الذاتي والوصفي والاشارة الى ما ينطق بذلك
من الكتب الالهية حملا على القبول والاذعان وزجرا عن الكفر والعصيان والله عزيز لا يغالب يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد ذو انتقام عظيم خارج عن افراد جنسه وهو افتعال من النقمة وهي السطوة والتسلط بنكال
ينتقم منه اذا عاقبه بجنايته والجملة اعتراض تذييلي مقرر للوعيد ومؤكد له ان الله لا يخفى عليه شيء
في الارض ولا في السماء استيناف كلام سيق لبيان سعة علمه تعالى واحاطته بجميع ما في العالم من الاشياء
التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق شرا وجهرا اثر بيان كمال قدرته وعزته تربية لما قبله من الوعيد

الضمير العائد الى ما فصل من قيد التدريج وعدمه

وتنبيها على ان الوقوف على بعض الغيبيات كما كان في عيسى عليه السلام بمنزل من بلوغ رتبة الصفات الالهية وانما عبر
عن علمه عز وجل بما ذكر لعدم خفائه عليه كما في قوله سبحانه وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء ايذانا بان علمه
تعالى بمعلوماته وان كانت في اقصى الغايات الخفية ليس من شانه ان يكون على وجه يمكن ان يعارنه شائبة خفاء بوجه من الوجوه
كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجلاء والجملة المنفية خبر لان وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وكلمة في متعلقة
بمحذوف وقع صفة لشئ مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه في سياق النفي اى لا يخفى عليه شئ ما كائن في الارض ولا في السماء
اعم من ان يكون ذلك بطريق الاستقرار فيهما او الجزئية منهما وقيل متعلق بيخفى وانما عبر بهما عن كل العالم لانهما اقطاره
وتقديم الارض على السماء لاظهارية الاعتناء بشان احوال اهلها وتوسيط حرف النفي بينهما للدلالة على الترقي من الادنى
الى الاعلى باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا وقوله عز وجل هو الذي يصوركم
في الارحام كيف يشاء جملة مستانفة ناطقة ببعض احكام قيوميته تعالى وجريان احوال الخلق في اطوار الوجود
حسب مشيته المبنية على الحكم البالغة مقررة لكمال علمه تعالى مع زيادة بيان لتعلقه بالاشياء قبل دخولها تحت الوجود ضرورة
وجوب علمه تعالى بالصور المختلفة المترتبة على التصوير المترتب على المشية قبل تحققها بمراتب فكلمة في متعلقة بيصوركم او بمحذوف
وقع حالا من ضمير المفعول اى يصوركم وانتم في الارحام مضغ وكيف معمول يشاء والجملة في محل النصب على الحالية
اما من فاعل يصوركم اى يصوركم كائنا على مشيته تعالى اى مريدا او من مفعوله اى يصوركم كائنين على مشيته تعالى تابعين
لها في قبول الاحوال المتغايرة من كونكم نطفا ثم علقا ثم مضغا غير مخلقة ثم مخلقة وفي الاتصاف بالصفات المختلفة
من الذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك من الصفات وفيه من الدلالة على بطلان زعم من زعم ربوبية عيسى عليه السلام
وهو من جملة ابناء النواسيت المتغلبين في هذه الاطوار على مشية الباري عز وعلا وكمال ركاكة عقولهم ما لا يخفى
وقرئ تصوركم على صيغة الماضي من التفعل اى صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يتصف بشئ مما ذكر
من الشئون العظيمة الخاصة بالالوهية احد ليتوهم الوهيته العزيز الحكيم المتناهي في القدرة والحكمة ولذلك
يخلقكم على ما ذكر من النمط البديع هو الذي انزل عليك الكتاب شروع في ابطال شبههم الناشئة عما نطق به
القرآن في نعت عيسى عليه السلام بطريق الاستئناف اثر بيان اختصاص الربوبية ومناطها به سبحانه وتعالى تارة
بعد اخرى وكون كل من عداه مقهورا تحت ملكوته تابعا لمشيته قيل ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الست تزعم يا محمد ان عيسى كلمة الله وروح منه قال عليه السلام بلى قالوا فحسبنا ذلك فنفى عليهم زيغهم وفتنتهم
وبين ان الكتاب مؤسس على اصول حصينة وفروع متينة عليها ناطقة بالحق قاضية ببطلان ما هم عليه
من الضلال والمراد بالانزال التقدير المشترك المجرد عن الدلالة على قيد التدريج وعدمه واللام في الكتاب للعهد وتقديم
الظرف عليه لما اشير اليه فيما قبل من الاعتناء بشان بشارته عليه السلام بتشريف الانزال عليه ومن التشويق الى ما انزل
فان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار برفعة شانه او المنفعة تبقى مترقبة له فيتمكن لديها
عند وروده عليها فضل تمكن وليتصل به تقسيمه الى قسميه منه ايات الظرف خبر وآيات مبتدا او بالعكس تناول
وتحقيقه في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا الآية والاول اوفق بقواعد الصناعة والثاني ادخل في جزالة
المعنى اذ المقصود الاصلي انقسام الكتاب الى القسمين المعهودين لا كونهما من الكتاب فتذكر والجملة مستانفة
او في حيز النصب على الحالية من الكتاب اى هو الذي انزل الكتاب كائنا على هذا الحال اى منقسما الى محكم ومتشابه
او الظرف هو الحال وحده وآيات مرتفع به على الفاعلية محكمات صفة آيات اى قطعية الدلالة على المعنى المراد

محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه هن ام الكتاب الى صل فيه وعمدة يرد اليها غيرها فالمراد بالكتاب
كلمة الاضافة بمعنى من كما في واحد العشرة لا بمعنى اللام فان ذلك يؤدي الى كون الكتاب عبارة عما عدا المحكمات والجملة
اما صفة لما قبلها او مستانفة وانما افرد الام مع نعته دالا بالآيات لما ان المراد بيان اصلية كل واحد منها او بيان ان الكل
بمنزلة آية واحدة كما في قوله تعالى وجعلنا ما وابنها آية للعالمين وقيل الكتفي بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر بها
جيف الحشرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب اى واما جلودها واخر نعت لمحذوف معطوف على آيات اى
وآيات اخر وهي جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول من الآخر او من الاخرى متشابهات صفة لاخر وفي الحقيقة
صفة لمحذوف اى محتملات لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض في استحقاق الارادة بها ولا يتضح المراد الا بالنظر
الدقيق والتأمل الانيق فالتشابه في الحقيقة وصف لتلك المعاني ووصف به الآيات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول
وقيل لما كان من شان الامور المتشابهة ان يعجز العقل عن التمييز بينها سمي كل ما لا يهتدي اليه العقل متشابها وان لم يكن
ذلك بسبب التشابه كما ان المشكل في الاصل ما دخل في اشكاله وامثاله ولم يعلم بعينه ثم اطلق على كل غامض وان لم يكن
غموضه من تلك الجهة وانما جعل ذلك كذلك ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبرها وتحصيل العلوم
التي ينبط بها استنباط ما اريد بها من الاحكام الحقة فينالوا بها وبا تعاب القرائح في استخراج مقاصدها الرائقة
ومعانيها اللائقة للمدارج العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات من اليقين والاطمئنان الى المعارج القاصية
واما قوله عز وجل الركتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من اعتراء الخلل او من النسخ او ايدت بالحجج القاطعة
الدالة على حقيتها او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها وقوله تعالى وكتابا متشابها مثاني معناه
متشابها الآي اجزاء اى شبه بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون
ما تشابه منه معرضين عن المحكمات اى يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب او بتأويل باطل لا يحق بعد الاباء
بكونه من عند الله تعالى ابتغاء الفتنة اى طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة
المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد وابتغاء تأويله اى مطلب ان يؤولوه حسبما يشتهونه من التأويلات الزائغة والحال
انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم فانه حال من ضمير يتبعون
باعتبار العلة الاخيرة اى يتبعون المتشابه لابتغاء تأويله والحال انه مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين
في العلم اى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم تبرح لهم زالت الاقدام وفي تعليل الاتباع بابتغاء تأويله دون نفس
تأويله فلتجريد الآتاويل عن الوصف بالصحة او الحقية ايذانا بانهم ليسوا من التأويل في شيء وانما يبتغونه ليس تأويلا اصلا
لانه تأويل غير صحيح قد يغتر صاحبه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله عز وعلا بعلمه كوقت بقاء
الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على عدم ارادة ظاهره ولم يدل على ما هو المراد به
يقولون آمنا به اى بالمتشابه وعدم التعرض لايمانهم بالمحكم لظهوره او بالكتاب والجملة على الاول استئناف
موضح لحال الراسخين او حال منه وعلى الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى كل من عند ربنا من تمام
المقول مقرر لما قبله ومؤكد له اى كل واحد منهم ومن المحكم او كل واحد من متشابهه ومحكمه منزل من عنده لا تخالف
بينهما او آمنا به وبحقيته على مراده تعالى وما يذكر حق التذكر الا اولوا الالباب اى العقول الخالصة عن الركون
الى الاهواء الزائغة وهو تذييل سيق من جهته تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما به
استعدوا للاهتداء الى تأويله من تجرد العقل عن غواشي الحس وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها جواب

عما تشبث به النصارى من نحو قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه على وجه الاجمال وسيجيء الوجه المفصل
بقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ربنا لا تزغ قلوبنا من تمام مقالة
الراسخين اى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال صلى الله عليه وسلم قلب ابن آدم بين
اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل معناه لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها
قلوبنا بعد اذ هديتنا اى الى الحق والتأويل الصحيح او الى الايمان بالمتشابه وبعد نصب بلا تزغ على الظرف واذ في محل
الجر باضافة اليه خارج من الظرفية اى بعد وقت هدايتك ايانا وقيل انه بمعنى ان ووهب لنا من لدنك كلا الجارين
متعلق بهب وتقديم الاول لما مر مرارا ويجوز تعلق الثاني بمحذوف هو حال من المفعول اى كائنة من لدنك ومن
لابتداء الغاية المجازية ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات نحو من لدن زيد
وليست مرادفة لعند اذ قد تكون فضلة وكذا لدى وبعضهم يخصها بظرف المكان وتضاف الى صريح الزمان كما في قوله
تنتقض الرعة في ظهري من لدن الظهر الى العصر ولا تنقطع عن الاضافة بحال واكثر ما تضاف الى المفردات وقد تضاف
الى ان وصلتها كما في قوله ولم تنقطع اصلام لدن ان ولينا قرابة ذي رحم ولاحق مسلم اى من لدن ولايتك ايانا
وقد تضاف الى الجملة الاسمية كما في قوله تذكر نعمان لدن انت يافع والى الجملة الفعلية ايضا كما في قوله لزمنا لدن سالمتمونا
وفاقكم فلا يكن منكم لخلاف جنوح وقلما تخلو عن من كما في البيتين الاخيرين رحمة واسعة تنزلنا اليك وتعود
بها عندك او توفيقا للثبات على الحق وتأخير المفعول للتخلص عن الجارين لما مر مرارا مع الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده لا سيما عند الاشعار بكونه من المنافع باللام
فاذا ورد ما يتمكن عندها فضل تمكن انك انت الوهاب تعليل للسؤال والاعطاء المسؤول وانت اما مبتدأ او فصل
او تأكيد لاسم ان واطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على ان الهدى والضلال من قبله تعالى
وانه متفضل بما ينعم به على عباده من غير ان يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم اى لحساب يوم او لجزاء
يوم حذف المضاف واقيم مقامه المضاف اليه تهويلا له وتعظيما لما وقع فيه لا ريب فيه اى في وقوعه ووقوع
ما فيه من الحشر والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الى الرحمة وانها المقصود الاسنى عندهم وانما كيد
لاظهار ما هم عليه من كمال الطمانينة وقوة اليقين باحوال الآخرة ان الله لا يخلف الميعاد تعليل لمضمون الجملة
المؤكدة او لانتفاء الريب والتأكيد لما مر واظهار الاسم الجليل مع الالتفات لابراز كمال التعظيم والاجلال الناشي
من ذكر اليوم المهيب الهائل بخلاف ما في آخر السورة الكريمة فانه مقام طلب الانعام كما سيأتي او للاشعار بعلة الحكم
فان الوهيته منافية للاخلاف وقد جوز ان يكون الجملة مسوقة من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين والميعاد مصدر كالميقات
واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو بدليل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا
ان الذين كفروا اثر ما بين الدين الحق والتوحيد وذكر احوال الكتب الناطقة به وشرح شان القرآن العظيم وكيفية
ايمان العلماء الراسخين به شرع في بيان حال من كفر به والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل لجميع الاصناف وقيل وفد نجران
او اليهود من بني قريظة والنضير او مشركوا العرب لن تغني عنهم اى لن تنفعهم وقرئ بالتذكير وبسكون الياء جدا
في استثقال الحركة على حروف اللين اموالهم التي يبذلونها في جلب المنافع ودفع المضار ولا اولادهم الذين
يتناصرون في الامور المهمة وعلهم بعدهم في الخطوب الملمة وتأخير الاولاد عن الاموال مع توسط حرف النفي بينهما
اما لمراعاة فواصل الكلم او لان للاموال اولية عدة يفزع اليها عند نزول الخطوب من الله من عذابه تعالى شيئا

ای شیئا من الاغناء وقیل کلمة من بمعنی البدل والمعنی بدل رحمة الله او بدل طاعته کما فی قوله تعالی ان الظن لا یغنی
من الحق شیئا ای بدل الحق ومنه قوله ولا ینفع ذا الجد منک الجد ای لا ینفعه جده بدلک ای بدل رحمتک کما فی قوله تعالی
وما اموالکم ولا اولادکم بالتی تقربکم عندنا زلفی وانت خبیر بان احتمال سد اموالهم واولادهم سد رحمة الله تعالی وطاعته
مما لا یخطر ببال احد حتی یتصدی لنفیه والاول هو الالیق بقطیع حال الکفرة وتهویل امرهم والانسب لما بعده من قوله تعالی
واولئک هم وقود النار ومن قوله تعالی فاخذهم الله ای اولئک المتصفون بالکفر حطب النار وحصبها الذی تستعر به فان
ارید بیان حالهم عند التسعیر فاثبات الجملة الاسمیة للدلالة علی تحقق الامر وتقرره والا فهو للایذان بان حقیقة حالهم ذلک
وان احوالهم الظاهرة بمنزلة العدم فهم حال کونهم فی الدنیا وقود النار باعیانهم وفیه من الدلالة علی کمال ملابستهم بالنار
ما لا یخفی وهم یحتمل الابتداء وان یکون ضمیر الفصل والجملة اما مستانفة مقررة لعدم الاغناء او معطوفة علی خبر ان
وایا کان ففیها تعیین للعذاب الذی بین ان اموالهم واولادهم لا تغنی عنهم منه شیئا وقری وقود النار بضم الواو
وهو مصدر ای اهل وقودها کدأب آل فرعون الدأب مصدر دأب فی العمل اذا کدح فیه وتعب غلب استعماله
فی معنی الشان والحال والعادة ومحل الکاف الرفع علی انه خبر لمبتدا محذوف وقد جوز النصب بلن تغنی او بالوقود
ای لن تغنی عنهم کما لن تغنی عن اولئک او توقد بهم النار کما توقد بهم وانت خبیر بان المذکور فی تفسیر الدأب انما هو
التکذیب والاخذ من غیر تعرض لعدم الاغناء لا سیما علی تقدیر کون من بمعنی البدل کما هو رای المجوز ولالقاء الناء
فیحمل علی التعلیل وهو خلاف الظاهر علی انه یلزم الفصل بین العامل والمعمول بالاجنبی علی تقدیر النصب بلن تغنی وهو قوله تعالی
واولئک هم وقود النار الا ان یجعل استئنافا لا معطوفا علی خبر ان فالوجه هو الرفع علی الخبریة ای دأب هؤلاء فی الکفر
وعدم النجاة من اخذ الله تعالی وعذابه کدأب آل فرعون والذین من قبلهم ای من قبل آل فرعون من الامم الکافرة
فالموصول فی محل الجر عطفا علی ما قبله وقوله تعالی کذبوا بآیاتنا بیان وتفسیر لدأبهم الذی فعلوا علی طریقة الاستئناف
المبنی علی السؤال کانه قیل کیف کان دأبهم فقیل کذبوا بآیاتنا فقوله تعالی فاخذهم الله تفسیر لدأبهم الذی فعل بهم
اعنی فاخذهم الله وعاقبهم ولم یجدوا من دون الله تعالی محیصا فدأب هؤلاء کدأب اولئک وقد کذبوا الخ واما کونه خبرا
من الموصول کما قیل فمما یبعد بروق النظم الکریم والالتفات الی التکلم اولا للجری علی سنن الکبریاء والی الغیبة ثانیا
باظهار الجلالة لتربیة المهابة وادخال الروعة بذنوبهم ان ارید بها تکذیبهم بالایات فالباء للسببیة جیء بها تاکیدا
لما یفیده الفاء من سببیة ما قبلها لما بعدها وان ارید بها سائر ذنوبهم فالباء للملابسة جیء بها للدلالة علی ان اخذهم ذنوبا
اخر ای فاخذهم ملتبسین بغیر تائبین عنها کما فی قوله تعالی وتزهق انفسهم وهم کافرون والذنب فی الاصل التلو والتابع
وسمی الجریمة ذنبا لانها تتلوای تتبع عقابها فاعلها والله شدید العقاب تذییل مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ
وتکملة له قل للذین کفروا المراد بهم الیهود کما روی عن ابن عباس رض ان یهود المدینة لما شاهدوا غلبة رسول الله
صلی الله علیه وسلم علی المشرکین یوم بدر قالوا والله انه النبی الامی الذی بشر به موسی وفی التوراة نعته وهموا
باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتی ننظر الی وقعة اخری فلما کان یوم احد نکثوا وقد کان بینهم وبین رسول الله
عهد الی مدة فنقضوه وانطلق کعب بن الاشرف فی ستین راکبا الی اهل مکة فجمعوا امرهم علی قتال رسول الله علیه السلام
فنزلت وعن سعید بن جبیر وعکرمة عن ابن عباس رض ان النبی صلی الله علیه وسلم لما اصاب قریشا ببدر ورجع الی المدینة
جمع الیهود فی سوق بنی قینقاع فحذرهم ان ینزل بهم ما نزل بقریش فقالوا لا یغرنک انک لقیت قوما اغمارا
لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت ای قل لهم ستغلبون البتة عن قریب

ای قد ذاقت الکفرة ایضا کما بهم وقبل کذبوا الآخر من آل فرعون علی اضمار قد ای دأب الخ

فى الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم
وهو من اوضح شواهد النبوة واما ما روى عن مقاتل من انها نزلت قبل بدر وان الموصول عبارة عن مشركى مكة ولذلك
قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وبئس المهاد فيؤدى الى انقطاع الآية
الكريمة عما بعد ما لنزوله بعد وقعة بدر وتحشرون اى فى الآخرة الى جهنم وقرئ الفعلان بالياء على انه عليه السلام
امر بان يحكى لهم ما اخبر الله تعالى به من وعيدهم بعبارة كانه قيل اذا لهم هذا القول وبئس المهاد اما من تمام
ما يقال لهم او استئناف لتهويل جهنم وتفظيع حال اهلها والمخصوص بالذم محذوف اى وبئس المهاد جهنم او ما مهدوا
لانفسهم قد كان لكم جواب قسم محذوف وهو من تمام القول المأمور به جىء به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب
لليهود ايضا والظرف خبر كان على انها ناقصة والتوسط بينها وبين اسمها لترك التانيث كما فى قوله ان احد قدغزا
مكة واصحابه بعدى وبعدك فى الدنيا المغزو على ان التانيث ههنا غير حقيقى او هو متعلق بكان على انها تامة
وانما قدم على فاعلها لما فى تاخيره من الاعناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اى والله قد كان لكم ايتها المغترون بعددهم
وعددهم آية عظيمة دالة على صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون فى فئتين اى فرقتين او جماعتين فان الغلبة
منهما كانت معدة بكثرتها معجبة بعددها وقد لقيتها ما لقيتها فيصيبكم ومحل الظرف الرفع على انه صفة لآية وقيل
النصب على الحالية كان والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من آية التقتا فى حيز الجر على انه صفة فئتين
اى تلاقيا بالقتال يوم بدر فئة بالرفع خبر مبتدا محذوف اى احدهما فئة كما فى قولهم اذا مت كان الناس
صنفان شامت وآخر مثن بالذى كنت اصنع اى احدهما شامت واخرى مثن وقوله متى اذا ما استقل النجم فى غلس
وغودر البقل ملوى ومحصود والجملة مع ما عطف عليها مستانفة لتقرير ما فى التقتين من الآية وقوله تعالى
تقاتل فى سبيل الله فى محل الرفع على انه صفة فئة كانه قيل فئة مؤمنة ولكن ذكر مكانه من احكام الايمان
ما يليق بالمقام مدحا لهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بانه المدار فى تحقق الآية وهى رؤية القليل كثيرا وقرئ يقاتلون على تاويل
الفئة بالقوم او الفريق واخرى نعت لمبتدا محذوف معطوف على ما حذف من الجملة الاولى اى وفئة اخرى وانما نكرت
والقياس تعريفها كقرينتها لوضوح ان التوفيق لنفس المثنى المتقدم ذكره وعدم الحاجة الى التعريف وقوله تعالى كافرة خبر المبتدا
المحذوف وانما لم توصف هذه الفئة بما يقابل صفة الفئة الاولى اسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار وايذانا بانهم لم يستحقوا
للقتال بما اعتراهم من الرعب والهيبة وقيل كل من المتقاطعين بدل من الضمير فى التقتا وما بعدها صفة فلا بد من تغيير
محذوف عائد الى المبدل منه مستغن لوصف البدل بالجملة العارية عن ضميره اى فئة منهما تقاتل وفئة اخرى كافرة ويجوز ان تكون
كل منهما مبتدا وما بعدها خبرا اى فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة وقيل منهما مبتدا محذوف الخبر اى منهما فئة تقاتل الخ
وقيل فئة باجر على البدلية من فئتين بدل البعض من الكل وقد قرانه لا بد من ضمير عائد الى المبدل منه وسمى بدلا تفصيليا كما مر غير مرة وكنت لدى رجلين رجل صحيح ورجل رمى فيها الزمان فشلت وقرئ فئة بالنصب على المدح او الذم او على الحالية
من ضمير التقتا كانه قيل التقتا مؤمنة وكافرة فيكون فئة واخرى توطئة لما هو الحال حقيقة اذ المقصود بالذكر وصفاهما كما فى قولك
جاءنى زيد راكبا لا صائما يرونهم اى يرى الفئة الاخيرة الفئة الاولى واثر صيغة الجمع للدلالة على شمول الرؤية لكل واحد
واحد من آحاد الفئة والجملة فى محل الرفع على انها صفة للفئة الاخيرة او مستانفة مبنية للكيفية الآتية مثليهم اى مثلى
عدد الرائين قريبا من الفين اذ كانوا قريبا من الف كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا راسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
وفيهم ابو سفيان وابو جهل وكان فيهم من الخيل والابل مائة فرس وسبعمائة بعير ومن الاصناف اصناف لا تحة عد ولا تحصى

عن محمد بن ابي الفرات عن سعيد بن اوس انه قال اسر المشركون رجلا من المسلمين فسالوه كم كنتم قال ثلثمائة وبضعة عشر قالوا
ما كنا نراكم الا تضعفون علينا او مشى عدد المرئيين اى ستمائة ونيفا وعشرين حيث كانوا ثلثمائة وثلث عشر رجلا وسبعون رجلا
من المهاجرين ومائتان وستة وثلثون من الانصار رضى الله عنهم وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين
علي بن ابي طالب رضى الله عنه وصاحب راية الانصار سعيد بن عبادة الخزرجي رضى الله تعالى عنهم اجمعين وكان في العسكر سبعون بعيرا وفرسان
احدهما للمقداد بن عمرو والآخر للمرثد بن ابي مرثد وثلاثة اسياف وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين اربعة عشر رجلا
ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار رضى الله عنهم اراهم الله عز وجل كذلك مع قلتهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم مددا لهم منه سبحانه
كما امدهم بالملئكة عليهم وكان ذلك عند التقاء الفئتين بعد ان قللهم في اعينهم عند ترائيهما ليجترؤا عليهم ولا يهربوا من اول الامر حين
ينجحهم الهرب وقيل رئي الفئة الاولى الفئة الاخيرة مثلي انفسهم مع كونهم ثلثة امثالهم ليثبتوا ويطمئنوا بالنصر الموعود في قوله
ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والاول هو الاولى لان رؤية المثلين غير متعينة من جانب المؤمنين بل قد وقعت رؤية
المثل بل اقل منه ايضا فانه روي ان ابن مسعود رضى الله عنهما قال قد نظرنا الى المشركين وهم اثنا عشر الفا ثم نظرنا اليهم فاذا هم
يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم الله ايضا في اعيننا حتى رأيتهم عددا يسيرا اقل من انفسنا قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قللوا
في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا
فلو اريد رؤية المؤمنين المشركين اقل في عددهم في نفس الامر كما في سورة الانفال لكانت رؤيتهم اياهم اقل من انفسهم احق
بالذكر في كونها آية من رؤيتهم مثليهم على ان اراءته آنا ما بقدرة الله تعالى وحكمته للكثرة بارائتهم القليل كثيرا والضعيف قويا
والقاء الرعب في قلوبهم بسبب ذلك ادخل في كونها آية لهم وحجة عليهم واقرب الى اعتراف المنحازين بذلك لكثرة مخالطتهم
الكثرة المشاهدين للحال ولان تعلق الفعل بالفاعل اشد من تعلقه بالمفعول فجعل اقرب المذكورين السابقين فاعلا
وابعدهما مفعولا سواء جعل الجملة صفة او مستانفة اولى من العكس بهذا ما يقتضيه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور
ولا ينبغي جعل الخطاب للمشركين كما قيل اما ان جعل الوعيد عبارة عن هزيمة بدر كما صرحوا به فظاهر لا شبهة به واما ان جعل
عبارة عن هزيمة اخرى فلان الفئة التي شاهدت تلك الآية الهائلة هم المنحازون فالتعبير عنهم بفئة مبهمة تارة
وموصوفة اخرى ثم اسناد المشاهدة اليهما مع كون اسناد مقال المنحازين اوقع في الزام الحجة وادخل في التبكيت مما لا يخفى
اليه وبهذا تبين حال جعل الخطاب الثاني للمؤمنين واما قراءة تراهم بتاء الخطاب فظاهر على ان اقتضى توجيه الخطاب
الثاني الى المشركين لكنه ليس بنقض في ذلك لانه وان اندفع به المحذور الاخير فالاول باق بحاله فلعل رؤية المشركين نزلت منزلة
رؤية اليهود لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق في الكلمة لا سيما بعد ما وقع بينهم بواسطة كعب بن الاشرف من العهد والميثاق
فاسندت الرؤية اليهم مبالغة في البيان وتحقيقا للوضوح مثل تلك الحالة لهم فتدبر وقيل المراد جميع الكفرة ولا ريب في صحته
وسداده وقرئ يرونهم وترونهم على البناء للمفعول من الاراءة اى يريهم او يريكم الله تعالى كذلك رأى العين مصدر
مؤكد لهم ان كان الرؤية بصرية او مصدر تشبيهي ان كانت قلبية اى رؤية ظاهرة مكشوفة جارية مجرى رؤية العين والله
يؤيد اى يقوي بنصره من يشاء ان يؤيده من غير توسيط الاسباب العادية كما ايد الفئة المقاتلة في سبيله بما ذكر من النصر
وهو من تمام القول المأمور به ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من رؤية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة القليل العديم العدة
على الكثير الشاكي السلاح وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل لعبرة العبرة فعلة من العبور كالركبة من الركوب
والجلسة من الجلوس والمراد بها الاعتبار فان نوعا من العبور اى عبرة عظيمة كائنة لاولي الابصار لذوي العقول
والبصائر وقيل لمن ابصرهم وهو اما من تمام الكلام الداخل تحت القول مقررا لما قبله بطريق التذييل واما وارد من جهته تع

تصديقاً لمقالته عليه السلام زُيِّن للناس كلام مستأنف سيق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية باصنافها
وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم الى ما عنده تعالى اثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد
بالناس الجنس حب الشهوات الشهوة نزوع النفس الى ما تريده والمراد بها ههنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها
مشتهاة مرغوباً فيها كأنها نفس الشهوات وايذاناً بانهماكهم في حبها بحيث احبوا شهواتها كما في قوله تعالى اني احببت حب
الخير او استرذالاً لها فان الشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهائم والمزين هو الباري سبحانه اذ هو الخالق لجميع الافعال
والدواعي والحكمة في ذلك ابتلاؤهم قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم الآية فانها ذريعة لنيل سعادة الدارين
عند كون تعاطيها على نهج الشريعة ووسيلة الى بقاء النوع وايثار صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرئ على البناء
للفاعل وقيل المزين هو الشيطان لما ان مساق الآية الكريمة على ذمها وفرق الجبائي بين المباحات واسند تزيينها اليه تعالى
وبين المحرمات فنسب تزيينها الى الشيطان من النساء والبنين في محل النصب على انه حال من الشهوات وهي مفسرة لها
في المعنى وقيل من لبيان الجنس وتقديم النساء على البنين لعراقتهن في معنى الشهوة فانهن حبائل الشيطان وعدم التعرض
للبنات لعدم الاطراد في حبهن والقناطير المقنطرة جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء
مسك ثور وقيل سبعون الف دينار وقيل اربعون الف مثقال وقيل ثمانون وقيل مائة رطل وقيل الف ومائتا مثقال
وقيل الف دينار وقيل مائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم وقيل دية النفس واختلف في ان وزنه فعلال
او فنعال ولفظ المقنطرة مأخوذ منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة المحكمة المحصنة وقيل الكثيرة المنضدة
بعضها على بعض او المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة من الذهب والفضة بيان للقناطير او حال والخيل
عطف على القناطير وقيل هي جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد فرس وقيل واحده خائل وهو مشتق
من الخيلاء المسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها اذا ارسلها وسيبها للرعي
او المطهمة التامة الخلق والانعام اي الابل والبقر والغنم والحرث اي الزرع مصدر بمعنى المفعول ذلك
اي ما ذكر من الاشياء المعهودة متاع الحيوة الدنيا اي ما يتمتع به في الحيوة الدنيا اياماً قلائل فتفنى سريعاً والله عنده
حسن المآب حسن المرجع وفيه دلالة على ان ليس فيما عدد عاقبة حميدة وفي تكرير الاسناد بجعل الجلالة مبتدأ واسناد
الجملة الظرفية اليه زيادة تأكيد وتفخيم ومزيد اعتناء بالترغيب فيما عند الله عز وجل من النعيم المقيم والتزهيد في ملاذ الدنيا
وطيباتها الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم اثر ما بين شأن مزخرفات الدنيا وذكر ما عنده تعالى من حسن المآب
اجمالاً امر النبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة في الترغيب والخطاب للجميع والهمزة للتقرير اي هل
اخبركم بما هو خير مما فصل من تلك المستلذات المزينة لكم وابهام الخير لتفخيم شأنه والتشويق اليه وقوله تعالى للذين اتقوا
عند ربهم جنات استئناف مبين لذلك المبهم على ان جنات مبتدأ والجار مع المجرور خبر او على ان جنات مرتفع به على الفاعلية
عند من لا يشترط في ذلك اعتماد الجار على ما فصل في محله والمراد بالتقوى هو التبتل الى الله تعالى والاعراض عما سواه على ما ينبئ
عنه النعوت الآتية وتعليق حصول الجنات وما بعدها من الخيرات به للترغيب في تحصيله والثبات عليه وعند نصب على الحالية
من جنات او متعلق بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار مفيد لكمال علو رتبة الجنات وسمو طبقتها والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضمير المتقين لاظهار مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلقة بخير وكذا الظرف وجنات خبر لمبتدأ محذوف
والجملة مبينة لخير ويؤيده قراءة جنات بالجر على البدلية من خير ولا يخفى ان تعليق الاخبار والبيان بما هو خير لطائفة ربما
توهم ان هناك خيراً آخر لآخرين تجري في محل الرفع او الجر صفة جنات على حسب القراءتين من تحتها الانهار

متعلق بتجرى فان اريد بالجنات نفس الاشجار كما هو الظاهر فجريانها من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض والاشجار
فهو باعتبار جزئها الظاهر كما مر تفصيله مرارا خالدين فيها حال مقدرة من المستكن في للذين والعامل فيه من معنى الاستقرار
وازواج مطهرة عطف على جنات اى مبرأة مما يستقذر من النساء من الاحوال البدنية والطبيعية ورضوان التنوين
للتفخيم وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افادة التنوين من الفخامة اى رضوان واى رضوان لا يقادر
قدره كائن من الله عز وجل بضم الراء والله بصير بالعباد وباعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها او بصير باحوال الذين
اتقوا ولذلك اعد لهم ما ذكر وفيه اشعار بانهم المستحقون للتسمية باسم العبد الذين يقولون ربنا اننا آمنا في محل الرفع على انه
خبر مبتدأ محذوف كانه قيل من اولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين الخ او النصب على المدح او الجر
على انه صفة للمتقين او للعباد او بدل من احدهما وقوله تعالى والله بصير بالعباد ح معترضة وتاكيد الجملة لاظهار ان ايمانهم
ناشئ من وفور الرغبة وكمال النشاط وفي ترتيب الدعاء بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار على مجرد الايمان
دلالة على كفايته في استحقاق المغفرة والوقاية من النار الصابرين هو على تقدير كون الموصول في محل الرفع منصوب على المدح
باضمار اعني واما على تقدير كونه في محل النصب او الجر فهو نعت له والمراد بالصبر هو الصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين
البأس والصادقين في اقوالهم ونياتهم وعزائمهم والقانتين المداومين على الطاعات المواظبين على العبادات والمنفقين اموالهم في
سبيل الله تعالى والمستغفرين بالاسحار قال مجاهد وقتادة والكلبي اى المصلين بالاسحار وعن زيد بن اسلم هم الذين يصلون
الصبح في جماعة وقال الحسن مدوا الصلوة الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رض يحيي الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا
فاقول لا فيعاود الصلوة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون في الليل حتى اذا كان السحر
اخذوا في الدعاء والاستغفار وتخصيص الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة اذ العبادة ح اشق والنفس
اصفى والروح اجمع لا سيما للمتهجدين وتوسيط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة على استقلال كل منها وكمالهم فيها او للتغاير
الموصوفين بها شهد الله انه بفتح الهمزة اى بانه او على انه لا اله الا هو اى بين وحدانيته بنصب الدلائل
التكوينية في الانفس والآفاق وانزال الآيات التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة
ايذانا بقوته في اثبات المطلوب واستشعارا بانكار المنكر وقرئ انه بكسر الهمزة اما باجراء شهد مجرى قال واما بجعل الجملة اعتراضا
وايقاع الفعل على قوله تعالى ان الدين اما على قراءة ان بفتح الهمزة كما للكسائي وقرئ شهداء الله بالنصب على انه حال من المذكورين
او على المدح وبالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وما له الرفع على المدح اى هم شهداء الله وشهداء اما جمع شهيد كظرفاء في جمع ظريف
او جمع شاهد كشعراء في جمع شاعر والملائكة عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي شامل للاقرار والايمان
بطريق عموم المجاز اى اقروا بذلك واولوا العلم اى آمنوا به واحتجوا عليه بما ذكر من الادلة التكوينية والتشريعية
قيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام وقيل المهاجرون والانصار وقيل علماء مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل
جميع علماء المؤمنين الذين عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل القاطعة وارتفاعهما على القراءتين الاخيرتين وقيل بالعطف على الضمير في شهداء
لوقوع الفصل بينهما وانت خبير بان ذلك على قراءة النصب على الحالية يؤدي الى تقييد حال المذكورين بشهادة الملئكة واولي العلم
وليس فيه كثير فائدة فالوجه ح كون ارتفاعهما بالابتداء والخبر محذوف لدلالة الكلام عليه اى والملئكة واولوا العلم شهداء بذلك
وذلك ان تحمل القراءتين على المدح نصبا ورفعا فح يحسن العطف على المستتر على كل حال قائما بالقسط اى مقيما للعدل في جميع اموره
بيان لكماله تعالى في افعاله اثر بيان كماله في ذاته تعالى وانتصابه على الحالية من الله كما في قوله تعالى وهو الحق مصدقا وانما جاز
افراده مع عدم جواز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ولعل تاخيره عن المعطوفين للدلالة

على انه تابع للمتقين نعتا او بدلا او للعباد كذلك لكن الاول اظهر

وسبب اصابته على ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قد بات ذات ليلة في حجرة اخته حفصة فذكر اخيها عبد الله رض فقال عليه السلام فيه نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم بالليل فوقع هذا الكلام الشريف في خاطرها فلما اصبحت ذهبت الى بيت اخيها فقصت عليه رض ما قال خير البشر في حقه فحملته الحمية على الاحياء لمحرره

للدلالة على علو رتبتهما وقرب منزلتهما والمسارعة الى اقامة شهود التوحيد اعتناء بشانه ورفعا لمحله وهو السر في تقديمهما على المعطوف
مع ما فيه من الايذان باصالته تعالى في الشهادة به كما مر في قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه او من هو وهو الاوجه والعامل
فيها معنى الجملة اي تفرد او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح وقيل على انه صفة للمنفي اي لا اله قائما الخ والفصل بينهما من قبيل
توسعاتهم وهو مندرج في المشهود به اذا جعل صفة او حالا من الضمير او نصبا على المدح منه وقرئ القائم بالقسط على البدلية
من هو فيلزم الفصل بينهما كما في الصفة او على انه خبر لمبتدأ محذوف وقرئ قيما بالقسط لا اله الا هو تكرير للتاكيد ومزيد
الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليجري عليه قوله تعالى العزيز الحكيم فيعلم انه المنعوت بهما ووجه الترتيب
تقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته تعالى ورفعهما على البدلية من الضمير او الوصفية لفاعل شهد او الخبرية لمبتدأ مضمر وقد روي في
فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد
ادخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله وروي عن سعيد بن جبير انه كان حول البيت
ثلثمائة وستون صنما فلما نزلت هذه الآية الكريمة خررن سجدا وقيل نزلت في نصارى نجران وقال الكلبي قدم على النبي
حبران من احبار الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان
فلما دخلا عليه عليه السلام عرفاه بالصفة فقالا له عليه السلام انت محمد قال عليه السلام نعم قالا انت احمد قال عليه السلام انا محمد واحمد
قالا فانا نسألك عن شيء فان اخبرتنا به آمنا بك وصدقناك قال عليه السلام سلا فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله
عز وجل فانزل الله تعالى هذه الآية فاسلم الرجلان ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للاولى
اي لا دين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة وعن قتادة انه شهادة ان لا اله
الا الله والاقرار بما جاء من عند الله تعالى وقرئ أن الدين عند الله الاسلام على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان
او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة او على ان شهد واقع عليه على تقدير قراءة انه بالكسر كما اشير اليه وما اختلف الذين
اوتوا الكتاب نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وانكروا نبوته
والتعبير عنهم بالموصول وجعل ايتاء الكتاب صلة له لزيادة تقبيح حالهم فان الاختلاف ممن اوتي ما يزيله ويقطع شأفته
في غاية القبح والسماجة وقوله عز وجل الا من بعد ما جاءهم العلم استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاوقات اي
فما اختلفوا في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا بعد ان علموا انه الحق الذي لا محيد عنه او بعد ان علموا حقيقته الامر وتمكنوا
من العلم بها بالحجج النيرة والآيات الباهرة وفيه من الدلالة على ترامي حالهم في الضلالة ما لا مزيد عليه فان الاختلاف بعد
حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل وقوله تعالى بغيا بينهم اي حسدا كائنا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر
تشنيع اثر تشنيع ومن يكفر بآيات الله الناطقة بما ذكر من ان الدين عند الله تعالى الاسلام ولم يعمل بمقتضاها او بآية آية كانت من آياته
على ان يدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا فان الله سريع الحساب اي يأتي حسابه عن قريب او يتم ذلك بسرعة واظهار الجلالة
لتربية المهابة وادخال الروعة وفيه ترتب العقاب على مطلق الكفر بآياته تعالى من غير تعرض لخصوصية حالهم من كون كفرهم بعد ايتاء الكتاب
وحصول الاطلاع على ما فيه وكون ذلك للبغي دلالة على كمال شدة عقابهم فان حاجوك اي في كون الدين عند الله الاسلام
او جادلوك فيه بعد ما اقمت عليهم الحجج فقل اسلمت وجهي اي اخلصت نفسي وقلبي وجملتي وانما عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء
الظاهرة ومظهر القوى والمشاعر ومجمع معظم ما يقع به العبادة من السجود والقراءة وبه يحصل التوجه الى كل شيء لله لا اشرك به
فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الآيات والرسل عليهم السلام ومن اتبعن عطف على المتصل في اسلمت
وحسن ذلك لمكان الفصل الجاري مجرى التاكيد بالمنفصل اي واسلم من اتبعني او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب اي من اليهود

قوله بعد اقامة الحجج وهي شهادة الله تعالى والملائكة واولي العلم كازروني

قوله البيت نخ

قائم مقام جواب الشرط علة له اي ومن يكفر بآياته تعالى فانه تعالى يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه سريع الحساب ح

والنصارى وضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل بين وصفي المتعاطفين والامّيين الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب
ءاسلمتم متبعين لي كما فعل المؤمنون فانه قد اتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة فهل اسلمتم وعلمتم بمقتضيها او انتم على
كفركم بعد كما يقول من يخصّ لصاحبه المسئلة ولم يدع طريق التوضيح والبيان مسلكا الا سلكه فهل فهمتها انتم على منهاج قوله تعالى فهل انتم منتهون
اثر التفصيل الصوارف عن تعاطي الخمر والميسر وفيه من استفسادهم وتغييرهم بالمعاني وقلة الانصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة التوكيد، لا يخفى
فان اسلموا مثل اسلمتم وانما لم يصرح به كما في قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به ضنا لباب الاطلاق اسم الاسلام على شئ آخر بالكلية
فقد اهتدوا اى فازوا بالحظ الاوفر وخرجوا عن مهاوي الضلال وان تولوا اى اعرضوا عن الاتباع وقبول الاسلام
فانما عليك البلاغ قائم مقام الجواب اى لم يضروك شيئا اذ ما عليك الا البلاغ وقد فعلت على ابلغ وجه روى ان رسول الله عليه السلام
لما قرأ هذه الآية على اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال عليه السلام لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله
ان يكون عيسى عبدا وذلك قوله عز وجل وان تولوا والله بصير بالعباد عالم بجميع احوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعيد ان الذين
يكفرون بآيات الله اى آية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالآيات الناطقة بحقية الاسلام على الوجه الذي مر تفصيله دخولا
اوليا ويقتلون النبيين بغير حق هم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء عليهم السلام وقتلوا اتباعهم وهم راضون عما فعلوا
وكانوا قاتلهم الله تعالى حائمين حول قتل النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان عصم الله عز وجل ساحته المنيعة وقد اشير اليه
بصيغة الاستقبال وقرئ بالتشديد للتكثير والتقييد بغير اذن الله كان عندهم ايضا بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط
من الناس اى بالعدل ولعل تكرير الفعل للاشعار بما بين القتلين من التفاوت او باختلاف اوقاتهما عن ابي عبيدة بن
الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأ ما
ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثمائة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من بني اسرائيل
فامروا هؤلاء بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار وقرئ ويقاتلون الذين فبشرهم بعذاب اليم
خبر ان والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فانها بالنسخ لا تغير معنى الابتداء بل مزيدة تاكيدا وكذا الحال في النسخ بان المفتوحة
كما في قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وكذا النسخ بلكن كما في قوله فوالله ما فارقتكم عن ملامة ولكن ما بعضي
فسوف يكون وانما بتغيير معنى الابتداء في النسخ بليت ولعل وقد ذهب سيبويه والاخفش الى منع دخول الفاء عند النسخ مطلقا
فالخبر عندهما قوله تعالى اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كما في قولك الشيطان فاحذره عدو مبين وعلى الاول
هو استئناف واسم الاشارة مبتدأ وما فيه من معنى البعد للدلالة على تراخي رتبهم في الضلال وبعد منزلتهم في فظاعة الحال
والموصول بما في حيز صلته خبره اى اولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة المستوجبون بسوء الحال الذين بطلت اعمالهم التي عملوا
من البر والحسنات ولم يبق لها اثر في الدارين بل بقي لهم اللعنة والخزي في الدنيا وعذاب اليم في الآخرة وما لهم من
ناصرين ينصرونهم من بأس الله وعذابه في احدى الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع في مقابلته لا لنفي تعدد الانصار من
كل واحد منهم كما في قوله تعالى وما للظالمين من انصار الم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من تتأتى منه
الرؤية من حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من ان اختلافهم في الاسلام انما كان بعد ما جاءهم العلم بحقيته اى
الم تنظر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اى التوراة على ان اللام للعهد وحمله على جنس الكتب الالهية تطويل للمسافة
اذ تمام التعجيب حينئذ يكون التوراة من جملتها لان مدار التشنيع والتعجيب انما هو اعراضهم عن المحاكمة الى ما دعوا اليه وهم
لم يدعوا الا الى التوراة والمراد بما اوتوا منها ما بأيديهم فيها من العلوم والاحكام التي من جملتها ما علموا من نعوت النبي عليه السلام
وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب للاشعار بكمال اختصاصه بهم وكونه حقا من حقوقهم البين بحب دواعيها والعمل

بموجبها وما فيه من التنكير للتفخيم وحمله على التحقير لا يساعد مقام المبالغة في تقبيح حالهم يدعون الى كتاب الله
الذي اوتوا نصيبا منه وهو التوراة والاظهار في مقام الاضمار لايجاب الاضافة والاضافة الى الاسم الجليل لتشريفه
وتاكيد وجوب المراجعة اليه والجملة استئناف مبني لمحل التعجب مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل ما يصنعون
حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله تعالى وقيل حال من الموصول ليحكم بينهم وذلك بان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل مدارسهم فدعاهم الى الايمان فقال له ابن عمر والحارث بن زيد على اي دين انت قال صلى الله عليه وسلم على ملة ابراهيم
قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال عليه السلام فهلما بيننا وبينكم التوراة فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم
وقد اختلفوا فيه وقرئ ليحكم على بناء المجهول فيكون الاختلاف بينهم بان اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام واخرابه وعاداهم
الآخرون ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه وهم معرضون اما حال من فريق
لتخصصه بالصفة اى يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم او اعتراض اى وهم قوم دينهم الاعراض عن الحق والاصرار
على الباطل ذلك اشارة الى ما مر من التولي والاعراض وهو مبتدا خبره قوله تعالى بانهم اى حاصل بسبب انهم
قالوا لن تمسنا النار بما اقترفوا الذنوب وركوب المعاصي الا اياما معدودات وهي مقدار عبادتهم العجل وقرئ
اعتقادهم على ذلك وهو نوا عليهم الخطوب وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم ان
اباءنا الانبياء يشفعون لنا وان ثبت الله تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم ولذلك
ان ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح فكيف رد لقولهم المذكور وابطال لما غرهم باستعظام ما سيدهم وتهويل
ما يجيق بهم من الاهوال اى فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم ليوم اى لجزاء يوم لا ريب فيه اى في وقوعه ووقوع ما فيه
روى ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفر رايات اليهود فيفضحهم الله عز وجل على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم
الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت اى جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون وانما وضع المكسوب موضع جزائه
للايذان بكمال الاتصال والتلازم بينهما كانهما شيء واحد وفيه دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار
لان توفية جزاء ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها وهم اى كل الناس المدلول عليهم بكل نفس
لا يظلمون بزيادة عذاب او بنقص ثواب بل يصيب كلا منهم مقدار ما كسبه قل اللهم الميم عوض عن حرف النداء
ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل كدخول عليه مع حرف التعريف وقطع همزته ودخول تاء التانيث عليه وقيل
اصله يا الله آمنا بخير اى اقصدنا به فحذفت حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزة مالك الملك اى مالك جنس الملك
على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث يتصرف فيه كيفما شاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك
ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده بمنع الوصفية تؤتي الملك بيان لبعض وجوه عموم ايتاء الذي
هو مجرد الاعطاء على الملك المؤذن بثبوت الملكية حقيقة من تشاء اى ايتاءه اياه وتنزع الملك ممن تشاء
اى نزعه منه فالملك الاول حقيقي عام ومملوكه حقيقة والاخران مجازيان خاصان ونسبتهما الى صاحبهما مجازية وقيل
الملك الاول عام والاخران بعضان منه فتامل وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى آخرين وتعز من تشاء
اى تعزه في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر والتوفيق وتذل من تشاء ان تذله في احديهما او فيهما من غير ممانعة
من الغير ولا مدافعة بيدك الخير تعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص اى بقدرتك الخير كله لا بقدرة احد من غيرك
تتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما يقتضيه مشيتك وتخصيص الخير بالذكر لما انه مقتضى بالذات واما الشر فمقتضى بالعرض
اذ ما من شر جزئي الا وهو متضمن لخير كلي او لان في حصول الشر دخلا لصاحبه في الجملة لانه من اجزئة اعماله واما الخير

فضل محض ولرعاية الادب اولان الكلام فيه فاتة روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب
وقطع لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعا واخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق صخرة كالتل لم يعمل فيها المعاول فوجهوا
سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه السلام واخذ منه المعول فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين
لابتيها كان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب
الثانية فقال اضاءت لي منها قصور الحيرة في ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء اخبرني جبريل ان
امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة
ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الخوف لا تستطيعون ان برزوا فنزلت انك على كل شيء قدير
تعليل لما سبق وتحقيق له تولج الليل في النهار اي تدخل فيه بتعقيبه اياه او بنقص الاول وزيادة الثاني وتولج
النهار في الليل على احد الوجهين وتخرج الحي من الميت اي تنشئ الحيوانات من مواد مما او من النطفة وقيل تخرج
المؤمن من الكافر وتخرج الميت من الحي اي تخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الكافر من المؤمن وترزق
من تشاء بغير حساب قال ابو العباس المتوكل ورد لفظ الحساب في القرآن على ثلثة اوجه بمعنى التعب قال تعالى
وترزق من تشاء بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن
او امسك بغير حساب والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق او من مفعوله وفيه دلالة على ان من قدر على امثال
تلك الافاعيل العظام المحيرة للعقول والافهام قدرته على ان ينتزع الملك من العجم ويذلهم ويثبته العرب ويعزهم
اهون من كل هين عن علي رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتان
من آل عمران شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم الى قوله تعالى بغير حساب معلقات
ما بينهن وبين الله تعالى حجاب قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل اني حلفت انه لا يقرؤكن
احد دبر كل صلوة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته في حظيرة القدس ونظرت اليه بعيني كل يوم سبعين نظرة
وقضيت له سبعين حاجة ادناها المغفرة واعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك
قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم لهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشغلوا
بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة لوجاهلية ونحوها من اسباب المصادقة والمعاشرة كما في قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء حتى لا تكون محبتهم ولا بغضهم لله تعالى
او عن الاستعانة بهم في التزوير وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين في موضع الحال اي متجاوزين المؤمنين اليهم
استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن
يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء والتعبير عنه بالفعل للاختصار او لايهام الاستهجان بذكره فليس من الله
اي من ولايته تعالى في شيء يصح ان يطلق عليه اسم الولاية فان موالاة المتعادين مما لا يكاد يدخل تحت الوقوع
قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس الكوك بعارب والجملة اعتراضية وقوله تعالى الا ان تتقوا
على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثناء موزع من اعم الاحوال والعامل فعل النهي معتبرا فيه الخطاب كانه قيل
لا تتخذوهم اولياء ظاهرا وباطنا في حال من الاحوال الا حال اتقائكم منهم اي من جهتهم تقاة اي اتقاء
او شيئا يجب اتقاؤه على ان المصدر واقع موقع المفعول فانه يجوز اظهار الموالاة مع اطمئنان النفس او بالعداوة

و تشبيه القصور بانياب الكلاب في بياضها وصفرتها وانتصاب بعضها الى البعض

الحيرة بكسر الحاء مدينة بقرب الكوفة

المندوحة السعة يقال لي عن هذا الامر مندوحة اي عنه وسعة

منازل

والسعداء

والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار ماخ الضمير كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا واصل
نفاة وفيه ثم ابدلت الواو تاء كتخمة وتهمة وقلبت الياء الفا وقرئ نفسه وليحذركم الله نفسه اى ذاته المقدسة
فان جواز اطلاق لفظ النفس مرادا به الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المعتزلة وقد صرح بعض محققي المتأخرين
بعدم الجواز وان اريد به الذات الا مشاكلة وفيه من التهديد مالا يخفى عظمه وذكر النفس للايذان بان له عز شانا لا يوبه دونه
بما يحذر من العقوبة والى الله المصير تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه حتما قل ان تخفوا ما في صدوركم من العقائد التي من جملتها
ولاية الكفرة او تبدوه فيما بينكم يعلمه الله فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم اليه وتهديم الاخفاء على الابداء فقد عرسرة في غير
قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ويعلم ما في السموات وما في الارض كلام مستانف
غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب ايراد الخاص بعد العام تاكيدا وتقريرا والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد
عليه ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وهو تذييل لما قبله مبين
لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه بان ذاته المقدسة المتميزة من سائر الذوات المتصفة بالاتصاف بشيء منها من العلم الذاتي
المتعلق بجميع المعلومات والقدرة الذاتية التي من جملتها بجميع المقدورات بحيث لا يخرج من ملكوته شيء قط يوم تجد كل نفس
اى من النفوس المكلفة ما عملت من خير محضرا عند ما يجازيها الله تعالى وفيه من التهويل ما ليس في حاضرا وما عملت من سوء
عطف على ما عملت والاحضار معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر في الخير للاشعار بكون الخير مرادا بالذات وكونه احضار البشر
من مقتضيات الحكمة التشريعية تود عامل في الظرف والمعنى تود وتتمنى يوم تجد صحائف اعمالها من اعمالها من الخير
والشر او اجزيتها محضرة لو ان بينها وبينه اى بين ذلك اليوم امدا بعيدا لغاية هوله وفي اسناد الود الى كل نفس
سواء كان لها عمل سوء او لا بل كانت متحققة في الخير من الدلالة على كمال فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه ما لا يخفى اللهم انا نعوذ بك
من ذلك فيجوز ان يكون انتصاب يوم على المفعولية باضمار اذكروا او تود اما حال من كل نفس او استئناف مبني على السؤال اى
اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضرا او ادته ان بينها وبينه امدا بعيدا او كان سائلا قال حين امروا بذكر ذلك اليوم
فماذا يكون اذ ذاك فقيل تود لو ان بينها الخ او تجد متصورا على ما عملت من خير وتود خير ما عملت من سوء ولا تكون ما شرطية
لامتناع تود وقرئ ودت فيجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانها حكاية حال ماضية وادغم للقراءة المشهورة
ويحذركم الله نفسه تكرير لما سبق واعادة له لكن لا للتاكيد فقط بل لافادة ما يفيده قوله عز وجل والله رؤف بالعباد
من ان تحذيره تعالى من رأفته بهم ورحمته الواسعة وان رأفته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرتموه من عقابه وان تحذيره ليس مبنيا
على تناسي صفة الرأفة بل هو تحقق مع تحققها ايضا كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فالجملة على الاول
اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم الجليل لتربية المهابة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء
لكمال ادركته فيجتلبها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله عز وجل وان كل ما يراد كمالا من نفسه
او من غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعة والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت
المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله
اى يرض عنكم ويغفر لكم ذنوبكم اى يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم ويقربكم من جناب عزته ويوتكم في جوار قدسه
عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة او المشاكلة والله غفور رحيم اى لمن يجيب اليه بطاعته تتقرب اليه باتباع نبيه عليه السلام
فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للاشعار باستتباع وصف الالوهية للمغفرة والرحمة
روى انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله تعالى

وقيل في اقوام زعموا على عهد عليه السلام انهم يحبون الله تعالى فاريد ان يجعلوا لقولهم مصداقا من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس
رضه ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا
في اذانها الشنوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابرهيم واسمعيل عليهما السلام فقالوا قريش
انما نعبدها حبا لله تعالى ليقربونا الى الله زلفى فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله وتعبدون
الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني اي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله فانا رسول اليكم وحجة عليكم قل اطيعوا الله والرسول
اي في جميع الاوامر والنواهي فيدخل في ذلك الطاعة في اتباعه عليه السلام دخولا اوليا وايثار الاظهر على الاضمار بطريق الالتفات
لتعيين جهتي الاطاعة والاشعار بعلتها فان الاطاعة انما امر بها اطاعة عليه السلام من حيث انه رسول الله لا من حيث ذاته
ولا ريب في ان عنوان الرسالة عين موجبات الاطاعة ودواعيها فان تولوا اما من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب
بحذف احدى التائين اي تتولوا واما كلام منتزع عليه مسوق من جهته تعالى فهي صيغة الماضي الغائب وفي ترك ذكر احتمال الاطاعة كما في قوله تعالى
فان اسلموا تلويح الى انه غير محتمل منهم فان الله لا يحب الكافرين تنفي المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه تعالى عليهم اي لا يرضى عنهم ولا يثني
عليهم وايثار الاظهار على الاضمار لتعميم الحكم بعلة الكفرة والاشعار بعلته فان سخطه تعالى عليهم سبب كفرهم والايذان بان التولي
عن الطاعة كفر وبان محبته عز وجل مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين
لما بين الله عز وجل ان الدين المرضي عنده هو الاسلام والتوحيد وان اختلاف اهل الكتابين فيه انما هو للبغي والحسد وان الفوز
برضوانه ورحمته ومغفرته منوط باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من اهل بيت النبوة القديمة
فبدأ ببيان جلالة اقدار الرسل عليهم السلام كافة واتبعه ذكر مبدأ امر عيسى عليه السلام وامه وكيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام
تحقيقا للحق وابطالا لما عليه اهل الكتابين في شانهما من الافراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في ابرهيم عليه السلام وادعائهم
انه انما كان على ملتهم وحزه مساءة العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على ان جميع الرسل عليهم السلام دعاة الى عبادة الله عز وجل
وهم وطاعته منزه عن احتمال الدعوة الى عبادة انفسهم او غيرهم من الملكة والنبيين وان امة فاطبة مامورون بالايمان على اثرهم
من رسول مصدق لما معهم تحقيقا لوجوب الايمان برسول الله عز وجل وكتابه المصدق لما بين يديه من التورية وتختم الطاعة جميعا
بثاني تفصيل وتخصيص آدم عليه السلام لانه ابو البشر ومنشاؤه وكذا حال نوح عليه السلام فانه آدم الثاني واما ذكر آل ابرهيم
فلترغيب المعترفين باصطفائهم في الايمان بنبوة النبي عليه السلام استمالتهم كوالاعراف باصطفائه بواسطة كونه من ذريتهم
مع ما مر من التنبيه على كونه عليه السلام عريقا في النبوة من ذرية المصطفين الاخيار واما ذكر آل عمران مع اندراجهم في آل ابرهيم
فلاظهار فريد الاعتناء بتحقيق امر عيسى عم كمال رسوخ الخلاف في شانه فان نسبة الاصطفاء الى الاب الاقرب ادل على تحقق
في الآل وهو الداعي الى اضافة آل الى ابرهيم دون نوح وآدم عليهما السلام وان اصطفاء اخذ ما صفى من الشيء كالصفاء
مثل باختيارة تعالى اياهم بالنفوس القدسية وما يليق بها من الملكات الجسمانية المستتبعة للرسالة في نفس المصطفى كما في كافة
الرسل عليهم السلام او فيمن يلابسه وينشأ منه كما في مريم وقيل اصطفى آدم عم بان خلقه بيده في احسن تقويم وبتعليم الاسماء
واسجاد الملكة اياه واسكانه الجنة واصطفى نوحا عم بكونه اول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل ذلك تزويج المحارم حراما
وابطاله عمره وجعل ذريته هم الباقين واستجابة دعوته في حق الكفرة والمؤمنين وحمله على من الماء والمراد بآل ابرهيم اسمعيل
واسحق وآلا نبياء من اولادهما الذين من جملتهم النبي عليه السلام واما اصطفاء نفس هؤلاء من اصطفائهم بطريق الاولوية
وعدم التصريح للايذان بالغنى عنه لكمال شهرة امره في الخلة وكونه امام الانبياء وقدوة الرسل عليهم السلام وكونه اصطفاء آله
بدعوته بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية ولذلك قال عليه السلام انا دعوة ابي ابرهيم وآل عمران عيسى وامه مريم

ابنة عمران بن ماثان بن العاذار بن اليهوذ بن زرب بابل بن سالتيان بن يوحنا اوشا بن اموز ابن منشى بن حارقا
بن احاذ بن يوثام بن عزريا بن يوزان بن ساقط بن ابشا بن راجعيم بن سليمان بن داود على نبينا وعليهما السلام بن ايشا بن عويل
بن سلمون بن باعز بن يخشوى بن عميادب بن وام بن حضرم فارض بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام وقيل موسى وهرون عليهما السلام
ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة فيكون اصطفاء عيسى عليه السلام
بالاندراج فى آل ابرهيم عليه السلام والاول هو الاظهر بدليل يعقبه بقصة مريم واصطفاء موسى وهرون عليهما السلام بالانتظام فى سلك
آل ابرهيم عليه السلام انتظاما حقا او المراد بالعالمين اهل زمان كل واحد منهم اى اصطفى كل واحد منهم على عالمى زمانه ذرية
نصب على البدلية من الآلين او على الحالية منهما وقد مر بيان اشتقاقها فى قوله تعالى ومن ذريتى وقوله تعالى بعضها من بعض
فى محل النصب على انه صفة لذرية اى اصطفى الآلين حال كونهم ذرية متشعبة البعض من البعض فى النسب كما ينبئ عنه التعوض
لكونهم ذرية وقيل بعضها من بعض فى الدين فالاستخلاف على الوجه الاول ظاهر وعلى الثانى برمته والله سميع لاقوال
العباد عليم باعمالهم الباطنة والخافية فيصطفى من بينهم لخدمته من يظهر استقامته قولا وفعلا على نهج قوله تعالى الله اعلم
حيث يجعل رسالته والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها اذ قالت امرأة عمران فى حيز النصب على المفعولية بفعل مقدر
على طريق الاستئناف لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان كيفيته اى اذكر وقت قولها الخ وقد مر مرارا وجه توجيه التذكير
الى الاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث وقيل هو منصوب على الظرفية لما قبلها اى سميع لما قبلها الوقت
المحكى عليم بضمائر المنوى وقيل هو ظرف بمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى المذكور ركاكة قيل واصطفى آل عمران اذ قالت الخ
كان من حق الجمل دون عطف المؤديات على المؤديات المكون اصطفاء الكل فى ذلك الوقت واذ امرأة عمران من حنة بنت فاقود جد عيسى عليه السلام
وكان لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون عليهما السلام فظن ان المراد زوجته وليس بذاك فان قصة كفالة زكريا
عليه السلام قاضية بانها زوجة عمران بن ماثان لانه عليه السلام كان معاصرا له وقد تزوج ايشاع اخت حنة ام يحيى عليه السلام واما قول
على السلام فى شان يحيى وعيسى عليهما السلام ابنا خالة فقيل تاويله ان الاخت كثيرا ما تطلق على بنت الاخت وبهذا الاعتبار جعلا
عليهما السلام ابنى خالة وقيل كانت ايشاع اخت حنة من الام واخت مريم من الاب على ان عمران نكح اولا حنة فولدت لها ايشاع
ثم نكح حنة بناء على جواز نكاح الربائب فى شريعتهم فولدت مريم فكانت ايشاع اخت مريم من الاب وخالتها من الام لانها اخت
حنة من الام روى انها كانت عجوزا عاقرا فبينما هى ذات يوم فى ظل شجرة اذ رات طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنت
وقال اللهم ان لك على نذرا ان رزقتنى ولدا ان تصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وكان هذا النذر مشروعا
عندهم فى الغلمان ثم هلك عمران وهى حامل وهو قولها رب انى نذرت لك ما فى بطنى لابد من حمل على التكرير لان كيد نذرها
واخراجه عن صورة التعليق الى صيغة التنجيز والتعوض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة
الى ضميرها بالجزئية سلوك طريق الاجابة ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله بما يناسب من اسمائه وصفاته
وتاكيد الجملة لابراز وفور الرغبة فى مضمونها وتقديم الجار والمجرور للاهتمام والاعتناء به وانما عبرت عن الولد بما لابهام امره وقصوره
عن درجة العقلاء محررا اى معتقا لخدمة بيت المقدس لا يشغله شاة آخر اوخلصا للعبادة ونصب على الحالية من الموصول
والعامل فيه نذرت وقيل من ضميره فى الصلة والعامل معنى الاستقرار فانها فى قوة ما استقر فى بطنى ولا يخفى ان المراد تقييد فعلها
بالتحرير ليحصل به التقرب اليه تعالى لا تقييد ما لا دخل لها فيه من الاستقرار فى بطنها فتقبل منى اى ما نذرته والتقبل اخذ الشىء على وجه
الرضى وهذا فى الحقيقة استدعاء للولد اذ لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى انك انت
السميع بجميع المسموعات التى من جملتها تضرعى ودعائى العليم بكل المعلومات التى من جملتها ما فى ضميرى لا غير وهو تعليل

لاستدعاء القبول للامن حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائها عليما بما في ضميرها صحيح للمتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نيتها واخلاصها مستدع لذلك تفضلا واحسانا وتاكيد الجملة لعوض قوة يقينها بمضمونها وقصر صفة السمع والعلم عليه تعالى لعوض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه بالكلية مبالغة في القراءة والابتهال • فلما وضعتها • اى ما في بطنها وتانيث الضمير العائد اليه لما ان المقام مقتض ظهورا انوثته واعتباره في حيز الشرط اذ عليه يترتب جواب لما اعني قوله تعالى • قالت رب اني وضعتها انثى • لاعلى وضع ولدها كانه قيل فلما وضعت بنتا قالت الخ وقيل تانيثه لان ما في بطنها كان انثى في علم الله تعالى اولانه مؤول بالجملة او بالنفس او بالنسمة • والله اعلم بما وضعت • بان اعتبار شئ مما ذكر في حيز الشرط لايكون مدارا لترتب الجواب عليه وقوله تعالى انثى حال مؤكدة من الضمير او بدل منه وتانيثه للمبالغة الى عرضها وهمه من خيبة الرجاء او لما قر من التاويل بالجملة او النسمة فالحال حينئذ واما قالته تحزنا وتحسرا على خيبة رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجو ان تلد ذكرا وكذلك نذرته محررا للسدانة والتاكيد للرد على اعتقادها الباطل • والله اعلم بما وضعت • تعظيم من جهته تعالى لموضعها وتجهيل لها بقدره اى والله اعلم بالشئ الذي وضعته وما علق به من عظائم الامور وجعله وايته للعالمين وهي غافلة عن ذلك والجملة اعتراضية وقرئ وضعت على صيغة المتكلم مع الالتفات من الخطاب الى الغيبة اظهارا للغاية الاجلال فيكون ذلك منها اعتذارا لله تعالى حيث اتت بمولود لايصلح لما نذرته من السدانة وتسلية لنفسها على معنى لعل لله تعالى في سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر فوجه الالتفات ح ظاهر • وقوله تعالى • وليس الذكر كالانثى • اعتراض آخر مبين لما في الاول من تعظيم الموضوع ورفع منزلة واللام في الذكر والانثى للعهد اى ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا حصارا ان يكون كواحد من السدنة كالانثى التي وهبت لها فان دائرة علمها وامنيتها لا تكاد تخبط بما فيها من جلائل الامور هذا على التوائمين الاولين واما على التغاير الاخير للقراءة الاخيرة فمعناه وليس الذكر كهذه الانثى في الفضيلة بل ادنى منها واما على التغاير الاول فلها معنى ثاكيدا الاعتذار ببيان ان الذكر ليس كالانثى في الفضيلة والمزية وصلاحية خدمة المتعبدات فانهن بمعزل من ذلك فاللام للجنس وقوله تعالى • واني سميتها مريم • عطف على اني وضعتها انثى وغرضها من عرضها على علام الغيوب التوجه اليه تعالى واستدعاء العصمة لها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة قال القرطبي معناه خادم الرب واظهارا تها غير راجعة عن نيتها وان كان ما وضعته انثى وانها ان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه • واني اعيذها بك • عطف على اني سميتها وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار اى اجريا صفتك وقرئ بفتح ياء المتكلم في المواضع التي بعدها همزة مضمومة الا في موضعين بعدي اوف آتوني افرغ وذريتها • عطف على الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه لابراز كمال العناية به • من الشيطان الرجيم • اى المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا الشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة • فتقبلها • اى اخذ مريم ورضي بها في النذر مكان الذكر • ربها • مالكها ومبلغها الى كمالها وفيه من تشريفها ما لا يخفى • بقبول حسن • قبل الباء زائدة والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد اى تقبلها قبولا حسنا وانما عدل عن الظاهر للايذان بمغايرة التقبل لكمال الرضي وموافقة للعناية الذاتية فان صيغة التفعل مشعرة بحسب اصل الوضع بالتكلف وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وان كان المراد بها في حقه تعالى ما يترتب عليه من كمال قوة الفعل وكثرته وقيل القبول ما يقبل به الشئ كالسعوط واللدود ما يسعط به ويلد وهو اختصاصه تعالى اياها بالقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى او بان سلمها من آفاتها عقيب الولادة قبل ان تنشا وتصلح للسدانة روى ان حنة حين ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم

الحصارية
النهاية
ج ١

وسلم

وقيل لانهم وجدوا اخرثا واخر عيسى عليه السلام فى الكتب الالهية فقال زكريا انا احق بها عندى خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا اقلامهم فطفا قلم زكريا وسرب اقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر وفيه مضاف مقدر اى فتقبلها بذى قبول اى بامر ذى قبول حسن وقيل تقبل بمعنى استقبل كتفضى بمعنى استفضى وتعجل بمعنى استعجل اى استقبلها فى اول امرها حين ولدت بقبول حسن • وانبتها • مجاز عن تربيتها بما يصلحها فى جميع احوالها • نباتا حسنا • مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد وقيل بل لفعل مضمر موافق له تقديره فنبتت نباتا حسنا • وكفلها زكريا • اى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها قائما بتدبير امورها على طريقة الوحى بل على ما ذكر من التفصيل فان رغبته هم فى كفالتها وطنوقلوبهم ورسوب اقلامهم وغير ذلك من الامور الجارية بينهم كلها من آثار قدرته تعالى وقرئ اكفلها وقرئ زكريا بالنصب والمد وقرئ بتخفيف الياء وكسرها ورفع زكريا ممدودا وقرئ وتقبلها ربها وانبتها وكفلها على صيغة الامر فى الكل ونصب ربها على الدعاء اى فاقبلها بربها وربها تربية حسنة واجعل زكريا كافلا لها فهو تعيين لجهة التربية قيل بنى هم لها محرابا فى المسجد اى غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب روى انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب • كلما دخل عليها زكريا المحراب • تقديم الظرف على العامل لاظهار كمال العناية بامرها ونصب المحراب على التوسع وكلما ظرف على ان ما مصدرية والزمان محذوف او نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف والعامل فيها جوابها اى كل زمان دخول عليها او كل وقت دخل عليها فيه • وجد عندها رزقا • اى نوعا منه غير معتاد اذ كان ينزل فى لك من الجنة وكان يجد عندها فى الصيف فاكهة الشتاء وفى الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع ثديا قط • قال • استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال زكريا حين شاهد هذه الآية فقيل قال • يا مريم انى لك هذا • اى من اين يجئ لك هذا الذى لا يشبه ارزاق الدنيا والابواب مغلقة دونك وهو دليل على جواز الكرامة للاولياء ومن انكرها جعل هذا ارهاصا وتاسيسا لرسالة عيسى عليه السلام وانما جعله معجزة لزكريا دون مريم لانباه اشتباه الامر عليه وانما خاطبها هو بذلك مع كونها بمعزل من رتبة الخطاب لما علم بشاهد حالها انها مؤيدة من عند الله تعالى بالعلم والقدرة • قالت • استيناف كما قبله كانه قيل فماذا اصنعت مريم ومن صغيرة لا قدرة لها على فهم السؤال ورد الجواب فقيل قالت • هو من عند الله • فلا تعجب ولا تستبعد • ان الله يرزق من يشاء • ان يرزقه • بغير حساب • اى بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا منه تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله اما من تمام كلامها فيكون فى محل النصب واما من كلامه عز وجل فهو مستانف روى ان فاطمة الزهراء رضى الله عنها اهدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمى يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة بنى اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين رضى الله عنهم وجميع اهل بيته فاكلوا وشبعوا وبقى الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها • هنالك • كلام مستانف وفقد مستقل سيقت فى اضاعيف حكاية حال مريم لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما اراد ما من تنوير ما سيقت لاحكايتها من بيان اصطفاء آل عمران فان فضائل بعض الاقرباء ادلة على فضائل الآخرين وهنا ظرف مكان واللام للدلالة على البعد والكاف للخطاب اى فى ذلك المكان حيث هو قائم عند مريم فى المحراب او فى ذلك الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان • دعا زكريا ربه • لما رأى كرامة مريم على الله تعالى ومنزلتها منه تعالى رغب فان يكون له من ايتاع ولد مثل ولد جنسه فى النجابة والكرامة على الله تعالى وان كانت عاجزا عاقرا فقد كانت جدته كذلك فقيل لما رأى الفواكه فى غير اوانها تنبه لجواز ولادة العجوز العاقر من الشيخ الفانى فاقبل على الدعاء من غير تاخير كما ينبئ عنه تقديم الظرف على الفعل لا على معنى ان ذلك هو الموجب للاقبال على الدعاء فقط بل كان جزءا اخيرا من العلة التامة التى من جملتها كبر سنه وضعف قواه وخوف موالية حسبما فصل فى سورة مريم • قال • تفسير للدعاء وبيان لكيفيته لا محل له من الاعراب • رب هب لى من لدنك • كلا الجارين

ارد حقه ان يتعدى بنى او بعلى لكنه اتسع فيه واو صل المعنوى بنفسه بحذف الجار

متعلق بهب للاضلاف معنيهما فان لام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا اى اعطنى من محض قدرتك من غير وسط معتاد ذرية طيبة كما وهبتها لخنة ويجوز ان يتعلق من بمحذوف وقع حالا اى كائنة من لدنك والذرية النسل تقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والمراد ههنا ولد واحد فانث فى الصفة لتانيث لفظ الموصوف كما فى قول من قال ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال وهذا اذا لم يقصد به واحد معين اما اذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو طلحة وحمزة فلا يجوز ان يقال جاءت طلحة وذهبت حمزة انك سميع الدعاء اى مجيبه وهو تعليل لما قبله وتمهيد لسلسلة الاجابة فنادته الملئكة كان المنادى جبرئيل عم كما يفصح عنه قراءة من قرأ فناداه جبرئيل والجمع كما فى قولهم فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله غير فرس وثوب قال الزجاج اى اتاه النداء من هذا الجنس الذين هم الملائكة وقيل لما كان جبرئيل عليه السلام رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له وقيل الرئيس لابد له من اتباع فاسند النداء الى الكل مع كونه صادرا عنه خاصة وقرئ فناداه بالامالة وهو قائم جملة حالية من مفعول النداء مقررة لما افاده الفاء من حصول البشارة عقيب الدعاء وقوله تعالى يصلى اما صفة لقائم او خبر ثان عند من يرى تعدده عند كون الثانى جملة كما فى قوله تعالى فاذا هى حية تسعى او حال اخرى منه على القول بتعدد ما بلا عطف ولا بدلية او حال من المستكن فى قائم وقوله تعالى فى المحراب اى فى المسجد او فى غرفة مريم متعلق بيصلى او بقائم على تقدير كون يصلى حالا من ضمير قائم لان العامل فيه وفى الحال حرف واحد فلا يلزم الفصل بالاجنبى فلا يلزم على التقادير السابقة ان الله يبشرك بيحيى اى بان الله وقرئ بكسر الهمزة على تقدير القول او اجراء النداء مجراه لكونه نوعا منه وقرئ يبشرك من الابشار ويبشرك من الثلاثى وايا ما كان ينبغى ان يكون هذا الكلام الى آخره محكيا بعبارته من الله عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية كما يلوح به مراجعة عم فى الجواب اليه تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن اسناد التبشير الى نون العظمة حسبما وقع فى سورة مريم للجرى على سنن الكبرياء كما فى قول الخليفة اجر المؤمنين يرسم لك كذا او للايذان بان ما حكى صناك من النداء والتبشير وما يترتب عليه من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية منه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا يتضح اتحاد المعنى فى السورتين الكريمتين فتامل ويحيى اسم اعجمى وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل روى عن ابن عباس رض انما سمى يحيى لان الله تعالى احيى به عقر امه وقال قتادة لانه تعالى احيى قلبه بالايمان قال القرطبى كان اسمه فى الكتاب الاول ضيا ولابد من تقدير مضاف يعود اليه الضمير اى لولادة يحيى فان التبشير لا يتعلق بالاعيان مصدقا حال مقدرة من يحيى بكلمة من الله اى بعيسى عم وانما سمى كلمة لانه وجد بكلمة كن من غير اب فشابه البديعيات التى هى عالم الامر ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة اى بكلمة كائنة منه تعالى نزل من السماء وصدق بانه كلمة الله وروح منه وقال السدى لقيت ام يحيى ام عيسى فقالت يا مريم اشعرت بحبلى فقالت مريم وانا ايضا حبلى فقالت فانى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة الخ وقال ابن عباس رض ان يحيى كان اكبر من عيسى عم بستة اشهر وقيل ثلث سنين وقيل رفع عيسى عم بعد ثلث سنين على كل تقدير يكون بين ولادة يحيى وبين البشارة برهة من زمان مديد لما ان مريم ولدت وهى بنت ثلث عشرة سنة او بنت عشر سنين وقيل بكلمة من الله اى بكتاب الله سمى كلمة كما قيل للقصيدة هذه كلمة فلان وسيدا عطف على مصدقا اى رئيسا يسود قومه وينوفهم فى الشرف وكان حائزا للناس خاطبة فانه لم يهتم بخطيئة ولم يهتم بمعصية فنالها من سيادة ما اسنا ها وحصورا عطف على ما قبله اى مبالغا فى حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة روى انه مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا عطف على ما قبله مترتب على المحدود من الخصال الحميدة من الصالحين اى ناشئا منهم لانه كان من اصلاب الانبياء عليهم السلام او كائنا من جملة المشهورين بالصلاح كما فى قوله تعالى وانه فى الآخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذى لابد منه فى منصب النبوة البتة من اقاصى مراتبه وعليه مبنى دعاء سليمان عم وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين قال استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال زكريا عم فقيل قال رب لم يخاطب الملك المنادى له بملابسته انه المباشر للخطاب وان كان ذلك بطريق الحكاية

عنه

عنه تعالى بل جرى على نهج دعائه السابق مبالغة في التضرع والمناجاة وجدا في التبتل اليه تعالى واحترازا عما يوهم خطاب الملك
من توهم ان علم سبحانه بما يصدر عنه وقوف البشر على ما يصدر عنه سبحانه على توسطه في عامة الاحوال وان لم يتوقف عليه في بعضها
اني يكون لي غلام فيه دلالة على انه خبر بكونه غلاما عند التبشير كما في قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانى بمعنى كيف
او من اين وكان تامة وانى والام متعلقان بها وتقديم المجار على الفعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى المؤخر
اى كيف او من اين يحدث لي غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تأخر لكان صفة له او ناقصة واسمها ظاهر وخبرها
اما انى واللام متعلقة بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى منصوب على الظرفية وقد بلغني الكبر حال من ياء المتكلم اى ادركني كبر السن
واثر في كقولهم ادركته السن واخذته السن وفيه دلالة على ان كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب للانسان لا يكاد ينزكه فقيل
كان له تسع وتسعون سنة وقيل اثنتان وتسعون وقيل مائة وعشرون وقيل ستون وقيل خمس وستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون
وقيل خمس وثمانون ولا اثر اثمان وتسعون وامرأتي عاقر اى ذات عقر وهو ايضا حال من ياء لي عند من يجوز تعدد الحال او من ياء
بلغني اى كيف يكون ذلك والحال اني واحرأتي على حالة منافية لكل المنافاة وانما قالاه مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله تعالى
عليه لاستبعاد مشاهدته دم للشواهد السالفة استعظاما لقدرة الله تعالى عليه وتعجبا منها واعدادا لنعمة عز وجل عليه في ذلك للاستعاله
وقيل بل كان ذلك للاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة سنون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد وقيل كان ذلك
استفهاما عن كيفية حدوثه قال استئناف كما سلف كذلك اشارة الى مصدر وعد عز وجل الله يفعل ما يشاء اى ما شاء
ان يفعل من تعاجيب الافاعيل الخارقة للعادات الله مبتدأ ويفعل خبره والكاف في محل النصب على انها في الاصل نعت لمصدر محذوف
اى الله يفعل ما يشاء ان يفعله فعلا مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذي هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر فقدم على العامل
لافادة القصر بالنسبة الى هو ادنى من المشار اليه واعتبرت الكاف مخيرة تأكيدا لما افاده اسم الاشارة من الفخامة وقدر تحقيقه
في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا او على انها حال من ضمير للمصدر المقدر موفقة اى يفعل الفعل كائنا مثل ذلك او في محل الرفع
على انها خبر والجملة مبتدأ اى على نحو هذا الشأن البديع شأن الله تعالى يفعل ما يشاء بيان لذلك الشأن المبهم او كذلك خبر لمبتدأ
محذوف اى الامر كذلك وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء بيان له قال رب اجعل لي آية اى علامة تدلني على تحقق المسؤل وقوع الحبل
وانما سألها لان العلوق امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة من حين حصولها بالشكر
ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا ولعل هذا السؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد اذ به يظهر ما ذكر من كون التعاوت
بين سني يحيى وعيسى عليهما السلام بستة اشهر او بثلث سنين لان ظهور العلامة كان عقيب تعيينها لقوله تعالى في سورة مريم فخرج على قومه
من المحراب فاوحى اليهم الآية اللهم الا ان يكون المحاورة بين زكريا ومريم في حال كبرها وقد عدت من جملة من تكلم في الصغر
بموجب قولها المحكي والجعل بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما لي والتقديم لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى المؤخر ويجوز
وقع حالا من آية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما لي والتقديم لانه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند الخلال
الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم المجار فلا يتغير حالهما بعد دخول الناسخ قال آيتك ان لا تكلم الناس اى ان لا يقدر على تكليمهم
ثلثة ايام اى متوالية لقوله تعالى في سورة مريم ثلث ليال سويا مع القدرة على الذكر والتسبيح وانما جعلت آيته ذلك لتخليص
المدة لذكر الله تعالى وشكره فضاء لحق النعمة كانه قيل آية حصول المطلوب ووصول النعمة ان تحبس لسانك الا عن شكرها
واحسن الجواب ما اشتمل من السؤال الا رمزا اى اشارة بيد او رأس او نحوهما واصله التحرك يقال ارتمز اى تحرك
ومنه قيل للبحر الراموز وهو استثناء منقطع لان الاشارة ليست من قبيل الكلام او متصل على ان المراد بالكلام ما افهم منه المراد
ولا ريب في كون الرمز من ذاك القبيل وقرئ رمز بفتحتين على انه جمع رامز كخدم وبضمتين على انه جمع رموز كرسل

على انه حال منه ومن الناس معا بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقنى فردين ترجف روانف أليتيك وتستطارا واذكر ربك اى
فى ايام الحبسة شكرا لحصول التفضل والانعام كما يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية كثيرا اى ذكرا كثيرا وسبح اى سبحه تعالى
او افعل التسبيح بالعشى اى من الزوال الى الغروب وقيل من العصر الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى
قيل المراد بالتسبيح الصلوة بدليل تقييده بالوقت كما فى قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل الذكر باللسان
كما ان المراد بالذكر الذكر القلبى وقرئ والابكار بفتح الهمزة على انه جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة شروع فى شرح
بقية احكام اصطفاء آل عمران اثر الاشارة الى نبذ من فضائل بعض اقاربهم اعنى زكريا ويحيى عليهما السلام لاستدعاء المقام اياها
حسبما اشير اليه وقرئ بتذكير الفعل والمراد بالملائكة جبريل وقد مر ما فيه من الكلام واذ منصوب بمضمر معطوف على المضمر السابق
عطف القصة على القصة وقيل معطوف على الظرف السابق اعنى قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران منصوب بناصبه فتدبر اى واذكر ايضا
من شواهد اصطفائهم وقت قول الملئكة عليهم السلام يا مريم وتكرير التذكير للاشعار بمزيد الاعتناء بما يحكى من احكام الاصطفاء والتنبيه
على استقلالها وانفرادها عن الاحكام السابقة فانها من احكام التربية الجسمانية اللائقة بحال صغر مريم ع م وهذه من باب التربية
الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها قيل كلموها شفاها كرامة لها وارهاصا لنبوة عيسى ع م لمكان الاجماع على انه
لم يستنبئ امرأة وقيل الهموها ان الله اصطفيك اولا حيث تقبلك من امك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك انثى وربيك
فى حجر زكريا ع م ورزقك من رزق الجنة وخصصك بالكرامات السنية وطهرك اى مما يستقذر من الاحوال والافعال ومما قذفك
به اليهود بانطاق الطفل واصطفيك آخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى ع م من غير اب ولم يكن ذلك لاحد
من النساء وجعلكما آية للعالمين فعلى هذا ينبغى ان يكون تقديم حكاية هذه المقاولة على حكاية بشارتها بعيسى عليه السلام لما مر مرارا
من التنبيه على ان كلا منهما مستحق للاستقلال بالتذكير ولو روعى الترتيب الخارجى لتبادر كون الكل شيئا واحدا وقيل
المراد بالاصطفاءين واحد والتكرير للتأكيد وتبيين من اصطفاها عليهن فح لا اشكال فى ترتيب النظم الكريم اذ الكل الاصطفاء
على ما ذكر اولا ويجعل هذه المقاولة قبل بشارتها بعيسى عليه السلام ايذانا بكونها قبل ذلك متوفرة على الطاعات والعبادات كما امرت بها
مجتهدة فيها مقبلة على الله تعالى متبتلة اليه تعالى منسلخة عن احكام البشرية مستغرقة لفيضان الروح عليها يا مريم تكرير النداء
للايذان بان المقصود بالخطاب ما يرد بعده وان ما قبله من تذكير النعم كان تمهيدا لذلك وترغيبا فى العمل بموجبه اقنتى لربك
اى قومى فى الصلوة او اطيلى القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان الربوبية تعالى لها للاشعار بعلة وجوب الامتثال بالامر
واسجدى واركعى مع الراكعين امرت بالصلوة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة فى ايجاب رعايتها وايذانا بفضل كل منها
واصالته وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب فى شريعتهم كذلك واما لكون السجود افضل اركان الصلوة واقصى مراتب الخضوع
ولا يقتضى ذلك كون الترتيب الخارجى كذلك بل اللائق به الترقى من الادنى الى الاعلى واما ليقترن اركعى بالراكعين للاشعار
بان من لا ركوع فى صلوتهم ليسوا مصلين واما ما قيل من ان الواو لا توجب الترتيب فغايته التصحيح لا الترجيح وتجريد الامر بالركوع
الاخير عما قيد به الاول لما ان المراد تقييد الامر بالصلوة بذلك وقد فعل حيث قيد به الركن الاول منها وقيل المراد بالقنوت ادامة
الطاعات كما فى قوله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة لما مر من انه افضل اركانها وبالركوع الخشوع والاخبات
قيل لما امرت بذلك قامت فى الصلوة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا ذلك اشارة الى ما سلف من الامور البديعة
وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شان المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى من انباء الغيب اى من الانباء
المتعلقة بالغيب والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وقوله تعالى نوحيه اليك جملة مستقلة مبينة للاولى وقيل الخبر
هو الجملة الثانية ومن انباء الغيب اما متعلقة بنوحيه او حال من ضميره اى نوحيه من انباء الغيب ونوحيه حال كونه من جملة انباء

الغيب

الغيب وصيغة الاستقبال للايذان بان الوحي لم ينقطع بعد وما كنت لديهم اى عند الذين اختلفوا وتنازعوا في تربية مريم وهو
تقرير وتحقيق لكونه وحيا على طريق التهكم بمنكريه كما في قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي الآية وما كنت ثاويا في اهل مدين الآية فان طريق
معرفة امثال تلك الحوادث والواقعات إما المشاهدة واما السماع وعدمه محقق عندهم فبقي احتمال المعاينة المستحيلة ضرورة فصت
تهكما بهم اذ يلقون اقلامهم ظرف للاستقرار العامل في لديهم واقلامهم اقداحهم التي اقترعوا بها قيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا
يكتبون بها التوراة تبركا ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اى يلقونها ينظرون او ليعلموا ايهم يكفلها وما كنت
لديهم اذ يختصمون اعيد في شانها تنافسا في كفالتها صريحا ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف اذ يختصمون
على اذ يلقون كما في قوله تعالى نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى للدلالة على ان كل واحد من عدم حضوره عليه
السلام وعدم حضور قلمه عند الاختصام مستقل بالشهادة على نبوته عليه السلام لا سيما اذا اريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع
فان تغيير الترتيب في الذكر مؤكد له اذ قالت الملئكة شروع في قصة عيسى عم وهو بدل من واذ قالت الملئكة بمنصوب وما بينهما
اعتراض جيء به تقريرا لما سبق وتنبيها على استقلاله وكونه حقيقا بان يعتد على حياله من شواهد النبوة وترك العطف بينهما بناء على اتحاد
المخاطب وايدانا بتغاير الخطابين او تغايرهما في الزمان وقيل منصوب بمضمر معطوف على ناصبه وقيل بدل من اذ يختصمون
كانه قيل وما كنت حاضرا في ذلك الزمان المديد الذي وقع في طرف منه الاختصام وفي طرف آخر هذا الخطاب اشعارا باحاطته عم
بتفاصيل احوال مريم عم من اولها الى آخرها والقائل وايراد صيغة الجمع لما مر يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه من للابتداء الغاية
مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة اى بكلمة كائنة منه عز وجل اسمه ذكر الضمير الراجع الى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر
وهو مبتدا اخره المسيح وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان وقيل خبر آخر وقيل خبر مبتدا محذوف وقيل منصوب باضمار
اعني مدحا وقوله تعالى ابن مريم صفة لعيسى وقيل المراد باسم ما به يتميز المسمى عمن سواه فالخبر حينئذ مجموع الثلثة اذ هو
المميز له عليه السلام تميزا عن جميع من عداه والمسيح لقب عليه السلام وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مسيحا ومعناه
المبارك وعيسى معرب من ايشوع والتعدي لاشتقاقها من المسيح والعيسى او تعليلا بانه عم مسح بالبركة او بما يطهره من الذنوب
او مسح جبريل عم وبانه كان في لونه عيس اى بياض يعلوه حمرة من قبيل الرقم على الماء وانما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها تنبيها
على انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت على نساء العالمين وجيها في الدنيا والآخرة الوجيه ذو الجاه وهو
القوة والمنعة والشرف وهو حال مقدرة من كلمة فانها وان كانت نكرة لكنها صالحة لان ينتصب بها الحال وتذكير ما باعتبار اللفظ
والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة ومن المقربين اى من الله عز وجل
قيل هو اشارة الى رفعه الى السماء وصحبة الملئكة وهو عطف على الحال الاولى وقد عطف عليه قوله تعالى ويكلم الناس في المهد وكهلا
اى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي اى يسوى من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد
وكهلا بعد نزوله وفي ذكر احواله المختلفة المتنافية اشارة الى انه يقول من الالوهية ومن الصالحين حال اخرى من كلمة معطوفة
على الاحوال التي لها من الضمير في يكلم قالت استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالت مريم حين قالت لها الملئكة فقالت
فقيل قالت متضرعة الى ربها رب اني يكون اى كيف يكون او من اين يكون لي ولد على وجه الاستبعاد العادي لا التعجب واستعظام
قدرة الله تعالى وقيل على وجه الاستفسار عن انه بالتزوج او بغيره ويكون اما تامة واني واللام متعلقان بها وانى خبر الفاعل
عن الخبر لما قرر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ويجوز ان يتعلق بمحذوف وقع حالا من ولد اذ لو تاخر لكان صفة له وانما فصله
واسمها ولد وخبرها اما اني واللام متعلقة بمضمر وقع حالا كما مر او خبر واني نصب على الظرفية وقوله تعالى ولم يمسسني بشر
جملة حالية محققة للاستبعاد اى والحال اني على حالة منافية للولادة قال استئناف كما سلف والقائل هو الله تعالى او جبريل عم

كذلك الله يخلق ما يشاء الكلام في اعرابه كما مر في قصة زكريا ع بعينه ظاهر ان اريد بخلق ههنا مكان يفعل هناك لما ان ولادة العذراء من غير ان يمسها بشر ابدع وانوب من ولادة عجوز عاقر من شيخ فان فكان الخلق المبني عن الاختراع انسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك عقب ببيان كيفيته فقيل اذا قضى امرا من الامور اى اراد شيئا كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام المطلق على الارادة الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشيء لا يجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك فانما يقول له كن لا غير فيكون من غير ريب وهو كما يرى تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة ثاني المقدورات صبحانه بتنفيذ مشيته وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في طاعة المأمور المطيع للآمر القوي المطاع وبيان لانه تعالى كما يقدر على خلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة الى شيء من الاسباب والمواد ويعلمه الكتاب اى الكتابة او جنس الكتب الالهية والحكمة اى العلوم وتهذيب الاخلاق والتورية والانجيل افرادهما بالذكر على تقدير كون المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما وانافتهما على غيرهما والجملة عطف على بشرك على وجهها او على يخلق او هو كلام مبتدا سيق تطييبا لقلبها وازاحة لما اعتراها من خوف اللائمة لما علمت انها تلد من غير زوج وقرئ ونعلمه بالنون ورسولا الى بني اسرائيل منصوب بمضمر يعود اليه المعنى معطوف على يعلمه اى ويجعله رسولا الى بني اسرائيل اى كلهم وقال بعض اليهود انه كان مبعوثا الى قوم مخصوصين ثم قيل كان رسولا حال الصبي وقيل بعد البلوغ وكان اول انبياء بني اسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام وقوله تعالى انى قد جئتكم معمول لرسولا لما فيه من معنى النطق اى رسولا ناطقا باني الخ وقيل منصوب بمضمر معطوف على يعلمه اى ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم الخ وقيل معطوف على الاحوال السابقة ولا يقدح فيه كونها في حكم الغيبة مع كون هذا في حكم التكلم لما عرفت من ان فيه معنى النطق كأنه قيل حال كونه وجيها ورسولا ناطقا باني الخ وقرئ ورسول بالجر عطفا على كلمة والباء في قوله تعالى بآية متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل الفعل على انها للملابسة والتنوين للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها وكثرتها وقرئ بايات او بجئتكم على انها للتعدية ومن في قوله تعالى من ربكم لابتداء الغاية مجازا متعلق بمحذوف وقع صفة لآية اى قد جئتكم ملتبسا بآية عظيمة كائنة من ربكم او آتيتكم آية عظيمة كائنة منه تعالى والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد ايجاب الامتثال بما سيأتي من الاوامر وقوله تعالى اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير بدل من قوله تعالى اني قد جئتكم ومحل النصب على نزع الخافض عند سيبويه والفراء والجر على رأي الخليل والكسائي او بدل من آية وقيل منصوب بفعل مقدر اى اعني الخ وقيل مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف اى هي اني اخلق لكم وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف اى اقدر لكم اى لاجل تحصيل ايمانكم ورفع تكذيبكم اياي من الطين شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اى في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير وقرئ فانفخ فيها على ان الضمير للهيئة المقدرة اى اخلق لكم من الطين بهيئة كهيئة الطير فانفخ فيها فيكون طيرا صيغة طيار كسائر الطيور باذن الله بامره تعالى اشار بذلك الى ان احياءه من الله تعالى لا منه فقيل لم يخلق غير الخفاش روي انه عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر المعجزات طالبوه بخلق خفاش فاخذ طينا وصوره ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض فقال كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز من خلق الله تعالى فقيل انما طلبوا خلق الخفاش لانه اكمل الطير خلقا وابلغ دلالة على القدرة لان له ثديا وأسنانا وهي تحيض وتطهر وتلك كسائر الحيوان وتضحك بعد الغروب وساعة بعد طلوع الفجر وقيل خلق انواعا من الطير وابرئ الاكمه اى الذي ولد اعمى او الممسوح العين والابرص المبتلى بالبرص لم تكن الوف تنفر من شيء نفورها منه ويقال لها الوضح ايضا وتخصيص هذين الدائين لانهما كانا اعيا الاطباء وكان في غاية الحذاقة في زمنه فاراهم الله تعالى المعجزة من ذلك الجنس روي انه ربما كان يجتمع عليه ع الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى ع ومشى اليه على رجليه واحيي الموتى باذن الله كرره مبالغة في دفع وهم من توهم فيه الالهية قال الكلبي كان ع يحيي الموتى بباحي يا قيوم احيي عازر فكان صديقا فعاش وولد وقر على ابن عجوز ميت فدعا الله تعالى فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقي

وولد له بنت العاشر احياها و ولدت بعد ذلك فقالوا انك تحيي من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا بل اصابتهم
سكتة فاحيى لنا سام بن نوح فقال دلوني على قبره ففعلوا فقام على قبره فدعا الله عز وجل فقام من قبره وقد شاب رأسه
فقال له كيف شيبت ولم يكن في زمانكم شيب قال يا روح الله لما دعوتني فسألته عن النزع قال يا روح الله ان مرارته لم تذهب من
حنجرتي وكان بينه وبين موته اكثر من اربعة آلاف سنة وقال للقوم صدقوه فانه نبي فآمن به بعضهم وكذبوه آخرون
فقالوا هذا سحر فارنا آية فقال يا فلان اكلمت كذا او يا فلان جئت لك كذا وذلك قوله تعالى وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون
في بيوتكم اي بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ان في ذلك اشارة الى
ما ذكر من الآيات العظام لآية عظيمة وقرئ لآيات لكم دالة على صحة رسالتي دلالة واضحة ان كنتم مؤمنين
جواب الشرط محذوف لانصباب المعنى اليه او دلالة المذكور عليه اي انتفعتم بها او ان كنتم ممن شأنهم الايمان
دلتكم على صحة رسالتي والايمان بها ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف على المضمر الذي تعلق به قوله تعالى بآية
اي قد جئتكم ملتبسا بآية الخ ومصدقا لما بين الخ او على رسولا على الاوجه الثلثة فان مصدقا فيه معنى النطق كما في رسولا
اي ويجعلني مصدقا ناطقا باني اصدق الخ او يقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم الخ ومصدقا الخ وقوله من التورية اما حال من الموصول
والعامل مصدقا واما من ضميره المستتر في الظرف الواقع صلة والعامل الاستقرار المضمر في الظرفا ونفس الظرف لنيابته مقام الفعل
ولاحل لكم معطوف على مضمر دل عليه ما قبله اي وجئتكم لاحل وقيل عطف على معنى مصدقا كأنه قيل جئتكم
لاصدق ولاحل الخ وقيل عطف على بآية اي جئتكم بآية من ربكم ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى عليه السلام
من الشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صصة له واختلف في احلال السبت وقرئ
حرم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي الله عز وجل وقرئ حرم بوزن كرم وهذا يدل على ان شرعه كان ناسخا لبعض احكام التورية ولا بعد
ذلك بكونه مصدقا لها لما ان النسخ في الحقيقة بيان تخصيص في الازمان وتأخير المنعول من الجار والمجرور سلما قرارا من المبادرة التي
في ذكر ما يستلزم التباين والتشويش الى ما آخر وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وقرئ بآيات فاتقوا الله في عدم قبوله
ومخالفة مدلولها واطيعون فيما آمركم به وانهاكم عنه بامر الله تعالى وذلك الآية هي قولي ان الله ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم فانه الحق الصريح الذي اجمع عليه الرسل فاطبة فيكون آية بينة على انه دم من جملتهم وقرئ ان الله بالفتح
بدلا من آية او قد جئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لما سبق اي قد جئتكم
بآية بينة بعد آية مما ذكرت لكم من خلق الطير وابرآء الاكمه والاخبار بالمغيبات وغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد
ومن غير ذلك والاول لتمهيد الحجة والثاني لتنويهها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات الباهرة
والآيات الظاهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى
لايلاف قريش الخ ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد
الحق الذي غاية التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه يلازم الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء
عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ثم استشعر
عيسى منهم الكفر شروع في بيان مآل احواله عليه السلام اذا شير الى طرف منها بطريق النقل عن الملئكة والفاء فصيحة تفصح عن محقق جميع ما قاله
الملئكة عليهم السلام وخروجه من القوة الى الفعل جسما شرحه كما في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله تعالى انا آتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك كأنه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت وانما لم يذكرا اكتفاء بحكاية الملئكة وايذانا بعدم الحلف
وثقة بما فصل في المواضع الاخر واما عدم نظم بقية احواله عم في سلك النقل فاما للاعتناء بامرها او لعدم مناسبتها لمقام البشارة

لما فيها من ذكر مقاساته ع م للشدائد ومعاناته للمكائد والمراد بالاحساس الادراك القوى الجارى مجرى المشاهدة وبالكفر اصرارهم عليه
وعتوهم ومكابرتهم فيه مع العزيمة على قتله ع م كما ينبئ عنه الاحساس فانه انما يستعمل فى امثال هذه المواقع عند كون متعلقه باديين
والضمير المجرور لبنى اسرائيل اى ابتداء الاحساس من جهتهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول القريح لما مر غير مرة من الاعتناء به والتشويق الى المؤخر
وقيل متعلقة بمحذوف وقع حالا من الكفر قال اى لخلص اصحابه لاجمع بنى اسرائيل لقوله تعالى كما قال عيسى بن مريم للحواريين الآية وقوله تعالى
فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة ليس بنقض فى توجيه الخطاب الى الكل بل يكفى فيه بلوغ الدعوة اليهم من انصارى الانصار جمع نصير
كاشراف جمع شريف الى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من انصارى اى من انصارى متوجها الى الله ملتجئا اليه او بانصارى متضمنا معنى الاضافة
كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله عز وجل نيصرونى كما ينصرونى وقيل الى بمعنى فى اى فى سبيل الله وقيل بمعنى مع
قال استئناف مبنى على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قالوا فى جوابه ع م فقيل قال الحواريون جمع حوارى كقولك فلان حوارى
فلان اى صفوته وخاصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحوارى للخبز الخلوص الوانهن ونقائهن سمى به اصحاب عيسى ع م لخلوص
نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل لما عليهم من آثار العبادة وانوارها وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض وذلك لان من الملوك من صنع طعاما ودعى
الناس عليه وكان عيسى ع م على قصعة لا يزال يأكل منها ولا تنقص فذكر واذلك للملك فاستدعاه ع م فقال له من انت قال عيسى ابن مريم فترك
ملكه وتبعه مع اقاربه فاولئك هم الحواريون وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض فهم شمعون ويعقوب ويوحنا
فمر بهم عيسى عليه السلام فقال لهم انتم تصيدون السمك فان اتبعتمونى صرتم تصيدون الناس بالحيوة الابدية قالوا من انت قال عيسى بن مريم
عبد الله ورسوله فطلبوا منه ع م المعجز وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد شيئا فامره ع م بالقائها فى المرة الاخرى ففعل فاجتمع
الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة اخرى وملأ السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى ع م وقيل كانوا اثنى عشر رجلا
آمنوا به ع م واتبعوه وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا يا روح الله فيضرب بيده الارض فيخرج منها لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا
عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج منها الماء فيشربون فقالوا من افضل منك يعمل بيده ويأكل من كسب يده وكانوا يغسلون
الثياب بالاجرة فسموا حواريين وقيل ان ام سلمة اتى صباغ فاراد الصباغ يوما ان يشتغل ببعض مهماته فقال له ع م هات ثيابك مختلفة
فجعلت لكل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فغاب وجعل ع م كلها فى جب واحد وقال كونى باذن الله كما اريد فرجع
الصباغ فاخبره بما صنع فقال افسدت على الثياب قال قم فانظر فجعل يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر الى ان اخرج الجميع
على احسن ما يكون جسما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وآمنوا به ع م وهم الحواريون قال القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين
الاثنى عشر من الملوك وبعضهم من صيادى السمك وبعضهم من العصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار
عيسى عليه السلام واعوانه والمخلصين فى طاعته ومحبته نحن انصار الله اى انصار دينه ورسوله آمنا بالله استئناف جار مجرى العلة لما قبله
فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون مخلصون فى الايمان
منقادون لما امرتنا به من نصرتك طلبوا منه ع م الشهادة بذلك يوم يشهد الرسل عليهم السلام لهم وعليهم ايذانا بان مرمى غرضهم
السعادة الاخروية ربنا آمنا بما انزلت تضرع الى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تعالى بعد عرضها على الرسول مبالغة فى اظهار ارحم
واتبعنا الرسول اى فى كل ما يأتى ويذر من امور الدين فيدخل فيه الاتباع فى النصرة دخولا اوليا فاكتبنا مع الشاهدين
اى مع الذين يشهدون بوحدانيتك او مع الذين يشهدون لاتباعهم او مع امته ع م فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال من مفعول
اكتبنا ومكروا اى الذين علم عيسى ع م كفرهم من اليهود وهموا بان وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله بان رفع عيسى ع م والقى
شبهته على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه فى الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يمكن اسناده اليه تعالى الا بطريق المشاكلة
روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان ملك بنى اسرائيل لما قصد قتله ع م امره جبرئيل ع م ان يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه جبرئيل ع م من تلك

الى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى الله تعالى شبهته عليه فخرج بخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه
وصلبوه وقيل انه دخل الحواريين ليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وقد
وكانت اليهود تطلبه فنافق احدهم فقال لهم ما تجعلون ان دللتكم على المسيح فجعلوا الثلثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله تعالى عليه شبهة
عيسى عم ورفع الى السماء فاخذوا المنافق وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله فصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى عم وبدنه شبه
بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى عم فوقع بينهم قتال عظيم وقيل لما صلب المصلوب جاءت
مريم عليها السلام ومعها امرأة ابرأها الله تعالى من الجنون بدعاء عيسى عليه السلام وجعلت تبكيان على المصلوب فانزل الله تعالى عيسى عم فجاء هما
فقال علام تبكيان قالتا عليك فقال ان الله عز شانه رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شبه لهم قال محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا
الحواريين بعد رفع عيسى عم ولعنوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل ممن تحت
امرك كان يخبرهم انه رسول الله وانما هم احياء الموتى وابرأ الاكمه والابرص وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين
فانتزعهم من ايديهم وساءلهم عن عيسى عم فاخبروه فبايعهم على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها ثم غزا بني اسرائيل
وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم ثم جاء بعده ملك آخر يقال له ططيوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عم
بنحو اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز قال اهل التواريخ
حملت مريم بعيسى عم وهي بنت ثلث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اروى بعد مضي خمس وستين سنة من غلبة اسكندر
على ارض بابل واوحى الله تعالى اليه على رأس ثلثين سنة ورفع اليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلث وثلثين سنة
وعاشت امه بعد رفعه ست سنين والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب
واظهر الجلالة في موقع الاضمار لتربية المهابة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله اذ قال الله ظرف لمكر الله او لمضمر نحو
وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصمك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت
مالي او متوفيك بعد ما اذ روى انه يرفع وهو نائم وقيل ممتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن او ممتك من الشهوات
العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله تعالى سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى قال القرطبي
والصحيح ان الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس رض واصل
القصة ان اليهود لما غزوا على قتله عليه السلام اجتمع الحواريون وهم اثنا عشر رجلا في غرفة فقال المسيح لكم الحواريين انكم تخرجون وتقتلون
ويكون معي في الجنة فقال واحد منهم انا يا نبي الله فالقى عليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله والقى عليه شبه عيسى عم
فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه واما عيسى عم فكساه الله الريش والنور والبسه النور وقطع عنه شهوة والمشرب وذلك قوله انى
اني متوفيك فطار مع الملكة ثم ان اصحابه حين رأوا ذلك تفرقوا ثلث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد الى السماء وهم
اليعقوبية وقالت فرقة اخرى كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهم النسطورية وقالت فرقة اخرى منهم كان فينا عبد الله
ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله وهؤلاء هم المسلمون فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الاسلام منطبا
الى ان بعث الله تعالى حبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم ورافعك الي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا
اي من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم وجاعل الذين اتبعوك قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل
والكلبي هم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من امته عم دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من النصارى فوق
الذين كفروا وهم الذين مكروا به عم ومن بسيرتهم من اليهود فان اهل الاسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة
والحجة وقيل هم الحواريون فينبغي ان يجعل فوقيتهم على فوقية المسلمين بحكم الاتحاد في الاسلام والتوحيد وقيل الروم

وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الادعاء والمحبة والآفاد لتلك الكفرة بمعزل عن اتباعه عم الى يوم القيمة غاية للجعل او للاستقرار
المقدر في الظرف لا على معنى ان الجعل او الفوقية ينتهي ح ويتخلص الكفرة من الذلة بل على معنى ان المسلمين يعلونهم الى تلك الغاية فاما بعدها
فيفعل الله تعالى بهم ما يريد ثم الى مرجعكم اى رجوعكم بالبعث وثم للتراخي وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد لتاكيد الوعد والوعيد والضمير
لعيسى عم وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغائب في ضمن الالتفات فانه ابلغ في التبشير والانذار فاحكم
بينكم يومئذ عقيب اثر رجوعكم الي فيما كنتم فيه تختلفون من امور الدين وفيه متعلق بتختلفون وتقديمه عليه لرعاية الفواصل
فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا تفصيل للحكم الواقع بين الفريقين وتفصيل لكيفيته والبداية ببيان حال الكفرة لما ان مساق
الكلام لتهديدهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والعناد وقوله تعالى في الدنيا والآخرة متعلق باعذبهم لا بمعنى ايقاع كل واحد من
التعذيب في الدنيا والتعذيب في الآخرة واحداثهما يوم القيمة بل بمعنى اتمام مجموعهما يومئذ وقيل ان المرجع اعم من الدنيوي
والاخروي وقوله تعالى الى يوم القيمة غاية للفوقية لا للجعل والرجوع متراخ عن الجعل وهو غير محدود بل عن الفوقية المحدودة على نهج قولك
سايرك سكنى هذا البيت شهرا ثم اخلع عليك بخلعة لزم تاخير الخلع عن الاعارة لا عن الشهر وما لهم من ناصرين يخلصونهم
من عذاب الله في الدارين وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع اى ليس لواحد منهم ناصر واحد واما الذين آمنوا بما ارسلت به
وعملوا الصالحات كما هو ديدن المؤمنين فيوفيهم اجورهم اى يعطيهم اياها كاملة ولعل الالتفات الى الغيبة للايذان بما بين
مصدري التعذيب والاثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال وقرئ فنوفيهم جريا على سنن العظمة والكبرياء والله لا يحب
الظالمين اى يبغضهم فان نفي المحبة كناية عن البغض في جميع الالتفات جارية مجرى الحقيقة وايراد الظلم للاشعار بانهم بكفرهم متعدون
متجاوزون عن الحدود وواضعون للكفر مكان الشكر والايمان والجملة تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ذلك اى ما سلف من نبإ
عيسى عم وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شان المشار اليه وبعد منزلته في الشرف وعلى كونه في ظهور الامر ونباهة الشان بمنزلة
المشاهد المعاين وهو مبتدأ وقوله عز وجل نتلوه خبره وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوه وقوله تعالى من الآيات
حال من الضمير المنصوب او خبر بعد خبر او هو الخبر وما بينهما حال من اسم الاشارة او ذلك خبر لمبتدأ مضمر اى الامر ذلك ونتلوه
حال كما مر وصيغة الاستقبال اما للاستحضار الصورة او على معناها اذ التلاوة لم تتم بعد والذكر الحكيم اى المشتمل
على الحكم والمحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والمراد به القرآن فمن تبعيضية او بعض مخصوص منه فمن بيانية وقيل هو اللوح المحفوظ
فمن ابتدائية ان مثل عيسى اى شانه البديع المنتظم لغرابته في سلك الامثال عند الله اى في تقديره وحكمه كمثل آدم
اى كحاله العجيبة التي لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع خلقه من تراب تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما
اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه بينهما وحسم لمادة شبه الخصوم فان انكار خلق عيسى عم بلا اب ممن اعترف بخلق آدم عم
بغير اب وام مما لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبه من تراب ثم قال له كن فيكون اى انشاه بشرا كما في قوله تعالى ثم انشاناه
خلقا آخر وقدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز كون ثم لتراخي الاخبار لا لتراخي المخبر به فيكون حكاية حال ماضية
روى ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال
اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا من غير اب فحيث سلمت انه
لا اب له من البشر وجب ان يكون ابوه هو الله فقال عليه السلام ان آدم عم ما كان له اب ولا ام ولم يلزم من ذلك كونه
ابنا لله سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى عم الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق اى ما قصصنا عليك من نبإ
عيسى عم وامه والظرف اما حال اى كائنا من ربك او خبر ثان اى كائن منه تعالى وقيل هما مبتدأ وخبر اى الحق المذكور
من الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتشريفه عليه السلام والايذان بان تنزيل هذه الآيات الحقة

الا

التاطف بكنه الامر تربية لهم ولطف به فلا تكن من الممترين في ذلك والخطاب اما للنبي عليه السلام على طريقة الالتفات والتهييج
لزيادة التثبيت والاشعار بان الامتراء في المحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف بما هو بصدد الاقتراف
واما لكل من له صلاحية الخطاب من حاجك اي من النصارى اذ هم المتصدون للمحاجة فيه اي في شان عيسى عم وانما زعمنا انهم
انه ليس على الشان المحكي من بعد ما جاءك من العلم اي ما يوجب ايجابا قطعيا من الآيات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا
عما هم عليه من الغي والضلال فقل لهم تعالوا اي هلموا بالرأي والعزيمة ندع ابناءنا وابناءكم وانفسنا وانفسكم اي لندع
كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه للمباهلة ونحملهم عليها ونقدمهم على النفس في اثناء المباهلة التي هي من باب المهالك
ومظان التلف مع ان الرجل يخاطر بهم بنفسه ويحاربدونهم للايذان بكمال الثقة عليه السلام وتمام ثقته بامره وقوة يقينه بانه ليس
في ذلك شائبة مكروه اصلا وهو السر في تقديم جانبه عم على جانب المخاطبين في كل من المقدم والمؤخر مع رعاية الاصل في الصيغة غير المتكلم
تبع لفي الاسناد ثم نبتهل اي لنبتهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة
اي تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف على نبتهل مبين لمعناه روى انهم دعوا الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر
فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل
من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لنهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على
ما انتم عليه وادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول اذا اذا دعوت فآمنوا فقال استقف نجران
يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض
نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نتركك على دينك ونثبت على ديننا قال عليه السلام اذا ابيتم المباهلة
فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين عليهم فابوا قال فاني انابذكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك
على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا ترددنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي وصلة الف في صفر والف في رجب وثلاثين درعا
عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير
ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا
ان هذا اي ما قص من نبأ عيسى عم وأمه لهو القصص الحق دون ما عداه من اكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل دخلته
لكونه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان تدخل المبتدأ وقرئ لهو بكون الهاء والقصص خبر ان والحق صفته او هو مبتدأ
والقصص خبره والجملة خبر ان وما من اله الا الله صرح فيه بمن الاستغراقية تأكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وان الله
لهو العزيز القادر على جميع المقدورات الحكيم المحيط بالمعلومات لا احد ان يشاركه في القدرة والحكمة ليشاركه في الالوهية
فان تولوا عن التوحيد وقبول الحق الذي قص عليك بعد ما عاينوا تلك الحجج النيرة والبراهين الباطعة فان الله عليم
بالمفسدين اي بهم وانما وضع موضعه ما وضع للايذان بان الاعراض عن التوحيد والحق الذي لا محيد عنه بعد ما قامت به الحجج
افساد للعالم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى قل يا اهل الكتاب اخر خطاب اهل الكتابين وقيل خطاب وفد نجران وقيل
بخطاب يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا تختلف فيها الرسل والكتب وهي ان لا نعبد الا الله اي نوحده
بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا
بعضا ارباباً من دون الله بان يقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا يطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا
منهم بعضنا بشر مثلنا روى انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله
فقال عليه السلام اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال عليه السلام هو ذاك فان تولوا عما دعوتهم اليه

من التوحيد وترك الاشراك فقولوا اى قل لهم انت والمؤمنون اشهدوا بانا مسلمون اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون
دونكم او اعترفوا بانكم كافرون لما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام تنبيه انظر الى ما روعى فى هذه القصة
من المبالغة فى الارشاد وحسن التدرج فى المحاجة حيث بين اولا ان عيسى عم وما تواردت عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر كيفية دعوته
للناس الى التوحيد والاسلام فلما ظهر عنادهم دعوا الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها واتفقوا بعض الاتفاق دعوا
الى ما اتفق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما ظهر عدم اجرائه ايضا امر بان يقال لهم اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب
من اليهود والنصارى لم تحاجون فى ابراهيم اى فى ملته وشريعته تنازعت اليهود والنصارى فى ابراهيم عم فنزلت والمعنى
لم تدعون انه عم كان منكم وما انزلت التوراة على موسى عم والانجيل على عيسى عم الا من بعده حيث كان بينه وبين ابراهيم
الف سنة وبين موسى وعيسى عليهما السلام الفا سنة فكيف يمكن ان يتفوه به عاقل افلا تعقلون اى الا تتفكرون فلا تعقلون
بطلان ملابسكم او تقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه ها انتم هؤلاء جملة من مبتدا وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم بينت بجملة مستانفة
اشعارا بكمال غفلتهم اى انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى حيث حاججتم فيما لكم به علم فى الجملة حيث وجد ذكره فى التورية والانجيل
فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم اصلا اذ لا ذكر لدين ابراهيم عم فى احد الكتابين قطعا وقيل هؤلاء بمعنى الذى وحاججتم صلته
وقيل ها انتم اصلها أأنتم على الاستفهام للتعجيب قلبت الهمزة ها وانتم لا تعلمون اى محل النزاع او شيئا من الاشياء التى من جملتها ذلك
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تعريج بما نطق به البرهان المقدر ولكن كان حنيفا اى مائلا عن العقائد الزائغة كلها مسلما
اى منقادا لله تعالى وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله
ورد لدعاء المشركين انهم على ملته عليه السلام ان اولى الناس بابراهيم اى اقربهم اليه واخصهم به للذين اتبعوه
اى فى زمانه وهذا النبى والذين آمنوا لموافقتهم فى اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبى بالنصب عطفا على الضمير فى
اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولى المؤمنين بنصرهم ويجازيهم الحسنى بايمانهم وتخصيص المؤمنين بالذكر ليثبت الحكم
فى النبى عليه السلام بدلالة النص ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت فى اليهود حين دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا
الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم جملة حالية جئ بها للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم على ما هم
عليه من الدين القويم اى حاهم يخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا اليهم لما انه يضاعف به عذابهم وقيل وما يضلون الا
امثالهم وبالياء قوله وما يشعرون اى باختصاصه وباله وضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله اى بما نطقت
به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون اى والحال انكم تشهدون انها آيات الله
او بالقرآن وانتم تشهدون نعته فى الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بتحريفكم
وابراز الباطل فى صورته او بالتصريف فى التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اى تلبسون الحق مع الباطل
كما فى قوله عليه السلام كالابس ثوبى زور وتكتمون الحق اى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وانتم تعلمون اى حقيته
وقالت طائفة من اهل الكتاب وهم رؤساؤهم ومقدموهم لاعقابهم آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا اى اظهروا
الايمان بالقرآن المنزل عليهم وجه النهار اى اوله واكفروا اى اظهروا ما انتم عليه من الكفر به آخره مرائين لهم انكم
آمنتم به بادى الرأى من غير تامل ثم تاملتم فيه فوقفتم على خلل رأيكم الاول فرجعتم عنه لعلهم اى المؤمنين يرجعون
عما هم عليه من الايمان به كما رجعتم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة
آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا قد رجعوا

قرصوه

فيرجعون وقيل هم اثنا عشر رجلاً من احبار خيبر تعاهدوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا
علماءنا فلم نجد محمداً عليه السلام بالنعت الذي ورد في التوراة لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا اي لا تقروا بتصديق قلبي
الا لمن تبع دينكم اي لا اهل دينكم اولا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم من قبل فان رجوعهم اربى وامتع قل ان الهدى
هدى الله يهدي به من يشاء الى الايمان وبيشة عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي وتوتم ذلك وقلتم
لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين
لئلا يزيدوا شابتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض مفيد لكون كيدهم غير محدد لطائل
او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقرئ أأن يؤتى على الاستفهام التوبيخي وهو مؤيد للوجه الاول اي الان يؤتى احد الخ
دبرتم وقرئ ان على انها نافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم
او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو
ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غيرا تباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم رد لهم وابطال
لما زعموا بالحجة الباهرة يختص برحمته اي بجعل رحمته مقصورة على من يشاء والله ذو الفضل العظيم كلام مبتدأ
لما قبله مقرر لمضمونه ومن اهل الكتاب شروع في بيان خيانتهم في المال بعد بيان خيانتهم في الدين والجار والمجرور في محل
الرفع على الابتداء خبره مقدر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الآخره قوله تعالى من ان تامنه بقنطار يؤده
اليك على ان المقصود بيان اتصافهم لمضمون الجملة الشرطية لا كونهم ذوات المذكورين كافة قيل بعض اهل الكتاب بحيث
ان تامنه بقنطار اي بمال كثير يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم
من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عاذورا استودعه قرشي آخر دينارا فجحد وقيل المامونون على الكثير
النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما
مواظبا من اعم الاحوال والاوقات اي لا يؤده اليك في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا في حال دوام قيامك او في وقت
دوام قيامك على رأسه مبالغة في مطالبته بالتقاضي واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله تعالى
لا يؤده وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال علوهم في الشر والفساد بانهم اي بسبب انهم قالوا ليس علينا في الاميين
اي في شان من ليس من اهل الكتاب سبيل اي عتاب ومؤاخذة ويقولون على الله الكذب باد عائهم ذلك وهم يعلمون
انهم كاذبون مفترون على الله تعالى وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل في التوراة في حقهم حرمة وقيل عامل اليهود
رجال من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا اسقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى
اثبات لما نفوه اي بلى عليهم سبيل وقوله تعالى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استئناف موزن للجملة التي
سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن والله تعالى وعموم المتقين نائب مناب الراجع من الجزاء الى من وقيل بان التقوى ملاك الامر
عام للوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون اي يستبدلون ويأخذون بعهد الله
اي بدل ما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به
ولننصرنه ثمنا قليلا هو حطام الدنيا اولئك الموصوفون بتلك الصفات القبيحة لا خلاق لا نصيب لهم قط لا فرد من افراد
ولا يكلمهم الله اي بما يسرهم او بشيء اصلا وانما يقع ما يقع من السؤال والتوبيخ والتقريع في اثناء الحجاب من الملائكة عليهم السلام
او لا ينتفعون بكلمات الله تعالى وآياته والظاهر انه كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله تعالى من ذلك لقوله تعالى ولا ينظر اليهم

حيث ساه

يوم القيمة فانه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم متفرع على الكناية فى حق من يجوز عليه النظر لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عاما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر ويوم القيمة متعلق بالفعلين وفيه تهويل للوعيد ولا يزكيهم اى لا يثنى عليهم او لا يطهرهم من الاوضار والاوزار ولهم عذاب اليم على ما فعلوه من المعاصى قيل انها نزلت فى ابى رافع وابن ابى الحقيق وحيى بن اخطب حرفوا التورية وبدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل نزلت فى الاشعث بن قيس حيث كان بينه وبين رجل نزاع فى بئر فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف على يمين يستحق بها ما لا هو فيها فاجلق الله وهو عليه غضبان وقيل فى رجل اقام سلعة فى السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يكن اشتراها به وان منهم اى من اليهود والمحرفين لفريقا كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف واحزابهما يلوون السنتهم بالكتاب اى يفتلونها بقراءته فيميلونها من المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلوّون بالتشديد ويلوّن بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على ما قبلها من الساكن لتحسبوه اى المحرف المدلول عليه بقوله يلوون الخ وقرئ بالياء والضمير للمسلمين من الكتاب اى من جملته وقوله تعالى وما هو من الكتاب حال من الضمير المنصوب اى والحال انه ليس منه فى نفس الامر وفى اعتقادهم ايضا ويقولون مع ما ذكر من اللى والتحريف على طريقة التعريض والتورية هو اى المحرف من عند الله اى منزل من عند الله وما هو من عند الله حال من ضمير المبتدا فى الخبرى والله انه ليس من عنده تعالى فى اعتقادهم ايضا وفيه من المبالغة فى تشنيعهم وتقبيح امرهم وكمال جراءتهم ما لا يخفى واظهار الاسم الجليل والكتاب فى محل الاضمار لتهويل ما اقدموا عليه من القول ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون على الله تعالى وهو تاكيد عليهم وتسجيل بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان اليهود الذين قد موا على كعب بن الاشرف وغيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب الذى عندهم ما كان لبشر بيان لافترائهم على الانبياء عليهم السلام حيث قال نصارى نجران ان عيسى لما امرنا ان نتخذه ربا خاشاه عم وابطال له اثر بيان افترائهم على الله سبحانه وابطاله اى ما صح وما استقام لاحد وانما قيل لبشر اشعارا بعلة الحكم فان البشرية منافية للامر الذى اسنده الكفرة اليهم ان يؤتيه الله الكتاب الناطق بالحق الآمر بالتوحيد الناهى عن الاشراك والحكم النهى والعلم او الحكمة وهى السنة والنبوة ثم يقول ذلك البشر بعد ما شرفه الله عز وجل بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق واطلعه على شئونه العالية للناس كونوا عبادا لى الجار متعلق بمحذوف هو صفة عبادا اى عبادا كائنين لى من دون الله متعلق بلفظ عبادا لما فيه من معنى الفعل او صفة ثانية ويحتمل الحالية لتخصص النكرة بالوصف اى متجاوزين الله تعالى سواء كان ذلك استقلالا او اشتراكا فان التجاوز متحقق فيهما حتما قيل ان ابا رافع القرظى والسيد النجرانى قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اترىد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله تعالى وان نامر بعبادة غيره تعالى فما لذلك بعثنى ولا بذلك امرنى فنزلت وقيل قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال عليه السلام لا ينبغى ان يسجد لاحد من دون الله تعالى ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا اى ولكن يقول كونوا ربانيين الربانى منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كالالهانى والرقبانى وهو الكامل فى العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله تعالى ودينه بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اى بسبب مثابرتكم على تعليم الكتاب ودراسته اى قراءته فان جعل خبر كان مضارعا لافاده الاستمرار التجددى وتكرير ما كنتم للايذان باستقلال كل من استمرار التعليم واستمرار القراءة بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها اولان الخطاب الاول لرؤسائهم والثانى لمن دونهم وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وتدرسون من التدريس وتدرسون

من الادراس بمعنى التدريس كالاكرم بمعنى كرم ويجوز كون التوأمة المشهورة ايضاً بهذا المعنى على تقدير ما تدرسونه على الناس
ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا بالنصب عطف على ثم يقول ولا زيدة لتأكيد معنى النفي في قوله تعالى ما كان لبشر
ان يستنبئه الله تعالى ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمرهم باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا وتوسيط الاستدراك بين المعطوفين
للمسارعة الى تحقيق الحق ببيان ما يليق بشأنه ويجب صدوره عنه اثر تنزيهه عما لا يليق بشأنه ويمتنع صدوره عنه واما ما قيل
من انها غير مزيدة على معنى انه ليس لان يأمر بعبادة ولا يأمر باتخاذ الكفرة اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة فيقضي فساده
وما ذكر من توسيط الاستدراك بين الجملتين المتعاطفتين ضرورة انهما في حكم جملة واحدة وكذا قوله تعالى ايأمركم بالكفر فانه صريح
في ان المراد بيان انتفاء كلا الامرين قصداً الى بيان انتفاء الاول لانتفاء الثاني ويعضده قراءة الرفع على الاستئناف ويجوز الحالية
بتقدير المبتدأ اى وهو لا يأمركم الخ بين الفاء لما عرفته آنفا بعد اذ انتم مسلمون وهذا دليل على ان الخطاب للمسلمين
وهم المستأذنون للسجود له عليه السلام واذ اخذ الله ميثاق النبيين منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
اى اذكر وقت اخذه تعالى ميثاقهم لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل
هو على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم بذلك اولى واحرى وقيل معناه اخذ الميثاق من النبيين وامهم واستغنى
بذكرهم عن ذكرهم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على امهم وقيل المراد
اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل وسماهم نبيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم
لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا امناء واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستخلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد
مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرئ لما بالكسر على ان ما مصدرية اى لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم لمجيء رسول
مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكم وجاءكم رسول مصدق وقرئ لما بمعنى حين
آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما فادغام محذوف احدى الميمات الثلث استثقالا قال اى الله تعالى بعد ما اخذ الميثاق
اءقررتم بما ذكر واخذتم على ذلكم اصري اى عهدي سمي به لانه يوصى اى يشد وقرئ بضم الهمزة وهي اما لغة فيه كعبر وعبر
او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا اقررنا واغفل ذكر
اخذهم الاصار اكتفاء بذلك قال تعالى فاشهدوا اى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملئكة وانا معكم
من الشاهدين اى وانا ايضا على اقراركم ذلك وتشاهدكم شاهد وادخال مع على المخاطبين لما انهم المباشرون للشهادة
حقيقة وفيه من التاكيد والتحذير ما لا يخفى فمن تولى اى اعرض عما ذكر بعد ذلك الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فمع البعد
في اسم الاشارة لتفخيم الميثاق فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في تولى باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد
للاشارة على تراخي اوهم في السوء وبعد منزلتهم في الشر والفساد اى فاولئك المتولون المتصفون بالصفات القبيحة هم الفاسقون
المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فان الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد افغير دين الله يبغون عطف
على مقدر اى اتتولون فيبغون غير دين الله وتقديم المفعول لان المقصود انكاره او على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار
وقرئ بتاء الخطاب على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض جملة حالية مفيدة لوكادة الانكار طوعا
وكرها اى طائعين بالنظر واتباع الحجة مكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كشق الجبل وادراك الغرق والاشراف
على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون على الامتناع مما قضي عليهم واليه يرجعون اى من فيهما بالجمع
باعتبار المعنى وقرئ بتاء الخطاب والجملة اما معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحالية واما مستانفة سيقت للتهديد والوعيد قل آمنا بالله
امر للرسول عليه السلام بان يخبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين بالايمان باذكر فوجع الضمير في قوله تعالى وما انزل علينا وهو القرآن لما انه

لما انه منزل عليهم ايضا بتوسط تبليغه اليهم او لان المنسوب الى واحد من الجماعة قد ينسب الى الكل او عن نفسه فقط وهو الانسب لما بعد والجمع لاظهار قدره وم ورفعة محله باجره بان يتكلم عن نفسه على نهج الملوك ويجوز ان يكون الامر عاما والافراد لتشريفه وم والايذان بانه وم اصل في ذلك كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط من الصحف والنزول كما يعدى بالى لانتهائه الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق ومن رام الفرق قال ان على لكون الخطاب للنبي عليه السلام والى لكون الخطاب للمؤمنين فقد تعتسف الا يرى الى قوله تعالى بما انزل اليك الخ وقوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا الخ وانما قدم المنزل على الرسول عليه السلام على ما انزل على سائر الرسل عليهم السلام مع تقدمه نزولا لانه المعروف له والعمدة عليه الاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب وم وابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم وم وما اوتي موسى وعيسى من التورية والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بايديهما كما ينبئ عنه اثر الايتاء على الانزال الخاص بالكتب وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى والنبيون عطف على موسى وعيسى عليهما السلام او بما اوتي النبيون من المذكورين وغيرهم من ربهم من الكتب والمعجزات لا نفرق بين احد منهم كذا ب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة نبوة كل منهم وحقية ما انزل اليهم في زمانهم وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وقد فرر تفصيله في تفسير قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وحمزة احدا ما اصلته فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وغيره كما في قول النابغة فما كان بين الخير ان جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل اي بين الخير وبيني ونحن له مسلمون اي منقادون او مخلصون له بالتوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كذا ب المشركين صريحا والمدعين للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتابين دينا ينتحل اليه وهو نصب على المفعول لبتغ وغير الاسلام حال منه لما انه كان صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا او هو المفعول ودينا تمييز لما فيه من الابهام او بدل من غير الاسلام فلن يقبل ذلك منه ابدا بل يرد اشد رد واقبحه وقوله تعالى وهو في الآخرة من الخاسرين اما حال من الضمير المجرور او استئناف لا محل له من الاعراب اي من الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد النفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها وفي ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على ان حال من تدين بغير الاسلام واطمأن بذلك افظع واقبح واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين نغايره لا قبول كل ما يغايره كيف يهدي الله الى الحق قوما كفروا بعد ايمانهم قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما آمنوا وقيل هم يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به قبل مبعثه وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعادا لان يهديهم الله تعالى فان الهائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي والانكار له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف على آمنوا باعتبار الحلال الى جملة فعلية كما في قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله الخ فانه في قوة ان يقال بعد ان آمنوا او حال من ضمير كفروا باضمار قد وهو دليل على ان الاقرار بالتلفظ خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بوضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفوا ثم اعرض عنه والجملة اعتراضية او حالية اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما قر من الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا وهو مبتدأ وقوله تعالى جزاؤهم مبتدأ ثان وقوله تعالى ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خبره والجملة خبر الاولى ولذلك لم يعطف عليه وهذا يدل بمنطوقه على جواز لعنهم ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم انهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون من الهدى آيسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او الكل فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يوف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة والعقوبة او النار وان لم تذكر له لدلالة الكلام عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي يمهلون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا اي ما افسدوا او دخلوا في الصلاح فان الله غفور رحيم فيقبل توبتهم

يتفضل عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء وقيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان يسألوا اهل العلم من قومه فارسل اليه اخوه الجلاس الآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بالانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا به ثم بعد ما آمنوا به قبل معاينته ثم ازدادوا كفرا بالاصرار على الطعن فيه والصد عن الايمان وتعقيب الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بتوطنهم تربص به ريب المنون او نرجع اليه خافقة باظهار الايمان لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون الا بعد اشرافهم على الهلاك فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شانهم وابرازا لهم في صورة الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك لم يدخل فيه الفاء وأولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملأ الارض ذهبا ولو افتدى به لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية زيدت الفاء ههنا للاشعار به وملأ الشيء ما يملأه وقد يذكر بالرفع على انه بدل من ملأ او الخبر محذوف ولو افتدى محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم ملأ الارض ذهبا لو تصدق به في الدنيا ولو افتدى به على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملأ الارض ذهبا لو تصدق به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويزاد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة لهم عذاب اليم مولم اسم الاشارة مبتدا والظرف خبره والجملة على المبتدا ارتفع به عذاب اليم على الفاعلية وما لهم من ناصرين في رفع العذاب عنهم او في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمراعاة الضمير اي ليس لواحد منهم ناصر واحد لن تنالوا البر من نال له نيلا اذا اصابه والخطاب للمؤمنين وهو كلام مستأنف سيق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شاوه ولن تحققوا ثمرة الابرار ولن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته حتى تنفقوا اي في سبيل الله عز وجل رغبة فيما عند ومن في قوله تعالى مما تحبون تبعيضية ويؤيده قراءة من قرأ بعض ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة او موصوفة اي مما تهوون ويعجبكم من كرائم اموالكم واحبها اليكم كما في قوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم او مما يعمهما وغيرها من الاعمال والمهجة على ان المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى وكان السلف رضي الله عنهم اذا احبوا شيئا جعلوه لله عز وجل روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الى بيرحا فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او رابح قد سمعت ما قلت فيها واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها في اقاربه فجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فكان زيد او جد في نفسه فقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها منك قيل وفيه دلالة على ان الانفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وكتب عمر رضي الله تعالى عنه الى ابي موسى الاشعري رضه ان يشتري له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها وروي ان عمر بن عبد العزيز كان لزوجته جارية بارعة الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان قد ظلبها منها حرارا فلم تعطها اياه ثم لما ولي الخلافة زينتها وارسلتها اليه فقالت قد وهبتكها يا امير المؤمنين فليخل مكانها قال من اين ملكتها قالت جئت بها من بيت ابي عبد الملك ففتش عن كيفية ملكه اياها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفي اخذت من تركته ففتش عن حال العامل واحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية وكان يهواها هوى شديدا فقال انت حرة لوجه الله تعالى فقالت لم يا امير المؤمنين وقد ازحت عن امرها كل شبهة قال لست اذن ممن نهى النفس عن الهوى وما تنفقوا من شيء ما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة بوقوع المفعولية ومن شيء تبعيضية متعلقة بمحذوف هو صفة لاسم الشرط اي اي شيء تنفقوا كائن من الاشياء فان المزود في مثل هذا الموضع واقع

موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز اى اى شئ تنفقوا طيب تجوز نه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم تعليل
لجواب الشرط واقع موقعه اى فيجازيكم بحسبه جيدا كان اورديا فانه تعالى عليم بكل شئ تنفقونه علما كاملا بحيث لا يخفى عليه شئ من ذاته
وصفاته وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وفيه من الترغيب فى انفاق الجيد والتحذير عن انفاق الردى مالا يخفى كل الطعام
اى كل افراد المطعوم او كل انواعه كان حلا لبنى اسرائيل اى حلالا لهم فان الحل مصدر نعت به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث كما فى قولك لا يحل لهم الا ما حرم اسرائيل على نفسه استثناء متصل من اسم كان اى كان كل المطعومات حلالا لبنى اسرائيل
اى يعقوب عم على نفسه وهو لحوم الابل والبانها قبل كان به وجع النسا فنذر ان شفى لا ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك
احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوى باشارة الاطباء واحتج به من يجوز للنبى الاجتهاد وللمانع ان يقول كان ذلك باذن من الله كما فيه
وهو تحريم ابتداء من قبل ان تنزل التورية متعلق بقوله تعالى كان حلا ولا ضير فى توسيط الاستثناء بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه
ان تقييد تحريمه عم بقبلية تنزيل التورية ليس فيه فايدة اى كان ما عدا المستثنى حلا لهم قبل ان تنزل التورية مشتملة على تحريم ما حرم
عليهم بظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وهو رد على اليهود فى دعواهم البراءة عما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم كل ذى ظفر
الآيتين بان قالوا السنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهم حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت
على من قبلنا وبكيت لهم فى منع النسخ والطعن فى دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقته لابراهيم عم بتحليله لحوم الابل والبانها
قل فاتوا بالتورية فاتلوها امر عم بان يحاجهم بكتابهم الناطق بان تحريم ما حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم وتكليفهم اخراجه
وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم واظهار اسم التورية لكون الجملة كلاما مع اليهود منقطعا عما قبله وقوله تعالى ان كنتم
صادقين اى فى دعواكم انه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه اى ان كنتم صادقين فاتوا بالتورية فاتلوها
فان صدقكم تماديكم الى ذلك البينة ودوى انهم لم يجترؤا على اخراج التورية فبهتوا وانقلبوا اصاغرين وفى ذلك من الحجة البينة
على صدق النبى صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ الذى يجحدونه ما لا يخفى والجملة مستانفة مقررة لما قبلها فمن افترى على الله الكذب
اى اختلق عليه سبحانه بزعمه انه حرم ما ذكر قبل نزول التورية على بنى اسرائيل ومن تقدمهم من الامم من بعد ذلك من بعد ما ذكر
من اوهم باحضار التورية تلاوتها وما ترتب عليه من التبكيت والالزام والتقييد به للدلالة على كمال القبح فاولئك اشارة
الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد فى الصلة باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلتهم فى الضلال والطغيان اى فاولئك المصرون على الافتراء بعد ما ظهرت حقيقة الحال وضاقت حلبة المحاجة والجدال
هم الظالمون المفرطون فى الظلم والعدوان المبعدون فيهما والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مسوقة من جهته تعالى ببيان كمال
عتوهم وقيل هى فى النصب داخل تحت القول عطف على قوله تعالى فاتوا بالتورية قل صدق الله اى ظهر وثبت صدقه تعالى فيما انزل
فى شان التحريم وقيل فى قوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا الخ او صدق فى كل شان من الشئون وهو داخل فى ذلك دخولا اوليا وفيه
تعريض بكذبهم الصريح فاتبعوا ملة ابراهيم اى ملة الاسلام التى هى فى الاصل ملة ابراهيم عليه السلام فانكم ما كنتم متبعين لملته
كما تزعمون او فاتبعوا مثل ملته حتى تتخلصوا عن اليهودية التى اضطركم الى التحريف والمكابرة وتلفيق الاكاذيب لنصرة الاغراض
الدنيوية والزمكم تحريم طيبات محللة لابراهيم عم ومن تبعه والفاء للدلالة على ان ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع وترك
ما كانوا عليه حنيفا اى مائلا عن الاديان الزائغة كلها وما كان من المشركين اى فى امر من امور دينهم اصلا وفرعا
وفيه تعريض باشراك اليهود وتصريح بانه عم ليس بينه وبينهم علاقة دينية والتعرض لبيان ان النبى عليه السلام على دين ابراهيم عم فى الاصول
لانه لما دعوا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها ان اول بيت وضع للناس
شروع فى بيان كونهم ببعض آخر من شعائر ملة عم اثر بيان كونهم بكون كل المطعومات حلالا على السلام روى انهم قالوا ايت المقدس

اعظم من الكعبة لانها مهاجر الانبياء في الارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة اعظم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأت
اى ان اول بيت وضع للعبادة وجعل متعبدًا لهم والواضع هو الله تعالى ويؤيده القراءة على البناء للفاعل وقوله تعالى للذى ببكة
خبر لان وانما اخبر بالمعرفة مع كون اسمها نكرة لتختصها بسببين الاضافة والوصف بالجملة بعدها اى للبيت الذى ببكة اى فهرها وذكر
الموصوف من التفخيم مالا يخفى وبكة لغة في مكة فان الوب تعاقب بين الباء والميم كما في قولهم ضربة لازب ولازم والتمتط والتنبط في اسم
موضع بالدهناء وقولهم امر رائب ورائم وسبد رأسه وسمده واعبطت الحي واعمطت وهي علم للبلد الحرام من بكة اذا زحم لازدحام الناس
فيه وعن قتادة رضه بكت الناس بعضهم بعضا ولانها تبك اعناق الجبابرة اى تدقها يعصل ما حصل الا فصله الله تعالى وقيل بكة اسم لبطن مكة
وقيل الموضع البيت وقيل للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله وايد هذا بان البتك هو الازدحام انما يقع عند الطواف وقيل بكة اسم للمسجد
والمطاف ومكة اسم للبلد لقوله تعالى للذى ببكة روى انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس
وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل من بناه ابراهيم عم وقيل آدم عم وقد استوفينا ما فيه من الاقاويل في سورة البقرة وقيل
اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من الثواب
وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن في الظرف لان التقدير للذى ببكة هو والعامل فيه ما قدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى
للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم وكان فيه آيات بينة دالة على عظم قدرة تعالى وبالغ حكمته كما قال فيه آيات بينات واضحات
كانحراف الطير عن موازاة البيت على مدى الاعصار ومخالطة ضواري السباع الصيود بالحرم من غير تعرض وقهر الله تعالى كل
جبار قصده بسوء كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابراهيم اى اثر قدميه عليه السلام في الصخرة التي كان
يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه او عند غسل رأسه على ما روى انه عم جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له
امرأة اسمعيل عم انزل حتى اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت
شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه وهو اما مبتدأ حذف خبره اى منها مقام ابراهيم
او بدل من آيات بدل البعض من الكل او عطف بيان اما وحده باعتبار كونه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته
على قدرة الله تعالى وعلى نبوة ابراهيم عم كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا او باعتبار اشتماله على آيات كثيرة فان كل
واحد من اثر قدمه في صخرة صماء وغوصه فيها الى الكعبين والانة بعض الصخور دون بعض وابقائه دون سائر آيات الانبياء
عليهم السلام وحفظه مع كثرة الاعداء الوف سنة آيات مستقلة ويؤيد القراءة على التوحيد واما بما يعمهم من قوله عز وجل
ومن دخله كان آمنا فانه وان كان جملة مستانفة ابتدائية او شرطية لكنها في قوة ان ينال وامن من دخله فتكون بحسب
المعنى والمآل معطوفة على مقام ابراهيم ولا يخفى ان الاثنين نوع من الجمع فتكتفي بذلك او يحمل على انه ذكر من تلك الآيات اثنتان
وطوى ذكر ما عداهما للاشتهار على كثرتها ومعنى امن دخله امنه من التعرض له كما في قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس
من حولهم وذلك بدعوة ابراهيم عم رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب ولم يعرض
لو ظفرت فيه بقاتل ابي طالب مادسته حتى يخرج منه ولذلك قال ابو حنيفة رح من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجأ
الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يعدى ولا يطعم ولا يسقى ولا يباع حتى يضطر الى الخروج وقيل امنه من النار وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعثت يوم القيمة آمنا وعنه عليه السلام الجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وتنثران
في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الجون وليس بها يومئذ
مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم كلهم سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب
يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار

تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ جملة من مبتدأ وهو حج البيت وخبر هو لله وقوله على الناس
متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار أو بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز أن يكون
على الناس هو الخبر ولله متعلق بما تعلق به الخبر ولا سبيل إلى أن يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في على الناس لاستلزامه
تقديم الحال على العامل المعنوي وذلك مما لا مساغ له عند الجمهور وقد جوزه ابن مالك إذا كانت هي ظرفا أو حرف جر وعاملها
كذلك بخلاف الظرف وحرف الجر فإنهما يتقدمان على عاملهما المعنوي واللام في البيت للعهد وحج قصده للزيارة على الوجه
المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة نجد وقيل هو اسم للمصدر وقرئ بفتحها ﴿من استطاع إليه سبيلا﴾ في محل الجر على أنه
بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه فالضمير العائد إلى المبدل منه محذوف أي من استطاع منهم وقيل بدل الكل على أن المراد بالناس هو
البعض المستطيع فلا حاجة إلى الضمير وقيل في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ مضمر أي هم من استطاع الخ وقيل في حيز النصب بتقدير أعني وقيل
كلمة من شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه وكذا العائد إلى الناس أي من استطاع منهم إليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقد رجح
هذا بكون ما بعده شرطية والضمير المجرور في إليه راجع إلى البيت أو إلى الحج والجار متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماما بشأنه كما في قوله
فهل إلى خروج من سبيل لما فيه من معنى الإفضاء والإيصال كيف لا وهو عبارة عن الوسيلة من ادعره فإنه قد روى أنس بن مالك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال السبيل الزاد والراحلة وروى ابن عمر رضه أن رجلا قال يا رسول الله ما السبيل قال
الزاد والراحلة وهو المراد بما روي أنه عليه السلام فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وهكذا روي عن ابن عباس وابن عمر
رضي الله عنهم وعليه أكثر العلماء خلا أن الش رح أخذ بظاهره فأوجب الاستنابة على الزمن القادر على أجرة من ينوب عنه
والظاهر أن عدم توقفه على صحة البدن لظهور الأمر كيف لا والمفسر في الحقيقة هو السبيل الموصوف بنفس المستطيع إلى البيت
وذا لا يتصور بدون الصحة وعن ابن الزبير أنه على قدر القوة ومذهب مالك أن الرجل إذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك
على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا زاد ولا راحلة وعن الضحاك أنه إذا قدر
أن يؤجر نفسه فهو مستطيع ﴿ومن كفر﴾ وضع من كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتشديدا على تاركه ولذلك
قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا وروي علي بن أبي طالب رض أنه عم قال في خطبته أيها الناس
إن الله تعالى فرض الحج على من استطاع إليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على أي حال شاء يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا ﴿فإن الله
غني عن العالمين﴾ وعن عبادتهم حيث كان من كفر من جملتهم داخلا فيها دخولا أوليا اكتفى بذلك عن الضمير الرابط
بين الشرط والجزاء ولقد حازت الآية الكريمة من فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بأمر الحج والتشديد
على تاركه ما لا مزيد عليه حيث أوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقيق وأبرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات
والاستمرار على وجه يفيد أنه حق واجب لله سبحانه في ذمم الناس لا انفكاك لهم عن أدائه والخروج عن عهدته وسلك بهم
مسلك التعميم ثم التخصيص والإبهام ثم التبيين والإجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن تركه
بالكفر الذي لا قبيح وراءه وجعل جزاؤه استغناءه تعالى المؤذن لشدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه فقط فإنه
قد ضرب عنه إسقاطا له عن درجة الاعتبار واستهجانا بذكره بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة
الغضب هذا وقال ابن عباس والحسن وعطاء ومن كفر أي جحد فرض الحج وزعم أنه ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب
نزلت في اليهود فإنهم قالوا الحج إلى مكة غير واجب وروي أنه لما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله عليه السلام
أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل
قالوا لا نؤمن به ولا نصلي إليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لا تحجوا فإنه قد هدم

الب

البيت مرتين وبرفع الاستار في الثالثة وروي حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رض فحجوا هذا البيت قبل ان ينبت في البادية
شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله تعالى عنه لو ترك الناس الحج عاما ما بوفروا قل يا اهل الكتاب هم اليهود والنصارى
وانما خوطبوا بعنوان اهلية الكتاب الموجبة للايمان به وبما يصدق مبالغة في تقبيح حالهم في كفرهم بها وقوله عز وجل لم تكفرون بآيات الله
توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم بها سبب من الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآيات الله ما يعم الآيات القرآنية
التي من جملتها ما تلي في شان الحج وغيره وما في التوراة والانجيل من شواهد نبوته عليه السلام وقوله تعالى والله شهيد على ما تعملون
حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ وتاكيد الانكار واظهار الجلالة في موضع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وصيغة المبالغة
في شهيد للتشديد في الوعيد وكلمة ما اما عبارة عن كفرهم او عن عموم ما وهو داخل فيها دخولا اوليا والمعنى لاي سبب تكفرون بآيات الله وهو حال
والحال انه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع اعمالكم وفي مجازاتكم عليها ولا ريب في ان ذلك يسد جميع الحاء ما تأتونه ويقطع اسبابه بالكلية
قل يا اهل الكتاب امر بتوبيخهم بالاضلال اثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة في حملهم على توبيخهم وتوبيخهم وترك عطفه على الامر السابق
للايذان باستقلالها كما ان قطع قوله تعالى لم تصدون عن قوله تعالى لم تكفرون لاشعار بان كل واحد من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها
مستقلة في استتباع اللائمة والتوبيخ وتكرير الخطاب بعنوانية اهل الكتاب لتاكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فان ذلك العنوان
كما يستدعي الايمان بما هو صدق لما يستدعي ترغيب الناس فصدهم عنه في اقصى مراتب القباحة ولكون صدهم في بعض الصور بتحريف الكتاب
والكفر بالآيات الدالة على نبوته عليه السلام وقرئ تصدون من صد عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو التوحيد
وملة الاسلام من آمن مفعول تصدون قدم عليه الجار والمجرور للاهتمام به كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم ويمنعون عن ارادة
الدخول فيه بجهدهم ويقولون ان صفته عليه السلام ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل انت اليهود للاوس والخزرج فذكروهم
ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا الى ما كانوا فيه تبغونها على اسقاط الجار وايصال الفعل الى الضمير كما في قوله فتوى
غلامهم ثم نادى اظليما اصيدكم ام حمارا بمعنى اصيد لكم اي تطلبون سبيل الله التي هي اقوم السبل عوجا اي اعوجاجا بان تلبسوا
على الناس وتوهموا ان فيه ميلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجهها وكذا ذلك والجملة حال من فاعل
تصدون وقيل من سبيل الله وانتم شهداء حال من فاعل تصدون باعتبار تقييده بالحال الاولى او من فاعل تبغونها اي والحال انكم شهداء
تشهدون بانها سبيل الله لا يجوز لها شائبة اعوجاج وان الصد عنها اضلال قال ابن عباس رض اي شهداء على ان في التوراة ان دين الله
الذي لا يقبل غيره هو الاسلام او وانتم عدول فيما بينكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وعظائم الامور وما الله
بغافل عما تعملون اعتراض تذييلي فيه تهديد ووعيد شديد قيل ولما كان صدهم للمؤمنين بطريق الخفية ختمت الآية الكريمة
بما يعم مادة صيلتهم من احاطة علمه تعالى باعمالهم كما ان كفرهم بآيات الله تعالى لما كان بطريق العلانية ختمت الآية السابقة بشهادته تعالى
على ما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين تلوين للخطاب
وتوجيه له الى المؤمنين تحذيرا لهم عن طاعة اهل الكتاب والافتتان بفتنتهم اثر توبيخهم بالاغواء والاضلال دعاء عن ذلك
وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير عن طاعتهم وايجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فانه في قوة ان يقال
لا تطيعوا فريقا ما كما ان تعميم التوبيخ فيما قبله للمبالغة في الزجر او للحفظ على سبب النزول فانه روي ان نفرا من الاوس
والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين فغاظه الوئامهم فامر
شابا يهوديا كان معه بان يجلس لهم ويذكرهم يوم بعاث وكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه للاوس ففعل
ما قبل فيهم من الاشعار ففعل فتفاخر القوم وتغاضبوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين قوم عظيم فعند ذلك
جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال ادعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله تعالى بالاسلام وقطع به عليكم

اوس الى بهلة والف بينكم فعلموا انما نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا او عانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الامام الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت الآية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبي عليه السلام حتى قام بين
الصفين فقرأهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم نصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا
وجعلوا يبكون وقوله تعالى كافرين اما مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل سعد بعد ارسمدن له سجودا
فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا او حال من مفعوله والاول ادخل في تنزيه المؤمنين على نسبتهم الى الكفر لما فيه من التصريح
بكون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان المؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون
سبق الايمان مع توسط بين المفعولين لاظهار كمال شناعة الكفر وغاية بعد من الوقوع اما لزيادة قبح الصادر للعاقل عن مباشرة او لما تعلقه الايمان
لو كانة قيل بعد ايمانكم الزائح وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى وكيف تكفرون استغهام انكاري بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون
للمشركين عهد الخ لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الخ وفي توجيه الانكار والاستبعاد الى كيفية الكفر
من المبالغة ما ليس في توجيههما الى نفسه بان يقال اتكفرون لان كل موجود لابد ان يكون وجوده على حال من الاحوال فاذا انكر ونفي جميع الاحوال
وجوده فقد انتفى وجوده بالكلية على الطريق البرهاني وقوله عز وجل وانتم تتلى عليكم آيات الله جملة وقعت حالا من ضمير المخاطبين في تكفرون
مؤكدة للانكار والاستبعاد بما فيها من الشؤن الداعية الى الثبات على الايمان الوازعة عن الكفر وقوله تعالى وفيكم رسوله معطوف عليها
داخل في حكمها فان تلاوة آيات الله تعالى عليهم وكون رسوله عليه السلام بين اظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بتحقيق الحق وازاحة الشبه من اقوى
الزواجر على الكفر وعدم اسناد التلاوة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للايذان باستقلال كل منهما في الباب ومن يعتصم بالله اي ومن يتمسك
بدينه الحق الذي بينه بآياته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله فقد هدي
جواب للشرط وقد لافادة معنى التحقق كان الهدى قد حصل فهو محرز عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه ظاهر فان المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما ان
قاصد الكريم متوقع للندى الى صراط مستقيم موصل الى المطلوب والتنوين للتفخيم والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد على الذين
يبغون له عوجا وهذا وان كان هو دينه الحق في الحقيقة والاهدى اليه سهل الاعتصام به بعينه لكن لما اختلف الاعتباران وكان العنوان
الاخير مما يتنافس فيه المتنافسون ابرز في موض الجواب للحث والترغيب على طريقة قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز
يا ايها الذين آمنوا تكرير للخطاب بعنوان الايمان تشريف اثر التشريف اتقوا الله اتقاء افتعال من الوقاية وهي حفظ
الصيانة حق تقاته اي حق تقواه ويجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم كما في قوله تعالى
فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضه هو ان يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر وقد روي مرفوعا اليه
وقيل هو ان لا تاخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابيه وابنه وقيل هو ان يتزه الطاعة عن الالتفات اليها
وعن توقع المجازاة وقد مر تحقيق الحق في ذلك عند قوله عز وجل هدى للمتقين والتقاة من التقى كالتؤدة من اتاد اصلها وقعت
قلبت واوها المضمومة تاء كما في تهمة وتخمة وياءها المفتوحة الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي مخلصون نفوسكم لله عز وجل
لا تجعلون فيها شركة لما سواه اصلا كما في قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تموتن على حال
من الاحوال الا حال تحقق اسلامكم وثباتكم عليه كما ينبئ عنه الجملة الاسمية ولو قيل الا مسلمين لم يفد فائدتها والعامل في الحال ما قبل
الا بعد النقض في ظاهر النظم الكريم وان كان نهيا عن الموت المقيد بقيد هو الكون على حال غير حال الاسلام لكن المقصود هو النهي عن ذلك القيد
عند الموت المستلزم للامر بضده الذي هو الكون على حال الاسلام ح وحيث كان الخطاب للمؤمنين كان المراد ايجاب الثبات على الاسلام الى الموت
وتوجيه النهي الى الموت للمبالغة في النهي عن قيده المذكور فان النهي عن المقيد في امثاله نهي عن القيد ورفع له عن اصله بالكلية مفيد
لما لا يفيده النهي عن نفس القيد فان قولك لا تصل الا وانت خاشع يفيد من المبالغة في ايجاب الخشوع في الصلوة ما لا يفيده قولك

لا تترك الخشوع في الصلوة لما ان هذا نهي عن ترك الخشوع فقط وذاك نهي عنه وعما يقارنه ومفيد لكون الخشوع هو العمدة في الصلوة وان الصلوة
بدونه صحيحة ان لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وقوله عز وعلا واعتصموا بحبل الله اي بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام
القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلو عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم
اما تمثيل للحالة الاصلية من استظهارهم به ووثوقهم بحمايته بالحالة التي اصله من تمسك المتدلي من مكان رفيع بحبل وثيق تأمونا للانقطاع
من غير اعتبار مجاز في المفردات واما استعارة للحبل لما ذكر من الدين او الكتاب والاعتصام ترشيح لها او مستعار للوثوق به والاعتماد عليه
جميعا حال من فاعل اعتصموا اي مجتمعين في الاعتصام ولا تفرقوا اي لا تفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او كونتم
متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا او لا تحدثوا ما يوجب التفرق وبزيل الالفة التي انتم عليها واذكروا نعمة الله مصدر مضاف
الى الفاعل وقوله تعالى عليكم متعلق به او بمحذوف وقع حالا منه وقوله تعالى اذ كنتم ظرف له او للاستقرار في عليكم اي اذكروا انعامه
عليكم او اذكروا انعامه مستقرا عليكم وقت كونكم اعداء في الجاهلية بينكم الاحن والعداوات او الحروب المتواصلة وقيل هم الاوس
والخزرج كانوا اخوين لاب وام فوقعت بين اولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين سنة فالف
بين قلوبكم بتوفيقكم للاسلام فاصبحتم اي فصرتم بنعمته التي هي ذلك التاليف اخوانا ضرا صبحتم اي اخوانا متحابين مجتمعين
على الاخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى اذ اصبحتم فدخلتم في الصباح فالباء ح متعلقة بمحذوف وقع
حالا من الفاعل وكذا اخوانا اي اذ اصبحتم ملتبسين بنعمة حال كونكم اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار شفا الحفرة وشفتها
حرفها اي كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادركهم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها فانقذكم بان هداكم للاسلام
منها الضمير للحفرة او للنار او للشفا والتانيث للمضاف اليه كما في قوله كما شرقت صدر القناة من الدم لولا انه بمعنى الشفة فان شفا
البئر وشفتها جانبها كالجانب والجانبة واصله شفو قلبت الواو الفا ذا لمذكر وحذفت في المؤنث كذلك اشارة الى مصدر
الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه بما عداه او لتعظيمه
بسببه في سلك الامور الحاضرة بالحس والكاف محتمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من العظمة ومحلها النصب على انها صفة لمصدر محذوف
اي مثل ذلك التبيين الواضح يبين الله لكم آياته للناس اي دلائله لعلكم تهتدون طمعا لشانكم على الحق وازديادكم فيه ولتكن منكم امة
يدعون الى الخير ادرجهم الله سبحانه بتكميل الغير وارشاده اثر امرهم بتكميل النفس وتهذيبها بما قبله من الاوامر والنواهي تنبيها للكل على ان ما
فيها من الاحكام بان يقوم بعضهم بمراعاتها او يحافظ على حقوقها وحدودها وينذكرها الناس كافة ويردعهم عن الاخلال بها والجمهور
على اسكان لام الامر وقد قرئ بكسرها على الاصل وهو من كان التامة او من الناقصة ومن تبعيضية متعلقة بالامر او بمحذوف
وقع حالا من الفاعل او هو امة ويدعون صفتها اي لتوجد منكم امة داعية الى الخير والامة هي الجماعة التي يؤمها الناس او يقصدون دينها
ويقتدون بها او من الناقصة وامة اسمها ويدعون خبرها اي لتكن امة داعين الى الخير وانما كان فتوجيه الخطاب منكم الى الكل
مع اسناد الدعوة الى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين
ولو اخل بها الكل اثموا جميعا لا بحيث يتحتم على الكل اقامتها على ما ينبئ عنه قوله عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية ولانها
من عظائم الامور وغرائمها التي لا يتولاها الا العلماء باحكامه تعالى ومراتب الاجتناب وكيفية اقامتها فان من لا يعلم بها يوشك ان يامر
بمنكر وينهى عن معروف ويغلط في مقام التعيين ويجسر على من لا يزيده الا انكارا الا التمادي والاصرار وقيل
من بيانية كما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم الآية والامر من كان الناقصة والمعنى كونوا امة يدعون الآية
كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس ولا يقتضي ذلك كون الدعوة فرض عين فان الجهاد من فروض الكفاية مع شموله
بالخطاب العامة والدعاء الى الخير عبارة عن الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي فيتطرق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه وقوله

صدره وشرق بالقول الذي قد وعته

ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر مع اندراجهما فيما مر من باب عطف الخاص على العام لاظهار فضلهما وانافتهما على سائر الخيرات كعطف جبريل
وميكال على الملئكة عليهم السلام وحذف المفعول للتعميم من الافعال الثلثة اما للايذان بظهوره اى يدعون الناس ويأمرونهم وينهونهم
واما للقصد الى ايجاد نفس الفعل كما في قولك فلان يعطي ويمنع اى يفعلون الدعاء بالخير والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واولئك اشارة
الى الامة المذكورة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة وكمال تميزهم بذلك عن عداهم وانتظامهم بسببه في سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والاف واد في كاف الخطاب اما لان المخاطب كل من يصلح للخطاب واما للتنبيه
غير مقصود اى اولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة هم المفلحون اى هم الاحقاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة
ويؤكد النسبة وتفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين اما للعهد او للاشارة
الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر
واتقاهم لله واوصلهم اى للرحم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه
وعنه عليه السلام والذى نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر وليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب
لكم وعن علي رضه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن شئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له والامر بالمعروف في الوجوب
والندب تابع للامور به واما النهى عن المنكر فواجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والصحيح يجب عليه النهى عما ارتكبه فيجب عليه تركه والانكار
فلا يسقط بترك احدهما وجوب شئ منهما والتوبيخ في قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انما هو على نسيان انفسهم للامر مع
بالبر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا ولا تكونوا كالذين تفرقوا هم اهل الكتابين حيث تفرقوا اليهود فرقا والنصارى
فرقا واختلفوا باخراج اثنا وسبعين الزائغة وكتموا الايات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية من بعد ما جاءتهم
البينات اى الايات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة فالنهى متوجه الى المتصدين للدعوة اصالة والى اتباعهم تبعا
ويجوز تعميم الموصول للمختلفين من الامم السالفة الممثل بهم بقوله عز وجل وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات
وقيل هم المبتدعة من هذه الامة وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالمنهى عنه انما هو الاختلاف في الاصول دون الفروع
الا ان يكون مخالفا للنصوص البينة او الاجماع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة وقوله عليه السلام من اجتهد فاصاب فله اجران
ومن اخطأ فله اجر واحد واولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم
خبره وقوله تعالى عذاب عظيم مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول
وفيه من التاكيد والمبالغة في وعيد المتفرقين والتشديد في تهديد المتشبهين بهم ما لا يخفى يوم تبيض وجوه اى وجوه كثيرة
وقرئ تبياض وتسود وجوه كثيرة وقرئ تسواد وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير
ويوم منصوب على انه ظرف لاستقرار لهم اى لثبوت العذاب لهم او على انه مفعول المضمر خوطب به المؤمنون تحذيرا لهم عن عاقبة
التفرق بعد مجئ البينات وتبييض الوجوه عبارة عن الاتفاق على التمسك بالدين اى اذكروا يوم تبيض فيه وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين
السرور والكآبة الطوف فيه وقيل يوم يسعى اهل الحق بياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل
بخلاف ذلك فاما الذين اسودت وجوههم تفصيل لاحوال الفريقين بعد الاشارة اليها اجمالا وتقديم بيان حال الاولين
لما ان المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الاجمال والتفصيل والاقتضاء الى ضم الكلام بحسن حال المؤمنين
كما يؤذن بذلك عند الاجمال اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اى فيقال لهم ذلك والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم والنظر
انهم اهل الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمان اسلافهم او ايمان انفسهم به قبل مبعثه
او جميع الكفرة حيث كفروا بعد ما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق او بعد ما تمكنوا من الايمان بالنظر الصحيح والتأمل الواضح

والآيات البينة وقيل المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء والآفاك في قوله عز وعلا فذوقوا العذاب الى العذاب الموعود للموصوف
بالعظيم للدلالة على ان الامر بذوق العذاب على طريق الاهانة مترتب على كفرهم المذكور كما ان قوله تعالى بما كنتم تكفرون صريح في ان نفس
الذوق معلل بذلك والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم او على مضيه في الدنيا واما الذين ابيضت وجوههم
ففي رحمة الله اعني الجنة والنعيم المحل المعبر عنها بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا
برحمة الله تعالى وقرئ ابياضت كما قرئ اسوادت هم فيها خالدون استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من السباق كأنه قيل كيف
يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يبغون عنها حولا وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآي تلك اشارة الى الآيات
المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب الكفار ومعنى البعد للايذان بعلو شانها وسمو مكانها في الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى آيات الله
خبره وقوله تعالى نتلوها جملة حالية من الآيات والعامل فيها معنى الاشارة او هي الخبر وآيات الله بدل من اسم الاشارة والالتفات الى التكلم
بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبريل عم لابراز كمال العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على اسناد الفعل الى ضميره تعالى وقوله تعالى بالحق
متعلق بنتلوها وقوله تعالى بالحق حال مؤكدة من فاعل نتلوها او من مفعوله اى ملتبسين او ملتبسة بالحق والعدل ليس في حكمها شائبة جور
بنقص ثواب المحسن او بزيادة عقاب المسئ او بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم بأعمالهم بموجب الوعد والوعيد
وقوله تعالى وما الله يريد ظلما للعالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله على ابلغ وجه وآكده فان تنكير الظلم وتوجيه النفي الى ارادته
بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم بآحاد الجمع الموقف والالتفات الى الاسم الجليل اشعارا بعلية الحكم بيان لكمال تنزهه عز وجل
عن الظلم بالامر بدئ عليه اى ما يريد فردا من افراد الظلم لفرد من افراد العالمين في وقت من الاوقات فضلا عن ان يظلمهم فان المضارع
كما يفيد الاستمرار فح الاثبات يفيده في النفي بحسب المقام كما ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام كما ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام
على دوام الثبوت وعند دخول حرف النفي تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفي سبك الجملة نوع ايماء الى التعريض بان الكفرة
هم ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ولله
ما في السموات وما في الارض اى له تعالى من غير شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات الفائتة للحصر ملكا وخلقا واحياء وامانة واثابة
وتعذيبا وابراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا لحقارتهم في مقام بيان عظمته تعالى والى الله
اى لا الى غيره شركة او استقلالا ترجع الامور اى امورهم فيجازى كلا منهم بما يليق به او عن من غير دخل في ذلك
لاحد قط مقررة لمضمون ما ورد في جزاء الفريقين وقيل هي معطوفة على ما قبلها مقررة لمضمونه فان كون العالمين بحيث تحاط
بمخلوقة ومرزوقة يستدعي ارادة الخير بهم كنتم خير امة اخرجت للناس صفة لامة واللام متعلقة باخرجت اى اظهرت لهم
وقيل بخير امة اى كنتم خير الناس للناس فهو صريح في ان الخيرية للناس وان فهم ذلك من الاخراج لهم ايضا اى اخرجت بمعنى النفع
لاجلهم ومصلحتهم قال ابو هريرة رض معناه كنتم خير الناس تأتون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الاسلام وقال قتادة هم امة
محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في الاسلام فهم خيرة للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر استئناف مبين لكونهم خيرة كما يقال زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم او خبر ثان
لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار وخطاب المشافهة وان كان خاصا بمن شاهد الوحي من المؤمنين لكن حكمه عام
للكل قال ابن عباس رض يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج اصل هذا الخطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى وظاهر ان المراد بكل امة اولاهم
واواخرهم لا اولاهم فقط فلا بد ان يكون اعقاب هذه الامة ايضا داخلة في الحكم وكذا الحال فيما روى ان مالك بن الصيف
ووهب بن يهود ام اليهود بن حرا بنفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل

الكفرة

وسالم بنا مولى حذيفة رضه فقالا لهم نحن افضل منكم ودينا خير مما تدعونا اليه وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضه كنتم امة الذين ما جروا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وروى عن الضحاك انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة الرواة والدعاة الذين
امر الله المسلمين باطاعتهم وتؤمنون بالله اى ايمانا متعلقا بكل ما يجب ان يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وانما لم يصرح
بتفصيل المظهور اية الذى يؤمن به المؤمنون وللايذان بان الايمان بالله بلا حقيقة وان ما خلا عن شئ من ذلك كايمان اهل الكتاب
ليس من الايمان بالله فى شئ قال تعالى حكمه ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا
وانما اخر ذلك عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لان دلالتهما على خيريتهم للناس اظهر من دلالته عليها
ولتيقن به بقوله تعالى ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم اى لو آمنوا كايمانكم لكان ذلك خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام
ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين وقيل مما هم فيه من الكفر
فالخيرية انما هى باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وانما لم يتعرض للمؤمن به اصلا للاشعار بظهوره اية الذى يطلق عليه اسم الايمان
لا يذهب الوهم الى غيره ولو فصل المؤمن به ههنا او فيما قبل لربما فهم ان لاهل الكتاب ايضا ايمانا ما فى الجملة لكن ايمان المؤمنين خير منه
وجيهات ذلك منهم المؤمنون جملة مستانفة سيقت جوابا عما نشأ من الشرطية الاولى على انتفاء الخيرية لانتفاء الايمان عنهم
كانه قيل منهم من آمن او كلهم على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم
الفاسقون المتمردون فى الكفر الخارجون عن الحدود لن يضروكم الا اذى استثناء مفرغ من المصدر العام اى لن يضروكم
ابدا ضررا ما الا ضرر اذى لا يبالى به من طعن وتهديد لا اثر له وان يقاتلوكم يولوكم الادبار اى ينهزموا من غير ان ينالوا
منكم شيئا من قتل او اسر ثم لا ينصرون عطف على الشرطية وثم للتراخى فى الرتبة اى لا ينصرون من جهة احد ولا يمنعون منكم قتلا
واخذا وفيه تثبيت لمن آمن منهم فانهم كانوا يؤذونهم بالتلهى بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بانهم لا يقدرون
على ان لا يجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يعبأ به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل
وانما لم يعطف نفى منصوريتهم على الجزاء لان المقصود هو الوعيد بنفى النصر مطلقا ولو عطف عليه لكان مقيدا بما قبله كتولية الادبار
وكم بين الوعدين كما قيل ثم شأنهم الذى اخبركم عنه واشركم به انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعد ذلك كاحاد ولا
يقومون على ساق ولا يستقيم لهم امر وكان كذلك حيث لقى بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع ويهود خيبر ما لقوا ضربت عليهم الذلة
اى الزمتهم الذلة الزام القبة على بناءها ذل التمسك بالباطل اينما ثقفوا اى وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء
من اعم الاحوال اى ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من هى عليه فى جميع الاحوال الا حال كونهم معتصمين بذمة الله او كتابه الذى
اتاهم وذمة المسلمين او بذمة الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤا بغضب من الله اى جعلوا به مستوجبين والتنكير للتفخيم والتهويل
ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والهول اى كائن من الله عز وجل وضربت عليهم المسكنة
فهى محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود كذلك فى غالب الحال مساكين تحت ايدى المسلمين والنصارى ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب
الذلة والمسكنة عليهم وآلبؤا بالغضب العظيم بانهم كانوا يكفرون بآيات الله اى ذلك الذى ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بآيات الله
الناطقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتحريفهم لها وبسائر الآيات التوراتية ويقتلون الانبياء بغير حق اى فى اعتقادهم
ايضا واسناد القتل اليهم مع انه فعل اسلافهم لرضاهم به كما ان التحريف مع كونه من افعال احبارهم ينسب الى كل من يسير بسيرتهم
ذلك اشارة الى ما ذكر من الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون اى كائن بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى
على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضى الى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدى الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة
والمسكنة فى الدنيا واستيجاب الغضب فى الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم

مخاطبون بالشروع من حيث المؤاخذة ليسوا سواء جملة مستأنفة سيقت تمهيدا لتعداد محاسن مؤمني اهل الكتاب وتذكيرا
لقوله تعالى منهم المؤمنون والضمير في ليسوا لاهل الكتاب جميعا لا للفاسقين منهم خاصة وهو ايهم ليس في خبره سواء وانما افرد لانه في الاصل
مصدر والمراد بنفي المساواة نفي المشاركة في اصل الاتصاف بالقبائح المذكورة لا نفي المساواة في مراتب الاتصاف بها مع تحقق
المشاركة في اصلها اى ليس جميع اهل الكتاب مشاركين في الاتصاف بما ذكر من القبائح والابتلاء بما يترتب عليها من العقوبات وقوله تعالى
من اهل الكتاب امة قائمة استئناف مبين للكيفية عدم تساويهم ومزيل لما فيه من الابهام كما ان ما سبق من قوله تعالى تأمرون بالمعروف الخ
مبين لقوله تعالى كنتم خير امة الخ ووضع اهل الكتاب موضع الضمير العائد اليهم لتحقيق ما به الاشتراك بين الفريقين والايذان بان تلك الامة
ممن اوتي نصيبا وافرا من الكتاب لا من اراذلهم والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا
منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد واسيد بن عبيد واخاهم وقيل هم اربعون رجلا من اهل نجران واثنان وثلثون من اهل
الحبشة وثلثة من الروم كانوا على دين موسى عم وصدقوا محمدا صلى الله عليه وسلم وكان من الانصار قبل قدوم النبي
صلى الله عليه وسلم منهم سعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة
ويتوضون بما يعرفون من شرائع الحنيفية حتى بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه وقوله تعالى يتلون آيات الله
في محل الرفع على انه صفة اخرى لامة وقيل في محل النصب على انه حال منها لتخصصها بالنعت والعامل فيه الاستقرار الذي يتضمنه الجار والمجرور
من ضمير لها في قائمة او من المستكن في الجار لوقوعه خبر الامة والمراد بايات الله القرآن وقوله تعالى آناء الليل ظرف ليتلون اى في ساعاته
جمع اني بزنة معا او اني بزنة ظبي لوالي بزنة نحي او انو بزنة جزو وهم يسجدون اى يصلون
اذ لا تلاوة في السجود قال عليه السلام الا اني نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا وتخصيص السجود بالذكر من بين سائر اركان الصلوة
لكونه ادل على كمال الخضوع والتصريح بتلاوتهم آيات الله في الصلوة مع انها مشتملة عليها قطعا لزيادة تحقيق وتوضيح عدم المساواة
بينهم وبين الذين وصفوا آنفا بالكفر بها وهو السر في تقديم هذا النعت على نعت الايمان والمراد بصلوتهم التهجد اذ هو داخل
في مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فانها في المكتوبة وخلفية الامام واعتبار حالهم عند الصلوة على الانفراد اياها مقام المدح
وهو الانسب بالعدول عن ايرادها باسم الجنس المتبادر منه الصلوة المكتوبة وبالتعبير عن وقتها بالاناء المبهمة وقيل صلوة العشاء
لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرها ليلة ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال
اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار وتكرير الاسناد
لتقوية الحكم وتاكيده وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة حال من فاعل يتلون وقيل هي مستأنفة والمعنى انهم يقومون
تارة ويسجدون اخرى يبتغون الفضل والرحمة بانواع ما يكون في الصلوة من الخضوع لله عز وجل كما في قوله تعالى والذين يبيتون
لربهم سجدا وقياما وقيل المراد بالسجود هو الخضوع كما في قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات والارض يؤمنون بالله واليوم الآخر
صفة اخرى لامة مبينة لمعاينتهم اليهود من جهة اخرى اى يؤمنون بهما على الوجه الذي ينطق به الشرع والاطلاق للايذان
بالغنى عن التقييد لظهور ان الذي يطلق على الايمان بهما لا يذهب الوهم الى غيره والتعريض بان ايمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله
وكفرهم ببعض الكتب والرسل ودصفهم يوم الآخر بخلاف صفة ليس من الايمان بهما في شئ اصلا ولو قيد بما ذكر لربما توهم
ان المنتفي عنهم هو المقيد المذكور مع جواز اطلاق الايمان على ايمانهم بالكل وجهات ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
صفتان أخريان لامة اجريتا عليهم تحقيقا لمخالفتهم اليهود في الفضائل المتعلقة بتكميل الغير اثر بيان مباينتهم لهم في الفضائل
المتعلقة بتكميل النفس وتوبيخا بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم في الامر باضلال الناس وصدهم عن سبيل الله فانه امر
بالمنكر ونهي عن المعروف ويسارعون في الخيرات صفة اخرى لامة جامعة لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس

وبالغير والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في تولّيه والقيام به وآثر النور على التراخي اى يبادرون مع كمال
الرغبة في فعل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود فيها بل بميلهم الى الشرور في ايثار كلمة في على ما وقع
في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الخ للايذان بانهم مستقرون في اصل الخير متقلبون في فنونها المترتبة في طبقات الفضل لا انهم خارجون عنها
منتهون اليها واولئك اشارة الى الامة باعتبار اتصافهم بما فصل من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم وسمو
طبقتهم في الفضل وايثاره على الضمير لاشعار بعلية الحكم والمدح اى اولئك الموصوفون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها من الصالحين
اى من جملة من اصلحت احوالهم عند الله عز وجل واستحقوا رضاءه وثناءه وما يفعلوا من خير كائنا ما كان مما ذكر اولم يذكر فلن يكفروه
اى لن يعدموا ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر اظهارا لكمال نزاهته سبحانه وتعالى عن ترك اثابتهم بصورة
ما يستحيل صدوره عنه تعالى من التباعد والعدية الى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وايثار صيغة البناء للمفعول للجري على سنن الكبرياء
وذي الفعلان على صيغة الخطاب والله عليم بالمتقين تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان علمه تعالى باحوالهم يستدعي توفية اجورهم لا محالة
والمراد بالمتقين اما الامة المعهودة وضع موضع الضمير العائد اليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلق العلم بهم واشعارا بمناط اثابتهم
وهو التقوى المنطوي على الخصائص السالفة واما جنس المتقين عموما وهم مندرجون تحت حكمه اندراجا اوليا ان الذين كفروا
اى بما يجب ان يؤمن به قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بنو قريظة والنضير فان معادتهم كانت لاجل المال وقيل هم مشركو قريش فان اباجهل
كان كثير الافتخار بماله وقيل ابو سفيان واصحابه فانه انفق مالا كثيرا على الكفار يوم بدر واحد وقيل هم الكفار كافة فانهم فاخروا
بالاموال والاولاد حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين قد اسد عز وجل وقال لن تغني عنهم اى لن يدفع عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله اى من عذابه تعالى شيئا اى شيئا يسيرا منه او شيئا من الاشياء واولئك اصحاب النار
اى مصاحبوها على الدوام ولازموها هم فيها خالدون ابدا مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا بيان لكيفية عدم اغناء
اموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع ودفع المضار ويعلقون بها اطماعهم الفارغة وما موصولة اسمية حذف عائدها
اى حال ما ينفقه الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة والمنافقون رياء وخوفا وقصته العجيبة التي جرى مجرى المثل في الغرابة كمثل
ريح فيها صر اى برد شديد فانه في الاصل مصدر وان شاع اطلاقه على الريح الباردة كالقر وقيل كلمة في تجريدية كما في قوله تعالى
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فباؤا بالغضب من الله تعالى وانما وصفوا
بذلك لان الاهلاك عن سخط اشد وافظع فاهلكته عقوبة لهم ولم يدع منه اثرا ولا عينا او المراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه
وذهابه بالكلية من غير ان يعود اليهم نفع بالحرث كفار صرسه صرفا شأ صلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما بوجه من الوجوه وهو من التشبيه
المركب الذي مر تفصيله وفي تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ولذلك لم يقل بنار ما ملاءمة كلمة التشبيه بالريح دون الحرث ويجوز
ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون وما ظلمهم الله
بما بين من ضياع ما انفقوا ولكن انفسهم يظلمون لما انهم اضاعوها بانفاقهم للاعلى ما ينبغي وتقديم المفعول لرعاية الفواصل
لا للتخصيص اذ الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول اى ما ظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم وصيغة المضارع للتجدد والاستمرار
وقد جوز ان يكون المعنى وما ظلمهم الله تعالى اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وتاباه انه
قد مر التعرض له تصريحا واشعارا وقرئ لكن بالتشديد على ان اسمها ويظلمون خبرها والعائد محذوف للفاصلة
اه ولكن انفسهم يظلمونها واما تقدير ضمير الشان فلا سبيل اليه لاختصاصه بالشعر ضرورة كما مر في قوله تعالى ولكن من يبصر صونك يعسف
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة بطانة الرجل وليجته من يوثق باسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار
قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار قال ابن عباس رضي الله عنهما كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة

والصداقة والحلف فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك ويؤيده
قوله تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهي صفة المنافق واياما كان فالحكم عام للكفرة عامة من دونكم
اي من دون المسلمين هو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وقع صفة لبطانة اي كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا جملة مستأنفة
مبينة لحالهم داعية الى الاجتناب عنهم او صفة لبطانة يقال ألا في الامر اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا
ولا آلوك جهدا على تضمين معنى المنع والنقص والخبال الفساد اي لا يقصرون لكم في الفساد ودوا ما عنتم اي تمنوا عنتكم اي مشقتكم
وشدة ضرركم وهو استئناف للنهي موجب لزيادة الاجتناب عن المنهي عنه قد بدت البغضاء من افواههم استئناف آخر مفيد للاجتناب
عن المنهي عنه اي قد ظهرت البغضاء في كلامهم لما انهم لا يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم
بغضهم للمسلمين وقرئ قد بدا البغضاء والافواه جمع فم واصله فوه فلامه هاء يدل على ذلك جمعه على افواه وتصغيره على فويه والنسبة اليه
فوهي وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس على روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين
وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون اي ان كنتم من اهل العقل او ان كنتم تعقلون ما بين لكم من الآيات
والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه ها انتم اولاء جملة من مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه اظهارا لكمال العناية بمضمونها
اي انتم اولاء المخطئون في موالاتهم وقوله تعالى تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في ذلك وهو خبر ثان لانتم او خبر لاولاء
والجملة خبر لانتم كقولك انت زيد تحبه او صلة له او حال والعامل معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده ويكون
الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله اي بجنس الكتب جميعا وهو حال من ضمير المفعول في لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون
بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا
واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ اي من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم
دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله الى ان يهلكوا به او باشتداده الى ان يهلكهم ان الله عليم
بذات الصدور فيعلم ما في صدوركم من العداوة والبغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله تعالى عليم بما هو
اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى لا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بذات الصدور
وقيل هو امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله تعالى ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام
واذلالهم به من غير ان يكون ثمة قول كانه قيل حدث نفسك بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها
بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة وذكر المس مع الحسنة والاصابة
مع السيئة اما للايذان بان مدار مساءتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة واما لان المس مستعار لمعنى الاصابة وان تصبروا اي على عداوتهم او على مشاق التكاليف
وتتقوا ما حرم الله تعالى عليكم ونهاكم عنه لا يضركم كيدهم مكرهم وحيلتهم التي دبروها لاجلكم وقرئ لا يضركم بكسر الضاد
وجزم الراء على جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره وضمة الراء في القراءة المشهورة للاتباع كضمة مد شيئا
نصب على المصدرية اي لا يضركم شيئا من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب
بالاتقاء والصبر يكون جريئا على الخصم ان الله بما يعملون في عداوتكم من الكيد محيط علما فيعاقبهم على ذلك وقرئ بالتاء
الفوقانية اي بما تعملون من الصبر والتقوى فيجازيكم بما انتم اهله واذ غدوت كلام مستأنف سيق للاستشهاد بما فيه
من استتباع عدم الصبر والتقوى للضرر على ان وجودهما مستتبع لما وعد من النجاة عن مضرة كيد الاعداء واذ نصب على المفعولية
بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم مع عموم الخطاب فيما قبله وما بعده له وللمؤمنين لاختصاص مضمون الكلام به عليه السلام
اي واذكر لهم وقت غدوك ليتذكروا ما وقع فيه من الاحوال الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا انهم ان لزموا الصبر والتقوى

لا يفترهم كيد الكفرة وتوجيه الأمر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة فى ايجاب ذكرها واستحضار
الى ادنى تفاصيلها كما سلف بيانه فى تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملئكة الخ والمراد به خروجه عليه السلام الى أحد وكان ذلك من منزل
عائشة رضى الله عنها وهو المراد بقوله تعالى من اهلك اى من عند اهلك تبوئ المؤمنين اى تنزلهم اوتهيئ وتسوى لهم مقاعد
ويؤيد قراءة من قرأ تبوئ للمؤمنين والجملة حال من فاعل غدوت لكن لا على انها مقدرة اى ناويا وقاصدا للتبوئة كما قيل بل على ان
تذكير الزمان الممتد المتسع لابتداء الخروج والتبوئة وما يترتب عليها اذ هو المذكر للقصة وانما عبر عنه بالغدو الذى هو الخروج غزوة
مع كون خروجه عليه السلام بعد صلوة الجمعة كما ستعرفه اذ وقت التبوئة التى هى العمدة فى الباب اذ المقصود بتذكير الوقت تذكير مخالفتهم
لامر النبى صلى الله عليه وسلم وتزايلهم عن احيازهم المعينة لهم عند التبوئة وعدم صبرهم وبهذا يتبين خلل رأى من احتج به على جواز ادأ
صلوة الجمعة قبل الزوال واللام فى قوله تعالى للقتال إما متعلق بتبوئ اى لاجل القتال واما بمحذوف وقع صفة لمقاعد اى كائنة
ومتعد القتال اماكنه ومواقفه فان استعمال المقعد والمقام بمعنى المكان اتساعا شائع ذائع كما فى قوله تعالى فى مقعد صدق
وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك روى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه
ودعا عبد الله بن أبى بن سلول ولم يدعه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج
اليهم ورب فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان قاموا
اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين فقال
بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام انى قد رأيت فى منامى بقرا فذبحت
حولى فاولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما فاولته هزيمة ورأيت كأنى ادخلت يدى فى درع حصينة فاولتها المدينة
فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة فدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله تعالى بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى اعدائنا
وقال النعمان بن مالك الانصارى رض يا رسول الله لا تحرمنى الجنة فوالذى بعثك بالحق لادخلن الجنة ثم قال بقول اشهد
ان لا اله الا الله وانى لا زحف من الزحف فلم يزالوا به عليه السلام حتى دخل فلبس لامته فلما زاوه كذلك ندموا وقالوا استكرهنا
نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى يأتيه قالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال ما ينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها
حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلث من الهجرة
فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح ان رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله فى عدوة الوادى
وجعل ظهره وعسكره الى أحد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم
فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم والله سميع لاقوالكم عليم بضمائركم والجملة اعتراض للايذان بانه قد صدر عنهم
هناك من الاقوال والافعال ما لا ينبغى صدوره عنهم اذ همت بدل من اذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير وظرف
لسميع عليم على معنى انه تعالى جامع بين السماع للاقوال والعلم بالضمائر فى ذلك الوقت اذ لا وجه لتقييد كونه تعالى سميعا عليما بذلك الوقت
قال الفراء بمعنى قولك ضربت واكرمت زيدا ان زيدا منصوب بهما وانهما تسلطا عليه معا طائفتان منكم ان تفشلا
متعلق بهمت والباء محذوفة اى بان تفشلا اى تجبنا وتضعفا وهما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة
من الاوس وهما الجناحان من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا الف رجل وقيل سبعمائة وخمسين وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الفتح ان صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلثة آلاف فانخزل عبد الله بن ابى بثلث الناس فقال يا قوم علام نقتل
انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصارى فقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم
فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رض اضمروا ان يرجعوا

فهم

فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس فقلما يخلو النفس عنه عند الشدائد والله وليهما اى عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة والجملة اعتراض ويجوز ان يكون حالا من فاعل همت او من ضميره في تفشلا مفيدة للاستبعاد فشلهما او هما معا بمعونة ولاية الله عز وجل وقرئ والله وليهم كما في قوله ومن يتولهم منكم فانه منهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وعلى الله وحده دون ما عداه استقلالا او اشتراكا فليتوكل المؤمنون في جميع امورهم فانه حسبهم واظهار الاسم الجليل للتبرك بذكر التعليل فان الالوهية من موجبات التوكل عليه واللام في المؤمنين للجنس فيدخل فيه الطائفتان دخولا اوليا وفيه اشعار بان وصف الايمان من دواعي التوكل وموجباته ولقد نصركم الله ببدر جملة مستانفة سيقت لايجاب الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب من النصر اثر تذكير ما ترتب على عدمهما من الفشل وقيل لايجاب التوكل على الله تعالى بتذكير ما يوجبه وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كلدة فسمي باسمه وقيل سمي به لصفاته كالبدر واستدارته وقيل هو اسم الموضع والوادي وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة وانتم اذلة حال من مفعول نصركم واذلة جمع ذليل او ناقص جمع قلة للايذان بانقصافهم بوصفي القلة والذلة اذ كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم في الغاية خرجوا على التواضع يعتقب النفر منهم على البعير الواحد ولم يكن في العسكر الا فرس واحد وقيل فرسان للمقداد ومرثد وسبعون بعيرا وستة ادرع وثمانية سيوف وكان العدو زهاء الف ومعهم مائة فرس وشكة وشوكة فاتقوا الله اقتصر على الامر بالتقوى مع كونه مشفوعا بالصبر فيما سبق وما لحق للاشعار باصالة وكون الصبر من مبادي الملازمة له ولذلك قدم عليه في الذكر وفي ترتيب الامر بالتقوى على الاخبار بالنصر ايذان بان نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم اى اذا كان الامر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم يومئذ لعلكم تشكرون اى راجين ان تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم من النصرة كما شكرتم فيما قبل او لعلكم ينعم الله عليكم بالنصر كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه الذي هو الانعام اذ تقول تلوين للخطاب بتخصيصه برسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه والايذان بان وقوع النصر كان ببشارته عليه السلام واذ ظرف لنصركم قدم عليه الامر بالتقوى لاظهار كمال العناية به والمراد به الوقت الممتد الذي وقع فيه ما ذكر بعد وما طوي ذكره تعويلا على شهادة الحال مما يتعلق به وجود النصر وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها اى ينصركم وقت قولك للمؤمنين حين اظهروا العجز عن المقابلة قال الشعبي بلغ المؤمنين ان كرز بن جابر الفهري يريد ان يمد المشركين فشق ذلك على المؤمنين فنزل ح ثم حكى مهما الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة آلاف الكفاية سد الخلة والقيام بالامر والامداد في الاصل اعطاء الشيء حالا بعد حال قال الفاضل ما كان منه بطريق التقوية والاعانة فيه امده يمده امدادا وما كان بطريق الزيادة يقال فيه مده يمده مدا ومنه والبحر يمده من بعده سبعة ابحر وقيل المد في الشر كما في قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون وقوله تعالى ونمد له من العذاب مدا والامداد في الخير كما في قوله تعالى ويمددكم باموال وبنين والتعرض لعنوان الربوبية ههنا وفيما سيأتي مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار العناية بهم والاشعار بعلة الامداد والمعنى انكار عدم كفاية الامداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة بلى للاشعار بانهم كانوا حقيقين بالنصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم من الملئكة بيان او صفة لآلاف او لما اضيف اليه اى كائنين من الملئكة منزلين صفة لثلثة آلاف وقيل حال من الملئكة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج وقيل امدهم الله بالف ثم صاروا ثلثة آلاف ثم خمسة آلاف وقرئ منبئا للفاعل من الصيغتين اى منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن وتحقيق له اى بلى يكفيكم ذلك ثم وعدهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا على لقاء العدو ومنابذتهم وتتقوا معصية الله ومخالفة نبيه عليه السلام ويأتوكم اى المشركون من فورهم هذا اى من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اى اشتد غليانها

ثم استعير للسرعة ثم اطلق على كل حالة لا يتخلف فيها اصلا ووصفه بذلك للسرعة بزيادة تعيينه وتقريبه ونظم اتيانهم بسرعة في سلك شرطي
الامداد المستتبعين له وجودا وعدما اعني القصر والتقوى مع تحقق الامداد في الجملة سواء اسرعوا او ابطؤا لتحقيق سرعة الامداد
لا لتحقيق اصلا ولبيان تحققه على اي حال فرض على ابلغ وجه واكمله بتعليقه بما بعد التقادير ليعلم تحققه على سائر تلك التقادير فان حجوم
الاعداء واتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد عادة فعلق به تحقق الامداد ايذانا بانه كما تحقق مع ما ينافيه عادة فلان يتحقق بدونه اولى
واحرى كما اذا اردت وصف درع بغاية الحصانة تقول ان ابرتها وبارزت بها الاعداء فضربوك بايدي شداد وسيوف حداد فلم تتأثر
منها قطعا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملئكة مسومين من التسويم الذي هو اظهار سيماء الشيء اي معلمين انفسهم او خيلهم فقد روي
انهم كانوا بعمائم بيض الا جبرئيل عليه السلام فانه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير بن العوام وروي انهم كانوا على خيل بلق قال عروة بن الزبير
كانت الملئكة على خيل بلق عليهم عمائم بيض قد ارسلوها من اكنافهم وقال هشام بن عروة عمائم صفر وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا
بالعهن في نواصي الخيل واذنابها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه رضي الله عنهم تسوموا فان الملئكة قد تسومت وقرئ مسومين
على البناء للمفعول ومعناه معلمين من جهته سبحانه وتعالى وقيل مرسلين من التسويم بمعنى الارسال وما جعله الله كلام مبتدأ غير داخل في حيز القول
مسوق من جهته تعالى لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وان حقيقة النصر مختص به عز وجل لبيق به المؤمنون ولا يقنطوا منه
عند فقدان اسبابه والا فمعاينة معطوف على فعل مقدر ينسحب على الكلام ويستدعيه النظام فان الاخبار بوقوع النصر على الاطلاق وتذكير
وقته وحكاية الوعد بوقوعه على وجه مخصوص وهو الامداد بالملئكة مرة بعد اخرى وتعيين وقته فيما مضى يقضي بوقوعه قضاء قطعا
لكن لم يصرح به تعويلا على تعاضد الدلائل وتناخذ الامارات والمخائل ايذانا بكمال الغنى عنه بل احترازا عن شائبة التكرار وعن ايهام التخلف في الوعد المختوم كأنه قيل عقيب قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملئكة مسومين فامدكم به وما جعله الله الخ والجعل متعد
الى واحد وهو الضمير العائد الى مصدر ذلك الفعل المقدر وانما عوده الى المصدر المذكور اعني قوله تعالى ان يمدكم او الى المصدر المدلول عليه بقوله
يمددكم كما قيل فغير حقيق بجزالة التنزيل لان الهيئة البسيطة متقدمة على المركبة فبيان العلة الغائية لوجود الامداد كما هو المراد
بالنظم الكريم حقه ان يكون بعد بيان وجوده في نفسه ولا ريب في ان المصدرين المذكورين غير معتبرين من حيث الوجود والوقوع
كمصدر الفعل المقدر حتى يقتضي لبيان احكام وجودهما بل الاول معتبر من حيث الكفاية والثاني من حيث الوعد على ان الاول هو الامداد
بثلثة آلاف والواقع هو الامداد بخمسة آلاف وقوله تعالى الا بشرى لكم استثناء مفرغ من اعم العلل وتلوين الخطاب لتشريف
المؤمنين وللاذان بانهم المحتاجون الى البشارة وتسكين القلوب بتوفيق الاسباب الظاهرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم غني عنه
بما له من التأييدات الروحانية اي وما جعل امدادكم بانزال الملئكة عيانا بشيء من الاشياء الا لبشراكم بانكم تنصرون وتطمئن قلوبكم به
اي بالامداد وتسكين اليه كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما علة غائية للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه من اتحاد
الفاعل والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل للاشارة ايضا الى اصالته في العلية واهميته في نفسه
كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليها اشعار بان الملئكة عليهم السلام لم يباشروا يومئذ القتال وانما كان امدادهم
بتقوية قلوب المباشرين بتكثير السواد ونحوه كما هو رأي بعض السلف وقيل الجعل متعد الى اثنين وقوله عز وجل الا بشرى لكم استثناء
من اعم العلل فاعيل اي وما جعله الله تعالى شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام في قوله تعالى ولتطمئن متعلقة بمحذوف تقديره ولتطمئن قلوبكم
به فعل ذلك وما النصر اي حقيقة النصر على الاطلاق فيندرج في حكمه النصر المعهود اندراجا اوليا الا من عند الله اي الكائن من عنده تعالى
من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان سنته تعالى او وما النصر المعهود الا من عنده تعالى لا من عند
الملئكة فانهم بمعزل من التأثير وانما قصارى امرهم ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب العزيز اي الذي لا يغالب على حكمه وقضيته واجراء هذا
الوصف عليه تعالى للاشعار بجلية اختصاص النصر به تعالى كما ان وصفه تعالى بقوله الحكيم اي الذي يفعل كل ما يفعل حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة

للايذان بعلة جعل النصر بانزال الملئكة عليهم السلام فان ذلك من مقتضيات الحكم البالغة ليقطع متعلق بقوله تعالى ولقد نصركم وبينهما
تحقيق لحقيقة وقوعه والمقصود على التعليل عما ذكر من البشرى والاطمئنان انما هو الامداد بالملائكة على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك
في تعليل اصل النصر بالقطع وما عطف عليه او بما تعلق به الخبر فتدبر قوله عز وجل وما النصر الا من عند الله على تقدير كونه عبارة عن النصر المعهود
وقد اشير الى ان المعلل بالبشارة والاطمئنان انما هو الامداد المصور للما في ضمنه من النصر المعنوي الذي هو ملاك الامر واما تعلقه
بنفس النصر كما قيل فمع ما فيه من الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي هو الخبر مخل ايضا بالمعنى كيف لا ومعناه قصر النصر المخصوص المعلل بعلل
معينة على الحصول من جهته تعالى وليس المراد الا قصر حقيقة النصر او النصر المعهود على ذلك والمعنى لقد نصركم الله يومئذ وما النصر الظاهر
عند امداد الملئكة الا ثابت من عند الله ليقطع اي يهلك وينقص طرفا من الذين كفروا اي طائفة منهم بقتل واسر وقد وقع
ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون واسر سبعون او يكبتهم اي يحزنهم ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت شدة
غيظ او وهن يقع في القلب من كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحزن وقيل الكبت الاصابة بمكروه وقيل هو الصرع للوجه
اليدين فالتاء غير مبدلة واو للتنويع فينقلبوا خائبين اي فينصرفوا منقطعي الآمال غير فائزين من مبتغاهم بشئ كما في قوله
ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ليس لك من الامر شئ اعتراض وسط بين المعطوف عليه المتعلق بالعامل والمعطوف
المتعلق بالآجل لتحقيق ان لا تاثير للمنصور اثر بيان ان لا تاثير للناصرين وتخصيص النبي برسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق توجيه
الخطاب للدلالة على الانتهاء من غيره بالطريق الاولى وانما خص الاعتراض بموقعه لان ما قبله من القطع والكبت من مظان ان يكون
فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولسائر المؤمنين مدخل في الجملة او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على يكبتهم والمعنى ان ملاك
امرهم على الاطلاق هو الله عز وجل نصركم عليهم لهلاكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم
شئ انما انت عبد مامور بانذارهم وجهادهم والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد الاخروي المخصوص باشدة الكفرة كوا والا
فمطلق التعذيب الاخروي متحقق في الفريقين الاولين ايضا ونظم التوبة والتعذيب المذكور في سلك العلة الغائية للنصر المترتبة
عليه في الوجود من حيث ان قبول توبتهم فرع تحققها الناشئ من علمهم بحقية الاسلام بسبب غلبة اهله المترتبة على النصر وان تعذيبهم بالعذاب
المذكور مترتب على اصرارهم على الكفر بعد تبين الحق على الوجه المذكور هذا وقيل ان عتبة بن ابي وقاص شج رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد وكسر رباعيته فجعل عليه الصلوة والسلام يمسح الدم من وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل على وجهه الدم وهو يقول
كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر شئ الآية كناية نوع معاتبة على انكارهم
لفلاحهم وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان منهم من يؤمن فقوله تعالى او يتوب عليهم ح معطوف على الامر او على شئ باضمار
ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شئ اوليس لك من امرهم شئ او التوبة عليهم او تعذيبهم وتعلل
عن الفراء وابن الانباري ان او بمعنى الا ان والمعنى ليس لك من امرهم شئ الا ان يتوب الله عليهم فتفرح به او يعذبهم فتشفي منهم
وانما كان فهو كلام مستانف سيق لبيان بعض الامور المتعلقة بغزوة احد اثر بيان بعض ما يتعلق بغزوة بدر لما بينهما من
التناسب الظاهر لان كلا منهما مبني على الاختصاص كل بالله تعالى ومنبئ عن سلبه عمن سواه واما تعلق كل التقدة بغزوة احد على ان
اذ تقتلون بدل ثان من اذ غدوت وانما حكي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع يوم احد وان الامداد المذكور كان مشروطا
بالصبر والتقوى فلما لم يفعلوا لم يتحقق الموعود كما قيل فلا يساعده النظم الكريم اما اولا فلان الشروط بالصبر والتقوى انما هو الامداد
بخمسة آلاف لا بثلثة آلاف مع انه لم يقع الامداد يومئذ ولو بملك واحد واما ثانيا فلانه كان ينبغي ح ان ينعى عليهم جنايتهم وعدم
سبب ذلك النعي الجليل ودعوى ظهوره مع عدم دلالة السياق عليه بل مع دلالتها على خلافه مما لا يكاد يسمع واما ثالثا فلانه لا سبيل
الى جعل الضمير في قوله تعالى وما جعله الله الخ للامداد الموعود فانه بتحقق فكيف يمن عليهم بتحقق علته الغائية ولا الى الوعد به على معنى انه تعالى انما جعل

ذلك الوعد لبشارتكم واطمئنان قلوبكم فلم تفعلوا ما شرط عليكم من الصبر والتقوى فلم يقع انجاز الموعود لما ان قوله تعالى وما النصر الا من عند الله
العزيز الحكيم صريح في انه قد وقع الامداد الموعود لكن اثره انما هو مجرد البشارة والاطمئنان وقد حصلا واما النصر الحقيقي فليس ذلك
الا من عنده تعالى وجعلا استئنافا مقررا لعدم وقوع الامداد على معنى ان النصر الموعود مخصوص به تعالى فلا يفرض من خالف امره بترك الصبر والتقوى
اعتساف بيّن يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان قوله تعالى ليقطع طرفا الآية متعلق بما تعلق به قوله تعالى من عند الله تعالى من الثبوت
والاستقرار ضرورة ان تعلقه بقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر الآية مع كون ما بينهما من التفصيل متعلقا بوقعة أحد من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه
فلا بد من اعتبار وجود النصر قطعا لان تفصيل الاحكام المترتبة على وجود شيء بصدد بيان انتفائه تمام يتعهد في كلام الناس فضلا
من الكلام المجيد فالحق الذي لا محيد عنه ان قوله تعالى اذ تقول ظرف لنصركم وان ما حكي في أثنائه الى قوله تعالى خائبين متعلق بيوم بدر
قطعا وما بعده محتمل للوجهين المذكورين وقوله تعالى فانهم ظالمون تعليل على كل حال لقوله تعالى او يقلبهم مبتين لكون ذلك من جهتهم
وجزاء لظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض كلام مستأنف سيق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات به عز وجل اثر بيان
اختصاص طرف من ذلك سبحانه تقريرا لما سبق وتكملة له وتقديم الجار للقصر وكلمة ما شاملة للعقلاء ايضا تغليبا اى له ما فيهما
من الموجودات خلقا وملكا لا مدخل فيه لاحد اصلا قل الامر كله يغفر لمن يشاء اى يغفر له مشيئة مبنية على الحكم والمصالح ويعذب
من يشاء ان يعذبه بعلة مشيئة كذلك وايثار كلمة من في الموضعين لاقتضاء المغفرة والتعذيب بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب
للايذان بسبق رحمته تعالى غضبه وما بناها من مقتضيات الذات دونه فانه من مقتضيات سيئات العصاة وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب
والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم تذييل مقرر لمضمون قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة وفي تخصيص التذييل
به دون قرينته من الاعتناء بشان المغفرة والرحمة ما لا يخفى يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربوا كلام مبتدأ مشتمل على
ما هو ملاك الامر في كل باب لا سيما في باب الجهاد من التقوى والطاعة وما عداها من الامور على نهج الترغيب والترهيب جيء به في تضاعيف
القصة مسارعة الى ارشاد المخاطبين الى ما فيه وايذانا بكمال وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد فان المذكورة فيه مع كونها
مناطا للفوز في الدارين على الاطلاق عمدة في امر الجهاد عليها يدور فلك النصرة والغلبة كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى طاعة
الرسول صلى الله عليه وسلم لما لقوا ما لقوا ولعل ايراد النهي عن الربوا في اثنائها لما ان الترغيب في الانفاق في السراء والضراء الذي
عمدته الانفاق في سبيل الجهاد مقتض للترغيب في تحصيل المال فكان مظنة مبادرة الناس الى طرق المكاسب ومن جملتها الربوا
فنهوا عن ذلك والمراد باكلها اخذه وانما عبر عنه بالاكل لما انه معظم ما يقصد بالاخذ ولشيوعه في الاكل مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله
عز وجل اضعافا مضاعفة ليس لتقييد النهي بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك وكان الرجل يربي الى اجل
فاذا حل قال المدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستوفي بالشيء الطفيف المآل بالكلية ومحل الحالة
من الربوا وقرئ مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه من الامور التي من جملتها الربوا لعلكم تفلحون راجين للفلاح واتقوا
النار التي اعدت للكافرين بالتعرض عن متابعتهم وتعاطي ما يتعاطونه وكان ابو حنيفة رح يقول هو اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله
المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه فاجتنبوا محارمه واطيعوا الله في كل ما امركم به وانهاكم عنه والرسول الذي يبلغكم اوامره ونواهيه
لعلكم ترحمون راجين لرحمة عقب الوعيد بالوعد ترهيبا في المخالفة وترغيبا في الطاعة واريد للعل في الموضعين للاشعار بغرة مناط
الفلاح والرحمة قال محمد بن اسحق هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ادركهم بما ادركهم يوم احد وبارعوا
عطف على اطيعوا وقرئ بغير واو وعلى وجه الاستئناف اى بادروا واقبلوا وقرئ وسابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة اى ما يؤدي اليها
وقيل الى الاسلام وقيل الى التوبة وقيل الى الاخلاص وقيل الى الجهاد وقيل الى اداء جميع الواجبات وترك جميع المنهيات فيدخل فيها ما ذكر
من الامور المأمور بها والمنهي عنها دخولا اوليا وتقديم المغفرة الى الجنة لما ان التخلية متقدمة على التحلية ومن متعلقة بمحذوف

وصف صفة لمغفرة اى كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار غرابة اللطف بهم وقوله تعالى
عرضها السموات والارض اى كعرضهما صفة صفة لجنة وتخصيص العرض بالذكر للمبالغة فى وصفها بالسعة والبسط على طريقة التمثيل
فان العرض فى العادة ادنى من الطول وعن ابن عباس رض كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين فى حيز
الجر على انه صفة اخرى لجنة او فى محل النصب على الحالية منها لتخصصها بالصفة اى هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة الآن وانها
خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون فى محل الجر على انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل منه او بيان او فى حيز النصب او الرفع على المدح
ومفعول ينفقون محذوف فيتناول كل ما يصلح للانفاق او متروك بالكلية كما فى قولك يعطى ويمنع فى السراء والضراء فى حالتى الرخاء
والشدة واليسر والعسر او فى الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اى لا يخلون فى حال بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير
والكاظمين الغيظ عطف على الموصول والعدول الى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار واما الانفاق فحيث كان امرا متجددا عبر عنه بما يفيد
الحدوث والتجدد والكظم الحبس يقال كظم غيظه اى حبسه قال المبرد تاويله انه كنى به على امتلائه منه يقال كظمت السقاء اذا ملأته وشدد
عليه اى الممكنين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على انفاذه ملأ الله
قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس اى التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته روى انه ينادى مناد يوم القيمة اين الذين
كانت اجورهم على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء فى امتى قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا
فى الامم التى مضت وفى هذين اشعار بكمال حسن موقع عفوه عليه السلام عن الرماة وترك مؤاخذتهم بما فعلوا من مخالفة امره عليه السلام
وندب لهم الى ترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة رضى الله عنه حيث قال حين رآه قد مثل به لامثلن بسبعين مكانك والله
يحب المحسنين واللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد عبر عنهم بالمحسنين ايذانا بان العفو المعدودة
من باب الاحسان الذى هو الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذى هو حسنها الوصفى المستلزم لحسنها الذاتى وقد فسره صلى الله عليه وسلم
بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها والذين مرفوع على الابتداء
وقيل مجرور معطوف على ما قبله من صفات المتقين وقوله والله يحب المحسنين اعتراض بينهما مشير الى ما بينهما من التفاوت فان درجة الاولين
من التقوى اعلى من درجة هؤلاء وحظهم اوفى من حظهم او على نفس المتقين فيكون التفاوت اكثر واظهر اذا فعلوا فاحشة
ما فعلة بالغة فى القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اتوا ذنبا اى ذنب كان قيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة او الفاحشة ما تتعدى
الى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك قيل قال المؤمنون يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم الله تعالى منا كان احدهم اذا اذنب اصبح كفارة
ذنبه مكتوبة فى عتبة داره افعل كذا فان الله تعالى انزل هذه الآية وقيل ان سبعين امرأة حسناء تطلب منه ثمرا فقال لها
هذا التمر ليس بجيد وفى البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك واتى النبى
عليه السلام وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى مثل ذلك بين انصارى وامرأة ثقفى كان بينهما مواخاة فندم الانصارى وضاع
راسه التراب وقام على وجهه وجعل يسيح فى الجبال تائبا مستغفرا ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت واياما كان فالطاقة تستتبع
ما فعله الرماة انتظاما اوليا ذكروا الله بذكر حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء او وعيده او حكمه وعقابه فاستغفروا
لذنوبهم بالتوبة والندم والثناء للدلالة على ان ذكره تعالى مستتبع للاستغفار لا محالة ومن يغفر الذنوب استفهام
انكارى والمراد بالذنوب جنسها كما فى قولك فلان يلبس الثياب ويركب الخيل ويأكل ما حل وطاب يخبر بما هو المقصود من استحالة صدور مغفرة
مفرد منها من غيره كما فى قوله تعالى الا الله بدل من الضمير المستكن فى يغفر اى لا يغفر جنس الذنوب احدا الا الله خلا ان دلالة الاستفهام
على الانتفاء اقوى وابلغ لانبائه بان كل احد ممن له حظ من الخطاب يعرف ذلك لانتفاء فيسارع الى الجواب به والمراد به حثهم على التوبة
بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة بين المعطوف عليه اى بين الحال وصاحبها للتقرير الاستغفار والحث عليه والاصرار

بالوعد بالقبول ولم يصروا عطف على فاستغفروا وتأخيره عنه مع تقدم عدم الاصرار على الاستغفار رتبة لاظهار الاعتناء بشان الاستغفار والاحتفاء للمبارغة اليه عقيب ذكره تعالى او حال من فاعله اى ولم يقيموا اويغير مقيمين على ما فعلوا اى يعلمون فاحشة كانت اوظلما او على فعلهم روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه ما اصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة وانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل يصروا اى لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه وبالنهى عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما انه قد يعذر من لا يعلم ذلك اذا لم يكن عن تقصير فى تحصيل العلم به اولئك اشارة الى المذكورين اخر باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم فى الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى جزاؤهم بدل اشتمال منه وقوله تعالى مغفرة خبر له اوجزاء وهم مبتدأ ثان ومغفرة خبره والجملة لاولئك فى هذه الجملة خبر لقوله تعالى والذين اذا فعلوا الخ على الوجه وهو الاظهر الانسب بنظم المغفرة المنبئة عن سابقة الذنب فى سلك الجزاء اذ على الوجهين الاخيرين يكون قوله تعالى اولئك الخ جملة مستانفة مبنية لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين والتائبين ولم يذكر من اوصاف الاولين ما فيه شائبة الذنب حتى يذكر فى مطلع الجزاء الشامل لهما المغفرة وتخصيص الاشارة بالآخرين مع اشتراكهما فى حكم اعدادها تعسف ظاهر من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما افادته التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى كائنة من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة الحكم والتشريف وجنات تجرى من تحتها الانهار عطف على مغفرة والتنكير المشعر بكونها ادنى من الجنة التى بانت مما يؤيد رجحان الوجه الاول خالدين فيها حال مقدرة من الضمير فى جزاؤهم لانه مفعول به فى المعنى لانه فى قوة يجزيهم الله جنات خالدين فيها ولا ساغ لان يكون حالا من جنات فى اللفظ وهى لاصحابها فى المعنى اذ لو كان كذلك لبرز الضمير ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف اى ونعم اجر العاملين ذلك اى ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما استحقاقى بمقابلة العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب فى الطاعات والزجر عن المعاصى والجملة تذييل مسوق لتحقيق ما للتائبين حيث اختصاص التذييل السابق بالاولين وتاهيك مضمونها دليلا على ما بين الفريقين من التفاوت الكثير والتباين البين شتان بين المحسنين الفائزين بمحبة الله عز وجل وبين العاملين الحائزين لاجرهم وعالتهم قد خلت من قبلكم سنن رجوع الى تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادى الرشد والفلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح والخلو المضى والسنن الوقائع وقيل اللام والظرف اما متعلق بخلت او بمحذوف وقع حالا من سنن اى قد مضت من قبل زمانكم او كائنة من قبلكم وقائع شتى الله عز وجل فى الامم المكذبة كما قاله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا الآية والفاء فى قوله تعالى فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين للدلالة على سببية خلوها للسير والنظر اولامرهما وقيل المعنى على الشرط اى ان تكذبكم فيروا الخ وكيف خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر والجملة فى محل النصب بعد نزع الخافض لان الاصل استعماله بالجار هذا اشارة الى ما سلف من قوله قد خلت الخ بيان للناس اى تبيين لهم على ان اللام متعلقة بالمصدر او كائن لهم على انها متعلقة بمحذوف وقع صفته له وتعريف الناس للعهد وهم المكذبون اى هذا ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان كان خاصا بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين ايضا على ان ينظروا فى عواقب من قبلهم من اهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينوه من آثار ديارهم وان لم يكن الكلام مسوقا لهم وهدى وموعظة وزيادة بصيرة وموعظة لكم وانما قيل للمتقين للايذان بجلالة الحكم فان مدار كونه هدى وموعظة لهم انما هو تقواهم ويجوز ان يراد بالمتقين القاصرون التقوى والهدى والموعظة على ظاهرها اى هذا بيان لمآل امر الناس وسوء معيشة وهداية لمن اتقى منهم وزجر لهم عما هم عليه من التكذيب وان يراد ما يعمهم وغيرهم من المتقين بالفعل ويراد بالهدى والموعظة ايضا

مايعم ابتداءها والزيادة فيها وانما قدم كونه بيانا للمكذبين مع انه غير مسوق له على كونه هدى وموعظة للمتقين مع انه المقصود بالتبيين
لان اولا يترتب على مشاهدة هلاك آثار اسلافهم ظهور حال اخلافهم وآثار زيادة الهدى او اصلها امر مترتب عليه وتخصيص البيان
بالناس مع شموله للمتقين ايضا لما ان المراد به مجرد البيان العاري عن الهدى والموعظة والاقتصار عليهما في جانب المتقين مع ترتبهما
على البيان لانهما المقصود الاصلي ويجوز ان يكون تعريف الناس للجنس اى هذا بيان للناس كافة وهدى وموعظة للمتقين منهم خاصة
وقيل الكلمة هذا اشارة الى ما يخص من امر المتقين والتائبين والمقربين وقوله تعالى قد خلت الآية اعتراض للبعث على الايمان وما ينجي به
ما ذكر من اجر العاملين وانت خبير بان الاعتراض لابد ان يكون مؤكدا للمضمون ما وقع في خلاله ومعاينة آثار المكذبين مما لا تعلق له بحال احد
الاصناف الثلثة للمؤمنين وان كان باعثا على الايمان زاجرا عن التكذيب وقيل اشارة الى القرآن ولا يخفى بعده ولا تهنوا ولا تحزنوا
تشجيع للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما اصابهم يوم احد من القتل والجرح وكان قد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد
المطلب ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان بن شماس
وسعد مولى عتبة رضوان الله عليهم ومن الانصار سبعون رجلا رضي الله عنهم اى لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على من قتل منكم
وانتم الاعلون جملة حالية من فاعل التفعلين اى والحال انكم انتم الاعلون الغالبون دون عدوكم فان مصير امرهم الى الدمار شاهدتم
من احوال اسلافهم فهو تصريح بالوعد بالنصر والغلبة بعد الاشعار به فيما سبق او وانتم المعهود دون بقية الثلثة كما انكم على الحق وقتلاكم
قتلى الله عز وجل وقتلاهم في الجنة وهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار وقيل وانتم الاعلون حالا منهم حيث اجتمع يوم بدر
اكثر مما اصابوا منكم اليوم ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي او بالاعلون وجوابه محذوف لدلالة ما تعلق عليه اى ان كنتم مؤمنين
فلا تهنوا ولا تحزنوا فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وعدم المبالاة باعدائه او ان كنتم مؤمنين فانتم الاعلون
فان الايمان يقتضي العلية لا محالة او ان كنتم مصدقين بوعد الله تعالى فانتم الاعلون غالبا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق به كما في قول
الاجير ان كنت علمتك فاعطني اجري ولذلك قيل معناه اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان يثبتكم على الايمان ان يمسسكم قرح فقد مس القوم
قرح مثله القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرئ بهما وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها وقرئ بفتحتين وقيل
الفتح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم فعل يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يسطهم عن معاودتكم
بالقتال فانتم احق بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل
ان يخالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا منهم صاحب لوائهم وجرحوا عددا كثيرا وعروا عامة خيلهم بالنبل وتلك الايام
اشارة الى الايام الجارية فيما بين الامم الماضية الآتية كافة لا الى الايام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم احد بل هي داخلة فيها
دخولا اوليا والمراد بها اوقات الظفر والغلبة نداولها بين الناس ونصرفها بينهم بين الهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى
كقول من قال فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاورة تفعال دالة بنيتها على التعاور
واسم الاشارة مبتدأ والايام اما صفته له او بدل منه او عطف بيان له فنداولها خبره او خبر فنداولها حال من الايام والعامل معنى الكلام
او خبر بعد خبر وصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار للايذان بان تلك المداولة سنة مسلوكة فيما بين الامم قاطبة سابقتها
ولاحقتها وفيه ضرب من التسلية وقوله عز وجل وليعلم الله الذين امنوا من باب التمثيل اى ليعاملهم معاملة من يريد ان يعلم
المخلصين الثابتين على الايمان من غيرهم او العلم فيه مجاز عن التمييز بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اى ليميز الثابتين على الايمان من
غيرهم كما في قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب او هو على حقيقته معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم
من حيث انه موجود بالفعل اذ هو الذي يدور عليه تلك الجزاء لا من حيث انه موجود بالقوة والطلاق الايمان مع ان المراد هو الرسوخ
والاخلاص فيه للايذان بان اسم الايمان لا ينطلق على غيره والالتفات الى الغيبة باسناده الى اسم الذات المستجمع للصفات لتربية المهابة

والاشعار بان صدور كل واحد مما ذكر بصدد التعليل من افعاله تعالى غاية لمنشأ الآخر والجملة علة لما هو فرد من افراد مطلق المداولة التي
يطلق بها قوله تعالى نداولها بين الناس المداولة المعهودة الجارية بين فريقي المؤمنين والكافرين واللام متعلقة بما دل عليه المطلق من الفعل المقيد
بالوقوع بين الفريقين المذكورين او بنفس الفعل المطلق باعتبار وقوعه بينهما والجملة معطوفة على علة اخرى لها معتبرة اما على الخصوص والتعيين محذوفة
لدلالة المذكورة عليها لكونها من مباديها كأنه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم ليظهر امركم وليعلم الخ فان ظهور اعمالهم وخروجها من القوة الى الفعل
اصل من مبادي تميزهم عن غيرهم ومواجب تعلق العلم الازلي بها من تلك الحيثية وكذا الكلام في باب التمثيل فتأمل واما على العموم والابهام للتنبيه على
ان العلل غير منحصرة فيما عد من الامور وان العبد يسوءه ما يجري عليه من النوائب ولا يشعر بان لله تعالى في ذلك من الالطاف الخفية ما لا يخطر بالبال
كأنه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت من الحكم الداعية الى تلك الافراد وليعلم الخ فاللام الاولى متعلقة بالفعل المطلق باعتبار
تقييده بتلك الافراد والثانية باعتبار تقييده بالفرد المعهود وقيل هي متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره وليعلم الله الذين آمنوا فعل ذلك
ويتخذ منكم شهداء جمع شهيد اي ويكرم ناسا منكم بالشهادة وهم شهداء احد ومن ابتدائية او تبعيضية متعلقة بيتخذ او بمحذوف
وقع حالا من شهداء او جمع شاهد اي ويتخذ منكم شهودا معدلين بما ظهر منهم من الثبات على الحق والصبر على الشدائد وغير ذلك من شواهد
الصدق ليشهدوا على الامم يوم القيمة ومن بيانية لان تلك الشهادة وظيفة الكل دون المستشهدين فقط واياما كان ففي لفظ
الاتخاذ المنبئ عن الاصطفاء والتقريب من تشريفهم وتفخيم شانهم ما لا يخفى وقوله تعالى والله لا يحب الظالمين اعتراض مقرر
لمضمون ما قبله ونفي المحبة كناية عن البغض وفي ايقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعالى لمقابليهم والمراد بهم غير الثابتين على الايمان
فالتقرير من حيث انه يبغضه تعالى لهم من دواعي اخراج المخلصين المصطفين للشهادة من بينهم واما الكفرة الذين اديل لهم فالتقرير
من حيث ان ذلك ليس بطريق النصرة لهم فانها مختصة باوليائه تعالى لما ذكر من الفوائد العائدة الى المؤمنين وقوله تعالى وليمحص الله الذين
آمنوا اي ليصفيهم ويطهرهم عن الذنوب عطف على يتخذ وتكرير اللام لتذكير التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض واظهار الاسم الجليل
في موقع الاضمار لاظهار مزيد الاعتناء بشان التمحيص وهذه الامور الثلثة علل للمداولة المعهودة باعتبار كونها على المؤمنين قدمت
في الذكر لانها المحتاجة الى البيان ولعل تاخير العلة الاخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المذنبين في الظالمين او ليقترن بقوله عز وجل
ويمحق الكافرين فان التمحيص فيه محو الآثار وازالة الاوضار كما ان المحق عبارة عن النقص والاذهاب قال الفاضل هو ان يذهب
الشيء بالكلية حتى لا يرى منه شيء ومنه قوله تعالى يمحق الله الربوا اي يستأصله وهذه علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين والمراد بهم الذين
حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعا ام حسبتم كلام مستأنف سيق
لبيان ما هي الغاية القصوى من المداولة والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم واتخاذ الشهداء واظهار عزة منالها والخطاب
للذين انهزموا يوم احد وام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن التسلية ببيان العلل فيما وقع من الشدة الى تحقيق انها من مبادي
الفوز بالمطلب الاسنى والهمزة للانكار والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة وتفوزوا بنعيمها وقوله تعالى ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم حال من ضمير تدخلوا مؤكد للانكار فان رجاء الاجر بغير عمل ممن يعلم انه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم
كناية عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم المبني على لزوم تحقق الاول لتحقق الثاني ضرورة استحالة تحقق شيء بدون علمه تعالى به وايثارها
على التصريح للمبالغة في تحقيق المعنى المراد فانها اثبات لعدم جهادهم بالبرهان وللايذان بان مدار ترتب الجزاء على الاعمال انما هو علمه تعالى
بها كأنه قيل والحال انه لم يوجد الذين جاهدوا منكم وانما وجه النفي الى الموصوفين مع ان المنفي هو الوصف فقط وكان يمكن ان يقال
ولما يعلم الله جهادكم كناية عن معنى ولما تجاهدوا للمبالغة في بيان انتفاء الوصف وعدم تحققه اصلا وفي كلمة لما ايذان بان الجهاد
متوقع منهم فيما يستقبل الا انه غير معتبر في تأكيد الانكار وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون او على انه
اتباع الميم لما قبلها في الحركة لا بقاء تفخيم اسم الله تعالى ومنكم حال من الذين ويعلم الصابرين منصوب باضمار ان على ان الواو

صح

للجمع كما في قولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن اي لا تجمع بين اكل السمك وشرب اللبن والمعنى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر اي الجمع بينهما وايثار اسم الفاعل على الموصول للدلالة على ان المعتبر هو الاستمرار على الصبر والمحافظة على الوصل وقيل مجزوم معطوف على المجزوم قبله فحرك لالتقاء الساكنين بالفتح للخفة والاتباع كما قرئ ويؤتين الزكاة بالكسر على ما هو الاصل في تحريك الساكن وقرئ ليعلم بالرفع على ان الواو للحال وصاحبها الموصول والمبتدأ محذوف اي هو يعلم الصابرين كما قيل ولما تجاهدوا واو انتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي تتمنون الحرب فانها من مبادي الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نالة شهداء بدر من الكرامة فلما وا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك من قبل ان تلقوه متعلق بتمنون مبين لسبب اقدامهم على التمني اي من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته وقرئ تلاقوه فقد رأيتموه اي ما تمنونه من اسباب الموت او الموت بمشاهدة اسبابه وقوله تعالى وانتم تنظرون حال من ضمير المخاطبين وفي ايثار الرؤية على الملاقاة وتقييدها بالنظر مزيد مبالغة في مشاهدتهم له والفاء فصيحة كأنه قيل ان كنتم صادقين في تمنيكم ذلك فقد رأيتموه معاينين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لهلم جهم وانهزامهم لا على تمني الشهادة بناء على تضمنها لغلبة الكفار رجاء ان مطلب من يتمناها نيل كرامة الشهداء من غير ان يخطر بباله شيء غير ذلك فلا يستحق العقاب من تلك الجهة وما محمد الا رسول مبتدأ وخبر ولا عمل لما بالا لانتقاض نفيه بالا وقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول منبئة عن كونه في شرف الخلو فان خلو مشاركته في منصب الرسالة من شواهد خلوه لا محالة كأنه قد خلت من قبله امثاله فيخلوا كما خلوا او القصر قلبي فانهم لما انقلبوا على اعقابهم فكأنهم اعتقدوا انه عليه السلام رسول كسائر الرسل سيخلوا كما خلوا ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم فرد عليهم بانه ليس الا رسولا كسائر الرسل سيخلوا كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم وقيل هو قصر افراد فانه لما استعظموا عدم بقائه عليه السلام لهم نزلوا منزلة المستبعدين لهلاكه كأنهم يعتقدون فيه عليه السلام وصفي الرسالة والبعد من الهلاك فرد عليهم بانه مقصور على الرسالة لا يتجاوز ما الى البعد عن الهلاك فلا يدح من جعل قوله تعالى قد خلت الخ كلاما مبتدأ مسوقا لتقرير عدم بقائه عليه السلام من الهلاك وبيان كونه اسوة لمن قبله من الرسل عليهم السلام وايا ما كان فالكلام مخرج على خلاف مقتضى الظاهر افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكارا لارتدادهم وانقلابهم عن الدين بخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم بعد وفاته مع كونه سببا في الحقيقة لثباتهم على الدين وايراد الموت بكلمة ان مع العلم بالبتة لتنزيل المخاطبين منزلة المتردد بن فيه لما ذكر من استعظامهم اياه وهكذا الحال في سائر الموارد فان كلمة ان في كلام الله تعالى لا تجري على ظاهرها قط ضرورة علمه تعالى بالوقوع واللاوقوع بل تحمل على اعتبار حال المتكلم او المخاطب او آخر بما يناسب المقام وتقديم نقيض الموت مع ان تقدير القتل هو الذي ثار منه الفتنة وعظم فيه المحنة لما ان الموت في شرف الوقوع فرجر الناس على الانقلاب عنه وحملهم على الثبات هناك انهم ولاة الوصف الجامع بينه وبين الرسل عليهم السلام هو الخلو بالموت دون القتل روي انه لما التقى الفئتان حمل ابو دجانة في نفر من المسلمين على المشركين فقاتل قتالا شديدا وقاتل علي بن ابي طالب قتالا عظيما حتى التوى سيفه وكذا سعد بن ابي وقاص فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم فلما نظر الرماة اليهم وراوا انهم قد انهزموا اقبلوا على النهب ولم يلتفتوا الى نهي اميرهم عبد الله بن جبير فلم يبق منهم عنده الا ثمانية نفر فلما راآهم خالد بن الوليد قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم في مائتين وحملين فاشا من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقي من الرماة ودخلوا خلف اقفية المسلمين فهزموهم وحملوا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوهم حتى اصيب هناك نحو ثمانين رجلا كل منهم يحثو ابين يديه ويقول وجهي لوجهك الفداء ونفسي لنفسك الفداء وعليك سلام الله مودع وروي عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيه وشج وجهه الكريم فذهب عنه مصعب بن عمير رض وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة

ما نالة

وهو يزعم انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمداً وصرخ صارخ قبل انه ابليس الا ان محمداً قد قتل فانطلق الناس وجعل الرسول
صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله قال كعب بن مالك كنت اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين فناديت باعلى صوتي
يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحاز اليه ثلثون من اصحابه وحموا عاضي كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت
ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر وهو عم
انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه ومضوا
كراما على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرا اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل وكجزعم بعضهم
مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس لما ان كل آية ليس سبيلها كل احد ولا كل من سمعها يستحفزه كل مقام ما يجري مثل ذلك المقام الهائل وقد غفل
عمر رضه عن هذه الآية الكريمة عند وفاته صلى الله عليه وسلم وقام في الناس وقال ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات ولكنه ذهب مسرى بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولاقطعن ايدي رجال وارجلهم يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يزل بكر رذلك الى ان قام ابو بكر رضي الله عنه فحمد الله عز وجل واثنى
عليه ثم قال ايها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول الآية قال الراوي
والله لكان الناس لم يعلموا ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها ابو بكر رض وقال عمر رضه والله ما هو الا سمعت
ابا بكر رضه يتلوها فعقرت حتى ما تحملني رجلاي وعرفت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات • ومن ينقلب على عقبيه • بارتداده عن ما كان يقبل
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر الجهاد وغيره وقيل بارتداده عن الاسلام وما ارتد يومئذ احد من المسلمين الا ما كان من المنافقين
فلن يضر الله • بما فعل من الانقلاب • شيئا • اي شيئا من الضرر وانما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب • وسيجزي الله الشاكرين
اي الثابتين على دين الاسلام الذي هو اجل نعمة واعز معروف شمروا بذلك لان الثبات عليه شكر له وارتحاف على دين الاسلام
الذي • وروي • عن ابن عباس رضه ان المراد بهم الطائعون لله تعالى من المهاجرين والانصار وعن علي ولابي بكر واصحابه وعنه رضي الله عنه
انه قال ابو بكر من الشاكرين من اجتباه الله تعالى واظهر الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء ببيان جزائهم • وما كان
لنفس ان تموت • كلام مستانف سيق للتنبيه على خطائهم فيما فعلوا حذرا من قتلهم وبناء على الارجاف بقتله عليه السلام ببيان ان موت
كل نفس منوط بمشية الله عز وجل لا يكاد يقع بدون تعلقها به وان خوضت موارد التلف • وافتحمت مضائق كل هائل مخوف • وقد اشير
بذلك الى انهم لم يكن متعلقة بموتها في الوقت الذي حذروه فيه ولذلك لم يتحاموا عن مباشرة القتال وكلمة كان تاكيد
اسمها ان تموت وخبره الظرف على انه متعلق بمحذوف وقوله تعالى • الا باذن الله • استثناء مفرغ من اعم الاسباب اي وما كان الموت
حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الاسباب الا بمشية الله تعالى على ان الاذن مجاز منها لكونها من لوازمه والا باذنه يملك الموت في الحقيقة
روحها وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة الى النفوس بصورة الافعال الاختيارية التي لا بد منها للفاعل لبقائها ولا اقدام
عليها بدون اذنه تعالى وتنزيل اقدامها على مبادية اعني القتال منزلة الاقدام على نفسه للمبالغة في تحقيق المرام فان موتها حين استحال
وقوعه عند اقدامها عليه وعلى مباديه وسعيها في ابقائه فلان يستحيل عند عدم ذلك اولى وازجر وفيه من تحريض على القتال ما لا يخفى • كتابا
مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي كتب الله كتابا • مؤجلا • موقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ولو ساعة • وقرئ موجلا بالواو بدل
الهمزة على قياس التخفيف وبعد تحقيق ان مدار الموت والحيوة محض مشية الله تعالى عز وجل من غير ان يكون فيه مدخل لاحد اصلا
اشير الى ان توفية ثمرات الاعمال دائرة على ارادتهم ليصرفوها على الاغراض الدنية الى المطالب السنية فقيل • ومن يرد •
اي بعمله • ثواب الدنيا نؤته • بنون العظمة على طريق الالتفات • منها • اي من ثوابها ما نشاء ان نؤتيه اياه كما في قوله عز وجل من كان
يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهو تعريض بمن شغلتهم الغنائم يومئذ وقد مر تفصيله • ومن يرد • اي بعمله • ثواب الاخرة

ولم يقع التنوين صورة في الخط
الان هذا الطرف فاقتة
معلم

ثوبة منها • اى من ثوابها ما شاء من الاضعاف مما جرى به الوعد الكريم • وسنجزى الشاكرين • لنعمة الاسلام الثابتين عليه
العارفين لما آتاهم تعالى من القوى والقدر الى ما خلقت هى لاجله من طاعة الله عز وجل لا يلويهم عن ذلك صارف اصلا
والمراد بهم اما المجاهدون المعهودون من الشهداء وغيرهم واما نفس الشاكرين وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض مؤكد لمضمون
ما قبله ووعد بالمزيد عليه وفى تصويرها بالتبين وابهام الجزاء من التاكيد والدلالة على فخامة شان الجزاء وكونه بحيث يقتصر عنه البيان
ما لا يخفى وقرئ الافعال الثلثة بالياء • وكاين • كلام مبتدا اتبع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم فى صدورهم عن سنن الربانيين
المجاهدين فى سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام وكاين لفظة مركبة من كاف التشبيه واى حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير
كما حدث فى كذا وكذا والنون تنوين اثبتت فى الخط على غير قياس فى فرياض لغات • هى احدى عشرة والثانية كائن مثل كاع عن
والثالثة كاين مثل كعين والرابعة كيائن بياء ساكنة بعد الالف همزة مكسورة وهى قلب ما قبلها والخامسة كان مثل كعن
وقد قرئ بكل منها ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى • من نبى • تمييز لها لانها كم الخبرية وقد جاء تمييزها مضوبا كما فى قوله
املا الياس بالرجا فكاين • الا احم سيره بعد عير • وقوله تعالى • قاتل معه ربيون كثير • خبرها على ان الفعل مسند الى اللفظ
والرابط هو الضمير المجرور فى معه وقرئ قتل وقتل على صيغة المبنى للمفعول مخففة ومشددة والربى منسوب الى الربة بالكسر
وكسر الراء من تغييرات النسب وقرئ بفتحها وبفتحها ايضا على القياس وقيل هو منسوب الى الربة وهى الجماعة اى كثير من الانبياء
قاتل معه لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه علماء اتقياء اد عابدون او جماعات كثيرة فالظرف متعلق بقاتل او بمحذوف وقع حالا
من فاعله لما فى الواو تين الاخيرتين ازلا احتمال ضعيف لتعلقه بالفعل اى قتلوا او قتلوا كائنين معه فى القتال لا فى القتل قال سعيد بن جبير رضه
ما سمعنا نبيا قتل فى القتال وقال الحسن البصرى رح وجماعة من العظماء لم يقتل نبى فى حرب قط وقيل الفعل مسند الى ضمير النبى
صلى الله عليه وسلم والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه والرابط هو الضمير المجرور الراجع اليه وهذا واضح على القراءة المشهورة
بلا خلاف اى كم من نبى قاتل كائنا معه فى القتال ربيون كثير واما على التوا تين الاخيرتين فغير ظاهر لكنه مجمع على قراءة التشديد وقد جوزه
بعضهم وايد بان مدار التوبيخ انما هو للارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم اى كم من نبى قتل كائنا معه فى القتل او فى القتال
ربيون الخ وقوله تعالى • فما وهنوا • عطف على قاتل على ان المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال كما فى قولك وعظته فلم يتعظ
وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشئ بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه بحسب اللفظ لكنه بحسب الحقيقة
صنع جديد معتبر لدخول الفاء المرتبة على ما قبلها اى ما فتروا وما انكسرت همتهم • لما اصابهم فى اثناء القتال من قتل
دون النفع ثم شر بعلة قوله تعالى • فى سبيل الله • فان كون ذلك فى سبيله عز وجل مما يقوى قلوبهم ويزيل وهنهم وما موصولة
او موصوفة فان جعل الضمير ان لجميع الربيين فهى عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره المعبرة للكل واجعل البعض
الباقين بعض ما قتل الآخرون كما هو الانسب بمقام توبيخ المنخزلين بعد ما استشهد الشهداء فهى عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم
من قتل اخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك هذا على التوا تة المشهورة واما على التوا تين الاخيرتين فان اسند الفعل الى الربيين
فالضمير ان للباقين منهم ضمنا وان اسند الى ضمير النبى صلى الله عليه وسلم كما هو الانسب بالتوبيخ على الانخزال بسبب الارجاف
بقتله عليه السلام فهما للباقين ايضا ان اعتبر كون الربيين مع النبى فى القتل وللجميع ان اعتبر كونهم معه فى القتال • وما ضعفوا •
عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل فى الدين • وما استكانوا • اى وما خضعوا للعدو واصلا تسكن من السكون لان الخاضع يسكن
لصاحبه لينتقل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكانوا من الكون لانه يطلب ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم
من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبى صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة
المشركين واستكانتهم لهم حين اراد واسعد حين اراد وا رمامى من ابى المنافق فطلب الامان من ابى سفيان

والله يحب الصابرين اى على مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره فى سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين اما المعهودون
والاظهار فى موضع الاضمار للثناء عليهم بحسن الصبر والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة تذييل
لما قبلها وما كان قولهم كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم الفعلية وقولهم بالنصب خبر كان
واسمها ان وما بعدها فى قوله تعالى الا ان قالوا والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء اى ما كان قولا لهم عند لقاء العدو واقتحام
مضائق الحراب واصابة ما اصابهم من فنون الشدائد والاهوال شئ من الاشياء الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا اى صغائرنا
واسرافنا فى امرنا اى تجاوزنا الحد فى ركوب الكبائر اضافوا الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين برآء من التفريط
فى جنب الله تعالى هضما لها واستقصارا لهمهم واسنادا لما اصابهم الى اعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الاهم بحسب الحال من الدعاء
بقولهم وثبت اقدامنا اى فى مواطن الحرب بالتقوية والتاييد من عندك او ثبتنا على دينك الحق وانصرنا على القوم
الكافرين تقريبا له الى حيز القبول فان الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن زكاء وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى
لم يزالوا مواظبين على هذا الدعاء من غير ان يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والخور والتزلزل فى مواقف الحرب ومراصد
الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى وقرأ ابن كثير وعاصم فى رواية عنهما برفع قولهم على انه الاسم والخبر ان وما فى حيزها
اى ما كان قولهم شيئا من الاشياء الا هذا القول المنبئ عن احاسن المحاسن وهذا كما ترى اقعد بحسب المعنى واوفق بمقتضى
المقام لما ان الاخبار بكون قولهم المطلق خصوصية قولهم المحكى عنهم مفصلا كما تفيده قراءتهما اكثر افادة للسامع من الاخبار
بكون خصوصية قولهم المذكور قولهم لما ان مصب الفائدة وموقع البيان فى الجمل الخبرية هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدث
واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع فى الخارج وفى ذهن السامع ولا يخفى ان ذلك ههنا فى ان مع ما فى حيزها اتم
واكمل واما ما تفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ
ملاحظة اجمالية وتجعل عنوانا للموضوع لا مقصودا بالذات فى باب البيان وانما اختار الجمهور ما اختاروه لقاعدة صناعية
هى انه اذا اجتمع معرفتان فالاعرف منهما احق بالاسمية ولا ريب فى اعرفية ان قالوا لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث
ولانه يشبه المضمر من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به وقولهم مضاف الى مضمر فهو بمنزلة العلم فتامل فآتاهم الله بسبب
دعائهم ذلك ثواب الدنيا اى النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل وحسن ثواب الآخرة اى وثواب الآخرة
الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد وتخصيص وصف الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به عنده تعالى والله
يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان محبة الله للعبد عبارة عن رضاه وارادة الخير به وهى مبدأ لكل سعادة
واللام اما للعهد وانما وضع المظهر موضع المضمر المعهودين للاشعار بان ما حكى عنهم من الافعال والاقوال من باب الاحسان
واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا وهذا انسب بمقام ترغيب المؤمنين فى تحصيل ما حكى عنهم من المناقب الجليلة
يا ايها الذين آمنوا شروع فى زجرهم عن متابعة الكفار ببيان استتباعها لخسران الدنيا والآخرة اثر ترغيبهم
فى الاقتداء بانصار الانبياء عليهم السلام ببيان افضائه الى فوزهم بسعادة الدارين وتصدير الخطاب بالنداء
والتنبيه لاظهار الاعتناء بما فى حيزه ووصفهم بالايمان لتذكير حالهم وتثبيتهم عليها باظهار مباينتها لحال اعدائهم كما ان وصف
المنافقين بالكفر فى قوله تعالى ان تطيعوا الذين كفروا لذلك قصدا الى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم قال
على رض نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم فوقوع قوله تعالى يردوكم على اعقابكم
جوابا للشرط مع كونه فى قوة ان يقال ان تطيعوهم فى قولهم ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم يدخلوكم فى دينهم باعتبار كونه تمهيدا
لقوله تعالى فتنقلبوا خاسرين اى للدنيا والآخرة غير فائزين بشئ منهما واقعين فى العذاب الخالد على ان الارتداد على العقب

٢

علم فى انكاس الامر ومثل فى الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه فى الدين
ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما عليه ويوما له وقيل
ابو سفيان واصحابه والمراد بطاعتهم استيمانهم والاستكانة لهم وقيل الموصول على عمومه والمعنى نهى المؤمنين عن طاعتهم فى امر من الامور
حتى لا يجروهم الى الارتداد فى الدين فلا حاجة على هذه التقادير الى ما قدر من البيان بل الله مولاكم اضراب عما يفهم من مضمون الشرطية كأنه قيل
فليسوا انصاركم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فاطيعوه واستغنوا عن موالاتهم وقرئ بالنصب كأنه قيل فلا تطيعوهم بل اطيعوا الله مولاكم
نصب على انه صفة له وهو خير الناصرين فتختصون بالطاعة والاستعانة سنلقى بنون العظمة على طريق الالتفات جريا على سنن الكبرياء
لتربية المهابة وقرئ بالياء والسين لتاكيد الالقاء فى قلوب الذين كفروا الرعب بسكون العين وقرئ بضمها على الاصل وهو ما وقذ
فى قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل فى يوم الاحزاب فانهم كانوا بعث الطرق قالوا ما اصبنا
شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستاصلوهم فعند ذلك القى الله تعالى فى قلوبهم من الرعب يوم الاحزاب بما اشركوا بالله
متعلق بنلقى دون الرعب فانه مصدر وما مصدرية اى بسبب اشراكهم بالله تعالى فانه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من دواعى الرعب
ما لم ينزل به اى بانزاله سلطانا اى حجة سميت به لوضوحها واثارتها او لقوتها ولنفوذها وذكر عدم تنزيلها مع استحالة
تحققها فى نفسها من قبيل قوله ولا ترى الضب بها ينجحر اى لا ضب ولا انجحار وفيه ايذان بان المتبع فى الباب هو البرهان السماوى دون الآراء
والاهواء الباطلة ومأواهم بيان لاحوالهم فى الآخرة اثر بيان احوالهم فى الدنيا وهو الرعب اى مأواهم فى الآخرة النار
لا ملجأ لهم غيرها وبئس مثوى الظالمين اى مثواهم وانما وضع موضعه المظهر المذكور للتغليظ والتعليل والاشعار بانهم فى اشراكهم
ظالمون واضعون للشئ فى غير موضعه والمخصوص بالذم محذوف اى بئس مثوى الظالمين النار وفى جعلها مثواهم بعد جعلها مأواهم
نوع رمز الى خلودهم فيها فان المثوى مكان الاقامة المنبئة عن المكث واما المأوى فهو المكان الذى يأوى اليه الانسان ولقد صدقكم الله
وعده نصب على انه مفعول ثان لصدق حذف الجار اى فى وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين حين رجوعهم
الى المدينة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى بالنصر وهو ما وعدهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من النصر حيث قال للرماة لا تبرحوا
مكانكم فلم نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفى رواية اذى لا تبرحوا هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم فى هذا المكان وقد كان كذلك
فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يغيرون بهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على اثارهم يقتلونهم قتلا ذريعا
وذلك قوله تعالى اذ تحسونهم اى تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا ابطل حسه وهو ظرف لصدقكم وقوله تعالى باذنه
اى بتيسيره وتوفيقه لتحقيق ان قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل هو ما وعدهم بقوله تعالى ان تصبروا وتتقوا الآية وقد مر
تحقيق ان ذلك كان يوم بدر كيف لا والموعود هناك امداده عز وجل بانزال الملئكة عليهم السلام وتقييد صدق وعده تعالى بوقت
قتلهم باذنه تعالى صريح فى ان الموعود هو النصر المعنوى والتيسير لا الامداد بالملئكة وقيل هو ما وعده تعالى بقوله سنلقى الخ وان ضمير
بان القاء الرعب كان عند تركهم القتال ورجوعهم من غير سبب وبعد ذلك فى الطريق على اختلاف الروايتين وآيا ما كان فلا سبيل
الى كونه مغيا بقوله تعالى حتى اذا فشلتم اى جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف القلب وتنازعتم
فى الامر قال بعض الرماة حين انهزم المشركون وولوا ما ربين والمسلمون على اعقابهم قتلا وضربا فما موقفنا ههنا بعد هذا
وقال اميرهم عبد الله بن جبير رض لا تخالف امر الرسول صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه فى نيف وعشرة من اصحابه ونهى الباقون
للنهب وذلك قوله تعالى وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون اى من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما راى المشركون ذلك حملوا عليهم
من قبل الشعب وقتلوا امير الرماة ومن معه من اصحابه حسبما فصل فى تفسير قوله تعالى افائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وجواب اذا محذوف
وهو منعكم نصره وقيل هو يحكم ويرده جعل الابتداء غاية للصرف المترتب على منع النصر وقيل هو انقسمتم الى فريقين كما ينبئ عنه قوله تعالى

منكم من يريد الدنيا وهم الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب ومنكم من يريد الآخرة وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا
شرف الشهادة هذا على تقدير كون اذا شرطية وحتى ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية وقيل اذا اسم كما في قولهم اذا يقوم زيد اذا يقعد عمرو
وحتى حرف جر بمعنى الى متعلقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار تضمنه لمعنى النصر كانه قيل لقد نصركم الله الى وقت فشلكم وتنازعكم الخ وعلى هذا
فقوله تعالى ثم صرفكم عنهم عطف على ذلك في الاول عطف الجواب المحذوف كما اشير اليه والجملتان الظرفيتان اعتراض بين المتعاطفين
اى كفكم عنهم حتى حالت الحال وذالت الدولة وفيه من اللطف بالمسلمين ما لا يخفى ليبتليكم اى بما ملكم معاملة من يمتحنكم بالمصائب
ليظهر ثباتكم على الايمان عندنا ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين تذييل مقرر لمضمون
ما قبله وموذن بان ذلك العفو بطريق التفضل والاحسان لا بطريق الوجوب عليه اى شانه ان يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم
في جميع الاحوال اويل لهم اوادبل عليهم اذا الا بتلاء اخبار رحمة والتنكير للتفخيم والمراد بالمؤمنين اما المخلصون والاظهر فيه وضع الاضمار
للتشريف والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ تصعدون متعلق بصرفكم او بقوله تعالى ليبتليكم
او بمقدر كما ذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض وقرئ تصعدون من التلاع الجبل وقرئ تصعدون من التصعد بطرح احدى
التائين وقرئ يصعدون بالالتفات الى الغيبة ولا تلوون على احد اى لا تلتفتون الى ما وراءكم ولا يقف واحد منكم لواحد وقرئ
تلون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها تخفيفا وقرئ يلوون كيصعدون والرسول يدعوكم كان عليه السلام يدعوهم
الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة واراده عليه السلام بعنوان الرسالة للايذان بان دعوته عليه السلام كانت بطريق الرسالة
من جهته سبحانه اشباعا توبيخ المنهزمين فاثابكم غما بغم من اخراكم في ساقتكم وجاعتكم الاخرى فاثابكم عطف على صرفكم اى فجازاكم الله تعالى
بما صنعتم غما موصولا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وفوت الغنيمة
فالتنكير للتكثير او غما متعقبا بغم اذ فتوح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم اى لتتمرنوا
على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا على نفع فات او ضر آت وقيل لا زائدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجراح
والهزيمة عقوبة بكم وقيل الضمير في اثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اى واساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم
على عصيانكم تسلية لكم وتنفيسا عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر وما اصابكم من الجراح وغير ذلك والله خبير بما تعملون اى عالم
باعمالكم وبما قصدتم بها من بعد الغم اى الغم المذكور والتصريح بتاخر الانزال عنه مع دلالة ثم عليه وعلى تراخيه عنه لزيادة البيان
وتذكير عظم النعمة كما في قوله تعالى ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا الآية امنة اى امنا نصب على المفعولية وقوله تعالى نعاسا بدل
منها او عطف بيان وقيل مفعول له او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة عليه او مفعول له او حال من المخاطبين على تقدير مضاف اى ذوي امنة
او على انه جمع آمن كبازو بزرة وقرئ بسكون الميم كانها مخففة من الامن وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء
بشان المقدم والتشويق الى المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون الغم بالازالة لانه المهم عندهم حتى ان المشركين لما انصرفوا
كانوا يتوعدون المسلمين بالرجوع فلم يامنوا كرهم وكانوا تحت الخوف متهيئين للقتال فانزل الله تعالى عليهم الامنة فاخذهم النعاس
قال ابن عباس رضي الله عنهما بنعاسين بغشاهم بعد خوف وانما ينعس من آمن والخائف لا ينام وقال الزبير كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
حين اشتد الخوف فانزل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان
لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قال ابو طلحة رفعت رأسي يوم احد فجعلت لا ارى احدا من القوم الا وهو يميد تحت حجفته من النعاس
قال وكنت ممن القي عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدي فاخذه وفيه دلالة على ان من المؤمنين من يلقى عليه النعاس كما ينبئ
عنه قوله عز وجل يغشى طائفة منكم وقال ابن عباس رض هم المهاجرون وعامة الانصار ولا يقدح ذلك في عموم الانزال للكل والجملة
في محل النصب على انها صفة لنعاسا وقرئ بالتاء على انها صفة لامنة وفيه ان الصفة حقها ان تتقدم على البدل وعطف البيان

وان لا يفصل بينها وبين المفصول به المفعول له وان المعهود ان يحدث على البدل دون المبدل منه وطائفة قد اهمتهم انفسهم اى
اوقعتهم فى الهموم والاحزان او ما يهمهم الا هم انفسهم وقصد خلاصها من قولهم اهمنى الشئ اى كان من همى وقصدى والقصر مستفاد من تعريف
المقام وطائفة مبتدأ وما بعدها اما خبرها وان اجاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال كما فى قوله سرينا ونجم قد اضاء فمذ بدا
فحياك الخير ضوءه كل شارق اولو قوعها فى موضع التفصيل كما فى قوله اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول واما صفتها
والخبر محذوف اى ومنكم طائفة اوهناك طائفة وقيل تقديره ومنكم طائفة وفيه انه يقتضى دخول المنافقين فى الخطاب. ما ولا ان
وايا ما كان فالجملة اما حالية مبينة لغطاعة الهول مؤكدة لعظم النعمة فى الخلاص عنه كما فى قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا
ويتخطف الناس من حولهم واما مستانفة مسوقة لبيان حال المنافقين وقوله عز وجل يظنون بالله حال من ضمير اهمتهم او من
طائفة لتخصصها بالصفة او صفة اخرى لها او خبر بعد خبر او استئناف مبين لما قبله وقوله تعالى غير الحق فى حكم المصدر اى
يظنون به تعالى غير الظن الحق الذى يجب ان يظن به سبحانه وقوله تعالى ظن الجاهلية بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية
والاضافة كما فى حاتم الجود ورجل صدق وقوله تعالى يقولون بدل من يظنون لان مقالتهم كانت صادرة عن الظن اى يقولون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد هل لنا من الامر اى من امر الله تعالى ووعده من النصر والظفر من شئ
اى من نصيب قط او هل لنا فى التدبير من شئ وقوله تعالى قل ان الامر كله لله اى الغلبة بالآخرة لله تعالى ولاوليائه فان جند الله
هم الغالبون او ان التدبير كله لله تعالى فانه تعالى قد دبر الامر كما جرى فى سابق قضائه فلا مرد له وقرئ كله بالرفع على الابتداء
وقوله تعالى يخفون فى انفسهم اى يضمرون فيها او يقولون فيما بينهم بطريق الخفية ما لا يبدون لك استئناف وحال من ضمير
يقولون وقوله تعالى قل ان الامر الخ اعتراض بين الحال وصاحبها اى يقولون ما يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر
مبطنين الانكار والتكذيب وفى قوله تعالى يقولون استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل اى شئ يخفون
فقيل يحدثون انفسهم او يقول بعضهم لبعض فيما بينهم خفية لو كان لنا من الامر شئ كما وعد محمد عليه الصلوة والسلام
من ان الغلبة لله تعالى ولاوليائه ولان الامر كله لله او لو كان لنا من التدبير والرأى شئ ما قتلنا ههنا اى ما غلبنا او ما قتل
من قتل منا فى هذه المعركة على ان النفى راجع الى نفس القتل لا الى وقوعه فيها اللغط او لما رجى من منازلنا كما فى قراءة ابن ابى
وثوب تعيين مكان القتل وكذا قوله تعالى قل لو كنتم فى بيوتكم اى لو لم تخرجوا الى احد ولم تعدتم بالمدينة كما تقولون
لبرز الذين كتب عليهم القتل اى فى اللوح المحفوظ بسبب من الاسباب الداعية الى البروز الى مضاجعهم التى
قدر الله تعالى قتلهم فيها وقتلوا هناك البتة ولم ينفع العزيمة على الاقامة بالمدينة قطعا فان قضاء الله تعالى لا يرد وحكمه لا يتعقب
وفيه مبالغة فى رد مقالتهم الباطلة حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل كما فى قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت بل عين مكانه
ايضا ولا ريب فى تعين زمانه ايضا لقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون روى ان ملك الموت
عليه السلام مجلس سليمان عليه السلام فنظر الى رجل من اهل المجلس نظرة تأمله فلما قام قال الرجل من هذا قال سليمان عليه السلام ملك الموت
قال امرنى مع الريح الى عالم آخر فان جاءنى رأيت منه مرائى اى تأملا فامر بها عليه السلام فالقته فى قطر سحيق من اقطار العالم فقال
ان عاد ملك الموت الى سليمان عليه السلام فقال كنت امرت بقبض روح ذلك الرجل فى هذه الساعة فى ارض كذا فلما وجدته فى مجلسك
قلت متى يصل هذا اليها وقد ارسلته بالريح الى ذلك المكان فوجدته هناك فقضى الله تعالى فى زمانه ومكانه من غير اخلال بشئ من ذلك
وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القتل وقرئ كتب عليهم القتال وقرئ لبرز بالتشديد على البناء للمفعول وليبتلى الله ما فى صدوركم
اى ليعاملكم معاملة من يبتلى ما فى صدوركم من الاخلاص والنفاق وليظهر ما فى صدوركم من السر آثره وهو علة لفعل مقدر قبلها معطوفة
على علل لها اخرى مطوية للايذان بكثرتها كأنه قيل فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلى الخ وجعلها علة لابرز لا باه الذوق السليم

فان مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع يومئذ من الشدة والهول لا بيان حكمة البروز المفروض او الفعل مقدر بعدها اى وللابتلاء المذكور
فعل ما فعل لا لعدم العناية بامر المؤمنين ونحو ذلك وتقدير الفعل مقدما خال عن هذه المزية وليمحص ما فى قلوبكم من مخفيات
الامور ويكشفها او يخلصها من الوساوس والله عليم بذات الصدور اى السرائر والضمائر الخفية التى لا تكاد تفارق الصدور
بل تلازمها وتصحبها والجملة اما اعتراض للتنبيه على ان الله تعالى غنى عن الابتلاء وانما يبرز صورة الابتلاء لتمرين المؤمنين واظهار
حال المنافقين او حال من متعلق الفعلين اى فعل ما فعل للابتلاء والتمحيص والحال انه تعالى غنى عنهما محيط بخفيات الامور وفيه وعد ووعيد
ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان وهم الذين انهزموا يوم احد حسبما مرت حكايتهم انما استزلهم الشيطان اى انما كان
سبب انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل ببعض ما كسبوا من الذنوب والمعاصى التى هى مخالفة امر النبى صلى الله عليه وسلم
وترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة فحرموا التاييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بذنوب
تقدمت لهم فان المعاصى تجر بعضها الى بعض كالطاعة وقيل استزلهم بذنوب سبقت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج عن المظلمة
ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة تعليل لما قبلها
على سبيل التحقيق وفى اظهار الجلالة تربية للمهابة وتاكيد للتعليل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وهم المنافقون
القائلون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا وانما ذكر فى صدر الصلة كفرهم تصريحا بمباينة حالهم لحال المؤمنين وتنفيرا عن مماثلتهم
ذى اثر وقوله تعالى وقالوا لاخوانهم تعيين لوجه الشبه والمماثلة التى نهوا عنها اى قالوا لاجلهم وفى حقهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم
نسبا او مذهبا اذا ضربوا فى الارض اى سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وايثار اذا المفيدة لمعنى الاستقبال على اذ المفيدة
لمعنى المضى لحكاية الحال الماضية اذ المراد بها الزمان المستمر المنتظم للحال الذى عليه يدور امر استحضار الصورة قال الزجاج اذا ههنا
ينوب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعنى انها لمجرد الوقت او يقصد بها الاستمرار وظرفيتها لقولهم انما هى باعتبار ما وقع فيها لا على التحقيق
انها ظرف لا لقولهم كانه قيل قالوا لاجل ما اصاب اخوانهم حين ضربوا الخ او كانوا اى اخوانهم غزى جمع غاز كعفى جمع عاف
قال ومغبرة الآفاق خاشعة الصوى ٭ لها قلب عفى الحياض اجون ٭ وقرئ بتخفيف الزاء على حذف التاء من غزاة وافراد
كونهم غزاة بالذكر مع اندراجه تحت الضرب فى الارض لانه المقصود بيانه فى المقام وذكر الضرب فى الارض اذ المراد به السفر البعيد وانما لم
او غزوا للايذان باستمرار اتصافهم بعنوان كونهم غزاة او بانقضاء ذلك اى كانوا غزى فيما مضى وقوله تعالى لو كانوا عندنا
اى مقيمين ما ماتوا وما قتلوا مفعول لقالوا ودليل على ان هناك مضمرا قد حذف ثقة به اى اذا ضربوا فى الارض فماتوا او كانوا
غزى فقتلوا وليس المقصود بالنهى عدم مماثلتهم فى النطق بهذا القول بل فى الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه كما انه المنكر على قائليه
الا يرى قوله عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم فانه الذى جعل حسرة فيها قطعا واليه يشير ذلك كما نقل عن الزجاج
انه اشارة الى ظنهم انهم لو لم يخرجوا او لم يقاتلوا لم يقتلوا وتعلقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم
والاعتقاد واللام لام العاقبة كما فى قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا اى قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة فى قلوبهم والمراد
بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا وقيل هو تعليل للنهى بمعنى لا تكونوا مثلهم فى النطق بذلك القول والاعتقاد
ليجعل الله تعالى حسرة فى قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فذلك ما مر اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد ويجوز ان يكون اشارة
الى ما دل عليه النهى اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم فان مضادتكم لهم فى القول والاعتقاد
مما يغمهم ويغيظهم والله يحيى ويميت رد لقولهم الباطل اثر بيان غائلته اى هو المؤثر فى الحياة والممات وحده من غير ان يكون
للاقامة او السفر مدخل فى ذلك فانه تعالى قد يحيى المسافر والغازى مع اقتحامهما لموارد الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع
حيازتهما لاسباب السلامة والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرئ بالياء على انه وعيد للذين كفروا

وما يعملون عام متناول لقولهم المذكور ولمنشأه الذى هو اعتقادهم ولما ترتب على ذلك من الاعمال فلذلك تعرض لعنوان البصر
للعنوان السمع واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لتربية المهابة والتهاء الروعة والمبالغة فى التهديد والتشديد فى الوعيد
ولئن قتلتم فى سبيل الله او متم شروع فى تحقيق ان ما يحذرون ترتبه على الغزو والتسوء من القتل والموت فى سبيل الله تعالى ليس
مما ينبغى ان يحذر بل مما يجب ان يتنافس فيه المتنافسون اثر ابطال ترتبه عليهما واللام فى الموطئة للقسم وما فى قوله تعالى
لمغفرة من الله ورحمة لام الابتداء والتنوين فى الصفتين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لمبتدإ وقد حذفت صفة رحمة لدلالة المذكور
عليها والجملة جواب للقسم ساد مسد جواب الشرط والمعنى ان التسوء والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا ولئن وقع
ذلك اعراض الله تعالى لنفخة يسيرة من مغفرة ورحمة كائنتين من الله تعالى بمقابلة ذلك خير مما يجمعون اى الكثرة من منافع الدنيا وطيباتها
متعة اعمارهم وعن ابن عباس رضه خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالتاء اى مما تجمعونه انتم لو لم تموتوا والاقتصار على بيان
خيرتها من ذلك بلا تعرض للاخبار بحصولها لهم للايذان بعدم الحاجة اليه بناء على استحالة التجنب منه تعالى بعد الاطلاع وقد قيل لا بد
من حذف آخر اى لمغفرة كم من الله الخ وقع ايضا بكون اخراج المقدر مخرج الصفة دون الجزء ونحو ما ذكر من ادعاء الظهور والغنى
عن الاخبار به وتغيير الترتيب الواقع فى قولهم ما ماتوا وما قتلوا المبنى على كثرة الوقوع وقلته للمبالغة فى الترغيب فى الجهاد ببيان
زيادة مزية القتل فى سبيل الله وانافته فى استجلاب المغفرة والرحمة وفيه دلالة واضحة على ما مر من ان المقصود بالنهى انما هو
عدم مماثلتهم فى الاعتقاد بمضمون القول المذكور والعمل بموجبه لا فى النطق وافضال الناس به ولئن متم او قتلتم اى على اى
وجه اتفق هلاكهم حسب تعلق الارادة الالهية وقرئ متم بكسر الميم من مات يمات لالى الله اى الى المعبود بالحق العظيم
الشان الواسع الرحمة الجزيل الاحسان تحشرون لا الى غيره فيوفى اجوركم ويجزل لكم عطاءكم والكلام فى امر الجملة كما مر فى
اختها فبما رحمة من الله لنت لهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب مضمون الكلام
على ما ينبئ عنه السياق من استخفافهم باللائمة والتعنيف بموجب الجبلة البشرية او من سعة ساحة مغفرته تع ورحمته والباء متعلقة
بلنت قدمت عليه للقصر وما فى زيدة للتوكيد او نكرة ورحمة بدل منها مبين لابهامها والتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف
وقع صفة لرحمة اى فرحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى وهى ربطه على جانبه وتخصيصه بمكارم الاخلاق كسا من الجانب لهم
وعاملتهم بالرفق والتلطف بهم حيث اغمت لهم بعد ما كان منهم ما كان من مخالفة امرك واسلامك للعدو ولو لم تكن كذلك بل
كنت فظا جافيا فى المعاشرة قولا وفعلا وقال الراغب الفظ هو الكريه الخلق وقال الواحدى هو الغليظ الجانب السيئ
الخلق غليظ القلب قاسيه وقال الكلبى فظاظة القول غلظ القول فى الفعل لانفضوا من حولك لتفرقوا
من عندك ولم يبق منهم الا اليك وترد دوا فى مهاوى الردى والفاء فى قوله عز وجل فاعف عنهم لترتيب العفو والامر به
على ما قبله اى اذا كان الامر على ما ذكر فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم واستغفر لهم الله فيما يتعلق بحقوقه
تع اتماما للشفقة عليهم وكمالا للبر بهم وشاورهم فى الامر اى فى احد الحرب اذ هو المعهود او فيه وفى امثاله مما يجرى
فيه المشاورة عادة استظهارا لآرائهم وتطييبا لقلوبهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة وقرئ وتشاورهم فى بعض الامر
فاذا عزمت اى عقيب المشاورة على شئ واطمأنت به نفسك فتوكل على الله فى امضاء امرك على ما هو ارشد لك
واصلح فان علم المختص به سبحانه وتع وقرئ فاذا عزمت على صيغة المتكلم اى عزمت لك على شئ وارشدتك اليه فتوكل على
ولا تشاور بعد ذلك احدا والالتفات لتربية المهابة وتعليل التوكل او الامر به فان عنوان الالوهية الجامعة لجميع صفات
الكمال مستدع للتوكل عليه تع والامر به ان الله يحب المتوكلين عليه تع فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خيرهم وصلاحهم
والجملة تعليل للتوكل عليه تع وقوله تع ان ينصركم الله فلا غالب لكم جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب

تشريفًا للمؤمنين لا ايجاب توكلهم عليه تعالى وحثهم على اللجأ اليه وتحذيرهم عما يفضي الى خذلانه اى ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا احد
يغلبكم على طريق نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد الغالب ذاتًا وصفةً ولو قيل فلا يغلبكم احد لدل على نفي الصفة فقط ثم المفهوم
من ظاهر النظم الكريم وان كان نفي مغلوبيتهم من غير تعرض لنفي المساواة ايضًا وهو الذي يقتضيه المقام لكن المفهوم منه فهمًا قطعيًا هو
نفي المساواة واثبات الغالبية للمحاطبين فاذا قلت لا اكرم من فلان ولا افضل منه فالمفهوم منه ضمنًا انه اكرم من كل كريم وافضل من كل
فاضل وهذا امر مطرد في جميع اللغات ولا اختصاص له بالنفي الصريح بل هو مطرد فيما ورد على طريق الاستفهام الانكاري كما في قوله تعالى
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبًا في مواقع كثيرة من التنزيل ومما هو نص قاطع فيما ذكرنا ما وقع في سورة هود حيث قيل بعد توفيهم الاجر
انهم في الآخرة هم الاخسرون فان كونهم اخسر من كل خاسر يستدعي قطعًا كونهم اظلم من كل ظالم وان يخذلكم كما فعله يوم احد
وقرئ يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولًا فمن ذا الذي ينصركم استفهام انكاري مفيد للانتفاء الناصر ذاتًا وصفة بطريق
المبالغة من بعده اى من بعد خذلانه تعالى او من بعد الله تعالى على معنى اذا جاوز عنهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم الجار
والمجرور على الفعل لافادة قصره عليه تعالى والفاء لترتيبه او ترتيب الامر بجعل ما مر من غلبة المخاطبين على نصرته تعالى لهم ومغلوبيتهم على
تقدير خذلانه تعالى اياهم فان العلم بذلك مما يفضي قصر التوكل عليه تعالى لا محالة فالمراد بالمؤمنين اما الجنس والمخاطبون داخلون
فيه دخولًا اوليًا واما هم خاصة بطريق الالتفات واما ما كان فنفيه تشريفي لهم بعنوان الايمان اشتراكًا او استقلالًا او تعليل
لمضمون التوكل عليه تعالى فان وصف الايمان مما يوجبه قطعًا وما كان لنبي اى وما صح لنبي من الانبياء عليهم السلام ولا استقام له
ان يغل اى يخون في المغنم فان النبوة تنافيه منافاة بينة يقال غل شيئًا من المغنم يغل غلولًا واغل اغلالًا اذا اخذه خفية
والمراد اما تنزيه ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز وافاضوا في الغنيمة وقالوا
نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئًا فهو له ولا يقسم الغنائم كما قسمها يوم بدر فقال لهم النبي عليه السلام
الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفًا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم
بينكم واما المبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنم النبي عليه السلام بعدهم غنائم فقسمها
بين الحاضر ولم يترك للطلائع شيئًا فنزلت والمعنى ما كان لنبي ان يعطي قومًا من العسكر ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بين الكل
بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظًا واما ما قيل من ان المراد تنزيهه عليه السلام عما تفوه به بعض المنافقين
اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعيد جدًا وقرئ على البناء
للمفعول والمعنى ما كان له ان يوجد غالًا او ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة يأت بالذي غله بعينه
يحمله على عنقه كما ورد في الحديث الشريف وروي انه عليه السلام قال الا لا اعرفن احدكم يأتي ببعير له رغاء وبقرة لها خوار
وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئًا قد بلغتك او ليأت بما احتمل من اثمه ووباله ثم
توفى كل نفس ما كسبت اى تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرًا او شرًا كثيرًا او يسيرًا ووضع المكسوب موضع جزائه تحقيقًا للعدل
ببيان ما بينهما من بيان التناسب كمًا وكيفًا كأنهما شيء واحد وفي اسناد التوفية الى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب
مع ان المقصود بيان حال الغال عند اتيانه بما غله يوم القيمة من الاهانة على فخامة شان اليوم وهول مطلعه والمبالغة في بيان
فظاعة حال الغال مما لا يخفى فانه حين وفى كل كاسب جزاء ما كسب ولم ينقص منه شيء وان كان جرمه في غاية الجلالة والخطارة
فلان لا ينقص من جزاء الغال شيء وجرمه من اعظم الجرائم اظهر واجلى وهم اى كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون
بزيادة عذاب او نقص ثواب افمن اتبع رضوان الله اى سعى في تحصيله اتى نحو ما كان بفعل الطاعات وترك
المنكرات كالنبي ومن يسير سيرته كمن باء اى رجع بسخط عظيم لائق بقدره كائن من الله تعالى بسبب معاصيه

كالغال ومن يدين بدينه والمراد تاكيد نفي الغلول من النبي صلى الله عليه وسلم وتقديره بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال
حيث وصف كل منهما بنقيض ما وصف به الآخر فتوبل رضوانه تعالى بسخط والاتباع بالبوء والجمع بين الهمزة والفاء لتوطئة الانكار
الى ترتب توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال كانه قيل ابعد ظهور حاله يكون من ترقى الى اعلى عليين كمن تردى الى
اسفل سافلين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة وماواه جهنم اما كلام مستانف
مسوق لبيان مآل امر من باء بسخط الله واما معطوف على قوله تعالى باء بسخط عطف القصة الاسمية على الفعلية وانيا ما كان فلا محل له
من الاعراب وبئس المصير اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف اى وبئس المصير جهنم والفرق بينه وبين المرجوع ان الاول يعتبر
فيه الرجوع على خلاف الحالة الاولى بخلاف الثاني هم راجع الى الموصولين باعتبار المعنى درجات عند الله اى طبقات متفاوتة
في علمه وحكمه شتى تفاوت الاحوال وتباينها بالدرجات مبالغة واذا انها بان بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات او ذوو درجات
والله بصير بما يعملون من الاعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها لقد من الله جواب قسم محذوف اى والله لقد من الله الذي انعم
على المؤمنين اى من قومه عليه السلام اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اى من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليسهل
كلامه لهم وليكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وفي ذلك شرف لهم عظيم قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك
وقرئ من انفسهم اى اشرفهم فانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونها وقرئ لمن الله على المؤمنين اذ بعث الخ
او على ان اذ في محل الرفع على الابتداء بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة
للاسود والاحمر لما مر من غرد انتفاعهم بها وقوله تعالى من انفسهم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا اى كائنا من انفسهم
وقوله تعالى يتلوا عليهم آياته صفة اخرى اى يتلوا عليهم القرآن بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي
ويزكيهم عطف على يتلوا اى يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد واوضار الاوزار ويعلمهم الكتاب والحكمة
اى القرآن والسنة وهو صفة اخرى لرسولا مرتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل
النفس بحسب القوة النظرية الحاصلة بالتعليم المرتبة على التلاوة للايذان بان كل واحد من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها
مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم
لتبادر الافهام عد الجميع نعمة واحدة والهدف في التعبير عن القرآن بالايات تارة وبالكتاب والحكمة اخرى رمز الى انه باعتبار
كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح في ذلك شمول الحكمة لما في مطاوي الاحاديث الكريمة من الشرائع كما سلف في سورة البقرة وان كانوا
من قبل اى من قبل بعثته عليه السلام وتزكيته وتعليمه لفي ضلال مبين اى بين لا ريب في كونه ضلالا وان هي المخففة
من ان المثقلة وضمير الشان محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية والظرف الاول لغو متعلق بكان والثاني خبرها
وهي مع خبرها خبر ان المخففة التي حذف اسمها اعني ضمير الشان وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اى وما كانوا من قبل الا في ضلال
مبين وانيا ما كان فالجملة اما حال من الضمير المنصوب في يعلمهم او مستانفة فهي مبينة لكمال النعمة وتمامها اولما اصابتكم مصيبة
قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا كلام مبتدا مسوق لابطال بعض ما صدر عنهم من الظنون الفاسدة والاقاويل الباطلة الناشئة
منها اثر ابطال بعض آخر منها والهمزة للتقريع والتوبيخ والواو عاطفة لما بعدها على محذوف قبلها وقد ظرف لقلتم مضاف الى ما بعد
وقد اصبتم في محل الرفع على انه صفة لمصيبة والمراد بها ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم ويمثليها ما اصاب المشركين يوم بدر من قتل
سبعين منهم واسر سبعين وانى هذا مقول قلتم وتوسيط الظرف وما يتعلق به بينه وبين الهمزة مع انه المقصود بالانكار والمعطوف
بالواو حقيقة لتاكيد التوبيخ وتشديد التقريع فان فعل القبيح في غير وقته اقبح والانكار على فاعل ادخل والمعنى احين اصابكم من المشركين نصف
ما اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من اين اصابنا هذا وقد تقدم الوعد بالنصر على توجيه الانكار والتوبيخ الى صدور ذلك القول عنهم

ة ذلك الوقت خاصة بناءً على عدم كونه مظنة له داعيًا اليه بل على كونه داعيًا الى عدمه فان كون مصيبة عدوهم ضعف مصيبتهم تما يهون
الخطب ويورث السلوة او افعلتم ما فعلتم ولما اصابتكم غائلة قلتم انى هذا على توجيه الانكار الاستبعادي لحادثة مع مباشرتهم
بسببها وتذكير اسم الاشارة فرانى هذا مع كونه اشارة الى المصيبة ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لما ان اشارتهم ليست الا الى
شاهدوه فى الموكة من حيث هو هو من غير ان يخطر ببالهم شيء من فضلا عن شيئية بسببهم المصيبة وانما هى عند الحكاية وقوله عز وجل قل هو
من عند انفسكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عن سؤالهم الفاسد اثر تحقيق فساده بالانكار والتوبيخ وتبكيتهم ببيان ان ما نالهم
من جهتهم بتركهم المركز وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج من المدينة وايائه ان الوعد بالنصر كان بعد ذلك كما ذكر عند قوله تعالى
ولقد صدقكم الله وعده الخ وان عمل النبى صلى الله عليه وسلم بموجبه قد رفع الخطر عنه وخفف جنايتهم فيه على ان اختيار الخروج والاصرار عليه
كان عن اكرههم الله تعالى بالشهادة يومئذ وان بهم من التقوة بمثل هذه الكلمة وقيل باخذهم الفداء يوم بدر قبل ان يؤذن
لهم والاول هو الاظهر الاقوى وانما بعضدهم توسيط خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بين الخطابين المتوجهين الى المؤمنين وتوبيخ
التبكيت اليه عليه السلام فان توبيخ الفاعل على الفعل اذا كان ممن نهاه عنه كان اشد تاثيرًا ان الله على كل شيء قدير ومن جملة
النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث فرجتم عن الطاعة اصابكم منه تعالى ما اصابكم والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها
داخل تحت الامر وما اصابكم رجوع الى خطاب المؤمنين اثر خطابه عليه السلام بسر يقتضيه وارشاد لهم الى حقيقة الحق كيما كانوا
عنه وبيان لبعض ما فيه من الحكم والمصالح ودفع لما عسى يتفاهم من قوله تعالى هو من عند انفسكم من استقلالهم فى وقوع الحادثة والعدول
عن الاضمار الى ما ذكر للتهويل وزيادة التقرير ببيان وقته بقوله تعالى يوم التقى الجمعان اى جمعكم وجمع المشركين فباذن الله
اى فهو كائن بقضائه وخلقه الكفار ستى ذلك اذ ناكونها من لوازمه وليعلم المؤمنين عطف على قوله تعالى فباذن الله عطف السبب
على السبب والمراد بالعلم التمييز والاظهار فيما بين الناس وليعلم الذين نافقوا عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل لتشريف
المؤمنين وتنزيههم عن الانتظام فى قرن المنافقين وللايذان باختلاف حال العلم بسبب التعلق بالموبخين فانه متعلق بالموبخ
على نهج تعلقه السابق وبالمنافقين على وجه جديد وهو الستر فراد الاولين بصيغة الماضى لتحقق الفاعل المنبئة عن الاستمرار والآخرين
بموصول صلته فعل دال على الحدوث والمعنى وما اصابكم يومئذ فهو كائن ليميز الثابتين على الايمان والذين اظهروا النفاق وقيل هم
عطف على نافقوا داخل فى حيز الصلة او كلام مبتدا قال ابن عباس رضى الله عنهما هم عبد الله بن ابى واصحابه حيث انصرفوا يوم احد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم عبد الله بن حرام اذكركم الله تعالى ان تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال ذلك
قوله تعالى قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا قال السدى ادفعوا عنا العدو نكثر سوادنا ان لم تقاتلوا معنا وقيل
او ادفعوا عن اهلكم وبلدكم وحريمكم ان لم تقاتلوا فى سبيل الله وترك العطف بين قاتلوا وقاتلوا لما ان المقصود بهما واحد
وهو الحث وذكر الاول توطئة له وترغيب فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال
ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين فقيل قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم اى لو نحسن قتالا
ونقدر عليه وانما قالوه دغلا واستهزاء وانما عبروا عن نفى القدرة على القتال بنفى العلم به لما ان القدرة على الافعال الاختيارية
مستلزمة للعلم بها او لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما انتم بصدده ليس بقتال اصلا وانما هو القاء النفس الى التهلكة
وقد جعلوهم الثانى مجرد الاتباع دون القتال الذى هو المقصود بالدعوة دليلا على كمال تثبطهم عن القتال حيث لا ترضى نفوسهم بجعله قتالا
لتقدم مستحيل الوقوع هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان الضمير مبتدا واقرب خبره واللام فى للكفر وللايمان متعلقة به وكذا يومئذ
ومنهم وعدم جواز تعلق حرفى جر مختلفين لفظا ومعنى بعامل واحد بلا عطف او بدلية انما هو فيما عدا افعل التفضيل فحيث دل على اصل
الفعل كانه قيل قربهم للكفر زائد على قربهم للايمان وقيل تعلق الجارين به لشبههما بالظرفين اى هم للكفر يوم اذ قالوا ما قالوا اقرب

منهم للايمان فانهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة موذنة بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المسلمين وقالوا لو
نعلم قتالا لاتبعناكم عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم للاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليل سواد المسلمين
بالانخزال تقوية للمشركين وقوله تعالى يقولون بافواههم ليس في قلوبهم جملة مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها وذكر الافواه
والقلوب تصوير لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم وباطنهم وما عبارة عن القول والمراد اما نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة وفي القلب
اخرى فالمثبت والمنفي متحدان ذاتا وان اختلفا مظهرا واما القول الملفوظ فحفظ فالمنفي حيثية منشائه الذي لا ينفك عنه القول اصلا
واتى عبر عنه بابانة لما بينهما من شدة الاتصال اي يقولون بقول لا وجود له ومنشائه في قلوبهم اصلا من الاباطيل التي من جملتها
ما حكي عنهم آنفا فانهم اظهروا فيه امرين ليس في قلوبهم شئ منهما احدهما عدم العلم بالقتال والآخر الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا فيهما
كذبا بينا حيث كانوا عالمين به غير نادمين للاتباع بل كانوا مقررين مع ذلك على الانخزال عازمين على الارتداد وقوله عز وجل والله اعلم
بما يكتمون زيادة تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما يخالف اقوالهم من فنون الشر والغدر باثر بيان خلو
عما ابرزوه صيغة لما ان بعض ما يكتمونه من احكام النفاق وذم المؤمنين وتخطئة آرائهم والشماتة بهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون
على وجه الاجمال وان تفاصيل ذلك وكيفياته مختصة بالعلم الالهي الذين قالوا مرفوع على انه بدل من واو يكتمون او خبر لمبتدا
محذوف وقيل مبتدا خبره قل فادرؤا بحذف العائد تقديره قل لهم الخ او منصوب على الذم او على انه نعت للذين نافقوا
او بدل منه مجرور على انه بدل من ضمير افواههم او قلوبهم كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم والمراد بهم عبد الله بن ابي واصحابه
لاخوانهم اي لاجلهم وهم من قتل يوم احد من جنسهم او من اقاربهم فيندرج فيهم بعض الشهداء وقعدوا حال من ضمير
قالوا بتقدير قد اي قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخزال لو اطاعونا اي فيما امرناهم به ووافقونا في ذلك ما قتلوا
كما لم نقتل وفيه ايذان بانهم ارداوهم بالانخزال الى ان انخزلوا واغووهم كما غووا وحمل القعود على ما استصوبه ابن ابي عند المشاورة
من الاقامة بالمدينة ابتداء وجعل الاطاعة عبارة عن قبول رايه والعمل به يرده كون الجملة حالية فانها للتعيين ما فيه العصيان
والمخالفة مع ابي بن ابي ليس من القاعدين فيها بذلك المعنى على ان تخصيص عدم الطاعة باخوانهم يأباه ذي باختصاص الامر
ايضا بهم فيستحيل ان يحمل على ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم عند المشاورة قل تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم
فادرؤا عن انفسكم الموت جواب الشرط حذف تعويلا على ما بعده من قوله تعالى ان كنتم صادقين كما انه شرط حذف
جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فيما تبنئ عنه قولكم من انكم قادرون على دفع القتل عن كتب عليه
فادفعوا عن انفسكم الموت الذي كتب عليكم معللا بسبب خاص موقتا بوقت معين بدفع سببه فان اسباب الموت
في امكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وانكم اعز عليكم من اخوانكم واربا انهم لديكم من امرهم والمعنى ان عدم قتلكم
كان بسبب انه لم يكن مكتوبا عليكم لا بسبب انكم دفعتم بالقعود مع كتابته عليكم فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال
سببا للنجاة والقعود مؤديا روى انه مات يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقا وقيل اربعون كنتم صادقين في مضمون
الشرطية والمعنى انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله تعالى فادرؤا عن انفسكم الموت ح للاستهزاء بهم
اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرؤا جميع اسبابه حتى لا تموتوا كما درأتم في زعمكم هذا السبب الخاص ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا كلام مستانف مسوق لبيان ان القتل الذي يحذرونه ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر
بل هو من اجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون اثر بيان ان الحذر لا يغني ولا يجدي وقرئ ولا تحسبن بكسر السين والمراد
بهم شهداء احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شهاب وعبد الله بن
جحش وباقيهم من الانصار رضي الله عنهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء

على حكاية ما قال الله في شان القوم حاكما

على الاسناد الى ضمير عليه السلام او ضمير من يجب وقيل الى الذين قتلوا والمفعول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف
عند القرينة ولا تحسبنهم الذين قتلوا امواتا اى لا تحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا على ان المراد من توجيه النهى اليهم تنبيه السامعين
على انهم حقاء بان يسلوا ابدالك ويبشروا بالحيوة الابدية والكرامة السنية والنعيم المقيم لكن لا في جميع اوقاتهم بل عند ابتداء القتل
او بعد تبين حالهم لم يكن لا يبقى لاعتبار تسليتهم وتبشيرهم فائدة ولا لتنبيه السامعين وتذكيرهم وجه وقرئ قتلوا بالتشديد
لكثرة المقتولين بل احياء اى بل هم احياء وقرئ منصوبا اى بل احسبهم احياء على ان الحسبان بمعنى التبين كما في قوله حسبتم
التقى والمجد حرة تجارة رباحا اذا ما المرء اصبح ماثلا او على انه وارد على طريق المشاكلة عند ربهم في محل الرفع على انه خبر ثان
للمبتدأ المقدر او صفة لاحياء او محل النصب على انه حال من الضمير في احياء وقيل هو ظرف لاحياء او للفعل بعده والمراد بالعندية
التقرب وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تكرمة لهم يرزقون
اى من الجنة وفيه تاكيد لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حياتهم قال الامام الواحدي الاصح في صيرورة الشهداء ما روى عن النبي عليه السلام
من ان ارواحهم في جوف طير خضر وانهم يرزقون ويأكلون ويتفكهون وروى عنه عليه السلام انه قال لما اصيب اخوانكم
باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة الخ وتأكل من ثمارها وتسرح من الجنة
حيث شاءت وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وفيه دلالة على ان روح الانسان جسم لطيف لا يفنى
بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتأمله والتذاذه ومن قال بتجرد النفوس البشرية يقول ان نفوس الشهداء تتمثل بالطير
خضرا او تتعلق بها فتلتذ بما ذكر وقيل المراد انها تتعلق بالافلاك والكواكب فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة كمال فرحين
بما آتيهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والزلفى من الله عز وجل والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا
ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اى باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد في سبيل الله فيلحقوا بهم من خلفهم
متعلق ببشرون او يلحقوا والمعنى انهم يبقوا بعدهم وهم قد تقدموهم او بمحذوف وقع حالا من فاعل يلحقوا اى لم يلحقوا بهم حال كونهم
متخلفين عنهم باقين في الدنيا ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم
بحال اخوانهم لا بذواتهم وان هي المخففة من ان واسمها الضمير الشان المحذوف وخبرها الجملة المنفية اى يستبشرون بانتفاء
لهم من حسن حال اخوانهم الذين تركوهم وهو انهم عند قتلهم يفوزون بحيوة ابدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن
فوات مطلوب او لا خوف عليهم في الدنيا من القتل فانه عين الحيوة التي يجبان يرغب فيها فضلا عن ان يخاف ويحذر
اى لا يعتريهم ما يوجب في ذلك لانه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفاء الخوف والحزن
لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا فان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار
بحسب المقام يستبشرون بنعمة كرر لبيان ان الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل هو بما يغايرانه من نعمة
عظيمة لا يقادر قدرها وهي ثواب اعمالهم وقد جوز ان يكون الاول متعلقا بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بيانا للبعض بالاجمل
في قوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله مع الله متعلق لمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية اى كائنة منه تعالى وفضل اى زيادة عظيمة كما في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة
وان الله لا يضيع اجر المؤمنين بفتح ان عطف على فضل منتظم معه في سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين اما الشهداء
والتعبير عنهم بالمؤمنين للايذان بسمو رتبة الايمان وكونه مناطا لما نالوه من السعادة واما كافة اهل الايمان من الشهداء وغيرهم
ذكرت توفية اجورهم على اعمالهم وعدت من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الاخوة في الدين وقرئ بكسرها على انه استيناف
معترض دال على ان ذلك اجرهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر له وفيه من الحث على الجهاد والترغيب

فى الشهادة والبعث على ازدياد الطاعة وبشرى المؤمنين بالفلاح مالا يخفى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح
صفة مادحة للمؤمنين لا مختصة او نصب على المدح او رفع على الابتداء والخبر قوله تعالى للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم
بجملته ومن للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون ومتقون روى ان
ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد
ان يرعبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج فى طلب ابى سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج عليه السلام
مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى
الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعنى الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود
الاشجعى واطلاق الناس عليه لما انه من جنسهم وكلامهم كلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وما له سوى فرس وثوب
وغير ثوب واحد اولانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم روى ان ابا سفيان
نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر بعابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى فلما كان العابل خرج
ابو سفيان فى اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله تعالى فى قلبه الرعب وبدا له ان قرنه ركب من بنى عبد قيس
يريدون المدينة للميرة فشرطوا لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقى نعيم ابن مسعود وقد قدم معتمرا
فسأله ذلك فالتزم له عشرا من الابل وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم ووجد المسلمون يتجهزون للخروج فقال لهم
انوكم فى دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا فترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم فزوا فقال عليه السلام والذى نفسى بيده
لاخرجن ولو لم يخرج معى احد فخرج فى سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل قيل هى الكلمة التى قالها
ابراهيم عم حين القى فى النار فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او للمصدر فان اول فاعلم ان اريد به نعيم وصحبه
والمعنى انهم لم يلتفتوا الى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وازداد اطمئنانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عن
دهور دليل على ان الايمان يتفاوت زيادة ونقصانا فان ازدياد اليقين بالالف وكثرة التامل وتناصر الحجج مما لا ريب
ويعضده قول ابن عمر رضى الله عنهما قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى
يدخل صاحبه النار فقالوا حسبنا الله اى محبنا وكافينا الله من احسبه اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انه
لا يستفيد بالاضافة تعريفا فى قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل اى نعم الموكول اليه والمخصوص بالمدح محذوف اى الله
عز وجل فانقلبوا عطف على مقدر ينسحب اليه الكلام اى فخرجوا اليهم ووافوا الموعد روى انه صلى الله عليه وسلم
وافى بجيشه بدرا واقام بها ثمانى ليال وكانت معهم تجارات فباعوا واصابوا خيرا كثيرا والباء فى قوله تعالى بنعمة
متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير فى فانقلبوا والتنوين للتفخيم اى فرجعوا من مقصدهم ملتبسين بنعمة عظيمة لا يبادر قدرها
وقوله تعالى من الله متعلقة بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لنفى مرتها الذاتية التى يفيدها التنكير بالاضافة
اى كائنة من الله عز وجل وهى العافية والثبات على الايمان والزيادة فيه وصرف العدو منهم وفضل اى ربح فى التجارة وتكثير
ايضا للتفخيم لم يمسسهم سوء حال اخرى من الضمير فى فانقلبوا او من المستكن فى الحال كانه قيل منعمين حال كونهم سالمين
عن السوء والحال اذا كان مضارعا منفيا بلم وفيه ضمير ذى الحال جاز فيه دخول الواو كما فى قوله تعالى او قال اوحى الى ولم يوح اليه
شئ وعدمه كما فى هذه الآية الكريمة وفى قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا واتبعوا فى كل ما اتوا من قول
وفعل رضوان الله الذى هو مناط الفوز بخير الدارين والله ذو فضل عظيم حيث تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة
الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب فى الدين واظهار الجراءة على العدو وحفظهم عن كل ما يسوءهم مع اصابة النفع

الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطاء رأيهم حيث حرموا انفسهم مافازبه هؤلاء وروى انهم قالوا ليت لنا
هذا غزوا فاعطاهم الله عز وجل ثواب الغزو ورضي عنهم انما ذلكم اشارة الى المثبط اوالى من حمله على التثبط والخطاب
للمؤمنين وهو مبتدأ وقوله تعالى الشيطان اما خبره وقوله تعالى يخوف اولياءه جملة مستانفة مبينة لشيطنته اوحال
كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية الخ واما صفته والجملة خبره ويجوز ان الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اى انما ذلكم قول
الشيطان اى ابليس والمستكن في يخوف اما للمقدر واما للشيطان بحذف الراجع الى المقدر اى يخوف به والمراد باولياءه اما
ابوسفيان واصحابه فالمفعول محذوف اى يخوفكم اولياءه كما هو قراءة ابن عباس رض وابن مسعود رض ويؤيده قوله تعالى فلا تخافوهم
اى اولياءه وخافون في مخالفة امري واما القاعدون فالمفعول الثاني محذوف اى يخوفهم الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
والضمير البارز في فلا تخافوهم للناس الثاني اى فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجتنبوا وخافوني فجاهدوا مع رسولي وسارعوا
الى ما امر تكم به والخطاب للمؤمنين الخارجين والقاعدين والفاء لترتيب النهي والانتهاء على ما قبلها فان كون المخوف شيطانا مما يوجب
عدم الخوف والنهي ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعي الامن من شر الشيطان
واوليائه ولا يحزنك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه بتخصيصه بالتسلية والايذان
باصالته في تدبير امور الدين والاهتمام بشؤنه الذين يسارعون في الكفر اى يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم عليه وشدة
رغبتهم فيه وايثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الآية للاشعار باستقرارهم في الكفر ودوام طلبهم
للخيرات وتقلبهم في فنونها في طرفي المسارعة وتضاعيفها واما ايثار كلمة الى في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم
وجنة الخ فلان الجنة والمغفرة منتهى المسارعة وغايتها والمراد بالموصول المنافقون من المتخلفين وطائفة من اليهود
وحسما عين في قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
ومن الذين هادوا وقيل قوم ارتدوا عن الاسلام والتعبير عنهم بذلك للاشارة بما في حيز الصلة الى مظنة وجود النهي عنه اثر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى لا يحزنوك بمسارعتهم في الكفر ومبادرتهم الى تشييد احكامه ومظاهرتهم لاهله وتوجيه النهي
الى جهتهم مع ان المقصود نهيه عليه السلام عن التأثر منهم للمبالغة في ذلك لما ان النهي عن التأثر نهي عن التأثر بالصلة ونفي له
بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك ههنا وقرئ لا يحزنك من احزن المنقول
من حزن بكسر الزاء والمعنى واحد وقيل معنى حزنه جعل فيه حزنا كما في دهنه اى جعل فيه دهنا ومعنى احزنه جعله حزينا
وقيل معنى حزنه احدث له الحزن ومعنى احزنه عرضه للحزن انهم لن يضروا الله تعليل للنهي وتكميل للتسلية بتحقيق
نفي ضررهم ابدا اى لن يضروا بذلك اولياءه البتة وتعليق نفي الضرر به للتشريف بهم والايذان بان مضارتهم بمنزلة
مضارته سبحانه وفيه مزيد مبالغة في التسلية وقوله تعالى شيئا في حيز النصب على المصدرية اى شيئا من الضرر والتنكير
لتاكيد ما فيه من القلة والحقارة وقيل على نزع الجار اى بشيء ما اصلا وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك من ملكه تعالى وسلطانه شيئا
كما روى ابوذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان اولكم وآخركم وحيكم وانسكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم
ما ازداد ذلك في ملك الله تعالى شيئا ولو ان اولكم وآخركم وحيكم وانسكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص من ملك الله
جناح بعوضة والاول سلو التسلية والتعليل يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة استئناف مبين لبسر انتفاء
ضررهم فيه من الانهماك في الكفر وفي ذكر الارادة من الايذان بكمال خلوص الداعي الى مرامهم وتعذيرهم حيث تعلقت بها
ارادة ارحم الراحمين ما لا يخفى وصيغة الاستقبال للدلالة على ارادة الدوام والاستمرار اى يريد الله بذلك ان لا يجعل لهم
في الآخرة حظا ما من الثواب ولذلك تركهم في طغيانهم يعمهون الى ان يهلكوا على الكفر ولهم مع ذلك الحرمان الكلي

الانسب بمقامهم

عذاب

عذاب عظيم لا يقادر قدره وقيل لما دلت المسارعة في الشيء على عظم شانه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه بالعظم رعاية
للمناسبة وتنبيها على حقارة ما سارعوا فيه وخساسته في نفسه والجملة اما مبتداة مبينة لحظهم من العقاب اثر بيان ان لا حظ لهم
من الثواب واما حال من الضمير في لهم اي يريد الله حرمانهم من الثواب معدا لهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان
اي اخذوه بدلا منه رغبة فيما اخذوه واعراضا عما تركوه وقد مر تحقيق القول في هذه الاستعارة في تفسير قوله عز وجل اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى مستوفى لن يضروا الله شيئا تفسيره كما مر غير ان فيه تعريضا ظاهرا باقتصار الضرر عليهم
كانه قيل وانما يضرون انفسهم فان جعل الموصول عبارة عن المسارعين المعهودين بان يراد باشتراء الكفر بالايمان ايثاره عليه
اما باخذه بدلا من الايمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين او بالقوة القريبة منه الحاصلة بمشاهدة دلائله في التورية كما هو شان
اليهود ومنافقيهم فالتكرير لتقرير الحكم وتاكيده ببيان علته بتغيير عنوان الموضوع فان ما ذكر في حيز الصلة من الاشتراء المذكور
صريح في لحوق ضرره بانفسهم وعدم تعديته الى غيرهم اصلا كيف لا وهو علم في الخسران الكلي والحرمان الابدي دال على كمال سخافة
عقولهم وركاكة آرائهم فكيف يتاتى منهم ما يتوقف على قوة الحزم ورزانة الرأي ورصانة التدبير من مضارة حزب الله تعالى
وهو اعز من الابلق الفرد وامنع من عقاب الجو وان اجري الموصول على عمومه بان يراد بالاشتراء المذكور القدر المشترك الشامل
للمعنيين المذكورين ولاخذ الكفر بدلا مما نزل منزلة نفس الايمان من الاستعداد القريب له الحاصل بمشاهدة الوحي الناطق وملاحظة
الدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس كما هو داب جميع الكفرة فالجملة مقررة لمضمون ما قبلها تقرير القواعد الكلية لما اندرج
تحتها من جزئيات الاحكام هذا وقد جوز كون الموصول الاول عاما للكفار والثاني خاصا بالمعهودين وانت خبير بان توسيطه مع خلوه عن النكتة
المذكورة مما لا يليق بفخامة شان التنزيل لما ان صدور المسارعة في الكفر بالمعنى المذكور وكونها مظنة لايراث الحزن
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه النهي عنه انما يتصور ممن علم اتصافهم بها واما من لا يعرف حاله من الكفرة الكائنين في الاماكن
البعيدة فاسناد المسارعة المذكورة اليهم واعتبار كونها من مبادي حزنه عليه السلام مما لا وجه له وقوله تعالى ولهم عذاب اليم
جملة مبتداة مبينة لكمال فظاعة عذابهم بذكر غاية ايلامه بعد ذكر نهاية عظمه قيل لما جرت العادة باغتباط المشتري بما اشتراه
وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتالمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالايلام مراعاة لذلك ولا يحسبن الذين
كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم عطف على قوله تعالى ولا يحزنك الذين الخ والفعل مسند الى الموصول وان بما في حيزها سادة
مسد مفعوليه عند سيبويه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبي بالنسبة بين المبتدا والخبر ومسد احدهما والآخر
محذوف عند الاخفش وما مصدرية او موصولة حذف عائدها ووصلها في الكتابة لاتباع الامام اي لا يحسبن الكافرون ان املاءنا لهم
او ان ما نمليه لهم خير لانفسهم او لا يحسبن الكافرون خيرية املائنا لهم او خيرية ما نمليه لهم ثابتة او واقعة ومآله نهيهم عن السرور
بظاهر املائه تعالى لهم بناء على حسبان خيريته لهم وتحسيرهم ببيان انه شر بحت وضرر محض كما ان مآل المعطوف عليه نهي الرسول
صلى الله عليه وسلم عن الحزن بظاهر حال الكفرة بناء على توهم الضرر من قبلهم وتسليته عليه السلام ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية
والمراد بالموصول اما جنس الكفرة فيندرج تحت حكمه الكلي احكام المعهودين اندراجا اوليا واما المعهودون خاصة فايثار الاظهار
على الاضمار لرعاية المقارنة الدائمة بين الصلة وبين الاملاء الذي هو عبارة عن امهالهم وتخليتهم وشانهم دهرا طويلا فان المقارن
له دائما انما هو الكفر المستمر لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء المذكور فانهما من الاحوال المتجددة المنقضية في تضاعيف الكفر
المستمر وقرئ لا تحسبن بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بمقام التسلية او لكل من يتاتى منه الحسبان
قصدا الى اشاعة فظاعة حالهم والموصول مفعول وانما نملي لهم اما بدل منه وحيث كان التعويل على البدل وهو ساد مسد المفعولين
كما في قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اقتصر على مفعول واحد كما في قولك جعلت المتاع بعضه فوق بعض او مفعول ثان

بتقدير مضاف اما قبله اى لا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او فى المفعول الاول اى لا تحسبن حال الذين كفروا
ان الاملاء خيرا لانفسهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما استئناف مبين لجملة الاملاء وما كافة
واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على اتباع الفعل الذى كسرا فيما سبق على انه اعتراض بين الفعل
ومعموله مفيد لمزيد الاعتناء بابطال الحسبان ورده على معنى لا تحسبن الكافرون على ان املاءنا لهم لازدياد الاثم صبا هو
شانهم بل انما هو لتلافى ما فرط منهم بالتوبة والدخول فى الايمان ولهم فى الآخرة عذاب مهين لما تضمن الاملاء التمتيع بطيبات
الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعى التعزز والتجبر وصف عذابهم بالاهانة ليكون جزاؤهم جزاء وفاقا فالجملة اما مبتدأة مبينة
لحالهم فى الآخرة اثر بيان حالهم فى الدنيا واما حال من الواو اى ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين وهذا متعين على الوجه
الاخير ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه كلام مستانف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد المنافقين بالعقوبة الدنيوية
التى هى الغضيحة والجزى اثر بيان عقوبتهم الاخروية والمراد بالمؤمنين المخلصون واما الخطاب فقد قيل انه لجمهور المصدقين من اهل
الاخلال واهل النفاق ففيه التفات فى ضمن التلوين والمراد بما هم عليه اختلاط بعضهم ببعض واستواؤهم فى اجراء احكام الاسلام
عليهم اذ هو القدر المشترك بين الفريقين وقيل انه للكفار والمنافقين وهو قول ابن عباس والضحاك ومقاتل والكلبى رضى الله عنهم
ففيه تلوين فقط ولعل المنافقين عطف تفسيرى للكفار وان فلا شركة بين المؤمنين والمجاهرين فى امر من الامور والمراد بما هم عليه
ما فى القدر المشترك فانه كما يجوز نسبته الى الفريقين معا يجوز نسبته الى كل منهما لا الكفر والنفاق كما قيل فان المؤمنين ما كانوا مشاركين
لهم فى ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل انه للمؤمنين خاصة وهو قول اكثر اهل المعانى ففيه تلوين والتفات كما مر والتعرض لعنوانهم قيل
الخطاب للاشعار بعلة الحكم والمراد بما هم عليه ما فى غير قرة والاول هو الاوفق واليه صبح المحققون من اهل التفسير لكونه صريحا
فى كون المراد بما هم عليه ما ذكر من القدر المشترك بين الفريقين من حيث هو مشترك بينهما بخلاف القولين الاخيرين فانهما بمعزل من ذلك
كيف لا والمفهوم مما عليه المنافقون هو الكفر والنفاق ومما عليه المؤمنون هو الايمان والاخلاص لا القدر المشترك بينهما وليس فيهم
ذلك فانما يفهم من حيث الانتساب اليهما معا وعليه يدور الاختلاط المحوج الى الانزاح واللام فى ليذر اما متعلقة باخر القدر
لكان كما هو رأى البصرية وانتصاب الفعل بعد ما بان المقدرة اى ما كان الله حريصا او مقصدا بالان يذر المؤمنين الخ نفى توجه
النفى للارادة الفعل تاكيد ومبالغة ليست فى توجهه الى نفسه واما فريدة للتاكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأى الكوفية
ولا يقدح فى ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر فى عملها وقوله عز وجل حتى يميز الخبيث من الطيب غاية
لما يفيده النفى المذكور كانه قيل ما يتركهم الله على ذلك الاختلاط بل يقدر الامور ويرتب الاسباب حتى يميز المنافق من المؤمن
وفى التعبير عنها بما ورد به النظم الكريم تسجيل على كل منهما بما يليق به واشعار بعلة الحكم واراد الخبيث والطيب مع تعددهما افرادا
بكل منهما وتكثره لا سيما بعد ذكر ما اريد احدهما اعنى المؤمنين بصيغة الجمع للايذان بان مدار ازدراء احد الفريقين من الآخر
هو اتصافهما بوصفها لا خصوصية ذاتهما وتعدد احدهما كما فى قوله تعالى ذلك ادنى الا تعولوا ونظيره قوله تعالى ندعو ابناءنا وابناءكم
عما ارضعت حيث قصد الدلالة على الاتصاف بالوصف من غير تعرض لكون الموصوف من العقلاء او غيرهم وتعليق التمييز بالخبيث
المعبر به عن المنافق مع ان المتبادر مما سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط تعليقه بهم وافرادهم عن المنافقين لما ان التمييز
الواقع بين الفريقين انما هو بالتصرف فى المنافقين وتغييرهم من حال الى حال مغايرة للاولى مع بقاء المؤمنين على ما كانوا عليه
من اصل الايمان وان ظهر فيهم اخلاصهم لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من حال الى حال اخرى مع بقاء المنافقين على ما هم عليه من الاستتار
وللام فيه مزيد تاكيد للوعيد كما اشير اليه فى قوله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح وانما لم يسبب عدم الترك اليهم للايذان بانه مشعر
بالاعتناء بشان من نسب اليه فان المتبادر منه عدم الترك على حالة غير ملائمة كما يشهد به الذوق السليم وقرئ

حتى يميز من الخبيث وقوله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب تمهيد لبيان المميز الموعود على طريق تجريد الخطاب للمخلصين تشريفا
لهم وقوله تعالى ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء اشارة الى كيفية وقوعه على سبيل الاجمال واظهار لاسالم للجليل من المنصبين
لتربية المهابة فالمعنى ما كان الله ليترك المخلصين على الاختلاط بالمنافقين بل يرتب المبادي حتى يخرج المنافقين من بينهم ويميل
ذلك باطلاعكم ما في قلوبهم من الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحي الى رسوله صلى الله عليه وسلم فيخبره بذلك بما ظهر منهم من الاقوال
والافعال حسبما حكي عنه بعضه فيما سلف فيفضحهم على رؤس الاشهاد ويخلصكم من جهة الشركاء وسوء جوارهم والتوسل للاجتباء
للايذان بان الوقوف على امثال تلك الامثال الغيبية لا ينال الا ممن رشحه الله تعالى لمنصب جليل تقاصرت عنه همم الامم وسطفاه
على الجماهير لارشادهم ولتعميم الاجتباء لسائر الرسل عليهم السلام للدلالة على ان شانه عليه السلام في هذا الباب امر متين له اصل
اصيل جار على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين الرسل عليهم السلام الخالية وتقديم الامر في قوله تعالى فآمنوا بالله ورسله مع
ان سوق النظم الكريم للايذان بالنبي صلى الله عليه وسلم لما يجب الايمان به بالطريق البرهاني والاشعار بان ذلك مستلزم
للايمان بالكل لانه مصدق لما بين يديه من الرسل وهم شهداء بصحة نبوته عليه السلام والمامور به الايمان بكل ما جاء به عليه السلام
فيدخل فيه تصديقه عليه السلام فيما اخبر به من احوال المنافقين دخولا اوليا هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد جوز
ان يكون الخطاب لاهل مكة مخلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الاخلص الذين
امتحن الله تعالى قلوبهم ببذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله تعالى فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بصفاتكم
حتى يعلم بعضكم بما في قلب بعض بطريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذوات الصدور فان ذلك مما استاثر الله تعالى به وانت
خبير بان الاستدراك باجتباء الرسل المبني على فريد فرتهم وفضل موقفهم على الخلق اثر بيان قصور رتبتهم عن الوقوف
على خفايا السرائر صريح في ان المراد باظهار تلك السرائر بطريق الوحي لا بطريق التكليف بما يؤدي الى خروج اسرارهم عن رتبة
الخفاء واقرب من ذلك حمل الآية الكريمة على ان تكون مسوقة لبيان الحكمة في امهاله تعالى للكفرة اثر بيان شريته لهم فالمعنى
ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط ابدا كما تذرهم كذلك الآن لسر يقتضيه بل يميز عنهم المنافقين ولذلك فعله بوحي
حيث خلى الكفرة وشانهم فابرز لهم صورة الغلبة فاظهر من في قلوبهم مرض ما فيها من الخبائث وافتضحوا على رؤس الاشهاد
وقيل قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وان تؤمنوا اي بما ذكر من حق الايمان
وتتقوا اي عدم مراعاة حقوقه او النفاق فلكم بمقابلة ذلك الايمان والتقوى اجر عظيم لا يبلغ كنهه ولا تحسبن الذين
يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بيان لحال البخل ووخامة عاقبته وتخطئة لاهله في توهم خيريته حسب بيان
حال الاطآء وايراد ما بخلوا به بعنوان ايتاء الله تعالى اياه من فضله للمبالغة في بيان سوء صنيعهم فان ذلك من موجبات
بذله في سبيله كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والفعل مسند الى الموصول والمفعول الاول محذوف للدلالة الصلة عليه
وضمير الفعل راجع الى الموصول اي لا يحسبن الباخلون بما آتيهم الله من فضله من غير ان يكون لهم موضل فيه واستحقاق له هو خيرا لهم من
انفاقه وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم او الى ضمير من يحسب والمفعول الاول هو الموصول بتقدير مضاف وانتفاء
ما ذكر كما هو كذلك على قراءة الخطاب اي ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شرلهم
التنصيص على شريته اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق على انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للايذان بكمال
المناسبة بينهما وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا عقفا يوم القيمة
وفيه يجعل ما بخل به من الزكوة حية في عنقه تنهشه من فرقه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك وانا كنزك وقد وصل الى احد
غيره استقلالا او اشتراكا ميراث السموات والارض اي ما يتوارثه الملوك من مال وغيره من الرسالات التي يتوارثها اهل

سيطوقون

السموات فالهم لا يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله او انه برئ منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله تعالى عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة
والله بما تعملون من المنع والبخل خبير فيجازيكم على ذلك واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة والالتفات للمبالغة
في الوعيد والاشعار باشتداد غضب الرحمن الناشي من ذكر قبائحهم وقرئ بالياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير
ونحن اغنياء قالته اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروى انه عليه السلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه
الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرض الله قرضا حسنا فقال فنحاص ان الله فقير حين سالنا القرض
فلطمه ابو بكر رضي الله عنه في وجهه فقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله
فنزلت والجمع مع كون القائل واحدا لرضى الباقين بذلك والمعنى انه لم يخف عليه تعالى واعتد له من العقاب كفاءه والتعبير عنه بالسماع للايذان
بانه من الشناعة والسماجة بحيث لا يرضى قائله بان يسمعه سامع والتوكيد القسمي للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد سنكتب
ما قالوا اي سنكتب ما قالوه من اللفظة الشنعاء في صحائف الحفظة ونثبته في علمنا الذي لا ينساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب
والتأكيد للتأكيد اي لن نميتهم ابدا الدهر وننجيهم في غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن العظيم
والرسول الكريم وكذلك عطف عليه قوله تعالى وقتلهم الانبياء ايذانا بانهما في العظم اخوان وتنبيها على انه ليس بأول جريمة ارتكبوها
بل لهم فيها سوابق وان من اجرأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم
وقوله تعالى بغير حق متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم اي كائنا بغير حق في اعتقادهم ايضا كما هو في نفس الامر وقرئ سيكتب
على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي ونسوقهم بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا العذاب المخزي
كما اذقتم المسلمين الغصص وفيه من المبالغات ما لا يخفى وقرئ ويقول بالياء ويقال على البناء للمفعول ذلك اشارة الى العذاب
المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شانه وبعد منزلته في الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما قدمت ايديكم
اي بسبب ما اقترفتموه من قتل الانبياء والتنوه بمثل تلك العظيمة وغيرها من المعاصي والتعبير عن الانفس بالايدي لما ان عامة
افاعيلها تزاول بها وتحل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدإ محذوف والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان
تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره
بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب
حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها وصيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم
وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها للمبالغة كما لا يخفى هذا وقد قيل محل ان
الجر بالعطف على ما قدمت وتعسفه للعذاب من حيث ان نفي الظلم مستلزم للعدل المقتضي للاثابة المحسن ومعاقبة المسيء
وفساده ظاهر فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا بل نقض نفي الظلم سببا للتعذيب حسبما ذكره الفاضل في سورة
الانفال وقيل سيبتلى ذنوبهم لعذابهم معتدة بانضمام التفاء ظلمه تعالى اليها اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم وانت خبير بان
امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل ووقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه
وانما يحتاج الى ذلك ان لو كان المدعى ان جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين الذين قالوا نصب او رفع على الذم وهم
كعب بن الاشرف ومالك بن صيف وحيي بن اخطب وفنحاص بن عازوراء ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا اي اوصانا
في التوراة واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار كما كان عليه امر انبياء بني اسرائيل حتى كان
يقرب بالقربان فيقوم النبي عليه السلام فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله اي تحمله الى طبعها بالاحراق وهذا من معجزاته تهم

واباطيلهم فان اكل النار القربان لم يوجب الايمان لانه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل ان
عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان به لتحقق الايمان رد عليهم بقوله تعالى قل اى يا محمد
لهم واظهارا لكذبهم قد جاءكم رسل كثيرة العدد كبيرة المقدار من قبلي بالبينات اى المعجزات الواضحة وبالذي قلتم بعينه من القربان
الذي تأكله النار فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين اى فيما يدل عليه كلامكم من انكم تؤمنون لرسول يأتيكم بما اقترحتموه فان ذكريا
ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام قد جاءكم بما قلتم في معجزات اخر فما لكم لم تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم فان كذبوك شروع
في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر ما اوحى اليه ما جزته عليه السلام من مقالات الكفرة من المشركين واليهود وقوله تعالى فقد كذب
رسل من قبلك تعليل لجواب الشرط اى قبل فقد كذب الخ ومن متعلقة بكذب او بمحذوف هو صفة لرسول اى كائنة من قبلك جاؤا
بالبينات اى المعجزات الواضحات صفة لرسل والزبر هو جمع زبور وهو الكتاب المقصور من الحكم من زبرته اذا حسنته وقيل الزبر
المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته والكتاب المنير قيل اى التوراة والانجيل والزبور والكتاب في عرف القرآن يتضمن
الشرائع والاحكام ولذلك صار الكتاب في الحكمة متعاطفين في عامة المواقع وقرئ وبالزبر باعادة الجار دلالة على انها معايرة
بالذات للبينات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالتنوين وعدمه كما في قوله
ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم لا تعطون اجزية اعمالكم على التمام والكمال يوم القيمة اى يوم قيامكم من القبور
وفي لفظة التوفية اشارة الى ان بعض اجورهم يصل اليهم قبله كما ينبئ عنه قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر
النيران فمن زحزح عن النار اى بعد عنها بموت او بحي والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة
فقد فاز بالنجاة وبل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه
منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحياة الدنيا اى لذاتها وزخارفها الا
متاع الغرور سميت بالمتاع الذي يتدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ولهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة
فله متاع بلاغ والغرور اما مصدر او جمع غار لتبلون شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين
عما سيلقونه من جهة الكفرة من المكاره اثر تسليتهم عما قد وقع منهم ليوطنوا انفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا للقائه ويقابلوه
بما يحسن الصبر والثبات فان هجوم الاهوال مما يزلزل اقدام الرجال والاستعداد للكروب مما يهون الخطوب واصل الابتلاء
الاختبار اى تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لما يشق عليه غالبا ملابسة او مفارقة وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له
على عواقب الامور واما من جهة العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين او الامور قبل ان يرتب عليه
شيئا هو من مباديه العادية كما مر والجملة جواب قسم محذوف اى والله لتبلون اعني لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات
على الحق والاعمال الحسنة وفائدة التوكيد اما تحقيق معنى الابتلاء تهويلا للخطب واما تحقق وقوع المبتلى به مما نفقون الخ
على ما اريد منهم من التهوء والاستعداد في اموالكم بما يقع فيها من ضروب الآفات المؤدية الى هلاكها دائما او انفاقها في سبيل الخير
مطلقا فلا يليق نظمه في سلك الابتلاء لما انه من باب الاضعاف لا من قبيل الاتلاف وانفسكم بالقتل والاسر والجراح
وما يرد عليها من اصناف المتاعب والمخاوف والشدائد ونحو ذلك فان تقديم الاموال لكثرة وقوع الهلكة فيها ولتسمعن من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم اى من قبل اتيانكم القرآن وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للاشعار بمدار الشقاق والاذى
بان بعض ما يسمعونه منهم مستند على زعمهم الكتاب كما في قوله تعالى ان الله تعالى عهد الينا الخ والتصريح بالقبلية لتأكيد الاشعار وتغيير
المدار فان قدم نزول كتابهم مما يؤيد تمسكهم به ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من الطعن في الدين الحنيف والقدح في احكام
الشرع الشريف وصد من اراد ان يؤمن وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف واحزابه من هجاء المؤمنين وتحريض

المشركين على مضادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما لا خير فيه **وان تصبروا** اى على تلك الشدائد والبلوى عند ورودها
وتقابلوها بالجد والتحمل **وتتقوا** اى تبتتلوا اليه تعالى بالكلية موضعين عما سواه بالمرة بحيث تساوى عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه
فان ذلك اشارة الى الصبر والتقوى وما فيه من معنى البعد للايذان ببعلو درجتها وبعد منزلتهما وتوحيد حرف الخطاب اما باعتبار كل
واحد من المخاطبين واما لان المراد بالخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية احوال المخاطبين **من عزم الامور** من معزوماتها التى
يتنافس فيها المتنافسون اى مما يجب ان يعزم عليه كل احد لما فيه من كمال المزية والشرف او مما عزم الله تعالى عليه وامر به وبالغ فيه يعنى ان ذلك
عزمة من عزمات الله تعالى لابد ان تصبروا وتتقوا والجملة تعليل لجواب الشرط واقع موقعه كانه قيل وان تصبروا وتتقوا فهو خير لكم او فافعلوا
او فقد احسنتم او فقد اصبتم فان ذلك الخ ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى صبر المخاطبين وتقواهم فالجملة جواب الشرط وفى ابراز
الامر بالصبر والتقوى فى صورة الشرطية من اظهار كمال اللطف بالعباد ما لا يخفى **واذ اخذ الله** كلام مستانف سيق لبيان اذاياتهم
وهو كتمانهم فرد كتابهم من شواهد نبوته عليه السلام وغيرها واذ منصوب على المفعولية بمضمر اوجب البدء صلى الله عليه وسلم خاصة بطريق
تجريد الخطاب اثر الخطاب الشامل له عليه السلام وللمؤمنين لكون مضمونه من الوظائف الخاصة به عليه السلام وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت
دون ما وقع فيه من الحوادث مع انه المقصود بالذات للمبالغة فى ايجاب ذكرها على ما مر بيانه فى تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملئكة الى الذكر
وقت اخذه تعالى **ميثاق الذين اوتوا الكتاب** وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان ايتاء الكتاب مبالغة فى تقبيح
حالهم **لتبيننه** حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب لقسم ينبئ عنه اخذ الميثاق كانه قيل لهم بالله لتبيننه **للناس**
وتظهرن جميع ما فيه من الاحكام والاخبار التى من جملتها امر نبوته عليه السلام وهو المقصود بالحكاية وقرئ بالياء لانهم غيب **ولا تكتمونه** عطف على الجواب واتى بلم يؤكد بالنون لكونه منفيا كما فى قولك والله لا يقوم زيد وقيل كتبى بالتاكيد فى الاول
لانه تاكيد له وقيل هو حال من ضمير المخاطبين اما على اضمار مبتدا بعد الواو اى وانتم لا تكتمونه واما على راى من جوز دخول
الواو على المضارع المنفى عند وقوعه حالا اى لتبيننه غير كاتمين والنهى عن الكتمان بعد الامر بالبيان اما للمبالغة فى ايجاب
المأمور به واما لان المراد مأمور به ذكر الايات الناطقة بنبوته عليه السلام وبالكتمان المنهى عنه اخفاؤها وتبديلها بالزائفة
والشبهات الباطلة وقرئ بالياء كما قبله **فنبذوه** النبذ الرمى والابعاد اى طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق الموثق
بفنون التاكيد والقوة **وراء ظهورهم** ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه اصلا فان نبذ الشئ وراء الظهر مثل فى الاستهانة
به والاعراض عنه بالكلية كما ان جعله نصب العين علم فى كمال العناية به وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء الدين واظهار
ما ينحوه من العلم للناس اجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الاغراض الفاسدة او طمع فى عرض من الاعراض الفانية الكاسدة مالا يخفى
وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كتم علما من اهله لجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب بن منبه انى ارى الله سوف
يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرايت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد
من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله حتى يسال وعن على رضى الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان
يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا **واشتروا به** اى بكتمانه الذى اوجبوا ببيانه ونهوا عن كتمانه فان ذكر نبذ
الميثاق يدل على ذلك دلالة واضحة واتباع الفعل على الكل مع ان المراد به كتم بعضه كدلائل نبوته عليه السلام ونحوها لما ان ذلك
كتم للكل اذ به يتم الكتاب كما ان رفض بعض اركانه الصلوة رفض لكلها او بمنزلة كتم الكل من حيث انهما سيان فى الشناعة
واستحقار العقاب كما فى قوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته والاشتراء مستعار لاستبدال متاع الدنيا بما كتموا اى تركوا ما امروا به
واخذوا بدله **ثمنا قليلا** اى شيئا ما حقيرا من حطام الدنيا واعراضها وفى تصوير هذه المعاملة بعقد المعاوضة تهكم
بالاشتراء الموذن بالرغبة فى المأخوذ والاعراض عن المعطى والتعبير عن المشترى الذى هو العمدة فى العقد والمقصود

ذلك

بالعطاء

بالمعاملة بالثمن الذى شانه ان يكون وسيلة اليه وجعل الكتاب الذى هو صفة ان يتنافس فيه المتنافسون مصبوبا بالبهاء الدالة على الآلات والوسائل من نهاية الجزالة والدلالة على كمال فظاعة حالهم وغاية قبحها بايثارهم الدنى الحقير على الشريف الخطير وتعكيسهم بجعلهم المقصد الاصلى وسيلة والوسيلة مقصدا مما لا يخفى جلالة شانه ورفعة مكانه فبئس ما يشترون مانكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس ويشترون صفته والمخصوص بالذم محذوف اى بئس شيئا يشترونه ذلك الثمن لانحبنهم الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح له الذين يفرحون بما اتوا اى بما فعلوا كما فى قوله تعالى انه كان وعده مأتيا ويدل عليه قراءة ابى يفرحون بما فعلوا او فى بما اتوا بمعنى اعطوا وبما اوتوا اى بما اوتوه من علم التوراة قال ابن عباس لما ظفر اليهود عرفوا المدينة وفرحوا بذلك واحبوا ان يوصفوا بالديانة والفضل روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شئ مما فى التوراة فكتموا الحق فاخبروه بخلافه واروه انهم صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا وقيل فرحوا بكتمان النصوص التى لطخته بنبوته عليه السلام واحبوا ان يحمدوا بانهم متبعون ملة ابرهيم عليه السلام فالموصول عبارة عن المذكورين او عن مشاهيرهم موضع ضميرهم والجملة مسوقة لبيان ما يستتبعه اعمالهم المحكية من العقاب الاخروى اثر بيان قباحتها وقد اوميج فيها بيان بعض آخر من شنائعهم وهو اصرارهم على ما هم عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم لان يوصفوا بما ليس فيهم من الاوصاف الجميلة وقد نظم ذلك فى سلك الصلة التى حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند المخاطب ايذانا بشهرة اتصافهم بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة فى ذلك واستحمدوا به وقيل هم المنافقون كافة وهو الانسب بظاهر قوله تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا الشهرة انهم كانوا يفرحون بما فعلوا من اظهار الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون الى المسلمين بالايمان وهم من فعله بالمحل المنزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم فى الغاية القاصية من العداوة فالموصول عبارة عن طائفة معهودة من المذكورين وغيرهم فان اكثر المنافقين كانوا من اليهود ولعل الاول اجرأ الموصول على عمومه شاملا لكل من يأتى بشئ من الحسنات ويفرح بفرح اعجاب ويود ان يمدحه الناس بما هو عار منه من الفضائل منتظما للمعهودين انتظاما اوليا وآتيا ما كان فهو مفعول اول لتحسبن وقوله تعالى فلا تحسبنهم تأكيد له والفاء زائدة والمفعول الثانى قوله تعالى بمفازة من العذاب اى بنجاة منه على المفازة مصدر ميمى ولا يقدر بناجية بالتاء لما انها مبنية عليها وليست للدلالة على الوصف كما فى قولهم فلولا رجاء النظر منك ودهبة عمائك قد كانوا بنا بالموارد ولا سبيل الى جعلها اسم مكان على ان الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها اى بمفازة كائنة من العذاب وتقدير فعل خاص يصح به المعنى اى بمفازة منجية من العذاب مع كونه خلاف الاصل تعسف مستغنى عنه وقرئ بضم الباء فى الفعلين على ان الخطاب شامل للمؤمنين ايضا وقرئ بياء الغيبة وفتح الباء فيهما على ان الفعل له عليه السلام او لكل احد ممن يتأتى منه الحسبان ومفعولا كما ذكر وقرئ بضم الباء فى الاول فقط على ان الفعل للموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عين الفاعل والثانى بمفازة اى لا تحسبن الذين يفرحون انفسهم فائزين وقوله تعالى فلا تحسبنهم تأكيد للاول والفاء زائدة كما مر ويجوز ان يحمل الفعل الاول على حذف المفعولين اختصار الدلالة مفعولى الثانى عليهما او على ان الفعل الاول للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل حاسب ومفعوله الاول الموصول والثانى محذوف لدلالة مفعول الثانى عليه والفعل الثانى مسند الى ضمير الموصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانه عليه السلام ومفعولا الضمير المنصوب وقوله بمفازة وتصدير الوعيد بنهيهم عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان آرائهم الركيكة وقطع اعماعهم الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ينجون بما صنعوا من عذاب الآخرة كما نجوا به من المؤاخذة الدنيوية وعليه كان مبنى فرحهم واما نهيه عليه السلام فللتمهيد لحسبانهم المذكور لاحتمال وقوع الحسبان من جهته عليه السلام ولهم عذاب اليم بعد ما اشير الى عدم نجاتهم من مطلق العذاب حقق ان لهم فردا منه لا غاية له فى المدة والشدة كما يلوح به الجملة الاسمية والتنكير التفخيمى

اشارة الى ان اهل الكتاب سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن اشياء فكتموها واخبرهم بخلافها

لمن خلص عن الهوى خلوص الكبريت عن الغش ❊ فيه دليل على حدوث العرض المحدث في الجواهر يدل على حدوث الجواهر لان جوهرا ما لا ينفك عن عرض حادث
وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث ❊ ثم حدوثها يدل على محدثها وذا قديم والا لاحتاج الى محدث آخر الى ما لا يتناهى ❊ وحسن صنعه يدل على علمه ❊ واتقانه
يدل على حكمته ❊ وبقاؤه يدل على قدرته ❊ مدارك

قال اهل المعرفة من فرح بالملك وتمتع به
فانه مالكه ومالكه عنده ❊ ومن ظفر بالمالك لا يفوته
شيء من الممالك كما جاء في بعض الكتب المنزلة
من طلب ما لنا لم يكن له ومن طلبنا كنا له وكان له
ما لنا ❊ وفي الحديث الرباني الا من طلبني وجدني
ومن طلب غيري لم يجدني ❊ وعن الشيخ احمد بن خضرويه
انه قال رأيت رب العزة في المنام فقال لي احمد
كل يطلب مني الا ابا يزيد فانه يطلبني ❊ تيسير

والوصف ❊ ولله ❊ اي خاصة ❊ ملك السموات والارض ❊ اي السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيفما يشاء ويريد
ايجادا واعداما احياء واماتة تعذيبا واثابة من غير ان يكون لغيره شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة
مقررة لما قبلها ❊ وقوله تعالى ❊ والله على كل شيء قدير ❊ تقرير لاختصاص ملك العالم الجسماني المعبر عنه بقطريه به سبحانه وتعالى فان كونه
تعالى قادرا على الكل بحيث لا يشذ من ملكوته شيء من الاشياء يستدعي كون ما سواه كائنا ما كان مقدورا له ومن ضرورته اختصاص القدرة
به تعالى واستحالة ان يشاركه شيء من الاشياء في القدرة على شيء من الاشياء فضلا عن المشاركة في ملكوت السموات والارض ❊ وفيه تقرير لما مر
من ثبوت العذاب الاليم لهم وعدم نجاتهم منه اي تقرير واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم
فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية مع ما فيه من الاشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير ❊ ان في خلق السموات
جملة مستأنفة سيقت لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر والقدرة التامة صدرت بكلمة التاكيد اعتناء بتحقيق
مضمونها اي في انشائها على ما هي عليه في ذواتها وصفاتها من الامور التي يحار في فهمها اجلاء العقول ❊ والارض ❊ على ما هي عليه ذاتا
وصفة ❊ واختلاف الليل والنهار ❊ اي في تعاقبهما في وجه الارض وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين
لحركات السموات والارض او في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا
وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي
ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض تقتضي
ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وفي بعضها صباحا وفي بعضها ظهرا او عصرا او غير ذلك والليل
قيل انه اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء كتمر وتمرة والليالي جمع الجمع والصحيح انه مفرد ولا يحفظ له جمع والليل جمع ليلة
وهو جمع غريب كانهم توهموا انها ليلاة كما في كيكة وكياكي كانه جمع كيكاة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس
قال الراغب وقال ابن فارس هو ضياء ما بينهما وتقديم الليل على النهار اما لانه الاصل فان غرر الشهور تظهر في الليالي واما لتقدمه
في الخلقة حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار اي نزيله عنه فيخلفه ❊ لآيات ❊ اسم ان دخلته اللام لتأخره
عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي لآيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب شؤونه التي من جملتها ما مر من الاختصاص
العظيم والقدرة التامة به سبحانه وعدم التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر وتصريف الرياح والسحاب لما ان المقصد
ههنا بيان استبداده تعالى بما ذكر من الملك والقدرة فاكتفي بمعظم الشواهد الدالة على ذلك واما هناك فقد قصد في ضمن بيان
اختصاصه تعالى بالالوهية بيان اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلائل الفضل والرحمة في سلك دلائل التوحيد فان ما فصل هناك
من آيات رحمته تعالى كما انه من آيات الالوهية ووحدته ❊ لاولي الالباب ❊ اي لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس
والوهم المتجردين عن العلائق النفسانية المتخلصين عن العوائق الظلمانية المتأملين في احوال الحقائق واحكام النعوت المترائية
في اطوار الملك واسرار الملكوت المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في روائع حكمه المودعة في الانفس والآفاق
الناظرين الى العالم بعين الاعتبار والشهود المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود المثابرين على مراقبته وذكراه غير ملتفتين
الى شيء مما سواه الا من حيث انه مرآة لمشاهدة جماله دالة لملاحظة صفات كماله فان كل ما ظهر في مظاهر الابداع وحضر
محاضر التكوين والاختراع سبيل سوي الى عالم التوحيد ودليل قوي على الصانع المجيد ناطق بآيات قدرته فهل من سامع واع
ومخبر بانباء علمه وحكمته فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب عقولهم يحاور تارة باوضح عبارة
ويلوح اخرى بالطف اشارة فراعيا في الجواب ابهامهم وتصريحهم وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم
فتأمل في هذه الشؤون والاسرار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال

گرچه دنیا دار محبت در و لیکن ای دده
کیمیا کنز ذکر لله طاعت یه در عابده
للحاسه

قال هل لک یا عائشة ان تأذنی لی اللیلة فی عبادة ربی فقلت یا رسول الله انی لاحب قربک واحب هواک قد اذنت لک فقام الی قربة من ماء فی البیت فتوضأ ولم یکثر من صب الماء ثم قام فصلی فقرأ من القرآن وجعل یبکی حتی بلغ الدموع حقویه ثم جلس محمد الله تعالی واثنی علیه وجعل یبکی ثم رفع یدیه فجعل یبکی رأیت دموعه قد بلت الارض فأتاه بلال یؤذنه بصلوة الغداة فرآه یبکی فقال یا رسول الله اتبکی وقد غفر الله لک ما تقدم من ذنبک وما تأخر فقال یا بلال افلا اکون عبدا شکورا ثم قال وما لی لا ابکی وقد انزل الله تعالی فی هذه اللیلة ان فی خلق السموات والارض الآیة ثم قال ویل لمن قرأها ولم یتفکر فیها وروی ویل لمن لاکها بین فکیه ولم یتأملها وعن علی رضی الله عنه ان النبی صلی الله علیه وسلم کان اذا قام من اللیل یستوک ثم ینظر الی السماء ثم یتلو ان فی خلق السموات والارض الخ • الذین یذکرون الله • الموصول اما مقحم یدل علیه ما ولی الالباب مجرور علی انه نعت کاشف له بما فی حیز الصلة وامّا مفصول عنه مرفوع او منصوب علی المدح ورفع علی انه خبر لمبتدا محذوف وقیل هو مرفوع علی الابتداء والخبر هو القول المقدر قبل هو قوله ربنا وفیه تفکیک للنظم الجلیل مالا یخفی وایا ما کان فقد اشیر بقوله بما فی حیز صلته الی ان المراد بهم الذین لا یغفلون عنه تعالی فی عامة اوقاتهم لاعلی ان قلوبهم بذکره واستغراق سرائرهم فی مراقبته لما ایقنوا بان کل ما سواه فائض منه وعائد الیه فلا یشاهدون حالا من الاحوال الا وهم ناظرون الیه بقوله تعالی • قیاما وقعودا وعلی جنوبهم • ولا فی الآفاق والیه اشیر بما بعده لانهم یعاینون فی ذلک شانا من شئونه تعالی فالمراد بذکره تعالی مطلقا سواء کان ذلک من حیث الذات او من حیث الصفات والافعال وسواء قارنه الذکر اللسانی اولا وامّا ما یحکی عن ابن عمر وعروة بن الزبیر وجماعة من الصحابة رضی الله عنهم من انهم خرجوا یوم العید الی المصلی فجعلوا یذکرون الله تعالی فقال بعضهم انما قال الله تعالی یذکرون الله قیاما وقعودا فها نحن ذا کرون الله علی اقدامنا فلیس مرادهم بتفسیر الآیة وتحقیق مصداقها علی التعیین وانما اراد وا به التبرک بنوع موافقة لها فی ضمن الاتیان بنوع من افراد مدلولها وامّا حمل الذکر علی الصلوة فی هذه الاحوال حسب الاستطاعة کما قال علیه السلام لعمران بن الحصین صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلی جنب لتومی ایماء فمما لا یساعد سیاق النظم الجلیل ولا سیاقه والقیام والقعود جمع قائم وقاعد کنیام ورقود جمع نائم وراقد وانتصابهما علی الحالیة من ضمیر یذکرون ای یذکرونه قائمین وقاعدین وقوله تعالی علی جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف علی الحالین ای وکائنین علی جنوبهم ای مضطجعین والمراد تعمیم الذکر للاوقات کما مر وتخصیص الاحوال المذکورة بالذکر لیس لتخصیص الذکر بها بل لانها الاحوال المعهودة التی لا یخلو عنها الانسان غالبا • ویتفکرون فی خلق السموات والارض • عطف علی یذکرون منتظم معه فی حیز الصلة فلا محل له من الاعراب قیل محل النصب علی انه معطوف علی الاحوال السابقة ولیس بظاهر وهو بیان لتفکرهم فی افعاله سبحانه اثر بیان تفکرهم فی ذاته تعالی علی الاطلاق واشارة الی نتیجته التی یؤدی الیها من معرفة احوال المعاد حسبما نطقت به السنة الرسل وآیات الکتب التکوینیة مرشدة لهم الی ذلک فالاولی منبهات لهم علی الثانیة ودواع الی الاشتغال بها کهذه الآیة الکریمة ونحوها مما ورد فی مواقع غیر محصورة من التنزیل والثانیة مؤیدات للاولی شواهد دالة علی صحة مضمونها وحقیقة مکنونها فان من تأمل فی تضاعیف خلق العالم علی هذا النمط البدیع قضی بامتناع خالقه تعالی بجمیع ما نطقت به الرسل والکتب من الوجوب الذاتی والوحدة الذاتیة والملک القاهر والقدرة التامة والعلم الشامل والحکمة البالغة وغیر ذلک من صفات الکمال وحکم بان من قدر علی انشائه بلا مثال یحتذیه او قانون ینحیه فهو علی اعادته بالبعث اقدر وحکم بان ذلک لیس الا لحکمة باهرة هی جزاء المکلفین بحسب استحقاقهم المنوط باعمالهم ای علومهم واعتقاداتهم التابعة لانظارهم فیما نصب لهم من الحجج والدلائل والامارات والمخائل وسائر المنزعة علی ذلک فان العمل غیر مختص بعمل الجوارح بل متناول للعمل القلبی هو اشرف افراده لما ان لکل من القلب والقالب عملا خاصا به ومن قضیته کون الاول اشرف من الثانی کون عمله ایضا اشرف من عمله کیف لا والاعمال بدون معرفة الله التی اول الواجبات علی العباد والغایة القصوی من الخلق علی ما نطق به قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا لیعبدون ای لیعرفون کما اعرب عنه قوله علیه السلام کنت کنزا مخفیا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف فانما اظهرنا

والحاصل ان بعض اهل الظاهر من المحدثین لا یثبتون هذا الحدیث ولا یصححونه لکنه ثابت صحیح عند مشایخ الصوفیة
سبحة منازل السائرین

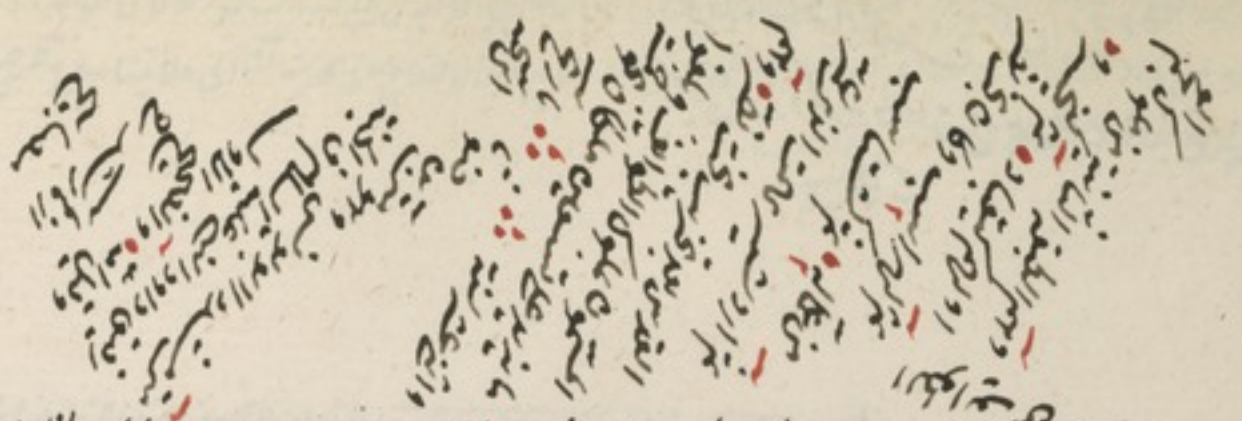

التنظري التفكر فيما ذكر من شؤونه تعالى وقد روي انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض
قالوا وانما كان ذلك التفكر فاطر الله تعالى وكذلك قال عليه السلام لاعبادة مثل التفكر وقد عرفت انه مستتبع لتحقيق ما جاءت به
الشريعة الحقة وآلا لما فسرته النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء
ليبلوكم ايكم احسن عملا بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله تعالى فان التورع عن محارمه سبحانه موقوف على معرفة الحلال
والحرام المنوطة بالكتاب والسنة فهي يتصادق الآيات التكوينية ويتوافق الادلة العقلية والسمعية وهو اشرف نظم ما حكي عن
المتفكرين من الامور المستدعية للايمان بالشريعة في سلك نتيجة تفكرهم كما ستقف عليه اظهار لعلو السموات والارض مع كفاية الاضمار
لابراز كمال العناية ببيان حالهم والايذان بكون تفكرهم على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعرض لادراج اختلاف الملوين في سلك
التفكر مع ذكره فيما سلف اما للايذان بظهور اندراجه فيه لما ان ذلك من الاحوال التابعة لاحوال السموات والارض كما اشير اليه
واما للاشعار بسارعتهم الى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الآيات من غير حاجة الى بعض آخر منها في اثبات المطلوب والخلق مصدر
على حاله اي يتفكرون في انشائهما وابداعهما بما فيهما من عجائب المصنوعات وقيل بمعنى المخلوق على ان الاضافة بمعنى في اي يتفكرون
فيما خلق فيهما اعم من ان يكون بطريق الجزئية منهما او بطريق الحلول فيهما او على انهما بيانية ربنا ما خلقت هذا باطلا
كلمة هذا اشارة الى السموات والارض متضمنة بضرب من التعظيم كما في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والتذكير
لما انهما باعتبار تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق او الى الخلق على تقدير كونه بمعنى المخلوق وباطلا اما صفة لمصدر مؤكد محذوف
او حال من المفعول به اي ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم الشان عبثا عاريا عن الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبئ عنه
اوضاع الغافلين عن ذلك الموضعين عن التفكر فيه بل متنظما لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها ان يكون مدارا لمعاش البعض
ومنارا لارشادهم الى معرفة احوال المبدا والمعاد حسبما افصحت عنه الرسل والكتب الالهية كما تحققته مفصلا وجملة بتمامها
في حيز النصب بقول مقدر هو على تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب استئناف مبين لنتيجة التفكر ومدلول الآيات ناشئ مما سبق
فان النفس عند سماع تخصيص الآيات المنصوبة في خلق العالم باولي الالباب ثم وصفهم بذكر الله تعالى والتفكر في مشاهدة الآيات
تبقى مترقبة لما يظهر منهم من آثارها واحكامها لا محالة فقيل فاذا يكون عند تفكرهم في ذلك وما يترتب عليه من النتيجة فقيل يقولون
كيت وكيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المؤدي الى معرفة صدق الرسل وحقية الكتب الناطقة بتفاصيل الاحكام الشرعية
على التفصيل الذي وقفت عليه هذا واما جعله حالا من المستكن في الفعل كما اطبق عليه الجمهور فمما لا يساعده جزالة النظم الكريم
لما ان ما في حيز الصلة وما هو قيد له حقه ان يكون من مبادي الحكم الذي اجري على الموصول ودواعي شؤونه لا كذكرهم لله عز وجل
في جملة اوصافهم وتفكرهم في خلق السموات والارض فانهما مما يؤدي الى اجتلاء تلك الآيات والاستدلال بها على المطلوب ولا ريب
في ان قولهم ذلك ليس من مبادي الاستدلال المذكور بل من نتائجها المترتبة عليه فاعتباره قيدا لما في حيز الصلة مما لا يليق بشان
التنزيل الجليل ثم هو حال من ذلك على تقدير كون الموصول مرفوعا او منصوبا على المدح او مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف
اذ لا اشتباه في ان قولهم ذلك من مبادي مدحهم ومحاسن مناقبهم وفي ابراز الحال دون الجزاء اشعار بمبادرتهم لتفكرهم من غير
تلعثم وتردد في ذلك وقوله تعالى سبحانك اي تنزيها لك مما لا يليق بك من الامور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه
اعتراض مؤكد لمضمون ما قبله ومما لما بعده من قوله تعالى فقنا عذاب النار فان موقفه سر خلق العالم وما فيه من الحكمة
البالغة والغاية الجميلة والقيام بما يقتضيه من الاعمال الصالحة وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعي الاستعاذة مما يخل
بالمخلين بذلك من وجهين احدهما الوقوف على تحقق العذاب فالفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر والثاني الاستعداد لقبول الدعاء
فالفاء لترتيب المدعو عن الوقاية على ذلك كانه قيل واذ قد عرفنا سرك واطعنا امرك ونزهناك عما لا ينبغي فقنا عذاب النار

الذى هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك • ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته • مبالغة فى استدعاء الوقاية وبيان سببه وتصدير الجملة بالنداء للمبالغة فى التضرع والجؤار وتاكيد بالاظهار لكمال اليقين بمضمونها والايذان بشدة الخوف فى اظهار النار فى موضع الاضمار لتهويل امرها وذكر الادخال فى مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غايته فظاعته قال الواحدى اللخزاء معان متقاربة يقال اخزاه الله اى ابعده وقيل اماته وقيل اهلكه وقيل فضحه قال ابن الانبارى الخزى لغة الهلاك يتلف او بانقطاع حجة او بوقوع فى بلاء والمعنى فقد اخزيته خزيا لا غاية ورآءه كقولهم من ادرك مرعى الضمان فقد ادرك اى المرعى الذى لا مرعى بعده وفيه من الاشعار بفظاعة العذاب الروحانى ما لا يخفى وقوله تعالى • وما للظالمين من انصار • تذييل للاظهار بغاية فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تاكيد الاستدعاء ووضع الظالمين موضع ضمير المخاطبين لذمهم والاشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الاشياء فى غير مواضعها وجمع الانصار بالنظر الى جمع الظالمين اى ما للظالم من الظالمين نصير من الانصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس فى الآية دلالة على نفى الشفاعة على ان المراد بالظالمين هم الكفار • ربنا انا سمعنا منادياً ينادى للايمان • حكاية لدعاء آخر لهم مبنى على ما لهم فى الدليل السمعى بعد حكاية دعائهم السابق المبنى على التفكر فى الادلة العقلية وتصدير مقدمة الدعاء بالنداء لاظهار كمال الضراعة والابتهال وان تاكيد الايذان بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة وكمال النشاط والمراد بالنداء الدعاء وتعديتها بالى لتضمنها معنى الانتهاء وباللام لاشتمالها على معنى الاختصاص والمراد بالمنادى الرسول صلى الله عليه وسلم وتنوينه للتفخيم وايثاره على الداعى للدلالة على كمال اعتنائه بشان الدعوة وتبليغها الى الدانى والقاصى لما فيه من الايذان برفع الصوت وينادى صفة منادياً عند الجمهور كما فى قولك سمعت رجلا يقول كيت وكيت ولو كان موقتة لكان حالا منه كما اذا قلت سمعت زيداً يقول الحق ومفعول ثانٍ لسمعنا عند التعدية وانتصاب هذا اسلوب بصار اليه للمبالغة فى تحقيق السماع والايذان بوقوعه بلا واسطة عند صدور المسموع عن المتكلم وللتوسل به الى تفصيله واستحضار صورته وقد خص النظم الكريم بمزية زائدة على ذلك حيث عبر عن المسموع منه بالمنادى ثم وصف بالنداء للايماء على ظهر قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة لما ان التغيير بعد الابهام والتقييد بعد الاطلاق اوقع عند النفس واجدر بالقبول وقيل المنادى القرآن العظيم • ان آمنوا • اى آمنوا على ان ان تفسيرية او بان آمنوا على انها مصدرية • بربكم • اى بما به الكلم ومتولى امورهم ومبلغهم الى الكمال وفى اطلاق الايمان ثم تقييده تفخيم لشانه • فآمنا • اى فما مثلنا ما بره واجتنابه • ربنا تكرير للتضرع واظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته مع الايمان به والتعاء فى قوله تعالى • فاغفر لنا • لترتب المغفرة او الدعاء بها • ذنوبنا • اى كبائرنا فان الايمان يجب ما قبله • وكفر عنا سيئاتنا • اى صغائرنا فانها مكفرة عن مجتنب الكبائر • وتوفنا مع الابرار • اى مخصوصين بصحبتهم منتظمين بجوارهم معدودين من زمرتهم وفيه اشعار بانهم كانوا يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بار او بر كصاحب واربار • ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك • حكاية لدعاء آخر لهم مسبوق بما قبله معطوف عليه لتاخر التخلية عن التحلية وتكرير النداء لما مر مرارا والمراد بالموعود الثواب وعلى انا متعلقة بالوعد كما فى قولك وعدنى الجنة على الطاعة اى وعدتنا على تصديق رسلك او بمحذوف وقع صفة لمصدر مؤكد محذوف اى وعدتنا وعدا كائنا على ألسنة رسلك وقيل التعدير منزلا على رسلك ولا يخفى ان تعدير الافعال الخاصة فى مثل هذه المواقع تعسف وجمع الرسل مع ان المنادى هو الرسول صلى الله عليه وسلم وحده لما ان دعوته عليه السلام لما كانت فى باب التوحيد وما اجمع عليه الكل من الشرائع منوطة على دعوة الكل فتصديقه عليه السلام تصديق لهم كيف لا وقد اخذ منهم الميثاق بالايمان به عليه السلام لقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب الآية وكذا الموعود على السنة من الثواب موعود على السنة الكل وايثار الجمع لاظهار كمال الثقة بانجاز الموعود بناء على كثرة الشهود • ولا تخزنا يوم القيمة •

قصد وابذلك تذكير وعد تعالى بقوله يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه منظهرين انهم ممن آمن معه رجاء للانتظام فى سلكهم
يومئذ وقوله تعالى انك لاتخلف الميعاد تعليل لتحقيق ما نظموا فى سلك الدعاء وتهذيب الدعوات وما فى تضاعيفها من كمال الضراعة
والابتهال ليست لخوفهم من اخلاف الميعاد بل لخوفهم من ان لايكونوا من جملة الموعودين بتغير الحال وسوء الخاتمة والمآل
فرجعوا الى الدعاء بالتثبيت او للمبالغة فى التعبد والخشوع والميعاد الوعد وعن ابن عباس رض ان البعث بعد الموت وفى الآثار
من حرمه امر فقال ربنا خمس مرات الحاه الله مما يخاف واعطاه مما اراد وقرأ من الآية فاستجاب لهم ربهم الاستجابة
بمعنى الاجابة وقال ناجح النوآء الاجابة عامة والاستجابة خاصة باعطاء المسئول وبتعدى باللام وبنفسها كما قال فلم يستجبه عند
ذلك مجيب وهو عطف على الاستئناف المقدر فيما سلف مترتب على ما فى حيزه من الادعية كما ان قوله عز وجل ثم قيل للذين ظلموا الآية
عطف على قيل المقدر قبل الآن اى قيل لهم الآن امنتم به ثم قيل الآية وكما ان قوله تعالى فى سورة الاعراف ونطبع على قلوبهم معطوف على اولم
يهد اولم يهد لهم كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ والضمير فيه افصلا فيهما صيغة لما ان صيغة المستقبل هناك للدلالة على الاستمرار
المناسب لمقام الدعاء وصيغة الماضى ههنا للايذان بتحقق الاستجابة وتقررها كما ضير فى الاختلاف بين قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم
وبين ما عطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سيأتى ويجوز ان يكون معطوفا على مضمر ينساق اليه الذهن اى دعوا بهذه الادعية
فاستجاب الخ فان الاستجابة المترتبة على دعواتهم للاعلى مجرد تفكرهم وحيث كانت هى من اوصافهم الجميلة المترتبة على اعمالهم بالآخرة
استحقت الانتظام فى سلك محاسنهم المعدودة فى اثناء مدحهم واما على تقدير كون الموصول نعتا لاولى الالباب فلا مساغ لهذا العطف
اصلا لما عرفت من ان حق ما فى حيز الصلة ان يكون من مبادى جريان الحكم على الموصول وقد عرفت ان دعواتهم السابقة ليست
كذلك فابين الاستجابة المتأخرة عنها وفى التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم من تشريفهم
واظهار اللطف بهم مالا يخفى انى لا اضيع عمل عامل منكم اى باتى وهكذا قرئ ابى ع والباء للتسببية كانه قيل فاستجاب
لهم ربهم بسبب انه لا يضيع عمل عامل منهم اى سنته السنية مستمرة على ذلك والالتفات الى التكلم والخطاب لاظهار كمال الاعتناء
بشان الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب والمراد تأكيد ما يبيان سببها والاشعار بان مدار اعمالهم التى قدموا
بها على الدعاء لمجرد الدعاء وتعميم الوعد لسائر العاملين وان لم يبلغوا درجة اولى الالباب لتأكيد استجابة الدعوات المذكورة
والتعبير عن درك الاثابة بالاضاعة حقيقة اذ الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها البيان كمال تنزاهته تعالى عن ذلك
بتصويره بصورة يستحيل صدوره عنه من القبائح وابراز الاثابة فى معرض الامور الواجبة عليه وقرئ بكسر الهمزة على ارادة
القول اى قائلا انى الخ فلا التفات ح وقرئ لا اضيع بالتشديد ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل اى عامل كائن منكم
وقوله تعالى من ذكر او انثى بيان لعامل وتأكيد لعمومه وقوله تعالى بعضكم من بعض جملة معترضة مبينة لسبب انتظام
النساء فى سلك الرجال فى الوعد فان كون كل منهما من الآخر لتشعبهما من اصل واحد ولزوم الاتصال بينهما اولا وانتظامهما
فى الدين والعمل مما يستدعى الشركة والاتحاد فى ذلك روى ان ام سلمة رض قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى اسمع الله
تعالى يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى فالذين هاجروا ضرب بتفصيل لما اجمل فى العلم وتعداد لبعض
احاسن افراده على وجه المدح والتعظيم فالذين هاجروا الشرك والاوطان والعشائر للدين وقوله تعالى واخرجوا من ديارهم
على الاول عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثانى عن كيفيتها وكونها بالقسر والاضطرار واوذوا فى سبيلى بسبب ايمانهم
بالله ومن اجله وهو يتناول الكل اذ ما نالهم من المشركين وقاتلوا اى الكفار فى سبيل الله تعالى وقتلوا استشهدوا
فى القتال وقرئ بالعكس لما ان الواو لا تستدعى الترتيب اصلا ان المراد قتل بعضهم وقتال آخرين او ليس المعنى على ان كل فرد
من افراد الموصول بالمذكور لكل واحد مما ذكر فى حيز الصلة على اتصاف الكل بالكل فى الجملة سواء كان ذلك باتصاف

كل

كل فرد من الموصول بواحد من الاوصاف المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق التوزيع او بطريق حذف بعض الموصولات
من البين كما هو راى الكوفيين كيف لا ولو اديرا لحكم على اتصاف كل فرد بالكل لكان قد اضيع عمل من النصف بالبعض وقرئ قتلوا بالتشديد
لاكفرن عنهم سيئاتهم جواب قسم محذوف اى والله لاكفرن والجملة المعتمية خبر للمبتدا الذى هو الموصول وهذا تصريح بوعد ما سال الداعون
او بخصوصه بعد ما وعد ذلك عمومًا وقوله تعالى ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار اشارة الى ما عبر عنه الداعون فيما قبل
بقولهم وآتنا ما وعدتنا على رسلك وتغييرٌ له ثوابًا مصدر مؤكد لما قبله فان تكفير السيئات وادخال الجنة فى معنى الاثابة وقوله تعالى
من عند الله متعلق بمحذوف مبينة هو صفة له شرفه اى لاثيبهم اثابة كائنة او تثويبا كائنا من عنده تعالى بالغا الى المرتبة القاصية
من الشرف فى قوله تعالى والله عنده حسن الثواب اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله والاسم الجليل مبتدا خبره عنده وحسن الثواب
ومرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او هو مبتدا ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتدا الاول والعندية عبارة عن الاختصاص
برحمته تعالى مثل كونه بقدرته تعالى وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال شئ يكون بحضرة احد لا بد عليه لغيره فالاختصاص مستفاد من التمثيل سواء جعل
عنده خبرا مقدما لحسن الثواب اولا وقد تصدير الوعد الكريم بعد اضافة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الامر الذى لا تيار دقدر من لطف
المسلك المنبئ عن عظم شان المحسن ما لا يخفى لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد لبيان قبح ما اوتى الكفرة من حظوظ الدنيا
وكشف عن حقارة شانها وسوء مصيرها اثر بيان حسن ما اوتى المؤمنون من الثواب والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم على ان المراد
تثبيته على ما هو عليه كقوله تعالى ولا تطع المكذبين او على ان المراد نهى المؤمنين كما يوجه الخطاب الى مدارة القوم ورؤسائهم والمراد نهى كل
احد ممن يصلح للخطاب من المؤمنين والنهى للمنى طلب وانما جعل للتقلب مبالغة اى لا تنظر ما عليه الكفرة من السعة ووفور الحظ والتقلب
بظاهر ما ترى منهم من التبسط فى المكاسب والمتاجر والمزارع روى ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين فى خصب ولين عيش
فيقولون ان اعداء الله تعالى فيما يرى من الخير فقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل
خبر لمبتدا محذوف اى هو متاع قليل لا قدر له فى جنب ما ذكر من ثواب الله تعالى قال عليه السلام ما الدنيا فى الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم
اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع فاذا لا يجدى وجوده لواجديه ولا يفتقر فقدانه لفاقديه ثم مأويهم اى مصيرهم الذى يأوون اليه
لا يرجعون جهنم التى لا يوصف عذابها وقوله تعالى وبئس المهاد ذم لها وايذان بان مصيرهم اليها مما جنته انفسهم وكسبته
ايديهم والمخصوص بالذم محذوف اى بئس ما مهدوا لانفسهم جهنم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها بيان لكمال حسن حال المؤمنين عقيب بيان وتكرير له اثر تقرير مع زيادة خلودهم فى الجنات يتم بذلك سرورهم ويزداد
تبجحهم ويتكامل به سوء حال الكفرة وايراد التقوى فى حيز الصلة للاشعار بكون الخصال المذكورة من باب التقوى والمراد به الاتقاء من
الشرك والمعاصى فالموصول مبتدا والظرف خبره وجنات مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او الظرف خبر لجنات والجملة خبر
للموصول وخالدين اى فى الجنات حال مقدرة من الضمير او من جنات لتخصيصها بالوصف والعامل فيه ما فى الظرف من الاستقرار
نزلا من عند الله وقرئ بسكون الزاء وهو ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما قال ابو الشعثاء الضيف كفاه الجبار
بالجيش ضافيا وجعلنا الغداء والمرعفات له نزلا وانتصابه على الحالية من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما فى الظرف
من الاستقرار وقيل هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله تعالى وما عند الله خير مبتدا وخبر وقوله تعالى
للابرار متعلق بمحذوف هو صفة لخير اى ما عنده تعالى من الامور المذكورة الدائمة خير كائن للابرار اى مما يتقلب فيه الفجار
من المتاع القليل الزائل والتعبير عنهم بالابرار للاشعار بان الصفات المعدودة من اعمال البر كانها من قبيل التقوى والجملة
تذييل لما قبلها وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله جملة مستانفة سيقت لبيان ان اهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت
بهاتهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة قيل هم عبد الله بن سلام واصحابه

وقيل هم اربعون من اهل نجران واثنان وثلثون من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل المراد به اصحمة النجاشي
فانه لما مات نعاه جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع
فنظر الى ارض الحبشة فانفجرت سريره النجاشي فصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه
فنزلت وانما دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كما في قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن
وما انزل اليهم من الكتابين وتاخير ايمانهم بهما انما يعتبر بتبعية ايمانهم به اذ لا عبرة باحكامهما المنسوخة وما لم ينسخ منها انما يعتبر
من حيث تبوئه بالقرآن وتعلق ما بعد بهما والمراد بايمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم كما هو دين المحرفين واتباعهم من العامة
خاشعين حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا تقريع للمحرفين والجملة حال كما قبلها ونظمها
في سلك محاسنهم ليس من حيث عدم الاشتراء فقط بل لتضمن ذلك لاظهار ما في الكتابين من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم اولئك
اشارة اليهم من حيث اتصافهم بالمحامد وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة وهو مبتدأ
خبره قوله تعالى لهم وقوله اجرهم اي المختص بهم الموعود لهم بقوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين وقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته
مرتفع بالظرف على الفاعلية او على الابتداء والظرف خبره والجملة خبر لاولئك وقوله تعالى عند ربهم نصب على الحالية من اجرهم
والمراد به التشريف كالصفة ان الله سريع الحساب لتفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقه كل عالم من الاجر من غير حاجة
الى تامل والمراد بيان سرعة وصول الاجر الموعود اليهم يا ايها الذين آمنوا اثر ما بين في تضاعيف السورة الكريمة من فنون
الحكم والاحكام ضمنه بما يوجب المحافظة عليها فقيل اصبروا اي على مشاق الطاعات وغير ذلك من المكاره والشدائد
وصابروا اي غالبوا اعداء الله تعالى بالصبر في مواطن الحروب واعدى عدوكم بالصبر على مخالفة الهوى وتخصيص المصابرة بالامر
بعد الامر بمطلق الصبر لكونها اشد منه واشق ورابطوا اي اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدة له
قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله
كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله في مخالفة امره على الاطلاق
فيندرج فيه ما ذكر في تضاعيف السورة الكريمة اندراجا اوليا لعلكم تفلحون كي تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين
بكل مطلوب الناجين عن كل المكروب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه
صلى الله عليه وسلم من قرا السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه والملئكة حتى تحل الشمس الحمد لله رب العالمين

سورة النساء مائة وست وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين حينئذ والحادثين بعد ذلك
الى يوم القيمة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فان خطاب المشافهة لا يتناول الغائبين عن درجة التكليف الا عند الحنابلة
بل انما بطريق تغليب الموجود الاول على الاخيرين واما بطريق تعميم حكمه لهما بدليل خارجي فان الاجماع منعقد على ان آحاد الامة مكلف بما كلف
به اولها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام الحلال ما جرى على لساني الى يوم القيمة والحرام ما جرى على لساني الى يوم القيمة وقد فصل في موضعه واما الاقدار
الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب لاختصاص الاوامر والنواهي بمن يتصور منه الامتثال واما ادراجهم في خطاب ما عداها مما
دخل في تاكيد التكليف وتقويته للايجاب فستوقف حاله ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر في قوله
عز وجل اتقوا ربكم فواردة على طريقة التغليب لعدم تناولها حقيقة للاناث عند غير الحنابلة واما ادخالهن في الامر بالتقوى
بما ذكر من الدليل الخارجي وان كان فيه مراعاة جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص لفظ الناس ببعض افراده والمامور به امر مطلق بالتقوى
التي هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك واما التقوى فيما يتعلق بحقوق ابناء الجنس اي التقوة في مخالفة اوامره ونواهيه

على الاطلاق او في مخالفة تكاليفه الواردة ههنا واما ما كان فالتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة
الى ضمير المخاطبين لتأييد الامر وتأكيد ايجاب الامتثال به على طريقة الترغيب والترهيب وكذا وصف الرب بقوله تعالى الذى خلقكم
من نفس واحدة فان خلقه تعالى اياهم على هذا النمط البديع لانبائه عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التى من جملتها عقابهم على معاصيهم
وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها من اقوى الدواعى الى الاتقاء من موجباته واتم الزواجر عن كفران نعمه وكذا جعله تعالى اياهم صنوانا
مفرعة من ارومة واحدة هى نفس آدم عليه السلام من موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب فى ربكم
وخلقكم للامم السالفة ايضا مع اختصاصه فيما قبل بالمامورين بناء على ان تذكير شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل من مؤكدات الامر
بالتقوى وموجبات الامتثال به فعليك بالنظم الكريم مع الاستغناء عنه لان خلقه تعالى للمامورين من نفس آدم عم حيث كان بواسطة
ما بينهم وبينه عم من الآباء والامهات كان التعرض لخلقهم متضمنا للتعرض لخلق الوسائط جميعا وكذا التعرض لربوبيته تعالى لهم
متضمن للتعرض لربوبيته تعالى لاصولهم قاطبة لا سيما وقد نطق بذلك قوله عز وجل وخلق منها زوجها فانه مع ما عطف عليه
صريح فى ذلك وهو معطوف اما على مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لان تفريع الفروع من اصل واحد يستدعى انشاء ذلك الاصل لا محالة
كانه قيل خلقكم من نفس واحدة خلقها اولا وخلق منها زوجها وهو استيناف مسوق لتقرير وحدة المبدأ وبيان كيفية خلقهم منه
وتفصيل ما اجمل اولا او صفة لنفس مفيدة لذلك واما على خلقكم داخل معه فى حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر واعادة الفعل مع جواز
عطف مفعوله على مفعول الفعل الاول كما فى قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم الخ لاظهار ما بين الخلقين
من التفاوت فان الاول بطريق التفريع من الاصل والثانى بطريق الانشاء من المادة فانه تعالى خلق حواء من ضلع آدم عم
روى انه عز وجل لما خلقه عم واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء من ضلع من اضلاعه
اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتأخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم لما ان تذكير خلقهم ادخل فى تحقيق ما هو المقصود من حملهم على
الامتثال بالامر بالتقوى من تذكير خلقها وتقديم الجار والمجرور للاعتناء ببيان مبدئيته عم لها مع ما فيه من التشويق الى المؤخر
كما مر مرارا وايرادها بعنوان الزوجية تمهيد لما بعده من التناسل وبث منهما اى نشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة
منها بطريق التوالد والتناسل رجالا كثيرا نعت لرجالا مؤكد لما افاده التنكير من الكثرة والافراد باعتبار معنى الجمع
او العدد وقيل هو نعت لمصدر مؤكد للفعل اى بثا كثيرا ونساء اى كثيرة وترك التصريح بها للاكتفاء بالوصف
المذكور وايثارهما على ذكورا واناثا لتأكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الافراد المبثوثة لمبدئية غيره
وقرئ وخالق وباث على حذف المبتدأ اى وهو خالق وباث واتقوا الله الذى تساءلون به تكرير للامر وتذكير
لبعض آخر من موجبات الامتثال به فان سؤال بعضهم بعضا بالله تعالى بان يقولوا اسألك بالله وانشدك بالله تعالى على سبيل
الاستعطاف يقتضى الاتقاء من مخالفة اوامره ونواهيه وتعليق الاتقاء بالاسم الجليل لمزيد التأكيد والمبالغة فى الحمل على الامتثال
بتربية المهابة وادخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا بغيره من اسمائه تعالى وصفاته وتساءلون اصله تتساءلون فطرحت احدى
التائين تخفيفا وقرئ بادغام تاء التفاعل فى السين لتقاربهما فى الهمس وقرئ تسألون من الثلاثى اى تسألون به غيركم وقد فسر
به القراءة الاولى والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما فى قولك رأيت الهلال وتراءيناه وبه فسر تساءلون على وجه
وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة الى السين والارحام بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او نصبه
قراءة تساءلون به وبالارحام فانهم كانوا يقرنونها فى السؤال والمناشدة بالله عز وجل ويقولون اسألك بالله وبالرحم
او عطفا على الاسم الجليل اى اتقوا الله والارحام وصلوها ولا تقطعوها فان قطيعتها مما يجب ان يتقى وهو قول مجاهد وقتادة
والسدى والضحاك والفراء والزجاج وقد جوز الواحدى نصبه على الاغراء اى والزموا الارحام وصلوها وقرئ بالجر عطفا

على التصير المجرور وبالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اى مما يتقى او يتساءل به وتقديمه سبحانه وتعالى
حيث قرنها باسمه الجليل على ان صلتها بمكان منه كما في قوله تعالى ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعنه عليه السلام الرحم
معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا اى حافظا ومراقبا وهي صيغة مبالغة من
رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا اذا احد النظر لامر يريد تحقيقه اى حافظا مطلقا على جميع ما صدر عنكم من الافعال والاقوال
وعلى ما في ضمائركم من النيات مريدا للمجازاة بذلك وهو تعليل للامر ووجوب الامتثال به واظهار الاسم الجليل لتاكيد وتقديم الجار والمجرور
لرعاية الفواصل وآتوا اليتامى اموالهم شروع في تفصيل موارد الابتلاء ومظانه بتكليف ما يقابلها امرا ونهيا عقيب الامر
بحفظ قرة بعد اخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى لاظهار كمال العناية بامرهم ولملابستهم بالارحام اذ الخطاب للاولياء والاوصياء
وقلما يفوض الوصاية الى الاجانب واليتيم من مات ابوه من الانعام وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وجمعه على يتامى لانه
لما جرى مجرى الاسماء جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى اولانه لما كان من وادي الاجوف جمع على يتمى ثم جمع يتمى على يتامى والالتفات
يقتضي صحة الطلاقه على الكبار ايضا واختصاصه بالصغار مبني على الوفاء واما قوله عليه الصلوة والسلام لا يتم بعد الحلم فتعليم
للشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ اى لا يجري على اليتيم بعد حكم الايتام والمراد بايتاء اموالهم قطع المطامع عن اطماعهم الفارغة عنها
وكف اكفهم الخاطفة عن احرازها وتركها على حالها غير معترض لها بسوء حتى تاتيهم وتصل اليهم سالمة كما ينبئ عنه ما بعد من النهي
عن التبدل والاكل لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وايناس الرشد على ما ينطق به قوله تعالى حتى اذا بلغوا الآية وانما عبر
عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان بانه ينبغي ان يكون مرادهم بذلك ايصالها اليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم اما الصغار
على ما هو المتبادر والاحراص بمن يتولى امرهم من الاولياء والاوصياء وشمول حكمه لاولياء من كان بالغا عند نزول
الآية بطريق الدلالة دون العبارة واما من جرى عليه اليتم في الجملة مجازا اعم من ان يكون كذلك عند النزول او بالغا
فالامر شامل لاولياء الفريقين صيغة موجب عليهم ما ذكر من حفظ اموالهم والتحفظ عن اضاعتها مطلقا واما وجوب الدفع الى الكبار
فمستفاد مما ياتي من الامر به وقيل المراد بهم الصغار وبالايتاء الاعطاء في الزمان المستقبل وقيل اطلق اسمهم على الكبار
بطريق الاتساع لقرب عهدهم باليتم حثا للاولياء على المبادرة الى دفع اموالهم اليهم اول ما بلغوا قبل ان يزل اسمهم المعهود
فالايتاء بمعنى الاعطاء بالفعل وبايا ما ياتي من قوله تعالى وابتلوا اليتامى الخ فان ما فيه من الامر بالدفع وارد على وجه التكليف
الاتي لا على وجه تعيين وقته او بيان شرطه فقط كما هو مقتضى القولين واما تعميم الاسم للكبار والصغار مجازا بطريق
التغليب مع تعميم الايتاء للايتاء حالا وللايتاء مآلا وتعميم الخطاب لاولياء كلا الفريقين على ان من بلغ منهم فوكيله مامور
بالدفع اليه بالفعل وان من لم يبلغ بعد فوليه مامور بالدفع اليه عن بلوغه رشيدا فمع ما سبق تكلف لا يخفى فالاسب بما تقدم من حمل ايتاء
اموالهم اليهم على ما يؤدي اليه من ترك التعرض لها بسوء كما يلوح به التعبير عن الاعطاء بالفعل بالدفع سواء اريد باليتامى الصغار
والكبار كما ذكر آنفا واما ما روي من ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له فلما بلغ طلب منه ماله فمنعه فنزلت
فلما سمعها قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فغير فادح في ذلك لما ان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب
ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب نهي عن اخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهي الضمني عن اخذه على الاطلاق وتبدل الشيء بالشيء
واستبداله به اخذ الاول بدل الثاني بعد ان كان حاصلا او في شرف الحصول يستعملان ابدا باعتبار انتهائهما الى الحاصل باعتبار نفسهما والى
التامل بالعكس كما في قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان وقوله تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير واما التبديل فيستعمل تارة
كذلك كما في قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين الخ واخرى كما في قولك بدلت الحلقة بالخاتم اذا اذبتها وجعلتها خاتما نص عليه
الازهري ومرة اخرى باعتبار اضافته الى مفعوليه بنفسه كما في قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب ان كان

هو الحرام والحلال فالمنهي استبدال مال اليتيم بمال انفسهم مطلقاً كما قاله الفراء والزجاج وقيل معناه لا تذروا اموالكم الحلال
وتأكلوا الحرام من اموالهم فالمنهي عنه اكل ماله مكان مالهم المحقق او المقدر وقيل هو اخذ ماله مكان حفظه واياً ما كان
فانما عبر عنهما بهما تنفيراً عما اخذوه وترغيباً فيما اعطوه وتصويراً لمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل وان كان هو الردي والجيد
فمورد النهي ما كانوا عليه من اخذ الجيد من مال اليتيم واعطاء الردي من مال انفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي
وتخصيص هذه المعاملة بالنهي لخروجها مخرج العادة لا لاباحة ما عداها واما التعبير عنها بتبدل الخبيث بالطيب مع انها تبديله به او تبدل
الطيب بالخبيث فللايذان بان الاولياء حقهم ان يكونوا في المعاوضات عاملين لليتيم لا لانفسهم مراعين لجانبه قاصدين لجلب المجلوب اليه
مشترىً كان او ثمناً لا لسلب المسلوب عنه ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم نهي عن منكر آخر كانوا يتعاطونه اي لا تأكلوها مضمومة
الى اموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وقد خص من ذلك مقدار اجر المثل عند كون الولي فقيراً انه اي الاكل المفهوم
من النهي كان حوباً اي ذنباً عظيماً وقرئ بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوباً وقرئ حاباً وهو ايضاً مصدر كقال قولاً وقالاً
كبيراً مبالغة في بيان عظم ذنب الاكل المذكور كانه قيل من كبار الذنوب العظيمة لا من احادها وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى
الاقساط العدل وقرئ بفتح التاء فقيل هو من قسط اي جار ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم وقيل هو بمعنى اقسط فان الزجاج حكى
ان قسط يستعمل استعمال اقسط والمراد بالخوف العلم كما في قوله تعالى فمن خاف من موص جنفاً عبر عنه بذلك ايذاناً بكون المعلوم مخوفاً
محذوراً لا معناه الحقيقي لان الذي علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه والا لم يكن الامر شاملاً لمن يصبر على الجور
ولا يخافه وهذا شروع في النهي عن منكر آخر كانوا يباشرونه متعلق بانفس اليتامى اصالة وباموالهم تبعاً عقيب النهي عما يتعلق
باموالهم خاصة وتأخيره عنه لقلة وقوع المنهي عنه بالنسبة الى الاول ونزوله منه منزلة المركب من المفرد انهم كانوا يتزوجون من يحل
لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا لرغبة فيهن بل في مالهن ويسيئون في الصحبة والمعاشرة ويتربصون بهن ان يمتن فيرثوهن
وهذا قول الحسن وقيل هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن
الا ان تقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النساء وهذا قول الزهري رواية عن عروة عن عائشة
واما اعتبار اجتماع عدد كثير منهن كما اطبق عليه اكثر اهل التفسير حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها
فيتزوجها ضناً بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن الخ فلا يساعده الامر بنكاح غيرهن فان المحذور حينئذ يندفع بتقليل عدد من
اي وان خفتم ان لا تعدلوا في حق اليتامى اذا تزوجتم بهن باساءة العشرة او بنقص الصداق فانكحوا ما طاب لكم ما موصولة
او موصوفة وما بعدها صلتها او صفتها اوثرت على من ذهاباً الى الوصف وايذاناً بان المقصود بالذات والغالب في الاعتبار بناءً
على ان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء لاخلاله بمقام الترغيب فيهن وقرأ ابن ابي عبلة من طاب ومن في قوله عز وجل من النساء
بيانية وقيل تبعيضية والمراد بهن غير اليتامى بشهادة قرينة المقام اي فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الاجنبيات وفي ايثار
الامر بنكاحهن على النهي عن نكاح اليتامى مع انه المقصود بالذات مزيد لطف في استنزالهم عن ذلك فان النفس مجبولة على الحرص على ما منعت
منه كما ان وصف النساء بالطيب على الوجه الذي اشير اليه فيه مبالغة في الاستمالة اليهن والترغيب فيهن وكل ذلك للاعتناء بصرفهم
عن نكاح اليتامى وهو السر في توجيه النهي الضمني الى النكاح المترقب مع ان سبب النزول هو النكاح المحقق لما فيه من المسارعة الى دفع
الشر قبل وقوعه فرب واقع لا يرفع والمبالغة في بيان حال النكاح المحقق فان محظورية المترقب حيث كانت للجور المترقب فيه فمحظورية المحقق
مع تحقق الجور فيه اولى وقيل المراد بالطيب الحل اي ما حل لكم شرعاً لان ما استطابوه شامل للمحرمات ولا مخصص له بما عداهن وفيه فرار
من محذور ووقوع فيما هو افظع منه لان ما حل لهم مجمل وقد تقرر ان النص اذا تردد بين الاجمال والتخصيص يحمل على الثاني لان العام
المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة قبل ورود البيان اصلاً ولئن جعل قوله تعالى حرمت عليكم الخ دالاً على التفصيل بناءً

رد للبيضاوي والنسفي

قوله ذهاباً الى الوصف يعني استعملت كلمة
ما في الناس مع اختصاصها باستعمالها
في غير ذوي العقول لان التعرض
ومن انما هي اذا اريد بها الذوات واما اذا اريد بها
الصفة كما تقول في الاستفهام ما زيد اي اي فاضل
ام كريم فيعبر عنه بالكلمة دون من بحكم الوضع كما ذكره
صاحب الكشاف وصاحب المغني وغيرهما وههنا
المراد الصفة اي انكحوا الموصوفة باي صفة اردتم
من السكر والثيوبة والشابة واضدادها الى غير ذلك
من الاوصاف كذا
زروي

على ادعاء تقدمه فى التنزيل بل فليجعل دالا على التخصيص **مثنى وثلاث ورباع** معدولة عن اعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين
عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وقيل للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان لم يكن اصولها كذلك وقرئ وثلث وربع على القصر من ثلاث
ورباع ومحلهن النصب على انها حال من فاعل طاب مؤكدة لما افاده وصف الطيب من الترغيب فيهن والاستمالة اليهن بتوسيع دائرة الاذن
اى فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا حسبما تريدون على معنى ان لكل واحد منهم ان يختار
اى عدد شاء من الاعداد المذكورة لا ان بعضها لبعض منهم وبعضها لبعض آخر كما فى قولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين
وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افردت لفهم منه تجويز الجمع بين تلك الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة او لفات تجويز الاختلاف فى العدد
هذا وقد قيل فى تفسير الآية الكريمة لما نزلت الآية فى اليتامى وما فى اكل اموالهم من الحوب الكبير اخذ الاولياء يتحرجون من ولايتهم خوفا
من لحوق الحوب بترك الاحتياط مع انهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل فى حقوق النساء حيث كان تحت الرجل منهم عشر منهن فقيل لهم
ان خفتم ترك العدل فى حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب
او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب عنه وقيل كانوا لا يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور فى حق اليتامى فخافوا
الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات ولا يخفى انه لا يساعدهما جزالة النظم الكريم لابتنائهما على تقدم نزول الآية الاولى
وشيوعها بين الناس مع ظهور توقف حكمها على ما بعدها من قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء الى قوله تعالى وكفى بالله حسيبا **فان خفتم**
الا تعدلوا اى فيما بينهن ولو فى اقل الاعداد المذكورة كما خفتموه فى حق اليتامى او كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الاعداد
فواحدة اى فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية وقرئ بالرفع اى فالمقنع واحدة او فحسبكم واحدة **او ما ملكت**
ايمانكم اى من السرارى بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة على ان اللزوم والاختيار فيه بطريق التسرى لا بطريق
النكاح كما فيما عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين فى الموضعين بخلاف ما سيأتى من قوله تعالى
ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات فمما ملكت ايمانكم فان المأمور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك اليمين وانما سوى فى السهولة
واليسر بين الحرة الواحدة وبين السرارى من غير حصر فى عدد لقلة تبعتهن وخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم فيهن وقرئ او من ملكت ايمانكم
وما فى القراءة المشهورة للايذان بقصورهن عن رتبة العقلاء **ذلك** اشارة الى اختيار الواحدة والتسرى **ادنى الا تعولوا**
العول الميل من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال فى الحكم اى جار والمراد ههنا الميل المحظور المقابل للعدل اى ما ذكر من اختيار الواحدة
والتسرى اقرب بالنسبة الى ما عداهما من ان لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه رأسا بانتفاء محله فى الاول وانتفاء خطره فى الثانى
بخلاف اختيار العدد فى المهائر فان الميل متوقع فيه لتحقق المحل والخطر ومن ههنا تبين ان مدار الامر هو عدم العول لا تحقق العدل
كما قيل وقد فسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اى مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤنة على طريقة الكناية
ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجه كون التسرى مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السرارى
انه يجوز العزل عنهن بغير رضاهن ولا كذلك المهائر والجملة مستأنفة جارية مما قبلها مجرى التعليل **وآتوا النساء** اى اللاتى
امر بنكاحهن **صدقاتهن** جمع صدقة كسمرة وهى المهر وقرئ بسكون الدال على التخفيف وبفتح الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة
وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة فى ظلمة **نحلة** قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد فريضة من الله تعالى
لانه مما فرضه الله تعالى فى النحلة اى الملة والشرعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات اى اعطوهن مهورهن حال كونها فريضة
منه تعالى وقال الزجاج تدينا فانتصابها على انها مفعول له اى اعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبى نحلة اى هبة وعطية من الله تعالى
وتفضلا منه عليهن فانتصابه على الحالية منها ايضا وقيل عطية من جهة الازواج من نحله كذا اى اعطاه اياه ووهبه له
عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا والتعبير عن ايتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضى

او كما لم تعدلوا
فى حقوقهن

وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء كأنه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اى اعطوهن
مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحالية من ضمير آتوا اى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى النفوس بالاعطاء او من الصدقات اى منحولة
معطاة عن طيبة الانفس فالخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم مولياتهم وكانوا يقولون هنيئا لك
النافجة لمن يولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك اى تعظمه فان طبن لكم عن شيء منه الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه
مجرى ذلك فانه قد يشار به الى المتعدد كما فى قوله عز وجل قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات المعدودة وقد روى عن رؤبة انه حين
قيل له فى قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه فى الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط ينبغى ان تقول كأنها قال لكنى اردت كأن ذاك
او للصداق الواقع موقعه صدقاتهن كأنه قيل وآتوا النساء صداقهن كما فى قوله فاصدق واكن حيث عطف اكن على ما دل عليه المذكور
ووقع موقعه كأنه قيل فاصدق واكن واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافى والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع
صفة لشيء اى كائن من الصداق وفيه بعث لهن الى تقليل الموهوب نفسا تمييز والتوحيد لما ان المقصود بيان الجنس اى ان وهبن
لكم شيئا من الصداق متجافيا عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى البذل من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم لكن عدل
عن لفظ الهبة والسماحة الى ما عليه النظم الكريم ايذانا بان العمدة فى الامر انما هو طيب النفس وتجافيها عن الموهوب بالمرة فكلوه
اى فخذوا ذلك الشيء الذى طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات المالية
هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنئ الذى يلذه الآكل والمرئ ما يحمد
عاقبته وقيل ما يساغ فى مجراه الذى هو المرئ وهو ما بين الحلقوم الى فم المعدة سمى بذلك لمروء الطعام فيه اى انسياغه ونصبهما
على انهما صفتان للمصدر اى اكلا هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كأنه قيل هنئا به ومرءا
وهذا عبارة عن التحليل والمبالغة فى الاباحة وازالة التبعة روى ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا
مما ساقه اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم رجوع الى بيان بقية الاحكام المتعلقة باموال اليتامى وتفصيل ما اجمل
فيما سبق من شرط ايتائها ووقته وكيفيته اثر بيان بعض الاحكام المتعلقة بانفس النساء اعنى نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة
بغيرهن من الاجنبيات من حيث النفس ومن حيث المال استطرادا والخطاب للاولياء نهوا ان يؤتوا المبذرين من اليتامى اموالهم مخافة
ان يضيعوها وانما اضيفت اليهم وهى لليتامى لا نظرا الى كونها تحت ولايتهم كما قيل فانه غير مصحح لاتصافها بالوصف الآتى
بل تنزيلا لاختصاصها باصحابها منزلة اختصاصها بالاولياء فكان اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسى والنسبى
مبالغة فى حملهم على المحافظة عليها كما فى قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اى لا يقتل بعضكم بعضا حيث عبر عن بنى نوعهم بانفسهم مبالغة
فى زجرهم عن قتلهم فكان قتلهم قتل انفسهم وقد ايد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها مناطا لمعاش الاولياء
فقيل التى جعل الله لكم قياما اى جعلها الله شيئا تقومون به وتنتعشون على حذف المفعول الاول فلو ضيعتموه لضعتم ثم زيد فى
المبالغة حتى جعل ما به القيام قياما فكأنها فى انفسها قيامكم وانتعاشكم وقيل انما اضيفت الى الاولياء لانها من جنس ما يقيم الناس
معائشهم حيث لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التى هى معنى ما يقام به المعاش وتميل اليه القلوب ويدخر لاوقات
الاحتياج وهى بهذا الاعتبار لا تختص باليتامى وانت خبير بان ذلك بمعزل من حمل الاولياء على المحافظة المذكورة كيف لا والوحدة
الجنسية المالية ليست مختصة بما بين اموال اليتامى واموال الاولياء بل هى متحققة بين اموالهم واموال الاجانب فاذن
لا وجه لاعتبارها اصلا وقرئ اللاتى واللواتى وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرئ قواما بكسر القاف وهو
ما يقام به الشيء او مصدر قاوم وقرئ بفتحها وارزقوهم فيها واكسوهم اى واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا وتربحوا
حتى تكون نفقاتهم من الارباح لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان والمراد نهيه عن ان يفوض امره الى من لا رشد له

من نسائه واولاده وكلامه وغير ذلك ولا يخفى ان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم وقولوا لهم قولا معروفا اى كلاما لينا تطيب به نفوسهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه شرعا وعقلا فهو معروف وابتلوا اليتامى شروع فى تعيين وقت تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر باتيانها على الاطلاق والنهى عنه عند كون اصحابها سفهاء اى واختبروا من ليس منهم بان السفه قبل البلوغ بتتبع احوالهم فى صلاح الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا من اهل التجارة فبان تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع واهل وخدم فبان تعطوهم منه ما يصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى يتبين لكم كيفية احوالهم حتى اذا بلغوا النكاح بان يحتلموا لانهم يصلحون عند للنكاح فان آنستم اى شاهدتم وتبينتم وقرئ احستم بمعنى احسستم كما فى قول من قال خلا ان العتاق من المطايا احس به وبهن اليه شوس منهم رشدا اى اهتداء الى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او للاعتداد بمبدأيته له والتنوين للدلالة على كفاية رشد فى الجملة وقرئ بفتح الراء والشين وبضمهما فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ وفى ايتاء الدفع على الايتاء الوارد فى اول الامر ايذان بتغايرهما بحسب المعنى كما اشير اليه فيما سلف ونظم الآية الكريمة ان حتى هى التى تقع بعدها الجمل كالتى فى قوله فما زالت القتل بهم دمارا بجلة حتى ماء دجلة اشكل وما بعدها جملة شرطية جعلت غاية للابتلاء وفعل الشرط بلغوا وجوابه الشرطية الثانية كانه قيل واتبلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وظاهر الآية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه ماله ابدا وبه اخذ ابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثمانى عشرة سنة فاذا زدت عليها سبع سنين وهى مدة معتبرة فى تغير احوال الانسان لما قالوا لم مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشدا ولم يونس ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا اى مسرفين ومبادرين كبرهم تاكلون فى انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهى قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا والجملة تاكيد الامر بالدفع وتقرير لها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف اى عن مال اليتيم فليتنزه من اكلها وليقتنع بما آتاه الله تعالى من الغنى والرزق اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله ومن كان من الاولياء والاوصياء فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته الضرورية واجرة سعيه وخدمته وفى لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف ما يدل على ان للوصى حقا لقيامه عليها عن النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له عليه السلام ان فى حجرى يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ولى اليتيم قال له ان اشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغى ضالتها وتلوط حوضها وترنأ جوبانا وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك فى الحلب وعن مجاهد بن كعب معرم كما سوا البهمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبى يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه انه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضى وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر قضى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر وليس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو فى حل وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى انزلت نفسى من مال الله تعالى منزلة والى اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعف ابلغ من عف كانه يطلب زيادة العفة فاذا دفعتم اليهم اموالهم بعد ما راعيتم الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور على المفعول القبيح للاهتمام به فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عهدتها ذمتكم لما ان ذلك ابعد من التهمة وانفى للخصومة وادخل فى الامانة وبراءة الساحة وان لم يكن ذلك واجبا عند اصحابنا فان الوصى مصدق

فى الدفع مع اليمين خلافا لمالك والشافعى رح وكفى بالله حسيبا اى محاسبا فلا تخالفوه فيما امركم به ولا تجاوزوا ما حُدَّ لكم
للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون شروع فى بيان احكام المواريث بعد بيان احكام اموال اليتامى المتعلقة بهم
بالارث والمراد بالاقربين المتوارثون منهم ومما متعلقة بمحذوف وقع صفة لنصيب اى لهم نصيب كائن مما ترك وقد جوز تعلقها
بنصيب وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ايراد حكمهن على الاستقلال دون التدرج فى تضاعيف احكامهم
بان يقال للرجال والنساء للاعتناء بامرهن والايذان باصالتهن فى استحقاق الارث والاشارة من اول الامر الى تغلوت ما بين
نصيبى الفريقين والمبالغة فى ابطال حكم الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب
ويذب عن الحوزة روى ان اوس بن ثابت الانصارى حلف زوجة كحة وثلث بنات فروى ابنا عمه سويد وعرفطة اقرباؤه
وعرفة عيرانة عنهن على سنة الجاهلية فجاءت امرأته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه فقال ص حتى انظر ما يحدث الله تعالى
فنزلت فارسل اليهما ان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فلا نرفا من مال اوس شيئا حتى يبين فنزل يوصيكم الله تعالى فى اولادكم
كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى لابنى العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب وقوله تعالى مما قل منه او كثر
بدل من ما الاخيرة باعادة الجار واليها يعود الضمير المجرور وهذا البدل مراد فى الجملة الاولى ايضا محذوف للتعويل على المذكور
وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الاموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حظا من كل ما قل
ودق نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله كانه قيل فرض لهم نصيبا مفروضا او على الحالية اذ المعنى ثبت لهم
نصيب كائن مما ترك الوالدان والاقربون حال كونه مفروضا او على الاختصاص اى اعنى نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا لهم وفيه دليل
على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم تسقط حصته واذا حضر القسمة اى قسمة التركة وانما قدمت مع كونها مفعولا لاتيها
المبحوث عنها ولان فى الفاعل تعددا فلو روعى الترتيب يفوت تخادب اطراف الكلام اولوا القربى ممن يرث واليتامى
والمساكين من الاجانب فارزقوهم منه اى اعطوهم شيئا من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة وقيل الضمير لما وهو امر ندب
كلف البالغون من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة وتصدق عليهم وقيل امر وجوب ثم اختلف فى نسخه وقولوا لهم
قولا معروفا وهو يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ويعتذروا من ذلك لا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم
ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه فى امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل
بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او لمن حضر المريض من الورثة عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا اولاد المريض ويشفقوا
على شفقتهم على اولادهم فلا يتركوا ان يضرهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب
واليتامى والمساكين منصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للمؤمنين ان ينظروا للورثة
فلا يسرفوا فى الوصية ولو بما فى حيز التاصلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ورثة ضعافا
خافوا عليهم الضياع وفى ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاد
نفسه وتهديد للمخالف كالف اولاده وقرئ ضعفاء وضعافى فليتقوا الله فى ذلك والفاء للترتيب على ما قبلها وليقولوا قولا سديدا
امرهم بالتقوى التى هى غاية الخشية بعد امرهم بها مراعاة للبدء والمنتهى اذ لا تنفع للاول بدون الثانى ثم بان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم
بالشفقة وحسن الادب ولمريض ما يصده عن الاسراف فى الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضرى القسمة عذرا وعدا
حسنا او يقولوا فى الوصية ما لا يؤدى الى تجاوز الثلث ان الذين يأكلون اموال اليتامى استيناف جئ به لتقرير مضمون ما قبله
من الاوامر والنواهى ظلما اى على وجه الظلم او ظالمين انما يأكلون فى بطونهم اى ملأ بطونهم نارا اى ما يجر الى النار
ويؤدى اليها وعن ابى هريرة انه قال عليه السلام يبعث الله قوما من قبورهم يتأججون افواههم نارا قيل من هم فقال عليه السلام

الم تر ان الله تعالى يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا اى يسيرون
نارا ماثلة مهمة الوصف وقرئ بضم الياء مخففا وشددا من الاصلاء والتصلية يقال صلى النار فاسى حرها وصلية شويته
واصليته وصلية العنزة فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها روى ان اكل مال اليتيم يبعث يوم القيمة والدخان
يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا وروى انه لما نزلت هذه الآية ثقل ذلك
على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب ذلك عليهم فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم الآية يوصيكم الله شروع فى تفصيل
احكام المواريث المجملة فى قوله تعالى للرجال نصيب الخ واقسام الورثة ثلثة قسم لا يسقط بحال وهم الآباء والاولاد والازواج
فهؤلاء قسمان والثالث الكلالة اى يأمركم ويعهد اليكم فى اولادكم اولاد كل واحد منكم اى فى شان ميراثهم بدئ بهم لانهم
اقرب الورثة الى الميت واكثرهم بقاء بعد الموت للذكر مثل حظ الانثيين جملة مستانفة جئ بها لتبيين الوصية وتفسيرها
وقيل محلها النصب بيوصيكم على ان المعنى يفرض عليكم ويشرع لكم هذا الحكم وهذا اقرب تمام آية الوراء فانه يجرى مما كان بمعنى النزول
من الافعال مجراه فى حكاية الجملة بعده ونظيره قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة الآية وقوله تعالى للذكر
لابد له من ضمير عائد الى الاولاد محذوف ثقة بظهوره كما فى قولهم السمن منوان بدرهم اى للذكر منهم وقيل اللام قائمة
مقامه والاصل لذكرهم ومثل صفة لموصوف محذوف اى للذكر منهم حظ مثل حظ الانثيين والبداية ببيان حكم الذكر لاظهار
مزيته على الانثى كما انها المناط فى تضعيف حظه واثبات اسمى الذكر والانثى على ما ذكرا قولا من الرجال والنساء للتنصيص على استواء
الكبار والصغار من النوعين فى الاستحقاق من غير دخل للبلوغ فالكبر فى ذلك اصلا كما هو زعم اهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون
الاطفال كالنساء فان كن اى الاولاد والثابت باعتبار الخبر وهو قوله تعالى نساء اى خلصا ليس معهن ذكر
فوق اثنين خبر ثان لوصفة النساء اى نساء زائدات على اثنين فلهن ثلثا ما ترك اى المتوفى المدلول عليه بقرينة
المقام وان كانت اى المولودة واحدة اى امرأة واحدة ليس معها اخ ولا اخت وعدم التعرض للموصوف لظهوره
مما سبق فلها النصف مما ترك وقرئ واحدة على كان التامة واختلف فى البنتين فقال ابن عباس رضى الله عنهما حكمهما حكم الواحدة
لان الله تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين
اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد
بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها الاقوى منها فى الاستحقاق
فلان يستحقه مع مثلها اولى واحرى وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض الله تعالى لهما الثلثين حيث قال فلهما الثلثان
مما ترك ولابويه اى لابوى الميت غير المنظم الكريم لعدم اختصاص الحكم بما قبله من الصور لكل واحد منهما بدل من بدل
وسط بين المبتدأ الذى هو قوله تعالى السدس وبين خبره الذى هو لابويه ونقل الخبرية اليه تنصيصا على استحقاق كل
منهما السدس وتأكيدا له بالتفصيل بعد الاجمال وقرئ السدس بسكون الدال تخفيفا وكذلك الثلث والربع والثمن مما ترك
متعلق بمحذوف وقع حالا من السدس والعامل الاستقرار المعتبر فى الخبر اى كائنا مما ترك المتوفى ان كان له ولد او ولد ابن
ذكرا كان او انثى واحدا او متعددا غير ان الاب فى صورة الانوثة بعد ما اخذ فرضه المذكور يأخذ ما بقى من ذوى الفروض بالعصوبة
فان لم يكن له ولد ولا ولد ابن وورثه ابواه فلامه الثلث مما ترك والباقى للاب وانما لم يذكر لعدم الحاجة اليه
لانه لما فرض لحضار الوارث فى ابويه وعين نصيب الام علم ان الباقى للاب وتخصيص جانب الام بالذكر واحالة
جانب الاب على دلالة الحال مع حصول البيان بالعكس ايضا لما ان حظها احضر واستحقاقها اتم واوفر اولان استحقاقها بطريق العصوبة
دون الفرض هذا اذا لم يكن معهما احد الزوجين اما اذا كان معهما ذلك فللام ثلث ما بقى بعد فرض احدهما لا ثلث الكل

كما

كما قاله ابن عباس رضه فانه يفضي الى تفضيل الام على الاب مع كونه اقوى منها في الارث بدليل اضعافه عليها عند انفراده عن احد الزوجين
وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة اي عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كانت
من جهة الابوين او من جهة احدهما وسواء كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او كانوا محجوبين بالاب فلامه
السدس واما السدس الذي حجبوا عنه فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور وعند ابن عباس رضه انه لهم على كل حال خلا
ان الحجب عنده لا يتحقق بما دون الثلث وبالاخوات وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا لما قبلها من بعد وصية خبر مبتدا محذوف
والجملة متعلقة بما تقدم جميعا لا بما يليها وصح اي هذا ان تعلق الا ول للورثة من بعد اخراج وصيته يوصي بها اي الميت وقرئ مبنيا
للمفعول مخففا ومبنيا للفاعل مشددا او خافة الوصف الترغيب في الوصية والندب اليها او دين عطف على وصية الا انه غير
مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة او الاقرار في الصحة وآثارا او المفيد للاباحة على الوا ولدلالة
على تساويهما في الوجوب وتقدمهما على القسمة مجموعين او منفردين وتقديم الوصية على الدين ذكرا مع تاخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية
بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط في ادائها ولاطرادها بخلاف الدين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا
الخطاب للورثة فاباؤكم مبتدا وابناؤكم عطف عليه ولا تدرون جمله وايهم مبتدا واقرب خبره ونفعا نصب على التمييز منه وهو منقول
عن الفاعلية كانه قيل ايهم اقرب لكم نفعه والجملة في حيز النصب بلا تدرون ايهم انفع لكم امن يوصي ببعض ماله فيعير ضكم لثواب الآخرة
بتنفيذ وصيته ام من لا يوصي شيئ فيوفر عليكم عرض الدنيا وليس لمراد بيع الدراية عنهم بيان اشتباه الامر عليهم وكون النفعة بكل
من الاول والثاني في حيز الاضمار عندهم من غير رجحان احدهما على الآخر كما في قوله صلى الله عليه وسلم مثل امتي مثل المطر لا يدري اوله
خير ام آخره فان ذلك معزل من افادة التاكيد المذكور والترغيب في تنفيذ الوصية بل لتحقيق النفعة الاولى في ضمن التعريض بان لهم
اعتقادا بالنفعة الثانية مبنيا على عدم الدراية وقد اشير الى ذلك حيث عبر عن الاولى بالقربة التي هي النفع تذكيرا لمناط زعمهم وتعيينا
لمنشا خطائهم ومبالغة في الترغيب المذكور بتصوير الثواب الآجل بصورة العاجل لما ان الطباع مجبولة على حب الخير الحاضر كانه قيل
لا تدرون ايهم انفع لكم فتحكمون نظرا الى ظاهر الحال وقرب المنال بالنفعة الثانية مع ان الامر بخلافه فان ثواب الآخرة يتحقق
وصوله الى صاحبه ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحيوة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا سرعة نفاده بعد وقضي
وقيل الخطاب للموروثين والمعنى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم عاجلا وآجلا فتخوضوا في شانهم بما اوصاكم الله به
ولا تتعدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض روى ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة في الآخرة بالجنة سال ان يرفع اليه صاحبه
فيرفع اليه بشفاعته قيل فالجملة الاخيرة اعتراضية مع مؤكده للامر بالقسمة وانت خبير بانه مشوش لنظام ما مر من اقربية النفع مع انه
العلاقة النسبية فريضة من الله نصب نصب مصدر مؤكد لفعل محذوف اي فرض الله ذلك فرضا او لقوله تعالى يوصيكم الله
فانه بامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما اي بالمصالح والرتب حكيما في كل ما قضى وقدر فيدخل فيه الاحكام المذكورة دخولا
اوليا ولكم نصف ما ترك ازواجكم من المال شروع في بيان احكام القسم الثاني من الورثة ووجه تقديم حكم ميراث الرجال على حال
الى ذكره ان لم يكن لهن ولد اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى واحدا كان
او متعددا لان لفظ الولد ينتظم الجمع منكم او من غيركم والباقي لورثتهن من ذوي الفروض والعصبات او غيرهم وكيت المال ان لم يكن
لهن وارث آخر اصلا فان كان لهن ولد على نحو ما فصل والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ذكر تقدير عدم الولد
وبيان حكمه مستتبع لتقدير وجوده وبيان حكمه فلكم الربع مما تركن من المال والباقي لباقي الورثة من بعد وصية متعلق
بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده يوصين بها في محل الجر على انه صفة لوصية وفائدتها ما مر من ترغيب الميت في الوصية وحث
الورثة على تنفيذها او دين عطف على وصية سواء كان ثبوته بالبينة او بالاقرار وآثارا او على الوا ولما مر من الدلالة

على تساويهما في الوجوب والتقدم على القسمة وكذا تقديم الوصية على الدين ذكرا لما ذكر من ابراز كمال العناية بتنفيذ ما وهن الربع مما
تركتم ان لم يكن لكم ولد على التفصيل المذكور آنفا والباقي لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض والعصبات او ذوي الارحام او لبيت المال
ان لم يكن وارث آخر اصلا فان كان لكم ولد على النحو الذي فصل فلهن الثمن مما تركتم مما ذكر من المال والباقي للطائفتين من بعد وصية
توصون بها او دين الكلام فيه كما فصل في نظيريه فرض للرجل في حق الزوج ضعف ما فرض للمرأة كما في النسب لمزيته عليها وشرفه
الظاهر ولذلك اختص بتشريف الخطاب وبهذا قياس كل رجل وامرأة واشتركا في الجهة والنوع ولم يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق
والمعتقة ويستوي الواحد والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل شروع في بيان احكام القسم الثالث من الورثة المحمل
للسقوط ووجه تأخيره عن الاولين بين والمراد بالرجل الميت وقوله تعالى يورث على البناء للمفعول من ورث لا من ادرث فخر كان
اي يورث منه كلالة الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الولادة والولد
لضعفها بالاضافة الى قرابتهما وتطلق على من يخلف ولدا او والدا او على من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى ذي كلالة كما تطلق
القرابة على ذوي القرابة وقد جوز كونها صفة كالهجانة والعقاقة للاحق قبضها واما على انها مفعول له اي يورث منه لاجل القرابة المذكورة
او على انها حال من ضمير يورث اي حال كونه ذا كلالة او على انها مفعول لكان ويورث صفة لرجل اي ان كان رجل موروث ذا كلالة ليس له
والد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل مخففا ومشددا فانتصاب كلالة اما على انها حال من ضمير الفعل والمفعول المحذوف اي
يورث وارثه حال كونه ذا كلالة واما على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او امرأة عطف على رجل مقيد بما قيد به اي وامرأة يورث
كذلك ولعل فصل ذكرها عن ذكره للايذان بشرفه واصالته في الاحكام وله اي للرجل فقط تأكيد للايذان المذكور حيث لم يتعرض لها
بعد جريان ذكرها ايضا وقيل الضمير لكل منهما اخ او اخت اي من الام فحسب وقد قرئ كذلك فان احكام بني الاعيان والعلات
هي التي ذكرت في آخر السورة الكريمة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير يورث او من رجل على تقدير كون يورث صفة له ومساق
لتصوير المسئلة وذكر الكلالة لتحقيق جريان الحكم المذكور وان كان مع من ذكر ورثة اخرى بطريق الكلالة واما جريانه
في صورة وجود الام او الجد مع ان قرابتهما ليست بطريق الكلالة فبالاجماع فلكل واحد منهما من الاخ والاخت السدس
من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة فان كانوا اكثر من ذلك اي اكثر من الاخ والاخت
المنزلين بواحد باكثر والتاء لما مر من ان ذكر احتمال الانزار مستتبع لذكر احتمال التعدد فهم شركاء في الثلث يقتسمونه
بالسوية والباقي لبقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات هذا واما جواز ان يكون يورث في الوراء بالشهورة مبنيا للمفعول من ادرث
على ان المراد بالوارث والملغى وان كان رجل يجعل وارثا لاجل الكلالة او ذا كلالة اي غير والد او ولد وكذلك الوارث اخ او اخت
فلكل واحد من ذلك الوارث واخيه او اخته السدس وان كانوا اكثر من ذلك او من الاثنين بان كانوا ثلثة او اكثر فهم شركاء
في الثلث الموزع للاثنين بين الوارث وبين شريكه في الارث من اخيه او اخته لا ما بينه وبين مورثه من الاخوة التي عليها يترتب حكم الارث
وبها يتم تصوير المسئلة وانما المعتبر بينهما الوراثة بطريق الكلالة وهي غاية لجميع صور الوراثات التي لا تكون بالولاد فلا يكون نصيبه
ولا نصيب شريكه ما ذكر بعينه ومن ادعى اختصاصها بالاخوة لام متمسكا بالاجماع على ان المراد بالكلالة ههنا اولاد الام
فقد اعترف ببطلان رأيه من حيث لا يحتسب كيف لا ومبناه انما هو الاجماع على ان المراد بالاخوة في قوله تعالى وله اخ او اخت هو الاخوة
لام خاصة حسبما شهدت به الآية المحكمة والآية الآتية في آخر السورة الكريمة ولو ان الرجل عبارة عن الميت والاخوة معتبرة
بينه وبين ورثته لما امكن كون الكل اولاد الام ثم ان الكلالة كما نبهت عليه باقية على اطلاقها ليس فيها شائبة اختصاص
باولاد الام فضلا عن الاجماع على ذلك والا لاقتصر البيان على حكم صورة انحصار الورثة فيهم وانما الاجماع فيما ذكر من
ان المراد بالاخ والاخت من كان لام خاصة وانت خبير بان ذلك في قوة الاجماع على ان يورث من ورث لا من اورث

فتدبر

فتدبر وأما ثانيا فلانه يقتضي ان يكون المعتبر في استحقاق الورثة للفرض المذكور اخوة بعضهم لبعض من جهة الام فقط للمذكر من الاجماع مع ثبوت الاستحقاق على تقدير الاخوة من الجهتين وأما ثالثا فلان حكم صورة انفراد الوارث عن الاخ والاخت يبقى ح غير مبين وليس من ضرورة كون حظ كل منهما السدس عند الاجتماع والنصف عند الانفراد الا يرى ان حظ كل من الاختين الثلث عند الاجتماع والنصف عند الانفراد وأما رابعا فلان تخصيص احد الورثة بالتوريث وجعل غيره عيالا فيه مع اتحاد الكل في الادلاء الى الموروث بما لا عهد به من بعد وصية يوصى بها او دين الكلام فيه كالذي مر في نظائره غلا ان الدين ههنا موصوف بصفة الوصية جريا على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه لاتفاق الجمهور على اعتبار عدم المضارة فيه ايضا وذلك انما يتحقق فيما يكون ثبوته بالاقرار في المرض كما ذكر قبل او دين يوصى به غير مضار حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتمادا عليه كما لان حال في قوله عز وجل يسبح له فيها بالغدو والآصال حال على قراءة المبني للمفعول فاعل لفعل ينبئ عنه المذكور ومن فاعل الفعل المذكور والمحذوف كلتا به على قراءة المبني للفاعل اى يوصى بما ذكر من الوصية والدين حال كونه مضارا للورثة بان يوصى بما زاد على الثلث او يكون الوصية لقصد الاضرار بهم دون التقرب وبان يقر في المرض بدين كاذبا وتخصيص هذا التقييد بهذا القسم لان الورثة مظنة لتفويط الميت في حقهم وصية من الله مصدر مؤكد لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع صفة له مؤكدة لفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله تعالى كقوله تعالى فريضة من الله ولعل السر في تخصيص كل منهما بمحله الاشعار بما بين الاحكام المتعلقة بالاصول والفروع وبين الاحكام المتعلقة بغيرهم من التفاوت حسب تفاوت الفريضة والوصية وكان كلتا هما واجبة المراعاة او منصوب بغير مضار على انه مفعول به فانه اسم فاعل معتمد على ذي الحال او منوي معنى فعل في المفعول الصريح ويعضد القراءة بالاضافة اى غير مضار لوصية الله وعهده لان شان الاولاد فقط كما قيل اذ لا تعلق لهم بالمعاملة في شان الورثة المذكورة ههنا فان الاحكام المعللة كلها مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم الله جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارتها الاخلال بحقوقهم وتعضها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث والوصية لقصد الاضرار دون القربة والاقرار بالدين كاذبا وايثارها على الوصية مع انها واقعة على الورثة حقيقة كما في قوله يا سارق الليلة اهل الدار للمبالغة في الزجر عنها بايراجها مخرج مضارة ادر الله تعالى او مضادته وجعل الوصية عبارة عن الوصية بالثلث فما دونه يقتضي ان يكون غير مضار حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك يؤدي الى الفصل بين الحال وعاملها بما ليس هو المعطوف على وصية مع انه لا تخشم به مادة المحذور لبقاء الاقرار بالدين على اطلاقه والله عليم بالمضارة وغيره حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا يغتر بالامهال وايراد الاسم الجليل مع كفاية الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في شؤون اليتامى والمواريث وغير ذلك حدود الله اى شرائعه المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله في جميع الاوامر والنواهي التي من جملتها ما فصل ههنا واظهار الاسم الجليل لاذكر آنفا يدخله جنات نصب على الظرفية عند الجمهور وعلى المفعولية عند الاخفش تجري من تحتها الانهار صفة لجنات منصوبة حسب انتصابها خالدين فيها حال مقدرة من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنظر الى جمعية من بحسب المعنى كما ان افراد الضمير بالنظر الى افراده لفظا وذلك اشارة الى ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه الخلود وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال علو درجته الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وصف الفوز وهو الظفر بالخير بالعظم اما باعتبار متعلقه او باعتبار ذاته فان الفوز بالعظيم عظيم والجملة اعتراض ومن يعص الله ورسوله ولو في بعض الاوامر والنواهي قال مجاهد فيما اقتص في المواريث وقال عكرمة عن ابن عباس رضه من لم يرض بقسم الله وتعد قال الله وقال الكلبي يعني ومن يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا والاظهار في موضع الاضمار للمبالغة في الزجر بتهويل الامر وتربية المهابة ويتعد حدوده شرائعه المحدودة في جميع الاحكام فيدخل فيها

ما لحن فيه دخولا اوليا بدخله وقرئ بنون العظمة في الموضعين نارا اى عظيمة مالكة لا يقادر قدرها خالدا فيها حال
كما سبق ولعل ايثار الافراد ههنا نظرا الى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا الى المعنى للايذان بان الخلود في دار الثواب بصفة
الاجتماع للانس كما ان الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد لشدة استجلاب الوحشة وله عذاب مهين اى وله مع عذاب الخزي
الجسماني عذاب آخر مهين لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه والجملة حالية واللاتي ياتين الفاحشة من
نسائكم شروع في بيان بعض آخر من الاحكام المتعلقة بالنساء اثر بيان احكام المواريث واللاتي جمع التي بحسب المعنى دون اللفظ
وقيل جمع على غير قياس الفاحشة الفعلة القبيحة واريد بها الزنا لزيادة قبحه واللاتيان الفعل والمباشرة يقال اتى الفاحشة اى فعلها
وباشرها وكذا جاء ما وزهقها وغشيها وقرئ بالفاحشة فاللاتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ياتين
اى اللاتي يفعلن الزنا كائنات من نسائكم اى من ازواجكم كما في قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائكم وقوله تعالى من نسائكم اللاتي
دخلتم بهن وبه قال السدي فاستشهدوا عليهن اربعة منكم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما في حيز الصلة للحكم
اى فاطلبوا ان يشهد عليهن باتيانها اربعة من الرجال المؤمنين واحرارهم فان شهدوا عليهن بذلك فامسكوهن في البيوت
اى فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الى ان يستوفا هن ارواحهن الموت وفيه تهويل للموت وابراز
له في صورة من يتولى قبض الارواح وتوفيها او يتوفاهن ملئكة الموت او يجعل الله لهن سبيلا اى شرع لهن حكما فاصلا
بهن وتعليق التعبير عنه بالسبيل للايذان بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه دلالة على كونه اخف من الحبس كما قاله ابو مسلم واللذان
ياتيانها منكم هما الزاني والزانية بطريق التغليب قال السدي اريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه كون عقوبتهما اخف
من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار رأسا لانه يبقى حكم الزاني المحصن بهما لاقتضاء العقوبة الاولى بالمحصنات وعدم ظهور الحاقه
باحد الحكمين دلالة الخفاء الشركة في المناط فآذوهما اى بالتوبيخ والتقريع وقيل بالضرب بالنعال ايضا وظاهر ان ايذاء
هذا الحكم ايضا انما يكون بعد الثبوت لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر آنفا فان تابا عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لحقا
من زواجر الاذية وقوارع التوبيخ كما ينبئ عنه الفاء واصلحا اى اعمالهما فاعرضوا عنهما بقطع الاذية والتوبيخ فان التوبة
والصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب وقد جوز ان يكون الخطاب للشهود والواقفين على هفاتهما ويراد بالايذاء ذمهما
وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الولاة وبالاعراض عنهما ترك التعرض لهما بالرفع اليهم قيل كانت عقوبة الزوجين المذكورين
في اوائل الاسلام على ما قرر من التفصيل ثم نسخ بالحد لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا
الثيب يرجم والبكر يجلد وقيل هذه الآية سابقة على الاولى ولا كانت عقوبة الزناة مطلقا الاذى ثم الحبس المخلد
والرجم وقد جوز ان يكون الامر بالحبس غير منسوخ بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت
بعد اقامة الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال ولا يخفى انه مما لا يساعد النظم الكريم
وقال ابو مسلم وقد عزاه الى مجاهد ان الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وتاخ سورة النور في الزناة والزواني منهن
بان المذكور في الاولى صيغة الاناث خاصة وفي الثانية صيغة الذكور وللضرورة الى المصير الى التغليب اذ لا امكان له
في الاولى وبانه الامر باستشهاد الاربعة فانه غير معهود في الشرع فيما عدا الزنا ان الله كان توابا مبالغا في قبول التوبة
رحيما واسع الرحمة وهو تعليل للامر بالاعراض انما التوبة على الله استئناف مسوق لبيان ان قبول التوبة من الله تعالى
ليس على اطلاقه كما ينبئ عنه وصفه تعالى بكونه توابا رحيما بل هو مقيد بما سينطق به النص الكريم فقوله تعالى التوبة مبتدأ
وقوله تعالى للذين يعملون السوء خبره وقوله تعالى على الله متعلق بما تعلق به الجار من الاستقرار فان تقديم الجار والمجرور على عامله
المعنوي مما لا نزاع في جوازه وكذا الظرف او بمحذوف وقع حالا من ضمير المبتدأ المستكن فيما تعلق به الجار على راي من جوز

ابن شيخ علاء الدين
ابن شيخ علي

تقديم الحال على عاملها المعنوي عند كونها ظرفا او حرف جر كما سبق في تفسير قوله تعالى وتلله على الناس حج البيت وايا ما كان فمعنى كون
التوبة عليه سبحانه صدور القبول عنه تعالى وكلمة على للدلالة على التحقق البتة بحكم جرى العادة وسبق الوعد حتى كانه من الواجبات عليه سبحانه
وهذا مراد من قال كلمة على بمعنى من وقيل هي بمعنى عند وعن اظهر يعني ان التوبة التي يقبلها الله تعالى وقيل اي التوبة التي اوجب الله تعالى
على نفسه بفضله قبولها وهذا يشير الى ان قوله تعالى على الله تعالى صفة للتوبة بتقدير متعلقة معرفة على اي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اي
انما التوبة الكائنة على الله تعالى والمراد بالسوء المعصية صغيرة كانت او كبيرة وقيل الخبر على الله وقوله تعالى للذين متعلق بما تعلق به الخبر
او بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في متعلق الخبر وليس فيه ما في الوجه الاول من تقديم الحال على العامل المعنوي الا ان الذي يقتضيه
المقام بسند عليه النظام هو الاول لما ان ما قبله من وصفه تعالى بكونه توابا رحيما انما يقتضي بيان اختصاص قبول التوبة منه تعالى بالمذكورين
وذلك انما يكون بجعل قوله تعالى للذين الخ خبرا الا يرى الى قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الخ فانه ناطق بما قلنا
كانه قيل انما التوبة لهؤلاء لا لهؤلاء بجهالة متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يعملون اي يعملون السوء ملتبسين بها الى حين
سفاهة او يعملون على ان الباء سببية اي يعلونه بسبب الجهالة لان ارتكاب الذنب مما يدعو اليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوءا
بل عدم التفكر في العاقبة كما يفعله الجاهل قال قتادة اجتمع اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فرأوا ان كل شيء عصي به ربه فهو جهالة
عمدا كان او خطأ وعن مجاهد من عصى الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقال الزجاج يعني بقوله بجهالة اختيارهم اللذة الفانية
على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب اي من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله حتى
اذا حضر الخ فانه صريح في ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراءه في حيز القبول وعن ابن عباس رضه
قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابراهيم النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وهو مجرى النفس وروى
ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بغواق ناقة وعن الحسن ان ابليس
قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال تعالى وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر ومن
تبعيضية اي يتوبون بعض زمان قريب كاية سمي ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا فمن اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان
فهو تائب من قاب فاولئك اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد باعتبار كونهم بانقضاء ذكرهم
في حكم البعد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو مبتدأ خبره قوله تعالى يتوب الله عليهم وما فيه
من تكرير الاسناد لتقوية الحكم وتهذا وعد بقبول توبتهم اثر بيان ان التوبة لهم والفاء للدلالة على سببيتها للقبول وكان الله عليما حكيما
مبالغا في العلم والحكمة والمصلحة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الاولى
منه تعالى لاتصافه تعالى باتصاف الكمال وليست التوبة للذين يعملون السيئات تصريح بما فهم من قصر القبول على توبة من تاب قريب
وزيادة تعيين له ببيان ان توبة من عداهم بمنزلة العدم وجمع السيئات باعتبار تكرر وقوعها في الزمان المديد لان المراد بها جميع
انواعها وبما قرر من السوء نوع منها حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية بعدها غاية
لما قبلها اي ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات الى حضور موتهم وقولهم اني تبت وذكر الآن لمزيد تعيين الوقت واثباره قال علي تاب
لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشي عن تسمية توبة ولا الذين يموتون وهم كفار عطف على الموصول الذي قبله اي ليس قبول
التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء وانما ذكر هؤلاء مع انه لا توبة لهم رأسا مبالغة في بيان عدم قبول توبة المسوفين وايذانا بان وجودها
كعدمها بل في تكرير عدم النفي في المعطوف اشعار خفي بكون حال المسوفين في عدم استتباع الجدوى اقوى من حال الذين يموتون على الكفر
والمراد بالموصولين اما الكفار خاصة وايا ما كان فاسناد الموت وصلتهم والجملة الحالية كفار الى الظاهر كما في قوله تعالى ومن كفر فان الله
غني عن العالمين واما من يعم الفريقين جميعا فالتسمية ج للتغليب ويجوز ان يراد بالاول الفسقة وبالثاني الكفرة ففيه مبالغة اخرى

أولئك إشارة إلى الموصوفين وما فيه من معنى البعد للإيذان بترامي حالهم في الفظاعة وبعد منزلتهم في السوء وهو مبتدأ خبره أعتدنا لهم
أي هيأنا لهم عذاباً أليماً تكرير الإسناد لما مر من تقوية الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لإظهار الاعتناء بكونه معداً
لهم وتنكير العذاب ووصفه للتفخيم الذاتي والوصفي يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً كان الرجل إذا مات
قرابته يلقي ثوبه على امرأته أو على خبائها ويقول أرث امرأته كما أرث ماله فيصير بذلك أحق بها من كل أحد ثم إن شاء تزوجها بلا صداق
غير الصداق الأول وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيئاً وإن شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها وإن ذهبت
المرأة إلى أهلها قبل إلقاء الثوب فهي أحق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم أن تأخذوهن بطريق الإرث على زعمكم كما تحاز المواريث
وهن كارهات لذلك أو مكرهات عليه وقيل كانوا يمسكونهن حتى يمتن ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل لكم ذلك وهن غير راضيات بإمساككم
وقرئ لا تحل بالتاء الفوقانية على أن ترثوا بمعنى الوراثة وقرئ كرهاً بضم الكاف وهو لغة كالضعف والضعف كان الرجل إذا تزوج امرأة
ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل لهم ولا تعضلوهن عطفاً على ترثوا
ولا لتأكيد النفي والخطاب للأزواج والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها إذا اختنقت رحمها فخرج بعضه وبقي بعضه
أي ولا أن تضيقوا عليهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن أي من الصداق بأن يدفعن إليكم بعضه اضطراراً فتأخذوه منهن
وإنما لم يتعرض لفعلهن إيذاناً بكونه بمنزلة العدم لصدوره عنهن اضطراراً وإنما عبر عن ذلك بالذهاب به لا بالأخذ ولا بالإذهاب للمبالغة
في تقبيحه ببيان تضمنه لأمرين كل منهما محظور شنيع الأخذ والإذهاب لأنه عبارة عن الذهاب مستصحباً به إلا أن يأتين بفاحشة مبينة
على صيغة الفاعل من بين بمعنى تبين وقرئ على صيغة المفعول وعلى صيغة الفاعل من أبان بمعنى تبين أي بينة القبح من النشوز وشكاسة
الخلق وإيذاء الزوج وأهله بالبذاء والسلاطة ويعضده قراءة أبي إلا أن يفحشن عليكم وقيل الفاحشة الزنا وهو استثناء
من أعم الأحوال أو أعم الأوقات أو أعم العلل أي ولا يحل لكم عضلهن في حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات أو لعلة من العلل إلا حال
إتيانهن بفاحشة أو إلا وقت إتيانهن بها أو إلا لإتيانهن بها فإن السبب حينئذ يكون من جهتهن وأنتم معذورون في طلب الخلع
وعاشروهن بالمعروف الخطاب للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة والمراد ههنا النصفة في المبيت
والنفقة والإجمال في المقال ونحو ذلك فإن كرهتموهن وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير أن يكون من قبلهن
ما يوجب ذلك من الأمور المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله
فيه خيراً كثيراً علة للجزاء أقيمت مقامه للإيذان بقوة استلزامها إياه كأنه قيل فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة
فلعل لكم فيما تكرهونه خيراً كثيراً ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر أي فقد قربت كراهتكم شيئاً
وجعل الله فيه خيراً كثيراً فإن النفس ربما تكره ما هو أصلح في الدين وأحمد عاقبة وأدنى إلى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم إلى
ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى أنفسكم وذكر الفعل الأول مع الاستغناء عنه وانحصار العلية في الثاني للتوسل إلى تعميم مفعوله
ليفيد أن ترتيب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصاً بمكروه دون مكروه بل هو سنة إلهية جارية على الإطلاق حسب اقتضاء الحكمة وأن ما نحن
فيه مادة من موادها وفيه من المبالغة في الحمل على ترك المفارقة وتعميم الإرشاد ما لا يخفى وقرئ ويجعل مرفوعاً على أنه خبر لمبتدأ محذوف وقيل
تقديره والله يجعل الله بوضع المظهر موضع المضمر والجملة حالية تقديره وهو أي ذلك الشيء يجعل الله فيه خيراً كثيراً وتنوين خيراً للتفخيم الذاتي
ووصفه بالكثرة لبيان فخامته الوصفية والمراد به ههنا الولد الصالح وقيل الألفة والمحبة وإن أردتم استبدال زوج أي تزوج
امرأة ترغبون فيها مكان زوج ترغبون عنها بأن تطلقوها وآتيتم إحداهن أي إحدى الزوجات فإن المراد بالزوج هو الجنس
والجملة حالية بإضمار قد لا معطوفة على الشرط أي وقد آتيتم التي تريدون أن تطلقوها قنطاراً أي مالاً كثيراً فلا تأخذوا منه
أي من ذلك القنطار شيئاً يسيراً فضلاً عن الكثير أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً استئناف مسوق لتقرير النهي والتنفير

عن المنهي عنه والاستفهام للانكار والتوبيخ اى اتاخذونه باهتين واثمين او للبهتان والاثم فان احدهما كان اذا تزوج امرأة
بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك في البهتان الكذب الذي
يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسره ههنا بالظلم وقوله عز وجل وكيف تاخذونه انكار لاخذه اثر انكار
وتنفير عنه عجب تنفير وقد يولغ فيه حيث وجه الانكار الى كيفية الاخذ ايذانا بانه مما لا سبيل الى التحقق والوقوع اصلا لان ما يدخل
تحت الوجود لا بد ان يكون على حال من الاحوال فاذا لم يكن لشئ حال اصلا لم يكن له حظ من الوجود قطعا وقوله عز وجل وقد افضى بعضكم
الى بعض حال من فاعل تاخذونه مفيدة لتاكيد الكثير وتقرير الاستبعاد اى على اى حال او في اى حال تاخذونه والحال انه قد جرى بينكم
وبينهن احوال منافية له من الخلوة ونثر المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك واخذن منكم ميثاقا غليظا عليهم في شانهن
بقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله
ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم شروع في بيان من يحرم نكاحها من النساء ومن لا يحرم وانما خص هذا النكاح بالنهي ولم ينظم في سلك نكاح المحرمات
الآتية مبالغة في الزجر عنه حيث كانوا مقرين على تعاطيه قال ابن عباس رض وجمهور المفسرين رحمهم الله كان اهل الجاهلية يتزوج
بازواج آبائهم فنهوا عن ذلك واسم الآباء ينتظم الاجداد مجازا فيثبت حرمة ما نكحوه نقاء واجماعا ويستعمل في اثبات هذه الحرمة
نفس النكاح اذا كان صحيحا واما اذا كان فاسدا فلا بد في اثباتها من الوطء او ما يجري مجراه من التقبيل والمس بشهوة ونحوهما بل هو ثابت
لها في الحقيقة حتى لو وقع شئ من ذلك لحكم ملك اليمين او بالوجه المحرم يثبت به الحرمة عندنا خلافا للشافعي في المحرم اى لا تنكحوا التي
نكحها آباؤكم واقيم ما على من للتذاب الى الوصف وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان لما نكح
على الوجهين الا ما قد سلف استثناء مما نكح مفيد للمبالغة في التحريم باخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال على طريقة قوله ولا ابيض فيهم
غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى لا تنكحوا حلائل آبائكم الا من مات منهن والمقصود سد طريق الاصابة بالكلية
ونظيره قوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل هو استثناء مما يستلزمه النهي ويستوجبه مباشرة المنهي عنه كانه قيل لا تنكحوا
ما نكح آباؤكم من النساء فانه موجب للعقاب الا ما قد مضى وقيل هو استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف لا مؤاخذة عليه
لانه متوزر وبانا بهما قوله تعالى انه كان فاحشة ومقتا فانه تعليل للنهي وبيان لكون المنهي عنه في غاية القبح مبغوضا
اشد البغض وانه لم ينزل في حكم الله تعالى وعلمه موصوفا بذلك ما رخص فيه لامة من الامم فلا يلائم ان يتوسط بينهما ما يهون امره
من ترك المؤاخذة على ما سلف منه وساء سبيلا في كلمة ساء قولان احدهما انها جارية مجرى بئس في الذم والعمل فيها
ضمير مبهم يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف تقديره وساء سبيلا سبيل ذلك النكاح كقوله تعالى بئس الشراب اى ذلك الشراب وثانيهما
انها كسائر الافعال وفيها ضمير يعود الى ما عاد اليه ضمير انه وسبيلا تمييز والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب او معطوفة على خبر كان
محكية بقول مضمر هو المعطوف في الحقيقة تقديره وقولا له ساء سبيلا فان السنة الامم كافة لم تزل طبقة بذلك قبل الاعصار
والامصار قيل مراتب القبح ثلث القبح العقلي والقبح الشرعي والقبح العادي وقد وصف الله تعالى هذا النكاح بكل ذلك فقوله تعالى
فاحشة مرتبة قبحه العقلي وقوله تعالى ومقتا مرتبة قبحه الشرعي وقوله تعالى وساء سبيلا مرتبة قبحه العادي وما اجتمع فيه هذه المراتب
فقد بلغ اقصى مراتب القبح حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد
تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن وما يقصد به من التمتع بهن وبيان امتناع ورود ملك النكاح عليهن وانتفاء محليتهن له
رأسا واما حرمة التمتع بهن بملك اليمين في المواد التي يتصور فيها قرار الملك كما في بعض المعطوفات على تقدير رفعهن فثابتة بدلالة
النص لاتحاد المدار الذي هو عدم محلية ابضاعهن للملك لا بعبارة بشهادة سياق النظم الكريم وسياقه وانما لم يوجب المدار الذي
هو المذكور امتناع ورود ملك اليمين عليهن رأسا ولا حرمة سببه الذي هو العقد وما يجري مجراه كما اوجب حرمة عقد النكاح

وامتناع ورود ملكه عليهن لان مورد ملك اليمين ليس هو البضع الذى هو مورد ملك النكاح حتى يفوت بفوات محليته لملك النكاح
فانه حيث كان مورده ذلك فات بفوات محليته له قطعا واما مورده الرقبة الموجودة فى كل رقيق فتحقق بتحقق محله ضمنا ثم يزول
بوقوع العتق فى المواد الذى سبب حرمتها محض القرابة النسبية كالمذكورات وتبقى فى البواقى على حالها مستتبعا لجميع احوال المقصودة منه
شرعا واما حل الوطئ فليس من تلك الاحكام فلا ضير فى تخلفه عنه كما فى المجوسية والامهات تعم الجدات وان علون والبنات تتناول اولاد الابن
وان سفلن والاخوات يتناولن الاخوات من الجهات الثلث وكذا العمة والخالة كل انثى ولدها من ولد والد ولدك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القريبى والبعدى وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من
من الرضاعة نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع المراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه
جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وامه المرضعة جدته واخته لخالته وكل
من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كلى جار على عمومه واما ام اخيه لابيه واخت ابنه لام وام ام ابنه وام عمه وام خاله لا تحل
حرمتهن من جهة النسب حتى تحل بعمومه ضرورة حلهن فى صور الرضاع بل من جهة المصاهرة الا يرى ان الام موطوءة ابيه والثانية
بنت موطوءته والثالثة ام موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح والخامسة موطوءة جده الفاسد وامهات نسائكم
شروع فى بيان المحرمات من جهة المصاهرة اثر بيان المحرمات من جهة الرضاعة التى لها الحمية الكلية النسب والمراد بالنساء المنكوحات
على الاطلاق سواء كان مدخولا بهن اولا وعليه جمهور العلماء وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى رجل تزوج امرأة
ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس بان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس
العقد وعن مسروق هى مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما انهما ابهما اصاب اولا فلا انه روى عنه وعن على وزيد
وابن الزبير رضى الله عنهم انهم قرأوا وامهات نسائكم اللاتى دخلتم بهن وعن جابر رضى الله عنه روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد انها اذا ماتت
عنده فاختار ميراثها ان يحلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الدخول كما قام مقامه فى باب المهر والعدة يحتج
بهن الموطوءات بوجه من الوجوه المعدودة فيما سبق والممسوسات وظاهرون والامهات تعم المرضعات كما تعم الجدات حسبما ذكر
وربائبكم اللاتى فى حجوركم الربائب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتاء للنقل الى الاسمية والربيب ولد المرأة من آخر سمى به
لانه يربى غالبا كما يربى ولده وان لم يكن ذلك امرا مطردا وهو المعنى بكونهن فى الحجور فان شأنهن الغالب المعتاد ان يكن
فى حضانة امهاتهن تحت حماية ازواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفائدة وصفهن بذلك التقوية علة الحرمة وتكميلها كما انها
النكتة فى ايرادهن باسم الربائب دون بنات النساء فان كونهن بسبب اضطنانهم لهن ومن شرف التغلب فى حجورهم ودخلت
حجابهم وتربيتهم مما يقوى الملابسة والشبه بينهن وبين اولادهم ويستدعى اجراءهن مجرى بناتهم لا يقيد ما ذكر اولا
بخلاف ما فى قوله تعالى من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فانه لتقييد ما به قطعا فان كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا
من ربائبكم او من ضمير بها المستكن فى الظرف لانه ما وقع صلة تحمل ضميرا اى وربائبكم اللاتى استقررن فى حجوركم كائنات من
نسائكم الخ ولا ساغ لجعله حالا من امهات او مما اضيفت هى اليه خافضة وهو بين لا ستره به ولا مع ما ذكر اولا لضرورة ان حالية
من ربائبكم او من ضمير بها يقتضى كون كلمة من ابتدائية وحالية من امهات اولنسائكم يستدعى كونها بيانية وادعاء كونها لابتداء
منتظمة لمعنى الابتداء والبيان او جعل الموصول صفة للنساء مع اختلاف عاملها ومعنى الدخول بهن او خالهن الستر والباء للسببية
وهى كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفى حكمة التمس فى نظائره كما فى فان لم تكونوا اى فيما قبل دخلتم
بهن اصلا فلا جناح عليكم اى فى نكاح الربائب وهو تصريح بما اشعر به ما قبله والفاء الاولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها

فان

فان بيان حكم الدخول مستتبع لبيان حكم عدمه وحلائل ابنائكم اى زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها للزوج او لحلولها محله وقيل لحل كل منهما ازار صاحبه وفي حكمها مزنياتهم وفي تحريمهن مجراهن من الممسوسات ونظائرهن وقوله تعالى الذين من اصلابكم لاخراج الادعياء دون ابناء الاولاد والابناء من الرضاع فانهم وان سفلوا في حكم الابناء النسبية وان تجمعوا بين الاختين في حيز الرفع عطفا على ما قبله من المحرمات والمراد به جمعهما في النكاح لا في ملك اليمين واما جمعهما في الوطء بملك اليمين فملحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار ولقوله عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمعن ماءه في رحم اختين بخلاف نفس ملك اليمين فانه ليس في معنى النكاح في الافضاء الى الوطء ولا مستلزما له ولذلك يصح شراء المجوسية دون نكاحها حتى لو وطئها ولا يحل وطء احدهما حتى يحرم عليه وطء الاخرى بسبب من الاسباب وكذا لو تزوج اخت امته الموطوءة لا يحل له وطء احديهما حتى يحرم عليه الاخرى لان المنكوحة موطوءة حكما فكأنه جمعها لا وطئا واسناد الحرمة الى جمعها لا الى الثانية منهما بان يقال واخوات نسائكم للاحتراز عن افادة الحرمة المؤبدة كما في المحرمات الثابتة ولكونه بمعزل من الدلالة على حرمة الجمع بينهما على سبيل الملكية ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها فان مدار حرمة الجمع بين الاختين افضاؤه الى قطع ما امر الله بوصله وذلك متحقق في الجمع بين هؤلاء بل اولى فان العمة والخالة بمنزلة الام فقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة اختها من قبيل بيان التغيير لا بيان التقرير وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب الا ما قد سلف استثناء منقطع اى لكن ما قد مضى لا تؤاخذون به ولا اجعله متصلا لقصد التاكيد والمبالغة كما حرر في ما سلف لان قوله تعالى ان الله كان غفورا رحيما تعليل لما افاده الاستثناء فيتحتم الانقطاع وقال علماء والسدي معناه الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه قد جمع بين ليا امّ يهوذا وبين راحيل امّ يوسف عليه السلام ولا يأبى عن التعليل بما ان فعل يعقوب عليه السلام كان حلالا في شريعته وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان اهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله الا امرأة الاب والجمع بين الاختين وروى هشام بن عبيد الله عن محمد بن الحسن رحمه الله قال كان اهل الجاهلية يرون من المحرمات الا اثنتين نكاح امرأة الاب والجمع بين الاختين الا بما ان قد عقب النهي عن كل منهما بقوله تعالى الا ما قد سلف وهذا يشير الى كون الاستثناء فيهما على سنن واحد وبأباه اختلاف التعليلين والمحصنات بفتح الصاد وهن ذوات الازواج احصنهن الزوج او الاسلام او الاولياء اى عفنهن عن الوقوع في الحرام وقرئ على صيغة اسم الفاعل فانهن احصن فروجهن من غير ازواجهن او احصن ازواجهن وقيل الصيغة للفاعل على القراءة الاولى ايضا وفتح الصاد محمول على الشذوذ كما في نظير به ملبغ ومسهب من النجح والسهب قيل قد ورد الاحصان في القرآن بازاء اربعة معان الاول التزوج كما في هذه الآية الكريمة الثاني العفة كما في قوله تعالى محصنين غير مسافحين الثالث الحرية كما في قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما في قوله تعالى فاذا احصن قيل في تفسيره اى اسلمن وهي معطوفة على المحرمات السابقة وقوله تعالى من النساء متعلق بمحذوف وقع حالا منها اى كائنات من النساء وفائدته تاكيد عمومها لدفع توهم شمولها للرجال بناء على كونها صفة للانفس كما توهم الا ما ملكت ايمانكم استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس اى ملكتموه واسناد الملك الى الايمان لما ان سببه الغالب هو الصفقة الواقعة بها وقد اشتهر ذلك في الارقاء لاستيلاء اناثهم وهن المرادة ههنا رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح الوارد في الحرائر والتعبير عنهن بما لاستقاطهن بما فيهن من قصور الرق عن رتبة العقلاء وهي اما عامة حسب عموم صلتها فان الاستثناء حينئذ ليس لاخراج جميع افراد ما في حكم التحريم بطريق شمول النفي بل بطريق نفي الشمول المستلزم لاخراج بعضها اى حرمت عليكم المحصنات على الاطلاق لا المحصنات اللاتي ملكتموهن فانهن لسن في المحرمات على الاطلاق بل فيهن بينن لا يحرم نكاحهن في الجملة وهن المسبيات بغير ازواجهن او مطلقا حسب اختلاف القراءتين واما خاصة في المذكورات فالمعنى وحرمت عليكم المحصنات اللاتي سبين فانهن نكاحهن مشروع في الجملة اى لغير ملاكهن واما ملاكهن لهم بحكم ملك اليمين فمفهوم بدلالة النص لاتحاد المناط

لا بعبارته كما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان حرمة التمتع بالمحرمات المعدودة بحكم ملك النكاح وانما ثبوت حرمة التمتع بهن
بحكم ملك اليمين بطريق دلالة النص وذلك مما يجري فيه الاستثناء قطعا واما عدهن من ذوات الازواج مع تحقق الفرقة بينهن وبين
ازواجهن قطعا بالتباين او البتة على اختلاف الرايين فمبني على اعتقاد الناس حيث كانوا غافلين عن الفرقة الا يرى الى ما روى عن
ابي سعيد الخدري رضه من انه قال اصبنا يوم اوطاس سبايا لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم وفي
رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نقع على نساء قد عرفنا انسابهن وازواجهن فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللنا هن
وفي رواية اخرى عنه ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا توطا حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض فاباح وطئهن بعد الاستبراء
وليس في ترتيب هذا الحكم على نزول الآية الكريمة ما يدل على كونها موقوفة له فان ذلك مما يتوقف على افادتها له بوجه من الدلالات
بطريق العبارة او نحو ما هذا وقد روي عن ابي سعيد رضه انه قال انها نزلت في نساء كن لهاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن
ازواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم يقدم ازواجهن مهاجرين فنهى عن نكاحهن فالمحصنات عم مهاجرات تحقق او يتوقع من ازواجهن
الاسلام والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم الاحصان والنهي لتحريم المتحقق وتوقف حال المتوقع والا فاعدادهن بمعزل من الحرمة واستحقاق اطلاق
الاسم عليهن كيف لا وحين انقطعت العلاقة بين المسبية وزوجها مع اتحاد دينهما فالدين فلان ينقطع ما بين المهاجرة وزوجها احق
واولى كما ينص عنه قوله عز وجل فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الآية كتاب الله
مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب على الاغراء بفعل مضمر اي الزموا كتاب الله عليكم
متعلق اما بالمصدر وانما بمحذوف وقع حالا منه وقيل هو اغراء آخر مؤكد لما قبله فحذف مفعوله لدلالة المذكورة عليه وتنكير عليكم
على اي من جوز تقديم المنصوب في باب الاغراء كما في قوله يا ايها الرجل دلوي دونكا اني رايت الناس يحمدونكا وقرئ كتب الله
بالجمع والرفع اسند الى ضمير الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على حرمت عليكم الخ وتوسيط قوله تعالى معطوفا
على الفعل المقدر وقيل بل على حرمت الخ فانهما جملتان متقابلتان موسستان للتحريم والتحليل المنوطين باوامره تعالى ولا ضير في
اختلاف المسند اليه بحسب اللفظ لا سيما بعد ما اكدت الاولى بما يدل على ان المحرم هو الله تعالى ما وراء ذلكم اشارة الى ما ذكر من المحرمات
المعدودة اي احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا وجمعا ولعل ايثار اسم الاشارة المنوط لوصف المشار اليه وعنوانه على الضمير
المنوط للذات فقط للتذكير بما في كل واحدة منهن من العنوان الذي عليه يدور حكم الحرمة فيهم مشاركة من في معناهن لهن فيها بطريق
الدلالة فان حرمة الجمع بين المراة وعمتها وبينها وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف وقيل
ليس المراد بالاحلال الاحلال مطلقا اي على جميع الاحوال حتى يرد انه يلزم منه حال الجمع بين المراة وعمتها وبينها وبين خالتها
بل انما احلالهن في الجملة اي على بعض الاحوال ولا ريب في حل نكاحهن بطريق الانفراد ولا يقدح في ذلك حرمته بطريق الجمع
الا يرى ان حرمة نكاح المعتدة والمطلقة ثلثا والخامسة ونكاح الامة على الحرة ونكاح الملاعنة ولا تقدح في حل نكاحهن
بعد العدة وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة وانقضاء العدة وبعد تطليق الحرة وبعد اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير بان
الحل يجب ان يتعلق ههنا بما تعلق به الحرمة فيما سلف وقد تعلق هناك بالجمع فلا بد ان يتعلق الحل ههنا به ايضا ان تبتغوا
متعلق بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار ذاتهما بل باعتبار بيانهما واظهارهما اي بينّ لكم تحريم المحرمات المعدودة
واحلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا باموالكم والمفعول محذوف اي تبتغوا النساء او مرود اي تفعلوا الابتغاء باموالكم
يصرفها الى مهورهن او بدل اشتمال من وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول محصنين حال من فاعل تبتغوا او الاحصان العفة والتعفف
التنزه عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب غير مسافحين حال ثانية منه او حال من الضمير في محصنين والسفاح الزنا
والعجز من السفح الذي هو صب المني سمي به لانه الغرض منه ومفعول الفعلين محذوف اي محصنين فروجكم غير مسافحين

الودنا

الزوانى وهى فى الحقيقة حال مؤكدة لان المحصن غير مسافح البتة وما فى قوله عز وجل فما استمتعتم به منهن إما عبارة عن النساء
او عما يتعلق بهن من الافعال وعلى التقديرين فهى اما شرطية ما بعد ما شرطها واما موصولة ما بعد ما صلتها وأيا ما كان فهى مبتدأ خبرها
على تقدير كونها شرطية إما فعل الشرط او جوابه او كلاهما على الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها موصولة قوله تعالى فآتوهن اجورهن
والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعائد الى المبتدأ هو الضمير المنصوب فى فآتوهن سواء كانت
شرطية او موصولة ومن بيانية او تبعيضية محلها النصب على الحالية من الضمير المجرور به والمعنى فاى فرد استمتعتم به او فالفرد
الذى استمتعتم به حال كونه من جنس النساء او بعضهن فآتوهن اجورهن وقد روعى نادرة جانب اللفظ فافرد الضمير اولا والاخرى
جانب المعنى فجمع ثانيا وثالثا وآ على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن فمن ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعائد الى المبتدأ
محذوف والمعنى اى فعل استمتعتم به من جهتهن من نكاح او خلوة او نحوهما او فالفعل الذى استمتعتم به من قبلهن فى الافعال
المذكورة فآتوهن اجورهن لاجله او بمقابلته والمراد بالاجور المهور فانها اجور ابضاعهن فريضة حال من الاجور بمعنى
مفروضة او نعت لمصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد اى فرض ذلك فريضة اى الزمن عليكم ولا جناح عليكم فيما
تراضيتم به اى لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من الحط عن المهر او الابراء منه على طريقة قوله تعالى فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه
اثر قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وقوله الا ان يعفون وتعميم للزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوجة وقيل
فيما تراضيتم به من نفقة وكسوة وقيل من مقام او فراق ولا يأباه قوله تعالى من بعد الفريضة اذ لا تعلق لهما بالفريضة
لان يكون الفراق بطريق المخالعة وقيل نزلت فى المتعة التى هى النكاح الى وقت معلوم فى يوم او اكثر سميت بذلك لان الزوج
منها مجرد الاستمتاع بالمرأة لا استمتاعها بما يوطى وقد ابيحت ثلثة ايام حين فتحت مكة شرفها الله تعالى ثم نسخت لما روى انه عليه السلام
اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس انى كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله تعالى حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيحت مرتين
وحرم مرتين وروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه رجع عن القول بجوازها عند موته وقال اللهم انى اتوب اليك عن قولى بالمتعة وقوله
فى الصرف ان الله كان عليما بمصالح العباد حكيما فيما شرع لهم من الاحكام ولذلك شرع لكم هذه الاحكام اللائقة بحالكم
ومن لم يستطع منكم من إما شرطية ما بعد ما شرطها او موصولة ما بعد ما صلتها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل
يستطع اى حال كونه منكم وقوله تعالى طولا اى غنى وسعة او اعتلاء ونيلا واصله الزيادة والفضل مفعول يستطع وقوله
عز وجل ان ينكح المحصنات المؤمنات إما مفعول صريح لطولا فان اعمال المصدر المنون شائع ذائع كما فى قوله او اطعام
فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة كانه قيل ومن لم يستطع منكم ان ينال نكاحهن وآما بتقدير حرف الجر اى ومن لم يستطع منكم غنى
الى نكاحهن او لنكاحهن فالجار فى محل النصب صفة لطولا اى طولا موصلا اليه وكائنا له او على نكاحهن على ان الطول بمعنى
القدرة فى القاموس الطول والطائل والطائلة الفضل والقدرة والغنى ومحل ان بعد حذف الجار نصب عند سيبويه
والفراء وجر عند الكسائى والاخفش وآما بدل من طولا لان الطول فضل والنكاح قدرة وآما مفعول ليستطع وطولا مصدر مؤكد
له لانه بمعناه اذ الاستطاعة هو الطول او غيره اى ومن لم يستطع منكم من نكاحهن استطاعة اى من جهة الطول والغنى اى لامن جهة الطبيعة
والمزاج فان عدم الاستطاعة من تلك الجهة لا تتعلق له بالمقام والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حريتهن اصلح
عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان وقوله عز وعلا فمما ملكت ايمانكم اما جواب شرط او خبر للموصول
والفاء لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر حذف مفعوله وما موصولة اى فلينكح اماة او امة من النوع الذى ملكت
ايمانكم وهى فى الحقيقة متعلق بمحذوف وقع صفة لذلك المحذوف ومن تبعيضية اى فلينكح اماة كائنة من ذلك النوع وقيل
من زائدة والموصول مفعول للفعل المقدر على زيادة من وما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن لابتداء الغاية او بمحذوف

وقع حالاً من فتياتكم ومن للتبعيض اى فليتزوج فتياتكم كائنات بعض ما ملكت ايمانكم والمؤمنات صفة لفتياتكم على تقدير وقبل
هو المفعول للفعل المقدر وما ملكت على ما تقدم آنفاً ومن فتياتكم حال من العائد المحذوف وظاهر النظم الكريم يفيد عدم جواز نكاح الامة
للمستطيع كما ذهب اليه الشافعي رض وعدم جواز نكاح الامة الكتابية اصلاً كما هو رأى اهل الحجاز وقد جوزهما ابو حنيفة رح تمسكاً بالعموم
فحمل الشرط والوصف هو الافضلية ولا نزاع فيها لاحد وقد روى عن ابن عباس رضه انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة
واليهودية والنصرانية وان كان موسراً وقوله تعالى والله اعلم بايمانكم جملة معترضة جيء بها لتأنيسهم بنكاح الاماء وتسريهم
من رتبة الاستنكاف منه ببيان ان مناط التفاضل ومدار التفاخر هو الايمان دون الاحساب والانساب على ما نطق به قوله
عز قائلاً يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقيكم والمعنى انه تعالى اعلم
منكم بمراتبكم في الايمان الذي ينتظم به احوال العباد وعليه يدور فلك الصلاح في المعاش والمعاد لا تعلق له بخصوصية الحرية والرق
فرب امة يفوق ايمانها ايمان الحرائر وقوله تعالى بعضكم من بعض ان اريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم
من تلك الحيثية اثر بيان تفاوتهم في ذلك وان اريد به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض آخر مؤكد للتناسب من جهة اخرى
والخطاب في الموضعين لمن كان في الخطاب الذي يعقبه قد روعي فيما سبق جانب اللفظ وههنا جانب المعنى والالتفات للاهتمام
بالترغيب والتأنيس وامر غيرهم من المسلمين كالمخاطبات بذلك لحصول الترغيب بخطابهم ايضاً وايا ما كان فاعادة الامر بالنكاح
على وجه الخطاب في قوله تعالى فانكحوهن مع انها مهن قوله تعالى مما ملكت ايمانكم صيانة لذكر زيادة الترغيب في نكاحهن وتنبيه
بقوله تعالى باذن اهلهن وتصديره بالفاء للايذان بترتبه على ما قبله اى واذ قد وقفتم على حلية الامر فانكحوهن باذن مواليهن
ولا ترصدوا عنهن وفي اشتراط اذن الموالي دون مباشرتهم للعقد اشعار بجواز مباشرتهن له وآتوهن اجورهن
اى مهورهن بالمعروف متعلق بآتوهن اى ادوا اليهن مهورهن بغير مطل ومضارة والجاء الى الاقتضاء والمراد حسبما يقتضيه الشرع
والعادة ومن ضرورة ان يكون الاداء اليهن باذن الموالي فيكون ذكر اتيانهن لبيان جواز الاداء اليهن لا لكون المهور لهن وقيل
اصلحوا آتوا موالي اليهن اى حال كونهن عفائف عن الزنا غير مسافحات حال مؤكدة اى غير مجاهرات به ولا متخذات اخدان
عطف على مسافحات ولا تأكيد ما فيه من معنى النهي والخدن المصاحب قال ابو زيد الاخدان الاصدقاء على الفاحشة والواحد فيه
وخدين والجمع للمقابلة بالانتظام على معنى ان لا يكون لواحدة منهن خدن لا معنى ان لا يكون لها اخدان اى غير مجاهرات بالزنا
ولا مستترات له فكان الزنا في الجاهلية منقسماً الى هذين القسمين فاذا احصن اى بالتزوج وقرئ على البناء للفاعل
اى احصن فروجهن وازواجهن فان اتين بفاحشة اى فعلن فاحشة وهي الزنا فعليهن فثابت عليهن شرعاً نصف ما
على المحصنات اى الحرائر الابكار من الحد الذي هو جلد مائة فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد
ببيان عدم تفاوتهن وصفهن بالاحصان تفاوت حد الحرائر فالفائدة فان اتين جواب اذا والثانية جواب ان فالشرط الثاني
مع جوابه مترتب على وجود الاول كما في قولك اذا انتبتني فان لم اكرمك فعبدي حر ذلك اى نكاح الاماء لمن خشي
العنت منكم اى لمن خاف وقوعه في الاثم الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر
فاستعير لكل مشقة وضرر يعتري الانسان بعد صلاح حاله والمراد اعظم من هو اقعه الاثم بارتكاب الفحش القبيح وقيل
اريد به الحد لانه اذا هوى ما يخشى ان يوقعها فيجد والاول هو اللائق بحال المؤمن دون الاول لابهامه ان المخدور عنه
للحرائر مالا يوجبه وان تصبروا اى عن نكاحهن متعففين كافين انفسكم عما تشتهيه من المعاصي خير لكم من نكاحهن
وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من التعريض للولد للرق قال عمر رضه ايما حرة تزوج بامة فقد ارق نصفه وقال
سعيد بن جبير نكاح الامة من الزنا الا ترى ان حق المولى فيها اقوى فلا تخلص للزوج خلوص الحرائر ولان المولى

يقدر على استخدامها كيف ما يريد فى التسخر والحضر وعلى سعيها الملاحز والبادى وفيه من اختلال حال الزوج واولاده
مالا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة حراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية الى الناكح والغرة هى اللائقة بالمؤمنين
ولان مهرها لمولاها فلا تقدر على التمتع به او لعاهة للزوج فلا ينتظم امر المنزل وقد قال عليه السلام اخرا لوصلاح البيت
والاماء هلاك البيت ولعبد مؤمن مبالغ فى المغفرة فيغفر لمن يصبر عن نكاحهن ما فى ذلك من الامور المنافية لحال المؤمنين
رحيم مبالغ فى الرحمة ولذلك رخص لكم فى نكاحهن يريد الله ليبين لكم استئناف مسوق لتقرير ما سبق من الاحكام
وبيان كونها جارية على مناهج المهتدين من الانبياء والصالحين وقيل اصل النظم الكريم يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام
لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين محذوف ثقة بشهادة السباق والسياق اى يريد الله ان يبين لكم
ما هو خفى عنكم عن مصالحكم وافاضل اعمالكم او ما يقيدكم به من الحلال والحرام وقيل مفعول تقديره يريد الله تشريع ما شرع
من التحريم والتحليل لاجل التبيين لكم وهذا مذهب البصريين ويعزى الى سيبويه وقيل ان اللام بنفسها ناصبة
للفعل من غير اضمار ان وهى وما بعدها مفعول للفعل المتقدم فان اللام قد يقام مقام ان فى فعل الارادة والامر فيقال
اردت لاذهب وان ذهب وامرتك لتقوم وان تقوم قال الله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله وفى موضع يريدون
ان يطفئوا وقال تعالى وامرنا لنسلم وفى موضع امرت ان اسلم وفى آخر وامرت لاعدل بينكم اى ان اعدل وهذا مذهب الكوفيين
ومنعه البصريون وقالوا ان وظيفة اللام وهى الجر والنصب فيما قالوا اضماران اى امرنا بما امرنا لنسلم ويريدون ما يريدون
ليطفئوا وقيل هو الفعل الذى قبل اللام مصدر مرفوع بالابتداء ويجعل ما بعده خبره كما فى تسمع بالمعيدى خير من ان تراه اى ان تسمع به
ويعزى هذا الرأى الى بعض البصريين ويهديكم سنن الذين من قبلكم من الانبياء والصالحين لتعتدوا بهم ويتوب
عليكم اذا تبتم اليه تعالى عما يقع منكم من التقصير والتفريط فى مراعاة ما كلفتموه من الشرائع فان المكلف قلما يخلو من تقصير
يستدعى تلافيه بالتوبة وتغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يردعكم عن المعاصى ويحكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم
وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى تتخلف مرادة تعالى عن ارادته فمن لم يتب منهم بل الطائفة معينة حصلت لهم هذه التوبة والله
عليم مبالغ فى العلم بالاشياء التى من جملتها ما شرع لكم من الاحكام والله يريد ان يتوب عليكم جملة مبتدأة مسوقة لبيان
كمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريده الفجرة لا لبيان ارادته تعالى لتوبة عليهم حتى يكون من باب التكرير للتقرير ولذلك
غير الاسلوب فى الجملة الاسمية دلالة على دوام الارادة ولم يفعل ذلك فى قوله تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات للاشارة
الى الحدوث وللاباء الى كمال المباينة بين مضمونى الجملتين كما مر فى قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا الآية والمراد بمتبعى الشهوات
الفجرة فان اتباعها الائتمار لها واما المتعاطى لما سوغه الشرع من المشتهيات دون غيره فهو متبع له لا لها وقيل هم اليهود والنصارى
وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون
بنت الخالة وبنت العمة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت ان تميلوا عن الحق بموافقتهم
على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم وقرئ بالياء التحتانية والضمير للذين يتبعون الشهوات ميلا عظيما
اى بالنسبة الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بالاستحلال يريد الله ان يخفف عنكم بما قرر من الرخص كما فى عهدكم
من مشاق التكاليف والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وخلق الانسان ضعيفا عاجزا عن مخالفة هواه غير
قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه فى مشاق الطاعات وعن الحسن رضى الله عنه ان المراد
ضعف الخلقة ولا يساعد المقام فان الجملة اعتراض تذييلى مسوق لتقرير ما قبلها من التخفيف بالرخصة فى نكاح الاماء ونسب
لضعف البنية مدخل فى ذلك وانما الذى يتعلق به التخفيف فى العبادة الشاقة وقيل المراد به ضعفه فى امر النساء خاصة

حيث لا يصبر عنهن وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فحدثني على ثمانون
سنة وذهبت عيني وانا اعتو بالاخرى وانا اخوف ما اخاف على فتنة النساء وقرأ ابن عباس رضه وخلق الانسان على البناء للفاعل
والنصب لله عز وجل وعنه رضه ثماني آيات في سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم
والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وآمنتم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل شروع في بيان بعض المحرمات المتعلقة بالاموال
والانفس اثر بيان المحرمات المتعلقة بالابضاع وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه للاظهار كمال العناية بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف
الشرع كالغصب والسرقة والجناية والقمار وعقود الربوا وغير ذلك مما يحكم الشرع اي لا يا كل بعضكم اموال بعض بغير طريق شرعي
الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة اي الا ان تكون
تجارة صادرة عن تراض كما في قوله اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما الخ او الا ان تكون الاموال
اموال تجارة وقرئ تجارة بالرفع على ان كان تامة اي ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض اي وقوعها او ولكن وجود تجارة
عن تراض غير منهي عنه وتخصيصها بالذكر من بين سائر اسباب الملك لكونها معظمها او اغلبها وقوعا واوفرها لذوي المروآت
والمراد بالتراضي مراضاة المتبايعين باتفاقهما عليه في حال المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعي بعد حالة
الافتراق عن مجلس العقد ولا تقتلوا انفسكم اي من كان من جنسكم من المؤمنين فان كلهم كنفس واحدة وعن الحسن رض
لا تقتلوا اخوانكم والتعبير عنه بالانفس للمبالغة في الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل اولا تهلكوا انفسكم بشروركم بعضها
للبعض باقتراف ما يفضي اليه فان القتل الحقيقي لها كما يشعر به ايراده عقيب النهي عن اكل الحرام فيكون مقررا للنهي السابق
وقيل لا تقتلوا انفسكم بالجمع كما يفعله بعض الجهلة اذا باز تكاب ما يؤدي الى القتل من الجنايات وقيل بالتعاطي المهلكة وايد
بما روي عن عمرو بن العاص انه تاول به لما تيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ لا تقتلوا بالتشديد
للتكثير وقد جمع في التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لما انه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كما لانها
واستيفاء فضائلها وتقديم النهي عن التعرض لكثرة وقوعه ان الله كان بكم رحيما تعليل للنهي بطريق الاستئناف
اي مبالغا في الرحمة والرأفة ولذلك نهاكم عما نهى فان في ذلك رحمة عظيمة لكم بالزجر عن المعاصي والمذنبين هم في معرض التعرض لهم
بحفظ اموالهم وانفسهم وقيل معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بني اسرائيل بقتل انفسهم ليكون توبة لهم وتحصيصا
لخطاياهم ولم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل خاصة او ما قبله من اكل الاموال على وجه
من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفساد عدوانا وظلما اي افراطا في التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحق وقيل ارتيد
بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحلها النصب على الحالية او على العلية اي متعديا
وظالما او للعدوان والظلم وقرئ عدوانا بكسر العين فسوف نصليه جواب للشرط اي ندخله وقرئ بالتشديد من صلى
وبفتح النون من صلاه يصليه فصله شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى ولذلك من حيث انه سبب للصلي نارا اي نارا
مخصوصة هائلة شديدة العذاب وكان ذلك اي اصلاؤه النار على الله يسيرا لتحقق الداعي وعدم الصارف
واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وتاكيد استدلال الاغراض التذييلي ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
اي كبائر الذنوب التي نهاكم الشرع عنها مما ذكر ههنا ومما لم يذكر وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم بنون العظمة على
طريقة الالتفات وقرئ بالياء بالاسناد اليه تعالى والتكفير الماحية المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة اي نغفر لكم سيئاتكم صغائركم

ومحيها عنكم قال المفسرون الصلوة الى الصلوة والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر
اذا اجتنبت الكبائر واختلف في الكبائر والاقرب أن الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه
وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنها سبع الاشراك بالله تعالى وقتل النفس التي حرمها الله تعالى وقذف
المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن علي رضه التعرب بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين
وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضه ان رجلا قال له الكبائر سبع قال الى سبعمائة اقرب منها الى سبع
وروي عنه الى سبعين اذ لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل اريد بها انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر أن
يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها وبحسب ما علمها بل بحسب الاوقات والاماكن
ايضا فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق عليه الامران فمن عن له امران منهما ودعت
نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق على اجتناب الاكبر من الثواب وندخلكم مدخلا بضم الميم
اسم مكان هو الجنة كريما اي حسنا مرضيا او مصدر ميمي اي ادخالا مع كرامة وقرئ بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر
وتنصبه على الثاني بفعل مقدر مطاوع للمذكور اي ندخلكم فتدخلون مدخلا او ادخالا كريما كما تقول وعظته فدخر يا ابن مروان
لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا مسحت الخ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اي عليكم
ولعل ايثار الابهام للتفادي عن المواجهة بما يشق عليهم قال التفال لما نهاهم الله تعالى اكل اموال الناس بالباطل وقتل
الانفس عقبه بالنهي عما يؤدي اليه من القطع في اموالهم وتمنيها وقيل نهاهم اولا عن التعرض لاموالهم بالجوارح ثم عن التعرض لها
بالقلب على سبيل الحسد لتظهر اعمالهم الظاهرة والباطنة فالمعنى لا تتمنوا ما اعطاه الله تعالى بعضكم من الامور الدنيوية كالجاه والمال
وغير ذلك مما يجري فيه التنافس دونكم فان ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير لائق باحوال العباد مترتب على الاحاطة
بجلائل شئونهم ودقائقها فعلك واحد من المتفضل عليهم ان يرضى بما قسم له ولا يتمنى حظ المتفضل ولا يحسد عليها انه معارضة
لحكم القدر المؤسس على الحكم البالغة لا لان عدمه خير له ولا لانه لو كان خلافه لكان مفسدة له كما قيل اذ لا يساعد ما يأتي
من الامر بالسؤال من فضله تعالى فانه ناطق بان المنهي عنه تمني نصيب الغير لا تمني ما زاد على نصيبه مطلقا هذا وقد قيل لما جعل
في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قالت النساء نحن احوج ان يكون لنا سهمان وللرجال سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقوياء
واقدر على طلب المعاش فنزلت وهذا هو الانسب بتعليل النهي لقوله عز وجل للرجال نصيب مما اكتسبوا
وللنساء نصيب مما اكتسبن فانه صريح في جريان التمني بين فريقي الرجال والنساء ولعل صيغة النهي لما عبر عنهن المذكر في صح
بالبعض والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار مما اصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة
الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حال النصيب باكتسابه اياه تأكيدا لاستحقاق كل منهما النصيب وتقوية لاختصاصه
به بحيث لا يتخطاه الى غيره فان ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمني المذكور وقوله تعالى واسئلوا الله من فضله
عطف على النهي وتوسيط التعليل بينهما للتقرير الانتهاء مع ما فيه من الترغيب في الامتثال بالامر كأنه قيل لا تتمنوا ما يختص بغيركم
من نصيب المكتسب له واسألوا الله تعالى من خزائن نعمه التي لا تنفد لها وحذف المفعول الثاني للتعميم اي واسئلوه ما تريدون
فانه تعالى يعطيكموه او لكونه معلوما من السياق اي واسئلوه مثله وقيل من زائدة والتقدير واسألوا فضله وقد جاء
في الحديث لا يتمنين احدكم مال اخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم اعطني مثله وعن ابن مسعود رضه ان رسول الله عليه السلام
قال سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج وحمل النصيب على الاجر الاخروي وابتغاء الاجر
على حقيقته بجعل سبب النزول ما روي ان ام سلمة رضه قالت ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتب على الرجال فيكون لنا

من الاجر مثل مالهم على ان المعنى لكل من الفريقين نصيب خاص به من الاجر مترتب على عمله فللرجال اجر مقابلة ما يليق بهم من الاعمال
كالجهاد ونحوه وللنساء اجر بمقابلة ما يليق بهن من الاعمال كحفظ حقوق الازواج ونحوه فلا تتمنى النساء خصوصية
اجر الرجال وطلب ان من خزائن الله تعالى ما يليق بحالهن من الاجر لا يساعد سياق النظم الكريم المتعلق بالمواريث وفضائل
الرجال ان الله كان بكل شيء عليما والملك جعل النساء على طبقات ورفع بعضهم على بعض درجات حسب مراتب استعدادهم
الفائضة عليهم بموجب المشية المبنية على الحكم الآئية ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون جملة
مبتدأة مقدرة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول ثان لجعلنا قدم عليه لتأكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض
كما في قوله تعالى لكل جعلنا شرعة ومنهاجا الى قوله لكل شركة جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويحرزون منها انصباءهم
بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة ومما ترك بيان لكل قد فصل بينهما بما عمل فيه كما فصل في قوله تعالى قل
اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل فيما اضيف اليها غير او لكل قوم
جعلنا هم موالي اي وراثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة
لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ منه
واما ما قيل من ان المعنى لكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا منه على ان من صلة موالي لانه في معنى الوراث او في ترك
ضمير مستكن عائد الى كل او قوله تعالى الوالدان والاقربون استئناف مقرر للموالي كأنه قيل من هم فقيل الوالدان الخ
ففيه تفكيك للنظم الكريم لان بيان الموالي بما ذكر يفوت الابهام المصحح لاعتبار التفاوت بينهم وبه يتحقق الانتظام
كما اشير اليه في تنوير الوجيز الاولين مع ما فيه من خروج الاولاد من الموالي اذ لا يتناولهم الاقربون كما لا يتناول
الوالدين والذين عقدت ايمانكم هم موالي الموالاة كان الحلف تورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة رح اذا اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله
وله ارثه ان لم يكن له وارث اصلا فاسناد العقد الى الايمان لكون المعقود به المحالفة هو المعاهدة والمعنى عقدت ايمانكم
عهودهم فحذف العهود واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف وفي عقدت بالتشديد وعاقدت بمعنى عاقدتهم ايمانكم
وما تحتوم وهو مبتدأ متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الجزاء عنه قوله تعالى فآتوهم نصيبهم بالياء او منصوبا بمضمر
يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او مرفوع معطوف على الوالدان والاقربون وقوله تعالى فآتوهم الخ جملة مبينة للجملة
قبلها مؤكدة لها والضمير للموالي ان الله كان على كل شيء من الاشياء التي من جملتها الايتاء والمنع شهيدا
فيعلم وعرفه وعيد الرجال قوامون على النساء كلام مستأنف مسوق لبيان سبب استحقاق الرجال الزيادة في
الارث تفضيلا اثر بيان تفاوت استحقاقهم اجمالا وايراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة للايذان بوفورها
في الاتصاف بما اسند اليهم ورسوخهم فيه اي شانهم القيام عليهن بالامر والنهي قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين
موهبي وكسبي فقيل بما فضل الله بعضهم على بعض الباء سببية متعلقة بقوامون او بمحذوف وقع حالا
من ضميره وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا اي قوامون عليهن بسبب تفضل الله تعالى اياهم عليهن ومنشئ
تفضيله تعالى الخ وضع البعض موضع الضميرين للاشعار بغاية ظهوره الامر وعدم الحاجة الى التصريح بالمفضل والمفضل عليه
اصلا ومثل ذلك لم يقرح بما به التفضيل من صفات كماله التي هي كمال العقل وحسن التدبير ورزانة الراي وفرط القوة في
الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في جميع القضايا ووجوب
الجهاد والجمعة ونحو ذلك وبما انفقوا من اموالهم الباء متعلق بما تعلقت به الاولى وما مصدرية او موصولة

حذف عائد ما من الصلة ومن تبعيضية او ابتدائية متعلقة بانفقوا او بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف اى وبسبب انفاقهم
من اموالهم او بسبب ما انفقوا من اموالهم او كائنا من اموالهم وهو النفقوم من المهر والنفقة روى ان سعد بن الربيع احد
نقباء الانصار رضه شزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى
فقال لم لنفقتها منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير فالصالحات شروع فى تفصيل
احوالهن وبيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف احوالهن اى فالصالحات منهن قانتات اى مطيعات لله تعالى
قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب اى لمواجب الغيب اى لما يجب عليهن حفظه فى حال غيبة الازواج من الفروج
والاموال عن النبى صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها
حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم واضافة المال اليهن لاشعار بان ماله فى حق التصرف فى حكم مالها
كما فى قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الآية بما حفظ الله ما مصدرية اى بحفظه تعالى اياهن بالامر بحفظ الغيب
والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او موصولة اى بالذى حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن
والذب عنهن وقرئ بما حفظا لله بالنصب على حذف المضاف اى بالامر الذى حفظ حق الله تعالى وطاعته وهو التعفف والشفقة
على الرجال واللاتى تخافون نشوزهن خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل
فى القلب عند حدوث مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما اى تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم
من النشز وهو المرتفع من الارض فعظوهن فالنصحوهن بالترغيب والترهيب واهجروهن بعد ذلك ان لم ينفع
الوعظ والنصيحة فى المضاجع اى فى المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل
المضاجع اى المباءات اى لا تباشوهن وقرئ فى المضجع وفى المضطجع واضربوهن ان لم ينفع ما فعلتم من العظة والهجران
ضربا غير مبرح ولا شائن فان اطعنكم بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما يعد زاجرا فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ
والاذية اى فاتركوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان
عليا كبيرا فاحذروه فانه تعالى اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه تعالى على علو شانه ينتقم لهن منكم ويتوب
عليكم عند توبتكم وانتم احق بالعفو عن ازواجكم عند اطاعتهن لكم او انه تعالى وكبير ان يظلم احدا او ينقص حقه وعدم التعرض
لعدم اطاعتهن لهم للايذان بان ذلك ليس مما ينبغى ان يتحقق او ينوض تحققه وان الذى يتوقع منهن ويليق بشانهن
لاسيما بعد ما كان من الزواجر هو الاطاعة وكذلك صدرت الشرطية بالفاء المنبئة عن سببية ما قبلها لما بعدها وان خفتم
شقاق بينهما تلوين للخطاب وتوجيه له الى الحكام وارد على بناء الامر على التقدير المسكوت عنه اعنى عدم الاطاعة المؤدى الى
والمراعة اليهم والشقاق المخالفة اى ان كان كلا منهما يريد ما يشق على الآخر واما ان كان كلا منهما فى شق اى جانب غير شق الآخر
والخوف ههنا بمعنى العلم قاله ابن عباس رضه والجزم بوجود الشقاق لا ينافى بعث الحكمين لانه لرجاء ازالته للتعريف بوجوده
بالفعل وقيل بمعنى الظن وضمير التثنية للزوجين وان لم يجر لهما ذكر لجرى ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما على اجراء
مجرى المفعول به كما فى قوله يا سارق الليلة او مجرى الفاعل كما فى قولك نهاره صائم اى ان علمتم او ظننتم تاكد المخالفة بحيث لا تقدر
الزوج على ازالتها فابعثوا اى الى الزوجين لاصلاح ذات البين حكما رجلا وسطا صالحا للحكومة والاصلاح
من اهله من اهل الزوج وحكما آخر على صفته الاول من اهلها فان الاقارب اعرف بواطن الاحوال واطلب للصلاح
وهذا على وجه الاستحباب ولو نصبا من الاجانب جاز واختلف فى انهما هل يلزمان الجمع والتفريق ان رأيا ذلك فقيل لهما ذلك وهو
المروى عن على رضه انه عنه وبه قال الشعبى وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وقال مالك لهما ان يجمعا ان كان الصلاح فيه

ان يريدا اى الحكمان اصلاحا اى ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله تعالى
يوفق الله بينهما يوقع بين الزوجين الموافقة والالفة والقى فى نفوسهما المودة والمراضاة وعدم التعرض لذكر عدم ارادتهما
الاصلاح لما ذكر من الايذان بان ذلك ليس مما ينبغى ان يفرض صدوره عنهما وان الذى يليق بشانهما ويتوقع صدوره عنهما هو ارادة
الاصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين فى الاصلاح وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اضلال الامر الى عدم ارادتهما فان الشرطية الناطقة بدوران
وجود التوفيق على وجود الارادة منبئة عن دوران عدمه على دورانها وقيل كلا الضميرين للحكمين اى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما
فيتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل كلاهما للزوجين اى ان اراد اصلاح ما بينهما من الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة والوفاق
وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتوخاه وفقه الله لمبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع
الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا كلام مبتدا مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بحقوق الوالدين
والاقارب ونحوهم اثر بيان الاحكام المتعلقة بحقوق الازواج صدر بما يتعلق بحقوق الله عز وجل التى هى اكد الحقوق واعظمها تنبيها
على جلالة شان حقوق الوالدين بنظمها فى سلكها كما فى سائر المواقع وشيئا نصب على انه مفعول اى لا تشركوا به شيئا من الاشياء
صنما او غيره او على انه مصدر اى لا تشركوا به شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا اى احسنوا بهما احسانا
وبذى القربى اى بصاحب القرابة من اخ او عم او خال او نحو ذلك واليتامى والمساكين من الاجانب والجار ذى القربى
اى الذى قرب جواره وقيل الذى له مع الجار قرب والصاق بيت او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحق الجار
ذى القربى والجار الجنب اى البعيد والذى لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار
وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد هو حق الجوار وهو الجار من اهل الكتاب
وقرئ والجار الجنب والصاحب بالجنب اى الرفيق فى امر حين كتعلم وتصرف فى صناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجانبك
ومنهم من قعد بجنبك فى مسجد او مجلس او غير ذلك من ادنى صحبت الثمت بينك وبينه وقيل هى المراة وابن السبيل هو
المسافر المنقطع به او الضيف وما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا اى متكبرا بانفة
عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم والجملة تعليل للامر السابق الذين يبخلون ويامرون
الناس بالبخل بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتح الاول او بضمتهما والموصول بدل من قوله من كان او نصب
على الذم او رفع عليه اى هم الذين او مبتدا خبره محذوف تقديره الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون اضغاء بكل ملامة
ويكتمون ما آتاهم الله من فضله اى من المال والغنى او من نعوته عليه السلام التى بينها لهم فى التورية وهو انسب بامرهم للناس
بالبخل فان اضرارهم كانوا يكتمونها ويامرون اتباعهم بكتمها واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر
اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر بنعمة الله تعالى ومن كان كافرا بنعمة الله تعالى فله عذاب يهينه كما ان النعمة بالبخل والاخفاء
والآية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار بطريق النصيحة لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليه الفقر وقيل
فى الذين كتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبلها والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس
اى للفخر والسمعة لا لما امرهم به من الابتغاء وجه الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون او على الكافرين واثما شاركوهم فى الذم
والوعيد لان البخل والسرف الذى هو الانفاق فيما لا ينبغى من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء فى القبح لاستتباع اللائمة والذم
ويجوز ان يكون العطف بناء على اجراء التغاير الوصفى مجرى التغاير الذاتى كما فى قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب
فى المزدحم او مبتدا خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يكن الخ كانه قيل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله
ولا باليوم الآخر ليتجروا بالانفاق مراضيه تعالى وثوابه وهم شركوا مكة المنفقون اموالهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا اى فقرينهم الشيطان وانما حذف للايذان بظهوره واستغنائه
عن التصريح به والمراد به ابليس واعوانه حيث حملوهم على تلك القبائح وزينوها لهم كما فى قوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ويجوز
ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يكون لهم فى النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اى على اى امر من
من الطوائف ابتغاء لوجه الله وانما لم يصرح به تعويلا على التفصيل واكتفاء بذكر الايمان بالله واليوم الآخر فانه يقتضى ان يكون
الانفاق لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه البتة اى وما الذى عليهم او واى تبعة ووبال عليهم فى الايمان بالله والانفاق فى سبيله وهو توبيخ
لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشئ بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة
والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر ضرورى فيه ينبغى ان يحاسب نفسه طالما فكيف اذا كان فيه منافع لا تحصى وتقديم الايمان بالله
فى نفسه ولعدم الاعتداد بالانفاق بدونه واما تقديم انفاقهم رئاء الناس على عدم ايمانهم مع كون المؤخر اقبح من المقدم فلرعاية المناسبة
بين انفاقهم ذلك وبين ما قبله من تخلفهم وامرهم للناس به وكان الله بهم باحوالهم المحققة عليما فهو وعيد بالعقاب او باعمالهم المفوضة
فهو بيان لاثابته تعالى اياهم لو كانوا قد آمنوا وانفقوا كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة المثقال مفعال من الثقل
كالمقدار من القدر وانتصابه على انه نعت للمفعول قائم مقامه سواء كان الظلم بمعنى النقص او بمعنى وضع الشئ فى غير موضعه اى لا ينقص من الاجر
ولا يزيد فى العقاب شيئا مقدار ذرة او على انها نعت للمصدر المحذوف منابه اى لا يظلم ظلما مقدار ذرة وهى النملة الصغيرة او اصغر جزء
من اجزاء الهباء فى الكوة وهو الانسب بمقام المبالغة فان قلتة فى الثقل اظهر من قلة النملة فيه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ادخل يده فى التراب
ثم نفخ فيه فما طار منها فهو مثقال ذرة وان تك حسنة اى وان تك مثقال ذرة حسنة انث لاثنيث الخبر او لاضافته
الى الذرة وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال وقرئ حسنة بالرفع على ان كان تامة
يضاعفها اى يضاعف ثوابها جعل ذلك مضاعفة الحسنة تنبيها على كمال الاتصال بينهما كانهما واحد وقرئ يضعفها وكلاهما
بمعنى وقرئ نضاعفها بنون العظمة على طريقة الالتفات عن عثمان المهدى انه قال لابى هريرة بلغنى عنك انك تقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطى عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة رضه لا بل سمعت رسول الله عليه السلام
يقول يعطيه الفى حسنة ثم تلا هذه الآية الكريمة والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده
على نهج التفضل ابتداء على ما وعد فى مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لكونه تابعا للاجر فريدا فى عليه فكيف
محلها اما الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف واما النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال كما هو راى سيبويه او على التشبيه بالظرف كما هو
مذهب الاخفش اى فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم او كيف يصنعون اذا جئنا يوم القيمة من
كل امة من الامم بشهيد يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقائد وقبائح الاعمال وهو نبيهم كما فى قوله تعالى وكنت عليهم
شهيدا ما دمت فيهم والعامل فى الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وعظم الشان او الفعل المقدر ومن متعلقة بجئنا
وجئنا بك يا محمد على هؤلاء اشارة الى الشهداء المدلول عليهم بما ذكر شهيدا تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم لاجتماع
شرعك لجوامع قواعدهم وقيل الى المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد سائر الانبياء على امهم وقبل
للمؤمنين كما فى قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول
استئناف لبيان حالهم التى اشير الى شدتها وفظاعتها بقوله تعالى فكيف فان اريد بهم المكذبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فالتعبير عنهم بالموصول لا يتأتى بعد الاشارة اليهم بهؤلاء لذمهم بما فى حيز الصلة والا شعار بعلة ما اعراهم من الحال الفظيعة والامر الهائل
واريد به عليه السلام بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح حال تكذيبه فان حق الرسول ان يؤمن به ويطاع لا ان يكفر به ويعصى
وان اريد بهم جنس الكفرة فهم داخلون فيه دخولا اوليا والمراد بالرسول مع الجنس المنتظم للنبى انتظاما اوليا واياما كان ففيه

من تحويل الامر وتفطيع الحال مالا يفا در قدره وقوله تعالى وعصوا عطف على كفروا داخل معه فى الصلة والمراد معاصيهم المغائرة للكفر فيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع فى حق المؤاخذة وقيل حال من ضمير كفروا وقيل صلة موصول آخر اى يودّ فى ذلك اليوم جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول والذين كفروا وقد عصوا الرسول والذين كفروا والذين عصوا الرسول واو فى قوله تعالى لو تسوى بهم الارض ان جعلت مصدرية فالجملة منصوبة المحل اى يودون ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى وقيل يودّ حالها وان جعلت جارية على يابها فالمفعول محذوف والجملة حالية اى يودون تسوية الارض بهم وجواب لو ايضا محذوف ايذانا بغاية ظهوره اى لتمنوا بذلك وقوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا عطف على يودّ اى لا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اى يريدون ان يدفنوا فى الارض وهم لا يكتمون منه تعالى حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى انهم اذا رأوا ذلك ضمّ الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتدّ الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء وقرئ بحذف احدى التاءين وقرئ تسوى بحذف التاء الثانية يقال سوّيته فتسوى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لما نهوا فيما سلف عن الاشراك به تعالى نهوا عما يؤدى اليه من حيث لا يحتسبون فانه روى ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا حين كان الخمر مباحة فدعا نفرا من الصحابة رضى الله تعالى عنهم فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وحان وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم يصلى بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وتصدير الكلام بحرف النداء والتنبيه للمبالغة فى حملهم على العمل بموجب النهى وتوجيه النهى الى قربان الصلوة مع ان المراد نفس الصلوة للمبالغة فى ذلك وقيل المراد النهى عن قربان المسجد كقولك جنّبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وبابه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فالمعنى لا تقربوها فى حالة السكر حتى تعلموا اوّل الشروع ما تقولونه اذ بتلك التجربة يظهر انهم يعلمون ما سيقولونه فى الصلوة وحمل ما تقولون على ما فى الصلوة يستدعى تقدم الشروع فيها على غاية النهى وحمل العلم على ما بالقوة على معنى حتى تكونوا بحيث تعلمون ما ستقولونه فى الصلوة تعويل على الاطائل لان تلك الحيثية انما تظهر بما ذكر من التجربة على ان اثبار ما تقولون على ما تقرؤن ح يكون عارضا غير الذاعى وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم دانيا ما كان فليس مرجع النهى هو المقيد مع بقاء القيد مرخصا بحاله بل انما هو القيد مع بقاء المقيد على حاله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا كانه قيل لم ايها الذين آمنوا لا تسكروا فى اوقات الصلوة روى انهم كانوا بعد ما نزلت الآية لا يشربون الخمر فى اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب السكر وعلموا ما يقولون ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى فانه فى حيز النصب كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب من اصابته الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر الا عابرى سبيل استثناء مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على انه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقييده بالحال الثانية دون الاولى والعامل فيه فعل النهى اى لا تقربوا الصلوة جنبا فى حال من الاحوال الا حال كونكم مسافرين على معنى ان فى حالة التلبس بنهى حكم النهى هكن لا بطريق شمول النفى لجميع صور ما بل بطريق نفى الشمول فى الجملة من غير دلالة على انتفاء خصوصية البعض المنتفى ولا على بقاء خصوصية البعض الباقى ولا على بعض ثبوت نقيضه لا كليا ولا جزئيا فان الاستثناء لا يدل على ذلك عبارة نعم يشير الى مخالفة حكم ما بعد لما قبله اشارة اما لانه يكتفى بها فى المقامات الخطابية لا فى اثبات الاحكام الشرعية فان ملاك الامر فى ذلك انما هو الدليل وقد ورد عقيبه على طريقة البيان وقيل هو صفة لجنبا على ان الا بمعنى غير اى الا جنبا غير عابرى سبيل فمن حمل الصلوة على مواضعها فسر العبور بالاجتياز بها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعى رح وعندنا لا يجوز ذلك الا ان يكون الماء او الطريق فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم فى المسجد وكان يصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا فى المسجد فرخص لهم ذلك حتى يغتسلوا غاية للنهى عن قربان الصلوة حالة الجنابة ولعل تقديم الاستثناء عليه للايذان من اول الامر بان حكم النهى

فى هذه الصورة ليس على الاطلاق كما فى صورة السكر سُتُوبًا الى البيان وورد الزيادة تقرره فى الاذهان وفى الآية الكريمة اشارة
الى ان المصلى حقه ان يتحرز عما تلهيه ويشغل قلبه وان يزكى نفسه عما يدنسها ولا يكتفى بادنى مراتب التزكية عند امكان اعلاها
وان كنتم مرضى شروع فى تفصيل ما اجمل فى الاستثناء وبيان ما هو فى حكم المستثنى من الاعذار والاقتصار فيما قبل على استثناء السفر
مع مشاركة الباقى له فى حكم الترخيص للاشعار بانه العذر الغالب المنهى عن الضرورة التى عليها يدور الرخصة كما تقبل ولا جنبا
الا مضطرين واليه مرجع ما قيل من انه جعل عابرى سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض ما يمنع من استعمال الماء مطلقًا سواء
كان ذلك بتعذر الوصول اليه او بتعذر استعماله او على سفر عطف على مرضى اى او كنتم على سفر ما طال وقصر واياده صريحا مع ما سبق
ذكره بطريق الاستئناف لبناء الحكم الشرعى عليه وبيان كيفية قال الاستئناف كما اشير اليه بمعزل من الدلالة على ثبوته فضلًا
عن الدلالة على كيفية وتقديم المرض للايذان باصالته واستقلاله باحكام لا يوجد فى غيره كالاستدراد باستعمال الماء ونحوه او جاء
احد منكم من الغائط هو المكان الغائر المطمئن والمجئ منه كناية عن الحدث لان المعتاد ان من يريد يذهب اليه ليوارى شخصه
عن اعين الناس واسناد المجئ عنه الى واحد منهم من المخاطبين دونهم للتفادى عن التصريح بنسبتهم الى ما يستحيى منه او يستهجن
التصريح به وكذلك اثنيار الكناية فيما عطف عليه من قوله عز وجل او لامستم النساء على التصريح بالجماع ونظمهما فى سلك
سببى سقوط الطهارة والمصير الى التيمم مع كونهما سببى وجوبها ليس باعتبار انفسهما بل باعتبار قيديهما المستفادين من قوله تعالى
فلم تجدوا ماءً بل هو السبب فى الحقيقة وانما ذكرا تمهيدًا له وتنبيهًا على انه سبب للرخصة بعد انعقاد سبب الطهارة الصغرى
والكبرى كانه قيل اولم تكونوا مرضى او مسافرين بل كنتم فاقدين للماء بسبب من الاسباب مع تحقق ما يوجب استعماله وتخصيص ذكره
بهذه الصورة مع انه معتبر فى صورة المرض والسفر ايضًا لندرة وقوعه فيهما واستغنائهما عن ذكره اما ان الجنابة معتبرة
فيهما قطعًا فيعلم حكمها من حكم الحدث الاصغر بدلالة النص لان تقدير النظم لا تقربوا الصلوة فى حال الجنابة الا حال كونكم
مسافرين فان كنتم كذلك او كنتم مرضى الخ واما ما قيل من ان عموم اعواز الماء فى حق المسافر والعجز عن استعمال الماء ان تم
مقام عدمه فى حق المريض مغن عن ذكره لفظًا وما قيل من ان هذا القيد راجع الى الكل وان قيد وجوب التطهر المكنى عنه بالمجئ
من الغائط والملامسة معتبر فى الكل مما لا يليق بالنظم الكريم فتيمموا صعيدًا طيبًا فتعمدوا شيئًا من وجه الارض ظاهرًا
قال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لوضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهورا
وهو مذهب ابى حنيفة رح وعند الشافعى رح لا بد من ان تعلق باليد شئ من التراب فامسحوا بوجوهكم وايديكم اى الى المرفقين
لما روى انه عليه السلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء فيتقدر بقدره ان الله كان عفوا غفورًا تعليل
للترخيص والتيسير وتقرير لهما فان من عادته المستمرة ان يعفو عن الخاطئين ويغفر للمذنبين لا بد من ان يكون يسر الامر
وقيل هو كناية عنهما فان الترفيه والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران الم تر الا الذين اوتوا نصيبًا من الكتاب
كلام مستانف مسوق لتعجيب المؤمنين من سوء حالهم والتعذير عن موالاتهم والخطاب لكل من يتاتى منه الرؤية من المؤمنين
وتوجيهه اليه هنا مع توجيهه فيما بعد الى الكل معًا للايذان بكمال شهرة حالهم وانها بلغت من الظهور الى حيث يتعجب منها كل من يرى
والرؤية بصرية اى الم تنظر اليهم فانهم احقاء بان يشاهدهم ويتعجب من احوالهم وتجويز كونها قلبية على ان الالتفات فيها معنى
الانتهاء كما فعلوه بايا به مقام تشهير شانهم ونظمها فى سلك الامور التى يتعجب والمراد بهم احبار اليهود روى عن ابن عباس
انها نزلت فى حيين من احبار اليهود كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن ابى ورهطه ليثبطانهم عن الاسلام وعنه ايضا
انها نزلت فى رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوى بالسنتهما وعابه والمراد بالكتاب
هو التورية وحمله على جنس الكتاب المنتظم لها انتظامًا اوليًا لطويل اللسانة وبالذى اوتوه ما بين لهم فيها من الاحكام والعلوم

التى من جملتها ما علموه من نعت النبى صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب المنبئ عن كونه حقا من صفوفهم
التى يجب مراعاتها والمحافظة عليها للايذان بكمال ركاكة آرائهم حيث ضيعوه تضييعا وتنوينه تفخيمى مؤيد للتشنيع عليهم والتعجيب
من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما فى حيز الصلة على كمال شناعتهم والاشعار بكمان ما طوى ذكره فى المعاملة المحكية عنهم من الهوى
الذى هو احد العوضين وكلمة من متعلقة اما بادوتوا او بمحذوف وقع صفة لنصيبا مبينة لفخامة الاضافة اثر بيان فخامة الذات
اى نصيبا كائنا من الكتاب وقوله عز وجل يشترون الضلالة قيل هو واو مقدرة من واو ادوتوا ولا ريب فى ان اعتبار
تقدير اشتراءهم المذكور فى الايتاء مما لا يليق بالمقام وقيل حال من الموصول اى الم تنظر اليهم حال اشتراءهم الخ وانت خبير
بانه حال عن افادة ان مادة التشنيع والتعجيب هو الاشتراء المذكور وما عطف عليه والذى يقتضيه جزالة النظم الكريم
انه استئناف مبين لمناط التشنيع ومدار التعجيب المفهومين من صدر الكلام على وجه الاجمال والابهام مبنى على سؤال نشأ
منه كأنه قيل ما يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يأخذون الضلالة ويتركون ما اتوه من الهداية وانما طوى عن ذكر المتروك
لغاية ظهور الامر لا سيما بعد الاشعار المذكور والتعبير عن ذلك الاشتراء الذى هو عبارة عن استبدال السلعة بالثمن اى الفوز بما
بدلا منه اخذا ناشئا عن الرغبة فيها والاعراض عنه للايذان بكمال رغبتهم فى الضلالة التى حقها ان يعرض عنها كل الاعراض
واعراضهم عن الهداية التى يتنافس فيها المتنافسون وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى
حيث صورت حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاه احد ممن له ادنى تمييز وليس المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل حتى يخل
بمعنى الاشتراء المنبئ عن تأخرها عنه بل هو فردها الكامل وهو عنادهم وتماديهم فى الكفر بعد ما علموا بأن النبى صلى الله عليه وسلم
وتيقنوا بحقية دينه وانه هو النبى الموعود المبشر به فى التوراة ولا ريب فى ان هذه المرتبة لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد مر
فى اوائل سورة البقرة ويريدون عطف على يشترون شريكه فى بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع فيهما للدلالة
على الاستمرار التجددى فان تجدد حكم اشتراءهم المذكور وتكرار العمل بموجبه فى قوة تجدد نفسه وتكرره اى لا يكتفون بضلال انفسهم
بل يريدون ما فعلوا من كتمان نعوته عليه السلام ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل المستقيم الموصل الى الحق
والله اعلم اى منكم باعدائكم جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد اخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون بكم ليكونوا على حذر منهم
ومن مخالطتهم او هو اعلم بحالهم ومآل امرهم والجملة معترضة لتقرير ارادتهم المذكورة وكفى بالله وليا فى جميع امورهم وخصكم
وكفى بالله نصيرا فى كل المواطن فيتقوا به ولا يتقوا غيره ولا تتولوا اعداءه ولا تبالوا بهم وبما يسومونكم من السوء
فانه تعالى يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد والباء مزيدة فى فاعل كفى لتأكيد الاتصال الاسنادى بالاتصال الاضافى
وتكرير الفعل فى الجملتين مع اظهار الجلالة فى مقام الاضمار لاستيفاء الثانى لتقوية استقلالها المناسب للاعتراض وتأكيد
كفاية عز وجل فى كل من الولاية والنصرة والاشعار بعلتهما فان الالوهية من موجباتهما لا محالة من الذين هادوا
قيل هو بيان لاعدائكم وبينهما اعتراض وفيه انه لا وجه لتخصيص عليم سبحانه بطائفة من اعدائهم كما فى معرض الاعتراض الذى
صفة العموم والاطلاق وانتظام ما هو المقصود فى المقام انتظاما اوليا كما اشير اليه وقيل هو صلة لنصيرا اى ينصركم من الذين
هادوا والكلام فى قوله تعالى ممن ينصرنى من الله وفيه ما فيه من تخيير واسع نصرته عز وجل مع انه لا داعى الى وضع الموصول موضع ضمير
الاعداء لان ما فى حيز الصلة ليس بوصف ملائم للنصر وقيل هو خبر مبتدا محذوف وقع قوله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه
صفة له اى من الذين هادوا قوم او فريق يحرفون الخ وفيه انه يقتضى كون الفريق السابق بمعزل من التحريف الذى هو المعدود
لاشتراءهم فى الحقيقة فالذى يليق بشأن التنزيل الجليل انه بيان للموصول الاول المتناول بحسب المفهوم لاهل الكتابين
قد وسط بينهما ما وسط لمزيد الاعتناء ببيان محل التشنيع والتعجيب والمسارعة الى تنفير المؤمنين منهم وتحذيرهم عن محالطتهم

والاهتمام بحملهم على الثقة بالله عز وجل والاكتفاء بولايته ونصرته وان قوله تعالى يحرفون وما عطف عليه بيان لاشرارهم المذكور وتفصيل لفنون
ضلالتهم وقد روعيت في النظم الكريم طريقة التفسير بعد الابهام والتفصيل اثر الاجمال ردعا لزيادة تقرير بتقيضه الحال والكلم اسم جنس
واحده الكلمة كتمر وتمرة وتذكير ضميره باعتبار افراده لفظا وجمعية مواضعه باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة
تخفيف كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد به هنا اما ما في التورية خاصة واما ما هو اعم منه ومما يحكى عنهم من الكلمات المعهودة الصادرة
عنهم في اثناء المحاورة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وللمساغ لارادة تلك الكلمات خاصة بان يجعل عطف قوله تعالى ويقولون
سمعنا وعصينا الخ على ما قبله عطفا تفسيريا لما استقر على ستره فان اريد به الاول كما هو راي الجمهور فتحريفه ازالتهم مواضعه
التي وضعه الله تعالى فيها من التورية كتحريفهم نعت النبي صلى الله عليه وسلم اسمر ربعة عن موضعه في التورية بان وضعوا مكانه آدم
طوال وكتحريفهم الرجم بوضعهم بدله الحد اذ صرفه عن المعنى الذي انزل الله تعالى فيه الى ما لا صحة له بالتا وبلا ادنى ملابسة الملائمة لشهواتهم الباطلة
وان اريد به الثاني فلا بد من ان يراد بمواضعه ما يليق به مطلقا سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحا كمواضع ما في التورية او بتعيين
العقل والدين كمواضع غيرها ايا ما كان فقولهم سمعنا وعصينا ينبغي ان يجري على اطلاقه من غير تقييد بزمان او بمكان ولا تخصيص
بمادة دون مادة بل وان يحمل على ما هو اعم من القول الحقيقي وما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه ما نطقت به السنة حالهم
عند تحريف التورية فان من لا يتفوه بتلك العظيمة لا يكاد يتجاسر على مثل هذه الجناية والا فحملهم على ما قالوه في مجلس النبي عليه السلام
من القبائح خاصة يستدعي اختصاص حكم الشرطية الآتية وما بعدها بهن من غير تعرض لتحريفهم التورية مع انه معظم جناياتهم المعدودة
ومن ههنا انكشف لك الستر الموعود فتأمل اي يقولون في كل امر مخالف لاهوائهم الفاسقة سواء كان بحضرة النبي عليه السلام اولا
بلسان المقال او الحال سمعنا وعصينا عنادا او تحقيقا للمنى لغة وقوله تعالى واسمع غير مسمع عطف على سمعنا وعصينا داخل
تحت القول اي ويقولون ذلك في اثناء مخاطبته عليه السلام خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بان يجعل على معنى اسمع حال كونك
غير مسمع كلاما اصلا بصمم او موت اي مدعوا عليك بلا سمعت او غير مسمع كلاما ترضاه فحينئذ يجوز ان يكون نصبه على المفعولية وللخير
بان يجعل على اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون بها النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء به منظرين له ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون
في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به وراعنا عطف على اسمع غير مسمع اي ويقولون في اثناء خطابهم عليه السلام هذا ايضا وردد
كلا من العظائم الثلث في مواقعها وهو ايضا كلمة ذو وجهين محتملة للخير بجعلها على معنى ارقبنا وانتظرنا كلامك وللشر بحملها
على السب بالرعونة اي الحمق او باجرائها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا كانوا
يخاطبونه عليه السلام بذلك ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير والاحترام ومصير الى مسلك النفاق في القولين الاخيرين
مع تقرحهم بالعصيان في الاول لما قالوا من ان جميع الكفرة كانوا يواجهون بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء
وقيل كانوا يقولون الاول فيما بينهم وقيل يجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كأنهم نطقوا به ليا بالسنتهم
اي فتلا بها وصرفا للكلام عن نهجه الى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا اسمعت مكروها واجروا راعنا المشابهة
لراعينا مجرى انظرنا او فتلا بها وصما ما يظهرونه من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير وطعنا في الدين
اي قدحا فيه بالاستهزاء والتسخرية وانتصابهما على انهما علتان ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين الاخيرين اي يقولون ذلك لصرف الكلام
عن وجهه الى السب والطعن في الدين او على الحالية اي لادين وطاعنين في الدين ولو انهم عند ما سمعوا شيئا من اوامر الله تعالى ونواهيه
قالوا بلسان المقال او بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا انما اعيد سمعنا مع انه يتحقق بدونه لكمال مهم وانما الحاجة
الى وضع اطعنا مكان عصينا لا للتنبيه على عدم اعتباره بل على اعتباره عدم كيف لا وسماعهم سماع الرد ومرادهم بحكايته اعلام ان
عصيانهم للامر بعد سماعه والوقوف عليه فلا بد من ازالته واقامة سماع القبول مقامه واسمع اي لو قالوه عند مخاطبة النبي عليه السلام

بدل قولهم اسمع غير مسمع وانظرنا اى ولو قالوا اذلك بدل قولهم راعنا ولم يدسوا تحت كلامهم شرا وفسادا اى لو ثبت
انهم قالوا هذا مكان ما قالوا من الاقوال لكان قولهم ذلك خيرا لهم مما قالوا واقوم اى اعدل واسد فى نفسه وصيغة
التفضيل انما على بابها واعتبار اصل الفعل فى المفضل عليه بناء على اعتقادهم او بطريق التهكم وانما يعتبر الفاعل وانما قدم فى البيان
حاله بالنسبة اليهم على حاله فى نفسه لان همهم مقصورة على ما ينفعهم ولكن لعنهم الله بكفرهم اى ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا
على كفرهم فخذلهم الله تعالى وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ذلك فلا يؤمنون بعد ذلك الا قليلا قيل اى الا ايمانا قليلا لا يعبأ به
وهو الايمان ببعض الكتب والرسل والا زمانا قليلا وهو زمان الاحتضار فانهم يؤمنون حين لا ينفعهم الايمان قال تعالى
وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكلاهما ليس بايمان قطعا وقد جوز ان يراد بالقلة العدم بالكلية على طريقة قوله تعالى
لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اى ان كان الايمان المعدوم ايمانا فهم يحدثون شيئا من الايمان فهو فى المعنى تعليق بالمحال وانت خبير
بان الكل ثابت ما يعقبه من الامر بالايمان بالقرآن الناطق بهذا الاقتضاء حتما الى التكليف بالمحال الذى هو ايمانهم المستمر اما على وجه الاخير
فظاهر واما على الاولين فلان امرهم بالايمان المنجز بجميع الكتب والرسل تكليف لهم بايمانهم بعدم ايمانهم ببعض الكتب والرسل
وبعدم ايمانهم الى وقت الاحتضار فالوجه ان يحمل القليل على من يؤمن بعد ذلك لكن لا يجعل المستثنى منه ضمير الفاعل فى لا يؤمنون
لاقتضائه وقوع ايمان من لعنه الله تعالى وخذله مع ما فيه من نسبة التوارد الى الاتفاق على غير المختار بل بجعله ضمير المفعول فى لعنهم اى ولكن
لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم يبق عليهم باب الايمان وقد آمن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام
وكعب واخويهما كما سيأتى يا ايها الذين اوتوا الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له اما من حكيت احوالهم واقوالهم
خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بايتاء الكتاب اى التورية واخرى بايتاء نصيب منها للتوفية كل من المقامين حظه
فان المقصود فيما سبق بيان اخذهم الضلالة وازالة ما اتوه بمقابلتها بالتحريف وليس ما ازالوه بذلك كلها حتى يوصفوا بايتائه
بل هو بعضها فوصفوا بايتائه واما ههنا فالمقصود تاكيد ايجاب الامتثال بالامر الذى يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث ان
بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه والكفر بالثانى فقيض للكفر بالاول قطعا فلا ريب فى ان المحذور عندهم انما هو لزوم الكفر
بالتورية نفسها لا ببعضها وذلك انما يتحقق بجعل القرآن مصدقا لكلها وان كان مناط التصديق بعضا منها ضرورة
ان مصدق البعض مصدق للكل المتضمن له حتما واما اليهم والى غيرهم قاطبة وهو الاظهر واتيانا كان فتفصيل ما فصل
لما كان من مظان اقلاع كل من الفريقين عما كانوا عليه من الضلالة عقب ذلك بالامر بالمبادرة الى سلوك محجة الهداية
مشفوعا بالوعيد الشديد على المخالفة فقيل امنوا بما انزلنا من القرآن عبر عنه بالموصول تشريفا له بما فى حيز الصلة
وتحقيقا لكونه من عند عز وجل مصدقا لما معكم من التورية عبر عنها بذلك للايذان بكمال وضوحهم على حقيقة الحال
فان المعية المستدعية لدوام تلاوتها وتكرر المراجعة اليها من موجبات علمهم بما فى تضاعيفها المؤدى الى العلم بكون القرآن مصدقا
لها ومن تصديقه اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها لكونه موافقا للقصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس
والنهى عن المعاصى والفواحش واما ما يترائى من مخالفته لها فى جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الامم والاعصار فليست بمخالفة
فى الحقيقة بل هى عين الموافقة من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى المتضمن للحكمة التى عليها يدور فلك التشريع ضرورة ان
نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا
لما وسعه الا اتباعى من قبل ان نطمس وجوها متعلق بالامر المبهم وجه وآكده حيث لم يعلق وقوع الموعود به بالمخالفة
ولم يصرح بوقوعه عند ما تنبيها على ان ذلك امر محقق غنى عن الاخبار به وانه على شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين وفى تنكير
الوجوه المفيد للتكثير وتهويل الخطب فى ابهامها لطف بالمخاطبين وحث لهم على الايمان واصل الطمس محو الآثار

وازالة الاعلام اى آمنوا من قبل ان يجو لحطيط صورها وتنزيل آثارها قال ابن عباس رضه نجعلها كخف البعير او كى فى
الدابة وقال قتادة والضحاك نغيرها كقوله تعالى فطمسنا اعينهم وقيل نجعل مكان منابت الشعر كوجوه القردة فنردها
على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها واقفائها ممسوحة قد امثلها فالقفاء للتعقيب او نكسها بعد الطمس فنردها الى الوضع
الاقفاء الى موضعها وقد اكتفى بذكر احدهما فالقفاء للتعقيب وقيل المراد بالوجوه الوجهاء على ان الطمس بمعنى مطلق التغيير
اى من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلب اقبالهم وجاهتهم ونكسوهم صغارا وادبارا او نردهم من حيث جاؤا منه وهى
اذرعات الشام فالمراد بذلك اجلاء بنى النضير ولا يخفى انه لا يناسب مقام تشديد الوعيد وتعميم التهديد فالوجه ما سبق من الوجوه
وقد اختلف فى ان الوعيد هل كان بوقوعه فى الدنيا او فى الآخرة فقيل كان بوقوعه فى الدنيا ويؤيده ما روى ان عبد الله بن
سلام لما قدم من الشام وقد سمع هذه الآية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتى اهله فاسلم وقال يا رسول الله
ما كنت ارى ان اصل اليك حتى تتحول وجهى الى قفائى وفى رواية جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ودين على وجهه واسلم
وقال ما قال وكذا ما روى ان عمر رضه قرأ هذه الآية على كعب الاحبار فقال يا رب آمنت يا رب اسلمت مخافة ان يصيبنى
وعيد ثم اختلفوا فقيل انه منتظر بعد ولا بد من طمس فى اليهود ومسخ وهو قول المبرد وفيه ان انصراف العذاب الموعود عن
اوائلهم وهم الذين باشروا اسباب نزوله وموجباته طوله حيث شاهدوا النبوة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوا
وفى التوراة فجحدوا واصروا على الكفر والضلالة وتعلق بهم خطاب المشافهة بالوعيد نزوله على من وجد بعد مائتين من السنين من
اعقابهم الضالين باضلالهم العاملين بما مهدوا من قوانين الغواية بعيد من حكمة الله العزيز الحكيم وقيل ان وقوعه كان مشروطا
بعدم الايمان وقد امن من اصابهم المذكوران واخوانهما فلم يقع وفيه ان اسلام بعضهم ان لم يكن سببا لتاكد نزول العذاب
على الباقين لتشديدهم النكير والعناد بعد ازدياد الحق وضوحا وقيام الحجة عليهم بشهادة اماثلهم العدول فلا اقل من
انه لا يكون سببا لرفعه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع احد الامرين كما ينطق به قوله تعالى او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت
فان لم يقع الامر الاول فلا نزاع فى وقوع الثانى كيف لا وهم ملعونون بكل لسان فى كل زمان وتفسير اللعن بالمسخ ليس بمعتبر البتة
وانت خبير بان المتبادر من اللعن المشبه بلعن اصحاب السبت هو المسخ وليس فى عطفه على الطمس الرد على الادبار شائبة دلالة
على عدم ارادة المسخ ضرورة انه تغيير مغائر لما عطف عليه على ان الموعود به لا بد ان يكون امرا حادثا مترتبا على الوعيد محذورا لاجلهم
ليكون مزجرة عن مخالفة الامر ولم يعهد انه وقع عليهم لعن بهذا الوصف انما الواقع عليهم ما تداولته الالسنة من اللعن المستمر الذى
النوه وهو بمعزل من صلاحية ان يكون حكما لهذا الوعيد او مزجرة للعنيد وقيل انما كان الوعيد بوقوع ما ذكر فى الآخرة عند الحشر
سيقع فيها لا محالة احد الامرين وكلاهما على سبيل التوزيع واما ما روى عن عبد الله بن سلام وكعب رضه فمبنى على الاحتياط
اللائق بشانهما والحق ان النظم الكريم ليس بنص فى احد الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام هو الاول لانه ادخل فى الزجر وعليه مبنى
ما روى عن الحبرين لكن لما لم يتضح وقوعه علم ان المراد هو الثانى والله تعالى اعلم وانما كان فعل الستر فى تخصيصهم بهذه
العقوبة من بين العقوبات مراعاة المشاكلة بينها وبين ما اوجبها من جنايتهم التى هى التحريف والتغيير والله هو العليم الخبير
وكان امر الله اى ما امر به كائنا ما كان اراده بايقاع شئ ما من الاشياء مفعولا نافذا كائنا لا محالة فيدخل فيه
ما اوعدتم به دخولا اوليا فالجملة اعتراض تذييلى مقرر لما سبق ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة
وتعليل الحكم وتقوية ما فى الاعتراض من الاستقلال ان الله لا يغفر ان يشرك به كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله
من الوعيد وتاكيد وجوب الامتثال بالامر بالايمان ببيان استحالة المغفرة بدونه فانهم كانوا يفعلون ما يفعلون من
التحريف ويطمعون فى المغفرة كما فى قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى اى على التحريف ويقولون

سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم للكفر اليهود انتظاما اوليا فان الشرع قد نص على اشراك اهل الكتاب قاطبة وقضى
بخلود اصناف الكفرة الكفرة في النار ونزولهم في حق اليهود كما قال مقاتل وهو الانسب بسياق النظم الكريم وسياقه ولا يقتضي اختصاصه
بكفرهم بل يكفي اندراجه قطعا بل لا وجه له اصلا لاقتضائه جواز مغفرة ما دون كفرهم في الشدة من انواع الكفر اي لا يغفر الكفر لمن اتصف به
بلا توبة وايمان لان الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان مما يؤدي الى فتح ولان ظلمات الكفر والمعاصي
انما يستر بما نور الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي ويغفر ما دون ذلك عطف على خبر ان وذلك اشارة الى الشرك
وما فيه من معنى البعد مع قربه في الذكر للايذان ببعد درجته وكونه في اقصى مراتب القبح اي ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت او كبيرة متفضلا
من لدنه واحسانا من غير توبة عنها لكن لا لكل احد بل لمن يشاء اي لمن يشاء ان يغفر له ممن اتصف به فقط لا بما فوقه فان مغفرتها
لمن اتصف بهما سواء في استحالة الدخول تحت المشية المبنية على الحكمة التشريعية فان اختصاص مغفرة المعاصي من غير توبة باهل الايمان
من متممات الترغيب فيه والزجر عن الكفر ومن على المشية بطلا العقلين وجعل الموصول الاول عبارة عمن لم يتب والثاني عمن تاب
فقد ضل سبيل الصواب كيف لا وان سياق النظم الكريم لاظهار كمال عظم جريمة الكفر وامتيازه عن سائر المعاصي ببيان استحالة
مغفرته وجواز مغفرتها فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق للاجماع على مغفرتها بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر
البليغ عن الكفر والطغيان والحمل على التوبة والايمان ومن يشرك بالله اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لزيادة
تقبيح الاشراك وتفظيع حال من يتصف به فقد افترى اثما عظيما اي افترى واختلق ذنبا اثما لا يقادر قدره ويستحق
دونه جميع الآثام فلا يتعلق به المغفرة قطعا الم تر الى الذين يزكون انفسهم تعجيب من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر
والطغيان والمراد بهم اليهود الذين يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا بأطفالهم الى رسول الله
عليه السلام فقالوا اهل على هؤلاء ذنب قال عليه السلام لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر
عنا بالنهار اي انظر اليهم فتعجب من ادعائهم بهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم العظيم او من ادعائهم
التكفير مع استحالة ان يغفر للكافر شيء من كفره او معاصيه وفيه تحذير من اعجاب المرء بنفسه وعمله بل الله يزكي من يشاء
عطف على مقدر ينساق اليه الكلام كأنه قيل هم لا يزكون انفسهم في الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله يزكي من يشاء
تزكيته ممن يشاء اهلها من المرتضين من عباده المؤمنين اذ هو العليم الخبير بما ينطوي عليه البشر من المحاسن والمساوئ وقد وصفهم
بما هم متصفون به من القبائح واصل التزكية نفي ما يستقبح بالفعل او بالقول ولا يظلمون عطف على جملة قد حذفت تعويلا
على دلالة الحال عليها وايذانا بانها غنية عن الذكر اي يعاقبون بتلك العظيمة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب فتيلا
اي ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة وقيل التقدير بشياء المزكون
ولا ينقص من ثوابهم اصلا ولا يساعده مقام الوعيد انظر كيف يفترون على الله الكذب كيف نصب اما على التشبيه بالظرف
او بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه والاخفش والعامل يفترون به يتعلق على اي في اي حال او على اي حال يفترون عليه
الكذب والمراد بيان شناعة ذلك المحال وكمال قطاعهم والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض والنظر معلق بهما وهو تعجيب اثر
تعجيب وتنبيه على ان ما ارتكبوه متضمن لامرين عظيمين موجبين للتعجيب ادعاؤهم الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه وافتراؤهم
على الله سبحانه فان ادعاءهم الزكاء عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله تعالى وارتضاه اياهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولكون
هذا الشنع من الاول جرما واعظم قبحا لما فيه من نسبته سبحانه الى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة كفر
الكافر وسائر معاصيه وجه النظر الكيفية تشويها للتشنيع وتاكيدا للتعجيب والتصريح بالكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا
للمبالغة في تقبيح حالهم وكفى به اي بافترائهم هذا من حيث هو افتراء عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية انفسهم وسائر آثامهم

العظام اثما مبينا ظاهرا بينا كونه اثما والمعنى كفى ذلك وحده فى كونهم اشد اثما من كل كفار اثيم اوفى استحقاقهم لاشد العقوبات
لما فرسرة وجعل الضمير لزعمهم تمثيلا لاضلاله بتهويل امرالافتراء فتدبر الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب تعجيب
من حال اضرابهم ووصفهم باذكر من ايتاء النصيب لما قرن من منافاته لما صدر عنهم من القبائح وقوله عز وجل يؤمنون بالجبت والطاغوت
استئناف مبين لمادة التعجيب مبنى على سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم فقيل يؤمنون الخ والجبت
الاصنام وكل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذى لاخير عنده فابدل السين تاء وقيل الجبت السحر بلغة الحبشة
والطاغوت الشيطان قيل هو فى الاصل كل ما يطغى الانسان روى ان حيي ابن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة
فى سبعين راكبا من اليهود لينحالفوا قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله
عليه السلام فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم البنا فلانا من مكركم فاسجد والآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا افهذا
ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرء الكتاب وتعلم
ونحن اميون لانعلم فاينا اهدى طريقا نحن ام محمد فقال ما تقول محمد قال وما يقول محمد قال يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال
وما دينكم قالوا نحن ونلاة البيت نسقى الحاج ونقرى الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم قال انتم اهدى سبيلا وذلك قوله
ويقولون للذين كفروا اى لاجلهم وفى حقهم هؤلاء يعنونهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اى اقوم دينا واشد طريقة
واوادهم بعنوان الايمان ليس من قبيل القائلين بل من جهة الله تعالى تعريضا لهم بالوصف الجميل وتحظئة لمن رجح عليهم المتصفين
بافحش القبائح اولئك اشارة الى القائلين وما فيه من معنى البعد مع قربهم فى الذكر للاشعار ببعد منزلتهم فى الضلال
وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين لعنهم الله اى ابعدهم عن رحمته وطردهم والجملة مستانفة لبيان حالهم واظهار مصيرهم
ومآلهم ومن يلعن الله اى يبعده عن رحمته فلن تجد له نصيرا يدفع عنه العذاب دنيويا كان واخرويا لا الشفاعة
ولا غيرها وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش وفى كلمة لن وتوجيه الخطاب الى كل احد مبنى لا الخطاب وتوحيد
النصير منكرا والتعبير عن عدمه بعدم الوجدان المنبئ عن سبق الطلب مسندا الى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم
الابدى بالكلية مالا يخفى ام لهم نصيب من الملك شروع فى تفصيل بعض آخر من قبائحهم وام منقطعة وما فيها من بل
للاضراب والانتقال من ذمهم بتزكيتهم انفسهم وغيرها مما حكى عنهم الى ذمهم باداعائهم نصيبا من الملك وبخلهم المفرط وشحهم
البالغ والهمزة لانكار ان يكون لهم ما يدعونه وابطال ما زعموا ان الملك سيصير اليهم وقوله تعالى فاذن لا يؤتون الناس
نقيرا بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب انهم من البخل والدناءة بحيث لو اعطوا شيئا من ذلك لما اعطوا
الناس منه اقل قليل ومن حق من اوتى الملك ان يؤثر الغير بشئ منه فالفاء للسببية الجزائية لشرط محذوف اى اجعل لهم نصيبا
فاذن لا يؤتون الناس مقدار نقير وهو ما فى ظهر النواة من النقرة يضرب به المثل فى القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف
عن كنه حالهم واذا كان شانهم كذلك وهم ملوك فاظنك بهم وهم اذلاء متقاقرون وقيل ان لا يكون الهمزة لانكار الوقوع
بل لانكار الواقع والتوبيخ عليه اى لعدة منكرا غير لائق بالوقوع على ان الفاء للعطف والانكار متوجه الى مجموع المعطوفين على معنى
الهم نصيب واف من الملك حيث كانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس مع ذلك نقيرا كما تقول
للغنى لا يراعى ايامه الك هذا القدر من المال فلا تنفق على ايتام شيأ وفائدة اذن تاكيد الانكار والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب سببا
للمنع مع كونه سببا للاعطاء وهى ملغاة عن العمل كانه قيل فلا يؤتون الناس اذن وقرئ فاذن لا يؤتوا بالنصب على اعمالها
ام يحسدون الناس منقطعة ايضا مفيدة للانتقال عن توبيخهم بما سبق الى توبيخهم بالحسد الذى هو شر الرذائل واقبحها لا سيما
علماءهم بمنزل من استحقاقهم فيه واللام فى الناس للعهد والاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وحمله على الجنس

ايذانًا بجيازتهم للكمالات البشرية فاطبةً فكأنهم هم الناس لا غير لا يلائمه ذكر حديث آل ابرٰهيم فان ذلك لتذكير ما بين الفريقين
من العلاقة الموجبة لاشتراكهما في استحقاق الفضل والهمزة لانكار الواقع واستقباحه فانهم كانوا يطمعون ان يكون النبي
الموعود منهم فلما خص الله تعالى بتلك الكرامة غيرهم حسدوهم اى بل يحسدونهم • على ما آتاهم الله من فضله • يعني النبوة والكتاب
وازدياد العز والنصر يوميًا فيومًا وقوله تعالى • فقد آتينا • تعليل للانكار والاستقباح والزام لهم بما هو مسلم عندهم وحتهم لمادة
حسدهم واستبعادهم المبنيين على توهم عدم استحقاق المحسود لما اولى من الفضل ببيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابرًا عن كابر
واجرآء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لاظهار كمال العناية بالامر والمعنى ان حسدهم المذكور في غاية القبح والبطلان فانا قد آتينا
من قبل هذا • آل ابراهيم • الذين هم اسلاف محمد عليه الصلوٰة والسلام وابناء اعمامه • الكتاب • الحكمة • اى النبوة • وآتيناهم •
مع ذلك • ملكًا عظيمًا • لا يقادر قدره فكيف يستبعدون نبوته ويحسدونه على اتيانها وتكرير الايتاء لما يقتضيه مقام التفصيل
مع الاشعار بما بين النبوة والملك من المغايرة فان اريد به الايتاء بالذات فالمراد بآل ابراهيم انبياؤهم عم خاصة والضمير المسند
في الفعل الثاني لبعضهم اما بحذف المضاف او بطريق الاستخدام لما ان الملك لم يؤت كلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما الملك في آل ابراهيم ملك يوسف
وداود وسليمان عليهم السلام وان اريد به ما يعمه وغيره من الايتاء بالواسطة وهو الاليق بالمقام والاوفق لما قبله من نسبة
ايتاء الفضل الى الناس فالمراد بآل ابراهيم كلهم فان تشريف البعض باذكر من ايتاء الملك والنبوة تشريف للكل لانعقاد
باثارة واقتباسهم من انواره وفي تفصيل ما اوتوه وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم وتنكيره التفخيمي من تاكيد الالزام
وتشديد الانكار ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم واليه اصبح جمهور ائمة التفسير لكن الظاهر ان يكون قوله تعالى
فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه • حكاية لما صدر عن اسلافهم عقيب وقوع المحكي من غير ان يكون له دخل في الالزام
الذي سيق له الكلام اى فمن جنس هؤلاء الحاسدين وآبائهم من آمن بما اوتي آل ابراهيم ومنهم من اعرض عنه واما جعل الضمير
لما ذكر من حديث آل ابراهيم يستدعي تراخي الآية الكريمة عما قبلها نزولًا كيف لا وحكاية ايمانهم بالحديث المذكور واعراضهم
عنه بصيغة الماضي انما يتصور بعد وقوع الايمان والاعراض المتأخرين عن سماع الحديث المتأخر عن نزوله وكذا جعلها رسول الله
اذ الظرف بيان حالهم بعد هذا الالزام وحمله على حكاية حالهم السابقة لا يساعد الفاء المرتبة لما بعدها على ما قبلها طلا يبعد كل البعد
ان تكون الهمزة لتقرير حسدهم وتوبيخهم بذلك ويكون قوله تعالى فقد آتينا الآية تعليلًا لما يدل عليه اعراضهم عما اوتي آل ابراهيم وان
لم يذكر كونه بطريق الحسد كأنه قيل بل يحسدون الناس على ما آتيهم الله من فضله والا يؤمنون به وذلك دينهم المستمر فانا قد آتينا
آل ابراهيم ما آتينا فمنهم اى من جنسهم من آمن بما آتيناهم ومنهم من اعرض عنه ولم يؤمن به والله سبحانه اعلم
وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم • وكفى بجهنم سعيرًا • نارًا مسعرة يعذبون بها والجملة تذييل لما قبلها • ان الذين
كفروا بآياتنا • ان اريد بهم الذين كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد بالآيات اما القرآن او ما يعمه وبعضا وما يعم سائر
معجزاته ايضًا وان اريد بهم الجنس المتناول لهم تناولًا اوليًا فالمراد بالآيات ما يعم المذكورات وسائر الشواهد التي اوتيها الانبياء
عليهم السلام • سوف نصليهم نارًا • قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وينوب عنها النون الثقيلة وقد تذكر
في الوعد فيفيدان التاكيد اى ندخلهم نارًا عظيمة هائلة • كلما نضجت جلودهم • اى احترقت وكلما خرافي زمان والعامل
فيه • بدلناهم جلودًا غيرها • من قبيل بدله خوفه امنًا لامن قبيل بدل الاشتمال تهم حسنات اى اعطيناهم مكان جلد محترق
عند احراقه جلدًا جديدًا مغايرًا للمحترق صورة وان كان عينه مادة بان ينال عنه الاحراق ليعود احساسا بالعذاب والجملة في محل
النصب على انها حال من ضمير نصليهم وقد جوز كونها صفة لنارًا على حذف العائد اى كلما نضجت فيها جلودهم فمعنى قوله تعالى
• ليذوقوا العذاب • ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله وقيل يخلق مكانه جلدًا آخر والعذاب

للسن

لا بنفس الحاصية لا لآلة ادراكها قال ابن عباس رض يبدلون جلودًا بيضاء كامثال الرواطيس وروى أن هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال للقارئ أعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عند تغيرها يبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر رض هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كان وروى ابو هريرة رض عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بين منكبي الكافر مسيرة ثلثة ايام للراكب المسرع وعن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر او ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلثة ايام والتعبير عن ادراك العذاب بالذوق ليس لبيان قلته بل لبيان أن احساسهم بالعذاب في كل مرة كاحساس الذائق بالمذوق من حيث انه لا بد من انتفاء بدوام الملابسة او للاشعار بمرارة العذاب مع ايلامه او للتنبيه على شدة تاثيره من حيث أن القوة الذائقة اشد الحواس تاثرا وعلى سرايته للباطن ولعل السر في تبديل الجلود مع قدرته تعالى على ابقاء ادراك العذاب وذوقه بحاله مع الاحراق او مع ابقاء ابدانهم على حالها مصونة عن التالم والعذاب صيانة بدونها عن الاحراق • ان الله كان عزيزا • لا يمتنع عليه ما يريده ولا يعانده احد حكيما • يعاقب من يعاقبه على وفق حكمة والجملة تعليل لما قبلها من الاصلاء والتبديل واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات للايذان بالعلية وتربية المهابة وتعليل الحكم فان عنوان الالوهية مناط لجميع صفات الكمال • والذين آمنوا وعملوا الصالحات • عقب بيان سوء حال الكفرة ببيان حسن حال المؤمنين تكميلا لمسارة الاولين ومسرة الآخرين اي الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بمقتضاها وهو مبتدا خبره قوله تعالى • سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار • وقرئ سيدخلهم بالياء ردا على الاسم الجليل وفي التعبير ثاكيد للوعد • خالدين فيها ابدا • حال مقدرة من الضمير المنصوب في سندخلهم وقوله عز وعلا لهم فيها ازواج مطهرة اي مما كن نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة البدنية • والادناس الطبيعية • في محل النصب على انه صفة لجنات بعد صفة او في محل الرفع على انه خبر للموصول بعد خبر • وندخلهم ظلا ظليلا • اي فيئا دائما لا حجوب فيه دائما لا ينسخ شمل اللهم ارزقنا ذلك بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل للتاكيد كما في ليل الليل ويوم ايوم وقرئ يدخلهم بالياء وهو عطف على سيدخلهم لا على انه غير الادخال الاول بالذات بل بالعنوان كما في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ • ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها • في تصدير الكلام بكلمة التحقيق واظهار الاسم الجليل وايراد الامر على صورة الاخبار من الغائبة وتاكيد وجوب الامتثال بوجوه الدلالة على الاعتناء بشانه والامر بمدلوله وهو خطاب ولاة الحكم المكلفين فاطبة كما أن الامانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد سواء كانت فعلية او قولية او اعتقادية وان ورد في شان عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رض يده واخذ منه وفتح ودخل النبي صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سالا العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي رض الله عنهما اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرانا الآية فقال عثمان رض اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فهبط جبريل عليه السلام واخبر رسول الله عليه السلام ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقرئ الامانة على التوحيد والمراد الجنس المعهود وقيل هو ما ائتمن الناس عليه وغيرها الى مستحقيها كما أن قوله تعالى • واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل • امر لهم بايصال الحقوق المتعلقة بذمم الغير الى اصحابها وحيث كان المامور به ههنا مختصا بوقت المرافعة قيد به بخلاف المامور به اولا فانه لما لم يتعلق بوقت دون وقت اطلق اطلاقا فقوله تعالى ان تحكموا اعطف على ان تودوا وقد فصل بين العاطف والمعطوف بالظرف المعمول لعامل الشرطية والمقدر بدل هو عليه عند البصريين لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها عندهم اي وان تحكموا اذا حكمتم الخ وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا او بمقدر وقع حالا

الجوب بضم الجيم وفتح الواو جمع جوبة وهي الحفرة كالزوبي

السادن خادم الكعبة

من فاعله اى ملتبسين بالعدل والانصاف ان الله نعما يعظكم به ما انا منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به كانه قيل
نعم شيئا يعظكم به ذلك وهو ائتمار مأمور به من ادآء الامانات والعدل فى الحكومات وقرئ نعما بفتح النون والجملة مستانفة مقررة لما قبلها متضمنة
لمزيد لطف بالمخاطبين وحث استدعآء لهم الى الامتثال بالامر واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة ان الله كان سميعا لاقوالكم بصيرا
بافعالكم فهو وعد ووعيد واظهار الجلالة لما ذكر آنفا فان فيه تاكيدا لكل من الوعد والوعيد يا ايها الذين آمنوا بعد ما امر الولاة
بطريق العموم او بطريق الخصوص بادآء الامانات والعدل فى الحكومات امر سائر الناس بطاعتهم لكن لا مطلقا بل فى ضمن طاعة الله عز وجل وطاعة
رسوله حيث قيل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم وهم امرآء الحق وولاة العدل كالخلفآء الراشدين ومن يتبعهم
بهم من المجتهدين واما امرآء الجور فيمتنع دخولهم فى استحقاق العطف على الله تعالى والرسول فى وجوب الطاعة لهم وقيل هم علمآء الشرع لقوله تعالى
ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه ويأباه قوله تعالى فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله اذ ليس للمقلد
ان ينازع المجتهد فى حكمه الا ان يجعل الخطاب لاولى الامر بطريق الالتفات وفيه وعد بتصدير الشرطية بالفاء لترتيبها على ما قبلها فان بيان
حكم طاعة اولى الامر عند موافقتها لطاعة الله تعالى وطاعة الرسول عليه السلام يستدعى بيان حكمها عند المخالفة اى ان اختلفتم انتم واولى الامر منكم
فى امر من امور الدين فراجعوا فيه الى كتاب الله والرسول اى الى سنته وقد استدل به منكرو القياس وهو فى الحقيقة دليل على حجيته
كيف لا ورد المختلف فيه الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل واعماله وهو المعنى بالقياس ويؤيده الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى
وطاعة رسوله عليه السلام فانه يدل على ان الاحكام ثلثة ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الآخر متعلق بالاخير الوارد فى محل النزاع اذ هو المحتاج الى التحذير من المخالفة وجواب الشرط محذوف عند جمهور النظارين
ثقة بدلالة المذكور عليه اى ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فردوه الخ فان الايمان بهما يوجب ذلك واما الايمان بالله تعالى فظاهر
واما الايمان باليوم الآخر فلما فيه من العقاب على المخالفة ذلك اى الرد الى المأمور به خير لكم واصلح واحسن فى نفسه تاويلا
اى عاقبة وماٰلا وتقديم خيريته لهم على احسنيته فى نفسه لما مر من تعلق انظارهم بما ينفعهم والمراد بيان اتصافه فى نفسه بالخيرية الكاملة
والحسن الكامل فى حد ذاته من غير اعتبار فضله على شئ يشاركه فى اصل الخيرية والحسن كما ينبئ عنه التحذير السابق الم تر الى الذين يزعمون
انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله عليه السلام تعجيبا له من حال الذين يجاهرون بما هو من اعظم
المحتوم ولا يطيعون الله ولا رسوله ووصفهم بادعآء الايمان بالقرآن وبما انزل من قبله اعنى التوراة تاكيد التعجيب وتشديد التوبيخ والانكار
ببيان كمال المباينة بين دعواهم وبين ما صدر عنهم وقرئ الفعلان على البناء للفاعل وقوله عز وجل يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت
استئناف سيق لبيان محل التعجيب مبنى على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون الخ وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما
خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله عليه السلام فقضى لليهودى
فلم يرض به المنافق فدعاه الى عمر بن الخطاب فقال اليهودى قضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق اهكذا قال نعم
فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله تعالى
ورسوله فنزلت فهبط جبريل عليه السلام فقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله عليه السلام انت الفاروق فالطاغوت كعب بن الاشرف
سمى به لافراطه فى الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير
النبى عليه السلام على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان وقال الضحاك المراد بالطاغوت كهنة اليهود دوحرثهم وعن الشعبى المنافق دعاه الى كاهن
فى جهينة فتحاكما اليه وعن السدى ان الحادثة وقعت فى قتيل بين بنى قريظة والنضير فتحاكم المسلمون من الفريقين الى النبى صلى الله عليه وسلم
وابى المنافقون منهما الا التحاكم الى ابى برزة الكاهن الاسلمى فتحاكموا اليه فيكون الاقتصار فى معرض التعجيب والانكار على
ذكر ارادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه ايضا للتنبيه على ان ارادة ما يعصى منه التعجب وما ينبغى ان يدخل تحت الوقوع فاحفظ

منه

بنفسه وهذا انسب بوصف المنافقين باذ دعاء الايمان بالتوراة فانه كما يقتضي كونهم من منافق اليهود يقتضي كون المصدر عنهم من التحاكم ظاهر المنافاة لادعاء الايمان بالتوراة وليس التحاكم الى كعب بن الاشرف بهذه المثابة من الظهور وايضا فالمتبادر من قوله تعالى وقد امروا ان يكفروا به كونهم مامورين بكفره في الكتابين وماذاك الا الشيطان واولياؤه المشهورون بولايته كالكهنة ونظائرهم لان عداهم ممن لم يشتهر بذلك وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت يخرجونهم والجملة حال من ضمير يريدون مفيدة لتاكيد التعجيب وتشديد الاستفتاح كالوصف السابق وقوله عز وعلا ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا عطف على يريدون داخل في حكم التعجيب فان اتباعهم لمن يريد اضلالهم واعراضهم عمن يريد هدايتهم اعجب من كل عجيب وضلالا اما مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد كما في قوله فانبتها الله نباتا حسنا اى اضلالا بعيدا واما مصدر مؤكد لفعله المدلول عليه بالمذكور اى فيضلون ضلالا وايا ما كان فوصفه بالبعد الذي هو نعت موصوفه للمبالغة وقوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول تكملة لمادة التعجيب ببيان اعراضهم صريحا عن التحاكم الى كتاب الله تعالى ورسوله اثر بيان اعراضهم عن ذلك في ضمن التحاكم الى الطاغوت وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف للام الفعل تخفيفا كما في قولهم ما باليت بالة اصلها بالية كافية وكما قالوا في آية ان اصلها آيية فحذفت اللام ووقعت واو الجمع بعد اللام فتعالى فضمت فصار تعالوا ومنه قول اهل مكة للمراة تعالى بكسر اللام وعليه قول ابي فراس الحمداني يا جارتي ما انصف الدهر بيننا تعالى اقاسمك الهموم تعالي رايت المنافقين يصدون عنك حال من المنافقين وقيل الرؤية قلبية والجملة مفعول ثان لها والاول هو الانسب لظهور حالهم وقوله صدودا مصدر مؤكد لفعله اى يعرضون عنك اعراضا واى اعراض وقيل هو اسم للمصدر الذي هو الصد والاظهر انه مصدر لصد اللازم والصد مصدر للمتعدي يقال صد عنه صدودا اى اعرض عنه وصده عنه صدا اى منعه منه وقوله تعالى فكيف شروع في بيان غائلة جناياتهم المحكية ووخامة عاقبتها الكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة اى وقت اصابة المصيبة اياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من الجنايات التي من جملتها التحاكم الى الطاغوت والاعراض عن حكمك ثم جاؤك للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على اصابتهم والمراد تفظيع حالهم وتهويل ما رسم من الخطب واغرابهم من شدة الامر عند اصابة المصيبة وعند المجئ للاعتذار يحلفون بالله حال من فاعل جاؤك ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اى ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا التوفيق بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك ولا تسخطا بحكمك فلا تؤاخذنا بفعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله تعالى فقالوا ما اردنا اى ما اراد صاحبنا المقتول بالتحاكم الى عمر رضي الله عنه الا ان يحسن اليه ويوفق بينه وبين خصمه اولئك اشارة الى المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والنفاق وهو مبتدا خبره الذين يعلم الله ما في قلوبهم اى من فنون الشرور والفساد المنافية لما اظهروه لك من الاكاذيب فاعرض عنهم جواب شرط محذوف اى اذا كان حالهم كذلك فاعرض عن قبول معذرتهم وقيل عن عقابهم في مصلحة في استبقائهم ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم ولا تهتك سترهم حتى يبقوا على وجل وحذر وعظهم اى ازجرهم عن النفاق والكيد وقل لهم في انفسهم في حق انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على الشر والتي يعلم الله ما فيها او في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة لانها في الشر اجمع قولا بليغا مؤثرا واصلا الى كنه المراد مطابقا لما يجب ان يقال من المقصود فالظرف على التقديرين متعلق بالامر وقيل متعلق ببليغا على رأي من يجوز تقديم معمول الصفة على الموصوف اى قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغمهم به اغماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستيصال والايذان بان ما في قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى وان ذلك مستوجب لاشد العقوبات وانما هذه الكفاية والتاخير لاظهارهم الايمان والطاعة وامضاء حكم الكفر ولئن اظهروا الشقاق وبرزوا باشخاصهم من نفق النفاق ليمسنهم العذاب ان الله شديد العقاب

وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله كلام مبتدا جئ به تمهيدا لبيان خطائهم وللاشتغال بشرح جنايتهم بالاعتذار الباطل
وعدم تلافيها بالتوبة اى وما ارسلنا رسولا من الرسل لشئ من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى فى طاعته وامره المرسل اليهم بان يطيعوه ويتبعوه
لانه مؤد عنه تعالى فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصية الله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله اى بتيسير الله تعالى وتوفيقه فى طاعته ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم وعرضوها للعذاب على عذاب النفاق بترك طاعتك والتحاكم الى غيرك جاؤك من غير تاخير كما ينصح عنه تقديم الظرف
متوسلين بك فى التنصل عن جناياتهم القديمة والحادثة ولم يزيدوا جناية على جناية بالقصد الى سترها بالاعتذار الباطل والاباء الفاضحة
فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص وبالغوا فى التضرع اليك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله تعالى واستغفرت لهم وامّا قبل واستغفر
لهم الرسول على طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعته فى حقّ المتوسل
لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه مبالغا فى قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وان فتر الوجدان بالمصادفة كان قوله تعالى
توابا حالا او رحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه وايا ما كان ففيه فضل ترغيب للتائبين فى المبادرة الى التوبة والاستغفار وتمهيد
لتوبة اولئك المنافقين على ما صنعوا الما ان ظهور تباشير قبول التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لآثارها نعمة زائدة عليها موجبة لكمال
الرغبة وتحصيلها وتمام الحسرة على فواتها فلا وربك اى فوربك فلا مزيدة لتاكيد معنى القسم لا لتاكيد معنى النفى فى جوابه كما فى قوله لا يؤمنون
لانها تزاد فى الاثبات ايضا كما فى قوله فلا اقسم بمواقع النجوم ونظائره حتى يحكموك اى يتحاكموا اليك ويراضوا بحكمك واتى بالجملة
بصيغة التحكيم مع انه عليه السلام حاكم بامر الله سبحانه اذ انما بان حقهم ان يحيلوه هم حكما فيما بينهم ويراضوا بحكمه وان قطع النظر عن كونه حاكما
على الاطلاق فيما شجر بينهم اى فيما اختلفوا بينهم من الامور واختلطوا ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا عطف على مقدر
يناسبه اى فيقضى بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا ضيقا مما قضيت اى مما قضيت به او من قضائك وقيل
شكا من اجله اذا يشاكل فى ضيق من امره ويسلموا اى ينقادوا للامر ويذعنوا له تسليما تاكيد للفعل بمنزلة تكريره اى تسليما
تاما بظاهرهم وباطنهم يقال سلم لامر الله واسلم له بمعنى وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة اى ينقادوا للحكم
انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت فى شان المنافق واليهودى وقيل فى شان الزبير ورجل من الانصار حين اختصما الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شراج الحرة كان يسقيان بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الانصارى
وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك
ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير اى فيه سعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه فى صريح الحكم
ثم خرجا فمر على المقداد فقال لمن القضاء فقال الانصارى قضى لابن عمته ولوى شدقه فقطن يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله
هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه فى قضاء يقضى بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة فى حياة موسى فدعا علينا ان التوبة منه وقال
اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم منى الصدق
لو امرنى محمد ان اقتل نفسى لقتلتها وروى انه قال ذلك ثابت وابن مسعود رض وعمار بن ياسر رض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذى نفسى بيده ان من امتى رجالا الايمان اثبت فى قلوبهم من الجبال الرواسى فنزل فى شان هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا
انفسكم او اخرجوا من دياركم اى لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بنى اسرائيل من قتل انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتابهم
من عبادة العجل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا فى معنى امرنا ما فعلوه اى المكتوب بالمدلول عليه بكتبنا او احد مصدرى الفعلين الا
قليل منهم اى الا ناس قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين وروى عن عمر رض انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذى لم يفعل بنا
ذلك وقيل معنى اقتلوا انفسكم توطينها للقتل بالجهاد وهو بعيد وقرئ الا قليلا بالنصب على الاستثناء او الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا
ما يوعظون به من متابعة الرسول وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا وتميت اوامر الله تعالى ونواهيه مواعظ لاقرانها

بالوعد والوعيد لكان اى فعلهم ذلك خيرا لهم عاجلا واجلا واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر
كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذن لو ثبتوا لاتيناهم فان اذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون
بسلوكه الى عالم القدس ويفتح لهم ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول كلام مستانف
فيه فضل ترغيب فى الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما ينتهى اليه هم الامم وارفع ما يمتد اليه اعناق عزائمهم من مجاورة
اعظم الخلائق مقدارا وارفعهم منارا متضمن لتفسير ما ابهم فى جواب الشرطية السابقة وتفصيل ما اجمل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد
التام والامتثال الكامل لجميع الاوامر والنواهى فاولئك اشارة الى المطيعين والجمع باعتبار معنى كلمة من كما ان الافراد فى فعل الشرط
باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع القرب فى الذكر للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الشرف وهو مبتدا خبره مع الذين انعم الله عليهم
والجملة جواب للشرط وترك ذكر المنعم به للاشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه من النبيين بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر
الانبياء عليهم السلام مع ان الكلام فى بيان حكم طاعة نبينا صلى الله عليه وسلم لجريان ذكرهم فى سبب النزول مع ما فيه من الاشارة
الى ان طاعته عم متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم التى لا تتغير بتغير الاعصار روى ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا يا نبى الله ان صرنا الى الجنة تفضلنا بدرجات النبوة فلا نراك وقال الشعبى جاء رجل من الانصار الى رسول الله عليه السلام وهو يبكى
فقال عليه السلام ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله بالله الذى لا اله الا هو لانت احب الى من نفسى واهلى ومالى وولدى وانى لاذكرك
وانا فى اهلى فياخذنى مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتى وانك ترفع مع النبيين وانى ان ادخلت الجنة كنت فى منزلة ادنى من منزلتك
فلم يرد النبى عليه السلام وروى ان ثوبان رض مولى رسول الله عليه السلام كان شديد الحب له قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه
ونحل جسمه وعرف الحزن فى وجهه فسأله رسول الله عليه السلام عن حاله فقال يا رسول الله ما بى من وجع غير انى اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت
وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لانى عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت فى منزلة ادون
منزلتك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه
من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم وروى ان انسا قال يا رسول الله الرجل
يحب قوما ولما يلحق بهم قال رسول الله عليه السلام المرء مع من احب والصديقين اى المتقدمين فى تصديقهم المبالغين فى الصدق
والاخلاص فى الافعال والاقوال وهم افاضل اصحاب الانبياء عليهم السلام واماثل خواصهم المقربين كابى بكر الصديق رض والشهداء
الذين بذلوا ارواحهم فى طاعة الله تعالى واعلاء كلمته والصالحين الصارفين اعمارهم فى طاعته واموالهم فى مرضاته وليس المراد
بالمعية الاتحاد فى الدرجة ولا مطلق الاشتراك فى دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى اراد
وان بعد بينهما من المسافة وحسن اولئك رفيقا الرفيق الصاحب اشارة الى النبيين ومن بعدهم على ان ما فيه من معنى البعد
لما مر ورفيقا اما تمييز او حال على معنى انهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفيقا للمطيعين او حال كونهم رفقاء لهم وافراده لما انه
كالصديق والخليط والرسول يستوى فيه الواحد والمتعدد او لانه اريد حسن كل واحد منهم رفيقا وان جعل اشارة الى المطيعين فهو تمييز
على معنى انهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم لا بنفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز فى الوجه الاول والجملة تذييل
مقرر لما قبله مؤكد للترغيب والتشويق وقيل فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين
ذلك اشارة الى ما للمطيعين من عظم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم او الى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البعد للاشعار
بعلو رتبته وبعد منزلته فى الشرف وهو مبتدا وقوله تعالى الفضل صفته وقوله تعالى من الله خبره اى ذلك الفضل العظيم من الله تعالى لا من غيره
او الفضل خبره ومن الله متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الاشارة اى ذلك الذى ذكر فضل كائنا من الله تعالى لا ان اعمال
المكلفين توجبه وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم

نحل جسمه نحولا
اذا اقل ... ١٢

الحذر والحذر واحد كالاثر والاثر والشبه والشبه اى تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تكسلوه من انفسكم يقال اخذ حذره اذا تيقظ
واحترز من المخوف كناية جعل الحذر آلة التى يقى بها نفسه وقيل هو ما يحذر به من السلاح والحذم اى استعدوا للعدو فانفروا بكسر الفاء
وقرئ بضمها اى اخرجوا الى الجهاد عند فرد وجيم ثبات جمع ثبة وهى الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها فى الاصل فعلة بكسر العين
حذفت لامها وعوض منها تاء التانيث وهل هى واو او ياء فيه قولان قيل لانها مشتقة من ثاب يثوب كحلا يحلو اى اجتمع وقيل من ثبت
على الرجل اذا اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه ومحلها النصب على الحالية اى انفروا جماعات
متفرقة سرية بعد سرية او انفروا جميعا اى مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا انفسكم الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن
اى ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم المؤمنين منهم
والمنافقين والمبطئون منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد او ليبطئن غيره ويثبطنه من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل
كما بطأ ابن ابى ناسا يوم احد والاول انسب لما بعده واللام الاولى للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف
والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما اسكن فى ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل
وهزيمة قال اى المبطئ فرحا بصنعه وحامدا لرايه قد انعم الله علىّ اى بالقعود اذ لم اكن معهم شهيدا اى حاضرا فى المعركة
اى فيصيبنى ما اصابهم والفاء فى الشرطية لترتيب مضمونها على ما قبلها فان ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما ان نفس التبطئة
مستدعية لشئ يتبطئ المبطئ وقوعه ولئن اصابكم فضل كفتح وغنيمة من الله متعلق باصابكم او بمحذوف وقع صفة
لفضل اى فضل كائن من الله تعالى ونسبة اصابة الفضل الى جناب الله تعالى دون اصابة المصيبة من العادات الشريفة التى بليت
كما فى قوله سبحانه فاذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية الاولى لما ان مضمونها مقصدهم اوفق واثر تفاقهم فيها اظهر ليقولن
نوامة على تثبطه وقعوده وتهاونا كما على حطام الدنيا وتحسرا على فواته وقرئ ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من وقوله تعالى
كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله الذى هو يا ليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما لتلاهم
من مطلع كلام ان تمنى لمعية المؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما يقتضيه ما فى البين من المودة بل هو للحرص على المال كما يظهر من
آخره وليس اثبات المودة فى البين بطريق التحقيق بل بطريق التهكم وقيل الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن مشبها بين المودة
بينكم وبينه وقيل هى داخلة فى المقول اى ليقولن المثبط لمن ينشبط من المنافقين وضعفة المؤمنين كان لم تكن بينكم وبين محمد
مودة حيث لم يستصحبكم فى الفوز حتى تفوزوا بما فاز يا ليتنى كنت معهم وغرضه القاء العداوة بينهم وبينه عليه السلام وتاكيدها وكان
مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وهو محذوف وقرئ لم يكن بالياء والمنادى فى يا ليتنى محذوف اى يا قوم وقيل يا للتنبيه
على الاتساع وقوله لكى افوز نصب على جواب التمنى وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى فانا افوز فى ذلك الوقت او على انه معطوف
على كنت داخل معه تحت التمنى فليقاتل فى سبيل الله قدم على الفاء العامل للاهتمام به الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة
اى يبيعونها بها وهم المؤمنون فالفاء جواب شرط مقدر اى بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم فى طلب الآخرة
والذين يشرون ها على الآخرة وهم المبطئون فالفاء للتعقيب اى يتركوا ما كانوا عليه من التثبيط والنفاق وليعقبوه بالقتال فى سبيل الله
ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه بنون العظمة التفاتا اجرا عظيما لا يقادر قدره وتعقيب القتال بما هو
الاجر من للاشعار بان المجاهد حقه ان يوطن نفسه باحدى الحسنيين وللخطر بالبال الاسم الثالث اصلا وتقديم القتل للايذان بتقدمه
فى استتباع الآخر روى ابو هريرة رضى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله تعالى لمن جاهد فى سبيله وتصديق كلمته
ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من اجر وغنيمة وما لكم خطاب للمامورين بالقتال على طريقة الالتفات
مبالغة فى التحريض عليه وتاكيدا لوجوبه وهو مبتداء وخبر وقوله عز وجل لا تقاتلون فى سبيل الله حال عاملها معنى الظرف من معنى

الفعل والاستفهام للانكار والنفي اي اي شئ لكم غير مقاتلين اي لا عذر لكم في ترك المقاتلة والمستضعفين عطف اسم الله اي
في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على التسبيل بحذف المضاف اي في خلاص المستضعفين ويجوز نصبه
على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المؤمنين من ايدي الكفرة اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان
بيان للمستضعفين او حال منهم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة بعد المشركين او لضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان
معهم تكميلا للاستعطاف واستجلابا للمرحمة وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان لارغام آبائهم واتهاتهم وايذانا
باجابة الدعاء الآتي واقتراب زمان الخلاص ببيان شركتهم في التضرع الى الله تعالى كل ذلك للمبالغة في الحث على القتال وقيل المراد
بالولدان العبيد والاماء اذ يقال لهما الوليد والوليدة وقد غلب الذكور على الاناث فاطلق الولدان على الولائد ايضا الذين محل الجر
على انه صفة للمستضعفين او لما في جز البيان او النصب على الاختصاص يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها
بالشرك الذي هو ظلم عظيم وباذية المسلمين وهي مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا اجري
على غير من هو له كان كالفعل في التذكير والتانيث بحسب ما عمل فيه واجعل لنا من لدنك وليا كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف
معنييهما وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تاخير ما حقه التقديم
مما هو من احواله المرغمة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وتقديم اللام
على من للمبادرة الى ابراز كون المسئول نافعا لهم مرغوبا فيه لديهم ويجوز ان يتعلق كلمة من بمحذوف وقع حالا من وليا وقدم عليه
لكونه نكرة وكذا الكلام في قوله تعالى واجعل لنا من لدنك نصيرا قال ابن عباس رض اي ول علينا والينا من المؤمنين يوالينا
ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا ولقد استجاب الله عز وجل دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خيرولي
واعز ناصر ففتح مكة على يدي نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم اي تولى ونصرهم اي نصرة ثم استعمل عليهم عتاب ابن اسيد فحماهم
ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها وقيل المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة اي كن انت ولينا وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقيه
للمبالغة في التضرع والابتهال الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله كلام مبتدا سيق لترغيب المؤمنين في القتال وتشجيعهم
ببيان كمال قوتهم بامداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف اعدائهم اي المؤمنون انما يقاتلون في دين الله الحق الموصل لهم الى الله عز وجل
وفي اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي فيما يوصلهم الى الشيطان فلا ناصر لهم
سواه والتعبير في قوله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة على
ان ذلك نتيجة لعنادهم في سبيل الشيطان والاشعار بان المؤمنين اولياء الله لما ان قتالهم في سبيله وكل ذلك تاكيد لرغبة المؤمنين
في القتال وتقوية لغرائمهم عليه فان ولاية الله تعالى علم في العزة والقوة كما ان ولاية الشيطان مثل في الذلة والضعف كما قيل اذا كان
الامر كذلك فقاتلوا اولياء الله اولياء الشيطان ثم صرح بالتعليل فقيل ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي في حد ذاته فكيف
بالقياس الى قدرة الله عز وجل ولم يتعرض لبيان قدرة جنابه تعالى ابتداء بظهورها فانوا ما فائدة او خال كان في امثال هذه المواقع التاكيد
ببيان انه منذ كان كذلك فالمعنى ان كيد الشيطان منذ كان موصوفا بالضعف الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم تعجيب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اجحامهم عن القتال مع انهم كانوا قبل ذلك راغبين فيه حراصا عليه بحيث كادوا يباشرونه
كما ينبئ عنه الامر بكف الايدي فان ذلك مشعر بكونهم بصدد بسطها الى العدو بحيث يكادون يسطون بهم قال الكلبي ان جماعة
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن اسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن
ابي وقاص الزهري كانوا يلقون من مشركي مكة قبل الهجرة اذى شديدا فيشكون ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون
ائذن لنا في قتالهم ويقول لهم النبي صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما امر بقتالهم

وبناء القول للمفعول مع ان القائل هو النبي صلى الله عليه وسلم للايذان بكون ذلك بامر الله سبحانه ولان المقصود بالذات والمعتبر في التعجيب انما هو
كمال رغبتهم في القتال وكونهم بحيث احتاجوا الى النهي عنه وانما ذكر في حيز الصلة الامر بكف الايدي للتخفيف وتصويره على طريقة الكناية
فلا يتعلق ببيان خصوصية الامر غرض وكانوا في مدة اقامتهم بمكة مستمرين على ذلك الحالة فلما هاجروا مع رسول الله عليه السلام الى المدينة وامروا
بالقتال في وقعة بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شك في الدين ولا رغبة عنه بل نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت بموجب
الجبلة البشرية وذلك قوله تعالى فلما كتب عليهم القتال وهو عطف على قيل لهم كفوا ايديكم باعتبار مدلوله الكنائي اذ هو يحقق التباين بين
مدلولي المعطوف والمعطوف عليه بدور او التعجيب كانه قيل الم تر الى الذين كانوا حراصا على القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم وقوله تعالى اذا فريق منهم
يخشون الناس جواب لما على ان فريق مبتدأ ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره وتصدير اذا المفاجأة لبيان مسارعتهم
الى الخشية اثر ذي اثير من غير تلعثم وتردد اي ففاجأ فريق منهم ان يخشوا الكفار ان يقتلوهم ولعل توجيه التعجيب الى الكل مع صدور
الخشية عن بعضهم للايذان بانه مما كان ينبغي ان يصدر عن احدهم ما بالنا في حالتهم الاولى وقوله تعالى كخشية الله مصدر مضاف الى
المفعول محله النصب على انه حال من فاعل يخشون اي يخشونهم مشبهين لاهل خشية الله تعالى وقوله تعالى او اشد خشية عطف عليه بحسب
او اشد خشية من اهل خشية الله او على انه مصدر مؤكد على جعل الخشية ذات خشية مبالغة كما في جد جده اي يخشونهم خشية
مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله واما ما كان فكلمة او للتنويع على معنى ان خشية بعضهم كخشية الله وخشية
بعضهم اشد منها واما للابهام على السامع وهو قريب مما في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني ان من يبصرهم يقول
انهم مائة الف او يزيدون وقالوا عطف على جواب لما اي فلما كتب عليهم القتال فاجأ فريق منهم خشية الناس وقالوا
ربنا لم كتبت علينا القتال في هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والانكار لايجابه بل على طريق تمني التخفيف
لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر ضرورا غير الموت وقد جوز ان يكون هذا مما نطقت
بالسنة حالهم من غير ان ينقوهوا به صريحا قل اي تزهيدا لهم فيما يأملونه بالتعود من المتاع الفاني وترغيبا فيما ينالونه بالقتال
من النعيم الباقي متاع الدنيا اي ما يتمتع وينتفع به في الدنيا قليل سريع التعقب وشبك الانصرام وان اخرتم الى ذلك الاجل
والآخرة اي ثوابها الذي من جملته الثواب الملفوظ بالقتال خير اي لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم انقطاعه وصفائه
عن الكدورات وانما قيل لمن اتقى حثا لهم على اتقاء المعصية والاخلال بموجب التكليف ولا تظلمون فتيلا عطف على مقدر
ينسحب عليه الكلام اي تجزون بها ولا تنقصون ادنى شيء من اجوراعمالكم التي من جملتها معايشكم في شان القتال فلا توغوا عنه
والفتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب به المثل في القلة والحقارة وقرئ يظلمون بالياء اعادة للضمير الى ظاهر من انما تكونوا
يدرككم الموت كلام مبتدأ مسوق من قبله تعالى بطريق تكوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المخاطبين
اعتناء بالزامهم اثر بيان حقارة الدنيا وعلو شان الآخرة بواسطته عليه السلام فلا محل له من الاعراب او في محل النصب داخل
تحت القول المأمور به اي اينما تكونوا في الحضر والسفر يدرككم الموت الذي لاجله تكرهون القتال زعما منكم انه من مظانه وتحبون
التعود عنه على زعم انه منجاة منه وفي لفظ الادراك اشعار بانهم في الهرب من الموت وهو محيط في طلبهم وقرئ بالرفع على حذف
الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله بشكرها او على اعتبار وقوع اينما تكونوا في موقع اينما كنتم في موقع اينما تكونوا او على ان كلام مبتدأ واينما تكونوا
متصل بلا تظلمون اي لا تظلمون اي لا تنقصون شيئا مما كتب في آجالكم اينما تكونوا في ملاحم الحروب ومعارك الخطوب
ولو كنتم في بروج مشيدة في حصون رفيعة او قصور محصنة وقال السدي وقتادة بروج السماء يقال شاد البناء
واشاده وشيده رفعه وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما في قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر
اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وجواب لو محذوف اعتمادا على دلالة ما قبله عليه اي لو كنتم في بروج مشيدة يدرككم الموت

والجملة

والجملة معطوفة على اخرى مثلها اى لولم تكونوا فى بروج مشيدة ولو كنتم الخ وقد اطرد حذفها لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة فان الشئ اذا تحقق عند وجود المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما قالوا لو صلية وان لو صلية من التاكيد والمبالغة وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله كلام مبتدا اجئ به عقيب ما حكى عن المسلمين لما بينهما من المناسبة فى اشتمالهما على اسناد ما يكرهونه الى بعض الامور وكراهتهم له بسبب ذلك فى الضمير لليهود والمنافقين روى انه كان قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبى عليه السلام المدينة فدعاهم الى الايمان فكفروا وامسك عنهم بعض الامساك فقالوا ما زلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل واصحابه وذلك قوله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك اى وان تصبهم نعمة ورخاء نسبوا الى الله عز وجل وان تصبهم بلية من جدب وغلاء اضافوها اليك كما حكى عن اسلافهم بعوله تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فامر النبى صلى الله عليه وسلم بان يرد زعمهم الباطل ويرشدهم الى الحق ويلقمهم الحجر ببيان استناد الكل اليه تعالى على الاجمال اذ لا يجترؤن على معارضة امر الله تعالى حيث قيل قل كل من عند الله اى كل واحدة من النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقا وايجادا من غير ان يكون لى مدخل فى وقوع شئ منها بوجه من الوجوه كما يزعمون بل وقوع الاولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلى بها عقوبة كما سيأتى بيانه فهذا الجواب المجمل فى معنى ما قيل رد على اسلافهم من قوله تعالى الا انما طائرهم عند الله اى انما سبب خيرهم وشرهم او سبب اصابة السيئة التى هى ذنوبهم عند الله تعالى لا عند غيره حتى يسند وما اليه ويطيروا به وقوله تعالى فمال هؤلاء القوم الخ كلام معترض بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعييرهم بالجهل وتقبيح حالهم والتعجيب من كمال غباوتهم والتاء للتربية على ما قبله وقوله تعالى لا يكادون يفقهون حديثا حال من هؤلاء والعامل فيها ما فى الظرف من معنى الاستقرار اى وجيث كان الامر كذلك فاى شئ حصل لهم حال كونهم بمعزل من ان يفقهوا حديثا او استئناف مبنى على سؤال نشأ من الاستفهام كانه قيل ما بالهم وماذا يصنعون حتى يتعجب منه او يسأل عن سببه فقيل لا يكادون يفقهون حديثا من الاحاديث اصلا فيقولون ما يقولون اذ لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا هذا النقض وما فى معناه وما هو اوضح منه من النصوص القرآنية الناطقة بان الكل فائض من عند الله تعالى وان النعمة منه تعالى بطريق التفضل والاحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد ولا سيما النقض الوارد عليهم فى صحف موسى عليه السلام وابراهيم عليه السلام الذى وفى الا تزر وازرة وزر اخرى ولم يسندوا اصابة انفسهم الى غيرهم وقوله تعالى وما اصابك من حسنة الخ بيان للجواب المجمل المامور به واجراؤه على لسان النبى عليه السلام ثم سوق البيان من جهته تعالى بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى كل احد من الناس والالتفات لمزيد الاعتناء به والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والايذان بان مضمونه مبنى على حكمة دقيقة حقيقة بان يتولى بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم دون كلهم كما فى قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم للمبالغة فى التحقيق بقطع احتمال سببية معصية بعضهم لعقوبة الآخرين اى ما اصابك من نعمة من النعم فمن الله اى فهى منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا من غير استيجاب لها من قبلك كيف لا وان كل ما يفعله المرء من الطاعات التى يفرض كونها ذريعة الى اصابة نعمة ما فهى بحيث لا تكاد تكافئ نعمة صيوبة المقارنة لادائها ولا لنعمة اقدارة اياه على ادائها فضلا عن استيجابها لنعمة اخرى ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا وما اصابك من سيئة اى بلية من البلايا فمن نفسك اى فهى منها بسبب اقترافها المعاصى الموجبة لها وان كانت من حيث الايجاد منتسبة اليه تعالى نازلة من عنده عقوبة كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضى الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة تشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبله وما بعده لكن لا لبيان حاله عليه السلام بل لتنبيه حال الكفرة

الكل

بطريق التصوير ولعل ذلك للاظهار لكمال السخط والغضب عليهم والاشعار بانهم لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من استحقاق الخطاب لا سيما
بمثل هذه الحكمة الانيقة وارسلناك للناس رسولا بيان لجلالة منصبه عليه السلام ومكانته عند الله عز وجل بعد بيان بطلان
زعمهم الفاسد في حقه عليه السلام بناء على جهلهم بشانه الجليل وتعريف الناس للاستغراق والجار اما متعلق برسولا قدم عليه للاختصاص
الناظر الى قيد العموم اى مرسلا لكل الناس لا لبعضهم فقط كما في قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس واما بالفعل فرسولا حال مؤكدة
وقد جوز ان يكون مصدرا مؤكدا كما في قوله لعد كذب الواشون ما فهمت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول اى بارسال بمعنى رسالة
وكفى بالله شهيدا اى على رسالتك بنصب المعجزات التي من جملتها هذا النص الناطق والوحي الصادق والالتفات لتربية المهابة
وتقوية الشهادة والجملة اعتراض تذييلي من يطع الرسول فقد اطاع الله بيان لاحكام رسالته عليه السلام اثر بيان
تحققها وثبوتها وانما كان كذلك لان الآمر والناهي في الحقيقة هو الله عز وجل وانما هو عليه السلام مبلغ لامره ونهيه فرجع طاعته وعصيانه
هو الله سبحانه روي انه عليه السلام قال من اطاعني فقد اطاع الله عز وجل ومن اطاعك فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون
الى ما يقول هذا الرجل لقد فارق التوحيد وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد الا ان يتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت
والتعبير عنه عليه السلام بالرسول دون الخطاب للايذان بان مناط كون طاعته عليه السلام طاعة لله تعالى ليس خصوصية ذاته عليه السلام بل صفة
رسالته واظهار الجلالة لتربية المهابة وتاكيد وجوب الطاعة بذكر عنوان الالوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما
اوليا بابه تخصيص الخطاب به عليه السلام في قوله تعالى ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا وجواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له
اى ومن اعرض عن الطاعة فاعرض عنه انا ارسلناك رسولا مبلغا لا حفيظا مهيمنا تحفظ وتحافظ عليها وتعاقبهم بسببها وحفيظا
حال من الكاف في عليهم متعلق به قدم عليه رعاية للفاصلة وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد في تولى باعتبار لفظه عليهم اعمالهم
ويقولون شروع في بيان معاملتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بيان وجوب طاعته اى يقولون اذا امرتهم بشيء طاعة
اى امرنا وشاننا طاعة الله او منا طاعة والاصل النصب على المصدر والرفع للدلالة على الثبات كسلام فاذا برزوا من عندك
اى خرجوا من مجلسك بيت طائفة منهم اى من القائلين المذكورين وهم رؤساؤهم غير الذي تقول اى ردت
طائفة منهم وسوت خلاف ما قالت لك من القبول وضمان الطائفة لانهم معروفون على الرد والعصيان وانما يظهرون ما يظهرون
على وجه النفاق وخلاف ما قلت لها والتبييت اما من البيوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل ولما من بيت
الشعر لان الشاعر يدبره ويسويه وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة غير حقيقي وقرئ بادغام التاء في الطاء لقرب المخرج واسناده
الى طائفة منهم لبيان انهم المقصودون له بالذات والباقون اتباع لهم في ذلك لا لان الباقين تابتون على الطاعة والله يكتب
ما يبيتون اى يكتبه في صحائف اعمالهم ليجازيهم عليه وانما كان فالجملة اعتراضية فاعرض عنهم اى لا تبال بهم وباصنعوا
او تجاف عنهم ولا تنتصد للانتقام منهم والفاء لسببية ما قبلها لما بعدها وتوكل على الله في كل ما تاتي وما تذر لا سيما
في شانهم واظهار الجلالة في مقام الاضمار للاشعار بعلة الحكم وكفى بالله وكيلا فيكفيك معرتهم وينتقم لك منهم والاظهار
ههنا ايضا لما مر وللتنبيه على استقلال الجملة واستغنائها عما عداها من كل وجه افلا يتدبرون القرآن انكار واستقباح
لعدم تدبرهم القرآن واعراضهم عن التامل فيه من موجبات الايمان وتدبر الشيء تامله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه
ثم استعمل في كل تفكر ونظر والفاء للعطف على مقدر اى يعرضون عن القرآن فلا يتدبرون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة
ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنص القاطع بنفاقهم المحكي على ما هو عليه ولو كان اى القرآن
من عند غير الله كما يزعمون لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بان يكون بعض اخباره غير مطابق للواقع تعيين كونه من عند الله تعالى

قال الزجاج ولولا انه من عند الله تعالى لكان مافيه من الاخبار بالغيب مما يستره المنافقون ومايبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل لان الغيب لايعلمه الا الله وقال ابو بكر الاصم ان هؤلاء المنافقين كانوا يتواطؤن في السر على انواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله تعالى يطلع الرسول عليه السلام على ذلك ويخبره بها مفصلة فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لما اطرد الصدق فيه ولوقع فيه الاختلاف فلما لم يقع ذلك قطع بانه باعلام الله تعالى هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما حمل الاختلاف على التناقض والتفاوت النظم في البلاغة بان كان بعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه على معنى فاسد غير مليم وبعضه بالغ حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته كما ذهب اليه الجمهور فمما لا يساعده السباق والسياق ومن رام التعويب وقال لعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ماسبق من الاحكام ليس للتناقض في الحكم بل الاختلاف في الحكم والمصالح المقتضية لذلك فقد ابعد عن الحق بمراحل واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به • يقال اذاع السر واذاع به اى اشاعه وافشاه وقيل معنى اذاعوا به فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وهو كلام مسوق لدفع ماعسى يتوهم في بعض المواد من شائبة الاختلاف بناء على عدم فهم المراد ببيان ان ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام لا لتخلف مدلوله عنه وذلك ان ناسا من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالاحوال كانوا اذا اخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه • ولا ضبط لفحواه على صواب كانوا يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون مشروطا بامور تفوت بالاذاعة فلا يظهر اثره المتوقع فيكون ذلك منشأ لتوهم الاختلاف فنعى عليهم ذلك فقيل • ولو ردوه • اى ذلك الامر الذي جاءهم • الى الرسول • اى عرضوه على رأيه مستكشفين لمعناه وما ينبغي له من التدبير والاستعلام ان عنوان الرسالة من موجبات التردد والمراجعة الى رأيه عليه السلام • والى اولي الامر منهم • وهم كبار الصحابة البصراء في الامور رضي • لعلمه • اى لعلم الراددون معناه وتدبيره واتعاد وضع موضع ضميرهم الموصول فقيل • الذين يستنبطونه منهم • للايذان بانه ينبغي ان يكون قصدهم برده اليهم استكشاف معناه • واستضاح فحواه • اى لعلمه اولئك الراددون الذين يستنبطونه اى يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيره منهم اى من جهته الرسول واولي الامر من صحابته رضي وما فعلوا ان وصفه فلم يقع فيه ما وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف وقيل لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكائدها فكلمة من في منهم بيانية وقيل انهم كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله من ظفر وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الاولين الامر لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه اى يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكائدها وقيل كانوا يتعنون من رسول الله عليه السلام واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فيعودوا اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا هم لم يسمعوا العلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يأتون وما يذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الجزع او السرايا مظنون معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر وقالوا انسكت حتى نسمع منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء الذين يستنبطونه وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اى يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم فساق النظم الكريم لبيان جناية تلك الطائفة وسوء تدبيرهم اثر بيان جناية المنافقين وذكرهم والخطاب في قوله تعالى • ولولا فضل الله عليكم ورحمته • للطائفة المذكورة على طريقة الالتفات اى لولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارشادكم الى طريق الحق الذي هو المراجعة في مظان الاشتباه الى الرسول عليه السلام واولي الامر • لاتبعتم الشيطان • وعملتم بارآء المنافقين فيما تأتون وما تذرون ولم تهتدوا الى سنن الصواب • الا قليلا • وهم اولوا الامر الواقفون على اسرار الكتاب الراسخون في معرفة احكامه فالاستثناء منقطع وقيل لولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال

الكتب لاتبعتم الشيطان وبقيتم على الكفر والضلالة الا قليلا منكم قد تفضل عليه بعقل راجح اهتدى به الى طريق الحق والصواب
وعصمه عن متابعة الشيطان كقس بن ساعدة الايادى وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل واضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء
متصل وقيل المراد بالفضل والرحمة النصرة والظفر بالاعداء ولولا حصول النصر والظفر على التواتر والتتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم
الدين الا قليلا منكم وهم اولوا البصائر الثاقبة والنيات القوية والعزائم الماضية من افاضل المؤمنين الواقفين على حقيقة الدين
البالغين الى درجة حق اليقين المستغنين عن مشاهدة آثار حقيقة من الفتح والظفر وقيل الا اتباعا قليلا فقاتل في سبيل الله
تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله عليه السلام بطريق الالتفات وهو جواب بشرط محذوف ينساق اليه النظم الكريم اى اذا كان الامر كما حكى
من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير الآخرين فى مراعاة احكام الاسلام فقاتل انت وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله عز وجل
لا تكلف الا نفسك اى الا فعل نفسك استئناف مقرر لما قبله فان اختصاص تكليفه عليه السلام بفعل نفسه من موجبات مباشرته للقتال
وحده وفيه دلالة على ان ما فعلوا من التثبط لا يضره عليه السلام فلا يؤاخذ به وقيل هو حال من فاعل قاتل اى قاتل غير مكلف الا نفسك
وقرئ لا تكلف بالجزم على النهى وقيل على جواب الامر وقرئ بنون العظمة اى لا نكلفك الا فعل نفسك لا على معنى لا نكلف احدا الا نفسك
وحرض المؤمنين عطف على الامر السابق داخل فى حكمه فان كون حال الطائفتين كما حكى سبب للامر بالقتال وحده وبتحريض خلص
المؤمنين والتحريض على الشئ الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب كانه فى الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به اى رغبهم
فى القتال ولا تعنف بهم وانما لم يذكر المحرض عليه لغاية ظهوره وقوله تعالى عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا علة منه
سبحانه وتعالى لمحذوفة الانجاز بكف شدة الكفرة ومكرهم فان ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته عز وجل وقد كان كذلك
حيث روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدا ابا سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى فى ذى القعدة فلما بلغ الميعاد دعا
الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين راكبا وواافوا الموعد والقى الله تعالى فى قلوب الكفرة الرعب
فرجعوا من مر الظهران ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واافى بحيث بدرا واقام بها بقية ليال وكانت معهم تجارات فباعوها
واصابوا خيرا كثيرا وقد قرئ فى سورة آل عمران والله اشد بأسا اى من قريش واشد تنكيلا اى تعذيبا وعقوبة بتنكيل
من يشاهد ما عن مباشرة ما يؤدى اليها والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبلها واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية
استقلال الجملة وتكرير الزجر لتاكيد التشديد وقوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها اى من ثوابها جملة
مستانفة سيقت لبيان ان له عليه السلام فيما امره من تحريض المؤمنين حظا موفورا فان الشفاعة هى التوسط بالقول فى وصول شخص
الى منفعة من المنافع الدنيوية او الاخروية او خلاصه عن مضرة ما كذلك من الشفع كان المشفوع له كان زوجا فجعله الشفيع شفعا والحسنة منها
ما كانت فى او مشفوع روعى بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله تعالى من غير ان يتضمن غرضا من الاغراض الدنيوية واى منفعة اجل مما قد حصل للمؤمنين
بتحريضه عليه السلام على الجهاد من المنافع الدنيوية والاخروية واى مضرة اعظم مما تخلصوا عنه بذلك من التثبط عنه ويندرج فيها الدعاء للمسلم فانه
شفاعة الى الله سبحانه وعليه مساق آية التحية الآتية روى انه قال من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان
لمقدار النصيب الموعود ومن يشفع شفاعة سيئة وهى ما كانت بخلاف الحسنة يكن له كفل منها اى نصيب من وزرها مساو لها
فى المقدار من غير ان ينقص منه شئ وكان الله على كل شئ مقيتا اى مقتدرا من اقات على الشئ اذا اقتدر عليه وشهيدا حفيظا من القوت
فانه يقوى البدن ويحفظه والجملة تذييل مقرر لما قبلها على كلا المعنيين واذا حييتم بتحية شروع فى فرد شائع من افراد الشفاعة الحسنة
اثر ما رغب فيها على الاطلاق وحذر عما يقابلها من الشفاعة السيئة وارشاد الى توفية حق الشفيع وكيفية اداءه فان تحية الاسلام من المسلم
شفاعة منه لاخيه الى الله عز وجل والتحية مصدر حيى اصلها تحيية كتسمية من سمى واصل الاصل تحييى ثلثت ياءات فحذفت الاخيرة وعوض عنها
تاء التانيث وادغمت الاولى فى الثانية بعد نقل حركتها الى الحاء قال الراغب اصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت فى كل دعاء وكانت العرب

اذا لقي بعضهم بعضا يقول حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الاسلام قال تعالى تحيتهم فيها سلام وقال تحيتهم يوم يلقونه سلام
وقال فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قالوا في السلام مزية على التحية لما انه دعاء بالسلامة عن الآفات الدينية والدنيوية وهي
مستلزمة لطول الحيوة وليس في الدعاء لطول الحيوة ذلك قلنا ان السلام من اسمائه تعالى فالبداية بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته على اذا سلم
عليكم من جهة المؤمنين فحيوا بأحسن منها اي بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة ان اقتصر المسلم على الاول وبان
تزيدوا وبركاته ان جمعها المسلم وهي النهاية لانتظامها لجميع فنون المطالب التي هي السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها وعادتها
او ردوها اي اجيبوا بمثلها روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليكم السلام ورحمة الله وقال
الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال عليه السلام انك
لم تترك فضلا فرددت عليك مثله وجواب التسليم واجب وانما التخيير بين الزيادة وتركها وعن النخعي ان السلام سنة والرد فريضة
وعن ابن عباس رضه الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملئكة
ولا يرد في الخطبة وتلاوة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند دراسة العلم والاذان والاقامة ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج
والمغني والقاعد لحاجة ومطهر الحمام والعاري في الحمام وغيره قالوا ويسلم الرجل على امرأته لا على الاجنبية والسنة ان يسلم الماشي
على القاعد والراكب على الماشي وراكب النوس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير واذا التقيا ابتدأ وعن ابي حنيفة رح
لا يجهر بالرد بل يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم حيث كان
يقول بعضهم السام عليكم وروي لا تبدأوا اليهود بالسلام وان بدأ فقل وعليك وعن الحسن رح انه يجوز ان يقول للكافر
وعليك السلام دون الزيادة وقيل التحية بالاحسن عند كون المسلم مسلما ورد مثلها عند كونه كافرا ان الله كان على كل
شيء حسيبا فيحاسبكم على كل شيء من اعمالكم التي من جملتها ما امرتم به من التحية فحافظوا على مراعاتها صيانا امرتم به الله
لا اله الا هو مبتدأ وخبر وقوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيمة جواب قسم محذوف اي والله ليحشرنكم من قبوركم الى حساب يوم القيمة
وقيل الى بمعنى في والجملة القسمية اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او خبر ثان للمبتدأ او هي الخبر ولا اله الا هو اعتراض وقوله تعالى
لا ريب فيه اي في يوم القيمة او في الجمع حال من اليوم او صفة للمصدر اي جمعا لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا
انكارا لان يكون احد اصدق منه تعالى وعدا وخبرا وبيانا استحالة كيف لا والكذب محال عليه سبحانه دون غيره
فما لكم مبتدأ وخبر والاستفهام للانكار والتوبيخ والخطاب للجميع للمؤمنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه الى بعضهم وقوله تعالى
في المنافقين متعلق اما بما تعلق به الخبر اي اي شيء كائن لكم فيهم اي في امرهم وشانهم وحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه واما بما يدل عليه قوله تعالى فئتين من معنى الافتراق اي فما لكم تفترقون في المنافقين واما بمحذوف وقع حالا
من فئتين اي كائنتين في المنافقين لانه في الاصل صفة فلما قدمت انتصبت حالا كما هو شان صفات النكرات على الاطلاق
او من الضمير في تفترقون وانتصاب فئتين على الحالية من المخاطبين والعامل ما في لكم من معنى الفعل كما في قولك لزيد حسن فما لهم غلب التذكير موضع
وعند الكوفيين على خبر يكان مضمرة اي فما لكم في المنافقين كنتم فئتين والمراد انكار ان يكون في المخاطبين شك مصحح لافتراقهم
لاختلافهم في امر المنافقين وبيان وجوب بت القول بكفرهم طاجراهم مجرى المجاهرين بالكفر في جميع الاحكام وذكرهم بعنوان النفاق
باعتبار وصفهم السابق روي انهم قوم من المنافقين استاذنوا رسول الله في الخروج الى البدو معللين باجتوا المدينة فلما خرجوا
لم يزالوا راحلين ورحلة فرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في امرهم وقيل هم قوم ما جوا من مكة الى المدينة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا
الى رسول الله انا على دينك وما خرجنا الا لاجتواء المدينة واشتياقا الى بلدنا وقيل هم ناس اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم خرجوا
مع رسول الله يوم احد ثم رجعوا اذيابا ساقيا من جعل مجرتهم غاية لنهي توليهم وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا راعي

١٩١٩٩ المعطوف الجواب شرط
لا يهل الا سلام ويستحب
الطهارة فيه ::
محمد اللكنوي

٩ ويبادر بالسلام لا يهل الا سلام
لا لا يهل الغيبة ولا يقول لهم
وعليكم لان الواو للجمع ::
محمد اللكنوي

٩ الصحيح
بغير الواو
محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم ويردّه ما يأتي من الآيات الناطقة بكيفية المعاملة معهم من السلم والحرب هو لآية قد أخذوا وفعل بهم ما فعل
من المثلة والقتل ولم يبق في امر اختلاف المسلمين واركسهم حال من المنافقين مفيدة لتأكيد الانكار السابق واستبعاد وقوع المنكر
ببيان وجود المانع بعد بيان عدم الداعي وقيل من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو اي اتى شيء يدعوكم الى الاختلاف في كونهم مع تحقق ما يوجب قتالكم
على كفرهم وهوان الله تعالى قد رد هم في الكفر كما كانوا بما كسبوه من الارتداد والتحوق بالمشركين والاحتيال على رسول
عليه السلام والعائد الى الموصول محذوف وقيل ما مصدرية اي بكسبهم وقيل معنى اركسهم نكسهم بان صيرهم الى النار واصل الركس رد الشيء
مقلوبا او رد اخره شدادا وركسهم ايضا مخففا اتريدون ان تهدوا من اضل الله تجريد للخطاب وتخصيص له بالتعجيب من
امر الفئتين وتوبيخ لهم على فعلهم ذلك واشعار بانه يؤدي الى الحق الى محاولة المحال الذي هو هداية من اضله الله تعالى وذلك لان الحكم بايمانهم
وادعاء اهتدائهم وهو يستلزم من ذلك سعيا في هدايتهم وارادة لها ووضع الموصول موضع ضمير المنافقين لتشديد الانكار وتأكيد استحالة الهداية
بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الانكار الى الارادة لا الى متعلقها بان يقال تهدون الخ للمبالغة في انكاره ببيان انه مما لا يمكن ارادته
فضلا عن امكان نفسه وحمل الهداية والاضلال على الحكم بهما اياه قوله عز وجل ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي من يخلق فيه
الضلال كائنا من كان فلن تجد له سبيلا من السبيل فضلا عن ان تهديه اليه وفيه من الافصاح عن كمال الاتكالة ما ليس في قوله ومن يضلل الله
فما له من هاد ونظائره وحمل اضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالضلال مخل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه الخطاب الى كل واحد من
المخاطبين للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة اما حال من فاعل تريدون او تهدوا او الرابط هو الواو او استئناف
مذيل متضمن للانكار السابق ومؤكد لاستحالة الهداية فح يجوز ان يكون الخطاب لكل احد ممن يصلح له من المخاطبين اولا ومن غيرهم
ودوا لو تكفرون كلام مستأنف مسوق لبيان غلوهم وتماديهم في الكفر وتصديهم لاضلال غيرهم اثر بيان كفرهم وضلالهم في انفسهم
وكلمة لو مصدرية غنية عن الجواب وهي مع ما بعدها منصوب على المفعولية اي ودوا ان تكفروا وقوله تعالى كما كفروا نعت لمصدر محذوف
تقديره كفرا مثل كفرهم او حال من ضمير ذلك المصدر كما هو رأي سيبويه وقوله تعالى فتكونون سواء عطف
على تكفرون داخل في حكم ودوا ان تكفروا فتكونوا سواء مستويين في الكفر والضلال وقيل كلمة لو على بابها وجوابها محذوف كما هو
ودوا والتقدير ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا والسر وابذلك فلا تتخذوا منهم اولياء الفاء جواب شرط محذوف
وجمع اولياء لمراعاة جمعية المخاطبين فان المراد نهي ان تتخذوا واحد من المخاطبين وليا واحدا منهم اي اذا كان حالهم ما ذكر
من وداده كفركم فلا توالوهم حتى يهاجروا في سبيل الله اي حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله
لا لغرض من اغراض الدنيا فان تولوا اي عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فخذوهم اذا قدرتم عليهم واقتلوهم
حيث وجدتموهم من الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين اسرا وقتلا ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم
مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ابدا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله تعالى
فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين ينتهون وينتمون الى قوم عاهدوكم كحلفائهم وهم الاسلميون كما رسول الله عليه السلام وقت توجهه
الى مكة فوادع هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولي اليه فله من الجوار مثل الذي وقيل هم بنو بكر بن
زيد مناة وقيل هم خزاعة او جاؤكم عطف على الصلة اي او الذين جاؤكم كافين من قتالكم وقتال قومهم استثنى من المأمور باخذهم
وقتلهم فريقان احدهما من ترك المحاربين والحق المعاهدين والآخر من اتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم كأنه قيل الا الذين
يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم كافين عن القتال لكم والقتال عليكم والاول سوا الاظهر لما سيأتي في قوله تعالى فان اعتزلوكم الخ فانه
صريح في ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لترك التعرض لهم وقرئ جاؤكم بغير عاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استئناف
حصرت صدورهم حال باضمار قد لدليل انه قرئ حصرت صدورهم وحصرة صدورهم وحاصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف

هو حال من فاعل جاؤا اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم
غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اى عن ان يقاتلوكم اولان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم
ولو شاء الله لسلطهم عليكم جملة مبتدأة جارية مجرى التعليل لاستثناء الطائفة الاخيرة عن حكم الاخذ والقتل ولنظمهم فى سلك الطائفة
الاولى الجارية مجرى المعاهدين مع عدم تعلقهم بنا ولا بمن عاهدونا كالطائفة الاولى اى ولو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم
وازالة الرعب عنها فلقاتلوكم عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير والابدال من الاولى وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد
فان اعتزلوكم ولم يتعرضوا لكم فلم يقاتلوكم مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشية الله عز وجل والقوا اليكم السلم اى الانقياد
والاستسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا طريقا بالاسر او بالقتل فان مكافتهم عن قتالكم وان لم يقاتلوا قومهم ايضا والقاءهم
اليكم السلم وان لم يعاهدوكم كافية فى استحقاقهم لعدم التعرض لهم ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم قوم من اسد
وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليأخذوا قومهم وقيل هم بنو
عبد الدار وكان ديدنهم ما ذكر كلما ردوا الى الفتنة اى دعوا الى الكفر وقتال المسلمين ارتكسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعوا
وكانوا اشر من كل عدو شرير فان لم يعتزلوكم بالكف عن التعرض لكم بوجه ما ويلقوا اليكم السلم اى ولم يلقوا اليكم الصلح
والعهد بل يبذوه اليكم ويكفوا ايديهم اى لم يكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى تمكنتم منهم
واولئكم الموصوفون بما عدد من الصفات القبيحة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة فى الايقاع بهم قتلا وسبيا لظهور عداوتهم
وانكشاف حالهم فى الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم فى اخذهم وقتلهم وما كان لمؤمن اى ولا يليق
ولا لائق بحاله ان يقتل مؤمنا بغير حق فان الايمان زاجر عن ذلك الا خطأ فانه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة
البشرية وانتصابه اما على انه مفعول له اى ما كان لان يقتل لعلة من العلل الا للخطأ او على انه صفة للمصدر اى الا قتلا خطأ وقيل الا بمعنى ولا
والتقدير وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا عمدا ولا خطأ وقيل ما كان لمؤمن نفى فى معنى النهى والاستثناء منقطع اى لكن ان قتله خطأ
فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يقارنه القصد الى الفعل او الى الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به مخطور به كرمى السهم
فى صف الكفار مع الجهل بإسلامه وقرئ خطأ بالمد وخطأ كعصا بتخفيف الهمزة روى ان عياش بن ابى ربيعة وكان اخا
ابى جهل لامه اسلم وتاجر الى المدينة خوفا من اهله وذلك قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم فاقسمت امه لا تأكل ولا تشرب
ولا تؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابى انيسة فاتياه وهو فى اطم ففعل منا بو جهل فى الذروة والغارب
وقال ليس محمد يحجزك على صلة الرحم انصرف وبرا مك وانت على دينك حتى ترتل وذهب بهما فلما مسى فى المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما
مائة جلدة فقال للحارث هذا اخى فمن انت يا حارث لله على ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد
ففعل بلسانه ثم تاجر بعد ذلك واسلم الحارث وتاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فاخى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه عليه
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اى فعليه او فموجبه
تحرير رقبة اى اعتاق نسمة عبر عنها بها كما يعبر عنها بالرأس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة
الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر الموارث لقول ضحاك بن سفيان الكلابى كتب الى رسول الله عليه السلام ان امرأة اشيم الضبابى من عقل زوجها
الا ان يصدقوا اى يتصدقوا اهله عليه يتملى العفو عنها صدقة حثا عليه وتشبيها
على فضله وعن النبى صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرئ الا ان يتصدقوا وهو منتصب بعليه او بمسلمة اى يجب الدية او تسلم
الى اهله الا وقت تصدقهم عليه فهو فى محل النصب على الظرفية او الحالية كونهم متصدقين عليه فهو حال من او القاتل فان كان
اى المقتول من قوم عدو لكم كفار محاربين وهو مؤمن ولم يعلم به القاتل لكونه بين اظهرهم بان اسلم فيما بينهم ولم يهاجر الينا

او بيان انا هم بعد ما فارقتهم لهم من المهمات فتحرير رقبة مؤمنة اى فعلى قاتله الكفارة دون الدية اذ لا وراثة بينه وبين اهله ولانهم
محاربون وان كان اى المقتول المؤمن من قوم كفرة بينكم وبينهم ميثاق اى عهد موقت او مؤبد فدية اى فعلى قاتله
دية مسلمة الى اهله من اهل الاسلام اى وجدوا ولعل تقديم هذا الحكم ههنا مع تأخره فيما سلف للاشعار بالمسارعة الى تسليم الدية
تحاشيا عن توهم نقض الميثاق وتحرير رقبة مؤمنة كما هو حكم سائر المسلمين ولعل افراده بالذكر مع اندراجه فى حكم ما سبق من قوله
ومن قتل مؤمنا خطأ الخ لبيان ان كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه كونه فيما بين المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذمى
او المعاهدين لئلا يلزم التكرار بلا فائدة ولا التوريث بين المؤمن والكافر وقد عرف عدم لزومها فمن لم يجد اى رقبة ليحرر ما بان لم يملكها
ولا يتوصل به اليها من الثمن فصيام اى فعليه صيام شهرين متتابعين لم يتخلل بين يومين من ايامها افطار توبة نصب
على انه مفعول له اى شرع لكم ذلك توبة اى قبولا لها من تاب الله عليه اذا قبل توبته او مصدر مؤكد لفعل محذوف اى تاب عليكم توبة وقيل
على انه حال من الضمير المجرور وفى عليه بحذف المضاف اى فعليه صيام شهرين ذا توبة وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف صفة لتوبة اى كائنة
منه تعالى وكان الله عليما بجميع الاشياء التى من جملتها حال حكيما فى كل ما شرع وقضى من الشرائع والاحكام التى من جملتها ما شرعه
فى شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا لما بين حكم القتل خطأ وفصل اقسامه الثلثة عقب ببيان القتل عمدا اخلالا ان حكمه الدنيوى
لما بين فى سورة البقرة اقتصر ههنا على حكمه الاخروى روى ان مقيس بن ضبابة الكنانى وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه قتيلا فى
بنى النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له القصة فارسل عليه السلام معه فهرا من بنى فهر وكان من اصحاب بدر
الى بنى النجار رياجرهم بتسليم القاتل الى مقيس ليقتص منه ان علموه واداء الدية ان لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله عليه السلام
ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدى ديته فاتوه بمائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق اتى الشيطان مقيسا فوسوس
اليه فقال اقتل دية اخيك فتكون مسبة عليك اقتل الذى معك فتكون نفس بنفس وفضل الدية فتغفل الفهرى فرماه بصخرة فشدخه
ثم ركب بعيرا من الابل واستاق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وهو يقول قتلت به قتيلا وحملت عقله سراة بنى النجار اصحاب قارع طارت
ثارى واضطجعت موسدا وكنت الا الاوثان اول راجع فنزلت وهو الذى استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ممن امنه
فقتل وهو متعلق باستار الكعبة وقوله تعالى متعمدا حال من فاعل يقتل وروى عن الكلبى ان سكون النار كانه ذمن توالى الحركات جزاؤه
الذى يستحقه بجنايته جهنم وقوله تعالى خالدا فيها حال مقدرة من فاعل فعل مقدر ينتظمه المقام كانه قيل فجزاؤه ان يدخل
جهنم خالدا فيها وقيل هو حال من ضمير جزاؤه وقيل من مفعول جازاه وايد ذلك بانه انسب بعطف ما بعده عليه للموافقة فى الصيغة
ولا يخفى ان ما يقدر للحال او للعطف عليه حقه ان يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا ويدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر ان كون
جزائه ما ذكر لا يقتضى وقوع الجزاء البتة كما ستقف عليه حتى يقدر بجزاه او جازاه بطريق الاخبار عن وقوعه واما قوله تعالى وغضب الله
عليه فعطف على مقدر يدل عليه الشرطية دلالة واضحة كانه قيل بطريق الاستئناف تاكيدا وتقريرا المضمون ما حكم الله بان جزاءه ذلك
وغضب عليه اى انتقم منه ولعنه اى ابعده عن الرحمة بجعل جزاءه ما ذكر وقيل هو وما بعده معطوف على الخبر بتقدير ان وحمل الماضى على معنى
المستقبل كما فى قوله تعالى ونفخ فى الصور ونظائره اى فجزاؤه جهنم وان يغضب الله عليه الخ واعد له فى جهنم عذابا عظيما
لا يقادر قدره ولما رأى فى الآية الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الاكيد وفنون الابراق والارعاد وقد تمسك بها كثير
من الاضبار الشداد كقوله عليه السلام والذى نفسى بيده لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل مؤمن وقوله عليه السلام لو قتل بالمشرق وآخر رضى بالمغرب
لاشترك فى دمه وقوله عليه السلام من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى وكخو ذلك
من القوارع تمسكت الخوارج والمعتزلة بها فى خلود من قتل المؤمن عمدا فى النار ولا متمسك لهم فيها لما قيل من انها فى حق المستحل
كما هو رأى عكرمة واخرا به بدليل انها نزلت فى مقيس بن ضبابة الكنانى المرتد حسبما مرت حكايته فان العبرة بعموم اللفظ

* مثل ان يقول فى اقتل اق
كى قال صلى الله عليه وسلم كفى
بالسيف شما اى شما هط
سعد الدين
كاشغرى

لا بخصوص السبب بل لان المراد بالخلود هو المكث الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص القاطعة بان عصاة المؤمنين لا يدوم
عذابهم وروى عن ابن عباس رضه انه لا توبة لقاتل المؤمن عمدا وكذا ما روى عن سفيان ان اهل العلم كانوا اذا سئلوا قالوا لا توبة له
محمول على الاقتداء بسنة الله تعالى في التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روى عن انس رضه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الى لقاتل
لقاتل المؤمن توبة كيف لا وقد روى عن ابن عباس رضه ان رجلا سأله القاتل المؤمن توبة قال لا وسأله آخر القاتل المؤمن توبة فقال
نعم فقيل له ما قلت للاول يأيس وقد روى عنه جواز المغفرة بلا توبة ايضا حيث قال في قوله تعالى فجزاؤه جهنم الآية هي جزاؤه فان شاء عذبه
وان شاء غفر له وروى مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هو جزاؤه ان جازاه وبه قال عون بن عبد الله وابو صالح فانوا
قد يقول الانسان لمن يزجره عن امر ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا ما قال الواحدي والاصل
في ذلك ان الله عز وجل يجوز ان يخلف الوعيد بهذا وردت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث انس رضه انه عليه السلام
قال من وعده الله على عمله ثوابا فهو منجز له ومن اوعده على عمله عقابا فهو بالخيار والتحقيق انه لا ضرورة الى تخريج ما نحن فيه على الاصل
المذكور لانه اخبار منه تعالى بان جزاءه ذلك لا بانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا
اخبارا بانه تعالى يجزي كل سيئة بمثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير يا ايها الذين آمنوا اذا ما بين حكم القتل تعمدا وانما يتصور
صدوره عن المؤمن انما هو القتل خطأ شرع في التحذير عما يؤدي اليه من قلة المبالاة في الامور اذا ضربتم في سبيل الله اي سافرتم
للغزو والمراد اذا من معنى الشرط صدر قوله تعالى فتبينوا بالتاء اي فاطلبوا بيان الامر في كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه
بغير تدبر وروية وقرئ فتثبتوا اي طلبوا اثباته وقوله عز وجل ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام نهي عما هو نتيجة لترك
المأمور به وتعيين لمادة مهمة من المواد التي يجب فيها التبين وقرئ السلم بغير الف وبكسر السين وسكون اللام اي لا تقولوا بغير تأمل
لمن حياكم بتحية الاسلام وممن القى اليكم مقاليد الاستسلام والانقياد لست مؤمنا وانما اظهرت ما اظهرت متعوذا بل قبلوا
منه ما اظهره وعاملوه بموجبه وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا لك الامان وهذا انسب بالوجهين الاخيرين والاقتصار على كرخية الالقاء
في التوأدة الآتية مع كونها مؤونة بكلمتي الشهادة كما سيأتي في سبب النزول للمبالغة في النهي والزجر والتنبيه على كمال ظهور خطائهم
ببيان ان تحية الاسلام كانت كافية في المكافة والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف وهي مقرونة بهما وقوله تعالى تبتغون عرض
الحيوة الدنيا حال من فاعل لا تقولوا مبني عما يحملهم على العجلة وترك التأني لكن لا على ان يكون النهي راجعا الى القيد فقط
كما في قولك لا تطلب العلم تبتغي به الجاه بل اليهما جميعا اي لا تقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذي هو حطام سريع النفاد فعند
الله مغانم كثيرة تعليل للنهي عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد الضمني كأنه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عنه فلا تبتغوا
عن ارتكاب ما ارتكبتموه وقوله تعالى كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم تعليل للنهي عن القول المذكور ولعل تأخيره لما فيه من
نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين التعليل السابق وبين ما علل به كما في قوله
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الخ وتقديم خبر كان للقصر المفيد لتأكيد المشابهة بين طرفي التشبيه
وذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والفاء في فمن للعطف على كنتم اي مثل ذلك الذي القى اليكم السلام كنتم انتم
ايضا في مبادي اسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام وكنا فمن الله عليكم بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم
واموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم والفاء في قوله تعالى فتبينوا فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر
البين وقيسوا حاله وافعلوا به ما فعل بكم قرأ وائل امورهم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطئ الظاهر والباطن
هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل ومن حسب ان المعنى اول ما دخلتم في الاسلام سمعت
افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة

والاشتهار بالايمان والتقدم فيه وان حرم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالذاظنين في الاسلام وان تعتبروا في المكافة ولا تعولوا الخ
فقد ابعد عن الحق لان المراد كما عرفت بيان ان تحصين الدماء والاموال حكم مرتب على ما فيه المماثلة بينه وبينهم من مجرد التفوه
بكلمة الشهادة واظهار ان ترتبه عليه في حقهم يقتضي ترتبه عليه في حقه ايضا الزاما لهم واظهارا لخطائهم ولا يخفى ان ذلك انما يتاتى
بتقرير منه تعالى عليهم المترتب على كونهم مثله تحصين دمائهم واموالهم صبما ذكر حتى يظهر عندهم وجوب تحصين دمه وماله ايضا بحكم المشاركة
فيما يوجبه وحيث لم يفعل ذلك بل فسره بما فسره لم يبق في النظم الكريم ما يدل على ترتب تحصين دمائهم واموالهم على ما ذكر فتفسير من اباه
بناء على اساس واه كيف لا وان ما ذكره بصدد التفسير وان كان امرا ممنوعا على ما فيه المماثلة مبنيا عليه في حقهم لكنه ليس بحكم اريد
اثباته في حقه بناء على ثبوته في حقهم كالتحصين المذكور حتى يتجه ان يعترض ولا يمر له دخل في جواب باعتبار بظاهر الاسلام من الذاظنين
فيه حتى يصح نظمه في سلك ما وقع عليه قوله فعليكم ان تفعلوا الخ وحمل الكلام على معنى انكم فراق الامر كنتم مثله في حصول الرتبة في الاسلام فمن الله
عليكم وبلغتم هذه الرتبة العالية منه فلا تستقصروا حالته نظرا الى حالتكم هذه بل اعتدوا بها نظرا الى حالتكم السابقة يرده ان قتله لم يكن
لاستقصار اسلامه بل لتوهم مطابقة قلبه للسانه فان الآية الكريمة نزلت في شان مرداس بن نهيك من اهل فدك وكان قد اسلم وسلم
من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقوا مرداس لثقته باسلامه فلما رآى
الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة
بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه فقال اسامة انه قال
بلسانه دون قلبه وفي رواية انما قالها خوفا من السلاح فقال عليه السلام هلا شققت قلبه وفي رواية افلا شققت قلبه ثم قرا الآية
على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال صلى الله عليه وسلم يعيدها علي ووددت ان لم اكن اسلمت
الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة وقيل نزلت في رجل قال يا رسول الله كنا نطلب القوم وقد هزمهم الله فقصد رجلا فلما احس
بالسيف قال اني مسلم فقتله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلت مسلما قال انه كان متعوذا فقال عليه السلام افلا شققت عن قلبه
ان الله كان بما تعملون من الاعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها خبيرا فيجازيكم بحسبها ان خيرا فخير وان شرا فشر فلا تتهافتوا
في القتل واحتاطوا فيه والجملة تعليل لما قبلها بطريق الاستئناف وقرئ بفتح ان على انها معمولة لتبينوا او على حذف لام التعليل لا يستوي
القاعدون بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد بعد ما حرض المؤمنين عليه
لئلا ينافي القاعد عنه ويترفع بنفسه عن الخلط برتبة صهرله رغبة في ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين اذن لهم في القعود عن الجهاد كاعتذار لغيرهم
قال ابن عباس رضه هم القاعدون عن بدر والخارجون اليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول لما روي عن مقاتل من انهم الخارجون
الى تبوك فانه مما لا يوافقه التاريخ ولا يساعده الحال اذ لم يكن للمتخلفين يومئذ هذه الرخصة وقوله تعالى من المؤمنين متعلق
بمحذوف وقع حالا من القاعدين اي كائنين من المؤمنين وفائدتها الايذان من اول الامر بعدم افلال وصف القعود بما نهم والاشعار
بعلة استحقاقهم لما سيأتي من الحسنى غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدون لجريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم باعيانهم
او بدل منه وقرئ بالنصب على انه حال منه لوقوعه بعد الاستثناء وبالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج
او زمانة او نحوها وفي معناه العجز عن الاهبة عن زيد بن ثابت رضه انه قال كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون
فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف من لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال
اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون اراد بهم بهذا العنوان دون الخروج المقابل لوصف
المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس رضه وكذا تقييد المجاهدة بكونها في سبيل الله باموالهم وانفسهم لمدحهم بذلك

سري اي كشف عنه
الرض الدق

والاشعار بعلة استحقاقهم بعلو الرتبة مع مافيه من حسن موقع التسبيل فى مقابلة القعود وتقديم القاعدين فى الذكر للايذان
من اول الامر بمن القصور الذى ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين
بان زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر وعليه قوله تعالى هل يستوى
الاعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور الى غير ذلك واما قوله هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه
لان صلة ملكة المفضول وقوله عليه السلام فضل الله المجاهدين بانفسهم واموالهم على القاعدين درجة استئناف مسوق
لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهما اجمالا ببيان كيفيته وكميته مبنى على سؤال نياق اليه الكلام
فقيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله الخ واما تقديرهم لا يستوون فانما يليق بجعل الاستئناف تعليلا لعدم الاستواء مسوقا لاثباته
وفيه تعكيس ظاهر فان الذى يجب ان يكون مقصودا بالذات انما هو بيان تفاضل الفريقين على درجات متفاوتة واما عدم استوائهما
فقضارى امره ان يكون توطئة لذكره ولام المجاهدين والقاعدين للعهد فقيل كون الجهاد فى سبيل الله معتبرا فى الاول كما ان قيد عدم
الضرر معتبر فى الثانى ودرجة نصب على المصدرية لوقوعها موقع المرة من التفضيل اى فضل الله تفضيلة واعلى نزع الخافض اى بدرجة
وقيل على التمييز وقيل على الحالية من المجاهدين اى ذوى درجة وتنوينها للتفخيم وقوله تعالى وكلا مفعول اول لما سيعقبه قدم عليه لافادة
القصر تاكيد الوعد اى كل واحد من المجاهدين والقاعدين وعد الله الحسنى اى المثوبة الحسنى وهى الجنة لا احدهما فقط
كما فى قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا على ان اللام متعلقة برسولا والجملة اعتراض جئ به تمهيدا لما عسى يوجبه تفضيل احد الفريقين
على الآخر من ان حرمان المفضول وقوله عز وجل وفضل الله المجاهدين على القاعدين عطف على قوله تعالى فضل الله الخ واللام فى الفريقين
مغنية لها عن ذكر القيود التى تركت على سبيل التدريج وقوله تعالى اجرا عظيما مصدر مؤكد لتفضيل على انه بمعنى اجرا وايثاره على ما
هو مصدر من فعله للاشعار بكون ذلك التفضيل اجرا لاعمالهم او مفعول ثان له بتضمينه معنى الاعطاء اى اعطاهم زيادة على القاعدين
اجرا عظيما وقيل هو منصوب بنزع الخافض اى ففضلهم باجر وقوله تعالى درجات بدل من اجرا بدل الكل مبين لكمية التفضيل
وقوله تعالى منه متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها اى درجات كائنة منه تعالى قال ابن محير
وهى سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر خريفا وقال السدى سبعمائة درجة وعن ابن هريرة رضى الله عنه
عليه الصلوة والسلام قال ان فى الجنة مائة درجة اعدها الله تعالى للمجاهدين فى سبيله بين درجتين كما بين السماء والارض وجوز ان يكون
انتصاب درجات على المصدرية كما فى قولك ضربه اسواطا اى ضربات كانه قيل ففضلهم تفضيلات وقوله تعالى ومغفرة بدل من اجرا
بدل البعض لان بعض الاجر ليس من باب المغفرة اى مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التى لا يكفرها سائر الحسنات التى يأتى بها الى غير ذلك
ايضا حتى يعد من خصائصهم وقوله تعالى ورحمة بدل الكل من اجرا مثل درجات ويجوز ان يكون انتصابهما بافعل فعلها اى غفر لهم
مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبئ عن المغايرة وتقييده درجة واخرى بدرجات مع اتحاد المفضل
والمفضل عليه حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام اما لتنزيل الاختلاف العنوانى بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات
منزلة الاختلاف الذاتى تمهيدا لسلوك طريقة الابهام ثم التفسير ومما مزيد التحقيق والتقرير كما فى قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين
آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كانه قيل ففضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وحيث
كان تحقق هذا التباين البعيد بينهما موهما لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تقرير ما افاده التنكير بطريق الاهتمام
بحيث يقطع احتمال كونه للوعد فقيل ما قبل ولله درجات التنزيل واما للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات
على ان المراد بالتفضيل الاول ما خولهم الله تعالى عاجلا فى الدنيا من الغنيمة والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل الثانى
ما انعم به فى الآخرة من الدرجات العالية الفائتة للحصر كما ينبئ عنه تقديم الاول وتاخير الثانى وتوسيط المغفرة بينهما كانه قيل

فضل عليهم في الدنيا درجة واحدة وفي الآخرة درجات لا تحصى وقد وسط بينهما في الذكر ما هو متوسط بينهما في الوجود اعني الوعد
بالجنة توضيحا لحالهما ومسارعة الى تسلية المفضول والله سبحانه اعلم هذا ما بين المجاهدين وبين القاعدين غير اولي الضرر واما اولوا
الضرر فهم مساوون للمجاهدين عند القائلين بمفهوم الصفة وبان الاستثناء من النفي اثبات واما عند من لا يقول بذلك فلا دلالة
لعبارة النص عليه وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم في المدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا
الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم وصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوى الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر وغيره وبعبارة
اخرى ان في المدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال عليه السلام وهم بالمدينة
حبسهم العذر قالوا اهذه المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى العذر قد ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله
اذا نصحوا لله ورسوله وقيل القاعدون الاولون هم الاخراء والثاني غيرهم وفيه من تفكيك النظم الكريم ما لا يخفى ولا ريب في
ان الاخراء افضل من غيرهم درجة كما لا ريب في انهم دون المجاهدين بحسب الدرجة الدنيوية وكان الله غفورا رحيما تذييل مقرر
لما وعد من المغفرة والرحمة ان الذين توفيهم الملئكة بيان لحال القاعدين عن الهجرة اثر بيان حال القاعدين عن الجهاد وتوفيهم
يحتمل ان يكون ماضيا ويؤيده قراءة من قرأ توفتهم وان يكون مضارعا قد حذف منه احدى التاءين واصله تتوفاهم على حكاية الحال الماضية
والقصد الى استحضار صورتها ويعضده قراءة من قرأ توفاهم على مضارع وقعت بعني ان الله تعالى يوفي الملئكة انفسهم فيتوفونها اي يقبضونها
من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم حال من ضمير توفاهم فانه وان كان مضافا الى المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة
لان المعنى على الانفصال وان كان موصولا في اللفظ كما في قوله تعالى غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة وثانيا عطفه اي محلين الصيد
وبالغا الكعبة وثانيا عطفه كما في قوله تعالى ظالمين انفسهم وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبين لاختلال امور الدين
فانها نزلت في ناس من مكة قد اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة قالوا اي الملئكة عليهم السلام للمتوفين توبيخا لهم
بتقصيرهم في اظهار اسلامهم واقامة احكامه من الصلوة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امور دينكم
قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملئكة كانه قيل فاذا قالوا في الجواب فقيل قالوا معتذرين عن الاقرار الصريح
بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجب على زعمهم كنا مستضعفين في الارض اي في ارض مكة عاجزين عن اقامة امور الدين
فيما بين اهلها قالوا ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قط آخر منها تتمكنون فيه
على اقامة امور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة والى الحبشة واما حمل تعللهم على اظهار العجز عن الهجرة وجعل جواب الملئكة تكذيبا لهم
في ذلك فيرده الى سبب العجز عنها لا ينحصر في فقدان دار الهجرة بل قد يكون لعدم الاستطاعة للخروج بسبب الفقر او لعدم تمكين الكفرة منه
فلا يكون بيان سعة الارض تكذيبا لهم ورد عليهم بل لا بد من بيان استطاعتهم ايضا حتى يتم التبكيت وقيل كانت الطائفة المذكورة
قد خرجوا مع المشركين الى بدر منهم قيس ابن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههم فقتلوا فيها فضربت الملئكة
وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم توبيخا وتوبيخا لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم في عسكرهم
ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين فرد عليهم بانهم كانوا يسيرون من الخلاص
عن قهرهم متمكنين عن المهاجرين فاولئك الذين حكيت احوالهم الفظيعة ماويهم اي في الآخرة جهنم كما ان ماويهم في الدنيا
دار الكفر لكونهم الفريضة المختومة فماويهم مبتدا وجهنم خبره والجملة خبر لاولئك ومن الجملة خبر ان والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط
وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملئكة باضمار قد عند من يشترطها وهو الجزء العائد منه محذوف اي قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء
معطوفة عليه مسببة منه ومما في حيزه وساءت مصيرا اي مصيرهم او جهنم وفي الآية الكريمة ارشاد الى وجوب الهجرة من موضع
لا يتمكن الرجل من اقامة امور دينه باي سبب كان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا

من الارض استوجبت له الجنة وكان لرفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليه السلام **الا المستضعفين** استثناء منقطع لعدم دخولهم
في الموصول وضميره والاشارة اليه ومن في قوله تعالى **من الرجال والنساء والولدان** متعلقة بمحذوف وقع حالا من المستضعفين اى كائنين
منهم وذكر الولدان ان اريد بهم المماليك او المراهقون ظاهر وامكان ان اريد بهم الاطفال فلمبالغة في اعذار الهجرة وايرادهم اثنا بحيث لو استطاعوها
غير المكلفين لوجبت عليهم والا شعارا بانه لا محيص لهم عنها البتة يجب عليهم كما بلغوا حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوتهم
يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت **لا يستطيعون حيلة** ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين فان ما فيه من اللام ليس للتعريف
او حال منهم او من الضمير المستكن فيه وقيل تفسير للمستضعفين لكثرة وجوه الاستضعاف واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة ومبادئها والاهتداء
الى السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه فعل او بدليل **فاولئك** اشارة الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من ضعاف العزم **عسى ان يعفو**
عنهم جئ بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان الهجرة من تاكد الوجوب بحيث ينبغي ان يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنبا يجب طلب العفو
عنه رجاء وطمعا لا جزما ولا قطعا **وكان الله عفوا غفورا** تذييل مقرر لما قبله **ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا**
ترغيب في المهاجرة وتانيس لها اى يجد فيها متحولا ومهاجرا واما عبر عنه بذلك تاكيدا للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث
يصل فيه المهاجر من الخروج والنقلة الى ما يكون سببا لرغم انف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان واصل الصوق الالصاق بالرغام وهو التراب
وقيل يجد فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه اى يخارقهم على رغم انوفهم **وسعة** اى من الرزق **ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله**
ثم يدركه الموت اى قبل ان يصل المقصد وان كان ذلك خارجا بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة وهو عطف على فعل الشرط
وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل هو حركة الهاء نقلت الى الكاف على نية الوقف كما في قوله من غرني سيبني لم اضربه وقرئ بالنصب
على اضمار ان كما في قوله والحق بالحجاز فاستريحا **فقد وقع اجره على الله** اى ثبت ذلك عنده تعالى ثبوت الامر الواجب **روى** ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما بعث بالآيات المتقدمة الى المسلمين بمكة قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين
واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق يمينه على شماله ثم
قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك فاتم حمدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفي بالمدينة لكانوا اتم اجرا فنزلت فقالوا
كل هجرة في غير دين من طلب علم او حج او جهاد او كخروج ذلك في هجرة الى الله عز وجل والى رسول الله صلى الله عليه وسلم **وكان الله غفورا**
مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط من الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج **رحيما** مبالغا في الرحمة فيرحمه بابقاء ثواب
هجرته **واذا ضربتم في الارض** شروع في بيان كيفية الصلوة عند الضرورات من السفر والخوف والمطر والمرض وفيه تاكيد لعظيم امر المهاجر
على المهاجرة وترغيب لمن فيها لما فيه من تخفيف المؤنة اى اذا سافرتم اى مسافرة كانت ولذلك لم تقيد بما تقيد به المهاجرة **فليس عليكم جناح**
اى حرج وتاثم **ان تقصروا** اى في ان تقصروا والقصر خلاف المد يقال قصرت الشئ اى جعلته قصيرا بحذف بعض اجزائه واوصافه
فتعلق القصر حقيقة انما هو ذلك الشئ لا بعضه فانه متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا فقوله تعالى **من الصلوة** ينبغي ان يكون مفعولا
لتقصروا على زيادة من عند من جوزه والا فعلى تقدير ان تكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفا كما هو راى سيبويه اى شيئا من الصلوة
فينبغي ان يصار الى وصف الجزاء بصفة الكل او يراد بالقصر معنى الحبس يقال قصرت الشئ اذا حبسته او يراد بالصلوة الجنس ليكون المقصور
بعضا منها وهي الرباعيات اى فليس عليكم جناح في ان تقصروا بعض الصلوة بتنصيفها وقرئ تقصروا من الافصار وتقصروا من التقصير
والكل بمعنى وادنى مدة السفر الذي يتعلق به القصر عند ابي حنيفة مسيرة ثلثة ايام ولياليها بسير الابل ومشي الاقدام بالاقتصاد وعند
الشافعي مسيرة يومين وظاهر الآية الكريمة التخيير وافضلية الاتمام وبه يتعلق الشافعي وبما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر
وعن عايشة رضي الله عنها انها اتمت تارة وقصرت اخرى وعن عثمان رضي الله عنه انه كان يتم ويقصر وعندنا يجب القصر لا محالة خلافا لبعض مشايخنا
حيث جعلوه عزيمة وبعضهم رخصة اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لا رخصة ترفيه اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل وهو قول عمر وعلي

او فرارا الى بلد يزداد فيه طاعة او تنال عنه وزمرا او اتساع رزق طيب منه آركي

وابن عباس وابن عمر وجابر رض وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روي عن عمر رض صلوة السفر ركعتان تمام غير
قصر على لسان نبيكم عليه السلام وعن انس رض خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فكان يصلي ركعتين حتى رجعنا الى المدينة
وعن عمران بن حصين رض ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في السفر الا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال اتموا فانا قوم سفر وعن سمع ابن مسعود
ان عثمان رض صلى بمنى اربع ركعات استرجع ثم قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين فليت حظي من اربع ركعات ركعتان متقبلتان وقد اعتذر
عثمان رض عن اتمامه بانه تأهل بمكة وعن الزهري انه اتم لانه اذ مع الاقامة بمكة وعن عائشة رض اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين
فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وفي الصحيح البخاري انها قالت فرض الله الصلوة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلوة السفر وزيدت
في صلوة الحضر واما ما روي عنها من الاتمام فقد اعتذرت عنه وقالت انا ام المؤمنين فحيث صلت فهي داري وانما ورد ذلك بنفي الجناح لما انهم الفوا
الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فصرح بنفي الجناح عنهم ليطيب به نفوسهم ويطمئنوا اليه كما في قوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر
فلا جناح عليه ان يطوف بهما مع ان ذلك الطواف واجب عندنا وركن عند الشافعي وقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا جوابه
محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان خفتم ان يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم جناح الخ وهو شرط معتبر في شرعية ما يذكر بعده
من صلوة الخوف للمؤداة بالجماعة واما في حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن على مشروعيتها صحبا وقعت على تفاصيلها
وقد ذكر الطحاوي في شرح الآثار مسندا الى يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب رض انما قال الله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد امن الناس فقال عمر رض عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقة تصدق الله
بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على عدم جواز الاكمال لان التصدق مما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد كما حقق في موضعه والا يتوهم
انه مخالف للكتاب لان التقييد بالشرط عندنا انما يدل على ثبوت الحكم عند وجود الشرط واما عدمه عند عدم فسكت عنه فان وجد دليل يثبت
عدمه ايضا والا يبقى على اصل العدم بحقق دليل لا بتحقق دليل عدمه وناهيك ما سمعت من الادلة الواضحة واما عند القائلين بالمفهوم فلانه
انما يدل على النفي عند عدم الشرط اذا لم يكن له فائدة اخرى وقد خرج الشرط ههنا مخرج الاغلب كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم ان اردن تحصنا
بل نقول ان الآية الكريمة مجملة في حق مقدار القصر وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلوات وفي مقدار مدة الضرب الذي يتوطن به القصر فكل ما ورد
منه عليه السلام من القصر في حال الامن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف وبالضرب في المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب وقد قيل ان
قوله تعالى خفتم الخ متعلق بما بعده من صلوة الخوف منفصل عما قبله فانه روي عن ابي ايوب الانصاري رض انه قال نزل قوله تعالى واذا ضربتم
في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ثم شالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حول فنزل ان خفتم الخ اي ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا فليس عليكم جناح الخ وقد قرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم على انه مفعول له لما دل عليه الكلام كانه قيل شرع لكم ذلك كراهة
ان يفتنكم الخ فان استمرار الاشتغال بالصلوة مظنة لاقتدارهم على ايقاع الفتنة وقوله تعالى ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا تعليل
لذلك باعتبار تعلله باذكر او لما يفهم من الكلام من كون فتنتهم متوقعة فان كمال عداوتهم للمؤمنين من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله تعالى
واذا كنت فيهم بيان لما قبله من النص المجمل الوارد في مشروعية القصر بطريق التنزيل وتصوير لكيفية عند الضرورة التامة وتخصيص
البيان بهذه الصورة مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان بطريق السنة لتزيد حاجتها اليه لما فيها من كثرة التغيير عن الهيئة الاصلية ومن ههنا ظهر لك
ان مورد النص الشريف هي المقصورة وحكم ما عداها مستفاد من حكمها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد ونظائره ينطلق على من
لا يرى صلوة الخوف بعده عليه السلام ولا يخفى ان الائمة بعده نوابه عليه السلام قوام بما كان يقوم به فيتناولهم حكم الخطاب انوار دلائل عليه السلام
كما في قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة وقد روي ان سعيد بن العاص لما اراد ان يصلي بطبرستان صلوة الخوف قال من شهد منكم صلوة الخوف
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حذيفة بن اليمان فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان ذلك بحضرة الصحابة رض فلم ينكره احد
فحل محل الاجماع وروي في السنن انهم غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة كابل فصلى بهم صلوة الخوف فاقمت لهم الصلوة اي اردتان فتقدم

بهم الصلوة • فلتقم طائفة منهم معك • بعد ان جعلتهم طائفتين وليقف الطائفة الاخرى بازاء العدو ليحرسوكم منهم واتما لم يصرح به لظهوره • وليأخذوا • اى الطائفة القائمة معك • اسلحتهم • اى لا يضعوها ولا يلقوها واتما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان بالاعتناء باستصحابها كأنهم باخذونها ابتداء • فاذا سجدوا • اى القائمون معك واتموا الركعة • فليكونوا من ورائكم • اى فليصيروا الى مقابلة العدو للحراسة • ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا • بعد وهى الطائفة الواقعة بحلوة العدو للحراسة واتما لم توقف لما انها لم تذكر فيما قبل فليصلوا معك • الركعة الباقية ولم يتعين فى الآية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روى عن ابن عمر وابن مسعود انه ان النبى صلى الله عليه وسلم حين صلى صلوة الخوف صلى بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة ثم الآية ثم جاءت الطائفة الاولى وذهبت هذه الى مقابلة العدو صحت قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان • وليأخذوا • اى هذه الطائفة • حذرهم واسلحتهم • لعل زيادة الامر بالحذر فى هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبى صلى الله عليه وسلم فى شغل شاغل واتما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحرب وتكليف كل من الطائفتين بما ذكر لما ان الاشتغال بالصلوة مظنة للقاء السلاح والاعراض عن غيرها ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى • ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة • فانه استئناف مسوق لتعليل الامر المذكور والخطاب للفريقين بطريق الالتفات اى تمنوا ان يتالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به فى الحرب لا مطلقا وهذا الامر للوجوب لقوله تعالى • ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم • حيث رخص لهم فى وضعها اذا ثقل عليهم استصحابها بسبب مطر او مرض وامرهم مع ذلك بالتيقظ والاحتياط فقيل • وخذوا حذركم • لئلا يهجم العدو عليهم غيلة • وعن الكلبى عن ابى صالح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا محاربا وبنى انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس اسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادى والسماء ترش فجاء الوادى بينه عليه السلام وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به غورث بن الحرث المحاربى فقال قتلنى الله ان لم اقتلك ثم الحذر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه وقد سل سيفه من غمده فقال يا محمد من يعصمك منى الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ثم قال اللهم اكفنى غورث بن الحرث بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاكب لوجهه من زلخها بين كتفيها فيذر سيفه فقام رسول الله عليه السلام فاخذه ثم قال يا غورث من يمنعك منى الآن قال لا احد قال عليه السلام تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واعطيك سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث والله لانت خير منى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقص عليهم قصته فآمن بعضهم فقال وسكن الوادى فقطع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاصحابه واخبرهم بالخبر وقوله تعالى • ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا • تعليل للامر باخذ الحذر اى اعد لهم عذابا اليما بان يخذلهم وينصركم عليهم فاتهموا امورهم ولا يهملوا فى مباشرة الاسباب كى يحل بهم عذابه بايديكم وفيه ايذان بان الامر بالحذر من العدو موهما لتوقع غلبته واغراء له تنفى ذلك لايهام بان الله تعالى ينصرهم ويهين عدوهم لتقوى قلوبهم • فاذا قضيتم الصلوة • صلوة الخوف اى ادى تموها على الوجه المبين وفرغتم منها • فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم • اى فداوموا على ذكره تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه فى جميع الاحوال حتى فى حال المسايفة والقتال كما فى قوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون • فاذا اطمأننتم • سكنت قلوبكم من الخوف وامنتم بعد ما وضعت الحرب اوزارها • فاقيموا الصلوة • اى الصلوة التى خلل وقتها اى ادوها بتعديل اركانها ومراعاة شرائطها وقيل المراد بالذكر فى الاحوال الثلثة الصلوة فيها اى فاذا اردتم اداء الصلوة فصلوا قياما عند المسايفة وقعودا عاجزين على الركب عند المرامات وعلى جنوبكم مجروحين بالجراح فاذا اطمأننتم فى الجملة فاقضوا ما صليتم

وفى نسخة صحيحة معلم

الزلخة وجع يأخذ فى الظهر لا يمكن الانسان من استوائه منه

عن ٥٩٤ عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله تعالى على كل احيانه معلم

فی تلک الاحوال التی هی احوال القلق والانزعاج وهو رای الف فتی رجع وفیه من البعد مالا یخفی ان الصلوة کانت علی المؤمنین کتابا موقوتا
ای فرضا موقتا قال مجاهد وقته الله تعالی علیهم فلا بد من ادائها فی حالة الخوف ایضا علی الوجه المشروح وقیل مفروضا معدّدا فی الحضر بع
رکعات وفی السفر رکعتین فلا بد ان تؤدی فی کل وقت حسبما قدر فیه ولا تهنوا فی ابتغاء القوم ای لا تضعفوا ولا تنوا فی طلب الکفار
بالقتال والتعرض لهم بالجراب وقوله تعالی ان تکونوا تالمون فانهم یالمون کما تالمون وترجون من الله مالا یرجون تعلیل للنهی
وتشجیع لهم ای لیسوا اما تعاسوه من الآلام مختصا بکم بل هو مشترک بینکم وبینهم ثم انهم لیصبرون علی ذلک فانکم لاتصبرون مع انکم اولی بذلک منهم
حیث ترجون من الله من اظهار دینکم علی سائر الادیان ومن الثواب فی الآخرة مالا یخطر ببالهم وقری ان تکونوا بفتح الهمزة ای لا تهنوا لان تکونوا
تالمون وقوله تعالی فانهم تعلیل للنهی عن الوهن لاجله والآیة نزلت فی بدر الصغری وکان الله علیما مبالغا فی العلم فیعلم اعمالکم وضمائرکم
حکیما فی ما امر وبنهی فجدوا فی الامتثال بذلک فان فیه عواقب حمیدة انا انزلنا الیک الکتاب بالحق روی ان رجلا من الانصار
یقال له طعمة ابن ابیرق من بنی ظفر بن الحارث سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان وکانت الدرع فی جراب دقیق فجعل الدقیق ینتشر
من خرق فیه حتی انتهی الی الدار بن الحارث فجنا ما عند زید بن السمین الیهودی فالتمست الدرع عند طعمة فلم یوجد وحلف والله ما اخذها
ومال بها علم فترکوه واتبعوا اثر الدقیق حتی انتهی الی منزل الیهودی فاخذوه فقال دفعها الی طعمة وشهد له ناس من الیهود فقالت
بنو ظفر انطلقوا بنا الی رسول الله صلی الله علیه وسلم فسالوه ان یجادل عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة الیهودی فهم رسول الله
ان یفعل فنزلت وروی ان طعمة هرب الی مکة وارتد ونقب حائطها بمکة لیسرق اهلها فسقط الحائط علیه فقتله وقیل نزل علی رجل
من سلیم من اهل مکة یقال له الحجاج ابن علاط فنقب بیته فسقط علیه حجر فلم یستطع الدخول ولا الخروج فاخذ لیقتل فقیل دعه فانه قد جاء
الیک فترکه واخرجوه من مکة فالتحق بتجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم وهرب فاخذوه ورموه بالحجاج
حتی قتلوه وقیل انه رکب سفینة الی جدة فسرق فیها کیسا فیه دنانیر فاخذ والقی فی البحر لتحکم بین الناس بما اراک الله ای
بما عرفک واوحی به الیک ولا تکن للخائنین ای لاجلهم والذب عنهم طعمة ومن یعینه من قومه او هو ومن یسیر سیرته خصیما
مخاصما للبرآء ای لا تخاصم الیهود لاجلهم والنهی معطوف علی ما ینسحب علیه النظم الکریم کانه قیل فاحکم به ولا تکن الخ واستغفر الله
مما هممت به تعویلا علی شهادتهم ان الله کان غفورا رحیما مبالغا فی المغفرة والرحمة لمن یستغفره ولا تجادل عن الذین
یختانون انفسهم ای یخونونها بالمعصیة کقوله تعالی علم الله انکم کنتم تختانون انفسکم جعلت معصیة المعصاة خیانة منهم
لانفسهم کما جعلت ظلما لها لرجوع ضررها الیهم والمراد بالموصول اما طعمة واضرابه او هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه
فانهم شرکاء له فی الاثم والخیانة ان الله لا یحب من کان خوانا مفرطا فی الخیانة مصرا علیها اثیما منهما کافیه وتعلیق
عدم المحبة الذی هو کنایة عن البغض والتسخط بالمبالغ فی الخیانة والاثم لیس لتخصیصه به بل لبیان افراط طعمة وقومه فیهما
یستخفون من الناس یستترون منهم حیاء وخوفا من ضررهم ولا یستخفون من الله ای لا یحیون منه سبحانه وهو احق
بان یستحیی منه ویخاف من عقابه وهو معهم عالم بهم وباحوالهم فلا طریق لهم الا الاستخفاء منه سوی ترک ما یستقبح ویؤاخذ
علیه اذ یبیتون یدبرون ویروزون مالا یرضی من القول من رمی البری والحلف الکاذب وشهادة الزور
وکان الله بما تعملون من الاعمال الظاهرة والخافیة محیطا لا یغرب عنه شئ منها ولا یفوت ها انتم هاؤلاء
تلوین للخطاب وتوجیه الیهم بطریق الالتفات ایذانا بان تعدید جنایاتهم یوجب مشافهتهم بالتوبیخ والتقریع والجملة مبتدا وخبر
وقوله تعالی جادلتم عنهم فی الحیوة الدنیا جملة مبینة لوقوع اولاء خبرا ویجوز ان یکون اولاء اسما موصولا بمعنی الذین جادلتم
الخ صلته له والمجادلة اشد المخاصمة والمعنی هبوا انکم خاصمتم عن طعمة وامثاله فی الدنیا فمن یجادل الله عنهم یوم القیمة
فمن یخاصم یومئذ عند تعذیبهم وعقابهم ام من یکون علیهم وکیلا حاميا ومحاميا من بأس الله تعالی وانتقامه ومن یعمل سوءا

قبيحا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء دون الشرك والظلم الشرك
وقيل هما الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة الصادقة يجد الله غفورا لذنوبه كائنة ما كانت رحيما متفضلا عليه
وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه في التوبة والاستغفار لما أن مشاهدة التائب لآثار المغفرة والرحمة نعمة زائدة كما مر ومن يكسب اثما
من الآثام فانما يكسبه على نفسه بحيث لا يتعدى ضرره ووباله الى غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا وآجلا وكان الله
عليما مبالغا في العلم حكيما مراعيا للحكمة في كل ما قدر وقضى ولذلك لا يخل وازرة وزر اخرى ومن يكسب خطيئة صغيرة
او ما لا عمد فيه من الذنوب وقرئ ومن يكتسب بكسر الكاف وتشديد التاء واصله يكتسب او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به
اى يقذف به ويسنده وتوحيد الضمير مع تعدد المرجع لكون او وتذكيره لتغليب الاثم على الخطيئة كانه قيل ثم يرم باحدهما
وقرئ يرم بهما وقيل الضمير للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب وثم للتراخي في الرتبة بريئا اى مما رماه به لتحمله عقوبة العاجلة
كما فعل طعمة بزيد فقد احتمل اى بما فعل من تحميل جريرته على البرئ بهتانا وهو الكذب على الغير بما يبهت منه ويتحير عند سماعه
لفظاعته وهوله وقيل هو الكذب الذي يتحير في عظمه واثما مبينا اى بينا فاحشا على ان وصف الاثم بما ذكر بمنزلة وصف البهتان
لانهما عبارة عن امر واحد هو رمي البرئ بجناية نفسه قد عبر عنه بهما تهويلا لامره وتفظيعا لحاله مدار العظم والفخامة كون المرمي
للرامي فان رمي البرئ بجناية ما خطيئة كانت واثما بهتانا واثما في نفسه اما كونه بهتانا فظاهر واما كونه اثما فلان كون
الذنب بالنسبة الى من فعل خطيئة لا يلزم منه كونه بالنسبة الى من نسب الى البرئ منه ايضا كذلك بل لا يجوز ذلك قطعا كيف لا
وهو كذب محرم في جميع الاديان فهو في نفسه بهتان واثم لا محالة ويكون تلك الجناية للرامي بمقتضى ذلك شتمة ويزداد قبحا لكن
لانضمام جناية المكسوبة الى رمي البرئ والا لكان الرمي بغير جناية مثل ذم العظم ولا لمجرد اشتماله على تبرئة نفسه الخاطئة والا لكان الرمي بغير جناية
مع تبرئة نفسه كذلك في العظم بل لاشتماله على قصد تحميل جناية على البرئ واجرآءه عقوبتها عليه كما ينبئ عنه ايثار الاصتمال على الاكتساب
ونحوه لما فيه من الايذان بانعكاس تقديره مع ما فيه من الاشعار بثقل الوزر وصعوبة الامر فهم بما ذكر من انضمام كسب وتبرئة نفسه الى رمي
البرئ يزداد الجناية قبحا لكن تلك الزيادة وصف للمجموع لا للاثم ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلامك ما هم عليه بالوحي وتنبيهك
على الحق وقيل بالنبوة والعصمة لهمت طائفة منهم اى من ظهر وهم الذابون عن طعمة وقد جوز ان يكون المراد بالطائفة كلهم ويكون
الضمير راجعا الى الناس وقيل هم وفد بني ثقيف قدموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اجعلنا كلبنايعك على ان لا نكسر اصنامنا
ولا تعشر فردهم عليه السلام ان يضلوك اى بان تضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بكنه الامر والجملة جواب لولا واما نفي
همتهم مع ان المنفي انما هو تاثيره فقط ايذانا بانتفاء تاثيره بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر فلا ريب في انتفاء حقيقة
وقيل الجواب محذوف اى لاضلوك وقوله عز وجل لهمت جملة مستانفة اى لقد همت طائفة الخ وما يضلون الا انفسهم
لاقتصار وبال مكرهم عليهم من غير ان يصيبك منه شئ والجملة اعتراض وقوله عز وجل وما يضرونك من شئ عطف عليه
ومحل الجار والمجرور النصب على المصدرية اى وما يضرونك شيئا من الضرر لما انه تعالى عاصمك واما ما خطر ببالك فكان على سبيل
بظاهر الحال ثقة باقوال القائلين من غير ان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة
اى القرآن الجامع بين العنوانين وقيل المراد بالحكمة السنة وعلمك بالوحي من خفيات الامور التي من جملتها وجوه ابطال
تاكيد المنافقين او من امور الدين واحكام الشرع ما لم تكن تعلم ذلك الى وقت التعليم وكان فضل الله عليك عظيما
اذ لا فضل اعظم من النبوة العامة والرياسة التامة لا خير في كثير من نجواهم اى في كثير من تناجي الناس الا من امر
الا من امر بصدقة او معروف وقيل المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز وقيل النجوى جمع نجي نقله الكرماني وايا ما كان
فالاستثناء متصل ويجوز الانقطاع ايضا على معنى لكن من امر الخ فنجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره

العقل فينتظم اصناف الجميل وفنون اعمال البر وقد فسرهنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع على ان المراد بالصدقة الواجبة
او اصلاح بين الناس عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير ان يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف وبين اما متعلق بنفس
اصلاح يقال اصلحت بين القوم او بمحذوف هو صفة له اى كائن بين الناس عن ابى ايوب الانصارى رضى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له الا ادلك على صدقة خير لك من حمر النعم فقال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا وقالوا والعمل
الشر في اذا دهن الثلثة بالذكر ان عمل الخير المتعدى الى الناس اما ايصال المنفعة او دفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال واليه
الاشارة بقوله عز وجل الا من امر بصدقة او امر روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر فقد اشير اليه بقوله تعالى او اصلاح
بين الناس ومن يفعل ذلك اشارة الى الامور المذكورة اعنى الصدقة والمعروف والاصلاح فانه يشار به الى متعدد وما فيه من معنى
البعد مع قرب العهد بها للايذان ببعد منزلتها ورفعة شانها وترتيب الوعد على فعلها اثر بيان خيرية الامر بها لما ان المقصود الاصلى
وهو الترغيب في الفعل وبيان خيرية الامر به للدلالة على خيريته بالطريق الاولى لما ان مدار حسن الامر وقبحه حسن المامور به وقبحه فحين
ثبت خيرية الامر بالامور المذكورة فخيرية فعلها اثبت وفيه تحريض للآمر بها على فعلها او اشارة الى الامر بها كانه قيل ومن يامر بها
والكلام في ترتب الوعد على فعلها كالذى مر في الخيرية فان استتباع الامر بها للاجر العظيم انما هو لكونه ذريعة الى فعلها فاستتباعه
له اولى واحق ابتغاء مرضاة الله علة للفعل والتقييد به لان الاعمال بالنيات وان من فعل خير الغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان
فسوف نؤتيه بنون العظمة على الالتفات وقرئ بالياء اجرا عظيما يقصر عنه الوصف ومن يشاقق الرسول التعرض
لعنوان الرسالة لاظهار كمال شناعة ما اجترؤا عليه من المشاقة والمخالفة وتعليل الحكم الآتي بذلك من بعد ما تبين له الهدى
ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع غير سبيل المؤمنين اى غير ما هم مستمرون عليه من عقد وعمل وهو الدين
القيم نوله ما تولى اى نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخذله بان نخلى بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم اى ندخله
اياها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا اى جهنم وفيها دلالة على حجية الاجماع وحرمة مخالفته ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قد مر تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتاكيد والتشديد او لنكتة طويت وقد قرئ كذلك
وروى عن ابن عباس رضى ان شيخا من العرب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتى شيخ منهمك في الذنوب الا
اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جوارحي على الله تعالى وما توهمت طرفة عين
اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق
فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة كما انه افراط دائم عظيم ولذلك جعل الجزاء في حيز الشرطية
فقد ضل الخ وفيما سبق فقد افترى اثما عظيما حسبما تقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه ان يدعون اى ما يعبدون من دونه
عز وجل الا اناثا هى اللات والعزى ومناة ونحوها وعن الحسن انه لم يكن من احياء العرب حى الا وكان لهم صنم يعبدونه
ويسمونه انثى من فلان فقيل لانهم كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل لانهم كانوا يلبسونها انواع الحلى ويزينونها
على هيئات النساء وقيل المراد الملائكة لقولهم الملئكة بنات الله وقيل سميتها اناثا لتانيث اسمائها اولانها في الاصل جماد والجمادات
تؤنث من حيث انها ضعيفة لانثى لا تنفعها وايرادها بهذا الاسم للتنبيه على فرط حماقة عبدتها وتناهى جهلهم والاناث جمع انثى
كرباب وربى وقرئ على التوحيد وانثا ايضا على انه جمع انيث كقليب وقلب او جمع اناث كثمار وثمر وقرئ وثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل
جمع وثن كعود لك اسد واسد واسد على الابدال كفلب الواو والفا نحو اجوه في وجوه وان يدعون وما يعبدون بعبادتها الا
شيطانا مريدا اذ هو الذى امرهم بعبادتها واغراه عليها كما ان طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو الذى لا يعلق بخير
واصل التركيب الملابسة ومنه صرح ممرد وشجرة مرداء للتى تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية لشيطانا وقال لاتخذن

من عبادك نصيبًا مفروضًا عطف على الجملة المتقدمة اى شيطانا مريدًا جامعًا بين لعنة الله تعالى وهذا القول الشنيع القصد منه عند اللعن ولقد برهن ان عبادة الاصنام غاية الضلال بطريق التعليل بان ما يعبدونها ينفعل ولا يفعل فعلًا اختياريًا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة ثم استدل عليه بان ذلك عبادة للشيطان وهو اقطع الضلال من وجوه ثلثة الاول انه منهمك في الغي بحيث لا يكاد يعلق بشئ من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالًا بعيدًا من الحق والثاني انه ملعون لضلاله فلا يستتبع مطاوعته سوى اللعن والضلال والثالث انه في غاية السعي في اهلاكهم واضلالهم فموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلًا عن عبادته والمفروض المقطوع اى نصيبًا مُقدرًا وفرضٌ من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك ولامرنهم فليبتكن آذان الانعام اى فليقطعنها بموجب امرى ويشقنها من غير تلعثم في ذلك ولا تاخير وذلك ما كانوا يفعلونه بالبحائر والسوائب ولامرنهم فليغيرن محتملين به خلق الله عن نهجه صورة او صفة وينظم فيه ما قيل من فقاْ عين الحامي وخصاء البعير والوشم والوشر ونحو ذلك وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقًا لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لمكان الحاجة وهذه الجمل المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه مقالًا او حالًا وما فيها من الاتيان كلها للقسم والمأمور به في الموضعين محذوف ثقة بدلالة التنظم عليه ومن يتخذ الشيطان وليًا من دون الله بايثار ما يدعوه اليه على امر الله تعالى به ومحاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته فقد خسر خسرانًا مبينًا لانه ضيع راس ماله بالكلية واستبدل بكماله من الجنة مكانه من النار يعدهم اى الاماني الباطلة بمجرده ويمنيهم اى الاماني الفارغة او يفعل لهم الوعد والتمنية على طريقة فلان يعطي ويمنع والضمير ان لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في يتخذ وخسر باعتبار لفظها وما يعدهم الشيطان الا غرورًا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالقاء الخواطر الفاسدة او بالسنة اوليائه وغرورًا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله او نعت لمصدر محذوف اى وعدًا ذا غرور او مصدر على غير لفظ المصدر لان بعدهم في قوة يغرهم بوعوده والجملة اعتراض وعدم التعرض للتمنية لانها باطل من الوعد اولئك اشارة الى اولياء الشيطان وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الخسران وهو مبتدا قوله تعالى مأويهم مبتدا ثان وقوله تعالى جهنم خبر الثاني والجملة خبر للاول ولا يجدون عنها محيصًا اى معدلًا ومهربًا من حاص الحمار اذا عدل وقيل حاص ونجا وقيل الحيص هو الروغان بنفور عنها متعلق بمحذوف وقع حالًا من محيصًا اى كائنًا عنها ولا مساغ لتعلقه بمحيصًا اما اذا كان اسم مكان فظاهر واما اذا كان مصدرًا فلانه لا يعمل فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدًا قرن وعيد الكفرة بوعد المؤمنين زيادة لمسرة هؤلاء ومساءة اولئك وعد الله حقا اى وعده وعدًا او حق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول المضمر بفسره ما بعده وينتصب وعد الله بقوله تعالى سندخلهم لانه في معنى نعدهم ادخال جنات الخ وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لوعوده تعالى الصادق لاوليائه والمبالغة في تاكيده ترغيبًا للعباد في تحصيل القيل مصدر كالقول والقال وقال ابن السكيت القيل والقال اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز وقرئ باشمام القاف وكذا كل صاد ساكنة بعد تا دال ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب وانما يحصل بالايمان الصالح ولعل نظم امانى اهل الكتاب في سلك امانى المسلمين مع ظهور حالها للايذان بعدم اعداد امانى المسلمين اصلًا كما في قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن الحسن رضه ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قومًا الهتهم امانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب تنابذوا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم فقال المسلمون نحن اولى منكم بنبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين

ويؤيده تقدم ذكرهم اى ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم
واحسن حالا وقولهم لاوتين مالا وولدا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم
لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روى انه لما نزلت قال
ابو بكر رضه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تحزن او تمرض اما يصيبك البلاء قال بلى يا رسول الله
قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله اى مجاوزا لموالاة الله ونصرته وليا يواليه ولا نصيرا ينصره في دفع العذاب عنه
ومن يعمل من الصالحات اى بعضها وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال
من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات فمن للابتداء اى كائنة من ذكر الخ وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء
الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك اشارة الى من بعنوان اتصافه بالايمان والعمل الصالح والجمع باعتبار
معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الاشعار بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته
في الشرف يدخلون الجنة وقرئ يدخلون مبنيا للمفعول من الادخال ولا يظلمون نقيرا اى لا ينقصون شيئا حقيرا
من ثواب اعمالهم فان النقير علم في القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب المطيع فلان لا يزاد عقاب العاصي اولى واحرى كيف لا
والمجازي ارحم الراحمين وهو السر في الاقتصار على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله
اى اخلص نفسه له تعالى لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وقيل اخلص عمله له عز وجل وقيل فوض امره اليه تعالى
وهذا انكار واستبعاد لان يكون احد احسن دينا ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة
ونفيها يرشدك اليه العرف المطرد والاستعمال الفاشي فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما
انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وعليه مساق قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى ونظائره ودينا نصب على التمييز من احسن
منقول من المبتدا والتقدير ومن دينه احسن من دين من اسلم الخ فالتفضيل في الحقيقة جار بين الدينين لا بين صاحبيهما
ففيه تنبيه على ان ذلك اقصى ما تنتهي اليه القوة البشرية وهو محسن اى آت بالحسنات تارك للسيئات او آت بالاعمال
الصالحة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة حال من فاعل اسلم واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها وقبولها
حنيفا مائلا عن الاديان الزائغة وهو حال من فاعل اتبع او من ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصه
بكرامات تشبه كرامة الخليل عند خليله واظهاره عليه السلام في موقع الاضمار لتفخيم شانه عليه السلام والتنصيص على انه الممدوح
وتاكيدا استقلال الجملة الاعتراضية والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين
يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريق او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال
وفائدة الاعتراض جمة من جملتها الترغيب في اتباع ملته عليه السلام فان من بلغ من الزلفى عند الله عز وجل مبلغا مصححا للتسمية
خليلا حقيق بان يكون اتباع طريقته اهم ما يمتد اليه اعناق الهمم واشرف ما يرمق نحوه احداق الامم قيل انه بعث الى خليل له
بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب لنفسه لفعلت ولكنه يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب
الناس من الشدة فرجع غلمانه عم فاجتازوا ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فجاؤوا بها الى منزل ابراهيم عم والقوها
وتفرقوا وجاء احدهم فاخبر ابراهيم بالقصة فاغتم لذلك غما شديدا لا سيما لاجتماع الناس ببابه رجاء الطعام فغلبته عيناه
وعمدت سارة الى الغرائر فاذا فيها اجود ما يكون من الحوارى واختبزت وفي رواية فاطعمت الناس واستنبه ابراهيم فاشتم
رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت سارة من خليلك المصري فقال بل من خليلي الله عز وجل فسماه الله تعالى خليلا

ولله ما في السموات وما في الارض جملة مبتدأة سيقت لتقرير وجوب طاعته تعالى على اهل السموات والارض ببيان ان جميع ما فيهما
من الموجودات الخ خلقا وملكا لا يخرج من مملوكيته شئ منها فيجازي كلا بموجب اعماله خيرا او شرا وقيل لبيان ان اتخاذه عز وجل
لابراهيم خليلا ليس لاحتياجه سبحانه الى ذلك في شان من شئونه كما هو دأب الآدميين فان مدار خلتهم افتقار بعضهم الى بعض
في مصالحهم بل لمجرد تكرمته وتشريفه وقيل لبيان ان الخلة لا يخرجه عن رتبة العبودية وقيل لبيان ان اصطفاءه عليه السلام للخلة بعض
مشيئته تعالى اي له تعالى ما فيهما جميعا يختار منها ما يشاء لمن يشاء وقوله عز وعلا وكان الله بكل شئ محيطا تذييل مقرر لمضمون
ما قبله على الوجوه المذكورة فان احاطته تعالى علما وقدرة بجميع الاشياء التي من جملتها ما فيهما من المكلفين واعمالهم مما يقرر ذلك اكمل
تقرير ويستفتونك في النساء اي في حقهن على الاطلاق كما ينبئ عنه الاحكام الآتية لا في حق ميراثهن خاصة
فانه عليه السلام قد سئل عن احوال كثيرة مما يتعلق بهن فيما بين حكمه فيما سلف اصيل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب وما لم يبين حكمه
بعد يبين ههنا وذلك قوله تعالى قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب باسناد الافتاء الذي هو تبيين المبهم وتوضيح
المشكل اليه تعالى والى ما تلى من الكتاب فيما سبق باعتبارين على طريقة قولك اعجبني زيد وعطاؤه بعطفه على المبتدأ او ضميره
في الخبر لكان الفصل بالمفعول والمجرور وايثار صيغة المضارع للايذان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب اما متعلق
بيتلى او بمحذوف وقع حالا من المستكن فيه اي يتلى كائنا فيه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على ان المراد
به اللوح المحفوظ والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم شان المتلو عليهم وان العدل في الحقوق المبينة فيه من عظائم
الامور التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها فما يتلى ح متناول لما تلى وما سيتلى ويجوز ان يكون مجرورا على القسم المنبئ
عن تعظيم المقسم به وتفخيمه كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب فالمراد بقوله تعالى يفتيكم بيانه السابق
واللاحق ولا مساغ لعطفه على المجرور في فيهن لاختلال المعطوف والمعنى وقوله تعالى في يتامى النساء على الوجه الاول وهو الاظهر
متعلق بيتلى اي ما يتلى عليكم في شانهن وعلى الاخيرين بدل من فيهن وهن الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشئ الى جنسه وقرئ
بيامى على قلب همزة ايامى ياء واللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي ما فرض لهن من الميراث وغيره وترغبون عطف
على الصلة عطف جملة مثبتة على جملة منفية وقيل حال من فاعل لا تؤتونهن بتاويل وانتم ترغبون ولا ريب في انه لا يظهر لتقييد
عدم الايتاء بذلك فائدة الا اذا اريد بما كتب لهن صداقهن ان تنكحوهن اي في ان تنكحوهن لكن لا لاجل التمتع بهن
بل لاكل مالهن اذ في ان تنكحوهن بغير اكمال الصداق وذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها يتيمة يرغب في نكاحها
كاحها او لا ينكحها فيضلها طمعا في ميراثها وفي رواية عنها هو الرجل يكون عنده يتيمة هو وليها ووارثها وشريكها في المال
حتى في العذق فيرغب ان ينكحها ويكره ان يزوجها رجلا فيشركه في ماله فتمانعه فيضلها فالمراد بما كتب لهن على الوجه الاول والآخر
ميراث لهن وبما يتلى في حقهن قوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم وقوله تعالى ولا تاكلوها وغيرهما من النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهم
على الوجه الثاني صداقهن وبما يتلى فيهن قوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى
النساء وما يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله الخ وقد كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء وانما يورثون الرجال
القوام بالامور روي ان عيينة بن حصن الفزاري جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت
النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحمي الغنيمة فقال عليه السلام كذلك امرت وان تقوموا لليتامى بالقسط بالجر عطف
على ما قبله وما يتلى في حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم وكذلك مما لا يكاد يخفى هذا على تقدير كون
في يتامى النساء متعلقا بيتلى واما على تقدير كونه بدلا من فيهن فالوجه نصبه عطفا على موضع فيهن اي يفتيكم ان تقوموا ويجوز
نصبه باضمار فعل اي يامركم وهو خطاب للولاة او للاولياء والاوصياء وما تفعلوا في حقوق المذكورين من خير

حسبما أمرتم به او ما تفعلوه من خير على الاطلاق فيندرج فيه ما يتعلق بهم اندراجا اوليا فان الله كان به عليما فيجازيكم بحسبه
وان امرأة خافت شروع في بيان ما لم يبين فيما سلف من الاحكام اى توقعت امرأة من بعلها نشوزا اى تجافيا وترفعا
عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل محادثتها وموانستها لما تقتضي ذلك من الدواعي والاسباب فلا جناح عليهما
حينئذ ان يصلحا بينهما صلحا اى في ان يصلحا بينهما بان يحط لها المهر او بعضه او القسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت
ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبت يومها لعائشة او بان تهب له شيئا تستميله وقرئ يصالحا من تصالحا ويصطلحا
من يصطلحا ويصالحا من المصالحة وصلحا اما منصوب بالفعل المذكور على كل تقدير على انه مصدر منه بحذف الزوائد وقد عبر عنه بالمصدر
كالنبات فقيل اصلاحا وصلاحا او اصطلاحا حسبما قرئ الفعل او بفعل مترتب على المذكور اى فيصلح حالهما صلحا وبينهما ظرف للفعل او حال من صلحا
والتعرض لنفي الجناح عنهما مع انه ليس من جانبها الاخذ الذي هو مظنة للجناح لبيان ان هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطي
والآخذ والصلح خير اى من النشوة او نشوء العشرة او من الخصومة فاللام للعهد او هو خير من حضور فاللام للجنس والجملة اعتراض مقرر
لما قبله وكذا قوله تعالى واحضرت الانفس الشح اى جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك عنه ابدا فلا المرأة تسمح بحقوقها من الرجل
ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دوامها فان فيه تخفيفا للصلح وتنزيلا لكل منهما عليه لكن لا بالنظر الى حال نفسه فان ذلك يستدعي
التمادي والممانعة والشقاق بل بالنظر الى حال صاحبه فان شح نفس الرجل وعدم ميلها عن حالتها الجبلية بغير استمالة مما يحمل المرأة
على بذل بعض حقوقها اليه لاستمالة وكذا شح نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل على ان يقنع من قبلها بشيء يسير ولا تكلفها بذل الكثير فيتحقق
بذلك الصلح وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض وان تعاضدت الاسباب الداعية وان تصبروا على ذلك
مراعاة لحقوق الصحبة ولم تضطروهن الى بذل شيء من حقوقهن فان الله كان بما تعملون اى من الاحسان والتقوى او بما تعملون
جميعا فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا خبيرا فيجازيكم ويثيبكم على ذلك البتة لاستحالة ان تضيع اجر المحسنين وفي تصدير الآية بوعد
بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن بالاحسان ولفظ التقوى المبني عن كون النشوز والاعراض مما يتوقى منه الوعد الكريم عليه
من لطف الاستحالة والترغيب في حسن المعاملة مالا يخفى روي انها نزلت في عمرة بنت محمد بن سلمة وزوجها سعد بن الربيع تزوجها
وهي شابة فلما علا بها الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت اليه ذلك وقيل
نزلت في ابي السنابل كانت لامرأة قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني واتركني
على اولادي فاقسم لي من كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فعال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله
عليه السلام فذكر له ذلك فنزلت ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء اى محال ان تعدلوا بينهن
بحيث لا يقع ميل ما الى جانب احديهن في شان من الشئون البتة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه
فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك وفي رواية وانت اعلم بما لا املك يعني فرط محبته
لعائشة رضه ولو حرصتم اى على اقامة العدل وبالغتم في ذلك فلا تميلوا كل الميل اى فلا تجوروا على المرغوب عنها كل
الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل مما يصحح عدم تكليفكم بها لا العدل بما دونها من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم
فتذروها اى التي علتم عنها كالمعلقة التي ليست ذات بعل او مطلقة وقرئ كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل
مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدونه من امورهن وتتقوا الميل فيما يستقبل فان الله
كان غفورا يغفر لكم ما فرط منكم من الميل رحيما يتفضل عليكم برحمته وان يتفرقا وقرئ يتفارقا اى وان يفارق كل واحد
منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح وغيره يغن الله كلا منهما اى يجعله مستغنيا عن الآخر ويكفيه مهماته من سعة
من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن المفارقة رغما لصاحبه وكان الله واسعا حكيما اى مقتدرا متقنا في احكامه افعاله وقوله تعالى

وارزاقهم ٭

ولله ما في السموات وما في الارض اى من الموجودات كائنا ما كان من الخلائق وغير ذلك جملة مستانفة منبهة على كمال سعة وعظم
قدرته ٭ ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اى امرناهم في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام
في الكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا وايا كم عطف على الموصول ان اتقوا الله اى وصينا كلا منكم ومنهم بان اتقوا الله
على ان ان مصدرية حذف ويجوز ان يكون مفسرة لان التوصية في معنى القول فقوله تعالى وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض
ج من تتمة القول المحكي اى ولقد قلنا لهم ولكم اتقوا الله وان تكفروا الى آخر الآية وعلى تقدير كون ان مصدرية مبنى الكلام ارادة القول
اى امرناهم واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا الآية وقيل هي جملة مستانفة خوطب بها هذه الامة واياما كان فالمراد
على كفرهم ليس مضمون قوله تعالى فان لله الآية بل هو الامر بجملة كائنة قيل وان تكفروا فاعلموا ان لله ما في السموات والارض من الخلائق خلقا
ومتقرون اليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن فيضه طرفة عين فحقه ان يطاع ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه
وقد قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا اى عن الخلق وعبادتهم حميدا محمودا في ذاته حمدوه او لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم لا ينتفع
بشكرهم وتقواهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته ولله ما في السموات وما في الارض كلام مبتدا مسوق للمعنى طبين توطئة لما بعده
من الشرطية غير داخل تحت القول المحكي اى له سبحانه وتعالى ما فيهما من الخلائق خلقا وملكا يتصرف فيهم كيفما يشاء ايجادا واعداما واحياء
وامانة وكفى بالله وكيلا في تدبير امور الكل وكل الامور فلا بد من ان يتوكل عليه لا على احد سواه ان يشا يذهبكم ايها الناس
اى يفنكم ويستأصلكم بالمرة ويات باخرين اى ويوجد دفعة مكانكم قوما آخرين من البشر او خلقا آخرين مكانكم الانس فيه
المشية محذوف لكونه مفهوما من الجزاء اى ان يشا افناكم وايجاد آخرين يذهبكم الخ يعني ان ابقاءكم على ما انتم عليه من العصيان انما هو لكمال غناه
عن طاعتكم ولعدم تعلق مشيته المبنية على الحكم البالغة بافنائكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وكان الله على ذلك اى افنائكم
بالمرة وايجاد آخرين دفعة مكانكم قديرا بليغ القدرة وفيه استيناف توسيط الخطاب بين الجزاء وما عطف عليه من تشديد التهديد والايعاد
وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اى ان يشا يمتكم ويات بناس آخرين يوالونه فمعناه معنى
قوله تعالى فان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم وبرروا انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده
على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهدين يريد بجهاده الغنيمة فعند الله
ثواب الدنيا والآخرة اى فعنده تعالى ثوابهما له ان اراده فما له الطالب اخسها فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وليطلب اشرفهما فان من جاهد خالصا لوجه الله لم يخطه الغنيمة وله في الآخرة ما هي اجنبه كما شاء فعند الله
ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريد كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزوله في حرب الآبه وكان الله سميعا بصيرا عالما بجميع المسموعات
والمبصرات فيندرج فيهما ما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المتعلقة بمراداتهم اندراجا اوليا يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط
مبالغين في العدل واقامة القسط في جميع الامور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد شهداء لله بالحق يعني شهاداتكم لوجه الله تعالى
وهو خبر ثان وقيل حال ولو على انفسكم اى ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها علما ان الشهادة عبارة عن الاخبار
بحق للغير سواء كان ذلك عليه او على ثالث او بان تكون الشهادة مستتبعة لضرر ما لكم من جهة المشهود عليه او الوالدين والاقربين
اى ولو كانت على والديكم واقاربكم ان يكن اى المشهود عليه غنيا يبتغي في العادة رضاه وتتقى سخطه او فقيرا يترحم عليه غالبا
وقرئ ان يكن غني او فقير على ان كان تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى فالله اولى بهما عليه فلا تمتنعوا عنها طلبا لرضى الغني
او ترحما على الفقير فان الله تعالى اعلى بجنسي الغني والفقير المدلول عليهما بما ذكر ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقرئ اولى بهم
فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا اى مخافة ان تعدلوا عن الحق فان اتباع الهوى من مظان الجور الذي حقه ان يخاف ويحذر
وقيل كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا اى السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل

بان تاتوا بها لا على وجهها وقرئ وان تلووا من الولاية والتقدى اى وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا اى عن اقامتها رأسا
فان الله كان بما تعملون من لى الالسنة والاعراض بالكلية او من جميع الاعمال التى من جملتها ما ذكر خبيرا فيجازيكم لا محالة
على ذلك فهو على القراءة المشهورة وعيد محض على القراءة الاخيرة متضمن للوعد يا ايها الذين آمنوا خطاب لكافة المسلمين
فمعنى قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى انزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك
ودوموا عليه وازدادوا فيه طمانينة ويقينا او آمنوا بما ذكر مفصلا بناء على ان ايمان بعضهم اجمالى والمراد بالكتاب الثانى الجنس
المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه وما لا يخفى ان الايمان بان كل كتاب من تلك الكتب منزل من الله تعالى على رسول معين لارشاد امته
الى شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهى ليس لا على ان مدار الايمان بكل واحد من تلك الكتب خصوصيته ذلك الكتاب ولا على ان احكام تلك
الكتب وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقى منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان الايمان بالكل مندرج تحت الايمان بالكتاب المنزل
على رسوله وان احكام كل منها كانت حقة ثابتة الى حدود ما نسخها وان ما لم ينسخ منها الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة
من حيث انها من احكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ والتبديل كما مر فى تفسير خاتمة سورة البقرة وقرئ نزل وانزل على البناء
للمفعول وقيل هو خطاب لمؤمنى اهل الكتاب لما ان عبد الله بن سلام وابن اخته سلاما وابن اخيه سلمة واسدا واسيدا ابنى كعب وثعلبة
بن قيس ومامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير وننكر ما سواه
من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت وآمنوا
كلهم فامرهم بالايمان بالكتاب المتداول للتوراة مع انهم مؤمنون بها من قبل ليس لكون المراد بالايمان ما يعم انشاءه والثبات عليه
ولا لان متعلق الامر حقيقة هو الايمان بما عدا ما كانه قيل آمنوا بالكل ولا تخصوه بالبعض بل لان المامور به انما هو الايمان
بها فى ضمن الايمان بالقرآن على الوجه الذى اشير اليه آنفا لما انهم انما لا يؤمنون بها ولان فيه حملا لهم على التسوية بينها وبين سائر الكتب فى التصديق
لاشتراك الكل فيما يوجبه وهو النزول من عند الله تعالى وقيل خطاب لاهل الكتابين فالمعنى آمنوا بالكل لا ببعض دون بعض وامر
كل طائفة بالايمان بكتابه فى ضمن الامر بالايمان بجنس الكتاب لما ذكر وقيل هو للمنافقين فالمعنى آمنوا قلوبكم لا بالسنتكم فقط
ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اى بشئ من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود
الى طريقه وزيادة الملائكة واليوم الآخر فى جانب الكفر لما ان ما بالكفر باحدهما لا يتحقق الايمان اصلا وجمع الكتب والرسل لما ان الكفر
بكتاب او برسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه وتقديم الملائكة والكتب على الرسل
لانهم وسائط بين الله عز وجل وبين الرسل فى انزال الكتب ان الذين آمنوا قال قتادة هم اليهود آمنوا بموسى
ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم آمنوا عند عوده اليهم ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بكفرهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم قوم تكرر منهم الارتداد وداموا على الكفر وازدادوا تماديا فى الغى لم يكن الله ليغفر لهم
ولا ليهديهم سبيلا لما انه يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم قد ضربت بالكفر وتمرنت على الردة
وكان الايمان عندهم اهون شئ وادونه لانهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان محذوف اى جديرا ان يغفر لهم
وقوله عز وجل بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان المراد بالمذكورين الذين آمنوا فى الظاهر نفاقا وكفروا
فى السترة بعد اخرى ثم ازدادوا كفرا ونفاقا ووضع بشر موضع انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء فى محل
النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد بهم الذين او هم الذين وقيل نصب على انه صفة للمنافقين وقوله تعالى من دون المؤمنين
حال من فاعل يتخذون الكفرة انصارا متجاوزين ولاية المؤمنين يوالونهم ويتولى بعضهم لبعض لا يتم امر محمد عليه السلام
فتولوا اليهود ايبتغون عندهم العزة انكار لزاعمهم وابطال له وبيان لخيبة رجائهم واقطع لاطماعهم الفارغة والجملة

معترضة مقررة لما قبلها اى يطلبون بموالاة الكفرة القوة والغلبة قال الواحدى اصل العزة الشدة ومنه قيل للارض الشديدة الصلبة
عزاز وقوله تعالى فان العزة لله جميعا تعليل لما يفيده الاستفهام الانكارى من بطلان رأيهم وخيبة رجائهم فان انحصار جميع افراد
العزة فى جنابه عز وعلا بحيث لا ينالها الا اولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين يقتضى بطلان التعزز
بغيره سبحانه واستحالة الانتفاع به وقيل هو جواب شرط محذوف كانه قيل ان يبتغوا عندهم عزة فان العزة لله وجميعا حال من المستكن
فى قوله تعالى لله لاعتماده على المبتدا وقد نزل عليكم خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ الذى يستدعيه تعداد جناياتهم
وقرئ مبنيا للمفعول من التنزيل والانزال وقرئ نزل ايضا مخففا والجملة حال من فاعل يتخذون ايضا مفيدة لكمال قباحة حالهم ونهاية استعصائهم
عليه سبحانه ببيان انهم فعلوا ما فعلوا من موالاة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم من ذلك وهو ورود النهى الصريح عن مجالستهم المستلزم للنهى عن
موالاتهم على ابلغ وجه وآكده اثر بيان انتفاء ما يدعوهم اليه بالجملة المعترضة كانه قيل تتخذونهم اولياء والحال انه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا
بمكة فى الكتاب اى القرآن الكريم ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره
وذلك قوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم الآية وهذا يقتضى الانزجار عن مجالستهم فى تلك الحالة القبيحة فكيف
بموالاتهم والاعتزاز بهم وان هى المخففة من ان وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف والجملة الشرطية خبرها وقوله تعالى يكفر بها حال من آيات الله
وقوله تعالى ويستهزأ بها عطف عليه داخل فى حكم الحالية واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتشريفها وابانة خطرها وتهويل امر الكفر بها اى نزل عليكم
فى الكتاب انه اذا سمعتم آيات الله مكفورا بها ومستهزأ بها وفيه دلالة على ان المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم وان خوطب به خاصة
منزل على الامة وان مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم فى الآيات ولذلك عبر تارة عن ذلك بالرؤية واخرى بالسماع وان المراد بالاعراض اظهار
المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الاعراض بالقلب او بالوجه فقط والضمير فى معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالى يكفر بها ويستهزأ بها انكم
اذا مثلهم جملة مستانفة سيقت لتعليل النهى غير داخلة تحت التنزيل واذا ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدا والخبر اى لا تقعدوا
معهم فى ذلك الوقت ان فعلتموه كنتم مثلهم فى الكفر واستتباع العذاب وافراد المثل لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة
الى الجمع وقرئ شاذا مثلهم بالفتح لاضافته الى غير متمكن كما فى قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون وقيل هو منصوب على الظرفية اى فى مثل
حالهم وقوله تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا تعليل لكونهم مثلهم فى الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم
فى العذاب والمراد بالمنافقين اما المخاطبون وقد وضع موضع ضميرهم المظهر تسجيلا بنفاقهم وتعليلا للحكم بمأخذ الاشتقاق واما الجنس
وهم داخلون تحته دخولا اوليا وتقديمهم على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين ونصب جميعا مثل ما قبله الذين يتربصون بكم
تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين بتعديد بعض آخر من جنايات المنافقين وقبائحهم وهو اما بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين
فقط اذ هم المتربصون دون الكافرين او مرفوع او منصوب على الذم اى ينتظرون امركم وما يحدث لكم من ظفر او اخفاق والفاء فى قوله تعالى
فان كان لكم فتح من الله • لترتيب مضمونه على ما قبلها فان حكاية تربصهم مستتبعة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما ان نفس التربص مستدعى
شيئا ينتظر المتربص وقوعه • قالوا • اى لكم • الم نكن معكم • اى مظاهرين لكم فاسهموا لنا فى الغنيمة • وان كان للكافرين
نصيب • من الحرب فانها سجال • قالوا • اى للكفرة • الم نستحوذ عليكم • اى الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم
ونمنعكم من المؤمنين • بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا فى قتالكم وتوانينا فى مظاهرتهم والآن
لكنتم هبة للنوائب فهاتوا نصيبا مما اصبتم وتسمية ظفر المسلمين فتحا وما للكافرين نصيبا لتعظيم شان المسلمين وتخسيس حظ
الكافرين وقرئ ونمنعكم باضمار ان • فالله يحكم بينكم يوم القيامة • حكما يليق بشان كل منكم من الثواب والعقاب واما فى الدنيا
فقد اجرى على من تفوه بكلمة الاسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقا • ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا •
حينئذ كما قد يجعل ذلك فى الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج او فى الدنيا على ان المراد بالسبيل الحجة قبائح اعمالهم اى يفعلون

لاجتماعهم فى
الكفر والاستهزاء
مدارك

ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان نقيضه والله فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا معصومي الدماء
والاموال واعدلهم في الآخرة الدرك الاسفل من النار وقد مر التحقيق في صدر سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط نورًا
كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم • واذا قاموا الى الصلوة
قاموا كسالى • متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جمعا كسلان • يراؤن الناس • ليحسبوهم مؤمنين فان الرياء
مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يرى غيره عمله وهو يريه استحسانه والجملة اما استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام
كأنه قيل فما يريدون بقيامهم الرياكسالى فقيل يراؤن الخ او حال من ضمير قاموا • ولا يذكرون الله الا قليلا • عطف على يراؤن
اى لا يذكرونه بسبحانه الا ذكرًا قليلا وهو ذكرهم باللسان فانه بالاضافة الى الذكر بالقلب قليل او الازمانًا قليلًا او لا يصلون الا قليلًا
لانهم لا يصلون الا بمرأى من الناس وذلك قليل وقيل لا يذكرون الله في الصلوة الا قليلًا عند التكبير والتسليم • مذبذبين بين ذلك
حال من فاعل يراؤن او منصوب على الذم وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بمؤنة المقام اى مرددين بينهما متحيرين قد ضرب
الشيطان وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد اخرى وقرئ بكسر الذال اى مذبذبين قلوبهم او دينهم او هو
بمعنى متذبذبين كما جاء صلصل بمعنى تصلصل وفي مصحف ابن مسعود رضه متذبذبين وقرئ مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى
اخذتهم تارة في ردية اى طريقة واخرى في اخرى • لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء • اى لا منسوبين الى المؤمنين • ولا منسوبين
الى الكافرين • او لا صائرين الى الاولين ولا الى الآخرين فمحل النصب على انه حال من غير مذبذبين او على انه بدل منه او بيان وتفسير له
ومن يضلل الله • لعدم استعداده للهداية والتوفيق • فلن تجد له سبيلا • موصلًا الى الحق والصواب • فضلًا عن ان تهديه الى الثواب
لكل من يصلح له كائنًا من كان • يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين • نهوا عن موالاة
الكفرة صريحًا وان كان في بيان حال المنافقين فرجرة عن ذلك مبالغة في الزجر والتحذير • اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا
مبينا • اى اتريدون بذلك ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة على انكم منافقون فان موالاتهم اوضح ادلة النفاق او سلطانا
يسلط عليكم عقابه وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها بان يقال اتجعلون الخ للمبالغة في انكاره وتهويل امره ببيان انه
مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلًا عن صدور نفسه كما في قوله عز وجل ام تريدون ان تسألوا رسولكم • ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار • وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اضيف الكفرة حيث ضموا الى الكفر الاستهزاء بالاسلام
واهله وخداعهم واما قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب
واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها السبع دركات لكونها منداركة
متتابعة بعضها تحت بعض وقرئ بفتح الراء وهو لغة كالسطر والسطر وقيل ان جمعه ادراك • ولن تجد لهم نصيرا •
يخلصهم منه والخطاب كما سبق • الا الذين تابوا • اى عن النفاق وهو استثناء من المنافقين بل من ضميرهم في الجر واصلحوا
ما افسدوا من احوالهم في حال النفاق • واعتصموا بالله • اى وثقوا به وتمسكوا بدينه • واخلصوا دينهم • اى جعلوه خالصًا
لله • لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه • فاولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بباقي حيز الصلة وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد المنزلة وعلو الطبقة • مع المؤمنين • اى المؤمنين المعهودين الذين لم يصدر عنهم نفاق اصلًا منذ آمنوا والا فهم ايضا
مؤمنون اى معهم في الدرجات العالية من الجنة وقد بين ذلك بقوله تعالى • وسوف يؤت الله المؤمنين اجرًا عظيمًا • لا يقادر قدره فيأتيهم
فيه • ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم • استئناف مسوق لبيان ان مدار تعذيبهم وجودًا وعدمًا انما هو كفرهم لا شيء آخر
فيكون مقررًا لما قبله من اثابتهم عند توبتهم وما استفهامية مفيدة للنفي على ابلغ وجه وآكده اى اى شيء يفعل الله سبحانه بتعذيبكم
ان تشكروا به من الغيظ او بدرك به الثار ام يستجلب به نفعًا او يستدفع به ضرًا كما هو شان الملوك وهو الغني المتعالي عن امثال ذلك

وانما اورثيقتضيه كفركم فاذا زال ذلك بالايمان والشكر انتفى التعذيب لامحالة وتقديم الشكر على الايمان لمالانه طريق موصل اليه فان
الناظر يدرك اولا ما عليه من النعم الانفسية والآفاقية فتشكر شكرا مبهما ثم يترقى الى معرفة المنعم فيؤمن به وجواب الشرط
محذوف لدلالة ما قبله عليه وكان الله شاكرا الشكر من الله سبحانه هو الرضاء بالیسير من طاعة عباده واضعاف الثواب المقابلة
عليها مبالغا في العلم بجميع المعلومات التي من جملتها شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفيكم اجوركم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول
عدم محبته تعالى لشئ كناية عن سخطه والباء متعلقة بالجهر ومن بحذوف وقع حالا من السوء اى لا يحب الله تعالى ان يجهر احد بالسوء
كائنا من القول الا من ظلم اى الا جهر من ظلم بان يدعو على ظالمه او يتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء فان ذلك غير مسخوط عنده
سبحانه وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتبوا على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل فالاستثناء منقطع
اى ولكن الظالم ترتكب ما يحبه الله فيجهر بالسوء وكان الله سميعا بجميع المسموعات فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم عليما
بجميع المعلومات التي من جملتها حال المظلوم والظالم فالجملة تذييل مقرر لما يفيده الاستثناء ان تبدوا خيرا اى خيرا كان من الاقوال
والافعال او تخفوه او تعفوا عن سوء مع ما سوغ لكم من مؤاخذة المسئ والتنصيص عليه مع اندراجه في ابداء الخير واخفائه
لمالانه الحقيق بالبيان وانما ذكر ابداء الخير واخفاؤه بطريق التشبيث كما ينبئ عنه قوله عز وجل فان الله كان عفوا قديرا
فان ايراده في معرض جواب الشرط يدل على ان العدة هو العفو مع القدرة اى كان مبالغا في العفو مع كمال القدرة على المؤاخذة
وقال الحسن يعفو عن المجانبين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنته تعالى وقال الكلبي هو اقدر على عفو ذنوبكم منكم وعلى
عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفوا عمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه ان الذين يكفرون بالله ورسله اى يؤدي اليه مذهبهم
وان لم يقتضيه رأيهم لانهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله اى بان يؤمنوا بالله ويكفروا
برسله لكن لا بان يصرحوا بالايمان به تعالى وبالكفر برسله قاطبة بل بطريق الالتزام كما يحكيه قوله تعالى ونكفر ببعض اى نؤمن ببعض الانبياء
ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود نؤمن بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذلك الا كفر بالله تعالى ورسله وتفريق بين الله
ورسله في الايمان لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبي من الانبياء الا وقد اخبر قومه بتحقيق دين نبينا عليه وعليهم اجمعين
فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى ايضا من حيث لا يحتسب ويريدون بقولهم ذلك ان يتخذوا بين ذلك اى بين
الايمان والكفر سبيلا يسلكونه مع انه لا واسطة بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف وما ذا بعد الحق الا الضلال اولئك
الموصوفون بتلك الصفات القبيحة هم الكافرون الكاملون في الكفر لا غيرهم مما يدعونه ويسمونه ايمانا اصلا حقا مصدر مؤكد
لمضمون الجملة اى حق ذلك حقا اى كونهم كاملين في الكفر حقا او صفة لمصدر الكافرين اى هم الذين كفروا كفرا حقا اى ثابتا يقينا
لا ريب فيه واعتدنا للكافرين اى لهم وانما وضع المظهر مكان المضمر ذما لهم وتذكيرا لوصفهم او لجميع الكافرين وهم داخلون
في زمرتهم دخولا اوليا عذابا مهينا سيذوقونه عند حلوله والذين آمنوا بالله ورسله على الوجه الذي بين في تفسير قوله
يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله الآية ولم يفرقوا بين احد منهم بان يؤمنوا ببعضهم ويكفروا بآخرين كما فعله الكفرة
ودخول بين على احد قد مر تحقيقه في سورة البقرة بما لا مزيد عليه اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة سوف
يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتاكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تراخى وقرئ نؤتيهم بنون
العظمة وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما مبالغا في الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم يسئلك اهل الكتاب
ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا
فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوي على اللوح كما نزلت التوراة
او كتابا ناعيا به حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله وما كان مقصدهم بهذه العظيمة الا التعنت

قال الحسن ولو سألوه لكي يتيبنوا الحق لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اى
استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى شيئا اكبر منه وقيل تعليل للجواب اى فلا تبال بسؤالهم فقد سئلوا موسى اكبر منه وهذه المسئلة
وان صدرت عن اسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كل ما يأتون وما يذرون اسندت اليهم والمعنى ان لهم في ذلك عرقا راسخا وان
ما اقترحوا عليك ليس اول جهالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة اى عيانا او مجاهرين معاينين له والفاء تفسيرية
فاخذتهم الصاعقة اى النار التي جاءت من السماء فاهلكتهم وقرئ الصعقة بظلمهم اى بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم
لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك
ولم نستأصلهم وكانوا احقاء به قيل هذا استدعاء لهم الى التوبة كانه قيل ان اولئك الذين اجرموا تابوا فاعفوا عنهم فتوبوا انتم
ايضا حتى نعفو عنكم وآتينا موسى سلطانا مبينا سلطانا ظاهرا عليهم حيث امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن معصيتهم
ورفعنا فوقهم الطور اى بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما روى انهم امتنعوا عن قبول شريعة التورية فرفع الله تعالى عليهم الطور
فقبلوها او ليخافوا فلا ينقضوه على ما روى انهم هموا بنقضه فرفع الله تعالى عليهم الجبل فخافوا واقلعوا عن النقض وهو الانسب بباقي
من قوله عز وجل واخذنا منهم ميثاقا غليظا وقلنا لهم على لسان موسى عم والطور مظل عليهم ادخلوا الباب قال قتادة كنا نحدث
انه باب من ابواب بيت المقدس وقيل هو ايليا وقيل هو اريحا وقيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم
لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عم سجدا اى متطامنين خاضعين وقلنا لهم لا تعدوا اى لا تظلموا باصطياد الحيتان
في السبت وقرئ لا تعدوا ولا تعتدوا بفتح العين وتشديد الدال على ان اصله تعتدوا فادغمت التاء في الدال ثم القيت حركتها على العين
بعد نقل حركتها الى العين واخذنا منهم على الامتثال بما كلفوه ميثاقا غليظا مؤكدا وهو العهد الذي اخذ الله عليهم في التورية
وقيل انهم اعطوا الميثاق على انهم ان هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى يعذبهم باي انواع العذاب اراد فبما نقضهم ميثاقهم
ما مزيدة للتاكيد او نكرة تامة ونقضهم بدل منها والباء متعلقة بفعل محذوف اى فبسبب نقضهم ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا
من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم وعلى اعقابهم روى انهم اعتدوا في السبت في زمان داود عم فلعنوا ومسخوا
قردة وقيل متعلقة بحرمنا على ان قوله تعالى فبظلم بدل من قوله تعالى فبما وما عطف عليه فيكون التحريم معللا بالكل ولا يخفى ان قولهم
انا قتلنا المسيح وقولهم التحريم ولا مساغ لتعلقها بما دل عليه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون معترضا
قوله تعالى وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله اى بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق
كزكريا ويحيى عليهما السلام وقولهم قلوبنا غلف جمع اغلف اى هي مغشاة بغشاوة جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام
او هو تخفيف غلف جمع غلاف اى هي وعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس وعطاء رضه وقال الكلبي يعنون
ان قلوبنا بحيث لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا بل طبع الله عليها بكفرهم كلام معترض بين
المعطوف عليه وهو ما قبله والمعطوف وهو ما بعده جيء به على وجه الاستطراد مسارعة الى رد زعمهم الفاسد اى ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة
بل الامر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم اولست قلوبهم كما زعموا بل هي مطبوع عليها بسبب كفرهم وبكفرهم اى بعيسى عم
وهو عطف على قولهم واعادة الجار لطول ما بينهما بالاستطراد وقد جوز عطفه على بكفرهم فيكون هو وما عطف عليه من اسباب الطبع
وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للايذان بتكرر كفرهم حيث كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام
وقولهم على مريم بهتانا عظيما لا يقادر قدره حيث نسبوا الى ما هي عنه بالف منزل وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله
نظم قولهم هذا في سلك سائر جناياتهم التي نعيت عليهم ليس بمجرد كونه كذبا بل لتضمنه لبائتهم جهم بقتل النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء
فان وصفهم له عم بعنوان الرسالة انما هو بطريق التهكم به كما في قوله تعالى يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ولا نبائه عن ذكرهم له عليه السلام

بميثاقهم ٤

بالوجه القبيح على ما قيل من ان ذلك وضع للذكر الجميل من جهته تعالى مكان ذكرهم القبيح وقيل هو نعت له عم من جهته تعالى مدحا له ورفعا
لمحله واظهارا لغاية جراءتهم في تصديهم لقتله ونهاية وقاحتهم في افتخارهم بذلك وما قتلوه وما صلبوه حال او اعتراض
ولكن شبه لهم روى ان رهطا من اليهود سبوه عليه السلام وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله
فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى بان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله
تعالى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه السلام فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع
عليه السلام والقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عم وقيل ان طيطيانوس اليهودي دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده
والقى الله تعالى عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى عليه السلام فاخذ وقتل وامثال هذه الخوارق لا تستبعد في عصر النبوة وقيل ان اليهود
لما هموا بقتله عم فرفعه الله الى السماء وخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه
ولبسوا على الناس واظهروا لهم انه هو المسيح وما كانوا يعرفونه الا بالاسم لعدم مخالطته عم لهم الا قليلا وشبه مسند الى الجار والمجرور
كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول والامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير
المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا فيه اي في شان عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة
اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه قتلا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال
بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت
لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكد بقوله تعالى
ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي
تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فالاستثناء حينئذ متصل وما قتلوه يقينا اي قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح
وقيل معناه ما علموه يقينا كما في قول من قال كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء
علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه وفيه تهكم بهم لاشعاره بعلمهم في الجملة وقد نفى ذلك عنهم بالكلية بل رفعه الله اليه رد وانكار
لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغالب فيما يريده حكيما في جميع افعاله فيدخل فيها تدبيراته في تدبير امر عيسى عم
دخولا اوليا وان من اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقوله تعالى الا ليؤمنن به قبل موته جملة قسمية وقعت صفة
لموصوف محذوف اليه يرجع الضمير الثاني والاول لعيسى عم اي وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن بعيسى عم قبل ان تزهق روحه
بانه عبد الله ورسوله ولات حين ايمان لانقطاع وقت التكليف ويعضده قوله انه ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لما ان احدا في معنى
الجمع وعن ابن عباس رض انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال فان خر
من فوق بيت او احترق او اكله السبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية
ما قراتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك
فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه
عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا
فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين
صافية والاخبار بحالهم هذه وعيد لهم وتحريض على المسارعة الى الايمان به قبل ان يضطروا اليه مع انتفاء جدواه وقيل كلا الضميرين
لعيسى والمعنى وما من اهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى عم احد الا ليؤمنن به قبل موته روى انه عم ينزل من السماء في آخر الزمان
فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله تعالى في زمانه الدجال وتقع الامنة

حتى ترتع الأسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى
ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه وقيل الضمير الاول يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم ويوم القيمة يكون اي عيسى عم
عليهم على اهل الكتاب شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فبظلم
من الذين هادوا لعل ذكرهم بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه قبلا هادوا اي تابوا من عبادة العجل مثل تلك التوبة
الهائلة المشروطة بجمع النفوس اثر بيان عظمها في حد ذاته بالتنوين التفخيمي اي بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال
صادر عنهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ولمن قبلهم لا بشيء غير كما زعموا انهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي افترقوا بها يحرم عليهم
نوع من الطيبات التي كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه ويقولون لسنا باول من
حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا فكذبهم الله عز وجل في مواقع كثيرة وبكتهم بقوله تعالى كل
الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين اي في ادعائكم
انه تحريم قديم روي انه عم لما كلفهم اخراج التورية لم يجرأ احد على اخراجها لما ان كون التحريم بظلمهم كان مسطورا فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين
وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه فان الربوا كان محرما عليهم كما هو
محرم علينا وفيه دليل على ان النهي يدل على حرمة المنهي عنه واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه واعتدنا
للكافرين منهم اي للمصرين على الكفر لا لمن تاب وآمن من بينهم عذابا اليما سيذوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم لكن
الراسخون في العلم منهم استدراك من قوله تعالى واعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلا وآجلا اي لكن الثابتون في العلم
منهم المتقنون المستبصرون فيه غير المتابعين للظن كاولئك الجهلة والمراد به عبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم وصفوا
بالايمان بعد ما وصفوا بما يوجبه من الرسوخ في العلم بطريق العطف المبني على المغايرة بين المعطوفين تنزيلا للاختلاف العنواني منزلة
الاختلاف الذاتي وقوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك حال من المؤمنون مبينة لكيفية ايمانهم وقيل اعتراض
مؤكد لما قبله وقوله عز وعلا والمقيمين الصلوة قيل نصب باضمار فعل تقديره واعني المقيمين الصلوة علة ان الجملة معترضة
بين المبتدا والخبر وقيل هو عطف على ما انزل اليك على ان المراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء او الملائكة قال مكي
اي ويؤمنون بالملائكة الذين صفتهم اقامة الصلوة لقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقيل عطف على الكاف في اليك
اي يؤمنون بما انزل اليك والى المقيمين الصلوة وهم الانبياء وقيل الضمير المجرور فيه للكتاب اي بما انزل من الكتب والمقيمين
الصلوة وقرئ بالرفع على انه معطوف على المؤمنون بناء على ما مر من تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي وكذا الحال فيما يأتي
من المعطوفين فان قوله تعالى والمؤتون الزكوة على المؤمنون مع اتحاد الكل ذاتا وكذا الكلام في قوله تعالى والمؤمنون بالله واليوم الآخر
فان المراد بالكل مؤمنوا اهل الكتاب قد وصفوا اولا بكونهم راسخين في علم الكتاب ايذانا بان ذلك موجب للايمان حتما وان من عداهم
انما كانوا مصرين على الكفر لعدم رسوخهم فيه ثم بلوغهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام ثم بكونهم عالمين بما فيها من
الشرائع والاحكام واكتفى من بينها بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة للمستتبعتين لسائر العبادات البدنية والمالية ثم بكونهم مؤمنين
بالمبدا والمعاد تحقيقا لحيازتهم الايمان بقطريه واحاطتهم به من طرفيه وتعريضا بان من عداهم من اهل الكتاب ليسوا بمؤمنين بواحد
منهما حقيقة فانهم بقولهم عزير ابن الله مشركون بالله سبحانه وبقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة كافرون باليوم الآخر وقوله تعالى اولئك
اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما عدد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله
سنؤتيهم اجرا عظيما خبره والجملة خبر للمبتدا الذي هو الراسخون وما عطف عليه والسين لتاكيد الوعد وتنكير الاجر للتفخيم هذا الذي
يتجاذب طرفي الاستدراك حيث اوعد الاولون بالعذاب الاليم ووعد الآخرون بالاجر العظيم كانه قيل لكن قوله تعالى واعتدنا

للكافرين عذابًا اليمًا لكن المؤمنون منهم سنؤتيهم اجرًا عظيمًا واما ما اصح انه الجمهور من جعل قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك الخ خبرًا للمبتدا ففي كمال السداد خلا انه غير متعرض لتقابل الطرفين وقرئ سيؤتيهم بالياء مراعاة لظاهر قوله تعالى والمؤمنون باقه انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابًا من السماء واحتجاج عليهم بانه ليس ببدع من الرسل وانما شانه في حقيقة الارسال واصل الوحي كشان سائر مشاهير الانبياء الذين لا ريب في نبوتهم والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ايحاء مثل ايحائنا الى نوح او على انه حال من ذلك المصدر المقدر متوقعًا كما هو رأي سيبويه اي اوحينا الايحاء حال كونه مماثلًا ايحائنا الخ ومن بعده متعلق باوحينا وانما بدئ بذكر نوح لانه ابو البشر واول نبي شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والاحكام واول نبي عذبت امته لرد دعوته وقد اهلك الله بدعائه اهل الارض واوحينا الى ابرهيم عطف على اوحينا الى نوح دخل معه في حكم التشبيه اي وكما اوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب عليهم السلام وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصوا بالذكر مع ظهور انتظامهم في سلك النبيين تشريفًا لهم واظهارًا لفضلهم كما في قوله تعالى من كان عدوًا لله وملائكته وجبريل وميكال وتصريحًا بمن ينتمي اليه اليهود من الانبياء وتكرير الفعل لمزيد تقرير الايحاء والتنبيه على انهم طائفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحي وآتينا داود زبورًا قال الزجاج كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم ومواعظ والتحميد والثناء على الله عز وجل وقرئ بضم الزاء وهو جمع زبور بمعنى مزبور والجملة عطف على اوحينا داخل في حكمه لان ايتاء الزبور من باب الايحاء او كما آتينا داود زبورًا اوثاره على اوحينا الى داود لتحقيق المماثلة في امر خاص هو ايتاء الكتاب بعد تحقيقها في مطلق الايحاء ثم اشير الى تحقيقها في امر لازم لهما لزومًا كليًا وهو الارسال فان قوله تعالى ورسلًا نصب بمضمر يدل عليه اوحينا معطوف عليه داخل معه في حكم التشبيه كما قبله اي وكما ارسلنا رسلًا لانها يعتبره قوله تعالى قد قصصناهم عليك اي وقصصنا رسلًا كما قالوا وفرعوا عليه ان قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه الاول منصوب على انه صفة لرسلًا وعلى الوجه الثاني لا محل له من الاعراب فانه مما لا سبيل اليه كما ستقف عليه وقرئ برفع رسل وقوله تعالى من قبل متعلق بقصصنا اي قصصنا من قبل هذه السورة او اليوم ورسلًا لم نقصصهم عليك عطف على رسلًا منصوب بناصبه وقيل كلاهما منصوب بنزع الخافض والتقدير كما اوحينا الى نوح والى رسل الخ والحق ان يكون انتصابهما بما ارسلنا فان فيه تحقيقًا للمماثلة بين شانه عليه السلام وبين شؤون من يوحون بنبوته من الانبياء عم في مطلق الايحاء ثم في ايتاء الكتاب ثم في الارسال فان قوله تعالى انا اوحينا اليك منتظم بمعنى آتيناك وارسلناك ختامًا كما انه قيل اما اوحينا اليك لايحاء مثل ما اوحينا الى نوح مثل ما اوحينا الى ابرهيم ومن بعده وآتيناك القرآن ايتاء مثل ما آتينا داود زبورا وارسلناك ارسالًا مثل ما ارسلنا رسلًا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلًا آخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايحاء واصل الارسال فالكوفة يشاء لونك شيئا لم يعطه احد من هؤلاء الرسل عليهم السلام ومن ههنا اتضح ان رسلًا لا يكون منصوبا بقصصناهم فانه حينئذ يجب ان يكون معطوفًا على اوحينا داخلًا معه في حكم التشبيه الذي عليه يدور فلك الاحتجاج على الكوفة ولا ريب في ان قصصنا لا تعلق له بشيء من الايجاد والايتاء حتى يكون اعتباره في ضمن قوله تعالى انا اوحينا اليك ثم يعتبر بينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على ان تقديره في رسلًا الاول يقتضي تقدير نحوه في الثاني وذلك اشد استحالة واظهر بطلانًا وكلم الله موسى برفع الجلالة ونصب موسى وقرئ على العكس وقوله تعالى تكليمًا مصدر مؤكد رافع لاحتمال المجاز قال الفراء العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلامًا باي طريق وصل فلما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد به لم يكن الا حقيقة الكلام والجملة اما معطوفة على قوله تعالى انا اوحينا اليك عطف القصة على القصة لا على آتينا وما عطف عليه واما حال بتقدير قد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحًا في نبوة سائر الانبياء فكيف بتوهم

السماء
الكيك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابًا من السماء واحتجاج عليهم بانه ليس ببدع من الرسل وانما شانه في حقيقة الارسال واصل الوحي كشان سائر مشاهير الانبياء الذين لا ريب في نبوتهم والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ايحاء مثل ايحائنا الى نوح او على انه حال من ذلك المصدر المقدر متوقعًا كما هو رأي سيبويه اي اوحينا الايحاء حال كونه مماثلا ايحائنا الخ ومن بعده متعلق باوحينا وانما بدئ بذكر نوح لانه ابو البشر واول نبي شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والاحكام واول نبي عذبت امته لرد دعوته وقد اهلك الله بدعائه اهل الارض واوحينا الى ابرهيم عطف على اوحينا الى نوح دخل معه في حكم التشبيه اي وكما اوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب عليهم السلام وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصوا بالذكر مع ظهور انتظامهم في سلك النبيين تشريفًا لهم واظهارًا لفضلهم كما في قوله تعالى من كان عدوًا لله وملائكته وجبريل وميكال وتصريحًا بمن ينتمي اليه اليهود من الانبياء وتكرير الفعل لمزيد تقرير الايحاء والتنبيه على انهم طائفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحي وآتينا داود زبورًا قال الزجاج كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم ومواعظ والتحميد والثناء على الله عز وجل وقرئ بضم الزاء وهو جمع زبور بمعنى مزبور والجملة عطف على اوحينا داخل في حكمه لان ايتاء الزبور من باب الايحاء او كما آتينا داود زبورًا اوثاره على اوحينا الى داود لتحقيق المماثلة في امر خاص هو ايتاء الكتاب بعد تحقيقها في مطلق الايحاء ثم اشير الى تحقيقها في امر لازم لهما لزومًا كليًا وهو الارسال فان قوله تعالى ورسلًا نصب بمضمر يدل عليه اوحينا معطوف عليه داخل معه في حكم التشبيه كما قبله اي وكما ارسلنا رسلًا لانها يعتبره قوله تعالى قد قصصناهم عليك اي وقصصنا رسلًا كما قالوا وفرعوا عليه ان قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه الاول منصوب على انه صفة لرسلًا وعلى الوجه الثاني لا محل له من الاعراب فانه مما لا سبيل اليه كما ستقف عليه وقرئ برفع رسل وقوله تعالى من قبل متعلق بقصصنا اي قصصنا من قبل هذه السورة او اليوم ورسلًا لم نقصصهم عليك عطف على رسلًا منصوب بناصبه وقيل كلاهما منصوب بنزع الخافض والتقدير كما اوحينا الى نوح والى رسل الخ والحق ان يكون انتصابهما بما ارسلنا فان فيه تحقيقًا للمماثلة بين شانه عليه السلام وبين شؤون من يوحون بنبوته من الانبياء عم في مطلق الايحاء ثم في ايتاء الكتاب ثم في الارسال فان قوله تعالى انا اوحينا اليك منتظم بمعنى آتيناك وارسلناك ختامًا كما انه قيل اما اوحينا اليك لايحاء مثل ما اوحينا الى نوح مثل ما اوحينا الى ابرهيم ومن بعده وآتيناك القرآن ايتاء مثل ما آتينا داود زبورا وارسلناك ارسالًا مثل ما ارسلنا رسلًا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلًا آخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايحاء واصل الارسال فالكوفة يشاء لونك شيئا لم يعطه احد من هؤلاء الرسل عليهم السلام ومن ههنا اتضح ان رسلًا لا يكون منصوبا بقصصناهم فانه حينئذ يجب ان يكون معطوفًا على اوحينا داخلًا معه في حكم التشبيه الذي عليه يدور فلك الاحتجاج على الكوفة ولا ريب في ان قصصنا لا تعلق له بشيء من الايجاد والايتاء حتى يكون اعتباره في ضمن قوله تعالى انا اوحينا اليك ثم يعتبر بينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على ان تقديره في رسلًا الاول يقتضي تقدير نحوه في الثاني وذلك اشد استحالة واظهر بطلانًا وكلم الله موسى برفع الجلالة ونصب موسى وقرئ على العكس وقوله تعالى تكليمًا مصدر مؤكد رافع لاحتمال المجاز قال الفراء العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلامًا باي طريق وصل فلما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد به لم يكن الا حقيقة الكلام والجملة اما معطوفة على قوله تعالى انا اوحينا اليك عطف القصة على القصة لا على آتينا وما عطف عليه واما حال بتقدير قد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحًا في نبوة سائر الانبياء فكيف بتوهم

الكيك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده
الى جميع الانبياء من نوح او
انه وحيه الى من تقدمه كالوحي
اليك لان شانك شان الوحي
وامرك امر من تقدمك من النبيين
اليهم لان من يشبه احدا في امر يشبهه في سائر امره
الى الاوثان يا محمد وفرع الشرك عقب

١٩ انما بدء بنوح
لانه اول المنذرين
لانه لم يكن مشرك قبله
١٩ غاظهم في زمانه عتوه

كون نزول التورية عليه م جملة قادحا في صحة نبوة من انزل عليه الكتاب منفصلا مع ظهور ان نزولها كذلك بحكم مقتضية لذلك
من جملتها ان بني اسرائيل كانوا في العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما آمنوا بها ومع ذلك آمنوا بها الاجد
اللتيا والتي وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم م رسلا مبشرين
ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال بان يكون رسلا موطئا لما بعده او على البدلية من رسلا الاول اي مبشرين
لاهل الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار لئلا يكون للناس على الله حجة اي معذرة يعتذرون بها قائلين لولا ارسل الينا
رسولا فيبين لنا شرائعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من الاحكام لقصور القوة البشرية عن ادراك جزئيات المصالح وعجز اكثر الناس عن ادراك
كلياتها كما في قوله تعالى ولو اناا هلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع ايا تك الآية وانما سميت حجة مع استحالة
ان يكون لاحد عليه سبحانه حجة في فعل من افعاله بل له ان يفعل ما يشاء كما شاء للتنبيه على ان المعذرة عنده تعالى في القبول بمقتضى كرمه ورحمته
بعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك قال ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما احد اغير من الله
عز وجل لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما احد احب اليه المدح من الله تعالى لذلك مدح نفسه وما احد احب اليه العذر من الله تعالى
لذلك ارسل الرسل وانزل الكتب فاللام متعلقة بارسلنا وقيل بقوله تعالى مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وللناس خبرها
وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة اي كائنة على الله او هو الخبر وللناس حال على الوجه المذكور ويجوز ان يتعلق كل منهما
بما تعلق به الآخر الذي هو الخبر ولا يجوز تعلق بحجة لان معمول المصدر لا يتقدم عليه وقوله تعالى بعد الرسل اي بعد ارسالهم وتبليغ
الشرائع الى الامم على السنتهم متعلق بحجة او بمحذوف وقع صفة لها لان الظروف توصف بها الاحداث كما يخبر عنها نحو القتال يوم الجمعة
وكان الله عزيزا لا يغالب في امر من اموره ومن قضيته الامتناع عن الاجابة الى مسألة المتعنتين حكيما في جميع افعاله
التي من جملتها ارسال الرسل وانزال الكتب فان تعدد الرسل والكتب واختلافها في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرائع
والاحكام انما هو لتفاوت طبقات الامم في الاحوال التي عليها يدور فلك التكليف فكما انه سبحانه وتعالى برأهم على انحاء شتى واطوار
متباينة حسبما يقتضيه الحكمة التكوينية كذلك تعبدهم بما يليق بشانهم ويقتضيه احوالهم المتخالفة واستعداداتهم المتغايرة
من الشرائع والاحكام حسبما يقتضيه الحكمة التشريعية وراعى في ارسال الرسل وانزال الكتب وغير ذلك من الامور المتعلقة بمعاشهم
ومعادهم ما فيه مصلحتهم فسؤال تنزيل الكتاب جملة اقتراح فاسد ناشئ من تعاقم التكاليف فيثقل على المكلف قبولها والخروج عن عهدتها
واما التنزيل المنجم الواقع حسب الامور الداعية اليه فهو يسير قبولا واسهل امتثالا لكن الله يشهد بتخفيف النون ورفع
الجلالة وقرئ بتشديد النون ونصب الجلالة وهو استدراك عما يهم مما قبله كانه لما تعنتوا عليه بما سبق من السؤال واضح عليهم
بقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نحو قيل انهم لا يشهدون بذلك لكن الله يشهد بما انزل اليك على البناء للفاعل وقرئ
على بناء المفعول والباء صلة للشهادة اي يشهد بحقية ما انزل اليك من القرآن المعجز الناطق بنبوتك وقيل لما نزل قوله تعالى
انا اوحينا اليك قالوا لا نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد انزله بعلمه اي ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تابعيه
على نمط بديع يعجز عنه كل بليغ او بعلمه بحال من انزله عليه واستعداده لاعتبار الانوار القدسية او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس
في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة في موقع التفسير لما قبلها وقرئ نزله
وقوله تعالى والملئكة يشهدون اي بذلك مبتدا وخبر والجملة عطف على ما قبلها وقيل حال من مفعول انزله اي انزله والملئكة يشهدون
بصدقه وحقيته وكفى بالله شهيدا على صحته حيث نصب لها معجزة باهرة وحجا ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها ان الذين
كفروا اي بما انزله تعالى وشهد به او بكل ما يجب الايمان به وهو داخل فيه دخولا اوليا والمراد بهم اليهود حيث كتموا به وصدوا
عن سبيل الله ودين الاسلام من اراد سلوكه بقولهم ما نعرف صفة محمد في كتابنا وقرئ صدوا مبنيا للمفعول قد ضلوا

بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد
من الاقلاع عنه ان الذين كفروا اي بما ذكر آنفا وظلموا اي محمدا عليه الصلوة والسلام بانكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة
ووضع غيرها مكانها او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد لم يكن الله ليغفر لهم لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر ولا
ليهديهم طريقا الا طريق جهنم لعدم استعدادهم للهداية الى الحق والاعمال الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد من الهداية المفهومة من
من الاستثناء بطريق الاشارة خلقه تعالى لاعمالهم السيئة المؤدية بهم الى جهنم عند صرف قدرتهم واختيارهم الى اكتسابها او سوقهم اليها
يوم القيامة بواسطة الملائكة والطريق على عمومه والاستثناء متصل وقيل خاص بطريق الحق والاستثناء منقطع خالدين فيها حال
مقدرة من الضمير المنصوب والعامل ما دل عليه الاستثناء دلالة واضحة كانه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها الخ وقوله ابدا نصب على الظرفية
رافع لاحتمال حمل الخلود على المكث الطويل وكان ذلك اي جعلهم خالدين في جهنم على الله يسيرا لاستحالة ان يتعذر عليه شيء
من مراداته تعالى يا ايها الناس بعد ما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعلل اليهود بالاباطيل واقتراحهم الباطل تعنتا ورد عليهم
ذلك بتحقيق نبوته عم وتقرير رسالته ببيان تناسبهم في امر الوحي والارسال كشئون من يعترفون بنبوته من مشاهير الانبياء
واكد ذلك بشهادته سبحانه وشهادة الملائكة امر المكلفون كافة على طريق تلوين الخطاب بالايمان بذلك اثر امتثالهم بالوعد بالاجابة
والوعيد على الرد تنبيها على ان الحجة قد لزمت ولم يبق بعد ذلك لاحد عذر في عدم القبول قوله عز وجل قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به وتمهيد لما يعقبه من الامر بالايمان وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتأكيد وجوب طاعته
والمراد بالحق هو القرآن الكريم والباء متعلقة بجاءكم فهي للتعدية او بمحذوف وقع حالا من الرسول اي ملتبسا بالحق ومن ايضا متعلقة
اما بالفعل واما بمحذوف هو حال من الحق اي جاءكم به من عنده تعالى او جاءكم بالحق كائنا من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع
الاضافة الى ضمير المخاطبين للايذان بان ذلك لتربيتهم وتبليغهم الى كمالهم اللائق بهم ترغيبا لهم في الامتثال بما بعده من الامر والفاء
في قوله عز وعلا فآمنوا للدلالة على ايجاب ما قبلها لما بعدها اي فآمنوا به وبما جاءكم به من الحق وقوله تعالى خيرا لكم منصوب على انه
مفعول لفعل واجب الاضمار كما هو رأي الخليل وسيبويه اي اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر او على انه نعت
لمصدر محذوف كما هو رأي الفراء اي آمنوا ايمانا خيرا لكم او على انه خبر كان المضمرة الواقعة جوابا للامر لا جوابا للشرط الصناعي
وهو رأي الكسائي وابي عبيدة اي يكون الايمان خيرا لكم وان تكفروا اي ان تصروا وتستمروا على الكفر به فان لله ما في السموات
وما في الارض من الموجودات سواء كانت داخلة في حقيقتهما وبذلك يعلم حال انفسهما على ابلغ وجه وآكده او خارجة عنهما مستقرة فيهما
من العقلاء وغيرهم فيدخل في جملتهم المخاطبون دخولا اوليا اي كلها له عز وجل خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج عن ملكوته وقهره شيء منها
فمن هذا شانه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة او فمن كان كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم
وقيل فمن كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادون لامره وكان الله عليما مبالغا في العلم فهو عالم باحوال الكل فيدخل في ذلك علمه
بكفرهم دخولا اوليا حكيما مراعيا للحكمة في جميع افعاله التي من جملتها تعذيبه تعالى اياهم بكفرهم يا اهل الكتاب تجريد للخطاب
وتخصيص له بالنصارى زجرا لهم عما هم عليه من الكفر والضلال لا تغلوا في دينكم بالافراط في رفع شان عيسى عليه السلام وادعاء
الوهيته واما غلو اليهود في حطه عم ورميهم بانه ولد لغير رشدة فقد نعي عليهم ذلك فيما سبق ولا تقولوا على الله الا الحق
اي لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك انما المسيح قد مر
تفسيره في سورة آل عمران وقرئ بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت على صيغة المبالغة وهو مبتدا وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف
بيان له وقوله تعالى ابن مريم صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه به من بنوته تعالى وقوله تعالى رسول الله خبر للمبتدا والجملة مستأنفة
مسوقة لتعليل النهي عن القول الباطل المستلزم للامر بضده اعني الحق اي انه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها وكلمته

عطف على مريم اى مكونة بكلمته وامره الذى هو كن من غير واسطة اب ولا نطفة فالفاء الى مريم اى اوصلها الينا وحصلها فينا
بنفخ جبريل عم وقيل اعلمها اياها واخبرها بها بطريق البشارة وذلك قوله تعالى يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم
فعيل الجملة حال من ضميره عم المستكن فيما دل عليه وكلمة من معنى المشتق الذى هو العامل فيها وقد مقدرة معها ونفخ منه قيل
هو الذى نفخ جبريل عم فى درع مريم فحملت باذن الله تعالى سمى النفخ روحا لانه ريح يخرج من الروح ومن لابتداء الغاية مجازا
لا تبعيضية كما زعمت النصارى يحكى ان طبيبا حاذقا ناصرانيا للرشيد ناظر علي بن حسين الواقدى المروزى ذات يوم فقال له
ان فى كتابكم ما يدل على ان عيسى عم جزء منه تعالى وتلا هذه الآية فقرأ الواقدى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه فقال
اذن يلزم ان يكون جميع ما فى الكون جزءا منه سبحانه وتعالى علوا كبيرا فانقطع النصرانى فاسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل
الواقدى بصلة فاخرة وهى متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح اى كائنة من جهته تعالى جعلت منه وان كانت بنفخ جبريل عم لكون النفخ
بامره سبحانه وقيل سمى روحا لاحيائه الاموات وقيل لاحيائه القلوب كما سمى بها القرآن لذلك فى قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك
روحا من امرنا وقيل اريد بالروح الوحى الذى اوحى الى مريم بالبشارة وقيل جرت العادة بانهم اذا ارادوا وصف شئ
بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى عم متكونا من النفخ لامع النطفة وصف بالروح وتقديم كونه عم رسول الله على
ذى الذكر مع تاخره عن كونه كلمة الله وروحا منه فى الوجود لتحقيق الحق من اول الامر مما هو نص فيه غير محتمل فيه للتاويل وتبيين ما يحتمله
وسد باب التاويل الزائغ فآمنوا بالله وخصوه بالالوهية ورسله اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن
سلكهم بوصفه بالالوهية ولا تقولوا ثلثة اى آلهة ثلثة الله والمسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى
الهين من دون الله او الله ثلثة ان صح انهم يقولون الله جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس
وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثانى العلم وبالثالث الحيوة انتهوا اى عن التثليث خيرا لكم قد وجوه لانتصاب
انما الله اله واحد اى بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدا والا خبره وواحد نعت اى منفرد فى الالهية
سبحانه ان يكون له ولد اى اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولدا او سبحوه تسبيحا فى ذلك فانه انما يتصور فيمن يماثله شئ ويتفرق
اليه فناء والله سبحانه منزه عن امثاله وقرئ ان يكون اى سبحانه ما يكون له ولد وقوله تعالى له ما فى السموات وما فى الارض
جملة مستانفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره اى له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته شئ من الاشياء
التى من جملتها عيسى عم فكيف يتوهم كونه ولدا له تعالى وكفى بالله وكيلا اليه يكفل كل الخلق امورهم وهو غنى عن العالمين فانى يتصور
فى حقه اتخاذ الولد وهو شان العجزة المحتاجين فى تدبير امورهم الى من يخلفهم ويقوم مقامهم لن يستنكف المسيح استئناف
مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف الانفة والترفع من نكفت الدمع اذا نحيته عن وجهك بالاصبع اى لن يأنف ولن يرتفع
ان يكون عبدا لله اى عن ان يكون عبدا لله تعالى مستمرا على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وان ذلك اقصى
مراتب الشرف والافتصار على ذكر عدم استنكافه عم عنه مع ان شانه عم المباهاة به كما يدل عليه احواله وينبئ عنه اقواله
اولا يرى ان اول مقالة قالها للناس قوله انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا لوقوعه فى موقع الجواب عما قالته اليهود روى
ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واى شئ نقول قالوا تقول
انه ليس بعبد الله قالوا بلى فنزلت وهو الستر وجعل المستنكف عنه كونه عم عبدا لله تعالى دون ان يقال عن عبادة الله وكذلك
مع افادة فائدة جليلة هى كمال نزاهته عم عن الاستنكاف بالكلية فان كونه عبدا لله تعالى حالة مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعا فعدم
الاستنكاف عنه مستلزم لعدم الاستنكاف عن عبادته تعالى كما اشير اليه بخلاف عبادته تعالى فانها حالة متجددة غير مستلزمة للدوام يكون
فى اتصاف موصوفها بها تحققها مرة فعدم الاستنكاف عنها لا يستلزم عدم الاستنكاف عن ذواتها ولا الملئكة المقربون

عطف

عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا وقيل ان اريد الملئكة كل واحد منهم لم يحتج الا التقدير واصح
بالآية من زعم فضل الملئكة على الانبياء عليهم السلام قال مسافة لرد النصارى فى رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضى ان يكون
المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه ع واجيب بان مناط كفر النصارى ورفعهم له ع
عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه وامتيازه عن سائر افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم بالمغيبات وبا كرفع الى السماء عطف على عدم
استنكافه عن رتبته تعالى عدم استنكاف من هو اعلى درجة منه فيما ذكر فان الملئكة مخلوقون من غير اب ولا ام وعالمون بما لا يعلمه البشر
من المغيبات ومقارهم السموات العلى ولا نزاع لاحد فى علو درجتهم من هذه الحيثية وانما النزاع فى علوهم من حيث كثرة الثواب على الطاعات
وبان الآية ليست للرد على النصارى فقط بل على عبدة الملئكة ايضا فلا انجاه لما قالوا ح وان سلم اختصاصها بالرد على النصارى فلعله
اريد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير والتفضيل لا باعتبار التكبير والتفضيل كما فى قولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤس فلئن سلم
ارادة التفضيل فغاية الامر الدلالة على افضلية المقربين منهم وهم الكروبيون الذين حول العرش ومن هو اعلى منهم رتبة من الملئكة ع
على المسيح من الانبياء ع وليس يلزم من ذلك فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا وهل التفاضل الا فيه ومن يستنكف عن عبادته
اى عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى وانما جعل المستنكف عنه ههنا عبادته تعالى لما سبق لتعليق الوعيد بوصف ظاهر
الثبوت للكفرة فان عدم طاعتهم له تعالى مما لا سبيل الى انكاره انتصافهم بان قلت لم عبر عن عدم طاعتهم له تعالى بالاستنكاف عنها مع ان كثيرا
منهم كان بطريق انكار كون الامر من جهته تعالى لا بطريق الاستنكاف قلنا لانهم كانوا يستنكفون عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهل هو الا استنكاف عن طاعة الله عز وجل اذ لا امر لاحد سوى امره تع من يطع الرسول فقد اطاع الله ويستكبر الاستكبار الانفة
عما لا ينبغى ان يؤنف عنه واصله طلب الكبر لنفسه بغير استحقاق له لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله فيه بل بمعنى عد نفسه كبيرا
واعتقاده كذلك وانما عبر عنه بما يدل على الطلب للايذان بان مآله محض الطلب بدون حصول المطلوب وقد عبر عن مثل ذلك بنفس
الطلب فى قوله تع يصدون عن سبيل الله ويبغونها فانهم ما كانوا يطلبون ثبوت العوج لسبيل الله مع اعتقادهم لاستقامتها بل كانوا
يعدونها ويعتقدونها معوجة ويحكمون بذلك ولكن عبر عن ذلك بالطلب لما ذكر من الاشعار بان ليس هناك شئ سوى الطلب والاستكبار
دون الاستنكاف المنبئ عن توهم لحوق العار والنقص من المستنكف عنه فسيحشرهم اليه جميعا الى المستكبرين ومقابليهم
المدلول عليهم بذكر عدم استنكاف المسيح والملئكة ع وقد ترك ذكر احد النوعين فى المفضل تعويلا على انباء التفضيل عنه
وثقة بظهور اقتضاء حشر احدهما لحشر الآخر ضرورة عموم الحشر للخلائق كافة كما ترك ذكر احد النوعين فى التفضيل عند قوله
فاما الذين آمنوا بالله الآمع عموم الخطاب لهما اعتمادا على ظهور اقتضاء اثابة احدهما العقاب الآخر ضرورة شمول الجزاء
للكل وقيل الضمير للمستكفين وهناك معذر معطوف عليه والتقدير فيحشرهم وغيرهم وقيل المعنى فيبعثهم اليه يوم يحشر العباد
لمجازاتهم وفيه ان الانسب بالتفضيل الآتى اعتبار حشر الكل فى الاجمال على نهج واحد وقرئ فيحشرهم بكسر الشين وهى لغة وقرئ
فنحشرهم بنون العظمة بطريق الالتفات فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لحال الفريق المطوى ذكره فى الاجمال
قدم على بيان حال مقابله اثابة لفضله ومسارعة الى بيان كون حشره ايضا معتبرا فى الاجمال وايراده بعنوان الايمان والعمل
الصالح لا بوصف عدم الاستنكاف المناسب لما قبله وما بعده للتنبيه على ان المستتبع لما يعقبه من الثمرات فيوفيهم
اجورهم من غير ان ينقص منها شيئا اصلا ويزيدهم من فضله بتضعيفها اضعافا مضاعفة وباعطاء ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين استنكفوا اى عن عبادته عز وجل واستكبروا فيعذبهم
بسبب استنكافهم واستكبارهم عذابا اليما لا يحيط به الوصف ولا يجدون لهم من دون الله وليا يلى امورهم
ويدبر مصالحهم ولا نصيرا ينصرهم من بأسه تع وينجيهم من عذابه يا ايها الناس تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة المكلفين

اثر بيان بطلان ما عليه الكفرة من فنون الكفر والضلال والزامهم بالبراهين القاطعة التي تحركها صم الجبال وازاحة شبههم الواهية
بالبينات الواضحة وتنبيههم على ان الحجة قد تمت فلم يبق بعد ذلك علة للمتعلل ولا عذر للمتعذر • قد جاءكم • اى وصل اليكم وتمكن عقولكم
في قلوبكم بحيث لا سبيل لكم الى الانكار • برهان • البرهان ما يبرهن به على المطلوب والمراد به القرآن الدال على صحة نبوة النبي عليه السلام
المثبت لما فيه من الاحكام التي من جملتها ما اشير اليه مما اثبته الآيات الكريمة من حقيقة الحق وبطلان الباطل وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما
عليه السلام عبر عنه بما معه من المعجزات التي تشهد بصدقه وقيل هي المعجزات التي اظهرها وقيل هو دين الحق الذي اتى به وقوله تعالى من ربكم
اما متعلق بجاءكم او بمحذوف وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى كائن منه تعالى
على ان من لابتداء الغاية مجازا وقد جوز على الثاني كونها تبعيضية بحذف اى كائن من براهين ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير
المخاطبين لاظهار اللطف بهم والايذان بان مجيئه لهم لتربيتهم وتكميلهم • وانزلنا اليكم نورا مبينا • اريد به ايضا القرآن الكريم عبر عنه تارة
بالبرهان لما اشير اليه آنفا واخرى بالنور الغير بنفسه المنور لغيره ايذانا بانه بين بنفسه مستغن في ثبوت حقيته وكونه من عند الله عز وجل بالاعجاز
غير محتاج الى غيره مبين لغيره من الامور المذكورة واشعارا بهدايته للخلق واخراجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وقد سلك به مسلك العطف
المبني على تغاير الطرفين تنزيلا للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة الذاتية وعبر عن ملابسته للمخاطبين تارة بالمجيء المسند اليه المبني عن حال
قوته في البرهانية كما يجيء بنفسه فيثبت احكامه من غير ان يجيء به احد وبنحو على شبه الكفرة بالابطال واخرى بالانزال الموقع عليه الملائم لحقيته
كونه نورا توفيرا له باعتبار كل واحد من عنوانيه حظه اللائق به واسناد الفعلين اليه تعالى بطريق الالتفات لكمال تشريفه هذا على تقدير كون البرهان عبارة
عن القرآن العظيم واما على تقدير كونه عبارة عن الرسول عليه السلام او عن المعجزات الظاهرة على يديه او عن الدين فالامر ظاهر وقوله تعالى اليكم متعلق
بانزلنا فان انزاله بالذات وان كان الى النبي صلى الله عليه وسلم لكنه منزل اليهم ايضا بواسطته ولما اعتبر حاله بالواسطة دون حاله
بالذات كما في قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب لتحكم بين الناس بما اراك الله لاظهار كمال اللطف بهم والتعرض بوصوله اليهم مبالغة في الاعذار
وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التاخير عنه لما مر غير مرة من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر وللمحافظة على فواصل الآي الكريمة
فاما الذين آمنوا بالله • صدقوا بوجه البرهان الذي اتاهم • واعتصموا به • اى عصموا انفسهم مما يوبقها من زيغ الشيطان وغيره
فسيدخلهم في رحمة منه وفضل • قال ابن عباس هي الجنة وما يتفضل عليهم مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وعبر عن افاضة الفضل بالادخال على طريقة قوله وعلفتها تبنا وماء باردا وتنوين رحمة وفضل تفخيمي ومنه متعلق بمحذوف وقع
صفة مشرفة لرحمة • ويهديهم اليه • اى الى الله عز وجل قيل الى الموعود وقيل الى عبادته • صراطا مستقيما • هو الاسلام
والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة وتقديم ذكر الوعد بادخال الجنة على الوعد بالهداية اليها على خلاف الترتيب في الوجود رعاية
للموعودين للمبادرة الى التبشير بما هو المقصد الاصلي قيل انتصاب صراطا على انه مفعول بفعل محذوف ينبئ عنه يهديهم اى يعرفهم
صراطا مستقيما • يستفتونك • اى في الكلالة استفتى عن ذكره بورود ه في قوله تعالى • قل الله يفتيكم في الكلالة • وقد فسر تمة في
مطلع السورة الكريمة والمستفتي جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن المصنف روى انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فقال
ان لي اختا فكم آخذ من ميراثها ان مات وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتى كلالة فكيف اصنع في مالي
وروى عنه رضي الله عنه قال دخل علي رسول الله عليه السلام وانا مريض لا اعقل فتوضأ وصب من وضوئه علي فافقت فقلت يا رسول الله لمن الميراث
وانما يرثني كلالة فنزلت وقوله تعالى • ان امرؤ هلك • استئناف مبين للمفتى وارتفع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله تعالى ليس له ولد
صفة له وقيل او حال من الضمير في هلك وقد بانه مفسر للمحذوف غير مقصود في الكلام اى ان هلك امرؤ غير ذي ولد ذكرا كان او انثى واقتصر
على ذكر عدم الولد مع ان عدم الوالد ايضا معتبر في الكلالة ثقة بظهور الامر ودلالة تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى • وله اخت • عطف
على قوله تعالى ليس له ولد او حال والمراد بالاخت من ليست لام فقط فان فرضها السدس وقد فرر بيانه في صدر السورة الكريمة • فلها

٢ لعل من يرث منه غير الوالد والولد والمراد بالغير ههنا الاخوة من الاب والام

تم بحمد الله تعالى

نصف ما ترك اى بالفرض والباقى للعصبة اولها بالرد ان لم تكن لها عصبة وهو اى المرء المفروض يرثها اى الاخت المفروض ان فرض
هلاكها مع بقائه ان لم يكن لها ولد ذكراً كان او انثى فالمراد بارثه لها احراز جميع مالها اذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية
لا ارثه لها فى الجملة فانه يتحقق مع وجود بنتها وليس فى الآية مايدل على سقوط الاخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم مع الاب الشريف
فان كانتا اثنتين عطف على الشرطية الاولى اى اثنتين فصاعداً فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة والتانيث والتثنية
باعتبار المعنى قيل فائدة الاخبار عنها باثنتين مع دلالة الف التثنية على الاثنينية التنبيه على ان المعتبر فى اختلاف الحكم هو
العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اى من يرث بطريق الاخوة اخوة اى مختلطة رجالاً ونساءً بدل من
اخوة والاصل وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر على المؤنث فللذكر منهم مثل حظ الانثيين يقتسمون التركة
على طريقة التعصيب وهذا آخر ما نزل من كتاب الله تعالى فى الاحكام روى ان الصديق رض قال فى خطبته ان الآية التى انزل الله تعالى
فى سورة النساء فى الفرائض فاولها فى الولد والوالد وثانيها فى الزوج والزوجة والاخوة من الام والآية التى ختم بها السورة
فى الاخوة والاخوات لابوين او لاب والآية التى ختم بها سورة الانفال انزلها فى اولى الارحام يبين الله لكم اى حكم الكلالة
او احكامه وشرائعه التى من جملتها حكمها ان تضلوا اى كراهة ان تضلوا فى ذلك وهذا رأى البصريين صرح به المبرد وذهب
الكسائى والفراء وغيرهما من الكوفيين الى تقدير اللام ولا فى طرفى ان اى لئلا تضلوا وقال الزجاج هو مثل قوله تعالى ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا اى لئلا تزولا وقال ابو عبيد رويت للكسائى حديث ابن عمر رض وهو لا يدعون احدكم على ولده ان
يوافق من الله اجابة اى لئلا يوافق فاستحسنه وليس ما ذكر من الآية والحديث نصاً فيما ذهب الكسائى واضرابه فان التقدير فيهما
عند البصريين كراهة ان تزولا وكراهة ان يوافق الخ وقيل ليس هناك حذف ولا تقدير وانما هو مفعول يبين اى يبين لكم
ضلالكم الذى هو من شأنكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه وانت خبير بان ذلك انما يليق بما اذا كان
بيانه تعالى على طريقة تعيين مواقع الخطاء والضلال من غير تصريح بما هو الحق والصواب وليس كذلك والله بكل شىء من
الاشياء التى من جملتها احوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم عليم مبالغ فى العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكانه تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطى من الاجر
كمن اشترى محرراً وبرئ من الشرك وكان فى مشية الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مائة وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء القيام بموجب العقد وكذا الايفاء والعقد هو العهد الموثق المشبه بعقد الحبل
ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله تعالى عباده وعقده عليهم من التكاليف والاحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من
عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن دينا بان يحمل الامر على معنى يعم الوجوب والندب امر بذلك اولاً على وجه
الاجمال ثم شرع فى تفصيل الاحكام التى امر بالايفاء بها وبدئ بما يتعلق بضروريات معايشهم فقيل احلت لكم بهيمة الانعام
البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كثوب الخز وافرادها لارادة الجنس اى احل لكم اكل البهيمة من الانعام وهى الازواج
الثمانية المعدودة فى سورة الانعام والحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوهما وقيل هى المرادة بالبهيمة ههنا التقدم بيان حل
الانعام والاضافة لما بينهما من المشابهة والمماثلة فى الاجترار وعدم الانياب وفائدتها الاشعار بعلة الحكم المشترك بين المتضايفين
كانه قيل احلت لكم البهيمة الشبيهة بالانعام التى تبين احلالها فيما سبق لمماثلة لها فى مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول
مقام الفاعل لما مر مراراً فى اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا أخر
تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عنده فضل تمكن الا ما يتلى عليكم استثناء من بهيمة الانعام اى الا محرم ما يتلى

بوافق

آية المائدة مائة وعشرون وقيل واثنان وقيل وثلث اعلم

عليكم من قوله تع حرمت عليكم الميتة ونحوه او الآتي يتلى عليكم آية تحريمه غير محلي الصيد اي الاصطياد في البر او اكل صيده
ومحل النصب على الحالية من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تنزيره حرمته عملا واعتقادا او بشرائع في الكتاب والسنة وقوله تع وانتم حرم
اي محرمون حال من الضمير في محلي وفائدة تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر من عدم احلال الصيد حال الاحرام على تقدير كون المراد بها
الظباء ونظائرها ظاهرة لما ان احلالها غير مطلق كانه قيل احل لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه عند احرامكم واما على التقدير الاول
ففائدته اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير اضدادها فان حرمة الصيد في حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى الحلال
غيره كانه قيل احلت لكم الانعام مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الاوقات محتاجين الى احلالها وفي ايراد
عدم الاحلال اليهم بالمعنى المذكور مع حصول المراد بان يقال غير محلل لكم او محرما عليكم الصيد حال احرامكم مزيد تربية للامتنان وتقرير
للحاجة ببيان علتها القريبة فان تحريم الصيد عليهم انما يوجب حاجتهم الى احلال ما يغنيهم عنه باعتبار تحريمهم له عملا واعتقادا مع ما فيه من
من وصفهم بما هو اللائق بهم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام حسبما يقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة فيدخل فيها
ما ذكر من التحليل والتحريم دخولا اوليا ومعنى الانباء بهما الجريان على موجبهما عقدا وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم بعض
المحللات كالبحيرة ونظائرها التي ستاتي بيانها يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله لما بين حرمة احلال الاحرام
الذي هو من شعائر الحج عقب ذلك ببيان حرمة احلال سائر الشعائر واضافتها الى الله عز وجل لتشريفها وتهويل الخطب في احلالها
وهي جمع شعيرة وهي اسم لما اشعر اي جعل شعارا او علما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والسعي
والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها وقت الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر واحلالها ان يتهاون في تحريمها وبحال
بينها وبين المتنسكين بها ويحدث في شهر الحج ما يصد به الناس عن الحج وقيل المراد بها دين الله لقوله تع ومن يعظم شعائر الله
اي دينه وقيل حرمات الله وقيل فرائضه التي حدها لعباده واحلالها والاخلال بها والانسب بالمقام ولا الشهر الحرام
اي لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسيء والاول هو الاولى لكمال المؤمنين والمراد به شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرم والافراد
للارادة الجنس ولا الهدى بان يتعرض له بما يعجب او بالمنع من بلوغ محله وهو ما اهدي الى الكعبة من ابل او بقر او شاة جمع هدية
كجدي وجدية ولا القلائد هي جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدى من نعل ولحاء شجر ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له والمراد النهي
عن التعرض لذوات القلائد من الهدى وهي البدن وعطفها على الهدى مع دخولها فيه لمزيد التوصية بها لمزيتها على اعدالها كما عطف
جبريل وميكال على الملئكة عليهم السلام كانه قيل ولا القلائد منه خصوصا او النهي عن التعرض لنفس القلائد مبالغة في النهي عن التعرض
لاصحابها على معنى لا تحلوا قلائدها فضلا عن ان تحلوها كما نهى عن ابداء الزينة لقوله تع ولا يبدين زينتهن مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا آمين البيت الحرام اي لا تحلوا قوما قاصدين زيارته بان تصدوهم عن ذلك باي وجه كان وقيل هذا كالذي قبله
اي قتال قدم او اذى قوم آمين الخ وقرئ ولا آمي البيت الحرام بالاضافة وقوله عز وجل يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا
حال من المستكن في آمين لاصفة له لان المختار ان اسم الفاعل اذا اضيف عمل عمله اي قاصدين زيارته حال كونهم طالبين ان يثيبهم الله
تع ويرضى عنهم وتنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس الفعل او بمحذوف وقع صفة لفضلا مغنية عن وصفها بالعطف
عليه بها اي فضلا كائنا من ربهم ورضوانا كذلك والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والاشعار بحصول
مبتغاهم وقرئ تبتغون على الخطاب فالجملة حال ج من ضمير المخاطبين في لا تحلوا اعلم ان المراد بيان منافاة حالهم هذه للمنهي عنه
لا تقييد النهي بها واضافة الرب الى ضمير الآمين للايماء الى اقتضاء التشريف وعليهم حرمان المخاطبين عنه وعن نيل المبتغى فان ذلك
من تعليل النهي وتاكيده والمبالغة في استنكار المنهي عنه مالا يخفى ومن ههنا قيل ان المراد بالآمين هم المسلمون خاصة
وبه تمسك من ذهب الى ان الآية محكمة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سورة المائدة من آخر القرآن نزولا

مضافة

فاحلوا

فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ره ليس فيها منسوخ وعن ابى مسير فيها ثمانى عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هم المشركون خاصة لانهم المحتاجون الى نهى المؤمنين عن احلالهم دون المؤمنين على ان حرمة احلالهم تثبت بطريق دلالة النص وبوين ان الآية نزلت فى الحطم بن ضبيعة البكرى وقد كان اتى المدينة فخلف خيله خارجها فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم وعاهده ووعده ان يأتى باصحابه فيسلموا ثم خرج من عنده فمر بسرح المدينة فاستاقه فلما كان فى العام القابل خرج من اليمامة حاجا فى حجاج بكر بن وائل ومعه تجارة عظيمة وقد قلدوا الهدى فقال المسلمون النبى صلى الله عليه وسلم ان يخلى بينهم وبينه فابى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الآية وفسر ابتغاء الفضل بطلب الرزق بالتجارة وابتغاء الرضوان بانهم كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم وان الحج يزينهم الى الله تعالى فوصفهم الله تع بظنهم وذلك الظن الفاسد وان كان بمعزل من استتباع رضوان الله تع لكن لا بعد فى كونه مدارا لحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم عن المكاره العاجلة لاسيما فى ضمن مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعائره وقال قتادة هو ان يصلح معائشهم فى الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها وقيل هم المسلمون والمشركون لما روى عن ابن عباس رض ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا الخ ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقوله تع ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبى لا تحلوا منسوخ بقوله تع اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا ريب فى تناول الآيتين للمشركين قطعا اما استقلالا واما اشتراكا لما سيأتى من قوله تع ولا يجرمنكم شنآن قوم فيتعين النسخ كلا او بعضا ولا بد فى الوجه الاخير من تنزيل الفضل والرضوان بما يناسب الفريقين فقيل ابتغاء الفضل اى الرزق للمؤمنين والمشركين خاصة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة ويجوز ان يكون الفضل على اطلاقه شاملا للفضل الاخروى ايضا ويخص ابتغاؤه بالمؤمنين واذا حللتم فاصطادوا تصريح بما اشير اليه بقوله تع وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتهاء موجبها والامر للاباحة بعد الحظر كانه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم فى الاصطياد وقرئ احللتم وهو لغة فى حل وقرئ بكسر الفاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا ولا يجرمنكم نهى من احلال قوم من الآمنين قصدوا به مع اندراجهم فى النهى عن احلال الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهم كونها مصححة لاحلالهم داعية اليه وجرم جار مجرى كسب فى المعنى وفى التعدى الى مفعول واحد والى اثنين يقال جرم ذنبا كسبه وجرمه ذنبا نحو كسبته اياه خلا ان جرم يستعمل غالبا فى كسب ما لا خير فيه وهو السبب وفى نحو ايثاره ههنا على الكسب وقد ينقل الاول من كل منهما بالهمزة الى مفعول ثان فيقال اجرمته ذنبا واكسبته اياه وعليه قراءة من قرأ يجرمنكم بضم الياء شنآن قوم بفتح النون وقرئ بسكونها وكلاهما مصدر اضيف الى مفعوله للايذان بكمال شدة البغض وغاية المقت ان صدوكم متعلق بالشنآن باضمار لام العلة اى لان صدوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام عن زيارته والطواف به للعمرة وهذه آية بينة فى عموم آيتين للمشركين قطعا وقرئ ان صدوكم على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم قد ابرز الصد المحقق فيما سبق فى معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه على ان حقه ان لا يكون وقوعه الا على سبيل الفرض والتقدير ان تعتدوا اى عليهم وانما حذف تعويلا على ظهوره وايذانا بان المقصد الاصلى من النهى منع صدور الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعائر لا منع وقوعه على القوم مراعاة لجانبهم وهو ثانى مفعولى يجرمنكم اى يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصدهم اياكم عن المسجد الحرام اعتداءكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفى وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشنآن عن كسب الاعتداء للمخاطبين لكنه فى الحقيقة نهى لهم عن الاعتداء على ابلغ وجه وآكده فلعل النهى عن اسباب الشئ ومباديه المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهانى وابطال للسببية وقد توجه النهى الى المسبب وايراد النهى عن السبب كما فى قوله لا ارينك ههنا يريد به نهى مخاطبه عن الحضور لديه ولعل تأخير هذا النهى عن قوله تع واذا حللتم فاصطادوا لظهور

السرج بالتركى خوكله آمرة

تعلقه بما قبله للايذان بان حرمة الاعتدآء لا تنتهى بالخروج عن الاحرام كانتهاء حرمة الاصطياد بل هى باقية ما لم ينقطع
علاقتهم عن الشعائر بالكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض لسائر الآمين بطريق الاولى • وتعاونوا على البر والتقوى • لما كان
الاعتدآء غالبا بطريق التظاهر والتعاون امروا اثر ما نهوا عنه بان يتعاونوا على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الامر
ومجانبة الهوى فدخل فيه ما نحن بصدده من التعاون على العفو والاغضاء عما وقع منهم دخولا اوليا ثم نهوا عن التهاون
فى كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصى بقوله تعالى • ولا تعاونوا على الاثم والعدوان • فاندرج فيه النهى عن التعاون على الاعتداء
والانتقام بالطريق البرهانى واصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف منه احدى التائين تخفيفا وانما اخر النهى عن الامر مع تقدم
التخلية على التحلية مسارعة الى ايجاب ما هو مقصود بالذات فان المقصود من ايجاب ترك التعاون على الاثم والعدوان انما هو تحصيل
التعاون على البر والتقوى ثم امروا بقوله تعالى • واتقوا الله • بالاتقاء فى جميع الامور التى من جملتها مخالفة ما ذكر من الاوامر
والنواهى فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهانى ثم علل ذلك بقوله تعالى • ان الله شديد العقاب • اى لمن لا يتقيه فيعاقبكم
لا محالة ان لم تتقوه واظهار الاسم لما مر مرارا من ادخال الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة • حرمت عليكم الميتة •
شروع فى بيان المحرمات التى اشير اليها بقوله تعالى الا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير ذبح • والدم • اى المسفوح منه لقوله تعالى
او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه فى الامعاء ويشوونه ويقولون لم يحرم من فزد له اى فصد له • ولحم الخنزير وما اهل
لغير الله به • اى رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى • والمنخنقة • اى التى ماتت بالخنق • والموقوذة
اى التى قتلت بالضرب بالخشب ونحوه من وقذته اذا ضربته • والمتردية • اى التى تردت من علو او فى بئر فماتت • والنطيحة
اى التى نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء للنقل وقرئ والمنطوحة • وما اكل السبع • اى ما اكل منه السبع فمات وقرئ بسكون
الباء وقرئ واكيل السبع وفيه دليل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما صادته لم يحل • الا ما ذكيتم • الا ما ادركتم ذكوته
وفيه بقية حيوة يضطرب اضطراب المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكوة فى الشرع بقطع الحلقوم والمرى بمحدد
وما ذبح على النصب • قيل هو مفرد وقيل جمع نصاب وقرئ بسكون الصاد واياما كان فهو واحد الانصاب وهى احجار كانت منصوبة
حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هى الاصنام • وان تستقسموا بالازلام • جمع زلم وهو القدح اى وحرم
عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب على احدها امرنى ربى وعلى الثانى
نهانى ربى وعلى الثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهى اجتنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها مرة اخرى
فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعهودة • ذلكم • اشارة
الى الاستقسام بالازلام ومعنى البعد فيه للاشارة الى بعد منزلته فى الشر • فسق • تمرد وخروج عن الحد ودخول فى علم الغيب
وضلال باعتقاد انه طريق اليه وافتراء على الله سبحانه ان كان هو المراد بقولهم ربى وشرك وجهالة ان كان هو الصنم وقيل
ذلكم اشارة الى تناول المحرمات المعدودة لان معنى تحريمها تحريم تناولها • اليوم • اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما
يتصل به من الازمنة الماضية والآتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع والنبى صلى الله عليه وسلم
واقف بعرفات على العضباء فكادت عضد الناقة تندق لثقلها فبركت واياما كان فهو منصوب على انه ظرف لقوله تعالى
• يئس الذين كفروا من دينكم • اى من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث او غيرها او من ان يغلبوكم عليه لما شاهدوا من
ان الله عز وجل وفى بوعده حيث اظهره على الدين كله وهو الانسب بقوله تعالى • فلا تخشوهم • اى ان يظهروا عليكم • واخشون
اى واخلصوا الى الخشية • اليوم اكملت لكم دينكم • بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف
على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد وتقديم الجار والمجرور للايذان من اول الامر بان الاكمال لمنفعتهم ومصلحتهم كما فى قوله تعالى

الاغضاء كوز يوممق ع

تردت اى سقطت ع

بلكه زاولر

الجزور بمعنى لحوم الابل

الم نشرح لك صدرك و عليكم في قوله تعالى وأتممت عليكم نعمتي متعلق بأتممت لا بنعمتي لان المصدر لا يتقدم عليه معموله وتقديمه
على المفعول الصريح لما مر قرأت اي اتممتها بفتح مكة و دخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهي عن حج المشرك
وطواف العريان او باكمال الدين والشرائع او بالهداية والتوفيق وقيل معنى اتممت عليكم نعمتي انجزت لكم وعدي بقولي ولأتم
نعمتي عليكم ورضيت لكم الاسلام دينا اي اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير عن ابن عمر بن الخطاب
رضي الله عنهما ان رجلا من اليهود قال له يا امير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا
قال رض اي آية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الآية قال عمر رض قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي انزلت على النبي
عليه السلام وهو قائم بعرفة يوم الجمعة اشار رض الى ان ذلك اليوم عيد لنا وروي انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رض فقال النبي عليه السلام
ما يبكيك يا عمر رض قال رض ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذا كمل فانه لا يكمل شيء الا نقص فقال عليه السلام صدقت فكانت هذه الآية
نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبث بعد ذلك الا احدا وثمانين يوما ٣ فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما
اعتراض بما يوجب ان يجتنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي اي فمن اضطر
الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة اي مجاعة يخاف معها الموت او مباديه غير متجانف لاثم غير مائل ومنحرف
اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة او ينزعها من مضطر آخر كقوله تعالى غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم
لا يؤاخذه بذلك يسألونك ماذا احل لهم شروع في تفصيل المحللات التي ذكر بعضها على وجه الاجمال اثر بيان المحرمات
كأنهم سألوا عنها عند بيان اضدادها ولتضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة فماذا مبتدأ واحل لهم خبره وضمير الغيبة
لما ان يسألون بلفظ الغيبة فانه كما يعتبر حال المحكي عنه فيقال اقسم زيد ليفعلن يعتبر حال الحاكي فيقال اقسم زيد لأفعلن
والمسؤول ما احل لهم من المطاعم قل احل لكم الطيبات اي ما يستحسنه الطباع السليمة ولم تتنفر عنه كما في قوله تعالى ويحل لهم
الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات بتقدير المضاف على ان ما موصولة والعائد محذوف اي وصيد
ما علمتموه او مبتدأ على ان ما شرطية والجواب فكلوا وقد جوز كونها مبتدأ على تقدير كونها موصولة ايضا والخبر كلوا وانما دخلته الفاء
تشبيها للموصول باسم الشرط ومن الجوارح حال من الموصول او ضمير المحذوف والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير وقيل
سميت بها لانها تجرح الصيد غالبا مكلبين اي معلمين لها الصيد والمكلب المؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب
لان التأديب كثيرا ما يقع فيه او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام في حق عتبة بن ابي لهب حين اراد سفر الشام فغاظ
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم وفائدتها المبالغة
في التعليم لما ان اسم المكلب لا يقع الا على النحرير في علمه وقرئ مكلبين بالتخفيف والمعنى واحد تعلمونهن حال ثانية منه او حال من ضمير
مكلبين او استئناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التعليم والتأديب فان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه
او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وعدم اكله منه فكلوا
مما امسكن عليكم قد عرفت مما سبق ان هذه الجملة على تقدير كون ما شرطية جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة مرفوعة على الابتداء
خبر لها واما على تقدير كونها عطفا على الطيبات فهي جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلمة مبينة للمضاف المقدر الذي هو المعطوف
وبه يتعلق الاحلال حقيقة ومشيرة الى نتيجة التعليم واثره داخلة تحت الامر فالفاء فيها كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ومن تبعيضية
لما ان البعض مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة او موصوفة حذف عائدها وعلى متعلقة بامسكن اي فكلوا
بعض ما امسكنه عليكم وهو الذي لم ياكلن منه واما ما اكلن منه فهو مما امسكنه على انفسهن لقوله عم لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل
انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك مطلقا وقد روي عن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رض

٣ ثم توفي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بعد ما زالت الشمس لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة وفي اليوم الثاني عشر منه ارمغنا
بعض
مجمع اللطائف

المنحة العقلية ح

انه اذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وقد ذكرت اسم الله فكل واذكروا اسم الله عليه الضمير فيما علمتم اى سموا عليه عند ارساله
او لما امسكن اى سموا عليه اذا ادركتم زكوته واتقوا الله في شان محرماته ان الله سريع الحساب اى سريع اتيان حسابه
او سريع تمامه اذا شرع فيه يتم واقرب ما يكون من الزمان واللمح على النقد يرين انه يؤاخذكم سريعا في كل ما جل ودق واظهار الاسم الجليل
في موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم اليوم احل لكم الطيبات قيل المراد بالايام الثلثة وقت واحد وانما كرر للتاكيد ولاختلاف
الاحداث الواقعة فيه حسن تكريره والمراد بالطيبات ما مر وطعام الذين اوتوا الكتاب اى اليهود والنصارى واستثنى علي رض نصارى
بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رضه والمراد بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها حل لكم
اى حلال وعن ابن عباس رضه انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة رح واصحابه
وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عنده وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا
ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم
ونكاح نسائهم لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم
فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات رفع على انه مبتدا حذف خبره لدلالة
ما تقدم عليه اى حل لكم ايضا والمراد بهن الحرائر والعفائف وتخصيصهن بالذكر للبعث على ما هو الاولى لا لنفي ما عداهن فان نكاح
الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح العفائف منهن واما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند ابي حنيفة رح خلافا للشافعي رح
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اى هن ايضا حل لكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضه لا تحل الحربيات
اذا آتيتموهن اجورهن اى مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها
واذا ظرفية عاملها حل المحذوف وقيل شرطية حذف جوابها اى اذا آتيتموهن اجورهن احللن لكم محصنين حال من فاعل
آتيتموهن اى حال كونكم اعفاء بالنكاح وكذا قوله تعالى غير مسافحين وقيل هو حال من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين اى غير
مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان اى لا مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى وهو اما مجرور عطفا على مسافحين
وزيدت لا لتاكيد النفي المستفاد من غير او منصوب عطفا على غير مسافحين باعتبار اوجهه الثلثة ومن يكفر بالايمان اى من ينكر
شرائع الاسلام التي من جملتها ما بين ههنا من الاحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها فقد حبط عمله الصالح الذي عمله
قبل ذلك وهو في الآخرة من الخاسرين هو مبتدا من الخاسرين خبره وفي متعلقة بما تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل
بمحذوف دل عليه المذكور اى خاسر في الآخرة وقيل بالخاسرين على ان الالف واللام للتعريف لا موصولة لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها
وقيل يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا يا ايها الذين آمنوا
شروع في بيان الشرائع المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم اذا قمتم الى الصلوة اى اذا اردتم القيام اليها كما
في قوله تعالى فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها مجازا للايجاز والتنبيه على ان من اراد الصلوة
حقه ان يبادر اليها بحيث لا تنفك عن ارادتها او اذا قصدتم الصلوة اطلاقا لاسم احد لازميها على لازمها الآخر وظاهر الآية
الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم اليها وان لم يكن محدثا لما ان الامر للوجوب قطعا والاجماع على خلافه وقد روي ان النبي عليه السلام
صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز وحمل الامر
بالنسبة الى غير المحدث على الندب مما لا مساغ له فالوجه ان الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث في التيمم الذي
هو بدله وما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من انهم كانوا يتوضؤن لكل صلوة فلا دلالة فيه على انهم كانوا يفعلونه
بطريق الوجوب اصلا كيف لا وما روي عنه عليه السلام من قوله من توضا على طهر كتب الله له عشر حسنات صريح في ان ذلك كان منهم

قوله سنوا بهم سنة ... اوحاضر
من ... [illegible]

بطريق الندب وما قيل كان ذلك اوّل الامر ثم نسخ بردّه قوله عليه السلام المائدة من آخر القرآن نزولًا فاحلّوا حلالها وحرّموا
حرامها فاغسلوا وجوهكم اى امرّوا عليها الماء ولا حاجة الى الدلك خلافًا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول
المرفقين فى المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كما فى قوله تعالى ويزدكم قوّة الى قوّتكم وقيل هى انما تفيد معنى الغاية مطلقًا واما دخولها والحكم
او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما هو امر يدور على الدليل الخارج كما فى صفة القرآن من اوّله الى آخره وقوله تعالى فنظرة الى ميسرة
فان الدخول فى الاوّل والخروج فى الثانى متبقن بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك فى الآية وكانت الايدى متناولة للمرافق حكم
بدخولها فيها احتياطًا وقيل الى من حيث افادتها للغاية تقتضى خروجها لكن لما لم يتميز الغاية ههنا عن ذى الغاية وجب ادخالها احتياطًا
وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل وتحقيقه انها تدل على تضمين الفعل
معنى الالصاق فكانه قيل فالصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب كما يقتضيه ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله تعالى فاغسلوا
وجوهكم واختلف العلماء فى القدر الواجب فاوجب الشافعى رح اقلّ ما يطلق عليه الاسم اخذًا باليقين وابو حنيفة رح ببيان رسول الله عليه السلام
حيث مسح على ناصيته وقدّر بما يربع الرأس ومالك مسح الكل اخذًا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين بالنصب عطفًا على وجوهكم
ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة رض وقول اكثر الائمة رح والتحديد اذا المسح لم يعهد محدودًا وقرئ بالجر على الجوار ونظيره فى القرآن كثير
كقوله تعالى عذاب يوم اليم ونظائره وللنحاة فى ذلك باب مذود وفائدة التنبيه على انه ينبغى ان يقتصد فى صب الماء عليها ويغسلها غسلًا
رقيقًا من المسح وفى الفصل بينه وبين اخواته ايماء الى فضيلة الترتيب وقرئ بالرفع اى وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا اى
فاغسلوا وقرئ فاطهروا اى فاطهروا ابدانكم وفى تعليق الامر بالطهارة الكبرى بالحدث الاكبر اشارة الى اشتراط الامر بالطهارة الصغرى
بالحدث الاصغر وان كنتم مرضى يخاف بالهلاك او زيادة بامتعال الماء او على سفر اى مسافرين عليه او جاء احد منكم
من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدًا طيبًا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه من لابتداء الغاية وقيل
للتبعيض وهى متعلقة بامسحوا وقرئ فامسوا صعيدًا وقد مر تفسير الآية الكريمة مشبعًا فى سورة النساء فليرجع اليه لئلا يطول الكلام
فى انواع الطهارة ما يريد الله اى ما يريد بالامر بالطهارة للصلوة او بالامر بالتيمم ليجعل عليكم من حرج من ضيق فى الامتثال
ولكن يريد اى ما يريد بذلك ليطهركم اى لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء مكفر لها او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم
التطهر بالماء وليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم فى الدين او ليتم برخصه اتمامه عليكم بغزارة
لعلكم تشكرون نعمته من لطائف الآية الكريمة انها مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب
وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر
وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليها تطهر الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام
ليتذكركم المنعم وتزعكم فى شكره وميثاقه الذى واثقكم به اى وعده المؤكد الذى اخذه عليكم وقوله تعالى اذ قلتم سمعنا واطعنا
ظرف لواثقكم به او لمحذوف وقع حالًا من الضمير المجرور فى به او ميثاقه اى كائنًا وقت قولكم سمعنا واطعنا وفائدة التقييد به تاكيد وجوب مراعاة
بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذى اخذه الله على المسلمين من بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة
فى حال العسر واليسر والمنشط والمكره وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة وفى بيعة الرضوان واضافته اليه تعالى مع صدوره عنه عليه السلام
لكون المرجع اليه تع كما نطق به قوله تع ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال مجاهد هو الميثاق الذى اخذه الله تعالى على عباده حين
اخرجهم من صلب آدم عليه السلام واتقوا الله اى فى نسيان نعمته ونقض ميثاقه او فى كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيما ذكر دخولًا اوليا
ان الله عليم بذات الصدور اى مخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لاطلاق الصاحب عليها فيجازيكم عليها فما ظنكم بجليات الاعمال
والجملة اعتراض وتعليل للامر بالاتقاء واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة

الفعل
مطهرة ومكفرة مصدران والمراد بهما
اى المطهر والمكفر ولكن ان
بهذا الاسلوب تفيد
المبالغة

موضع بين مكة والمدينة

يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان الشرائع المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم اثر بيان ما يتعلق بانفسهم كونوا قوامين لله
مقيمين لاوامره ممتثلين بها معظمين لها مراعين لحقوقها شهداء بالقسط اي بالعدل ولا يجرمنكم اي ولا يحملنكم شنآن قوم
اي شدة بغضكم لهم على ان لا تعدلوا فلا تشهدوا في حقوقهم بالعدل او فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثل وقذف وقتل نساء
وصبية ونقض عهد تشفيا وغير ذلك اعدلوا هو اي العدل اقرب للتقوى الذي امرتم به صرح لهم بالامر بالعدل وبين انه بمكان
من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان وجوب العدل في حق الكفار بهذه المثابة فما ظنك بوجوبه في حق المسلمين
واتقوا الله اعم بالتقوى اثر ما بين ان العدل اقرب لها اعتناء بشانه وتنبيها على انه ملاك الامر ان الله خبير بما تعملون من الاعمال
فيجازيكم بذلك وكرر هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاول نزل في المشركين وهذا في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة
في الخفاء ناشرة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها واظهار الجلالة لما مر مرات وحيث كان مضمونها مبينا عن الوعد والوعيد عقبا بوعد من وفى بحقها
على طاعة تليق وبالوعيد لمن يخل بها فقيل وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات التي من جملتها العدل والتقوى لهم مغفرة واجر
عظيم حذف ما هي مفعول وعد استغناء عنه بهذه الجملة فانه استئناف مبين له وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب
من القول فكانه قيل وعدهم بهذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا التي من جملتها ما نطقت من النصوص الناطقة بالامر بالعدل
والتقوى اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الآيات اصحاب الجحيم ملابسوها ملابسة مؤبدة من السنة السنية
القرآنية شفع الوعد والوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب ايفاء لحق الدعوة بالتبشير والانذار يا ايها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم تذكير لنعمة الانجاء من الشر اثر تذكير نعمة ايصال الخير الذي هو نعمة الاسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق
بنعمة الله او بمحذوف وقع حالا منها وقوله تعالى اذ هم قوم على الاول ظرف لنفس النعمة وعلى الثاني لما تعلق به عليكم ولا سبيل الى
كونه ظرفا لما ذكروا لتنافي زمانيهما اي اذكروا انعامه تعالى عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم في وقت هممهم ان يبسطوا اليكم ايديهم
اي بان يبطشوا بكم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول للمسارعة الى بيان رجوع ضرر البسط وغائلته اليهم حملا لهم من اول الامر على الاعتداد بنعمة دفعه كما ان تقديم لكم في قوله عز وجل
هو الذي خلق لكم ما في الارض للمبادرة الى بيان كون المخلوق من منافعهم تعجيلا للمسرة فكف ايديهم عنكم عطف على هم وهو النعمة
التي اريد تذكيرها وذكرهم للايذان بوقوعها عند فريد الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها وكظهر ايديهم في موقع
الاضمار لزيادة التقرير اي منع ايديهم ان تمتد اليكم عقيب هممهم بذلك لانه كفها عنكم بعد ما بسطوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث
انهم لم تكن مشوبة بضر الخوف والانزعاج الذي قلما يعرى عنه الكف بعد المد مالا يخفى مكانه وذلك ماروي ان المشركين زاوروا رسول الله
عليه السلام واصحابه بعسفان في غزوة ذي امار وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه عليه السلام فاموا الى الظهر معا فلما صلوا
ندم المشركون الا كانوا قد اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم يعنون صلوة العصر وهموا ان يوقعوا
بهم اذا قاموا اليها فاوحى الله عز شانه اليه بان انزل صلوة الخوف وقيل هو ماروي ان رسول الله عليه السلام اتى بني قريظة وبعث الشيخين
وعلي رضي الله عنهم يستوضعهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطاء يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك
ما سالت فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله تعالى يده ونزل جبريل عم فاخبره
فخرج عليه السلام وقيل هو ماروي انه عليه السلام نزل منزلا وتفرق اصحابه في العضاة يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه شجرة
فجاء اعرابي فاخذه وسله من يمنعك مني فقال م فاسقطه من يده جبريل عم فقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله واتقوا الله عطف على اذكروا اي اتقوه في رعاية حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها او في كل ما تاتون
وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وعلى الله اي عليه تعالى خاصة دون غيره استقلالا او اشتراكا فليتوكل المؤمنون

فانه يكفيهم في كل خير ودفع كل شر والجملة تذييل مقرر لما قبله وايثار صيغة امر الغائب واسنادها الى المؤمنين لايجاب التوكل على
المخاطبين بالطريق البرهاني وللايذان بان ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الايمان داع الى ما امروا به من التوكل والتقوى وازع
عن الاخلال بهما واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل
كلام مستانف مشتمل على ذكر بعض ما صدر عن بني اسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما ادى اليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير المؤمنين
على ذكر نعمة الله ومراعاة حقوق الميثاق الذي واثقهم به وتحذيرهم عن نقضه او لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على تقدير كون ذلك
من بني قريظة حسبما مر من الرواية ببيان ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة
وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب في نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاستئناف المستدعي للانقطاع عما قبله والالتفات في قوله عز وجل
وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا للجري على سنن الكبرياء او لان البعث كان بواسطة موسى عليه السلام كما سياتي وتقديم الجار والمجرور
على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والنقيب فعيل بمعنى فاعل مشتق من النقب وهو التفتيش ومنه قوله تعالى
فنقبوا في البلاد سمي بذلك لتفتيشه عن احوال القوم واسرارهم قال الزجاج النقب وهو النقب الواسع روى ان بني اسرائيل
لما استقروا بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله عز وجل بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال
لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى عم ان ياخذ من كل سبط نقيبا امينا
يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا
من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم بما راوا وقد نهاهم
موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا نقيب سبط يهودا ويوشع بن نون نقيب سبط افرايم بن يوسف الصديق
رضي الله عنه قيل لما توجه النقباء الى ارضهم للتجسس لقيهم عوج بن عوق وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا
وقد عاش ثلاثة آلاف سنة وكان على راسه حزمة حطب فاخذهم وجعلهم في الحزمة وانطلق بهم الى امراته وقال انظري الى هؤلاء
الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا
ففعل فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة رجال او اربعة فلما خرج النقباء قال بعضهم لبعض ان اخبرتم
بني اسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه الا عن موسى وهرون عليهما السلام فيكونان هما يريان رايهما فاخذ
بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا الى موسى عم وكان معهم حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينهى سبطه
عن قتالهم ويخبرهم بما راى الا كالبا ويوشع وكان معسكر موسى فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى الجبل
فقور منه صخرة عظيمة على قدر العسكر ثم حملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور من الصخرة وسطها المحاذي لراسه
فانثقبت فوقعت في عنق عوج وطوقته فصرعته واقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة اذرع وكذا طول العصا فترامى في السماء
عشرة اذرع فما اصاب العصا الا كعبه وهو مصروع فقتله قالوا فاقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى حزوا راسه وقال الله
لبني اسرائيل فقط اذ هم المحتاجون الى ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة وتاكيد ما يتضمنه
الكلام من الوعد اني معكم اي بالعلم والقدرة والنصرة لا بالنصرة فقط فان تنبيههم على علمه تعالى بكل ما ياتون وما يذرون
وعلى كونهم تحت قدرته وملكوته مما يحمل على الجد في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه كانه قيل اني معكم اسمع كلامكم
وارى اعمالكم واعلم ضمائركم فاجازيكم بذلك عدلا وقد قيل المراد بالميثاق الايمان والتوحيد وبالنقباء ملوك بني اسرائيل الذين
ينقبون احوالهم ويلون امورهم بالامر والنهي واقامة العدل وهو الانسب بقوله تعالى لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة
وآمنتم برسلي اي بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف وتاخير الايمان عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع كونهما

ابصاره

او قطع

وعوج بن عنق وعوج الاعور والطويل
وعنق هي ام عوج بن عنق
قاموس
وانسان

وعوج بن عوق بجنبها رجل ولد في منزل آدم
فعاش الى زمن موسى عليه السلام وذكر
من عظم خلقته شناعة قاموس
في الجيم

واسم ام عوج عنق وهي عناق
اول بنات
آدم عليه السلام
لصلبه

من الفروع المترتبة عليه لما انهم كانوا معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم لتكذيب بعض الرسل عليهم السلام ولمراعاة المقارنة بينه وبين
قوله لئن وعزرتموهم اى نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب وقيل التعظيم والتوقير والثناء بخير وقرئ عزرتموهم بالتخفيف
واقرضتم الله بالانفاق في سبيل الخير او بالتصدق بالصدقات المندوبة وقوله عز وعلا قرضا حسنا اما مصدر مؤكد وارد
على غير صيغة المصدر كما في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا او مفعول ثان لاقرضتم على انه اسم للمال المقرض قوله
لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار
عطف على ما قبله داخل معه في حكم الجواب متاخر عنه في الحصول ايضا ضرورة تقدم التخلية على التحلية فمن كفر اى برسلي او بشيء مما عدد
في حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر على بيان من آمن تقوية للترغيب بالترهيب بعد ذلك الشرط المعلق به الوعد المؤكد
الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا منكم متعلق بمضمر وقع حالا من فاعل كفر ولعل تغيير الاسلوب حيث لم يقل وان كفرتم عطفا على الشرطية
الثانية لاخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال واسقاط من كفر عن رتبة الخطاب وليس المراد احداث الكفر بعد الايمان بل ما يعم الاستمرار
عليه ايضا كانه قيل فمن اتصف بالكفر بعد ذلك خلا انه قصد بايراد ما يدل على الحدوث بيان ترقيهم في مراتب الكفر فان
الاتصاف بشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث
فقد ضل سواء السبيل اى وسط السبيل الواضح ضلالا بينا وخطا فاحشا لا عذر معه اصلا بخلاف من كفر قبل ذلك اذ ربما
يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم الباء سببية وما مزيدة لتاكيد الكلام وتمكينه في النفس اى بسبب
نقضهم ميثاقهم المؤكد لا لشيء آخر استقلالا او انضماما لعناهم اى طردناهم وابعدناهم من رحمتنا او مسخناهم قردة وخنازير
او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيصهم البيان بما ذكر مع ان حقه ان يبين بعد بيان تحقق نقض العهد والنقض بان يقال
مثلا فنقضوا ميثاقهم فلعناهم ضرورة تقدم هلية الشيء البسيطة على هليته المركبة للايذان بان تحققهما امر جلي غني عن البيان
وانما المحتاج الى ذلك ما بينهما من السببية والمسببية وجعلنا قلوبهم قاسية بحيث لا تتاثر عن الآيات والنذر وقيل
املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست او خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى صارت كذلك وقرئ قسية وهي اما مبالغة قاسية
واما بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اى ردي اذا كان مغشوشا فانه يبيس وخشونة وقرئ بكسر القاف اتباعا لها بالسين
يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فانه لا مرتبة اعظم مما يصح الاجتراء على تغيير كلام الله
عز وجل والافتراء عليه وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل حال من مفعول لعناهم ونسوا حظا اى تركوا
نصيبا وافرا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل حرفوا التورية وذلت اشياء منها عن حفظهم
عن ابن مسعود رضي قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم اى خيانة على انها
مصدر كلاغية وكاذبة وفعلة خائنة اى ذات خيانة او طائفة خائنة او شخص خائن على ان التاء للمبالغة او نفس خائنة
ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة لها خلا ان من على الوجهين الاولين ابتدائية اى على خيانة او على فعلة خائنة كائنة منهم
صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية تبعيضية والمعنى ان الغدر والخيانة عادة مستمرة لهم ولاسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها
او يكتمونها فلا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم استثناء من الضمير المجرور في منهم على الوجوه كلها وقيل من خائنة
على الوجوه الثلثة الاخيرة اذ المراد بهم الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل من خائنة على الوجه الثاني فالمراد بالقليل
الفعل القليل ومن ابتدائية كما في الاول فعلا قليلا كائنا منهم فاعف عنهم واصفح اى ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا
الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث على الامتثال به وتنبيه على ان العفو
على الاطلاق من باب الاحسان ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم بيان لقبائح النصارى وجناياتهم

قاضى بيضاوى

اثر بيان قبائح اليهود وجناياتهم ومن متعلقة باخذنا اذ التقدير واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم وتقديم الجار والمجرور
للاهتمام به ولان ذكر حال احدى الطائفتين مما يوقع فى ذهن السامع ان حال الاخرى ماذا فكانه قيل ومن الطائفة الاخرى ايضا اخذنا
ميثاقهم وقيل هى متعلقة بمحذوف وقع خبرا لمبتدا محذوف قامت صفته مقامه اى ومنهم قوم اخذنا ميثاقهم او من اخذنا ميثاقهم فضمير
ميثاقهم راجع الى الموصوف المقدر وعلى الوجه الاول فراجع الى الموصول وقيل راجع الى بنى اسرائيل اى اخذنا من هؤلاء ميثاق اولئك
اى مثل ميثاقهم من الايمان بالله والرسل وبما يتفرع على ذلك من افعال الخير وانما نسب تسميتهم نصارى الى انفسهم دون ان يقال ومن النصارى
ايذانا بانهم فى قولهم نحن انصار الله بمعزل من الصدق وانما هو تقول محض منهم وليسوا من نصرة الله تعالى فى شىء او اظهارا لكمال سوء صنيعهم
ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم فان ادعاءهم لنصرته تعالى يستدعى ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه • فنسوا • عقيب اخذ
الميثاق من غير تلعثم • حظا • وافرا • مما ذكروا به • فى تضاعيف الميثاق من الايمان بالله تعالى وغير ذلك كما قررناه آنفا وقيل هو ما كتب
عليهم فى الانجيل من ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا اهواءهم فاختلفوا وتفرقوا نسطورية
ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان • فاغرينا • اى الزمنا والصقنا من غرى بالشىء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء
وقوله تعالى • بينهم • اما ظرف لاغرينا او متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اى اغرينا • العداوة والبغضاء • كائنة بينهم ولا سبيل الى جعله
ظرفا لهما لان المصدر لا يعمل فيما قبله وقوله تعالى • الى يوم القيمة • اما غاية للاغراء او للعداوة والبغضاء اى يتعادون ويتباغضون
الى يوم القيمة حسبما تقتضيه اهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائغة المؤدية الى التفرق الى الفرق الثلث فضمير بينهم لهم خاصة وقيل لهم ولليهود
اى اغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى • وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون • وعيد شديد بالجزاء والعذاب
كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت اى يجازيهم بما عملوه على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به
وسوف لتاكيد الوعيد والالتفات الى ذكر الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة لتشديد الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع للايذان
برسوخهم فى ذلك وعن المجازاة بالتنبئة للتنبيه على انهم لا يعلمون حقيقة ما يعملونه من الاعمال السيئة واستتباعها للعذاب فيكون
ترتيب العذاب عليها فى افادة العلم بحقيقة حالها بمنزلة الاخبار بها • يا اهل الكتاب • التفات الى خطاب الفريقين على ان الكتاب
جنس شامل للتورية والانجيل اثر بيان احوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبائح ودعوة لهم الى الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم
والقرآن وايرادهم بعنوان اهلية الكتاب لانطواء الكلام المصدر به على ما يتعلق بالكتاب وللمبالغة فى التشنيع فان اهلية الكتاب
من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان ما فيه من الاحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم يعلمون • قد جاءكم رسولنا •
الاضافة للتشريف والايذان بوجوب اتباعه وقوله تعالى • يبين لكم • حال من رسولنا وايثار الجملة الفعلية على غيرها للدلالة على تجدد
البيان اى قد جاءكم رسولنا حال كونه مبينا لكم على التدريج حسبما تقتضيه المصلحة • كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب • اى التورية
والانجيل كبعثة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم فى التورية وبشارة عيسى عليه السلام باحمد فى الانجيل وتاخير كثيرا عن الجار والمجرور
لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر لان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما مع الاشعار بكونه
من منافع المخاطب تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها اذا ورد فضل تمكن ولان فى المؤخر ضرب تفصيل ربما يخل تقديمه
بتجاوب اطراف النظم الكريم فان مما متعلق بمحذوف وقع صفة لكثيرا وما موصولة اسمية وما بعدها صلتها والعائد اليها محذوف
ومن الكتاب متعلق بمحذوف هو حال من العائد المحذوف والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم والاخفاء اى يبين
لكم كثيرا مما تخفونه على الاستمرار حال كونه من الذى انتم اهله والمتمسكون به • ويعفو عن كثير • اى لا يظهر كثيرا مما تخفونه اذا لم تدع اليه
داعية دينية صيانة لكم عن زيادة الافتضاح كما ينبئ عنه التعبير عن عدم الاظهار بالعفو وفيه حث لهم على عدم الاخفاء ترغيبا وترهيبا
والجملة معطوفة على الجملة الحالية داخلة فى حكمها وقيل يعفو عن كثير منكم ولا يؤاخذه وقوله تعالى • قد جاءكم من الله نور • جملة مستأنفة

تلعثم الرجل فى الامر اذا تمكث فيه وتأنى وقال الخليل نكل عنه وتبصر فيه جوهرى

النسطورية هم الذين قالوا ان اقنوم العلم اتحد بجسد المسيح بطريق الاشراق كما تشرق الشمس من كوة على المنور • واليعقوبية هم الذين قالوا ان اقنوم العلم المذكور اتحد بجسد المسيح بان صار لحما ودما • والملكانية هم الذين قالوا انتقل اقنوم العلم الى جسد المسيح بناسوتية الخمر بالماء • كذا ز روحى

قوله قد جاءكم من الله نور اى الذى يهتدى به ...
[illegible]
[illegible]

لبيان ان فائدة مجئ الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل له منافع مالا يحصى ومن الله متعلق بجاء ومن للابتداء
الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من نور وآيا ما كان فهو تصريح بما يشعر به اضافة الرسول من مجيئه من جنابه عز وجل وتقديم الجار والمجرور
على الفاعل للمسارعة الى بيان كون المجئ من جهته العالية والتشويق الى المجائ وللاذان فيه نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم
كما في قوله تعالى وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وتنوين نور للتفخيم والمراد به وبقوله تعالى وكتاب مبين القرآن لما فيه من كشف
ظلمات الشرك والشك وابانة ما خفي على الناس من الحق او الاعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات او قيل المراد
بالاول هو الرسول صلى الله عليه وسلم وبالثاني القرآن يهدي به الله توحيد الضمير المجرور لرعاية لفظ من والمرجع بالذات او لكونهما في حكم الواحد او يريد
يهدي باذكره وتقديم الجار والمجرور للاهتمام واظهار الجلالة لاظهار كمال الاعتناء باظهار الهداية ومحل الجملة الرفع على انها صفة ثانية لكتاب او النصب
على الحالية منه لتخصصه بالصفة من اتبع رضوانه اي رضاه بالايمان به ومن موصولة او موصوفة سبل السلام اي طرق السلامة من العذاب
والنجاة من العقاب او سبل الله تعالى وهو شريعته التي شرعها للناس قيل هو مفعول ثان ليهدي والحق ان انتصابه بنزع الخافض على طريقة
قوله تعالى واختار موسى قومه والتعدي الى الثاني بالي او باللام كما في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويخرجهم الضمير لمن والجمع
باعتبار المعنى كما ان الافراد في اتبع باعتبار اللفظ من الظلمات اي من ظلمات فنون الكفر والضلال الى النور الى الايمان باذنه
اي بتيسيره او بارادته ويهديهم الى صراط مستقيم هو اقرب الى الله تعالى مؤد اليه لا محالة وهذه الهداية غير الهداية الى سبل السلام
وانما عطفت عليها تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا
ونجيناهم من عذاب غليظ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم لله لا غير كما يقال الكرم هو التقوى وهم اليعقوبية القائلون
بانه تعالى قد يحل في بدن انسان معين او في روحه وقيل لم يصرح به احد منهم لكن حيث اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة
وقد اعترفوا ان الله تعالى موجود فلازم قولهم القول بانه المسيح لا غير وقيل لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا الاله واحد لزمهم
ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل اي تبكيتا لهم واظهارا لبطلان قولهم الفاسد
والفاء لما لهم الجر والفاء في قوله تعالى فمن يملك من الله شيئا فصيحة ومن استفهامية للانكار والتوبيخ والملك الضبط والحفظ
التام عن خزم ومن متعلقة به على حذف المضاف اي ان كان الامر كما تزعمون فمن يمنع قدرته تعالى واراداته شيئا وحقيقته فمن يستطيع
ان يمسك شيئا منها ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا ومن حق من يكون الها ان يتعلق به
ولا يشأن من شؤونه بل بشئ من الموجودات قدرته بوجه من الوجوه فضلا عن ان يعجز عن دفع شئ منها عند تعلقها بهلاكه
فلما كان عجزه بينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل مما نقولوا في حقه والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقا لا بطريق السخط
والغضب واظهار المسيح على الوجه الذي نسبوا اليه الالوهية في مقام الاضمار لزيادة التقرير والتنصيص على ان من ملك الحيثية بعينها
داخل تحت قهره وملكوته تعالى ونفي الملكية المذكورة بالاستفهام الانكاري عن كل احد مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح
فقط بان يقال فهل يملك شيئا ما لله ان اراد الخ لتحقيق الحق بنفي الالوهية عن كل ما عداه سبحانه واثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني
فان انتفاء الملكية المستلزم لانتفاء الالوهية قطعا وتعميم ارادة الاهلاك للكل مع حصول ما ذكر من التحقيق بتصريحه عليه بان يقال فمن يملك
من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح وامه ومن في الارض وقد اهلك امه فهل مانعه احد فكذا حال من عداهما ولله ملك السموات والارض

آخر الجزء ثلاثين وثلاثمائة

آخره الخوم بالزاء المعجمة الزيادة

ان اراد مح

وما بينهما اى ما بين قطرى العالم الجسمانى لا بين وجه الارض وتقعر فلك القمر فقط فيتناول ما فى السموات من الملائكة وما فى اعماق الارض
والبحار من المخلوقات تنصيص على كون الكل تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة الى كون البعض اعنى الارض كذلك اى له تعالى وحده ملك
جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة لا لاحد سواه استقلالا ولا اشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الالوهية
به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل ما سواه وقوله تعالى يخلق ما يشاء جملة مستأنفة مسوقة لبيان بعض احكام الملك والالوهية على وجه يزيح ما اعتراهم
من الشبهة فى امر المسيح لولادته من غير اب وخلق الطير واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص اى يخلق ما يشاء من انواع الخلق والايجاد على ان ما
نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كأنه قيل يخلق اى خلق يشاؤه فتارة يخلق من غير اصل كخلق السموات والارض واخرى
من اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء او انثى وحدها
كخلق عيسى عم او منهما كخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شيء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى
معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب كله اليه تعالى لا الى من اجرى ذلك على يده والله على كل شيء قدير
اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله والاظهار فى موقع الاضمار لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وقالت اليهود والنصارى نحن
ابناء الله واحباؤه حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن احدهما وبيان بطلانه
اى قالت اليهود نحن اشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن اشياع ابنه المسيح كما قيل لاشياع ابى خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون
وكما يقول اقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك وقال ابن عباس رض ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين
الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا به ونحن ابناء الله واحباؤه وقيل ان النصارى يتلون فى الانجيل ان المسيح
قال لهم انى ذاهب الى ابى وابيكم وقيل ارادوا ان الله تعالى كالاب لنا فى الحنو والعطف ونحن كالابناء له فى القرب والمنزلة
وبالجملة انهم كانوا يدعون ان لهم فضلا ومزية عند الله تعالى على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل
اى الزاما لهم وتبكيتا فلم يعذبكم بذنوبكم اى ان صح ما زعمتم فلاى شيء يعذبكم فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه
تعالى سيعذبكم فى الآخرة بالنار اياما معدودة ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع
وقوله تعالى بل انتم بشر عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى لستم كذلك بل انتم بشر ممن خلق اى من جنس من خلقه الله تعالى
من غير مزية لكم عليهم يغفر لمن يشاء ان يغفر له من اولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا به تعالى وبرسله مثلكم ولله ملك السموات
والارض وما بينهما من الموجودات لا ينتمى اليه سبحانه شيء منها الا بالمملوكية والعبودية والمقهورية تحت ملكوته يتصرف فيه كيف يشاء
ايجادا واعداما واحياء واماتة واثابة وتعذيبا فانى لهم ادعاء ما زعموا واليه المصير فى الآخرة خاصة لا الى غيره لا
استقلالا ولا اشتراكا فيجازى كلا من المحسن والمسيء بما يستدعيه عمله من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه يا اهل الكتاب
تكرير للخطاب بطريق الالتفات ولطف فى الدعوة قد جاءكم رسولنا يبين لكم حال من رسولنا وايثاره على مبينا لما مر فيما سبق
اى يبين لكم الشرائع والاحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بين فى الآيات السابقة بطلان اقاويلكم الشنيعة وما
سيأتى من اخبار الامم السالفة وانما حذف تعويلا على ظهور ان مجيء الرسل انما هو لبيانها او يفعل لكم البيان ويبذله لكم فى كل ما تحتاجون فيه الى
البيان من امور الدين واما تقدير مثل ما سبق فى قوله تعالى كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كما قيل فمع كونه تكريرا من غير طائل يرده
قوله عز وجل على فترة من الرسل فان فتور الارسال وانقطاع الوحى انما يحوج الى الشرائع والاحكام لا الى بيان ما كتموه
على فترة متعلق بجاءكم على الظرفية كما فى قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان اى جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع
من الوحى ومزيد احتياج الى بيان الشرائع والاحكام الدينية او بمحذوف وقع حالا من ضمير يبين او من ضمير لكم ما ذكر حال كونه على فترة
من الرسل او حال كونكم عليها احوج ما كنتم الى البيان ومن الرسل متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة اى كائنة من الرسل مبتدأة من جهتهم

وقوله تعالى • أن تقولوا • تعليل للمجئ أو الرسول بالبيان على حذف المضاف اى كراهة أن تقولوا معتذرين عن تفريطكم فى مراعاة احكام الدين • ما جاءنا من بشير ولا نذير • وقد انطمست آثار الشرائع السابقة وانقطعت اخبارها وزيادة من فى الفاعل للمبالغة فى نفى المجئ وتنكير بشير ونذير للتقليل وهذا كما ترى يقضى بان المقدر او المنوى فيما سبق هو الشرائع والاحكام لا كيفما كانت بل مشفوعة بما ذكر من الوعد والوعيد وقوله تعالى • فقد جاءكم بشير ونذير • متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة وتبين انه معلل به وتنوين بشير ونذير للتفخيم اى لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم بشير اى بشير ونذير اى نذير • والله على كل شئ قدير • فيقدر على الارسال تترى كما فعله بين موسى وعيسى حيث كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبى وعلى الارسال بعد الفترة كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما السلام حيث كان بينهما ستمائة او خمسمائة وضع وستون سنة او خمسمائة وست واربعون سنة واربعة انبياء على ما روى الكلبى ثلثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسى • وقيل • لم يكن بعد عيسى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بان تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضى دهر طويل بعد انقطاع الوحى اليهم اشد تشوقا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب الى الرحمة وبالجملة الحجة فلا تقولوا عذرا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم • واذ قال موسى لقومه • جملة مستانفة مسوقة لبيان ما فعلت بنو اسرائيل بعد اخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفية نقضهم له وتعلقه بما قبله من حيث انه مذكر فيه من الامور التى وصف النبى صلى الله عليه وسلم ببيانها ومن حيث اشتماله على انشاء فترة الرسل فيما بينهم واذ منصوب على انه مفعول لفعل مقدر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب • وصرفه عن اهل الكتاب • ليعدد عليهم ما صدر عن بعضهم من الجنايات اى واذكر لهم وقت قول موسى عم لقومه ناصحا لهم ومستمليا لهم باضافتهم اليه • يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم • وتوجيه الامر بالذكر الى الواجب دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصود بالذات للمبالغة فى ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهانى ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه تفصيلا فاذا احضر كان وقوع ما وقع فيه حاضرا بتلك المثابة مشاهدا عيانا • وعليكم متعلق بنفس النعمة اذا جعلت مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها اذا جعلت اسما اى اذكروا انعامه عليكم فى وقت جعله فيما بينكم من اقربائكم انبياء ذوى عدد كثير • واولى شان خطير • حيث لم يبعث من امة من الامم ما بعث من بنى اسرائيل من الانبياء • وجعلكم ملوكا • عطف على جعل فيكم داخل فى حكمه اى جعل فيكم او منكم ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء وانما حذف الظرف تعويلا على ظهور الامر او جعل الكل فى مقام الامتنان عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يتولون عند المفاخرة نحن الملوك وانما لم يسلك ذلك المسلك فيما قبله لما ان منصب النبوة من عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال ليس بحيث يليق ان ينسب اليه ولو مجازا من ليس ممن اصطفاه له • قيل • كانوا ملوك مصر يخدمون ابدى الاقباط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا • وقيل • الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار • وقيل • من له بيت وخدم • وقيل • من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق • وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين • من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله تعالى من الامور العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم • وقيل • من عالمى زمانهم • يا قوم ادخلوا الارض المقدسة • كرر النداء بالاضافة التشريفية اهتماما بشان الامر ومبالغة فى حثهم على الامتثال به والارض هى ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين • وقيل • هى الطور وما حوله • وقيل • دمشق وفلسطين وبعض الاردن • وقيل • هى الشام • التى كتب الله لكم • اى كتب فى اللوح انها تكون مساكنكم ان آمنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم وقوله تعالى • ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين • فان ترتب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الايمان والطاعة قطعا اى لا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة والجبار والجور متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ترتدوا او بجوزان يتعلق بنفس الفعل • قيل • لما سمعوا الهائل

قوله تترى مصدر كتقوى والالف فيه بدل من الواو لان اصله وترى وهو فعلى من الوتر

قال اهل المعانى الارتداد على قسمين قسم على سبيل البتة كما اقامة العبد وذلك يوجب عقوبة تنفى بالقتل وقسم على الطريقة واقامة الارادة وذلك يوجب عقوبة التعذيب بالفراق والبعد على الكمال

مجمع اللطائف

من النقباء بكوا وقالوا يا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل لنا راسا ينصرف بنا الى مصر اولا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى
وقوله تعالى فتنقلبوا اما مجزوم عطفا على لا ترتدوا او منصوب عطفا على جواب النهي والخسران خسران الدين والدنيا لا سيما دخول ما كتب لهم
قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق الكلام كأنه قيل فماذا قالوا بمقابلة امره عم ونهيه فقيل قالوا غير ممتثلين بذلك يا موسى
ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى منازعتهم ولا يتسنى مناصبتهم والجبار العاتي الذي يجبر الناس ويقسرهم كائنا ما كان فعال
من جبره على الامر اي اجبره عليه وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها فان يخرجوا
منها بسبب من الاسباب التي لا تعلق لنا بها فانا داخلون حينئذ اتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما مما سبق من توقيت عدم
الدخول بخروجهم منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على ان امتناعهم من دخولها ليس الا لمكانهم فيها واتوا في الجزاء بالجملة الاسمية المصدرة
بحرف التحقيق دلالة على تقرر الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة واظهارا لكمال الرغبة فيه وفي الامتثال بالامر قال رجلان
استئناف كما سبق كأنه قيل هل اتفقوا على ذلك او خالفهم البعض فقيل قال رجلان من الذين يخافون اي يخافون الله تعالى دون العدو
ويتقونه في مخالفة امره ونهيه وبه قرأ ابن مسعود رض وقيل تعريض بان من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو وقيل من الذين
يخافون العدو اي منهم في النسب لا في الخوف وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا من النقباء وقيل هما رجلان من الجبابرة واسلما
وصارا الى موسى عليه السلام فالواو حينئذ لبني اسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة والعائد محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل
ويعضده قراءة من قرأ يخافون على صيغة المبني للمفعول اي المخوفين وعلى الاولين يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله تعالى
بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما اي بالتثبيت وربط الجاش والوقوف على شؤونه تعالى والثقة بوعده او بالايمان وهو صفة
ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من الضمير في يخافون او من رجلان لتخصصه بالصفة اي قالا مخاطبين لهم ومشجعين ادخلوا عليهم الباب
اي باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لان المقصود انما هو دخول الباب وهم في بلدهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم
من البروز الى الصحراء لئلا يجدوا للحرب مجالا فاذا دخلتموه اي باب بلدهم وهم فيه فانكم غالبون من غير حاجة الى القتال
فانا قد رأيناهم وشاهدنا ان قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسادهم عظيمة فلا تخشوهم واهجموا عليهم في المضايق فانهم لا يقدرون فيها
على الكر والفر وقيل انما حكما بالغلبة لما علما من جهة موسى عم ومن قوله تعالى كتب الله لكم او لما علما من سنته تعالى في نصرة رسله وما عهدا
من صنعه لموسى عم من قهر اعدائه والاول انسب بتعليق الغلبة بالدخول وعلى الله تعالى خاصة فتوكلوا بعد ترتيب الاسباب
ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل من التأثير وما النصر الا من عند الله العزيز القدير ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به تعالى مصدقين لوعده فان ذلك
مما يوجب التوكل عليه حتما قالوا استئناف كما سبق اي قالوا غير مبالين بهما وبمقالتهما مخاطبين لموسى عم اظهارا لاصرارهم على القول
الاول وتصريحا بمخالفتهم له عم يا موسى انا لن ندخلها اي ارض الجبابرة فضلا عن دخول بابهم وهم في بلدهم ابدا اي دهرا
طويلا ما داموا فيها اي في ارضهم وهو بدل من ابدا بدل البعض وعطف بيان فاذهب الفاء فصيحة اي فاذا كان الامر كذلك
فاذهب انت وربك فقاتلا اي فقاتلاهم انما قالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله وعدم مبالاة بهما
وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبئ عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل ارادتهما وقصدهما كما تقول كلمته فذهب يجيبني كأنهم قالوا
فاريدا قتالهم واقصداهم وقيل التقدير فاذهب انت وربك يعينك ولا يلائمه قوله تعالى فقاتلا ولم يذكروا هرون ولا الرجلين كأنهم
لم يجزموا بذهابهم او لم يعبؤوا بقتالهم وقوله تعالى انا هاهنا قاعدون يؤيد الوجه الاول واراد بذلك عدم التقدم لا عدم التأخر قال
لما رأى منهم ما رأى من العناد على طريقة البث والحزن والشكوى الى الله تعالى مع رقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة
رب اني لا املك الا نفسي واخي عطف على نفسي وقيل على الضمير في اني على معنى اني لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه
وقيل على الضمير في لا املك للفصل فافرق بيننا يريد نفسه واخاه والفاء لترتيب الفرق والدعاء به على ما قبله وبين القوم الفاسقين

اي الايمان به تعالى

مدارك

مدارك

الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك بأن تحكم لنا بالسخطة وعليهم بما يستحقونه **وقيل** بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم **قال** فانها
اى الارض المقدسة والفاء لترتيب ما بعد ما على ما قبلها من الدعاء **محرمة عليهم** تحريم منع لا تحريم تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها لان كتابتها
لهم كانت مشروطة بالايمان والجهاد وحيث نكصوا على ادبارهم حرموا ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله تعالى **اربعين سنة** ان جعل ظرفا للتحريم يكون
التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون مخالفا لظاهر قوله تعالى كتب الله لكم فانه يراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم فى هذه المدة لكن لا بمعنى
ان كلهم يدخلونها بعد ما بل بعضهم ممن بقى سيما **روى** ان موسى عم سار بمن بقى من بنى اسرائيل الى اريحا وكان يوشع بن نون على مقدمته
ففتحها واقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبضه الله عم **وقيل** لم يدخلها احد ممن قال لن يدخلها ابدا وانما دخلها مع موسى عم الناشئ من ذرياتهم فالوقت
بالاربعين فى الحقيقة تحريمها على ذرياتهم وانما جعل تحريما عليهم لما بينهما من العلاقة لان مناط الحكم وقوله تعالى **يتيهون فى الارض**
اى يتحيرون فى البرية استئناف لبيان كيفية حرمانهم او حال من ضمير عليهم **وقيل** الظرف متعلق بيتيهون فيكون التيه موقتا والتحريم مطلقا
وقيل كانوا ستمائة الف مقاتل وكان طول البرية تسعين فرسخا وقد تاهوا فى ستة فراسخ او تسعة فراسخ فى ثلثين فرسخا **وقيل** فى ستة
فراسخ فى اثنى عشر فرسخا **روى** انهم كانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا امسوا اذا بهم حيث ارتحلوا وكان الغمام يظلهم من حر
الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضئ لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا يطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان على ثوبه الظفر يطول بطوله
وهذه الامور الثلثة عليهم مع انهم معاقبون لما ان عقابهم كان بطريق التوبيخ والتاديب **فصل** كان موسى وهرون معهم ولكن كان
ذلك لهما روحا وسلامة كالنار لابراهيم وملائكة العذاب عليهم السلام **قيل** ان هرون مات فى التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل
يوشع اريحا بعد موته بثلثة اشهر ولا يأباه ظاهر النظم الكريم فانه تعالى بعد ما قبل دعوته على بنى اسرائيل وعذبهم بالتيه يعيد ان ينجى
بعض المدعو او ذراريهم ويقدر وفاتهما فى محل العقوبة ظاهرا وان كان ذلك لهما منزل روح وراحة **وقد قيل** انهما لم يكونا معهم
فى التيه وهو الانسب بتغيير السياق بالمباعدة ومن قال بانهما كانا معهم فيه فقد فسر السوق باذكر من الحكم ما يستحقه كل فريق فلا تأس
فلا تحزن **على القوم الفاسقين** **روى** انه عم ندم على دعائه عليهم فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فانهم احقاء بذلك لفسقهم
واتل عليهم عطف على مقدر يتعلق به قوله تعالى واذ قال موسى الخ وتعلقه به من حيث انه تمهيد لما سيأتى من جنايات بنى اسرائيل
بعد ما كتب عليهم ما كتب وجاءتهم الرسل بما جاءت به من البينات **نبأ ابنى آدم** هما قابيل وهابيل ونقل عن الحسن والضحاك انهما كانا
من بنى اسرائيل بقرينة آخر القصة وليس كذلك اوحى الله عز وجل الى آدم ان يزوج كلا منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل اجمل
واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط وزعم ان ذلك ليس من عند الله تعالى بل من جهة آدم عم فقال لهما رم قربانا فمن تكما قبل
تزوجها ففعلا فنزلت نار على قربان هابيل فاكلته ولم تتعرض لقربان قابيل فازداد قابيل حسدا وسخطا وفعل ما فعل **بالحق**
متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف اى تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او حال من فاعل اتل او من مفعوله اى ملتبسا انت
اونباء هما بالحق والصدق حيا تقرر فى كتب الاولين **اذ قربا قربانا** منصوب بالنبأ ظرفا لما اى اتل قصتهما ونبأهما فى ذلك الوقت
وقيل بدل منه على حذف المضاف اى اتل عليهم نبأهما بناء ذلك الوقت **ورد عليه** بان اذ لا يضاف اليها غير الزمان كوقتئذ وحينئذ
والقربان اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من نسكة وصدقة كالحلوان اسم لما يحلى اى يجلى وتوحيده لما انه فى الاصل مصدر **وقيل**
تقديره اذ قرب كل منهما قربانا **فتقبل من احدهما** هو هابيل **قيل** كان هو صاحب ضرع وقرب حملا سمينا فنزلت نار فاكلته
ولم يتقبل من الآخر هو قابيل **قيل** كان صاحب زرع وقرب اردأ ما عنده فلم تتعرض له النار اصلا **قال** استئناف مبنى
على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه فقيل قال لاخيه لتضاعف سخطه وحسده باظهر فضله عليه
عند الله تعالى **لاقتلنك** اى والله لاقتلنك بالنون المشددة وقرئ بالمخففة **قال** استئناف كما قبله اى قال الذى تقرب قربانه
لما رأى ان حسده لقبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه **انما يتقبل الله** اى التوبان **من المتقين** لا من غيرهم وانما تقبل

قربانی وردّ قربانك لِمَا فينا من التقوى وعدمه اي انما اوتيت من قبل نفسك لا من قبل نفسي فلم تقتلني خلا انه لم يصرح بذلك
بل سلك مسلك التعريض حذاراً من تهييج غضبه وحملاً له على التقوى والاقلاع عما نواه ولذلك اسند الفعل الى الاسم الجليل لتربية
المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعي سكون غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال بطريق التوكيد لئن بسطت الي يدك لتقتلني
ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك حيث صدّر بالّلام الموطئة للقسم وقدّم الجار والمجرور على المفعول الصريح ايذاناً
من اول الامر برجوع ضرر البسط وغائلته اليه ولم يجعل جواب القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما في جملة الشرط
بل اسمية مصدرة بما الحجازية المفيدة لتأكيد النفي بما في خبرها من الباء للمبالغة في اظهار براءته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفي البسط
كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين وقوله وما هم بخارجين منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية
تدل بمعونته على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد
بالدوام فيرفع قيده اي والله لئن باشرت قتلي حسبما اوعدتني به وتحقق ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات ثم علل
ذلك بقوله إني أخاف الله رب العالمين وفيه من ارشاد قابيل الى خشية الله تعالى على ابلغ وجه وآكده ما لا يخفى كأنه قال
اني اخافه تعالى ان بسطت يدي اليك لاقتلك ان يعاقبني وان كان ذلك مني لدفع عدوانك عني فما ظنك بحالك وانت البادئ العادي
وفي وصفه تعالى بربوبية العالمين تأكيد للخوف قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم من الله تعالى لان القتل للدفع
لم يكن مباحاً حينئذ وقيل تحرياً لما هو الافضل حسبما قال صلى الله عليه وسلم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل
ويأباه التعليل بخوفه تعالى الا ان يدعى ان ترك الاولى عنده بمنزلة المعصية في استتباع الغائلة مبالغة في التنزه وقوله تعالى إني أريد
أن تبوء بإثمي وإثمك تعليل آخر لامتناعه عن المعارضة على انه غرض متأخر عنه كما ان الاول باعث متقدم عليه وانما لم يعطف
عليه تنبيهاً على كفاية كل منهما في العلية والمعنى اني اريد باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك ان ترجع باثمي اي بمثل اثمي
لو بسطت يدي اليك وباثمك ببسط يدك الي كما في قوله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم اي على البادي
عين اثمه ومثل اثم صاحبه بحكم كونه سبباً وقيل معنى باثمي اثم قتلي ومعنى باثمك اثمك الذي لاجله لم يتقبل قربانك وكلاهما
نصب على الحالية اي ملتبساً حاملاً لهما ولعل مراده بالذات انما هو عدم ملابسته للاثم لا ملابسة اخيه له وقيل المراد بالاثم عقوبته
ولا ريب في جواز ارادة عقوبة العاصي ممن علم انه لا يرعوي عن المعصية اصلاً ويأباه قوله عز وجل فتكون من اصحاب النار
فان كونه منهم انما يترتب على رجوعه بالاثمين لا على ابتلائه بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع آخر يترتب عليها العقوبة النارية يرده قوله تعالى
وذلك جزاء الظالمين فانه صريح في ان كونه من اصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولقد سلك في صرفه
عما نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب اخرى فما اورثه ذلك الا الاصرار على الغي والانهماك في الغواية
فطوعت له نفسه قتل اخيه اي وسعته وسهلته من طاع له المرتع اذا اتسع وترتيب التطويع على ما حكي من مقالات هابيل مع تحققه قبلها
ايضاً كما يفصح عنه قوله لاقتلنك لما ان بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله من الدواعي القوية وان كان استمراراً عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة
امر حادث وصنع جديد كما في قولك وعظته فلم يتعظ او لان هذه المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على تردده في قدرته
على القتل لما انه كان اقوى منه وانما حصلت بعد وقوفه على استسلام هابيل وعدم معارضته له والتعرض باخوته لكمال تقبيح ما سولته نفسه
وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كأنه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك
حفظت لزيد ماله فقتله قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل له ابليس واخذ طائراً ووضع رأسه على حجر ثم شدخها بحجر آخر
فتعلم منه ورضخ رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصي عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة
واختلف في موضع قتله فقيل عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وقيل في جبل بوذ ولما قتله تركه بالعراء

اي علة غائية

رد للقاضي البيضاوي

طوع بمعنى ...

اي المفازة

لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره اربعين يوما وقيل سنة حتى اروح وعكفت عليه الطيور والسباع اي انتفخ
تنظر متى يرمي به فتأكله • فاصبح من الخاسرين • دينا ودنيا • فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه
يروى انه تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة فالقاه فيها والمستكن في يريه لله تعالى
او للغراب واللام على الاول متعلقة ببعث حتما وعلى الثاني بيبحث ويجوز تعلقها ببعث ايضا وكيف حال من ضمير يواري والجملة ثاني
مفعولي يرى والمراد بسوءة اخيه جسد الميت • قال • استيناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فماذا قال عند مشاهدة
حال الغراب فقيل قال • يا ويلتى • هي كلمة جزع وتحسر والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة
الهلكة • اعجزت ان اكون • اي عن ان اكون • مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي • تعجب من عدم اهتدائه الى ما اهتدى اليه
الغراب وقوله فاواري بالنصب عطف على اكون وقرئ بالرفع اي فانا اواري • فاصبح من النادمين • اي على قتله لما كابد فيه
من التحير في امره وحمله على رقبته مدة طويلة وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه
وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم بعده مائة سنة لا يضحك وقيل لما قتل قابيل هابيل هرب الى عدن من ارض اليمن
فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدمها ويعبدها فان عبدتها ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار
فعبدها وهو اول من عبد النار • من اجل ذلك • شروع فيما هو المقصود بتلاوة النبأ من بيان بعض آخر من جنايات بني اسرائيل
ومعاصيهم وذلك اشارة الى عظم شأن القتل وافراط قبحه المفهومين مما ذكر في تضاعيف القصة من استعظام هابيل له
وكمال اجتنابه عن مباشرته وان كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لان يقتل خوفا من عقابه وبيان استتباعه لتحمل
القاتل لاثم المقتول ومن كون قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين دينهم ودنياهم ومن ندامته على فعله مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة
وقساوة القلب والاجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كما في قولهم من جراك فعلته اي من ان جررته
وجنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقرئ من اجل بكسر الهمزة وهي لغة فيه وقرئ من اجل بفتح الهمزة والقاء فتحها على النون ومن
لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى • كتبنا على بني اسرائيل • وتقديمها عليه للقصر اي من ذلك ابتدأ الكتب ومنه نشأ لا من شيء آخر
اي قضينا عليهم وبينا • انه من قتل نفسا • واحدة من النفوس • بغير نفس • اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص •
او فساد في الارض • اي فساد يوجب اهدار دمها وهو عطف على ما اضيف اليه غير على معنى نفي كلا الامرين معا كما في قولك من صلى
من غير وضوء او تيمم بطلت صلوته لا نفي احدهما كما في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته ومدار الاستعمالين اعتبار ورود
النفي على ما يستفاد من كلمة او من الترديد بين الامرين المبني على التخيير والاباحة واعتبار العكس ومناط الاعتبارين اختلاف حال المضاف
اليه غير من الامرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقق احدهما واشتراطه بتحققهما معا ففي الاول يرد النفي على الترديد الواقع بين الامرين
قبل وروده فيفيد نفيهما معا وفي الثاني يرد الترديد على النفي فيفيد نفي احدهما حتما اذ ليس قبل ورود النفي ترديد حتى يتصور عكسه
وتوضيحه ان كل حكم شرط بتحقق احد شيئين مثلا فنقيضه مشروط بانتفائهما معا وكل حكم شرط بتحققهما فنقيضه مشروط بانتفاء
احدهما ضرورة ان نقيض كل شيء مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب الجزئي كما في الحكم الاول هو السلب الكلي
ونقيض الايجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب الجزئي فثبت اشتراط نقيض الاول بانتفائهما معا واشتراط نقيض الثاني
بانتفاء احدهما ولما كان الحكم في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم صحت صلوته مشروطا بتحقق احدهما مبهما كان نقيضه في قولك
من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور البتة هو انتفاؤهما معا فتعين ورود النفي المستفاد من غير
على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة او فانتفى تحققهما معا ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم وعلى هذا يدور ما قالوا انه
اذا قيل جالس العلماء او الزهاد ثم ادخل عليه لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو ولا تطع منهم آثما او كفورا اذ المعنى لا تفعل احدهما

فإنهما فعله فهو أحدهما وأما قولك من صلى بوضوء وثوب صحت صلاته فحيث كان الحكم فيه مشروطا بتحقق كلا الأمرين معا كان نقيضه
في قولك من صلى بغير وضوء أو ثوب بطلت صلاته مشروطا بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء أحدهما فتعين ورود الترديد على النفي
فأفاد نفي أحدهما ولا يخفى أن إباحة القتل مشروطة بأحد ما ذكر من القتل والفساد وفي ضرورة اشتراط حرمته بانتفائهما معا فتعين ورود النفي
على الترديد لا محالة كأنه قيل من قتل نفسا بغير أحدهما فكأنما قتل الناس جميعا فمن قال في تفسيره أو بغير فساد فقد أبعد عن توفية
النظم الكريم حقه وما في كأنما كافة مهيئة لوقوع الفعل بعدها وجميعا حال من الناس أو تأكيد ومناط التشبيه اشتراك الفعلين في هتك
حرمة الدماء والاستعصاء على الله تعالى وتجسير الناس على القتل وفي استتباع القود واستجلاب غضب الله تعالى وعذابه العظيم ومن أحياها
أي تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل أو الفساد في الأرض إما بنهي قاتلها عن قتلها أو استنقاذها من سائر أسباب الهلكة
بوجه من الوجوه فكأنما أحيا الناس جميعا ووجه التشبيه ظاهر والمقصود تهويل أمر القتل وتفخيم شأن الإحياء بتصوير كل منهما
بصورة لائقة به في إيجاب الرهبة والرغبة ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشأن المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره إلى الأذهان
عند ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرره بعده في الذهن فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا
لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كأنه قيل إن الشأن الخطير هذا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات جملة مستقلة غير معطوفة
على كتبنا أكدت بالتوكيد القسمي وحرف التحقيق لكمال العناية بتحقيق مضمونها وإنما لم يقل ولقد أرسلنا إليهم رسلنا الخ للتصريح بوصول
الرسالة إليهم فإنه أدل على تناهيهم في العتو والمكابرة أي وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما أرسلناهم بالآيات الواضحة الناطقة
بتقرير ما كتبنا عليهم تأكيدا لوجوب مراعاته وتأييدا لتحتم المحافظة عليه ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك أي بعد ما ذكر من الكتب
وتأكيد الأمر بإرسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد أخرى ووضع اسم الإشارة موضع الضمير للإيذان بكمال تميزه وانتظامه
بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإيماء إلى علو درجته وبعد منزلته في عظم الشأن وثم للتراخي في الرتبة
والاستبعاد في الأرض متعلق بقوله تعالى لمسرفون وكذا الظرف المتقدم ولا يقدح فيه توسط اللام بينه وبينها لأنه لام
الابتداء وحقها الدخول على المبتدأ وإنما دخولها على الخبر لمكان إن فهي في حيزها الأصلي حكما والإسراف في كل أمر التباعد عن حد
الاعتدال مع عدم مبالاة به أي مسرفون في القتل غير مبالين به ولما كان إسرافهم في أمر القتل مستلزما لتفريطهم في شأن الإحياء وجودا
أو ذكرا وكان هو أقبح الأمرين وأفظعهما اكتفى بذكره في مقام التشنيع إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله كلام مستأنف
سيق لبيان حكم نوع من أنواع القتل وما يتعلق به من الفساد بأخذ المال ونظائره وتعيين موجبه العاجل والآجل إثر بيان عظم
شأن القتل بغير حق وأدرج فيه بيان ما أشير إليه إجمالا من الفساد المبيح للقتل قيل أي يحاربون رسوله وذكر الله تعالى للتمهيد
والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل ومحاربة أهل شريعته وسالكي طريقته من المسلمين محاربة له عليه السلام فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد أعصار
بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لأن ورود النص ليس بطريق المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج
في تعميمه لغيرهم إلى دليل آخر وقيل جعل محاربة المسلمين محاربة لله تعالى ورسوله تعظيما لهم والمعنى يحاربون أولياءهما وأصل الحرب السلب
والمراد هاهنا قطع الطريق وقيل المكابرة بطريق اللصوصية وإن كانت في مصر ويسعون في الأرض عطف على يحاربون
والجار متعلق به وقوله تعالى فسادا إما مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون أي مفسدين أو مفعول له أي للفساد أو مصدر
مؤكد ليسعون لأنه في معنى يفسدون على أنه مصدر من أفسد بحذف الزوائد أو اسم مصدر قيل نزلت الآية في قوم هلال بن
عويمر الأسلمي وكان وادعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن أتاه من المسلمين فهو آمن لا يهاج ومن مر
بهلال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الإسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال
يومئذ شاهدا فقطعوا عليهم وقتلوهم وأخذوا أموالهم وقيل نزلت في العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من أهل الكتاب

بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وافسدوا في الارض ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون اخذ المال ومن القتل مع اخذه واخذه بدون قتل ومن الاخافة بدون قتل واخذ شرع لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل • أن يقتلوا • اى حدا من غير صلب ان اريد القتل لو عفا الاولياء لان العفو الى ذلك لانه حق الشرع ولا فرق بينهما يكون القتل بآلة خارجة اولا • او يصلبوا • اى مع القتل ان جمعوا بين الاخذ والقتل بان صلبوا احياء ويخلى بطونهم يرمح الى ان يموتوا او في ظاهر الرواية ان الامام مخير ان شاء اكتفى بذلك وان شاء قطع ايديهم وارجلهم من خلاف قتلهم وصلبهم وصيغة التفعيل في الفظيع للتكثير وقرئ بالتخفيف فيهما • او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف • اى ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اقتصروا على اخذ المال من مسلم او ذمي وكان القطع من حيث لو قسم عليهم اصاب كلا منهم عشرة دراهم ومايا وبها قيمته اما قطع ايديهم فلاخذ المال واما قطع ارجلهم فلاخافة الطريق بتفويت امنه • او ينفوا من الارض • ان لم يقتلوا غير الاخافة والسعي للفساد والمراد بالنفي عندنا هو الحبس فانه نفي عن وجه الارض بدفع شرهم من اهلها ويعزرون ايضا لمباشرتهم منكر الاخافة وازالة الامن وعند الشافعي هو النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب فيه ثم هارب فرعا وقيل هو النفي من بلد فقط وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة وناصع وهو بلدة من بلاد حبشة ذلك اى ما فصل من الاحكام والاجزية قيل هو مبتدأ وقوله تعالى لهم خزي جملة من جزء مقدم على المبتدأ وقوله تعالى في الدنيا متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي او متعلق بخزي على الظرفية والجملة في محل الرفع على انها خبر لذلك وقيل خزي خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف وقع حالا من خزي لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا وفي الدنيا اما صفة لخزي او متعلق به على ما مر والخزي الذل والفضيحة ولهم في الاخرة • غير هذا • عذاب عظيم • لا يقادر قدره لغاية عظم جنايتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وفي الاخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا اى كائنا في الاخرة • الا الذين تابوا من قبل • ان تقدروا عليهم • استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبئ عنه قوله تعالى • فاعلموا ان الله غفور رحيم • اما ما هو من حقوق الاولياء من القصاص ونحوه فالهم ذلك ان شاؤا عفوا وان اصروا استوفوا وانما يسقط بالتوبة وجوب استيفائه لاجوازه وعن علي رضي الله عنه ان الحرث بن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله لما ذكر عظم شان القتل والفساد وبين حكمهما واشير في تضاعيف ذلك الى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته أمر المؤمنون بان يتقوه تعالى في كل ما يأتون وما يذرون بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات التي من جملتها السعي في احياء النفوس ودفع الفساد والمسارعة الى التوبة والاستغفار وابتغوا اى اطلبوا لانفسكم اليه اى الى ثوابه والزلفى منه الوسيلة هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله عز وجل من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل اذا تقرب اليه بشئ والية متعلق بها قدم عليها للاهتمام به وليست بمصدر حتى لا تعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الابتغاء الما مور به فانه ملاك الامر كله اشير اليه وذريعة لنيل كل خير ومنجاة من كل ضير فالجملة جارية مما قبلها مجرى البيان والتاكيد او مطلق الوسيلة وهو داخل فيها دخولا اوليا وقيل الجملة الاولى امر بترك المعاصي والثانية امر بفعل الطاعات وجيء كان في كل من ترك المعاصي المشتهاة وفعل الطاعات المكروهة لها كلفة ومشقة عقب الامر بهما بقوله تعالى • وجاهدوا في سبيله • بمحاربة اعدائه للمبارزة والمكافحة • لعلكم تفلحون • بنيل رضائه والفوز بكرامته • ان الذين كفروا كلام مبتدأ مسوق لتاكيد وجوب الامتثال بالاوامر السابقة وترغيب المؤمنين في المسارعة الى تحصيل الوسيلة اليه عز وجل قبل انقضاء الاوان بيان استحالة توسل الكفار يوم القيمة باقوى الوسائل الى النجاة من العذاب • فضلا عن نيل الثواب • لو ان لهم • اى لكل واحد منهم كما في قوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت الخ لا لجميعهم اذ ليس في ذلك هذه المرتبة في تاويل الاخر فتطبع الحال

(اى التقرب)

قال اهل المعرفة الوسيلة افضل المقامات بعد النبوة واوضح الدلالات الربانية في اثبات الالوهية قوله الآية عندهم يا ايها الذين صدقوا بالله لا صابة رشاش نور الله اتقوا بالله عما سواه وابتغوا اليه وسيلة الى حضرته بافنائه واوصافه بشهود شيوخكم في اوصاف ربوبيته وجاهدوا في طلب بذل وجودكم لعلكم تفوزون بنيل مقصودكم من معبودكم

مجمع اللطائف

فيها خطوط من سواد وبياض

ما فى الارض • اى من اصناف اموالها او ذخائرها وسائر منافعها قاطبة وهو اعم ان ولهم خبرها ومحلها الرفع بالاضافة خلافا لمن عند بعضهم رفع على الابتداء لا حاجة فيه الى الخبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند اليه وقد اضمحت من بين سائر ما يؤول بالاسم بالوقوع بعدها وقيل الخبر محذوف ثم قيل تقديره مقدما اى لو ثبت كون ما فى الارض لهم وقيل يقدر مؤخرا اى لو كون ما فى الارض ثابت وعند المبرد والزجاج والكوفيين رفع على الفاعلية والفعل مقدر بعد لو اى لو ثبت ان لهم ما فى الارض وقوله تعالى جميعا تاكيد للموصول او حال منه ومثله بالنصب عطف عليه وقوله تعالى معه ظرف وقع حالا من المعطوف والضمير راجع الى الموصول وفائدة التصريح بعرض كونهما لهم بطريق التعاقب تحقيقا لكمال فظاعة الامر مع ما فيه من نوع اشعار بكونهما شيئا واحدا وتمهيدا لما ذاد الضمير الراجع اليهما واللام فى قوله تعالى ليفتدوا به متعلقة بما تعلق به خبر ان اعنى الاستقرار المقدر لهم وما خبر المقدر عند من يرى تقدير الخبر مقدما او مؤخرا او الفعل المقدر بعد لو على راى المبرد ومن نحاكوه ولا ريب فى ان مدار الافتداء بما ذكر هو كونه لهم لا ثبوت كونه لهم وان كان مستلزما له والباء فى به متعلقة بالافتداء والضمير راجع الى الموصول ومثله معا وتوحيده اما لما اشير اليه واما لان الجزاء جرى اسم الاشارة كانه قيل بذلك كما فى قوله كانه فى الجلد توليع البهق اى كان ذاك وقيل هو راجع الى الموصول والعائد الى المعطوف اعنى مثله محذوف كما حذف الخبر فى قيار فى قوله تعالى فما ربحت تجارتهم اى وقيارا لها الغريب • اى وقيارا ايضا غريب وقد جوز ان يكون نصب ومثله على انه مفعول معه ناصبه الفعل المقدر نونا على مذهب المبرد ومن راى رايه وانت خبير بانه يؤدى الى كون الفاعل غير الناصب للمفعول معه لان المضى على اعتبار المعية بين ما فى الارض ومثله فى الكينونة لهم لا فى ثبوت تلك الكينونة وتحققها ولا مساغ لجعل ناصبه الاستقرار المقدر فى لهم لما ان سببيته قد نقض على ان اسم الاشارة وحرف الجر المتضمن للاستقرار لا يعملان فى المفعول معه وان قوله هذا لك واباك قبيح وان جوزه بعض النحاة فى الظرف وحرف الجر وقوله تعالى من عذاب يوم القيمة متعلق بالافتداء اى لو ان ما فى الارض ومثله ثابت لهم وليجعلوه فدية لانفسهم من العذاب الواقع يومئذ ما تقبل منهم ذلك وهو جواب لو وترتيبه على كون ذلك لهم لاجل افتدائهم به من غير ذكر الافتداء بان يقال وافتدوا به معوان الرد والقبول انما يترتب عليه لا على مباديه لا يذان بانه امر محقق الوقوع غنى عن الذكر وانما المحتاج الى الوصف تقريرهم لا على ذكر او للمبالغة فى تحقق الرد وتخييل انه وقع قبل الافتداء على منهاج ما فى قوله تعالى انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده حيث لم يقل فاتى به فرآه فلما الخ وما فى قوله تعالى وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه من غير ذكر خروج وروية تمن له والجملة الامتناعية محالها خبر ان الذين كفروا والمراد تمثيل لزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وعن النبى صلى الله عليه وسلم يقال للكافر ارايت لو كان لك ملأ الارض ذهبا اكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك وهو كلمة الشهادة وقوله تعالى ولهم عذاب اليم تصريح بما اشير اليه بعدم قبول فديتهم ان لزيادة تقريره بيان هوله وشدته قيل محله النصب على الحالية وقيل الرفع عطفا على خبر ان وقيل عطف على ان الذين فلا محل له كالمعطوف عليه يريدون ان يخرجوا من النار استئناف مسوق لبيان حالهم فى اثناء مكابدة العذاب مبنى على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فكيف يكون حالهم وماذا يصنعون فقيل يريدون الخ وقد بين فى تضاعيفه ان عذابهم عذاب النار وقيل انهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار ويردهم الى قعر جهنم فهنالك يريدون الخروج وليات حين مناص وقيل يكادون يخرجون منها لقوة النار وزيادة ترفعها اياهم وقيل يتمنونه ويريدونه بقلوبهم وقوله عز وعلا وما هم بخارجين منها اما حال من فاعل يريدون او اعتراض وايا ما كان فايثار الجملة الاسمية على الفعلية مقتضية بما الحجازية الدالة بما فى حيزها من الباء على تاكيد النفى لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت تفيد السلبية ايضا بمعونة دوام النفى لانفى الدوام كما حقق فى قوله تع ما انا بباسط الخ وقرئ ان يخرجوا على بناء المفعول من الاخراج ولهم عذاب مقيم تصريح بما اشير اليه آنفا من عدم تناهى مدته بعد بيان شدته والسارق والسارقة شروع فى حكم السرقة الصغرى بعد بيان احكام الكبرى وقد اقتضى الحال ايراد ما توسط بينهما من المقال ولما كانت السرقة

معهودة من النساء كالرجال صرح بالسارقة ايضا مع أن المعهود في الكتاب والسنة ادراج النساء في الاحكام الواردة في شان الرجال
بطريق الدلالة لمزيد الاعتناء بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدأ خبره عند سيبويه محذوف تقديره فيما يتلى عليكم السارق
والسارقة اي حكمهما وعند الاخفش قوله تعالى فاقطعوا ايديهما والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ المعنى الذي سرق والتي سرقت وقرئ
بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة الرفع لان الانشاء لا يقع اخبارا الا بتاويل واضمار والسرقة اخذ مال الغير خفية وانما توجب
القطع اذا كان الاخذ من حرز والى خوذ يا وفي عشرة دراهم فاقوقها مع شروط فصلت في موضعها والمراد بايديهما ايمانهما كما تنبئ عنه
قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهما وكذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تع فقد صغت قلوبكما اضافة
بتثنية المضاف اليه والايدي اشيع لتمام المجانسة وكذلك في صاحب الخواتم الا ان القطع هو المكتسب والجمهور على ان الرسغ لانه عرف اتى بسارق فامر
بقطع يمينه منه جزاء نصب على انه مفعول له اي فاقطعوا للجزاء او مصدر مؤكد لفعل الذي يدل عليه فاقطعوا اي فجازوهما جزاء وقوله تع
بما كسبا على الاول متعلق بجزاء وعلى الثاني باقطعوا او بما مصدرية اي بسبب كسبهما او موصولة اي بسبب اكتسباه من السرقة التي تباشر
بالايدي وقوله تعالى نكالا مفعول له ايضا على البدلية من جزاء لانهما من نوع واحد قيل القطع معلل بالجزاء والقطع المعلل بالجزاء
معلل بالنكال قيل هو منصوب بالجزاء على طريقة الاحوال المتداخلة فانه علة للجزاء والجزاء علة للقطع كما اذا ضربته تاديبا له
احسانا اليه فان القرب معلل بالتاديب والتاديب معلل بالاحسان وقد اجازوا في قوله تع ان يكفروا بما انزل الله على من يشاء من عباده
ان يكون بغيا مفعول له ناصبه ان يكفروا ثم قالوا ان قوله تعالى ان ينزل الله مفعول له ناصبه بغيا على ان النزيل علة للبغي والبغي علة للكفر
وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا اي نكالا كائنا منه تعالى والله عزيز غالب على امره يمضيه كيف يشاء من غير
ند ينازعه ولا ضد يمانعه حكيم في شرائعه لا يحكم الا بما يقتضيه الحكمة والمصلحة وكذلك شرع هذه الشرائع المنطوية على فنون الحكم
والمصالح فمن تاب من السراق الى الله تعالى من بعد ظلمه الذي هو سرقته والتفرج به مع ان التوبة لا تتصور قبل لبيان عظم
نعمة تع بتذكير عظم جنايته واصلح اي امره بالتنصل عن تبعات ما باشره والعزم على ترك المعاودة اليها فان الله يتوب عليه
اي يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة واما القطع فلا يسقط التوبة عندنا لان فيه حق المسروق منه وتسقط عند الشافعي في احد قوليه
ان الله غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة وكذلك يقبل توبته وهو تعليل لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم وتاييد
استقلال الجملة وكذا في قوله عز وجل الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار
والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدا والجملة خبر لان وهي مع ما في حيزها سادة مسد مفعولي تعلم عند الجمهور وما فيه من تكرير
الاسناد للتقوية الحكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وقيل لكل احد صالح للخطاب والاستفهام الانكاري
لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تع على ما شاء من التعذيب والمغفرة على ابلغ وجه وآكده اي الم تعلم ان الله تعالى السلطان
القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة والى غير ذلك
صبا بمقتضى مشيئته يعذب من يشاء ان يعذبه ويغفر لمن يشاء ان يغفر له من غير تدبير يباهي ولا ضد يزاحمه وتقديم
التعذيب على المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب والجملة اما تقرير لكون ملكوت السموات والارض له سبحانه او خبر آخر لان وآثر على كل
شيء قدير فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والاظهار في موضع الاضمار لما مر مرارا والجملة تذييل مقرر لما قبلها يا ايها الرسول
لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر خوطب عليه السلام بعنوان الرسالة للتشريف والاشعار بما يوجب عدم الحزن والمسارعة في الشيء
الوقوع فيه بسرعة ورغبة واثار كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله تع وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الخ للاياء الى انهم مستقرون
في الكفر لا يبرحونه وانما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه واحكامه الى بعض آخر منها كاظهار الموالاة للمشركين واظهار آثار الكبد للاسلام
وكذلك كما في قوله تع اولئك يسارعون فانهم مستمرون على الجنس مسارعون في انواعه وافراده والتعبير عنهم بالموصول للاشارة بما في حيز

صلته الى دار الحزن وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكفرة عن ان يحزنوه عم بمسارعتهم في الكفر لكنه في الحقيقة نهي له عم عن التأثر
من ذلك والمبالاة على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وقلع له عن اصله
وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد به النهي عن السبب كما في كلمة لا ارينك ههنا يريد نهي مخاطبه عن الحضور بين يديه وقرئ لا يحزنك بضم الياء
وقرئ يسرعون يقال اسرع فيه الشيب اي وقع فيه سريعا اي لا تحزن ولا تبال بتهافتهم في الكفر بسرعة وقوله تعالى ولم تؤمن قلوبهم
جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله تعالى ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا الخ وبه يتم بيان المسارعين
في الكفر بتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود فقوله تعالى سماعون للكذب خبر لمبتدأ محذوف راجع الى الفريقين او الى المسارعين
واما رجوعه الى الذين هادوا فمخل بعموم الوعيد الآتي ومباديه للكل كما ستقف عليه وكذا جعل قوله ومن الذين الخ خبرا على ان قوله سماعون
صفة لمبتدأ محذوف اي ومنهم قوم سماعون الخ لأدائه الى اختصاص ما عد من القبائح وما يترتب عليها من الغوائل الدنيوية والاخروية
بهم فالوجه ما ذكر اولا اي هم سماعون واللام اما لتقوية العمل واما لتضمين السماع معنى القبول واما لام كي والمفعول محذوف والمعنى
هم مبالغون في سماع الكذب او في قبول ما يفتريه احبارهم من الكذب على الله تعالى وتحريف كتابه او سماعون اخباركم واحاديثكم
ليكذبوا عليكم بان يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير او اخبار الناس واقاويلهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بان يرجفوا
بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو ذلك مما فيه ضرر بهم واياما كان فالجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل للنهي فان كونهم
سماعين للكذب على الوجوه المذكورة وابتناء امورهم على ما لا اصل له من الاباطيل والاراجيف مما يقتضي عدم المبالاة بهم وترك
الاعتداد بما يأتون وما يذرون للقطع بظهور بطلان اكاذيبهم واضمحلال ما بنوا عليها من الافاعيل الفاسدة المؤدية الى الخزي والعذاب
كما سيأتي وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم وقوله تعالى سماعون لقوم آخرين خبر ثان للمبتدأ المقدر مقرر للاول
ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين الاولين واللام مثل ما في سمع الله لمن حمده في الرجوع الى معنى من اي قبل منه حمده والمعنى مبالغون
في قبول كلام قوم آخرين واما كونها لام التعليل بمعنى سماعون منكم لاجل قوم آخرين وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منكم
او كونها متعلقة للكذب على ان سماعون الثاني مكرر للتأكيد بمعنى سماعون ليكذبوا للقوم وتجافوا عنك تكبرا وافراطا في البغضاء
وقيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة وقوله تعالى يحرفون الكلم من بعد مواضعه صفة اخرى لقوم وصفوا اولا
بمغايرتهم للسماعين تنبيها على استقلالهم واصالتهم في الرأي والتدبير ثم بعدم حضورهم مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايذانا بكمال طغيانهم في الضلال ثم استمرارهم على التحريف بيانا لافراطهم في العتو والمكابرة والاجتراء على الافتراء على الله عز وجل
وتعيينا للكذب الذي سمعه السماعون اي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه بعد ان وضعه الله تعالى فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما
بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده وقيل الجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب ناعية عليهم شنائعهم وقيل خبر مبتدأ محذوف راجع
الى القوم وقوله تعالى يقولون كالجملة السابقة في الوجوه المذكورة وجوز ان يكون حالا من ضمير يحرفون واما تجويز كونها صفة لسماعون او حالا
من الضمير فيه فمما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وان مقول القول ناطق بان قائله ممن لا يحضر مجلس الرسول عم والمخاطب به ممن يحضره فكيف يمكن ان
يقوله السماعون المترددون اليه عم لمن لا يحوم حوله عم قطعا وادعاء قول السماعين لاعقابهم المخاطبين للمسلمين تعسف ظاهر مخل بجزالة النظم الكريم
والحق الذي لا محيد عنه ان المحرفين والقائلين هم القوم الآخرون اي يقولون لاتباعهم السماعين لهم عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة مشيرين
الى كلامهم الباطل ان اوتيتم من جهة الرسول عليه السلام هذا فخذوه واعملوا بموجبه فانه الحق وان لم تؤتوه بل اوتيتم
غيره فاحذروا اي فاحذروا قبوله واياكم واياه وفي ترتيب الامر بالحذر على مجرد عدم ايتاء المحرف من المبالغة في التحذير ما لا يخفى
روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة
ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم

ذ وكذا في البيضاوي
د وكذا في البيضاوي

رد لما قاله السجاو[ندي] رحمه الله

التحميم تسويد الوجه ح

بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا وصفه له فقال لهم هل تعرفون شابا أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو أعلم يهودي على وجه الأرض بما أنزل الله على موسى بن عمران في التوراة قال فأرسلوا إليه ففعلوا إليه ما فعلوا فأتاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال وأنت أعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال أتجعلونه بيني وبينكم حكما قالوا نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم الطور وأنزل عليكم التوراة فيها حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن قال نعم والذي ذكرتني به لولا خشية أن يحرقني التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال عليه السلام إذا شهد أربعة رهط عدول أنه أدخل فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت أن كذبته أن ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله النبي الأمي العربي الذي بشر به المرسلون وأمر رسول الله بالرجمين فرجما عند باب المسجد ﴿ ومن يرد الله فتنته ﴾ أي ضلالته وفضيحته كائنا من كان فيندرج فيه المذكورون اندراجا أوليا وعدم التصريح بكونهم كذلك للاشعار بكمال ظهوره واستغنائه عن ذكره ﴿ فلن تملك له ﴾ فلن تستطيع له ﴿ من الله شيئا ﴾ في دفعها والجملة مستأنفة مؤكدة ومبينة لعدم انفكاكهم عن القبائح المذكورة أبدا ﴿ أولئك ﴾ إشارة إلى المذكورين من المنافقين واليهود وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الفساد وهو مبتدأ خبره قوله تع ﴿ الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ﴾ أي من رجس الكفر وخبث الضلالة لأنهما كهم فيهما وإصرارهم عليهما وإعراضهم عن صرف اختيارهم لتحصيل الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر أولا وشرح فنون ضلالاتهم آخرا والجملة استئناف مبين لكون إرادته تع لفضيحتهم منوطة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة منه تعالى ابتداء ﴿ لهم في الدنيا خزي ﴾ أما المنافقون فخزيهم فضيحتهم وهتك ستورهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين وأما خزي اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص التوراة وتغيير حكم الرجم وهو مبتدأ ولهم خبره قدم في الدنيا متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار وكذا الحال في قوله تع ﴿ ولهم في الآخرة ﴾ أي مع الخزي الدنيوي ﴿ عذاب عظيم ﴾ هو الخلود في النار وضمير لهم في الجملتين للمنافقين واليهود جميعا لا لليهود خاصة كما قيل وتكريرهم مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير والتأكيد والجملتان استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل أفعالهم وأحوالهم الموجبة للعقاب كأنه قيل فما لهم في العقوبة فقيل لهم في الدنيا الآية ﴿ سماعون للكذب ﴾ خبر آخر للمبتدأ المقدر كررت تأكيدا لما قبلها وتمهيدا لما بعده من قوله تع ﴿ أكالون للسحت ﴾ وهو أيضا خبر آخر للمقدر وارد على طريقة الذم أو بناء على أن المراد بالكذب ما يتعلق بالرشا كما سيأتي عن الأكالين والسحت بضم السين وسكون الحاء في الأصل كل ما يجب تركه وقيل هو الحرام مطلقا من سحته إذا استأصله سمي به لأنه مسحوت البركة والمراد به ههنا ما التزموا التي كانوا يأخذونها المحرفون على تحريفهم وسائر أحكامهم الزائغة وهو المشهور آنفا وما كان يأخذه فقراؤهم من أغنيائهم من المال ليعيبوا عليه اليهودية كما قيل وأما مطلق الحرام المنتظم لما ذكر انتظاما أوليا وقرئ للسحت بضم السين والحاء وبفتحهما وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون الحاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به ﴿ فإن جاؤوك ﴾ لما بين تفصيل أمورهم الواهية وأحوالهم المختلة الموجبة لعدم المبالاة منهم وبأفاعيلهم حسبما أمر به عم خطب بعض ما يبتني عليه من الأحكام بطريق التفريع والفاء فصيحة أي وإذا كان حالهم كما شرح فإن جاؤوك متحاكمين إليك فيما شجر بينهم من الخصومات ﴿ فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ﴾ غير مبال بهم ولا خائف من جهتهم أصلا وهذا كما ترى يخير له بين الأمرين قيل هو في أمر خاص هو ما ذكر من زنا المحصن وقيل في قتيل قتل من اليهود وهو من بني قريظة إخواننا بنو النضير أبونا واحد ودينا واحد ونبينا واحد وإذا قتلوا منا قتيلا لم يرضوا بالقود واعطونا سبعين وسقا من تمر وإذا قتلنا منهم قتيلا أخذوا منا النصف مائة وأربعين وسقا من تمر وإن كان القاتل امرأة قتلوا

بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد منهم الحر منا فاقتض بيننا فجعل عم الدية سواء وقيل هو عام في جميع الحكومات
ثم اختلفوا فمن قائل انه ثابت وهو المروي عن عطاء والنخعي والشعبي وقتادة وابي بكر الاصم وابي مسلم وقائل انه منسوخ
وهو قول ابن عباس رض والحسن وعكرمة والمجاهد وقال ابن عباس رض لم ينسخ من المائدة الا آيتان قوله تع لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله
اقتلوا المشركين وقوله تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسخها قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وعليه مشائخنا وان تعرض
عنهم بيان لحال الآبين من اثر تخييره صلعم بينهما وتقديم حال الاعراض للمسارعة الى بيان ان لا ضرر فيه حيث كان مظنة الضرر لما انهم
كانوا يتحاكمون الى صلعم الطلب الايسر والاهون عليهم فاذا اعرض عنهم والى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فيشتد عداوتهم ومضارتهم
لصلعم فآمنه الله عز وجل بقوله فلن يضروك شيئا من الضرر فان الله عاصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط
بالعدل الذي امرت به كما حكمت بالرجم ان الله يحب المقسطين ان يحفظهم عن كل مكروه وكيف يحكمونك وعندهم التورية
فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الايمان به وتنبيه
على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يهوون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم فتولوا عنه
التورية حال من فاعل يحكمونك وقوله تع فيها حكم الله حال من التورية ان جعلت مرتفعة بالظرف وان جعلت مبتدأ فهو حال من ضمير المكان
في الخبر وقيل استئناف مسوق لبيان ان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم وثانيتها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم كموماة ودودة اه
ثم يتولون عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب ثم للتراخي في الرتبة وقوله تع من بعد ذلك اي من بعد ما حكموك تصريح
بما علم قطعا لتاكيد الاستبعاد والتعجيب اي ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك وقوله تعالى وما اولئك
بالمؤمنين تنزيل مغزر لنحوى ما قبله ووضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للقصد الى احضارهم في الذهن بما وصفوا به من القبائح
ايماء الى علة الحكم والى انهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم اكمل تميز حتى انتظموا في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد درجتهم في العتو والمكابرة اي وما اولئك الموصوفون بما ذكر من المؤمنين اي بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك
الموافق له ثانيا او بهما قيل وما اولئك بالكاملين في الايمان تهكما بهم انا انزلنا التورية كلام مستانف سيق لبيان
علو شان التورية ووجوب مراعاة احكامها وانها لم تزل مرعية فيما بين الانبياء ومن يقتدى بهم كابرا عن كابر مقبولة لكل
احد من الحكام والمتحاكمين محفوظة عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف به المحرفون من عدم ايمانهم بها وتقريرا لكفرهم وظلمهم
وقوله تع فيها هدى ونور حال من التورية فان ما فيها من الشرائع والاحكام من حيث ارشادها الناس الى الحق الذي لا محيد عنه
هدى ومن حيث اظهارها وكشفها ما ابهم من الاحكام وما يتعلق بها من الامور المستورة بظلمات الجهل نور وقوله تع يحكم بها
النبيون اي انبياء بني اسرائيل وقيل موسى ومن بعده من الانبياء جملة مستانفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز
كونه حالا اخر التورية فيكون حالا مقدرة اي يحكمون باحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب الى ان شريعة من قبلنا
شريعة لنا ما لم تنسخ وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر ولان في المؤخر ما يستحق
من نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم وقوله تع الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح دون التخصيص
والتوضيح لكن لا للقصد الى مدحهم بذلك حقيقة فان النبوة اعظم من الاسلام قطعا فيكون وصفهم به بعد وصفهم بما هو اشرف منه
الى الادنى بل لتنويه شان الصفة فان ابراز وصف في معرض مدح العظماء منبئ عن عظم قدر الوصف لا محالة كما في وصف الانبياء
بالصلاح ووصف الملئكة بالايمان وكذلك قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف وفيه فوع رفع لشان المسلمين وتعريض باليهود
وبانهم بمعزل من الاسلام والاقتداء بدين الانبياء عليهم السلام لاستماع ملاحظة ما وصفوا به في قوله تع للذين هادوا وهو
متعلق بيحكم اي يحكمون فيما بينهم واللام اما لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون لهم او عليهم كانه قيل لاجل الذين هادوا واما للايذان

بنفعه للمحكوم عليه ايضًا باسقاط التبعة عنه واما للاشعار بكمال رضاهم وانقيادهم له لكانة امر نافع للكلا الفريقين ففيه تعريض بالمحرفين وقيل
التقدير للذين هادوا وعليهم فحذف ما حذف لدلالة ما ذكر عليه وقيل هو متعلق بانزلنا وقيل هدى ونور وفيه فصل بين المصدر ومعموله
وقيل متعلق بمحذوف وقع صفة لهما اى هدى ونور كائنان للذين هادوا والربانيون والاحبار اى الذين هادوا العلماء من ولد
هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس رضى الله عنهما الربانيون يسوسون الناس بالعلم ويربونهم صغارًا
قبل كباره والاحبار هم الفقهاء واحده الحبر بالفتح والكسر والثانى افصح وهو اى الزاء ماخوذ من التحبير والتحسين فانهم يحبرون العلم ويزينونه وهو عطف على النبيون اى هم ايضًا يحكمون باحكامها وتوسيط المحكوم لهم بين المعطوفين للايذان بان الاصالة فى الحكم بها وحمل
الناس على ما فيها هم النبيون واما الربانيون والاحبار فخلفاء ونواب لهم فى ذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى بما استحفظوا اى بالذى
استحفظوا من جهة النبيين وهو التورية حيث سئالوهم ان يحفظوها من التغيير والتبديل على الاطلاق ولا ريب فى ان ذلك منهم عليهم السلام
استخلاف لهم فى اجراء احكامها من غير اخلال بشئ منها وفى بيانها اولًا ثم ببيانها بقوله تعالى من كتاب الله من تغييرها واخلالها
ذاتًا واضافة وتاكيد ايجاب حفظها والعمل بما فيها مالا يخفى وايراده بعنوان الكتابية للايماء الى ايجاب حفظها عن التغيير من جهة كونها
والباء الداخلة على الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على انها صلة لها كالتى فى قوله تعالى فيما يلزم تعلق جزء فى جزء متحدى المعنى بفعل واحد
بل لانها سببية اى يحكم الربانيون والاحبار ايضًا بسبب ما حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم به انبياؤهم اوسالوهم ان يحفظوه
وليس المراد سببية من حيث الذات بل من حيث كونه محفوظًا فان تعليق حكمهم بالموصول مشعر بسببية المترتب لاحالة على ما فى حيز الصلة
من الاستحفاظ له وقيل الباء صلة لفعل مقدر معطوف على قوله تعالى يحكم بها النبيون عطف جملة على جملة اى ويحكم الربانيون والاحبار
بحكم كتاب الله الذى سالهم انبياؤهم ان يحفظوه من التغيير وكانوا عليه شهداء اى رقباء يحمونه من ان يحوم حوله التغيير والتبديل
بوجه من الوجوه فتغيير الاسلوب لما ذكر من المزايا وقيل بما استحفظوا بدل من قوله تعالى بها باعادة العامل وهو بعيد وكذا ان يكون الضمير
فى استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعًا على ان الاستحفاظ من جناب الله تعالى اى كلفهم الله تعالى ان يحفظوه ويكونوا عليه شهداء
وقوله تعالى فلا تخشوا الناس خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات واما حكام المسلمين فبمعنى ولهم النهى بطريق
الدلالة دون العبارة والفاء لترتيب النهى على ما فصل من حال التورية وكونها منعتى بشانها فيما بين الانبياء ومن يقتدى بهم
من الربانيين والاحبار المتقدمين عملًا وحفظًا فان ذلك مما يوجب الاجتناب عن الاخلال بوظائف مراعاتها والمحافظة عليها
باى وجه كان فضلًا عن التحريف والتغيير ولما كان مدار اجترائهم على ذلك خشية ذى سلطان اورغبة فى الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما
صريحًا اى اذا كان شانها كما ذكر فلا تخشوا الناس كائنًا من كان وافتدوا فى مراعاة احكامها وحفظها بمن قبلكم من الانبياء واشباههم
واخشون فى الاخلال بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسوء ولا تشتروا بآياتى الاشتراء استبدال السلعة بالثمن
اى اخذ شئ بدلًا منه لابد للثمن لتحصيلها كما قيل ثم استعير لاخذ شئ بدلًا مما كان له عينًا كان او معنًى اخذًا منوطًا بالرغبة فيما اخذ
والاعراض عما اعطى ونبذ كما فسر فى قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فالمعنى لا تستبدلوا بآياتى التى فيها بيان تحريفها
منها او تتركوا العمل بها وتاخذوا لانفسكم بدلًا منها ثمنا قليلًا من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت
فقليلة مستزلة فى نفسها لاسيما بالنسبة الى ما فات عنه بترك العمل بها وانما عبر عن المشترى الذى هو العوض فى عقود المعاوضة والمقصد الاصلى
بالثمن الذى شانه ان يكون وسيلة لتحصيله وابرزت الآيات التى حقها ان يتنافس فيها المتنافسون فى معرض الآلات والوسائط حيث قرنت
بالياء التى تصحب الوسائل ايذانًا بمبالغتهم فى التعكيس بان جعلوا المقصد الاقصى وسيلة والوسيلة الادنى مقصدًا ومن لم يحكم بما انزل الله
كائنًا من كان دون المخاطبين خاصة فانهم مندرجون فيه اندراجًا اوليًا اما من لم يحكم بذلك مستهينًا به منكرًا له كما ينبغى ان يخص
من تحريف آيات الله تعالى اقتضاء بينًا فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها

زد المقاضى

هم الكافرون لاستهانتهم به وهم اما ضمير الفصل او مبتدأ ما بعده خبره والجملة خبر اولئك وقد مر تفصيله في مطلع سورة البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ابلغ تقرير وتحذير عن الاخلال به اشد تحذير حيث علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما انزل الله كيف وقد انضم اليه الحكم بخلافه لاستجماع مباشرة ما نهوا عنه من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعاءه انه من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا وكتبنا عطف على انزلنا التورية عليهم اى على الذين هادوا وقرئ وانزل الله على بني اسرائيل فيها اى في التورية ان النفس بالنفس اى تقاد بها اذا قتلتها بغير حق والعين تفقأ بالعين اذا فقئت بغير حق والانف يجدع بالانف المقطوع بغير حق والاذن تصلم بالاذن المقطوعة ظلما والسن تقلع بالسن المقلوعة بغير حق والجروح قصاص اى ذات قصاص اذا كانت بحيث يوفى المساواة وعن ابن عباس رضي الله عنهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقرئ وان الجروح قصاص وقرئ والعين الخ بالرفع عطفا على محل ان النفس لان المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس تاما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان الجملة في حكم المفرد اذ هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه التلاوة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها فمن تصدق اى من المستحقين به اى بالقصاص فمن عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة في الترغيب فيه فهو اى التصدق كفارة له اى للمتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارة له اى فالمتصدق كفارة التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى فاجره على الله ومن لم يحكم كائنا من كان فيتناول من لا يرى قتل الرجل بالمرأة من اليهود تناولا اوليا بما انزل الله من الاحكام والشرائع كائنا ما كان فيدخل فيها الاحكام المحكية دخولا اوليا فاولئك هم الظالمون المبالغون في الظلم المتعدون حدوده تعالى او اصعون للشيء غير موضعه والجملة تذييل مقرر لايجاب العمل بالاحكام المذكورة وقفينا على آثارهم شروع في بيان احكام الانجيل اثر بيان احكام التورية وهو عطف على انزلنا التورية اى آثار النبيين المذكورين يقال قفيته بفلان اذا اتبعته اياه فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه اى قفيناهم بعيسى من مريم اى ارسلناه عقيبهم مصدقا لما بين يديه من التورية حال من عيسى عليه السلام واتيناه الانجيل عطف على قفينا وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور كما في التورية وهو في محل النصب على انه حال من الانجيل اى كائنا فيه ذلك كأنه قيل مشتملا على هدى ونور وتنوين هدى ونور للتفخيم ويندرج في ذلك شواهد نبوته عليه السلام ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه داخل في حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التورية لزيادة التقرير وهدى وموعظة للمتقين عطف على مصدقا منتظم معه في سلك الحالية جعل كملة هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة للمتقين لانهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه امر مبتدأ لهم بان يحكموا او يعملوا بما فيه من الامور التي من جملتها دلائل سالفة ومن شواهد نبوته وما قرره الشريعة الشريفة من احكامه المنسوخة فليس الحكم بها حكما بما انزل الله فيه بل هو ابطال وتعطيل له اذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وبان احكامه ما قررته تلك الشريعة التي شهد بصحتها كما سيأتي في قوله تعالى يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل الآية وقيل هي حكاية للامر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على آتيناه اى وقفينا ليحكم اهل الانجيل الخ وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كما في قولك امرته بان قم كأنه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل الخ وقرئ على صيغة المضارع والام للتعليل على انها متعلقة بمقدر كأنه قيل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه آتيناه اياه وقد عطف على هدى وموعظة على انهما مفعولا لهما كأنه قيل وللهدى والموعظة آتيناه اياه وليحكم بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله منكرا له مستهينا به فاولئك هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الايمان والجملة تذييل مقرر لمضمون الجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال بالامر وفيه دلالة على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان عيسى عليه السلام كان مستقلا بالشرع مأمورا بالعمل بما فيه من الاحكام قلت او كثرت لا بما في التورية خاصة وليحكم بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية

خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب اى الفرد الكامل الحقيق بان يسمى كتابا على الاطلاق لحيازته جميع الاوصاف الكمالية الجنس الكتاب السماوى وتنوينه على بعضية افراده وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على انزلنا وما عطف عليه وقوله بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا مؤكدة من الكتاب اى ملتبسا بالحق والصدق وقيل من فاعل انزلنا وقيل من الكاف فى اليك وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه حال من الكتاب اى حال كونه مصدقا لما تقدمه اما من حيث انه نازل جميع ما نعت فيه او من حيث انه موافق له فى القصص والمواعيد والدعوة الى الحق والعدل بين الناس والنهج الصحيح والنواحى واما ما يرى من مخالفته له فى بعض جزئيات الاحكام المتغيرة بسبب تغير الاعصار فليست بمخالفة فى الحقيقة بل هى موافقة لها من حيث ان كلا من تلك الاحكام حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التى عليها يدور امر الشريعة وليس فى المتقدم دلالة على ابدية احكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتأخر وانما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل تقول هو ناطق بزوالها لما ان النطق بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى من الكتاب بيان لما واللام للجنس اذ المراد هو الكتاب السماوى وهو بهذا العنوان جنس برأسه وان كان فى نفسه نوعا مخصوصا من مدلول لفظ الكتاب وعن هذا قالوا اللام للعهد الا ان ذلك لا ينتهى الى خصوصية الفردية بل الى خصوصية النوعية التى هى اخص من مطلق الكتاب وهو ظاهر ومن الكتاب السماوى ايضا حيث خص بما عدا القرآن ومهيمنا عليه اى رقيبا على ما تقدمه من الكتب المحفوظة عن التغيير لانه يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر اصول شرائعها وما يثابت من فروعها ويعين احكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب فى ان بعض احكامها الباقية على المشروعية ابدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها باحكام كونه مهيمنا عليه وقرئ ومهيمنا على صيغة المفعول اى مؤتمنا عليه وحفظ من التغير والتبديل كقوله عز وجل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحافظ من جهته تعالى كما فى قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او الحفاظ فى الاعصار والامصار والفاء فى قوله تعالى فاحكم بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كون القرآن العظيم حقا مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة على الامم مهيمنا عليه من موجبات الحكم المأمور به اى اذا كان شان القرآن كما ذكر فاحكم بين اهل الكتاب بين عند تحاكمهم اليك بما انزل الله اى بما انزله اليك فانه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الباقية فى الكتب الالهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على علية ما فى حيز الصلة للحكم والالتفات باظهار الاسم لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم ولا تتبع اهواءهم الزائغة عما جاءك من الحق الذى لا محيد عنه وعن متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كانه قيل لا تعدل عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالا من فاعله اى لا تتبع اهواءهم عادلا عما جاءك وفيه ان ما وقع حالا لا بد ان يكون فعلا عاما ووضع الموصول موضع ضمير الموصول الاول للاشعار بعلة ما فى حيز الصلة من مجئ الحق الما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الاهواء وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كلام مستانف جئ به لحمل اهل الكتابين عن معاصريه صلى الله عليه وسلم على الانقياد لحكمه بما انزل عليه من القرآن الكريم ببيان انه هو الذى كلفوا العمل به دون غيره من الكتابين وانما الذين كلفوا العمل بهما فيما مضى قبل نسخهما فى الامم السالفة والخطاب بطريق التلوين والالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين ايضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدى لواحد وهو اضبار بجعل ماض لا انشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل والضمير فى توسطه جعلنا بين الصفة والموصوف كما فى قوله تعالى اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات الخ والمعنى لكل امة كائنة منكم ايها الامم الباقية والخالية جعلنا اى عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الامة لا تتعداها الى تخطى شرعتها التى عينت لها فالامة التى كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهم التورية والتى كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبى صلى الله عليه وسلم شرعتهم الانجيل واما انتم ايها الموجودون فشرعتكم القرآن ليس الا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هى الطريقة الى الماء شبه بها الدين لكونه سببا

اى ليس الا القرآن ٥

موصلا

موصلاً الى ما هو سبب للحيوة الابدية كما ان الماء سبب للحيوة الفانية والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الامر اذا وضح وقرئ شرعة بفتح الشين **قيل** فيه دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها احكام شرعنا لا من حيث انها شرعة للاولين ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم في شيء من الاحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل ومفعول المشية محذوف تعويلاً على دلالة الجزاء عليه اى لو شاء الله ان يجعلكم امة واحدة لجعلكم الخ **وقيل** المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم متعلق بمحذوف يستدعيه النظام اى ولكن لم يشأ ذلك اى ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية فيما بين الامم ليعاملكم معاملة من يبتليكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى المشية الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم في معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى وبهذا اتضح ان مدار عدم المشية المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العمدة في ذلك ما اشير اليه من انطواء الاختلاف على ما فيه مصلحتهم معاشاً ومعاداً كما ينبئ عنه قوله عز وعلا فاستبقوا الخيرات اى اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم في الدارين من العقائد الحقة والاعمال الصالحة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروها انتهازاً للفرصة واحرازاً لسابقة الفضل والتقدم ففيه من تأكيد الترغيب في الاذعان للحق وتشديد التحذير عن الزيغ ما لا يخفى وقوله تعالى الى الله مرجعكم استئناف مسوق مساق التعليل لاستباق الخيرات بما فيه من الوعد والوعيد وقوله تعالى جميعاً حال من ضمير الخطاب والعامل فيه اما المصدر المنحل الى حرف مصدري وفعل مبني للفاعل او مبني للمفعول واما الاستقرار المقدر في الجار فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اى فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما كنتم تختلفون فيه في الدنيا وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التي هي وظيفة الاخبار وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عطف على الكتاب اى انزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض لعنوان انزاله تعالى اياه لتأكيد وجوب الامتثال بالامر او على الحق اى انزلناه بالحق وبان احكم وحكاية الانزال بالامر بهذا الحكم بعد ما مر من الامر الصريح بذلك تأكيد له وتمهيد لما يعقبه من قوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اى يصرفوك عن بعضه ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق واظهار الاسم الجليل لتأكيد الامر بتهويل الخطب وان بصلته بدل اشتمال من ضميرهم اى احذر فتنتهم او مفعول له اى احذرهم مخافة ان يفتنوك واعادة ما انزل الله لتأكيد التحذير بتهويل الخطب **روى** ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا اليه عليه السلام فقالوا يا ابا القاسم قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا اى عن الحكم بما انزل الله تعالى وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اى بذنب توليهم عن حكم الله عز وجل وانما عبر عنه بذلك ايذاناً بان لهم ذنوباً كثيرة هذا مع كمال عظمه واحد من جملتها وفي هذا الابهام تعظيم للتولي كما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها يريد به نفسه اى نفساً كبيرة ونفساً اي نفس وان كثيراً من الناس لفاسقون اى متمردون في الكفر مصرون عليه خارجون عن الحدود المعهودة وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله افحكم الجاهلية يبغون انكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى ايتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتأكيد الانكار والتعجيب لان التولي عن حكمه عم وطلب حكم آخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية اقبح واعجب والمراد بالجاهلية اما الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة في الاحكام فيكون تعييراً لليهود بانهم مع كونهم اهل كتاب وعلم يبغون حكم الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحي واما اهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى حيث **روى** ان بني النضير

الفائك البيضاوي

والبيضاوي ايضاً اورده بصيغة التمريض

اى منقادين

الجدوى بفتح الجيم والواو العطية والنفع

انتهازاً اى اغتناماً

بور ايونكه

خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب اى المؤدى الكامل الحقيق بان يسمى كتابا على الاطلاق لحيازته جميع الاوصاف الكمالية بالجنس
الكتاب السماوى وتنوعه على بقية افراده وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على انزلنا وما عطف عليه وقوله بالحق
متعلق بمحذوف وقع حالا مؤكدة من الكتاب اى ملتبسا بالحق والصدق وقيل من فاعل انزلنا وقيل من الكاف فى اليك وقوله تعالى
مصدقا لما بين يديه حال من الكتاب اى حال كونه مصدقا لما تقدمه اما من حيث انه نازل حسبما نعت فيه او من حيث
انه موافق له فى القصص والمواعيد والدعوة الى الحق والعدل بين الناس والنهج المصلح والفواحش واما ما يترآئى من مخالفته له فى بعض
جزئيات الاحكام المتغيرة بسبب تغير الاعصار فليست بمخالفة فى الحقيقة بل هى موافقة لها من حيث ان كلا من تلك الاحكام حق بالنسبة
الى عصره متضمن للحكمة التى عليها يدور امر الشريعة وليس فى المتقدم دلالة على ابدية احكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتأخر وانما تدل
على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل تقول هو ناطق بزوالها لما ان النطق بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها
وقوله تعالى من الكتاب بيان لما واللام للجنس اذ المراد هو الكتاب السماوى وهو بهذا العنوان جنس بالقياس الى القرآن وان كان فى نفسه
نوعا مخصوصا من مدلول لفظ الكتاب وعن هذا قالوا اللام للعهد الا ان ذلك لا ينتهى الى خصوصية النوعية بل الى خصوصية النوعية
التى هى اخص من مطلق الكتاب وهو ظاهر ومن الكتاب السماوى ايضا حيث خص بما عدا القرآن ومهيمنا عليه اى رقيبا على ما قبله من
الكتب المحفوظة عن التغيير لانه يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر اصول شرائعها وما يتأبد من فروعها ويعين احكامها
[illegible] الاستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب فى احكامها الباقية على المشروعية
[illegible] اسم المفعول اى مؤتمنا عليه وحفظ من التغير
[illegible] واتاله

[illegible] حلفة بلا تتبع
[illegible] مع حال من فاعله اى لا تتبع
[illegible] مع ضمير الموصول الاول للايذان على حيز الصلة
[illegible] من حلفنا منكم شرعة ومنهاجا كلام مستانف جئ به لبيان
[illegible] القرآن الكريم ببيان انه هو الذى كلفوا العمل به دون غيره من الكتابين
[illegible] لهم السالفة والخطاب بطريق التلوين والالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين
[illegible] التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدى لواحد وهو اضبار بجعل ماض لا انشاء وتقديرها عليه
[illegible] معلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل والضمير فى توسطه جعلنا بين الصفة والموصوف كما فى قوله تعالى
[illegible] بعد لتخذ وليا فاطر السموات الخ والمعنى لكل امة كائنة منكم ايها الامم الباقية والخالية جعلنا اى عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا
خاصين بتلك الامة لا تتعداها تتخطى شرعتها التى عينت لها فالامة التى كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام
شرعتهم التورية والتى كانت من مبعث عيسى عم الى مبعث النبى صلى الله عليه وسلم شرعتهم الانجيل واما انتم ايها الموجودون
فشرعتكم القرآن ليس الا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هى الطريقة الى الماء شبه بها الدين لكونه سببا

موصلا

موصلاً الى ما هو سبب للحيوة الابدية كما ان الماء سبب للحيوة الفانية والمنهاج الطريق الواضح والذي من نهج الامر اذا وضح وقرئ شرعة بفتح الشين قيل فيه دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها احكام شرعاً لا من حيث انها شرعة للاولين ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم في شئ من الاحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل ومفعول المشية محذوف تعويلاً على دلالة الجزآء عليه اى لو شاء الله ان يجعلكم امة واحدة لجعلكم الخ وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم متعلق بمحذوف يستدعيه النظام اى ولكن لم يشأ ذلك اى ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الآلهية الجارية فيما بين الامم ليعاملكم معاملة من يبتليكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى المشية الآلهية المبنية على اساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم في معائشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المقرة بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى وبهذا اتضح ان مدار عدم المشية المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل الابتلاء بذلك مما اشير اليه من انظوآء الاختلاف على ما فيه مصلحتهم معاشاً ومعاداً كما ينبئ عنه قوله عز وعلا فاستبقوا الخيرات اى اذا كان الامر كذلك فبادروا الى ما هو خير لكم في الدارين من العقائد الحقة والاعمال الصالحة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروا انتهازاً للفرصة واحرازاً للسابقة للفضل والتقدم ففيه من تاكيد الترغيب في الاذعان للحق وتشديد التحذير عن التزيغ ما لا يخفى وقوله تعالى الى الله مرجعكم استئناف مسوق مساق التعليل للاستباق الخ بما في الوعد والوعيد وقوله تعالى جميعاً حال من ضمير الخطاب والعامل فيها المصدر المنحل الى حرف مصدري وفعل مبني للفاعل او مبني للمفعول وايا ما كان الاستواء المقدر فالآية

انتهى

البيضاوي

والبيضاوي ايضاً اورده بصيغة التمريض

اثر متقادين

الجدوى بالجيم والدال المهملة العطية والنفع

انتهازاً اى اغتناماً

بدار ابو فهم

وهو بفتح الخ، وكسر الضاد المعجمة لقبه وكنيته ابو العباس واسمه بلميا بباء موحدة ولام ساكنة وياء مثناة تحت فيه قال بعضهم انه من الملائكة وبعضهم انه ولي والاكثر على انه كان نبياً قيل انه لا يموت الآن آخر الزمان حتى ارتفع القرآن وذلك متفق عليه عند اهل التصوف والمعرفة لان حكاياتهم انهم رأوه في المواضع الشريفة

سبع شارق
لابن الملك

اى اصر وكلموه من ان يحصي

الخطب روى ان

احبار اليهود وانا ان اتبعه

ونصدقك فابى ع ذلك رسول الله

فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اى

كثيرة هذا مع كمال عظمه واحد من جملتها وفي هذا الابهام تعظيم اى

اى نفساً كبيرة ونفساً اى نفس وان كثيراً من الناس لفاسقون اى

المعهودة وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله افحكم الجاهلية يبغون اى

على مقدر يقتضيه المقام اى ايتولون غير حكمك فيبغون حكم الجاهلية وتقديم المفعول للتخصيص المعبر

عن حكم عدم وطلب حكم آخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية اقبح واعجب والمراد بالجاهلية انما الملة الجاهلية التي هي

الموجبة للميل والمداهنة في الاحكام فيكون تقريراً لليهود وبائهم مع كونهم اهل كتاب وعالم يبغون حكم الجاهلية التي هي هوى

لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحي واما اهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القبائل حيث روى ان بني النضير

لما تحاكموا الى رسول الله عليه السلام في خصومة قتل وقعت بينهم وبين بني قريظة طلبوا اليه عم ان يحكم بينهم بما كانوا عليه اهل الجاهلية
من التفاضل فقال عليه السلام القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره
والراجع محذوف حذفه في قوله تعالى أهذا الذي بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك في غير الشعر وقرئ بتاء الخطاب اما بالالتفات لتشديد
التوبيخ واما بتقدير القول اي قل لهم أفحكم الخ وقرئ بفتح الحاء والكاف اي أفحكما كحكام الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما
انكار لان يكون احد حكمه احسن من حكمه تعالى او مساويا له وان كان ظاهر السبك غير متعرض لنفي المساواة وانكارها وقد مر تفصيله في قوله تعالى
ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله لقوم يوقنون اي عندهم واللام كما في هيت لك اي هذا الاستفهام لهم فانهم الذين يتدبرون
الامور بانظارهم فيعلمون يقينا ان حكم الله عز وجل احسن الاحكام واعدلها يا ايها الذين آمنوا خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين
من المخلصين وغيرهم وان كان سبب وروده بعضا منهم كما سيأتي ووصفهم بعنوان الايمان لحملهم من اول الامر على الانزجار عما نهوا عنه
بقوله عز وجل لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فان تذكير اتصافهم بضد صفات الفريقين من اقوى الزواجر عن موالاتهما
اي لا يتخذ احد منكم احدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشروهم مصافاة الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم اولياء لكم حقيقة
فانه امر ممتنع في نفسه لا يتعلق به النهي بعضهم اولياء بعض اي بعض كل فريق من ذينك الفريقين اولياء بعض آخر من ذلك الفريق
لا من الفريق الآخر وانما اوثر الاجمال في البيان تعويلا على ظهور المراد لوضوح انتفاء الموالاة بين فريقي اليهود والنصارى رأسا
والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهي وتأكيد لايجاب الاجتناب عن المنهي عنه اي بعضهم اولياء بعض متفقون على كلمة واحدة في كل
ما يأتون وما يذرون ومن ضرورته اجماع الكل على مضادتكم ومضارتكم بحيث يسومونكم السوء ويبغونكم الغوائل فكيف يتصور بينكم
وبينهم موالاة وقوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم حكم مستنتج منه فان انحصار الموالاة فيما بينهم يستدعي كون من يواليهم منهم
ضرورة ان الاتحاد في الدين الذي عليه يدور امر الموالاة حيث لم يكن بكونهم ممن يواليهم من المؤمنين تعين ان ذلك بكون من يواليهم
منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن اظهار صورة الموالاة لهم وان لم تكن موالاة في الحقيقة وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم
الظالمين تعليل لكون من يتولاهم منهم اي لا يهديهم الى الايمان بل يخليهم وشأنهم فيقعون في الكفر والضلال وانما وضع المظهر
موضع ضميرهم تنبيها على ان توليهم ظلم لما انه تعريض لانفسهم للعذاب الخالد ووضع للشيء في غير موضعه وقوله تعالى فترى الذين
في قلوبهم مرض بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه وبما يؤول اليه امرهم والفاء للايذان بترتبه على عدم الهداية والخطاب اما للرسول عليه السلام
بطريق التلوين واما لكل احد ممن له اهلية له وفيه مزيد تشنيع للتشنيع اي لا يهديهم بل يذرهم وشأنهم فتراهم الخ وانما وضع موضع الضمير
الموصول ليشار بما في حيز صلته الى ان ما ارتكبوه من التولي بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق ورخاوة العقد في الدين وقوله تعالى يسارعون
فيهم حال من الموصول والرؤية بصرية وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول هو الانسب بظهور نفاقهم اي تراهم مسارعين في موالاتهم
وانما قيل فيهم مبالغة في بيان رغبتهم فيها وتهالكهم عليها وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على انهم مستقرون في الموالاة وانما مسارعتهم
من بعض مراتبها الى بعض آخر منها كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها كما في قوله تعالى وسارعوا
الى مغفرة من ربكم وجنة وقرئ فيرى بياء الغيبة على ان الضمير لله تعالى وقيل لمن يصح منه الرؤية وقيل الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة
على حذف ان المصدرية والرؤية قلبية اي ويرى القوم الذين في قلوبهم مرض ان يسارعوا فيهم فلما حذفت ان انقلب الفعل مرفوعا كما في قول
من قال ألا ايهذا الزاجري احضر الوغى والمراد بهم عبد الله بن ابي واضرابه الذين كانوا يسارعون في موالاة اليهود ونصارى نجران
وكانوا يعتذرون الى المؤمنين بانهم لا يأمنون ان تصيبهم صروف الزمان وذلك قوله تعالى يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة
وهو حال من ضمير يسارعون والدائرة من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها اي يدور علينا دائرة من دوائر الدهر ودولة
من دوله بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار وقيل نخشى ان يصيبنا مكروه من مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطونا الميرة

التعويل الاعتماد اه

والغرض روى ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني تائب الى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل خاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع ولعله اظهر للمؤمنين انه يريد بالدوائر المعنى الاخير ويضمر في نفسه المعنى الاول وقوله عز وجل فعسى الله ان يأتي بالفتح رد من جهته تعالى لعلمه الباطل وقطع لاطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظفر فان عسى منه سبحانه وعد محتوم لما ان الكريم اذا اطمع اطمع لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين وان يأتي في محل النصب على انه خبر عسى وهو رأي الاخفش او على انه مفعول به وهو رأي سيبويه لئلا يلزم الاخبار عن الجثة بالحدث في قولك عسى زيد ان يقوم والمراد بالفتح فتح مكة قال الكلبي والسدي وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال قتادة ومقاتل هو القضاء الفيصل بنصره عليه السلام على من خالفه واعزاز الدين او امر من عنده بقتل شباقة اليهود من القتل والاجلاء فيصبحوا اي اولئك المنافقون المتعللون بما ذكر وهو عطف على يأتي داخل معه في حيز خبر عسى وان لم يكن فيه ضمير يعود الى اسمها فان خلو الجملة السببية مغنية عن ذلك فانها تجعل الجملتين كجملة واحدة على ما اسروا في انفسهم نادمين وهو ما كانوا يكتمونه في انفسهم من الكفر والشك فاوهموا عدم تعلق الندامة به لما كانوا يظهرونه من موالاة الكفرة لما انه الذي كان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليها فدل ذلك على ندامتهم عليها باصلها وسببها ويقول الذين آمنوا كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة وقرئ بغير واو على انه جواب سؤال نشأ مما سبق كأنه قيل فماذا يقول المؤمنون وقرئ ويقول بالنصب عطفا على ما يصبحوا او قبل على يأتي باعتبار المعنى كأنه قيل فعسى ان يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا والاول اوجه لان هذا القول انما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند اتيان الفتح فقط والمعنى ويقول الذين كانوا يوالونهم ويراجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المفارقة عنهم في الآراء والقرآء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم اي بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكي عنهم ولئن قوتلتم لنتصرنكم فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده خبره والمعنى انكار ما فعلوا واستبعاده وتخطئتهم في ذلك او يقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين الى المنافقين ايضا اهؤلاء الذين اقسموا الكفرة انهم لمعكم فالخطاب لليهود في معكم على التقديرين الا انه على الاول من جهة المؤمنين وعلى الثاني من جهة المقسمين وهذه الجملة لا محل لها من الاعراب لانها تفسير وحكاية لمعنى اقسموا لكن لا بالنظر لهم والا لقيل انا لمعكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه واللام بتقريبه لفظا لانه مؤول بنكرة اي مجتهدين في ايمانهم او على المصدرية اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين وقوله تعالى حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما جملة مستأنفة مسوقة من جهته تعالى لبيان ما صنعوه من ذعاية الولاية والاقسام على المعونة في المنظر والمكره اثر الاشارة الى بطلانه بالاستفهام الانكاري واما خبر ثان للمبتدأ عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او هو الخبر والموصول مع ما في حيز صلته صفة لاسم الاشارة فالاستفهام حينئذ للتعجيب وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم والمعنى بطلت اعمالهم التي علوا في شأن موالاتهم وسعوا في ذلك سعيا بليغا حيث لم تكن لهم دولة فيتبعوا بما صنعوا من المساعي وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاشعار بما بالمنافقين والتعريض للمخاطبين ما لا يخفى وقيل قال بعض المؤمنين مخاطبا لبعض تعجبا من سوء حال المنافقين واعتباطا بما من الله تعالى عليهم من التوفيق للاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا باغلظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين الناس وانت خبير بان ذلك الكلام من المؤمنين انما يليق بما لو اظهر المنافقون خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون عليه من ولاية المؤمنين ومعاضدتهم على الكفار فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك على رؤس الاشهاد وبطلت اعمالهم التي يتكلفونها في رأي اعين الناس ولا ريب في انهم يومئذ اشد ادعاء واكثر اقساما منهم قبل ذلك فضلا عن ان يظهروا خلاف ذلك وانما الذي يظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس ذلك

في العبارة لطافة لا تخفى

علامة ظاهرة الدلالة على كفرهم وكذبهم في ادعائهم فانهم يدعون ان لبست نداتهم الا على اظهروه من موالاة الكفرة خشية اصابة
الدائرة يا ايها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه وقرئ من يرتدد منكم بالفك على لغة الحجاز والادغام لغة تميم لما نهى
فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى وبين ان موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين وفصل مصير امر من يواليهم من المنافقين شرع
في بيان حال المرتدين على الاطلاق وهذا من الكائنات التي اخبر عنها القرآن قبل وقوعها روى انه ارتد عن الاسلام احدى عشرة فرقة
ثلث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج وزعيمهم ذو الخمار وهو الاسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده
فاخرج منها عمال رسول الله عليه السلام فكتب عليه السلام الى معاذ بن جبل الى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يدي فيروز الديلمي بتنبيه فقتله
واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر به المسلمون وغبض عليه السلام من الغد والى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة
الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجابه
رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين
فحاربه ابو بكر رضه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة رضه وكان يقول قتلت في جاهلية خير الناس وفي اسلام شر الناس
وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث ابو بكر رضه خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال الى الشام فاسلم واحسن اسلامه وسمع
في عهد ابي بكر رضه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع
قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري
في كتاب استغفر واستغري امت سجاح ووالاها مسيلمة كذا به في بني الدنيا وكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر
بن وائل بالبحرين قوم الحطم ابن زيد وكفى اسدا وطيء امرهم على يدي ابي بكر رضي الله تعالى عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضه غسان قوم جبلة
بن الايهم نصرانية اللطمة وسيرته الى بلاد الروم وقصته مشهورة وقوله عز وجل فسوف ياتي الله جواب الشرط والعائد
الى اسم الشرط محذوف اي فسوف ياتي الله مكانهم بعد اهلاكهم بقوم يحبهم اي يريد بهم خيري الدنيا والآخرة ومحل الجملة
الجر على انها صفة لقوم وكذا قوله ويحبونه اي يريدون طاعته ويتجرؤون عن معاصيه معطوف عليها داخل في حكمها وقيل
هم اهل اليمن لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى ابي موسى الاشعري وقال قوم هذا وقيل هم الانصار وقيل
هم الفرس لما روي انه لما سئل عنهم ضرب بيده الكريمة على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لنالة
رجال من ابناء فارس وقيل الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وثلثة آلاف من افناء الناس جاهد بهم ابو بكر رضه في سنة
اذلة على المؤمنين جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل اي ارفاء ورحماء متذللين ومتواضعين لهم واستعمال على لافادة معنى
العطف والمعنى او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم او لرعاية المقابلة بينه وبين
ما في قوله تعالى اعزة على الكافرين اي اشداء متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه للدلالة على استعلائهم بالاتصاف بكل منها
وفيه دليل على صحة تاخير الصفة الصريحة عن القريحة من الجملة والظرف كما في قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك وقوله تعالى بانهم
من ذكر من ربهم محدث وقوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب اليه من لا يجوزه من ان قوله تعالى يحبهم ويحبونه كلام
معترض وان مبارك خبرا وخبر لمبتدا محذوف وان من ربهم ومن الرحمن حالان متقدمتان من ضمير محدث تكلف لا يخفى وقرئ
اذلة اعزة بالنصب على الحالية من قوم لتخصصه بالصفة يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم مترتبة على ما قبلها مبينة
مع ما بعدها لكيفية عزتهم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم جامعون بين المجاهدة في
سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه تعريض للمنافقين فانهم اذا فرجوا في جيش المسلمين خافوا اولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون شيئا
يلحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين واعترض عليه

٢ الى دعي النبوة

اعزة مثلا

القادسية موضع بينه وبين الكوفة
جار فيها سعد بن ابي وقاص مع رستم
صاحب جيش يزدجرد الشقي كذا سعد

بانهم نصوا على ان المضارع المنفي بلا او ما كالمثبت في عدم جواز مباشرة واو الحال واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة
لا تخفى ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل فضل الله
اى لطفه واحسانه لا انهم مستقلون في الاتصاف بها يؤتيه من يشاء ايتاءه اياه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة
والله واسع كثير الفواضل والالطاف عليم مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها من هو اهل للفضل والتوفيق والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بالعلة وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما
نهاهم الله عز وجل عن موالاة الكفرة وعلله بان بعضهم اولياء بعض لا يتصور ولايتهم للمؤمنين وبين ان من يتولاهم يكون من جملتهم
بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية عليه كانه قيل لا تتخذوهم اولياء لان بعضهم اولياء بعض وليسوا باوليائكم انما اولياؤكم الله
ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم الى الغير وانما افرد الولي مع تعدده للايذان بان الولاية اصالة لله تعالى وولاية
الرسول عليه السلام وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته عز وعلا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين آمنوا جار
مجرى الاسم او بدل منه او نصب على المدح او رفع عليه وهم راكعون حال من فاعل الفعلين اى يعملون ما ذكر من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة
وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى قيل هو حال مخصوصة بايتاء الزكوة والركوع ركوع الصلوة والمراد بيان كمال رغبتهم في الاحسان
ومسارعتهم اليه وروى انها نزلت في علي رضه حين سأله سائل وهو راكع فطرح اليه خاتمه كانه كان مرجا في خنصره غير محتاج
في اخراجه الى كثير عمل يؤدي الى افساد الصلوة ولفظ الجمع حينئذ لترغيب الناس في مثل فعله رضي الله عنه وفيه دلالة على ان صدقة التطوع
تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا اوثر الاظهار على ان يقال ومن يتولهم رعاية لما مر من نكتة بيان اصالته تعالى
في الولاية كما ينبئ عنه قوله تعالى فان حزب الله هم الغالبون حيث اضيف الحزب اليه تعالى خاصة وهو ايضا من باب وضع
الظاهر موضع الضمير العائد الى من اى فانهم الغالبون لكنهم جعلوا حزب الله تعالى تعظيما لهم واثباتا لغلبتهم بالطريق البرهاني كانه قيل
ومن يتول هؤلاء فانهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا روى
ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المؤمنين يوادونهما فنهوا عن موالاتهما ورتب
النهي على وصف يعمهما وغيرهما تعميما للحكم وتنبيها على العلة وايذانا بان من هذا شأنه جدير بالمعاداة فكيف بالموالاة من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان ايتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية قباحتهم لما ان ايتاء الكتاب
وازع لهم عن استهزاء الدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم والكفار اى المشركين خصوا به لتضاعف كفرهم وهو عطف على
الموصول الاول ففيه اشعار بانهم ليسوا بمستهزئين كما ينبئ عنه تخصيص الخطاب باهل الكتاب في قوله تعالى يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الآية
وقرئ بالجر عطفا على الموصول الاخير ويعضده قراءة ابي ومن الكفار وقراءة ابن عبد الله ومن الذين اشركوا فهم ايضا من جملة المستهزئين
اولياء وجانبوهم كل المجانبة واتقوا الله في ذلك بترك موالاتهم وبترك المناهي على الاطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا
اوليا ان كنتم مؤمنين اى حقا فان قضية الايمان توجب الاتقاء لا محالة واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها اى الصلوة او المناداة
وفيه دلالة على شرعية الاذان هزوا ولعبا بيان لاستهزائهم بحكم خاص من احكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الاطلاق
اظهارا لكمال شقاوتهم وروى ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله يقول احرق الله الكاذب فدخل
خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطايرت منها شرارة في البيت فاحرقته واهله جميعا ذلك اى الاستهزاء المذكور بانهم اى بسبب انهم
قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بمحاسن الحق والهزء به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترؤا على تلك العظيمة قل امر لرسول الله
بطريق تلوين الخطاب بعد نهي المؤمنين عن تولي المستهزئين بان يخاطبهم ويبين ان الدين منزه عما يصحح صدور ما صدر عنهم من الاستهزاء
ويظهر لهم سبب ما ارتكبوه ويلقمهم الحجر اى قل لاولئك الفجرة يا اهل الكتاب وصفوا باهلية الكتاب تمهيدا لما سياتي من تبكيتهم والزامهم

في المسجد معاكم

اراد اسمه من مرج الخاتم في باكرا ر فلق
سعد الدين

عاشق كانه كان كاذبا لا المؤذن

بكونهم بكتابهم هل تنقمون منا من نقم منه كذا اذا عابه وانكره وكرهه ينقمه من حد ضرب وقرئ بفتح القاف من حد علم وهى لغة
اى ما تعيبون وما تنكرون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا من القرآن المجيد وما انزل من قبل اى من قبل انزاله
من التورية والانجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب الالهية وان اكثركم فاسقون اى متمردون خارجون عن الايمان بما ذكر
فان الكفر بالقرآن مستلزم للكفر بها لا محالة وهو عطف على ان آمنا على انه مفعول له لتنقمون والمفعول الذى هو الدين محذوف ثقة بدلالة
ما قبله وما بعده عليه دلالة واضحة فان اتخاذ الدين هزوا ولعبا عين نقمه وانكاره والايمان بما فصل عين الدين الذى نقموه خلا انه
ابرز فى معرض علة نقمهم تسجيلا عليهم بكمال المكابرة والتعكيس حيث جعلوه موجبا للنقمة مع كونه فى نفسه موجبا لقبوله وارتضائه
فالاستثناء من اعم العلل اى ما تنقمون منا دينا لعلة من العلل الا لان آمنا بالله وما انزل من قبل من كتبكم ولان اكثركم
متمردون غير مؤمنين بواحد مما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لآمنتم به واسناد الفسق الى اكثرهم لانهم الحاملون
لاعقابهم على التمرد والعناد وقيل عطف عليه على انه مفعول لتنقمون لكن لا على ان المستثنى مجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما من المخالفة
كانه قيل ما تنقمون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون عنه وقيل على حذف المضاف اى واعتقاد ان اكثركم فاسقون
وقيل عطف على ما اى تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وبانكم فاسقون وقيل عطف على علة محذوفة اى لقلة انصافكم
ولان اكثركم فاسقون وقيل الواو بمعنى مع اى تنقمون منا الا الايمان مع ان اكثركم الخ وقيل هو منصوب بفعل مقدر
دل عليه المذكور اى ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر محذوف اى وفسقكم معلوم او ثابت
والجملة حالية او معترضة وقرئ بان المكسورة والجملة مستانفة مبينة لكون اكثرهم فاسقين متمردين قل هل انبئكم
بشر من ذلك لما امر عليه السلام بالزامهم وتبكيتهم ببيان ان مدار نقمهم للدين انما هو اشتماله على ما يوجب ارتضاءه عندهم
ايضا وكفرهم بما هو مسلم لهم امر عقيبه بان يبكتهم ببيان ان الحقيق بالنقم والعيب حقيقة ما هم عليه من الدين المحرف
وينعى عليهم فى ضمن البيان جنايات ما تهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها على منهاج التعريض لئلا يحملهم التصريح بذلك على ركوب
متن المكابرة والعناد ويخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظم شان المبين ويستدعى اقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية
المشوقة الى المخبر به والتنبئة المشعرة بكونه امرا خطيرا لما ان النبأ هو الخبر الذى له شان وخطر وحيث كان مناط النقم شرية
المنقوم حقيقة او اعتقادا وكان مجرد النقم غير مفيد لشريته البتة قيل بشر من ذلك ولم يقل بانقم من ذلك تحقيقا لشرية
ما سيذكر وزيادة تقرير لها وقيل انما قيل ذلك لوقوعه فى عبارة المخاطبين حيث اتى نفر من اليهود فسالوا رسول الله عليه السلام
عن دينه فقال عليه السلام اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شرا من دينكم وانما عبر
الشرية بالنسبة الى الدين وهو منزه عن شائبة الشرية بالكلية مجاراة معهم على زعمهم الباطل المنعقد على كمال شريته ليثبت ان
دينهم شر من كل شر اى هل اخبركم بما هو شر فى الحقيقة مما تعتقدونه شرا وان كان فى نفسه خيرا محضا مثوبة عند الله
اى جزاء ثابتا فى حكمه وقرئ مثوبة وهى لغة فيها كمشورة ومشورة وهى مختصة بالخير كما ان العقوبة مختصة بالشر وانما وضعت
ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز من بشر وقوله عز وجل من لعنه الله وغضب عليه خبر
لمبتدأ محذوف بتقدير مضاف قبله مناسب لما اشير اليه بكلمة ذلك اى دين من لعنه الخ او بتقدير مضاف قبلها مناسب لمن اى بشر من اهل
ذلك والجملة على التقديرين استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الجملة الاستفهامية اما على حالها وهو الانسب بسياق النظم
الكريم واما باعتبار التقدير فيها فكانه قيل ما الذى هو شر من ذلك فقيل هو دين من لعنه الله الخ او قيل فى السؤال من الذى هو شر
من اهل ذلك فقيل هو من لعنه الله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وادخال امر اللعن وما يتبعه والموصول
عبارة عن المخاطبين حيث ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى بعد وضوح الآيات وسنوح البينات وجعل منهم القردة والخنازير

قاضی بیضاوی
قاضی بیضاوی
قاضی بیضاوی
قاضی بیضاوی
قاضی بیضاوی
قاضی بیضاوی

اى مسخ بعضهم قردة وهو اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة عيسى ع وقيل كلا المسخين فى اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة وشيوخهم خنازير وجمع الضمير الراجع الى الموصول فى منهم باعتبار معناه كما ان الافراد الضميرين الاولين باعتبار لفظه وايثار وضعه موضع ضمير الخطاب المناسب لانتظام للقصد الى اثبات الشرية بما عدد فى حيز صلة من الامور الهائلة الموجبة لها على العزائم البرهانية مع مافيه من الاحتراز عن تهييج لجاجهم وعبد الطاغوت عطف على صلة من وافراد الضمير لما قرر وكذا عبد الطاغوت على قراءة البناء للمفعول وكذا عبد الطاغوت بمعنى صار معبودا فالراجع الى الموصول محذوف على الوجهين اى عبد فيهم او بينهم وتقديم اوصافهم المذكورة بصدد اثبات شريتهم على ومنهم هذا مع انه الاصل المستتبع لهذه الوجود وان دلالته على شريتهم بالذات لان عبادة الطاغوت عين دينهم البين البطلان ودلالتها عليها بطريق الاستدلال بشرية الاثار على شرية ما يوجبها من اعتقاد العمل واما للقصد الى تبكيتهم من اول الامر بوصفهم بما لا سبيل لهم الى الجحود لا بشريته وفظاعته ولا بانتصافهم بهم واما للايذان باستقلال كل من المقدم والمؤخر بالدلالة على ما ذكر من الشرية ولو روعى ترتيب الوجود وقيل من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب عليه الخ لرتما فهم ان علة الشر هو المجموع وقد قرئ عابد الطاغوت بالاضافة على انه نعت كفطن ويقظ وكذا عبد الطاغوت بالاضافة على انه جمع عابد كخادم او على ان اصله عبدة حذف تاؤه للاضافة بالنصب فى الكل عطفا على القردة والخنازير وقرئ عبد الطاغوت بالجر عطفا على من بناء على انه مجرور بتقدير المضاف وقد قيل ان من مجرورا على انه بدل من شر على احد الوجهين المذكورين فى تقدير المضاف وانت خبير بان ذلك مع اقتضائه اخلاء النظم الكريم عن المزايا المذكورة بالكلية مما لا سبيل اليه ضرورة ان المقصود الاصلى ليس مضمون الجملة الاستفهامية بل هى كما قرر مقدمة سيقت امام المقصود لحث المخاطبين وتوجيه اذ ذاك نحو تلقى ما يلقى اليهم عقيبها بجملة خبرية موافقة فى الكيفية للسؤال الناشئ منها وهو المقصود افادته وعليه يدور فلك الالزام والتبكيت حسبما شرح فاذا جعل الموصول بما فى حيز صلته من تتمة الجملة الاستفهامية فان الذى يلقى اليهم عقيبها جوابا عما نشأ منها من السؤال يحتمل به الالزام والتبكيت واما الجملة الآتية فبمعزل من صلاحية الجواب كيف لا ولا بد من موافقة فى الكيفية للسؤال الناشئ من الاستفهامية وقد عرفت ان السؤال الناشئ من يستدعى وقوع الشر من تتمة المخبر عنه لا خبر الكائن الجملة المذكورة سيتضح ذلك مزيد اتضاح باذن الله تعالى والمراد بالطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه فى معصية الله عز وجل فيعم الحكام دين النصارى ايضا وتتضح وجه تاخير ذكر عبادته عن العقوبات المذكورة آنفا لو قدمت عليها لتوهم اشتراك الفريقين فى تلك العقوبات ولما كان حال ما ذكر بصدد التبكيت ان ما هو شر مما نعوه دينهم او ان من هو شر ممن نعوه انفسهم بحسب ما قدر من المضافين وكانت الشرية على كلا الوجهين من تتمة الموضوع غير مقصودة الاثبات لدينهم او لانفسهم عقب ذلك باثباتها لهم على وجه يشوبه ما ذكر من القبائح لتشوبها لهم جملة مستانفة مسوقة من جهته سبحانه شهادة عليهم بكمال الشرارة والضلال او داخلة تحت الاخبار تاكيدا للالزام وتشديدا للتبكيت فقيل اولئك شر مكانا فاسم الاشارة عبارة عمن ذكرت صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم فى الشرارة اى اولئك الموصوفون بتلك القبائح والفضائح شر مكانا جعل مكانهم شرا لتكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم وقيل شر مكانا اى منصرفا واضل عن سواء السبيل عطف على شر مقدرا له اى اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم شرا محضا بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان دينهم ضلالا مبينا لا غاية وراءه وصيغة التفضيل فى الموضعين للزيادة مطلقا لا بالاضافة الى من يشاركهم فى اصل الشرارة والضلالة واذا جاؤكم قالوا امنا نزلت فى ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فالخطاب للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم او مع من عنده من المسلمين اى اذا جاؤكم اظهروا الاسلام وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اى يخرجون من عندك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالتان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا او خرجوا وقد فان دخلت

تفسير البيضاوى

بالكلية

لتقریب الماضی من الحال لیصح ان یقع حالا افادت ایضا بما فیها من معنی التوقع ان امارات النفاق کانت لائحة وکان الرسول علیه السلام
بظنه ویتوقع ان یظهره الله تعالی ولذلک قیل واللہ اعلم بما کانوا یکتمون ای من الکفر وفیه وعید شدید لهم وتری خطاب
لرسول الله صلی الله علیه وسلم او لکل احد ممن یصلح للخطاب والرؤیة بصریة کثیرا منهم من الیهود والمنافقین وقوله یسارعون
فی الاثم حال من کثیرا وقیل مفعول ثان والرؤیة قلبیة والاول انسب بحالهم وظهور نفاقهم والمسارعة المبادرة والمباشرة
للشئ بسرعة وآثار کلمة فی علی کلمة الی الواقعة فی قوله تعالی وسارعوا الی مغفرة لما ذکر فی قوله تعالی وتری کثیرا منهم یسارعون فیهم والمراد
بالاثم الکذب علی الاطلاق وقیل الحرام وقیل کلمة الشرک وقولهم عزیر ابن الله وقیل هو ما یختص بهم من الآثام والعدوان
ای الظلم المتعدی الی الغیر او مجاوزة الحد فی المعاصی واکلهم السحت ای الحرام خصه بالذکر مع اندراجه فی الاثم للمبالغة فی التقبیح
لبئس ما کانوا یعملون ای لبئس شیئا کانوا یعملونه والجمع بین صیغتی الماضی والمستقبل للدلالة علی الاستمرار لولا ینهاهم الربانیون
والاحبار قال الحسن رض الربانیون علماء النصاری والاحبار علماء الیهود وتخصیص الذین یعتدی
بهم افتاؤهم ویعلمون قباحة ما هم فیه وسوء معتقد علی نهی سافلهم عن ذلک مع توبیخ لهم علی ترکه عن قولهم الاثم واکلهم السحت
مع علمهم بقبحها ومشاهدتهم لمباشرتهم لها لبئس ما کانوا یصنعون وهذا ابلغ مما قبله فی حث عامتهم لما ان العمل لا یبلغ درجة
الصنع ما لم یتدرب فیه صاحبه ولم یحصل فیه مهارة تامة ولذلک ذم به خواصهم ولان ترک الحسنة اقبح من موافقة المعصیة لان النفس
تلتذ بها وتمیل الیها ولانه لذلک ترک الانکار علیها فکان جدیرا بابلغ ذم وفیه مما ینعی علی العلماء توانیهم فی النهی عن المنکرات ما لا یخفی
وعن ابن عباس رض انها اشد آیة فی القرآن وعن الضحاک ما فی القرآن آیة اخوف عندی منها وقالت الیهود قال ابن عباس رض
وعکرمة والضحاک ان الله تعالی کان قد بسط علی الیهود حتی کانوا من اکثر الناس مالا واخصبهم ناحیة فلما عصوا الله تعالی بان کفروا
برسول الله صلی الله علیه وسلم وکذبوه کف عنهم ما بسط علیهم فعند ذلک قال فنحاص بن عازوراء ید الله مغلولة وحیث لم ینکر علیه الآخرون
ورضوا به نسبت تلک العظیمة الی الکل کما یقال بنو فلان قتلوا زیدا وانما القاتل واحد منهم وآثروا بذلک لعنهم الله تنبیه انه سبحانه ممسک
تغتر بالرزق فان کلا من غل الید وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غیر قصد فی ذلک الی اثبات ید وغل او بسط الا تری انهم یستعملونه
حیث لا یتصور فیه ذلک کما فی قوله جاد الحمی بسحّ الدیم من بوابل • شکرت نداه تلاعه ووداه • ولقد سلک لبید هذا المسلک الشدید
حیث قال وغداة ریح قد شهدت وقرة • اذا اصبحت ید الشمال زمامها • فانه انما اراد بذلک اثبات القدرة التامة للشمال
علی التصرف فی القرة کیفما تشاء علی طریقة المجاز من غیر ان یخطر ببالة ان یثبت لها ولا للقرة زماما واصله کنایة فیمن یجوز علیه ارادة المنع
الحقیقی کما مر فی قوله تعالی ولا ینظر الیهم یوم القیمة فی سورة آل عمران وقیل اراد وا ما حکی عنهم بقوله تعالی لقد سمع الله قول الذین قالوا
ان الله فقیر ونحن اغنیاء غلت ایدیهم دعاء علیهم بالغل المذموم والمسکنة او بالغل الابدی حقیقة بان یکونوا اسری
مغلولین فی الدنیا ویسحبوا الی النار یا غلالها فی الآخرة فیکون المطابقة ع من حیث اللفظ وملاحظة المعنی الاصلی کما فی بنی الله
دابره ولعنوا عطف علی الدعاء الاول ای ابعدوا من رحمة الله تعالی بما قالوا ای بسبب ما قالوا من الکلمة الشنعاء وقیل کلاهما خبر
بل یداه مبسوطتان عطف علی مقدر یقتضیه المقام ای کلا لیس کذلک بل هو فی غایة ما یکون من الجود والتثنیة لتاکید ان النفی
ما ینتهی الیهم الاسخیاء ان یعطوا ما یعطونه بکلتا یدیهم وقیل التثنیة للتنبیه علی منحة تع لنعمتی الدنیا والآخرة وقیل علی اعطائه اکرا ما وعلی
اعطائه استدراجا ینفق کیف یشاء جملة مستانفة واردة لتاکید کمال جوده وللتنبیه علی سرعة ما ابتلوا به من الضیق الذی اخذوه من غایة جهلهم
وضلالهم ذریعة لا الاجتراء علی تلک الکفرة العظیمة والمعنی ان ذلک لیس بمقصور فی قبضه بل لان انفاقه تابع لمشیته المبنیة علی الحکم التی علیها دور
امر المعاش والمعاد وقد اقتضت الحکمة بسبب ما فیهم من شوم المعاصی ان یضیق علیهم کما یشیر الیه ما سیاتی من قوله عز وعلا ولو انهم اقاموا التورة
والانجیل الآیة وکیف ظرف لیشاء والجملة فی محل النصب علی الحالیة من ضمیر ینفق ای ینفق کائنا علی ای حال یشاء ای کائنا علی مشیئة ای حال

وترك ذكر ما ينفقه لقصد التعميم ولیزیدن كثيراً منهم وهم علماؤهم ورؤساؤهم ما انزل اليك من القرآن المشتمل على هذه الآيات
وتقديم المفعول للاعتناء به وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما ان بعضهم ليس كذلك من ربك متعلق بما انزل كما ان اليك كذلك
وتأخيره عنه مع ان حق المبدأ ان يتقدم على المنتهى لاقتضاء المقام الاهتمام ببيان المنتهى لان مدار الزيادة هو النزول اليهم كما في قوله تعالى
وانزل لكم من السماء ماء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم لتشريفه عم طغياناً وكفراً مفعول ثان للزيادة اى ليزيدنهم
طغياناً على طغيانهم وكفراً على كفرهم القديمين اما من حيث الشدة والغلو واما من حيث الكم والكثرة اذ كلما نزلت آية كفروا بها فيزداد
طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما ان الطعام الصالح للاصحاء يزيد المرضى مرضاً والقينا بينهم اى بين اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم
قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة العداوة والبغضاء فلا يكاد يتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم والجملة مبتدأة مسوقة
لازاحة ما عسى يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على امر يؤدى الى الاضرار بالمسلمين قيل العداوة اخص من البغضاء لان كل
عدو مبغض بلا عكس كلى الى يوم القيمة متعلق بالقينا وقيل بالبغضاء كلما اوقدوا ناراً للحرب اطفأها الله تصريح بما اشير اليه
من عدم وصول غائلة ما هم فيه الى المسلمين اى كلما ارادوا محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم ورتبوا مباديها وركبوا في ذلك متن كل صعب وذلول
ردهم الله تعالى وقهرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله تع عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومى
ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب اما صلة لاوقدوا او متعلق بمحذوف وقع صفة لناراً اى كائنة
للحرب ويسعون في الارض فساداً اى يجتهدون في الكيد للاسلام واهله واثارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغاير ما عبر عنه بايقاد
نار الحرب وفساداً اما مفعول له او في موقع المصدر اى يسعون للفساد او يسعون سعى فساد والله لا يحب المفسدين ولذلك اطفأ نائرة
افسادهم واللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولاً اولياً واما للعهد ووضع المظهر مقام المضمر للتعليل وبيان كونهم راسخين في الافساد
ولو ان اهل الكتاب اى اليهود والنصارى على ان المراد بالكتاب الجنس المنتظم للتورية والانجيل وانما ذكروا بذلك العنوان تأكيداً للتشنيع
فان اهلية الكتاب توجب ايمانهم به واقامتهم له لا محالة فكفرهم وعدم اقامتهم له وهم اهله اقبح من كل قبيح واشنع من كل شنيع ومفعول قوله تعالى
آمنوا محذوف ثقة بظهوره مما سبق من قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون
وما لحق من قوله تعالى ولو انهم اقاموا التورية الخ اى لو انهم مع ما عدد من سيئاتهم وما صدر عنهم من فنون الجنايات قولاً وفعلاً آمنوا بما نعى عليهم الايمان به
فيندرج فيه ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم واما ارادة ايمانهم به عليه السلام خاصة فيأباه المقام لان ما ذكر فيما سبق وما لحق من
كفرهم به عم انما ذكر مشفوعاً بكفرهم بكتابهم ايضاً قصداً الى الالزام والتبكيت ببيان ان الكفر به عم مستلزم للكفر بكتابهم فحمل الايمان
هنا على الايمان به عم خاصة مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واتقوا ما عددنا من معاصيهم التي من جملتها مخالفة كتابهم لكفرنا
عنهم سيئاتهم التي اقترفوها وان كانت في غاية العظم ونهاية الكثرة ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم مع ذلك جنات النعيم
وتكرير اللام لتأكيد الوعد وفيه تنبيه على كمال عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وان الاسلام يجب ما قبله من السيئات وان جلت وجاوزت
كل حد معهود ولو انهم اقاموا التورية والانجيل بمراعاة ما فيهما من الاحكام التي من جملتها شواهد نبوة النبي صلى الله عليه وسلم
ومبشرات بعثته فان اقامتهما انما تكون بذلك لا بمراعاة جميع ما فيهما من الاحكام لانتساخ بعضها بنزول القرآن فليست مراعاة الكل من اقامتهما
في شيء وما انزل اليهم من ربهم من القرآن المجيد المصدق لكتبهم وايراده بهذا العنوان للايذان بوجوب اقامته عليهم لنزوله اليهم وللتصريح
ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله الى بني اسرائيل وتقديم اليهم لما مر من قبل وفي اضافة الرب الى ضميرهم مزيد لطف بهم في الدعوة الى الاقامة
وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني اسرائيل مثل كتاب شعيا وكتاب حبقوق وكتاب دانيال فانها مملوءة بالبشارة ببعثه عليه السلام
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اى لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء والارض او بان يكثر ثمرات الاشجار وغلال
الزروع او بان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنوا ما تهدل منها من رؤس الاشجار ويلتقطوا ما تساقط منها على الارض وقيل

ثمار يانعه خوش آينده و [illegible]

التهدل فرو آويخته شدن مصادر

المراد المبالغة في شرح السعة والخصب لا تعيين الجهتين كانه قيل لاكلوا من كل جهة ومفعول اكلوا محذوف لقصد التعميم او للقصد الى نفس
الفعل كما في قوله فلان يعطي ويمنع ومن في الموضعين لابتداء الغاية وفي هاتين الشرطيتين من حثهم على ما ذكر من الايمان والتقوى
والاقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين وزجرهم عن الاخلال به ببيان افضائه الى الحرمان عنها وتنبيههم على ان ما اصابهم من الضنك والضيق
انما هو من شوم جناياتهم لا لقصور في فيض الفياض ما لا يخفى منهم امة مقتصدة جملة مستانفة مبنية على ما نشا من مضمون الجملتين المصدرتين
بحرف الامتناع الدال على انتفاء الايمان والاتقاء والاقامة كانه قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم الايمان الخ فقيل منهم امة مقتصدة
اما على ان منهم مبتدا باعتبار مضمونه اي بعضهم امة واما بتقدير المبتدا اي بعض كائن منهم كما في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية اي جماعة
معتدلة وهم المومنون منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وثمانية واربعون من النصارى وقيل طائفة حالهم امم في عداوة رسول الله عليه السلام
وكثير منهم مبتدا لتخصصه بالصفة وخبره ساء ما يعملون اي مقول في حقهم هذا القول اي بئس ما يعملون وفيه معنى التعجب اي ما اسوء عملهم
من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة وهم الاجلاف المتعصبون ككعب بن الاشرف واشباهه والروم
يا ايها الرسول نودي عليه الصلوة والسلام بعنوان الرسالة تشريفا له وايذانا بانها من موجبات الاتيان بما امر به من تبليغ ما اوحي اليه بلغ
ما انزل اليك اي جميع ما انزل اليك من الاحكام وما يتعلق بها كائنا ما كان وفي قوله تعالى من ربك اي مالك امورك ومبلغك
الى كمالك اللائق بك عدة ضمنية بحفظه عليه السلام وكلاءته اي بلغه غير مراقب في ذلك احدا ولا خائف ان ينالك مكروه ابدا وان لم تفعل
اي ما امرت به من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبئ عنه قوله تعالى فما بلغت رسالته فان ما لا يتعلق به الاحكام اصلا من الاسرار
ليست مما يقصد تبليغه الى الناس اي فما بلغت شيئا من رسالته وانسلخت مما شرفت به من عنوان الرسالة بالمرة لما ان بعضها
ليس اولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء
كل منها بما يدل عليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد ولا ريب في ان الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا غير مؤمن ولان كتمان بعضها
منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله تعالى فكانما قتل الناس جميعا من حيث
ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت رسالاته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت
وذلك قوله تعالى والله يعصمك من الناس فانه كما ترى عدة كريمة بعصمته من لحوق ضررهم بروحه العزيز باعثة له عليه السلام على الجد في ما امر به
من التبليغ غير مكترث بعداوتهم وكيدهم وعن انس رضي الله عنه كان يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس
فقد عصمني الله من الناس فقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الكافرين تعليل لعصمته عليه السلام اي لا يمكنهم مما يريدون بك من الاضرار
وايراد الآية الكريمة في تضاعيف الآيات الواردة في حق اهل الكتاب لما ان الكل قوارع يسوء الكفار سماعها ويشق على الرسول عليه السلام
مشافهتهم بها وخصوصا ما يتلوها من النص الناعي عليهم كمال ضلالهم ولذلك اعيد الامر فقيل قل يا اهل الكتاب مخاطبا للفريقين
لستم على شيء اي دين يعتد به ويليق بان يسمى شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه
حتى تقيموا التورية والانجيل اي تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من الامور التي من جملتها دلائل رسالة الرسول وشواهد نبوته فان اقامتهما
انما تكون بذلك واما مراعاة احكامهما المنسوخة فليست من اقامتهما في شيء بل هي تعطيل لهما ورد لشهادتهما لانهما شاهدان بنسخها
وانتهاء وقت العمل بها لان شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادة بنسخها وبخروجها عن كونها من احكامهما وان احكامهما ما قرره النبي الذي
بشر فيهما ببعثته وذكر في تضاعيفهما نعوته فاذن اقامتهما ببيان شواهد النبوة والعمل بما قرره الشريعة من الاحكام كما يفصح عنه قوله تعالى
وما انزل اليكم من ربكم اي القرآن المجيد بالايمان به فان اقامة الجميع لا تتاتى بغير ذلك وتقديم اقامة الكتابين على اقامته مع انه العمدة
بالذات لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن رتبة الشقاق وايراده بعنوان الانزال اليهم لما مر من التصريح بانهم مامورون باقامته

يقال فلان لا يكترث له اي لا يبالي له

يقال في قوله ضاق بهم ذرعا اي طاقة ويقال ضاق ذرعا اذا لم يطقه ولم يقدر عليه كانه يمد اليه يده فلم تنله صح

والايمان

والايمان به لا كما يزعمون من اختصاصه بالتوب وفى اضافة الرب الى ضميرهم ما اشير اليه من اللطف فى الدعوة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبيآء بنى اسرائيل كما مر وقيل الكتب الالهية فانها ناطقة بالايمان بآخرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له روى عن ابن عباس رضه ان جماعة من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تقر ان التورية حق من عند الله فقال نعم بلى فقالوا فانا مؤمنون بها ولا نؤمن بغيرها فنزلت وقوله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا جملة مستانفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوهم فى المكابرة والعناد وعدم افادة التبليغ نفعا وتصدير بالقسم لتاكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد بالكثرة المذكور علماؤهم ورؤساؤهم ونسبة الانزال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسبة فيما قبله الى الانبيآء عليهم السلام عن تلك النسبة فلا تاس على القوم الكافرين اى لا تاسف ولا تحزن عليهم لافراطهم فى الطغيان والكفر بما تبلغه اليهم فان غائلة ذلك عائدة اليهم وتبعته حائقة بهم لا تتخطاهم وفى المؤمنين مندوحة لك عنهم ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ فى الكفر ان الذين آمنوا كلام مستانف مسوق لترغيب من عدا المذكورين فى الايمان والعمل الصالح اى الذين آمنوا بالسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل اعم من ان يواطئها قلوبهم او لا والذين هادوا اى دخلوا فى اليهودية والصابئون والنصارى جمع نصر وقد مر تفصيله فى سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون رفع على الابتدآء وخبره محذوف والنية به التاخير عما فى حيز ان والتقدير ايا الاجدر آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك كقولك فانى وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم لفى غباء ما بقينا فى شقاق خلا انه وسط بين اسم ان وخبرها دلالة على ان الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الاديان كلها حيث قبلت توبتهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فغيرهم اولى بذلك وقيل الجملة الآتية خبر للمبتدا المذكور وخبر ان مقدر كما فى قوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرآى مختلف وقيل والنصارى مرفوع على الابتدآء كقوله تعالى والصابئون عطفا عليه وهو مع خبره عطف على الجملة المصدرة بان ولا مساغ لعطف وحده على محل ان واسمها لاشتراط ذلك اذا كان المذكور خبرها واما اذا كان خبر المعطوف محذوفا فلا محذور فيه ولا على الضمير فى هادوا لعدم التاكيد والفصل ولاستلزامه كون الصابئين هودا وقرئ والصابئون بياء صريحة بتخفيف الهمزة وقرئ والصابون وهو من صابيصبو لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات فى دينهم وقرئ والصابئين وقرئ يا ايها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا اما فى محل الرفع على انه مبتدا خبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والفاء لتضمين المبتدا معنى الشرط وجمع الضمائر الاخيرة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما فى صلته باعتبار لفظه والجملة خبر ان والعائد الى اسمها المحذوف اى من آمن منهم واما فى محل النصب على انه بدل من اسم ان وما عطف عليه والخبر فلا خوف والفاء كما فى قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم الخ فالمعنى على تقدير كون المراد بالذين آمنوا المنافقين وهو الاظهر من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد على الوجه اللائق لا كما زعم اهل الكتاب فان ذلك بمعزل عن ان يكون ايمانا وعملا صالحا صحيحا يقتضيه الايمان بهما فلا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزنون المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد ببيان دوام انتفائهما لا بيان انتفآء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا كما مر مرارا ان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واما على تقدير كون المراد بالذين آمنوا مطلق المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين فالمراد بمن آمن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدا والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كما هو شان المخلصين منهم او بطريق احداثه وانشائه كما هو حال من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين المبالغة فى ترغيب الباقين فى الايمان ببيان ان تاخرهم فى الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الاعلام واما قيل المعنى من كان منهم فى دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فهما لا سبيل اليه اصلا كما مر تفصيله فى سورة البقرة ولقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل كلام مبتدا مسوق لبيان بعض آخر من جنايات تهم المنادية باستبعاد الايمان منهم اى وبالله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر

الشرائع والاحكام المكتوبة عليهم في التورية وارسلنا اليهم رسلا ذوي عدد كثير واولي شان خطير ليقرروهم على مراعاة حقوق الميثاق
ويطلعوهم على ما ياتون ويذرون في دينهم ويتعهدوهم بالعظة والتذكير وقوله تعالى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم جملة شرطية
مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشا من الاخبار باخذ الميثاق وارسال الرسل وجواب الشرط محذوف كانه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل
كلما جاءهم رسول من اولئك الرسل بما لا تحبه انفسهم المنهمكة في الغي والفساد من الاحكام الحقة والشرائع عصوه وعادوه وقوله تعالى فريقا كذبوا
وفريقا يقتلون جواب مستانف عن كيفية ما اظهروه من آثار المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الاجمال كانه قيل كيف فعلوا بهم فقيل
فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار وفريقا آخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم ايضا وانما اوثر صيغة المضارع
على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها الهائلة للتعجب منها والتنبيه على ان ذلك من ديدنهم المستمر وللمحافظة على رؤس الآي الكريمة وتقديم
فريقا في الموضعين للاهتمام به وتشويق السامع الى ما فعلوا به لا للقصر هذا واما جعل الشرطية صفة لرسلا كما ذهب اليه الجمهور فلا يساعده المقام
اصلا ضرورة ان الجملة الخبرية اذا جعلت صفة او صلة ينسخ ما فيها من الحكم ويجعل عنوانا للموصوف وتتمة له في اثبات امر آخر له ولذلك
يجب ان يكون الوصف معلوم الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعله وصفا له ومن ههنا قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار
والاخبار بعد العلم بها صفات ولا ريب في ان ما سيق له النظم انما هو بيان انهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل او التكذيب
حسبما يفيده جعلها استئنافا على ابلغ وجه واكده لا بيان انه تعالى ارسل اليهم رسلا موصوفين بكون كل منهم كذلك كما هو مقتضى جعلها صفة
وحسبوا الا تكون فتنة اي حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم من الله تعالى بما فعلوا من الداهية الدهياء والخطة الشنعاء بلاء
وعذاب وقرئ لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشان المحذوف واصله انه لا تكون فتنة وتعليق
فعل الحسبان بها وهي للتحقيق لتنزيله منزلة العلم لكمال قوته وان بما في حيزها سادة مسد مفعوليه فعموا عطف على حسبوا
والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي امنوا باس الله تعالى فتمادوا في فنون الغي والفساد فعموا عن الدين بعد ما هداهم
الرسل الى معالمه الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة وصموا عن استماع الحق الذي القوه عليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا اشارة
الى المرة الاولى من مرتي افساد بني اسرائيل حين خالفوا احكام التورية وركبوا المحارم وقتلوا شعيبا وقيل حبسوا ارمياء عم لا عبادتهم
العجل كما قيل فانها وان كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم لكنها في عصر موسى عم ولا تعلق لها بما حكي عنهم مما فعلوا
بالرسل الذين جاؤهم بعده عم باعصار ثم تاب الله عليهم حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد بعد ما كانوا ببابل
دهرا طويلا تحت قهر بخت نصر اسارى في غاية الذل والمهانة فوجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس الى بيت المقدس ليعمره ونجى بقايا
بني اسرائيل من اسر بخت نصر بعد مهلكه وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلاثين سنة فكثروا وكانوا كاحسن
ما كانوا عليه وقيل لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف القى الله عز وجل في قلبه شفقة عليهم فردهم الى الشام
وملك عليهم دانيال عم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا الى احسن ما كانوا عليه من الحال
وذلك قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم واما ما قيل ان المراد قبول توبتهم عن عبادة العجل فقد عرفت ان ذلك لا تعلق له بالمقام ولم يسند
التوبة اليهم كسائر احوالهم من الحسبان والعمى والصمم تحاشيا عن التصريح بنسبة الخير اليهم وانما اشير اليها في ضمن بيان توبة الله تعالى عليهم تمهيدا
لبيان نقضهم اياها بقوله تعالى ثم عموا وصموا وهو اشارة الى المرة الاخرة من مرتي افسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيى
وقصدهم قتل عيسى عم لا الى طلبهم الرؤية كما قيل لما عرفت سره فان فنون الجنايات الصادرة عنهم لا تكاد تتناهى خلا ان انحصار ما حكي عنهم
ههنا في المرتين وترتبه على حكاية ما فعلوا بالرسل عم يقضي بان المراد ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير
عماهم الله وصمهم اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك وقوله تعالى كثير منهم بدل
من الضمير في الفعلين وقيل خبر مبتدا محذوف اي اولئك كثير منهم والله بصير بما يعملون اي بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية

الكشاف والقاضي

كشاف وقاضي

الكشاف والقاضي

استحضارُ الصورةِ العظيعةِ ورعايةً للفواصلِ والجملةُ تذييلٌ جاءَ بها اشيرَ به الى بطلانِ حسبانِهم المذكورِ ووقوعِ العذابِ بهم حيثُ لم يجتنبوا الشائعةَ
الجاليةَ الكتنى بها تعويلاً على ما فصّلَ نوعَ تفصيلٍ في سورةِ بني اسرائيلَ والمعنى حسبوا انّ لا يصيبهم عذابٌ فعلوا ما فعلوا من الجناياتِ العظيمةِ
المستوجبةِ لاشدِّ العقوباتِ والله بصيرٌ بتفاصيلِها تكليفٌ لا يؤاخذهم بها ومن اين لهم ذلك الحسبانُ الباطلُ وقد وقعَ ذلك في المرةِ الاولى حيثُ سلّطَ
عليهم بختنصّرَ عاملَ الجراسبِ على بابلَ وقيلَ جالوتَ الجزريَّ وقيلَ سنجاريبَ من اهلِ نينوى والاولُ هو الاظهرُ فاستولى على بيتِ المقدسِ
فقتلَ من اهلِه اربعينَ الفاً فمن نوا التوراةَ وذهبَ بالبقيةِ الى ارضِه فبقوا هناكَ على ما شاءَ ما يكونُ في الدهرِ الا انّ احدَ ثوابَ توبةً صحيحةً
فردَّهم اللهُ عزّ وعلا الى ما حكى عنهم من حسنِ الحالِ ثمّ عادوا الى المرةِ الاخرةِ من الافسادِ فبعثَ اللهُ تعالى عليهم الرومَ فغزاهم ملكُ بابلَ
من ملوكِ الطوائفِ اسمهُ خردرودَ وقيلَ خردوسَ ففعلَ بهم ما فعلَ وقيلَ دخلَ صاحبُ الجيشِ مذبحَ قرابينِهم فوجدَ فيه دماً يغلي فسألهم
فقالوا دمُ قربانٍ لم يُقبلْ منا فقالَ ما صدقوني فقتلَ عليه الوفاً منهم ثمّ قالَ ان لم يصدقوني ما تركتُ منكم احداً فقالوا انه دمُ يحيى عليه السلامُ فقالَ
بمثلِ هذا ينتقمُ اللهُ تعالى منكم ثمّ قالَ يا يحيى قد علمَ ربّي وربّكم ما اصابَ قريبٌ من اجلكَ فاهدأ باذنِ اللهِ تعالى قبلَ انْ لا ابقي احداً منهم فهدأ
لقد كفرَ الذينَ قالوا انّ اللهَ هو المسيحُ بنُ مريمَ شروعٌ في تفصيلِ قبائحِ النصارى وابطالِ اقوالِهم الفاسدةِ بعدَ تفصيلِ قبائحِ
اليهودِ وهؤلاءِ هم الذينَ قالوا انّ مريمَ ولدتْ الهاً وقيلَ هم الملكانيةُ والماريعقوبيةُ منهم وقيلَ هم اليعقوبيةُ خاصةً قالوا
ومعنى هذا انّ اللهَ تعالى حلَّ في ذاتِ عيسى والعياذُ باللهِ تعالى اللهُ عن ذلكَ علواً كبيراً وقالَ المسيحُ حالٌ من فاعلِ قالوا بتقديرِ قد
مفيدةٌ لمزيدِ تقبيحِ حالِهم ببيانِ تكذيبِهم للمسيحِ وعدمِ انزجارِهم عمّا امروا عليه بما اوعدهم به اي قالوا ذلكَ وقد قالَ المسيحُ مخاطباً
لهم يا بني اسرائيلَ اعبدوا اللهَ ربّي وربّكم فانّي عبدٌ مربوبٌ مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انهُ اي الشانَ
من يشركْ باللهِ اي شيئاً في عبادتهِ او فيما يختصُّ به من صفاتِ الالوهيةِ فقد حرّمَ اللهُ عليهِ الجنةَ فلن يدخلها ابداً كما لا يصلى المحرّمُ عليه
المحرّمُ فانها دارُ الموحّدينَ واظهارُ الاسمِ الجليلِ في موقعِ الاضمارِ لتهويلِ الامرِ وتربيةِ المهابةِ ومأواهُ النارُ فانها هي المعدةُ للمشركينَ
وهذا بيانٌ لابتلائهم بالعقابِ اثرَ بيانِ حرمانِهم الثوابَ وما للظالمينَ من انصارٍ اي مالهم من احدٍ ينصرهم بانقاذِهم من النارِ اما بطريقِ
المغالبةِ او بطريقِ الشفاعةِ والجمعُ لمراعاةِ المقابلةِ بالظالمينَ والكلامُ للعهدِ والجمعُ باعتبارِ معنى من كما انّ الافرادَ في الضمائرِ الثلثةِ باعتبارِ
لفظِها واما للجنسِ وهم داخلونَ فيه دخولاً اولياً ووضعهُ على الاولِ موضعَ الضميرِ للتسجيلِ عليهم بانهم ظلموا بالاشراكِ وعدلوا عن طريقِ
الحقِّ والجملةُ تذييلٌ مقرّرٌ لما قبلهُ وهو اما من تمامِ كلامِ عيسى عم واما وارد من جهتهِ تع تأكيداً للمقالةِ عم وتقريراً لمضمونِها وقد قيلَ انهُ
من كلامهِ عز وجل على معنى انهم ظلموا وعدلوا عن سبيلِ الحقِّ فيما تقولوا على عيسى عم فلذلكَ لم يساعدهم عليه ولم ينصرْ قولَهم ورده وانكره
وان كانوا معظمينَ له بذلكَ ورافعينَ من مقدارهِ ومن قولِ عيسى عم على معنى لا ينصركم احدٌ فيما تقولونَ ولا يساعدكم عليه لاستحالتهِ
وبُعدهِ عن المعقولِ وانتَ خبيرٌ بانّ التعبيرَ عمّا حكى عنه عم من مقابلةِ لقولِهم الباطلِ بصريحِ الردِّ والانكارِ والوعيدِ بحرمانِ الجنةِ
ودخولِ النارِ مجردُ عدمِ مساعدةٍ على ذلكَ ونفيُ نصرتهِ لهم خلوهُ عن الفائدةِ تصويرٌ للقوى بصورةِ التضعيفِ وتهوينٌ للخطبِ
في مقامِ تهويلهِ بل توهيمٌ ذلكَ بحسبِ الظاهرِ ما لا يليقُ بشانهِ عم من توهمِ المساعدةِ والنصرةِ لاستجماعِ ملاحظةِ قولهِ وان كانوا معظمينَ له الخ
الا انْ يحملَ الكلامُ على التهكمِ بهم وكذا الحالُ على تقديرِ كونهِ من تمامِ كلامهِ عم فان زجرَه اياهم عن قولِهم الفاسدِ باذكرِ من عدمِ الناصرِ والمساعدِ
بعدَ زجرِه اياهم بما قرنَ الردَّ الاكيدَ والوعيدَ الشديدَ بمعزلٍ من الافادةِ والتاثيرِ ولا سبيلَ ههنا الى الاعتذارِ بالتهكمِ لقد كفرَ الذينَ
قالوا انّ اللهَ ثالثُ ثلثةٍ شروعٌ في بيانِ كفرِ طائفةٍ اخرى منهم ومعنى قولِهم ثالثُ ثلثةٍ ورابعُ اربعةٍ وذلكَ احدُ هذهِ الاعدادِ
مطلقاً لا الثلثُ والرابعُ خاصةً وكذلكَ منعُ الجمهورِ ان ينصبَ ما بعدَه بان يقالَ ثالثَ ثلثةٍ ورابعَ اربعةٍ وانما ينصبُ اذا كانَ ما بعدَه
دونَه بمرتبةٍ كما في قولكَ عاشرَ تسعةٍ وتاسعَ ثمانيةٍ قيلَ انهم يقولونَ انّ الالهيةَ مشتركةٌ بينَ اللهِ سبحانهُ وتعالى وعيسى ومريمَ وكلٌ واحدٍ
من هؤلاءِ آلهةٌ ويؤكدهُ قولهُ تعالى للمسيحِ ءانتَ قلتَ للناسِ اتخذوني وامّيَ الهينِ من دونِ اللهِ فقولهُ تعالى ثالثُ ثلثةٍ اي احدُ ثلثةِ الهةٍ

وهو المتبادر من ظاهر قوله تعالى وما من اله الا اله واحد اى والحال انه ليس فى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث
انه مبدأ لجميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وقيل انهم يقولون الله جوهر واحد
ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثانى العلم وبالثالث
الحيوة فمعنى قوله تعالى وما من اله الا اله واحد الا اله واحد بالذات منزه عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه وان لم ينتهوا عما يقولون
من الكفر الشنيع ولم يوحدوا وقوله تعالى ليمسن الذين كفروا جواب قسم محذوف ساد مسد جواب الشرط اى والله ان لم ينتهوا
ليمسنهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فمن فى قوله تعالى منهم بيانية وليمسن الذين بقوا منهم على ما كانوا
عليه من الكفر فمن تبعيضية وانما جيء بالفعل المنبئ عن الحدوث تنبيها على ان الاستمرار عليه بعد ورود ما ينعى عليهم بالقلع من نص عيسى عم وغيره
كفر جديد وغلو زائد على ما كانوا عليه من اصل الكفر عذاب اليم اى نوع شديد الالم من العذاب والهمزة للاستفهام فى قوله تعالى افلا يتوبون
الى الله ويستغفرونه لانكار الواقع واستبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اى الا ينتهون عن تلك العقائد الزائغة والاقاويل الباطلة فلا يتوبون الى الله الحق ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه اليه
من الاتحاد والحلول فمدار الانكار والتعجيب عدم الانتهاء وعدم التوبة معا او ايسمعون هذه الشهادات المكررة والتشديدات المقررة
فلا يتوبون عقيب ذلك فمدارهما عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوارع الهائلة وقوله عز وجل والله غفور رحيم
جملة حالية من فاعل يستغفرونه مؤكدة للانكار والتعجيب من اصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم الى الاستغفار اى والحال انه تعالى مبالغ فى المغفرة
فيغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله ما المسيح ابن مريم الا رسول استئناف مسوق لتحقيق الحق الذى لا محيد عنه وبيان حقيقة
حاله عم وحال امه بالاشارة اولا الى اشرف ما لهما من نعوت الكمال التى بها صارا من اكمل افراد الجنس وآخرا الى الوصف المشترك بينهما وبين جميع
افراد البشر بل افراد الحيوان استنزالا لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار على ما تقولوا عليهما وارشادا لهم الى التوبة والاستغفار اى هو مقصور
على الرسالة لا يتخطاها وقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول منبئة عن اتصافه بما ينافى الالوهية فان خلو الرسل السالفة عم
منذر بخلوه المقتضى لاستحالة الوهيته اى ما هو الا رسول كالرسل الخالية من قبله خصه الله تعالى ببعض من الآيات كما خص كلا منهم ببعض آخر منها
فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا فى يد موسى وجعلت حية تسعى وهو اعجب منه وان خلق من غير اب ولا ام وهو اغرب منه وكل ذلك من فضل الله
عز وجل وانما موسى وعيسى مظاهر لشئونه وافعاله وامه صديقة اى وما امه ايضا الا كسائر النساء اللاتى يلازمن الصدق
او التصديق ويبالغن فى الاتصاف به فما رتبتهما الا رتبة بشرين احدهما نبى والآخر صحابى فمن اين لكم ان تصفوهما بما لا يوصف
به سائر الانبياء وخواصهم كانا يأكلان الطعام استئناف مبين لما اشير اليه من كونهما كسائر افراد البشر فى الاحتياج
الى ما يحتاج اليه كل فرد من افراده بل من افراد الحيوان وقوله عز وجل انظر كيف نبين لهم الآيات تعجيب من حال الذين يدعون
لهما الربوبية ولا يرعوون عن ذلك بعد ما بين لهم حقيقة حالهما بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب وكيف معمول نبين والجملة فى حيز النصب
معلقة لانظر كيف نبين لهم الآيات الباهرة المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال ثم انظر انى يؤفكون اى كيف
يصرفون عن استماعها والتأمل فيها والكلام فيه كما فيما قبله وتكرير الامر بالنظر للمبالغة فى التعجيب وثم لاظهار ما بين العجبين من التفاوت
اى ان بياننا للآيات امر بديع فى بابه بالغ لاقصى الغايات القاصية من التحقيق والايضاح واعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه بالمرة وتعاضد
ما يوجب قبولها اعجب وابدع قل امر بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه من احوالهم اتعبدون من دون الله اى متجاوزين اياه
وتقديمه على قوله تعالى ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والموصول عبارة عن عيسى عم وايثاره
على كلمة من لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل من الالوهية رأسا ببيان انتظامه فى سلك الاشياء التى لا قدرة لها على شىء اصلا وهو عم
وان كان يملك ذلك بتمليكه تعالى اياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر به الله تعالى من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة وتقديم الضر

فقد خلق آدم من غير اب

الارعواء الرجوع ح

على النفع لان التحرز عنه اهم من تحرى النفع ولان ادنى درجات التاثير دفع الشر ثم طلب الخير وقوله تعالى والله هو السميع العليم حال من فاعل
لتعبدون مؤكد للانكار والتوبيخ ومقرر للالزام والتبكيت والرابط هو الواو اى اتشركون بالله تعالى ما لا يقدر على شئ من ضركم ونفعكم
والحال ان الله تعالى هو المختص بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات التى من جملتها ما انتم عليه من الاقوال الباطلة والعقائد الزائغة
والاعمال السيئة وبالقدرة الباهرة على جميع المقدورات التى من جملتها مضاركم ومنافعكم فى الدنيا والآخرة قل يا اهل الكتاب تلوين للخطاب
وتوجيه له الى فريق اهل الكتاب على لسان النبى عليه السلام بعد ابطال مسلكهم كل منهما بالمبالغة فى زجرهم عما سلكوه من المسلك الباطل وارشادهم
الى الامر الحق الحقيق لا تغلوا فى دينكم اى لا تتجاوزوا الحد وهو نهى للنصارى عن رفع عيسى عم عن رتبة الرسالة الى ما تقولوا فى حقه من العظيمة
واليهود عن وصفهم له عم عن رتبته العلية الى ما تفوهوا به من الكلمة الشنعاء وقيل هو خاص بالنصارى كما فى سورة النساء فذكرهم بعنوان اهل
الكتاب لتذكير ان الانجيل ايضا ناهيهم عن الغلو وقوله تعالى غير الحق نصب على انه نعت مصدر محذوف اى لا تغلوا فى دينكم غلوا باطلا او حال
من ضمير الفاعل اى لا تغلوا مجاوزين الحق او من دينكم اى لا تغلوا فى دينكم حال كونه باطلا وقيل نصب على الاستثناء المتصل وقيل على المنقطع
ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل هم اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا فى الزمن السابق او من النصارى على العقولين قبل مبعث النبى عم
فى شرعهم واضلوا كثيرا اى قوما كثيرا ممن شابههم فى الزيغ والضلال او اضلالا كثيرا والمفعول محذوف وضلوا عند بعثة النبى عليه السلام
وتوضيح محجة الحق وتبيين مناهج الاسلام عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن
مقتضى الحق الثانى الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا اى لعنهم الله عز وجل بناء الفعل للمفعول للجرى على سنن الكبرياء
من بنى اسرائيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول او من فاعل كفروا او قوله لعن على لسان داود وعيسى بن مريم متعلق بلعن اى لعنهم الله
فى الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت دعا عليهم داود عم فقال اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخهم الله تعالى
قردة واصحاب المائدة لما كفروا وقال عيسى عم اللهم عذب من كفر بعدما اكل من المائدة عذابا لم تعذب به احدا من العالمين والعنهم كما لعنت
اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا ثلثمائة الف رجل ما فيهم امرأة ولا صبى ذلك اشارة الى اللعن المذكور واثباره على الضمير للتنبيه
على كمال ظهوره وامتيازه عن نظائره وانتظامه بسبب فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال فظاعته وبعد درجته
فى الشناعة والهول هو مبتدأ خبره قوله تعالى بما عصوا وكانوا يعتدون والجملة مستانفة واقعة موقع الجواب عما نشأ من الكلام
كانه قيل اى سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن الفظيع الهائل بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر كما يفيده الجمع بين صيغتى الماضى
والمستقبل وينبئ عنه قوله تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فانه استئناف مفيد بعبارته لاستمرار عدم التناهى ان يصدر
كل واحد منهم الآخر عما يفعله من المنكر كما هو المعنى المشهور لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهى عن اشخاص متعددة من غير اعتبار
ان يكون كل واحد منهم ناهيا ومنهيا معا كما فى تراؤا الهلال وقيل التناهى بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه وتركه فالجملة حينئذ
مفيدة لما قبلها من المعصية والاعتداء ومفيدة لاستمرارهما حتما وعلى الاول مفيدة لاستمرار انتفاء النهى عن المنكر بان لا يوجد فيما بينهم من يتولاه
فى وقت من الاوقات ومن ضرورته استمرار فعل المنكر حسبما سبق وعلى كل تقدير فما يفيده تنكير المنكر من الوحدة نوعية لا شخصية فلا يقدح وصفه
بالفعل الماضى فى تعلق النهى به لما ان تعلق الفعل انما هو بفرد ما من افراد ما يتعلق به النهى والانتهاء من مطلق المنكر باعتبار تحققه فى ضمن اى فرد كان
من افراده على ان المعنى المعتبر فى الصفة انما هو بالنسبة الى زمان النزول لا الى زمان النهى حتى يلزم كون النهى بعد الفعل فلا حاجة الى تقدير المعاودة
او المثل او جعل الفعل عبارة عن الارادة على ان المعاودة كالنهى لا تتعلق بالمنكر المفعول فلا بد من المصير الى احد ما ذكر من الوجهين اولا تقدير المثل
او الى جعل الفعل عبارة عن الارادة وفى كل ذلك تعسف لا يخفى لبئس ما كانوا يفعلون تقبيح لسوء اعمالهم وتعجيب منه بالتوكيد القسمى كيفا ووقتا
اما هم الى ما شرح من اللعن الكبير وليس فى تبيه بذلك دلالة على خروج كونهم عن السبيتة مع الاشارة الى السبيتة فيما سبق فى قوله تع لعن الذين كفروا فان اجراء
الحكم على الموصول مشعر بعلية ما فى حيز الصلة له لما ان ما ذكر فى حيز السببية مشتمل على كفرهم ايضا ترى كثيرا منهم اى من اهل الكتاب كعب بن الاشرف

وطرابلس بتشديد الراء بالكسر عامر واضح
وهو مجتمع الطريق ايضا
قاموس

واحزابه حيث خرجوا الى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم والرؤية بصرية وقوله تعالى يتولون الذين كفروا
حال من كثيرا لكونه موصوفا اى يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل من منافقي اهل الكتاب
يتولون اليهود وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقيل يوالون المشركين ويصافونهم لبئس ما قدمت لهم انفسهم
لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على كمال التعلق
والارتباط بينهما كانهما شئ واحد ومبالغة في الذم اى موجب سخطه تعالى ومحله الرفع على الابتداء والجملة قبله خبره والرابطة عند من يشترط
العموم او لا حاجة البدلان الجملة عين المبتدا او على انه خبر لمبتدا محذوف ينبئ عنه الجملة المتقدمة كانه قيل ما هو او اى شئ هو فقيل هو ان سخط الله
عليهم وقيل المخصوص بالذم محذوف وما اسم تام معرفة في محل رفع بالفاعلية لفعل الذم وقدمت لهم انفسهم جملة في محل الرفع على انها صفة
للمخصوص بالذم قائمة مقامه والتقدير لبئس الشئ شيئ قدمت لهم انفسهم فقوله تعالى ان سخط الله عليهم بدل من شئ المحذوف وفي هذا مذهب
سيبويه وفي العذاب اى عذاب جهنم هم خالدون ابدا الآبدين ولو كانوا اى الذين يتولون المشركين من اهل الكتاب يؤمنون
بالله والنبي اى نبيهم وما انزل اليه من الكتاب او لو كانوا المنافقون يؤمنون بالله ونبينا ايمانا صحيحا ما اتخذوهم اى المشركين
واليهود اولياء فان الايمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعا ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن الدين والايمان بالله ونبيهم
وكتابهم او متمردون في النفاق مفرطون فيه لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا جملة مستانفة مسوقة
لتقرير ما قبلها من قبائح اليهود وعراقتهم في الكفر وسائر احوالهم الشنيعة التي من جملتها موالاتهم للمشركين اكدت بالتوكيد القسمي اعتناء
ببيان تحقق مضمونها والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد صالح له ايذانا بان حالهم مما لا يخفى على احد من الناس والوجدان
متعد الى اثنين احدهما اشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لانهما في الاصل مبتدا وخبر ومصب الفائدة هو الخبر
لا المبتدا ولا خير في التقديم والتاخير اذ دل على الترتيب دليل وههنا دليل واضح عليه وهو ان المقصود بيان كون الطائفتين المذكورتين اشد
وانت خبير بانه بمعزل من الدلالة على ذلك كيف لا والافادة في الصورة الثانية اتم والكل مع ظهوره عن تعسف التقديم والتاخير
اذا المعنى انك ان قصدت ان تعرف من اشد الناس عداوة للمؤمنين وتتبعت احوال الطوائف طرا واحطت بالدنيا خبرا وبالغت
في تعرف احوالهم الظاهرة والباطنة وسعيت في تطلب ما عندهم من الامور البارزة والكامنة لتجدن الا اشد تينك الطائفتين لا غير
فتامل واللام الداخلة على الموصول متعلقة بعداوة متونة بها مؤنثة بالتاء لانها مبنية عليها كما في قوله ورجعة عما بك

وقيل متعلقة بمحذوف هو صفة لعداوة اى كائنة للذين آمنوا وصفهم الله تعالى بذلك لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم
في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الانبياء والاجتراء على تكذيبهم ومناصبتهم
وفي تقديم اليهود على المشركين بعد كونهما في قرن واحد اشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما ان في تقديمهم عليهم في قوله ولتجدنهم
احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ايذانا بتقدمهم عليهم في الحرص ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا اعيد الموصول
مع صلته ردا لزيادة التوضيح والبيان الذين قالوا انا نصارى عبر عنهم بذلك اشعارا بترتب مودتهم حيث يدعون انهم
انصار الله واولياء اهل الحق وان لم يظهروا اعتقاد حقية الاسلام وعلى هذه النكتة مبنى الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى فمن الذين
قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم والكلام منعول لتجدن وتطق اللام كالذي سبق والعدول عن جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين
شيئا واحدا او قد تفاوتا فيه بالشدة والضعف او بالقرب والبعد بان يقال اقربا ولتجدن اضعفهم عداوة الخ او بان يقال اولا لتجدن ابعد
الناس مودة الخ للايذان بكمال تباين ما بين الفريقين من التفاوت ببيان ان احدهما اقصى مراتب الطرف الخبيث والآخر اقرب
مراتب النقيض الآخر ذلك اى كونهم اقرب مودة للمؤمنين بان منهم اى بسبب ان منهم قسيسين وهم علماء النصارى
وعبادهم ورؤساؤهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشئ اذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم قاله الراغب

يبيضاوي

الزمن الرسوخ والثبات

اى جمعها

وقيل القس بفتح القاف تتبع الشئ ومنه سمي عالم النصارى قسا لتتبعه العلم وقيل قس الاثر وقصه بمعنى وقيل اذا بحث وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وقيل ضيعت النصارى الانجيل وما فيه وبقي منهم رجل يقال له قسيسا لم يبدل دينه فمن راعى حديه ودينه قيل له قسيس ورهبانا جمع راهب كراكب وركبان وفارس وفرسان وقيل انه يطلق على الواحد وعلى الجمع وانشد فيه قول من قال لعاينت رهبان دير وقلل الاقبل الرهبان يعدو ونزل والترهب التعبد في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلو في تحمل التعبد من فرط الخوف والتكبير لافادة الكثرة ولا بد من اعتبار ما في القسيسين ايضا اذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين فان اتصاف افراد كثيرة لجنس بخصلة مظنة لاتصاف الجنس بها والا فمن اليهود ايضا قوم مهتدون الا ترى الى عبد الله بن سلام واخوانه فانك تجد من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الخ لكنهم لما كانوا في الكثرة كالذين من النصارى لم تجد حكمهم الى جنس اليهود وانهم لا يستكبرون عطف على ان منهم اي وبانهم لا يستكبرون عن قول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود والجملة شاملة لجميع افراد الجنس فبينتها لا قربتهم مودة للمؤمنين واضحة وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كان ذلك من كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول عطف على يستكبرون اي ذلك سبب انهم لا يستكبرون وان اعينهم تفيض من الدمع عند سماع القرآن وهو بيان لرقة قلوبهم ونتدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم اباتهم اياه ترى اعينهم تفيض من الدمع اي تمتلئ من الدمع فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب عن امتلاء مبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى لابتداء الغاية والثانية لتبيين الموصول اي ابتداء الفيض ونشأ من معرفة الحق وصل من اصله وسببه ويحتمل ان تكون الثانية تبعيضية لان ما عرفوه بعض الحق وحيث آل بكاؤهم ذلك فما ظنك بهم لو عرفوا كله وقرأوا القرآن واحاطوا بالسنة وقرئ اعينهم على صيغة المبني للمفعول يقولون استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم عند سماع القرآن كانه قيل ماذا يقولون فقيل يقولون ربنا آمنا بهذا او بمن انزل هذا عليه او بهما وقيل حال من الضمير المجرور في اعينهم لان المضاف جزؤه كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا فاكتبنا مع الشاهدين اي الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او مع امة الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة وانما قالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق كلام مستانف قالوه تحقيقا لايمانهم وتقريرا له بسبب انتفائه ونفيه بالكلية على ان قوله لا نؤمن حال من الضمير في لنا والعامل ما فيه من معنى الاستقرار اي اي شئ حصل لنا غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تع ومالي لا اعبد الذي فطرني ونظائره لا الى السبب فقط مع تحقق المسبب كما في قوله تعالى فمالهم لا يؤمنون وامثاله فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب واخرى لانكار الوقوع كما في أأضرب ابي كذلك الا ان استفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في الآية الثانية وقوله تع مالكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيتسير بان الى السبب ايضا كما في الآية الاولى فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم الافادة امر مفروض ضمنا وقوله تعالى ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين حال اخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدا والعامل فيها هو العامل في الاولى متقيدا بها اي اي شئ حصل لنا غير مؤمنين وغير ناطمع في صحبة الصالحين ومن الضمير في لا نؤمن على معنى انهم انكروا على انفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون في صحبة المؤمنين وقيل معطوف على نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين ترك الايمان وبين الطمع المذكور فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده وقرئ فاثابهم الله جنات بحرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين اي الذين احسنوا النظر والعمل والذين اعتادوا الاحسان في الامور والآية الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب المهاجرين معه واحضر القسيسين والرهبان فامر جعفرا ان يتلو عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

اليهود اكثر من ١٠ آيات

فقرأ عليهم سورة مريم فبكوا وآمنوا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو نوع
خرب منه لما ان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم بمقابلة حال المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم اى ما طاب ولذ منه كأنه لما تضمن ما سلف من مدح النصارى على الترهب ترغيب المؤمنين في كسر النفس ورفض الشهوات
عقب ذلك بالنهى عن الافراط في الباب اى لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا
وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا
على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح
ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم انى لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا
وناموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتي فليس منى فنزلت ولا تعتدوا اى ولا تعتدوا
حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن مطلق الاعتداء ليدخل فيه النهى عن تحريمها دخولا اوليا
لوروده عقيبه او اريد ولا تعتدوا بذلك ان الله لا يحب المعتدين تعليل لما قبله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اى ما حل لكم وطاب
مما رزقكم الله فحلالا مفعول كلوا ومما رزقكم اما حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة او متعلق بكلوا ومن ابتدائية وهو المفعول وحلالا حال من الموصول
او من عائده المحذوف او صفة لمصدر محذوف اى اكلا حلالا وعلى الوجوه كلها لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم
به مؤمنون تأكيد للوصية بما امر به فان الايمان به تعالى يوجب المبالغة في التقوى والانتهاء عما نهى عنه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم
اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو عندنا ان يحلف على شيء يظن انه كذلك ثم ليس كما يظن وهو قول مجاهد وقيل كانوا
حلفوا على تحريم الطيبات على ظن انه قربة فلما نزل النهي قالوا فكيف بايماننا فنزلت وعند الشافعي رح ما يبدو من المرء من غير قصد كقوله لا والله
وبلى والله وهو قول عائشة رض وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اى
بتعقيدكم الايمان وتوثيقها عليها بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرى
بالتخفيف وقرئ عاقدتم بمعنى عقدتم فكفارته اى فكفارة نكثه وهى الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة وتسترها واستدل
بظاهره على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا فليأت الذي هو خير ثم ليكفر
عن يمينه اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم اى من اقصده في النوع او المقدار وهو نصف صاع
من بر لكل مسكين ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما كائنا من اوسط ما تطعمون او الرفع
على انه بدل من اطعام واهلون جمع اهل كارضون جمع ارض وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الحالات الثلث كالالف وهو
ايضا جمع اهل كالاراضي في جمع ارض والليالي في جمع ليل وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او على محل من اوسط على تقدير ونحوه بدلا
من اطعام وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وازار وقرئ بضم الكاف وهي لغة كقدوة في قدوة واسوة في اسوة
وقرئ او كاسوتهم على ان الكاف في محل الرفع تقديره او اطعامهم كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم
ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة اى اعتاق انسان كيف ما كان وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب
احدى الخصال مطلقا او خيار التعيين للمكلف فمن لم يجد اى شيئا من الامور المذكورة فصيام ثلثة ايام اى فكفارته صيام ثلثة ايام
والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلثة ايام متتابعات والشافعي لا يرى الشواذ حجة ذلك اى الذي ذكر كفارة ايمانكم اذا حلفتم
اى وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها كما اشعر به قوله تع اذا حلفتم وقيل بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت
بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي
والى تبيين آخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف

الجب القطع والمذاكير جمع ذكر
بمعنى القصد على خلاف القياس
والودك [illegible]

كشاف

الحنث الخلف

قاضي

مثل

واصل النقد بر يبين الله تبيينا كائنا مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار
نفس المصدر لا نعتا له وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اى مثل ذلك البيان البديع يبين الله لكم اياته اعلام شريعته
واحكامه لا بيانا ادنى منه وتقديم لكم على المفعول لما مر مرارا لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج يا ايها الذين امنوا انما الخمر
والميسر والانصاب اى الاصنام المنصوبة للعبادة والازلام سلف تفسيرها في اوائل السورة الكريمة رجس قذر تعاف عنه
العقول وافراده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور او المضاف محذوف اى شان الخمر والميسر الخ من عمل الشيطان
في محل الرفع على انه صفة رجس اى كائن من عمله لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه اى الرجس او ما ذكر لعلكم تفلحون اى
راجين فلاحكم وقيل لكي تفلحوا بالاجتناب فيه وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون ولقد اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية الكريمة
بفنون التاكيد حيث صدرت الجملة بانما وقرنا بالاصنام والازلام وسميا رجسا من عمل الشيطان تنبيها على ان تعاطيهما شر بحت وامر
بالاجتناب عن عينهما وجعل ذلك سببا يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة ومحقة ثم قرر ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية
المقتضية فقيل انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وهو اشارة الى مفاسدهما الدنيوية
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة اشارة الى مفاسدهما الدينية وتخصيصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على
ان المقصود بيان حالهما وذكر الاصنام والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وتخصيص
الصلوة بالافراد مع دخولها في الذكر للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان لما انها عماده ثم اعيد الحث على الانتهاء بصيغة
الاستفهام مرتبا على ما تقدم من اصناف الصوارف فقيل فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد
والشرور قد بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت بالكلية واطيعوا الله واطيعوا الرسول عطف على اجتنبوه اى اطيعوهما في جميع
ما امرا به ونهيا عنه واحذروا اى مخالفتهما في ذلك فيدخل فيه مخالفة امرهما ونهيهما في الخمر والميسر دخولا اوليا فان توليتم اى اعرضتم
عن الامتثال بما امرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة الله تعالى وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاحتراز عن مخالفتهما فاعلموا
انما على رسولنا البلاغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة اى خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت الاعذار
وانقطعت العلل وما بقي بعد ذلك الا العقاب وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى انكم لم تضروا
بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالايات وقد فعل وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه فلا يساعده المقام اذ لا يتوهم
منهم ادعاء انهم بتوليهم يضرونه عليه السلام حتى يرد عليهم بانهم لا يضرونه وانما يضرون انفسهم ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات
اى اثم وحرج فيما طعموا اى تناولوا اكلا او شربا فان استعماله في الشرب ايضا مستفيض منه قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه مني قيل
لما انزل الله تعالى تحريم الخمر بعد غزوة الاحزاب قال رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اصيب فلان يوم بدر وفلان يوم احد وهم
يشربونها ونحن نشهد انهم في الجنة وفي رواية اخرى لما نزل تحريم الخمر والميسر قال الصحابة رض يا رسول الله فكيف باخواننا الذين
ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر وفي رواية اخرى قال ابو بكر رض يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر
ويأكلون القمار فنزلت وليست كلمة ما في ما طعموا عبارة عن المباحات خاصة والا لزم تقييد اباحتها باتقاء ما عداها من المحرمات لقوله تعالى
اذا ما اتقوا واللازم منتف بالضرورة بل هي على عمومها موصولة كانت او موصوفة وانما تخصصت بذلك القيد الطارئ عليها والمعنى
ليس عليهم جناح فيما تناولوه من المأكول والمشروب كائنا ما كان اذا اتقوا ان يكون في ذلك شيء من المحرمات والا لم يكن نفي الجناح في كل ما طعموه
بل في بعضه ولا محذور فيه اذ اللازم منه تقييد اباحة الكل بان لا يكون فيه محرم لا تقييد اباحة بعضه باتقاء بعض اخر منه كما هو اللازم من الاول
وامنوا وعملوا الصالحات اى واستمروا على الايمان والاعمال الصالحة وقوله تعالى ثم اتقوا عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط
اى اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق وامنوا اى بتحريمه وتقديم الاتقاء عليه اما للاعتناء به او لانه الذي

يقال الرجس يعني النتن الرجس بالرجل ورجس اذا عمل عملا قبيحا
البيضاوي
صرف
شتيلا
الجنة مطلوب بشتمك محروم اوليمز جناب خرب
شارب الخمر كعابد الوثن اى هو مثله في نزي الزاجر والعقاب كازروني

بدل على التحريم الخ الذى هو المؤمن به آو واستمروا على الايمان ثم اتقوا اى حرم عليهم بعد ذلك حما كان مباحا من قبل على ان المشروط
بالاتقاء فى كل مرة اباحة كل ما طعموه فى ذلك الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه واحسنوا اى عملوا الاعمال الحسنة الجميلة
المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية والقالبية وليس تخصيص هذه المرات بالذكر لتخصيص الحكم بها بل لبيان التعدد والتكرر بالغا ما بلغ
والمعنى انهم اذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان والاعمال الفاضلة وكانوا فى طاعة الله ومراعاة اوامره ونواهيه بحيث كلما حرم
عليهم شئ من المباحات اتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه فى كل مرة من المطاعم والمشارب اذ ليس فيما شئ محرم عند طعمه وانت خبير بان تعاطى
اتقاء المحرمات من الصفات الجميلة المذكورة لا دخل لها فى اتقاء الجناح وانما ذكرت فى جيز اذا شهادة بانصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم بذلك
وحمدا لما جوالهم وقد اشير الى ذلك حيث جعلت تلك الصفات تبعا للاتقاء فى كل مرة تمييزا بينها وبين ما لم يدخل فى الحكم فان مساق النظم الكريم بطريق
الاعادة وان كان لبيان حال المتصفين بما ذكر من النعوت فيما يأتى بمقتضية كلمة اذا ما لكنه قد اخرج مخرج الجواب عن حال الماضيين لاثبات
الحكم فى حقهم فى ضمن التشريع الكلى على الوجه البرهانى بطريق دلالة النص بناء على كمال اشتهارهم بالاتصاف بها حكاية قبل ليس عليهم جناح فيما طعموا
اذا كانوا فى طاعته تع مع ما لهم من الصفات الحميدة بحيث كلما أمروا بشئ تلقوه بالامتثال وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر حينئذ لعدم تحريمها
اذ ذاك ولو قرنا فى عصرهم لانتهيا بالمرة هذا وقد قيل التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الاحوال الثلث استعمال الانسان التقوى
بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل وذلك جئ بالاصناف الكرة الثالثة بدل الايمان اشارة الى ما قاله عليه السلام
فى تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغى ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات توقيا
من الوقوع فى الحرام وبعض المباحات حفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد التاكيد كما فى قوله تعالى
كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظائره وقيل المراد بالاول اتقاء الكفر وبالثانى فى اتقاء الكبائر وبالثالث اتقاء الصغائر والاقرب
ان لانه لا تعلق لهذه الاعتبارات بالمقام فاحسن التامل والله يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ابلغ تقرير يا ايها الذين
آمنوا ليبلونكم الله جواب قسم محذوف اى والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف احوالكم بشئ من الصيد اى من صيد البر تاكولا
او غيره تاكول ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله تعالى بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش
تغشاهم فى رحالهم حيث كانوا متمكنين من صيدها اخذا باليد وطعنا برماحهم وذلك قوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم فهو اما خذ ما
فنزلت وروى انه عن لهم حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه وقتله فقيل له قتلته وانت محرم فاتى رسول الله عليه السلام
وساله عن ذلك فانزل الله تعالى الآية فان كيد النعمى فى ليبلونكم انما هو لتحقيق ان ما وقع من عدم توحش الصيد عنهم ليس الا لابتلائهم
لا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان النزول قبل الابتلاء وتنكير شئ للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من العتق الهائلة التى تزل فيها
اقدام الراسخين كالابتلاء بقتل الانفس واتلاف الاموال وانما هو من قبيل ما ابتلى به ايلة من صيد البحر وفائدة التنبيه على ان من لم يثبت
فى مثل هذا كيف يثبت عند شدائد المحن فمن فى قوله تعالى من الصيد بيانية قطعا اى بشئ حقير هو الصيد وجعلها تبعيضية يقتضى اعتبار
قلته وحقارته بالنسبة الى اكل الصيد لا بالنسبة الى عظائم البلايا فيهوى الكلام عن التنبيه المذكور ليعلم الله من يخافه بالغيب اى ليتميز
الخائف من عقابه الاخروى وهو غائب مترتب لقوة ايمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخافه كذلك لضعف ايمانه فيقدم عليه وانما عبر
عن ذلك بعلم الله تعالى اللازم له ايذانا بعدم ارادة الجزاء ثوابا وعقابا فانه ادخل فى حملهم على الخوف وقيل هناك مضاف محذوف والتقدير
ليعلم اولياء الله وقرئ ليعلم من الاعلام على حذف المفعول الاول اى ليعلم الله عباده الخ والعلم على القراءتين متعد الى واحد والاظهار
فى الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة فمن اعتدى بعد ذلك اى بعد بيان ان ما وقع ابتلاء من جهته تعالى
لما ذكر من الحكمة لا بعد تحريمه والنهى عنه كما قال بعضهم اذ النهى والتحريم ليس امرا حادثا يرتب عليه الشرطية بالفاء ولا بعد الابتلاء كما فاره
الآخرون لان نفس الابتلاء لا يصلح مدارا للتشديد العذاب بل ربما يتوهم كونه عذرا مسوغا للتخفيف وانما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء

عن الى الغرض،

لان الاعتداء بعد ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته والخلاء عن خوفه وخشيته بالكلية اى فمن تعرض للصيد
بعد ما بينا ان ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد الى تمييز المطيع من العاصى فله عذاب اليم لما ذكر انه مكابرة محضة
ولان من لا يملك نفسه فلا يراعى حكم الله فى امثال هذه البلايا الهينة لا يكاد يراعيه فى غيرها المراد بالعذاب الاليم عذاب
الدارين قال ابن عباس رض يوسع ظهره وبطنه جلدا ويترع ثيابه يا ايها الذين آمنوا شروع فى بيان ما يتدارك به الاعتداء
من الاحكام اثر بيان ما يلحقه من العذاب والتصريح بالنهى فى قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم مع كونه معلوما لانتظامه قوله تعالى غير محلى الصيد
وانتم حرم لتاكيد الحرمة وترتب ما يعقبه عليه واللام فى الصيد للعهد حسبما سلف وحرم جمع حرام وهو المحرم وان كان فى الحل وفى حكمه من فى الحرم وان كان
حلالا كروح جمع راح والجملة حال من فاعل لا تقتلوا اى لا تقتلوه وانتم محرمون ومن قتله اى الصيد المعهود وذكر القتل فى الموضعين دون
الذبح للايذان بكونه فى حكم الميتة منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل قتله اى كائنا منكم متعمدا حال منه ايضا اى ذاكرا للاحرام عالما
بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع ان محظورات الاحرام يستوى فيه العمد والخطأ لما ان الآية نزلت فى المتعمد كما مر فى قصة ابى اليسر ولان الاصل
فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ وعن الزهرى نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير رض لا ارى فى الخطأ شيئا
اخذا باشتراط التعمد فى الآية وهو قول داود وعن مجاهد والحسن رض ان المراد بالتعمد هو تعمد القتل مع نسيان الاحرام اما اذا قتله عمدا
وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه وامره الى الله عز وجل لانه اعظم من ان يكون له كفارة فجزاء مثل ما قتل برفعهما اى فعليه جزاء مماثل لما قتله
وقرئ برفع الاول ونصب الثانى على اعمال المصدر وقرئ بجر الثانى على اضافته الى مفعوله وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل على الابتداء والخبر
وقرئ بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزى جزاء مثل ما قتل والمراد به عند ابى حنيفة وابى يوسف المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد
او فى اقرب الاماكن اليه فان بلغت قيمته قيمة هدى يخير الجانى بين ان يشترى بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه الى الحرم وبين ان يشترى بها
طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين
تصدق به او صام عنه يوما كاملا اذ لم يعهد فى الشرع صوم ما دونه فيكون قوله تعالى من النعم بيانا للوجه المشترى بالقيمة على احد وجوه التخيير
فان من فعل ذلك يصدق عليه انه جزى بمثل ما قتل من النعم وعند مالك والشافعى رح ومن رأى رأيهما هو المثل باعتبار الخلقة والهيئة لان الله تعالى
اوجب مثل المقتول متقيدا بالنعم فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة رض انهم اوجبوا فى النعامة بدنة وفى الظبى شاة
وفى حمار الوحش بقرة وفى الارنب عناقا وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الضبع صيد وفيه شاة اذا قتله المحرم ولنا ان النص
اوجب المثل والمثل المطلق فى الكتاب والسنة واجماع الامة والمعقول يراد به اما المثل صورة ومعنى واما المثل معنى والمثل صورة بلا معنى
فلا اعتبار له فى الشرع كما فى حقوق العباد والاول هو ان المماثلة بين اذا دين واصلح مع كونها فى غاية القوة والظهور لم يعتبرها الشرع ولم يجعل
الحيوان عند الاتلاف مضمونا بنوع آخر من نوعه مماثل له فى عامة الاوصاف بل مضمونا بقيمة مع ان المنصوص عليه فى امثاله انما هو المثل فلان لا تعتد
عليه بمثل ما اعتدى عليكم فحيث لم تعتبر تلك المماثلة التى تيسر موقفها وسهولة مراعاتها فلان لا تعتبر ما بين افرادا نواع مختلفة من المماثلة
الضعيفة الخفية مع صعوبة ما خذها وتعسر المحافظة عليها اولى واحرى ولان القيمة قد اريد بها فيما لا نظير له اجماعا فلم يبق غيره مرادا اذ لا عموم
للمشترك فى مواقع الاثبات والمراد بالمروى ايجاب النظير باعتبار القيمة لا باعتبار العين ثم الموجب الاصلى للجناية والجزاء المماثل للمقتول انما هو
قيمته لكن لما باعتبار ان يعمد الجانى اليها فيصرفها الى المضاف ابتداء بل باعتبار ان يجعلها معيارا فيقدر بها احدى الخصال الثلث فيقيمها مقامها
فقوله تعالى مثل ما قتل وصفا لازما للجزاء غير مفارق عنه بحال واما قوله من النعم فوصف له معتبر فى ثانى الحال بناء على وصف الاول الذى هو
العيار له ولما بعده من الطعام والصيام فحقها ان يعطفا على الوصف المفارق لا على الوصف اللازم فضلا عن العطف على الموصوف كما سيأتى
باذن الله تعالى وتما يرشدك الى ان المراد بالمثل هو القيمة قوله عز وجل يحكم به اى بمثل ما قتل ذوا عدل منكم اى حكمان عادلان
من المسلمين لكن لان التقويم هو الذى يحتاج الى النظر والاجتهاد من العدول دون الاشياء المشاهدة التى يستوى فى معرفتها كل احد

من أنا سوى فإن ذلك ناشئ من الغفلة عما أراد وما بافيه المماثلة بل لأن ما جعلوه مدار المماثلة بين الصيد وبين النعم من ضرب مشاكلة ومضاهاة
في بعض الأوصاف والهيئة مع تحقق التباين بينهما في بقية الأحوال حتما لا يهتدي إليه من أساطين الأئمة الاجتهاد • وصناديد أهل الهداية والإرشاد
إلا المؤيدون بالقوة القدسية ألا يرى أن الإمام الشافعي أوجب في قتل الحمامة شاة بناء على ما أثبت بينهما في المماثلة من حيث أن كلا منهما
وتهدر مع أن النسبة بينهما من سائر الحيثيات كما بين الضب والنون فكيف يتوقف معرفة أمثال هذه الدقائق العويصة إلى رأي عدلين
من آحاد الناس على أن الحكم بهذا المعنى إنما يتعلق بالأنواع لا بالأشخاص بعد ما عين بمقابلة كل نوع من أنواع الصيد نوع من أنواع النعم
يتم الحكم ولا يبقى عند وقوع خصوصيات الحوادث حاجة إلى الحكم أصلا وقرئ يحكم به ذو عدل على إرادة جنس العادل دون الوحدة وقيل
بل على إرادة الإمام والجملة صفة لجزاء أو حال منه لتخصصه بالصفة وقوله تعالى هديا حال مقدرة من الضمير في به أو من جزاء لما ذكر
من تخصصه بالصفة أو بدل من مثل فيمن نصبه أو من محله فيمن جره أو نصب على المصدر أي يهدي به هديا والجملة صفة أخرى لجزاء بالغ الكعبة
صفة لهديا بالأن الإضافة غير حقيقية أو كفارة عطف على محل من النعم على أنه خبر مبتدأ محذوف والجملة صفة ثانية لجزاء كما أشير إليه
وقوله تعالى طعام مساكين عطف بيان للكفارة عند من لا يخصصه بالمعارف أو بدل منه أو خبر مبتدأ محذوف أي هي طعام مساكين وقوله تعالى
أو عدل ذلك صياما عطف على طعام الخ كأنه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم أو طعام مساكين أو صيام أيام بعدد هم الخ ليكون المماثلة
وصفا لازما للجزاء يقدر به الهدي والطعام والصيام أما الأولان فبلا واسطة وأما الثالث فبواسطة الثاني فيختار الجاني كلا منها
بدلا من الآخرين هذا وقد قيل إن قوله تعالى أو كفارة عطف على جزاء فلا يبقى حينئذ في النظم الكريم ما يقدر به الطعام والصيام والالتجاء
إلى القياس على الهدي تعسف لا يخفى هذا على قراءة جزاء بالرفع وعلى سائر القراءات فقوله تعالى أو كفارة خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة
على جملة هو من النعم وقرئ أو كفارة طعام مساكين بالإضافة لتبيين نوع الكفارة وقرئ طعام مساكين على أن التبيين يحصل بالواحد الدال
على الجنس وقرئ أو عدل بكسر العين والفرق بينهما أن عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والإطعام وعدله ما عدل به في المقدار كالمنوع
بسببه بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك إشارة إلى الطعام وصياما تمييز للعدل والخيار في ذلك للجاني عندنا وعند ابن عباس رضي الله عنهما
عند محمد ليذوق وبال أمره متعلق بالاستقرار في الجار والمجرور أي فعليه جزاء ليذوق الخ وقيل بفعل يدل عليه الكلام كأنه قيل
شرع عليه ليذوق وبال أمره أي سوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام والوبال في الأصل المكروه والضرر الذي ينال الجاني من عمل سوء
لثقله ومنه قوله تعالى فأخذناه أخذا وبيلا ومنه الطعام الوبيل هو الذي لا يستمرأ ولا يستوفه المعدة عفا الله عما سلف من قتل الصيد
محرما قبل أن يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل عما سلف منه في الجاهلية لأنهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد
فيها محرما ومن عاد إلى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم فينتقم الله منه خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت
الفاء كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا أي فجزاؤه ذلك لا يخاف الخ وقوله تعالى ومن كفر فأمتعه أي فأنا أمتعه والمراد بالانتقام
التعذيب في الآخرة وأما الكفارة فعن عطاء وإبراهيم وسعيد بن جبير والحسن أنها واجبة على العائد وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لا كفارة عليه
تعلقا بالظاهر والله عزيز غالب لا يغالب ذو انتقام شديد فينتقم ممن أصر على المعصية والاعتداء أحل لكم الخطاب للمحرمين
صيد البحر أي ما يصاد في المياه كلها بحرا كان أو نهرا أو عذبا وهو ما لا يعيش إلا في الماء ما كول أو غير ما كول وطعامه أي ومأكوله
من صيده وهو مخصص بعد تعميم والمعنى أحل لكم التعرض لجميع ما يصاد في المياه والانتفاع به والأكل مما يؤكل منه وهو السمك عندنا وعند ابن عباس رضي الله عنهما
جميع ما يصاد فيه على أن تفسير الآية عنده أحل لكم صيد حيوان البحر وإن تطعموه وقرئ وطعمه وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذف به
عنه متاعا لكم نصب على أنه مفعول له مختص بالطعام كما أن نافلة في قوله تعالى ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة حال مختصة بيعقوب أي
أحل لكم طعامه تمتيعا للمقيمين منكم بالكلون طريا وللسيارة منكم بتزودونه قديدا وقيل نصب على أنه مصدر مؤكد بفعل مقدر أي متعكم
به متاعا وقيل مؤكد لمعنى أحل لكم فإنه من قوله متعتكم به تمتيعا كقوله تعالى كتاب الله عليكم وحرم عليكم صيد البر وقرئ على بناء

الفعل الفاعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال
من دام يدام وظاهره يوجب حرمة ما صاده الحلال على المحرم وان لم يكن مدخل فيه وهو قول عمر وابن عباس رضي الله عنه وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد
وسعيد بن جبير انه يحل له اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يشر اليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة لان الخطاب
للمحرمين فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم وعند مالك والشافعي واحمد رح لا يباح ما صيد له واتقوا الله فيما نهاكم عنه
او في جميع المعاصي التي من جملتها ذلك الذي اليه تحشرون لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه تعالى بالالتجاء اليه جعل الله الكعبة
قال مجاهد سميت كعبة لكونها مكعبة مربعة وقيل لانفرادها بالبناء وقيل لارتفاعها من الارض ونتوئها وقوله تعالى البيت الحرام
عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما يجيء الصفة كذلك وقيل مفعول ثان لجعل وقوله تعالى قياما للناس نصب على الحال
ويرده عطف ما بعده على المفعول الاول كما سيجيء بل هذا هو المفعول الثاني وقيل الجعل بمعنى الانشاء والخلق وهو حال كما مر ومعنى كونه قياما
لهم انه مدار لقيام امر دينهم ودنياهم اذ هو سبب لانتعاشهم في امور معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار
ويتوجه اليه الحجاج والعمار وقرئ قيما على انه مصدر على وزن شبع اعل عينه بما اعل في فعله والشهر الحرام اي الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة
وقيل جنس الشهر الحرام وهو وما بعده عطف على الكعبة فالمفعول الثاني محذوف ثقة بما مر اي وجعل الشهر الحرام والهدي والقلائد
ايضا قياما لهم والمراد بالقلائد ذوات القلائد وهي البدن خصت بالذكر لان الثواب فيها اكثر وبهاء الحج بها اظهر ذلك اشارة
الى الجعل المذكور خاصة او مع ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره ومحله النصب بفعل مقدر يدل عليه السياق وهو العامل في اللام بعده
اي شرع ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان تشريع هذه الشرائع المستتبعة لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل
وقوعها وجلب المنافع الاولوية والاخروية من اوضح الدلائل على حكمة الشارع وعدم خروج شيء من علمه المحيط وقوله تعالى وان الله
بكل شيء عليم تعميم اثر تخصيص للتاكيد ويجوز ان يراد بما في السموات والارض الاعيان الموجودة فيهما وبكل شيء الامور المتعلقة
بتلك الموجودات من العوارض والاحوال التي هي من قبيل المعاني اعلموا ان الله شديد العقاب وعيد لمن انتهك محارمه او اصر على
ذلك وقوله تعالى وان الله غفور رحيم وعد لمن حافظ مراعاة حرماته تعالى او اقلع عن الانتهاك بعد تعاطيه ووجه تقديم الوعيد ظاهر
ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر به اي الرسول قد اتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة
ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فيؤاخذكم بذلك نقيرا وقطميرا قل لا يستوي
الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وبين جيده قصد به الترغيب
في جيد كل منها والتحذير عن رديها وان كان سبب النزول شريح بن ضبيعة البكري الذي مرت قصته في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
لا تحلوا شعائر الله الخ وقيل نزل في رجل سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخمر كانت تجارتي واني اعتقدت من بيعها مالا
فهل ينفعني من ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال النبي عليه السلام ان انفقته في حج او صدقة لم يعدل جناح بعوضة ان الله
لا يقبل الا الطيب وقال عطاء والحسن رح الخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم الخبيث في الذكر للاشعار من اول الامر بان القصور الذي
ينبئ عنه عدم الاستواء فيه لا في مقابله فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب
زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر كما في قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لما ان صلته ملكة لصلة المفضول ولو اعجبك كثرة الخبيث اي وان سرك كثرة
الخبيث والخطاب لكل واحد من الذين امر النبي عليه السلام بخطابهم والواو لعطف الشرطية على مثلها المقدر وقيل للحال وقد مر اي لو لم يعجبك كثرة الخبيث
ولو اعجبك وكلتاهما في موقع الحال من فاعل لا يستوي اي لا يستويان كائنين على كل حال مفروض كما في قولك احسن الى فلان وان اساء
اليك اي احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اي كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة

ابن الكمال
انه شعائر الايمان بسبب ائتمام الحاج اي لا تعتري الغيب بعضهم ... فى حق ... نعم ...

ابن الملك
الخبيث ما يشتبك ... عن ... الى ... او الكذب

ابن الملك
الخبيث كل شيء لم يحرزه حق ابد والطيب ما فرح منه حقا او الخبيث ما اكتسب الذي فن مس ربه في حال كسبه والطيب ما اكتسبه على ذكره وشكره نعم الملك

فان الشئ اذا تحقق مع المعارض فلان يتحقق بدونه اولى وعلى هذا التبديد ما فى لو وان الوصليتين من المبالغة والتاكيد وجواب لو
محذوف فى الجملتين لدلالة ما قبلها عليه وسيأتى تمام تحقيقه فى مواقع عديدة باذن الله عز وجل فاتقوا الله يا اولى الالباب
اى فى تحرى الخبيث وان كثر وآثروا عليه الطيب وان قل فان مدار الاعتبار هو الجودة والزيادة لا الكثرة والعلة فالجيد القليل خير من الرديء الكثير
بل الكثرة الخبيث كان اخبث لعلكم تفلحون راجين ان تنالوا الفلاح يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء هو اسم جمع على ما
الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفاء وقصباء اصله شيئاء بهمزتين بينهما الف فقلبت الكلمة بتقديم لامها على فائها فصار وزنها الفعاء
ومنعت الصرف لالف التانيث الممدودة وقيل هو جمع شئ على مخفف من شئ كهين فى هين والاصل اشيئاء كامداء بزنة افعلاء
فاجتمعت همزتان لام الكلمة والتى للتانيث اذا الالف كالهمزة فخففت الكلمة بان قلبت الهمزة الاولى ياء لانكسار ما قبلها فصارت اشياء
فاجتمعت يآءان اولاهما عين الكلمة فحذفت تخفيفا فصارت اشياء فوزنها افلاء ومنعت الصرف لالف التانيث وقيل انما حذفت من اشياء
الياء المنقلبة من الهمزة التى هى لام الكلمة وفتحت الياء المكسورة لتسلم الف الجمع فوزنها افعاء فقوله تعالى ان تبد لكم تسؤكم صفة
لاشياء داعية الى الانتهاء عن السؤال عنها وحيث كانت المساءة فى حين الشرطية متعلقة بابداء ما لا بالسؤال عنها عقبت بشرطية اخرى ناطقة
باستلزام السؤال عنها لابدائها الموجب للحذر قطعا فقيل وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم اى ان سألتم الاشياء الموجبة
للمساءة بالوحى كما ينبئ عنه تقييد السؤال بحين التنزيل والامر لدورها ما يشق عليهم ويغمهم من التكاليف الصعبة التى لا يطيقون بها والاسرار
الخفية التى يغتضحون بظهورها وكذلك مما لا خير فيه فكما ان السؤال عن الامور الواقعة مستتبع لابدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع
لايجابها عليهم بطريق التشديد لا محالة فنهاهم الادب واجرأهم على المسألة والمراجعة وحذرهم عما يليق بشانهم من الاستسلام لامر الله عز وجل
من غير بحث فيه ولا تعرض لكيفيته وكميته اى لا تكثروا مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما لا يعنيكم من نحو تكاليف شاقة عليكم ان تعلم
بها وكلفكم ايا ما حملها اوحى اليه ان تطيقوا بها وكبعض امور مستورة تكرهون بروزها وذلك مثل ما روى عن على كرم الله وجهه انه قال
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فقال رجل من بنى اسد يقال له عكاشة بن محصن
وقيل هو سراقة بن مالك فقال أكل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى اعاد مسألته ثلث مرات فقال رسول الله عليه السلام ويحك وما يؤمنك
ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركونى ما تركتم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم
على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه ومثل ما روى عن انس وابى هريرة رضى الله عنهما سأل الناس
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء حتى احفوه فى المسألة فصعد عليه السلام المنبر مغضبا خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال سلونى فوالله
لا تسألونى عن شئ ما دمت فى مقامى هذا الا بينته لكم فاستشق القوم رسول الله عليه السلام ان يكون بين يدى امر قد حضر قال انس فجعلت
ألتفت يمينا وشمالا فلا احد رجلا الا وهو لاف رأسه فى ثوبه يبكى فقام رجل من قريش من بنى سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان اذا لاحى الرجال
يدعى الى غير ابيه وقال يا نبى الله من ابى فقال ابوك حذافة بن قيس الزهرى وقام آخر فقال يا نبى الله من ابى فقال ابوك سالم مولى شيبة ابى حذيفة فلما رآه عمر رضى الله عنه قال رضينا بالله
ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا نبيا نعوذ بالله تعالى من الفتن انا حديثو عهد بجاهلية وكفر فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه ثم
عفا الله عنها استئناف مسوق لبيان ان نهيهم عنها لم يكن لمجرد وصايتهم عن المساءة بل لانها فى نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا عنها
وفيه من حثهم على الجد فى الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير عنها للمسألة المدلول عليها بلا تسألوا اى عفا الله تعالى عن مسألتكم السالفة حيث لم يعاجلكم
عليكم الحج فى كل عام جزاء بمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخروية بسائر مسائلكم فلا تعودوا الى مثلها واما جعل صفة اخرى لاشياء
على ان الضمير لها بمعنى لا تسألوا عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم ايا ما فيما لا سبيل اليه اصلا لاقتضائه ان يكون الحج قد فرض اولا فى كل
عام ثم نسخ بطريق العفو وان يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة ان حق الوصف ان يكون معلوم الثبوت للموصوف عند المخاطب قبل
جعله وصفا له وكلاهما ضرورى الانتفاء قطعا على انه يستدعى اختصاص النهى بمسألة الحج ونحوها ان سلم وقوعها مع ان النظم الكريم صريح

المعرفة هى اسم الشجر المعروف
بين العرب

للاشياء من الشئ كالانبياء
من النبئ والاصدقاء
من التصديق

استئناف
او

فانه مشعر للنهي عن السؤال عن الاشياء التي يسوءهم ابداؤها سواء كانت من قبيل الاحكام والتكاليف الموجبة لهم مشاق تاباها
عفوه وتزيد المكلف الحرج او لا عفوه عنها او من قبيل الامور الواقعة قبل السؤال الموجبة للمساءة بالاخبار بها كما في قال ابن ابي
قلت تلك الاشياء غير موجبة للمساءة البتة بل هي محتملة لايجاب المساءة لان ايجابها للاولى وان كان من حيث وجودها
في نفس الامر وعدمه موجبة للاذى قطعي لكن احدى الحيثيتين محقق عند السائل وانما غرضه من السؤال ظهوره كما في نسب
ظهورها حيثية ايجابها للمساءة فلم عبر عنها بحيثية ايجابها للمساءة قلت لتحقيق المنهي عنه كما يشعر به قوله من تاكيد النهي وتشديده لان
تلك الحيثية هي الموجبة للانتهاء والانزجار لا حيثية ايجابها للمسرة ولا حيثية ترددها بين الايجابين ان قيل الشرطية الثانية
ناطقة بان السؤال عن تلك الاشياء الموجبة للمساءة مستلزمة لابدائها البتة كما مر فلم تخلف الابداء عن السؤال في سؤال الحج وقوم موسى
وذلك عام قلنا لو توقع السؤال قبل ورود النهي وما ذكر في الشرطية انما هو السؤال الواقع بعد وروده اذ هو المستلزم للابداء
والتخلف ان قيل ما ذكرته انما يتمشى اذا كان السؤال عن الامور المترددة بين الوقوع وعدمه كما ذكر من التكاليف الشاقة
واما اذا كان عن الامور الواقعة قبله كما في ... فما يتعلق به الابداء هو الذي وقع في نفس الامر وقد سؤاله
كان السؤال قبل النهي او بعده وقد يكون الواقع ما يوجب المسرة كما في مسئلة عبد الله بن حذافة فيكون هو الذي يتعلق به الابداء لا غيره
فلا يتصور التخلف حتى قلت لا احتمال للتخلف فضلا عن التعليل المبني على تحقيقه انما هو السؤال عن الاشياء الموجبة
للمساءة الواقعة في نفس الامر قبل السؤال كسؤال من قال اين ابي لا ما يعمها وغيرها مما ليس بواقع لكنه محتمل للوقوع
عند المكلفين حتى يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع وحاصل الكلام ان مدلول النظم الكريم بطريق العبارة
انما هو النهي عن السؤال عن الاشياء التي لو حاجت او هي ان التبدئة بان يكون تلك الاشياء بعضها لو توقع
فيتنكر على السؤال بطريق الاثارة وعجزه اشد كما في صحة كونها من قبيل التكاليف الشاقة بان يكون واقعة
في نفس الامر قبل السؤال فيعتبر عنه بطريق الاخبار بها في التخلف ممتنع في الصورتين معا ومنشاء توهم عدم الفرق
بين المنهي عنه وبين غيره بناء على عدم امتياز ما هو موجود من تلك الاشياء في نفس الامر عما هو ليس كذلك
عند المكلفين ملاحظتهم للكل باحتمال الوجود والعدم وفائدة هذا الايهام الانتهاء عن السؤال عن تلك الاشياء
على الاطلاق عن ابداء المكروه والله غفور رحيم اعتراض تذييلي مقرر لعفوه تعالى اي مبالغ في مغفرة الذنوب
والاغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم ولم يؤاخذكم بعقوبة ما فرط منكم قد سألها قوم اي سأل امثالها المسئلة
لا عينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة في التحذير من قبلكم متعلق بسألها
ثم اصبحوا بها اي بسببها او بمرجوعها كافرين فان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم في اشياء فاذا امروا
بها تركوها فهلكوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ردّ وابطال لما ابتدعه اهل الجاهلية
حيث كانوا اذا انتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا يطرد عن ماء
ولا مرعى وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم
الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقد بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة
انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم واذا انتجت من صلب الفحل عشرة
ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع وما وضع ولذلك عدي
الى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن مزيدة لتاكيد النفي فان الجعل التكويني كما يجيء تارة متعديا الى مفعول
واحد واخرى الى اثنين كذلك الجعل التشريعي يجيء متعديا الى مفعولين كما في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس

في جعل التكويني

واوى الى احد كما فى الاية الكريمة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله
امرنا بهذا وامامهم عمرو بن لحى فانه اول من فعل هذه الافاعيل الباطلة وهذا شان رؤسائهم وكبارهم
واكثرهم وهم اراذلهم الذين يتبعونهم من معاصرى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يشعر به سياق النظم الكريم لا يعقلون
انه افتراء باطل حتى يخالفوهم ويهتدوا الى طريق الحق بانفسهم فيستمرون فى اسر التقليد وهذا بيان لقصور عقلهم
وعجزهم عن الاهتداء بانفسهم وقوله تعالى واذا قيل لهم اى للذين عبر عنهم باكثرهم على سبيل الهداية والارشاد
تعالوا الى ما انزل الله من الكتاب المبين للحلال والحرام والى الرسول الذى انزل هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال
وتميزوا الحرام من الحلال قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا بيان لعنادهم واستعصائهم على الهادى الى الحق
وانقيادهم للداعى الى الضلال اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون قيل الواو للحال دخل عليها الهمزة
للانكار والتعجب اى احسبهم ذلك ولو كان اباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف على الشرطية اى مقدرة قبلها
وهو الاظهر والتقدير احسبهم ذلك او يقولون هذا القول لو لم يكن اباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون
للصواب ولو كانوا لا يعلمون وكلتاهما فى موقع الحال اى احسبهم ما وجدوا عليه اباءهم كائنين على كل مفروض وقد حذفت
الاولى فى الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة كيف لا وان الشىء اذا تحقق عند المانع فلان
يتحقق عند عدمه اولى كما فى قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اى احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اى احسن اليه
كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها دلالة ظاهرة اذ الاحسان حيث امر به عند المانع
فلان يؤمر به عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما فى ان ولو الوصليتين من المبالغة والتاكيد وجواب لو
محذوف لدلالة ما سبق عليه اى لو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون حسبهم ذلك او يقولون ذلك وما فى لو
من معنى الامتناع والاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى نفس الامر وفائدته المبالغة فى الانكار والتعجب اذا كان
كون اباؤهم جهلة ضالين فى حيز الاحتمال البعيد فكيف اذا كان ذلك واقعا لا ريب فيه وقيل مآل الوجهين
واحد لان الجملة المقدرة حال فكذا ما عطف عليها وانت خبير بان الحال على الوجه الاخير مجموع الجملتين لا الاخيرة
فقط وان الواو للعطف لا للحال وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
فتدبر يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم اى الزموا امر انفسكم واصلاحها وقرئ بالرفع على الابتداء اى واجب
عليكم انفسكم وقوله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اما مجزوم على انه جواب للامر او نهى مؤكد له وانما ضمت الراء اتباعا
لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة اذ الاصل لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الراء وقراءة من قرا لا يضركم
بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره واما كان مرفوع على انه كلام مستانف فى موقع التعليل لما قبله ويعضده قراءة
من قرا لا يضيركم ضلال من ضل اذا كنتم مهتدين ولا يتوهمن ان فيه رخصة فى ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتداء ان ينكر على المنكر حسبما تفى به الطاقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من راى
منكم منكرا واستطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وقد روى ان الصديق رضى الله عنه
قال يوما على المنبر يا ايها الناس انكم تقرءون هذه الاية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هى وانى سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا
بقول الله يا ايها الذين فيقول احدكم على نفسى والله لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليستعملن الله عليكم شراركم
فيسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم وعنه عليه السلام ما من قوم عمل فيهم منكر وسن فيهم قبيح فلم

في عدم توهم ترك امر المعروف

[illegible]

فلم يغيروه ولم يبدلوه الا وحق على الله تعالى ان يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يجاب لهم ولاية
نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة كانوا يتمنون ايمانهم وهم من الضلال
بحيث لا يكادون يهتمون عند بالامر والنهي وقيل كان الرجل اذا اسلم قال لوالديه ما
اباتي وضلالتهم اي نسبتهم الى السفاهة والضلال فنزلت تسلية بان اضلال ابائه لا يضره
ولا يشينه الى الله تعالى احد سواه مرجعكم رجوعكم يوم القيمة جميعا حال لا تتخلف عنه احد
من المهتدين وغيرهم فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من اعمال الهداية والضلال فهو وعد
للمؤمنين ووعيد على ان احدا لا يؤاخذ بعمل غيره يا ايها الذين امنوا استئناف مسوق لبيان الاحكام
المتعلقة بامور دنياهم اثر بيان الاصول المتعلقة بامور دينهم وتصديره بحرف النداء والتنبيه
لاظهار كمال العناية بمضمونه وقوله عز وجل شهادة بينكم بالرفع والاضافة الى الظرف توسعا
اما باعتبار وقوعها بينهم او باعتبار تعلقها بما جرى بينهم من الخصومة مبتدأ وقوله عز وجل اذا حضر
احدكم الموت اي شارف وظهرت علاميه ظرف لها وتقديم المفعول لافادة كمال العناية عند
التنوين ورود عليها فانه ادخل في تهويل امر الموت وقوله عز وجل حين الوصية بدل منه
لا ظرف للموت كما توهم ولا بحضوره فان في الابدال تنبيها على ان الوصية من المهمات المقررة التي لا ينبغي
ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله عز وجل اثنان خبر للمبتدأ بتقدير المضاف اي شهادة بينكم
في شهادة اثنين او فاعل لشهادة بينكم على ان خبره محذوف اي فيما نزل عليكم ان يشهد منكم اثنان
وقرئ شهادة بالرفع والتنوين والاعراب كما سبق وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ان عاملها
مضمر هو العامل في اثنان ايضا ذوا عدل منكم اي من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت وانفع له واقرب
الى تحري ما هو اصلح له وقيل من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران عطف على
اثنان تابع له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية اي او شهادة آخرين ان يشهد منكم آخران او ليقم شهادة
بينكم آخران وقوله عز وجل من غيركم صفة لآخران اي كائنان من غيركم اي من الاجانب وقيل
من اهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الاسلام المسلمان يسيحان في سفر ثم نسخ وعن
مكحول رحمه الله انه نسخها قوله عز وجل واشهدوا ذوي عدل منكم ان انتم مرفوع بمضمر يفسره ما بعده
تقديره ان ضربتم فلما حذف الفعل اتصل الضمير وهذا راي جمهور البصريين رحمهم الله وذهب الاخفش
والكوفيون رحمهم الله الى انه مسند اليه على جواز وقوع المسند بعد ان الشرطية كجوازه بعد اذا
فتقول عز وجل ضربتم في الارض اي سافرتم فيها لما مر من الاعراب عند الاولين لكونه مفسرا
ومرفوع على الخبرية عند الباقين وقوله عز وجل فاصابتكم مصيبة الموت عطف على الشرط وجوابه محذوف
لدلالة ما قبله عليه اي سافرتم فحضرت آجالكم الاجل حينئذ وما معكم من الاقارب او من اهل الاسلام
من يتولى لامر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الاسفار فليشهد آخران او فآخران يشهدان او فاثنان
آخران يقومان مقامهما والاثنان قد يعبر عنهما بالجمع كما سبق اي فآخران على معنى شهادة بينكم شهادة
اثنين او فاثنان يشهدان او ان على الوجوه المذكورة ثم قوله عز وجل تحبسونهما استئناف وقع جوابا
عما نشأ من اشتراط العدالة كانه قيل فكيف نصنع ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما او تقفونهما

او تحبسونهما للتحليف من بعد الصلوة • وقيل هو صفة لآخران والشرط بجوابه
المحذوف اعتراض فائدته الدلالة على ان الا   اشهاد الاقارب او اهل الاسلام
واما اشهاد الآخرين فعند الضرورة الملجئة اليه وانت خبير بانه يقتضي اختصاص الحبس بالآخرين
مع شموله للاولين ايضا قطعا على اعتبار اتصافهما بذلك يأباه مقام الامر باشهادهما اذ
لا كذا فان شانهما الحبس والتحليف وان امكن اتمام التوجيه باعتبار قيد الارتياب بهما كما يفيده
الاعتراض الآتي والمراد بالصلوة صلوة العصر وعدم تعيينها لتعينها عندهم بالتحليف بعدها لانه
وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولان جميع اهل الاديان يعظمونه ويجتنبون
فيه الحلف الكاذب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم   حلفهما كما سيأتي وقيل
بعد اي صلوة كانت لانها داعية الى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور لقوله تعالى ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر • فيقسمان بالله • عطف على تحبسونهما وقوله عز وجل • ان ارتبتم • شرطية محذوفة
الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيق من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على
اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب اي ان ارتاب بهما الوارث منكم بخيانة واخذ شيء من التركة فا
حبسوهما وحلفوهما بالله تعالى • وقوله عز وجل • لا نشتري به ثمنا • جواب القسم وليس هذا من قبيل
ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفي بذكر جواب سابقهما عن جواب الآخر كما هو الواقع غالبا فان ذلك
انما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما في قولك والله ان اتيتني لاكرمتك
ولا ريب في استحالة ذلك ههنا لان القسم وجوابه كلام   وقد عرفت ان الشرط
من جهته تعالى • والاشتراء هو استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان
مستلزما له فان المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون السلب المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ
شيء بازالة ما عنده عينا كان او معنى على وجه الرغبة في الماخوذ والاعراض عن الزائل كما هو المعتبر
في المستعار منه حسبما فصل في تفسير قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى • والضمير في
به لله والمعنى لا ناخذ لانفسنا بدلا من الله اي من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها بالحلف
الكاذب اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال • وقيل الضمير للقسم فلا بد من تقدير مضاف البتة
اي لا نستبدل بصحة القسم بالله اي لا ناخذ به بدلا منها عرضا من الدنيا بزيل عنه وصف الصدق ووصفه بالكذب
اي لا نحلف كاذبين كما ذكر فلا مساغ للتوصيف سواء اريد به القسم الصادق او الكاذب • اما ان اريد به الكاذب
فلانه يفوت حينئذ ما هو المعتبر في الاستعارة من كون الزائل شيئا مرغوبا فيه عند الحالف كحرمة اسم الله
تعالى ووصف الصدق هو الصدق في القسم ولا ريب في ان القسم الكاذب ليس كذلك • واما ان اريد به الصادق
فلانه وان امكن ان يتوسل بسببه الى عرض الدنيا كالقسم الكاذب لكن لا يتحقق رفعه • واما التوسل اليه بترك
الصدق بل الامكان له ههنا حتى يصح التبرؤ منه وانما يتوسل اليه باستعمال القسم الكاذب وليس ذلك من لوازم
ترك استعمال الصادق ضرورة جواز تركهما معا حتى يتصور جعل الاخذ بالسبب له ماخوذا بترك استعمال
الصادق كما في صورة تقدير المضاف فان ازالة وصف الصدق عن القسم مع بقاء الموصوف مستلزمة لثبوت وصف
الكذب له البتة فتأمل وقوله عز وجل • ولو كان • اي المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام • ذا قربى • اي قريبا منا

منا تأكيد لتبريهم عن الحلف كاذبا ومبالغة في التنزه عنه كأنهما قالا لا نأخذ لأنفسنا بدلا من حرمة اسم الله تعالى
مالا ولو انضم إليه رعاية جانب الأقرباء فكيف إذا لم يكن كذلك وصيانة أنفسهما وإن كانت أهم من رعاية الأقرباء
لكنها ليست ضميمة للمال بل هي راجعة إليه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه أي لا نشتري به ثمنا والجملة معطوفة على
أخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله ولو أعجبكم الآية وقوله عز وجل • ولا نكتم شهادة الله • أي الشهادة التي أمرنا الله تعالى بإقامتها
وهو معطوف على لا نشتري به داخل معه في حكم القسم • وعن الشعبي أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف
القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وبغير مد كقولهم الله لأفعلن • إنا إذا لمن الآثمين • أي إن كتمناها • وقرئ
لملاثمين بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام النون فيها • فإن عثر • أي اطلع بعد التحليف على أنهما استحقا
إثما • أي فعلا ما أوجب إثما من تحريف وكتم بأن ظهر بأيديهما شيء من التركة
وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه كما وقع في سبب النزول حسبما سيأتي • فآخران • أي رجلان آخران
وهو مبتدأ خبره • يقومان مقامهما • ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وبين وصفه الذي هو الجار والمجرور بعده
أي يقومان مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام أداء الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها كما هي
بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لإظهار الحق وإبراز كذبهما فيما ادعيا من استحقاقهما لما في أيديهما • من الذين
استحق • على البناء للفاعل على قراءة علي وابن عباس وأبي أي من أهل الميت الذين استحق • عليهم الأوليان • من
بينهم أي الأقربان إلى الميت الوارثان له الأحقان بالشهادة أي باليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف أي استحقا
عليهم أن يجردوهما للقيام بها لأنها حقهما ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران القائمان مقام
الأولين على وضع المظهر موضع المضمر وقرئ على البناء للمفعول وهو الأظهر أي من الذين استحق عليهم الإثم
أي جني عليهم وهم أهل الميت وعشيرته فالأوليان مرفوع على أنه خبر لمحذوف كأنه قيل ومن هما فقيل الأوليان
أو هو بدل من الضمير في يقومان أو من آخران • وقد جوز ارتفاعه باستحق على حذف المضاف أي استحق عليهم انتداب
الأوليين منهم للشهادة • وقرئ الأولين على أنه صفة للذين أي أوله مجرور أو منصوب على المدح
ومعنى الأولية التقدم على الأجانب في الشهادة لكونهم أحق بها • وقرئ الأولين على التثنية ⁘
الأولان • فيقسمان بالله • عطف على يقومان • لشهادتنا • المراد بالشهادة اليمين كما في قوله عز وجل
فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله • أي ليميننا على أنهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع
كونها حقة صادقة في نفسها • أحق • بالقبول • من شهادتهما • أي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها
لما أنه قد ظهر للناس استحقاقهما للإثم • ويميننا منزهة عن الريب والريبة • فصيغة التفضيل
مع أنه لا حقية في يمينهما رأسا إنما هي لإمكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء
تملكهما لما ظهر في أيديهما • وما اعتدينا • عطف على جواب القسم أي ما تجاوزنا فيها الحق أو ما اعتدينا
عليهما بإبطال حقهما • إنا إذا لمن الظالمين • استئناف مقرر لما قبله أي إنا إن اعتدينا في يميننا لمن
الظالمين أنفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله أو لمن الواضعين الحق
في غير موضعه • ومعنى النظم الكريم أن المحتضر ينبغي أن يشهد على وصيته عدلين من ذوي نسبه أو دينه فإن لم
يجدهما بأن كان في سفر فآخران من غيرهم ثم إن وقع ارتياب بهما أقسما على أنهما ما كتما من الشهادة ولا من
التركة شيئا بالتغليظ في الوقت فإن اطلع بعد ذلك على كذبهما بأن ظهر بأيديهما شيء من التركة وادعيا

تملكه من جهة الميت خلف الوارث وعمل بايمانهم • وتعين بحصيص الاثنين لخصوص الواقعة فانه
روى ان تميم بن اوس الدارى • وعدى بن بزيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين
ومعهما بديل بن ابى مريم • مولى عمرو بن العاص • وكان مسلما مع ١٩ • فلما قدما الشام مرض بديل
فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه فى متاعه ولم يخبرهما بذلك واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله
ومات فعلتا • فوجدا فيه اناء من فضة وزنه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفع
المتاع الى اهله فاصابوا فيه الكتاب فطلبوا منهما الاناء فقالا ما ندرى انما اوصى الينا بشئ
وامرنا ان ندفع اليكم فعلنا وما لنا بالاناء من علم فرفعوهما الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزل
يا ايها الذين آمنوا الآية فاستحلفهما صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عند المنبر بالله لا اله الا هو انا
لم نخن شيئا مما دفع ولا كتمنا ولا غيرنا فحلفهما على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما • ثم ان الاناء وجد بمكة فقال
من بيده اشتريته من تميم وعدى • وقيل عاش المدة اظهراه فبلغ ذلك بنى سهم فطلبوه
منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيئا فقلتما لا
قالا كان لنا بينة فكرهنا ان نقر به • فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله عز وجل
فان عثر الآية • فقام عمرو بن العاص واطلع ابى وداعة السهميان فحلفا بالله عز وجل بعد
العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما • وفى رواية الى اولياء الميت • واعلم انهما ان كانا وارثين
لبديل فلا نسخ الا فى وصف اليمين فان الوارث لا يحلف على البتات والا فهو منسوخ • وذلك
كلام مستأنف لبيان ان ما ذكر مستتبع للمنافع وارد على مقتضى الحكم والمصلحى ان الحكم الذى تقدم
تفصيله • ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها • اى اقرب الى ان يؤدى الشهود الشهادة على وجهها
الذى تحمل عليه من غير تحريف ولا خيانة • خوفا من العذاب الاخروى • وهذه كما ترى حكمة شريفة
للتحليف المذكور • وقوله عز وجل • او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم • بيان لحكمة نسخ عينة
رد اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كانه قيل ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة
على وجهها ويخافوا عذاب الاخرة بسبب اليمين الكاذبة • او يخافوا الافتضاح على رؤوس الاشهاد بابطال
ايمانهم والعمل بايمان الورثة • فينتظم الوعيد والخيانة المؤدية اليه فان الخوفين وقع حصل المقصد الذى
هو الاتيان بالشهادة على وجهها • وقيل هو عطف على ياتوا على معنى ان ذلك اقرب الى ان ياتوا
بالشهادة على وجهها • او الى ان يخافوا الافتضاح برد اليمين على الورثة • فلا يحلفوا على موجب شهادتهم
ان لم ياتوا بها على وجهها • فينظهر كذبهم بنكولهم • وانما يتسنى من اداء المعنى ان ذلك اقرب الى احد
الامرين اللذين ابهما وقع كان فيه انصلاح • اداء الشهادة على الصدق والامتناع عن ادائها
على الكذب فيأباه المقام اذ لا تعلق له بالحادثة اصلا ضرورة ان الشاهد مضطر فيها الى الجواب بالامتناع
عن الشهادة الكاذبة مستلزمة للاتيان بالصادقة • فلا يتسنى كون امران ابهما وقع كان فيه
الصلاح حتى يتوسط بينهما كلمة او • وانما يتاتى ذلك فى شئ هو لم يتأهب له بالكلية على ان اضافة
الامتناع عن الشهادة الكاذبة الى خوف رد اليمين على الورثة ونسبة الاتيان بالصادقة
الى غيره مع ان ما يعتضى احدهما يعتضى الاخر لا محالة تحكم بحت

لا محالة تحكم نحث فتأمل واتقوا الله في مخالفة احكامه التي من جملتها هذا الحكم واسمعوا ما تؤمرون كانما سمع طاعة وقبول والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة اى فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اى الى طريق الجنة او الى ما فيه نفعهم يوم يجمع الله الرسل نصب على انه بدل اشتمال من مفعول اتقوا لما بينهما من الملابسة فان مدار البدلية ليس ملابسة الظرفية والمظروفية ونحوها فقط بل هو تعلق ما مصحح لاشتمال الذهن من المبدل منه الى البدل بوجه اجمالي كما في ما نحن فيه فان كونه تعالى خالقا للاشياء كافة مالكا يوم الدين خاصة كاف في الباب مع ان الامر بتقوى الله يتبادر منه الى الذهن ان المعنى اتى شئ من شؤنه واتى فعل من افعاله وقيل هناك مضاف محذوف بقرينة تحقق الاشتمال اى اتقوا عتاب الله فح يجوز انتصابه منه بطريق الظرفية وقيل منصوب بمضمر معطوف على اتقوا وما عطف عليه اى واحذروا او واذكروا يوم الخ فان تذكير ذلك اليوم الهائل مما يضطرهم الى تقوى الله عز وعلا وتلقي امره بسلم الاجابة والطاعة وقيل هو ظرف لقوله تعالى لا يهدي اى لا يهديهم يومئذ الى طريق الجنة كما يهدي اليه المؤمنين وقيل منصوب بقوله تعالى واسمعوا الخ مضاف اى اسمعوا خبر ذلك اليوم وقيل منصوب بفعل مؤخر قد حذف للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيانه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة الدامة والداهية العامة كانه قيل يوم يجمع الله الرسل ويقول الخ يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتشديد التهويل وتخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الامم كيف لا وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وقد قال الله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم بل بانه شرفهم واصالتهم والايذان بعدم الحاجة الى التصريح بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم اتباعا لهم واظهار سقوط خطرتهم وعدم لياقتهم بالانتظام في سلك جمع الرسل كيف لا وهم ثم مجموعون على وجه الاجلال وهم يسجدون على وجوههم بالاغلال فيقول لهم شيرا الى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبئ عما يوجب عنه تخصيص السؤال بجواب الامم اعرابا واضحا والالتفات الخ بان يقال هل بلغتم رسالاتي وما ذا في قوله عز وجل ماذا اجبتم عبارة عن مصدر الفعل فهو منصوب على المصدرية اى اى اجابة اجبتم من جهة الحكم اجابة قبول او اجابة رد وقيل عبارة عن الجواب فهو في محل النصب بعد حذف الجار عنه اى باى جواب اجبتم وعلى التقديرين فنفي توجيه السؤال عما صدر عنهم وهم شهود الى الرسل عليهم السلام كسؤال الموؤدة بمحضر من الوائد والعدول عن اسناد الجواب اليهم بان يقال ماذا اجابوا من الانبياء عن كمال تحقير شانهم وشدة الغيظ والسخط عليهم بالبخ قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فما ذا يقول الرسل عليهم السلام هنالك فقيل يقولون لا علم لنا وصيغة الماضي للدلالة على التقرر والتحقق كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ونظائرهما وانما يقولون ذلك تفويضا للامر الى علمه تعالى واحاطته باعترافهم من جهتهم من غير مشاهدة الاهوال ومعاناة الهول والاوجال وعرضا لعجزهم عن بيانه لكثرته وفظاعته انك انت علام الغيوب تعليل لذلك اى فتعلم ما اجابوا واظهروا وما لم نعلم مما اضمروه في قلوبهم وفيه اظهار للشكاية ورد للامر الى علمه تعالى مما قالوا من قبلهم من الخطوب وكابدوا من الكروب والتجأ الى ربهم في الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما العلم للخاتمة ورد ذلك بانهم يعرفونهم بسيماهم كيف يخفى عليهم امرهم وانت خبير بان مرادهم حج ان بعضهم كانوا في زمانهم على الحق ثم صاروا الى غيره وعن ابن عباس ومجاهد والسدي انهم يذهلون من اهوال الامر ويدهشون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما ثابت اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم والبلاغة التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة في التحقيق فضيحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب على النداء او الاختصاص بالمدح على ان الكلام قد تم عند قوله انت اى انك انت المنعوت بنعوت كملك الموصوف بذلك اذ قال الله يا عيسى ابن مريم شروع في بيان ما جرى بينه تعالى وبين واحد من الرسل المجموعين من المعاد ضم على التفصيل اثر بيان ما جرى بينه تعالى وبين الكل على وجه الاجمال ليكون ذلك كالانموذج لتفاصيل احوال الباقين وتخصيص شان عيسى بالبيان تفضلا من بين شؤون سائر الرسل عليهم السلام مع دلالتها على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل عليهم السلام لما ان شانهم بكلا النوعين من اهل الكتاب الذين نعيت عليهم في السورة الكريمة جنايا نهم فتفصيله اعظم عليهم واجلب لحسرتهم ونداماتهم واقت في اعصادهم واداخل في حزنهم عن غيرهم وعادهم واذ بدل من يوم يجمع الله الخ وصيغة الماضي لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لما قرر من المبالغة والتهويل

الموؤدة المقتولة للوائد

ومحله على ما قوله تعالى • اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك • متعلق بنفس النعمة ان جعلت مصدرا اى اذكر انعامى عليكما او بمحذوف هو حال
منها ان جعلت اسما اى اذكر نعمتي كائنة عليك وليس المراد بامره عليه السلام بذكر النعمة المنتظمة في سلك التعديد تكليفه عليه السلام شكرها والقيام
بمواجبها ولات حين تكليف مع خروجه عليه السلام عن عهدة الشكر في اوانه اى خروج بل اظهار امره عليه السلام بتعداد تلك النعم حسبما بينه الله سبحانه
اعتدادا بها وتلذذا بذكرها على رؤس الاشهاد ليكون حكاية ذلك على ما انبأ عنه النظم الكريم توبيخا وزجرا للكفرة المختلفين في شانه عليه السلام
افراطا وتفريطا وابطالا لقولهما جميعا • اذ ايدتك • ظرف لنعمتى اى اذكر انعامى عليكما وقت تأييدى لك او حال منها اى اذكرها كائنة
وقت تأييدى لك وقرئ آيدتك والمعنى واحد اى قويتك • بروح القدس • اى بجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة او بالكلام الذى يحيى
الدين واضافته الى القدس لانه سبب الطهر عن اوضار الآثام او يحيى به الموتى او النفوس حيوة ابدية • وقيل • الارواح مختلفة الحقائق
فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها كدرة ومنها حرة ومنها نذلة وكان روحه عليه السلام طاهرة مشرقة نورانية علوية
وايا ما كان فهو نعمة عليهما • تكلم الناس في المهد وكهلا • استئناف مبين لتأييده عليه السلام او حال من الكاف وذكر تكليمه عليه السلام في حال
الكهولة لبيان ان كلامه عليه السلام في تينك الحالتين كان على نسق واحد بديع صادرا عن كمال العقل مقارنا لرزانة الرأى والتدبير وبه استدل
على انه عليه السلام سينزل من السماء لما انه عليه السلام رفع قبل التكهل قال ابن عباس رضى الله عنهما ارسله الله تعالى وهو ابن ثلثين سنة ومكث في رسالته ثلثين شهرا
ثم رفعه الله تعالى اليه • واذ علمتك الكتاب • عطف على قوله تعالى اذ ايدتك منصوب بما نصبه اى اذكر نعمتى عليكما وقت تعليمى لك الكتاب
والحكمة • اى جنسهما • والتورية والانجيل • خصهما بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة اظهارا لشرفهما • وقيل • الكتاب الخط والحكمة
الكلام المحكم الصواب • واذ تخلق من الطين كهيئة الطير • اى تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير • باذنى • بتسهيلى وتيسيرى لا على ان يكون
الخلق صادرا منه عليه السلام حقيقة بل على ان يظهر ذلك على يده عليه السلام عند مباشرة الاسباب مع كون الخلق حقيقة لله تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى • فتنفخ فيها •
اى في الهيئة المصورة • فتكون • اى مع تلك الهيئة • طيرا باذنى • فان اذنه تعالى لو لم يكن عبارة عن تكوينه تعالى للطير بل عن محض تيسيره مع صدور
الفعل حقيقة عما اسند اليه لكان هذا التكوين من جهة الهيئة وتكرير قوله باذنى في الطير مع كونه شيئا واحدا للتنبيه على ان كلا من التصوير
والنفخ امر معظم بديع لا يتسنى ولا يترتب عليه شئ الا باذنه تعالى • وتبرئ الاكمه والابرص باذنى • عطف على تخلق • واذ تخرج الموتى
باذنى • عطف على اذ تخلق اعيد فيه اذ لكون اخراج الموتى من قبورهم لا سيما بعد ما صارت رميما معجزة باهرة ونعمة جليلة حقيقة بتذكير
وقتها صريحا • وقيل • اخرج سام بن نوح ورجلين وجارية وتكرير قوله باذنى في المواضع الاربعة للاعتناء بتحقيق الحق ببيان ان تلك الخوارق
ليست من قبل عيسى عليه السلام بل من جهته سبحانه قد اظهرها على يديه معجزة له ونعمة خصها به واما ذكره في سورة آل عمران مرتين لما ان ذلك موضع الاخبار
وهذا موضع تعداد النعم • واذ كففت بنى اسرائيل عنك • عطف على اذ تخرج اى منعت اليهود الذين ارادوا بك السوء عن التعرض لك
اذ جئتهم بالبينات • بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر كالاخبار بما ياكلون وما يدخرون في بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار
المجئ بها فقط بل باعتبار ما يعقبه بقوله تعالى • فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين • فان قولهم ذلك مما يدل على انهم قصدوا اغتياله عليه السلام
المحوج الى الكف اى كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك اياهم بالبينات وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لذمهم بما في حيز الصلة وكلمة من
بيانية وهذا اشارة الى ما جاء به والتذكير لان اشارتهم اليه ازاه من نفس المسمى من حيث هو او من حيث هو سحر الا من حيث هو مسمى بالبينات
وقرئ ان هذا الا ساحر مبين فهذا اشارة الى عيسى عليه السلام • واذ اوحيت الى الحواريين • عطف على ما قبله من اخواتها الواقعة ظروفا للنعمة التى
امر بذكرها وهى وان كانت في الحقيقة عين ما بينته الجمل التى اضيف اليها تلك الظروف من التأييد بروح القدس وتعليم الكتاب والحكمة
وسائر الخوارق المعدودة لكنها لمغايرتها لها بعنوان منبئ عن غاية الاحسان امر بذكرها من تلك الحيثية وجعلت عاملة في تلك الظروف
لكفاية المغايرة الاعتبارية في تحقيق ما هو مدلول كلمة اذ من تعدد النسبة فانه ظرف موضوع لزمان نسبتين ماضيتين واقعتين فيه تحكى
دون الاخرى في افراد افادة وقوعها مغايرة لا تضاف الى الجملة المفيدة للنسبة الاولى وتجعل ظرفا معمولا للنسبة الثانية ثم قد تكون

شرحي

النذالة السفالة وقد نذل بالضم فهو نذل ونذيل اى خسيس ح

قال اهل المعاني اية الربوبية في غاية العبودية وفي استغنائه عليه السلام مرة على بطن العبودية الخ الله تعالى عليه برهة انشيا امن او وضع التربوبية محمد اللكاى

المغايرة

المغايرة بين النسبتين بالذات كما في قولك اذكر احساني اليك اذا احسنت تريد تنبيه المخاطب على وقوع احسانك اليه وقوع احسانه اليك
فهما نسبتان متغايرتان بالذات وقد تكون بالاعتبار كما في قولك اذكر احساني اليك اذ منعتك من المعصية تريد تنبيهه على كون منعه
منها احسانا اليه لا على احسان آخر واقع ح ومن هذا القبيل عامة ما وقع في التنزيل من قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء
وجعلكم ملوكا الآية وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الى غير ذلك
من النظائر ومعنى الجائه تعالى اليهم امره تع اياهم في الانجيل على لسانه م وقيل الهامه تع اياهم كما في قوله تعالى واوحينا الى ام موسى وان
في قوله تعالى ان آمنوا بي وبرسولي مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وقيل مصدرية واياده م بعنوان الرسالة للتنبيه على كمال
الايمان به م كانه قيل آمنوا بوحدانيتي في الالوهية والربوبية وبرسالة رسولي ولا تزيلوه عن حيزه خطاء ولا رفعا وقوله تعالى قالوا
استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قالوا حين اوحي اليهم ذلك فقيل قالوا آمنا اي بما ذكر من وحدانيتك وبرسالة
رسوله كما ينبئ عنه قولهم واشهد بانا مسلمون اي مخلصون في ايماننا من اسلم وجهه لله وهذا القول منهم بمقتضى وصيته تعالى واراءته لهم تلك
نعمة جليلة كسائر النعم الفائضة عليهم وكل ذلك نعمة على والدته ايضا روي انه م لما علم انه سيؤمر بذبح ما تيك النعم العظام جعل
يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول الكل يوم رزق لم تكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت ايتما انمسى بات اذ قال الحواريون
كلام مستأنف مسوق لبيان بعض ما جرى بينه م وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبئ عنه الاظهار في موضع الاضمار واذ منصوب بمضمر خوطب
به النبي عليه السلام بطريق تلوين الخطاب لكن لا لان الخطاب لمن خوطب بقوله تع واتقوا الله الآية فتأمل كانه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم
عقيب حكاية ما صدر عن قول الحواريين من المقالة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة على عيسى عليه م اذكر للناس وقت قولهم الخ وقيل هو ظرف
لقالوا اريد به التنبيه على ان ادعائهم الايمان والاخلاص لم يكن عن تحقيق وايقان ولا يأس عن النظم الكريم يا عيسى ابن مريم هل يستطيع
ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء اختلف في انهم هل كانوا مؤمنين اولا فقيل كانوا كافرين شاكين في قدرة الله تعالى
على ما ذكروا في صدق عيسى عليه م كاذبين في دعوى الايمان والاخلاص وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم للاطمئنان والتنبيت لا لازاحة الشك
وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون القدرة عليه تعبيرا عنه بلازمه وقيل الاستطاعة على ما يقتضيه الحكمة والارادة لا على ما يقتضيه
القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك بمعنى هل يجيبك في استطاع بمعنى اطاع كاستجاب بمعنى اجاب وقرئ هل يستطيع ربك اي سؤال ربك
والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس ومعاذ رضي الله عنهم وسعيد بن جبير وآخرين والمائدة
الخوان الذي عليه الطعام من مادة اذا اعطاه ورفده كانه يمتد من تقدم اليه ونظيرة قولهم شجرة مطعمة وقال ابو عبيدة هي فاعلة
بمعنى المفعول كعيشة راضية قال استئناف مبني على سؤال ناشئ مما قبله كانه قيل فماذا قال لهم عيسى عليه م حين قالوا ذلك فقيل قال
اتقوا الله اي من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين اي بكمال قدرته تع وبصحة نبوتي او ان صدقتم في ادعاء الايمان والاسلام
فان ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن امثال هذه الاقتراحات وقيل امرهم بالتقوى ليصير ذلك ذريعة لحصول المسؤل كما قاله تع ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تع يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة قالوا استئناف كما سبق
نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال اي لسنا نريد بالسؤال ازاحة شبهتنا في قدرته سبحانه وتعالى على ما ذكر بل
لوفور صحة يقيننا بنبوتك حتى يقدح ذلك في الايمان والتقوى بل نريد ان ناكل منها اي كل تبرك وقيل اكل حاجة وتمتع ونطمئن قلوبنا
بكمال قدرته تع وان كنا مؤمنين به من قبل فان انضمام علم المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد الطمأنينة وقوة اليقين
ونعلم اي علما يقينيا لا يجوم حوله شائبة شبهة اصلا وقرئ ليعلم على البناء للمفعول ان قد صدقتنا ان هي المخففة من ان
وضمير الشان محذوف اي ونعلم انه قد صدقتنا في دعوى النبوة وان الله يجيب دعوتنا وان كنا عالمين بذلك من قبل ونكون عليها من الشاهدين
نشهد عليها عند الذين لم يحضروا منا من بني اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم شهادتنا طمأنينة ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين للمعجزات

السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين وان جعل اللام للتعريف وبيان لما يشهدون عليه ان جعلت موصولة كأنه قيل على اى شئ يشهدون
فقيل عليها فان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول او هو حال من اسم كان او متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين قال عيسى بن مريم
لما رأى ان لهم غرضا صحيحا فى ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع على استدعائها واستنزالها واراد ان يلزمهم الحجة بكمالها روى انه عم
اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ رأسه وغض بصره ثم قال اللهم ربنا ناداه سبحانه وتعالى مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة
لجميع الكمالات ومرة بوصف الربوبية المنبئة عن التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة فى الاستدعاء انزل علينا تقديم الظرف على
قوله تعالى مائدة لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى من السماء متعلق بانزل او بمحذوف هو صفة
لمائدة اى كائنة من السماء نازلة منها وقوله تعالى تكون لنا عيدا فى محل النصب على انه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها اما
عيدا ولنا حال منه او من ضمير تكون عند من يرى ذلك اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم مستعار
من شرفها وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمى يوم العيد عيدا وقرئ تكن بالجزم على جواب الامر كما فى قوله تعالى فهب لى من لدنك وليا
يرثنى خلا ان قراءة الجزم هناك متواترة وههنا من الشواذ لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اى عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا
روى انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل للرؤساء منا والاتباع وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ
لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة وآية عطف على عيدا منك متعلق بمحذوف هو صفة لآية اى كائنة منك دالة
على كمال قدرتك وصحة نبوتى وارزقنا اى المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين تذييل جار مجرى التعليل اى خير
من يرزق لانه خالق الارزاق ومعطيها بلا عوض وفى اقباله عم على الدعاء بتكرير النداء المنبئ عن كمال الضراعة والابتهال وزيادة
ما لم يخطر ببال السائلين من الامور الداعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا مؤمنين كان لتحصيل الطمأنينة كما
فى قول ابراهيم عم رب ارنى كيف تحيى الموتى والا لما قبل اعتذارهم بما ذكروه واضاف اليه من عنده ما يؤكده ويوجهه الى القبول
قال الله استئناف كما سلف انى منزلها عليكم ورود الاجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء
منه عم بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف والاحسان كما فى قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب الخ بعد قوله تعالى لئن انجانا
من هذه الخ مع ما فيه من مراعاة ما وقع فى عبارة السائلين وفى تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيق للوعد وايذان بانه
عز وجل منجز له لامحالة من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه واشعار بالاستمرار اى انى منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرئ بالتخفيف
وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد فمن يكفر بعد اى بعد تنزيلها منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر
فانى اعذبه بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة عذابا اسم مصدر بمعنى التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوائد وانتصابه
على المصدرية بالتقديرين المذكورين وجوز ان يكون مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى لا اعذبه فى محل النصب على انه صفة لعذابا
والضمير له اى اعذبه تعذيبا لا اعذب مثل ذلك التعذيب احدا من العالمين اى من عالمى زمانهم او من العالمين جميعا وقيل
لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن رح والصحيح الذى
عليه جماهير الامة ومشاهير الائمة انها قد نزلت روى انه عم لما دعا بما دعا واجيب بما اجيب اذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين
غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عم اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها
رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا
سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة
على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون رأس الحواريين ياروح الله
امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شئ اخترعه الله تعالى بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله

وهو ما يكون على السمكة

وهو ما يكون فى لحمه جزرى فلفلى

ويزدكم

ويزدكم من فضله فقال يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشويّة ثم طارت المائدة ثم عصوا فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غنى مدة عمره ولا مريض الا برئ ولا بر مض ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عم ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم فاصبحوا خنازير يسعون في القطرات والكناسات ويأكلون العذرة والخشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عم وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير عيسى عم بكت وجعلت تطيف به عم وجعل يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون فعاشوا ثلثة ايام ثم هلكوا وروى عن ابن عباس رض ان عيسى عم قال لهم صوموا ثلثين يوما ثم سلوا الله تعالى ما شئتم يعطكم فصاموا فلما فرغوا قالوا انا لو علمنا لاحد فقضينا عليه لاطعمنا وسألوا الله تعالى المائدة فاقبلت الملئكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم قال كعب نزلت منكوسة تطير بها الملئكة بين السماء والارض عليها كل الطعام الا اللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال علية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شئ وقال الكلبي ومقاتل نزلت سمكة وحمتة ارغفة فاكلوا ما شاء الله والناس الف وبضع فلما رجعوا الى اقرانهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته على بصيرته ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير فمكثوا بذلك ثلثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل مسخ واذ قال الله يا عيسى بن مريم معطوف على اذ قال الحواريون منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي عليه السلام او بمضمر مستقل معطوف على ذلك اى اذكر للناس وقت قول الله عز وجل لهم في الآخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم باقراره عم على رؤس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته عز وجل وصيغة الماضي لما مر من الدلالة على التحقق والوقوع ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين الاتخاذ اما متعد الى مفعول فالهين ثانيهما وامّا الى واحد فهو حال من المفعول وليس هذا من اصل الكلام ان القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من الهمزة المبتدأ بها على الاستعمال الفاشي وعليه قوله تعالى ءانت فعلت هذا بآلهتنا ونظائره بل على ان المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام لتعيين آمره عم او من تلقاء انفسهم كما في قوله تعالى ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل وقوله تعالى من دون الله متعلق بالاتخاذ ومحله النصب على انه حال من فاعله اى متجاوزين الله او محذوف هو صفة لالهين اى كائنين من دونه تعالى وايا ما كان فالمراد اتخاذهما بطريق اشراكهما به سبحانه وتعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون اذ به يتأتى التوبيخ ويتسنى التوزيع والتبكيت ومن توهم ان ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر بان النصارى يعتقدون ان المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم عم انما خلقها الله تعالى بل هما خلقا فيه انهم اتخذوهما الهين من بعض الاشياء الهين مستقلين ولم يتخذوه تعالى الهافي حق ذلك البعض فقد ابعد عن الحق بمراحل واما من يتعمق فيقال ان عبادة الله تعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده تعالى مع عباد تها كأنه عبدهما ولم يعبده تعالى فقد غفل عما يجب عليه واشتغل بما لا يعنيه كذا قيل والاظهر ان توبيخهم انما يحصل بما يعتقدونه ويعترفون به صريحا لا بما يلزمه بضرب من التأويل واظهار الكلام الجليل لكونه في حيز القول المسند الى عيسى عم قال استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل فماذا يقول عيسى عم حين قيل ءانت قلت وايثار صيغة الماضي لما مر مرارا سبحانك سبحان علم للتسبيح وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من التسبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الغفل ما لا يخفى اى انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك او من ان يجال في خلدي ذلك وانما تقدير من ان يكون ذلك شريك في الالوهية فلا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق

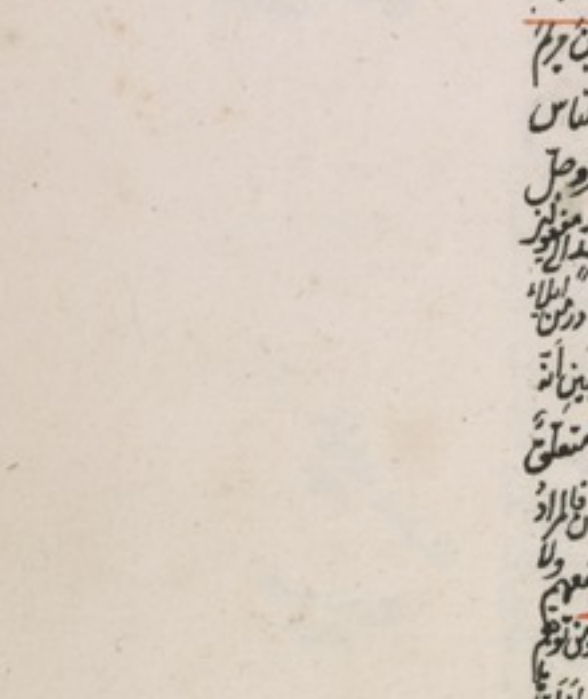

استئناف مقرر للتنزيه ومبين للمنزه منه وما عبارة عن القول المذكور أي ما ينبغي ان اقول قولا لا يحق لي أن اقوله وانما ليس
على الفعل المنفي لظهور دلالته على استمرار انتفاء الحقية وافادة التاكيد بما في خبره من الباء فان اسمه ضميره العائد الى ما وخبره بحق والجار
والمجرور فيما بينهما للتبيين كما في سقيا لك ونحوه وقوله تع إن كنت قلته فقد علمته استئناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه بالطريق
البرهاني فان صدوره عنه مستلزم لعلمه تع به قطعا فحيث انتفى علمه تع انتفى صدوره عنه قطعا ضرورة ان عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم تعلم
ما في نفسي استئناف جار مجرى التعليل لما قبله كانه قيل لانك تعلم ما اخفيه في نفسي فكيف بما اعلنه وقوله تع ولا اعلم ما في نفسك بيان
للموانع واظهار لقصوره اي ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك في قوله تع ما في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس هو الذات ونسبة المعلومات اليها
لما انها مرجع الصفات التي من جملتها العلم المتعلق بها فلم يكن نسبتها الى الحقيقة وقوله تع انك انت علام الغيوب تعليل
لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما وقوله عز وجل ما قلت لهم الا ما امرتني به استئناف مسوق لبيان ما صدر عنه قد ادرج فيه عدم
صدور القول المذكور عنه على ابلغ وجه وآكده حيث حكم بانتفاء صدور جميع الاقوال المغايرة للمأمور به فدخل فيه انتفاء صدور القول
المذكور دخولا اوليا اي ما امرتهم الا بما امرتني به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على مقتضى حسن الادب ومراعاة لما ورد في الاستفهام في قوله
ان اعبدوا الله ربي وربكم تفسير للمأمور به وقيل عطف بيان للضمير به وقيل بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه
مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمر او مفعول لمثل هو او اعني وكنت عليهم شهيدا رقيبا اراعي احوالهم واحملهم على الفعل
بموجب الامر وامنعهم عن المخالفة او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان ما دمت فيهم ما مصدرية ظرفية بعد مصدر مضاف اليه زمان ودامت
صلتها اي كنت شهيدا عليهم مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع الى السماء كما في قوله تع اني متوفيك ورافعك الي
فان التوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب
عليهم لاغيرك فانت ضمير الفصل او تاكيد وقرئ الرقيب بالرفع على انه خبر انت والجملة خبر لكان وعليهم متعلق به لان كنت الحافظ
لاعمالهم والمراقب فمنعت من اردت عصمته عن المخالفة بالارشاد الى الدلائل المنبهة عليها بارسال الرسول وانزال الآيات وخذلت
من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا وانت على كل شيء شهيد اعتراض تذييلي موقر لما قبله وفيه ايذان بانه تع كان هو
الشهيد على الكل حين كونهم فيما بينهم وعليهم متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة ان تعذبهم فانهم عبادك وقد استحقوا
بذلك حيث عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز اي القوي القادر على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب
الحكيم الذي لا يريد ولا يفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل
وعدم غفران الشرك انما هو بمقتضى الوعيد الممتنع فيه لذاته ليمنع التردد وقيل التردد بالنسبة الى فريقين والمعنى ان تعذبهم اي
من كفر منهم وان تغفر لهم اي من آمن منهم قال الله كلام مستانف حكم به حكاية ما حكي تمايقع يوم يجمع الله الرسل م واشير الى نتيجة
وثمرته اي يقول الله تع يوم ينفع عيسى عم مشيرا الى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين معه في زمرتهم وصيغة الماضي
لما قرن نظائره مرارا وقوله تع هذا اشارة الى ذلك اليوم وهو مبتدا خبره ما بعده اي هذا اليوم الذي حكى بعض ما يقع فيه اجمالا
وبعضه تفصيلا يوم ينفع الصادقين بالرفع والاضافة والمراد بالصادقين كما يشعر به اللام المستمرون في الدارين على الصدق في الامور
الدينية التي معظمها التوحيد الذي نحن بصدده والشرائع والاحكام المتعلقة بهم الرسل الناطقين بالحق والصدق الداعين الى ذلك
وبه يحصل الشهادة بصدق عيسى عم ومن الامم المصدقين لهم المقتدين بهم عقدا وعملا وبه يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب السامعين
في الايمان برسول الله عليه السلام لان كل من صدق في اي شيء كان ضرورة ان ايمان المعترف في الدنيا بجنايته لا ينفعه يومئذ اعترافه
وصدقه صدقهم اي صدقهم فيما ذكر من امور الدين في الدنيا اذ هو المستتبع للنفع يومئذ واعتبار استمراره في الدارين معا انما هو
اليه كما عرفت ولا دخل له في استتباع النفع والجزاء مما لا وجه له وهذه القراءة هي التي اطبق عليها الجمهور وهي اللائقة بسياق النظم الكريم

وقد قرئ يوم بالنصب اما على انه ظرف لقال فهذا اشارة الى قوله تع اءنت قلت الخ واما على انه خبر لهذا فهو اشارة جواب عيسى عم اى هذا الجواب منه ره واقع يوم ينفع الخ اوالى السؤال والجواب معا وقيل هو خبر ولكنه بنى على الفتح وليس بصحيح عند البصريين لانه مضاف الى متمكن وقرئ يوم بالرفع والتنوين كقوله تعالى واتقوا يوما لا يجزى لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا استئناف مسوق لبيان النفع المذكور كانه قيل مالهم من النفع فقيل لهم نعيم دائم وثواب خالد وقوله تعالى رضى الله عنهم استئناف آخر لبيان انه عز وجل افاض عليهم غير ما ذكر من الجنات ما لا قدر لها عنده وهو رضوانه الذى لا غاية ورآءه كما ينبئ عنه قوله تعالى ورضوا عنه اذ لا شئ اعز منه حتى يمتد اليه اعناق الهمم ذلك اشارة الى نيل رضوانه تع وقيل الى نيل الكل هو الفوز العظيم لما ان عظم شان الفوز تابع لعظم شان المطلوب الذى تعلق به الفوز وقد عرفت ان لا مطلب وراء ذلك اصلا وقوله تعالى لله ملك السموات والارض وما فيهن تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى وفساد ما زعموا فى حق المسيح وامه اى له تعالى خاصة ملك السموات والارض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف فيها كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء وامانة وانواعا وانهيا من غير ان يكون لشئ من الاشياء مدخل فى ذلك وفى ايثار ما على من المختصة بالعقلاء على تقدير تناولها الكل مراعاة للاصل واشارة الى تساوى النوعين فى استحالة الربوبية حسب تساويهما فى تحقق المربوبية وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلاء تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الالوهية وامانة بهم بتغليب غيرهم عليهم وهو على كل شئ من الاشياء قدير مبالغ فى القدرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس فى الدنيا

سورة الانعام مائة وستون وخمس آية بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة اولا باسم الذات الذى عليه يدور كافة ما يوجب من صفات الكمال والبه يؤل جميع نعوت الجلال والجمال للايذان بانه عز وجل هو المستحق له بذاته لما قرر من اقتضاء اختصاص الحقيقة به سبحانه لاختصاص جميع افرادها عليه بالطريق البرهانى ووصفه تعالى ثانيا بما ينبئ عن تفصيل بعض موجبات المنتظمة فى سلك الاجمال من عظائم الآثار وجلائل الافعال من قوله عز وجل الذى خلق السموات والارض للتنبيه على استحقاقه تع له واستقلاله به باعتبار افعاله العظام والآئه الجسام ايضا وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الآثار العلوية والسفلية وعامة الآلاء الجلية والخفية التى اجلها نعمة الوجود الكائنة فى ايجاب حمده تع على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم الانفسية والآفاقية المنوط بها مصالح العباد فى المعاش والمعاد اى انشأهما على ما هما عليه من النمط الفائق والطراز الرائق منطويتين من انواع البدائع واصناف الروائع على ما يتحير فيه العقول والافكار من تعاجيب العبر والآثار تبصرة وذكرى لاولى الابصار وجمع السموات لظهور تعدد طباقها واختلاف آثارها وحركاتها وتقديمها لشرفها وعلو مكانها وتقدمها وجودا على الارض كما هى وجعل الظلمات والنور عطف على خلق بترتب عليه لكون جعلهما سببا لخلق منشأهما ومحلهما داخل معه فى حكم الاشعار بعلة الحمد فكما ان خلق السموات والارض وما فيهما لكونه اثرا عظيما ونعمة جليلة موجب للاختصاص الحمد بالعها عز وعلا كذلك جعل الظلمات والنور لكونه امرا خطيرا ونعمة عظيمة مقتض للاختصاص جاعلهما والجعل هو الانشاء والابداع كالخلق خلا ان ذلك مختص بالانشاء التكوينى وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما فى الآية الكريمة وللتشريعى ايضا كما فى قوله تع ما جعل الله من بحيرة الآية وايا ما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشئ آخر بان يكون فيه اوله اومنه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شئ من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة فى الكلام بل قيدا فيه كما فى قوله عز وعلا وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسى وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا فان كل واحد من هذه الظروف انما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة وايا ما كان فهو قيد فى الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما فى قوله تعالى يجعلون اصابعهم فى آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وليس

فى الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف فى قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة حيث قيل ان الظرف مفعول ثان لجاعل وقد اشير هناك
الى ان الذى يقضى به الذوق السليم ويقتضيه جزالة النظم الكريم انه متعلق بجاعل او بمحذوف وقع حالا من المفعول او ان المفعول
الثانى هو خليفة والاول محذوف على ما قرر تفصيله وجمع الظلمات لظهور كثرة اسبابها ومحالها عند الناس ومشاهدتهم لها على التفصيل
وتقديمها على النور لتقدم الاعدام على الملكات مع مافيه من رعاية حسن المقابلة بين القرينتين وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم
يعدلون معطوف على الجملة السابقة باعتبار من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدعى لاقتصار العبادة عليه كما تحقق فى تفسير
الفاتحة الكريمة مسوق للانكار ما عليه الكفرة واستبعاده ومخالفتهم لمضمونها واجترائهم على ما يقضى ببطلانه بديهة العقول والمعنى انه تعالى
مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل من شئونه العظيمة الخاصة به الموجبة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء
الكفرة لا يعلمون بموجبه ويعدلون به سبحانه اى يسوون به غيره فى العبادة التى هى اقصى غايات الشكر الذى زاله الحمد مع كون كل
ماسواه مخلوقا له غير متصف بشئ من مبادى الحمد وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الايات التكوينية الناطقة بطلانه
لا بعد بيانه بالايات التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة الكفار جارى الاسم لهم من غير ان يجعل كفرهم بما يجب ان يؤمن به كلا
او بعضا عنوانا للموضوع فان ذلك محل باستبعاد ما اسند اليهم من الاشراك والباء متعلقة بيعدلون ووضع الرب موضع ضميره تعالى
لزيادة التشنيع والتقبيح والتقديم لمزيد الاهتمام والمسارعة الى التحقيق مدار الانكار والاستبعاد والمحافظة على الفواصل وترك
المفعول لظهوره او للتوجيه الانكار الى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم ايذانا بانه المدار فى الاستبعاد والاستنكار لا خصوصية المفعول
هذا هو الحقيق بجزالة التنزيل والخليق بفخامة شانه الجليل واما جعل الباء صلة لكفروا على ان يعدلون من العدول والمعنى ان الله
حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته فيردونه ان كفرهم به تعالى لا سيما باعتبار ربوبيته لهم
اشد شناعة واعظم جناية من عدولهم عن حمده عز وجل لتحققه مع اغفاله ايضا فجعل انهون الشرين عمدة فى الكلام مقصودا
لافادة واخراج اعظمهما مخرج القيد المفروغ عنه مما لا عهد له فى الكلام السديد فكيف بالنظم التنزيلى هذا وقد قيل انه معطوف
على خلق السموات والمعنى انه تعالى خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم يعدلون به سبحانه لا يقدر على شئ منه لكن لا على قصد
انه صلة مستقلة ليكون بمنزلة ان يقال الحمد لله الذى عدلوا به بل على انه داخل تحت الصلة بحيث يكون الكل صلة واحدة كانه قيل
الحمد لله الذى كان منه تلك النعم العظام ثم من الكفرة كفروا انت خبير بان ما ينتظم فى سلك الصلة المبنية عن موجبات حمده عز وجل
حقه ان يكون له دخل فى ذلك الانباء ولو فى الجملة ولا ريب فى ان كفرهم بمعزل منه واذ عاء ان له دخلا فيه لدلالته على كمال الجود كانه قيل الحمد لله الذى
انعم بمثل هذه النعم العظام على من لا يحمده تعسف لا يساعده النظام وتعكيس يابا مقام كيف لا وسياق النظم الكريم كما ينبئ عنه الايات الآتية
تشنيع الكفرة وتوبيخهم ببيان غاية اساءتهم فى حقه تعالى كما يقتضيه الادعاء المذكور وبهذا اتضح انه لا سبيل الى جعل المعطوف من روادف
المعطوف عليه لما ان حق الصلة ان تكون غير مقصودة الافادة فما ظنك بما هو من روادفها وقد عرفت ان المعطوف هو الذى سيق له الكلام
فتامل وكن على الحق المبين هو الذى خلقكم من طين استئناف مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث ومشاهدتهم لما يوجب الايمان به
اثر بيان بطلان اشراكهم به تعالى مع معاينتهم لموجبات توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر دلائل صحة البعث مع ان ما ذكر من خلق
السموات والارض من اوضحها واظهر مما ورد فى قوله تعالى اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم لما ان محل النزاع بعثهم فدلالة
بدء خلقهم على ذلك اظهر وهم بشئون انفسهم اعرف والتعامى عن الحجة النيرة اقبح والالتفات لمزيد التشنيع والتوبيخ اى ابتدا خلقكم منه
فان المادة الاولى للكل لما انه منشا آدم الذى هو اصل البشر وانما نسب هذا الخلق الى المخاطبين لا الى آدم عليه السلام وهو المخلوق منه حقيقة
بان يقال هو الذى خلق اباكم الخ مع كفاية علمهم بخلقه منه فى ايجاب الايمان بالبعث وبطلان الامتراء لتوضيح منهاج القياس والمبالغة فى
ازاحة الاشتباه والالتباس مع مافيه من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة خفية هى ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه منه حيث لم يكن

فطرة

ويهو عدولهم عن حمده سبحانه منه

رد لكلام ابن الكمال

تعيين للذين سيقوا الخ

فطرة البدية مقصودة على نفسها بل كانت نموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس لنظوا اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقهم من الطين خلقا للكل اصدق من فروعه منه ولما كان خلقهم على هذا النمط السارى الى جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصودا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرة الخلاق العليم وكمال علمه وحكمته وكان ابتداء حال المنشئ من الطين اولى بان يكون معيارا لانتهائها فعل ما فعل وتدر شان التنزيل وعلى هذا السر مدار قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الخ وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا كما سيأتى وقيل المعنى خلق اباكم منه على حذف المضاف وقيل معنى خلقهم منه خلقهم من النطفة الحاصلة من الاغذية المتكونة من الارض وآيا ما كان ففيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته تع على البعث ما لا يخفى فان من قدر على احياء ما لم يشم رائحة الحيوة كما فى العظام الرميم ما قارنها مدة ما اظهر قدرة ثم قضى اى كتب لموت كل واحد منكم اجلا خاصا به اى حدا معينا ثم الزمان بقضى عند حلوله لا محالة وكلمة ثم للايذان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير آجالهم حسبما يقتضيه الحكم البالغة واجل مسمى اى حد متعين لبعثكم جميعا وهو مبتدأ لتخصصه بالصفة كما فى قوله تعالى ولعبد مؤمن خير لو قوعه فى موقع التفصيل كما فى قول من قال اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم تحول وتنوينه لتفخيم شانه وتهويل امره وكذلك اوثر تقديمه على الخبر الذى هو عنده مع ان الشائع المستفيض هو التاخير كما فى قولك عندى كلام حق ولى كتاب نفيس كما قيل واى اجل مسمى مثبت معين فى علمه لا يتغير ولا يتوقف على وقت حلوله احد لا مجملا ولا مفصلا واما اجل الموت فمعلوم اجمالا وتقريبا بناء على ظهور امارته او على ما هو المتعارف فى اعمار الانسان وتسميته اجلا انما هى باعتبار كونه غاية لمدة بينهم فى القبور لا باعتبار كونه مبدأ لمدة الغيبة كما ان مدة التسمية فى الاجل الاول هو كونه آخر مدة الحيوة لا كونه اول مدة الممات لان الاجل فى اللغة عبارة عن آخر المدة لا عن اولها وقيل الاجل الاول بين الخلق والموت والثانى ما بين الموت والبعث من البرزخ فان الاجل كما يطلق على آخر المدة يطلق على كلها وهو الاوفق لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قضى لكل احد اجلين اجلا من مولده الى موته واجلا من موته الى بعثه فان كان برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث فى اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا نقص من اجل العمر وزيد فى اجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب فمعنى عدم تغير الاجل عدم تغير آخره والاول هو الاشهر الايلق بتفخيم الاجل الثانى المنوط باختصاصه بعلمه تعالى والانسب بتهويل المبنى على مقارنته للطامة الكبرى فان كون بعضه معلوما للخلق ومضيه من غير ان يقع فيه شئ من الدواهى كما يستلزمه الحمل على المعنى الثانى فى محل بذلك قطعا ومعنى زيادة الاجل ونقصه فيما روى تاخير الاجل وتقديمه ثم انتم تمترون استبعاد واستنكار لاقترآئهم فى البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الباهرة الدالة عليه اى تمترون فى وقوعه وتحققه فى نفسه مع مشاهدتكم فى انفسكم من الشواهد ما يقطع مادة الاقتراء بالكلية فان من قدر على افاضة الحيوة وما يتبرع عليها من العلم والقدرة وسائر الكمالات البشرية على مادة غير مستعدة لشئ منها اصلا كان اوضح اقتدارا على افاضتها على مادة قد استعدت لها وقارنتها مدة ومن ههنا تبين ان ما قيل من ان الاجل الاول هو النوم والثانى هو الموت او ان الاول الاجل الماضين والثانى اجل الباقين او ان الاول مقدار ما مضى من عمر كل احد والثانى مقدار ما بقى منه مما لا وجه له اصلا لما رأيت من ان مساق النظم الكريم استبعادا مترآئهم فى البعث الذى عبر عن وقته بالاجل المسمى فحيث اريد به احد ما ذكر من الامور الثلثة فاى شئ تمترون ووصفهم بالاقتراء الذى هو اشد فى توجيه الاستبعاد اليهم مع انهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على انكاره كما ينبئ عنه قولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون ونظائره للدلالة على ان مرجع المذكور فى اقصى مراتب الاستبعاد والانكار وقوله تعالى وهو الله جملة من مبتدا وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لتمثيل الهيئة التى عليها مجامع المخلوقات واحاطة علمه تعالى بتفاصيل احوال العباد واعمالهم المؤدية الى الجزاء اثر الاشارة الى تحقق المعاد فى تضاعيف بيان كيفية خلقهم وتقدير آجالهم وقوله تعالى فى السموات وفى الارض متعلق بما فى معنى الوصف الذى ينبئ عنه الاسم الجليل اما باعتبار اصل الاشتقاق وكونه علما للمعبود بالحق كانه قيل وهو المعبود فيهما واما باعتبار ارادة اسم اشتهر بما اشتهر به الذات من صفات الكمال فلوحظ معه منها ما يقتضيه المقام من الملكية الكلية والتصرف الكامل حسبما يقتضيه المشية المبنية على الحكم البالغة متعلق به الظرف من تلك الحيثية

عن ابن عباس على الوجه الاول

فصار كأنه قيل وهو المالك او المتصرف المدبر فيهما كما في قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وليس المراد بما ذكر من الاعتبار
ان الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوي او على معنى المالك والمتصرف ونحو ذلك بل مجرد ملاحظة احد المعاني المذكورة في ضمنه كما لوحظ
مع اسم الاسد في قوله اسد علي الخ ما اشتهر به من وصف الجراءة التي اشتهر بها مسماه فجرى مجرى جرئ علي وبهذا تبين ان ما قيل بصدد
التصوير والتفسير اي هو المعروف بذلك في السموات وفي الارض او هو المعروف المشتهر بالصفات الكمالية او هو المعروف بالالهية فيهما او نحو ذلك
بمعزل من التحقيق فان المعتبر مع الاسم هو نفس الوصف الذي اشتهر به اذ هو الذي يقتضيه المقام حسبما تبين آنفاً لا الاشتهار به الا يرى ان الكلمة على
في المثال المذكور لا يمكن تعليقها باشتهار الاسم بالجراءة قطعاً وقيل هو متعلق بما يفيده التركيب الحصري من التوحيد والتفرد كأنه قيل
وهو المتوحد بالالهية فيهما لا يشرك به شيء في هذا الاسم على الوجه الذي سبق من اعتبار معنى التوحيد او التفرد في فحوى الكلام بطريق الاستتباع
لا على حمل الاسم الجليل على معنى المتوحد بالالهية او على تقدير القول وقد جوز ان يكون الظرف خبراً ثانياً على ان كونه سبحانه فيهما عبارة عن كونه
مبالغاً في العلم بما فيهما بناء على تنزيل علمه المقدس عن حصول الصورة والاشباح لكونه حضورياً منزلة كونه تعالى فيهما وتصويره به على طريقة التمثيل المبني
على تشبيه حالة علمه تعالى بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فان العالم اذا كان في مكان كان عالماً به وبما فيه على وجه لا يخفى عليه منه شيء فعلى هذا يكون قوله عز وجل
يعلم سركم وجهركم اي ما اسررتموه وما جهرتم به من الاقوال او ما اسررتموه وما اعلنتموه كائناً ما كان من الاقوال والافعال بياناً وتقريراً
لمضمونه وتحقيقاً للمعنى المراد منه وتعليق علمه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله لجميع ما فيهما حسبما يفيده الجملة السابقة لانسياق النظم الكريم الى
حال المخاطبين وكذا على الوجه الثاني فان ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية الكلية والتصرف الكامل الجاري على النمط المذكور
مستتبعة لملاحظة علمه المحيط حتماً فيكون هذا بياناً وتقريراً له بلا ريب واما على الوجوه الثلاثة الباقية فلا سبيل الى كونه بياناً لكن لا لما قيل من انه
لا دلالة لاستواء السر والجهر في علمه تعالى على ما اعتبر فيهما من المعبودية والاختصاص بهذا الاسم اذ ربما يعبد ويختص من ليس لكمال العلم فانه باطل
قطعاً اذ المراد بما ذكر هو المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم الجليل ولا ريب في انهما مما لا يتصور فيمن ليس لكمال العلم بديهة بل لان ما ذكر
من العلم غير معتبر في مدلول شيء من المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون هذا بياناً له بل هو معتبر فيما صدق عليه وبهذا تبين انه ليس ببيان
على الوجه الثالث ايضاً لما ان التوحيد بالالهية لا يعتبر في مفهومه العلم الكامل ليكون هذا بياناً له بل هو معتبر فيما صدق عليه المتوحد
وذلك غير كاف في البيانية وقيل هو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وقيل هو الخبر
والاسم الجليل بدل من هو وبه يتعلق الظرف المتقدم ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كما في قولك رميت الصيد في الحرم اذا كان هو فيه
وانت خارجه ولعل حمل سرهم وجهرهم فيهما على التوسيع الدائرة وتصوير انه لا يعزب عن علمه شيء منهما في اي مكان كان لا لانهما
قد يكونان في السموات ايضاً وتعميم الخطاب لاهلها تعسف لا يخفى ويعلم ما تكسبون اي ما تفعلونه لجلب نفع او دفع ضر من الاعمال
المكتسبة بالقلوب او بالجوارح سراً او علانية وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق على التفسير الثاني للسر والجهر لاظهار كمال الاعتناء
بها لانها التي يتعلق بها الجزاء وهو السر في اعادة يعلم وما تأتيهم من آية من آيات ربهم كلام مستأنف وارد لبيان كفرهم
بآيات الله واعراضهم عنها بالكلية بعدما بين في الآية الاولى اشراكهم بالله سبحانه واعراضهم ~~عنها بالكلية بعدما بين في الآية الاولى اشراكهم~~
~~بالله سبحانه~~ عن بعض آيات التوحيد وفي الآية الثانية امتراؤهم في البعث واعراضهم عن بعض آياته والالتفات للاشعار بان ذكر قبائحهم
قد اقتضى ان يضرب عنهم الخطاب صفحاً وتعدد جناياتهم لغيرهم ذماً لهم وتقبيحاً لحالهم فما نافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية
او للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية تبعيضية واقعة موقع الجر ورفعاً صفة لآية واضافة الآيات
الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترؤوا عليه في حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها
والمعنى ما ينزل اليهم آية من الآيات القرآنية التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله عز وجل المنبئة عن
جريان احكام الوهيته على كافة الكائنات واحاطة علمه بجميع احوال الخلق واعمالهم الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا كانوا

كما قاله الفاضل التفتازاني منه
كما قاله صاحب الكشاف منه
كما قاله صاحب الكشاف منه

عنها معرضين اى على وجه التكذيب والاستهزآء كما ستقف عليه وآياتها التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تحاجيب المعبودات
فانيا ظهور مالهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التكوينية التى من جملتها ما ذكر من جلائل شئونه تعالى الشاهدة بوحدانيته
تعالى الا كانوا عنها معرضين تاركين التفكر فيها المؤدى الى الايمان بكونها وآثاره على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله فى قوله تعالى
وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه
رعاية للفواصل والجملة فى محل النصب على انها حال من مفعول ثانى اتى من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما وآيا ما كان
ففيها دلالة بينة على كمال مسارعتهم الى الاعراض وابتداعهم فى آن الاتيان كما ينبئ عنه كلمة لما فى قوله عز وجل فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
فان الحق عبارة عن القرآن الذى اعرضوا عنه حين اعرضوا عن كل آية آية منه عبر عنه بذلك اثابة لكمال قبح ما فعلوا به فان تكذيب الحق
مما لا يتصور صدوره عن احد والفاء لترتيب ما بعدها على قبلها لكن لا على انه شئ مغائر له فى الحقيقة واقع عقيبه او حاصل بسببه بل على
ان الاول هو عين الثانى حقيقة فانما الترتيب بحسب التغاير الاعتبارى وقد مر تحقيق ذلك المعنى كما فى قوله تعالى وقد جاؤا ظلما وزورا
بعد قوله تعالى وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فان ما جاؤه اى فعلوه من الظلم والزور عين قولهم
المحكى لكنه لما كان مغائرا له مفهوما واشنع منه حال ترتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامره كذلك مفهوم التكذيب
بالحق حيث كان اشنع من مفهوم الاعراض المذكور افرج مخرج اللازم البين البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه
ثم قيد ذلك بكونه بلا تامل تاكيدا لشناعته وتمهيدا لبيان ان ما كذبوا به اثر ذى اثر له عواقب جليلة ستدوالهم البتة والمعنى
انهم حيث اعرضوا عن تلك الآيات عند اتيانها فقد كذبوا بما لم يكن تكذيبه اصلا من غير ان يتدبروا فى حاله وما له ويتفوا على ما فيه
من الشواهد الموجبة لتصديقه كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تاويله كما ينبئ عنه قوله تعالى فسوف يأتيهم انباء ما
كانوا به يستهزؤن فان ما عبارة عن الحق المذكور عبر عنه بذلك تهويلا لامره بابهامه وتعليلا للحكم بما فى حيز الصلة
فانباؤه عبارة عما يستحق بهم من العقوبات العاجلة التى نطقت بها آيات الوعيد وفى لفظ الاتيان ايذان بغاية العظم لما ان الفعل
لا يطلق الا على خبر عظيم الوقوع وحملها على العقوبات الآجلة او على ظهور الاسلام وعلو كلمته بايراد الآيات الآتية وسوف لتاكيد
مضمون الجملة وتقريره اى فسيأتيهم البتة وان تاخر مصداق انباء الشئ الذى كانوا يكذبون به قبل من غير ان يتدبروا فى عواقبه
وانما قيل يستهزؤن ايذانا بان تكذيبهم كان مقرونا بالاستهزآء كما اشير اليه هذا على ان يراد بالآيات القرآنية وهو
الاظهر وامان اريد بها الآيات التكوينية فالفاء داخلة على علة جواب شرط محذوف والاعراض على حقيقته كانه قيل ان كانوا
معرضين عن تلك الآيات فلا تعجب فقد فعلوا ما هو اعظم منها ما هو اعظم من الاعراض حيث كذبوا بالحق الذى هو اعظم الآيات
ولا مساغ لحمل الآيات فى هذا الوجه على كلها اصلا وامان قيل من ان المعنى انهم لما كانوا معرضين عن تلك الآيات فلا تعجب فقد فعلوا
بما هو اعظم منها من الاعراض حيث كذبوا بالحق الذى هو اعظم كلها كذبوا بالقرآن فمما ينبغى تنزيه التنزيل عن امثاله الم يروا
كم اهلكنا من قبلهم من قرن استئناف مسوق لتعيين ما هو المراد بالآيات التى سبق بها الوعيد وتقرير اتيانها بطريق
الاستشهاد وهمزة الانكار لتقرير الرؤية وهى عرفانية مسندة لمفعول واحد وكم استفهامية كانت او خبرية معلقة لها
عن العمل مفيدة للتكثير سادة مع ما فى حيزها مسد مفعولها منصوبة باهلكنا على المفعولية على انها عبارة عن الاشخاص من قرن
مميز لها على انها عبارة عن اهل عصر من الاعصار سواء بذلك لاقترانهم بوفرة من الدهر كما فى قوله عليه السلام خير القرون قرنى ثم
الذين يلونهم الحديث وقيل هو عبارة عن مدة من الزمان والمضاف محذوف اى من اهل قرن وامان تصبا بها على المصدرية او على
الظرفية على انها عبارة عن المصدر او عن الزمان فتعسف ظ ومن الاولى ابتدائية متعلقة باهلكنا اى الم يروا معاينة الآثار
وسماع الاخبار كم امة اهلكنا من قبل اهل مكة اى من قبل خلقهم او من قبل زمانهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه

مقامه كعاد وثمود واضرابهم وقوله تعالى مكناهم في الارض استئناف لبيان كيفية الاهلاك وتفصيل مباديه مبني على سؤال نشأ
من صدر الكلام كأنه قيل كيف كان ذلك فقيل مكناهم الخ **وقيل** هو صفة لقرن لما ان النكرة مفتقرة الى مخصص فاذا وليها ما يصلح
مخصصا لها تعين وصفيته لها وانت خبير بان تنوينه التفخيمي مغن له عن استدعاء الصفة على ان ذلك مع اقتضائه ان يكون مضمونه من جملة
ما عطف عليه من الجمل الاربع امرا مفروغا عنه مقصودا بسياق النظم مؤد الى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى حينئذ الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن
موصوفين بكذا وكذا وباهلاكنا اياهم بذنوبهم وانه بين الفساد وتمكين الشيء في الارض جعله قارا فيها ولما لزمه جعلها مقرا له ورد الاستعمال
بكل منهما فقيل تارة مكنه في الارض ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض حتى اجرى كل منهما مجرى الآخر وقوله تعالى ما لم نمكن لكم بعد قوله تعالى
مكناهم في الارض كأنه قيل في الاول مكنا لهم وفي الثاني ما لم نمكنكم وما نكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية والعائد محذوف محلها النصب على المصدرية
اي مكناهم تمكينا لم نمكنه لكم والالتفات لما في مواجهتهم بضعف الحال مزيد بيان لشان الفريقين ولدفع الاشتباه من اول الامر عن مرجعي الضميرين
وارسلنا السماء اي المطر او السحاب او المظلة لان مبدأ المطر منها عليهم متعلق بارسلنا مدرارا اي مغزارا حال من السماء
وجعلنا الانهار اي صيرناها فقوله تعالى تجري من تحتهم مفعول ثان لجعلنا او انشأناها فهو حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه
من الدلالة على كونها مسخرة لهم مستمرة على الجريان على الوجه المذكور ما ليس في ان يقال واجرينا الانهار من تحتهم وليس المراد بتعداد هذه
النعم العظام الفائضة عليهم بعد ذكر تمكينهم بيان عظم جناياتهم في كفرانها واستحقاقهم بذلك لاعظم العقوبات بل بيان حيازتهم لجميع اسباب
نيل المآرب ومبادي الامن والنجاة من المكاره والمعاطب وعدم اغناء ذلك عنهم شيئا والمعنى اعطيناهم من البسطة في الاجسام
والامتداد في الاعمار والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا في استجلاب المنافع واستدفاع المضار ما لم نعط اهل مكة
ففعلوا ما فعلوا فاهلكناهم بذنوبهم اي اهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب فما اغنى عنهم تلك العدد
والاسباب فسيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب وهذا كما ترى آخر ما به الاستشهاد والاعتبار واما قوله سبحانه وانشأنا من بعدهم
اي احدثنا من بعد اهلاك كل قرن قرنا آخرين بدلا من الهالكين فلبيان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وان ما ذكر من اهلاك الامم الكثيرة
لم ينقص من ملكه شيئا بل كلما اهلك امة انشأ بدلها اخرى ولو نزلنا عليك جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب
لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها من الاقاويل الباطلة اثر بيان اعراضهم عن آيات الله تعالى وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك
لنزول العذاب والتنزيل ههنا مع نسبته الى اتيان الآيات ومجيء الحق فيما سبق اليهم للاشعار بقدحهم في نبوته عم في ضمن قدحهم
فيما نزل عليه صريحا **وقال** الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد حيث قالوا لرسول الله صلعم
لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله تعالى وانك رسوله كتابا ان جعل
اسما كالامام فقوله تعالى في قرطاس متعلق بمحذوف وقع صفة له اي كتابا كائنا في صحيفة وان جعل مصدرا بمعنى المكتوب فهو متعلق
بنفسه فلمسوه اي الكتاب **وقيل** القرطاس وقوله تعالى بايديهم مع ان اللمس لا يكون عادة الا بالايدي لزيادة التعيين
ودفع احتمال التجوز الواقع في قوله تعالى وانا لمسنا السماء اي تفحصنا اي فمسوه بايديهم بعدما رأوه باعينهم بحيث لم يبق لهم في شأنه اشتباه
ولم يقدروا على الاعتذار بتسكير الابصار لقال الذين كفروا اي لقالوا وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما في حيز
الصلة من الكفر الذي لا يخفى حسن موقعه باعتبار مفهومه اللغوي ايضا ان هذا اي ما هذا مشيرين الى ذلك الكتاب الا سحر
مبين اي بين كونه سحرا تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره كما هو دأب المفحم المحجوج ودين المكابر اللجوج وقالوا لولا
انزل عليه ملك شروع في قدحهم في نبوته عم صريحا بعد ما اشير الى قدحهم فيها ضمنا **وقيل** هو معطوف على جواب لو وليس بذاك لما
ان تلك المقالة الشنعاء ليست مما تقدر صدوره عنهم على تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل هي من اباطيلهم المحققة ودعاويهم الملفقة
التي يتعللون بها كلما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل اي هلا انزل عليه عم ملك بحيث نراه ويكلمنا انه نبي حسبما نقل عنهم

فيما روى عن الكلبي ومقاتل ونظيره قولهم لولا انزل اليه ملك ليكون معه نذيرا ولما كان مدار هذا الاقتراح على شيئين انزال
الملك كما هو وجعله معه منذرا اجيب عنه بان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوجود لما انزال الملك على صورته يقتضي انتفاء جعله
نذيرا وجعله نذيرا يستدعي عدم انزاله على صورته لاستحالة وقد اشير الى الاول بقوله تعالى ولو انزلنا ملكا لقضي الامر اى لو انزلنا ملكا
على هيئته حسبما اقترحوه والحال انه من هول المنظر بحيث لا تطيق بشاهدته قوى الآحاد البشرية الا ترى ان الانبياء عليهم السلام كانوا
يشاهدون الملئكة وحيا وضمنوهم على الصور البشرية كضيف ابرهيم ولوط وخصم داود وغيرهم فلك حيث كان شانهم كذلك وهم مؤيدون
بالقوى القدسية فما ظنك بمن عداهم من العوام فلو شاهدوه كذلك لقضي ارهلاكهم بالكلية واستحال جعله نذيرا وهو مع كونه خلاف مطلوبهم
مستلزم لاخلاء العالم عما عليه يدور نظام الدنيا والآخرة من ارسال الرسل وتا سيس الشرائع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
وفيه كما ترى ايذان بانهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن صفة بطلعة وان عدم الاصابة اليا معا عليهم وبناء الفعل الاول في الجواب
للفاعل الذي هو نون العظمة مع كونه في السؤال مبنيا للمفعول لتهويل الامر وتربية المهابة وبناء الثاني للمفعول للجري على سنن الكبرياء
والعظمة ثم في قوله تعالى ثم لا ينظرون اى لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين تفضلا ان ينذروا به كما هو المقصود بالانزال للتنبيه على تفاوت
ما بين قضاء الامر وعدم الانظار من فنون المفاجاة العذاب اشد من نفس العذاب واشق وقيل في سبب اهلاكهم انهم اذا عاينوا الملك
قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة وهي آية لاشئ ابين منها ثم لم يؤمنوا لم يكن بد من اهلاكهم وقيل انهم اذا رأوه
بنزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف يجب اهلاكهم والى الثاني بقوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا على ان الضمير الاول
للنذير المفهوم من فحوى الكلام بعونة المقام وانما لم يجعل للملك المذكور قبله بان يعكس ترتيب المفعولين ويقال ولو جعلناه نذيرا لجعلناه رجلا
مع فهم المراد ايضا لتحقيق ان مناط ابراز الجعل الاول في معرض الفرض والتقدير ومدار استلزامه للثاني انما هو ملكية النذير لا نذيرية الملك
وذلك لان الجعل حقه ان يكون مفعوله الاول مبتدأ والثاني خبرا لكونه بمعنى التصيير المفعول من صار الداخل على المبتدأ والخبر ولا ريب
في ان معتب الفائدة ومدار اللزوم بين طرفي الشرطية هو محمول المتقدم لا موضوعه فحيث كانت امتناعيته اريد بها بيان انتفاء الجعل الاول
لاستلزامه المحذور الذي هو الجعل الثاني وجب ان يجعل مدار الاستلزام في الاول مفعوله الثاني لا محالة وكذلك جعل مقابله في الجعل الثاني
كذلك ابانة لكمال التنافي بينهما الموجب لانتفاء الملزوم والضمير الثاني للملك لما رجع اليه الاول والمعنى لو جعلنا النذير الذي اقترحتموه
ملكا لمثلنا ذلك الملك رجلا لما مر من عدم استطاعة الآحاد لمعاينة الملك على هيكله وفي ايثار رجلا على بشرا ايذان بان الجعل بطريق
التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله تعالى وللبسنا عليهم عطف على جواب لو مبني على الجواب الاول
وقرئ بحذف لام الجواب اكتفاء بما في المعطوف عليه يقال لبست الامر على القوم البسه اذا شبهته وجعلته مشكلا عليهم واصله الستر بالثوب
وقرئ الفعلان بالتشديد للمبالغة ولخلطنا عليهم بتمثيله رجلا ما يلبسون على انفسهم حتى بان يقولوا له انما انت بشر ولست بملك
واستدل على ملكيته بالقرآن المعجز الناطق بها او بمعجزات اخر غير ملجئة الى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي عليه السلام ولواظهر لهم
صورته الاصلية لزم الاول والتعبير عن تمثيله بتعرجلا باللبس اولكونه سببا للبسهم او لوقوعه في صحبة بطريق المشاكلة وفيه تاكيد
لاستحالة جعل النذير ملكا كانه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشاننا من لبس الامر عليهم وقد جوز ان يكون المعنى وللبسنا عليهم حينئذ
مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كونهم بابان الدعوة البينة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله عليه السلام
عما يلقاه من قومه وفي تصدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق من الاعتناء بها ما لا يخفى وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية
متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل اى ولقد استهزئ برسل اوثنان عظيم وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فحاق عقيبه اى احاط او نزل ودخل او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول والمزوم ولا يكاد
يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم اى استهزؤا بهم من اولئك الرسل عم

متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذى هو قوله تعالى ما كانوا به يستهزؤن للمبادرة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة
للتهويل اى فاحاط اليهم الذى كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا العاجلة واما مصدرية اى فنزل بهم وبال استهزائهم وتقديم الجار والمجرور
على الفعل لرعاية الفواصل قل سيروا فى الارض بعد بيان ما فعلت الامم الخالية وما فعل بهم خوطب به رسول الله عليه السلام بانذار قومه وتذكيرهم
باحوالهم العظيمة تحذيرا لهم عما هم عليه وتكملة للتسلية بما فى ضمنه من العدة اللطيفة بانه يحيق بهم مثل ما حاق باجزائهم الاولين فقد اخبر
ذلك يوم بدر اى انجازا سيروا فى الارض لتوقف احوال الاولين الامم ثم انظروا اى تفكروا كيف كان عاقبة المكذبين وكلمة ثم
اما لان النظر فى آثار الهالكين لا يتسنى الا بعد انتهاء السير الى اماكنهم واما لابانة ما بينهما من التفاوت فى مراتب الوجوب وهو الاظهر
فان وجوب السير ليس الا لكونه وسيلة الى النظر كما ينبىء عنه العطف بالفاء كما فى قوله عز وجل فانظروا الآية واما ان الامر الاول للاباحة السير
للتجارة ونحوها والثانى للايجاب النظر فى آثارهم وثم لتباعد ما بين الواجب والمباح فلا يناسب المقام وكيف معلقة لفعل النظر والجملة
الجملة النصب بنزع الخافض اى تفكروا انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستيصال والعاقبة مصدر كالعافية ونظائرها وهى منتهى الامر ومآله
ووضع المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق ان مدار اصابة ما اصابهم هو التكذيب لينزجر السامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء
التكذيب بحاله بناء على توهم انه المدار فى ذلك قل لهم بطريق الالجاء والتبكيت لمن ما فى السموات والارض من العقلاء وغيرهم
اى من الكائنات جميعا خلقا وملكا ونصرفا وقوله تعالى قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يتأتى لاحد
ان يجيب بغيره كما نطق به قوله عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله تعالى كتب على نفسه الرحمة جملة مستقلة
داخلة تحت الامر مناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول ملكه وقدرته للكل مسوقة لبيان انه تعالى رؤف بعباده لا يعجل عليهم
بالعقوبة ويقبل منهم التوبة والانابة وان ما سبق ذكره وما لحق من احكام الغضب ليس من مقتضيات ذاته تعالى بل من جهة الخلق كيف لا
ومن رحمته ان خلقهم على الفطرة السليمة وهداهم الى معرفته وتوحيده بنصب الآيات الانفسية والآفاقية وارسال الرسل وانزال الكتب
المشحونة بالدعوة الى موجبات رضوانه والتحذير عن مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلا واعرضوا عن الآيات بالمرة وكذبوا بالكتب واستهزؤا
بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولولا شمول رحمته لسلك بهم مسلك الغابرين ومعنى كتب الرحمة على نفسه انه تعالى قضاها
واوجبها بطريق التفضل والاحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شىء اصلا وقيل هو ما روى عن ابى هريرة ان رسول الله عليه السلام
قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتى سبقت على غضبى وعنه فى رواية انه لما قضى الله تعالى الخلق كتب
كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتى غلبت غضبى وعن عمر رضى الله عنه قال لكعب ما اول شىء ابتدأه الله تعالى من خلقه فقال كعب كتب الله كتابا
لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابه الزبرجد واللؤلؤ والياقوت انى انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتى غضبى ومعنى سبق الرحمة وغلبتها ازليتها
اقدم تعلقا بالخلق واكثر وصولا اليهم مع انها من مقتضيات الذات المغضبية للجزم فى التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس لا يطلق
على الله وان اريد به الذات الا مشاكلة كما يرى من امتناع المشاكلة هاهنا بنوعيها وقوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيمة جواب قسم محذوف
والجملة استئناف مسوق للوعيد على اثر اكمل واغلظ النظر اى والله ليجمعنكم فى القبور مبعوثين او محشورين الى يوم القيمة فيجازيكم على شر كلم وسائر
معاصيكم وان امهالكم بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل الى بمعنى اللام اى ليجمعنكم ليوم القيمة كقوله تعالى انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه
وقيل هى بمعنى فى اى ليجمعنكم فى يوم القيمة لا ريب فيه اى فى اليوم او فى الجمع وقوله تعالى الذين خسروا انفسهم اى تضييع رأس مالهم
وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة الرسول عليه السلام واستماع الوحى وغير ذلك من آثار الرحمة فى موضع
النصب او الرفع على الذم اى اعنى الذين او هم الذين الخ او هو مبتدأ والخبر قوله تعالى فهم لا يؤمنون والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والاشعار
بان عدم ايمانهم بسبب خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر
والامتناع من الايمان والجملة تذييل مسوق من جهته تعالى لتقبيح حالهم غير داخل تحت الامر وله اى لله عز وجل خاصة ما سكن فى الليل والنهار

نزل

نزل اللوان فنزلة المكان فعبر عن نسبة الاشياء الزمانية بالسكنى فيها وتعديته بكلمة فى كما فى قوله تعالى وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم او السكون مقابل الحركة والمراد ما سكن فيهما وتحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع المبالغ فى كل مسموع العليم المبالغ فى العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شئ من الاقوال والافعال قل لهم بعد ما بكتهم بما سبق من الخطاب اغير الله اتخذ وليا اى معبودا بطريق الاستقلال او الاشتراك وانما سلطت الهمزة على المفعول الاول لان الفعل اذا كان المنكر هو اتخاذ غير الله وليا لا اتخاذ الولى مطلقا كما فى قوله اغير الله ابغى ربا وقوله افغير الله تامروني اعبد الخ فاطر السموات والارض اى مبدعهما بالجر صفة للجلالة مؤكدة للانكار لانه بمعنى الماضى ولذلك قرئ فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لانها ليست باجنبية اذ هى عاملة فى عامل الموصوف او بدل فان الفصل بينه وبين المبدل منه اسهل لان البدل على نية تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح وعن ابن عباس رض ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الى اعرابيان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم اى يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة اليه اولانه معظم ما يصل الى المرزوق فى الرزق ومحل الجملة النصب على الحالية فان مضمونها مقرر لوجوب اتخاذه سبحانه وتعالى وليا وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وعكس القراءة الاولى ايضا على ان الضمير لغير الله والمعنى اغير من هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الخلقية وبنائهما للفاعل على ان الثانى بمعنى يستطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط قل بعد بيان ان اتخاذ غيره تعالى وليا مما يقضى ببطلانه بديهة العقول انى امرت من جنابه عز وجل ان اكون اول من اسلم وجهه لله مخلصا له لان النبى امام امته فى الاسلام كقوله تعالى وبذلك امرت وانا اول المسلمين وقوله تعالى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين فلا تكونن اى وقيل لى لا تكونن من المشركين اى فى امر من امور الدين معناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك وقد جوز عطف على الامر قل انى اخاف ان عصيت ربى اى بمخالفة امره ونهيه اى عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وفيه بيان لكمال اجتنابه عليه السلام من المعاصى على الاطلاق وقوله تعالى عذاب يوم عظيم اى عذاب يوم القيمة مفعول الخاف والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه وفيه قطع للاطماع الفارغة وتعريض بانهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم من يصرف عنه على البناء للمفعول اى العذاب وقرئ على البناء للفاعل والضمير لله سبحانه وقد قرئ بالاظهار والمفعول محذوف وقوله تعالى يومئذ ظرف ليصرف اى فى ذلك اليوم العظيم وقد جوز ان يكون هو المفعول على قراءة البناء للفاعل بحذف المضاف اى عذاب يومئذ فقد رحمه اى انجاه وانعم عليه وقيل فقد ادخله الجنة كما فى قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز والجملة مستانفة مؤكدة لتهويل العذاب وضمير عنه ورحمه لمن وهو عبارة عن غير المعاصى وذلك اشارة الى الصرف او الرحمة لانها مؤولة بان مع الفعل وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته وبعد مكانه من الفضل وهو مبتدأ اخبره قوله تعالى الفوز المبين اى الظاهر كونه فوزا وهو الظفر بالبغية والالف واللام لقصره على ذلك وان يمسسك الله بضر اى بلية كمرض وفقر ونحو ذلك فلا كاشف له اى فلا قادر على كشفه عنك الا هو وحده وان يمسسك بخير من صحة ونعمة ونحو ذلك فهو على كل شئ قدير ومن جملة ذلك فيقدر عليه فيمسكه ويحفظه عليك من ان يقدر على دفعه او رفعه احد كقوله تعالى فلا راد لفضله وحمله على تاكيد الجوابين يأباه الفاء تذكره روى عن ابن عباس رض انه قال الهدى للنبى صلى الله عليه وسلم نزلة اهدا ما له كسرى فركبها بجبل من شعر ثم اردفنى خلفه ثم سار بى ملبيا ثم التفت الى فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة فاذا سالت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد مضى العلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتبه الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فان فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب فرجا وان مع العسر يسرا وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم

في كل ما يفعله ويأمر به الخبير باحوال عباده وخفايا امورهم واللام في المواضع الثلثة للعهد قل اى شئ اكبر شهادة
روى ان قريشا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم
ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله فنزلت فاى مبتدأ واكبر خبره وشهادة نصب على التميز وقوله تعالى قل الله امر له
بان يتولى الجواب بنفسه اما للايذان بتعينه وعدم قدرتهم على ان يجيبوا بغيره او لانهم ربما يتعاصون فيه لا لترددهم في انه اكبر من كل شئ
بل في كونه شهيدا في هذا الشان وقوله تعالى شهيد خبر مبتدأ محذوف اى هو شهيد بيني وبينكم ويجوز ان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو
الجواب لانه اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم كان اكبر شئ شهادة شهيدا له وتكرير البين لتحقيق المقابلة واوحى الى هذا القرآن
الشاهد بصحة رسالتي لانذركم به بما فيه من الوعيد والاقتصار على ذكر الانذار لما ان الكلام مع الكفرة ومن بلغ عطف على ضمير
المخاطبين اى لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن سيوجد
الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد بعد الى يوم القيمة خلا ان ذلك بطريق العبارة
في الكل عند الحنابلة وبالاجماع عند ما في غير الموجودين وفي غير المكلفين يومئذ كما مر في اول سورة النساء ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى
تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بذلك وان شهدتم به فانه باطل صرف قل تكرير للامر للتأكيد انما هو اله واحد
اى بل انما اشهد انه تعالى لا اله الا هو وانني برئ مما تشركون من الاصنام او من اشراككم الذين آتيناهم الكتاب جواب عما سبق
من قولهم لقد سألنا عنك اليهود والنصارى اخر عن تعيين الشهيد مسارعة الى الزامهم بالجواب عن تحكمهم بقولهم فارنا من يشهد لك اه
والمراد بالموصول اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للتورية والانجيل وايرادهم بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بمدار ما اسند اليهم بقوله تعالى
يعرفونه اى يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة الكتابين بحليته ونعوته المذكورة فيهما كما يعرفون ابناءهم بحلاهم بحيث لا يشكون
في ذلك اصلا روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة قال عمر رضه لعبد الله بن سلام انزل الله تعالى على نبيه هذه الآية وكيف هذه المعرفة
فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما اعرف ابني ولانا اشد معرفة بمحمد مني بابني لاني لا ادري ما صنع النساء واشهد انه حق من الله تعالى
الذين خسروا انفسهم من اهل الكتابين والمشركين بان ضيعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها واعرضوا عن البينات الموجبة للايمان
بالكلية فهم لا يؤمنون لما انهم مطبوع على قلوبهم ومحل الموصول الرفع على الابتداء وخبره الجملة المصدرة بالفاء لما فيه من التشبيه بالموصول
وقيل على انه خبر مبتدأ محذوف اى هم الذين خسروا الخ وقيل على انه نعت للموصول الاول وقيل النصب على الذم فقوله تعالى فهم لا يؤمنون
على الوجوه الاخيرة عطف على جملة الذين آتيناهم الكتاب الخ ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بوصفهم النبي الموعود في الكتابين بخلاف
اوصافه عم فانه افتراء على الله سبحانه او بقولهم الملائكة بنات الله وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك وهو انكار واستبعاد لان يكون
احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان كان سبك التركيب غير متعرض لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد
فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل الا يرى الى قوله عز وجل لا جرم
انهم في الآخرة هم الاخسرون بعد قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الخ والسر في ذلك ان النسبة بين الشيئين انما تتصور
غالبا لا سيما في باب المغالبة بالتفاوت زيادة ونقصانا فاذا لم يكن احدهما ازيد يتحقق النقصان لا محالة او كذب بآياته كان كذبوا
بالقرآن الذي من جملته الآية الناطقة بانهم يعرفونه عم كما يعرفون ابناءهم وبالمعجزات وسموها سحرا او حرفوا التورية وغيروا نعوته عم فان ذلك
تكذيب بآياته تعالى وكلمة او للايذان بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط في الظلم فكيف وهم قد جمعوا بينهما فاثبتوا ما نفاه الله تعالى
ونفوا ما اثبته قاتلهم الله انى يؤفكون انه الضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به
الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه في اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه
فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا وهو لا يفلح الظالمون اى لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب

واذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بمن هو في الغاية القاصية من الظلم ﴿ويوم نحشرهم جميعا﴾ منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر قد حذف ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وايماء الى عدم استطاعة السامعين سماعه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة والداهية التامة كأنه قيل ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول لهم ما نقول كان من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال وتعبير صيغة الماضي للدلالة على التحقيق والحسن موقع عطف قوله تعالى ثم لم تكن الخ عليه وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم اي واذكر لهم للتخويف والتحذير يوم نحشرهم الخ وقيل اوليتقوا اوليحذروا يوم نحشرهم الخ والضمير للكل وجميعا حال منه وقرئ يحشرهم جميعا ثم يقول بالياء فيهما ﴿للذين اشركوا﴾ اي نقول لهم خاصة بالتوبيخ والتقريع على رؤس الاشهاد ﴿اين شركاؤكم﴾ اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله سبحانه واضافتها اليهم لما ان شركتها ليست الا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿الذين كنتم تزعمون﴾ اي تزعمونها شركاء فحذف المفعولان معا وهذا السؤال المنبئ عن غيبة الشركاء مع عموم الحشر لها لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله وغير ذلك من النصوص انما يقع بعد ما جرى بينها وبينهم من التبرؤ من الجانبين وتقطع ما بينهم من الاسباب والعلائق حسبما يحكيه قوله تعالى فزيلنا بينهم الخ ونحو ذلك من الآيات الكريمة اما بعدم حضورها حينئذ في الحقيقة بابعادها من ذلك الموقف واما بتنزيل عدم حضورها بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها في الحقيقة اذ ليس السؤال عنها من حيث ذواتها بل انما هو من حيث انها شركاء كما يعرب عنه الوصف بالموصول ولا ريب في ان عدم الوصف يوجب عدم الموصوف من حيث هو موصوف فهي من حيث هي شركاء غائبة لا محالة وان كانت حاضرة من حيث ذواتها اصناما كانت او غيرها واما ما يقال من انه يحال بينها وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم وربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع حبال رجائهم عنها بعد وقد عرفت انهم شاهدوها قبل ذلك وانصرمت عروة اطماعهم عنها بالكلية على انها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ وانما الذي يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلي واليقين القوي المترتب على المحاضرة والمحاورة ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ بتأنيث الفعل ورفع فتنتهم على انه اسم له والخبر ﴿الا ان قالوا﴾ وقرئ بنصب فتنتهم على انها الخبر والاسم الا ان قالوا والتأنيث للخبر كما في قولهم من كانت امك وقرئ بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها ورفعها انسب بحسب المعنى والجملة عطف على ما قدر عاملا في يوم نحشرهم كما اشير اليه فيما سلف والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء وفتنتهم اما كفرهم والمراد به عاقبته اي لم تكن عاقبة كفرهم الذي كانوا لزموه مدة اعمارهم وافتخروا به شيئا من الاشياء الا جحوده والتبرؤ عنه بان قالوا ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ واما جوابهم عبر عنه بالفتنة لانه كذب ووصفه تعالى بربوبيته لهم للمبالغة في التبرؤ من الاشراك وقرئ ربنا على النداء وهؤلاء اظهار الضراعة والابتهال في استدعاء قبول المعذرة وانما يقولون ذلك مع علمهم بانه بمعزل من النفع رأسا من فرط الحيرة والدهش وحمله على معنى ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا في الدنيا انا على خطأ في معتقدنا مما لا ينبغي ان يتوهم اصلا فانه مما يوهم ان له عذرا ما وان لهم قدرة على الاعتذار في الجملة وذلك مخل بكمال هول اليوم قطعا على انه قد قضي ببطلانه قوله تعالى ﴿انظر كيف كذبوا على انفسهم﴾ فانه تعجيب من كذبهم الصريح بانكار صدور الاشراك عنهم في الدنيا اي انظر كيف كذبوا على انفسهم في قولهم ذلك فانه امر عجيب في الغاية واما حمله على كذبهم في الدنيا فتمحل يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقوله تعالى ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ عطف على كذبوا داخل معه في حكم التعجيب وما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا باليمين الفاجرة المغلظة على انفسهم بانكار صدور ما صدر عنهم وكيف ضل عنهم اي زال وذهب افتراؤهم او ما كانوا يفترونه من الاشراك حتى نفوا صدوره بالكلية وتبرؤا عنه بالمرة وقيل ما عبارة عن الشركاء وايقاع الافتراء عليها مع انه في الحقيقة واقع على احوالها من الالهية والشركة والشفاعة ونحوها للمبالغة في امرها كأنها نفس المفترى وقيل الجملة كلام مستأنف غير داخل في حيز التعجيب ﴿ومنهم من يستمع اليك﴾ كلام مبتدأ مسوق لحكاية ما صدر في الدنيا عن بعض المشركين من احكام الكفر اثر بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر نوع تأثر لما قبله وتحقيقا لمضمونه والضمير للذين اشركوا ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك اي وجمع منا الخ ومن موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعضهم او وبعض منهم الذي يستمع اليك او فريق يستمع اليك

أي حقيقة الحال

أي لم يكن

ورد ذهب الحمل ابن عباس ما قبل ... والبيضاوي ...

رد للبيضاوي وابن الكمال

على تقدير كونها مصدرية

القائل المولى الشهير بابن كمال الوزير

على ان مناط الافادة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ
روى انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله عليه السلام فقالوا للنضر وكان
صاحب اخبار يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته ما ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم
عن القرون الماضية فقال ابو سفيان انى لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت وجعلنا على قلوبهم اكنة من الجعل بمعنى الانشاء وعلى متعلقة
به وضمير قلوبهم راجع الى من وجمعيته بالنظر الى معناها كما ان افراد ضمير يستمع بالنظر الى لفظها وقد روعى جانب المعنى في قوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك
الآية والاكنة جمع كنان وهى ما يستر به الشىء وتنوينها للتفخيم والجملة اما مستانفة للاخبار بما تضمنه من الختم او حال من فاعل يستمع باضمار قد
عنده من يقدر قبل الماضي الواقع حالا اى يستمعون اليك وقد القينا على قلوبهم اغطية كثيرة لا يقادر قدرها خارجة عما يتعارفه الناس ان يفقهوه
اى كراهة ان يفقهوا ما يستمعونه من القرآن المدلول عليه بذكر الاستماع ويجوز ان يكون مفعولا لما ينبئ عنه الكلام اى منعناهم ان يفقهوه وفي
آذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه والكلام فيه كما في قوله تعالى على قلوبهم اكنة وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشؤون النبي عم
وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له وقد مر تحقيقه في اول سورة البقرة وقيل هو حكاية لما قالوا قلوبنا في اكنة وفي آذاننا
وقر وان يروا كل آية اى وان يشاهدوا كل آية من الآيات بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي عم جهلا وكفرا من اتصافهما بوصف مانعة من التصديق
والايمان يكون القرآن سحرا او شعرا او اساطير الاولين وغير عليه ما تخيلوه في حق النبي عليه السلام الا الاخبار بان حكاك او راؤوا ذلك حال
بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم حتى يمكن حمل النظم الكريم على ذلك وان يروا كل آية من الآيات القرآنية اى يشاهدوها بسماعها
لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم اى كفروا بكل واحدة لعدم اجتلائهم اياها كما هي لما مر من حالهم حتى اذا جاؤك يجادلونك
هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة هي قوله تعالى اذا جاؤك يقول الذين كفروا وما بينهما حال من فاعل جاؤا وانما وضع الموصول موضع الضمير
ذما لهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم اى بلغوا من التكذيب والمكابرة الى انهم اذا جاؤك مجادلين لك لا يكتفون بمجرد عدم الايمان
بما سمعوا من الآيات الكريمة بل يقولون ان هذا اى ما هذا الا اساطير الاولين فان جعل احسن الحديث واصدقه الذي
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل الاباطيل والخرافات رتبة من الكفر لا غاية وراءها ويجوز ان تكون حتى جارة واذا
ظرفية بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك حال كما سبق وقوله تعالى يقول الذين كفروا الخ تفسير للمجادلة والاساطير جمع اسطورة او اسطارة او جمع
اسطار وهو جمع سطر بالتحريك واصل الكل السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه الضمير المرفوع للمذكورين والمجرور للقرآن اى ينهون
الناس عن تكذيبه وعده من قبيل الاساطير بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا على حقيته فيؤمنوا به وينأون عنه اى
يتباعدون عنه بانفسهم اظهارا لغاية نفورهم عنه وتاكيدا لنهيهم عنه فان اجتناب الناهي عن المنهي عنه من متممات النهي ولعل ذلك
هو السر في تاخير النأي عن النهي وقيل الضمير المجرور للنبي عم وقيل المرفوع لابي طالب ولعل جمعيته باعتبار استتباعه لاتباعه فانه
كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا اليه وارادوا برسول الله
سوءا فقال نظم والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم امينا وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا لولا الملامة
او حذاري سبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا فنزلت وان يهلكون اى ما يهلكون بما فعلوا من النهي والنأي الا انفسهم
بتعريضها لاشد العذاب وافظعه عاجلا وآجلا وهو عذاب الضلال والاضلال وقوله تعالى وما يشعرون حال من ضمير يهلكون اى يقصرون
الاهلاك على انفسهم والحال انهم ما يشعرون اى لا باهلاكهم انفسهم ولا باقتصار ذلك عليها من غير ان يضروا بذلك شيئا من القرآن والرسول
والمؤمنين وانما عبر عنه بالاهلاك مع ان المنفي عن غيرهم مطلق الضرر اذ غاية ما يؤدي اليه ما فعلوا من القدح في القرآن الكريم التمانع
في تمشية احكامه وظهوره او الذين للايذان بان ما يحيق بهم هو الهلاك لا الضرر المطلق على ان مقصدهم لم يكن مطلق الممانعة فيما ذكر

سنن ف

ع اى يقولهم قلوبنا في اكنة الخ

قاضي وصاحب الكشاف

ع وهو قولهم يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين منه

قيل وقف جميع الناس على متن جهنم ثم ينادي مناد خذي اصحابك ودعي اصحابي عن سوء

بل كانوا يبغون الغوائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ويجوز ان يكون الاهلاك معتبرا بالنسبة الى الذين يضلونهم بالنهي فيقصر على
انفسهم مع شموله للفريقين مبني على تنزيل عذاب الضلال منزلة العدم ولو ترى اذ وقفوا على النار شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم
القيمة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا من القبائح المحكية مع كونه كاذبا في نفسه والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل
المشاهدة والعيان قصدا الى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة
الامور العجيبة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها وجواب لو محذوف ثقة بظهوره وايذانا بقصور العبارة عن تفصيله وكذا
مفعول ترى لدلالة ما في حيز الظرف عليه اي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرأيت ما لا يساعده التعبير وصيغة الماضي للدلالة على التحقق
او حين يطلعون عليها اطلاعا هي تحتهم او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها من قولهم وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء
للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد اي الى الدنيا تمنيا للرجوع والخلاص وهيهات ولات حين مناص ولا نكذب بآيات ربنا
اي بآياته الناطقة باحوال النار واهوالها الآمرة باتقائها اذ هي التي تخطر حينئذ ببالهم ويتحسرون على ما فرطوا في حقها او بجميع آياته المنتظمة
لتلك الآيات انتظاما اوليا ونكون من المؤمنين بها العاملين حتى لا نرى هذا الموقف الهائل او نكون من فريق المؤمنين الناجين
من العذاب الفائزين بحسن الثواب ونصب الفعلين على جواب التمني باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
وابن اسحق فلا نكذب والمعنى ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين بينت ... ان المصدرية ومع الفعل بعدها مصدر ويقدر قبله مصدر
متوهم فيعطف هذا عليه كأنه قيل ليت لنا ردا وانتفاء تكذيب وكونا من المؤمنين وقرئ برفعهما على انه كلام مستأنف كقوله دعني ولا اعود
اي وانا لا اعود ولا تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من ضميره فيكون داخلا في حكم التمني كالوجه الاخير للنصب وتعلق التكذيب به
لما تضمنه من العدة بالايمان وعدم التكذيب كأن قال ليتني رزقت مالا فاكافئك على صنيعك فانه متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا
ولم يكافئ صاحبه يكون مكذبا بلا محالة وقرئ برفع الاول ونصب الثاني وقد مر وجههما بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب
عما ينبئ عنه التمني من الوعد بتصديق الآيات والايمان بها اي ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة في الايمان وشوق الى تحصيله والاتصاف
به بل لانه ظهر لهم في موقفهم ذلك ما كانوا يخفونه في الدنيا من الداهية الدهياء وظنوا انهم مواقعوها فلهم ذلك هول مطلعها قالوا ما قالوا
والمراد بها النار التي وقفوا عليها اذ هي التي سيق الكلام لتهويل امرها والتعجيب من فظاعة حال الموقوفين عليها وباخفائها تكذيبهم بها فان
التكذيب بالشيء كفر به واخفاء له لا محالة وايثاره على صريح التكذيب الوارد في قوله عز وجل هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وقوله تعالى
هذه النار التي كنتم بها تكذبون مع كونه السبب بما قبله من قولهم ولا نكذب بآيات ربنا لمراعاة ما في مقابلته من البدو وهذا هو الذي
يستدعيه جزالة النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بما يخفون كفرهم ومعاصيهم او قبائحهم وفضائحهم التي كانوا يكتمونها من الناس
فتظهر في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم او شركهم الذي يجحدون في بعض مواقف القيمة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ثم يظهر بما ذكر
من شهادة الجوارح عليهم او ما اخفاه رؤساء الكفرة عن اتباعهم من امر البعث والنشور او ما كتمه علماء اهل الكتابين من صحة نبوة
النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته الشريفة عن عوامهم على ان الضمير المجرور للعوام والمرفوع للخواص او كفرهم الذي اخفوه من المؤمنين
على ان الضمير المجرور للمؤمنين والمرفوع للمنافقين فبمعزل من الاعتناء بما في كل منها من الاعتساف والاخلال بالسبيل الى تحقق من ذلك اصلا ما عرفت
من ان النظم الشريف لتهويل امر النار وتفظيع حال اهلها وقد ذكر وقوفهم عليها واشير الى انه اعتراهم عند ذلك من الخوف والخشية
والحيرة والدهشة ما لا يحيط به الوصف ورتب عليهم تمنيهم المذكور بالفاء القاضية بسببية ما قبلها لما بعدها فاسقاط النار بعد ذلك
من تلك السببية وهي في نفسها ادهى الدواهي وازجر الزواجر واسنادها الى شيء من الامور المذكورة التي دونها في الهول والزجر
مع عروها عما ثمة اثر يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله واما ما قيل من ان المراد جزاء ما كانوا يخفون فمن قبيل حذف البيوت من ظهورها
وابوابها مفتوحة فتأمل ولو ردوا لعادوا اي من موقفهم ذلك الى الدنيا حسبما تمنوه وغاب عنهم ما شاهدوه من الاهوال

وانهم لكاذبون قوله تعالى ...

سوقه

لعادوا لما نهوا عنه من فنون القبائح التي من جملتها التكذيب المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار انظارهم على الشاهد
دون الغائب وانهم لكاذبون اي لقوم ديدنهم الكذب في كل ما يأتون وما يذرون وقالوا عطف على عادوا داخل في حيز
الجواب فتوسيط قوله تعالى وانهم لكاذبون بينهما لانه اعتراض مسوق لتقرير ما افاده الشرطية من تكذيبهم المخصوص وكونه آخر لاقوالهم ان المراد
تكذيبهم في انكارهم البعث والمعنى لو ردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وقالوا ان هي اي ما الحيوة الا حيوتنا الدنيا
وما نحن بمبعوثين بعد ما فارقنا هذه الحيوة كما لم يروا ما رأوا من الاحوال التي اولها البعث والنشور ولو ترى اذ وقفوا
على ربهم الكلام فيه كالذي مر في نظيره غاية الامر ان الوقوف ههنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده
للعتاب وقيل عرفوا ربهم حق التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقوله تعالى قال استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام
السابق كأنه قيل فماذا قال لهم ربهم اذ وافاهم فقيل قال اليس هذا اشيرا الى ما شاهدوه من البعث وما يتبعه من الامور العظام بالحق
توبيخا لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع ما يتعلق به ما هو بحق وما هو الا باطل قالوا استئناف كما سبق بلى وربنا
اكدوا اقرارهم باليمين اظهارا لكمال يقينهم بحقيته وايذانا بصدور ذلك عنهم بالرغبة والنشاط طمعا في نفعه قال استئناف
كما مر فذوقوا العذاب الذي عاينتموه والنار لترتيب التعذيب على اقرارهم بحقيته ما كفروا به في الدنيا لكن لا على ان مدار
التعذيب هو اقرارهم بذلك بل هو كفرهم السابق بما اقروا بحقيته الآن كما نطق به قوله عز وجل بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم
في الدنيا بذلك وبكل ما يجب الايمان به فيدخل كفرهم به دخولا اوليا وتعليل هذا التوبيخ والتقريع انما يقع بعد ما وقفوا على النار فقالوا
ما قالوا اذ الظاهر انه لا يبقى بعد هذا الا ورود العذاب قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله هم الذين حكيت احوالهم لكن وضع
الموصول موضع الضمير للايذان بتسبب خسرانهم بما في حيز الصلة من التكذيب بلقاء الله تعالى بيان ان الساعة وما يترتب عليه من البعث
واحكامه المتنازعة عليه استمر على ذلك فان كلمة حتى في قوله تعالى حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدي
لا حد له بغتة البغت والبغتة مفاجاة الشيء بسرعة من غير شعور به يقال بغته بغتا اي فجئه وانتصابها اما على انها
مصدر وقع موقع الحال من فاعل جاءتهم اي مباغتة او من مفعوله اي مبغوتين واما على انه مصدر مؤكد على غير الصدر فان مجيء الساعة
في معنى بغتتهم كقولهم انيته ركضا او مصدر مؤكد لفعل محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم اي جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة قالوا
جواب اذا يا حسرتنا تعالي فهذا اوانك ايتها الحسرة شأنك الندم وهذا التحسر وان كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك
من مبادي الساعة سمي باسمها ولذلك قال عليه السلام من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعة
على ما فرطنا فيها اي على تفريطنا في شان الساعة وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد لها بالايمان بها واكتساب الاعمال الصالحة
كما في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله وقيل الضمير للحيوة الدنيا وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير في الشيء مع القدرة
على فعله وقيل هو التضييع وقيل الفرط السبق ومنه الفارط اي السابق ومعنى فرط على السبق غيره فالتضعيف فيه للسلب
كما في جلدت البعير وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم حال من فاعل قالوا فائدته الايذان بان عذابهم ليس مقصورا
على ما ذكر من الحسرة على ما فات ونزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الاوزار الثقال والا يذر الى ان تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول ولا تنسى
بما يكابدونه من فنون العقوبات والسر فيه ذلك ان العذاب الروحاني اشد من الجسماني نعوذ برحمة الله عز وجل منهما والوزر
في الاصل الحمل الثقيل سمي به الاثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر الايدي في قوله تعالى بما كسبت ايديكم فان المعتاد حمل
الاثقال على الظهور كما ان المألوف هو الكسب بالايدي والمعنى انهم يخبرون على ما لم تعلموا من الخبائث والحال انهم يحملون اوزارا عملوا
من الشبات الا ساء ما يزرون تذييل مقرر لما قبله ومكملة له اي بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب
ولهو لما صح فيما سبق ان وراء الحيوة الدنيا حيوة اخرى يليقون فيها من الخطوب ما يليقون بان بعده حال تنبك الحياتين

فى انفسهما واللعب عمل يشغل النفس ويتعب البدن غالبا واللهو صرف الهمة والجد الى الغير والمعنى اما على حذف المضاف او على جعل الحيوة الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة كما فى قول الخنساء فانما هى اقبال وادبار اى وما اعمال الدنيا اى الاعمال المتعلقة بها من حيث هى هى او وما هى من حيث انها محل الكسب تلك الاعمال الا لعب يشغل الناس ويلهيهم بما فيه من منفعة سريعة الزوال ولذة وشبكة الاضمحلال عما يعقبهم جليلة باقية ولذة حقيقية غير متناهية من الايمان والعمل الصالح وللدار الاخرة التى هى محل الحيوة الاخرى خير للذين يتقون الكفر والمعاصى لان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منغصة بالآلام مستمرة على الدوام افلا تعقلون ذلك حتى تتقوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان والفاء للعطف على مقدر اى تعقلون فلا تعقلون او لا تتفكرون فلا تعقلون وقرئ يعقلون على الغيبة قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون استئناف مسوق لتسلية رسول الله عليه السلام عن الحزن الذى يعتريه مما حكى من الكفرة من الاطراد على التكذيب والمبالغة فيه ببيان انه مما لا مكانة من الله عز وجل وان ما يفعلون فى حقه منهور اجع اليه تعالى فى الحقيقة وانه ينتقم منهم لا محالة اشد انتقام وكلمة قد لتاكيد العلم بما ذكر المفيد لتاكيد الوعيد كما فى قوله تعالى قد يعلم ما انتم عليه وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين وكونها باخراجها الى معنى التكثير حسبما تخرج اليه ربما فى مثل قوله وان نفسا مهجور الغناء فربما اقام به بعد الوفود وفود جريا على سنن العرب عند قصد الافراط فى التكثير تقول لبعض فواد العساكر كم عندك للرسان فيقول لبعض فارس عندى وعنده مغانب جمة يريد بذلك التمادى فى تكثير فرسانه ولكنه يروم اظهار براءته عن التزيد وابرازا نه ممن يقلل كثيرا لما عنده فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه طريقة انما تسلك عند كون الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب حقيقة كما فى الآيات الكريمة المذكورة او ادعاء كما فى البيت وقوله انا لنرك القوم مصفوا انامله وقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والمراد بكثرة علمه تعالى كثرة تعلقه وهو متعد الى اثنين وما بعده سادّ مسدهما واسم ان ضمير الشان وضمير الجملة المفسرة له والموصول فاعل يحزنك وعائده محذوف اى الذى يقولونه وهو اما حكى عنهم من قولهم ان هذا الا اساطير الاولين ونحو ذلك وقرئ ليحزنك من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى فانهم لا يكذبونك تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهى عن الاغتمام بما قالوا لكن لا بطريق التعاطف عنه وعده جنايا والاقبال التام على ما اهداهم منه من استعظام جحودهم بآيات الله عز وجل كما قيل فانه مع كونه بمعزل من التسلية بالكلية مما يوهم كون حزنه عليه السلام لمخالفة نفسه بل بطريق التسلى بما يفيده من بلوغه مدى فى جلالة القدر ورفعة المحل والزلفى من الله تعالى الى حيث لا غاية وراءه حيث لم يقتصر على جعل تكذيبه دم تكذيبا لآياته سبحانه على طريقة قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله بل نفى تكذيبهم عنه دم واثبت لآياته تعالى على طريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ايذانا بكمال القرب واضمحلال شئونه دم فى شان الله عز وجل نعم فيه استعظام لجناياتهم منبئ عن عظم عقوبتهم كانه قيل لا تغتم به وكله الى الله تعالى فى تكذيبهم ذلك لا يكذبونك فى الحقيقة ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون اى ولكنهم بآياته تعالى يكذبون فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالرسوخ فى الظلم الذى يجحودهم هذا فرع من فنونه والالتفات الى اسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ما اقدموا عليه من جحود آياته تعالى وايراد الجحود فى مورد التكذيب للايذان بان آياته تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل احد وان من ينكر بانا تا ينكر بطريق الجحود الذى هو عبارة عن الانكار مع العلم بخلافه كما فى قوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وهو المعنى بقول من قال انه نفى ما فى القلب ثبانه لاثبات ما فى القلب نفيه والباء متعلقة بيجحدون بتضمين معنى الجحود معنى التكذيب وايا ما كان فتقديم الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم ويعضده ما روى من ان الاخنس بن شريف قال لابى جهل يا ابا الحكم اخبرنى عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنى قصى باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب فى شئ ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فانهم لا يكذبونك

لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله كما يروى ان ابا جهل كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما نكذبك وانك عندنا لصادق ولكنا نكذب ما جئتنا به فنزلت وكان صدق المخبر عند المخبَر بمطابقة الخبر لاعتقاده والاول هو
الذى يستدعيه الجزالة التنزيلية وقرئ لا يكذبونك من الاكذاب فقيل كلاهما بمعنى واحد كاكثر وكثر وانزل وانزل والاظهر وقيل
معنى اكذبه وجده كاذبا وعن الكسائى ان العرب تقول كذبت الرجل اى نسبت الكذب اليه واكذبته اى نسبت الكذب الى ما جاء
لا اليه وقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك امتان فى تسلية امم فان عموم البلية ربما يهون امرها بعض تهوين وارشاد
لامم الى الاقتداء بمن قبلهم من الرسل الكرام عليهم السلام فى الصبر على ما اصابهم من امهم من فنون الاذية وعدة ضمنية لهم بمثل ما منحوه من النصر
وتصدير الكلام بالقسم لتاكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن اما متعلقة بكذبت او بمحذوف وقع صفة لرسل اى وبالله
لقد كذبت من قبلك رسل اولو شان خطير وفور واعداد كثير او كذبت رسلا فاما من زمان قبل زمانك فصبروا على ما كذبوا
ما مصدرية وقوله تعالى واوذوا عطف على كذبوا داخل فى حكمه فانسبك منهما مصدران من المبنى للمفعول اى فصبروا على تكذيبهم وايذائهم
فتأس بهم واصبر على ما نالك من قومك والمراد بايذائهم اما عين تكذيبهم واما ما يقارنه من فنون الايذاء لم يصرح به ثقة بالعلم
التكذيب اياه غالبا وايا ما كان ففيه تاكيد للتسلية وحتى قيل عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استئناف وقوله تعالى حتى
اتاهم نصرنا غاية للصبر وفيه ايذان بان نصرة الله تعالى اياهم امر متوقع لا محالة وانه متوجه اليهم لا بد من اتيانه البتة والالتفات
الى نون العظمة لابراز الاعتناء بشان النصر وقوله تعالى ولا مبدل لكلمات الله اعتراض مؤكد لما قبله من اتيان نصره اياهم والمراد
بكلماته تعالى ما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لاغلبن
انا ورسلى من المواعيد السابقة للرسل عم الدالة على نصرة رسول الله ايضا لان نفس الآيات المذكورة ونظائرها فان الاخبار بعدم تبدلها
انما يفيد عدم تبدل المواعيد الواردة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون المواعيد السابقة للرسل عم فيجوز ان يراد بكلماته تعالى التى من جملتها
تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة فى حقهم دخولا اوليا والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلية الحكم فان الالوهية من
موجبات ان لا يعارضه احد فى فعل من الافعال ولا يقع منه خلف فى قول من الاقوال وقوله تعالى ولقد جاءك من نبإ المرسلين جملة قسمية
جئ بها لتحقيق ما منحوا من النصر وتاييد ما فى ضمنه من الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما ترتب
عليه من الامور والجار والمجرور فى محل الرفع على انه فاعل اتاك باعتبار مضمونه اى بعض نبإ المرسلين او بتقدير الموصوف اى بعض من نبإ
المرسلين كما فى قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله الخ وايا ما كان فالمراد بنبائهم عم على الاول نصره تعالى اياهم بعد التكذيب والايذاء
وعلى الثانى جميع ما جرى بينهم وبين امهم على ما ينبئ عنه قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستتهم البأساء
والضراء وزلزلوا الآية وفى محل النصب على الحالية من المستكن فى جاءك العائد الى ما عينهم من الجملة السابقة اى ولقد جاءك هذا الخبر كائنا
من نبإ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم كلام مستأنف مسوق لتاكيد ايجاب التصبر المستفاد من التسلية ببيان انه امر
لا محيد عنه اصلا اى ان كان عظم عليك وشق اعراضهم عن الآيات جاءت به من القرآن الكريم صيما ينعى عنه ما حكى عنهم من تسميتهم له اساطير
الاولين وتناهيهم عنه ونهيهم الناس عنه وقيل ان الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نخر من قريش
فقالوا يا محمد ائتنا بآية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل وانا نصدقك فابى الله ان يأتيهم بآية مما اقترحوا فاغتم صلوات الله عليه لذلك
فشق ذلك عليه لما انه كان شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا سألوه آية يود ان ينزلها الله تعالى طمعا فى ايمانهم فنزلت فقوله تعالى
اعراضهم مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور لما قرر اذ الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة فى محل النصب على انها خبر لكان مستغنية
الذى هو ضمير الشان ولا حاجة الى تقدير وقيل اسم كان اعراضهم وكبر جملة فعلية فى محل النصب على انها خبر لها مقدم على اسمها لانه يعمل
رافع لضمير مستتر كما هو المشهور وعلى التقديرين فقوله عز وجل فان استطعت الخ شرطية اوفى محذوفة الجواب وقعت جوابا للشرط الاول

وهو كون الجملة مسوقة لتقرير ما اتاهم من النصر

والله

والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من البينات وعدم عدهم لها من قبيل الآيات واحببت ان تجيبهم الى ما سألوه
اقتراحا فان استطعت ان تبتغي نفقا اي سربا ومنفذا في الارض تنفذ فيه الى جوفها او سلما اي مصعدا في السماء
تعرج به فيها فتأتيهم منهما بآية مما اقترحوه فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاؤهما نفس الاتيان بالآية فالفاء في فتأتيهم تفسيرية
وتنوين آية للتفخيم اي فان استطعت ان تبتغيهما فتجعل ذلك آية لهم فافعل والظرفان متعلقان بمحذوف هما نعتان لنفقا وسلما
والاول لمجرد التأكيد اذ النفق لا يكون الا في الارض او بتبتغي وقد جوز تعلقهما بمحذوف وقع حالا من فاعل تبتغي اي ان تبتغي نفقا كائنا انت
في الارض او سلما كائنا في السماء وفيه من الدلالة على تبالغ حرصه عليه السلام على اسلام قومه وترامیه الى حيث لو قدر على ان يأتي بآية من تحت الارض
او من فوق السماء لفعل رجاء لايمانهم ما لا يخفى وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان بان ما ذكر من النفق والسلم مما لا يستطاع ابتغاؤه
فكيف باتخاذه ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لو شاء تعالى ان يجمعهم على ما انتم عليه من الهدى لفعله بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن
لم يشأ لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى مع تمكنهم التام منه ومشاهدتهم للآيات الداعية اليه لا انه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم الى تحصيله
وقيل لو شاء الله لجمعهم عليه بان يأتيهم بآية ملجئة اليه ولكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة وقوله تعالى فلا تكونن من الجاهلين نهي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والميل الى اتيان ما يقترحونه من الآيات طمعا في ايمانهم مرتب على بيان عدم تعلق
مشيئته تعالى بهدايتهم والمعنى واذا عرفت انه تعالى لم يشأ هدايتهم وايمانهم باحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد على اسلامهم او الميل الى نزول
مقترحاتهم من الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق المشيئة بايمانهم اما اختيارا فلعدم توجههم اليه واما اضطرارا
فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز ان يراد بالجاهلين على الوجه الثاني المقترحون ويراد بالنهي منعه من المساعدة
على اقتراحهم وايرادهم بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف الجامع بينه وبينهم انما يستجيب الذين
يسمعون تقرير لما مر من ان على قلوبهم اكنة مانعة من الفقه وفي آذانهم وقرا حاجزا من السماع وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل الموتى
لا يتصور منهم الايمان البتة والاستجابة الاجابة المقارنة للقبول اي انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين يسمعون ما يلقى اليهم سماع تفهم وتدبر
دون الموتى الذين هؤلاء منهم كقوله تعالى انك لا تسمع الموتى وقوله تعالى والموتى يبعثهم الله تمثيل لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم للايمان
باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث الموتى من القبور وقيل بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم اقلاعهم عنه اصلا على ان الموتى مستعار للكفرة
بناء على تشبيه جهلهم بموتهم اي وهؤلاء الكفرة يبعثهم الله تعالى من قبورهم ثم اليه يرجعون للجزاء فحينئذ يستجيبون واما قبل ذلك
فلا سبيل اليه وقرئ يرجعون على البناء للفاعل من رجع رجوعا والمشهور اوفق بحق المقام لابانته عن كون مرجعهم اليه بطريق الاضطرار
وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه حكاية لبعض آخر من اباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القرآن الكريم وبيان ما يتعلق به والقائلون
رؤساء قريش وقيل الحارث بن عامر بن نوفل واصحابه ولقد بلغت بهم الضلالة والطغيان الى حيث لم يقتنعوا بما شاهدوا من
البينات التي تخر لها صم الجبال حتى اجترؤوا على ادعاء انها ليست من قبيل الآيات وانما هي ما اقترحوه من الخوارق الملجئة او المعقبة للعذاب كما قالوا
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية والتنزيل بمعنى الانزال كما ينبئ عنه القراءة بالتخفيف فيما سيأتي
وما يفيده التعرض لعنوان ربوبيته تعالى له من الاشعار بالعلية انما هو بطريق التوبيخ والتهكم من جهتهم واطلاق الآية في قوله تعالى
قل ان الله قادر على ان ينزل آية مع ان المراد بها ما هو من الخوارق المذكورة لا آية ما من الآيات لفساد المعنى مجاراة معهم على زعمهم ويجوز
ان يراد بها آية موجبة لهلاكهم كانزال الملائكة والعذاب ونحوه على ان تنوينها للتفخيم والتهويل كما ان اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة مع ما فيه من
الاشعار بعلية القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب على بيان قدرته تعالى على تنزيلها مع انها ليست في حيز الانكار للايذان بان عدم تنزيله تعالى
اياها مع قدرته عليه لحكمة بالغة يجب معرفتها وهم عنها غافلون كما ينبئ عنه الاستدراك بقوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ليسوا
من اهل العلم على ان المفعول مطروح بالكلية او لا يعلمون شيئا محذوف مدلول عليه بقرينة المقام والمعنى انه تعالى قادر على ان ينزل آية

من ذلك او آية واى آية وكن اكثرهم لا يعلمون فلا يدرون ان عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه لما ان فى تنزيلها قطعا لاساس التكليف
المبنى على قاعدة الاختيار او استيصالا لهم بالكلية فيقترحونها جهلا ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة الى التكذيب والتخصيص علم العلم
باكثرهم لما ان بعضهم واقفون على حقية الحال مايعلمون مكابرة وعنادا وقوله تعالى وما من دابة فى الارض كلام مستانف مسوق لبيان
كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه تعالى قادر على تنزيل الآية وانما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة وزيادة من تاكيد
الاستغراق وفى متعلقة بمحذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كانه قيل وما فرد من افراد الدابة يستقر فى قطر من اقطار الارض
وكذا زيادة الوصف فى قوله تع ولا طائر يطير بجناحيه مع ما فيه من زيادة التقرير اى ولا طائر من الطيور يطير من ناحية من نواحى الجو
بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع عطفا على محل الجار والمجرور كانه قيل وما دابة ولا طائر الا امم امثالكم
متخالفة واجمع باعتبار المعنى كانه قيل وما من دواب ولا طير الا امم امثالكم اى كل امة منها مثلكم فى ان احوالها محفوظة وامورها متقنة
ومصالحها مرعية جارية على سنن السداد منتظمة فى سلك التدابير الالهية والتدبيرات الربانية ما فرطنا فى الكتاب من شئ تعال فرط
الشئ اى ضيعه وتركه قال ساعدة بن جوية معه سقاء لا يفرط حمله اى لا يتركه ولا يجارقه ويقال فرط فى الشئ اى اهمل ما ينبغى ان يكون فيه
واعقله فقوله تعالى فى الكتاب اى اللوح الاول ظرف لغو وقوله تع من شئ مفعول لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق اى ما تركنا فى اللوح شيئا
من الاشياء المهمة التى من جملتها بيان انه تع مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغى وعلى الثانى مفعول للفعل ومن شئ فى موضع المصدر اى ما اغفلنا
الكتاب ما فرطنا فيه شيئا من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره وايا ما كان فالجملة اعتراض مؤكد لمضمون ما قبلها وقيل الكتاب القرآن والمراد
بالاعتراض الاشارة الى ان احوال الامم مستقصاة فى اللوح غير متصورة على هذا النمط المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله تع ثم الى ربهم
يحشرون بيان لاحوال الامم المذكورة فى الآخرة بعد بيانها احوالها فى الدنيا وايراد ضمير ما عن صيغة جمع العقلاء لاجرائها مجراهم فالتعبير عنها
بالامم اى الملك امورهم يحشرون يوم القيمة كذا بكم لا الى غيره فيجازيكم منتصف بعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله ان ياخذ للجماء من القرناء
وقيل حشرها موتها وذباحها مقام تهويل الخطب وتفظيع الحال وقوله تع والذين كذبوا بآياتنا متعلق بقوله تع ما فرطنا فى الكتاب
من شئ والموصول عبارة عن المعهودين فى قوله تع ومنهم من يستمع اليك الآيات ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اى اورد فى القرآن
جميع الامور المهمة وانزحنا به العلل والاعذار والذين كذبوا بآياتنا التى هى منه صم لا يسمعونها سماع تدبير وتفهم فلذلك يستمعون
اساطير الاولين ولا يعدونها من الآيات ويقترحون غيرها وبكم لا يقدرون على ان ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك بها وقوله تع
فى الظلمات اى فى ظلمات الكفر وظلمات الجهل والعناد والتقليد اما جزءان للمبتدإ على انه عبارة عن العمى كما فى قوله تع صم بكم عمى واما متعلق
بمحذوف وقع حالا من المستكن فى الجار كانه قيل صما تون كائنين فى الظلمات او صفة لبكم اى بكم كائنون فى الظلمات والمراد به بيان
كمال عراقتهم فى الجهل وسوء الحال فان الاصم الابكم اذا كان بصيرا ربما يفهم شيئا باشارة غيره وان لم يفهم بعبارته وكذا شر غيره
بلا فضيره بالاشارة وان كان موزونا لغير العبارة واما اذا كان مع ذلك اعمى ايضا كان فى الظلمات فينسد عليه باب الفهم والتفهم بالكلية
وقوله تع من يشا الله يضلله تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان انهم من اهل الطبع لا ثباتى منهم الايمان اصلا فمن مبتدا خبره
ما بعده ومفعول المشية محذوف على القاعدة المستمرة من ذوقوعها موطا وكون مضمونها مضمون الجزاء وانتفاء الثانية تعليقها به اى من يشا الله
اضلاله اى ان يخلق فيه الضلال يضلله اى يخلقه فيه لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير ان يكون له دخل ما فى ذلك بل عند صرف اختياره
الى كسبه وتحصيله وقس عليه قوله تع ومن يشا يجعله على صراط مستقيم لا يضل من ذهب اليه ولا ينزل من ثبت قدمه عليه قل ارايتكم
امر الرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبكتهم ويلقمهم الحجر بالسبيل الى التفكير والكاف حرف جئ به لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب
ومعنى التركيب وان كان على الاستخبار عن الرؤية القلبية كانت او بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها اى اخبرونى ان اتيكم عذاب الله
كما لقى الامم السالفة من انواع العذاب الدنيوى او اتتكم الساعة التى لا محيص عنها البتة ان كنتم صادقين متعلق

وليفعلوا ط

ر للبيضاوى

لغير الله تدعون ج

بارائكم

بارائكم مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم صادقين في ان اصنامكم آلهة
كما انها دعواكم المعروفة او ان كنتم قوما صادقين فاخبروني اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله الخ فان صدقهم باي معنى كان من موجبات
اخبارهم بدعائهم غيره سبحانه واما جعل الجواب ما يدل عليه قوله تعالى اغير الله تدعون اي فادعوه على ان الضمير لغير الله فمخل بجزالة النظم الكريم كيف لا
والمطلوب منهم انما هو الاخبار بدعائهم غيره تعالى عند اتيان ما يأتي لا نفس دعائهم اياه وقوله تعالى بل اياه تدعون عطف على جملة منفية
ينبئ عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار انباء جليا كانه قيل لا غيره تدعون بل اياه تدعون وقوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه اي الى كشفه
عطف على تدعون اي فيكشفه اثر دعائكم وقوله تعالى ان شاء اي ان شاء كشفه لبيان ان ادعاء قبول دعائهم غير مطرد بل هو تابع لمشيئته
المبنية على حكم خفية قد استأثر الله تعالى بعلمها فقد يقبله كما في بعض دعواتهم المتعلقة بكشف العذاب الدنيوي وقد لا يقبله كما في بعض آخر منها
وفي جميع ما يتعلق بكشف العذاب الاخروي التي من جملتها الساعة وقوله تعالى وتنسون ما تشركون اي تتركون ما تشركونه به تعالى من الاصنام
تركا كليا عطف على تدعون وتوسيط الكشف بينهما مع تقارنهما وتأخر الكشف عنهما لاظهار كمال العناية بشأن الكشف والايذان بترتبه
على الدعاء خاصة وقوله تعالى ولقد ارسلنا كلام مستأنف مسوق لبيان ان منهم من لا يدعو الله تعالى عند اتيان العذاب ايضا لتماديهم في الغي
والضلال لا يتأثرون بالزواجر التكوينية كما لا يتأثرون بالزواجر التنزيلية وتصديره بالجملة القسمية لاظهار مزيد الاهتمام بمضمونه
ومفعول ارسلنا محذوف لما ان مقتضى المقام بيان حال المرسل اليهم لا حال المرسلين اي وبالله لقد ارسلنا رسلا الى امم كثيرة من قبلك
اي كائنة من زمان قبل زمانك فأخذناهم اي فكذبوا رسلهم فأخذناهم بالبأساء اي بالشدة والفقر والضراء اي الضر والآفات
وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون اي لكي يدعوا الله تعالى في كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا اليه من كفرهم ومعاصيهم
فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا اي فلم يتضرعوا مع تحقق ما يستدعيه ولكن قست قلوبهم استدراك عما قبلها اي فلم يتضرعوا
اليه تعالى برقة القلب والخضوع مع تحقق ما يدعوهم اليه ولكن ظهر منهم ما ينافيه حيث قست قلوبهم اي استمرت على ما هي عليه من القساوة
وازدادت قساوة كقولك لم يكرمني اذ جئته ولكن اهانني وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي فلم يخطروا ببالهم
ان ما اعتراهم من البأساء والضراء ما اعتراهم الا لاجله وقيل الاستدراك لبيان انه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى قسوة قلوبهم
والاعجاب باعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به عطف على مقدر ينساق اليه النظم الكريم اي فانهمكوا فيه
ونسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فلما نسوه فتحنا عليهم ابواب كل شيء من فنون النعماء على منهاج الاستدراج لما روي
انه ع م قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور اشعار بان التذكير في الجملة غير خال
عن النفع وحتى في قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية كما في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا
الآية ونظائره وهي مع ذلك غاية لقوله تعالى فتحنا او لما يدل هو عليه كانه قيل ففعلوا ما فعلوا حتى اذا اطمأنوا بما اتيح لهم وبطروا واشروا
اخذناهم بغتة اي نزل بهم عذابنا فجأة ليكون اشد عليهم وقعا وافظع هولا فاذا هم مبلسون متحسرون غاية الحسرة آيسون من كل
خير واجمون وفي الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم بحيث لم يبق
منهم احد من دبره دبرا ودبورا اي تبعه ووضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر
موضع الشكر واقامة المعاصي مقام الطاعات والحمد لله رب العالمين على ما جرى عليهم من النكال فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث
انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم الفاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة للحمد لاجتماع ما فيه من اعلاء كلمة الحق
التي نطقت بها رسلهم عليهم السلام قل ارأيتم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتكرير التبكيت عليهم وتثنية الالزام بعد تكملة الالزام
الاول ببيان انه امر مستمر لم يزل جاريا في الامم وهذا ايضا استخبار عن متعلق الرؤية وان كان بحسب الظاهر استخبارا عن نفس الرؤية
ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان اصمكم واعماكم بالكلية وختم على قلوبكم بان غطى عليها بما لا يبقى لكم معه عقل وفهم اصلا

واجم هو الذي اشتد حزنه حتى امسك عن الكلام • قاموس

ايذان بوجوب الحمد لله على اهلاك الظلمة وانه من اجل النعم واجزل القسم او الحمد لله على اهلاك من لم يحمد الله • مدارك

وتصيرون مجازيين ويجوز ان يكون الختم عطفا تفسيريا للاخذ المذكور فان السمع والبصر طريقان للقلب منهما يرد ما يرد عليه من المدركات
فاخذهما سد لبابه بالكلية وهو السر في تقديم اخذهما على ختمها واما تقديم السمع على الابصار فلانه مورد الايات القرآنية وآفاده لما ان اصل
مصدر وقوله تع من اله مبتدأ وخبر ومن استفهامية وقوله تع غير الله صفة للجر وقوله تع يأتيكم به اي بذلك على ان الضمير مستفاد
لاسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه صفة اخرى او الجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار اي اخبروني ان سلب الله تعالى مشاعركم من آله غيره تعالى يأتيكم
بها وقوله تع انظر كيف نصرف الآيات تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم تأثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة اي انظر كيف نكرر لهم
ونقرر لهم مصروفة عن اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير ثم هم يصدفون
عطف على نصرف داخل في حكمه وهو العمدة في التعجيب ثم لاستبعاد صدوفهم اي اعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب
للاقبال عليها قل ارأيتكم تبكيت آخر لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص العذاب بهم ان اتيكم عذاب الله اي عذابه العاجل الذي حل
بكم كما اتى من قبلكم من الامم بغتة اي فجاءة من غير ان يظهر منه مخائل الاتيان ومن حيث لا تشعر بهذا من الخفية قوبل بقوله تع او جهرة
اي بعد ظهور اماراته وعلائمه وقيل ليلا او نهارا كما في قوله تع بياتا او نهارا لما ان الغالب فيما اتى ليلا البغتة وفيما اتى نهارا الجهرة
وقرئ بغتة وجهرة وهما في موضع المصدر اي اتيان بغتة او اتيان جهرة وتقديم البغتة لكونها اهول وافظع وقوله تع هل يهلك متعلق
الاستخبار والاستفهام للتقرير اي قل لهم تقريرا لهم باختصاص الهلاك بهم اخبروني ان اتاكم عذابه تع حسبما تستحقونه هل يهلك منكم
العذاب الا انتم اي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه وانما وضع موضعه الا القوم الظالمون تسجيلا عليهم بالظلم وايذانا بان مناط
اهلاكهم ظلمهم الذي هو وضعهم الكفر موضع الايمان وقيل المراد بالظالمين الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا قال الزجاج
هل يهلك الا انتم ومن اشبهكم وناواه تخصيص الاتيان وقيل الاستفهام بمعنى النفي فتعلق الاستخبار بمحذوف كأنه قيل
اخبروني ان اتاكم عذابه بغتة او جهرة ماذا يكون الحال ثم قيل بيانا لذلك ما يهلك الا القوم الظالمون اي لا يهلك بذلك العذاب
الخاص بكم الا انتم فمن قيد الهلاك بهلاك المعذبين السخط لتحقيق الحق باخراج غير الظالمين لما انه ليس بطريق التعذيب والتسخط
بل بطريق الاثابة ورفع الدرجة فقد اهمل ما يجب ان يعتنى به واشتغل بما لا يعنيه واخل بجزالة النظم الكريم وقرئ هل يهلك على البناء للمفعول
وما نرسل المرسلين كلام مستأنف مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة على الاطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل عليهم السلام واظهار ما يقترحه
الكفرة عليهم ليس مما يتعلق بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان ذلك امر مستمر جرت عليه العادة الالهية وقوله تع الا مبشرين
ومنذرين حالان مقدرتان اي ما نرسلهم الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم فيهما معنى العلة الغائية قطعا اي ليبشروا اقوامهم بالثواب
على الطاعة وينذروهم بالعقاب على المعصية اي ليجزوهم بالجزاء السار والجزاء الضار دنيويا كان او اخرويا من غير ان يكون لهم دخل ما في وقوع
المجزي به اصلا وعليه يدور القصر والا لزم ان لا يكون بيان الشرائع والاحكام من وظائف الرسالة والفاء في قوله تع فمن آمن واصلح
لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة والفاء في قوله تع فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لشبه الموصول بالشرط اي لا خوف عليهم
من العذاب الذي انذروه دنيويا كان او اخرويا ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل والآجل وتقديم نفي الخوف
على نفي الحزن لمراعاة حق المقام وجمع الضمائر الثلثة الراجعة الى من باعتبار معناها كما ان افراد الضمير في السابقين باعتبار لفظها
اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا آنفا بعيرهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما
كما يوهمه كون الجزء الجملة الثانية مضارعا كما تقرر في موضعه مع ان النفي وان دخل على نفي المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب
المقام الا يرى ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فاذا دخل عليها حرف النفي دلت على استمرار الانتفاء لا على انتفاء
الاستمرار كذلك المضارع الخالي عن حرف النفي يفيد استمرار الثبوت فاذا دخل عليه حرف النفي يفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستمرار
ولا بعد في ذلك فان قولك ما زيد مزيت مفيد لاختصاص النفي لا نفي الاختصاص كما بين في محله وقوله عز وجل والذين كذبوا

عطف

ثم ختم القلوب

ومع الحسن ليلا او نهارا

الكشاف

وذو الصاحب الكشاف
والقاضي

ثم قوله عليهم ولا هم يحزنون

عطف على من آمن داخل في حكمه وقوله تعالى بآياتنا اشارة الى ان ما ينطق به الرسل عليهم السلام عند التبشير والانذار وسيلغونه الامم
آيات الله تعالى وان من آمن به فقد آمن بآيات الله تعالى ومن كذب به فقد كذب بها وفيه من الترغيب في الايمان به والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى والمعنى
ما نرسل المرسلين الا كما يخبر والامهم من جهتها بما سيقع منا من الامور السارة والضارة لا ليوقعوها استقلالا من تلقاء انفسهم او استدعاء
من قبلنا حتى يقترحوا عليهم ما يقترحون فاذا كان الامر كذلك فمن آمن بما اخبروا به من قبلنا تبشيرا وانذارا في ضمن آياتنا واصلح ما يجب اصلاحه
من اعماله او دخل في الصلاح فلا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا التي يبلغونها عند التبشير والانذار يمسهم العذاب اي العذاب
الذي انذروه عاجلا او آجلا او حقيقة العذاب وجنسه المنتظم له انتظاما اوليا بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المستمر الذي هو استمرار
على الخروج عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله استئناف مبني على السؤال من السنة الامة في شان ارسال الرسل
وانذار الكتب مسوق لاظهار تبرئه عليه السلام عما يدعوه وعليه مقترحاتهم اي قل للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل الآيات واخرى غير ذلك لا ادعي
ان خزائن مقدوراته تعالى مفوضة الي اتصرف فيها كيف ما اشاء استقلالا او استدعاء حتى تقترحوا علي تنزيل الآيات او انزال العذاب او قلب
الجبال ذهبا او غير ذلك مما لا يليق بشاني وجعل هذا تبرئا عن دعوى الالهية مما لا وجه له قطعا وقوله تعالى ولا اعلم الغيب عطف على محل
عندي خزائن الله اي ولا ادعي ايضا اني اعلم الغيب من افعاله تعالى حتى تسالوني عن وقت الساعة او وقت نزول العذاب ونحوهما ولا اقول
لكم اني ملك حتى تكلفوني من الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يليق بالبشر من الترقي في السماء ونحوه او تعدوا عدم اتصافي بصفاتهم قادحا
في اداء ما ينبئ عنه قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق والمعنى اني لا ادعي شيئا من هذه الاشياء الثلثة حتى تقترحوا
علي ما هو من آثار ما واحكامها ولجعلوا عدم اجابتي الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر قطعا
بل انما هو عبارة عن تبليغ الوحي من جهته عز وجل والعمل بمقتضاه فحسب حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي لا على معنى تخصيص
اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه دون غيره بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى ما يتعلق بالفعل
باعتبار النفي في الاصل والاثبات في القيد بل على معنى تخصيص حال عدم اتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال
لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصية فان ذلك غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما يتضمنه من مطلق الفعل والاثبات فيما يغايره من المعنى
المخصوص فان كل فعل من الافعال الخاصة كنصر مثلا يحمل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى خاص يقومه فان معنى فعل النصر
يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان ان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل بتوجيه النفي الى الاصل والاثبات
الى القيد كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي من غير ان يكون لي مدخل في الوحي او في الموحى بطريق الاستدعاء او بوجه آخر من الوجوه اصلا
قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي على الاطلاق والاستفهام انكاري والمراد انكار استوائهما فيما ذكر من التفاوت
ومن بعلها وفيه من الاشعار بكمال ظهورها ومن التنفير عن الضلال والترغيب في الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الا لتشديد التبكيت وتاكيد الالزام
وقوله تعالى افلا تتفكرون تقريع وتوبيخ داخل تحت الامر والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا تستمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون
فيه او تسمعون فلا تتفكرون فيه فمناط التوبيخ في الاول عدم الاثر من معاوف الثاني عدم التفكر المحقق ما يوجبه وانذر به الذين يخافون
ان يحشروا الى ربهم بعد ما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفرة قولا ما يتفوهون بتحريف الآيات الباهرة ولا يتاثرون
بمشاهدة المعجزات القاهرة قد ابنت مشاعرهم بالكلية والحقوا بالاموات وقرر ذلك بان كرر عليهم من فنون التبكيت والالزام ما يلجمهم
اي الزام فابوا الا اباء والنكير وما نجع فيهم عظة ولا تذكير وما افادهم الانذار الا الاصرار على الانكار اوحي اليه السلام بتوجيه الانذار
الى من يتوقع فيهم في الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الآتي سواء كانوا جازمين باصله كاهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث
المرددين في شفاعة آبائهم الانبياء كالاولين او في شفاعة الاصنام كالآخرين او مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم انهم
اذا سمعوا الحديث البعث يخافون ان يكون حقا واما المنكرون للحشر راسا والقائلون بالقاطعون بشفاعة آبائهم او بشفاعة الاصنام

فهم خارجون ممن امر بانذارهم **وقد قيل** هم المفرطون في الاعمال من المؤمنين ولا يساعده سياق النظم الكريم ولا سياقه بل فيه ما يقضي باستحالة ذلك حتما
عليه والضمير المجرور لما يوحى او لما دل عليه من القرآن والمفعول الثاني للانذار اما العذاب الاخروي المدلول عليه بما في حيز الصلة واما مطلق العذاب
الذي ورد بالوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي لتربية المهابة وتحقيق المخافة وقوله تعالى ليس لهم
من دون الله من ولي ولا شفيع في حيز النصب على الحالية من ضمير يخشرو او من متعلقة بمحذوف وقع حالا من اليس لانه في الاصل صفة لها فلما قدم
عليها انتصب حالا اي غير الحال الاولى لاخراج الحشر الذي لم يقيد بها عن حيز الخوف وتحقيق ان ما نيط به الخوف هو الحشر كيفما كان ضرورة ان المعترفين
الجائزين بنصرة غيره تعالى بمنزلة المنكرين له في عدم الخوف الذي عليه يدور امر الانذار واما الحال الثانية فليست لاخراج الاولى الذي لم يقيد بها عن حيز
الاعتبار لفساد المعنى لاستلزامه ثبوت ولاية تعالى كما في قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير بل لتحقيق مدار خوفهم وهو فقد ما علقوا به اطماعهم
وذلك انما هو ولاية غيره سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء والمعنى انذر بالذين يخافون
ان يحشروا غير منصورين من جهة انصارهم على زعمهم وعن هذا النمط ان لا سبيل لاكوة المراد بالخائفين الموطنين من المؤمنين اذ ليس لهم ولي سواه
ليخافوا الحشر بدون نصرته وانما الذين يخافون الحشر بدون نصرته عز وجل وقوله تعالى **لعلهم يتقون** تعليل للامر اي انذرهم لكي يتقوا الكفر والمعاصي
او حال من ضمير الامر اي انذرهم راجين اتقاءهم او من المفعول اي انذرهم مرجوا منهم التقوى **فلا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي** بانذار المكونين لينتظموا في سلك المتقين نهي عن كون ذلك بحيث يؤدي الى طردهم **روي** ان رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لو طردت هؤلاء الاعبد وارواح جبابهم يعنون فروة المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم يجلسنا اليك ويحادثناك فقال عليه السلام
ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئناك فاذا قمنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم فطمعا في ايمانهم **وروي** ان عمر رضي قال له لو
فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون **وقيل** ان عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبيد وعمر بن نوفل
واشراف بني عبد مناف من اهل الكفر اتوا ابا طالب فقالوا يا ابا طالب لو ان ابن اخيك محمدا يطرد موالينا وحلفاءنا وهم عبيدنا وعتقاؤنا كان
اعظم في صدورنا وادنى لاتباعنا اياه فاتى ابو طالب الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه فقال عمر رضي لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي
يريدون والى ما يصيرون وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع الحابس التميمي وعيينة بن حصين الفزاري وذووهم من المؤلفة قلوبهم
فوجدوا النبي عليه السلام جالسا مع نابس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حولة بهم حقروهم فاتوه هم فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد
ونفيت عنا هؤلاء وارواح جباجهم فجالسناك وحادثناك واخذنا عنك فقال هم ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا
نعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحي ان نرانا مع هؤلاء الاعبد فاذا جئناك فاقمهم عنا فاذا فرغنا فاقعد معهم ان شئت
قال عليه السلام نعم قالوا فاكتب لنا كتابا فدعا بعلي ودم ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل بالآية فرمى بالصحيفة ودعانا فأتيناه
وجلسنا عنده وكنا نذنوا منه حتى تمس ركبتنا ركبته فكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فكنا نقعد
عنا الى ان يقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات والمراد بذكر الوقتين الدوام **وقيل**
صلوة الفجر والعصر وقرئ بالغدو وقوله تعالى **يريدون وجهه** حال من ضمير يدعون اي يدعونه تعالى مخلصين له في ذلك وتقييده به تاكيد عليه للنهي
فان الاخلاص من اقوى موجبات الكرام المفاد للطرد وقوله تعالى **ما عليك من حسابهم من شيء** اعتراض وسط بين النهي وجوابه لتقرير الله
ودفعا لما عسى يتوهم كونه مستوجبا لطردهم من اقاويل الطاغين في دينهم كذا في قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا
بادي الرأي اي ما عليك شيئا ما من حساباتهم واعمالهم الباطنة حتى تتصدى له وتبني على ذلك من الاحكام وانما وظفتك حسبما هو شان
منصب النبوة اعتبار ظواهر الاعمال واجراء الاحكام على موجبها وانما بواطن الامور فحسابها على العليم بذات الصدور كقوله تعالى **وما من حسابك عليهم**
من شيء مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في بيان انتفاء كون حسابهم عليه بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه اصلا وهو انتفاء كون حسابهم
عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون **واما قيل** من ان ذلك لتنزيل الجملتين منزلة جملة واحدة لتأدية معنى واحد

على نهج قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فغير صحيح بجلالة شان التنزيل وتقديم عليك في الجملة الاولى للقصد الى ابراد النفي على اختصاص حسابهم به عليه السلام اذ هو الداعي الى تصديه دون حسابهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى انك لا تؤاخذ بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك الحرص عليه الى ان تطردهم وقوله تعالى فتطردهم جواب النفي وقوله تعالى فتكون من الظالمين جواب النهي وقد جوز عطف على فتطردهم على طريقة التسبيب وليس بذاك وكذلك فتنا بعضهم ببعض استئناف مبني لما نشأ عنه ما سبق من النهي وذلك الى مصدر ما بعده من الفعل الذي هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء المؤمنين في امور الدين بتوفيقهم للايمان مع ما هم عليه في امر الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجة المشار اليه وبعد منزلته في الكمال والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انها نعت لمصدر مؤكد محذوف والتقدير فتنا بعضهم ببعض فتونا كائنا مثل ذلك الفتون ثم قدم على الفعل لافادة القصر المفيد لعدم القصور فقط واعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعته والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتنا اي ابتلينا بعض الناس ببعضهم لا فتونا غيره حيث قدمنا الآخرين في امور الدين على الاولين المتقدمين عليهم في امور الدنيا تقدما كليا واللام في قوله تعالى ليقولوا للعاقبة اي ليقول البعض الاولون مشيرين الى الآخرين محقرين لهم نظرا الى ما بينهم من التفاوت الفاحش الدنيوي وتعاميا عما هو مناط التفضيل حقيقة أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا بان وفقهم للاصابة الحق ولما يسعدهم عنده تعالى من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك انكار وقوع المؤمن رئاسا على طريقة قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه لاحتقير المسبوقين عليهم مع الاعتراف لوقوعه بطريق الاعتراض عليه وقوله تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين رد لقولهم وابطال له واشارة الى ان مدار استحقاق الانعام معرفة شان النعمة والاعتراف بحق المنعم والاستفهام لتقرير العالم بذلك اي ليس الله باعلم بالشاكرين لنعمه حتى يستبعد انعامه عليهم وفيه من الاشارة الى ان اولئك الضعفاء عارفون بحق نعمة الله تعالى في تنزيل القرآن والتوفيق للايمان شاكرون له تعالى على ذلك مع التعريض بان العائلين بمعزل من ذلك كله ما لا يخفى واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا هم الذين نهي عن طردهم وصفوا بالايمان بآيات الله عز وجل كما وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى بالاخلاص تنبيها على احرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتأخير هذا الوصف مع تقدمه على الوصف الاول لما ان مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الايمان بها كما ان مناط النهي من الطرد فيما سبق هو المداومة على العبادة وقوله تعالى فقل سلام عليكم امر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد انذارهم قبائحهم وقيل بتبليغ سلامه تعالى وقيل بان يبدأهم بالسلام وقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة اي قضاها وأوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والاحسان بالذات لا بتوسط شيء ما اصلا بتبشيرهم بسعة رحمته وسبيل المطلب اثر تبشيرهم بالسلامة عن المكاره وقبول التوبة منهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار اللطف بهم والاشعار بعلة الحكم وقيل ان قوما جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت وقوله تعالى انه من عمل منكم سوءا بدل من الرحمة وقرئ بكسر انه على انه تفسير للرحمة بطريق الاستئناف وقوله تعالى بجهالة حال من فاعل عمل اي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار والتقييد بذلك للايذان بان المؤمن لا يباشر ما يعلم انه يؤدي الى الضرر او عمله ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده اي من بعد عمله اومن سفهه واصلح اي افسده نداما وعزما على ان لا يعود اليه ابدا فانه غفور رحيم اي فامره انه غفور رحيم وقيل فانه مبتدأ على انه استئناف وقع في صدر الجملة الواقعة خبرا لمن على اتباعها موصولة او جوابا لها على انها شرطية وكذلك نفصل الآيات قد مر آنفا ما فيه من الكلام اي هذا التفصيل الحاصل بتفصيل الآيات في صفة اهل الطاعة واهل الاجرام المختلفين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين بتانيث الفعل بناء على تانيث الفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكيره فان السبيل يجامع كلا منهما ويؤنث ويذكر وهو عطف على علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد تعليلها بعينها وانما قصد الاشعار بان له فوائد جمة من جملتها ما ذكر او علة لفعل مقدر وهو عبارة عن المذكور فيكون المعنى ولتستبين سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل وقرئ بنصب السبيل على ان الفعل متعد وتاؤه للخطاب اي ليتوضح انت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم بما يليق بهم قل اني نهيت امر عليه السلام بالرجوع الى مخاطبة المصرين على الشرك اثر ما امر بمعاملة من عداهم من اهل الانذار والتبشير بما يليق بحالهم اي قل لهم قطعا لاطماعهم الفارغة عن كونه دعاهم اليها وبيانا لكون ما هم عليه من الدين هوى محضا وضلالا بحتا اني نهيت وزجرت

مما نصب لي من الادلة وانزل الي من الآيات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون اي عن عبادة ما تعبدونه من دون الله كائنا
ما كان قل كرر الامر مع قرب العهد اعتناء بشان المأمور به وايذانا باختلاف المقولين من حيث ان الاول حكاية لما من جهته تعالى من النهي
والثاني حكاية لما من جهتهم من الانتهاء عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وانما قيل لا اتبع اهواءكم استجهالا لهم وتنصيصا على انهم في اتباعهم
فيه تابعون لاهوائهم باطلة ولبسوا على شيء مما ينطلق عليه الدين اصلا واشعارا بما يوجب النهي والانتهاء وقوله تعالى قد ضللت اذا
استئناف مؤكد لانتهائه عما نهي عنه منزل لكونهم في غاية الضلال والغواية اي ان اتبع اهواءكم فقد ضللت وقوله تعالى وما انا من المهتدين
عطف على ما قبله والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار اي دوام النهي واستمراره لا نفي الدوام والاستمرار كما قرر اي ما انا في شيء
من الهدى حتى اكون في عداد هم وقوله تعالى قل اني على بينة تحقيق للحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لاتباعه اياه اثر ابطال
الباطل الذي عليه الكفرة وبيان عدم اتباعه له والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل والمراد بها القرآن والوحي وقيل هي الحجج العقلية
او بهما ولا يساعد المقام والتنوين للتفخيم وقوله تعالى من ربي متعلق بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى وقوله تعالى وكذبتم به
اما جملة مستانفة او حالية بتقدير قد او بدونه جيء به لاستفتاح مضمونها واستبعاد وقوعه مع تحقق ما يقتضي عدمه من وضوح البينة والخبير
المجرور للتنبيه والتذكير باعتبار المعنى المراد والمعنى اني على بينة عظيمة كائنة من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التي من جملتها
الوعد بمجيء العذاب وقوله تعالى ما عندي ما تستعجلون به استئناف مبين لخطائهم في شان ما جعلوه منشأ لتكذيبهم بها وعدم
مجيء ما وعد فيها من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام على زعمهم
اي ليس عندي ما تستعجلونه من العذاب الموعود في القرآن ويجعلون تأخره ذريعة الى تكذيبه في حكمتي وقدرتي حتى اجيء به واظهر لكم صدقه الى ليس الامر
مفوض الي ان الحكم اي الحكم في ذلك تعجيلا وتاخيرا او الحكم في جميع الاشياء فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا ان الا لله
وحده من غير ان يكون لغيره دخل ما فيه بوجه من الوجوه وقوله تعالى يقص الحق اي يتبعه بيان لشؤونه تعالى في الحكم المعهود او في جميع
احكامه المنتظمة لانتظاما اوليا اي لا يحكم الا ما هو حق فيثبت حقية التاخير وقرئ يقضي فانتصاب الحق حينئذ على المصدرية اي القضاء
القضاء الحق او على المفعولية اي يقضي الحق ويبرزه من قولهم قضى الدرع اذا وضعها وأصل القضاء الفصل بتمام الامر وأصل الحكم المنع
فكأنه يمنع الباطل عن معارضة الحق او الخصم عن التعدي على صاحبه وهو خير الفاصلين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشير
الى ان قص الحق هنا بطريق فاصل هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذي يستدعيه جزالة التنزيل وقيل ان المعنى اتى من موقن بربي
وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به تعالى غيره وأنت خير بان مساق النظم الكريم فيما سبق
وما لحق على وضعهم تكذيب آيات الله تعالى بسبب عدم مجيء العذاب الموعود فيها فتكذيبهم به سبحانه في امر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام اصلا
قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب الذي ورد به الوعيد بان يكون ناجزه مفوضا الي من جهته تعالى
لقضي الامر بيني وبينكم اي بان ينزل ذلك عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره وفي بناء الفعل للمفعول في الابتداء
بتعيين الذي هو الله سبحانه وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب مالا يخفى فما قيل في تغييره لما لهم تكلم عاجلا غضبا لربي وتخلصت منكم
سريعا بمعزل من توفية المقام حقه وقوله تعالى والله اعلم بالظالمين اعتراض مقرر لما افاده الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر
العذاب مفوضا اليه مستتبع لانتفاء قضاء الامر وتعليل له والمعنى والله اعلم بحال الظالمين وبانهم مستحقون للامهال طريق
الاستدراج لتشديد العذاب وكذلك لم يفوض الامر الي فلم يقض الامر بتعجيل العذاب والله اعلم وعنده مفاتح الغيب بيان لاختصاص
المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاص كلها به تعالى من حيث القدرة والمفاتح اما جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن
وهو مستعار لمكان من الغيب كانها مخازن خزنت فيها الامور الغيبية تغلق عليها وتفتح واما جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح ويؤيده

قراءة من قرأ مفاتيح الغيب فهو مستعار لما يتوصل الى تلك الأمور بناء على الاستعارة الأولى عنده تعالى خاصة خزائن غيوبه وما يتوصل به اليها وقوله عز وجل لا يعلمها الا هو تاكيد لمضمون ما قبله وايذان بان المراد هو الاختصاص من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما تستعجلونه من العذاب ليس مقدورا لي حتى الزمكم بتعجيله ولا معلوما لدي لاخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى علما وقدرة وعلما فينزله حسبما يقتضيه مشيته المبنية على الحكم والمصالح وقوله تعالى ويعلم ما في البر والبحر بيان لتعلق علمه تعالى بالمغيبات اثر بيان تعلقه بها بكلمة له وتنبيها على ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط سواء في الجلاء اي يعلم ما فيهما من الموجودات مفصلة على اختلاف اصنافها وانواعها وتكثير افرادها وقوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها بيان لتعلقها بما هو الحالة المتغيرة بعد بيان تعلقه بذواتها فان تخصيص حال السقوط ليس لان الطريق الكتفاء عن ذكر سائر الاحوال كما ان ذكر حال الورقة وما عطف عليها خاصة دون احوال سائر ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة للحصر باعتبار انها انموذج لكل احوال سائرها وقوله تعالى ولا حبة عطف على ورقة وقوله تعالى في ظلمات الارض متعلق بمحذوف هو صفة لحبة مفيدة لكمال تعذر علمه تعالى اي ولا حبة كائنة في بطون الارض الا يعلمها وكذا قوله تعالى الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين عبارة عن علمه تعالى او بدل الاشتمال على انه عبارة عن اللوح المحفوظ وقرئ الاخيران بالرفع عطفا على محل من ورقة وقيل رفعهما بالابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الانسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شانه السقوط وقد تعلل قراءة الرفع في ولا حبة ايضا وهو الذي يتوفيكم بالليل اي يميتكم فيه على استعارة التوفي من الامانة للاماتة لما بين الموت والنوم من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز واصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار اي ما كسبتم فيه والمراد بالليل والنهار الجنس المتحقق في كل فرد من افرادهما اذ بالتوفي والبعث الموجودين فيما يتحقق قضاء الاجل المسمى المترتب عليهما الا في بعضها والمراد بعلمه تعالى ذلك علمه تعالى قبل الجرح كما يلوح به تقديم ذكره على البعث اي يعلم ما تجرحون بالنهار وصيغة المضي للدلالة على التحقق وتخصيص التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما خص بالآخر للجري على سنن العادة ثم يبعثكم فيه اي يوقظكم في النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط قوله تعالى ويعلم الخ بينهما لبيان ما في بعثهم من عظيم الامر اليهم بالتنبيه على ان ما يكتسبونه من السيئات مع كونها موجبة لابقائهم على التوفي بل لاهلاكهم بالمرة يقيض عليهم الحيوة ويمهلهم كما ينبئ عنه كلمة الرجاء كانه قيل هو الذي يتوفيكم في جنس الليالي ثم يبعثكم في جنس النهار مع علمه بما تجترحون فيها ليقضى اجل مسمى معين الكل فرد فرد بحيث لا يكاد يتخطى ابدا ما عين له طرفة عين ثم اليه مرجعكم اي رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة بما عملتم اثر كنتم تعلمونها في تلك الليالي والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملعونون كالجيف بالليل كاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من قبوركم فيشافهكم بما قطعتم به اعماركم في النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضي الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وحشرهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاخلال الافضائه الى كون البعث معللا بقضاء الاجل المضروب وهو القاهر فوق عباده اي هو المتصرف في امورهم لا غير يفعل بهم ما يشاء ايجادا واعداما واحياء وامانة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك ويرسل عليكم حافظة اي ملائكة يحفظون اعمالكم وقيل حفظة من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف هو حال من حفظة اذ لو تاخر لكان صفة اي كائنين عليكم وقيل متعلق بحفظة والمحفوظ محذوف على كل حال اي يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم كائنا ما كان وفي ذلك حكمة جليلة ونعمة جميلة لما ان المكلف اذا علم ان اعماله تحفظ عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ذلك ازجر له عن تعاطي المعاصي والقبائح وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشمه احتشامه من خدمه الواقفين على احواله وحتى في قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت هي التي يبتدأ بها الكلام وهي مع ذلك تجعل ما بعدها في الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا من كان وجاءه اسباب الموت ومباديه

ولا رطب ولا يابس معطوف على ما في حكمها داخلان في حكمها وقوله صح

توفته رسلنا الآخرون المفوض اليهم ذلك وهم ملك الموت واعوانه وانتهى هناك لفظ الحفظة وقرئ توفاه ماضيا او مضارعا
بطرح احدى التائين وهم اى الرسل لا يفرطون اى بالتواني والتاخير وقرئ بتخفيف الافراط اى لا يجاوزون ما حدّ لهم بزيادة
او نقصان والجملة حال من رسلنا وقيل مستانفة سيقت لبيان اعتنائهم بما ارواحه وقوله ثم ردوا عطف على توفته والضمير للكل المدلول
عليه باحدكم وهو السر في مجيئه بطريق الالتفات تغليبا والافراد اولا والجمع آخرا لوقوع التوفي على الانفراد والرد على الاجتماع اى ثم
ردوا بعد البعث بالحشر الى الله اى الى حكمه وجزائه في موقف الحساب مولاهم اى مالكهم الذي يلي امورهم على الاطلاق لا ناصرهم كما
في قوله وان الكافرين لا مولى لهم الحق الذي لا يقضي الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ صورة ومعنى لا لاحد
غيره بوجه من الوجوه وهو اسرع الحاسبين يحاسب جميع الخلق في اسرع زمان واقصره لا بشغله حساب عن حساب. وفي الاثر ان سرعة
حساب الله تعالى كسرعة الكل على مقدار حلب شاة قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اى قل تعرّفهم بالخطاب تذكيرا لهم
عن رتبة الالهية من ينجيكم من شدائدها الهائلة التي تبطل الحواس وتدهش العقول ولذلك يستغيث لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر
يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كوكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرئ ينجيكم من الانجاء والمعنى واحد وقوله تعالى تدعونه
تنصب على الحالية من مفعول ينجيكم والضمير لمن اى من ينجيكم منها حال كونكم داعين له او من فاعله اى من ينجيكم منها حال كونه موجوا جهتكم
وقوله تعالى تضرعا وخفية اما حال من فاعل تدعون او مصدر مؤكد له اى تدعونه متضرعين جهارا وسرين او تدعونه دعاء اعلان
واخفاء وقرئ خفية بكسر الخاء وقوله تعالى لئن انجيتنا حال من الفاعل ايضا على تقدير القول اى قائلين لئن انجيتنا من هذه
الشدة والورطة التي عبر عنها بالظلمات لنكونن من الشاكرين اى الراسخين في الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة او جميع النعم
التي من جملتها هذه وقرئ لئن انجانا مراعاة لقوله تعالى تدعونه قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب امر عم بتقرير الجواب مع
كونه من وظائفهم للايذان بانه متعين عندهم ولبنائه قوله تعالى ثم انتم تشركون عليه اى الله تع وحده ينجيكم فتدعونه الى
كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم والكروب ثم انتم بعد ما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تع غيره وقرئ ينجيكم
بالتخفيف وقوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا استئناف مسوق لبيان انه تع هو القادر على الغائهم الى الهلاك
اثر بيان انه هو المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب الاشر اكهم المذكور على طريقة قوله عز وجل اءمنتم ان يخسف بكم جانب البر الى قوله
ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى الآية وعليكم متعلق ببعث وتقديمه على مفعوله الصريح للاعتناء به والمسارعة الى بيان كون
المبعوث مما يفزعهم والتهويل او الموجز وقوله تعالى من فوقكم متعلق به ايضا او بمحذوف وقع صفة لعذابا اى عذابا كائنا من جهة
الفوق كما فعل بمن فعل من قوم لوط واصحاب الفيل واضرابهم او من تحت ارجلكم اى من جهة السفل كما فعل بقرعون وقارون وقيل
من فوقكم كالحجارة والريح من تحت ارجلكم كالخسف والغرق او يرسل عليكم من فوقكم كالصواعق والكواكب ومن تحت ارجلكم كالزلازل
بقوم نوح او يلبسكم شيعا اى يخلطكم فرقا متحزبين على اهواء شتى كل فرقة مشايعة للايام فينشب بينكم القتال فتختلطوا
في الملاحم كقول الحماسي وكيته لبيتها بكتيبة حتى اذا البيت نعفت لها يدى ويذيق بعضكم باس بعض عطف على يبعث وقرئ
بنون العظمة على طريق الالتفات للتهويل والمبالغة في التحذير والبعض الاول الكفار والآخر المؤمنون فيه وعد ووعيد عن رسول الله ص
انه قال عند قوله تع عذابا من فوقكم اعوذ بوجهك وعند قوله تع او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض هذا اهون وهذا ايسر وعنه عليه السلام انه قال
سالت ربي ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم ومن تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني ذلك انظر كيف نصرف
الآيات من حال الى حال لعلهم يفقهون كي يفقهوا ويتفطنوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المحاربة والعناد وكذب به
اى بالعذاب الموعود او بالقرآن المجيد الناطق بمجيئه قومك اى المعاندون منهم ولعل ايرادهم بهذا العنوان للايذان بكمال سوء حالهم
فان تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه ص مما يقضي بغاية عتوهم ومكابرتهم وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من اظهار

الاهتمام

الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى وهو الحق حال من الضمير المجرور اى كذبوا والحال انه الواقع لا محالة او انه الكتاب
الصادق فى كل ما نطق به وقيل هو استئناف وايا ما كان ففيه دلالة على عظم جناياتهم ونهاية قبحها قل لهم منبها على نزول البيع
او انهم وعلى انك قد اديت ما عليك من وظائف الرسالة لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم لامنعكم من التكذيب واجبركم
الى التصديق انما انا منذر وقد خرجت من العهدة حيث اخبرتكم بما سترونه لكل نبإ اى لكل شىء ينبأ به من الانباء التى من جملتها عذابكم
او لكل خبر من الاخبار التى من جملتها خبر مجيئه مستقر اى وقت استقرار بوقوع مدلوله وسوف تعلمون اى حال نبائكم فى الدنيا او فى
الاخرة او فيهما معا وسوف للتاكيد كما فى قوله تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين واذا رايت الذين يخوضون فى اياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها
والطعن فيها كما هو داب قريش ودينهم فاعرض عنهم بترك مجالستهم والقيام عنهم وقوله تعالى حتى يخوضوا فى حديث غيره غاية للاعراض
اى استمر على الاعراض الى ان يخوضوا فى حديث غير اياتنا والتذكير باعتبار كونها حديثا فان وصف الحديث بمغايرتها مشير الى اعتبارها بعنوان
الحديثية وقيل باعتبار كونها قرانا واما ينسينك الشيطان بان يشغلك فتنسى النهى فتجالسهم ابتداء وبقاء وقرئ ينسينك من التنسية
فلا تقعد بعد الذكرى اى بعد تذكر النهى مع القوم الظالمين اى معهم فوضع المظهر موضع المضمر نعيا عليهم انهم بذلك الخوض ظالمون
واضعون التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم راسخون فى ذلك وما على الذين يتقون روى عن ابن عباس ان المسلمين
حين نهوا عن مجالستهم عند خوضهم فى الايات قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس فى المسجد الحرام ونطوف بالبيت
فنزلت اى ما على الذين يتقون قبائح اعمال الخائضين واحوالهم من حسابهم اى مما يحاسبون عليه من الجرائر من شىء اى شىء ما
على انه فى محل الرفع على انه مبتدأ وما تميمية او اسم لها وهى حجازية ومن مزيدة للاستغراق ومن حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون فى محل الرفع
على انه خبر للمبتدأ او لما الحجازية على راى من يجيز اعمالها فى الخبر المقدم مطلقا او فى محل النصب على راى من يجوز اعمالها فى الخبر المقدم عند كونه ظرفا
او حرف جر ولكن ذكرى استدراك من النفى السابق اى ولكن عليهم ان يذكروهم ويمنعوهم عما هم عليه من القبائح بما امكن من العظة
والتذكير ويظهروا لهم الكراهة والنكير ومحل ذكرى اما النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المحذوف اى عليهم ان يذكروهم تذكيرا او الرفع على انه
مبتدأ محذوف الخبر اى ولكن عليهم ذكرى لعلهم يتقون اى يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم وقد جوز كون الضمير للموصول اى
يذكرونهم رجاء ان يثبتوا على تقويهم او يزدادوها وذر الذين اتخذوا دينهم الذى كلفوه وامروا باقامة مواجبه لعبا ولهوا
حيث سخروا به واستهزؤا او بنوا امر دينهم على ما لا يكاد يتعاطاه العاقل بطريق الجد وانما يصدر عنه لو صدر بطريق اللعب واللهو
كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب ونحو ذلك والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله تعالى
ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الاية وغرتهم الحيوة الدنيا واطمانوا بها حتى زعموا ان لا حيوة بعدها ابدا وذكر به اى بالقران من يصلح
للتذكير ان تبسل نفس بما كسبت اى لئلا تبسل كقوله تعالى ان تضلوا الاية او مخافة ان تبسل او كراهة ان تبسل نفوس كثيرة
كما فى قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وترتهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه او لانه ممتنع
والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اى حرام ممنوع وقد جوز ان يكون الضمير المجرور فى به راجعا الى الابسال مع عدم جريان
ذكره كما فى ضمير الشان ويكون الجملة بدلا منه مفسرا له لما فى الابهام اولا والتفسير ثانيا من التفخيم وزيادة التقرير كما فى قوله على جوده لضن بالماء
حاتم بجر حاتم على انه بدل من ضمير جوده فالمعنى وذكر بابسال النفوس وحبسها بما كسبت وقوله تعالى ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع
استئناف مسوق للاخبار بذلك وقيل فى محل النصب على انه حال من ضمير كسبت وقيل فى محل الرفع على انه صفة لنفس والاظهر على انه حال
من نفس فانه فى قوة نفس كافرة او نفوس كثيرة كما فى قوله تعالى علمت نفس ما احضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال من ولى كما بين فى تفسير
قوله تعالى وانذر به الاية وقيل هو خبر لليس فيكون لفظ لها متعلقا بمحذوف على البيان وان تعدل اى تفد تلك النفس كل عدل
اى كل فداء على انه مصدر مؤكد لا يؤخذ منها على اسناد الفعل الى الجار والمجرور لا الى ضمير العدل كما فى قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل

تأمله البيضاوي

صدره
على حالة لو ان فى النوم حاتما

فانه المعدى لا المصدر كما مر فيه • اولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم فى سوء الحال ومحله الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى • الذين ابسلوا بما كسبوا • والجملة مستانفة سيقت اثر تحذيرهم من الابسال المذكور لبيان انهم المبتلون بذلك اى اولئك المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحيوة الدنيا هم الذين ابسلوا الى ما كسبوا من القبائح وقوله تعالى لهم شراب من حميم • استئناف آخر مبين لكيفية الابسال المذكور وعاقبته مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل ماذا لهم حين ابسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب من ماء يغلى يتجرجر فى بطونهم ويتقطع به امعاؤهم • وعذاب اليم • بنار تشتعل ابدانهم • بما كانوا يكفرون • اى بسبب كفرهم المستمر فى الدنيا وقد جوز ان يكون لهم شراب الخ حالا من ضمير ابسلوا وترتيب ما ذكر من العذابين على كفرهم مع انهم معذبون بسائر معاصيهم ايضا مبنى على ما نطق به قوله تعالى بما كسبوا الآية بالعمدة فى ايجاب العذاب والا فهم فى باب التحذير اوارید بكفرهم ما هو اعم منه ومن مستتبعاته من المعاصى والسيئات هذا وقد جوز ان يكون اولئك اشارة الى النفوس المدلول عليها بنفس محل الرفع بالابتداء والموصول الثانى صفته او بدل منه ولهم شراب الخ خبره والجملة مسوقة لبيان تبعة الابسال • قل اندعو من دون الله • الخ نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاصنام فتوجيه الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للايذان بما بينهما من الاتحاد والاتحاد تنويها بشان التوحيد اى انعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات الالوهية التى من جملتها القدرة على النفع والضر مالا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على ضرنا اذا تركناه وادنى مراتب المعبودية القدرة على ذلك • وان نرد على اعقابنا • عطف على ندعو داخل فى حكم الانكار والنفى اى ويرد الينا الشرك والتعبير عنه بالرد على الاعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره بصورة ما هو علم فى القبح مع ما فيه من الاشارة الى كون الشرك حالة قد تركت ونبذت وراء الظهر واثبات نرد على نرتد لتوجيه الانكار الى الارتداد برد الغير تصريحا بمخالفة المضلين وقطعا لاطماعهم الفارغة واية انا بان الارتداد من غير ارادة ليس فى حيز الاحتمال ليحتاج الى نفيه وانكاره وقوله تعالى • بعد اذ هدانا الله • اى الى الاسلام وانقذنا من الشرك متعلق بنرد مسوق لتاكيد الانكار لا لتحقيق معنى الرد وتصويره فقط الا لكفى ان يقال بعد اذ اهتدينا كأنه قيل ونرد الى الشرك باضلال المضل بعد اذ هدانا الله الذى لا هادى سواه وقوله تعالى • كالذى استهوته الشياطين • فى محل النصب على انه حال من مرفوع نرد اى انرد على اعقابنا مشبهين بالذى استهوته مردة الجن واستغوته الى المهامه والمهالك على انه نعت لمصدر محذوف اى نرد ردا مثل رد الذى استهوته الخ والاستهواء استفعال من هوى فى الارض اذا ذهب فيها كأنها طلبت هوية ووصفت عليه وقرئ استهواه بالف مماله وقوله تعالى • فى الارض • اما متعلق باستهوته او بمحذوف هو حال من مفعوله اى كائنا فى الارض وكذا قوله تعالى • حيران • حال منه على انها بدل من الاولى او حال ثانية عند من يجيز تعدد الحال او من الذى او من المستكن فى الظرف اى تائها مدهوشا لا يدرى ما يصنع وقوله تعالى • لا اصحاب • جملة فى محل النصب على انها صفة لحيران او حال من الضمير فيه او مستانفة سيقت لبيان حاله وقوله تعالى • يدعونه الى الهدى • صفة لاصحاب اى لذلك المستهوى رفقة يهدونه الى الصراط المستقيم تسمية له بالمصدر مبالغة كأنه نفس الهدى • ائتنا • على ارادة القول على انه بدل من يدعونه ليس ممن يوف الطريق المستقيم ليدعى الى اتيانه وانما يدرك بمتابعة الداعى ومورد العتق فقط • قل ان هدى الله • الذى هدانا اليه وهو الاسلام • هو الهدى • وحده وما عداه ضلال محض وغى يجب كقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ونحوه وتكريرا لاعتناء بشان المامور به ولان ما سبق للرد على من دعاه الى الشرك وهذا حث على الاسلام وهو توطئة لما بعده فان اختصاص الهدى بهداه تع مما يوجب الامتثال بالاوامر الواردة بعده • وامرنا • عطف على ان هدى الله هو الهدى داخل تحت القول واللام • لنسلم لرب العالمين • لتعليل الامر المحكى وتعيين ما اريد به من الاوامر الثلثة كما فى قوله تع قل لعبادى الذين امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا الآية كأنه قيل امرنا • وقيل • لنا اسلموا لاجل ان نسلم • وقيل • هى بمعنى الباء اى امرنا بان نسلم • وقيل • زائدة اى امرنا ان نسلم على حذف الباء وقوله تعالى • وان اقيموا الصلوة واتقوه • اى تعالى فى مخالفته امره عطف على نسلم عن الوجوه الثلثة على ان ان المصدرية اذا وصلت بالامر تجرد عن معنى الامر نحو جرد الصلة الفعلية عن معنى المضى والاستقبال فالمعنى على الاول امرنا اى قيل لنا

من شرابهم الحميم وعذابهم الاليم منه

اولئك اى الذين يقولون ائتنا وتلك اشارة الى انهم مهتدون ثابتون على الطريق المستقيم وان من يدعونه صح صح صح

اسلموا واقيموا الصلوة واتقوا الله لاجل ان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه تعالى والتعرض لوصف ربوبيته تعالى لتعليل الامر وتاكيد وجوب
الامتثال به كما ان قوله تعالى وهو الذى اليه تحشرون جملة معترضة موجبة للامتثال بما امر به من الامور وهو الذى خلق السموات
والارض اريد بخلقها خلق ما فيهما ايضا وعدم التصريح بذلك لظهور اشتمالها على جميع العلويات والسفليات وقوله تع بالحق متعلق بمحذوف
وهو حال من فاعل خلق او من مفعوله او صفة لمصدره المؤكد له اى قائما بالحق او ملتبسا به وقوله تع ويوم يقول كن
فيكون قوله الحق استئناف ببيان ان خلقه تعالى لما ذكر من السموات والارض ليس مما يتوقف على مادة او مدة بل يتم بمحض الامر التكوينى
من غير توقف على شئ آخر اصلا وان ذلك الامر المتعلق بكل فرد من افراد المخلوقات فى حين معين من افراد الازمنة التى تقع فيها
ويوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى داخل عليها وتقديمه عليها للاعتناء به من حيث انه مدار الحقية وترك ذكر القول له
للثقة بغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقا او تمثيلا كما هو المشهور فالمعنى واحد والمتعلق بكل شئ يريد خلقه من الاشياء فى حين
تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد الاحياء الحق اى المشهود له بالحقية الموصوف بما ذكر وقيل قوله مبتدأ والحق صفته ويوم يقول خبره
مقدما عليه كقولك يوم الجمعة القتال وانتصابه بمعنى الاستقرار وحاصل المعنى قوله الحق كائن حين يقول لشئ من الاشياء كن فيكون
ذلك الشئ وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الضمير فى واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون
على معنى حين يقول لتلك القضاية الحق كن فيكون والمراد حين يكون الاشياء ويحدثها او حين يقوم القيمة فيكون التكوين عبارة عن احياء الاموات
واحيائها فتأمل حق التأمل وله الملك يوم ينفخ فى الصور تقييد اختصاص الملك به تعالى بذلك اليوم مع عموم الاختصاص لجميع
الاوقات لغاية ظهور ذلك بانقطاع العلائق المجازية الكائنة فى الدنيا المصححة للمالكية المجازية فى الجملة كقوله تع لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالمهما وهو الحكيم فى كل ما يفعله الخبير بجميع الامور الجلية والخفية واذ قال
ابراهيم منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم معطوف على قل ادعوا الاعلى اقيموا كما قيل لغاية المعنى اذكر
لهم بعد ما انكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع وضر وحققت ان الهدى هو هدى الله تعالى وما يتبعه من شئونه تعالى وقت قول ابراهيم الذى
يزعمون انهم على ملته مؤبخا لابيه آزر على عبادة الاصنام فان ذلك مما يكبتهم وينادى بفساد طريقتهم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت
دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة للتكرار امر المبالغة فى ايجاب ذكرها وآزر بزنة آدم وعابر وعاذر وقالح وكذلك
تارخ ذكره محمد بن اسحق والضحاك والكلبى وكان من قرية من سواد الكوفة ومنع صرفه للعجمة والعلمية وقيل اسمه بالسريانية تارخ وآزر
لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب هو به للزومه عبادته فهو عطف بيان لابيه او بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الاخفش
المخطئ وقال الفراء وسليمان التيمى المعوج فهو نعت له كما اذا جعل مشتقا من الازر والوزر اراد به عابد آزر على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ ازر على النداء لا من الاعلام اتتخذ متعد الى مفعولين هما اصناما آلهة اى اتجعلها
آلهة على توجيه الانكار الى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وانما اريد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ ازر بفتح الهمزة وكسر ما بعدها على
الاستفهام وزآء ساكنة وراء منونة منصوبة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا ثم قيل تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل
تحت الانكار لكونه بيانا له وقيل الازر القوة والمعنى الاجلاد والمظاهرة تتخذ اصناما آلهة انكارا للتعزز بها على طريقة قوله تعالى ليكونوا عليهم
القوة انى اراك وقومك الذين يتبعونك فى عبادتها لفى ضلال عن الحق مبين اى بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه اصلا والرؤية
اما علمية فالظرف مفعولها الثانى واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار والتوبيخ وكذلك نرى ابراهيم من الارآءة
من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة اى عرفناه وبصرناه وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك اشارة الى مصدر
نرى للارآءة اخرى منهومة من قوله انى اراك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل وكمال تميزه بذلك وانتظامه
بسببه فى سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها الاول النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير

نرى ابراهيم ارادة كائنة مثل تلك الارآءة فقدم على الفعل لافادة القصر واعيرت الكاف معنى
لانعالة اى ذلك التبصير البديع نبصره ع ملكوت السموات والارض اى ربوبيته تع ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بافيها
مربوبا ومملوكا له تع لا تبصيرا آخر ادنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر وهل
مختص بملك الله عز سلطانه او لا فقد قيل والاول هو الاظهر وبه قال الراغب وقيل ملكوتهما عجائبهما وبدائعهما روى انه كشف له ع
عما تحت السموات والارض حتى العرش واسفل الارضين وقيل آياتهما وقيل ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والاشجار وهذه الاقوال
لا تقتضي ان تكون الارآءة بصرية اذ ليس المراد بارائة ما ذكر من الامور الحسية مجرد تمكينه ع من ابصارها وشاهدتها بل اطلاعه ع على حقائقها
وتوجيهها من حيث دلالتها على شؤونه عز وجل ولا ريب في ان ذلك ليس مما يدرك حسا كما ينبئ عنه اسم الاشارة المنبئ عن كون المرائي امرا بديعا
فان الارآءة البصرية المفادة بمثل تلك المثابة وقرئ ترى بالتاء واسناد الفعل الى الملكوت اى تبصره ع دلائل الربوبية واللام في قوله
وليكون من الموقنين متعلقة بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اى وليكون ع من زمرة الراسخين في الايقان البالغين درجة
عين اليقين من معرفة الله تع فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لامر آخر فان المحصول الى تلك الغاية القاصية كاف مترتب على ذلك التبصير
لا عينه وليس القصد لبيان انحصار فائدة فيه فان كيف لا وارشاد الخلق وافحام المشركين كما سيأتي من فوائده بلا مرية بل لبيان انه الاصل
الاصيل والبالغ من مستتبعاته وقيل هي متعلقة بالفعل السابق والجملة معطوفة على علة اخرى محذوفة يستدعي عليها الكلام اي ليستدل بالكوكب ونحوه
فينبغي ان يراد بملكوتهما بدائعهما وآياتهما لان الاستدلال من غايات ارآءته ع لا من غايات ارادته لنفس الربوبية وقوله تع فلما جن عليه الليل
على الاول وهو الحق المبين عطف على قال ابراهيم داخل تحته ع ربوبيته ومالكيته للسموات والارض وما فيهما وكون الكل مقهورا لا كنه ملكوته
منقوادا اليه في الوجود وسائر ما يترتب عليه من الكمالات وكونه ع من الراسخين في معرفة شؤونه تع الواصلين الى ذروة عين اليقين حسبما يفيض به الحكيم
عليه السلام بامتحالة الهتية ما سواه سبحانه من الاصنام والكواكب على الثاني هو تفصيل لما ذكر من ارآءته ملكوت السموات والارض وبيان
لكيفية استدلاله ع ووصوله الى رتبة الايقان ومعنى جن عليه الليل ستره بظلامه وقوله تع رأى كوكبا جواب لما خان رؤيته تما تحقق
بزوال نور الشمس عن الحس وهذا صريح في انه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق انه كان
قريبا في الغروب كما ستعرفه قيل كان ذلك الكوكب هو الزهرة وقيل هو المشتري وقوله تع قال هذا ربي استئناف مبني على سؤال
نشأ من الشرطية السابقة المتفرعة على بيان ارائته ع ملكوت السموات والارض فان ذلك مما يجعل السامع على استكناف ما ظهر منه ع
من آثار تلك الارآءة واحكامها كأنه قيل فما ذا صنع ع حين رأى الكوكب فقيل قال على سبيل الوضع والفرض هذا ربي على مجاراة مع ابيه
وقومه الذين يعبدون الاصنام والكواكب فان المستدل على فساد قول يحكيه على رأي خصمه ثم يكر عليه بالابطال ولعل سلوك هذه
الطريقة في بيان استحالة ربوبية الكوكب دون بيان استحالة الهتية الاصنام لما ان هذا اضعف بطلانا واستحالة من الاول فلو صدع بالحق
من اول الامر لكما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم يعمهون وقيل قاله ع على وجه النظر والاستدلال
وكان ذلك في زمان مراهقته واول آوان بلوغه وهو مبني على تنزيل الملكوت بآياتهما وعطف قوله تع ليكون على ما ذكر من العلة المقدرة
وجعل قوله تع فلما جن الخ تفصيلا لما ذكر من الارآءة وبيانا لكيفية الاستدلال وانت خبير بان كل ذلك مما يجل بجلالة النظم الجليل
وجلالة منصب الخليل عليه السلام فلما افل اى غرب قال لا احب الآفلين اى الارباب المستعلين من مكان الى مكان المتغيرين
من حال الى حال المحتجبين بالاستار فانهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعا فلما رأى القمر بازغا اى مبتدئا في الطلوع او
غروب الكوكب قال هذا ربي على الاسلوب السابق فلما افل كما افل النجم قال لئن لم يهدني ربي الى ضياء الذي هو الحق
الذي لا محيد عنه لاكونن من القوم الضالين فان شيئا مما رأيته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة منه ع في اظهار النصفة ولعله ع
كان اذ ذاك في موضع كان في جانبه الغربي جبل شامخ يستتر به الكوكب والقمر وقت الظهر من النهار او بعده بقليل وكان الكوكب

قبل طلوعه وآفلة الشرقي مكشوفا اولا والا فطلوع القمر بعد أفول الكوكب ثم أفوله قبل طلوع الشمس كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة
اى مبتدأة في الطلوع مما لا يكاد يتصور قال اى على الكتهج السابق هذا ربي وانما لم يؤنث لما ان المشار اليه والمحكوم عليه بالربوبية
هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمى بما يعم من الاسامي فضلا عن خصوصية تسميته بالشمس او لتذكير الخبر وصيانة الرب عن وصمة التانيث
وقوله تعالى هذا اكبر تاكيد لما اراده عم من اظهار التصفة مع اشارة خفية الى فساد دينهم من جهة اذ فيه بيان ان الاكبر احق بالربوبية من الاصغر
فلما افلت ايضا كما افل الكوكب والقمر قال مخاطبا للكل صادعا بالحق بين اظهرهم يا قوم اني بريء مما تشركون اى من الذي
تشركونه من الاجرام المتغيرة المتغيرة من حالة الى اخرى المستحقة لمحدثها او من اثر الحكم وترتيب هذا الحكم ونظيريه على الاول دون البرهنة
والظهور من ضروريات سوق الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فان كلا منهما وان كان في نفسه اشتمالا منافيا لاستحقاق موضوعه للربوبية قطعا لكن
لما كان الاول حالة موجبة لظهور الآثار والاحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق في الجملة رتب عليها الحكم الاول على الطريقة المذكورة وحيث كان
الثاني حالة مقتضية لانطماس الآثار وبطلان الاحكام المنافيين للاستحقاق المذكور منافاة بينة بكاد يعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها
ما رتب ثم لما تبرأ عم منهم توجه الى مبدع هذه المصنوعات ومنشئها فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات التي هذه الاجرام
التي تعبدونها من اجزائها والارض التي تغيب هي فيها حنيفا اى مائلا عن الاديان الباطلة والعقائد الزائغة كلها وما انا
من المشركين في شيء من الاشياء والاقوال وحاجه قومه اى شرعوا في مغالبته في امر التوحيد قال استئناف وقع جوابا
عن سؤال نشأ من حكاية مجاجتهم كانه قيل فماذا قال لهم حين حاجوه فقيل قال منكرا عليهم اتحاجوني في الله اجروا عليه من محاجته عم مع قصورهم عن تلك
الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم اتحاجوني في الله بادغام نون الجمع في نون الوقاية وقرئ بحذف الاولى وقوله تع وقد هدان
حال من ضمير المتكلم مؤكدة للانكار فان كونه عم مهديا من جهته الله تعالى ومؤيدا من عنده مما يوجب استحالة محاجته عم اى انجاد لوني في شانه
تع ووحدانيته والحال انه تع هداني الى الحق بعد ما سلكت طريقتكم بالفرض والتقدير وتبين بطلانها تبينا تاما كما شاهدتموه قوله تع
ولا اخاف ما تشركون به جواب عما خوفوه عم في اثناء المحاجة من اصابة مكروه من جهة اصنامهم كما قال هود عم قوله ان نقول
الا اعتراك بعض الهتنا بسوء ولعل فعلوا ذلك حين فعل عم بآلهتهم ما فعل وما موصولة اسمية حذف عائدها وقوله تع
الا ان يشاء ربي شيئا استثناء مفرغ من اعم الاوقات اى لا اخاف ما تشركونه سبحانه من معبوداتكم في وقت من الاوقات الا في وقت مشيته تع شيئا
من اصابة مكروه من جهتها وذلك انما هو من جهته تع غير داخل الهتكم فيه اصلا وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير عم
اظهار منه لانقياده تعالى وسلامة لامره والتفات للكون تحت ملكوته وربوبيته تع وقوله تع وسع ربي كل شيء علما
كالتعليل للاستثناء اى احاط بكل شيء علما فلا يبعد ان يكون في علمه تعالى ان لحصول مكروه من قبلها بسبب من الاسباب وفي الاظهار
في موضع الاضمار تاكيد للمعنى المذكور واستدعاء اذ بذكره تعالى افلا تتذكرون اى اتوصفون عم التامل في ان آلهتكم جمادات غير قادرة
على شيء تام نفع ولا ضر فلا تتذكرون انتم غير قادرين على ضر اري وفي ايراد التذكير دون التفكر ونظائره اشارة الى ان امرهم
وكون في العقول لا يتوقف الا على التذكر وقوله تع وكيف اخاف ما اشركتم استئناف مسوق لنفي الخوف عنه عم بحسب علم الكلوة بالطريق
الالزامي كما ياتي بعد نفيه عنه بحسب الواقع ونفي الامر والاستفهام للانكار والوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله الخ وفي توجيه
الانكار الى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال الا اخاف لما ان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال
وكيفية من الكيفيات قطعا فاذا انتفى جميع احواله وكيفياته فقد انتفى وجوده في جميع الجهات بالطريق البرهاني وقوله عز وجل ولا تخافون
انكم اشركتم بالله حال من ضمير اخاف بتقدير مبتدا والواو كافية في الربط من غير حاجة الى الضمير العائد الى ذي الحال وهو مغن للانكار
الخوف ونفيه عم ومفيد للاعراض بذلك فلهم حيث لم يخافوا في محل الخوف ظنوا ان لا يخاف في محل الامن اولى واحرى اى كيف اخاف
انا ما ليس في حيز الخوف اصلا وانتم لا تخافون غائلة ما هو اعظم المخوفات واهولها وهو اشراكم بالله الذي ليس كمثله شيء

في الارض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته وانما عبر عنه بقوله تعالى ما لم ينزل به اي باشراكه عليكم سلطانا على طريقة التهكم مع الايذان بان الامور الدينية لا يقول فيها الا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى وفي تعليق الخوف الثاني باشراكهم من المبالغة ومراعاة حسن الادب مالا يخفى واما ما قيل من ان قوله تعالى ولا تخافون معطوف على اخاف داخل معه في حكم الانكار والتعجيب فلا سبيل اليه اصلا لافضائه الى فساد المعنى قطعا كيف لا وقد عرفت ان الانكار بمعنى النفي بالكلية فحمل المعنى الى نفي الخوف عنهم ونفي نفيه عنهم وانه بين الفساد وحمل الانكار في الاول على معنى نفي الوقوع وفي الثاني على استبعاد الواقع مما لا مساغ له على ان قوله تعالى فاي الفريقين احق بالامن ناطق ببطلانه صريحا فانه كلام مرتب على انكار خوفهم في محل الامن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف مسوق للجائهم الى الاعتراف باستحقاقهم لما هم عليه من الامن وبعدم استحقاقهم لما هم عليه وانما جيء بصيغة التفضيل المشوبة باستحقاقهم له في الجملة لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الانصاف والمراد بالفريقين الفريق الاول الآمن في محل الامن والفريق الآمن في محل الخوف فايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال فايتنا احق بالامن ان كنا او انتم لتاكيد الالجاء الى الجواب الحق بالتنبيه على علة الحكم والتنادي عن التصريح بنطقتهم للايجاز والاحتراز عن تزكية النفس ان كنتم تعلمون المفعول اما محذوف تعويلا على ظهوره بمعونة المقام اي ان كنتم تعلمون من احق بذلك او قصد الى التعميم اي ان كنتم تعلمون شيئا واما متروك بالمرة اي ان كنتم من اولي العلم وجواب الشرط محذوف اي فاخبروني الذين آمنوا استئناف من جهته تعالى مبني للجواب الحق الذي لا محيد عنه لاحد الفريقين الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم اي لم يخلطوه بظلم اي بشرك كما يفعله المشركون حيث يزعمون انهم يؤمنون بالله عز وجل وان عبادتهم للاصنام من تتمات ايمانهم واحكامه لكونها لاجل التقريب والشفاعة كما قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط اولئك اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وفي الاشارة اليه بعد وصفه باذكر ايذان بانهم تميزوا عن ذلك بغيرهم وانتظموا في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى لهم الامن جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر وقعت خبرا لاولئك وهو مع خبره خبر للمبتدأ الاول الذي هو الموصول ويجوز ان يكون اولئك بدلا من الموصول او عطف بيان له ولهم خبرا للموصول والامن فاعلا للظرف لاعتماده على المبتدأ ويجوز ان يكون لهم خبرا مقدما والامن مبتدأ والجملة خبرا للموصول اي اولئك الموصوفون باذكر من الايمان الخالي عن شوب الشرك لهم الامن فقط وهم مهتدون الى الحق ومن عداهم في ضلال مبين روي انه لما نزلت الآية شق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم فقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه السلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان بان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وليس من قصيتنا الخلط بقاء الاكثر بعد الخلق صفقة وقيل المراد بالظلم المعصية التي تتسبب صاحبها والظاهر هو الاول لورود الجواب عن حال الفريقين وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم عليه السلام من قوله تعالى فلما جن الى قوله تعالى مهتدون وما فيه من اسم الاشارة من معنى البعد لتفخيم شان المشار اليه والاشعار بعلو طبقته وسمو منزلته في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى حجتنا خبره وفي اضافتها الى نون العظمة مع التفخيم ما لا يخفى وقوله تعالى آتيناها ابراهيم اي ارشدناه اليها وعلمناه اياها في محل النصب على انه حال من حجتنا والعامل فيها معنى الاشارة كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا او في محل الرفع على انه خبر ثان او هو الخبر وحجتنا بدل او بيان للمبتدأ وابراهيم مفعول اول لآتينا قدم على الثاني لكونه ضميرا وقوله تعالى على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر اولئك او بمحذوف ان جعل بدلا اي آتينا ابراهيم حجتنا على قومه وقيل بقوله آتينا نرفع بنون العظمة وقرئ بالياء على طريقة الالتفات وكذلك الفعل الآتي درجات اي رتبا عظيمة عالية من العلم والحكمة وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض او الى درجات او على التمييز والمفعول قوله تعالى من نشاء وتاخيره على الوجوه الثلثة الاخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ومفعول المشية محذوف اي من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة ويستدعيه المصلحة وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على ان ذلك

سنة مستمرة جارية فيما بين المصطفين الاخيار وآثار صيغة الاستقبال للدلالة غير مختصة بابراهيم ع وقرئ بالاضافة الى ضمير والجملة مستانفة مقررة لما قبلها لا محل لها من الاعراب وقيل هي في محل النصب على انها حال من فاعل آتينا اي حال كونا نارا فعيل ع وان ربك حكيم فرحكم افعل من رفع وخفض عليم بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة والجملة تعليل لما قبلها وفي وضع الرتب مضافا الى ضميره ع موضع نون العظمة بطريق الالتفات تضاعيف بيان احوال ابراهيم ع واظهار لمزيد لطف وعناية به ع ووهبنا له اسحق ويعقوب عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا الخ فان عطف كل من الجملة الفعلية والاسمية على الاخرى مما لا نزاع في جوازه ولا مساغ لعطف آتينا تا لان له محلا من الاعراب نصبا ورفعا صابين من قبل فلو عطف هذا عليه لكان في حكمه على الحالية والجزية المستدعية للرابط ولا سبيل اليه ههنا كلا مفعول لما بعده وتقديمه عليه للتصدر لكن لا بالنسبة الى غيرهما مطلقا بل بالنسبة الى احدهما اي كل واحد منهما هدينا لا احدهما دون الآخر وترك ذكر المهدى اليه لظهور انه الذي اوتي ابراهيم وانهما مقتديان به ونوحا منصوب بمضمر يفسره هدينا من قبل اي من قبل ابراهيم عد تهداه نعمة على ابراهيم ع لان شرف الوالد سار الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم لان مساق النظم الكريم لبيان شئونه العظيمة من ايتاء الحجة ورفع الدرجات وهبة الاولاد والانبياء وابقاء هذه الكرامة في نسله الى يوم القيمة كما ذلك من ينتمي الى ملته ع من المشركين واليهود وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان الضمير له لاختص بالمعدودين في هذه الآية والتي بعدها واما المذكورون في الآية الثالثة فعطف على نوحا وروي عن ابن عباس رض ان هؤلاء الانبياء كلهم مضافون الى ذرية ابراهيم وان كان منهم من لم يلحقه بولادة قبل ام ولا اب لان لوطا ابن اخي ابراهيم والعرب تجعل العم ابا كما اخبر الله تعالى عن ابناء يعقوب انهم قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق مع ان اسمعيل عم يعقوب داود وسليمان منصوبان بمضمر مفهوم مما سبق وكذا ما عطف عليهما وبه يتعلق من ذريته وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بشانه مع ما في الفاعيل من نوع طول مما يخل تاخيره بتجاوب النظم الكريم اي وهدينا من ذريته داود وسليمان وايوب هو ابن اموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون او لمحذوف وقع من المذكورين اي وهدينا هم حال كونهم من ذريته وكذلك اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء ابراهيم ع ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نجزي المحسنين جزاء مثل ذلك الجزاء والتقدير وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين الجنس مع بمائلة جزائهم جزاءه ع مطلق المشابهة في مقابلة الاحسان بالاحسان والمكافاة بين الاعمال والاجزية من غير نحس لا المماثلة من كل وجه ضرورة ان لا جزاء بكثرة الاولاد للانبياء مما اختص به ابراهيم ع والاقرب ان لام المحسنين للعهد وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وهو عبارة عما اوتي المذكورون من فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير ونجزي المحسنين المذكورين جزاء كائنا مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل لافادة التقصر واعتبرت الكاف متعلقة بالكلمة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي وذلك الجزاء البديع نجزي المحسنين المذكورين لا جزاء آخر ادنى منه والاظهار في موضع الاضمار للثناء عليهم بالاحسان الذي هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المقارن لحسنها الذاتي وقد فسر عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها وذكريا هو ابن آذر ويحيى ابنه وعيسى هو ابن مريم وفيه دليل بين على ان الذرية تتناول اولاد البنات والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بين في الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى ع كل من الكل اي كل واحد من اولئك المذكورين من الصالحين اي من الكاملين في الصلاح الذي هو عبارة عن الاتيان بما ينبغي والنهوض بما لا ينبغي والجملة اعتراض جيء به للثناء عليهم بالصلاح واسمعيل واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز وقرئ الليسع وهو على التوهم من علم الجنس اذ دخل عليه اللام للاشتقاق له ويقال انه بوشع بن نون وقيل انه منقول من مضارع وسع واللام كما في يزيد في قول من قال

ثم ينقب الرابعة ع

التنعيم

زايت الوليد بن اليزيد مبارك شديدا باعتبار الخلافة كاملة ويونس هو ابن متى ولوطا بن هاران بن اخي ابرهيم
وكلا اي كل واحد من اولئك المذكورين فضلنا بالنبوة لا بعضهم دون بعض على العالمين على عالمي عصرهم واجلة اعتراض
كافية بها وقوله تعالى ومن اباءهم وذرياتهم واخوانهم اما متعلق باتعلق به من ذريته ومن ابتدائية والمفعول محذوف اي وهدينا
من آبائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات كثيرة واما معطوف على كلا ومن تبعيضية اي وفضلنا بعض اباءهم الخ واجتبيناهم عطف
على فضلنا اي اصطفيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير للتاكيد وتمهيد لما هدوا اليه ذلك اشارة الى ما بين
من النظم الكريم من مصادر الافعال المذكورة وقيل الى ما دانوا به وما في ذلك من معنى البعد لما قر قرارا هدى الله الاضافة للتشريف
يهدي به من يشاء من عباده وهم المستعدون للهداية والارشاد فيه اشارة الى انه تعالى متفضل بالهداية ولو اشركوا اي هؤلاء
المذكورون لحبط عنهم مع فضلهم وعلو طبقاتهم ما كانوا يعملون من الاعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وبتم نظم
واعمالهم اعمالهم اولئك اشارة الى المذكورين من الانبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم السلام باعتبار اتصافهم بما ذكر
من الهداية وغيرها من النعوت الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة مع الايذان ببعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف
وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب اي جنس الكتاب المتحقق في ضمن اي فرد كان من افراد الكتب السماوية والمراد بايتائه
التفهم التام بما فيه من الحقائق والتمكين من الاحاطة بالجلائل والدقائق اعم من ان يكون ذلك بالانزال ابتداء او بالابقاء بقاء
فان المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين والحكم اي الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الصواب والنبوة اي الرسالة
فان يكفر بها اي بهذه الثلثة او بالنبوة الجامعة للباقين هؤلاء اي كفار قريش فانهم يكفرون برسول الله صلى الله عليه وسلم
وما انزل اليه من القرآن كافرون بالبعثة جميعا وتقديم الجار والمجرور على الفاعل امر قرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر
فقد وكلنا بها اي امرنا برعايتها ووفقنا للايمان بها والقيام بحقوقها قوما ليسوا بها كافرين في وقت من الاوقات بل مستمرون
على الايمان بها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفي بمعونة المقام لان الدوام كما يتحقق
في مقامه قال ابن عباس رضه ومجاهد هم الانصار واهل المدينة وقيل اصحاب النبي عليه السلام وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل
الموكل فان كلا من هؤلاء الطوائف موقنون للايمان بالانبياء وبالكتب المنزلة اليهم عاملون بما فيها من اصول الشرائع وفروعها التي
في شريعتنا وبه يتحقق الخروج عن عهدة التوكيل والتكليف دون المنسوخة منها فانها بانتساخها خارجة عن كونها من احكامها
وقد مر تحقيقه في تفسير سورة المائدة وقيل هم الانبياء المذكورون فالمراد بالتوكيل الامر بما هو اعم من ايجاد احكامها كما هو شانهم في حق
كتابهم ومن اعتقاد حقيتها كما هو شانهم في حق سائر الكتب التي من جملتها القرآن الكريم وقيل هم الملكة فالتوكيل بمعنى الامر بانزالها
وحفظها واعتقاد حقيتها وايا ما كان فتنكير قوما للتفخيم والباء الاولى صلة لكافرين قدمت عليه لمحافظة على الفواصل والثانية للنفي وايا ما تقدم
صلة وكلنا على معموله الصريح فلما ذكر ان التفخيم بالاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول مما يؤدي تقديمه الى الاخلال
بتجاوب النظم الكريم او الى الفصل بين الصفة والموصوف وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور اي فان يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد به اصلا
فقد وفقنا للايمان بها قوما ليسوا بكافرين بها قطعا بل مستمرون على الايمان بها والعمل بما فيها فضلا عن ايمانهم بها مندوضة عنها هؤلاء
وعن هذا تبين ان الوجه ان يكون المراد بالقوم احدى الطوائف المذكورة اذ بايمانهم بالقرآن والعمل باحكامه يتحقق الغنية عن ايمان
الكفرة به والعمل باحكامه واما الانبياء والملائكة عم فايمانهم به ليس من قبيل ايمان آحاد الامة كما اشير اليه اولئك اشارة
الى الانبياء المذكورين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعلو رتبتهم وهذا مبتدا خبره قوله تعالى الذين هدى الله اي الى الحق والنهج المستقيم
والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الهداية فبهداهم اقتده اي فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم
طريقتهم في الايمان بالله تعالى وتوحيده واصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى هدى والهاء في اقتده

زائدة لتاكيد

للوقف

للوقف حقها ان تسقط فى القديم والقابلة للنسخ غايتها بعد النسخ لا تبقى هدى واستحسن اثباتها فيه ايضا اجراء له مجرى الوقف
واقتداء بالاقدام وفرى ما شبا عليها على انها كناية المصدر قل لا اسئلكم عليه اى على القرآن او على التبليغ فان مساق الكلام يدل
عليهما وان لم يجر ذكرهما اجرا من جهتكم كما لم يسألوا من قبل من الانبياء عليهم السلام وهذا من جملة ما امروا بالاقتداء بهم ان هو
اى القرآن الا ذكرى للعالمين اى عظة وتذكير لهم كافة من جهته سبحانه فلا يختص بقوم دون آخرين وما قدروا الله
لما بين شان القرآن العظيم وانه نعمة جليلة منه تعالى على كافة الامم صدعا بنطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين عقب ذلك بيان
عظم ابائهم وكفرهم بها على وجه سرى ذلك الى الكفر بجميع الكتب الالهية واصل القدر السير والجزر يقال قدر الشئ يقدره بالضم قدرا
اذا سيره وجزره ليوفى مقداره ثم استعمل فى موفة الشئ فى مقداره واحواله اوصافه وقوله تعالى حق قدره نصب على المصدرية وهو
فى الاصل صفة للمصدر اى قدره الحق فلما اضيف الى موصوفه انتصب على ما كان ينتصب عليه موصوفا اى ما عرفوه تعالى حق موفة فى اللطف بعباده
والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى فى ذلك بل اخلوا بها اخلالا اذ قالوا منكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب كما ذين بنعمة الجليلة فيهما
ما انزل الله على بشر من شئ فنفى موفتهم لقدره سبحانه كناية عن حطهم لقدره الجليل ووصفهم له تعالى بنقيض نعته الجليل كما ان نفى المحبة فى مثل
ان الله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والسخط والا فنفى موفة قدره تعالى يجتمع مع عدم التعرض لحطه بل مع السعى فى تحصيل الموفة كما فى قول
من يدعى مستقيما الموفة وعبادته سبحانك ما عرفناك حق موفتك وما عبدناك حق عبادتك وما عرفوه حق موفته فى التخطئ على الكفار وشدة
بطشه تعالى بهم حسبما نطق به القرآن حين اجترؤا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء فالنفى بمعناه الحقيقى والقائلون هم اليهود دون قريش فانهم بالغة
فى انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزموا بالاسبيل لهم الى انكاره اصلا حيث قيل قل من انزل الكتاب
الذى جاء به موسى اى قل لهم ذلك على طريقة التبكيت والالزام الحجر وروى ان مالك بن الضيف من احبار اليهود ورؤسائهم
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذى انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان ببعض الحجر السمين فانتفخت الحجر السمين وغضبت
من مالك الذى تطوق اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضه فقال ما انزل الله على بشر من شئ فزعوه فجعلوا مكان كعب بن
الاشرف مالك وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لما انه كان عندهم من المشاهير الذائعة ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل
علينا الكتاب لكنا اهدى منهم ووصف الكتاب بالوصول اليهم لزيادة التقرير وتشديد التبكيت وكذا تقييده بقوله تعالى نورا وهدى
فان كونه بينا بنفسه ومبينا لغيره مما يؤكد الزام اى تاكيد وانتصابهما على الحالية من الكتاب والعامل انزل او من الضمير فى به
والعامل جاء واللام فى قوله تعالى للناس اما متعلق بهدى او بمحذوف هو صفة له اى هدى كائنا للناس وليس المراد بهذا اجراء الزامهم
الاعتراف بانزال التورية فقط بل بانزال القرآن ايضا فان الاعتراف بانزالها مستلزم للاعتراف بانزاله قطعا لما فيهما من الشواهد القاطعة
به وقد نعى عليهم ما فعلوا بهما من التحريف والتغيير حيث قيل تجعلونه قراطيس اى تضعونه فى قراطيس مقطعة وورقات موفقة لخرق الحاجز
بناء على تشبيه القراطيس بالظروف المبهم وتجعلونه نعت القراطيس المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم كانهم اخرجوه من حيز الكتاب
ونزلوه منزلة القراطيس الخالية عن الكتابة والجملة حال كما سبق وقوله تعالى تبدونها صفة لقراطيس وقوله تعالى وتخفون كثيرا
معطوف عليه والعائد الى المحذوف اى كثيرا منها وقيل كلام مبتدا لا محل له من الاعراب والمراد بالكثير نعوت النبى عليه السلام وسائر ما كتموه من
احكام التورية وقرئ الافعال الثلثة بالياء حملا على قالوا ما قدروا وقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قيل هو حال من فاعل
تجعلونه باضمار قد او بدونه على اختلاف الرايين قلت فينبغى ان يجعل ما عبارة عما اظهروه من الكتاب من المعلوم والشرائع ليكون التقييد
بالحال مفيدا لتاكيد التوبيخ وتشديد التشنيع فان ما فعلوه بالكتاب من التنزيق والتقطيع لما ذكر من الاخفاء شناعة عظيمة فى نفسها
ومع ملاحظة كونه ماخذ العلوم ومعارفهم اشنع واعظم لانها تلقوه من جهته النبى صلى الله عليه وسلم زيادة على ما فى التورية وبيانا لما التبس عليهم
وعلى آبائهم من مشكلاتها حسبما ينطق به قوله تعالى ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون كما قالوا ان ملقيهم ذلك من الان
الكريم

ليس مما يزجرهم عما صنعوا بالتورية اما ما ورد فيه زيادة على ما فيها فلانه لا تعلق له بها نفيا ولا اثباتا واما ما ورد بطريق البيان فلانه
مدار ما فعلوا بها من التحريف والتبديل لبيان ما وقع فيها من التباس الامر واشتباه الحال حتى يقلعوا من ذلك ما يضافه وبانه يكون الجملة
خالية عن تاكيد التوبيخ فلا تصح ان تقع موقع الحال بل الوجه ح ان يكون استئنافا مقررا لما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة والاستطراد
والتمهيد لما يعقبه من مجيء القرآن ولا سبيل الى جعلها عبارة عما كتموه من احكام التورية كما افصح عنه قوله تعالى قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم
تخفون من الكتاب فان ظهوره وان كان حرجا لهم عن الكتم مخافة الافتضاح ومقتضيا لوقوعه في موقع الحال لكن ذلك مما يعلمه الكاتمون ضمنا
هذا وقد قيل الخطاب لمن آمن من قريش كما في قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر آباؤهم وقوله تعالى قل الله امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب
عنهم اشعارا بتعين الجواب بحيث لا محيد عنه وايذانا بانهم افحموا ولم يقدروا على التكلم اصلا ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذين
يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة والقام الحجر يلعبون حال من الضمير الاول والظرف صلة ذرهم للفعل المقدم او المؤخر او متعلق بمحذوف
هو حال من مفعول الاول او من فاعل الثاني او من الضمير الثاني لانه فاعل في الحقيقة والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه
تحقيق لنزول القرآن الكريم بعد تقرير انزال ما بشر به من التورية وتكذيب لهم في كلمتهم الشنعاء اثر تكذيب مبارك اي كثير المنافع
وجم الفوائد مصدق الذي بين يديه من التورية لنزوله حسبما وصف فيها او الكتب التي قبلها مصدق للكل في اثبات التوحيد
والامر به ونفي الشرك والنهي عنه وفي سائر اصول الشرائع التي لا تنسخ ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولانذار
اهل مكة وانما ذكرت باسمها المنبئ عن كونها اعظم القرى شانا وقبلة لاهلها قاطبة ايذانا بان انذار اهلها اصل مستتبع لانذار اهل الارض
كافة وقرئ لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب ومن حولها من اهل المدر والوبر في المشارق والمغارب والذين يؤمنون بالآخرة
وبما فيها من افانين العذاب يؤمنون به اي بالكتاب لانهم يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتامل حتى يؤمنون به
وهم على صلوتهم يحافظون تخصيص محافظتهم على الصلوة بالذكر من بين سائر العبادات التي لا بد للمؤمنين من ادائها للايذان بانافتها
وكونها اشرف العبادات بعد الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه تعالى بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي
او اختلق عليه احكاما من الحل والحرمة كعمرو بن لحي ومتابعيه اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم منه وانكاره
من غير تعرض لنفي المساوي وانكاره فان الاستعمال الفاشي في قولك من افضل من كل فاضل واكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه
او قال اوحي الي من جهته تعالى ولم يوح اليه اي والحال انه لم يوح اليه شيء اصلا كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان
يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله
احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان ثم قال عم اكتبها كذلك فشك عبد الله ولئن كان محمد صادقا فقد اوحي الي كما اوحي اليه
ولئن كان كاذبا فقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذي قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون
حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين اذ هم في غمرات الموت اي شدائده من غمره اذا غشيه والملئكة
باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة من غير امهال وتنفيس
او باسطوها بالعذاب قائلين اخرجوا انفسكم اي اخرجوها الينا من اجسادكم او خلصوا انفسكم من العذاب اليوم
اي وقت الاماتة او الوقت الممتد بعده الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون
وهو الهوان لعراقته فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة والوحي كاذبا
وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون بها ولقد جئتمونا للحساب فرادى منفردين عن الاولاد
والاموال وغير ذلك مما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاصنام التي كنتم تزعمون انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف
للتانيث ككسالى وقرئ فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى ككسرى كما خلقناكم اول مرة بدل من فرادى اي على الهيئة التي

وحذف الجواب تفظيعا
اي لرايتهم في عذاب
وجيع عصق

قوله ولقد جئتمونا
فرادى نزل حين قالوا
انحن اكثر اموالا واولادا
...
عصق

ولو

والتعليها في الانفراد او حال ثانية عند من يجوز تعددها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما
او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم اول مرة وتركتم ما خولناكم تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء
ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء لله تعالى في الربوبية
واستحقاق العبادة لقد تقطع بينكم اي وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشيئين اي اوقع الجمع بينهما وقرئ بينكم بالرفع على اسناد
الفعل الى الظرف كما يقال قوتل امامكم وخلفكم او على ان البين اسم للفصل والوصل اي تقطع وصلكم وقرئ ما بينكم وضل عنكم
اي ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاء او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى شروع في تقرير بعض افعاله
الدالة على كمال علمه تعالى وقدرته ولطف صنعه وحكمته اثر تقرير دلائل التوحيد والفلق الشق بابانة اي شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر
وقيل المراد به الشق الذي في الحبوب والنوى اي خالقهما كذلك كما في قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها وقيل الفلق بمعنى الخلق قال
الواحدي ذهبوا بفالق مذهب فاطر يخرج الحي من الميت اي يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب والجملة
مبينة لما قبلها وقيل خبر ثان لان وقوله تعالى ومخرج الميت من الحي كالنطفة والحب من الحيوان والنبات عطف على فالق الحب لا على يخرج
على الوجه الاول لان اخراج الميت من الحي ليس من قبيل فلق الحب والنوى ذلكم القادر العظيم الشان هو الله المستحق للعبادة
وحده فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن عبادته الى غيره ولا سبيل الى الباطل فالق الاصباح خبر آخر لان او لمبتدأ محذوف
والاصباح مصدر سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على انه جمع صبح اي خالق الفجر عن بياض النهار واسفاره او فالق ظلمة الاصباح وهي
الغبش الذي يلي الصبح وقرئ فالق بالنصب على المدح وجعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه
اذا اطمأن اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه وقرئ جاعل الليل وانتصاب سكنا بفعل دل عليه جاعل
لا بنفسه على ان المراد به الجعل المستمر في الازمنة المتجددة حسب تجددها لا الجعل الماضي فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدي
الى اثنين يعمل في الثاني وان كان بمعنى الماضي لانه لما اضيف الى الاول تعين نصبه للثاني لتعذر الاضافة بعد ذلك والشمس والقمر
معطوفان على الليل وعلى القراءة الاخيرة وقيل هما معطوفان على محله والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقد قرئ بالجر والرفع ايضا على الابتداء
والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا اي على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات التي ينوط بها العبادات والمعاملات او محسوبان حسبانا
والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ذلك اشارة الى جعلهما كذلك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو
رتبة المشار اليه وبعد منزلته اي ذلك التسيير البديع تقدير العزيز الغالب القاهر الذي لا يتعصى عليه شيء من الاشياء التي من جملتها
تسييرهما على الوجه المخصوص العليم بجميع المعلومات التي من جملتها ما في ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم
وهو الذي جعل لكم النجوم شروع في بيان نعمته تعالى في الكواكب اثر بيان نعمته تعالى في النيرين والجعل متعد الى واحد واللام متعلقة به وتأخير
المفعول الصريح عن الجار والمجرور لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي انشأها وابدعها لاجلكم فقوله تعالى لتهتدوا بها
بدل من المجرور باعادة العامل بدل اشتمال كما في قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا والتقدير جعل لكم النجوم لاهتدائكم لكن لا على ان غاية
خلقها اهتداؤهم فقط بل على طريقة افراد بعض منافعها وغاياتها بالذكر حسبما يقتضيه المقام وقد جوز ان يكون مفعولا ثانيا للجعل وهو
بمعنى التصيير اي جعلها كائنة لاهتدائكم في اسفاركم عند دخولكم المفاوز او البحار كما ينبئ عنه قوله تعالى في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات
الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتداء بها انما تتحقق عند ذلك او في مشتبهات الطرق عبر عنها بالظلمات
على طريقة الاستعارة قد فصلنا الآيات اي بينا الآيات المتلوة المذكورة لنعمه التي هذه النعمة من جملتها او الآيات التكوينية الدالة
على شؤونه تعالى مفصلة لقوم يعلمون اي معاني الآيات المذكورة ويعملون بموجبها او يتفكرون في الآيات التكوينية فيعلمون حقيقة الحال
وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه للكل لانهم المنتفعون به وهو الذي انشأكم من نفس واحدة تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى دالة

على عظم قدرته ولطف صنعه وحكمته اى انشأكم مع كثرتكم من نفس آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اى فلكم استقرار فى الاصلاب اوفوق الارض واستيداع فى الارحام اوفى الارض اوموضع استقرار واستيداع فيما ذكر والتغيير فى كونهم فى الاصلاب اوفوق الارض بالاستقرار لانتهاء مرتهم الطبيعى كما ان التغيير عن كونهم فى الارحام اوفى الارض لما ان كلا منهما ليس بمقرهم الطبيعى وقد حمل الاستيداع على كونهم فى الاصلاب وليس بواضح وقرئ مستقر بكسر القاف اى فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان الاستقرار منا بخلاف الاستيداع قد فصلنا الآيات المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الآية ونظائرها لقوم يفقهون غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر فان لطائف صنع الله عز وجل فى اطوار تخليق بنى آدم مما يحار فى فهمها الالباب وهو السر فى اتيانها بقوله تعالى يعلمون كما ورد فى شأن النجوم وهو الذى انزل من السماء ماء تذكير لنعمة اخرى من نعمه تع منبئة عن كمال قدرته تع وسعة رحمته اى انزل من السحاب او من سمت السماء ماء خاصا هو المطر وتقديم الجار والمجرور على المفعول للقرع لما قرر اذا فاخرجنا به التفت الى التكلم اظهارا لكمال الغاية بشان ما انزل الماء لاجله اى فاخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته نبات كل شئ من الاشياء التى من شانها النمو من اصناف النجم والشجر وانواعهما المختلفة فى الكم والكيف والخواص والآثار اختلافا متوافيا فى حراب الزيادة والنقصان صبما ينبئ عنه قوله تع يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل وقوله تع فاخرجنا منه خضرا شروع فى تفصيل ما اجمل من الاخراج وقدم بتفصيل حال النجم اى فاخرجنا من النبات الذى لا ساق له شيئا غضا اخضر نيال شئ اخضر وخضر كاعود وعود واكثر ما يستعمل الخضر فيما يكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الجنة وقوله تع نخرج منه صنعة اخضر او صيغة المضارع لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة اى نخرج من ذلك الخضر حبا متراكبا هو السنبل المنتظم للحب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة وقرئ يخرج منه حبا متراكب وقوله تع ومن النخل شروع فى تفصيل حال الشجر اثر بيان حال النجم فقوله تع من النخل خبر مقدم وقوله تع من طلعها بدل منه باعادة العامل كما فى قوله تع لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله الخ وانطلع شئ يخرج من النخل كانه بقلا مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله تع قنوان مبتدا اى وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا دل عليه اخرجنا عليا اى ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرئ يخرج منه حبا متراكبا كان قنوان عنده معطوفا على حب وقيل المعنى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او ومن النخل نخلا من طلعها قنوان وهو جمع قنو وهو عنقود النخلة كصنو وصنوان وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبنتها ايضا على انه اسم جمع لان فعلان ليس من ابنية الجمع دانية سهلة المجتنى قريبة من القاطف فانها وان كانت صغيرة يدانيها القاعد نائى بالثمر لانتظر الطول وملتفة متقاربة فالاقتصار على ذكرها لدلالتها على متقابلها كقوله تع سرابيل تقيكم الحر ولزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شئ اى واخرجنا به جنات كائنة من اعناب وقرئ جنات بالرفع على الابتداء اى ولكم اى ثمة جنات وقد جوز عطفه على قنوان كانه قيل وحاصلة او مخرجة من النخل قنوان وجنات من نبات اعناب ولعل زيادة الجنات ههنا من غير اكتفاء بذكر الجنس كما فيما تقدم وما تاخر لما ان الانتفاع بهذا الجنس لاثنائى غالبا الا عند اجتماع طائفة من افراده والزيتون والرمان منصوبا على الاختصاص لقوة هذين الصنفين عندهم او على العطف على نبات وقوله تع مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون اكتفى بمعنى حال ما عطف عليه كما يكتفى بخبر المعطوف عليه عن خبر المعطوف كما فى قوله تع والله ورسوله احق ان يرضوه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك وقد جوز ان يكون حالا من الرمان لا غير ويكون المحذوف حال الاول والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه فى الهيئة والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الاوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشائها ومبدعها انظروا الى ثمره اى انظروا نظر اعتبار واستبصار اذا اخرج ثمره كيف يخرج غضا طريا لا يكاد ينتفع به وقرئ الى ثمره اذا اثمر وينعه اى والى حال نضجه كيف يصيبه الى كماله اللائق به ويكون شيئا جامعا للمنافع

غضا اى طريا

اطلعت الشئ اى اطلعته

الطلع اول ما يخرج من النخلة كالكمام

منضود اى وضع بعضه على بعض

قانع

خضلا اى مضيرا الخيف الجميم

والينع مصدر ينع بفتح الياء فى لغة الحجاز وضمها فى لغة بعض نجد

والبِدعُ في الأصل مصدر رُبِعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع مابِدع كتاجر وتجر وقرئ بانعه إنَّ في ذلكم اشارة الى الأمر بالنظر اليه
وما اسم الاشارة من معنى البُعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبُعد منزلته لآياتٍ لقومٍ يؤمنون اى الآيات عظيمة او كثيرة
دالة على وجود الفاعل الحكيم ووحدته فان حدوث مايتيك الاجناس المختلفة والانواع المتشعبة من اصل واحد وانتقالها من حال
الى حال على نمط بديع بحارق فهم الكلّ لا يكاد يكون الا باحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح مايقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره
ولا بعوقه عن ذلك ضد ولا ند ولذلك عقب بتوبيخ من اشرك به والرد عليه حيث قيل وجعلوا لله شركاء اى جعلوا
في اعتقادهم لله الذى شاهدوا فصل خصائص من الآيات الجليلة شركاء الجنّ اى الملكة حيث عبدوهم وقالوا الملكة بنات الله
وسُمّوا جنًّا لاجتنانهم بالنسبة الى مقام الالوهية والشياطين حيث اطاعوهم كما اطاعوا الله تعالى او عبدوا الاوثان
بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأى الثنوية ومفعولا جعلوا
قوله تعالى شركاء الجنّ قدم ثانيهما على الاول لاستعظام ان يتخذ لله سبحانه شريك كائنًا ما كان ولله متعلق وشركاء
بشركاء قدم عليه للنكتة المذكورة وقيل هما لله شركاء والجن بدل من شركاء مفسر له نقص عليه القراء وابن سحيم او منصوب بمضمر
وقع جوابًا عن سؤال مقدر نشأ من قوله تعالى وجعلوا لله شركاء كأنه قيل من جعلوه شركاء لله تعالى فقيل الجن اى جعلوا الجن وليس
قراءة ابى حيوة ويزيد بن قطيب الجنّ بالرفع على تقدير هم الجن في جواب من قال الذين جعلوهم شركاء لله تعالى وقد قرئ بالجر
على ان الاضافة للتبيين وخلقهم حال من فاعل جعلوا بتقدير قد او بدونه على اختلاف الثابتين مؤكدة لما في جعلهم ذلك
من كمال الحماقة والبطلان باعتبار علمهم بمضمونها اى والحال انهم قد علموا انه تعالى خالقهم خاصّة وقيل الضمير للشركاء اى والحال انهم خلق الجن
فكيف كان مخلوقه شريكًا له تعالى وقرئ خلقهم عطفًا على الجن اى وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم الافك
حيث نسبوه اليه تعالى وخرقوا له اى اختلقوا واقرّوا له بنال خلق الافك واختلقه وفرقه واخرقه بمعنًى وقرئ خرّقوا بالتشديد
للتكثير وقرئ وخرقوا له اى زوّروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت
طائفة من العرب الملكة بنات الله بغير علم اى بحقيقة ما قالوا من خطأ او صواب بل مما يقول من عمى وجهالة من غير فكر وروية
او بغير علم بمرتبة ما قالوه وانه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا او نعت
لمصدر مؤكد له اى خرقوا ملتبسين بغير علم او خرقا كائنا بغير علم سبحانه استئناف مسوق لتنزيهه عز وجل عما نسبوه اليه وسبحان
علم التسبيح الذى هو التبعيد عن السوء اعتقادًا او قولًا اى اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما او من
ومنه فرس سبوح اى واسع الجرى وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه الا سبح سبحانه اى انزهه عما لا يليق به عقدًا وعملًا
تنزيهًا خاصًّا به حقيقًا بشانه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر
الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل
وقيل هو مصدر كغفران لانه سمع له فعل من الثلاثي كما ذكر في القاموس اريد به التنزه التام والتباعد الكلي ففيه مبالغة
من حيث اسناد التنزه لا ذاته المقدسة اى تنزه بذاته تنزيهًا لائقًا به وهو لا ينسب بقوله سبحانه وتعالى فانه معطوف على الفعل
المضمر لا محالة وملاك السبحاني والتعالي من معنى التباعد عما يصفون اى متباعدًا عما يصفونه من ان له شريكًا او ولدًا
بديع السموات والارض اى مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق
على آلة اللهو كالتقريح بمعنى المقرح وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشأه كابتدعه على ما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع
بمعنى المسمع في قوله امن ريحانة الداعي السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى الفاعل للتخفيف بعد نصبه تشبيهًا
له باسم الفاعل كما هو المشهور اى بديع سمواته وارضه من بدع اذا كان على نمط عجيب وشكل غريب وحسن رائع

اوالى الغرائب كما فى قولهم ثبت العذر بمعنى انه عديم النظير فيها والاول هو الوجه والمعنى انه تعالى مبدع لغرائب العالم العلوى والسفلى
بلا مادة فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانفعال مادته فكيف يمكن ان يكون له ولد وقرئ بديع
بالنصب على المدح ويجوز على انه بدل من الاسم الجليل او من الضمير فى سبحانه على رأى من يجيزه وارتفاعه فى القراءة المشهورة على انه
خبر مبتدإ محذوف او فاعل تعالى واظهاره فى موقع الاضمار لتعليل الحكم وتوسيط الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام ببيانه او مبتدأ خبره
قوله تعالى انى يكون له ولد وهو على الاولين جملة مستقلة مسوقة كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه اليه وتنزيهه عنه وقوله تعالى
ولم تكن له صاحبة حال مؤكدة للاستحالة المذكورة فان انتفاء ان يكون له تعالى صاحبة مستلزم لانتفاء ان يكون له ولد ضرورة استحالة
وجود الولد بلا والدة وان امكن وجوده بلا والد وانتفاء الاول مما لا ريب فيه لاحد فمن ضرورة انتفاء الثانى اى من اين او كيف يكون
له ولد كما زعموا والحال انه ليس لهم على زعمهم ايضا صاحبة يكون الولد منها وقرئ لم يكن بتذكير الفعل للفصل او لان الاسم ضمير تعالى والخبر هو الظرف
وصاحبة مرتفع بالفاعلية لاعتماده على المبتدأ او الظرف خبر مبتدأ وصاحبة مبتدأ مؤخر والجملة خبر للكون وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون
الاسم ضمير الشان لصلاحية الجملة ح لان تكون مفسرة لضمير الشان لا على الوجه الاول المابين فى موضعه ان ضمير الشان لا يفسر الا بجملة
صريحة وقوله تعالى وخلق كل شئ اما جملة مستأنفة اخرى سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة او حال اخرى مقررة لها اى كيف يكون
له ولد والحال انه خلق كل شئ انتظم التكوين والايجاد من الموجودات التى من جملتها ما سموه ولدا له تعالى فكيف يتصور ان يكون
المخلوق ولدا للخالق وهو بكل شئ من شانه ان يعلم كائنا ما كان مخلوقا او غير مخلوق كما ينبئ عنه ترك الاضمار الى الاظهار
عليم بليغ فى العلم ازلا وابدا حسبما ينبئ عنه العدول الى الجملة الاسمية فلا يخفى عليه خافية مما كان ومما سيكون من الذوات والصفات
والاحوال التى من جملتها ما يجوز عليه تعالى ومالا يجوز من المحالات التى مازعموه فرد من افرادها والجملة استئناف مقرر لمضمون ما قبلها
من الادلة القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء التى اجترؤا عليها بغير علم ذلكم اشارة الى المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شانه المشار اليه وبعد منزلته فى العظمة والخطاب للمشركين المعهودين بطريق الالتفات وهو مبتدأ
وقوله تعالى الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ اخبار اربعة تترادفة اى ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة
خاصة مالك امركم لا شريك له اصلا خالق كل شئ مما كان ومما سيكون فلا تكرار اذ المعتبر فى عنوان الموضوع انما هو خالقيته لما كان فحسب
كما ينبئ عنه صيغة الماضى وقيل الخبر هو الاول والبواقى ابدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتدأ والبواقى اخبار وقيل
يقدر لكل من الاخبار الثلثة مبتدأ وقيل يجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى فاعبدوه حكم مترتب على مضمون الجملة فان
جميع هذه الصفات كما هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى وهو على كل شئ وكيل عطف على الجملة المتقدمة اى هو مع ما فصل
من الصفات الجليلة متوفى امور جميع مخلوقاته التى انتم من جملتها فخلوا امركم اليه وتوسلوا بعبادته الى النجاح فى مآربكم الدنيوية والاخروية
لا تدركه الابصار البصر حاسة النظر وقد تطلق على العين من حيث محلها وادراك الشئ عبارة عن الوصول اليه والاحاطة به
اى لا تصل اليه الابصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به فلا متمسك فيه لمنكرى
الرؤية على الاطلاق وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه تعالى لا تدركه الابصار فى الدنيا وهو يرى فى الآخرة وهو يدرك الابصار
اى يحيط بها علما اذ لا يخفى عليه خافية وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكم بين الثابتين
على طريقة اللف اى لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار ولانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف
لما لا يدرك بالجاسة ولا ينطبع فيها وقوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم استئناف وارد على لسان النبى عليه السلام والبصائر جمع
بصيرة وهى النور التى دعامة لتبصر النفس كما ان البصر نور به تبصر العين والمراد بها الايات الواردة ههنا او جميع الايات المنتظمة
لها انتظاما اوليا ومن لابتداء الغاية مجازا سواء تعلقت بجاء او بمحذوف هو صفة لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية

مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار كمال اللطف به اى قد جاءكم من جهته ما لكم ومبلغكم اى كما لكم اللائق بكم من الوحى الناطق بالحق
والصواب ما هو كالبصائر للقلوب او قد جاءكم بصائر كائنة من ربكم فمن ابصر اى الحق بتلك البصائر وآمن به فلنفسه
اى فلنفسه ابصر او فابصاره لنفسه لان نفعه مخصوص بها ومن عمى اى ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهورا بينا
وضل عنه وانما عبر عنه بالعمى تقبيحا له وتنفيرا عنه فعليها اى فعلى عماه عليها او وبال عماه وما انا عليكم بحفيظ وانما
انا منذر والله هو الذى يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وكذلك نصرف الآيات اى مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات
الدالة على المعانى الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة لا نصريفا ادنى منه وقوله تعالى وليقولوا درست علة لفعل قد حذف
تعليلا على دلالة السياق عليه اى وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية وقيل هى عاطفة على علة
محذوفة واللام متعلقة بنصرف اى مثل ذلك التصريف نصرف الآيات لنلزمهم الحجة وليقولوا وقيل اللام لام الامر وتسكن
للتخفيف كما قيل وكذلك نصرف وليقولوهم ما يقولون فانه لا اختفاء بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا امر معناه الوعيد والتهديد وعدم
الاكتراث بقولهم ودرست بان ما بعده اياه ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اى دارست العلماء ودرست
اى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بفتح الراء مبالغة فى درست اى اشتد درسها ودرست على البناء
للمفعول بمعنى قرئت اى عفيت ودارست وفسر وما بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لاشتهارهم بالتوراة
وقد جوز اسناد الفعل الى الآيات وهو فى الحقيقة لاهلها اى دارس اهل الآيات وحملتها محمدا عليه السلام وهم اهل الكتاب ودرس اى درس
محمد صلى الله عليه وسلم ودارست اى على اهل دارست اى قديمات او دارست درس كعيشة راضية وقوله تعالى ولنبينه عطف على ليقولوا
واللام على الاصل لان التبيين غاية التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او بالتبيين وتخصيصه بهم لما انهم المنتفعون به قال
ابن عباس رضى الله عنهما اولياؤه الذين هداهم الى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للايذان بغاية جهل الاولين وخلوهم عن العلم بالمرة اتبع
ما اوحى اليك من ربك لما حكى عن المشركين قدحهم فى تصريف الآيات عقب ذلك بامره صلى الله عليه وسلم بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وبامثالهم
اى دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحى اليك من الشرائع والاحكام التى جملتها التوحيد وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم
من اظهار اللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى لا اله الا هو اعتراض بين الامرين المتعاطفين مؤكد لوجوب اتباع الوحى لاشتماله على التوحيد
وقد جوز ان يكون حالا من ربك اى منفردا فى الالوهية واعرض عن المشركين لا تشتغل بهم وبامانيهم الباطلة التى من جملتها ما حكى
عنهم آنفا ومن جعل منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله اى عدم اشراكهم جريا على القاعدة المستمرة
فى حذف مفعول المشيئة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء ما اشركوا وهذا دليل على ان تعالى لا يريد ايمان الكافر لكن على
معنى انه تعالى يمنعه عنه مع توجيه المريد بل بمعنى انه لا يريد منه لعدم صرف اختياره الجزئى نحو الايمان واصراره على الكفر والجملة اعتراض مؤكد للامر بالاعراض
وكذا قوله تعالى وما جعلناك عليهم حفيظا اى رقيبا مهيمنا من قبلنا يحفظ عليهم اعمالهم وكذا قوله تعالى وما انت عليهم بوكيل
من جهتهم تقوم بامورهم وتدبر مصالحهم وعليهم فى الموضعين متعلق بما بعده قدم عليه للاهتمام به او لرعاية الفواصل ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله اى لا تشتموهم من حيث عبادتهم لآلهتهم كان يقولوا لنبينا لكم ولما تعبدونه مثلا فيسبوا الله عدوا تجاوزا
عن الحق الى الباطل بان يقولوا لكم مثل قولكم لهم بغير علم اى بجهالة بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به وقرئ عدوا بتشديد الدال عدا بعد وعدوا وعدوا
وعداء وعدوانا روى انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتشتمن آلهتنا او لنهوين الكلام
وقيل كان المسلمون يسبونهم فنهوا عن ذلك لئلا يستتبع سبه سبحانه وتعالى وفيه ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة
وجب تركها فان ما يؤدى الى الشر شر كذلك اى مثل ذلك التزيين القوى زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باعداد ما يقتضيهم منه وتحليهم عليه
توفيقا او تخذيلا ويجوز ان يراد بكل امة امم الكفرة اذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم وفسادهم والمشية به تزيين رب الله تعالى لهم

ثم إلى ربهم مالك أمرهم مرجعهم أي رجوعهم بالبعث بعد الموت فينبئهم من غير تأخير بما كانوا يعملون في الدنيا على الاستمرار
من السيئات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة سرية مبنية على حكمة أبية
وهي أن كل ما يظهر في هذه النشأة من الأعيان والأعراض فإنما يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورتها الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة
فإن المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه الآية الكريمة وكذا الطاعات فإنها مع كونها
أحسن المحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فأعمال الكفرة
قد برزت لهم في هذه النشأة بصورة مزينة تستحسنها الغواة وتستحبها الطغاة وستظهر في النشأة الآخرة بصورتها الحقيقية المنكرة
الهائلة فعند ذلك يعرفون أن أعمالهم ماذا فعبر عن إظهارها بصورها الحقيقية بالإخبار بها لما أن كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هي
فليتدبر قوله تعالى وأقسموا بالله روي أن قريشا اقترحوا بعض آيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن فعلت بعض
ما تقولون أتصدقونني فقالوا نعم وأقسموا لئن فعلته لنؤمنن جميعا فسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلها طمعا
في إيمانهم فهم عليه السلام بالدعاء فنزلت وقوله تعالى جهد أيمانهم في موقع الحال أي أقسموا به تعالى جاهدين في أيمانهم لئن جاءتهم آية
من مقترحاتهم أو من جنس الآيات وهو الأنسب بحالهم في المكابرة والعناد حيث كانوا لا يعتدون بما يشاهدونه من المعجزات العادية من جنس الآيات
ليؤمنن بها وما كان مرمى غرضهم في ذلك إلا التحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوا منه
من البينات الحقيقية بأن تقطع بها الأرض وتسير بها الجبال قل إنما الآيات أي كلها فيدخل فيها ما اقترحوه دخولا أوليا
عند الله أي أمرها في حكمه وقضائه خاصة يتصرف فيها حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة لا تتعلق بها ولا بشأن من شؤونها
قدرة أحد ولا مشيئته لا استقلالا ولا اشتراكا بوجه من الوجوه حتى يمكنني أن أتصدى لاستنزالها بالاستدعاء وهذا كما ترى
سد لباب الاقتراح على أبلغ وجه وأحسنه ببيان علو شأن الآيات وصعوبة منالها وتعاليها عن أن تكون عرضة للسؤال والاقتراح وما قيل
من أن المعنى إنما الآيات عند الله تعالى لا عندي فكيف أجيبكم إليها أو آتيكم بها أو هو القادر عليها لا أنا حتى آتيكم بها فلا مناسبة له
بالمقام كيف لا وليس مقترحهم مجيئها بغير قدرة الله تعالى وإرادته حتى يجابوا بذلك وقوله تعالى وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون
كلام مستأنف غير داخل تحت الأمر مسوق من جهته تعالى لبيان الحكمة الداعية إلى ما أشير إليه من الجواب من عدم مجيء الآيات خوطب
المسلمون إما خاصة بطريق التلوين لما كانوا راغبين في نزولها طمعا في إسلامهم وإما معه عليه السلام بطريق التعميم لما روي عنه من الهم
بالدعاء وقوفهم فيه أن إيمانهم خارجة وإيمانهم مما لا يدخل تحت الوجود وإن أجيب إلى ما سألوه وما استفهامية إنكارية لكن لا على أن مرجع
الإنكار وقوع المشعر به بل هو نفس الإشعار مع تحقق المشعر به في نفسه أي وأي شيء يعلمكم أن الآية التي تقترحونها إذا جاءت لا يؤمنون
بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد أي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعا في إيمانهم فكأنه بسط عذر من جهة المسلمين
في تمنيهم نزول الآيات وقيل لا مزيدة فيتوجه الإنكار إلى الإشعار والمشعر به جميعا أي أي شيء يعلمكم إيمانهم عند مجيء الآيات حتى تتمنوا
مجيئها طمعا في إيمانهم فيكون تخطئة لرأي المسلمين وقيل أن بمعنى لعل يقال أدخل السوق أنك تشتري اللحم وعنك وعلك ولعلك
كلها بمعنى ويؤيده أنه قرئ لعلها إذا جاءت لا يؤمنون على أن الكلام قد تم قبله والمفعول الثاني ليشعركم محذوف كما في قوله وما يدريك
لعله يزكى والجملة استئناف لتعليل الإنكار وتقريره أي أي شيء يعلمكم حالهم وما سيكون عند مجيء الآيات لعلها إذا جاءت لا يؤمنون بها فما لكم
لا يتمنون مجيئها فإن تمنيه إنما يليق بما إذا كان إيمانهم بها محقق الوجود عند مجيئها لا مرجو العدم وقرئ إنها بالكسر على أنه استئناف حسبما سبق
مع زيادة تحقيق لعدم إيمانهم وقرئ لا تؤمنون بالفوقانية فالخطاب في وما يشعركم للمشركين وقرئ وما يشعرهم أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون
فمرجع الإنكار إقدام المشركين على الأقسام المذكورة مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجيء الآيات وبكونها حينئذ كما هي الآن ونقلب أفئدتهم
وأبصارهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم ما يشعركم مقيد بما قيد به أي وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم عن إدراك الحق

وتمادي أمرهم في العتو والفساد

ردي الآنفة

فلا يتهوز وابصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجهها اليه واستعدادها لتعلقه بل لكمال نبوتها عنه واعراضها بالكلية
ولذلك اثر ذكره عن ذكر عدم ايمانهم اشعارا بامصالتهم في الكفر وختما لتوهم ان عدم ايمانهم ناشئ من تعلقه تعالى مشاعرهم بطريق الاجبار
كما لم يؤمنوا به اى بما جاء من الآيات اول مرة اى عند ورود الآيات السابقة والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
منصوب بلا يؤمنون وما مصدرية اى لا يؤمنون بل يكونون كرة اكائنا كلونهم اول مرة وتوسيط تقليب الافئدة والابصار بينهما لانه
من متمات عدم ايمانهم ونذرهم اى عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الانكاري مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد
بتقليب الافئدة والابصار ومعرب عن حقيقته بانه ليس على ظاهره بان يقلب الله سبحانه مشاعرهم عن الحق مع توجههم اليه واستعدادهم
له بطريق الاجبار بل بان يحكم على قلوبهم حسبما يقتضيه استعدادهم كما اشرنا اليه وقوله تعالى في طغيانهم متعلق بنذرهم وقوله تعالى
يعمهون حال من الضمير المنصوب في نذرهم اى نوعهم في طغيانهم متحيرين لا يهديهم هداية المؤمنين او مفعول ثان لنذرهم اى نصيرهم
عاهين وقرئ نقلب ونذر بالياء على اسنادهما الى ضمير الجلالة وقرئ تقلب بالتاء والبناء للمفعول على اسناده الى افئدتهم ولو اننا
نزلنا اليهم الملئكة تصريح بما اشعر به قوله عز وجل ما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية الى ترك الاجابة الى ما
اقترحوه من الآيات اثر بيان انتهائها في حكمه تعالى وقضائه المبني على الحكم البالغة لا مدخل لاحد فيها رأسا بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في تألههم
الفاجرة على ابلغ وجه واكده اى ولو اننا لم نقتصر على اتيانهم بما اقترحوه هيهنا من آية واحدة من الآيات بل نزلنا اليهم الملائكة كما سألوه
بقولهم لولا انزل علينا الملائكة وقولهم لو ما تأتينا بالملائكة وكلمهم الموتى وشهدوا بحقية الآيات بعد ان اتيناهم بما اقترحوه بقولهم
فأتوا بآبائنا وحشرنا اى جمعنا عليهم كل شئ قبلا بضمتين وقرئ بكسر فسكون اى كفلا، بصيغة الامر وصدق النبي صلعم
حوه على انه جمع قبيل بمعنى الكفيل كرغيف ورغف وقضيب وقضب وهو الانسب بقوله تعالى انا بآبائي بالله والملئكة قبيلا اى لو لم نقتصر على ما اقترحوه
بل زدنا على ذلك بان احضرنا لديهم كل شئ يتأتى منه الكفالة والشهادة مما ذكر لا فرادى بل بطريق المعية او جماعات على ان جمع قبيل
هو جمع قبيلة وهو الاوفق لعموم كل شئ وشموله للانواع والاصناف اى حشرنا كل شئ نوعا نوعا وصنفا صنفا وفوجا فوجا وانتصابه
على الحالية وجمعيته باعتبار الكل المجموعي اللازم للكل الافرادي او مقابلة وعيانا على انه مصدر كقبلا وقد قرئ كذلك وانتصابه
على الوجهين على انه مصدر في موقع الحال وقد قيل عن المبرد وجماعة من اهل اللغة ان الاخير بمعنى الجهة كما في قولك لي من قبل
فلان حق وان انتصابه على الظرفية ما كانوا ليؤمنوا اى ما صح ولا استقام لهم الايمان لتمادیهم في العصيان وغلوهم في التمرد والطغيان
وانما سبق القضاء عليهم بالكفر من الاحكام المترتبة على ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله تعالى الا
ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم الاحوال والاوقات لاسم الجليل لغريزة المهابة وادخال الروعة اى ما كانوا ليؤمنوا بعد اجتماع ما ذكر
من الامور الموجبة للايمان في حال من الاحوال الداعية المتممة لموجباته المذكورة الا في حال مشيئة قوله لايمانهم او من اعم العلل اى ما كانوا
ليؤمنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها الا لمشيئته تعالى وانى ما كان فليس المراد بالاستثناء بيان ان ايمانهم في حظ الوقوع بناء على كون
مشيئته تعالى ايضا كذلك بل بيان استحالة وقوعها كأنه قيل ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وعبر عنها بذلك
وحالهم حالهم بدليل ما سبق من قوله ونقلب افئدتهم الآية كيف لا وقوله عز وجل ولكن اكثرهم يجهلون استدراك من مضمون الشرطية
بعد ورود الاستثناء لما قبله ولا ريب في ان الذين يجهلون ذلك سواء اريد بهم المسلمون وهو الظاهر او المعممون ليس عدم ايمانهم
بلا مشيئة الله تعالى كما هو اللازم من حمل النظم الكريم على المعنى الاول فانه ليس مما يعتقده الاولون ولا مما يدعيه الآخرون بل انما
عدم ايمانهم لعدم مشيئة ايمانهم ومرجعه الى جهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم فيتمنون مجيئها طمعا فيما لا يكون فالجملة معترضة لمضمون
قوله تعالى وما يشعركم الخ على القراءة المشهورة او ولكن اكثر المشركين يجهلون عدم ايمانهم عند مجئ الآيات لجهلهم عدم مشيئة تعالى ايمانهم
حتى فيتمنون بالله جهد ايمانهم على ما لا يكاد يكون فالجملة على القراءة السابقة بيان مبدأ المنشأ خطأ المقسمين ومناط اقسامهم

وتذييله على قراءة لا يؤمنون بالتاء الفوقانية وكذا على قراءة وما يشعرهم أنها إذا جاءت لا يؤمنون وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا كلام مبتدأ مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يشاهده من عداوة قريش له عليه السلام وما نبوا عليها
مما لا خير فيها من الأفاويل الأفاعيل ببيان أن ذلك ليس مختصا بك بل هو أمر ابتلي به كل من سبقك من الأنبياء عليهم السلام ومحل
الكاف النصب على أنه نعت لمصدر محذوف لما بعده وذلك إشارة إلى ما بينهم مما قبل أي جعلنا لكل نبي عدوا جعلا كما جعلنا لك عدوا والتقديم
على الفعل للقصر المفيد للمبالغة والمعنى مثل ذلك الجعل الذي جعلنا فيك جعلنا لك عدوا أيضا دونك ولا يؤمنون ويغويك الغوائل
ويديرون في ابطال أمرك مكائد جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا فعلوا بهم ما فعل بك أعداؤك لا جعلا انقص منه وفيه دليل على عداوة
الكفرة للأنبياء عليهم السلام بخلقه تعالى للابتلاء شياطين الانس والجن أي مردة الفريقين على أن الاضافة بمعنى من البيانية وقيل
هي اضافة الصفة إلى الموصوف والأصل الانس والجن الشياطين وقيل بمعنى اللام أي الشياطين للانس التي للجن وهو بدل من عدوا
والجعل متعد لاثنين أحدهما والثاني وهو أول مفعوليه قدم عليه الثاني مسارعة إلى بيان العداوة واللام على التقديرين متعلقة بالجعل أو بمحذوف
هو حال من عدوا أو قوله تعالى يوحي بعضهم إلى بعض كلام مستأنف مسوق لبيان احكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به
أو حال من الشياطين أو نعت لعدوا أو جمع الضمير باعتبار المعنى فانه عبارة عن الاعداء كما في قوله إذا انا لم ينفع صديق بوده فانه
عدوى لم يضرهم بغضي والوحي عبارة عن الايماء والقول السريع أي يلقي ويوسوس شياطين الجن إلى شياطين الانس وبعض كل
من الفريقين إلى بعض آخر زخرف القول أي المموه منه المزين ظاهرا الباطل باطنه من زخرفه إذا زينه غرورا مفعول له ليوحي
أي ليغروهم أو مصدر في موقع الحال أي غارين أو مصدر مؤكد لفعل مقدر هو حال من فاعل يوحي أي يغرون غرورا ولو شاء ربك
رجوع إلى بيان الشؤون الجارية بينه وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الأنبياء عليهم السلام وبين أممهم كما ينبئ عنه الالتفات
والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة إلى ضميره صلى الله عليه وسلم للموعة عن كمال اللطف في التسلية أي ولو شاء ربك عدم الامور المذكورة لما أيامها
كما قيل فان القاعدة المستمرة أن مفعول المشية انما يحذف عند وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وهو قوله تعالى ما فعلوه
أي ما فعلوا ما ذكر من عداوتك وايحاء بعضهم إلى بعض منهم من زخرفات الاقاويل الباطلة المتعلقة بأمرك خاصة لا بما يعمها وامور
الأنبياء عليهم السلام كما قيل أيضا فان قوله تعالى فذرهم وما يفترون صريح في أن المراد بهم الكفرة المعاصرون له صلى الله عليه وسلم
أي إذا كان ما فعلوه من احكام عداوتك من فنون المفاسد بمشيتنا فاتركهم وافتراءهم أو وما يفترونه من انواع المكائد فان لهم
في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لابنائها على مشيتنا تعالى الحكم البالغة ولتصغى إليه أي إلى زخرف القول أو إلى الوحي
الأول علة اخرى للايحاء معطوفة على غرورا وما بينهما اعتراض وانما نصب لفقد شرط اذ الغرور فعل الموحى وصغو الافئدة فعل
الموحى إليه أي يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول ليغروهم به ولتميل إليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة انما خص بالذكر
عدم ايمانهم بالآخرة دون ما عداها من الامور التي يجب الايمان بها وهم بها كافرون اشعارا بما هو المدار في صغو افئدتهم الى ما يلقي
اليهم فان لذات الآخرة محفوفة في هذه النشأة بالمكاره وآلامها مزينة بالشهوات فالذين لا يؤمنون بها وبأحوالها فيها
لا يدرون أن وراء تلك المكاره لذات دون هذه الشهوات الا ما وانما ينظرون الى ما بدا لهم في الدنيا بادي الرأي فهم مضطرون
الى حب الشهوات التي من جملتها زخرفات الاقاويل وممقوتات الاباطيل واما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال
ناظرون الى عواقب الامور لم يتصور منهم الميل الى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها واما على الوجهين الاخيرين فهو علة
لفعل محذوف يدل عليه المقام اي وليكون ذلك جعلنا ما جعلنا والمعتزلة جعلوا اللام لام العاقبة او لام الامر للتهديد
في غاية الظهور وليرضوه لانفسهم بعد ما مالت اليه افئدتهم وليقترفوا اي يكتسبوا بموجب ارتضائهم له ما هم مقترفون
له من القبائح التي لا يليق ذكرها افغير الله أبتغي حكما كلام مستأنف وارد على ارادة القول والهمزة للانكار والفاء للعطف

على مقدر يقتضيه الكلام اى قل لهم أأميل الى زخارف الشياطين فابتغى حكماً غير الله يحكم بيننا ويفصل المحق منا من المبطل **وقيل**
ان مشركى قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك من احبار اليهود او من اساقفة النصارى ليخبر عنك بما فى كتابهم
من امرك فنزلت واسناد الابتغاء المنكر الى نفسه عليه السلام لا الى المشركين كما فى قوله تعالى افغير دين الله يبغون مع انهم الباغون
لاظهار كمال النصفة او لمراعاة قولهم اجعل بيننا وبينك حكماً وغير اما مفعول ابتغى وحكماً حال منه واما بالعكس وايّاً ما كان فتقديمه على الفعل
الذى هو المعطوف بالفاء حقيقة كما اشير اليه للايذان بان مدار الانكار هو ابتغاء غيره تعالى حكماً لا مطلق الابتغاء **وقيل** حكماً تمييز
لما فى غير من الابهام كقولهم ان لنا غيرها ابلا قالوا الحكم ابلغ من الحاكم وادل على الرسوخ لما انه لا يطلق الا على العادل وعلى من تكرر منه
الحكم بخلاف الحاكم وقوله تعالى وهو الذى انزل اليكم الكتاب جملة حالية مؤكدة لانكار ابتغاء غيره تعالى حكماً ونسبة الانزال
اليهم خاصة مع ان مقتضى المقام اظهار تساوى نسبته الى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم الى قبول حكمه بايهام قوة نسبته اليهم
اى اغيره تعالى ابتغى حكماً والحال انه هو الذى انزل اليكم وانتم امة امية لا تدرون ما تاتون وما تذرون القرآن الناطق بالحق
والصواب الحقيق بان يخص باسم الكتاب مفصلاً اى مبيناً فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث
لم يبق فى امر الدين شىء من التخليط والابهام فاى حاجة بعد ذلك الى الحكم وهذا كما ترى صريح فى ان القرآن الكريم كاف فى امر الدين
مغن عن غيره ببيانه وتفصيله واما ان يكون لاعجازه دخل فى ذلك كما قيل فلا وقوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه
منزل من ربك بالحق كلام مستانف غير داخل تحت القول المقدر مسوق من جهته سبحانه لتحقيق حقية الكتاب الذى نيط به امر الحكمية
وتقرير كونه منزلاً من عنده عز وجل ببيان ان الذين وثقوا بهم ورضوا بحكميتهم حسبما نقل آنفاً من علماء اليهود والنصارى عالمون
بحقيته ونزوله من عنده تعالى وفى التعبير عن التورية والانجيل باسم الكتاب ايماء الى ما بينهما وبين القرآن من المجانسة المقتضية
للاشتراك فى الحقية والنزول من عنده تعالى مع ما فيه من الايجاز وايراد الطائفتين بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بانهم علموه
من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما نعت فيه وعاينوه موافقاً له فى الاصول وما لا يختلف من الفروع ومخبراً عن امور لا طريق الى معرفتها
سوى الوحى والمراد بالموصول اما علماء الفريقين وهو الظاهر فالايتاء هو التفهيم بالفعل واما الكل وهم داخلون فيه دخولاً اولياً
فهو اعم مما ذكر ومن التفهيم بالقوة ولا ريب فى ان الكل متمكنون من ذلك **وقيل** المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرئ منزل
من الانزال والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام والباء فى قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالاً
من الضمير المستكن فى منزل اى ملتبساً بالحق فلا تكونن من الممترين اى انهم يعلمون ذلك لما لا تشاهد منهم من آثار العلم واحكام المعرفة
فالفاء لترتيب النهى على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشان القرآن او فى انه منزل من ذلك بالحق فيكون من باب التهييج والالهاب
كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين **قيل** الخطاب فى الحقيقة للامة وان كان له عليه السلام صورة **وقيل** الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة
قد تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغى لاحد ان يمترى فيه والفاء على هذا الوجه لترتيب النهى على نفس علمهم بحال القرآن وتمت كلمة ربك
شروع فى بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته اثر بيان كماله من حيث اضافته اليه تعالى بكونه منزلاً منه بالحق وتحقيق ذلك
بعلم اهل الكتاب به وانما عبر عنه بالكلمة لانها الاصل فى الاتصاف بالصدق والعدل وبها تظهر الآثار من الحكم وقرئ كلمات ربك
صدقاً وعدلاً مصدران نصباً على الحال **قيل** على التمييز **وقيل** على العلة وقوله تعالى لا مبدل لكلماته اما استئناف مبين
لفضلها على غيرها اثر بيان فضلها فى نفسها واما حال اخرى من فاعل تمت على ان الظاهر مغن عن الضمير الرابط والمعنى انها بلغت الغاية
القاصية صدقاً فى الاخبار والمواعيد وعدلاً فى الاقضية والاحكام لا احد يبدل شيئاً من ذلك بما هو اصدق واعدل ولا بما هو مثله
فكيف يتصور ابتغاء حكم غيره تعالى وهو السميع لكل ما يتعلق به السمع العليم بكل ما يمكن ان يعلم فيدخل فى ذلك اقوال
المتحاكمين واحوالهم الظاهرة والباطنة دخولاً اولياً وقد قيل المعنى لا احد يقدر على ان يحرفها كما فعل بالتورية فيكون ضماناً

لأن الغير ان اضيف الى المعرفة فهو باق على تنكيره [illegible]

اى لا تكونن من الممترين فى انه منزل بالحق

وهو كلماته

لقيامه مقام الضمير

لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او لانبيّ ولا كتاب بعدها ينسخها وان تطع اكثر
من في الارض لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكمة لاستقلاله بما يوجبها من انزال الكتاب الكامل الفاصل بين الحق والباطل
وتمام صدق كماله وكمال عدالة احكامه وامتناع وجود من يبدل شيئا منها واستبداده تعالى بالاحاطة التامة بجميع المعلومات
عقب ذلك ببيان ان اكثرة متصفون بنقائص التي هي الضلال والاضلال واتباع الظنون الفاسدة الناشئ من الجهل والكذب على الله
سبحانه ابانة لكمال مباينة حالهم لما يرومونه وتحذيرا عن الركون اليهم والعمل بآرائهم والمراد بمن في الارض الناس وباكثرهم الكفار
وقيل اهل مكة والارض ارضها اى ان تطعهم بان جعلت منهم حكما يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه وعن الشريعة
شرعها لعباده ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم يهتدون او جهالاتهم وآراؤهم الباطلة
على ان المراد بالظن ما يقابل العلم والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية كانه قيل كيف يضلوك فقيل لا يتبعون في امور
دينهم الا الظن وان الظن لا يغني في الحق شيئا فيضلون ضلالا مبينا ولا ريب في ان الضال المتصدي للارشاد اتما يرشد غيره
الى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون وان هم الا يخرصون عطف على ما قبله داخل في حكمه اى يكذبون على الله سبحانه فيما ينسبون اليه
كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان ذريعة اليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحائر ونظائرها او يقدرون انهم على شيء وافق لهم ذلك ومرجع
مناط التعريق وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين تقرير لمضمون الشرطية
وما بعدها وتاكيد لما يفيده من التحذير اى هو اعلم بالفريقين فاحذر ان تكون من الاولين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب
لا بفعل اعلم فان الفعل التفضيل لا ينصب الظاهر في هذه الصورة بل بفعل دل هو عليه او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل
والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ يضل بضم الياء على ان من فاعل يضل ومفعوله محذوف ومحلها النصب بما ذكر من الفعل
المقدر اى هو اعلم يعلم من يضل الناس فيكون تاكيدا للتحذير عن تاكيد الكثرة واما ان الفاعل هو الله تعالى ومن منصوبة بما ذكر
اى يعلم من يضله او مجرورة باضافة اعلم اليها اى اعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله او من قولك اضللته اذا وجدته ضالا
فلا يساعده السباق والسياق والتفضيل في العلم بكثرة واحاطة بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه امر مترتب على النهي عن اتباع المضلين الذين من جملة اضلالهم تحريم الحلال وتحليل الحرام وذلك
انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تعبدون الله فما قتله انتم احق ان تاكلوه مما قتلتم انتم فنزل للمسلمين كلوا مما ذكر اسم الله تعالى خاصة
على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط او مع اسمه تعالى او ما صنعا نفيه ان كنتم بآياته الخ من جملتها الآيات الواردة في هذا الشان
مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله والاجتناب عما حرمه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وما لكم الا تاكلوا
مما ذكر اسم الله عليه انكار لان يكون لهم شيء يدعوهم الى الاجتناب مع اكل ما ذكر عليه اسم الله تعالى من البحائر والسوائب ونحوها
وقوله تعالى وقد فصل لكم الخ جملة حالية مؤكدة للانكار كما في قوله تعالى وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
اى واي سبب حاصل لكم فان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه او واي غرض يحملكم على ان لا تاكلوا ويمنعكم من اكله والحال انه قد فصل لكم
ما حرم عليكم بقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الخ فبقي ما عدا ذلك على الحل لا بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة الخ لانها مدنية
واما التاخر في التلاوة فلا يوجب التاخر في النزول وقرئ الفعلا على البناء للمفعول وقرئ الاول على البناء للفاعل والثاني للمفعول
الا ما اضطررتم اليه مما حرم فانه ايضا حلال الى آخره وان كثيرا اى من الكفار ليضلون الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام
كعمرو بن لحي واحزابه وقرئ يضلون بأهوائهم الزائغة وشهواتهم الباطلة بغير علم مقتبس من الشريعة الشريفة مستند
الى الوحي ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين لحدود الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه
اى ما علن من الذنوب وما يستر وما يميل منها بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم

ای یکتسبونه من الظاهر والباطن سیجزون بما کانوا یقترفون کائنًا ما کان فلا بد من اجتنابها وآلجملة تعلیل للامر ولا تاکلوا
مما لم یذکر اسم اللہ علیہ ظاهر فی تحریم متروک التسمیة عمدًا کان او نسیانًا وآلیه ذهب اوحنیفة وعن احمد بن حنبل مثله وقال مالک والشافعی
بخلافه لقوله علیه السلام ذبیحة المسلم حلال وان لم یذکر اسم اللہ علیہ وفرق ابو حنیفة بین العمد والنسیان واوله بالمیتة او بما ذکر علیه اسم غیر اللہ
لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل به لغیر اللہ والضمیر لما ویجوز ان یکون للاکل المدلول علیه بلا تاکلوا والجملة مستانفة وقیل حالیة
وان الشیاطین لیوحون الی اولیائهم والمراد بالشیاطین ابلیس وجنوده فیلقاؤهم وسوستهم الی المشرکین وقیل مردة المجوس
یلقاؤهم الی اولیائهم ما انهوا الی قریش بالکتاب ان محمدا واصحابه یزعمون انهم یتبعون امر اللہ تعالی ثم یزعمون ان ما یقتلونه حلال وما تقتله اللہ
حرام لیجادلوکم ای بوساوس الشیطانیة او بما نقل من اباطیل المجوس وهو یؤید التاویل بالمیتة وان اطعتموهم فی استحلال الحرام
وساعدتموهم علی باطلهم انکم لمشرکون ضرورة ان من ترک طاعة اللہ الی طاعة غیره واتبعه فی دینه فقد اشرکه به تعالی آثره علیه سبحانه
او من کان میتا وفری میتا علی الاصل فاحییناه تمثیل مسوق لتنفیر المسلمین عن طاعة المشرکین اثر تحذیرهم عنها بالاشارة
الی انهم مستقیمون بانوار الوحی الالهی والمشرکین خابطون فی ظلمات الکفر والطغیان فکیف یعتدل طاعتهم لهم والهمزة للانکار والنفی
والواو لعطف الجملة الاسمیة علی مثلها الذی یدل علیه الکلام ای انتم مثلهم ومن کان میتا فاعطیناه الحیوة وما یتبعها من القوی المدرکة والمحرکة
وجعلنا له مع ذلک من الخارج نورا عظیما یمشی به ای بسببه والجملة استئناف مبنی علی سؤال نشأ من الکلام کانه قیل
فماذا یصنع بذلک النور فقیل یمشی به فی الناس ای فیما بینهم آمن من جهتهم او صفة له کمن مثله ای صفته العجیبة وهو مبتدأ
وقوله تعالی فی الظلمات خبره علی ان المراد بهما اللفظ لا المعنی کما فی قولک زید صفته اسمر وهذه الجملة صلة لمن وهی مجرورة بالکاف
وهی مع مجرورها خبر لمن الاولی وقوله تعالی لیس بخارج منها حال من المستکن فی الظرف وقیل من الموصول او غیر خارج منها کحال
وهذا کما نری مثل اردیء بمن بقی فی الضلالة بحیث لا یفارقها اصلا کما ان الاول مثل اریدیء بمن خلقه اللہ تعالی علی فطرة الاسلام
وهداه بالآیات البینة الی طریق الحق یسلکه کیف یتأتی ولکن لا علی ان یدل علی کل واحد من هذه المعانی بما یلیق به من الالفاظ الواردة
فی المثلین بواسطة تشبیه بما یناسبه من معانیها فان لفظ المثل باقیة فی معانیها الاصلیة بل علی انه قد انتزعت من الامور المتعددة المعتبرة
فی کل واحد من جانبی الممثلین هیئة علی حدة ومن الامور المتعددة المذکورة فی کل واحد من جانبی المثلین هیئة علی حدة فشبهت بها الاولی
ونزلت الغایرة بینهما فاستعمل فیهما ما یدل علی الاخریین بضرب من التجوز وقد اشیر فی تفسیر قوله تعالی ختم اللہ علی قلوبهم الایه الی ان التمثیل قسم برأسه
لا سبیل الی جعله من باب الاستعارة حقیقة وان الاستعارة التمثیلیة من عبارات المتأخرین قیل نعم قد یجری ذلک علی سنن الاستعارة
بان لا یذکر المشبه بهذین التمثیلین ونظائرهما وقد یجری علی منهاج التشبیه کما فی قوله وما الناس الا کالدیار واهلها بها یوم حلوها وغدوا بلاقع
کذلک ای مثل ذلک التزیین البلیغ زین ای من جهة اللہ عز وجل بطریق الخلق عند ایجاء الشیاطین او من جهة الشیاطین بطریق
الزخرفة والتسویل للکافرین الثابتین للوساوس الشیطانیة الآخذین بالمزخرفات التی یوحونها الیهم ما کانوا یعملون ما استمروا
علیه من فنون الکفر والمعاصی التی من جملتها ما حکی عنهم من القبائح فانها لو لم تکن مزینة لهم لما اصروا علیها ولما جادلوا بها الحق قیل
الآیة نزلت فی حمزة رضه وابی جهل وقیل فی عمار وابی جهل وکذلک قیل معناه کما جعلنا فی مکة اکابر مجرمیها لیمکروا فیها جعلنا
فی کل قریة من سائر القری اکابر مجرمیها لیمکروا فیها ومفعولا جعلنا اکابر مجرمیها علی تقدیم المفعول الثانی والظرف لغوا وهما الظرف
والاکابر علی ان مجرمیها بدل او مضاف الیه فان افعل التفضیل اذا اضیف جاز الافراد والمطابقة ولذلک قری اکبر مجرمیها مفعوله
الاول والثانی لیمکروا فیها ولا یخفی ان ای معنی یراد من هذه المعانی لا بد ان یکون مشهورا لتحقق عند الناس معهودا فیما بینهم
حتی یصلح ان یصرف الاشارة عن سیاق النظم الکریم وتوجیه الیه ویجعل مقیاسا لنظائره باخراجه مخرج المصدر التشبیهی وظاهر ان لیس
الامر کذلک ولا سبیل الی توجیهها الی ما یفهم من قوله تعالی کذلک زین للکافرین ما کانوا یعملون وان المراد بهم اکابر مکة لان تمام المعنی حینئذ الی قوله

كما جعلنا اعمال اهل مكة من فرعنة لهم جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها الى آخر فاذن الاقرب ان ذلك اشارة الى الكفرة المعهودين باعتبار
اتصافهم بصفاتهم والافراد بتاويل الفريق او المذكور ومحل الكاف النصب على انه المفعول الثاني لجعلنا قدم عليه لافادة التخصيص كما
في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل الآية والاول اكابر مجرميها والظرف لغوي اي مثل اولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل
قرية اكابر مجرميها اي جعلناهم متصفين بصفات المذكورين فرتبنا لهم اعمالهم مقدرين على الباطل مجادلين به الحق ليمكروا فيها اي ليغلبوا المكر
فيها وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وما يمكرون الا بانفسهم اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والوعيد للكفرة اي وما يجيق غائلة مكرهم الا بهم وما يشعرون حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود الاستثناء على النفي اي انما يمكرون بانفسهم
والحال انهم ما يشعرون بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم وقوله تعالى واذا جاءتهم آية رجوع الى بيان حال مجرمي اهل مكة بعد
ما بين بطريق التسلية حال غيرهم ايضا كذلك وان عاقبة مكر الكل ما ذكر فان العظيمة المنقولة انما صدرت عنهم لاغراض سائر المجرمين اي اذا جاءتهم
آية بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قال ابن عباس رضي الله عنهما يوحى الينا
ونأتينا جبريل فيخبرنا ان محمدا صادق كما قالوا او تاتي بالله والملائكة قبيلا وعن الحسن البصري مثله وهذا كما ترى صريح في ان المعنى
باتيان ما اوتي الرسل عليهم السلام هو اتيانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما انزل اليهم ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر عنه عند الاطلاق
خلا انه يستدعي ان يحمل ما اوتي رسل الله على مطلق الوحي ومخاطبة جبريل عم في الجملة وان يصرف الرسالة في قوله تعالى الله اعلم حيث
يجعل رسالته عن ظاهرها ويحمل على رسالة جبريل عم بالوجه المذكور ويراد بجعلها تبليغها الى المرسل اليهم او وضعها في موضعها الذي هو الرسول
ليتأتى كونه جوابا عن اقتراحهم ورده الى ان يكون معنى الاقتراح ان نؤمن بكون تلك الآيات نازلة من عند الله تعالى الى الرسول حتى تاتينا
جبريل عم بالذات عيانا كما ياتي الرسل فيخبرنا بذلك ومعنى الرد الله اعلم من يليق بارسال جبريل عم اليه من الامور اينا باتهم بمنزل من استحقاق
ذلك التشريف وفيه من التعجل ما لا يخفى وقال مقاتل نزلت في ابي جهل وفي قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان
قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا حتى ياتينا وحي كما ياتيه وقال الضحاك كان لكل واحد من القوم ان يخص بالرتبة
والوحي كما اخبر الله تعالى عنهم في قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى ان كل واحد من هذين القولين وان كان مناسبا
للرد المذكور لكنه يقتضي ان يراد بالآيات المعلق باتيانها ما اوحي الى الرسول مجردا قصد تبليغهم رسالته عليه السلام في الجملة من غير شمول لكافة الناس
وان يكون كلمة حتى قول اللعين حتى ياتينا كما ياتيه الخ غاية لعدم الايمان المفهوم من الرضى لا لعدم الاتباع فانه مقرر على تقدير ي اتيان الوحي عدمه فالمعنى
لن نؤمن برسالته اصلا حتى نؤتى نحن ايضا الوحي والنبوة مثل ما اوتيه رسل الله او اتباء مثل اتباء رسل الله واما ما قيل من ان الوليد
بن المغيرة قال للرسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر مالا وولدا انزلت فلا تعلق له
بكلامهم المردود الا ان يراد بالآيات المعلق بما ذكر مجرد الايمان بكون الآية النازلة وحيا نازلا لا الايمان بكونها نازلة اليهم فيكون المعنى
واذا جاءتهم آية نازلة الى الرسول عم فيكون المعنى واذا جاءتهم قالوا لن نؤمن بنزولها عند الله حتى يكون نزولها الينا الية لنا نحن
المستحقون دونه فانه يلخص معنى قوله لو كانت النبوة حقا الخ لو كان ما ندعيه النبوة حقا لكنت انا النبي لا انت واذا لم يكن الامر كذلك
فليستبعد مجيء ما له تعلق الايمان بحقية النبوة بكون نفسه نبيا ومثل ما اوتي نصب على الاتباعية اليهم انه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية
اي حتى نؤتى ايتاء مثل ايتاء رسل الله واضافة الايتاء اليهم لانهم منكرون لايتائه عم وحيث نصب على المفعولية توسعا او بنزع الخافض
بأعرف من انه لا يعمل فيه الظرف بل بفعل دل هو عليه اي هو اعلم يعلم الموضع الذي يضعها فيه والمعنى ان منصب الرسالة ليس مما ينال بكثرة
المال والولد وتعاضد الاسباب والعدد وانما ينال بفضائل نفسانية يخصها الله تعالى بمن يشاء من خلص عباده وقرئ رسالاته على الجمع
سيصيب الذين اجرموا استئناف آخر ناع عليهم ما سيلقونه من فنون الشر مما نعى عليهم جرائمهم تمام تلوه والتعبير للتاكيد
ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان اصابته ما يصيبهم لاجرامهم المستتبع لجميع الشرور والقبائح اي يصيبهم البتة مكان ما تنطق

قبيلا اي كفيلا

آزر عمان بالكسر اسم بتة على الخيل

فوسق رهان اي تسابق وتتابع فطلب

متعلق خبر الموت

والمعنى

وعلقوا به اطماعهم الفارغة من عزة النبوة وشرف الرسالة صغار اى ذلة وصغارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل من عند الله
وعذاب شديد في الآخرة اوفي الدنيا بما كانوا يمكرون اى بسبب مكرهم المستمر اوبمقابلته وحيث كان هذا من معظم مواد اغوائهم صرح بسببيته
فمن يرد الله ان يهديه اى يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له وينفتح وهو كناية عن جعل النفس قابلة
للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه السلام حين سئل فقال نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفتح قيل
هل لذلك من امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والاعراض عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله
اى يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يكاد يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف
وحرجا بكسر الراء اى شديد الضيق والاول مصدر وصف به مبالغة كانما يصعد ما هذه مهيئة لدخول كان على الجمل الفعلية فالسماء
شبه للمبالغة في ضيق صدره بمن يزاول الايكاد يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة وفيه تنبيه على ان الايمان
يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء تبوا عن الحق وتباعدا في الهرب عنه واصل يصعد يتصعد وقرئ يصاعد اصله
يتصاعد كذلك اى مثل ذلك الجعل الذي هو جعل الصدر حرجا على الوصف المذكور يجعل الله الرجس اى العذاب او الخذلان
قال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وقال الزجاج الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة على الذين لا يؤمنون اى عليهم
ووضع الموصول موضع المضمر للاشعار بان جعله عليهم معلل بما في حيز الصلة من كمال بعدهم في الايمان واصرارهم على الكفر وهذا اى البيان
الذي جاء به القرآن والاسلام او ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك اى طريقه الذي ارتضاه واعتاده وطريقته
التي اقتضتها حكمته وفي التعرض لعنوان الربوبية ايذان بان تقويم ذلك الصراط للتربية وافاضة الكمال مستقيما للاعوج فيه
اوعادلا مطردا او هو حال مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات بيناها منقحة
لقوم يذكرون يتذكرون في تضاعيفها فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان او شرا فانما يحدث بقضاء الله تعالى وخلقه وانه
تعالى عالم باحوال العباد وحكيم عادل فيما يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين بالذكر لانهم المنتفعون بتفصيل الآيات لهم دار السلام
اى للمتذكرين دار السلامة من كل المكاره وهي الجنة عند ربهم اى في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره تع وهو وليهم
اى مولاهم وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم الصالحة او متولي امرهم بجزائها بتولي ايصاله اليهم ويوم نحشرهم جميعا
منصوب بمضمر على المفعولية او الظرفية وقرئ بنون العظمة على الالتفات لتهويل الامر والضمير المنصوب في نحشرهم من الثقلين اى واذكر
يوم نحشر الثقلين قائلا يا معشر الجن اى يوم يحشرهم يقول يا معشر الجن او ويوم يحشرهم ويقول يا معشر الجن يكون من الاحوال او الاهوال
مالا يساعد الوصف انطاعته والمعشر الجماعة والمراد بمعشر الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس اى من اغوائهم
واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم لقولهم استكثر الامير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتقريع وقال اولياؤهم
اى الذين اطاعوهم ومن في قوله تعالى من الانس اما للبيان الجنس اى اولياؤهم الذين هم من الانس او متعلقة بمحذوف هو حال
من اولياؤهم اى كائنين من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اى انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوسل به
اليها وقيل بان التجأوا اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم بتسويلهم القوا اليهم وقيل
استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز والمخاوف واستمتاعهم بالانس اقرارهم اياهم قادرون على اجارتهم وبلغنا
اجلنا الذي اجلت لنا وهو يوم القيمة قالوه اعترافا بافعالهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث واظهارا للندامة عليها
وتحسرا على حالهم واستسلاما لربهم ولعل الاقتصار على حكاية كلام التابعين للايذان بان المضلين قد افحموا بالمرة ولم يجدوا الى الكلام
اصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية كلامهم كانه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال النار مثواكم اى مقركم او ذات
ثوائكم كما ان دار السلام مثوى المؤمنين خالدين فيها حال والعامل مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا

الا ما شاء الله قال ابن عباس رضه استثنى الله تعالى قوما قد سبق في علمه أنهم يسلمون ويصدقون النبي عليه السلام وهذا مبني على أن الاستثناء ليس من المحكي وما بعده من وقيل المعنى الا الاوقات التي يتقلبون فيها من النار الى الزمهرير فعذروا أنهم يدخلون وادياً فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم وقيل بفتح لهم ابواب من النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه حتى اذا صاروا اليه سد عليهم الباب وعلى التقديرين في الاستثناء تهكم بهم وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ولا يخفى بعده ان ربك حكيم في افعاله عليم باحوال المكلفين واعمالهم بما يليق بها من الجزاء وكذلك اي مثل ما بين من عكين الجن من اغواء الانس واضلالهم نولي بعض الظالمين من الانس بعضا اخر منهم اي نجعلهم بحيث يتولونهم بالاغواء والاضلال او نجعل بعضهم قرناء بعض في العذاب كما كانوا كذلك في الدنيا عند اقتراف ما يؤدي اليه من القبائح بما كانوا يكسبون بسبب ما كانوا مستمرين عليه من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين وتقريعهم بتفريطهم فيما يتعلق بخاصة انفسهم اثر حكاية توبيخ معشر الجن باغواء الانس واضلالهم وبيان مآل امرهم الم يأتكم اي في الدنيا رسل من عند الله عز وجل لكن لا على ان يأتي كل رسول كل واحد من الامم بل على ان يأتي كل امة رسول خاص بها اي الم يأت كل قرن منكم رسول معين وقوله تعالى منكم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسل اي كائنة من جملتكم لكن لا على انهم من جنس الفريقين متقابل من الانس خاصة وانما جعلوا منهما اما لتأكيد وجوب اتباعهم والايذان بتغاير هما ذاتا واتحادهما تكلفا وخطابا كأنهما جنس واحد ولذلك عكس احدهما فاضلال الآخر واما لان المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل وقد ثبت ان الجن قد اسمعوا القرآن وانذروا قومهم حيث نطق به قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الى قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وقوله تعالى يقصون عليكم آياتي صفة اخرى لرسل محققة لما هو المراد من ارسال الرسل من التبليغ والانذار وقد حصل ذلك بالنسبة الى الثقلين وينذرونكم بما في تضاعيفها من التقارع لقاء يومكم هذا يوم الحشر الذي قد عاينوا فيه ما اعد لهم من انواع العقوبات الهائلة قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل قالوا شهدنا على انفسنا اي باتيان الرسل وانذارهم وبمقابلتهم اياهم بالكفر والتكذيب وباستحقاقهم بسبب ذلك العذاب المخلد صريحا فصل في حكاية جوابهم عن سؤال خزنة النار حيث قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا الخ وقد اجمل ههنا في الحكاية كما اجمل في حكاية جوابهم حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا مع ما عطف عليه اعتراض لبيان ما اداهم في الدنيا الا ارتكابهم للقبائح التي ارتكبوها والجائهم في الآخرة الى الاعتراف بالكفر واستيجاب العذاب وذلك اي واغرتهم بذلك اي واغرتهم الحيوة الدنيا بالحيوة الدنية واللذات الخسيسة الفانية واغرتهم اضواء النعيم المقيم الذي بشرت به الرسل واجروا على ارتكابها بجريهم الى العذاب المؤبد الذي انذروهم اياه وشهدوا في الآخرة على انفسهم انهم كانوا في الدنيا كافرين اي بالآيات والنذر التي اتى بها الرسل على التفصيل المذكور آنفا واضطروا الى الاستسلام لاشتد العذاب كما ينبئ عنه ما حكي عنهم سوف يأتي وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وفيه من تحسرهم وتحذير السامعين عن مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه ذلك اشارة الى ما ذكر من شهادتهم على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب والخطاب للرسول عليه السلام بطريق التلوين وهو مبتدأ خبره قوله تعالى أن لم يكن ربك مهلك القرى بحذف اللام على أن أن مصدرية او مخففة من أن وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف وقوله تعالى بظلم متعلق اما بمهلك اي بسبب ظلم او بمحذوف وقع حالا من القرى اي ملتبسة بظلم فان ملابسة اهلها للظلم ملابسة للقرية لو استطهم واما كونه حالا من ربك او من ضميره في مهلك كما قيل فيأباه أن غفلة اهلها ماخوذة في معنى الظلم وحقيقة لا حالة فلا يحسن تقييده بتوصيفهما واهلها غافلون والمعنى ذلك ثابت لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك القرى بسبب اتى ظلم فعلوه من افراد الظلم قبل ان ينبهوا عنه وينتهوا على بطلانه برسول كتاب وان قضيته بديهة العقل وينذر واعاقبة جنايتهم بما ذكر ولما شهدوا على انفسهم بالكفر

واستيجاب العذاب ولا عذر والعدم اتيان الرسل كما في قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى وانما ذكر بانتفاء التعذيب الدنيوي الذي هو اهلاك القرى قبل الانذار مع ان التقريب في تعليله بانتفاء مطلق التعذيب من غير بعث الرسل اتم على ما نطق به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لبيان كمال نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين الدنيوي والاخروي معا من غير انذار على ابلغ وجه وآكده حيث اقتصر على نفي التعذيب الاخروي عنه تعالى على الوجه البرهاني بطريق الاولوية فانه تعالى حيث لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع بدون انذار فلان لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد اولى واجل ولو علل بما ذكر من نفي التعذيب لانصرف بحسب المقام الى ما فيه الكلام من نفي التعذيب الاخروي ونفي التعذيب الدنيوي غير متعرض له لا صريحا ولا دلالة ضرورة ان نفي الاعلى لا يدل على نفي الادنى ولان ترتب التعذيب الدنيوي على الانذار عند عدم تأثر المنذرين منه معلوم مشاهد عند السامعين فيستدلون بذلك على ان التعذيب الاخروي ايضا كذلك فينزجرون على الاصرار بموجب الانذار اشد انزجار هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما جعل ذلك اشارة الى ارسال الرسل عليهم السلام وانذارهم وخبر المبتدأ محذوف كما اطبق عليه الجمهور فمعزول عن مقتضى المقام والله سبحانه اعلم

ولكل اي من المكلفين من الثقلين درجات متفاوتة وطبقات متباينة مما عملوا من اعمالهم صالحة كانت او سيئة فان اعمالهم درجات في انفسها او من جزاء اعمالهم فان لكل جزاء مرتبة معينة لهم او من اجل اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل من اعمالهم او قدر ما يستحقون بها من ثواب او عقاب وقرئ بالتاء تغليبا للخطاب على الغيبة وربك الغني مبتدأ وخبر اي الموصوف بالغنى عن كل ما سواه كائنا ما كان وما كان فيدخل فيه غناه عن العباد وعن عبادتهم وفي التعرض لوصف الربوبية في الموضعين لا سيما في الثاني لكونه موقع الاضمار مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به عليه السلام وتنزيه ساحته عن توهم شمول الوعيد الآتي لها ايضا ما لا يخفى وقوله تعالى ذو الرحمة خبر آخر او هو الخبر والغني صفة اي يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سلف ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتمهيد لقوله تعالى ان يشأ يذهبكم اي ما به حاجة اليكم ان شاء يذهبكم ايها العصاة وفي تلوين الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى ويستخلف من بعدكم اي من بعد اذهابكم ما يشاء من الخلق وايثار ما على من لاظهار كمال الكبرياء واسقاطهم عن رتبة العقلاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام لكنه ابقاكم ترحما عليكم وما في كما مصدرية ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي على غير المصدر فان يستخلف في معنى ينشئ كانه قيل وينشئ انشاء كائنا كانشائكم الخ او نعت لمصدر الفعل المذكور اي يستخلف استخلافا كائنا كانشائكم الخ والشرطية استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة ان ما توعدون اي الذي توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الامور الهائلة وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار التجددي لآت لواقع لا محالة كقوله تعالى انما توعدون لواقع وايثاره عليه لبيان كمال سرعته وقوعه بتصويره بصورة طالب حثيث لا يفوته هارب حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما انتم بمعجزين اي بفائتين ذلك وان ركبتم في الهرب متن كل صعب وذلول كما ان ايثار صيغة الفاعل على المستقبل للايذان بكمال قرب الاتيان والمراد بيان دوام انتفاء الاعجاز لا بيان انتفاء دوام الاعجاز فان الجملة الاسمية كما تدل على دوام الثبوت تدل بمعونة المقام اذا دخل عليها حرف النفي على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام كما حقق في موضعه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اثر ما بين لهم حالهم ومآلهم بطريق الخطاب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين بان يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه من غاية التصلب في الدين ونهاية الوثوق بامره وعدم المبالاة بهم اي اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على جهتكم وحالتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرئ مكاناتكم والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم اني عامل ما امرت به من الثبات على الاسلام والاستمرار على الاعمال الصالحة والمصابرة وايراد التهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يؤدي اليه وتسجيل بان المهدد لا يأتي منه الا الشر كالذي امر به بحيث لا يجد الى التقصي عنه سبيلا

فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار مسوق للتأكيد مضمون الجملة والعلم عرفاني ومن اما استفهامية معلّقة لفعل العلم محلها
الرفع على الابتداء وتكون باسمها وخبرها خبرها وهي مع خبرها في محل نصب لسدّها مسدّ مفعول تعلمون اي فسوف تعلمون ايّنا تكون له
عاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه الدار لها واما موصولة فمحلها النصب على انه مفعول تعلمون اي فسوف تعلمون الذي له عاقبة الدار
وفيه مع الانذار انصاف في المقال وتنبيه على كمال وثوق المنذر بامره وقرئ بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي انه
اي ان الشأن لا يفلح الظالمون وضع الظلم موضع الكفر ايذانا بان امتناع الفلاح يترتب على اي فرد كان من افراد الظلم
فما ظنك بالكفر الذي هو اعظم افراده وجعلوا شروع في تقبيح احوالهم الفظيعة بحكاية اقوالهم وافعالهم الشنيعة وهم مشركو العرب كانوا
يعينون اشياء من حرث ونتاج لله تعالى واشياء منها لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوا لله تعالى زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا
فجعلوه لآلهتهم واذا زكا ما جعلوه لآلهتهم تركوه معتلّين بان الله تعالى غني وما ذلك الا لحب آلهتهم وايثارهم لها والجعل
اما متعدّ الى واحد فالى تاني بذر فقوله تعالى لله مما ذرأ متعلقان به ومن في قوله تعالى من الحرث والانعام بيان لما وفيه
تنبيه على فرط جهالتهم حيث اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزكي له اي عينوا له تعالى مما خلقه
من الحرث والانعام نصيبا يصرفونه الى الضيفان والمساكين وتاخيره من المجرورين لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر واما الى مفعولين اولهما مما ذرأ على ان من تبعيضية اي جعلوا بعض ما خلقه نصيبا له وما قيل من ان الاول نصيبا والثاني لله
لا يساعده سداد المعنى وحكاية جعلهم له تعالى نصيبا تدل على انهم جعلوا لشركائهم ايضا نصيبا ولم يذكر اكتفاء بقوله تعالى فقالوا هذا
لله بزعمهم وهذا لشركائنا وقرئ بضم الزاء وهو لغة فيه وانما قيد به الاول للتنبيه على انه في الحقيقة ليس بجعل الله تعالى غير مستتبع
لشيء من الثواب كالتطوعات التي يبتغى بها وجه الله تعالى لا لما قيل من انه للتنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله تعالى به
فان ذلك مستفاد من الجعل ولذلك لم يقيد به الثاني ويجوز ان يكون ذلك تمهيدا لما بعده على معنى ان قولهم هذا لله مجرد زعم منهم
لا يعملون بمقتضاه الذي هو اختصاصه به تعالى فقوله تعالى فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم
بيان وتفصيل له اي فما عينوه لشركائهم لا يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لله من قرى الضيفان والتصدق على المساكين
وما عينوه لله تعالى اذا وجدوه زاكيا تصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لآلهتهم من انفاق عليها بذبح نسائك عندها والاجراء
على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون فيما فعلوا من ايثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم وما بمعنى الذي والتقدير ساء
الذي يحكمون حكمهم فيكون حكمهم مبتدأ وما قبله الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه وكذلك ومثل ذلك التزيين البليغ المعهود من الشياطين
زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بوأدهم ونحرهم لآلهتهم كان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم
كما حلف عبد المطلب وهو مشهور شركاؤهم اي اولياؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين اخر عن الظرف والمفعول
لما مر غير مرة وقرئ على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله
وقرئ على البناء للمفعول ورفع قتل وجر اولادهم ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين كانه لما قيل زين لهم قتل اولادهم قيل
من زينه فقيل زينه شركاؤهم ليردوهم اي يهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه
من دين اسمعيل عليه السلام او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان
من السدنة ولو شاء الله اي عدم فعلهم ذلك ما فعلوه اي ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او الشركاء التزيين او الارداء
انه تعالى
واللبس او الفريقان جميع ذلك على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة فذرهم وما يفترون الفاء فصيحة اي اذا كان ما فعلوه بمشيئة
فدعهم وافتراءهم او وما يفترونه من الافك فان ما شاء الله تعالى حكما بالغة انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب اليم وفيه من شدة
الوعيد ما لا يخفى وقالوا حكاية لنوع آخر من انواع كفرهم هذه اشارة الى ما جعلوه لآلهتهم والتانيث للخبر انعام

جمع سادن وهو خادم الكعبة وبيت الاصنام

دون

وحرث حجر اى حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوى فيه الواحد والكثير والذكر والانثى لان اصله المصدر ولذلك وقع صفة للانعام وحرث وقرئ حجر بالضم وبضمتين وحجر اى ضيق واصله حرح وقيل هو مقلوب من حجر لا يطعمها الا من نشاء بعنون خدم الاوثان من الرجال ومن النساء والجملة صفة اخرى للانعام وحرث بزعمهم متعلق بمحذوف هو حال من ضمير قالوا اى قالوا ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة وانعام خبر مبتدا محذوف والجملة معطوفة على قوله تعالى هذه انعام الخ اى قالوا مشيرين الى الطائفة اخرى من انعامهم وهذه انعام حرمت ظهورها بعنون بها البحائر والسوائب ونحوها وانعام اى وهذه انعام كما مر وقوله تعالى لا يذكرون اسم الله عليها صفة للانعام لكنه غير واقع فى كلامهم المحكى كنظائره بل مسوق من جهته تعالى بيانا للموصوف تمييزا له عن غيره كما فى قوله تعالى وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله على احد التفاسير كما مر قيل وانعام ذبحت على الاصنام فانها التى لا يذكر عليها اسم الله وانما يذكر عليها اسم الاصنام وقيل لا يحجون عليها فان الحج لا يسمى عن ذكر الله تعالى قال مجاهد كانت لهم طائفة من انعامهم لا يذكرون عليها اسم الله عليها ولا فى شئ من شانها لا ان ركبوا ولا ان حلبوا ولا ان باعوا ولا ان حملوا افتراء عليه نصب على المصدرية اما على ان ما قبله فى معنى نقول على الله تعالى واما على تقدير عامل من لفظه اى افتروا افتراء والجار متعلق بقالوا او بافتروا المقدر او بمحذوف هو صفة له لا بافتراء لان المصدر المؤكد لا يعمل او على الحال من فاعل قالوا اى مفترين او على العلة اى للافتراء فالجار متعلق به سيجزيهم بما كانوا يفترون اى بسببه او بدله وفى ابهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى وقالوا حكاية لنمط آخر من فنون كفرهم ما فى بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا حلال لهم خاصة والتاء للنقل الى الاسمية او للمبالغة او لان الخالصة مصدر كالعافية بمعنى الخالص للمبالغة او بحذف المضاف اى ذو خالصة او للتانيث بناء على ان ما عبارة عن الاجنة والتذكير فى قوله تعالى ومحرم على ازواجنا اى جنس ازواجنا وهذا لان ما باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل للنظم الكريم على خلاف المعهود الذى هو الحمل على اللفظ اولا وعلى المعنى ثانيا كما فى قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم الخ ونظائره واما العكس فقد قالوا انه لا نظير له فى القرآن وهذا الحكم منهم ان ولد ذلك حيا وهو الظاهر المعتاد وان يكن ميتة اى ان ولدت ميتة فهم اى الذكور والاناث فيه اى فيما فى بطون الانعام وقيل المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فتغلب الاول على الثانى شركاء يأكلون منه جميعا وقرئ خالصة بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذى فى الظرف لا من الذى فى ذكورنا ولا فى الذكور لانه لا يتقدم على العامل المعنوى ولا على صاحبه المجرور وقرئ خالصة بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا خبره لذكورنا وتصفهم اى جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى فى امر التحليل والتحريم من قوله تعالى وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم تعليل للوعد بالجزاء فان الحكيم العليم بما صدر عنهم لا يكاد يترك جزاءهم الذى هو من مقتضيات الحكمة قد خسر الذين قتلوا اولادهم جواب قسم محذوف وقرئ بالتشديد لوجوه ربيعة ومضر واخرابهم من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبى والفقر اى خسروا دينهم ودنياهم سفها بغير علم متعلق بقتلوا على انه علة له اى لخفة عقلهم وجهلهم بان الله هو الرازق لهم ولاولادهم او نصب على الحال وبوئ بان قرئ سفها او مصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر والسوائب ونحوها افتراء على الله نصب على احد الوجوه المذكورة واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لاظهار كمال عتوهم وطغيانهم قد ضلوا عن الطريق المستقيم وما كانوا مهتدين اليه وان يهدوا ينبغون الهدايات او وما كانوا مهتدين من الاصل لسوء سيرتهم فالجملة اعتراض وعلى الاول عطف على ضلوا وهو الذى انشا جنات معروشات تمهيد لما سياتى من تفصيل احوال الانعام اى وهو الذى انشاهن من غير شركة لاحد فى ذلك بوجه من الوجوه والمعروشات من الكروم المرفوعات على ما يحملها وغير معروشات وهو الملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس وعرشوه وغير المعروشات ما نبت فى البوادى والجبال والنخل والزرع عطف على جنات اى انشاها مختلفا اكله وقرئ اكله بسكون الكاف اى ثمره الذى

يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير اما للنخل والزرع داخل في حكمه او للمزروع والباقي مقيس عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منها ومختلفان حال مقدرة اذ ليس كذلك وقت الانشاء والزيتون والرمان اي انشأهما وقوله تعالى متشابها وغير متشابه نصب على الحالية اي يتشابه بعض افرادهما في اللون والهيئة ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره اي من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم ينضج بعد وقيل فائدة رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى واتوا حقه يوم حصاده اريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار لا الزكوة المقدرة فانها فرضت بالمدينة والسورة مكية وقيل الزكوة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم بتعجيل ذلك لا يؤخر فيؤدي وقت الاداء ليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتصفية وقرئ يوم حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا اي في التصدق كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم نخلة فتصدق بثمرها كلها ولم يدخل منه شيئا الى منزله كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط الآية انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي اسرافهم ومن الانعام حمولة وفرشا شروع في تفصيل حال الانعام وابطال ما تقولوا على الله تعالى في شانها بالتحريم والتحليل وهو عطف على معمول انشأ ومن متعلقة به اي وانشأ من الانعام ما يحمل عليه الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المصنوع من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض كانها فرش مفروش عليها كلوا مما رزقكم الله ما عبارة عما ذكر من الحمولة والفرش ومن تبعيضية اي كلوا مما رزقكم الله اي حلاله وفيه تعريض بان انشأها لاجلهم ومصلحتهم ولا تتبعوا في امر التحليل والتحريم بتقليد اسلافكم المجازفين فرق ذلك من تلقاء انفسهم المفترين على الله سبحانه خطوات الشيطان فان ذلك منهم باغواء الشيطان واستتباعه اياهم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج الزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل والمراد بها الانواع الاربعة وابراده بهذا العنوان وهذا العدد تمهيد لما سيق له الكلام من الانكار المتعلق بتحريم كل واحد من الذكر والانثى وبما في بطنها وهو بدل من حمولة وفرشا منصوب بما نصبهما وجعله مفعولا لكلوا على ان جملة ولا تتبعوا الآية معترض بينهما او حالا من ما بمعنى مختلفة او متعددة باباه جزالة النظم الكريم لظهور انه مسوق لتوضيح حال الانعام بتفصيلها اولا الى حمولة وفرش ثم تفصيلهما الى ثمانية ازواج حاصلة من تفصيل الاولى الى الابل والبقر وتفصيل الثانية الى الضان والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام الاربعة الى الذكور والاناث كل ذلك لتحريم المواد التي تقولوا فيها عليها سبحانه وتعالى بالتحليل والتحريم ثم تبكيتهم باظهار كذبهم وافترائهم في كل مادة من تلك المواد بتوجيه الانكار اليها منفصلة واثنين في قوله سبحانه وتعالى من الضان اثنين بدل من ثمانية ازواج منصوب بناصبه هو العامل في من اي انشأ من الضان زوجين الكبش والنعجة وقرئ اثنان على الابتداء والضان اسم جنس كالابل وجمعه ضئين كباز واوجمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة ومن المعز اثنين عطف على مثله بتكرير العامل اي وانشأ من المعز زوجين الى التيس والعنز وقرئ بفتح العين وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ ومن المعزى وهذه الازواج الاربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها في التفصيل مع تاخرها اصلا في الاجمال لكون هذين النوعين غرضة للاكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحرمة والحل وهو السر في الاقتصار على الامر بهما في قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله من غير تعرض للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما حرموه في السائبة واخواتها قل تلوين للخطاب وتوجيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تفصيل انواع الانعام التي انشأها اي قل تبكيتا لهم واظهارا لانقطاعهم عن الجواب آلذكرين من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس حرم اي الله عز وجل كما يزعمون انه هو المحرم ام الانثيين وهما النعجة والعنز ونصب الذكرين والانثيين بحرم وهو محرم عنهما بحسب المعنى وان توسط بينهما صورة وكذا قوله تعالى امّا اشتملت عليه ارحام الانثيين اي ام ما حملت تانك النوعين من ذينك الاثنين وقوله تعالى نبئوني بعلم الخ تكرير للالزام وتثنية التبكيت والافحام اي اخبروني بامر معلوم من جهة من الكتب او اخبار الانبياء يدل على انه تعالى حرم شيئا مما ذكر او نبئوني تنبئة صادرة عنه ملتبسة بعلم ان كنتم صادقين اي في دعواكم

قال صرمت الشيء اذا قطعته وصرمت الرجل اذا قطعت كلامه اه

الله تعالى

الحرم

التحريم عليه سبحانه وقوله تعالى ومن الابل اثنين عطف على قوله تعالى ومن الضان اثنين اى وانشأ من الابل اثنين وهما الجمل والناقة
ومن البقر اثنين ذكرا وانثى قل آلذكرين حرم ام الانثيين ام ما اشتملت
عليه ارحام الانثيين من ذينك النوعين والمعنى انكار ان الله سبحانه حرم عليهم شيئا من الانواع الاربعة واظهار كذبهم فى ذلك
وتفصيل ما ذكر من الذكور والاناث وما فى بطونها للمبالغة فى الرد عليهم بايراد الانكار على كل مادة من مواد افترائهم فانهم كانوا يحرمون
ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف ما كانت تارة اخرى مسندين ذلك كله الى الله سبحانه واتى عقب تفصيل كل واحد
من نوعى الصغار ونوعى الكبار بما ذكر من الامر بالاستفهام والانكار مع حصول التبكيت بايراد الاول عقيب تفصيل الانواع الاربعة
بان يقال قل آلذكر حرم ام الانثى ام ما اشتملت عليه ارحام الاناث لما فى التثنية والتكرير من المبالغة فى التبكيت والالزام وقوله تعالى
ام كنتم شهداء تكرير للافحام كقوله تعالى ننبئونى بعلم ان كنتم صادقين ومعنى الهمزة الانكار والتوبيخ ومعنى الاضراب التوبيخ
بما ذكر اى التوبيخ بوجه آخر اى بل اكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله بهذا اى حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون
بنبى فلا طريق لكم صحيحا بعود اليه مذهبكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع وفيه من تركيك عقولهم والتهكم بهم ما لا يخفى
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما يحرم والمراد كبراؤهم المقررون بذلك او عمرو بن لحى بن قمعة هو المؤسس
بهذا الشر او الكل لاشتراكهم فى الافتراء عليه سبحانه وتعالى اى فاى فريق اظلم من فريق افتروا الخ ولا يقدح فى ظلمية الكل كون بعضهم
مخترعين له وبعضهم مقتدين بهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم واظهار كذبهم وافتراءهم اى هو اظلم من كل ظالم وان كان
المنتفى صريحا الاظلمية دون المساواة كما فى غيرة فاعل ليضل الناس متعلق بالافتراء بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا اى
افترى عليه تعالى جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى وانما وصفوا بعدم العلم مع انهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى ايذانا بخروجهم فى الظلم
عن الحدود والنهايات فان من افترى عليه تعالى بغير علم بصدوره عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه اذا كان اظلم من كل ظالم فما ظنك بمن افترى
عليه تعالى وهو يعلم انه لم يصدر عنه ويجوز ان يكون حالا من فاعل يضل اى ملتبسا بغير علم بما يؤدى بهم اليه ان الله لا يهدى القوم الظالمين
كائنا ما كان الى ما فيه صلاح حالهم عاجلا او آجلا واذا كان هذا حال المتصفين بالظلم فى الجملة فما ظنك بمن هو فى اقصى غاياته
قل اى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الزام المشركين وتبكيتهم وبيان ان ما يتقولونه فى امر التحريم افتراء بحت لا اصل
لقطعا يتبين لهم ما هو محرم عليهم وفى قوله لا اجد فيما اوحى الى محرما ايذان بان مناط الحل والحرمة هو الوحى وانه قد انتهى
ما اوحى اليه وتخلص عن المحرمات ولم يجد غير ما فصل وفيه مبالغة فى بيان انحصار ما فى ذلك فى محرما صفة لمحذوف اى لا اجد شيئا محرما
ما اوحى الى طعاما محرما من المطاعم التى حرموها على طاعم اى اى طاعم كان من ذكر او انثى ردا على قولهم محرم على ازواجنا وقوله
يطعمه لزيادة التقرير الا ان يكون اى ذلك الطعام ميتة وقرئ تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرئ ميتة بالرفع على ان ما
كان تامة وقوله تعالى اودما مسفوحا ح عطف على ان مع ما فى حيزه اى الا وجود ميتة او دما مسفوحا اى مصبوبا كالدماء
التى فى العروق لا كالطحال والكبد اولحم خنزير فانه اى الخنزير رجس اى لحمه فانه لتعوده اكل النجاسة او خبيث
او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمة اهل لغير الله به صفة موضحة اى ذبح على اسم الاصنام واصل معنى
ذلك فسقا التوغل فى الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له للاهلال وهو عطف على يكون والمستكن راجع الى ما يرجع اليه المستكن فى يكون
فمن اضطر اى اصابه الضرورة الداعية الى اكل الميتة بوجه من الوجوه المضطرة غير باغ فى ذلك على مضطر آخر مثله ولا عاد
قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم مبالغ فى المغفرة والرحمة لما يواخذه بذلك ولبس التقييد بالحال الاولى لبيان انه لم
يوجد
التقييد لتحقق الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام آخر هو اخذه حق مضطر آخر فان من اخذ لحم الميتة من يد مضطر آخر
فاكله فان حرمة ليست باعتبار كونه لحم الميت بل باعتبار كونه حقا للمضطر الآخر والحال الثانية فلتحقق زوال الحرمة المبحوث
عنها

غير باغ

قطعًا فان التجاوز عن القدر الذي يسد بالرمق حرام من حيث انه لحم الميتة وفي التوعي لو صف المغفرة والرحمة ايذان بان المعصية باقية
لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والآية محكمة لانها تدل على انه عليه السلام لم يجد فيما اوحى اليه الى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك
في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء التي هي غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا خاصة
لا على من عداهم من الاولين والآخرين حرمنا كل ذي ظفر اي كل ماله اصبع من الابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر
وسمي الحافر ظفرا مجازا او المتسبب عن الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عم التحريم كلها وهذا تحقيق لما سلف من حصر
المحرمات فيما فصل وابطال لما نحالته من فرية اليهود وتكذيب لهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم
ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما لا لحومهما فانها باقية على الحل والشحوم والثروب وشحوم الكلى والاضافة
لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما استثناء من الشحوم مخرج لما علق من الشحم بظهورهما عن حكم التحريم او الحوايا عطف على ظهورهما
او ما حملته الحوايا وهي جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن او ما اختلط بعظم عطف على ما حملت وهو
شحم الالية واختلاطه بالعظم اتصاله بعجب الذنب وقيل هو كل شحم متصل بالعظم من الاضلاع وغيرها ذلك اشارة الى الجزاء او التحريم
فهو على الاول نصب على انه مصدر مؤكد لما بعده وعلى الثاني على انه مفعول ثان له اي في ذلك التحريم جزيناهم ببغيهم اي بسبب ظلمهم اي قتلهم
الانبياء بغير حق واكلهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت
لهم وكانوا كلما اتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شيء مما احل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون انها لم تزل محرمة على الامم فرد عليهم ذلك واكد
بقوله تعالى وانا لصادقون الاخبار جميع اخبارنا التي من جملتها هذا الخبر ولقد الحمهم الحجة قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الى قوله
ان كنتم صادقين روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية كيف وقد بين فيها جميع ما يحذرون
او صح بيان فان كذبوك الضمير لليهود لانهم اقرب ذكرا ولذكر المشركين بعد ذلك بعنوان الاشراك وقيل للمشركين
فالمعنى على الاول ان كذبك اليهود في الحكم المذكور واصروا على ما كانوا عليه من ادعاء قدم التحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة
لا يؤاخذكم بكل ما تاتونه من المعاصي ويمهلكم على بعضها ولا يرد بأسه بالكلية عن القوم المجرمين فلا تنكروا ما وقع منه تعالى من تحريم
بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديدا وعلى الثاني فان كذبك المشركون فيما فصل من احكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة
واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فانه امهال لا اهمال وقيل ذو رحمة للمطيعين وذو بأس شديد
على المجرمين فاقيم مقامه قوله تعالى ولا يرد بأسه الخ لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لاحق بهم البتة من غير صارف يصرفه عنهم
اصلا سيقول الذين اشركوا حكاية لفن آخر من كفرهم واخبار قبل وقوعه ثم وقوعه حسبما اخبر به كما يحكيه قوله تعالى عند وقوعه
وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء صريح في انه من عند الله تعالى لو شاء الله ما اشركنا اي لو شاء خلاف ذلك
مشيئة ارتضاء لما فعلنا الاشراك نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ارادوا به ان ما فعلوه حق مرضي عند الله تعالى لا الاعتذار من
هذه القبائح بارادة الله تعالى اياها منهم حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة الا يرى الى قوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل ذلك
هؤلاء في انه منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب متقدموهم الرسل فانه صريح فيما قلنا وعطف آباؤنا على الضمير المتصل بلا حتى ذاقوا
بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج على ما زعمتم فتخرجوه لنا اي فتظهروه لنا
ان تتبعون الا الظن اي ما تتبعون في ذلك الا الظن الباطل الذي لا يغني من الحق شيئا وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله عز وجل
وليس فيه دلالة على المنع من اتباع الظن على الاطلاق بل فيما يعارضه قطعي قل فلله الحجة البالغة الفاء جواب شرط محذوف اي اذ ظهر ان لا حجة
لكم فلله الحجة البالغة اي البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان
وهي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن

جمع ثرب
جمع كلية
حاوية... [illegible]

ودي فلان كذبا اذا اختلقه واخترعه اختلقه والاسم الفرية صحاح

ولكونه الا الاسماء وجمع حوية او حاوية... [illegible]

العجب بالفتح اصل الذنب صح

ارتضاء

ازاصله الهم مثل انده ق

ابتداء هداية الكل بل هداية البعض القاصرين بهم الى سلوك طريق الحق وضلال آخرين صرفوا اختيارهم الى خلاف ذلك من غير صارف يلويهم
ولا عاطف يثنيهم قل هلم شهداءكم اى احضروهم وهو اسم فعل لا ينصرف على لغة اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع على لغة بنى تميم وعلى الثانى
الجمهور وقد خالفهم البعض فى فعليته وليس بشئ واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون فى اللام فانه الاصل
وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما فى الآية ولازما كما فى قوله
هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم وانما امروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم
وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفوا بما يدل على انهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم فان
بعد ما حضروا بان الله حرم هذا فلا تشهد معهم اى فلا تصدقهم فانه كذب بحت وافتراء صرف وبين لهم فساده فان تسليمه منهم موافقة
لهم فى الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر مقام المضمر للدلالة على ان من كذب بآيات الله وعدل الى غيره
فهو متبع للهوى لا غير وان من اتبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان عطف على الموصول الاول
بطريق عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف كما فى قوله تعالى الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب فى المزدحم فان من يكذب بآياته
لا يؤمن بالآخرة وبالعكس وهم بربهم يعدلون اى يجعلون له عديلا عطف على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع اهواء الذين يجمعون
بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الاشراك به سبحانه لكن لا على ان يكون مدار النهى الجمع المذكور بل على ان اولئك جامعون
لها متصفون بكلها قل تعالوا لما ظهر بطلان ما ادعوا من اشراكهم واشراك آبائهم وتحريم ما حرموه باذن الله تعالى ومشيته بظهور عجزهم
عن اظهار شئ يتمسك به فى ذلك عند اظهار شهداء يشهدون بالادعاء او التحريم بعد ما كلفوه مرة بعد اخرى عجزا بينا امر رسول الله عليه السلام
بان يبين لهم من المحرمات ما يقتضى الحال بيانه على اسلوب الحكيم ايذانا بان حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات واما الاطعمة المحرمة فقد بينت
بقوله تعالى قل لا اجد الآية وتعال امر من التعالى والاصل فيه ان يقوله من فى مكان عال لمن هو فى اسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم كما ان الغنيمة
فى الاصل اصابة الغنم من العدو ثم استعملت فى اصابة كل ما يصاب منهم اتساعا ثم فى الفوز بكل مطلب من غير مشقة اتل جواب الامر
وقوله تعالى ما حرم ربكم منصوب به على ان ما موصولة والعائد محذوف اى اقرأ الذى حرمه ربكم اى الآيات المشتملة عليه او مصدرية
اى الآيات المشتملة على تحريمه او حرم على انها استفهامية والجملة مفعول لاتل لان التلاوة من باب القول كانه قيل اتل اى شئ حرم ربكم
و عليكم متعلق بحرم على كل حال وقيل باتل والاول انسب بمقام الاعتناء بايجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة وهو السر فى التعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم فان تذكير كونه تعالى ربا لهم ومالكا لامرهم على الاطلاق من اقوى الدواعى الى انتهائهم عما نهاهم عنه اشد
انتهاء وان فى قوله تعالى ان لا تشركوا به مفسرة لفعل التلاوة المعلق بما حرم ولا ناهية كما ينبئ عنه عطف ما بعده من الاوامر والنواهى
عليه وليس من ضرورة كون المعطوف عليه تفسيرا للتلاوة المحرمات بحسب منطوقه كون المعطوفات ايضا كذلك حتى يمتنع انتظام الاوامر فى سلك
العطف عليه بل يكفى فى ذلك كونها تفسيرا لها باعتبار لوازمها التى هى النواهى المتعلقة باضداد ما تعلقت هى به فان الامر بالشئ مستلزم
للنهى عن ضده بل هو عينه عند البعض كان الاوامر ذكرت وقصد لوازمها فان عطف الاوامر على النواهى الواقعة بعد ان المفسرة لتلاوة المحرمات
مع القطع بان المأمور به لا يكون محرما دليل واضح على ان التحريم راجع الى الاضداد على الوجه المذكور فكانه قيل اتل ما حرم ربكم ان لا تشركوا ولا تسيئوا
الى الوالدين خلا انه قد اخرج مخرج الامر بالاحسان اليهما ايذانا بان التنهى المكتفى به فى المبالغة فى ايجاب مراعاة حقوقهما فان مجرد ترك الاساءة اليهما غير
كاف فى قضاء حقوقهما ولذلك عقب به النهى عن الاشراك الذى هو اعظم المحرمات واكبر الكبائر ههنا وفى سائر المواقع وقيل ان ناصبة ومحلها النصب
بعليكم على انه للاغراء وقيل النصب على البدلية مما حرم وقيل من عائد ما المحذوف على ان لا زائدة وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع بتقدير المتلو
ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا بزيادة لا وقيل والذى عليه التعويل هو الاول لامور منها ان فى اخراج المفسر على صورة النهى مبالغة
فى بيان التحريم وقوله تعالى شيئا نصب على المصدرية او المفعولية اى لا تشركوا به شيئا من الاشراك او شيئا من الاشياء وبالوالدين احسانا اى واحسنوا بهما

شهدوا

واكشف الكاتب واكتفوا
يستنفدوا اى اعاطلو ع

اصنانا وقد مر تحقيقه ولا تقتلوا اولادكم التكليف المتعلق بحقوق الوالدين اي لا تقتلوهم بالوأد من املاق اي من اجل فقر كما
في قوله تعالى خشية املاق وقيل هذا في الفقر الناجز وذاك في المتوقع وقوله تعالى نحن نرزقكم واياهم استئناف مسوق لتعليل النهي
وابطال سببيته لما اتخذوه لمباشرة المنهي عنه وضمان منه تعالى لارزاقهم اي نحن نرزق الفريقين لا انتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل
الرزق وقوله تعالى ولا تقربوا الفواحش كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الآية الا انه جيء ههنا بصيغة الجمع قصدا الى النهي عن انواعها
ولذلك ابدل عنها قوله تعالى ما ظهر منها وما بطن اي ما يفعل منها علانية في الحوانيت كما هو دأب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخدان كما هو
عادة اشرافهم وتعليق النهي بقربانها اما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي اليها واما لان قربانها داع الى مباشرتها وتوسيط النهي عنها بين
النهي عن قتل الاولاد والنهي عن القتل مطلقا كما وقع في سورة بني اسرائيل باعتبار انها مع كونها في نفسها جناية عظيمة في حكم قتل الاولاد فان اولاد الزنا
في حكم الاموات وقد قال عليه الصلوة والسلام في حق العزل ذاك وأد خفي ومن ههنا تبين ان حمل الفواحش على الكبائر مطلقا وتفسير ما ظهر
منها وما بطن بما فسر به ظاهر الاثم وباطنه فيما سلف من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله اي حرم قتلها
بان عصمها بالاسلام او بالعهد فيخرج منها الحربي وقوله تعالى الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تقتلوها في حال من الاحوال الا حال ملابستكم بالحق
الذي هو امر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان وقتل النفس المعصومة او من اعم الاسباب اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب
الا بسبب الحق الذي هو ما ذكر او من اعم المصادر اي لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا كائنا بالحق وهو القتل باحد الامور المذكورة ذلكم
اشارة الى ما ذكر من التكاليف الخمسة وما في ذلك من معنى البعد للايذان بعلو طبقاتها من بين التكاليف الشرعية وهو مبتدأ وقوله تعالى وصاكم
اي امركم به ربكم امرا مؤكدا خبره والجملة استئناف جيء به تجديدا للعهد وتأكيدا لايجاب المحافظة على ما كلفوه ولما كانت الامور
المنهي عنها مما يقضي بديهة العقول بقبحها فصلت الآية الكريمة بقوله تعالى لعلكم تعقلون اي تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم
وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة ولا تقربوا مال اليتيم توجيه النهي الى قربانه لما مر من المبالغة في النهي عن اكله ولاخراج القربان النافع
عن حكم النهي بطريق الاستثناء اي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه الا بالتي هي احسن اي الا بالخصلة التي هي احسن ما يكون من الحفظ والتثمير
ونحو ذلك والخطاب للاولياء والاوصياء لقوله تعالى حتى يبلغ اشده فانه غاية لما فهم من الاستثناء لا للنهي كانه قيل احفظوه حتى
يصير بالغا رشيدا فحينئذ سلموه اليه كما في قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم والاشد جمع شدة كنعمة وانعم او شد
ككلب واكلب او شد كصر وآصر وقيل هو مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط اي بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا
الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها الا اعتراض جيء به عقيب الامر بالعدل للايذان بان مراعاة العدل كما هو عسير كانه قيل عليكم
بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم قولا في حكومة او شهادة او نحوهما فاعدلوا فيه ولو كان اي المقول له او عليه
ذا قربى اي ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم اصلا وقد مر تحقيق معنى لو في مثل هذا الموضع مرارا وبعهد الله اوفوا اي ما عهد اليكم من الامور
المعدودة او اي عهد كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا او ما عاهدتم الله عليه من الايمان والنذور وتقديمه للاعتناء بشأنه ذلكم
اشارة الى ما فصل من التكاليف ومعنى البعد لما ذكر فيما قبل وصاكم به امركم به امرا مؤكدا لعلكم تذكرون تتذكرون
ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال وهذه احكام عشرة لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وعن ابن عباس رضي هذه آيات
محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار
وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الآيات لاول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا الآيات وان هذا
صراطي اشارة الى ما ذكر في الآيتين من الامر والنهي قاله مقاتل وقيل الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة
وقرئ صراطي بفتح الياء ومعنى اضافته الى الضمير عليه السلام انتسابه اليه عليه السلام من حيث السلوك لا من حيث الوضع كما في صراط الله والمراد بيان ان ما فصل
من الاوامر والنواهي غير مختصة بالمتلو عليهم بل متعلقة بكم ايضا وانه مستمر على العمل بها ومراعاتها وقوله تعالى مستقيما حال مؤكدة

الحانوت الدكان جمعه حوانيت صراح

تعقل

بالاضافة هو كعب بن ماتع ... الحلة من حمير ادرك زمن النبي عليه السلام ولم يره واسلم في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه سعد الدين

محل ان مع ما في خبرها الجر بحذف لام العلة اى ولان هذا صراطي اى مسلكي مستقيما فاتبعوه كقوله تعالى ولان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا او تعليل اتباعه بكونه صراطه دم لا بكونه صراط الله تعالى مع انه فرع ذلك من حيث ان سلوكه دم فيه داع للخلق الى الاتباع بذلك ينفع عندهم كونه صراط الله عز وجل وقرئ ان مخففة من ان علة ان اسمها الذي هو ضمير الشان محذوف وقرئ سراطي وقرئ وهذا صراطي وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او طرق البدع والضلالات فتفرق بكم بحذف احدى التاءين والباء للتعدية اى فتفرقكم حب تفرقها اياي سيا فهو كما ترى ابلغ في تفرقكم كما قيل من ان ذهب به لما فيه من الدلالة على الاستصحاب ابلغ من ان اذهبه عن سبيله اى سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا خروج وهو دين الاسلام الذي ذكر بعض احكامه قيل هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على ان صراطه دم عين سبيل الله تعالى ذلكم اشارة الى ما مر من اتباع سبيله تعالى وترك اتباع سائر السبل وصاكم به لعلكم تتقون اتباع سبل الكفر والضلالة ثم آتينا موسى الكتاب كلام مسوق من جهته تعالى توكيدا للوصية وتحقيقا لها وتمهيدا لما يعقبه من ذكر انزال القرآن المجيد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الا التكلم معطوف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كأنه قيل بعد قوله تعالى ذلكم وصاكم به بطريق الاستئناف تقديما لوصيته وتوكيدا لمضمونه فعلنا ذلك ثم آتينا الخ كما ان قوله تعالى ونطبع على قلوبهم معطوف على يدل عليه معنى اولم يهد الخ كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ واما عطفه على ذلكم وصاكم به ونظمه في سلك الكلام الملقن كما اجمع عليه الجمهور فمما لا يليق بجزالة النظم الكريم فتدبر وثم للتراخي في الاخبار كما في قولك بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب او للتفاوت في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى التوراة فانها اشتملت على الوصية المذكورة وغيرها اعظم في التوصية بها فقط تماما للكرامة والنعمة اى اتماما لها على انه مصدر من اتم بحذف الزوائد على الذي احسن اى على من احسن القيام به كائنا من كان ويؤيده انه قرئ على الذين احسنوا وتماما على المحسنين او على الذي احسن تبليغه وهو موسى عم او تماما على ما احسنه موسى عم اى اجاده من العلم والشرائع اى زيادة على علمه على وجه التتميم وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف وفاء على الذي لما هو احسن دين وارضاه او آتينا موسى الكتاب تماما كاملا على احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما على العلية او على المصدرية كما اشير اليه وكذا قوله تعالى وهدى ورحمة وضمير لعلهم لبني اسرائيل المدلول عليهم بذكر موسى واتيانه الكتاب في قوله تعالى بلقاء ربهم متعلقة بقوله تعالى يؤمنون قدمت عليه محافظة على الفواصل ابن عباس كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب وهذا الذي تلي عليكم ادامره ونواهيه اى القرآن كتاب عظيم الشان لا يقادر قدره وقوله تعالى انزلناه مبارك اى كثير المنافع دينا ودنيا وصف الكتاب وتقديم وصف الانزال مع كونه غير صريح لان الكلام مع منكريه او خبر ان واسم الاشارة اى انزلناه مشتملا على فنون الفوائد الدينية والدنيوية التي فصلت عليكم طائفة منها والفاء في قوله تعالى فاتبعوه لترتب ما بعدها على ما قبلها فان عظم شان الكتاب في نفسه وكونه منزلا من جنابه عز وجل مستتبعا للمنافع الدينية والدنيوية موجب لاتباعه اى ايجاب واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بموجبه ان تقولوا علة لانزلناه المدلول عليه بالمذكور للنفي لازوم الفصل حتى بين العامل والمعمول باجنبية هو مبارك وصفا كان او خبرا اى انزلناه كذلك كراهة ان تقولوا يوم القيمة لو لم ينزله انما انزل الكتاب الناطق بتلك الاحكام العالمة لكل الامم على طائفتين كائنتين من قبلنا وهما اليهود والنصارى وتخصيص الانزال بكتابيهما لانهما الذي اشتهر فيما بين الكتب السماوية بالاشتمال على الاحكام لا سيما الاحكام المذكورة وان كنا ان هي المخففة من ان عن دراستهم لغافلين اللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشان محذوف ومرادهم بذلك دفع ما يرد عليهم من ان نزوله عليهما لا ينافي عموم احكامه فلم يعملوا باحكامها العالمة ويحافظوا عليها وان لم يكن منزلا عليها وهذا يتبين ان معذرتهم هذه مع انها غير مأمورين بما في الكتابين لاشتمالها على الاحكام المذكورة المتناولة لكافة الامم كان قطع تلك المعذرة

قرئ بالجمع

قرئ بعوضة بالرفع على حذف صدر صلة ما فالتقدير بعوضة هو

احسانا وقد مر تحقيقه ولا تقتلوا اولادكم التكليف المتعلق بحقوق الوالدين اى لا تقتلوهم بالوأد من املاق اى من اجل فقر كما فى قوله تعالى خشية املاق وقيل هذا فى الفقر الناجز وذاك فى المتوقع وقوله تعالى نحن نرزقكم وإياهم استئناف مسوق لتعليل النهى وابطال سببيته لما اتخذوه لمباشرة المنهى عنه وضمان منه تعالى لارزاقهم اى نحن نرزق الوالدين لا انتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله تعالى ولا تقربوا الفواحش كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الآية الا انه جىء ههنا بصيغة الجمع قصدا الى النهى عن انواعها ولذلك ابدل عنها قوله تعالى ما ظهر منها وما بطن اى ما يفعل منها علانية فى الحوانيت كما هو دأب ارباب الاخذان الكائن عادة اشرافهم وتعليق النهى بقربانها آكد فى المبالغة فى الزجر عنها لقوة الدواعى اليها والآلان قربانها داع الى مباشرتها وتوسيط النهى عنها بين النهى عن قتل الاولاد والقتل مطلقا كما وقع فى سورة بنى اسرائيل باعتبار أنها مع كونها فى نفسها جناية عظيمة فى حكم قتل الاولاد فان ولد الزنا

الحانوت الدكان
جمع حانية
احرى

[illegible] سعة الله اى حرم قتلها [illegible]

وعن كعب الاحبار والذى نفس كعب بيده ان هذه الآيات لأول شىء فى التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا الآيات وان هذا صراطى اشارة الى ما ذكر فى الآيتين من الامر والنهى فانه مما نزل وقيل الى ما ذكر فى السورة فانها باسرها فى اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ صراطى بفتح الياء ومعنى اضافته الى ضميره عليه السلام انتسابه اليه عليه السلام من حيث السلوك لا من حيث الوضع كما فى صراط الله والمراد بيان ان ما فصل من الاوامر والنواهى غير مختصة بالمكلفين عليهم بل متعلقة بهم ايضا وانهم مستمرون على العمل بها ومراعاتها وقوله تعالى مستقيما حال مؤكدة

بالاضافة وهو كعب بن ماتع من حمير ادرك فى النوق والعبر الجملة من حمير ادرك زمن النبى عليه السلام ولم يره وهاجر فى خلافة عمر رضى الله عنه سعد الدين

[illegible] الاحبار

[illegible]

ومحل ان مع ما في حيزها الجر بحذف لام العلة اي ولان هذا صراطي اي مسلكي مستقيماً فاتبعوه كقوله تعالى ولان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً او تعليل اتباعه بكونه صراطه مع انه لا يكون صراط الله تعالى مع انه في نفسه كذلك من حيث ان سلوكه مع فيه داع للخلق الى الاتباع بذلك ينفع عندهم كونه صراط الله عز وجل وقرئ ان مخففة من ان على ان اسمها الذي هو ضمير الشان محذوف وقرئ سراطي وقرئ وهذا صراطي وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او طرق الابداع والضلالات فتفرق بكم بحذف احدى التائين والباء للتعدية اي فتفرقكم حسب تفرقها ايادي سبا فهو كما ترى ابلغ من تفرقكم كما قيل من ان ذهب به لما فيه من الدلالة على الاستصحاب ابلغ من ان اذهبه عن سبيله اي سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا حرج وهو دين الاسلام الذي ذكر بعض احكامه وقيل هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على ان صراطه عين سبيل الله تعالى ذلكم اشارة الى ما مر من اتباع سبيله تعالى وترك اتباع سائر السبل وصاكم به لعلكم تتقون اتباع سبل الكفر والضلالة ثم آتينا موسى الكتاب كلام مسوق من جهته تعالى تقريراً للوصية وتحقيقاً لها وتمهيداً لما يعقبه من ذكر انزال القرآن المجيد كما ينبئ تغيير الاسلوب بالالتفات الى التكلم معطوف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل بعد قوله تعالى ذلكم وصاكم به بطريق الاستئناف تصديقاً له وتقريراً لمضمونه فعلنا ذلكم ثم آتينا الخ كما ... ونطبع ...

قال علماء المعاني في الآية لطائف وذلك ان اصل الكلام يا رب قد شخت فان الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الراس ثم ترك الاجمال الى التفصيل لما فيه مزيد التقرير فصار ضعف بدني وشاب راسي ثم في القرينة الاولى عدل من التصريح الى الكناية التي هي ابلغ منه فصار اني وهنت عظام بدني فان وهن عظام البدن لازم للضعف ثم بنيت الكناية على المبتدأ لتقوى الحكم فحصل اني وهنت عظام بدني ثم ادخل ان لتقوى الشك فصار اني وهنت عظام بدني ثم سلك طريق الاجمال والتفصيل لمزيد التاكيد فصار اني وهن العظام من بدني لان الاولى اذا قلت اني وهن العظام افاد ان عظاماً واهنة عندك فاذا قلت من بدني فقد فصلته ثم ترك توسيط البدن لطلب مزيد اختصاص العظام به فحصل وهن العظام مني واذا حصر الوهن في هذا الجنس الذي هو اصل الاعضاء وبه قوام البدن وقد يكون جنة كسائر الاعضاء الرئيسية كالقحف للدماغ والعنق للقلب فبقية الاعضاء الاولى اولى واما القرينة الاخرى فترك الحقيقة فيها الى الاستعارة التي هي ابلغ فحصل اشتعل شيب راسي

بكسر ...
المخففة من ان ...
عليهم من ان نزوله عليهما لا ينافي عموم احكامه فلم يعملوا باحكامها العامة ويحافظوا عليها وان لم يكن منزلاً عليها وبهذا تبين ان معذرتهم هذه مع انهم غير مامورين بما في الكتابين لاشتمالهما على الاحكام المذكورة المتناولة لكافة الامم كما ان قطع تلك المعذرة

قاله البيضاوي

بانزال القرآن لاشتماله ايضا عليها لا على سائر الشرائع والاحكام فقط او تقولوا عطف على تقولوا او قرئ كلاهما بالتاء على الالتفات من خطاب
فاتبعوه واتقوا لو انا انزل علينا الكتاب كما انزل عليهم لكنا اهدى منهم الى الحق الذى هو المقصد الاقصى او الى ما فيه نضاعيفه
من جلائل الاحكام ودقائق الشرائع ودقائقها الحدة اذهاننا وكفاية اذهاننا ولذلك تلقفنا من فنون العلم كالقصص والاخبار والخطب والاشعار
ونحو ذلك طرفا صالحا ونحن اميون وقوله تعالى فقد جاءكم متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء التفصيحية اما معلل به اى لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم
واما شرط له اى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم من كونكم اهدى من الطائفتين على تقدير نزول الكتاب عليكم فقد حصل ما فرضتم وزيادة جاءكم
بينة واى بينة وحجة واضحة لاكتنه كنهها وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءكم او بمحذوف هو صفة لبينة اى بينة كائنة منه تعالى
وانما كان فيه دلالة على فضلها لاقتضائه كما ان في تنوينها التفخيمي دلالة على فضلها الذاتي وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم فرط تاكيد لايجاب الاتباع وهدى ورحمة عطف على بينة وتنوينهما ايضا تفخيمي عبر عن القرآن بالبينة اولا باعتبار كمالهم
من دراسته ثم بالهدى والرحمة تنبيها على انه مشتمل على ما اشتمل عليه التوراة من هداية الناس ورحمتهم بل هو عين الهداية والرحمة فمن اظلم
الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان مجئ القرآن المشتمل على الهدى والرحمة موجب لغاية اظلمية من يكذب به اى واذا كان الامر كذلك
فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وضع الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات تنصيصا على اتصافهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة
الحكم واستحقاقهم غير تلك الخطاب وعبر عما جاءهم بآيات الله تعالى تنبيها على ان تكذيب اية آية كانت من آياته تعالى كاف
في الاظلمية فما ظنك بتكذيب القرآن المنطوي على الكل والمعنى انكار ان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن
سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها فاذا قيل من اكرم من فلان او الافضل منه فالمراد به قطعا بحكم العرف الفاشي
والاستعمال المطرد انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وقد قرر ذلك في غير موضع من التنزيل سنجزي الذين يصدفون الناس عن آياتنا
وعيدهم ببيان جزاء اضلالهم بحيث يعم منه جزاء ضلالهم ايضا ووضع الموصول موضع الضمير لتحقيق مناط الجزاء سوء العذاب
اى العذاب السيئ الشديد الكراهة بما كانوا يصدفون اى بسبب كانوا يفعلون الصدف والصرف على التجدد والاستمرار وهذا
تصريح بما اشعر به اجراء الحكم على الموصول من علية ما في حيز الصلة له هل ينظرون استئناف مسوق لبيان انه لا يأتيهم من الآيات ما ينزل
ما ذكر من البينات والهدى وانهم لا يرعوون عن التمادي في المكابرة واقتراح ما ينافي الحكمة التشريعية من الآيات الملجئة وان الايمان عند اتيانها حينئذ
لا فائدة له اصلا مبالغة في التبليغ والانذار وازاحة العلل والاعذار اى ما ينظرون الا ان تاتيهم الملئكة اوياتي ربك
حسبما اقترحوا بقولهم لولا انزل علينا الملئكة او نرى ربنا وبقولهم اوياتي بالله والملئكة قبيلا وبقولهم لولا انزل علينا ملك وكذلك
اى الا ان تاتيهم ملئكة العذاب اوياتي امر ربك بالعذاب والانتظار محمول على التمثيل كما سيجئ وقرئ ياتيهم بالياء لان تانيث الملئكة
غير حقيقي اوياتي بعض آيات ربك اى غير ذلك كما اقترحوا بقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا وكذلك من عظائم
الآيات التي علقوا بها ايمانهم والتعبير عنها بالبعض للتهويل والتفخيم كما ان اضافة الآيات الموصفين الى اسم الرب المنبئ عن المالكية
الكلية لذلك واضافته الى ضميره صلى الله عليه وسلم للتشريف وقيل المراد بالملئكة ملائكة الموت وبإتيانه سبحانه وتعالى اتيان
كل آياته بمعنى اتيان القيمة والهلاك الكلي بقرينة ما بعده من اتيان بعض آياته تعالى على ان المراد به اشراطات عة التي هي الدخان
ودابة الارض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج
وخروج دجال ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن كما نطق به الحديث الشريف المشهور وحيث لم يكن اتيان
هذه الامور مما ينتظرونه كاتيان ما اقترحوه من الآيات فان تعلق ايمانهم باتيانها انتظار منهم لها فظاهر حمل الانتظار على التمثيل
المبني على تشبيه حالهم في الاصرار على الكفر والتمادي في العناد الى ان يأتيهم تلك الامور الهائلة التي لا بد لهم من الايمان
عند مشاهدتها البتة بحال المنتظرين لها وانت خبير بان النظم بسياقه المنبئ عن تاديهم في تكذيبهم آيات الله تعالى

وعدم الاعتداد بها وسياقة التناطق بعدم نفع الايمان عند اتيان ما ينظرونه يستدعي ان يحمل ذلك على امور مائلة مخصوصة بهم اما بان يكون
عبارة عما اقترحوه او عن عقوبات معقبة مترتبة على ضمايمها كاتيان ملئكة العذاب واتيان امره تعالى بالعذاب وهو الانسب بما سياتي من قوله تعالى
قل انتظروا انا منتظرون والا على ما ذكر من اتيان ملئكة الموت واتيان كل آيات الفيمة وظهور اشراط الساعة مع شمول اتيانها لكل نفس
واشتمال عاقبتها على كل مؤمن وكافر فمما لا يساعد المقام على ان اشراط الساعة ليس فيها ما يتدرب باب الايمان والطاعة نعم يجوز حمل
بعض الايات في قوله عز وعلا يوم ياتي بعض آيات ربك على يوم مقترحاتهم وغير ما من الدواهي المترتبة للاضطرار الذي عليه دور
فلك التكليف فانه بمنزلة الكبرى من الشكل الاول فيتم التقريب بدخول ما ينظرونه في ذلك دخولا اوليا ويوم منصوب بقوله تعالى
لا ينفع فان امتناع حمل ما بعد لا فيما قبلها عند وقوعها جواب القسم وذي يوم بالرفع على الابتدائية والخبر هو الجملة والعائد محذوف
اي لا ينفع فيه نفسا من النفوس ايمانها حين لا انكشاف الحال وكون الامر عيانا ومدار قبول الايمان ان يكون ما يغيب بكتوبة فلم يكن
ينفعهم ايمانهم لما رأوا باسنا وقرئ لا تنفع بالتاء للتانيث لكنه لما كان الايمان من ملابسة المضاف اليه تانيثا وقوله تعالى لم تكن
آمنت من قبل اي من قبل اتيان بعض الايات صفة لنفسا فصل بينهما بالفاعل لاشتمالها على ضمير الموصوف فلا ضير فيه لانه
غير اجنبي منه لاشتراكهما في العامل وقوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت بايراد الترديد على النفي المفيد لكفاية احد
النفيين في عدم النفع والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا لم تقدم ايمانها او تقدمته ولم تكسب فيه خيرا ومن ضرورته اشتراط تحقق الامرين
اي الايمان المقدم والخير المكسوب فيه بمعنى ان النافع هو تحققهما والايمان المؤخر لغو وتحصيل الحاصل لانه هو النافع وتحققهما
شرط في نفعه لما ان المقدم غير المؤخر بالذات فان قولك لا ينفع الصوم والصدقة من لم يؤمن قبلهما معناه انهما ينفعانه
عند وقوعهما بعد الايمان وقد استدل به اهل الاعتزال على عدم اعتبار الايمان المجرد عن الاعمال وليس بناهض لضرورة صحة حمله
على نفي الترديد المستلزم لعموم المفهوم بمنطوقه لاشتراط عدم النفع بعدم الامرين معا وبمفهومه لاشتراط النفع بتحقق احدهما
بطريق منع الخلو دون الانفصال الحقيقي فالمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا لم يصدر عنها من قبل احد الامرين اما الايمان المجرد
او الخير المكسوب عنه فيتحقق النفع بايهما كان حسبما ينطق به النصوص الكريمة من الايات والاحاديث وما قيل من ان عدم السابق
مستلزم بعدم كسب الخير فيه بالضرورة فيكون ذكره تكرارا بلا فائدة على ان الموجب للخلود في النار هو العدم الاول من غير ان يكون
للثاني دخل ما في ذلك قطعا فيكون ذكره بصدد بيان ما يوجب الخلود لغو من الكلام لغوام الخلود المبني على توهم ان المقصود
بوصف النفس بالعدمين المذكورين مجرد بيان انجائهما للخلود فيها وعدم نفع الايمان الحادث في انجائها عنه وليس كذلك والا لكفى في بيان
ان يقال لا ينفع نفسا ايمانها الحادث بل التعصيل الاصلي من وصفها بذينك العدمين في اثناء عدم بيان عدم نفع الايمان الحادث
تحقيق ان موجب النفع احد املتهما عن الايمان السابق والخير المكسوب فيه بما ذكر من الطريقة والترغيب في تحصيلهما من ضمن التحذير
من تركهما ولا سبيل الى ان يقال كما ان عدم الاول مستقل في ايجاب الخلود في النار فليلغو ذكر عدم الثاني لذلك وجوده مستقل
في ايجاب الخلاص عنها فيكون ذكر الثاني لغوا كما انه قد يلتبس مع الفارق كيف لا والخلود فيها امر لا يتصور فيه تعدد العلل والمانع الحاصل
مع دخول الجنة فله مراتب بعضها مترتب على بعض الايمان وبعضها مترتب على فروعه المتفاوتة كما وكيفا واتمام يتعثر على ما يوجب اصل
النفع وهو الايمان مع انه هو المقابل لما لا يوجبه اصلا اعني الايمان الحادث بل قرن به ما يوجب النفع الزائد ايضا ارشادا الى تحري الافضل
وتنبيها على كفاية الادنى واقناطا للكفرة عما علقوا به اطماعهم الفارغة من اعمال البر التي عملوها في الكفر من صلة الارحام واعتاق الرقاب
وفك العناة واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم ببيان ان كل ذلك لغو بحت لابتنائه على غير ما
صح ان نطق به قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كرماد اشتدت به الريح ونحو ذلك من النصوص الكريمة وان الايمان الحادث كما لا ينفعهم وحده
لا ينفعهم بانضمام اعمالهم السابقة واللاحقة ولك ان تقول المقصود بوصف النفس بما ذكر من العدمين التعريض بحال الكفرة في تمردهم

قائل النفس الثاني

وتوبيخهم فكل واحد من الامرين الواجبين عليهم وان كان وجوب احدهما منوطا بالآخر كما في قوله عز وجل فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى فان طغيانهم وايذاءهم اياه بتضاعف عقابهم لما تقرر من ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة كما سيجيء عنه قوله تعالى فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة اذا تحققت هذا وقوله على ان الآية الكريمة الخ بيان لكونها حجة على المعتزلة من ان تكون حجة لهم هذا وقد قيل انها من تتمة اللف التقديري اي لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها في الايمان لم تكن آمنت من قبل او كسبت فيه وليس بواضح فان جعل اللف التقديري ان يكون المقدر من متممات الكلام ومقتضيات المقام فقد ذكره تعويلا على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه اياه كما في قوله عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فانه قد طوى في المفصل ذكر حشر المؤمنين ثقة بانباء التفصيل عنه قوله تعالى فاما الذين امنوا الآية ولا ريب في ان ما قدر هينا ليس مما يتوقف عليه قوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا ولا هو من مقتضيات المقام لانه ليس مما وعد وعلق باتيان ما ذكر من الآيات كالايمان حتى يرد عليهم ببيان عدم نفعه اذ ذاك على ان ذلك مشعر بان لهم بعد ما اصابهم من ما اصابهم تباعا على السلامة وزمانا يتأتى منهم الكسب والعمل فيه وفيه من الاخلال بمقام تهويل الخطب وتفظيع الحال ما لا يخفى وقد اجيب عن الاستدلال بوجوه اخر قصارى امرها استظهار الآية الكريمة على رتبة المعارضة للنصوص القطعية المتون القوية الدلالة على ما ذكر من كفاية الايمان عند الاحتضار في النجاة من العذاب الخ الحال ولو بعد التنبا والتي لما تقرر من ان الظني يعزل عن معارضة القطعي قل لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه التهديد انتظروا ما تنظرون منه اي بيان احد الامور الثلثة لترووا اي شيء تنظرون انا منتظرون بذلك لنشاهد بما يحل بكم من سوء العاقبة وفيه تأييد لكون المراد بما ينظرونه اتيان ملائكة العذاب او اتيان امره تعالى بالعذاب كما اشير اليه وضمنية لرسول الله عليه السلام والمؤمنين بعاينتهم لما يحيق بالكفرة من العقاب ولعل ذلك هو الذي شاهدوه يوم بدر ولذلك حذف المعلم ان الذين فرقوا دينهم استئناف لبيان احوال اهل الكتابين اثر بيان حال المشركين اي بتوا دوه بعضوه فتمسك ببعض منه فرقة منهم وتركوا ما عداه فارقوا اي باينوا فان ترك بعضه وان كان باخذ بعض آخر منه ترك للكل ومفارقة له وكانوا شيعا اي فرقا تشيع كل فرقة اماما لها قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة واستثنى واحدة من فرق كل من اهل الكتابين انما هو بالنظر الى العصر الماضي قبل النسخ واما بعده فالكل في الهاوية وان اختلفت اسبابه وجوهه فمعنى قوله تعالى لست منهم في شيء لست من البحث عن تزويرهم والتعرض لمن يعاركم منهم بالمناقشة والمؤاخذة وقيل من تعاليمهم في شيء سوى تبليغ الرسالة واظهار شعائر الدين الحق الذي اوحي اليك الدعوة اليه فيكون منسوخا بآية السيف وقوله تعالى انما امرهم الى الله تعليل للنفي المذكور اي هو يتولى وحده امرهم واخراهم ويدبره كيف شاء حسبما يقتضيه الحكمة يؤاخذهم في الدنيا متى شاء وبما شاء وقيل المتوقون اهل البدع والاهواء الزائغة من هذه الامة وبرده انه مامور بمؤاخذتهم والاعذار بان من لست منهم في شيء حانث بري منهم ومن مذهبهم وهم برآء منك بازاء التعليل المذكور ثم ينبئهم اي يوم القيمة بما كانوا يفعلون عبر عن اظهاره بالتنبئة بما بينهما من الملابسة في انها سبب للعلم تنبيها على انهم كانوا حاضرين بحال اركبوه غافلين عن سوء عاقبته اي يظهر لهم عيانا وعلى رؤس الاشهاد وعليهم اي شيء شنيع كانوا يفعلونه في الدنيا علانية او سرا ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها استئناف مبين لمقادير اجزية العاملين وقد صدر بيانا لاجزية المدلول عليهم بذكر اضدادهم قال عطا عن ابن عباس رض من عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر حسنات اي من جاء يوم القيمة من المؤمنين اذ لا حسنة بغير ايمان فله عشر حسنات امثالها فضلا من الله عز وجل وقرئ عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بان الكثرة لا الحصر في العدد الخاص ومن جاء بالسيئة اي بالاعمال السيئة كائنا ما كان من العاملين فلا يجزى الا مثلها بحكم الوعد واحدة بواحدة وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم ما هو عليه مما الذين الخ الذين يدعون انهم عليه

وقد فارقوه بالكلية ونصب برأ الجملة بحرف التحقيق للاظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره ﷺ
لمزيد تشريفه اى قل لاولئك المفرقين ارشدنى ربى بالوحى وبما نصب فى الآفاق والانفس من الآيات التكوينية الى صراط مستقيم
موصل الى الحق وقوله تعالى دينا بدل صراط فان محله النصب كما فى قوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما او مفعول لفعل مضمر يدل عليه المذكور
قيما مصدر نعت به مبالغة والقياس قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام وقرئ قيما وهو جعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم
باعتبار الزنة وان كان هو ابلغ منه باعتبار الصيغة ملة ابرهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابرهيم اى مائلا عن الاديان الباطلة
وما كان من المشركين اعتراض مقرر لما اشتهر عدم عمل عليه المفرقون لدينه من عقود وعمل اى ما كان منهم فى امر من امور دينهم صلاة وغيرها
صرح بذلك ردا على الذين يدعون انهم على ملته ﷺ من اهل مكة واليهود المشركين عزيرا بن الله والنصارى المشركين المسيح ابن الله
قل ان صلاتى ونسكى اعيد الامر لما ان المامور به متعلق بنوع الشرائع وما سبق باصولها اى عبادتى كلها وقيل ونسكى جمع بينه
وبين الصلاة كما فى قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلوتى وحجى ومحياى ومماتى اى ما انا عليه فى حياتى واكون عليه عند موتى
من الايمان والطاعة او طاعات الحج والخير المضافة الى الممات كالوصية والتدبير وقرئ محياى بسكون الياء اجراء للوصل مجرى الوقف
لله رب العالمين لا شريك له خالصة لا اشرك فيها غيره وبذلك اشارة الى الاخلاص وما فيه من معنى البعد للاشعار
بعلو رتبته وبعد منزلته فى الفضل اى بذلك الاخلاص امرت لا بشىء غيره وقوله تعالى وانا اول المسلمين لبيان مبادرته
الى الامتثال بما امر به وان ما امر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكل مامورون به يقتدى به ﷺ من اسلم منهم قل اغير الله
ابغى ربا آخر فاشركه فى العبادة وهو رب كل شىء جملة حالية مؤكدة للانكار اى الحال ان كل شىء ماسواه مربوب له
فكيف يتصور ان يكون شريكا له فى العبودية ولا تكسب كل نفس الا عليها كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم اما بمعنى ليكتب علينا ما علمتم من الخطايا لا عليكم واما بمعنى لنحمل يوم القيمة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الاول اى
لا يكون جناية نفس من النفوس الا عليها ومحال ان يكون صدور ما عن شخص وقرار ما على شخص آخر حتى يأتى ما ذكرتم وقوله تعالى
ولا تزر وازرة وزر اخرى دخوله بالمعنى الثانى اى لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل نفس اخرى حتى يصح قولكم ثم الى ربكم مرجعكم
تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكل لتاكيد الوعد وتشديد الوعيد اى الى مالك امركم رجوعكم يوم القيمة فينبئكم يومئذ بما كنتم فيه
تختلفون بيان الرشد من الغى وتمييز الحق من الباطل وهو الذى جعلكم خلائف الارض حيث خلفت الامم السالفة
او يخلف بعضكم بعضا او جعلكم خلفاء الله تعالى فى ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام ورفع بعضكم فوق بعض فى الشرف والغنى
درجات كثيرة متفاوتة ليبلوكم فيما آتيكم من المال والجاه اى ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر ماذا تعملون
من الشكر وضده • ان ربك بتجريد الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام
لابراز مزيد اللطف به عليه السلام • سريع العقاب اى عقابه سريع الاتيان لمن لم يراع حقوق ما اتاه الله تعالى ولم يشكره لان كل آت
قريب او سريع التمام عند ارادة الله تعالى عن استعمال المبادى والآلات • وانه لغفور رحيم لمن رعاها كما ينبغى وفى جعل خبر هذه الجملة
من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة مؤكدا باللام مع جعل خبر الاولى صفة جارية على غير من هى له من التنبيه على انه تعالى غفور
رحيم بالذات مبالغ فيهما فاعل للعقوبة بالعرض مسامح فيها ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم رجل بالتسبيح والتحميد
فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة •

سورة الاعراف وهى مائتان وست آيات بسم الله الرحمن الرحيم

المص • اما مسرود على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة

وقفنا الله تعالى لاتمام السورة الكريمة
الف من الهجرة على صاحبها الصلوة والسلام

فمحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذا المص اى مسمى به وتذكير اسم الاشارة مع تانيث المسمى لما ان الاشارة اليه من حيث انه مسمى بالاسم المذكور لا من حيث انه مسمى بالسورة وانما صحت الاشارة اليه مع عدم سبق ذكره لما انه باعتبار كونه بصدد الذكر صار فى حكم الحاضر المشاهد وقوله عز وجل كتاب على الوجه الاول خبر مبتدأ محذوف هو ما ينبئ عنه بقدر المحذوف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف مراد به السورة كتاب الخ او اتيم اشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المؤلف منه منزلة حضور نفس المؤلف اى هذا الكتاب الذى وعلى الوجه الثانى خبر بعد خبر جئ به اثر بيان كونه مترجما باسم بديع منبئ عن غرابته فى نفسه ابانة لجلالة محله بيانا ان كونه فوق كل ما عداه من الكتب الالهية حائزا للكمالات المختصة بها وقد جوز كونه خبرا والمص مبتدأ اى المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه من ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا عهد بالتسمية قبل نزول هذه الاخبار بها انزل اليك اى من جهته تعالى بنى الفعل للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن التصريح بالفاعل لغاية ظهوره وعبر عن التنزيل بالانزال كما فى قوله جل ذكره بلغ ما انزل اليك من ربك ونظائره والجملة صفة لكتاب مقررة له ولمن انزل اليه وجعله خبرا له على معنى كتاب عظيم الشان انزل اليك خلاف الاصل فلا يكن فى صدرك حرج اى شك كما فى قوله تعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اليك خلا انه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فان الشاك يعتريه ضيق الصدر كما ان المتيقن يعتريه انشراحه وانفساحه مبالغة فى تنزيه ساحته عن نسبة الشك اليه وتوفى ضمن النهى فائدة من الاصول العقلية التى يستحيل اغفاله وما قد يقع عن نسبته اليه فى ضمن النهى على طريقة التهييج والالهاب والمبالغة فى التنفير والتحذير بايهام ان ذلك من القبح والشر بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا فكيف بمن يمكن ذلك والتنوين للتحقير والجار فى قوله تعالى منه متعلق بحرج فقبل حرج منه اى ضاق به صدرك او بمحذوف وقع صفة له اى حرج كائن منه اى لا يكن فيك شك ما فى حقيته او فى كونه كتابا منزلا اليك من عنده تعالى فالفاء على الاول لترتيب النهى او الانتهاء على مضمون الجملة فانه مما يوجب انتفاء الشك فيما ذكر بالكلية وحصول اليقين به قطعا واما على الثانى فهى لترتيب ما ذكر على الاخبار بذلك لا على نفسه فتدبر وتوجيه النهى الى الحرج مع ان المراد نهيه عليه السلام عنه اما لما فى المبالغة فى تنزيهه عليه السلام عن الشك فيما ذكر فان النهى عن الشئ مما يوهم امكان صدور المنهى عنه عن المنهى واما للمبالغة فى النهى فان وقوع الشك فى صدره عليه السلام بسبب لانصافه عليه السلام به والنهى عن السبب نهى عن المسبب بالطريق البرهانى ونقل عن اصله بالمرة كما فى قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وليس هذا من قبيل لا ارينك ههنا فان النهى هناك وارد على المسبب واردا بالنهى عن السبب فيكون المآل نهيه عليه السلام عن تعاطى ما يورث الحرج فتامل وقيل الحرج على حقيقته اى لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة ان يكذبوك او ان تقصر فى القيام بحقه فانه عليه السلام كان يخاف تكذيبهم وعداوتهم فكان يضيق صدره من الاذاء ولا ينبسط له فامنه الله عز وجل ونهاه عن المبالاة بهم فالفاء للترتيب على مضمون الجملة او على الاخبار به فان كلا منهما موجب للاقدام على التبليغ وزوال الخوف قطعا وان كان ايجاب الثانى بواسطة الاول قوله تعالى لتنذر به اى بالكتاب المنزل متعلق بانزل او بما بينهما اعتراض توسط بينهما توبيرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وضمن التوهم ان مورد ذلك هو الانزال لا الانذار وقيل متعلق بالنهى فان انتفاء الشك فى كونه منزلا من عنده تع موجب للانذار به قطعا وكذا انتفاء الخوف منهم لوا العلم بانه موفق للقيام بحقه موجب للتجاسر على ذلك وانت خبير بانه لا يتاتى على التفسير الاول لان تعليل النهى عن الشك فيما ذكر من الانذار والتذكير مع ايهامه لامكان صدوره عنه عليه السلام مشعرا بان المنهى عنه ليس محذورا لذاته بل لافضائه الى فوات الانذار والتذكير لا اقل من الانذار بان ذلك معظم غائلته ولا ريب فى فساده واما على التفسير الثانى فانما يتاتى التعليل من الانذار لا بتذكير المؤمنين اذ ليس فيه ثنائية خوف ضمن يجعل غاية لانتفائه وقوله تعالى وذكرى للمؤمنين فى حيز النصب باضمار فعل معطوف على تنذر اى وتذكر المؤمنين تذكيرا او الجر عطفا على محل ان تنذر او للانذار والتذكير وقيل مرفوع عطفا على كتاب او خبر لمبتدأ محذوف وتخصيص التذكير بالمؤمنين للايذان باختصاص الانذار بالكفرة اى لتنذر به المشركين وتذكر المؤمنين وتقديم الانذار لانه اهم بحسب المقام اتبعوا ما انزل اليكم كلام مستانف

آنا الله اعلم، البيضاوى والكشاف

آنا الله اعلم، الزمخشرى والبيضاوى وابن الزبير رحمهم الله

خوطب به كافة المكلفين بطريق التلوين وامروا باتباع ما امر النبي صلى الله عليه وسلم قبله بتبليغه بطريق الانذار والتذكير وجعله
منزلا اليهم بواسطة انزاله اليه عليه السلام اثر ذكر ما يصحبه من الانذار والتذكير لتاكيد وجوب اتباعه وقوله تعالى من ربكم متعلق بانزل
على ان من لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره في الصلة وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين
مزيد لطف بهم وترغيب لهم في الامتثال لما امروا به وتاكيد لوجوبه وجعل ما انزل ههنا عاما للسنة القولية او الفعلية بعيد نعم يعمها حكمه
بطريق الدلالة لا بطريق العبارة ولما كان اتباع ما انزله الله تعالى اتباعا له تعالى عقب الامر بذلك بالنهي عن اتباع غيره تعالى فقيل ولا تتبعوا
من دونه اي من دون ربكم الذي انزل اليكم ما يهديكم الى الحق ومحله النصب على انه حال من فاعل فعل النهي اي لا تتبعوا متجاوزين الله تعالى
اولياء من الجن والانس بان تقبلوا منهم ما يلقونه اليكم بطريق الوسوسة والاغواء من الاباطيل ليضلوكم عن الحق ويحملوكم على البدع
والاهواء الزائغة او من اولياء قدم عليه لكونه نكرة اذ لو اخر عنه لكان صفة له اي اولياء كائنة غيره تعالى وقيل الضمير للموصول على حذف
المضاف اولياء اي ولا تتبعوا من دون ما انزل باطيل اولياء كانه قيل ولا تتبعوا من دون دين ربكم دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا
كما في قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا وقوله تعالى قليلا ما تذكرون بحذف احدى التاءين وتخفيف الذال وقرئ بتشديدها على ادغام
تاء المهموسة في الذال المجهورة وقرئ يتذكرون على صيغة الغيبة وقليلا نصب اما بما بعده على انه نعت لمصدر محذوف مقدم للقصر او على
كذلك محذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون ولا تكثرون حيث لا تتاثرون بذلك ولا تعملون بموجبه
وتتركون دين الله تعالى وتبتغون غيره ويجوز ان يراد بالقلة العدم كما قيل في قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون والجملة اعتراض تذييلي مسوق
لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على القراءة الاخيرة للايذان باقتضاء سوء حالهم في عدم الامتثال بالنهي صرف الخطاب عنهم وحكاية
جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة واما نصب على انه حال من فاعل لا تتبعوا مقصود به موقعة به اي لا تتبعوا من دونه اولياء قليلا تذكركم
لكن لا على توجيه النهي الى المقيد فقط كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل الى المقيد والقيد جميعا وتخصيصه بالذكر لمزيد
تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين وكم من قرية اهلكناها شروع في انذارهم بما جرى على الامم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع دين
اوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع على الابتداء كما في قولك زيد ضربته والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز والضمير في اهلكناها
راجع الى معنى كم اي كثير من القرى اهلكناها او في موضع نصب باهلكناها كما في قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر والمراد باهلاكها اراده
اهلاكها كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة اي اردنا اهلاكها فجاءها اي فجاء اهلها بأسنا اي عذابنا بياتا مصدر بمعنى الفاعل
واقع موقع الحال اي بائتين كقوم لوط او هم قائلون عطف عليه اي او قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت
الواو من الحال المعطوفة على اختها استثقالا لاجتماع العاطفين فان واو الحال حرف عطف قد استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير
كما في جاءني زيد هو فارس فانه غير فصيح وتخصيص الحالتين بالعذاب لما ان نزول المكروه عند الغفلة والدعة افظع وحكايته
للسامعين ازجر واردع عن الاغترار باسباب الامن والراحة ووصف الكل بوصف البيات والقيلولة مع ان بعض المهلكين بمعزل
منهما لا سيما القيلولة للايذان بكمال غفلتهم وامنهم فما كان دعواهم اي دعاؤهم واستغاثتهم ربهم او ما كانوا يدعونه من دينهم
وينتحلونه من مذهبهم اذ جاءهم بأسنا عذابنا وعاينوا اماراته الا ان قالوا جميعا انا كنا ظالمين اي الا اعترافهم
بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه تحسرا وندامة وطمعا في الخلاص وهيهات ولات حين نجاة فلنسألن الذين ارسل اليهم
بيان لعذابهم الاخروي اثر بيان عذابهم الدنيوي خلا انه قد تعرض لبيان مبادي احوال المكلفين جميعا لكونه ادخل في التهويل
والفاء لترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية ذكرا حسب ترتبها عليها وجودا اي لنسألن الامم قاطبة قائلين ماذا اجبتم
المرسلين ولنسألن المرسلين عما اجيبوا قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم
والذي نفي بقوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام الاول في موقف الحساب والثاني في موقع العقاب

صاحب الكشاف وابن الوزير

اثر لوجوب الامور به

اي ما اتباع ما انزله الله تعالى منه

اي اغوا واريان الذين في انس الكل والحور عن الحق قاموس

القارئ مالك بن دينار منه

مشعر اقتضاد

اي قليلا ما تذكرون

وهما القيد والمقيد اعني الحال وذو الحال

فلنقصن عليهم اى على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او عليهم وعلى المرسلين اليهم جميعا ما كانوا عليه بعلم اى عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فكيف يخفى علينا شئ من اعمالهم واحوالهم والجملة تذييل مقرر لما قبلها والوزن اى وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديها ورفعه على الابتداء وقوله تعالى يومئذ خبره وقوله تعالى الحق صفته اى والوزن الحق ثابت يوم اذ يكون السؤال والقص وقيل خبر مبتدا محذوف كانه قيل ما ذلك الوزن فقيل الحق اى العدل السوى وقرئ القسط واختلف فى كيفية الوزن والجمهور على ان صحائف الاعمال الخ توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للعدالة وقطعا للمعذرة كما يسأل عن اعمالهم فيعترف به السنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الانبياء والملئكة والاشهاد وكما تثبت فى صحائفهم فيقرؤنها فى موقف الحساب ويؤيده ما روى ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمة الشهادة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة وقيل يوزن الاشخاص لما روى عنه عليه السلام انه ليأتى العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين بناء على ان استعمال لفظ الوزن فى هذا المعنى شائع فى اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا ان الميزان انما يراد به التوصل الى معرفة مقادير الشئ ومقادير اعمال العباد ليكون اظهار ما بذلك لانها اعراض قد فنيت وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن وقيل ان الاعمال الظاهرة فى هذه النشأة الاخرة يصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح حتى ان الذنوب والمعاصى تجسم هناك وتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام فى حق من يشرب فى اناء الذهب والفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم ولا بعد فى ذلك لا يرى ان العلم فى عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له ادنى حوال الحضرة الخ وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع فى الميزان ان قيل ان المكلف يوم القيمة اما مؤمن بانه تعالى حكيم منزه عن الجور فيكفيه حكمه تعالى بكيفيات الاعمال وكمياتها واما منكر له فلا يسلم ان رجحان بعض الاعمال على بعض لخصوصيات راجعة الى ذوات تلك الاعمال بل يسنده الى اظهار الله تعالى اياه على ذلك الوجه فما الفائدة فى الوزن اجيب بانه ينكشف الحال يومئذ ويظهر جميع الاشياء بحقائقها على ما هى عليه وبأوصافها واحوالها فانفسهم من الحسن والقبح وغير ذلك وتنخلع عن الصور المستعارة التى بها ظهرت فى الدنيا فلا يبقى ممن يشاهد ما شاهده فى انها هى التى كانت فى الدنيا بعينها وان كل واحد منها قد ظهرت فى هذه النشأة بصورتها الحقيقية المستتبعة لصفاتها ولا يخطر ببالك خلاف ذلك وقد قال تعالى اعلم فمن ثقلت موازينه تفصيل للاحكام المترتبة على الوزن والموازين اما جمع ميزان او جمع موزون على ان المراد به ما له وزن وقدر وهو الحسنات فان رجحان احدهما مستلزم لرجحان الاخر فمن رجحت موازينه التى توزن بها صحائف اعماله التى لها خطر ووزن عن الحسن البصرى وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بثقل الموازين والجمعية باعتبار معناه كما ان جمع الموازين لذلك واما ضمير موازينه فراجع اليه باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعلو طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضل والشرف هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب وهم ما ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحون للدلالة على انهم الناس الذين بلغك انهم مفلحون فى الآخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم ومن خفت موازينه اى موازين اعماله او اعماله التى لها وزن لها ولا اعتداد بها وهى اعماله السيئة فاولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بتلك الصفة القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما مر آنفا فى نظيره وهو مبتدا خبره الذين خسروا انفسهم اى ضيعوا الفطرة السليمة التى فطروا عليها وقد ايدت بالآيات البينة وقوله تعالى

بما كانوا بآياتنا يظلمون متعلق بخسروا وما مصدرية وبآياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب قدم عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الظلم فالدنيا اى فاولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين ضروا انفسهم بتعريضهم بسبب كفرهم المستمر بآياتنا ظالمين ولقد مكناكم فى الارض لما امر الله سبحانه اهل مكة باتباع ما انزل اليهم ونهاهم عن اتباع غيره وبين لهم وخامة عاقبته بالاهلاك فى الدنيا والعذاب المخلد فى الآخرة ذكر ما افاض عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيبا فى الامتثال بالامر والنهى اثر ترهيب اى جعلنا لكم فيها مكانا ومدارا او مكناكم فيها او اقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش المعايش جمع معيشة وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه فى قراءة اخلاص الياء وعن ابن عامر واحدى رواتى حمزة تشبيهها بالصحائف ومدائن والجعل بمعنى الانشاء والابداع اى انشأنا وابدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها اسبابا تعيشون بها وكل واحد من الظرفين متعلق به او بمحذوف وقع حالا من مفعول الفعل اذ لو تاخر لكان صفة له وتقديمها على المفعول مع ان حقها التاخر عنه لما مر غير مرة من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لاجله عند كون المقدم مبتدءا عن منفعة للتامع تبقى مترقبة لورود المؤخر فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن واما تقديم اللام على فى قولك انه المنبئ عما ذكر من المنفعة فالاعتناء بشانها تم والمسارعة الى ذكرها اهم هذا وقد قيل ان الجعل متعد الى مفعولين ثانيهما احد الظرفين على ان مستقر قدم على الاول والظرف الآخر اما لغو متعلق بالجعل او بالمحذوف الواقع حالا من المفعول الاول كما مر وانت خبير بانه لا فائدة يعتد بها فى الاخبار بجعل المعائش حاصلة لهم او حاصلة فى الارض وقوله تعالى قليلا ما تشكرون اى تلك النعمة تذييل مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم وبقية الكلام عين ما مر فى تفسير قوله تعالى قليلا ما تذكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عم سارية الى ذريته موجبة لشكرهم كافة وتاخيره عن تذكير ما وقع بعده من نعمة التمكين فى الارض اما لانها فائضة على المخاطبين بالذات وبهذه بالواسطة واما للايذان بان كلا منهما نعمة مستقلة موجبة للشكر على حيالها فان رعاية الترتيب الوقوعى ربما تؤدى الى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر فى قصة البقرة وتصدير الجملتين بالقسم وحرف التحقيق لاظهار كمال العناية بمضمونها واما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المراد بهما خلق آدم عم وتصويره حتما توفية لمقام الامتنان حقه وتاكيدا لوجوب الشكر عليهم بالبرهان الآتى لهم حظ من خلقه وتصويره لما انهما لسائر الخصائص المنصوبة عليه عم كسجود الملائكة له عم فى الامور الثابتة الى ذريته جميعا اذ الكل مخلوق فى ضمن خلقه على نمط مصنوع على شاكلة مكانهم الذى تعلق به خلقه وتصويره اى خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه ابدع تصوير واحسن تقويم سار اليكم جميعا ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم صريح قرآنه ورد بعد خلقه عم وتسويته ونفخ الروح فيه او منجز غير الامر المعلق الواقع قبل ذلك بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وهو المراد بما حكى بقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية فى سورة البقرة وسورة بنى اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من غير تعرض لموعده وكلمة ثم ههنا تقتضى تراخى التصوير من غير تعرض لبيان ما جرى بينهما من الامور وقد بينا فى سورة البقرة ان ذلك ظهور فضل آدم عم بعد المحاورة المسبوقة بالاخبار بعد استخلافه عم حسبما نطق به قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض الى قوله وما كنتم تكتمون فان ذلك ايضا مما ينبئ عنه الامر المعلق بالتسوية ونفخ الروح وعدم ذكره عند الحكاية لا يقتضى عدم ذكره عند وقوع المحكى كما ان عدم ذكر الامر المعلق عند حكاية الامر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة تقتضيها المقام ليست بعزيزة فى الكلام البليغ فلعله قال الى الملائكة اولا جميع ما يتوقف عليه الامر المنجز اجمالا بان قيل مثلا انى خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة فى الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحى وتبين لكم فضله فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه فنفخ فيه من روحه فقالوا عند ذلك ما قالوا او القى اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المذكورة بان قيل اثر نفخ الروح انى جاعل فيهما لك ذكر وافى حقهم ما ذكروا فابرزه الله تعالى بتعليم الاسماء فشاهدوا منهم ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر المنجز اعتناء بشان آدم عم وايذانا بوقته وقد حكى بعض الامور المذكورة فى بعض

المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يرفع غشاوة الاشتباه عن البصائر السليمة
ان ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملئكة الآيات بدل من قوله اذ يختصمون فيما قبله من قوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى
اذ يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم ولا ريب في ان المراد بالملأ الاعلى الملئكة وآدم عليهم السلام وابليس جميعا الطبق عليه جمهور المفسرين
وبما اختصامهم ما جرى بينهم في شان الخلافة من الكفال الذي من جملته ما صدر عنهم عدم من الانباء بالاسماء ومن قضية البدلية ووقوع الاختصام
المذكور في بعض اعيف ما شرح فيه مفصلا في الامر المعلق وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملئكة عدم وعناد
ابليس لعنه والمراد من بين الملئكة من البين لما عرفت من انه احد المختصمين كما ان ليس قبل الخلق ضرورة فاذن هو بعد نفخ الروح وقبل
السجود باحد الطريقين المذكورين والله تعالى اعلم فسجدوا اي الملئكة عدم بعد الامر من غير تلعثم الا ابليس استثناء متصل لما انه
كان جنيا مؤمرا مامورا بالوف من الملئكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثنى استثناء واحدا منهم اولان من الملئكة
جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما قرن سورة البقرة فقوله تعالى لم يكن من الساجدين اي ممن سجد لآدم كلام مستانف مبين لكيفية عدم
السجود المفهوم من الاستثناء فان عدم السجود قد يكون للتأمل ثم يتبع السجود وبه علم انه لم يقع قط وقيل منقطع فحينئذ يكون متصلا بما بعده
اي لكن ابليس لم يكن من الساجدين قال استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية سجوده كانه قيل فاذا قال الله تعالى
وبه يظهر وجه الالتفات الى الغيبة اذ لا وجه لتعذير السؤال على وجه المخاطبة وفيه فائدة اخرى هي الاشعار بعدم تعلق الحكي بالمخاطبين
كما في حكاية الخلق والتصوير ما منعك ان لا تسجد اي ان تسجد كما وقع في سورة ص ولا مزيدة مؤكدة بمعنى الفعل الذي دخلت
عليه كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب منبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مصروف الى خلافه فالمعنى
ما صرفك الى ان لا تسجد اذ امرتك قيل فيه دلالة على ان مطلق الامر للوجوب والورود في سورة الحجر يا ابليس مالك الا تكون
مع الساجدين وفي سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على ان اللعين قد ارتكب في
معصيته واحدة شتى معاص مخالفة الامر ومفارقة الجماعة والاباء عند الاستكبار فرسلك ودلك للمقربين والاستكبار على مخبر
آدم عم وقد وبخ على كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن آخر واشعارا
بان ان كل واحدة منها كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ راسا في سورة البقرة وسورة
بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه قال استئناف كما سبق مبني على سؤال نشأ من حكاية التوبيخ كانه قيل فاذا قال
اللعين عند ذلك فقيل قال انا خير منه تمهيد تنا عن تطبيق جوابه على السؤال بان يقول منعني كذا متوغيا لنفسه بطريق الاستئناف
شيئا بين الاستلزام لمنعه من السجود وعازعمه ومشعرا بان من هذا شانه لا يحسن ان يسجد لمن دونه فكيف يحسن ان يؤمر به كما ينبئ
عنه ما في سورة الحجر من قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون فهو اول من اسس بنيان التكبر واضع الاصول
بالحسن والقبح الفعليين وقوله تعالى خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لما ادعاه عليه من فضله ولذا اخطأ اللعين
حيث خص الفضل بما هو من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
اي بغير واسطة على وجه الاعتناء به وما من جهة الصورة كما نبه عنه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك
الامر ولذلك امر الملئكة بسجوده عليه السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره
وفي الآية دليل على الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق البشر الى الطين والشياطين الى النار باعتبار
الجزء الغالب قال استئناف كما سلف والفاء في قوله تعالى فاهبط منها لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفة الامر
وتعليله بالاباطيل واصراره على ذلك اي فاهبط من الجنة والاظهر قبل ذكر ما لشهرة كونه من سكانها قال ابن عباس رضه
كان في عدن اقفى جنة الخلد وقيل من زمرة الملئكة المعززين فان الخروج من زمرتهم هبوط وآي هبوط وفي سورة الحجر

وما جرى بعده من الاقوال والافعال واذ ليس تمام
الاختصام بعد سجود الملئكة ومكابرة ابليس وطرده
اي ثانيا،

فاخرج منها **واما ما قيل** من ان المراد الهبوط من السماء فرده ان وسوسته لآدم وهم كانت بعد هذا الطرد فلا بد ان يحمل على احد الوجهين قطعا ويكون وسوسته على الوجه الاول بطريق النداء من باب الجنة كما روى عن الحسن البصري **وقوله تعالى** فما يكون لك اى فما يصح ولا يستقيم لك **لا يليق بشانك** ان تتكبر فيها اى في الجنة او في زمرة الملئكة تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة ان يكبر فيها علة للامر المذكور فانها مكان المطيعين الخاشعين ولا دلالة فيه على جواز التكبر في غيرها **وفيه** تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه **تعالى** انما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه **وقوله تعالى** فاخرج **تاكيد** بالامر بالهبوط متفرع عليه **وقوله تعالى** انك من الصاغرين تعليل للامر بالخروج مشعر بانه لتكبره اى من الاذلاء واهل الهوان على الله **تعالى** وعلى اولياءه لتكبرك على عمر رضه من تواضع لله رفعه الله حكمة وقال التعس تعسك الله ومن تكبر وعد طوره وهصه الله الى الارض **قال** استئناف كما مر مبني على سؤال نشا مما قبله كانه قيل فماذا قال اللعين بعد ما سمع هذا الطرد المؤكد فقيل قال **انظرني** اى امهلني ولا تمتني **الى يوم يبعثون** اى آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية واراد اللعين بذلك ان يجد فسحة من اغوائهم ويأخذ منهم ثاره ويجو من الموت لاستحالة بعد البعث **قال** استئناف كما سلف **انك من المنظرين** ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله لآخرين على وجه يشعر بان السائل تبع لهم في ذلك صرح في انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء للانظار خاص به اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لان تأخير العقوبة كما قيل اى انك من جملة الذين اخرتهم ازلا حسبما يقتضيه الحكمة التكوينية الى وقت فناء غيرها استثناه الله تعالى من الطائفة هو النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسئول وقد تركت التوقيت للايجاز لتعلقه بما وقع في سورة الحجر وسورة ص كما تركت ذكر الانذار والانظار تعويلا على ما ذكر فيهما بقوله عز وجل رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وفي ارخاء زمام الانظار ابتلاء للعباد وتهييج للشوق **ان قلت** لا ريب في ان الكلام المحكي له عند صدوره عن المتكلم حالة مخصوصة تقتضي ورود على وجه خاص من وجوه النظم بحيث لو اخل شيء من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة فالكلام الواحد المحكي على وجوه شتى ان اقتضى الحال ورودها على وجه معين من تلك الوجوه الواردة عند الحكاية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه فاذا تعهد هذا **فنقول** لا يخفى ان استنظار اللعين انما صدر عنه مرة واحدة لا غير فما معنى اقتضاء الحال اظهار القراءة وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعين والطرد على نهج استدعاء الجبر في مقابلة الكسر كما هو المتبادر من قوله رب فانظرني حسبما حكي عنه في السورتين فاحكي ههنا يكون بمعزل من المطابقة لمقتضى الحال فضلا عن الورود على معارج الاعجاز **قلنا** مقام استنظاره يقتضي لما ذكر من اظهار القراءة الاستنظار على الجريان المدلول عليه بالطرد والرجم وكذا مقام الانظار يقتضي لترتيب الاخبار بالانظار على الاستنظار وقد طبق الكلام عليه في تينك السورتين ووفى كل واحد من مقامي الحكاية والمحكي حقه واما ههنا فحيث اقتضى مقام الحكاية مجرد الاخبار بالاستنظار والانظار سبقت الحكاية على نهج الايجاز والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل منهما عند المخاطبة والجواب **وان قلت** فاذن لا يكون ذلك تعللا للكلام على ما هو عليه ولا مطابقا لمقتضى المقام **قلنا** الذي يجب اعتباره في تعلل الكلام انما هو اصل معناه ونفس مدلوله الذي يفيده واما كيفية افادته فليس مما يجب مراعاته عند التعلل البتة بل قد تراعى وقد لا تراعى حسب اقتضاء المقام ولا يقدح في اصل الكلام تجريده عنها بل قد يراعى عند تعلقه بكيفيات وخصوصيات يراعيها المتكلم اصلا ولا يخل ذلك بكون المنقول اصل المعنى **الاولى** ان جميع المقالات المنقولة في القرآن الكريم انما يحكى بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها في كل من تكلم بها صدقا والا لامكن صدور الكلام المعجز عن البشر فيما اذا كان المحكي كلاما واما عدم مطابقته لمقتضى الحال فمنشأه الغفلة عما يجب توفيره مقتضاه من الاحوال فان ذلك امر هو مقام الحكاية واما مقام وقوع المحكي فان كان مقتضاه موافقا لمقتضى مقام الحكاية يوفى كل واحد من المقامين حقه كما في سورة الحجر وسورة ص فان مقام الحكاية فيهما لما كان مقتضيا لبسط الكلام وتفصيله على الكيفيات

التى وقع عليها رُوعِىَ حقّ المقامين معًا والمعانى فى هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام الحكاية الايجاز رُوعِىَ جانبه الايرى ان المخاطب المنكر اذا كان ممن لا يفهم الا اصل المعنى وجب على المتكلم ان يجرّد كلامه عن التاكيد وسائر الخواص والمزايا التى يقتضيها المقام ويخاطبه بما يساق من الوجوه لكنه مع ذلك يجب ان يقصد معنًى زائدًا يفهم بها مع آخر بمنع هو بتجريده عن الخواص عاية لمقتضى حال المخاطب فى الفهم وبذلك يرتقى كلامه عن رتبة اصوات الحيوانات كما حقق فى مقامه فاذا وجب مراعاة مقام الحكاية مع افضائها الى تجريد الكلام عن الخواص والمزايا بالمرة فما ظنك بوجوب مراعاة مع تخلية الكلام بمزايا اخر يرتقى بها الى رتبة الاعجاز لا سيما اذا وقع فى مقام وقوع فى السورتين الكريمتين وكان هذا الايجاز مبنيًا عليه وثقة به قال استئناف كما مثاله فبما اغويتنى اقسم للقسم كما فى قوله تعالى فبعزتك لاغوينهم فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته وعزته وحكم من احكام سلطانه تعالى فكأن الاقسام بهما واحد فلعل العينين اقسم بهما جميعًا لكنى تارة قسم باحدهما واخرى بالآخر والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار وما مصدرية اى فاقسم باغوائك اياى لاقعدن لهم اللام السببية على ان الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بقوله لاقعدن لهم كما فى الوجه الاول فان اللام تصد عن ذلك اى فبسبب اغوائك اياى لاجلهم اقسم بعزتك لاقعدن لآدم وذريته ترصدًا لهم كما يقعد القطاع للقطع على السابلة صراطك المستقيم الموصل الى الجنة وهو دين الاسلام فالتعدية مجاز مرسل على الكناية وانتصابه على الظرفية كما فى قوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل على نزع الخافض بتقديره على صراطك كقوله ضرب زيدا الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اى من الجهات الاربع التى يعتاد هجوم العدو منها مثل قصد ايمانهم للتسويل والاضلال من اى وجه يتيسر باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس رضه من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم وقيل من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحذر عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر ان يعلموا ويتحذروا ولكن لم يفعلوا العدم تيقظهم واحتياطهم من حيث لا يتيسر لهم ذلك وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتى منهما كالمنحرف المنحاز عنهم المار على عرضهم ونظره جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين اى مطيعين وانما قاله ظنًا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى منهم مبدأ الشر متعددًا ومبدأ الخير واحدًا وقيل سمعه من الملكة ءم قال استئناف كما سلف وارًا اخرج منها اى من الجنة او من السماء او من بين الملكة ءم مذءومًا اى مذمومًا من ذأمه اذا ذمه وقرئ مَذْوُمًا كمسول فى مسئول او كمكول فى مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام موطئة للقسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف او معنى منكم منك ومنهم على تغليب المخاطب ويا آدم اى وقلنا كما وقع فى سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه على الاهتمام بتبليغ المأمور به وتخصيص الخطاب بآدم للايذان باصالته فى تلقى الوحى وتعاطى المأمور به اسكن انت وزوجك الجنة هو من السكنى الذى هو عبارة عن اللبث والاقامة لا من السكون الذى هو ضد الحركة وانت ضمير الذى لا يصح المسكن فاسكن ليصح العطف عليه الفاء فى قوله تعالى فكلا من حيث شئتما لبيان المراد فى سورة البقرة من قوله تعالى وكلا منها رغدًا حيث شئتما من ان ذلك كان جمعًا مع الترتيب فى قوله تعالى من حيث شئتما فى معنى منها حيث شئتما ولم يذكر ههنا رغدًا ثقة بما ذكر هناك فى توجيه الخطاب اليهما تعميم التشريف والايذان بتساويهما فى مباشرة المأمور به فان حواء اسوة لءم فى صحة الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه لتعلق النهى بهما صريحًا فى قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذى وهو الاصل لتصغيره على ذى والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين اما جزم على العطف او نصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اى فعل الوسوسة لاجلهما او تكلم لهما كلامًا خفيًا مترددًا كما متكررًا او هى فى الاصل الصوت الخفى كالهيقمة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقد سبق بيان وسوسته فى سورة البقرة ليبدى لهما اى ليظهر لهما اللام للعاقبة او للغرض على انه اراد بوسوسته

اذهبا ابتاء السبيل

ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوأة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن
في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي وستر عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب
الواو المضمومة همزة في المشهورة كما قلبت في أويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها
واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال عطف على وسوس بطريق البيان ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة اي عن اكلها الا ان تكونا ملكين
اي الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة وليس فيه دلالة على افضلية الملائكة لما
ان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة
وذلك بمعزل من الدلالة على الافضلية بالمعنى المتنازع فيه وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما وصيغة المغالبة للمبالغة وقيل
اقسما له بالقبول وقيل قالا له تقسم بالله انك لمن الناصحين واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدليهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة وفيه تنبيه
على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من الاعلى الى الاسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا
لا يقسم بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اي فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها
اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم
او غيرهما وان اللباس كان نورا او ظفرا وطفقا يخصفان طفق من افعال الشروع والتلبس كاخذ وجعل وانشأ وعلق
وهب وانبرى اي اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ذلك ورق التين وقرئ يخصفان
من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان اصله يختصفان وناداهما ربهما اي مالك امرهما بطريق العتاب والتوبيخ
الم انهكما وهو تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب او معمول لقول محذوف اي وقال او قائلا الم انهكما عن تلكما الشجرة ما في اسم
الاشارة من معنى البعد لما انه اشارة الى الشجرة التي نهي عن قربانها واقل لكما عطف على الم انهكما ان الشيطان لكما عدو مبين
وهذا عتاب وتوبيخ على الاغترار بقول العدو كما انه عتاب على مخالفة النهي قيل فيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم ولكما متعلق بعدو
لما فيه من معنى الفعل او بمحذوف هو حال من عدو ولم يحك هذا القول ههنا وقد حكي في سورة طه بقوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك الآية
روي انه تعالى قال لآدم الم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك
يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى
وحصد وداس وذرى وعجن وخبز قالا ربنا ظلمنا انفسنا اي ضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهو دليل على ان الصغائر يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها
مع اجتناب الكبائر ولذلك قالاه على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات قال استئناف
كما قرراه اهبطوا خطاب لآدم وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا لهما ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم متفرقا كقوله
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ولم يذكر ههنا قبول توبتهما ثقة بما ذكر في سائر المواضع بعضكم لبعض عدو جملة حالية من فاعل
اهبطوا اي متعادين ولكم في الارض مستقر اي استقرار او موضع استقرار ومتاع اي تمتع وانتفاع الى حين وهو انقضاء
آجالكم قال اعيد الاستئناف اما للايذان ببعد ما بينه وبين ما قبله كما في قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون اثر قوله ومن يقنط من رحمة
الا الضالون وقوله تعالى ارأيتك هذا الذي كرمت علي بعد قوله أأسجد لمن خلقت طينا واما للاظهار الاعتناء بمضمون ما بعده في قوله
فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون اي للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية يا بني آدم خطاب للناس كافة
وايرادهم بهذا العنوان حمل الاخبر ستره قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدابير سماوية واسباب نازلة منها ونظيره
وانزل لكم من الانعام الآية وقوله تعالى وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد ابليس ابداءها من ابويكم حتى اضطرا الى خصف

على ان يكون مصدرا او اسم مكان صح
ربه
في العبارة لطف لا يخفى صح
الاوراق

وانتم مستغنون عن ذلك روى انه كان الحرب كانوا يطوفون بالبيت عريانا ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله تعالى فيها فنزلت ولعل
ذكر قصة آدم عليه السلام للايذان بان انكشاف العورة اول سوءاته الانسان من قبل الشيطان وانه اغواهم فذلك كما اغوى ابويهم وريشا
ولباسا تتجملون به والريش لما يتجمل اى يتمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى اى الذى
وقيل الايمان وقيل الستمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء خبره جملة ذلك خير او خبره ذلك صفة كانه قيل ولباس التقوى المشار
وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا ذلك اى انزال اللباس من آيات الله دالة على عظيم فضله وعميم رحمته لعلهم يذكرون
فيعرفون نعمة ويشكرون يا بنى آدم تكرير النداء للايذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به وايرادهم بهذا العنوان
مما لا يخفى سببه لا يفتننكم الشيطان اى لا يوقعنكم الفتنة والمحنة بان يمنعكم من دخول الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة نعت لمصدر محذوف
اى لا يفتننكم فتنة مثل اخراج ابويكم وقد جوز ان يكون التقدير لا يخرجنكم بفتنة اخراجا مثل اخراجه لابويكم والنهى وان كان متوجها الى الشيطان
لكنه فى الحقيقة متوجه الى المخاطبين كما فى قولك لا ارينك ههنا وقد مر تحقيقه مرارا ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم
او من فاعل اخرج واخراج النزع اليه للتسبيب وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى انه يريكم هو وقبيله اى جنوده وذريته
استئناف لتعليل النهى وتاكيد التحذير منه من حيث لا ترونهم من لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية والضمير
فى محل الجر باضافة الظرف اليه ورؤيتهم لنا من حيث لا نراهم لا تقتضى امتناع رؤيتنا لهم مطلقا واستحالة تمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين
جعل قبيلة من جملة فجمع اولياء للذين لا يؤمنون اى جعلناهم بما اوجدنا بينهم من المناسبة او بارسالهم عليهم وتمكينهم من اغوائهم
وحملهم على ما سولوا لهم اولياء اى قرناء مسلطين عليهم والجملة تعليل آخر للنهى وتاكيد للتحذير اثر تحذير واذا فعلوا فاحشة جملة
لا محل لها من الاعراب وقد جوز عطفها على الصلة والفاحشة الفعلة المتناهية فى القبح والنار لانها جرأة على الموصوف المؤنث او للفعل
من الوصفية الى الاسمية والمراد بها عبادة الاصنام وكشف العورة فى الطواف ونحوهما قالوا جوابا للناهين عنها وجدنا عليها آباءنا
والله امرنا بها محتجين بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله سبحانه ولعل تقديم المقدم للايذان منهم بان آباءهم انما كانوا يفعلونها
باوامر الله تعالى بها على ان ضمير امرنا لهم ولآبائهم فيظهر وجه الاعراض عن الاول فى رد مقالتهم بقوله تعالى قل ان الله لا يامر بالفحشاء
فان عادته تعالى جارية على الامر بمحاسن الاعمال والحث على مراضى الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذنب عليه عاجلا
والعقاب آجلا عقلى فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم وتستقصله العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل
لما فعلوها ثم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا وقيل لم فعلها آباؤكم فقالوا امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه مطلقا
اتقولون على الله ما لا تعلمون من تمام القول المامور به والهمزة للانكار الواقع واستقباحه وتوجيه الانكار والتوبيخ الى قولهم عليه مع
ما لا يعلمون صدوره عنه تعالى مع ان بعضهم يعلمون عدم صدوره عنه تعالى مبالغة فى انكار ذلك الصورة فان اسناد ما لم يعلم صدوره اليه تعالى كاسناد
منكر آخر اسناد ما علم عدم صدوره عنه عز وجل اشد قبحا واحق بالانكار قل امر ربى بالقسط بيان للامر به اثر بيان المنهى عنها
من الامور المنهى عنها والقسط العدل وهو الوسط من كل شئ المتجافى عن طرفى الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين
غير عادلين الى غيرها او اقيموا وجوهكم نحو القبلة عند كل مسجد فى كل وقت مسجود او مكان يسجد وهو الصلوة او فى اى مسجد حضرتكم الصلوة عند
ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة فان مصيركم اليه بالآخرة كما بدأكم اى انشاكم
ابتداء تعودون اليه باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تنويرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب
تعودون اليه وقيل حفاة عراة غرلا تعودون اليه وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا
حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق التابع للمشية المبنية على الحكم البالغة وانتصابه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى وخذل فريقا
انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون فيه دلالة على ان الكافر

واو عطف على الضمير فى يريكم لتاكيده
ولم يعطف عليه لان معمول الفعل المسكن
دون هذا البارز او انى يعطف على
معمول الفعل مدارك

جمع غرل وهو الاقلف
لم يختن منه

المخطئ

المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم اى ثيابكم لمواراة عورتكم عند
كل مسجد اى طواف او صلوة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئة للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة وكلوا
واشربوا مما طاب لكم روى ان بني عامر كانوا في ايام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم
المسلمون بمثله فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدى الى الحرام او بالافراط بالطعام والشره عليه عن ابن عباس رضه كل ما شئت
والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين قد جمع الله الطب في نصف الآية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا
انه لا يحب المسرفين اى لا يرتضى فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان
والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل
في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من انكاري قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة
وان شاركوهم فيها فبالتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحالية وقرئ بالرفع على انه خبر بعد خبر كذلك
نفصل الآيات لقوم يعلمون اى مثل هذا التفصيل نفصل سائر الاحكام لقوم يعلمون ما في تضاعيفها من المعاني الرائقة قل انما حرم ربي
الفواحش اى ما تفاحش قبحه من الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج ما ظهر منها وما بطن بدل من الفواحش اى جهرها وسرها والاثم
اى ما يوجب الاثم وهو تعميم بعد تخصيص وقيل هو شرب الخمر والبغي اى الظلم والكبر افرد بالذكر للمبالغة في الزجر عنه بغير الحق
متعلق بالبغي مؤكد لمعناه وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه برهان
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها وتوجيه التحريم الى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون
وقوعه لا ما يعلمون عدم وقوعه قد مر سره ولكل امة من الامم المهلكة اجل حد معين من الزمان مضروب لمهلكهم فاذا جاء
اجلهم ان جعل الضمير للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص
بها ومجيئه اياها بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كأنه قيل اذا جاء آجالهم بان يجئ لكل واحدة من الامم
اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظ فالاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة الحمل
التمييز اى اذا جاء لما اجلها الخاص بها لا يستأخرون عن ذلك الاجل ساعة اى شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة
منه اى لا يتأخرون اصلا وصيغة الاستفعال بعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون اى ولا يتقدمون عليه
وهو عطف على يستأخرون وكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل
عقلا كما في قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار
فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له رأسا قد نظم في عدم القبول في سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوى وجود التوبة
ح وعدمها بالمرة وقيل المراد بالمجئ الدنو بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجئ اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة فيه وليس بذاك فيعلم
بيان انتفاء الاستئخار لما ان المقصود بالذات بيان عدم خلاصهم من العذاب واما ما في قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون
من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تأخير اهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل
فسوف يعلمون فالاهم هناك بيان انتفاء السبق يا بني آدم تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة الناس اهتماما بشان ما في حيزه
اما يأتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة وفيه تنبيه على ان اتيان
الرسل امر جائز لا واجب عقلا رسل منكم الجار متعلق بمحذوف هو صفة لرسل اى كائنون من جنسكم وقوله تعالى يقصون
عليكم آياتي صفة اخرى لرسل اى يبينون لكم احكامي وشرائعي وقوله تعالى فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
جملة شرطية وقعت جوابا للشرط اى فمن اتقى منكم التكذيب واصلح عمله فلا خوف الخ وكذا قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا

معكفة على النبات كمورت

اى ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء وانما ذكرهؤلاء مع انه لا توبة لهم رأسا مبالغة في عدم قبول توبة المسوفين

ارسال

واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اى والذين كذبوا منكم الخ بآياتنا واثروا الاستكبار فى الاول للايذان بان مدار الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الاتعاظ والاجتناب عنه وادخال النار فى الجزاء الاول دون الثانى للمبالغة فى الوعيد والمراد بالموصول فى قوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اى تقول عليه تعالى ما لم يقله او كذب بما قاله اى هو اظلم من كل ظالم وقد مر تحقيقه مرارا اولئك اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان افراد الفعلين باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بتمادیهم فى سوء الحال اى اولئك الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب ينالهم نصيبهم من الكتاب اى مما كتب لهم فى اللوح من الارزاق والاعمار وقيل الكتاب اللوح اى ما اثبت لهم فيه وانما كان قسم الابتدائية متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم اى كائنا من الكتاب وقيل نصيبهم العذاب وسواد الوجه وزرقة العيون وعن ابن عباس رضى الله عنهما كتب لمن يفترى على الله تعالى سواد الوجه قال تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا اى ملك الموت واعوانه يتوفونهم اى يقبضون ارواحهم يؤيد الاول فان حتى وان كانت هى التى يبتدأ بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلابد ان يكون نصيبهم مما يتمتعون به الى حين وفاتهم اى نالهم نصيبهم من الكتاب الى ان يأتيهم ملائكة الموت فاذا جاءتهم قالوا لهم اينما كنتم تدعون من دون الله اى اين الآلهة التى كنتم تعبدونها فى الدنيا وما وقعت موصولة بائن فى خط المصحف وصلها الفصل لانها موصولة قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية سؤال الرسل كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا ضلوا عنا اى غابوا عنا فلا ندرى مكانهم وشهدوا على انفسهم عطف على قالوا الاول اى عرفوا على انفسهم انهم كانوا اى فى الدنيا كافرين عابدين لما لا يستحق العبادة اصلا حيث شاهدوا حاله وضلاله ولعله اريد بوقت مجئ الرسل وحال التوفى الزمان الممتد من ابتداء المجئ والتوفى الى انتهائه يوم الجزاء بناء على ان المجئ والتوفى فى كل ذلك الزمان بقاء وان كان حدوثهما فى اول فقط او قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء كانتهاء حاصلان عند ابتداء التوفى كما ينبئ عنه قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته والا فهذا السؤال والجواب وما يترتب عليهما انما يقعان بعد دخول النار وما جرى بين اهلها من التلاعن والتقاول انما يكون بعد البعث لا محالة قال اى الله عز وجل يوم القيمة بالذات او بواسطة الملك ادخلوا انتم فى امم قد خلت من قبلكم اى كائنين من جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس بيان لكفار الامم الماضية من النوعين فى النار متعلق بقوله ادخلوا كلما دخلت امة من الامم الثابتة واللاحقة فيها لعنت اختها التى ضلت بالاقتداء بها حتى اذا ادارکوا فيها جميعا اى تداركوا ولاحق آخرهم دخولا اولهم نزولا وهو الاتباع لاولیهم اى لاجلهم اذ الخطاب مع الله تعالى لامهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا اى مضاعفا من النار لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فلما ذكر من الضلال والاضلال واما الاتباع فلكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون اى ما لكم وما لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء وقالت اولاهم اى مخاطبين لاخراهم من سمعوا جواب الله تعالى لهم فما كان لكم علينا من فضل اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا وايا كم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب اى العذاب المعهود المتضاعف بما كنتم تكسبون من قول القادة ان الذين كذبوا بآياتنا مع وضوحها واستكبروا عنها اى عن الايمان بها والعمل بمقتضاها لا تفتح لهم ابواب السماء اى لا تقبل اذعيتهم ولا اعمالهم ولا تعرج اليها ارواحهم كما تفتح ابواب اذعية المؤمنين واعمالهم وارواحهم والتاء فى تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرئ بالتخفيف والياء وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للتاء او بالياء على انه للتأنيث ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط اى حتى يدخل ما هو مثل فى العظم فيما هو علم فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وفى كون الجمل مما ليس من شأنه الولوج فى سم الابرة مبالغة فى الاستبعاد وقرئ الجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الجمل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة والسم بالضم والكسر وقرئ فى سم الخيط وهو الخياط الى خياط

كذا بخطه

كالحرام والمحرم وكذلك اى مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى المجرمين اى جنس المجرمين وهم داخلون فى زمرتهم دخولا اوليا
لهم من جهنم مهاد اى فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم ومن تحتهم غواش ومن فوقهم غواش اى اغطية والتنوين بدل من الاعلال عند
سيبويه والتصرف عند غيره وقرئ غواش على الاصل المحذوف كما فى قوله تعالى وله الجوار المنشآت وكذلك ومثل ذلك الجزاء الشديد نجزى
الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين
وذكر المجرم مع الحرمان عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار للتنبيه على انه اعظم الجرائم والجرائر والذين آمنوا اى بآياتنا
اى بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه الآيات دخولا اوليا وقوله تعالى وعملوا الصالحات اى الاعمال الصالحة التى شرعت بالآيات وهذا
بمقابلة الاستكبار عنها لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وسط بين المبتدإ الذى هو الموصول والخبر الذى هو جملة اولئك
اصحاب الجنة للترغيب فى الكتاب المؤدى الى النعيم المقيم ببيان سهولة منالها وتيسر تحصيلها وقرئ لا تكلف نفس واسم الاشارة
مبتدأ واصحاب الجنة خبره والجملة خبر للمبتدإ الاول واسم الاشارة مبتدأ وخبره بدل من المبتدإ الاول الذى هو الموصول والخبر اصحاب
الجنة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل والشرف هم فيها خالدون حال من اصحاب الجنة وقد جوز كونه حالا
من الجنة لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او خبر لاولئك على رأى من جوزه وفيها متعلق بالخلود ونزعنا
ما فى صدورهم من غل اى يخرج فى قلوبهم اسباب الغل ويطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التعاود وصيغة الماضى للايذان بتحققه
وتقرره وعن علىّ انى لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجرى من تحتهم الانهار زيادة فى لذتهم وسرورهم
والجملة حال من الضمير فى صدورهم والعامل اما معنى الاضافة واما العامل فى المضاف او حال من فاعل نزعنا والعامل نزعنا وقيل
هى مستانفة للاخبار عن صفة احوالهم وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا اى لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدى اى لهذا المطلب
الاعلى او المطلب من المطالب التى هذا من جملتها لولا ان هدانا الله ووفقنا له واللام لتاكيد النفى وجواب لولا محذوف
ثقة بدلالة ما قبله عليه ومفعول لنهتدى عليه ان الثانى محذوف لظهور المراد ولارادة التعميم كما اشير اليه والجملة مستانفة او حالية
وقرئ ما كنا لنهتدى الخ بغير واو على انها مبينة ومقررة للاولى لقد جاءت رسل ربنا جواب قسم مقدر قالوه تبجحا واغتباطا
بما نالوه وابتهاجا بما بانهم بما جاءتهم الرسل م والباء فى قوله تعالى بالحق اما للتعدية فهى متعلقة بجاءت او للملابسة فهى متعلقة
بمقدر وقع حالا من الرسل اى والله لقد جاؤا ملتبسين بالحق او لقد جاؤا بالحق وتوددوا اى نادتهم الملائكة بان تلكم الجنة
ان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اى بانه وضمير الشان محذوف ومعنى البعد فى اسم الاشارة اما للايذان بعلو رتبتهم
عند ربهم ايانا من مكان بعيد واما للرفع من منزلتها وبعد رتبتها واما للاشعار بانها تلك الجنة التى وعدوها فى الدنيا اورثتموها
بما كنتم تعملون فى الدنيا من الاعمال الصالحة اى اعطيتموها بسبب اعمالكم او بمقابلة اعمالكم والجملة حال من الجنة والعامل معنى
الاشارة على ان تلكم الجنة مبتدأ وخبرا والجنة صفة والجر اورثتموها ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار تبجحا
بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسرا لهم لا لمجرد الاخبار بحالهم وان استخبارهم عما حل باصحابهم ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا
حيث بلغنا هذا المنال الجليل فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا حذف المفعول من الفعل الثانى استغناء عنه بالمفعول الاول
بالنظر عند الوعد وقيل لان ما شاء لهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصا بهم وعدا كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة فانهم قد وصلوا
جميع ذلك حقا وان لم يكن وعدهم مخصوصا بهم قالوا نعم اى وجدناه وقرئ بكسر العين وهى لغة فيه فاذن مؤذن قيل
هو صاحب الصور بينهم اى بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين بان المخففة او المفسرة وقرئ بان المشددة
ونصب لعنة وقرئ ان بكسر الهمزة على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة مقررة
للظالمين او رفع على الذم او نصب عليه ويبغونها عوجا اى يبغون لها هو جا بان يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهو البعد

شئ منهما والعوج بالكسر في المعنى والاعيان ما لم يكن منتصبا وبالفتح ما كان في المنتصب كالرمح والحائط وهم بالآخرة كافرون غير معترفين
وبينهما حجاب اى بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور وبين الجنة والنار ليمنع وصول أثر احدهما الى الاخر وعلى الاعراف
اى على اعراف الحجاب واعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشئ فانه لظهوره
اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيجلسون بين الجنة والنار لقضاء الله تعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علمت
حدباتهم كالانبياء والشهداء والاخيار والعلماء من المؤمنين او ملئكة يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار
بسيماهم بعلاماتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم بالقلب كالباء
من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او بتعليم الملائكة ونادوا اى اصحاب الاعراف اصحاب الجنة حين رأوهم ان سلام عليكم
بطريق الدعاء والتحية او بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره لم يدخلوها حال من فاعل نادوا اى من مفعوله وقوله تعالى وهم
يطمعون حال من فاعل يدخلوها اى نادوهم وهم لم يدخلوها حال كونهم طامعين في دخولها مترقبين له اى لم يدخلوها وهم في وقت عدم
الدخول طامعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار اى الجهتهم وفي عدم التعرض لتعلق انظارهم باصحاب الجنة والتعبير
عن تعلق ابصارهم باصحاب النار بالصرف اشعار بان التعلق الاول بطريق الرغبة والميل والثاني بخلافه قالوا متعودين بالله تعالى
من سوء حالهم ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اى في النار وصفهم بالظلم دون ما هم عليه من العذاب وسوء الحال التي هو
للدعاء اشعار بان المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط بل مع ما يوجبه ويؤدي اليه من الظلم ونادى اصحاب الاعراف كرر ذكرهم
مع كناية الاضمار لزيادة التقرير رجالا هم رؤساء الكفار حين رأوهم فيما بين اصحاب النار يعرفونهم بسيماهم الدالة على سوء
الحال يومئذ وعلى رياستهم في الدنيا قالوا بدل من نادى ما اغنى عنكم ما استفهامية للتوبيخ والتقريع او نافية جمعكم اى اتباعكم
واشياعكم كونكم جمعكم للمال وما كنتم تستكبرون ما مصدرية اى اغنى عنكم جمعكم واستكباركم المستمر عن قبول الحق او عن الخلق وهو
الانسب بما بعد وقرئ تستكثرون من الكثرة اى من الاموال والجنود اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم
لرجال والاشارة الى ضعفاء المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرون في الدنيا ويحلفون صريحا انهم لا يدخلون الجنة او ضمنا بما ينبئ
عن ذلك كلا لما قالوه تعالى اى لم يكونوا اقسمتم بالكم من زوال ادخلوا الجنة بلوين للخطاب وتوبيخ الاولئك المذكورين اى ادخلوا
الجنة على رغم انوفهم لا خوف عليكم بعد هذا ولا انتم تحزنون او قيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى
بعد ان حبسوا وشاهدوا احوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا والاظهر ان لا يكون المراد باصحاب الاعراف المقصرين في العمل
لان هذه المعاملات وما يتفرع عليها من المعرفة لا يليق بمن لم يتعين حاله بعد وقيل لما عبروا اصحاب الاعراف
لا يدخلون الجنة قال الله تعالى او الملئكة ردا عليهم هؤلاء الخ وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقدير دخلوا الجنة مقولا لهم
لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة بعد ان استقر كل من الفريقين القرار واطمأنت به الدار ان افيضوا علينا
من الماء اى صبوه وفيه دلال على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او على الاطعمة
على ان الافاضة عبارة عن الاعطاء بكثرة قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل فاذا قالوا فقيل قالوا ان الله حرمهما
على الكافرين اى منعهما منهم منعا كليا فلا سبيل الى ذلك قطعا الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والسائبة
ونحوهما والتعبد به حول البيت والله هو صرف اللهم الى ما لا يحسن ان يصرف اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب
وغرتهم الحيوة الدنيا بزخارفها العاجلة فاليوم ننسيهم نفعل بهم ما يفعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم
في النار تركا كليا والفارق فاليوم فصيحة وقوله تعالى كما نسوا لقاء يومهم هذا في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
اى ننساهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وقوله تعالى وما كانوا بآياتنا يجحدون

عطف

عطف على ما نسوا اى وكما كانوا منكرين بانها من عند الله تعالى انكارا مستمرا ولقد جئناهم بكتاب فصلناه اى بينا معانيه من العقائد
والمواعظ والقصص للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس او للمعاصرين منهم والكتاب هو القرآن على علم حال من فاعل فصلناه اى عالمين بوجه
تفصيله حتى جاء حكيما او من مفعوله اى مشتملا على كثير من وقرئ فصلناه اى على سائر الكتب عالمين بفضله هدى ورحمة حال من المفعول لقوم
يؤمنون لانهم المغتنمون باثاره المقتبسون من انواره هل ينظرون الا تاويله اى ما ينتظر هؤلاء الكفرة بعدم ايمانهم به الا ما يؤول اليه امره
من تبين صدقه بظهور ما اخبر به من الوعد والوعيد يوم ياتى تاويله وهو يوم القيمة يقول الذين نسوه من قبل اى تركوه ترك المنسى من قبل اتيان
تاويله قد جاءت رسل ربنا بالحق اى قد تبين انهم قد جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم ويدفعوا عنا العذاب او نرد
اى هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسئول احد الامرين اما الشفاعة لدفع العذاب او الرد
الى الدنيا وعلى الثانى ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد هو الرد فنعمل بالنصب على انه جواب الاستفهام الثانى وقرئ بالرفع
اى فنحن نعمل غير الذى كنا نعمل اى فى الدنيا قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم التى هى رأس مالهم فى الكفر والمعاصى وضل عنهم ما كانوا يفترون
اى ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من ان الاصنام شركاء الله تعالى وشفعاؤهم يوم القيمة ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام
شروع فى بيان مبدأ الفطرة اثر بيان معاد الكفرة اى ان خالقكم ومالككم الذى خلق الاجرام العلوية والسفلية فى ستة اوقات كقوله تعالى
ومن يولهم يومئذ دبره او فى مقدار ستة ايام فان المتعارف ان اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفى خلق الاشياء مدرجا
مع القدرة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث على التانى فى الامور ثم استوى على العرش اى استوى امره واستولى
وعن اصحابنا رحمهم الله ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن
والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمى به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشى الليل النهار
اى يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ بنصب الليل ورفع النهار وقرئ بالتشديد للدلالة على التكرار يطلبه
حثيثا اى يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شئ والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا
او من المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اى خلقهن حال كونهن مسخرات بقضائه وتصريفه وقرئ كلها
بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد للكل والمتصرف فيه على الاطلاق تبارك الله رب العالمين اى تعالى
بالوحدانية فى الالوهية وتعظم بالتفرد فى الربوبية وتحقيق الآية الكريمة والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق
للربوبية واحد هو الله تعالى لانه الذى له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالشمس والقمر والنجوم
كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين وعمد الى الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئة المختلفة ثم قسمها
بصور نوعية متباينة الآثار والافعال واشار اليه بقوله تعالى وخلق الارض فى يومين اى ما فى جهة السفل فى يومين ثم انشأ انواع المواليد
الثلثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله تعالى خلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر
فيها اقواتها فى اربعة ايام اى مع اليومين الاولين لما فصل فى سورة السجدة ثم لما تم عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على سريره
فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالى والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال تعالى
الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امر بان يدعوه مخلصين متذللين فقال ادعوا ربكم الذى قد عرفتم شئونه الجليلة
تضرعا وخفية اى ذوى تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين اى لا يحب المعتدين المجاوزين لما امروا
به فى كل شئ فيدخل الاعتداء فى الدعاء دخولا اوليا وقد نبه به ان الداعى يجب ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل
هو الصياح فى الدعاء والاسهاب فيه وعن النبى صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسئلك الجنة
وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الارض

يكون الليل الشمس على الفلك اه

الاستيلاء العلو الغلبة اه

بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرح الاحكام وادعوه خوفا وطمعا اى ذوى خوف نظرا الى قصور اعمالكم وعدم استحقاقكم
وطمع نظرا الى سعة رحمته ووفور فضله واحسانه ان رحمة الله قريب من المحسنين فى كل شئ ومن الاحسان فى الدعاء ان يكون مزوجا
بالخوف والقطع وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة لمحذوف اى ان قريب او على تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول او الذى
هو مصدر كالنقيض والصهيل او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره او لاكتسابه التذكير من المضاف اليه كما ان المضاف يكتسب التانيث
من المضاف اليه وهو الذى يرسل الرياح عطف على الجملة السابقة وقرئ الريح بشرا تخفيف بشر جمع بشير اى مبشرات وقرئ بنشر
الباء على انه مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وقرئ نشرا بالنون المضمومة جمع نشور اى ناشرات او مفعول مطلق
فان الارسال والنشر متقاربان بين يدى رحمته قدام رحمته التى هى المطر فان الصبا تنشر السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره
والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اى حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشئ يستقله سحابا ثقالا بالماء جمع لانه بمعنى السحاب
ثقاله اى السحاب وافراد الضمير لافراد اللفظ لبلد ميت اى لاجله ولمنفعته او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء
اى بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح والتذكير باعتبار المذكور وكذلك قوله تعالى فاخرجنا به ويحتمل ان يعود الضمير الى الماء وهو الظاهر
واذا كان للبلد فالباء للالصاق فى الاول والظرفية فى الثانى واذا كان لغيره فهى للسببية من كل الثمرات اى من كل انواعها كذلك يخرج الموتى
اشارة الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اى كما يحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات يخرج الموتى من الاجداث
ويحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون بطرح احدى التاءين اى تتذكرون فتعلمون
ان من قدر على ذلك قدر على هذا من غير شبهة والبلد الطيب اى الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره وغيره
عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لاذا دقه فى مقابلة والذى خبث من البلاد لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع وضع على
والتقدير والبلد الذى خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا او قرئ لا يخرج الا نكدا
اى لا يخرج البلد الا نكدا او قرئ نكدا على المصدر اى ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك اى مثل ذلك التصريف البديع نصرف
الآيات اى نرددها وننوعها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وهذا كما ترى مثل لارسال الرسل عليهم السلام بالشرائع التى هى
ماء حيوة القلوب الى المكلفين المتفهمين الا المتنبهين من انوارها والمحرومين من مغانم آثارها وقد عقب ذلك بما يحققه ويقرره من قصص
الامم الخالية بطريق الاستئناف فقيل لقد ارسلنا نوحا الى قومه وهو جواب قسم محذوف اى والله لقد ارسلنا الخ والمراد استقبال هذه الامم
مع ما قد كان مدخولها مطلقة للتوقع الذى هو معنى قد فان الجملة القسمية انما تساق لتاكيد الجملة المقسم عليها ونوح هو ابن ملك بن متوشلخ
بن اخنوخ وهو ادريس النبى عليه السلام قال ابن عباس رضى الله عنهما بعث على راس اربعين سنة من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة
وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا ومائتين واربعين سنة وقيل مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة
وقيل وهو ابن مائتين وخمسين ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة
وخمسين سنة فقال يا قوم اعبدوا الله اى اعبدوه وحده وترك التقييد به للايذان بانه العبادة حقيقة والما العبادة بالاشراك فليس
من العبادة فى شئ وقوله تعالى ما لكم من اله غيره اى من مستحق للعبادة استئناف مسوق لتعليل العبادة المذكورة او الامر بها وغيره مالرفع صفة للاله
باعتبار محله الذى هو الرفع على الابتداء او الفاعلية وقرئ بالجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وهكذا غير حكم الاسم الواقع بعد الا
اى ما لكم من اله للاياه كقولك ما فى الدار من احد الا زيدا او غير زيد فمن الثانى جعل مبتدأ لكم خبره او خبره محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اى ما لكم
فى الوجود او فى العالم اله غير الله ان اخاف عليكم ان لم تعبدوه حسبما امرت به عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة او يوم الطوفان والجملة تعليل
للعبادة ببيان الصارف عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعى اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الانذار قال الملا من قومه
استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية قوله عليه السلام كانه قيل فماذا قالوا له فى مقابلة نصحه فقيل قال الرؤساء من قومه الاشراف الذين

كالسبى الحرة د

طرين ٣

يملؤن صدور المحافل باجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم وابهتهم انا لنراك في ضلال اى في ذهاب عن الحق والصواب والروية
مبينة ومفعولا به الضمير والظرف مبين بين كونه ضلالا قال استئناف كما سبق يا قوم نادا هم باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم
نحو الحق ليس بي ضلالة اى شئ ما نافي الضلال فصدوه بتحقيق الحق في نفي الضلال عن نفسه ردا على الكفرة حيث ابدوا في اثباته له دم حيث
فعلوه مستقرا في الضلال الواضح كونه ضلالا وقوله تعالى ولكني رسول من رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في اقصى
مراتب الهداية فان رسالة رب العالمين مستلزمة لا محالة كائنة قيل ليس بي شئ من الضلالة ولكني في الغاية القاصية من الهداية ومن لابتداء الغاية
مجازا متعلقة بمحذوف هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى رسول واحد كائن من رب
العالمين ابلغكم رسالات ربي استئناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احكامها واحوالها وقيل صفة اخرى لرسول على طريقة
انا الذي سمتني امي حيدرة وقرئ ابلغكم من الابلاغ وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها او لان المراد بها ما اوحي اليه
والى النبيين من قبله دم وتخصيص بوبيته تعالى به دم بعد بيان عمومها للعالمين للاشعار بعلة الحكم الذي هو تبليغ رسالته تعالى اليهم فان ربوبيته
تعالى دم من موجبات امتثاله باموره تعالى بتبليغ رسالته وانصح لكم عطف على ابلغكم مبين لكيفية ادائه الرسالة وزيادة اللام مع تعدي
النصح بنفسه للدلالة على اخلاص النصيحة لهم وانها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد نصيحته لهم كما يعرب عنه قوله
رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا وقوله تعالى واعلم من الله ما لا تعلمون عطف على ما قبله وتقرير لرسالته دم اى اعلم من جهة الله تعالى ما لو
ما تعلمونه من الامور الآتية او اعلم من شؤونه عز وجل وقدرته القاهرة وبطشه الشديد على اعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه
قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين آمنين لا يعلمون ما عليه نوح دم بالوحي او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم
جواب ورد لما انكر عن ذكره بقولهم انا لنراك في ضلال مبين من قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا وقولهم ولو شاء الله لانزل ملائكة
والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل اعاستبعدتم وعجبتم من ان جاءكم ذكر اى وحي وموعظة من مالك امركم
وربكم على رجل منكم اى على لسان رجل من جنسكم كقولهم لما وعدنا على رسلك وقلتم لاجل ذلك ما قلتم من ان الله تعالى لو شاء لانزل
ملائكة لينذركم علة للمجيء اى ليحذركم عاقبة الكم والمعاصي ولتتقوا عطف على العلة الاولى مترتب عليها ولعلكم ترحمون عطف على العلة
الثانية مترتبة عليها اى ولتتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم وفائدة حرف الترجي التنبيه على عزة المطلوب وان التقوى غير موجب للرحمة بل
منوطة بتفضل الله تعالى وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله عز وجل فكذبوه فنصوا على تكذيبه في دعوى النبوة وما
نزل عليه من الوحي الذي بلغه اليهم فانذرهم بما في ضمن تضاعيفه واستمروا على ذلك هذه المدة المتطاولة بعد ما كرر عليهم الدعوة مرارا فلم يزدهم
دعاؤه الا فرارا فحينئذ نطق بقوله تعالى رب اني دعوتهم ليلا ونهارا الآية اذ هو الذي يعقبه الانجاء والاغراق لا مجرد التكذيب
فانجيناه والذين معه من المؤمنين قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل عشرة ابناؤه الثلثة وستة ممن آمن به
وقوله تعالى في الفلك متعلق بالاستقرار في الظرف اى استقروا معه في الفلك او صحبوه فيه او بفعل الانجاء اى انجيناهم في السفينة
ويجوز ان يتعلق بمضمر وقع حالا من الموصول او من ضميره في الظرف واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا الى استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملاء
المتصدين للجواب فقط بل كل من اصر على التكذيب منهم ومن اعقابهم وتقديم ذكر الانجاء على الاغراق للمسارعة الى الاخبار به والايذان
بسبق الرحمة التي هي مقتضى الذات وتقديمها على الغضب الذي يظهر اثره بمقتضى جرائمهم انهم كانوا قوما عمين عمى القلوب غير مستبصرين
قال ابن عباس رض عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقرئ عامين والاول ادل على الثبات والدوام والى عاد متعلق
بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح دم وهو الناصب لقوله اخاهم هودا اى وارسلنا الى عاد اخاهم اى واحدا منهم في النسب لا في الدين
كقولهم يا اخا العرب وقيل العامل فيها الفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا والاول هو الاولى وآيا ما كان فعلى تقديم المجرور هيهنا
على المفعول التصريح بالحذر عن الاضمار قبل الاظهار ويرشدك الى ذلك ما سيأتي من قوله تعالى ولوطا الخ فان قومه لما لم يعهد وا بهم معروف تقيض الحال

ذكره ههنا مضافًا اليهم كما في قصة عاد وثمود ومدين خولف في النظم الكريم بين قصته وبين القصص الثلث وقوله تعالى هودًا عطف بيان لما قبله
وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عم وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح بن عم لابي عاد
وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله في صدقه وامانته واقرب الى اتباعه قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ارسالهم اليهم كأنه قيل
فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده كما يوجب عنه قوله ما لكم من اله غيره فانه استئناف جار مجرى البيان للعبادة المأمور بها
والتعليل لها او للامر بها كأنه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئًا اذ ليس لكم اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملًا على لفظ
افلا تتقون انكار واستبعاد لعدم اتقائهم عذاب الله تعالى بعد ما علموا حال من قوم نوح والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي افلا تتذكرون او
اتعقلون فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوف عليه معًا او تعلمون ذلك فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوف فقط وفي سورة هود افلا تعقلون ولعلهم خاطبهم
بكل منهما وقد اكتفى بحكاية كل منهما في موطن عن حكايته في موطن آخر كما لم يذكر ههنا ما ذكر هناك من قوله تعالى ان انتم الا مفترون وقف على ذلك حال
بقية ما ذكر وما لم يذكر من اجزاء القصة بل حال نظائره في سائر القصص لاستمرار المحاورات الجارية في الادوار المتعددة والله اعلم قال الملأ
الذين كفروا من قومه استئناف كما مر واما وصف الملأ بالكفر ولم يكن كلهم على الكفر كملأ قوم نوح بل كان منهم من آمن له عليه السلام ولكن كان كثيرهم
اياه كمرثد بن سعد وقيل وصفوا به لمجرد الدم انا لنريك في خفة عقل استخفوا فيها حيث فارقت دين آبائك الا انهم اليقنوا بها
ولكن لا يعلمون وانا لنظنك من الكاذبين اي فيما ادعيت من الرسالة قالوه لعرافتهم في التقليد وحرمانهم من النظر الصحيح قال
مستعطفًا ومستميلًا قلوبهم مع ما سمع من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول والمشافهة بالسوء يا قوم ليس بي سفاهة
اي شيء منها ولا شائبة من شوائبها ولكني رسول من رب العالمين استدراك قما قبله باعتبار ما يستلزمه وينتضيه من كونه في الغاية
القصوى من الرشد والاتقان فان الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك حتمًا كأنه قيل ليس بي شيء مما نسبتموني اليه ولكني في غاية
ما يكون من الرشد والصدق ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك ومن لابتداء الغاية مجازًا متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول
مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وقوله تعالى ابلغكم رسالات ربي استئناف مبين لتقرير رسالته وتفصيل احوالها
وقيل صفة اخرى لرسول والكلام في اضافة الرب الى ضمير المتكلم بعد اضافته الى العالمين وكذا في جمع الرسالات كالذي مر في قصة نوح عم
وقرئ ابلغكم من الابلاغ وانا لكم ناصح امين موصوف بالنصح والامانة مشهور بين الناس بذلك وانما جيء بالجملة الاسمية دلالة على
الاستمرار وانما بان من هذه الحالة لا يجوم حوله شائبة السفاهة والكذب او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم الكلام فيه كالذي
مر في قصة نوح عم على رجل منكم اي من جنسكم لينذركم ويحذركم عاقبة ما انتم عليه من الكفر والمعاصي فتنسبوني الى السفاهة
والكذب وفي اضافة الانبياء عليهم السلام من يشافههم بما لا خير فيه من امثال تلك الاباطيل ما حكي عنهم في المقالات الحقة الملوية عن
نهاية الحكم والرزانة وكمال الشفقة والرأفة في الدلالة على صيانتهم القدح المعاني من مكارم الاخلاق ما لا يخفى مكانه واذكروا
اذ جعلكم خلفاء شروع في بيان ترتيب احكام النصح والامانة والانذار وتفصيلها وانه منصوب باذكروا على المفعولية دون الظرفية
وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما فيه
بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت هي حاضرة بتفاصيلها كانت مشاهدة عيانًا وتعلة معطوف على مقدر
كأنه قيل لا تعجبوا من ذلك وتدبروا امركم واذكروا وقت جعلكم اياكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم
ملوكًا قاهرين شداد بني عاد ممن ملك معمورة الارض من رحل عالج الى شجر عمان وزادكم في الخلق اي في الابداع والتصوير او في القامة
بسطة قامة وقوة فانه لم يكن في زمانهم مثلهم في عظم الاجرام قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة
القصير منهم ستين ذراعًا فاذكروا آلاء الله التي انعم بها عليكم من فنون النعماء التي هذه من جملتها وهذا تكرير للتذكير لزيادة التقرير
وتعميم اثر التخصيص لعلكم تفلحون كي يؤديكم ذلك الى الشكر المؤدي الى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب قالوا مجيبين

عن تلك النصائح العظيمة اجئتنا لنعبد الله وحده اى لنخصه بالعبادة ونذر ما كان يعبد آباؤنا انكروا عليهم مجيئه لتخصيصه تعالى
بالعبادة والاعراض عن عبادة الاوثان انهما كانا فى التقليد وضنا بما الفوه والفوا اسلافهم عليه ومعنى الجزع انا مجيئه مم عن معتقده ومعتاده
وانا من التسامح على التهكم وانا التصدى والتصدى مجازا كما يقال فى مقابلة ذهب شتمنى من غير ارادة معنى الذهاب فاتنا بما نعدنا من العذاب
الدال عليه بقوله تعالى ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين اى فى الاخبار بنزول العذاب وجواب ان محذوف لدلالة المذكور عليه اى
فاتنا به قال قد وقع عليكم اى وجب وحق او نزل باصراركم هذا بناء على تنزيل المتوقع منزلة الواقع كما فى قوله تعالى اتى امر الله من ربكم اى من جهته تعالى
وتقديم الظرف الاول على الثانى مع ان مبدأ الشئ متقدم على منتهاه للمسارعة الى بيان اصابة المكروه بهم وكذا تقديمها على الفاعل الذى هو قوله تعالى
رجس مع ما فيه من التشويق الى المؤخر وللاشعار فيه بنوع طول بما عطف عليه من قوله تعالى وغضب فربما يخل تقديمها بتجاوب النظم الكريم
والرجس العذاب من الارتجاس الذى هو الاضطراب والغضب ارادة الانتقام وتنوينها للتفخيم والتهويل اتجادلوننى فى اسماء
عارية عن المسمى سميتموها اى سميتم بها انتم وآباؤكم انكر واستقباح لانكارهم مجيئه مم داعيا لهم الى عبادة الله تعالى وحده وترك
عبادة الاصنام اى اتجادلونى فى اشياء سميتموها آلهة ليست هى الا محض الاسماء من غير ان يكون فيها من مصداق الالهية شئ مالا ان المستحق
للمعبودية بالذات ليس الا من اوجد الكل وانشاءه لو استحقت لكان ذلك بحكمه تعالى اما بانزال آية او نصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك قوله تعالى
ما نزل الله بها من سلطان واذ ليس لذلك فى حيز الامكان تحقق بطلان ما هم عليه فانتظروا مترتب على قوله تعالى قد وقع عليكم اى فانتظروا
ما تطلبونه بتوعكم فانا بما تعدنا الخ انى معكم من المنتظرين لما يحل بكم والفاء فى قوله تعالى فانجيناه فصيحة كالتى فى قولك توضأ فغسل وجهه فانجيناه
اى فوقع ما وقع فانجيناه والذين معه اى فى الدين برحمة اى عظيمة لائقة بقدرهما وقوله تعالى منا اى من جهتنا متعلق بمحذوف
هو نعت لرحمة مؤكدة لفخامتها الذاتية المنبهة على تكبيرها بالفخامة الاضافية وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اى استأصلناهم
بالكلية ودمرناهم عن آخرهم وما كانوا مؤمنين عطف على كذبوا داخل معه فى حكم الصلة اى اصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعووا
عن ذلك ابدا وتقديم حكاية الانجاء على حكاية الاهلاك قد مر سره وفيه تنبيه على ان مناط النجاة هو الايمان بالله تعالى وتصديق آياته
كما ان مدار البوار هو الكفر والتكذيب وقصتهم ان عادا اقوم كانوا باليمن بالاحقاف وكانوا قد تبيطوا البلاد ما بين عمان الى حضرموت
وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا وصمودا والهبا فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا
وتجبرا فامسك الله تعالى عنهم القطر ثلث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الفرج منه عند بيته الحرام فسلهم
ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العمالق اولاد عملیق بن لاذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين
رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذى كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فاكرمهم
واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم قينتا معاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم بالملاهو
عما قد موا له همه ذلك وقال قد هلك اخوالى واصهارى وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيى ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه
فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا تغنيهم به لا يدرون من قال فقال معاوية الا يا قيل فيحيك قم فهنم لعل الله يسقينا غماما
فيسقى ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا ان قولكم ليشفوننا من البلاء الذى نزل بنا فقر ابطاءهم
عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد الله لا تسقون بدعائكم ولكن اطعتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى فستقيم
واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدم من معنا فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل انهم اسوء
عادا ما كانت تسقيهم فانشأ الله تعالى سحبا ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه منادٍ من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت
السوداء فانها اكثر هن ماء فخرجت على عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم
فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فانوا مكة فعبدوا الله فيها الى ان ماتوا والى عاد اخاهم صالحا عطف على ما سبق فى قوله تعالى

والى عادا اخاهم هودا موافق لقوله في تقديم المجرور على المنصوب وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل
انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ بالصرف بتاويل الحي وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى
واخوه صالح هو منهم من حيث النسب كهود منهم فانه صالح بن عبيد بن آسف بن ماشخ بن عبيد بن حادر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله اليهم
مظنة لان يسال ما قال لهم اذ قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستئناف قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقد مر الكلام نظائره
قد جاءتكم بينة اي آية ومعجزة ظاهرة شاهدة بنبوتي وهي من الالفاظ الجارية مجرى الابطح والابرق في الاستغناء عن ذكر موصوفاتها
حالة الافراد والجمع كالصالح افرادا وجمعا وكذلك الحسنة والسيئة سواء كانتا صفتين للاعمال او المثوبة او الحالة من الرخاء والشدة واولئك
اوليت العوامل وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما مر مرارا والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام منه عم اول كلامهم
اثر دعوتهم الى التوحيد بل انما قاله بعد ما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه كما يدل عليه ما في سورة هود من قوله تعالى هو انشاكم من الارض
واستعمركم فيها الى آخر الآيات روي انه لما اهلكت عاد عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل يبني المسكن
المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله
اليهم وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله عز وجل فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه آية فقال
اية آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا
اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة
في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك
واجبناك فاخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها
فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم
فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤوسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا
فاذا كان يومها وضعت راسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون
وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم
الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي
فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم
العذاب فلم يقدروا عليه فانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة وفي اليوم
الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين فلما كان اليوم
الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم فهلكوا وقوله تعالى هذه
ناقة الله لكم آية استئناف مسوق لبيان البينة واضافة الناقة الى الاسم الجليل لتعظيمها ولمجيئها من جهته تعالى بلا اسباب معهودة
ووسائط معتادة ولذلك كانت آية ولكم بيان لمن هي آية له وانتصاب آية على الحالية والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان يكون بدلا
من هذه او عطف بيان له او مبتدأ ثانيا ولكم خبرا عاملا في آية فذروها تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى فان ذلك مما يوجب عدم
التعرض لها تاكل في ارض الله جواب الامر اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فاتركوها تاكل ما تاكل في ارض ربها فليس لكم
ان تحولوا بينها وبينها وقرئ تاكل بالرفع على انه في موقع الحال اي آكلة فيها وعدم التعرض للشرب اما للاكتفاء عنه بذكر الاكل او لتعميمه له
ايضا كما في قوله وعلفتها تبنا وماء باردا وقد ذكر ذلك في قوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء نهي عن المس
الذي هو مقدمة الاصابة بالشر الشامل لانواع الاذية ونكر السوء مبالغة في النهي اي لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوؤها اصلا ولا تطردوها

ثمود اسم القبيلة لا ينصرف للتعريف والعجمة صح

الثمد والثمد الماء القليل الذي لا مادة له صحاح

الحجر منازل ثمود ناحية الشام عند وادي القرى م

الابطح مسيل واسع فيه دقاق الحصى والجمع الاباطح والبطاح ايضا والابرق غلظ فيه حجارة جوهري

العرب جيل من الناس والنسبة اليهم عربي والعجم جوهري

الجوفاء الواسع الجوف والوبراء كثيرة الوبر

العشراء التي اتت عليها من يوم ارسل فيها الفحل عشرة اشهر

النتوج بالفاء والحاء المهملة والجيم ما عدا ما بين الرجلين

اي انشقت منه

الصبر النبت

اي لفظة هذه منه

ولا تروها بسوء ما اكرانا ما لآية الله تعالى فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرب الحجر
في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخل احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين
ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال عليه السلام لعلي رضه يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح
اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد اي خلفاء في الارض او خلفا
لهم كما قال وبوأكم في الارض اي جعل لكم مباءة ومنزلا في ارض الحجر بين الحجاز والشام تتخذون من سهولها قصورا اشتاء
مبنية للكيفية الشتوية اي تبنون في سهولها قصورا رفيعة او تبنون من سهولة الارض ما تعلمون منها من الرخص اللين والآجر
وتنحتون الجبال اي الصخور وقرئ تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كما في قوله بناع من زفرى اسيل جزة والنحت
نجر الشيء الصلب فانتصاب الجبال على المفعولية وانتصاب قوله تعالى بيوتا على انها حال مقدرة منها كما تقول خط هذا الثوب قميصا
وقيل انتصاب الجبال على اسقاط الجار اي من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعولية وقد جوز ان يضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابها
على المفعولية وقيل كانوا يسكنون الصيف في الجبال وفي الشتاء فاذكروا الاء الله التي انعم بها عليكم متماذكرا وجميع الآلاء
تعالى التي هذه من جملتها ولا تعثوا في الارض مفسدين فان حق الآلاء ان تشكر ولا تهمل ولا يغفل عنها فكيف بالكفر والعتو بالافساد
في الارض قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي عتوا وتكبروا استئناف كما سلف وقرئ بالواو عطفا على ما قبله من قوله تعالى
قال يا قوم الخ واللام في قوله تعالى للذين استضعفوا للتبليغ وقوله تعالى لمن آمن منهم بدل من الموصول باعادة العامل بدل الكل
ان كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض ان كان للذين استضعفوا على ان من المستضعفين من لم يؤمن والاول هو الوجه ذلا داعي الى توجيه
الخطاب اولا الى جميع المستضعفين مع ان المجاوبة مع المؤمنين منهم على ان الاستضعاف مختص بالمؤمنين اي قالوا للمؤمنين الذين
استضعفوهم واستزلوهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه وانما قالوه بطريق الاستهزاء بهم قالوا انا بما ارسل به مؤمنون
عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بان يقولوا نعم او نعلم انه مرسل منهم مسارعة الى تحقيق الحق واظهار ما لهم من الايمان الثابت المستمر
الذي ينبئ عنه الجملة الاسمية وتنبيها على ان امر ارساله من الظهور بحيث لا ينبغي ان يسأل عنه وانما الحقيق بالسؤال عنه هو الايمان
قال الذين استكبروا اعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير ايذانا بانهم قد قالوا ما قالوا بطريق العتو والاستكبار انا بالذي
آمنتم به كافرون وانما لم يقولوا انا بما ارسل به كافرون اظهارا للمخالفة بانهم ورد المقالتهم فعقروا الناقة اي نحروها
اسند العقر الى الكل مع ان المباشر بعضهم للملابسة اولان ذلك لما كان برضاهم فكانه فعلهم وفيه من تهويل الامر وتفظيعه
بحيث اصابت غائلته الكل ما لا يخفى وعتوا عن امر ربهم اي استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح وهم في الامر والنهي وقالوا
مخاطبين له عليه السلام بطريق التعجيز والافحام على زعمهم يا صالح ائتنا بما تعدنا اي من العذاب والاطلاق للعلم به قطعا
ان كنت من المرسلين فان كونك من جملتهم يستدعي صدق ما تقول في الوعد والوعيد فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة
لكن لا اثر مما قالوا اما قالوا بل بعد ما جرى عليهم ما جرى من مبادي العذاب في الايام الثلثة صبحا تفصيله فاصبحوا في ديارهم
اي صاروا في ارضهم وبلدهم او في مساكنهم جاثمين ميتين لا حراك بهم واصل الجثوم البروك يقال للناس جثوم للغنم
لا حراك بهم ولا ينبسون بنت قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير والبروك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول
العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الاخذ وسرعة البطش الالهي انما تؤخذ
من نزول سخطك وحلول غضبك جاثمين خبر لاصبحوا او الظرف متعلق به ولا مساغ لكونه خبرا وجاثمين حال لا اقتضائه
الى كون الاضداد بكونهم في ديارهم مقصودا بالذات وكونهم ميتا بما لا غير مقصود بالذات وقيل حيث ذكرت الرجفة وهي الحركة
وحيث ذكرت الصيحة جمعت لان الصيحة كانت من السماء فبلغت اكثر وابلغ في الزلزلة فجمعن كل منهما بما هو اليق قولي عليهم

اثر ما شاهدها وجرى عليهم تولى مغتما متحسرا على ما فاتهم من الايمان متحزنا عليهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم
بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعى ولكن لم تعتبروا منى ذلك وصيغة المضارع فى قوله تعالى ولكن لا تحبون الناصحين
حكاية حال ماضية أى شأنكم الآن شأن من لا يحب الناصحين وعداوتهم خاطبهم عم بذلك خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر
حيث قال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل انما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدة علاماته
تولى ذاهب عنهم منكر لاصرارهم على ما هم عليه وروى أن عددهم الناقة كان يوم الاربعاء يوم نزل بهم العذاب يوم السبت وروى انه
خرج فى ثمانية وعشرة من المسلمين وهو يبكى فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا اثنا وخمسمائة وروى أنه رجع عنهم
فسكنوا ديارهم ولوطا منصوب بفعل مضمر معطوف على ما سبق وعدم التعرض للمرسل اليهم مغنما على المنصوب صحا وقع فيما سبق
وما لحق قد قربيانه فى قصته هود عم وهو لوط بن هاران بن تارخ بن اخى ابرهيم عم كان من ارض بابل من العراق مع عمه ابرهيم فهاجر
الى الشام فنزل فلسطين وانزل لوطا الاردن وهى كورة بالشام فارسله الله تعالى الى اهل سدوم وهو بلد بخمص وقوله تعالى
اذ قال لقومه ظرف للمضاف المذكور اى ارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم الخ ولعل تقييد ارساله عم بذلك لما ان ارساله لهم يكن
فى اول وصوله اليهم وقيل هو بدل من لوطا بدل اشتمال على أن انتصابه باذكر اى اذكر وقت قوله عم لهم اتاتون الفاحشة بطريق
الانكار والتوبيخ التوبيخ اى اتفعلون تلك الفعلة المتناهية فى القبح المتمادية فى الشيرة والشناعة ما سبقكم بها ما عملها قبلكم على الاطلاق
للعناية كما فى قوله عم سبقك بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة اى ضربتها قبله ومن فى قوله تعالى من احد مزيدة لتاكيد النفى والفائدة
معنى الاستغراق وفى قوله تعالى من العالمين للتبعيض والجملة مستانفة مسوقة لتاكيد التقرير وتشديد التوبيخ والتقريع فان مباشرة
القبيح قبيح واختراعه اقبح ولقد انكر الله تعالى عليهم اولا اتيان الفاحشة ثم ونخهم بانهم اول من عملها فان سبق الظلم الكريم ولئام
عالمى كونهم مسبوقين من غير تعرض لكونهم سابقين لكن المراد انهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما مر تحقيقه مرارا فى نحو قوله تعالى
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او مسوقة جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فى جهتهم لم لا نأتيها فقيل بيانا للعلة واظهارا للخزاية ما سبقكم
بها احد لغاية قبحها وسوء سبيلها فكيف نفعلها قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن اسحق كانت
لهم ثمار وقرى لم يكن فى الدنيا مثلها فقصدهم الناس فاذوهم فعرض لهم ابليس فى صورة شيخ ان فعلتم بهم كذا وكذا كجوتم منهم فابوا
فلما لج الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا صباحا فاخبثوا فاستحكم فيهم ذلك وقال انس رض كانوا لا يفعلون ذلك الا بالغرباء
وقال الكلبى عم اول من فعل هذا الفعل ابليس الخبيث حيث تمثل لهم فى صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عشقوا بذلك العمل
انكم لتاتون الرجال خبر مستانف لبيان تلك الفاحشة وقرئ بهمزتين محققتين وبتليين الثانية بغير مد وبمد ايضا على
تاكيد للانكار السابق وتشديد للتوبيخ وفى زيادة ان واللام فرد تصبيح وتوبيخ كان ذلك امرا لا يتحقق صدوره عن احد فيؤكد
تاكيدا قويا وفى ايراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة فى التوبيخ وقوله تعالى شهوة مفعول له مصدر فى موقع
الحال وفى التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان يكون الداعى له الى المباشرة طلب الولد وبناء النوع لا قضاء
الشهوة ويجوز ان يكون المراد انكار عليهم وتقريعهم على اشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبئ عنه قوله تعالى فى دون النساء
اى متجاوزين النساء اللاتى من محال الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله تعالى هن اطهر لكم بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار
المذكور الى الاخبار بحالهم التى اقتضتهم الى ارتكاب مثالها وهى اعتياد الاسراف فى كل شئ اوغ الانكار عليها بالذم على جميع
معايبهم او عن محذوف اى لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه اى المستكبرين منهم المتوانين للامر والنهى
المتصدين للعقل والحل وقوله تعالى الا ان قالوا استثناء مفرغ من اعم الاشياء اى ما كان جوابا فى جهة قومه شئ من الاشياء الا قولهم
اى لبعضهم الآخرين المباشرين للامور موضعين عن مخاطبة عم اخرجوهم اى لوطا ومن معه من اهله المؤمنين من قريتكم اى الا هذا القول

الذي يستحيل ان يكون جوابا لكلام لوط عليه السلام وقرئ برفع جواب على انه اسم كان والاول اظهر وان كان الثاني اقوى
في الصناعة لان الاعرف احق بالاسمية واياما كان فليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط ومواعظه الا هذه المقالة
الباطلة كما هو المتبادر الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات المحاورات الجارية بينهم وبينه الا هذه الكلمة الشنيعة والا فقد صدر
عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكي عنهم في سائر السور الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره الواردة بطريق القصر وقوله تعالى انهم اناس يتطهرون
تعليل للامر بالاخراج ووصفهم بالتطهر للاستهزاء والسخرية بهم وبتطهرهم من الخبائث والفواحش والافتخار بما هم فيه من القذارة كما هو دأب
الشطار والدعار فانجيناه واهله اي المؤمنين منهم الا امرأته استثناء من اهله فانها كانت تسر بالكفر كانت من الغابرين
اي الباقين في ديارهم الهالكين فيها والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون للفاحشة والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال
نشأ من استثنائها من حكم الانجاء كأنه قيل فماذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وقد بينه
تعالى بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال ابو عبيدة مطر في الرحمة وامطر في العذاب وقال الراغب مطر في الخير وامطر في العذاب
والصحيح ان امطرنا بمعنى ارسلنا عليهم ارسال المطر وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة
فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم
وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وروي ان امرأته التفتت نحو
ديارها فاصابها حجر فماتت فانظر كيف كان عاقبة المجرمين خطاب لكل من يتأتى منه التأمل والنظر تعجيبا من حالهم وتحذيرا
من اعمالهم والى مدين اخاهم شعيبا عطف على قوله والى عاد اخاهم هودا وما عطف عليه وقد مر وجه تقديم المعطوف عليه من تقديم
المجرور على المنصوب اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم ام شعيب بن يثرون بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه
وكانوا اهل البخس للمكاييل والموازين مع كفرهم قال استئناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية ارساله اليهم كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره مر تفسيره مرارا قد جاءتكم بينة اي معجزة وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف
هو صفة لفاعله مؤكدة لفخامته الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامته الاضافية اي بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ومالك اموركم
ولم يذكر معجزته عليه السلام في القرآن العظيم كما لم يذكر اكثر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فمنها ما روي من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين
حين دفع اليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع حين وعد ان يكون له الدرع من اولادها ومنها وقوع عصا آدم على يده في المرات السبع
لان كل ذلك كان قبل ان يستنبأ موسى عليه السلام وقيل البينة مجيئه عليه السلام كما في قوله تعالى يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي اي حجة واضحة
وبرهان نير عبر بهما عما آتاه الله من النبوة والحكمة فاوفوا الكيل اي المكيال كما وقع في سورة هود ويؤيده قوله تعالى والميزان
فان المتبادر منه الآلة وان جاز كونه مصدرا كالميعاد وقيل آلة الكيل والوزن على الاضمار والفاء لترتيب الامر على مجيء البينة
ويجوز ان يكون عاطفة على اعبدوا فان عبادة الله تعالى موجبة للاجتناب عن المناهي التي معظمها بعد الكفر البخس الذي كانوا
يباشرونه ولا تبخسوا الناس اشياءهم التي تشترونها بها معتمدين على تمامها اي شيء كان واي مقدار كان فانهم كانوا
يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه قال زهير أفي كل اسواق العراق اتاوة
وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم ولا تفسدوا في الارض اي بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها واصلح اهلها الانبياء
واتباعهم باجراء الشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كاضافة مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه
ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح لان الناس اذا عرفوهم بالامانة
رغبوا في معاملتهم ومتاجرتهم ان كنتم مؤمنين اي مصدقين لي في قولي هذا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون اي بكل طريق
من طرق الدين كالشيطان وطريق الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا يشرع في شيء منها

اى تسر فى نسخة

أثر دهاء

منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبًا انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعدون لمن آمن به وقيل يقطعون
الطريق وتصدون عن سبيل الله اى السبيل الذى قعدوا عليه فوضع المظهر موضع المضمر بيانًا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدونه
وتنبيهًا لما كانوا عليه والايمان بالله او بكل صراط على انه عبارة عن طريق الدين وقوله تعالى من آمن به مفعول تصدون على اعمال الاقرب
ولو كان مفعول توعدون لقيل وتصدونهم وتوعدون حال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجًا اى وتطلبون سبيل الله عوجًا بالتأويل
لو بوصفها للناس بانها معوجة وهى بعد شيء من شأنه الاعوجاج واذكروا اذ كنتم قليلًا فكثركم بالبركة في النسل والمال
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود واخرابهم واعتبروا بهم وان كان
طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به من الشرائع والاحكام وطائفة لم يؤمنوا اى به او لم يفعلوا الايمان فاصبروا حتى
يحكم الله بيننا اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين
اى لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه استئناف مبنى على سؤال بناء على ما مر كأنه قيل
فماذا قالوا بعد ما سمعوا هذه المواعظ من شعيب فقيل قال اشراف قومه المستكبرون منطاولين عليهم غير مكتفين بمجرد الاستعصاء
والامتناع من الطاعة لهم بالغين من العتو والاستكبار الى ان قصدوا استتباعهم فيما هم فيه واتباع المؤمنين واجترأوا على اكراههم
عليه بوعيد التهديد وخاطبوه مع قومه ذلك على طريقة التوكيد القسمى لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا بينه الاخراج وتبعيتهم له فيه
كما ينبئ عنه قوله تعالى معك فانه متعلق بالاخراج لا بالايمان وتوسيط النداء باسمه العلمى بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد
الناشئة عن غاية الوقاحة والطغيان اى والله لنخرجنك واتباعك من قريتنا بغضًا لكم ودفعًا لفتنتكم المترتبة على المساكنة
والجوار وقوله تعالى او لتعودن في ملتنا عطف على جواب القسم اى والله ليكونن احد الامرين البتة على ان المقصد الاصلى هو العود وذكر
النفى والاجلاء لتحقق القسر والالجاء كما ينبئ عنه عدم تعرضه في جواب الاخراج كأنهم قالوا لا ندعكم فيما بيننا حتى تدخلوا في ملتنا
وادخالهم له في خطاب العود مع استحالة كونه في ملتهم قبل ذلك انما هو بطريق تغليب الجماعة على الواحد وانما لم يقولوا او لنعيدنكم على طريقة
ما قبله لما ان مرادهم ان تعودوا اليها بصورة الطوعية حذارا الاخراج باختيار اهون الشرين لا اعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب
قال استئناف كما سبق اى قال لهم ردًا لمقالتهم الباطلة وتكذيبًا لهم في ايمانهم الفاجرة أولو كنا كارهين على ان الهمزة للانكار
الواقع ونفيه للانكار الواقع واستقباحه كما في قوله تعالى اولو جئتك بشيء مبين ويجوز ان يكون الاستفهام فيه باقيًا على حاله وقد مر ذلك
ان كلمة لو في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه فلما لاحظ جواب قد حذف تعويلًا على دلالة ما قبلها عليه
ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الامر على القواعد الصناعية بل هى لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم
الموجب او المنفى على كل حال مفروض في الاحوال المغايرة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له لتظهر بثبوته او انتفائه معه
ثبوته وانتفاؤه مع ما عداه في الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء
من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا من قولهم
انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الجزء الموجب والمنفى والامر والنهى كما في قولك فلان جواد يعطى ولو كان
فقيرًا او بخيل لا يعطى ولو كان غنيًا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك لا تهنه ولو اتاك لتبقائه على حاله سالمًا عما يغيره واما في الخبر فيه
ففيه نوع خفاء لتغيره بورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور
قبلها وان ما يقصد ببيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في خير لو مقرر على ما هو عليه
من الاستبعاد بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان بيانًا تحققه على كل حال هو مدلوله لا مدلول المذكور
وان الجملة حال من ضميره لا من ضير المذكور سكاكيًا وان المقصود الاصلى انكار مدلوله من حيث مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة

وان

وآن ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاستمرار بانه امر مقرر الا اذا اخرج مخرج الاستبعاد مبالغة في الانكار من جهة
ان العود مما ينكر عند كون الكراهة امرا مستبعدا فكيف به عند كونها امرا محققا ومعاملة مع المنحاطبين على معتقدهم لاستنزالهم
من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة المؤمنين للعود في ملة الكفرة ابتداء حتى يقال انها معلومة لهم فكيف يكون مستبعدا
عندهم بل انما هي كراهتهم له بعد وعيد الاخراج الذي جعل قرينا للقتل في قوله تعالى ولو انا كتبنا الآية فانهم كانوا يستبعدون انها يطمعون
في انهم حتما يختارون العود خشية الاخراج آثر ب مكروه مختار عند طول ما هو اشد منه وافظع والتعذر بالعود فيها لو لم يكن كارهين لو كنا
كارهين غير مبالين بالاكراه فالجملة في محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسبما اشير اليه باذ قاله العود فيها حال عدم الكراهة
وحال الكراهة انكار المايفيده كلمتهم الشنيعة بالجملة في العود على اي حال كانت بغير انة الكلام بذكر الحالة الثانية التي هي اشد الاحوال منافاة
للعود واكثر ما بعد منه تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر وثقة بانها في ذكر الاولى اغنى واضحى لان العود الذي تعلق به الانكار
حين تحقق مع الكراهة على ما يوجبه كلامهم فلان يتحقق مع عدمها ان قلت النفي المستفاد من الاستفهام الانكاري فيما نحن فيه
بمنزلة صريح النفي ولا ريب في ان الاولوية هناك معتبرة بالنسبة الى النفي الايرى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة
المذكورة انما هي عدم النفي هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند عدم الكراهة عدم العود لا نفسه
اذ هو الذي يدل عليه قولنا العود لانه نفي معنى لا نفس العود فلم اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه
على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد في الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم لنعودن وانما
الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لابطال ما يفيده ونفي ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة النفي وتوضيحه ان بين النفيين فرقا مبنيا
يختلف به احكامهما التي من جملتها ما ذكر من اعتبار الاولوية في احدهما بالنسبة الى نفسه وفي الآخر بالنسبة الى متعلقه وذلك لان استقيم
اقامة احدهما مقام الآخر على وجه الكلية الايرى انك لو قلت ما كان العود فيها الخ لانعود فيها ولو كنا كارهين لافاد نفي العود
لان مدلول الاول نفي العود المقيد بحال الكراهة ومدلول الثاني تقييد العود المنتفي بها وذلك لان حرف النفي يباشر نفس الفعل وقيده
وما يذكر بعده يرجع اليه من حيث هو منتف واما همزة الاستفهام فانما تباشر الفعل بعد تقييده بما بعده لما ان دلالتها على الانكار والنفي
ليست بدلالة وضعية كدلالة حرف النفي حتى يتعلق معناها بنفس الفعل الذي يليها ويكون ما بعده راجعا اليه من حيث هو منتف بل على
دلالة عقلية مستفادة من سياق الكلام فلا بد ان يكون ما يذكر بعد الفعل من موانعه ودواعي انكاره ونفيه حتما ليكون قرينة صارفة
للهمزة عن حقيقتها الى معنى الانكار والنفي ثم لما كان المقصود نفي الحكم على كل حال مع الاقتصار على ذكر بعض منها مغن عن ذكر ما عداه
لاستلزام تحققه مع غيره بطريق الاولوية وكانت حال الكراهة عند كونها قيدا لنفس العود كذلك اي مغنيا عن ذكر سائر
الاحوال ضرورة ان تحقق العود في حال الكراهة مستلزم لتحققه في حال عدمها البتة وعند كونها قيدا للنفي بخلاف ذلك
اي غير مغن عن ذكر غيرها ضرورة ان نفي العود في حال الكراهة لا يستلزم نفيه في غيرها بل الامر بالعكس فان نفيه في حال الارادة مستلزم لنفيه في حال
الكراهة قطعا استتمام الاول لافادة نفي العود في الحالتين مع الاقتصار الى ذكر ما هو مغن عن ذكر الاخرى ولم يستتم الثاني لعدم
افادته اياه على الوجه المذكور ان قيل فما وجه استغنائها جميعا عن ذكر المعطوفين بحيث يصح ان يقال لانعود فيها ولو لم نكن
كارهين ولو كنا كارهين كما يصح ان يقال لانعود فيها ولو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين مع ان المقدر في حكم الملفوظ قلنا وجهها ان كلا
منهما يفيد معنى صحيحا في نفسه لان معنى احدهما عين معنى الآخر وانهما متلازمان متفقان في جميع الاحكام كيف لا ومدلول الاول ان العود
منتف في الحالتين وكلا المعنيين صحيح في نفسه مصحح لنفي العود في الحالتين مع ذكرهما معا غير ان الثاني مصحح لنفي العود في الحالتين
مع الاقتصار على ان ذكر حالة الكراهة على عكس المعنى الاول فانه مصحح لنفيه فيهما مع الاقتصار على ذكر حال الارادة قد افترينا
على الله كذبا اي كذبا عظيما لا يقادر قدره ان عدنا في ملتكم التي هي الشرك وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه

وهو العود
وهو لا نعود

ای ان عدنا فی ملتکم بعد اذ نجانا الله منها فقد افترینا علی الله کذبا عظیما حیث نزعم ان لله تعالی ندا ولیس کمثله شیء وانه قد زیّن لنا
ان ما کنا علیه من الاسلام باطل وان ما کنتم علیه من الکفر حق وای افتراء اعظم من ذلک وقیل انه جواب قسم محذوف حذف علمه للعلم
بقدره والله لقد افترینا الخ وما یکون لنا ای وما یصح وما یستقیم لنا ان نعود فیها فی حال من الاحوال ولو وقت من الاوقات الا ان یشاء الله
ای الا حال مشیة الله تعالی او وقت مشیته تعالی عودنا فیها وذلک محالا یکاد یکون کما ینبئ عنه قوله تعالی ربنا فان التعرض لعنوان ربوبیته
تعالی لهم مما ینبئ عن استحالة مشیته تعالی لارتدادهم قطعا وکذا قوله تعالی بعد اذ نجانا الله منها فان تنجیته تعالی لهم منها من دلائل عدم مشیته لعودهم فیها
وقیل معناه الا ان یشاء الله خذلاننا وقیل فیه دلیل علی ان الکفر بمشیته تعالی وایا ما کان فلیس المراد بذلک بیان ان العود فیها من غیر
الامکان وخطر الوقوع بناء علی کون مشیته تعالی کذلک بل بیان استحالة وقوعها کانه قیل وما کان لنا ان نعود فیها الا ان یشاء الله ربنا
وجهات ذلک بدلیل ما ذکر من موجبات عدم مشیته تعالی وسع ربنا کل شیء علما فهو محیط بکل ما کان وما یکون من الاشیاء التی من جملتها احوال
عباده وعزائمهم ونیاتهم وما هو اللائق بکل واحد منهم فمحال من لطفه ان یشاء عودنا فیها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به قاصدین
حسبما ینطق به قوله تعالی علی الله توکلنا ای فی ان یثبتنا علی ما نحن علیه من الایمان ویتم علینا نعمة انجائنا من الاضرار بالکلیة واظهارا لان
الجلیل فی موقع الاضرار للمبالغة فی التضرع والجؤار وقوله تعالی ربنا افتح بیننا وبین قومنا بالحق اعتراض عن مقاولتهم اثر ما ظهر لهم
انهم من العتو والعناد بحیث لا یتصور منهم الایمان اصلا واقبال علی الله تعالی بالدعاء لفصل ما بینه وما بینهم بما یلیق بحال کل من الفریقین
ای احکم بیننا بالحق وانتقامه الحکومة واظهر امرا ناضح یکشف عما بیننا وبینهم ویتمیز المحق من المبطل المشکل ذا بینه وانت خیر الفاتحین
تذییل مقرر لما قبله علی المعنیین وقال الملأ الذین کفروا من قومه عطف علی قال الملأ الذین الخ ولعل هؤلاء غیر اولئک المستکبرین
ودونهم فی الرتبة شانهم الوساطة بینهم وبین العامة والقیام بامورهم حسبما یراه المستکبرون ویجوز ان یکونوا عین الاولین وتغییر الصلة
لما ان مدار قولهم هذا هو الکفر کما ان مناط قولهم الباطل الاستکبار ای قال اشرافهم الذین اصروا علی الکفر لاتباعهم بعد ما شاهدوا
صلابة شعیب ومن معه من المؤمنین فی الایمان وخافوا ان یستتبعوا قومهم تشبیطا لهم عن الایمان به وتغییرا لهم عنه علی طریقة التولید القسمی
والله لئن اتبعتم شعیبا ودخلتم فی دینه وترکتم دین آبائکم انکم اذا لخاسرون ای فی الدین لاشتراکهم الصلاة بهذا کم او فی الدنیا
لفوات ما یحصل لکم بالبخس والتطفیف واذا حرف جواب وجزاء معترض بین اسم ان وخبرها والجملة ساد مسد جوابی الشرط والقسم الذی
وطأته اللام فاخذتهم الرجفة ای الزلزلة وهکذا فی سورة العنکبوت وفی سورة هود واخذت الذین ظلموا الصیحة ای صیحة جبریل علیه السلام
ولعلها من مبادی الرجفة فاسندت هلاکهم الی السبب القریب تارة والی البعید اخری فاصبحوا فی دارهم ای فی مدینتهم وفی سورة هود
فی دیارهم جاثمین ای میتین لازمین لا ماکنهم لا براح لهم منها الذین کذبوا شعیبا استئناف لبیان ابتلائهم لشوم قولهم فیما بین الفریقین
یا شعیب والذین آمنوا معک من قریتنا وعقوبتهم بمقابلته والموصول مبتدأ خبره قوله تعالی کان لم یغنوا فیها ای استوصلوا بالمرة وصاروا
کانهم لم یتبوءوا بقریتهم اصلا ای عوقبوا بقولهم ذلک وصاروا هم المخرجین من القریة اخراجا لا دخول بعده ابدا وقوله تعالی الذین کذبوا شعیبا
کانوا هم الخاسرین استئناف آخر لبیان ابتلائهم بعقوبة قولهم الاخیر واعادة الصلة والموصول کما من لزیادة التقریر والایذان بان ما
فی حیز الصلة هو الذی استوجب العقوبتین ای الذین کذبوه وعوقبوا بمقالتهم الاخیرة فصاروا هم الخاسرین للدنیا والدین لا للمتبوعین
وبهذا القصر الکفن عن التصریح بانجائه وهم کما وقع فی سورة هود من قوله تعالی فلما جاء امرنا نجینا شعیبا والذین آمنوا معه الخ فتولی عنهم
وقال یا قوم لقد ابلغتکم رسالات ربی ونصحت لکم قال هم بعد ما هلکوا اثر شقائهم لشدة حزنه علیهم ثم انکر علی نفسه فقال فکیف
آسی ای احزن حزنا شدیدا علی قوم کافرین مصرین علی الکفر لیسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل علیهم بکفرهم او قال اعتذارا
عن عدم شدة حزنه علیهم والمعنی لقد بالغت فی الابلاغ والانذار وبذلت وسعی فی النصح والاشفاق فلم تصدقوا فعلی فکیف آسی
علیکم وفی اسی بالذین وما ارسلنا فی قریة من نبی اشارة اجمالیة الی بیان احوال سائر الامم اثر بیان احوال الامم المذکورة

شبطه من الاثر تشبیطا
شغله عنه مختار

تفصيلًا ومن مزيدة لتاكيد النفي والصفة محذوفة اى من كذب او كذب بها الا اخذنا اهلها استثناء مفرغ من اعم الاحوال واخذنا
فى محل النصب من فاعل ارسلنا والفعل الماض للايقع بعد الا الا باضمار الشرطيين اما تقديرها قد كما فى هذه الآية او مقارنة قد كما فى قولك ما زيد
الا قد قام والتقدير وما ارسلنا فى قرية من القرى لاهلكة نبيا فى الانبياء فى حال من الاحوال الا حال كوننا آخذين اهلها بالبأساء بالبؤس
والفقر والضراء بالمرض لكن لا على معنى ان ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير منفك عنه بالآخرة لاستكبارهم
عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه بما فعلوا المذكورة لعلهم يضرعون كما يتضرعوا ويتذللوا ويخضعوا اردية الكبر والعزة عن اكتافهم كقوله ولقد ارسلنا
الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ثم بدلنا عطف على اخذنا داخل فى حكمه مكان السيئة التى اصابتهم للغاية المذكورة
الحسنة اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة والرخاء والسعة كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا اى كثروا
عددا وعددا من عفا النبات اذا كثر وتكاثف وابطرتهم النعمة وقالوا غير واقفين على ان ما اصابهم من الابتلاء من الله سبحانه
قد مس آباءنا الضراء والسراء كما مسنا ذلك وما هو الا من عادة الدهر يعاقب فى الناس من الضراء والسراء من غير ان يكون هناك
داعية تؤدى اليها او تبعة تترتب عليها ولعل تاخير السراء للاشعار بانها تعقب الضراء فلا خير فيها فاخذناهم اثر ذلك بغتة
فجاة اشد الاخذ واقطعه وهم لا يشعرون بذلك ولا يخطرون ببالهم شيئا من المكاره كقوله تعالى حتى اذا فرحوا اوتوا اخذناهم بغتة
وليس المراد بالاخذ بغتة اهلاكهم طرفة عين كاهلاك عاد وقوم لوط بل ما يعمه وما يمضى بين الاخذ واتمام الاهلاك كايام كداء ثمود ولو ان
اهل القرى اى القرى المهلكة المدلول عليها بدلالة السياق فى قرية وقيل هى مكة وما حولها القرى وقيل جنس القرى المنتظم لما ذكر منها
انتظاما اوليا آمنوا بما اوحى الى انبيائهم مقتدين بما جرى عليهم من الابتلاء بالضراء والسراء واتقوا اى الكفر والمعاصى او اتقوا
بما انذروا به على ألسنة الانبياء ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم يجاهلوا ابتلاء الله تعالى على عادات الدهر وقال ابن عباس رضى الله عنهما
واتقوا الشرك لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب مكان ما اصابهم
من فنون العقوبات الى بعضها من السماء وبعضها من الارض وقيل المراد المطر والنبات وقرئ لفتحنا بالتشديد للتكثير ولكن كذبوا اى ولكن
لم يؤمنوا ولم يتقوا وقد اكتفى بذكر الاول لاستلزامه الثانى فاخذناهم بما كانوا يكسبون من انواع الكفر والمعاصى التى من جملتها قولهم قد مس
آباءنا الخ وهذا الاخذ عبارة عما فى قوله تعالى فاخذناهم بغتة لا غير الجدب والقحط كما قيل فانهما قد زالا بتبديل الحسنة مكان السيئة
افامن اهل القرى اى اهل القرى المذكورة على وضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مدار التوبيخ امن كل طائفة ما اتاهم من البأس
لا امن مجموع الامم فان كل طائفة منهم اصابهم بأس خاص بهم لا تتعداهم الى غيرهم كما سيأتى والهمزة لانكار الواقع واستقباحه لا لانكار
الوقوع ونفيه كما قاله ابو شامة وغيره لقوله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون والفاء للعطف على اخذناهم وما بينهما اعتراض توسط
بينهما للمسارعة الى بيان ان الاخذ المذكور مما كسبته ايديهم والمعنى ابعد ذلك الاخذ امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا اى تبييتا
او وقت بيات او مبيتين وهو فى الاصل مصدر كالدخول بمعنى التبييت ويجئ بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم فهم نائمون حال
من ضميرهم البارز او المستتر فى بياتا او امن اهل القرى انكار بعد انكار للمبالغة فى التوبيخ والتشديد ولذلك لم يقل افامن اهل القرى
ان يأتيهم بأسنا بياتا او ضحى وهم يلعبون وقرئ او يكون الواو على التردد ان يأتيهم بأسنا ضحى اى ضحوة النهار وقت الاكل
ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون اى يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم كأنهم يلعبون افامنوا مكر الله
تكرير للتكيير لزيادة التقرير ومكر الله تعالى استعارة لاستدراجه العبد واخذه من حيث لا يحتسب والمراد به اتيانه بأسه تعالى فى الوقتين
المذكورين ولذلك عطف الاول والثالث بالفاء فان الانكار فيهما متوجه الى مترتب الامن على الاخذ المذكور واما الثانى فمن ثمة الاول
فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اى الخسران انفسهم واضاعوا فطرة الله التى فطر الناس عليها والاستعداد للتوقى
المستفاد من النظر فى الآيات اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اى يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون

ديارهم والمراد بهم اهل مكة ومن حولها وتعدية فعل الهداية باللام لما انه نزل منزلة اللازم كانه قيل افغفلوا ولم يفعلوا الهداية لهم اولم تحصل
بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل على التقدير هو الجملة الشرطية اي اولم يبين لهم مآل امرهم ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
اي ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم او بسبب ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وقرئ نهد بنون العظمة فالجملة مفعوله ونطبع على قلوبهم
عطف على ما يفهم من قوله تعالى اولم يهد كانه قيل لا يهتدون او يغفلون عن الهداية او عن التفكر والتامل او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه
على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لافضائه الى نفي الطبع عنهم لانه في سياق جواب لو فهم لا يسمعون اي اخبار الامم المهلكة فضلا عن التدبر
والنظر فيها والاغتنام بما في تضاعيفها من الهدايات تلك القرى جملة مستانفة جارية مجرى الفذلكة لما قبلها من القصص منبئة عن غاية
غواية الامم المذكورة وتماديهم فيها بعدما اتتهم الرسل بالمعجزات الباهرة وتلك اشارة الى قرى الامم المحكية على ان اللام للعهد وهو مبتدا وقوله تعالى
نقص عليك من انبائها خبر وصيغة المضارع للايذان بعدم انقضاء القصة بعد ومن للتبعيض اي بعض اخبارها التي فيها عظة وتذكير
وقيل تلك مبتدا والقرى خبره وما بعده حال او خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وقصد الكلام
بذكر القرى واضافة الانباء اليها مع ان المقصوص انباء اهلها والمقصود بيان احوالهم حسبما يعرب عنه قوله تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات
لما ان حكاية هلاكهم بالمرة على وجه الاستيصال بحيث يشمل اماكنهم ايضا بالخسف بها والرجفة وبقائها خاوية معطلة اهول وافظع
والباء في قوله تعالى بالبينات متعلقة اما بالفعل المذكور على انها للتعدية واما بمحذوف وقع حالا من فاعله اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان ياتي
كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الآحاد الى الآحاد انما هي فيما بين
الرسل عم وضمير الامم والجملة مستانفة مبينة لكمال عتوهم وعنادهم اي وبالله لقد جاء كل امة من تلك الامم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات
البينة المتكثرة المتواردة عليهم الواضحة الدلالة على صحة رسالته الموجبة للايمان حتما وقوله تعالى فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان
الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم وترتيب حالهم على مجيء الرسل بالبينات بالفاء لما ان الاستمرار على فعل من الافعال بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان
استمرارا عليه في الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث نحو وعظته فلم يتزجر ودعوته فلم يجب واللام لتاكيد النفي اي فما صح وما استقام
لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم الى ان لقوا ما لقوا لغاية عتوهم وشدة شكيمتهم في الكفر
والطغيان ثم ان ما تعالى المحكي عنهم آخرا حال كل قوم منهم فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه بقوله تعالى
بما كذبوا من قبل تكذيبهم من لدن مجيء الرسل الى وقت الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول بل جعل صلة للموصول ايذانا
بانه بين بنفسه وانما المحتاج الى البيان عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول
لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها
وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الى آخره وبما اشير اليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم
فلا بد من جعل الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذي اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة
التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمان الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان لكل امة من اولئك
الامم يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء رسلهم كحالتهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب
وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلان لا يؤمنوا بما تفرد
به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور ذلك العذاب والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما
يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين فالضمائر
الثلثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا بما كذب به الآباء ولا يخفى ما فيه من التعسف
وقيل المراد ما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه

وقيل الباء للسببية وما مصدرية اى بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل والآيد عليه هنا ما ورد فى سورة يونس من مخالفة الجمهور بجعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كمن هو رأى الاخفش وابن السراج ليرجع الضمير فى به كذلك اى مثل ذلك الطبع الشديد المحكم نطبع على قلوب الكافرين اى من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الآيات والنذر وفيه تحذير للمعين وانظار للامم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وادخال الروعة وما وجدنا لاكثرهم اى اكثر الامم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما فى قولك ما وجدت له مالا اى ما صادفت له مالا ولا لقيتا ومحذوف وقع حالا من قوله من عهد لانه فى الاصل صفة للنكرة فلما قدمت عليها انتصب حالا والاصل وما وجدنا عهدا كائنا لاكثرهم ومن فى زيدة للاستغراق اى وما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد فانهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند مساس البأساء والضراء فالمعين لهن الخبيثتا من هذه المنكوثة من الشاكرين فتخصيص هذا الشان باكثرهم لان بعضهم كانوا يفون بعهودهم بل لان بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يفون وقيل المراد بالعهد ما عهد الله تعالى اليهم فى الايمان والتقوى بنصب الآيات وانزال الحجج وقيل باعهدوا عند خطاب الست بربكم فالمراد باكثرهم كلهم وقيل الضمير للناس والجملة اعتراض فان اكثرهم لا يفون بالعهود بأى معنى كان وان وجدنا اكثرهم اى اكثر الامم اى علمنا هم كما فى قولك وجدت زيدا ذا حفاظ وقيل الاول ايضا كذلك وان مخففة من ان وضمير الشان محذوف اى ان الشان وجدناهم لفاسقين خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود وعند الكوفيين ان نافية واللام بمعنى الا اى ما وجدنا هم الا فاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى اى ارسلناه من بعد انقضاء وقائع الرسل المذكورين عم او من بعد هلاك الامم المحكية والتصريح بذلك مع دلالة ثم على التراخى للايذان بان بعثه ره جرى على سنن السنة الالهية من ارسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر ولرءوس الآى بالمقدم والتشويق الى المؤخر بآياتنا متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا او صفة لمصدره اى بعثناه ره ملتبسا بآياتنا او بعثناه بعثا ملتبسا بها وهى الآيات التسع المفصلات التى هى العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم صبيانى على التفصيل الى فرعون هو لقب لكل من ملك مصر من العمالقة كما ان كسرى لقب لكل من ملك فارس وقيصر لكل من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن ريان وملائه اى اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته ره لقومه كافة حيث كانوا جميعا مامورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشعار التى كانت يدعيها الطاغية ويقبلها منه غشمة الباغية لاصالتهم فى تدبير الامور واتباع غيرهم لهم فى الورود والصدور فظلموا بها اى كفروا بها اجرى الظلم مجرى الكفر لكونهما فى واد واحد وضمن معنى الكفر او التكذيب اى ظلموا كافرين بها او مكذبين بها او كفروا بها مكان الآيات التى هو من حقها لوضوحها ولهذا الف وضع ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا انفسهم بسببها بان عرضوها للعذاب الخالد وظلموا الناس بصدهم عن الايمان بها والمراد به الاستمرار على الكفر بها الى ان لقوا العذاب مالقوا الآية الى قوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين فكما ان ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة الهائلة كذلك حكاية ظلمهم بها مستتبع للامر بالنظر اليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه الصدارة والجملة فى حيز النصب باسقاط الخافض اى فانظر بين عقلك الى كيفية ما فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع ضميرهم للايذان بان الظلم مستلزم للافساد وقال موسى كلام مبتدأ مسوق لتفصيل ما اجمل فيما قبله من كيفية اظهار الآيات وكيفية عاقبة المفسدين يا فرعون انى رسول اى اليك من رب العالمين على الوجه الذى مر بيانه حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق جواب عما ينساق اليه الذهن من حكاية ظلمهم بالآيات من تكذيبه اياه ره فى دعوى الرسالة وكان اصله حقيق على ان لا اقول الخ كما هو قراءة نافع فقلب للامن من الالباس كما فى قول من قال وتشعث الرياح بالصبا طرة الحمر اولان ما الزمك فقد لزمته او للاغراق فى الوصف بالصدق والمعنى واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثله ناطقا به او حقى حقيق معنى حريص او وضع على موضع الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حسنة وقرئ بتخفيف ياء اولى وقرئ حقيق ان لا اقول وقوله تعالى قد جئتكم ببينة من ربكم استئناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين

وكونه حقيقا بقول الحق ولم يكن هذا القول منه ومما بعده من جواب فرعون اثر ما ذكر هنا بل بعد ما جرى بينهما من المحاورة المحكية بقوله تعالى
قال فمن ربكما الآية وقوله تعالى وما رب العالمين الآية وقد طوى ههنا ذكره للايجاز ومن متعلقة اما بجئتكم على انها لابتداء الغاية مجازا
واما بمحذوف وقع صفة لبينة مفيدة لغنى منها الاضافية المؤكدة لغنى منها الذاتية المستفادة من التنوين التفخيمي واضافة اسم الرب
الى المخاطبين بعد اضافته فيما قبله الى العالمين لتاكيد وجوب الاتيان بها فارسل معي بني اسرائيل اى خلهم حتى يذهبوا معي الى الارض المقدسة
التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم بعد انقراض الاسباط يستعملهم ويكلفهم الاعمال الشاقة فانقذهم الله تعالى بموسى عليه السلام
وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخل موسى عليه السلام اربعمائة عام والفاء لترتيب الارسال او الامر به على ما قبله من رسالته عليه السلام
ومجيئه بالبينة قال استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فما ذا قال فرعون له عليه السلام حين قال ما قال فقيل قال
ان كنت جئت بآية اى من عند من ارسلك كما تدعيه فات بها ان فاحضرها حتى يثبت بها رسالتك ان كنت من الصادقين
في دعواك فان كونك من جملة الموصوفين بالصدق يقتضي اظهار الآية لا محالة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اى ظاهر امره
لا يشك في كونه ثعبانا وهو الحية العظيمة واثبار الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية فيها كانها
في الاصل كذلك وروي انه لما انقلب صار ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيته الاسفل على الارض والاعلى على سور
القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واقتحم وانهزم الناس فمات منهم خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك
بالذي ارسلك خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده اى من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي
بيضاء للناظرين اى بيضاء بياضا نورانيا خارقا للعادة يجتمع عليه النظارة تعجبا من امرها وذلك ما يروى انه اتى
فرعون بيده وقال ما هذه فقال بدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاع
شعاع الشمس وكان عليه آدم شديدا الادمة وقيل بيضاء للناظرين لانها كانت بيضاء في جبلتها قال الملا من قوم فرعون
اى الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته ان هذا لساحر عليم اى مبالغ في علم السحر ما ظهر فيه قالوه تصديقا لفرعون وتوريرا للكلام
فان هذا القول بعينه معزى في سورة الشعراء اليه يريد ان يخرجكم من ارضكم اى من ارض مصر فماذا تامرون بفتح النون
وماخذ ماذا في محل النصب على انه مفعول تامرون بحذف الجار والاول محذوف والتقدير باي شئ تامرونني وهذا من كلام فرعون
كما في قوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب اى فاذا كان كذلك فاذا تشيرون علي في امره وقيل قاله الملا قبله بطريق التبليغ
الى العامة فقوله تعالى قالوا ارجه واخاه على الاول وهو الاظهر حكاية لكلام الملا الذين شاورهم فرعون وعلى الثاني لكلام
العامة الذين خاطبهم الملا وايا ما كان الخطاب لفرعون وان المشاورة ليست من وظائفهم اى ارجه واخاه وعدم التعرض لظهور
كونه معصيا نبادي به الآيات الآخر والمعنى آخر امرهما واصدرهما عنك حتى نرى ايك فيهما وتدبر شانهما وقرئ ارجئه وارجئ من
ارجاه واخاه وارسل في المدائن حاشرين قتيل هم مدائن صعيد وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا سبعين ساحرا وقد اخذوا
السحر من رجلين مجوسيين من اهل نينوى مدينة يونس عليه السلام بالموصل وردّ ذلك بان المجوسية ظهرت بزرادشت وانما جاء بعد موسى عليه السلام
ياتوك بكل ساحر عليم اى ماهر في السحر وقرئ بكل سحار والجملة جواب الامر وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل اليهم الحاشرين فاتفقوا
لم يصرح بمجيئهم عقيب قوله فارسل في المدائن حاشرين للايذان بمسارعة فرعون الى الارسال مبادرة الى الحاشرين والسحرة لا الامتثال قالوا
استئناف منوط بسؤال نشأ من حكاية مجيء السحرة كانه قيل فماذا قالوا عند مجيئهم اياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم ان لنا
لاجرا ان كنا نحن الغالبين بطريق الاخبار بثبوت الاجر وايجابه بكانهم قالوا لابد لنا من اجر عظيم حتما او بطريق الاستفهام التقريري
بحذف الهمزة وقرئ باثباتها وقولهم ان كنا الخ لتعيين مناط ثبوت الاجر لازدادهم في الرغبة وتوسيط الضمير وعليه الخبر بالام للتخصيص اى ان كنا
نحن الغالبين لا موسى قال نعم وقوله تعالى وانكم لمن المقربين عطف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قال ان لكم لاجرا

وانكم

وانكم مع ذلك لمن المقربين للمبالغة في الترغيب روى انه قال لهم تكونون اول من يدخل مجلسي وآخر من يخرج عنه قالوا استئناف
كما مر كأنه قيل فماذا فعلوا بعد ذلك فقيل قالوا متعففين بشأنهم مخاطبين لموسى عم يا موسى اما ان تلقي ما تلقي اولا واما ان نكون
نحن الملقين اي لما نلقي اولا او الفاعلين للالقاء اولا خيروه عم وكان كانت رغبتهم في التقديم كما ينبئ عنه تغييرهم للنظم بتعريف الخبر وتوسيط
ضمير الفصل وتأكيد الضمير المتصل قال القوا غير مبال بأمرهم اي القوا ما تلقون فلما القوا ما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليهم
ما لا حقيقة له واسترهبوهم اي بالغوا في ارهابهم وجاءوا بسحر عظيم في بابه روى انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها
حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون الفاء فصيحة اي فالقاها
فصارت حية فاذا هي الآية فانما حذف للاشعار بمسارعة موسى عم الى الالقاء وبغاية سرعة الانقلاب كأنها تلقفها لما يأفكون قد حصل متصلا بالالقاء
بالالقاء وصيغة المضارع لاستحضار صورة التلقف الهائلة والافك القلب والقلب عن الوجه المعتاد وما موصولة او موصوفة والعائد محذوف
اي ما يأفكونه ويزورونه او مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روى انها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى رجعت عصا
كما كانت واعدم الله تعالى بقدرته القاهرة تلك الاجرام العظام او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا
فوقع الحق اي فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون اي ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله فغلبوا اي فرعون وقومه هنالك
اي في مجلسهم وانقلبوا صاغرين اي صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والاول هو الظاهر لقوله تعالى
والقي السحرة ساجدين فان ذلك كان بمحضر من فرعون قطعا اي خروا سجدا كأنما القاهم ملق لشدة خرورهم كيف لا وقد بهرهم
الحق واضطرهم الى ذلك قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون
وعن ابن عباس رضه انه قال لما آمنت السحرة اتبع موسى من بني اسرائيل ستمائة الف قال فرعون منكرا على السحرة موبخا لهم على ما فعلوه
آمنتم به بهمزة واحدة اما على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ او على الاستفهام التوبيخي بحذف الهمزة كما قرئ ان لنا لاجرا وقرئ بتحقيق
الهمزتين معا وبتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين بين اي آمنتم بالله تعالى قبل ان آذن لكم اي بغير ان آذن لكم كما في قوله تعالى
لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن في ذلك ان هذا لمكر مكرتموه يعني ان ما صنعتموه ليس مما اقتضاه الحال
صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها مع مواطأة موسى في المدينة يعني مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد روى
ان موسى عم وامير السحرة التقيا فقال موسى عم أرأيتك ان غلبتك أتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به الحق وقال الساحر لئن غلبتني لاؤمنن
بك وفرعون يسمعهما وهو الذي نشأ عنه هذا القول لتخرجوا منها اهلها اي القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل وما كان شبهتان القاهما
لاسماع عوام القبط عند معاينتهم لارتفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع اعناق السحرة لها وعدم تمالكهم من ان يؤمنوا بها يمنعهم بها
عن الايمان بنبوة موسى عم بارادة ان ايمان السحرة مبني على المواضعة بينهم وبين موسى عم وان غرضهم بذلك اخراج القوم من المدينة وابطال ملكهم
ومعلوم ان مفارقة الاوطان المألوفة والنعمة المعروفة مما لا يطاق بجمع اللعين بين الشبهتين تثبيطا للقبط عما هم عليه وتهييجا لعداوتهم
لهم ثم عقبهما بالوعيد ليريهم ان له قوة وقدرة على المدافعة فقال فسوف تعلمون اي عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق الاجمال
للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم
وتنكيلا لامثالكم قيل هو اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه تعالى محاربة لله ورسوله قالوا
استئناف لقطاع الطريق مسوق للجواب عن سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا قالت السحرة عند ما سمعوا وعيد فرعون هل تأثروا به او تصلبوا
فيما هم فيه من الدين فقيل قالوا ثابتين على ما احدثوا من الايمان انا الى ربنا منقلبون اي بالموت لا محالة فسواء كان ذلك من قبلك او لا فلا نبالي بوعيدك
او انا الى رحمة ربنا وثوابه منقلبون ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله تعالى او انا جميعا الى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك وما تنقم منا
اي وما تنكر وتعيب منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك

بناء على زعمهم فظهر عند جميع الناس انهم ارادوا به رب موسى وهرون وهو رب العالمين لا فرعون • عيني

قوله ابدلوا الى آخره ابدلوا لفظ الرب المضاف الى موسى من لفظ الرب المضاف الى العالمين لحاجة

اي عوام القبط

اي فرعون

ثم اعرضوا عن مخاطبته اظهارا لما في قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقريرا له ففزعوا الى الله عز وجل قالوا ربنا افرغ علينا صبرا اي افض
علينا من الصبر ما يغمرنا كما يغمر الماء او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الاوزار وادناس الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا
ثابتين على ما رزقتنا من الاسلام غير مفتونين من الوعيد قيل فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال
الملأ من قوم فرعون مخاطبين له بعد ما شاهدوا من امر موسى ما شاهدوا اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض اي في ارض مصر بتغيير الناس عليك
وصرفهم عن متابعتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب الاستفهام بالواو كما في قول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء
اي ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع عطفا على تذر او استئنافا او حالا وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى
فاصدق واكن والهتك ومعبوداتك قيل انه كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك
قال انا ربكم الاعلى وقرئ والاهتك اي عبادتك قال مجيبا لهم سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل بهم ذلك ليعلم انا
على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه وقرئ سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم
قاهرون كما كنا لم يتغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت ايدينا كذلك قال موسى لقومه تسلية لهم وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا
قول فرعون وتضجروا منه استعينوا بالله واصبروا على ما سمعتم من اقاويله الباطلة ان الارض لله اي ارض مصر او جنس الارض وهي
داخلة فيها دخولا اوليا يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين اي للذين انتم منهم وفيه ايذان بان الاستعانة بالله تعالى
والصبر من باب التقوى وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا اي من جهة فرعون من قبل
ان تأتينا اي بالرسالة يعنون بذلك قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام وبعده ومن بعد ما جئتنا اي رسولا يعنون به ما توعدهم به
من اعادة قتل الابناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام من فنون الجور والظلم والعذاب وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع
الخدم والمهن كما قيل تلبيس ثم المجيهم بواسطته عليه السلام فليس لذكره كثير طلاوة بالمقام قال اي موسى عليه السلام لما رأى شدة جزعهم مما شاهدوه مسليا لهم
بالتصريح بما لوح به في قوله ان الارض لله الخ عسى ربكم ان يهلك عدوكم الذي فعل بكم ما فعل وتوعدكم باعادته ويستخلفكم في الارض
اي يجعلكم خلفاء في ارض مصر فينظر كيف تعملون احسنا ام قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال وفيه تأكيد للتسلية
وتحقيق للامر وقيل لعل الاتيان بفعل الطمع لعدم الجزم منه عليه السلام بانهم هم المستخلفون باعيانهم او باولادهم فقد روي ان مصر انما فتح
في زمن داود عليه السلام ولا يساعده قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها فان المتبادر انفس المستضعفين
لا استخلاف اولادهم وانما جيء بفعل الطمع للجري على سنن الكبرياء ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين شروع في تفصيل مبادي الهلاك
الموعود وايذان بانه تعالى لم يمهلهم بعد ذلك ولم يكونوا في خفض ودعة بل رتب اسباب هلاكهم فنقلوا من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب
الاستئصال وتصدير الجملة بالقسم لاظهار الاعتناء بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها لغتان اشهرهما اجراؤها
مجرى المذكر السالم فترفع بالواو وتنصب وتجر بالياء وتحذف نونه بالاضافة واللغة الثانية اجراء الاعراب على النون ولكن مع الياء خاصة
اما باثبات تنوينها او بحذفه قال الفراء هي في هذه اللغة مصروفة عند بني عامر وغير مصروفة عند بني تميم ووجه حذف التنوين التخفيف ولا تحذف
النون للاضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر دعاني من نجد فان سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا وجاء الحديث اللهم اجعلها عليهم
سنين كسني يوسف وسنينا كسنين يوسف باللغتين ونقص من الثمرات باصابة العاهات عن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل
النخلة الا ثمرة قال ابن عباس رضي الله عنهما اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم لعلهم يذكرون
كي يتذكروا ويتعظوا بذلك ويقفوا على ان ذلك لاجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والعناد وقال الزجاج انما احوال الشدة
ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل والى الله تعالى كقوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقد مر تحقيق التوقع في لعل في محله عند قوله تعالى
لعلكم تتقون في اوائل سورة البقرة وقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة الخ بيان لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي اي فاذا جاءتهم السعة

رد للبيضاوي

والخصب

والخصب وغيرهما من الخيرات قالوا لنا هذه اي لاجلنا واستحقاقنا لها وان تصبهم سيئة اي جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه
اي يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا كما ترى شاهد بكمال قساوة قلوبهم ونهاية جهلهم وغباوتهم فان الشدائد ترقق القلوب
وتلين العرائك لا سيما بعد مشاهدة الآيات وقد كانوا بحيث لم تؤثر فيهم شيء منها بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق
للايذان بكثرة وقوعها وتعلق الارادة بها بالذات كما ان تنكير السيئة وايرادها بحرف الشك للاشعار بندرة وقوعها وعدم تعلق الارادة بها الا بالعرض
وقوله تعالى الا انما طائرهم عند الله استئناف مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق في ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية
بمضمونه اي ليس سبب خيرهم وشرهم الا عنده وهو حكمه ومشيئته المتضمنة للحكم والمصالح او ليس سبب شؤمهم وهو اعمالهم السيئة الا عنده تعالى اي مكتوبة
لديه فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم لا ما عداها وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع طائر وقيل جمع له ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون
بما حكي عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ان ما اصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى او يعلمون ان ما اصابهم من المصائب والبلايا
ليس الا بما كسبت ايديهم لكن لا يعملون بمقتضاه عنادا واستكبارا وقالوا شروع في بيان بعض آخر مما اخذ به آل فرعون من فنون العذاب
التي هي في انفسها آيات بينات وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد اي قالوا بعد ما رأوا ما رأوا من شأن العصا والسنين ونقص
الثمرات مهما تأتنا به كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء واصلها ما الجزائية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد كما ضمت الى اين وان في قوله تعالى فاما نذهبن
واما نذهبن بك خلا ان الالف الاولى قلبت هاء حذارا من تكرير المتجانسين هذا هو الرأي السديد وقيل مه كلمة يصوت بها الكاف
ضمت اليها ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره ما بعدها اي اي شيء تظهر لدينا وقوله تعالى من آية بيان لمهما وتسميتهم
اياها آية لمجاراتهم على موسى عم واستهزائهم بها وللاشعار بان عنوان كونها آية لا يؤثر فيهم وقوله تعالى لتسحرنا بها الخ اظهار لكمال
الطغيان والغلو فيه وتسمية الآثار دال الحق بالسحر وتنكير الابصار والضميران المجروران راجعان الى مهما وتذكير الاول لمراعاة جانب اللفظ
للابهام وتأنيث الثاني للمحافظة على جانب المعنى للتبيين بآية كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له
فما نحن لك بمؤمنين بمصدقين لك ومؤمنين لنبوتك فارسلنا عليهم عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم هذا الطوفان اي الماء
الذي طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل
اولاد الجراد وقيل بنات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يستطيع ان يخرج احد
من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منه قطرة وهي في خلال بيوتهم وفاض الماء على ارضهم وركد
فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة ايام فقالوا له عم ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلأ
ما لم يعهد قبله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا اليه عم كما ذكر فخرج الى الصحراء واشار
بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقته الجراد وكان يقع في طعامهم
ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه ثالثا فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف
ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكان يمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه رابعا وتضرعوا
فاخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتى كان يجتمع القبطي والاسرائيلي
على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء على حاله ويمص من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف آيات
حال من المنصوبات المذكورة مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله تعالى ونقمته وقيل مفرقات بعضها فوق بعض لامتحان احوالهم
وكان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها اسبوعا وقيل انه عم لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات
على مهل فاستكبروا اي عن الايمان بها وكانوا قوما مجرمين جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها ولما وقع عليهم الرجز اي المذكور
على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحدة من الآيات المفصلة اي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات قالوا في كل مرة يا موسى ادع لنا

العريكة الطبيعة ويقال فلان لين العريكة اي سلس صحاح

اي اعالي صدورهم

ربك بما عهد عندك اى بعهده عنده وهو النبوة او بالذى عهد اليك ان تدعوه فيجيبك كما اجابك فى آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بمجذوف دل عليه التماسهم سعفنا الى نطلب بحق ما عندك او قسم اجيب بعهوده لئن كشفت عنا الرجز الذى وقع علينا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل اى اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت انا فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اى الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون بحبه او مهلكون اذا هم ينكثون جواب لما اى فلما كشفنا عنهم فاجئوا من غير تامل او توقف فاستقمنا منهم اى فاردنا ان ننتقم منهم لما اسلفوا من المعاصى والجرائم فان قوله تعالى فاغرقناهم عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما ويجوز ان يكون المراد مطلق الانتقام والفاء تفسيرية كما فى قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فاغرقناهم فى اليم البحر الذى لا يدرك قعره وقيل لجة بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين تعليل للاغراق اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بآيات الله تعالى واعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية والفاء وان دلت على ترتب الاغراق على ما قبلها من النكث لكنه صرح بالتعليل ايذانا بان مدار جميع ذلك تكذيب آيات الله تعالى والاعراض عنها ليكون ذلك عبرة للناس مغنية عن تكذيب الآيات الظاهرة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عنها واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون اى بالاستعباد وذبح الابناء والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على استمرار الاستضعاف وتجدده وهم بنو اسرائيل ذكروا بهذا العنوان اظهارا لكمال لطفه تعالى بهم وعظيم صيانته اياهم عن رفههم من حضيض المذلة الى اوج العزة مشارق الارض ومغاربها اى جانبيها الشرقى والغربى حيث ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا فى اكنافها الشرقية والغربية كيف شاؤا وافعل للتفضيل التى باركنا فيها اى بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب وقيل للارض وفيه ضعف للفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف كما فى قولك قام زيد وعمرو العاقلة وتمت كلمة ربك الحسنى وهى وعده تعالى اياهم بالنصر والتمكين كما ينبئ عنه قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت على بنى اسرائيل بما صبروا اى بسبب صبرهم على الشدائد التى كابدوها من جهة فرعون وقومه ودمرنا اى فرتبنا اهلكنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والقصور او ودمرنا الذى كان فرعون يصنعه على ان فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية صلة ما والعائد محذوف وقيل اسم كان ضمير عائد الى ما الموصولة ويصنع مسند الى فرعون والجملة خبر كان والعائد محذوف ايضا والتقدير ودمرنا الذين كان هو يصنعه فرعون الا ان الى صيغة المضارع على حذ ين القولين لاستحضار الصورة وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرئ يعرشون بضم الراء وهو الكثير الفصيح وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله عز وجل وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر شروع فى قصة بنى اسرائيل وشرح ما احدثوه من الامور الشنيعة بعد ان انقذهم الله عز وجل من ملكة فرعون ومن عليهم من النعم العظام الموجبة للشكر وآرائهم من الآيات الكبار ما يخر له صم الجبال تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم وجاوز بمعنى جاز وقرئ جوزنا بالتشديد وهو ايضا بمعنى جاز فعدى بالباء اى قطعنا البحر روى انه عبرهم موسى عليه السلام يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله تعالى فرعون فصاموا شكرا لله عز وجل فاتوا اى مروا على قوم قبل كانوا من لخم وقيل من العمالقة الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم يعكفون على اصنام لهم اى يواظبون على عبادتها ويلازمونها وقرئ بكسر الكاف وقال ابن جريج كانت اصنامهم تماثيل بقر وهو اول شان العجل قالوا عند ما شاهدوا احوالهم يا موسى اجعل لنا الها مثلا نعبده كما لهم الهة الكاف متعلقة بمجذوف وقع صفة للالها وما صلة ولهم صلتها والهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا الها كائنا كالذى هو لهم قال انكم قوم تجهلون توجيه من قولهم هذا اثر ما شاهدوا من الآية الكبرى والمعجزة الالهية فوصفهم بالجهل المطلق اذ لا جهل اعظم مما ظهر منهم واكدهم بقوله ان هؤلاء يعنى القوم الذين يعبدون تلك التماثيل متبر اى مدمر مكسر ما هم فيه اى من الدين الباطل اى يتبر الله تعالى ويهدم فيهم الذى هو عليه عن قريب ويحطم اصنامهم ويبيرها رضاضا وانما جىء بالجملة الاسمية للدلالة على التحقق وباطل اى مضمحل بالكلية

ما كانوا

كانوا يعلمون من عبادتها وان كان قصدهم بذلك التقرب الى الله تعالى فانه كفر محض وليس هذا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كما توهم فان المراد به اعمال البر التي عملوها في الجاهلية فانها في انفسها حسنات لو قارنت الايمان لاستتبعت اجورا وانما لم تقارنها الكفر وقول بعضهم هؤلاء اسماعيليون تقديم الخبر مع الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام الادنان بانهم هم الموصوفون للنار ولانه لا يعبدهم البتة والله لهم ضرة لازب لتحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغضوا اليهم ما احبوا قال أغير الله ابغيكم الها شروع في بيان شؤن الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان ان ما طلبوا عبادة مما لا يكون طلبا صلا لكونه باطلا صلا ولذلك وسط بينهما قال تعالى كون كل منهما كلام موسى عم والاستفهام للانكار والتعجيب والتوبيخ وادخال الهمزة على غير للايذان بان المنكر هو كون المبغى غير حقة لا انه لا اختصاص للانكار بغيره تعالى دون انكار الاختصاص بغيره تعالى وانتصاب غير على انه مفعول البغي بحذف الداء اي ابغي لكم الى اطلب لكم غير الله والها غير الله فغير الله صفة لالها قطا قدمت صفة النكرة انتصب حالا وهو فضلكم على العالمين اي في الحال انه تعالى خصكم بنعم لم يلحظها غيركم وفيه تنبيه على ما صنعوا من سوء المعاملة حيث قابلوا تخصيص الله تعالى اياهم من بين امثالهم بما يحقره تفضلا بان عدوا الى اخس شئ من مخلوقاته تعالى فجعلوه شريكا له تعالى تبا لهم ولما يعبدون واذ انجيناكم تذكير لهم من جهته تعالى بنعمة الانجاء من ملكة فرعون وقرئ نجيناكم من النجية وقرئ انجاكم موسى عم من جهته عم اي واذكروا وقت انجائنا اياكم من آل فرعون من ملكتهم للبحر وتخصيصكم من بين رعاياهم وهم على حالهم في المكنة والقدرة بل باهلاكهم بالكلية وقوله تعالى يسومونكم سوء العذاب من سامه خسفا اي اولاه اياه او كلفه اياه وهو اما استئناف لبيان ما انجاهم منه او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما معا لاشتماله على ضميريهما وقوله تعالى يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل من يسومونكم مبين او مفسر له وفي ذلكم الانجاء او سوء العذاب بلاء اي نعمة او محنة من ربكم من مالككم فان النعمة والنقمة كلتاهما منه سبحانه عظيم لا يقادر قدره ووعدنا موسى ثلثين ليلة روى ان موسى عم وعد بني اسرائيل وهم بمصر ان اهلك الله تعالى عدوهم اتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه تعالى الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما تم الثلثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدت بالسواك وقيل اوحى الله تعالى اما علمت ان ريح فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وذلك قوله تعالى وأتممناها بعشر والتعبير عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقيل اوحى الله تعالى بان يصوم ثلثين يوما وان يعمل فيها بما يتوبه من الله تعالى ثم انزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها وقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصل ههنا ووعدنا بمعنى وعدنا وقد قرئ كذلك وقيل الصيغة على بابها بناء على تنزيل قبول موسى عم منزلة الوعد وثلثين منصوب بان لواعدنا بحذف المضاف اي اتمام ثلثين ليلة فتم ميقات ربه اربعين ليلة اي بالغا اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون حين توجه الى المناجاة اخلفني اي كن خليفتي في قومي وراقبهم فيما يأتون وما يذرون واصلح بالحجاج الى الاصلاح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين اي لا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي فتقص مجيئه ميقاتنا وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملكة وفيما روي انه عم كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيها على ان سماع كلامه عز وجل ليس من جهة سماع كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك اي ارني ذاتك بان تمكنني من رؤيتك او متجلي لي فانظر اليك وادرك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لما ان طلب المستحيل مستحيل من الانبياء عم لانه مما يقتضي الجهل وهم يأبون الله عز وجل ولذلك رده بقوله لن تراني ولكن انظر الى الجبل اري ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيتي لتوقفها على معدن الرأى ولم يوجد فيه ذلك بعد وجعل السؤال لتكبيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل ذلك قالوا اجعل لنا الها ولا تتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار

قوله اي بالغا اربعين ليلة يريد ان نصب اربعين ليلة على الحالية.

بعدم رؤيته اياه على انه لابراه ابدا او ان لابراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة مكابرة او جهل صفيحة الرؤية
قال استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فاذا قال رب العزة حين قال موسى ما قال فقيل قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل
فان استقر مكانه سوف ترانى استدراك ليبين انه لا يطيق بها ودق تعليقها باستقرار الجبل ايضا دليل على الجواز لضرورة ان المعلق
بالممكن ممكن والجبل قيل هو جبل الزمرد فلما تجلى ربه للجبل اى ظهرت له عظمته وقدرته ما اقتداره واحره وقيل جعل الجبل صياة
ورويته صح راه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشد والشق وقرئ دكاء اى رضا مستوية ومنه ناقة دكاء
للتى لا سنام لها وقرئ دكا جمع دكاء اى قطعا وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما راه فلما افاق الافاقة رجوع العقل
والفهم الى الانسان بعد ذهابهما بسبب من الاسباب قال تعظيما لما شاهد سبحانك اى تنزيها لك من ان اسئلك شيئا بغير اذن
منك تبت اليك اى من الجراءة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين اى بعظمتك وجلالك وقيل اول من آمن
بانك لا ترى فى الدنيا وقيل بانه لا يجوز السؤال بغير اذن منك قال يا موسى استئناف مسوق لتسلية ه‍م من عدم الاجابة الى سؤال
الرؤية كانه قيل ان منعتك الرؤية فقد اعطيتك من النعم العظام ما لم يعط احدا من العالمين فاغتنمها وتابع على شكرها انى اصطفيتك
اى اخترتك واتخذتك صفوة وآثرتك على الناس اى المعاصرين لك وهو دون ان كان نبيا كان مامورا بابلاغه وما كان كليما ولا صاحب
شرع برسالاتى اى بأسفار التوراة وقرئ برسالتى وبكلامى وبتكليمى اياك بغير واسطة فخذ ما آتيتك اى اعطيتك
من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على ما اعطيت من جلائل النعم وقيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة واعطاء
التوراة يوم النحر وكتبنا له فى الالواح من كل شئ اى مما يحتاجون اليه من امور دينهم موعظة وتفصيلا لكل شئ بدل من الجار
والمجرور اى كتبنا لكل شئ من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف فى عدد الالواح وفى دورتها ومقدارها فقيل انها كانت عشر
الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمردة جاء بها جبريل ه‍ وقيل زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل ان الله تعالى
موسى بقطعها من صخرة صماء ليتبين له اقتطاعها بيده وشقها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة
وهى سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه فى سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى ه‍ وعن مقاتل كتب فى الالواح انى
انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بى شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها على اضمار قول معطوف
على كتبنا اى فقلنا خذها بقوة بجد وعزيمة وقيل هو بدل من قوله تعالى فخذ ما آتيتك فالضمير للالواح او لكل شئ لانه بمعنى الاشياء
او لرسالة او للتوراة وأمر قومك يأخذوا باحسنها اى باحسن ما فيها كالعفو والصبر بالاضافة لا الاقتصاص والانتصار
وكالاقتصار على طريقة الندب الحث على اختيار الافضل كما فى قوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجبها فانها احسن
من المباح وقيل المعنى يأخذوا بها واحسن صلة قال قطرب اى بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى ولذكر الله اكبر وقيل هو ان تحمل الكلمة
المحتملة لمعنيين او لمعان على اشبه محتملاتها بالحق واقربها الى الصواب سأريكم دار الفاسقين تكوين للخطاب وتوجيه له الى قومه
بطريق الالتفات حملا لهم على الجد فى الامتثال بما أمروا به اما على نهج الوعيد والترهيب على ان المراد بدار الفاسقين ارض مصر وديار عاد
وثمود واخرابهم فان رؤيتها وهى خالية عن اهلها خاوية على عروشها موجبة للاعتبار والانزجار عن مثل اعمال اهلها كيلا يحل بهم ما حل
بأولئك واما على نهج الوعد والترغيب على ان المراد بدار الفاسقين اما ارض مصر خاصة او مع ارض الجبابرة والعمالقة بالشام فانها
ايضا مما ابيح لبنى اسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق به قوله عز وجل يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ومعنى الاراءة الاقدار فى الحال
الايراث وبتوبيخ قراءة من قرأ سأدمركم بالثاء المثلثة كما فى قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون الآية وقرئ سأوريكم
ولعله من أورث الزند اى سأتيحها لكم وقوله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض استئناف مسوق لتحذيرهم عن التكبر
الموجب لعدم التفكر فى الآيات التى هى ما كتب فى الواح التوراة من المواعظ والاحكام او ما يعمها وغيرها فى الآيات التكوينية التى من جملتها

ما وعد ارادته من دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لاصرارهم على ما
عليه من التكبر والتجبر كقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر مع ان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم اى سأطبع على قلوب الذين يعدون انفسهم كبيرا ويرون لهم على الخلق
مزية وفضلا فلا ينتفعون بآيات التنزيلية والتكوينية ولا يعتبرون بمعانم اثارها فلا تسلكوا مسلكهم لتكونوا امثالهم وقيل المعنى سأصرفهم
عن ابطالها وان اجتهدوا وكلما اجتهدوا فرعون في ابطال ما رأوه من الآيات فابى الله الا احقاق الحق واذهاق الباطل وعلى هذا فالاسب ان يراد بدار
الفاسقين ارض الجبابرة والعمالقة المشهورين بالفسق والتكبر في الارض وبآياتها الملحاظين ادخالهم الشام واسكانهم في مساكنهم ومغانيهم
حيثما نطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ويكون قوله سأصرف عن آياتي الخ جوابا عن سؤال مقدر نشأ من الوعد
بادخال الشام على ان المراد بالآيات ما تلي آنفا ونظائره وتبصرهم عنها ازالتهم عن مقام معارضتها ومعاندتها لوقوع اضدادها ظهورا واحكامها
وآثارها بإهلاكهم على يد موسى عليه السلام حين سار بعد التيه بمن بقي من بني اسرائيل او بذرياتهم على اختلاف الروايتين الى اريحا ويوشع بن نون
في مقدمته ففتحها واستقر بنو اسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها كافة فيكيف يرون دارهم وهم فريقا فقيل سأهلكهم وآتاعدل
الى التعريف ليزاد وثاقة بالآيات واطمأنوا بها وقوله تعالى بغير الحق اما صلة للتكبر اى يتكبرون بالباطل الذي لا يخفى وهو دينهم الباطل وظلمهم
للموظفين او متعلق بمحذوف هو حال من فاعله اى يتكبرون ملتبسين بغير الحق وقوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها عطف
على يتكبرون داخل معه في حكم الصلة والمراد بالآية اما المنزلة فالمراد برؤيتها مشاهدتها بسماع اوبصر او غيرهما من المدركات والمراد برؤيتها
مطلق المشاهدة المنتظمة للاستماع والابصار اى وان يشاهدوا كل آية من الآيات لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم اى كفروا بكل
واحدة منها لعدم اجتلائهم لها كما هي وهذا كما ترى يؤيد كون التصرف بمعنى الطبع وقوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا
عطف على ما قبله داخل في حكمه اى لا يتوجهون الى الحق ولا يسلكون سبيلا اصلا لاستيلاء الشيطنة عليهم ومطاوعتهم له الا الى الزيغ
وقرئ بفتحتين وقرئ الرشاد وثلثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا اى يختارونه لانفسهم
مسلكا مستمرا لا يكادون يعدلون عنه لموافقته لاهوائهم الباطلة وانقيادهم الى شهواتهم ذلك اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم
ايمانهم بشيء من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم التام الى سبيل الغي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اى حاصل سبب انهم
كذبوا بآياتنا الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القبائح وعلى حقية اضدادها وكانوا عنها غافلين لا يتفكرون فيها والا لما فعلوا
ما فعلوا من الاباطيل ويجوز ان يكون اشارة الى ما ذكر من الصرف فلا يمنعه الاشعار بعلية ما في حيز الصلة كيف لا وقد قرن ذلك في قوله تعالى ذلك بما عصوا
الآية بجوز ان يكون اشارة الى ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم مع كون ذلك معللا بالكفر بآيات الله مرتبا عليه وقيل محل الاسم الاشارة
النصب على المصدر اى صرفهم ذلك الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اى ولقائهم الدار
الآخرة او لقائهم ما وعد الله في الآخرة من الجزاء ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى حبطت اعمالهم اى ظهر بطلان اعمالهم التي كانوا
عليوها من صلة الارحام واغاثة الملهوف ونحو ذلك او حبطت بعد ما كانت مرجوة النفع على تقدير ايمانهم بها هل يجزون اى لا يجزون
الا ما كانوا يعملون اى الا جزاء ما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصي واتخذ قوم موسى من بعده اى من بعد ذهابه الى الطور من حليتهم
متعلق باتخذ كالجار الاول لاختلاف معنييهما فان الاول للابتداء والثاني للتبعيض او للبيان والثاني متعلق بمحذوف وقع حالا من عجلا
اذ لو تأخر لكان صفة واضافة الحلي اليهم مع انها كانت للقبط لادنى ملابسة حيث كانوا استعاروها منهم قبل الغرق فصارت في ايديهم
والا فانهم ملكوها بعد الغرق فذلك منوط بتملك بني اسرائيل غنائم القبط دونهم مستانون فيما بينهم فلا يعده قولهم حملنا اوزارا من زينة القوم
والحلي بضم الحاء وكسر اللام جمع حلي كثدي وثدي وقرئ بكسر الحاء بالاتباع كدلي وقرئ طيهم على الاذاد وقوله تعالى عجلا جسدا
اتخذا عن المجرور لما قام من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقيل

هو متعد الى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثانى محذوف اى الها وقوله تعالى جسدا بدل من عجلا اى جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح
معه وقوله تعالى له خوار اى صوت بقر وقرئ بالجيم والهمزة وهو الصياح نعت لعجلا روى ان السامرى لما صاغ العجل القى فى فمه ترابا من اثر
فرس جبريل عم وقد كان اخذه عند فلق البحر او عند توجهه الى الطور فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح فى جوفه فيصوت
والانسب بما فى سورة طه هو الاول وانما نسب اتخاذه اليهم وهو فعله اما لانه واحد واما لانهم رضوا به فكانهم فعلوه او لان المراد بالاتخاذ اتخاذهم
اياه الها لا صنعه واحداثه الم يروا انه لا يكلمهم استئناف سوق لتقريعهم وتشنيعهم وتركيك عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا عليه من الكفر الذى
هو اتخاذه الها اى الم يروا انه ليس فيه شئ من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه الها وقوله تعالى
اتخذوه اى فعلوا ذلك وكانوا ظالمين اى واضعين للاشياء فى غير مواضعها فلم يكن هذا اول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلى
وتكرير اتخذوه لتقوية التشنيع وترتيب الاعتراض عليه ولما سقط فى ايديهم اى ندموا على ما فعلوا غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان
المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها فاليد حقيقة وقال الزجاج معناه سقط
الندم فى انفسهم اما بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق التمثيل ورأوا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل اى تبينوا الخبث تبينا بلغ حتى
كانهم رأوه باعينهم وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متأخرا عنها للمسارعة الى بيانه والاشعار بغاية سرعته كانه سابق على الرؤية
قالوا والله لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة المكفرة ويغفر لنا ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على المغفرة مع
ان التخلية حقها ان تتقدم على التحلية اما للمسارعة الى ما هو المقصود الاصلى واما لان المراد بالرحمة مطلق ارادة الخير بهم وهو مبدأ
لانزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام فى لئن موطئة للقسم كما اشير اليه وفى قوله تعالى لنكونن من الخاسرين جواب القسم وما حكى عنهم بقوله قالوا والله
من الندامة والرؤية والقول وان كان بعد ما رجع موسى عم اليهم كما ينطق به الآيات الواردة فى سورة طه لكن اريد بتقديمه عليه حكاية ما صدر
عنهم من القول والفعل فى موضع واحد ولما رجع موسى الى قومه شروع فى بيان ما جرى من موسى عم بعد رجوعه من الميقات اثر بيان ما وقع
من قومه بعده وقوله تعالى غضبان اسفا حالان من موسى عم او الثانى من المستكن فى غضبان والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين
قال بئسما خلفتمونى من بعدى اى بئسما فعلتم من بعد غيبتى حيث عبدتم العجل بعد ما رأيتم فعلى من توحيد الله ونفى الشركاء عنه واخلاص
العبادة له او من حملكم على ذلك وكفكم عما طمحت نحوه ابصاركم حيث قلتم اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة
المستخلف فالخطاب للعبدة من السامرى واشياعه او بئسما قمتم مقامى ولم تراعوا عهدى حيث لم تكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب
لهرون ومن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن افعصيت امرى ويجوز ان يكون الخطاب
للكل على ان المراد بالخلافة ما يعم الامرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره
تام بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم اعجلتم امر ربكم اى تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل عن الامر اذا تركه غير
او اعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتى وغيرتم بعدى كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة
الغضب وفرط الضجر حمية للدين روى ان التورية كانت سبعة اسباع فى سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها التى كان
فيها تفصيل كل شئ وبقى سبع كان فيها المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه بشعر رأسه عم يجره اليه حال من الضمير اخذ فعله عم
توهما انه قصر فى كفهم وهرون اكبر منه عم بثلث سنين وكان حمولا ولذلك كان عم احب الى بنى اسرائيل قال اى هرون مخاطبا لموسى عم
ابن ام بحذف حرف النداء وتخصيص الام اعظم واحرى بالمراعاة فانها كانت مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف والشدائد وقرئ
بكسر الميم باسقاط الياء تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء وقراءة الفتح لزيادة التخفيف او لتشبيهه بخمسة عشر ان القوم استضعفونى
وكادوا يقتلوننى ازاحة لتوهم التقصير فى حقه والمعنى بذلت جهدى فى كفهم حتى قهرونى واستضعفونى وقاربوا قتلى فلا تشمت بى
الاعداء اى فلا تفعل بى ما يكون سببا لشماتتهم بى ولا تجعلنى مع القوم الظالمين اى معدودا فى عدادهم بالمؤاخذة او النسبة

الا التقصير وهذا يؤيد كون الخطاب للكل اولا يعتد اتى واحد من التائبين معبوا تى منهم ومن ظلمهم قال استئناف مبنى على سؤال نشأ
من حكاية اعتذار هرون ع كأنه قيل فماذا قال موسى ع عند ذلك فقيل قال رب اغفر لى اى ما فعلت باخى من غير ذنب متوز من جهته
ولاخى ان فرط منه تقصير ما فى كفهم عما فعلوه من العظيمة استغفر لنفسى لترجى اقامة الثابتين رضاه لكلا تتم شماتتهم به ولاخى للاذان
بانه محتاج الى الاستغفار حيث كان يجب عليه ان يقاتلهم وادخلنا فى رحمتك بمزيد الانعام بعد غفران ما سلف منها وانت ارحم الراحمين
فلا غرو فى انتظامنا فى سلك رحمتك الواسعة فى الدنيا والآخرة والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله ان الذين اتخذوا العجل اى تمادوا
واستمروا على عبادته كالسامرى واشياعه من الذين اشربوه فى قلوبهم كما ينبئ عنه كون الموصول الثانى عبارة عن التائبين فان ذلك صريح
فان الموصول الاول عبارة عن المصرين سينالهم اى فى الآخرة غضب اى عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات لما ان جريمتهم
اعظم الجرائم واقبح الجرائر وقوله تعالى من ربهم اى مالكهم متعلق بسينالهم او بمحذوف هو نعت لغضب مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة
الذاتية بالغنى عنه الاضافية اى كائن من ربهم وذلة فى الحيوة الدنيا هى ذلة الاعراب التى تضرب بها الامثال والمسكنة الملازمة
لهم ولاولادهم جميعا والذلة التى اختص بها السامرى من النفار عن الناس والابتلاء بلامس وروى ان بقاياهم اليوم يقولون
ذلك واذا مس احدهم احدا غيرهم حما جميعا فى الوقت وايرادها لهم فى حيز التبين مع مضيه بطريق تغليب حال الاخلاف على حال الاسلاف
وقيل المراد بهم التائبون وبالغضب ما اصابهم من قتل انفسهم واعتذر عن التبين بان ذلك حكاية عما اخبر الله تعالى به موسى ع حين اخبر
باقتيان قومه واتخاذهم العجل انه سينالهم الغضب من ربهم وذلة فيكون سابقا على الغضب وانت خبير بان سياق النظم الكريم وسياقه
ناب بيان عن ذلك نبوا ظاهرا كيف لا وقوله تعالى وكذلك نجزى المفترين ينادى على ذلك فانهم شهدا تائبون فكيف يكون وصفهم
بعد ذلك بالافتراء وايضا ليس نجزى الله تعالى كل المفترين بهذا الجزاء الذى ظاهره قهر وباطنه لطف ورحمة وقيل المراد بهم
ابناؤهم المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان تغيير الابناء بافاعيل الآباء مشهور معروف منه قوله تعالى واذ قتلتم نفسا الآية
وقوله تعالى واذ قلتم يا موسى الآية والمراد بالغضب الغضب الاخروى وبالذلة ما اصابهم من القتل والاجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل
المراد بالموصول المتخذون حقيقة وبالضمير فى بنالهم اخلافهم ولا ريب فى ان توسيط حال هؤلاء فى تضاعيف بيان حال المتخذين
من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه والذين عملوا السيئات اى سيئة كانت ثم تابوا عنه عن تلك السيئات من بعدها اى من بعد عملها
وآمنوا اى ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا باقامة ما هو من مقتضياته من اعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى
ان ربك من بعدها اى من بعد تلك التوبة المقرونة بالايمان لغفور للذنوب وان عظمت وكثرت رحيم مبالغ فى اضافة غفران
الرحمة الدنيوية والاخروية والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم للتشريف ولما سكت عن موسى الغضب شروع
فى بيان بقية الحكاية اثر ما بين لتحزب القوم الى مصر وتائب والاشارة الى تأمل كل منهما اجمالا اى لما سكن عنه الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم
وهذا صريح فى ان ما حكى عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان بعد مجئ موسى ع وفى هذا النظم الكريم من البلاغة والمبالغة بتنزيل الغضب الحامل
على ما صدر عنه من القول والعمل منزلة الآمر وبذلك المغرى عليه بالتحكم والتشديد والتعبير عن سكونه بالسكوت مالا يخفى وقرئ سكن وسكت وسكت
على ان الفاعل هو الله تعالى او اخوه او التائبون اخذ الالواح التى القاها وفى نسختها اى فيما نسخ فيها وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة
وقيل فيما نسخ منها اى من الالواح المتكسرة هدى البيان للحق ورحمة للمخلى بارشادهم الى ما فيه الخير والصلاح للذين هم لربهم
يرهبون اللام الاولى متعلقة بمحذوف هو صفة لرحمة اى كائنة لهم او هى لام الاجل اى هدى ورحمة لهم او لام التقوية لعمل الفعل
المؤخر كما فى قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون او هى ايضا لام العلة والمفعول محذوف اى يرهبون العقاب لاجل ربهم لا للآباء والشمعة واختار
موسى قومه شروع فى بيان كيفية استدعاء التوبة وكيفيتها ووقوعها واختار يتعدى الى اثنين ثانيهما مجرور بمن اى اختار قومه
بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور كما فى قوله اختارك الناس اذ رثت حبالهم واعتل من كان يرجى عنده النوال اى اختارك من الناس

من الحزب ،
من الاغراب ،

سبعين رجلاً مفعول اول لاختار اخر عن الثاني لما مر واراد الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر لميقاتنا الذي وقتناه بعد ما وقع
من قومه ما وقع لا لميقات الكلام الذي ذكر قبل ذلك كما قيل قال السدى امره الله تعالى بان ياتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة
العجل ووعدهم موعداً فاختار من قومه سبعين رجلاً وقال محمد بن اسحق اختارهم ليتوبوا اليه تعالى مما صنعوه ويسألوه التوبة على من تركوهم وراءهم
من قومهم قالوا اختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال موسى عم ان لمن قعد مثل اجر من خرج فقعد
كالب ويوشع وذهب مع الباقين وامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم الى طور سيناء فلما دنوا في الجبل غشيه غمام فدخل موسى عم
بهم الغمام وخروا سجداً فسمعوه تعالى يكلم موسى يأمره وينهاه حسبما يشاء وهو الامر بقتل انفسهم توبة فلما اخذتهم الرجفة مما اجترؤا عليه
من طلب الرؤية فانه يروى انه لما انكشف الغمام اقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اى الصاعقة
فماتوا ولعلهم ارادوا بقولهم لن نؤمن لك لن نصدقك في ان الآمر بما سمعناه من الامر بقتل انفسهم هو الله تعالى حتى نراه حيث قاسوا
رؤيته تعالى على سماع كلامه قياساً فاسداً في شاهد موسى عم تلك الحالة الهائلة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل اى حين فرطوا في النهي
عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا اصرارهم عليها واياى ايضاً حين طلبت منك الرؤية اى لو شئت اهلاكنا بذنوبنا
لاهلكتنا ح اراد به عم تذكير العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق فان الاعتراف بالذنب والشكر على النعمة مما يربط العتيد ويجلب المزيد
يعني انا كنا مستحقين للاهلاك ولم يكن من موانعه الا عدم مشيئتك اياه فحيث لطفت بنا وعفوت عنا تلك الجرائر فلا غرو في ان تعفو
عنا هذه الجريمة ايضاً وحمل الكلام على التمني يأباه قوله عم اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اى من الذين لا يعلمون تفاصيل شؤونك
ولا يتثبتون في المداحض والهمزة لانكار وقوع الاهلاك ثقة بلطف الله عز وجل كما قاله ابن الانباري او للاستعطاف كما قاله المبرد
اى لا تهلكنا ان هي الا فتنتك استئناف مقرر لما قبله واعتذار عما صنعوا ببيان منشأ غلطهم اى ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء
وقالوا بسببها ما قالوا الا فتنتك العظيمة اى محنتك وابتلاؤك حيث اسمعتهم كلامك فافتتنوا بذلك ولم يتثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك تابعين
للقياس الفاسد وقوله تعالى تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء اما استئناف مبين لحكم الفتنة او حال من فتنتك اى حال كونها
مضلاً بها الخ اى تضل بسببها من تشاء اضلاله فلا يهتدي الى التثبت وتهدي من تشاء هدايته الى الحق فلا يتزلزل في امثالها فيقوى
بها ايمانه انت ولينا اى القائم بامورنا الدنيوية والاخروية وناصرنا وحافظنا لا غير فاغفر لنا ما قارفناه من المعاصي والفاء
لترتيب الدعاء على ما قبله من الولاية كأنه قيل من شأن الولي المغفرة والرحمة وقيل ان اقدامه عم على ان يقول ان هي الا فتنتك الخ
جرأة عظيمة فطلب من الله تعالى غفرانها والتجاوز عنها وارحمنا بافاضة آثار الرحمة الدنيوية والاخروية علينا وانت
خير الغافرين اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لانها الاهم بحسب المقام واكتب لنا اى اثبت لنا
وقيل اوجب وحقق واثبت في هذه الدنيا حسنة اى نعمة وعافية او خصلة حسنة قال ابن عباس رض اقبل وفادتنا وردنا
بالمغفرة والرحمة وفي الآخرة اى واكتب لنا فيها ايضاً حسنة وهي المثوبة والجنة انا هدنا اليك اى تبنا وانبنا اليك
من هاد يهود اذا رجع وقرئ بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وامالة ويحتمل ان يكون مبنياً للفاعل وللمفعول بمعنى املنا او املنا اليك
ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة من يقول عود المريض مع كونها لغة ضعيفة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل
والجملة استئناف مسوق لتعليل الدعاء فان التوبة مما يوجب قبوله بموجب الوعد المحتوم وتصديرها بحرف التحقيق لاظهار كمال النشاط
والرغبة في التوبة والمعنى انا تبنا ورجعنا عما صنعنا من المعصية العظيمة التي جئناك للاعتذار عنها وعما وقع ههنا في طلب الرؤية جميعاً
من لطفك وفضلك ان لا تقبل توبة التائبين وقيل لما اخذتهم الرجفة ماتوا جميعاً فاخذ موسى عم يتضرع الى الله تعالى حتى احياهم
وقيل رجفوا وكادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف موسى عم فبكى فكشف الله تعالى عنهم قال استئناف وقع جواباً عن سؤال
ينساق اليه الكلام كأنه قيل فماذا قال الله تعالى عند دعاء موسى عم فقيل قال عذابي اصيب به من اشاء لعله عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل

العتيد الحاضر

لا غرو اى لا عجب

سلم

بقتلهم أنفسهم ضمن موسى عم دعاءه التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة عارية عن المشقة والشدة فان في قتل
انفسهم من العذاب والتشديد ما لا يخفى فاجاب تعالى بان عذابي شانه ان اصيب به من اشاء تعذيبه من غير دخل لغيري فيه ومن تناوله
مشيئتي ولذلك جعلت توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوي ورحمتي وسعت كل شيء اي شانها ان تسع في الدنيا المؤمن والكافر
بل كل ما يدخل تحت الشيئية من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيب منها في ضمن العذاب الدنيوي وفي نسبة الاصابة الى العذاب
بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة الماضي ايذان بان الرحمة مقتضى الذات واما العذاب فمقتضى معاصي العباد والمشيئة معتبرة
في جانب الرحمة ايضا وعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور الا يرى الى قوله تعالى فسأكتبها اي اثبتها واعينها فانه متفرع على اعتبار
المشيئة كانه قيل فاذا كان الامر كذلك اي كما ذكر من اصابة عذابي وسعة رحمتي لكل من اشاء فسأكتبها كتبة كائنة كما دعوت بقولك واكتب لنا
اي سأكتبها خالصة غير مشوبة بالعذاب الدنيوي للذين يتقون اي الكفر والمعاصي اما ابتداء او بعد ملابستها وفيه تعريض بقومه كانه قيل
لا لقومك لانهم غير متقين فيكفيهم ما قدر لهم من الرحمة وان كانت مقارنة للعذاب الدنيوي ويؤتون الزكوة وفيه ايضا تعريض بهم
حيث كان الزكوة شاقة عليهم لعل الصلوة انما تذكر مع اندراجها على سائر العبادات اكتفاء منها بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات
باسرها وترك المنكرات عن آخرها وابراز ايتاء الزكوة لما مر من التعريض والذين هم بآياتنا جميعا يؤمنون ايمانا مستمرا من غير
اخلال بشيء منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالآيات العظام التي جاء بها موسى عم وبما يجيء بعد ذلك من الآيات البينات كتظليل الغمام وانزال
المن والسلوى وغير ذلك وتكرير الموصول مع ان المراد عين ما اريد بالموصول الاول دون ان يقال يؤمنون بآياتنا عطفا على يؤتون
الزكوة كما عطف هو على يتقون لما اشير اليه من القصر بتقديم الجار والمجرور اي هم بجميع آياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض الذين
يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتابا مختصا به النبي اي صاحب المعجزة وقيل عنوان الرسالة بالنسبة اليه تعالى وعنوان النبوة
بالنسبة الى الامة الامي بضم الهمزة نسبة الى الام كانه باق على حالته التي ولد عليها من امه او الى امة العرب كما قال عليه السلام انا امة
لا نحسب ولا نكتب او الى ام القرى وقرئ بفتح الهمزة اي الذي لم يمارس القراءة والكتابة وقد جمع مع ذلك علوم الاولين والآخرين
والموصول بدل من الموصول الاول بدل الكل او منصوب على المدح او مرفوع عليه اي اعني الذين او هم الذين فاما جعله مبتدأ على ان خبره يأمرهم او اولئك
هم المفلحون فغير سديد الذي يجدونه مكتوبا باسمه ونعوته بحيث لا يشكون انه هو ولذلك عدل عن ان يقال يجدون اسمه او وصفه
مكتوبا عندهم زيد هذا الزيادة للتقرير وان شانه حاضر عندهم لا يغيب عنهم اصلا في التوراة والانجيل اللذين تعبد بهما
بنو اسرائيل سابقا ولاحقا والظرفان متعلقان بيجدونه او بمكتوبا وذكر الانجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر النبي عم
والقرآن الكريم قبل مجيئهما يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كلام مستأنف لا محل له من الاعراب قاله الزجاج متضمن لتفصيل
بعض احكام الرحمة التي وعد فيما سبق بكتبها اجمالا فان ما بين فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم
الخبائث واسقاط التكاليف الشاقة كلها من آثار الرحمة الواسعة وقيل في محل النصب على انه حال مقدرة من مفعول يجدونه
او من النبي او من المستكن في مكتوبا او مفسر لمكتوبا اي لما كتب ويحل لهم الطيبات التي حرمت عليهم بشؤم ظلمهم ويحرم عليهم الخبائث
كالدم ولحم الخنزير والربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم اي يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف
الشاقة التي هي من قبيل ما كتب عليهم من كون التوبة بقتل النفس كتعيين القصاص في العمد والخطأ من غير شرع الدية وقطع
الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم السبت وعن عطاء انه كانت بنو اسرائيل اذا قاموا
يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه
على العبادة وقرئ آصارهم واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه من الحراك فالذين آمنوا به تعليم لكيفية اتباعه عم
وبيان لعلو رتبة متبعيه واغتنامهم مغانم الرحمة الواسعة في الدارين اثر بيان نعوته الجليلة والاشارة الى ارشاده عم اياهم

رد للبيضاوي وابن الكمال

التي حرمت عليهم لا المستحرم منه

كالخمر والخنزير

والمسح بوزن الملح البلاس والجمع المساح والمسوح جمع مسح وهو كساء اسود قطع البدن ومسوح ج

يقال اصره اي حبسه وبابه ضرب وهو ايضا بمعنى الثقل ج

بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث اي فالذين آمنوا بنبوته واطاعوه في اوامره ونواهيه وعزروه اي عظموه
ووقروه واعانوه بمنع اعدائه عنه وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه على اعدائه في الدين واتبعوا النور الذي انزل
اي مع نبوته وهو القرآن عبر عنه بالنور المنبئ عن كونه ظاهرا بنفسه ومظهرا لغيره او مظهرا للحقائق كاشفا عنها لمناسبة الاتباع ويجوز ان يكون
متعلقا باتبعوا اي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباعه بالعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او اتبعوا القرآن مصاحبين له في اتباعه اولئك اشارة
الى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للاشعار بعليتها للحكم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل
والشرف اي اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة هم المفلحون اي هم الفائزون بالمطلوب الناجون عن الكروب لا غيرهم من الامم فيدخل فيهم قوم
موسى عليه السلام دخولا اوليا حيث لم ينجوا عما في توبتهم من المشقة الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتأتى التوفيق والتطبيق بين دعائه عليه السلام وبين الجواب لا بما
ما قيل من انه لما دعى لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرحمة على الله تعالى وعلى كفرهم بآياته العظام التي اجراها
على يد موسى عليه السلام وعرض بذلك في قوله تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون واريد ان يكون استتباع اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وبما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا بهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم لما حكى
في الكتابين من نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف من يتبعه من اهلهما ونيلهم لسعادة الدارين امر عليه السلام ببيان ان تلك السعادة غير
مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائنا من كان ببيان عموم رسالته عليه السلام للثقلين مع ان اختصاص رسالة سائر الرسل عليهم السلام باقوامهم وارسال موسى عليه السلام
الى فرعون وملائه بالآيات التسع انما كان لامرهم بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه
فئته الباغية وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر واما العمل باحكام التورية فمختص ببني اسرائيل جميعا حال من الضمير في اليكم الذي له
ملك السموات والارض منصوب او مرفوع على المدح او مجرور على انه صفة للجلالة وان حيل بينهما بما هو متعلق بما اضيف اليه فانه في حكم
المتقدم عليه وقوله تعالى لا اله الا هو بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وقوله تعالى يحيي ويميت لزيادة تقرير
الوهيته والفاء في قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله لتفريع الامر على ما تمهد وتقرر من رسالته عليه السلام وايراد نفسه عليه السلام بعنوان الرسالة على طريقة
الالتفات الى الغيبة للمبالغة في ايجاب الامتثال بامره ووصف الرسول بقوله النبي الامي لمدحه عليه السلام بهما ولزيادة تقرير امره وتحقيق انه المكتوب
في الكتابين ووصفه بقوله تعالى الذي يؤمن بالله وكلماته اي ما انزل اليه والى سائر الرسل عليهم السلام من كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين على الامتثال بما
امروا به والتصريح بايمانه بالله للتنبيه على ان الايمان به تعالى لا ينفك عن الايمان بكلماته ولا يتحقق الا به وقرئ وكلمته على ارادة القرآن تنبيها على ان المقصود
هو الايمان به من حيث انزل عليه القرآن لا من حيثية اخرى او على ان المراد بها عيسى عليه السلام تعريضا باليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه
فاتبعوه اي في كل ما ياتي وما يذر من امور الدين لعلكم تهتدون علة للفعلين او حال من فاعليهما اي رجاء لاهتدائكم الى المطلوب
او راجين له وفي تعليقه بهما ايذان بان من صدقه ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء مستمر على الغي والضلالة ومن قوم موسى
كلام مستأنف مسوق لدفع ما عسى يوهمه تخصيص كتبة الرحمة والتقوى والايمان بالآيات بمتبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرمان اسلاف قوم موسى عليه السلام
من كل خير وبيان ان كلهم ليسوا كما حكيت احوالهم بل منهم امة يهدون اي الناس بالحق ملتبسين به او يهدونهم بكلمة الحق وبه يعدلون
اي في الاحكام الجارية فيما بينهم وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية وقيل هم الذين آمنوا بالنبي عليه السلام ويأباه انه قد مر ذكرهم فيما سلف وقيل
بنو اسرائيل لما بالغوا في العتو والطغيان حتى اجترؤوا على قتل الانبياء تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تعالى ان يفرق بينهم وبين اولئك الطاغين اي من اثني عشر سبطا
ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقد ذكر عن النبي عليه السلام
السلام ان جبريل عليه السلام قال هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى عليه السلام اوصانا ان من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه
فرد محمد على موسى السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت يومئذ فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون
فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت هذا وانت خبير بان تخصيصهم بالهداية من بين قومه عليه السلام مع ان منهم من آمن بجميع الشرائع لا يخلو عن بعد

وقطعناهم اي قوم موسى لا الامة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف قوله تعالى اثنتي عشرة ثاني مفعولي قطع لتضمنه معنى التصيير والتأنيث
للحمل على الامة او القطعة اي صيرناهم اثنتي عشرة امة او قطعة متميزا بعضها من بعض او حال من مفعوله اي فرقناهم معدودين بهذا العدد وقوله تعالى
اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة قطعة اسباط لا سبط وقرئ عشرة بكسر الشين وقوله تعالى امما
على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه حين استولى عليهم العطش في التيه
الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا بمجرد استسقائهم اياه بل باستسقائه ودعائه لهم لقوله تعالى واذ استسقى موسى لقومه وقوله تعالى ان اضرب
بعصاك الحجر مفسر لفعل الايحاء وقد مر بيان شأن الحجر في تفسير سورة البقرة فانبجست عطف على مقدر يستدعيه الكلام
قد حذف تعويلا على كمال الظهور وايذانا بغاية مسارعته عليه السلام الى الامتثال واشعارا بعدم تأثير الضرب حقيقة وتنبيها على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار
كأنه حصل اثر الامر قبل تحقق الضرب كما في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانبجست منه اثنتا عشرة عينا بعدد الاسباط
واما ما قيل من ان التقدير فان ضربت فقد انبجست فغير حقيق بجزالة النظم التنزيلي وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها قد علم كل اناس
كل سبط عبر عنهم بذلك ايذانا بكثرة كل واحد من الاسباط مشربهم اي عينهم الخاصة بهم وظللنا عليهم الغمام اي جعلناه بحيث
يلقي عليهم ظله في التيه يسير بسيرهم ويسكن باقامتهم وكان ينزل بالليل عمود من نار يسيرون بضوئه وانزلنا عليهم المن والسلوى
اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح
الرجل ما يكفيه كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم اي مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى
وما ظلمونا رجوع الى سنن الكلام الاول بعد حكاية خطابهم وهو معطوف على جملة محذوفة للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح
اي فظلموا بان كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول لافادة القصر الذي
يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب من التهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر واذ قيل لهم
منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وايراد الفعل على البناء للمفعول مع استناده اليه تعالى كما يفصح عنه ما وقع في سورة البقرة من قوله
واذ قلنا للجري على سنن الكبرياء والايذان بالغنى عن التصريح به لتعين الفاعل وتغيير النظم بالامر بالذكر للتشديد في التوبيخ اي اذكر لهم وقت قوله تعالى
لاسلافهم اسكنوا هذه القرية منصوب على المفعولية يقال سكنت الدار وقيل على الظرفية اتساعا وهي بيت المقدس وقيل اريحا
وهي قرية الجبارين كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة رأسهم عوج بن عنق وفي قوله تعالى اسكنوا ايذان بان المأمور به في سورة البقرة
هو الدخول على وجه السكنى والاقامة ولذلك اكتفي به عن ذكر رغدا في قوله تعالى وكلوا منها اي من مطاعمها وثمارها على ان من تبعيضية او منها
على انها ابتدائية حيث شئتم اي من نواحيها من غير ان يزاحمكم فيها احد فان الاكل المستمر على هذا الوجه لا يكون الا رغدا واسعا
وعطف كلوا على اسكنوا بالواو لمقارنتهما زمانا بخلاف الدخول فانه مقدم على الاكل ولذلك قيل هناك فكلوا وقولوا حطة اي مسألتنا او امرك حطة
لذنوبنا وهي فعلة من الحط كالجلسة وادخلوا الباب اي باب القرية سجدا اي متطامنين مخبتين او ساجدين شكرا على اخراجهم من التيه
وتقديم الامر بالدخول على الامر بالقول المذكور في سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب لان المأمور به هو الجمع بين الفعلين من غير اعتبار الترتيب بينهما
ثم ان كان المراد بالقرية اريحا فقد روي انهم دخلوها حيث سار اليها موسى عليه السلام بمن بقي من بني اسرائيل او بذراريهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما
في سورة المائدة واما ان كان بيت المقدس فقد روي انهم لم يدخلوه في حياة موسى عليه السلام وقيل المراد بالباب باب القبة التي كانوا يصلون اليها
نغفر لكم خطيئاتكم وقرئ خطاياكم كما في سورة البقرة وتغفر لكم خطيئاتكم وخطاياكم وخطيئتكم على البناء للمفعول سنزيد المحسنين عدة
بشيئين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو ههنا لا يخل بذلك لانه استئناف مترتب على تقدير سؤال نشأ من الاخبار بالغفران كأنه قيل فماذا لهم
بعد الغفران فقيل سنزيد وكذلك زيادة منهم زيادة بيان فبدل الذين ظلموا منهم بما امروا به من التوبة والاستغفار حيث اعرضوا عنه ووضعوا
موضعه قولا آخر مما لا خير فيه روي انهم دخلوه زاحفين على استاههم وقالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا

اي انصبت المية
... بولك
انفجر انفار

اي ما يكفيه مد

اي قوله تعالى انفسهم على ما عليه وهو
يظلمون لافادة القصر

اي مغفرة وحط الذنوب

وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة
او على انها مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه
امرنا حطة اي ان نحط رحالنا في هذه القرية
ونقيم بها

يعنون صنعه عجم آء استخفافا بامر الله عز وجل واستهزاء بموسى ع وقوله تعالى غير الذي قيل لهم نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل
عليها قطعا تحقيقا للمخالفة وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فارسلنا عليهم اثر ما فعلوا من غير تاخير وفي سورة البقرة على الذين ظلموا
والمعنى واحد والارسال من فوق فيكون كالانزال رجزا من السماء عذابا كائنا منها والمراد الطاعون روى انه مات منهم في ساعة واحدة
اربعة وعشرون الفا بما كانوا يظلمون بسبب ظلمهم المستمر السابق واللاحق فجاء بنيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لا بسبب التبديل
فقط كما يشعر به ترتيب الارسال عليه بالفاء والتصريح بهذا التعليل لما ان الحكم ههنا مرتب على المضمرين الموصول بالظلم كما في سورة البقرة و
واما التعليل بالفسق بعد الاشعار بعلية الظلم فقد مر وجهه هناك والله اعلم واسالهم عطف على المقدر في اذ قيل اي واسئل اليهود المعاصرين
لك سؤال تقريع وتوبيخ بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله تعالى واعلاما لهم بان ذلك مع كونه من علومهم الخفية التي لا يقف عليها الا من ثابرهم
قد احاط به النبي صلى الله عليه وسلم خبرا واذ ليس ذلك مما يتلقى من كتبهم لانه مما يهمل من ذلك تعيين انه من جهة الوحي الصريح عن اللوثية
اي عن حالها وخبرها وما جرى على اهلها من الآية الدهماء وهي ايلة قرية بين مدين والطور وقيل هي مدين وقيل طبرية والوب بينهما ثلثة
قرية التي كانت حاضرة البحر اي قرية منه مشرفة على شاطئه اذ يعدون في السبت اي يتجاوزون حدود الله تعالى في التصيد يوم السبت
واذ ظرف للمضاف المحذوف او بدل منه وقيل ظرف لكانت او حاضرة وليس بذاك اذ لا فائدة في تقييد الكون او الحضور بوقت العدوان
وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد حيث كانوا يعدون الايام للتصيد يوم السبت وهم مرتبون في الاستغال فيه بغير العبادة
اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل والاول هو الاولى لان السؤال عن عدوانهم داخل في التقريع والحيتان جمع حوت
قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كصوم وديمان لغطا ومعنى واضافتها اليهم للاشعار باختصاصها بهم لاستغلالها بالاكل دون غيرهم من
افراد الجنس من الخواص المخارقة للعادة او لان المراد بها الحيتان الكائنة في تلك الناحية وان ما ذكر من الاتيان وعدمه لاعتيادها احوالهم
في عدم التعرض يوم السبت يوم سبتهم ظرف لتاتيهم اي تاتيهم يوم تعظيمهم للامر السبت وهو مصدر سبت اليهود اذا عظم السبت
بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيده الاول قراءة من قرا يوم اسباتهم وقوله تعالى شرعا جمع شارع
من شرع عليه اذا دنى واشرف حال من حيتانهم اي تاتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من ان تحل ويوم لا يسبتون اي
لا يداومون او السبت لكن لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائها معا اي لا سبت ولا مراعاة كما في قوله الا غراب
الغضب بها بتجرد وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت ولا يدار عليهم حكم السبت ولا
يؤمرون فيه بما امروا به يوم السبت لا تاتيهم كما كانت تاتيهم يوم السبت مذادا من صيدهم وتغيير النسق حيث لم يقل ولا تاتيهم يوم لا يسبتون
لا تاتيهم كذلك نبلوهم اي مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع نعاملهم معاملة من يجربهم لنظر عدوانهم ونؤاخذهم به وصيغة المضارع
لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها والتعجيب منها بما كانوا يفسقون اي فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لكن
لا في تلك العادة فان فسقهم فيها لا يكون سببا للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر في كل ايامهم وما يذرون وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تاتيهم مثل
ما تاتيهم يوم سبتهم فالجملة بين حج استئناف مبني على السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيتان لا بالاتيان تارة وعدمه اخرى واذ قالت عطف
على اذ يعدون مسوق لتمادي بهم في العدوان وعدم انزجارهم عنه بعد العظات والانذارات امة منهم اي جماعة من صلحائهم الذين ركبوا اعظمهم
من كل صعب وذلول حتى يئسوا من اعتمال القبول الآخرين لا يتلعون في التذكير رجاء للنفع والتاثير مبالغة في الاعذار وطمعا في ان
الانذار لم يقطعوا قوما الله مهلكهم اي مخربهم بالكلية ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا دون الاستيصال بالمرة قيل
مهلكوهم بخربهم في الدنيا او معذبهم في الآخرة لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون منع الجمع فانهم مهلكون
في الدنيا ومعذبون في الآخرة واثار صيغة اسم الفاعل مع ان كلا من الاهلاك والتعذيب للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة كانهما
واقعان والما قالوه بمحضر من القوم حثا لهم على الاتعاظ فان بث القول بهلاكهم وعذابهم مما يلقي في قلوبهم الخوف والخشية وقيل المراد طائفة

من النوة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردًّا عليهم وتهكما بهم وليس بذاك كما ستقف عليه قالوا اى الوعاظ معذرة الى ربكم اى معذرتنا
معذرة اليه تعالى على انه مفعول له وهو الناصب بظاهر قولهم لم تعظون او نعتذر معذرة على انه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
اى موعظتنا معذرة اليه تعالى حتى لا تنسب الى نوع تفريط فى النهى عن المنكر وفى اضافة الرب الى ضمير المخاطبين نوع تعريض بالمعاندين ولعلهم يتقون
عطف على معذرة اى ورجاء لان يتقوا بعض التقاة وهذا صريح فى ان العاملين لم يقنطوا من النوة الهالكة والا لوجب الخطاب فلما سوا
ما ذكروا به اى تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسى للشئ واعرضوا عنه اعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شئ من تلك المواعظ اصلا انجينا
الذين ينهون عن السوء وهم النوعان المذكوران واخراج انجائهم مخرج الجواب الذى حقه الترتب على الشرط وهو بيان المعتدين المستتبع
لاهلاكهم لما ان خير الشرط شيئان النسيان والتذكير كما قيل فلما ذكر المذكرون ولم يتذكر المعتدون انجينا الاولين واخذنا الآخرين
والما تصدير الجواب بانجائهم فلما مر مرارا من المغايرة التى بين انجائهم من اول الامر معولة الموخر من نوع طول واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء
ومخالفة الامر بعذاب بئيس اى شديد ورثنا ومعنى من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرئ بيئس على وزن فيعل بفتح العين
وكسرها وبئس كحذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء كعبد وكبد وبيس بقلب الهمزة ياء كذيب فى ذيب وبيئس
كريئس بقلب همزة بئس ياء وادغام الياء فيها وبئس على تخفيف بيئس كهين فى هين وتنكير العذاب للتفخيم والتهويل بما كانوا
يفسقون متعلق باخذنا كالباء الاولى ولا ضير فيه لاختلافهما معنى اى اخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم فى الفسق الذى
هو الخروج من الطاعة وهو الظلم والعدوان ايضا واجراء الحكم على الموصول وان اشعر بعلية ما فى حيز الصلة له لكنه صرح بالتعليل المذكور
ايذانا بان العلة هو الاستمرار على الظلم والعدوان مع اعتبار كون ذلك خروجا عن طاعة الله عز وجل لا نفس الظلم والعدوان والا لما انفكوا
عن ابتداء المباشرة ساعة ولعله تعالى قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستيصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا فى الغى فمسخهم بعد ذلك
لقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه اى تمردوا وتكبروا وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين صاغرين
اذلاء بعداء عن الناس والمراد بالامر هو الامر التكوينى لا التعلقى وترتب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للايذان بانه ليس
لخصوصية الخوض بل العلة فى ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تعالى وقيل المراد بالعذاب البئس هو المسخ والجملة الثانية تفسير للاولى
روى ان اليهود امروا بالسبت اى امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو المسخ بقوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه
فابتلوا به وحرم عليهم الصيد فيه وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كانها المخاض للابل وجه الماء لكثرتها ولا تأتيهم فى سائر الايام
فكانوا على ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاخذوا حياتا سهلة الورود صعبة الصدور
فتحيلوا فجعلوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تذهب على الخروج منها ويأخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط فى ذنبه خيطا
الى خشبة فى الساحل شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح المشى فتطلع فى تنوره فقال انى اراك ستعذب فلم يره عذب اخذ فى السب
القابل حوتين فلما رأوا ان العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصارت
اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا على النهى وثلث لموا الناهين وقالوا للواعظين لم تعظون الخ وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا
قال الملون لنحن لا بد لكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ودعهم داود عليه السلام فاصبح الفاعلون ذات يوم فى مجالسهم لم يخرج
من المعتدين احد فقالوا ان لهم شانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة فجعلوا يتسورون الحيطان والناس ينظرون فعرفت القردة انسباءها من الانس
وهم لا يعرفون انها فجعل القردة يأتى نسيبه فيشم ثيابه ويبكى فيقول له الست نهيتكم فيقول القرد برأسه بلى ثم ماتوا من ثلث وقيل صار
الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن مجاهد مسخت طوبهم وقال الحسن البصرى اكلوا والله اوعيتهم اكلة اكلها اجسامهم فجعلها اشباهها خزيا فى الدنيا
واطول عذابا فى الآخرة ماه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا وان ساعة
اشد امر واذ تأذن منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قوله لحي واسئلهم وتأذن بمعنى آذن كما ان توعد بمعنى اوعد وبمعنى عزم

فان العازم على الامر يحدث به نفسه ويهوى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله فلذلك اجيب بجوابه حيث قيل ليبعثن عليهم الى يوم القيمة
اى واذكر لهم وقت ايجابه تع على نفسه ان يسلط على اليهود البتة من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية وغير ذلك
من فنون العذاب وقد بعث الله تعالى عليهم بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم
وكادوا يؤدونها الا المجوس حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك
لسريع العقاب يعاقبهم فى الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن منهم وقطعناهم اى فرقنا بنى اسرائيل فى الارض وجعلنا
كل فرقة منهم فى قطر من اقطارها بحيث لا يخلو ناحية منها منهم تكملة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة وقوله تعالى امما اما مفعول ثان
لقطعناهم او حال من مفعوله منهم الصالحون صفة لامما او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ومن يسير سيرتهم ومنهم دون ذلك
اى ناس دون ذلك الوصف اى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون
عما كانوا فيه من الكفر والمعاصى فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف اى بدل سوء مصدر وصف به ولذلك يقع على الواحد والجمع
وقيل هو بالتحريك فى الشر والخلف بفتح اللام فى الخير والمراد بالذين كانوا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب
اى التوراة من اسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى استئناف مسوق لبيان ما حملهم على الكتاب
بعد وراثتهم اياه اى يأخذون حطام هذا الشىء الادنى اى الدنيا وهو من الدنو والدناءة والمراد به ما كانوا يأخذونه من الرشى فى الحكومات
وعلى تخريب الكلام وقيل حال من واو ورثوا ويقولون سيغفر لنا ولا يؤاخذنا الله تعالى بذلك ويتجاوز عنه والجملة بتمامها عطف
والحالية والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير فى لنا اى يرجون
المغفرة والحال انهم مصرون على الذنب عائدون الى مثله غير تائبين عنه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب الى الميثاق الوارد فى الكتاب
ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اى بان لا يقولوا الخ والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على سوء القول
بالمغفرة بلا توبة والدلالة على انها افراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يأخذ حيث المعنى فانه تقرير
او على ورثوا فهو اغراض والدار الآخرة خير للذين يتقون ما فعل هؤلاء أفلا تعقلون فتعلمون ذلك فلا تستبدلوا
الادنى المؤدى الى العقاب بالنعيم المخلد وقرئ بالياء وفى الالتفات تشديد للتوبيخ والذين يمسكون بالكتاب اى يتمسكون بما فيه
ويعملون به يقال مسك بالشىء وتمسك به قال مجاهد هم الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه يتمسكون بالكتاب الذى جاء به موسى
فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة وقال عطاء هم امة محمد عليه الصلوة والسلام وقرئ تمسكوا وامتسكوا فعلى قوله تعالى
واقاموا الصلوة ولعل التغيير فى الشهرة للدلالة على ان التمسك بالكتاب اكثر مستمر فى جميع الازمنة بخلاف اقامة الصلوة فانها
مختصة باوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات لانافتها عليها ومحل الموصول اما الجر نعتا على الذين يتقون وقولا فلا تعقلون
اعتراض مؤكد لما قبله واما الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى انا لا نضيع اجر المصلحين والرابط اما الضمير المحذوف كما هو رأى
جمهور البصريين والتقدير للمصلحين منهم واما الالف واللام كما هو رأى الكوفيين فانه فى حكم مصلحيهم كما فى قوله تعالى فان الجنة هى المأوى
اى مأواهم وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب اى ابوابها واما العموم فى مصلح فانه من الروابط ومنه نعم الرجل زيد على احد الوجوه وقيل
الخبر محذوف والتقدير والذين يمسكون بالكتاب ناجون او مثابون وقوله تعالى انا لا نضيع اجر المصلحين اعتراض مؤكد لما قبله واذ نتقنا
الجبل فوقهم اى قلعناه من مكانه ورفعناه عليهم كانه ظلة اى سقيفة وهى كل ما اظلك وظنوا اى تيقنوا انه واقع بهم
ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به واطلاق الظن فى الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم ابوا
ان يقبلوا احكام التوراة لثقل ما فرض الله تعالى عليهم فيها وقيل لهم ان قبلتم ما فيها فبها والا ليقعن عليكم خذوا ما آتيناكم اى اقبلوا
او اتلقوا بالقبول خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل والا تركوا

كالمنه

لعلكم تتقون بذلك قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق او لعلهم ان تتنظموا في سلك المتقين واذ اخذ ربك منصوب بمضمر معطوف على ما انتصب به اذ نتقناه مسوق للاحتجاج عليهم بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد قربانه مرارا اي واذكر لهم لقد ربك من بني آدم المراد بهم الذين ولد لهم كانا ثم كان نسلا بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا او ايثار الاخذ على الاخراج للايذان بالاعتناء بشان الاول لما فيه من الانباء على الاجتباء والاصطفاء وهو السبب في اسناده الى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتي واضافة الى ضمير عدم للتشريف وقوله تعالى من ظهورهم بدل بعض من كل من بني آدم بدل البعض بتكرير الجار كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم في الموضعين ابتدائية وفي فريد تيسير لابتنائه على الابناء بعد الابهام والتفصيل غب الاجمال وتنبيها على ان الميثاق قد اخذ منهم وهم في اصلاب الآباء ولم يستودع في ارحام الامهات وقوله تعالى ذريتهم مفعول اخذ اخرج المفعول بواسطة الجار لاشتماله على ضمير راجع اليه والمراعاة اصالته وثنائيته وما قد مر مرارا من التشويق الى المؤخر وقرئ ذرياتهم والمراد بهم اولادهم على العموم فشمل فيهم اليهود والمعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم اندراجا اوليا كما اندرج اسلافهم في بني آدم كذلك وتخصيصهما باليهود تلقفا وخلفا مع ان ما اريد بيانه من بديع صنع الله عز وجل شامل للكل كافة مخل بفخامة التنزيل وجزالة التمثيل واشهدهم على انفسهم اما شهد كل واحد من اولئك الذريات المأخوذين من ظهور آبائهم على انفسها لا غير بما نور لهم بربوبيته التامة وما تستتبعه من المعبودية على الاختصاص من غير ذلك من احكامها وقوله تعالى الست بربكم على ارادة القول اي قائلا الست بربكم وملائكة الحرم وبربكم على الاطلاق من غير ان يكون لاحد مدخل في شان من شئونكم فينتظم استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصه بنا قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قالوا اجل قيل قالوا بلى شهدنا اي على انفسنا بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك كما ورد في الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقه تعالى آباءهم جميعا في مبدأ استنطاقهم للاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس المؤدية الى التوحيد والاسلام كما ينطق به قوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة الحديث مبني على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى آباءهم لموجبة ربوبيته بعد تمكينهم منها بما ركز فيهم من العقول والبصائر ونصب لهم في الآفاق والانفس من الدلائل تمكينا تاما ومن تمكنهم منها تمكنا كاملا وتعرضهم لها تعرضا قويا بهيئة منتزعة من جملة تعالى آباءهم على الاعتراف بها بطريق الامر ومن مسارعتهم الى ذلك من غير تلعثم اصلا من غير ان يكون هناك اخذ واشهاد وسؤال وجواب كما في قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله تعالى ان تقولوا بالتاء على لون الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المعاصرين من اليهود تشديدا في الالزام او اليهم والى المتقدمين منهم بطريق التغليب لكن لا من حيث انهم مخاطبون بقوله تعالى الست بربكم فانه ليس من الكلام المحكي وقرئ بالياء على ان الضمير للذرية واياما كان فهو مفعول له لما قبله من الاخذ والاشهاد اي فعلنا ما فعلنا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة او يقولوا يوم القيمة عند ظهور الامر انا كنا عن هذا عن وحدانية الربوبية واحكامها غافلين لم ينبه عليه فانهم حيث جبلوا على ما ذكر من التهيؤ التام لتحقيق الحق والقوة الربوبية من الفعل صاروا بالحجج التي عاجزين عن الاعتذار بذلك كما في لا سبيل لاحد الى انكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة وقوله تعالى او تقولوا انما اشرك آباؤنا عطف على يقولوا او لمنع الخلو دون الجمع اي هم اخروا الاشراك وهم ستوه من قبل اي من قبل زماننا وكنا نحن ذرية من بعدهم لا نهتدي الى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل افتهلكنا بما فعل المبطلون من آبائنا المضلين بعد ظهور انهم المجرمون ونحن عاجزون غير قادرين على التدبير والاستبداد بالرأي او تؤاخذنا فتهلكنا بما فان ما ذكر من استعدادهم الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضا فان التقليد عند قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها مما لا مساغ له اصلا بعد وقد حملت هذه المقاولة على الحقيقة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام مسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة فقال الست بربكم قالوا بلى فنودي بوم مذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة

وقد روي عن ابن عمر رضه انه سئل عن الآية الكريمة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وليس المعنى انه تعالى اخرج الكل من ظهره عم بالذات بل اخرج من ظهره عم ابناءه الصلبية ومن ظهورهم ابناءهم الصلبية وهكذا الى آخر السلسلة لكن لما كان المظهر الاصلي ظهره عم وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين اجمالا من غير ان يتعلق بذكر الوسائط غرض علمي نسب اخراج الكل اليه عم واما الآية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى آبائهم اقتضى الحال نسبة اخراج كل واحد منهم الى ظهور آبائهم من غير تعرض لاخراج الابناء الصلبية لآدم عم من ظهره قطعا وعدم بيان الميثاق في حديث عمر رضه ليس بيانا للعدم ولا مستلزما له واما ما قالوا من ان اخذ الميثاق لاسقاط عذر الغفلة حسبما ينطق به قوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ومعلوم انه غير دافع لغفلتهم في دار التكليف اذ لا فرد من افراد البشر يذكر ذلك فمردود لكن لا بما قيل من ان الله تعالى عز وجل قد اوضح الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا به فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهود ولزمته الحجة ونسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد اخبار المخبر الصادق بل لان قوله تعالى ان تقولوا الخ ليس مفعولا له لقوله تعالى واشهدهم وما يتفرع عليه من قولهم بلى شهدنا حتى يجب كون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظا لهم في الزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر بذكر الميثاق وبيانه كراهة ان تقولوا ايها الكفرة يوم القيمة انا كنا غافلين عن هذا الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف واذ لو نبهنا عليه لعملنا بموجبه هذا على قراءة الجمهور واما على قراءة بالياء فهو مفعول له للامر المضمر العامل في اذ اخذ والمعنى اذكر لهم الميثاق المأخوذ منهم فيما مضى لئلا يعتذروا يوم القيمة بالغفلة عنه او بتقليد الآباء هذا على تقدير كون قوله تعالى شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر فاما على تقدير كونه من كلام الله تعالى فهو العامل في ان تقولوا ولا محذور اصلا اذ المعنى شهدنا قولكم هذا لئلا تقولوا يوم القيمة الخ لانا نردكم ونكذبكم الخ وكذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شأن المشار اليه وبعد منزلته والكاف مقحمة مؤكدة لما افاده اسم الاشارة من الفخامة والتقديم على الفعل للافادة القصر ومحله النصب على المصدرية اي ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة نفصل الآيات المذكورة لا غير ذلك ولعلهم يرجعون وليرجعوا عما هم عليه من الاصرار على الباطل وتقليد الآباء نفعل التفصيل المذكور وقالوا وان ابتداءيتان ويجوز ان يكون الثانية عاطفة على مقدر مترتب على التفصيل اي وكذلك نفصل الآيات ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر ويرجعوا الخ واتل عليهم عطف على المضمر العامل في اذ اخذ وارد على نمط في الانباء عن الحور بعد الكور والضلالة بعد الهدى اي اتل على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا اي خبره الذي له شأن وخطر وهو احد علماء بني اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعوراء او بلعام بن باعر من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله تعالى وقيل هو امية بن ابي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجا ان يكون هو الرسول فلما بعث الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به والاول هو الانسب بمقام توبيخ اليهود وبهتانهم فانسلخ منها اي من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطر بباله اصلا او خرج منها بالكلية بان كفر بها ونبذها وراء ظهره وايا ما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط بالمحاط خلقة وعن عدم الملاقاة بينهما للايذان بكمال مباينته للآيات بعد ان كان بينهما كمال الاتصال فاتبعه الشيطان اي تبعه حتى لحقه وادركه فصار قرينا له وهو المعنى على قراءة فاتّبعه من الافتعال وفيه تلويح بانه اشد من الشيطان غواية واتبع خطواته فكان من الغاوين فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد ان كان من المهتدين وروي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى عم فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى فعل فبقوا في التيه ويرده ان التيه لموسى عم روحا وراحة وانما عذب به بنو اسرائيل وقد كان ذلك بدعائه عم عليهم كما مر في سورة المائدة ولو شئنا كلام مستأنف مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الآيات ووقوعه في مهاوي الغواية ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة اي ولو شئنا رفعه لرفعناه اي الى المنازل العالية للابرار العالمين بتلك الآيات العاملين بموجبها لكن لا بمحض مشيئتنا من غير ان يكون له دخل في ذلك اصلا فانه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة

على تعلق الاجزية بالافعال الاختيارية للعباد بل مع مباشرة للعمل المؤدي الى الرفع بصرف اختياره الى تحصيله كما ينبئ عنه قوله تعالى
بها اي بسبب تلك الآيات بان عمل بموجبها فان اختياره وان لم يكن مؤثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل كلاهما بخلق الله تعالى لكن خلقه تعالى
منوط بذلك البتة حسب جريان العادة الالهية وقد اشير الى ذلك بالاستدراك بان اسند ما يؤدي الى نقيض الثاني اليه حيث قيل ولكنه
اخلد الى الارض مع ان الاخلاد اليها ايضا مما لا يتحقق عند صرف اختياره اليه الا بخلقه تعالى كانه قيل ولو شئنا رفعه بمباشرته لسببه لرفعناه
بسبب تلك الآيات التي هي اقوى اسباب الرفع ولكن لم نشأ مباشرته لسبب نقيضه فترك في كل من المقامين ما ذكر في الآخر تعويلا على اشعار المذكور
بالمطوي كما في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وتخصيص كل من المذكورين بمقامه
للايذان بان الرفع مراد له تعالى بالذات وتفضل محض عليه لا دخل فيه لفعله حقيقة كيف لا وجميع افعاله ومباديها من نعمه تعالى وتفضلاته وان نقيضه
انما اصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد لا بالارادة الذاتية المذكورة وهو السر في جريان السنة الالهية على اسناد الخير اليه تعالى واضافة
الشر الى الغير كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره والاخلاد الى الشيء الميل اليه مع الاطمئنان به والمراد بالارض الدنيا وقيل
السفالة والمعنى ولكنه آثر الدنيا الدنية على المنازل السنية او الضعة والسفالة على الرفعة والجلالة واتبع هواه معرضا عن تلك الآيات
الجليلة فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل سافلين والى ذلك اشير بقوله تعالى فمثله كمثل الكلب لانه اخس الحيوانات واسفلها وقد مثل حاله
باخس احواله واذلها حيث قيل ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث فحالته التي هي مثل في السوء كصفته في ارذل احواله وهي حالة دوام اللهث
بوجهي حالتي التعب والراحة فكانه قيل فتردى الى ما لا غاية وراءه في الخسة والدناءة وايثار الجملة الاسمية على الفعلية بان يقال فصار
مثله كمثل الكلب الخ للايذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استقراره واستمراره عليها والخطاب في فعلي الشرط لكل احد ممن له حظ
من الخطاب فانه اوغل في اشاعة فظاعة حاله واللهث ادلاع اللسان بالتنفس الشديد اي هو ضيق الحال مكروب دائم اللهث سواء هيجته وازعجته
بالطرد العنيف او تركته على حاله فانه في الكلاب طبع لا تقدر على نفض الهواء المستسخن وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع
فؤادها بخلاف سائر الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقة الا عند التعب والاعياء والشرطية مع ضمها تفسير
لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه لا محل له من الاعراب على منهاج قوله تعالى خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون
اثر قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقيل هي في محل النصب على الحالية من الكلب بناء على خروجها عن حقيقة الشرط وتحولها الى معنى التسوية
حسب تحول الاستفهام عنه في المتناقضين اليه في مثل قوله تعالى ءانذرتهم ام لم تنذرهم كانه قيل لاهثا في الحالتين وايا ما كان فالاظهر انه تشبيه
للهيئة المنتزعة مما اعتراه بعد الانسلاخ من سوء الحال واضطراب القلب ودوام القلق والاضطراب وعدم الاستراحة بحال من الاحوال بالهيئة
المنتزعة مما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فتدلى على صدره وجعل يلهث كالكلب الى ان هلك ذلك
اشارة الى ما ذكر من الحالة الخسيسة منسوبة الى الكلب او الى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الخسة والدناءة اي ذلك
المثل السيء مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وهم اليهود حيث اوتوا في التورية ما اوتوا من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر القرآن
المعجز وما فيه فصدقوه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا عن حكم التورية فاقصص
القصص القصص مصدر سمي به المفعول كالسلب واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا تحقق ان المثل المذكور مثل هؤلاء
المكذبين فاقصصه عليهم حسبما اوحي اليك لعلهم يتفكرون فيقفون على جلية الحال وينزجرون عما هم عليه من الكفر والضلال ويعلمون
انك قد علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير المخاطب او على انها مفعول له اي فاقصص القصص
راجيا لتفكرهم او رجاء لتفكرهم ساء مثلا استئناف مسوق لبيان كمال قبح حال المكذبين بعد بيان كونه كحال الكلب او المنسلخ وساء
بمعنى بئس وفاعلها مضمر فيه ومثلا تمييز مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى القوم الذين كذبوا بآياتنا وحيث وجب التصادق بينه وبين
الفاعل والتمييز وجب المصير الى تقدير مضاف اما اليه وهو الظاهر اي ساء مثلا مثل القوم الخ او الى التمييز اي ساء اصحاب مثل القوم الخ

وقرئ ساء مثل القوم واعادة القوم موصوفا بالموصول مع كفاية الضمير بان يقال ساء مثلا مثلهم للايذان بان مدار السوء ما في حيز الصلة
ولربط قوله تعالى • وانفسهم كانوا يظلمون • به فانه اما معطوف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة بمعنى جمعوا بين تكذيب آيات الله تعالى
بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وبين ظلمهم لانفسهم خاصة او منقطع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وبالها لا يتخطاها وايا
ما كان ففي يظلمون لمح الى ان تكذيبهم بالآيات متضمن للظلم بها وان ذلك معتبر في القصر المستفاد من تقديم المفعول • من يهد الله فهو المهتدي •
لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يقص قصص المنسلخ على هؤلاء الضالين مثلهم كمثل ليتفكروا فيه ويتركوا ما هم عليه من الاخلاد الى الضلالة
ويهتدوا الى الحق عقب ذلك بتحقيق ان الهداية والضلالة من جهة الله عز وجل وانما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية في حصول الاهتداء
من غير تاثير لها فيه سوى كونها دواعي الى صرف العبد اختياره نحو تحصيله حسبما نيط به خلق الله تعالى اياه كسائر افعال العباد فالمراد بهداية الله
ما يوجب الاهتداء قطعا لكن لا لان حقيقتها الدلالة الموصلة الى البغية البتة بل لانها الفرد الكامل من حقيقة الهداية التي هي الدلالة
الى ما يوصل الى البغية اي ما من شانه الايصال اليها كما سبق تحقيقه في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وليس المراد مجرد الاخبار باهتداء من هداه الله
حتى يتوهم عدم الافادة بحسب الظاهر لظهور استلزام هدايته تعالى للاهتداء بل تحمل النظم الكريم على تعظيم شان الاهتداء والتنبيه على انه في نفسه كمال
جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه بل هو قصر الاهتداء على من هداه الله تعالى حسبما يقتضيه تعريف الخبر فالمعنى من يهده الله الى الحق اي يخلق فيه الاهتداء
على الوجه المذكور فهو المهتدي لا غير كائنا من كان • ومن يضلل • بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة بصرف اختياره نحوها
فاولئك • الموصوفون بالضلالة على الوجه المذكور • هم الخاسرون • اي الكاملون في الخسران لا غير وافراد المهتدي نظرا الى لفظ من وجمع
الخاسرين نظرا الى معناها للايذان باتحاد منهاج الهدى وتفرق طرق الضلال • ولقد ذرأنا • كلام مستانف مقرر لمضمون ما قبله بطريق
التذييل اي خلقنا لجهنم اي لدخولها والتعذيب بها وتقديمه على قوله تعالى • كثيرا • اي خلقا كثيرا مع كونه مفعولا به لما ان توابعه من نوع
طول يؤدي توسطها او تاخيرها عنها الى الاخلال بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى • من الجن والانس • متعلق بمحذوف هو صفة لكثيرا اي كائنا
وتقديم الجن لانهم اعرف من الانس في الاتصاف بما نحن فيه من الصفات واكثر عددا واقدم خلقا والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية
بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يؤدي الى ذلك بل لعلمه تعالى بانهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق ابدا بل يصرون
الى الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم من الآيات والنذر فبهذا الاعتبار جعل خلقهم مغيا بها كما ان جميع الفريقين باعتبار استعدادهم
الكامل الفطري للعبادة وتمكنهم التام منها جعل خلقهم مغيا بها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى • لهم قلوب •
في محل النصب على انه صفة اخرى لكثيرا وقوله تعالى • لا يفقهون بها • في محل الرفع على انه صفة لقلوب مؤكدة لما يفيده تنكيرها وابهامها من كونها
غير معهودة مخالفة لسائر افراد الجنس فاقدة لكماله بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب امتناعهم عن صرفها الى تحصيله وهذا وصف لها
بكمال الاغراق في القساوة فانها حيث لم يتات منها الفقه بحال فكانها خلقت غير قابلة له رأسا وكذا الحال في اعينهم وآذانهم وحذف المعمول
للتعميم اي لهم قلوب ليس من شانها ان يفقهوا بها شيئا مما من شانه ان يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا اوليا
وتخصيصه بذلك مخل بالافصاح عن كنه حالهم • ولهم اعين لا يبصرون بها • الكلام فيه كما فيما عطف هو عليه والمراد بالابصار والسمع المنفيين
ما يختص بالعقلاء من الادراك على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الاحساس بالشبح والصوت كما هو وظيفة الانعام اي لا يبصرون بها شيئا
من المبصرات فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجا اوليا • ولهم آذان لا يسمعون بها • اي شيئا من المسموعات فيتناول الآيات التنزيلية
تناولا اوليا واعادة الخبر في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بان يقال واعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها لتقرير سوء حالهم
وفي اثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم ابتداء بان يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا اعين يبصرون بها
ولا آذان يسمعون بها من الشهادة بكمال رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى • اولئك • اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال اي اولئك الموصوفون بالاوصاف المذكورة • كالانعام • اي في انتفاء الشعور •

قوله واقدم خلقا [illegible] من [illegible] قبل آدم [illegible] كذا روي

٤

على الوجه المذكور وقيل ان مشاعرهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما من شانها ان تدركه من المنافع والمضار فتجتهد في جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار بل كالانعام السائمة الا انها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه وقد اخرج كل شيء الطوع لله من ابن آدم اولئك المنعوتون بما قرن من تشبيه الانعام والبشرية منها هم الغافلون الكاملون في الغفلة المنعوتون لان يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وانهم لا يعرفون من شؤن الله عز وجل ولا من شؤن ما سواه شيئا فيشركون به سبحانه وليس كمثله شيء وهو السميع العليم باصنامهم التي هي من جملة مخلوقاته تعالى وبئس الاسماء الحسنى تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تع وكيفية المعاملة مع الملحدين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق به من الامور وما يليق به اثر بيان غفلتهم السابقة وضلالتهم الطامة والحسنى تانيث الاحسن اي الاسماء التي هي احسن الاسماء واجلها لانبائها عن احسن المعاني واشرفها فادعوه بها اي فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه الالحاد واللحد الميل والانحراف يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثي اي يميلون في شانها عن الحق الى الباطل اما بان يسموه تعالى بما لا توقف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كما في قول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي ونحو ذلك فالمراد بالترك ترك المامور به الاجتناب عن ذلك في باسمائه ما اطلقه عليه تعالى وسموه به على انهم لا اسماء له تعالى حقيقة على ذلك بحمل ترك الاضمار بان يقال يلحدون فيها واما بان يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض اسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى رحمن اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب ايضا وبالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع اسمائه الحسنى واجتنبوا اخراج بعضها من البين واما بان يطلقوا ما على غيره تعالى كما سموا اصنامهم آلهة واما بان يشتقوا من بعضها اسماء اصنامهم كما اشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز فالمراد في الاسماء اسماؤه تعالى حقيقة كما في الوجه الثاني والاظهار في موضع الاضمار مع التجريد عن الوصف في الكل للايذان بان الحاد هم في نفس الاسماء من غير اعتبار الوصف وليس المراد بالترك حتم الاجتناب عن ذلك فلا يتوهم صدور مثل هذا الا لمن عن المؤمنين ليتبرؤا منه بل الاعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا مترقبا لنزول العقوبة بهم عن قريب كما هو المستفاد من قوله سيجزون ما كانوا يعملون فانه استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا من الامر بعدم المبالاة والاعراض عن المجازاة كانه قيل لم لا نتعرض لالحادهم ولا نتصدى لمجازاتهم فقيل لانه سينزل بهم عقوبته وتتشئون بذلك عن قريب واما على الوجهين الاولين فالمعنى اجتنبوا الحادهم كيلا يصيبهم ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم ومن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون بيان اجمالي لحال من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والالحاد في الحق ومحل الظرف الترفع على انه مبتدا اما باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس امة اي وبعض من خلقنا او بعض ممن خلقنا امة اي طائفة كثيرة يهدون الناس ملتبسين بالحق او يهدون هم لكلمة الحق ويعدلون بهم على الاستقامة وبالحق يحكمون في المحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرا ما بعد هذه لكم وقد اعطى القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى م رواه لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان ياتي امر الله وروى لا تزال من امتي امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم ظاهرون وفيه من الدلالة على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعتهم بهداية الناس للايذان بان اهتداءهم وانتفاعهم امر محقق غني عن التصريح به والذين كذبوا باياتنا شروع في تحقيق الحق الذي يهدي وبه يعدل العادلون وحمل الناس على الاهتداء به على وجه الترهيب ومحل الموصول الرفع على انه خبره لما بعده من الجملة الاستقبالية واضافة الايات الى النون العظيم لتشريفها واستعظام الاقدام على تكذيبها اي والذين كذبوا باياتنا التي هي معيار الحق ومصداق الصدق والعدل سنستدرجهم اي نستدنيهم البتة لا الهلاك شيئا فشيئا والاستدراج استفعال من درج اما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تدريج

من حال إلى حال من الأحوال الملائمة له سواءٌ كان بطريق الصعود أو الهبوط أو الاستقامة وأما بمعنى شيئاً ضعيفاً وأما بمعنى طوى الأول
هو الأنسب بالمعنى المراد الذي هو النقل إلى أعلى درجات المراتب لكن ليبلغ أقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي من حال إلى
من الأحوال الملائمة للمنتقل الموافقة لهواه بحيث يزعم أن ذلك ترقٍّ في منافعه مع أنه في الحقيقة تردٍّ في مهاوي مصارعه فاستدراجه سبحانه
إياهم هو أن يُدِرّ عليهم النعم مع انهماكهم في الغي فيحسبوا أنها لطف لهم منه تعالى فيزدادوا بطراً وطغياناً لكن لا على أن المطلوب تدرجهم في مراتب
النعم بل هو تدرجهم في مدارج المعاصي إلى أن يحق عليهم كلمة العذاب على أفظع حال وأشنعها والأول وسيلة إليه وقوله تعالى من حيث لا يعلمون
متعلق بمضمر وقع صفة لمصدر الفعل المذكور أي سنستدرجهم استدراجاً كائناً من حيث لا يعلمون أنه كذلك بل يحسبون أنه أثرة من الله عز وجل
وتقريب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم وأملي لهم عطف على سنستدرجهم غير داخل في حكم السين لما أن الإملاء الذي هو عبارة عن الإمهال
والإطالة ليس من الأمور التدريجية كالاستدراج الحاصل في نفسه شيئاً فشيئاً بل هو فعل يحصل دفعة وإنما الحاصل بطريق التدريج آثاره
وأحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير مع ما فيه من الافتنان المنبئ عن مزيد الاعتناء بمضمون الكلام لابتنائه على تجدد القصد والعزيمة
وأما أن ذلك للإشعار بأنه بمحض التقدير الإلهي والاستدراج بتوسط المدبرات فمبناه دلالة نون العظمة على الشركة وأنى ذلك
وأما أنه للاحتراز عما يرد عليه قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم الآية بل إنما إيراده على أمثال هذه الموارد
بطريق الجريان على سنن الكبرياء إن كيدي متين تقرير للوعيد وتأكيد له أي قوي لا يدافع بقوة ولا بحيلة والمراد به إما الاستدراج
والإملاء مع نتيجتهما التي هي الأخذ الشديد على غرة فتسميته كيداً لما أن ظاهره لطف وباطنه قهر وإما نفس ذلك الأخذ فقط
فالتسمية لكون مقدماته كذلك وأما أن حقيقة الكيد هو الأخذ على خفاء من غير أن يعتبر فيه إظهار خلاف ما أبطنه فمما لا تعويل عليه
مع عدم مناسبته للمقام ضرورة استدعائه لاعتبار القيد المذكور حتماً أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة كلام مبتدأ مسوق
لإنكار عدم تفكرهم في شأنه عليه السلام وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للإيمان به وبما أنزل عليه من الآيات التي كذبوا بها والهمزة للإنكار والتعجيب
والتوبيخ والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم الكريم وسياقه وما إما استفهامية إنكارية في محل الرفع على الابتداء والخبر بصاحبهم
وإما نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجنة مصدر كالجلسة يراد بها الهيئة كالركبة والجلسة وتنكيرها للتقليل والتحقير والجملة
معلقة بفعل التفكر لكونه من أفعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب على نزع الجار أي أكذبوا بها ولم يتفكروا في أي شيء من جنون ما
كائن بصاحبهم الذي هو أعظم الهادين إلى الحق وعليه أنزلت تلك الآيات أو في أنه ليس بصاحبهم شيء ما من جنة حتى يؤديهم
التفكر في ذلك إلى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به وبما أنزل عليه من الآيات وقيل قد تم الكلام عند قوله تعالى أولم يتفكروا
أي كذبوا بها ولم يفعلوا التفكر ثم ابتدئ فقيل أي شيء منها والتعبير عنه عليه السلام بصاحبهم للإيذان بأن طول مصاحبتهم إياه مما يطلعهم
على نزاهته عليه السلام عن شائبة ما ذكر ففيه تأكيد للنكير وتشديد له والتعرض لنفي الجنون عنه عليه السلام مع وضوح استحالة ثبوته له لما أن الكفرة
بما هو خارق لقضية العقول والعادات لا يصدر إلا عمن به مس من الجنون كيفما اتفق من غير أن يكون له أصل صحة أو معنى أو عمن له تأييد إلهي
يخبر ببعض الأمور الغيبية وإذ ليس له عليه السلام شائبة الأول تعين أنه عليه السلام مؤيد من عند الله عز وجل وقيل إنه عليه السلام علا الصفا ليلاً فجعل يدعو قريشاً
فخذاً فخذاً يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم إن صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت إلى الصباح فنزلت فالتعرض لنفي الجنون حينئذ للرد على عظيمتهم
الشنعاء والتعبير عنه عليه السلام بالصاحب وارد على شاكلة كلامهم مع ما فيه من النكتة المذكورة وقوله تعالى إن هو إلا نذير مبين جملة مقررة
لمضمون ما قبلها ومبينة لحقيقة حاله عليه السلام على منهاج قوله تعالى إن هذا إلا ملك كريم بعد قوله ما هذا بشراً أي ما هو عليه السلام إلا مبالغ في الإنذار
مظهر له غاية الإظهار إبرازاً لكمال الرأفة ومبالغة في الإعذار وقوله تعالى أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض استئناف آخر مسوق
للإنكار والتوبيخ بإخلالهم بالتأمل في الآيات التكوينية المنصوبة في الآفاق والأنفس الشاهدة بصحة مضمون الآيات المنزلة
إثر ما نعي عليهم إخلالهم بالتفكر في شأنه عليه السلام والهمزة لما ذكر من الإنكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على المقدر المذكور أو على الجملة

أي بموجب العقوب

أي وهو كذبوا،

وهو قوله والذين كذبوا بآياتنا الخ

لأنه لإزالة العذر،

أي يتفكروا

وهو كذبوا،

المعصد

ان كان معطوفا على مقدر،
ان كان معطوفا على الجملة المنفية،

المنفية بلم والملكوت الملك العظيم اى اكذبوا بها او لم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر تامل فيما يدل عليه السموات والارض من عظم الملك وكمال القدرة
وما خلق الله اى وفيما خلق فيهما على انه عطف على ملكوت وتخصيصهما لكمال ظهور عظم الملك فيهما او وفى ملكوت ما خلق على انه عطف
على السموات والارض والتعميم لاشتراك الكل فى الدلالة على عظم الملك فى الحقيقة وعليه قوله تعالى فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ وقوله تعالى من شئ
بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها والمعنى اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق فيهما
من جليل ودقيق مما ينطلق عليه اسم الشئ ليدلهم ذلك على العلم بوحدانيته تعالى وبائر شئونه التى ينطبق بها ملك الايات فينوسوا بها لا كاذبها فى الدلالة
فان كل فرد من افراد الاكوان مما عز وهان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد وقوله تعالى وان عسى ان يكون قد اقترب
اجلهم عطف على ملكوت وان مخففة من ان واسمها ضمير الشان وخبرها عسى مع فاعلها الذى هو ان يكون واسم يكون ايضا ضمير الشان
والخبر قد اقترب اجلهم والمعنى اولم ينظروا فى ان الشان عسى ان يكون الشان قد اقترب اجلهم وقد جوز ان يكون اسم يكون اجلهم وخبرها
قد اقترب على انها جملة من فعل وفاعل هو ضمير اجلهم لتقدمه حكما وآيا ما كان فمناط الانكار والتوبيخ تاخيرهم للنظر والتامل اى لعلهم يموتون
عما قريب فالهم لا يسارعون الى التدبر فى الايات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الايات القرآنية وقد جوز ان يكون الاجل عبارة عن الساعة
والاضافة الى ضميرهم لملابستهم لها من جهة انكارهم وتكذيبهم عنها وقوله تعالى فبايّ حديث بعدَه يؤمنون متفرع لاضمحلال ايمانهم اثر
ونفى له بالكلية مرتب على ما ذكر من تكذيبهم بالايات واخلالهم بالتفكر والتنظر والباء متعلقة بيؤمنون وضمير بعده للايات على حذف المضاف المفهوم
من كذبوا والتذكير باعتبار كونها قرآنا او ثباتها بالمذكور واجراء الضمير مجرى اسم الاشارة والمعنى اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها
من احوالها الدالة واحوال المصنوعات فبايّ حديث يؤمنون بعد تكذيبه ومعه مثل هذه الشواهد القوية كلا وحيهات وقيل الضمير للقرآن والمعنى فبايّ
حديث بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو التهاية فى البيان وقيل هو انكار وتوبيخ لهم مترتب على اخلالهم بالمسارعة الى التامل فيما ذكر
كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبايّ حديث احق منه يريدون
ان يؤمنوا وقيل الضمير لاجلهم والمعنى فبايّ حديث بعد انقضاء اجلهم يؤمنون وقيل للرسول ص على حذف مضاف اى فبايّ حديث بعد
حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى من يضلل الله فلا هادى له استئناف مقرر لما قبله مبنى على الطبع على قلوبهم وقوله تعالى
ويذرهم فى طغيانهم بالياء والرفع على الاستئناف اى وهو يذرهم وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات ونحن نذرهم وقرئ بالياء والجزم
عطفا على محل فلا هادى له كانه قيل من يضلل الله يهده احد ويذرهم وقد روى الجزم بالنون عن نافع وابى عمرو فى الشواذ وقوله تعالى
يعمهون اى يترددون ويتحيرون حال من مفعول يذرهم وتوحيد الضمير فى حيز النفى نظرا الى لفظة من وجمعه فى حيز الاثبات نظرا الى معناها
للتنصيص على شمول النفى والاثبات للكل يسئلونك عن الساعة استئناف مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم اى عن القيمة
وهى فى الاصل صفة غالبة والطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة عند الله تقوم فيها وقيل
ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هى وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم انه قد استاثر بعلمها
وقيل السائلون قريش وقوله تعالى ايان مرساها بفتح الهمزة وقد قرئ بكسرها وهو ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام وقيل للسبب
او الفعل المضارع دون الماضى بخلاف متى حيث يليها كلاهما وقيل اشتقاقه من اى فعلان منه لان معناه اى وقت وهو من اويت
الى الشئ لان البعض اوى الى الكل مستند اليه ومحل الرفع على انه خبر مقدم ومرساها مبتدا مؤخر اى متى ارساؤها اى اثباتها وتقريرها فانه
مصدر ميمى من ارساه اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل الا فى الشئ الثقيل كما فى قوله تعالى والجبال ارساها ومنه مرساة السفن ومحل الجملة
قبل الجر على البدلية من الساعة والتحقيق ان محلها النصب بنزع الخافض لانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كانه قيل
يسئلونك عن الساعة عن ايان مرساها وفى تعليق السؤال بنفس الساعة اولا وبوقت وقوعها ثانيا تنبيه على ان المقصد الاصلى من السؤال
نفسها باعتبار طولها فى وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه محلا لها وقد سلك هذا المسلك فى الجواب الملقن ايضا حيث اضيف العلم المطلوب

وهو التكذيب،

بالسؤال الى ضميرها فاخبر باختصاصه عز وجل حيث قيل قل انما علمها اى علمها بالاعتبار المذكور عندى ولم يقل انما علم وقت ارسائها
ومن لم يتنبه لهذه النكتة حمل النظم الكريم على حذف المضاف والتوصل لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره ﷺ للايذان بان توفيتهم
للجواب على الوجه المذكور من باب التربية والارشاد ومعنى كونه عنده تع خاصة انه تع قد استاثر به بحيث لم يخبر به احدا من ملك مقرب او نبى
مرسل وقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو بيان لاستمرار تلك الحالة الى حين قيامها واقناط كلى عن اظهار امرها بطريق الاخبار جملة
او من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية اياه فانه ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك والمعنى
لا يكشف عنها ولا يظهر للناس امرها الذى يسئلونى عنه الا هو بالذات من غير ان يشركه احد من المخلوقين فيتوسط فى اظهاره لهم لكن لا بان يخبرهم بوقتها
قبل مجيئه كما هو المسئول بل بان يتيمها فيشاهدونها عيانا كما ينبئ عنه التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للابهام بالكلية وقوله تعالى ثقلت فى السموات والارض
اى فى وقتها قيد للتجلية بعد ورود الاستثناء عليها لا قبله كانه قيل لا يجليها الا هو فى وقتها الا انه قدم على الاستثناء للتنبيه من اول الامر
على ان تجليها ليست بطريق الاخبار بوقتها بل باظهار غيبها فى وقتها الذى يسئلون عنه وقوله تعالى ثقلت فى السموات والارض
استئناف كما قبله مقرر لمضمون ما قبله اى كبرت وشقت على اهلها من الملكة والثقلين كل منهم امته خفاء وتاويها وخروجها عن دائرة المعقول
وقيل عظمت عليهم يشفقون منها ويخافون شدائدها واهوالها وقيل ثقلت فيها اذ لا يطيقها منها وتخفيها شيئا اصلا والاول
هو الانسب بما قبله وبما بعده فى قوله تعالى لا تاتيكم الا بغتة فانه ايضا استئناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل من حيث
الخفاء اى لا تاتيكم الا فجاة مع خفاء امرها كما قال ﷺ ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض
ميزانه ويرفعه يسئلونك كانك حفى عنها استئناف مسوق لبيان خطائهم فى توجيه السؤال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بناء على زعمهم انه ﷺ عالم بالمسئول عنه وان العلم بذلك من مواجب الرسالة اثر بيان خطائهم فى اصل السؤال باعلامه ﷺ ان المسئول عنه
والجملة التشبيهية فى محل النصب على انها حال من الكاف جئ به بيانا لما يدعوهم الى السؤال على زعمهم واشعارا بخطائهم فى ذلك
اى يسئلونك مشبها حالك عندهم بحال من هو حفى عنها اى مبالغ فى العلم بها فعيل من حفى وحقيقته كانك مبالغ فى السؤال عنها فان ذلك فى حكم
المبالغة فى العلم بها لما ان من بالغ فى السؤال عن الشئ والبحث عنه يستحكم علمه به ومبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء منه حفا الشارب
واحتفاء البقل اى استيصاله والاحتفاء فى المسئلة اى الالحاف بها وقيل عن متعلقة بيسئلونك فى قوله تعالى كانك حفى موقر وصلة حفى
محذوفة اى حفى بها وقد قرئ بذلك وقيل هو من الحفاوة بمعنى البر والشفقة فان قريشا قالوا لعلم ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا
متى الساعة والمعنى يسئلونك كانك حفى بمعنى تحفيهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وورد امرها غيرهم فنبه بخطئهم من هذين
وقيل هو من حفى بالشئ فرح به والمعنى كانك فرح بالسؤال عنها لخبثه مع انه كاره له لما انه تعرض بحرم الغيب الذى
استاثر الله عز وجل بعلمه قل انما علمها عند الله امر بما بعادة الجواب الاول تاكيدا للحكم وتقريرا واشعارا بعلية على الطريقة
البرهانية بايراد اسم الذات المنبئ عن استتباعها الصفات الكمال التى من جملتها العلم وتمهيدا للتعريض بجهلهم بقوله تعالى ولكن اكثر
الناس لا يعلمون اى لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تع فبعضهم ينكر وقوعها اصلا فلا يعلمون شيئا مما ذكر قطعا وبعضهم يعلمون انها
واقعة البتة ويزعمون انك واقف على وقت وقوعها فيسئلونك عنه جهلا وبعضهم يدعون ان العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون
السؤال عنه ذريعة الى القدح فى رسالتك والمستثنى من هؤلاء هم الواقفون على جلية الحال من المؤمنين واما الملحدون غرها فى اليهود
بطريق الامتحان فهم منتظمون فى سلك الجاهلين حيث لم يعلموا بعلمهم قوله تعالى قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا شروع فى الجواب عن السؤال
ببيان عجزه ﷺ عن علمها اثر بيان عجز الكل عنه وابطال زعمهم الذى بنوا عليه سؤالهم من كونه ﷺ ممن يعلمها واعادة الامر لاظهار كمال العناية
بشان الجواب وتنبيه على استقلاله ومغايرته للاول والتعرض لبيان عجزه ﷺ عما ذكر من النفع والضر لاثبات عجزه ﷺ عن علمها بالطريق البرهانى
واللام اما متعلقة بالملك او بمحذوف وقع حالا من نفعا اى لا اقدر لاجل نفسى على جلب نفع ما ولا على دفع ضر ما الا ما شاء الله

اى الملكة من ذلك بان يلهمنيه فيمكننى منه ونقدر عليه ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع وهذا ابلغ من اظهار العجز ولو كنت
اعلم الغيب اى جنس الغيب الذى من جملته ما بين الاشياء من المناسبات المصححة عادة للسببية والمسببية ومن المباينات المستتبعة للممانعة والمدافعة
لاستكثرت من الخير اى لحصلت كثيرا من الخير الذى ينيط تحصيله بالافعال الاختيارية للبشر بترتيب اسبابه ودفع موانعه وما مسنى السوء
اى السوء الذى يمكن التحفظ عنه بالتوقى عن موجباته والمدافعة بموانعه لاسوء ما فان منه ما لا مدفع له ان انا الا نذير وبشير اى ما انا
الا عبد مرسل للانذار والبشارة شانى صيانة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف على الغيوب التى لا علاقة بينها وبين
الاحكام والشرائع وقد كشفت من اسرار الساعة ما يتعلق به الانذار من مجيئها لا محالة واقترابها واما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الانذار بل هو مما يخل
فيه لما قد من ان ابهام وقتها مما دعى الى الانذار عن المعاصى وتقديم النذير على البشير لان المقام مقام الانذار وقوله تعالى لقوم يؤمنون انما متعلق
بهما جميعا لانهم ينتفعون بالانذار كما ينتفعون بالبشارة واما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف اى نذير للكافرين اى للباقين على الكفر
وبشير لقوم يؤمنون اى فى اى وقت كان ففيه ترغيب للكفرة فى احداث الايمان وتحذير عن الاصرار على الكفر والطغيان هو الذى خلقكم
استئناف سيق لبيان كمال عظم جناية الكفرة فى جرائمهم على الاشراك بتذكير مبادى احوالهم المنافية له واتباع الموصول جريا على التفخيم شان المبدأ
اى هو ذلك العظيم الشان الذى خلقكم جميعا وحده من غير ان يكون لغيره مدخل فى ذلك بوجه من الوجوه من نفس واحدة هو آدم وهذا
نوع تفصيل لما اشير اليه فى مطلع السورة الكريمة اشارة اجمالية من خلقهم وتصويرهم فى ضمن خلق آدم وتصويره وبيان لكيفية
عطف على خلقكم داخل فى حكم الصلة ولا ضير فى تقدمه عليه وجودا لما ان الواو لا تستدعى الترتيب فى الوجود منها اى من جنسها كما فى قوله
جعل لكم من انفسكم ازواجا آدم من جسد كما يروى من انه تعالى خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم عم والاول هو الانسب بالجنسية المؤيدة
الى الغاية الآتية لا الجزئية والجعل اما بمعنى التصيير فقوله تعالى زوجها مفعوله الاول والثانى هو الظرف المقدم واما بمعنى الالقاء والوضع
متعلق بجعل قدم على المفعول الصريح لما آخر حرارة فى الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من المفعول والاول هو الاولى
وقوله تعالى ليسكن اليها علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثانى اى ليستانس بها ويطمئن اليها اطمئنانا مصححا للانزواج كما يلوح
تذكير الضمير ويفصح عنه قوله تعالى فلما تغشاها اى جامعها حملت حملا خفيفا فى مبادى الامر خفة عند كونه نطفة او علقة او مضغة
اخف عليها بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض لذكر خفيته للاشارة الى نعمته تعالى عليهم فى انشائه اياهم مندرجين فى اطوار الخلق
من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة فمرت به اى فاستمرت به كما كانت قبل حيث قامت وقعدت واخذت
وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضى الله عنهما وقرئ فمرت بالتخفيف ومارت من المور هو المجئ والذهاب آت من المرية اى فخطئت الحمل
وارتابت به واما ما قيل من ان المعنى حملت حملا خفت عليها ولم تلق ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية ولم تستثقله
كما يستثقله فمرت به اى مضت به الى ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق فيرده قوله تعالى فلما اثقلت اذ معناه فلما صارت ذات ثقل
لكبر الولد فى بطنها ولا ريب فى ان الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة بالمعنى المذكور آنفا مقابلها الكرب الذى يعترى بعضهن من اول
الحمل الى آخره دون بعض اصلا وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اى اثقلها حملها دعوا الله اى آدم وحواء عم لما وهبهما آدم صالحا
ولم يعرفا آلة فاتهما به وتوجها اليه عز وجل وقوله تعالى ربهما اى مالك امرهما الحقيق بان يخص به الدعاء اشارة الى انهما قصدا
به دعاءهما كما فى قولهما ربنا ظلمنا انفسنا الآية ومتعلق الدعاء محذوف تعويلا على شهادة الجملة الشرطية به اى دعواه تعالى ان يؤتيهما
صالحا ووعدا بمقابلته الشكر على سبيل التوكيد القسمى وقالا او قائلين لئن آتيتنا صالحا اى ولدا من جنسنا سويا
لنكونن نحن ومن بيننا نسل من ذرريتنا من الشاكرين الراسخين فى الشكر على نعمائك التى من جملتها هذه النعمة وترتيب
هذا الجواب على الشرط المذكور لما انهما قد علما ان ما علقا به دعاءهما المنوط بوجود لسائر افراد الجنس ومعيارا لظهور ذاتا وصفة وجودا مستتبع
لوجودها وصلاحه مستلزم لصلاحها فالدعاء فى حقه متضمن للدعاء فى حق الكل مستتبع له كانهما قالا لئن آتيتنا وذريتنا اولادا

صالحة وقيل ان ضمير آتيتنا ايضا لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما وانت خبير بان نظم الكل في سلك الدعاء اصالة ثاباه مقام المبالغة
في الاعتناء بشان ما دعيا بصدده واما جعل ضمير لنكونن للكل فلا محذور فيه لان توسيع دائرة الشكر غير مخل بالاعتناء المذكور بل مؤكد له
واياما كان فمعنى قوله تعالى فلما آتاهما صالحا انا لما طلباه اصالة واستتباعا من الولد وولد الولد ما تناسلوا فقوله تعالى جعلا
اى جعل اولادهما له تعالى شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثقة بوضوح الامر وتعويلا على ما يعقبه من البيان وكذا
الحال في قوله تعالى فيما آتاهما اى فيما آتى اولادهما من الاولاد حيث سموهم بعبد مناف وعبد العزى ونحو ذلك وتخصيص اشراكهم هذا بالذكر
في مقام التوبيخ مع ان اشراكهم بالعبادة اغلظ منه جناية واقدم وقوعا لما ان مساق النظم الكريم لبيان اخلالهم بالشكر في مقابلة نعمة الولد
الصالح واول كفرهم في حقه انما هو تسميتهم اياه بما ذكر وقرئ شركا اى شركة او ذوى شركة اى شركاء ان قيل ما ذكر من حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه انما يصار اليه فيما يكون للفعل ملابسة ما بالمضاف اليه بسراية اليه حقيقة او حكما وتتضمن نسبته اليه صورة نكتة يقتضيها
المقام كما في مثل قوله تعالى واذ نجيناكم من آل فرعون الآية فان الانجاء منهم مع ان تعلقه حقيقة ليس الا باسلاف اليهود وقد نسب الى اخلافهم
بحكم سرايته اليهم توفية لمقام الامتنان حقه وكذا في قوله تعالى قل فلم تقتلون انبياء الله الآية فان القتل حقيقة مع كونه من جنايات آبائهم
قد اسند اليهم بحكم رضاهم به اداء لحق مقام التوبيخ والتبكيت ولا ريب في انتفاء سريان من سراية الجعل المذكور اليهما بوجه من الوجوه
فما وجه اسناده اليهما صورة قلنا وجه الايذان بتركهما الاولى حيث اقدما على نظم اولادهما في سلك انفسهما والتزما شكرهم في ضمن شكرهما
واقسما على ذلك قبل تعرف احوالهم ببيان اخلالهم بالشكر الذي وعداه وعدا مؤكدا باليمين بمنزلة اخلالهما به بالذات في استيجاب الحنث
والخلف مع ما فيه من الاشعار بتضاعيف جناياتهم ببيان انهم بجعلهم المذكور اوقعوهما في ورطة الحنث والخلف وجعلوهما كانهما باشراه
بالذات فجمعوا بين الجناية على الله تعالى والجناية عليهما عليهما السلام فتعالى الله عما يشركون تنزيه فيه معنى التعجب والفاء لترتيبه
على ما فصل من احكام قدرته تعالى وآثار نعمته الزاجرة عن الشرك الداعية الى التوحيد وصيغة الجمع لما اشير اليه من تعين ان الفاعل غير آدم وحواء
عن ذلك وما في عما مصدرية اى عن اشراكهم او موصولة او موصوفة اى عما يشركونه به سبحانه والمراد باشراكهم اما تسميتهم المذكورة او مطلق
اشراكهم المنتظم لها انتظاما اوليا وقرئ تشركون بتاء الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لآل قصي من قريش والمراد بالنفس الواحدة
نفس قصي فانهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله تعالى ولدا صالحا فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف
وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار وضمير يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما واما ما قيل من انه لما حملت حواء اتاها ابليس
في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب او خنزير وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك فذكرته لآدم ع م
فاهتما ذلك ثم عاد اليها وقال انى من الله تعالى بمنزلة فان دعوته ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث
وكان اسمه حارثا في الملائكة فقبلت ولما ولدت سمته عبد الحارث فمما لا تعويل عليه كيف لا وانه عليه السلام كان عالما في علم الاسماء والمسميات
فعدم علمه بابليس واسمه واتباعه اياه في مثل هذا الشان الخطير اقرب من المحال والله اعلم بحقيقة الحال ايشركون استئناف
مسوق لتوبيخ كافة المشركين واستقباح اشراكهم على الاطلاق وابطاله بالكلية ببيان شان ما اشركوه به سبحانه وتفصيل احواله القاضية
ببطلان ما اعتقدوه في حقه اى ايشركون به سبحانه ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون عطف على لا يخلق وايراد الضميرين بجمع العقلاء مع رجوعهما
الى ما المعبر بها عن الاصنام انما هو بحسب اعتقادهم فيها واجرائهم لها مجرى العقلاء وتسميتهم لها آلهة وكذا حال سائر الضمائر
الآتية ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها بنفي الخالقية لابانة كمال منافاة حالها لما اعتقدوه في حقها واظهار غاية جهلهم فان اشراك
ما لا يقدر على خلق شئ ما بخالقه وخالق جميع الاشياء مما لا يمكن ان يسوغه من له عقل وعدم التعرض لخالقها للايذان بتعينه والاستغناء
عن ذكره ولا يستطيعون لهم اى لعبدتهم اذا اصابهم امر مهم وخطب ملم نصرا اى نصرا ما بجلب منفعة او دفع مضرة
ولا انفسهم ينصرون اذا اعتراهم حادثة من الحوادث اى لا يدفعونها عن انفسهم وايراد النصر للمشاكلة وهذا بيان لعجزهم

ای الاصنام

عن ايصال منفعة ما من المنافع الوجودية والعدمية الى عبدتهم والى انفسهم بعد بيان عجزهم عن ايصال منفعة الوجود اليهم والى انفسهم خلا انهم
وصفوا اصنامهم بالمخلوقية لكونهم اهلا لها وههنا لم يوصفوا بالمنصورية لانهم ليسوا اهلا لها وقوله تعالى وان تدعوهم الى الهدى بيان
لعجزهم عما هو ادنى من النصر المنفي عنهم وايسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد الى طريق حصوله من غير ان يحصله للطالب والخطاب
للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد الاعتناء بامر التوبيخ والتبكيت اى ان تدعوهم ايها المشركون الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به المطالب
او تنجون به عن المكاره لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
استئناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع اى مستو عليكم في عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم البحت فانه لا يتغير حالكم
في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية وقوله تعالى ام انتم صامتون جملة اسمية في معنى الفعلية معطوفة على الفعلية لانها في قوة ام صمتم
عدل عنها للمبالغة في عدم افادة الدعاء ببيان مساواته للسكوت الدائم المستمر وما قيل من ان الخطاب للمسلمين والمعنى وان تدعوا
المشركين الى الهدى اى الى الاسلام لا يتبعوكم الخ مما لا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه اصلا على انه لو كان كذلك لقيل عليهم مكان عليكم
كما في قوله تعالى سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم فان استواء الدعاء وعدمه انما هو بالنسبة الى المشركين لا بالنسبة الى الداعين فانهم فائزون
بفضل الدعوة ان الذين تدعون من دون الله تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم اى ان الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الاصنام
وتسمونهم آلهة عباد امثالكم اى مماثلة لكم لكن لا من كل وجه بل من حيث انها مملوكة لله عز وجل مسخرة لامره عاجزة عن النفع
والضرر وتشبيهها بهم في ذلك مع كون عجزها عنهما اظهر واقوى من عجزهم انما هو لاعترافهم بعجز انفسهم وادعائهم لقدرتها عليهما وهو
الذي يدعوهم الى عبادتها والاستعانة بها وقوله تعالى فادعوهم فليستجيبوا لكم تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم اى فادعوهم
في جلب نفع او كشف ضر ان كنتم صادقين في زعمكم انهم قادرون على ما انتم عاجزون عنه وقوله تعالى الهم ارجل يمشون بها
الخ تبكيت مؤكد لما يفيده الامر التعجيزي من عدم الاستجابة ببيان فقدان آلاتها بالكلية فان الاستجابة من الهياكل الجسمانية
انما تتصور اذا كان لها حياة وقوى محركة ومدركة وما ليس له شيء من ذلك فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة كانه قيل الهم هذه الآلات التي
بها تتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم وقد وجه الانكار الى كل واحد من هذه الآلات الاربع على حدة تكريرا للتبكيت وتثنية للتقريع
واشعارا بان انتفاء كل واحد منها بحيالها كاف في الدلالة على استحالة الاستجابة ووصف الارجل بالمشي بها للايذان بان مدار
الانكار هو الوصف وانما وجه الى الارجل لا الى الوصف بان يقال ايمشون بارجلهم لتحقيق انها لم يظهر حيث منها ما يظهر من سائر
الارجل فهي ليست بارجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده من الجوارح الثلث الباقية وكلمة ام في قوله تعالى ام لهم ايد يبطشون بها
منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيت والالزام وبل للاضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه الى فن آخر
منه لما ذكر من المزايا والبطش الاخذ بقوة وقرئ يبطشون بضم الطاء وهي لغة فيه والمعنى بل الهم ايد يأخذون بها ما يريدون
اخذه وتأخير هذا عما قبله لما ان المشي حالهم في انفسهم والبطش حالهم بالنسبة الى الغير واما تقديمه على قوله تعالى ام لهم اعين يبصرون بها
ام لهم آذان يسمعون بها مع ان الكل سواء في انها من احوالهم بالنسبة الى الغير فلمراعاة المقابلة بين الايدي والارجل ولان انتفاء
المشي والبطش اظهر والتبكيت بذلك اقوى واما تقديم الاعين فلما انها اشهر من الآذان واظهر عينا واثرا هذا وقد قرئ ان الذين
تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية اى ما الذين تدعون من دونه تعالى عبادا امثالكم بل ادنى منكم
فيكون قوله تعالى الهم الخ تقريرا لنفي المماثلة باثبات القصور والنقصان قل ادعوا شركاءكم بعد ما بين ان شركاءهم لا يقدرون
على شيء ما اصلا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يناصبهم للمحاجة ويكر عليهم بالتبكيت اثر التبكيت والالزام الحجر اى ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم علي
ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم وبالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه من مبادي الكيد والمكر فلا تنظرون اى فلا تمهلوني
ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فاني لا ابالي بكم اصلا ان وليي الله الذي نزل الكتاب تعليل لعدم المبالاة المنفهم

من السوق انزهاً عاجلاً ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب للاشعار بدليل الولاية والاشارة الى علة اخرى لعدم المبالاة كأنه قيل لا أبالي بكم وبشركائكم لان وليي هو الله الذي نزل الكتاب الناطق بانه وليي وناصري ولان شركاءكم لا يستطيعون نصركم انفسهم فضلاً عن نصركم
وقوله تعالى وهو يتولى الصالحين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم والذين تدعون
اي تعبدونهم من دونه تعالى او تدعونهم للاستعانة بهم على جميع امركم به لا يستطيعون نصركم اي في امر من الامور وفي خصوص الامر المذكور
ولا انفسهم ينصرون اذا نابهم نائبة وان تدعوهم الى ان يهدوكم الى ما يجعلون به مقاصدكم على الاطلاق او في خصوص الكيد
المعهود لا يسمعوا اي دعاءكم فضلاً عن المساعدة والامداد وهذا ابلغ من نفي الاتباع وقوله تع وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
بيان لعجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار اصلاً والرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون حال من المفعول
والجملة الاسمية حال من فاعل ينظرون اي وترى الاصنام رأي العين يشبهون الناظرين ويخيل اليك انهم يبصرونك لما انهم صوروا
اعيناً مركبة باجواهر المضيئة المتلألئة وصوروا بصورة من قلب صدقته الى الشيء ينظر اليه والحال انهم غير قادرين على الابصار وتوحيد
الضمير في تراهم مع رجوعه الى المشركين لتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم لان الكل من حيث هو كل من كل الخطاب السابقة تنبيهاً على ان رؤية
الاصنام على الهيئة المذكورة لا يتأتى للكل مقابل الكل من حيث انهم آحاد وقيل ضمير الفاعل في تراهم لرسولهم وضمير المفعول على حاله وقيل
للمشركين على ان التعليل قد تم عند قوله تعالى لا يسمعوا اي وترى المشركين ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك كما انت عليه وعن الحسن
ان الخطاب في قوله تعالى وان تدعوا للمؤمنين على ان التعليل قد تم عند قوله تعالى ينصرون اي وان تدعوا ايها المؤمنون المشركين الى الاسلام
لا يلتفتوا اليكم ثم خوطبوا بطريق التجريد كأنك تراهم ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك حتى الابصار تنبيهاً على ان ما فيهم
من شواهد النبوة ودلائل الرسالة من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين خذ العفو بعد ما عدد من اباطيل المشركين وقبائحهم
ما لا يطاق تحمله امر هم بمجامع مكارم الاخلاق التي من جملتها الاعراض عنهم اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا يكلفهم
ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو من المذنبين والفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وامر بالعرف
بالجميل المستحسن من الافعال فانها قرينة من قبول الناس من غير نكير واعرض عن الجاهلين من غير مماراة ولا مكافاة
قيل لما نزلت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرئيل عم فقال لا ادري حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك
ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وروي انه
لما نزلت الآية الكريمة قال ع كيف يا رب والغضب فنزل قوله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ
والنسغ والنخس الغرز شبهت وسوسة الناس واغراؤه لهم على المعاصي بغرز السائق ما يسوقه واسناده الى النزغ من قبيل
جد جده اي وان ما يحملنك من جهته وسوسة ما على خلاف ما امرت به من اغراء غضب او نحوه فاستعذ بالله فالتجئ اليه
من شره انه سميع اي سميع استعاذتك قولاً عليم بعلم نفرتك عليه فلتأت في ضمن القول وبدونه فيعصمك من شره
وقد جوز ان يراد بنزغ الشيطان اغراء الغضب على منهج الاستعارة كما في قول الصديق رضه ان لي شيطاناً يعتريني ففيه زيادة
تنفير عنه وفرط تحذير عن العمل بموجبه وفي الامر بالاستعاذة بالله تعالى تهويل امره وتنبيه على انه من عوائل الصنعة التي لا تتخلص
من مقرها الا بالالتجاء الى حرم عصمة عز وجل وقيل يعلم ما فيه صلاح امرك فيجعلك عليه او سميع باقوال من اذاك عليم باحواله
فيجازيه عليها ان الذين اتقوا استئناف مقرر لما قبله ببيان ان ما امر به من الاستعاذة بالله عز وجل سنة مسلوكة للمتقين
والاخلال بها دين الغاوين اي ان الذين اتقضوا بوقاية انفسهم عما يفرطا اذا مسهم طائف من الشيطان ادنى مسة
على ان تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها الطوف بهم ويدور حولهم ليتوقع بهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا
اي الم وقرئ طيف على انه مصدر او تخفيف من طيف من الواو والياء كهين ولين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع

فانهاه

اي والغضب يتحقق

ضيره فيما سيأتي تذكروا اى الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه فاذا هم بسبب ذلك التذكر فاذا هم مبصرون مواقع الخطاء
ومكايد الشيطان فيحترزون عنها ولا يتبعونه واخوانهم اى اخوان الشياطين وهم المنهمكون فى الغى الموصوفون من وقاية
انفسهم عن المضار يمدونهم فى الغى اى تكون الشياطين مددًا لهم فيه وبعضدونهم بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من الامداد
ويادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون اى لا يمسكون عن الاغواء حتى يردوهم
بالكلية ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اى لا يرعوون عن الغى ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشيطان ويرجع
الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريًا على ما هو له واذا لم تاتهم بآية من القرآن عند تراخى الوحى او بآية مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها
اجتبى الشئ بمعنى جباه لنفسه اى هلا جمعتها من تلقاء نفسك تقولًا يريدون بذلك ان سائر الآيات ايضًا كذلك وهلا تلقيتها من ربك
استدعاءً قل ردًا عليهم انما اتبع ما يوحى الىّ من ربى من غير ان يكون لى دخل ما فى ذلك اصلًا على معنى تخصيص حالة ما باتباع
ما يوحى اليه بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالنسبة الى مقابله الذى يطلبونه اياه ثم تخصيص اتباعه بما يوحى اليه بتوجيه القصر
الى المفعول بالنسبة الى مفعول آخر كما هو الشائع فى موارد الاستعمال وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الىّ كانه قيل ما افعل الا ما اتباع
ما يوحى الىّ منه تعالى وفى التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية والتبليغ الى الكمال اللائق مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم من تشريفه والتنبيه
على تأييده ما لا يخفى هذا اشارة الى القرآن الكريم المدلول عليه بما يوحى الىّ بصائر من ربكم بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق
وتدرك الصواب وقيل حجج بينة وبراهين نيرة ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصائر مفيدة بتخا منها اى بصائر كائنة منه والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم لتاكيد وجوب الايمان بها وقوله تعالى وهدى ورحمة عطف على بصائر وتقديم الظرف عليهما
وتعقيبهما بقوله تعالى لقوم يؤمنون للايذان بان كون القرآن بمنزلة البصائر للقلوب متحقق بالنسبة الى الكل وبه تتم الحجة
على الجميع وانما كونه هدى ورحمة فمختص بالمؤمنين به اذ هم المنتفعون من انواره والمغتنمون بآثاره والجملة من تمام القول
المأمور به واذا قرئ القرآن فاستمعوا له ارشاد الى طريق الفوز بما اشير اليه من المنافع الجليلة التى ينطوى عليها
القرآن اى واذا قرئ القرآن الذى ذكرت شئونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول وانصتوا اى واسكتوا فضلا
الوارة وداعوا الى انتضائها تعظيمًا له وتكميلًا للاستماع لعلكم ترحمون اى تفوزون بالرحمة التى هى اقصى ثمرة وظاهر
النظم الكريم يقتضى وجوب الاستماع والانصات عند قراءة القرآن فى الصلوة وغيرها وقيل معناه اذا تلى عليكم الرسول القرآن
عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضى الله تعالى عنهم على انه فى استماع المؤتم وقد روى انهم كانوا يتكلمون فى الصلوة فامروا
باستماع قراءة الامام والانصات له وعن ابن عباس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ فى المكتوبة وقرأ اصحابه خلفه فرفعت
واما خارج الصلوة فعامة العلماء على استحبابها والآية إما من تمام القول المأمور به او استئناف من جهته تعالى وقوله تعالى واذكر
ربك فى نفسك على الاول عطف على قل وعلى الثانى فيه تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عام فى الاذكار
كافة فان الاخفاء ادخل فى الاخلاص واقرب من الاجابة تضرعًا وخيفة اى متضرعًا وخائفا ودون الجهر من القول اى
ومتكلما كلامًا دون الجهر فانه اقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال متعلق باذكر اى اذكره فى وقتى الغدو والعشى وقرئ
والايصال وهو مصدر آصل اى دخل فى الاصيل موافق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله تعالى ان الذين عند ربك
وهم الملائكة عم وصفهم كونهم عنده سبحانه وتعالى قربهم من رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته تعالى لا يستكبرون عن عبادته بل يؤدونها
حبا وارواحا ويسبحونه اى ينزهونه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وله يسجدون اى يخصونه بغاية العبودية والتذلل
لا يشركون به شيئا وهو تعريض لسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته عن النبى عليه السلام اذا قرأ ابن آدم آية
السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلى النار وعنه عليه السلام

من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم عليه السلام شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال خمس وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

يسئلونك عن الانفال • النفل الغنيمة سميت به لانها عطية من الله تعالى زائدة على ما هو اصل الاجر في الجهاد من الثواب الاخروي ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام نعى ان المسلمين اختلفوا في غنائم بدر روى قسمها فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فيها للمجاهدين او للقاصرين ام لهم جميعا وقيل ان الشبان قد ابلوا يوم بلاء حسنا فقتلوا سبعين واسروا سبعين فقالوا الحق للمقاتلون ولنا الغنائم وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فقال سعد بن معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملخصا ان نطلب باطلب هؤلاء زيادة الاجر ولا جبن من العدو ولكن كرهنا ان نوى مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم قد شرط لمن كان له بلاء ان ينفله وكذلك فعل الشبان ما فعلوا من القتل والاسر فقالوه ثم ما شرطا لهم فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وان شططتم هؤلاء ما شرطت لهم حرمتم اصحابكم فنزلت والاول هو الظاهر لما ان السؤال استعلام حكم الانفال بقضية كلمة عن لا استعطاء لنفعها كما نطق به الوجه الاخير وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر والاستدلال عليه بقراءة ابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وعلي بن الحسين وزيد ومحمد للباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعلى يسئلونك الانفال غير منتهض فان مبناها كما قالوا على الحذف والايصال كما يوب عنه الجواب بقوله عز وجل قل الانفال لله والرسول • اي حكمها مختص به يحكم فيها الرسول ع كيفما امره به من غير ان يدخل فيه رأي احد ولو كان السؤال استعطاء لما كان هذا جوابا البتة فان اختصاص حكم ما شرط لهم من الانفال بالله والرسول لا ينافي اعطاءها اياهم بل محققه لانهم انما يسئلونها بموجب شرط الرسول ع الصادر عنه باذن الله تع لا بحكم سبق ايديهم اليها او بخوذلك مما يخل بالاختصاص المذكور وحمل الجواب على معنى ان الانفال بالمعنى المذكور مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق فيها للمنفل كائنا من كان مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتنفيل وادعاء ان ثبوته بدليل متاخر الزام لتكرر النسخ من غير علم بالناسخ الاخير ولا مساغ للمصير الى ما ذهب اليه مجاهد وعكرمة والسدي من ان الانفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شئ بهذه الآية فنسخت بقوله تعالى فان لله خمسه وللرسول بما ان المراد فيما قالوا هو المعنى الاول ضمنا كما نطق به قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شئ الآية على ان الحق انه لا نسخ ايضا صح قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم بين في صدر السورة الكريمة اجمالا ان امرها مفوض الى الله تعالى ورسوله ثم بين مصارفها وكيفية قسمتها على التفصيل وادعاء اقتضاء هذا الحكم اعني الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وسلم على الانفال المشروطة يوم بدر بجعل اللام للعهد مع ابقاء استحقاق المنفل في سائر الانفال المشروطة بايانه مقام بيان الاحكام كما ينبئ عنه اظهار الانفال في موقع الاضمار على ان الجواب عن سؤال الموعود ببيان كونه لهم خاصة مما لا يليق بشانه الكريم اصلا وقد روي عن سعد بن ابي وقاص انه قال قتل اخي عمير يوم بدر قتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله تعالى قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال لم ليس لي هذا ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله عليه السلام يا سعد انك سالتني السيف وليس لي وقد صار لي فاذهب فخذه وهذا كما ترى يقتضي عدم وقوع التنفيل يومئذ والا لكان سؤال السيف عن سعد بموجب شرطه ع ووعده لا بطريق الهبة المبتداة وحمل ذلك من سعد على اراءة الادب مع كون سؤاله بموجب الشرط بريئا رده ع بعد النزول تعليلا بقوله ليس هذا لي الخ اي ان يقدم ع بالا يقدر على انجازه واعطائه بعد النزول وترتيبه على قوله فقد صار لي ضرورة ان مناط صيرورته له ع قوله تعالى الانفال لله والرسول والغرض انه المانع من اعطاء المسؤل وهو نص في الباب قوله عز وجل فاتقوا الله

ان نسخ بهذه الآية استحقاق المنفل بما شرط له بعد مشروعيته هو نسخ اخر

اي اذا كان امر الغنائم لله تعالى ورسوله فاتقوا الله تعالى فاجتنبوا ما كنتم فيه من التشاجر فيها والاختلاف الموجب لسخطه تعالى او فاتقوه تعالى
في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه دخولا اوليا ولو كان السؤال طلب المنفل وطلبا كان فيه محذور يجب اتقاؤه واظهار الاسم الجليل
لتربية المهابة وتعليل الحكم واصلحوا ذات بينكم جعل ما بينهم من الحال الملابسة التامة لبينهم صاحبة له كما جعلت الامور المضمرة
في الصدور ذات الصدور اي اصلحوا ما بينكم من الحال بالمساواة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم وعن عبادة بن الصامت
نزلت فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله تعالى من ايدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين
على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وعن عطا كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل
فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض واطيعوا الله ورسوله بتسليم امره ونهيه وتوسيط الامر باصلاح ذات البين
بين الامر بالتقوى والامر بالطاعة لاظهار كمال العناية بالاصلاح بحسب المقام وليندرج الامر به بعينه تحت الامر بالطاعة ان كنتم
مؤمنين متعلق بالاوامر الثلثة والجواب محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه او هو الجواب على الخلاف المشهور وايا ما كان فالمقصود
تحقيق المعلق بناء على تحقيق المعلق به وفيه تنشيط للمخاطبين وحث لهم على المسارعة الى الامتثال والمراد بالايمان كماله اي
ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان يدور على هذه الخصال الثلث طاعة الاوامر واتقاء المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل
والاحسان انما المؤمنون جملة مستأنفة مسوقة لبيان من اريد بالمؤمنين بذكر اوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من الخصال
الثلث وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال بالاوامر المذكورة اي انما الكاملون في الايمان المخلصون فيه الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
اي فزعت لمجرد ذكره من غير ان يذكر هناك ما يوجب الفزع من صفاته وافعاله استعظاما لشأنه الجليل وتهيبا منه وقيل هو
الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بفتح الجيم وهي لغة فيه وقرئ فرقت اي خافت
واذا تليت عليهم آياته اي اي آية كانت زادتهم ايمانا اي يقينا وطمانينة نفس فان تظاهر الادلة وتعاضد الحجج
والبراهين موجب لزيادة الايمان وقوة اليقين وقيل ان نفس الايمان لا يقبل الزيادة والنقصان انما زيادته باعتبار زيادة
المؤمن به فانه كلما نزلت آية صدق المؤمن بها فزاد ايمانه عددا واما نفس الايمان فهو بحاله وقيل باعتبار ان الاعمال
تجعل من الايمان فيزيد بزيادتها والاصوب ان نفس التصديق يقبل القوة وهي التي عبر عنها بالزيادة للفرق النير بين يقين
الانبياء وارباب المكاشفات ويقين آحاد الامة وعليه مبنى ما قال علي رضه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكذا بين ما قام عليه
دليل واحد وما قامت عليه ادلة كثيرة وعلى ربهم مالكهم ومدبر امورهم خاصة يتوكلون يفوضون امورهم لا الى احد
سواه والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون مرفوع على انه نعت
للموصول الاول او بدل منه او بيان له او منصوب على القطع المنبئ عن المدح ذكر اولا من اعمالهم الحسنة اعمال القلوب من الخشية والاخلاص
والتوكل ثم عقب باعمال الجوارح من الصلوة والصدقة اولئك اشارة الى من ذكرت صفاتهم الحميدة من حيث انهم
متصفون بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك عمن عداهم اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه ما فصل
من افاضل الاعمال القلبية والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او مصدر مؤكد للجملة اي حق
ذلك حقا كقولك هو عبد الله حقا لهم درجات من الكرامة والزلفى وقيل درجات عالية في الجنة وقوله تعالى جملة مبتدأة
مبنية على سؤال نشأ من تعداد مناقبهم كانه قيل ما لهم بمقابلة هذه الخصال فقيل لهم كيت وكيت او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى عند ربهم
اما متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة عنده تعالى او بما تعلق
الجار الذي هو لهم من الاستقرار وفي اضافة الظرف الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد تشريف ولطف لهم وايذان بان ما وعد لهم متيقن الثبوت

على صدق محمد صلى الله عليه وسلم والقران

هم المؤمنون
مدارك

والحصول على من الثواب • ومغفرة • لما فرط منهم • ورزق كريم • لا ينقطع امده ولا ينتهي عدده • وهو ما اعد لهم من نعيم الجنة • كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق • الكاف في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهتهم
لما رأيت مع كونه حقا كحالهم في كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق او في محل النصب على انه صفة لمصدر مقدر محذوف في قوله تعالى الانفال
اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك في المدينة اخراجا ملتبسا بالحق
وان فريقا من المؤمنين لكارهون • اي والحال ان فريقا منهم كارهون للخروج اما لنفرة الطبع عن القتال او لعدم الاستعداد
وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل
فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت
العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها
فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم
فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون
ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه
فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير
واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير
احب اليكم ام النفير فقالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت
على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي عليه السلام ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا
ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله
امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي
ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا
نمنعك مما نمنع منه آباءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا يكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمهم
بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق
واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت
بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله
يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا
فان الله تعالى وعدني احدى الطائفتين والله لكأني انظر الآن الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله عليه السلام حين فرغ من بدر
عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين
وقد اعطاك ما وعدك • يجادلونك في الحق • الذي هو تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير والجملة استيناف او حال ثانية اي اخرجك في حال
مجادلتهم اياك ويجوز ان يكون حالا من الضمير في لكارهون وقوله تعالى • بعد ما تبين • منصوب بيجادلونك وما مصدرية اي بعد تبين الحق لهم باعلامك
انهم ينصرون اينما توجهوا ويقولون ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب وكان ذلك لكراهتهم القتال • كانما يساقون الى الموت
الكاف في محل النصب على الحالية من الضمير في لكارهون اي شبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار الى القتل • وهم ينظرون • حال من ضمير

يساقون

يساقون اى والحال انهم ينظرون الى اسباب الموت ويشاهدونها عياناً وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع الا لقلة عددهم وعدم ثباتهم وكونهم رجالة روى انه لم يكن فيهم الا فارسان واذ يعدكم الله احدى الطائفتين كلام مستأنف مسوق لبيان جميع صنع الله عز وجل بالمؤمنين مع ما بهم من قلة الحرم وذلة العدة وقصور الترى والخوف والجزع واذ منصوب على المفعولية بفعل خوطب المؤمنون بطريق التلوين والالتفات واحدى الطائفتين مفعول ثان ليعدكم اى اذكروا وقت وعد الله اياكم احدى الطائفتين وتذكير الفعل مع ان المقصود تذكير ما فيه من الحوادث لما قرر ارام المبالغة في ايجاب ذكر ما الى ايجاب ذكر الوقت ايجاباً لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه من الحوادث بتفاصيلها فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضراً منفصلاً كانه مشاهد عياناً وتود بعدكم بكون الدال تحقيقاً وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها وقوله تعالى انها لكم بدل اشتمال من احدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد اى بعدكم ان احدى الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم مسلطون عليها تسلط الملاك وتتعرفون نسيهم كيف شئتم وتودون عطف على بعدكم داخل تحت الامر بالذكر اى تحبون ان غير ذات الشوكة يكون لكم من الطائفتين لا ذات الشوكة فهى النفير رئيسهم ابو جهل وهم الف مقاتل وغير ذات الشوكة هى العير اذ لم يكن فيها الا اربعون فارساً ورأسهم ابو سفيان والتعبير عنهم بهذا العنوان للتنبيه على سبب وداد تهم للاقاتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم عن مواقاة النفير والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك وشوكة الفتى شبابه ويريد الله عطف على تودون منتظم معه في سلك التذكير لتظاهر لطف الله بهم مع دناءة همهم وقصور آرائهم اى اذكروا وقت وعده تعالى اياكم احدى الطائفتين ووداد تكم لاقاتهم واراده تعالى لاعلاء دينه وقوله تعالى ان يحق الحق اى يثبته ويعليه بكلماته اى بآياته المنزلة في هذا الشان او باوامره للملئكة بالاقدام وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين اى آخرهم ويستأصلهم بالكلية والمعنى انتم تريدون سفساف الامور والله عز وعلا يريد معاليها وما يرجع الى علو كلمة الحق وشهود رتبة الدين وشتان بين المرادين وقوله تعالى ليحق الحق ويبطل الباطل جملة مستأنفة سيقت لبيان الحكمة الداعية الى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع ارادتهم لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها اى لهذه الغاية الجليلة فعل ما فعل لا لشئ وكس فيه تكرار اذ الاول لبيان تفاوت ما بين الارادتين وهذا لبيان الحكمة الداعية لا ما ذكر ومعنى احقاق الحق اظهار حقيته لا جعله حقاً بعد ان لم يكن كذلك وكذا حال ابطال الباطل ولو كره المجرمون اى المشركون ذلك اذ احقاق الحق وابطال الباطل اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم بعامله ما ذكر او بتذكر استمدادهم منه سبحانه والتجائهم اليه تع حين ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وامداده تع حينئذ وقبل متعلق بقوله تعالى ليحق الحق على الظرفية وما قيل من ان قوله تعالى ليحق مستقبل لانه منصوب بان فلا يكون عمله فاذ لانه ظرف لما مضى ليس بشئ لان كونه مستقبلاً انما هو بالنسبة الى زمان ما هو غاية لزمان الفعل المعذر لا بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل بحاق وقت واحد وانما عبر عن زمانها باذ نظراً الى زمان النزول وصيغة الاستقبال في اذ تستغيثون لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقبل متعلق بمضمر مستأنف اى اذكر واوقت استغاثتكم وذلك انهم لما علموا انه لابد من القتال جعلوا يدعون الله تعالى قائلين اى رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضه ان رسول الله عليه السلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبيه والتزمه من ورائه وقال يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم عطف على تستغيثون داخل معه في حكم التذكير لما عرفت انه ماض وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة انى ممدكم اى بانى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من مقولة القول بالف من الملئكة مردفين اى جعل بعض غيرهم

تيديه شاه

من الملائكة ردفاً لانفسهم فالمراد بهم رؤساؤهم المستتبعون لغيرهم وقد اكتفى ههنا بهذا البيان الاجمالي وبين في سورة آل عمران مقدار
عددهم وقيل معناه متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين المؤمنين او بعضهم بعضاً من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم
بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرئ مردفين بفتح الدال اي متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش
او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصلهما مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى الساكنان
فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم للاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد
بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم ومن قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل على وقوعها
وما جعله الله كلام مستأنف سيق لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وانما التأثير مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون
ولا يقنطوا من النصر عند فقد اسبابه والجعل متعد الى مفعول واحد هو الضمير العائد الى مصدر فعل مقدر يقتضيه المقام اقتضاء ظاهراً
فقدان اسبابه ع
مغنياً عن التصريح به كأنه قيل فامدكم بهم وما جعل امدادكم بهم الا بشرى لكم وهو استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعل
امدادكم بانزال الملائكة عياناً لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن به اي بالامداد قلوبكم وتسكن اليه
نفوسكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما مفعول له للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه وبقي الثاني على حاله
لفقدانها وقيل للاشارة الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر
الامداد عليهما اشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو
رأي السلف وقيل الجعل متعد الى اثنين ثانيهما الا بشرى على انه استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله الله شيئاً الا بشرى لكم فاللام
ثانيهما الا
في ولتطمئن متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن قلوبكم فعل ذلك لا لشيء آخر وما النصر اي حقيقة النصر على الاطلاق
الا من عند الله اي الا كائن من عنده عز وجل من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له
بطريق جريان السنة الالهية ان الله عزيز لا يغالب في حكمه ولا ينازع في قضيته حكيم يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة
والمصلحة تعليل لما قبلها متضمن للاشعار بان النصر الواقع على الوجه المذكور من مقتضيات الحكم البالغة اذ يغشيكم النعاس
اي يجعله غاشياً لكم ومحيطاً بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة اخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية
كما في تستغيثون او منصوب باضمار اذكروا وقيل هو متعلق بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بالجعل وليس بواضح وقرئ
ويغشيكم من الاغشاء بمعنى التغشية والفاعل في الوجهين هو الباري تعالى وقرئ يغشاكم على اسناد الفعل الى النعاس وقوله تعالى
امنة منه على القراءتين الاوليين منصوب على العلية بفعل مترتب على الفعل المذكور اي يغشيكم النعاس فتنعسون امناً كائناً
من الله تعالى لا كلالاً واعياء او على انه مصدر لفعل آخر كذلك اي فتأمنون امناً كما في قوله تعالى وانبتها نباتاً حسناً
على احد الوجهين وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور والامنة بمعنى الايمان وعلى القراءة الاخيرة منصوب على العلية
بيغشاكم باعتبار المعنى فانه في حكم تنعسون او على انه مصدر لفعل مترتب عليه كما مر وقرئ امنة كرحمة وينزل عليكم من السماء ماء
تقديم الجار والمجرور على المفعول به لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر
تبقى النفس مترقبة له فعند وروده يتمكن عندها فضل تمكن وتقديم عليكم لما ان بيان كون التنزيل عليهم اهم من بيان كونه من السماء وقرئ
بالتخفيف من الانزال ليطهركم به اي من الحدث الاصغر والاكبر ويذهب عنكم رجز الشيطان الكلام في تقديم الجار والمجرور
لما مر آنفاً والمراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام
على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس اليهم وقال انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم
على الحق وانتم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم

المطر
العطش فإذا قطع أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم إلى مكة فحزنوا وأشفقوا فأنزل الله
فمطروا ليلاً حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه
الأقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وذلك قوله تعالى وليربط على قلوبكم أي يقويها بالثقة
بلطف الله تعالى فيما بعد بمشاهدة طلائعه ويثبت به الأقدام أي لا تسوخ في الرمل فالضمير للماء ويجوز أن يكون للربط فإن القلب
إذا تمكن فيه الصبر والجراءة لا تكاد تزل القدم في معارك الحروب وقوله تعالى إذ يوحي ربك إلى الملائكة منصوب بمضمر مستأنف خوطب به
النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد حسبما ينطق به الكاف لما أن المأمور به مما لا يستطيعه غيره عليه السلام فإن الوحي المذكور ليس بظاهر
بالوحي المتلو على غيره عليه السلام من النعم التي يقف عليها عامة الأمة كسائر النعم السابقة التي أمروا بذكرها بطريق التكرير وقيل منصوب
بيثبت وقيل بيثبت الأقدام فلا يتوجه من عود الضمير المجرور في به إلى الربط على القلوب ليكون المعنى ويثبت الأقدام بتقوية قلوبكم وقت إيحاء
إلى الملائكة أمره بتثبيتهم وهو زمان القتال ولا يخفى أن تحديد التثبيت بذلك الوقت مع كون ربط قلوبهم عنده ليس فيه مزيد فائدة مع إشعاره على
أنه لم يكن قبل ذلك كما قيل فيما بعد بتخصيصه الخطاب به عليه السلام مع ما عرفت من أن المأمور به من الوقائع العامة للكل كما أفاده في
التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام من التشريف والتنويه ما لا يخفى واعلموا إذ ذكروا إيحاءه تعالى إلى الملائكة أني معكم أي
بالإمداد والتوفيق في أمر التثبيت فهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على إرادة القول أو إجراء الوحي مجراه وتثبيتهم دخول كلمة مع على الملائكة
إنما هي من قرائنهم المباشرة للتثبيت صورة ظلهم الإفشاء على تلك الحيثية كما في قوله تعالى إن الله مع الصابرين والفاء في قوله تعالى فثبتوا الذين
آمنوا لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إمداده تعالى إياهم أقوى موجبات التثبيت واختلفوا في كيفية التثبيت فقيل إنما أمروا بتثبيتهم
بالبشارة وتكثير سوادهم ونحوهما مما تقوى به قلوبهم وتصح به عزائمهم ونياتهم وتتأكد جدهم في القتال وهو الأنسب بمعنى التثبيت وحقيقته التي
هي عبارة عن الحمل على الثبات في مواطن الحرب والجد في مقاساة شدائد القتال وقد روي أنه كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفونه بوجهه

فيأتي ويقول

إني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول أبشروا فإن الله ناصركم وقال آخرون أمروا
بمحاربة أعدائهم وجعلوا قوله تعالى سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب تفسيراً لقوله تعالى أني معكم وقوله تعالى فاضربوا الآية تفسيراً لقوله تعالى
فثبتوا ويأباه كون التثبيت وقد روي عن أبي داود المازني وكان ممن شهد بدراً أنه قال اتبعت رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه فوقع
رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي وعن سهل بن حنيف أنه قال لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه
عن جسده قبل أن يصل إليه السيف ولا يخفى أن جنس قتلهم للكفرة مع عدم ملاءمته لمعنى تثبيت المؤمنين مما لا يتوقف على الإمداد بإلقاء
الرعب فلا يتجه ترتيب الأمر به عليه بالفاء وقد اعتذر الأولون بأن قوله تعالى سألقي الخ ليس بمعنى فيما ذكر بل يجوز أن يكون خبر بل
أثر قوله تعالى فثبتوا الذين آمنوا تلقيناً للملائكة ما يثبتونهم به كأنه قيل قولوا لهم سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا
الخ فالضاربون هم المؤمنون وأنت خبير بأن ذلك خلاف الظاهر لأن قوله تعالى للمؤمنين بالذات على طريق التلوين فيأباه توسطه
ووروده قبل القتال وأنى ذلك والسورة الكريمة إنما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله تعالى فوق الأعناق أي أعاليها التي هي المذابح
والرؤوس واضربوا منهم كل بنان قيل البنان أطراف الأصابع من اليدين والرجلين وقيل هي الأصابع من اليدين والرجلين وقال
أبو الهيثم البنان المفاصل وكل مفصل بنانة قال ابن عباس وابن جريج والضحاك يعني الأطراف أي اضربوهم في جميع الأعضاء
من أعاليها إلى أسافلها وقيل المراد بالبنان الأداني وبفوق الأعناق الأعالي والمعنى فاضربوا الأجساد وأيديها والأرجل وتكرير الأمر
بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء بأمره من حيث إنهم تعلق أو بحذف وقع حالاً مما بعده ذلك إشارة إلى ما أصابهم من العقاب وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد
درجته في الشدة والفظاعة والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى بأنهم شاقوا
الله ورسوله أي ذلك العقاب الفظيع واقع عليهم بسبب مشاقتهم ومخالفتهم لمن لا سبيل إلى مخالفته أصلاً والمشاقة مشتقة من الشق لما أن كلا من

الذى هو التولية متروناً بذكر الماوى والمصير من الجزالة مالا فرق عليه عن ابن عباس رضه ان النوار من الزحف من اكبر الكبائر وهذا اذا لم يكن العدو اكثر من الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بيته والحاضرين معه فى الحرب فلم تقتلوهم رجوع الى بيان بقية الاحكام الواقعة واحوالها وتوبيخ بما سبق منها والفاء جواب شرط مقدر فيستدعيه ما مر من ذكر امداده تعالى واوامره بالتثبيت وغير ذلك كانه قيل اذا كان الامر كذلك فلم تقتلوهم انتم بقوتكم وقدرتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم بالقاء الرعب فى قلوبهم ويجوز ان يكون التقدير ان افتخر بقتلهم فلم تقتلوهم اى فاعلموا ان افتخاركم انكم لم تقتلوهم وقيل التقدير ان افتخر بقتلهم فلم تقتلوهم على احد الوجهين المارين وانهم لما انصرفوا من المعركة غالبين غانمين اقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت واسرت وفعلت وتركت فنزلت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى اسئلك ما وعدتنى فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من التراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال لعلى رضه اعطنى قبضة من حصباء الوادى فرمى بها فى وجوههم فقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وذلك قوله تعالى بطريق تلوين الخطاب وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى تحقيقا لكون الرمى الظاهر على يده مما حق من افعاله عز وجل وتجريد الفعل عن المفعول به لما ان المقصود الاصلى بيان حال الرمى نفيا واثباتا اذ هو الذى ظهر منه ما ظهر وهو المنشأ لتغير المرمى به فى نفسه وتكثره الى حيث اعمى عيون كل واحد من اولئك الامة الجمة شئ من ذلك اى وما فعلت انت يا محمد تلك الرمية المستتبعة لهذه الآثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة والا لكان اثرا من جنس آثار الافاعيل البشرية ولكن الله فعلها اى خلقها حين باشرتها لكن لا على الوجه العادى خلق افعال العباد بل على وجه غير معتاد ولذلك اثرت هذا التاثير الخارج عن طوق البشر ودائرة القوى والقدر فما اثبتها الله تعالى ونفيها عنه عليه السلام لكون آثارها من افعاله سبحانه لا من افعاله عليه السلام وقرئ ولكن الله بالتخفيف والرفع فى المحلين واللام فى قوله تعالى وليبلى المؤمنين منه اى ليعطيهم من عنده تعالى بلاء حسنا اى عطاء جميلا غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره انما متعلقة بمحذوف مثل فعل ذلك او اعتراضية اى وللاحسان اليهم بالنصر والغنيمة فعل ما فعل لا لشئ غير ذلك مما لا يجديهم نفعا وانما برمى فالواو للعطف على علة محذوفة اى ولكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلى المؤمنين ان الله سميع لدعائهم واستغاثتهم عليم اى بنياتهم واحوالهم الداعية الى الاجابة تعليل للحكم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحل الرفع على انه خبر مبتدإ محذوف وقوله تعالى وان الله موهن كيد الكافرين بالاضافة معطوف عليه اى المقصد ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقيل المشار اليه الرمى او القتل والمبتدا الاولى اى الاتى ذكره اى القتل فيكون قوله تعالى وان الله الآية من قبيل عطف البيان وقرئ موهن بالتنوين مخففا او مشددا ونصب كيد الكافرين ان تستفتحوا خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين اى ان تستنصروا لاعلى الجندين فقد جاءكم الفتح حيث نصر اعلاهما وقد زعمتم انكم الاعلى فالتهكم فى المجئ او فقد جاءكم الهزيمة والقهر فالتهكم فى نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله وان تنتهوا فيما كنتم عليه من الحراب ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو اى الانتهاء خير لكم اى من الحراب الذى ذقتم غائلته لما فيه من السلامة من القتل والاسر ومبنى اعتبار اصل الخيرية فى المفضل عليه هو التهكم وان تعودوا اى الى حرابه نعد لما شاهدتموه من الفتح ولن تغنى بالتاء النوقانية وقرئ بالياء التحتانية لان تانيث الفئة غير حقيقية وللفصل اى لن تدفع ابدا عنكم فئتكم جماعتكم التى تجمعونهم وتستعينون بهم شيئا من الاغناء او من الاغناء وقوله تعالى ولو كثرت جملة حالية وقد قرئ بالتحقيق وان الله مع المؤمنين اى ولان الله معين المؤمنين كان ذلك

وفى الآية دليل ان فعل العبد مضاف اليه كسبا لا الى الله خلقا لانه يقول الجبرية والمعتزلة لانه اثبت الفعل من العبد بقوله اذ رميت ثم نفى عنه بقوله وما رميت ولكن الله رمى مدارك

اودوا الامر ان الله مع المؤمنين ويرتب منه بحسب المعنى قراءة الكسر على الاستئناف وقيل الخطاب للمؤمنين وليس ان تستنصروا فقد جاءكم
النصر وان تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما يرغب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم من كل شئ وان تعودوا
الدارين وان تعودوا اليه نعد بالانكار وتهييج العدو ولن تغني عنكم كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر والامر ان الله مع الكاملين
في الايمان يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا بطرح احدى التائين وقرئ بادغامها عنه اي عن الرسول
فان المراد هو الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتمهيد على ان طاعة رسوله من يطع الرسول فقد
اطاع الله وقيل الضمير للجهاد وقيل للامر الذي دل عليه الطاعة وقوله تعالى وانتم تسمعون جملة حالية واردة لتاكيد وجوب
الانتهاء عن التولي مطلقا كما في قوله تعالى فلا تجلوا الله اندادا وانتم تعلمون للتنبيه على ان النهي عنه بحال الاستماع كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى اي لا تتولوا عنه والحال انكم تسمعون آياته الناطقة بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم واذعان
ولا تكونوا تقرير للنهي السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه على انها مؤدية الى انتظامهم في سلك الكفرة بكون سماعهم كلا سماع او لا تكونوا
بمخالفة الامر والنهي كالذين قالوا سمعنا بمجرد الادعاء من غير فهم واذعان كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع وهم
لا يسمعون حال من ضمير قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم لا يصدقون ما سمعوه ولا يفهمونه حق فهمه فكانهم لا يسمعونه اصلا
ان شر الدواب استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير وتقرير للنهي اثر تقرير اي ان شر من يدب
على الارض او شر البهائم عند الله اي في حكمه وقضائه الصم الذين لا يسمعون الحق البكم الذين لا ينطقون به وصفوا
بالصمم والبكم لان ما خلق الاذن والسان سماع الحق والنطق به وحيث لم يوجد فيهم شئ من ذلك صاروا كانهم فاقدين للجارحتين
رأسا وتقديم الصم على البكم لما ان صممهم متقدم على بكمهم فان السكوت عن النطق بهم بالحق فرع فروع عدم سماعهم كما ان النطق به
من فروع سماعه ثم وصفوا بعدم التعقل فقيل الذين لا يعقلون تحقيقا لكمال سوء حالهم فان الاصم البكم اذا كان له عقل
ربما يفهم بعض الامور ويفهم غيره بالاشارة ويهتدي بذلك الى بعض مطالبه واما اذا كان فاقدا للعقل ايضا فهو الغاية في الشرية
وسوء الحال وبذلك يظهر كونهم شرا من البهائم حيث ابطلوا ما به يمتازون عنها وبه يفضلون على كثير ممن خلق الله عز وجل فصاروا
اخس من حمير وقيل ولو علم الله فيهم خيرا شيئا من جنس الخير الذي من جملته حرف قواهم الى تحري الحق واتباع الهدى لاسمعهم
سماع تفهم وتدبر ولو قفوا على حقيقة الرسول وما طاعوه وآمنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم
كذلك لخلوه عن الفائدة وخروجه عن الحكمة والى شيء يقول له تعالى ولو اسمعهم لتولوا اي لو اسمعهم سماع تفهم وتدبر على
الحالة الجارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط او ارتدوا بعد ما صدقوه وصاروا كان لم يسمعوه
اصلا وقوله تعالى وهم معرضون اما حال من ضمير تولوا اي لتولوا على ادبارهم والحال انهم موصوفون بما سمعوه بقلوبهم واما
اعتراض تذييلي اي وهم قوم عادتهم الاعراض وقيل كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان قضيا فانه كان
شيخا مباركا صح يشهد لك وتو من بك فالمعنى ولو اسمعهم كلام قضي الخ وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا مصعب
بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم نحن صم بكم عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه وقال ابن اسحق
تعالى قتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج انهم المنافقون وعن الحسن رضه انهم اهل الكتاب يا ايها الذين آمنوا
تكرير للنداء مع وصفهم بنعت الايمان لتنشيطهم الى الاقبال على الامتثال بما يرد بعده من الاوامر وتنبيههم على ان فيهم ما يوجب ذلك
استجيبوا لله وللرسول بحسن الطاعة اذا دعاكم اي الرسول فهو للمباشر لدعوة الله تعالى لما يحييكم من العلوم
الدينية التي هي مناط الحيوة الابدية كما ان الجهل مدار الموت الحقيقي او هي ما به حيوة القلب كما ان الجهل موجب موته وقيل
لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كما في قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة روى انه عليه السلام مر على ابي بن كعب رضي الله عنه

هو بطرح احدى التائين اي بحذف احدى التائين تخفيفا للامة

اي قالوا هم

وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت في الصلوة قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم الآية واختلف فيه فقيل هذا مما اختص به عليه السلام وقيل لان اجابته عليه السلام لا تقطع الصلوة وقيل كان ذلك الدعاء لامر
لا يحتمل التأخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد وتنبيه على انه تعالى مطلع من مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها
قبل ادراك المنية فانها حائلة بين المرء وقلبه او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر
ان اراد سعادته ويبدله بالامن خوفا وبالذكر نسيانا وما اشبه ذلك من الامور المعترضة المفوتة للفرصة وقرئ بين المر بالتشديد على النقل
على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف وانه اي الله او ان الله اليه تحشرون لا الى غيره فيجزيكم بحسب مراتب
اعمالكم فسارعوا الى طاعته وطاعة رسوله وبالغوا في الاستجابة لهما واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اي لا تختص اصابتها
بمن يباشر الظلم منكم بل يعمه وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع
والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط
متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي
وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاءوا
بمذق هل رأيت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلف المعنى فيهما وقد جوز ان يكون نهيا
بعد الامر باتقاء الذنب فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى
الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح منه من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب ولذلك يصيب بالعذاب من
لم يباشر سببه واذكروا اذ انتم قليل اي وقت كونكم قليلا في العدد وآثر اذ الجملة الاسمية للايذان باستمرار ما كانوا فيه
من القلة وما يتبعها من الضعف والخوف وقوله تعالى مستضعفون خبر ثان او صفة لقليل وقوله تعالى في الارض اي في ارض مكة تحت ايدي قريش
والخطاب للمهاجرين او تحت ايدي فارس والروم والخطاب للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء تحت ايدي الطائفتين وقوله تعالى تخافون
ان يتخطفكم الناس خبر ثالث او صفة ثانية لقليل ووصف الجملة بعدما وصف بالمفرد اولى او حال من المستكن في مستضعفون والمراد بالناس
على الاول اهل مكة وعلى الاخير الكفار قريش او كفار العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثاني فارس والروم اي اذكروا وقت قلتكم
وذلتكم وهوانكم على الناس وخوفكم من اختطافهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون به من اعدائكم وايدكم بنصره
على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم الجليلة يا ايها الذين
آمنوا لا تخونوا الله والرسول اصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه اي لا تخونوهما
بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او في الغلول في الغنائم روي انه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة
فسألوا الصلح كما صالح بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ
رضه فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان ماله وعياله كانت في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على
حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من
سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد
تيب عليك فحل نفسك قال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه عليه السلام فحله فقال ان من تمام توبتي ان
اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به وفي الآية وتخونوا اماناتكم
فيما بينكم وهو مجزوم معطوف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح

واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانها سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله ليبلوكم فيها فلا يحملنكم
حبهم على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن اثر رضاه عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم
بما يؤديكم اليه يا ايها الذين امنوا تكرير للتحلي والوصف بالايمان لاظهار كمال العناية بما بعده والايذان بانه
مما يقتضي الايمان مراعاته والحث عليه في الخطاب بين ان تتقوا الله اي في كل ما تاتون وتذرون
يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز
المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة مما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم
ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم اي يسترها ويغفر لكم ذنوبكم
بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها في اهل بدر وقد
غفرهما الله لهم وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تعليل لما قبله وتنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه
لا مما توجبه التقوى كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا منصوب بفعل خوطب النبي عم معطوف على قوله واذكروا
اذ انتم قليل تذكير النعمة الخاصة به عم بعد تذكير النعم العامة للكل اي اذكروا وقت مكرهم بك ليثبتوك بالوثاق او يحبسوك ويعضده قراءة
من قرا ليقيدوك او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك
من البيات او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم عم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين
في امره عم فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي
ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من
ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال الشيخ بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل
انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى
بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبريل النبي عم فاخبره
وامره بالهجرة فبيت عليا رضه على مضجعه وخرج مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله اي يرد مكرهم عليهم او بمجازاتهم
او يعاملهم معاملة الماكرين وذلك بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين
لا يعبا بمكرهم عند مكره واسناد امثال هذا اليه مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم واذا تتلى
عليهم اياتنا التي حقها ان تخر لها صم الجبال قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قاله اللعين النضر بن الحارث واسناده
الى الكل لانه كان رئيسهم وقاصهم الذين يقولون بقوله وياخذون برايه وقيل قاله الذين ائتمروا في امره في دار الندوة وهذا كان
غاية المكابرة ونهاية العناد كيف لا ولو استطاعوا شيئا من ذلك فما الذي كان يمنعهم من المشيئة وقد تحداهم عشر سنين وقرعهم
بالعجز وذاقوا منه الامرين ثم قوتلوا بالسيف فلم يعارضوا بما سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا سيما في باب البيان
ان هذا الا اساطير الاولين اي ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال ان هذا الا اساطير الاولين
قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان كان حقا منزلا من عندك فامطر
علينا الحجارة عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه
وحاشاه وقرئ الحق بالرفع على انه مبتدا لا فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا على الوجه
الذي ادعاه عليه السلام وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كالاساطير وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم

قوله على انه
الضمير جمع
الى ٢٣ للكاتبه

جواب لكلمتهم الشنعاء وبيان للموجب لامهالهم والتوقف فى اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفى والدلالة على ان تعذيبهم عذاب
استيصال والنبى صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم فى حكمه وقضائه والمراد باستغفارهم فى قوله تعالى
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اما استغفار من بقى منهم من المؤمنين او قولهم اللهم اغفر وارض على معنى لو استغفروا لم يعذبوا
كقوله تعالى وما كان ربك مهلك القرى واهلها مصلحون ومالهم الا يعذبهم الله بيان لانتفاء تعذيبهم بعد بيان ان المانع
ليس من قبلهم اى ومالهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام اى وحالهم ذلك
ومن صدهم عنه اجبارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه حال من ضمير
يصدون مفيدة لكمال قبح ما صنعوا من الصد فان مباشرتهم للصد عنه مع عدم استحقاقهم لولايته امره فى غاية القبح وتهور قد
لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء إن اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون
فيه غيره تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون انه لا ولاية لهم عليه وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل اريد
باكثرهم كلهم كما يراد بالقلة العدم وما كان صلوتهم عند البيت اى دعاؤهم او ما يسمونه صلوة او ما يضعون موضعها الا مكاء
اى صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكى وتصدية اى تصفيقا من الصدى او من القصد على ما مر الصريح
التضعيف بالياء وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر لكان وساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها
لا تليق بمن تهذه صلوته روى انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشتبكين بين اصابعهم يصفرون فيها وقيل كانوا
يفعلون ذلك اذا اراد النبى عليه السلام ان يصلى يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب اى القتل والاسر يوم بدر
وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والموعود اثنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين
كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد
منهم كل يوم عشر جزر اوهن ابو سفيان استاجر يوم احد الفين سوى من استحاش من العرب وانفق فيهم اربعين اوقية اوهن صاحب العير
فانه لما اصيب قريش يوم بدر قبل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك ثارنا منه ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع
رسوله فسينفقونها تباعا ولعل الاول اخبار عن انفاقهم فى تلك الحال وهو انفاق يوم بدر والثانى اخبار عن انفاقهم
فيما يستقبل وهو انفاق يوم احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان الوضع الانفاق ومساق الثانى لبيان
عاقبته وانه يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود وجعل ذاتها حسرة وهى عاقبة انفاقها
مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان يغلبهم ستجالا قبل ذلك والذين كفروا اى ماتوا على الكفر واصروا عليه
الى جهنم يحشرون اى يساقون لا الى غيرها ليميز الله الخبيث من الطيب اى الكافر من المؤمن والفساد من الصلاح
واللام متعلقة بيحشرون او بيغلبون او بما انفقه المشركون فى عداوته وما انفقه المسلمون فى نصرته واللام متعلقة بقوله ثم يكون
عليهم حسرة وقرئ ليميز بالتشديد للمبالغة ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اى يضم بعضه الى بعض حتى يراكموا
لتوافر دواعيهم فيجمعه او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله فى جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث
اذ هو عبارة عن الفريق او الى المنفقين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم فى الخبث هم الخاسرون الكاملون
فى الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا هم ابو سفيان واصحابه اى قل لاجلهم إن ينتهوا عما هم فيه
من معاداة النبى عليه السلام بالدخول فى الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الذنوب وقرئ يغفر لهم ويغفر لكم على البناء للفاعل
وهو الله تعالى وإن يعودوا الى قتالهم فقد مضت سنة الاولين الذين يجروا على الانبياء عليهم السلام بالتدمير كما جرى على اهل بدر
فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم عطف على قل وقد عمم الخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين فى القتال لتحقيق ما يقتضيه قوله تعالى

فقد مضت سنة الاولين من الوعيد حتى لا تكون فتنة اى لا توجد منهم شرك ويكون الدين كله لله ويضمحل الاديان الباطلة
اتما بهلاك بلدها جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل فان انتهوا عن الكفر بقتالكم فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم
عنه واسلامهم وقرئ بتاء الخطاب اى بما تعملون من الجهاد والهجرة لهم الى الاسلام وتعليقه بانتهائهم للدلالة على انهم يثابون بالسببية
كما يثاب المباشرون بالمباشرة وان تولوا ولم ينتهوا عن ذلك فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بقتالهم
نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم عن الكلبي انها نزلت ببدر
وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة وما موصولة
وعائده محذوف اى الذي اصبتموه من الكفار غنوة واصل الغنيمة اصابة الغنم من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب منهم كائنا
ما كان وقوله تعالى من شيء بيان للموصول ومحله النصب على انه حال من عائد الموصول وصدره الاعتناء بشان الغنيمة وان لا يشذ منها
شيء اى ما غنمتموه كائنا مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط خلافا لمن سلب المقتول للقاتل اذا نفله الامام وان الاسارى يخير فيها
الامام وكذا الارض المغنومة وقوله تعالى فان لله خمسه مبتدأ وخبره محذوف اى فحق او واجب ان لله خمسه وهذه الجملة
خبر ان ما الخ وقرئ بالكسر والاول اكد واقوى في الايجاب لما فيه من تكرار الاسناد كانه قيل فلا بد من اثبات الخمس والا بسبيل الى الاخلال
وقرئ خمسه بسكون الميم على ان ذكر الله تعالى للتعظيم كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس على المعنوم
عليه بقوله تعالى وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل واعادة اللام في ذي القربى دون غيرهم
من الاصناف الثلثة لدفع توهم اشتراكهم في سهم النبي صلى الله عليه وسلم لمزيد اتصالهم وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون بني
عبد شمس وبني نوفل لما روى عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخواننا من بني هاشم
لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال
انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وكيفية قسمة الغنائم
كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم لعلم وسهم للمذكورين من ذوي قرباه وثلثة اسهم للاصناف الثلثة
الباقية واما بعده فسهمه ساقط وكذا سهم ذوي القربى وانما يعطون للفقر فهم اسوة لسائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم
فيقسم على الاصناف الثلثة ويؤيده ما روى عن ابي بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم وتزوج ايمكم
ويخدم من لا خادم له منكم فهو بمنزلة ابن السبيل الغني لا يعطى من الصدقة شيئا وعن زيد بن علي مثله وقال ليس لنا ان نبني
منه قصورا ولا نركب منه البراذين وقيل سهم الرسول عليه السلام لولي الامر بعده واما عند الشافعي رح فيقسم على خمسة اسهم سهم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى
من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للصنف الثالث وعنه مالك رح الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام
ان رأى قسم بين هؤلاء وان رآه اعطاه بعضا منه دون بعض ولان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم وتعلق ابو العالية بظاهر
الآية الكريمة فقال يقسم ستة اسهم ويصرف سهم الله تعالى الى بناء الكعبة لما روي انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها
لمصالح الكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة اسهم وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول عليه السلام هذا شائع
في الخمس واما الاخماس الاربعة فيقسم بين الغانمين للراجل سهم وللفارس سهمان عند ابي حنيفة رح وثلثة اسهم عندهما وقال
القرطبي لما بين الله حكم الخمس وسكت عن الباقي دل ذلك على انه ملك للغانمين وقوله تعالى إن كنتم آمنتم بالله متعلق
بمحذوف ينبئ عنه المذكور اى ان كنتم آمنتم به تعالى فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به الى الله تعالى فاقطعوا
اطماعكم منه واقنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد به مجرد العلم بذلك بل العلم المشفوع بالعمل والطاعة لامره تعالى

والفاء اذا دخلت لما في الذي من معنى المجازاة مدارك

وكيفية قسمة الغنائم

الاسوة بالضم والكسر اسوا بالفتح تجاريهما سواء اى متساويان وهم سواء لا يثنى ولا يجمع

21

وما انزلنا عطف على الاسم الجليل اى ان كنتم آمنتم بالله وبما انزلناه على عبدنا وقرئ عبدنا وهم جمع لاريد به الرسول عليه السلام والمؤمنون فان بعض ما نزل نازل عليهم بالذات كما ستعرفه يوم الفرقان يوم بدر سمى به لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بانزلنا او بآمنتم يوم التقى الجمعان اى الفريقان من المؤمنين والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان او منصوب بالفرقان والمراد به ما انزل عليهم يومئذ من الوحى والملئكة والفتح على ان المراد بالانزال مجرد الايصال والتيسير فينظم الكل انتظاما حقيقيا وجعل الايمان بانزال هذه الاشياء من موجبات العلم بكون الخمس بعض ما وعد به الوجه المذكور من حيث ان الوحى ناطق بذلك وان الملئكة والفتح لما كانا من جملة ما وجب ان يكون ما حصل بسببهما من الغنيمة مصروفة الى الجهات التى عينها الله تعالى والله على كل شئ قدير يقدر على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل ثان من يوم الفرقان والعدوة بالضم شط الوادى وكذا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما ايضا وهم بالعدوة القصوى اى البعدى من المدينة وهى تانيث الاقصى فكان القياس قلب الواويا كالدنيا والعليا مع كونهما من بنات الواو لكنها جاءت على الاصل كالعود واستصوب وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اى العير وقد قرئ اسفل منكم اى فى مكان اسفل من مكانكم يعنى الساحل وهو نصب على الظرفية وقع موقع الجر والجملة حال من الظرف قبلها وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وخوفهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلو مراكزهم وبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز النوبتين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الاقدام ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد اى لو تواعدتم وانتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم فى الاباء هيبة منهم وياسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفقتم لهم من الفتح ليس الا بصنع الله عز وجل خارقا للعادات فيزدادوا ايمانا وشكرا وتطمئن نفوسهم بفرض الخمس ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضى الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل من نصر اوليائه وقهر اعدائه او مقدرا فى الازل فى قوله تعالى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة بدل منه او متعلق بمفعولا اى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن بينة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن موضع بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والايمان والمراد بمن هلك ومن حى المشارف للهلاك والحيوة او من حاله ذلك على الاستخدام وقرئ ليهلك بالفتح وحينئذ بفك الادغام حملا على المستقبل وان الله لسميع عليم اى بكفر من كفر وعنادهم وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الاول على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله فى منامك قليلا منصوب باذكر او بدل آخر من يوم الفرقان او متعلق بيعلم اى يعلم المصالح اذ يقللهم فى عينك فى رويالك وهو ان تخبر باصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا فجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم فى الامر اى فى امر القتال وتوزعت آراؤكم فى الثبات والتوار ولكن الله سلم اى انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور بما سيكون فيها من الجرءة والجبن والصبر والجزع وكذلك دبر ما دبر واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا منصوب بمضمر خوطب به الكل بطريق التلوين والتعميم معطوف على المضمر السابق والضمير مفعولا يرى وقليلا حال فى الثانى وانما قللهم فى اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضى الله عنه لى الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول ويقللكم فى اعينهم حتى قال ابو جهل انما اصحاب محمد اكلة جزور قللهم فى اعينهم قبل التحام القتال ليجترءوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى رأوهم مثليهم ليغلبهم الكثرة فينهزموا ويربوا وهذه من عظائم آيات تلك الوقعة

اى تخبر عن الكل رايتهم فى المنام قليلا كذا رؤى

ترشد

بتصوره

فان البصر قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما ذلك بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض
مع التساوي في الشرائط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرر لاختلاف الفعل المعلل به اولان المراد بالامر مغايرة الالتقاء على الوجه المذكور
وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه والى الله ترجع الامور كلها بصرفها كيفما يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه
وهو الحكيم المجيد يا ايها الذين آمنوا صدر الخطاب بحرفي النداء والتنبيه اظهارا لكمال الاعتناء بمضمون ما بعده اذا لقيتم فئة
اى حاربتم جماعة من الكفرة واقدام يوصفوا بالكفر لظهور ان المؤمنين لا يحاربون الا الكفرة واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا
اى للقائهم في مواطن الحرب واذكروا الله كثيرا اى في تضاعيف القتال مستمدين منه مستعينين به مستظهرين بذكره مترقبين لنصره
لعلكم تفلحون اى تفوزون بمرامكم وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شئ عن ذكر الله تعالى
وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بكليته فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في حال من الاحوال واطيعوا الله ورسوله
في كل ما تأتون وما تذرون فيندرج فيه ما امروا به ههنا اندراجا اوليا ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر واحد
فتفشلوا جواب للنهي وقيل عطف عليه وتذهب ريحكم بالنصب عطف على جواب النهي وقرئ بالجزم على تقدير عطف فتفشلوا
على النهي اى تذهب دولتكم وشوكتكم فانها مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوب الريح وقيل
المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
واصبروا على شدائد الحرب ان الله مع الصابرين بالنصرة والكلاءة وما بينهم من كلمة مع من اصالتهم انما هي من حيث انهم
المباشرون للصبر فهم منبوعون من تلك الحيثية ومعيته تعالى انما هي من حيث الامداد والاعانة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
بعد ما امروا به من محاسن الاعمال نهوا عما يقابلها من قبائحها والمراد بهم اهل مكة حين خرجوا لحماية العير بطرا اى فخرا واشرا
ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة اتاهم رسول ابي سفيان وقال ارجعوا فقد سلمت
عيركم فابوا الا اظهار آثار الجلادة فلقوا ما لقوا مما ذكر في اوائل السورة الكريمة فهي المؤمنون ان يكونوا امثالهم رائين
بطرين وامروا بالتقوى والاخلاص من حيث ان النهي عن الشئ مستلزم للامر بضده ويصدون عن سبيل الله عطف على بطرا
ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن لا على تاويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيهم عليه
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اى واذكر وقت تزيين الشيطان
اعمالهم في معاداة المؤمنين وغيرها بان وسوس اليهم وقال الغالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم اى القي في روعهم
وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعدتهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يطلبون انما هو قربات يجيرهم منه فقال
اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين وكلم خبر للغالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك للضارب زيدا عندنا
فلما تراءت الفئتان اى تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اى بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سببا
لهلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اى تبرا منهم وخاف عليهم وبئس من حالهم لما رأى
امداد الله تعالى للمسلمين بالملئكة وقيل لما اجمعت قريش على المسير ذكرت ما بينها وبين كنانة من الاحنة فكان ذلك شبههم فتمثل
لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملئكة تنزل
نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذل في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث
فانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فلما اسلموا انتهى
الشيطان على هذا الاحتمال ان يكون معنى قوله اني اخاف الله ان يصيبني بمكروه من الملئكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت المعلوم
اذا راى فيه ما لم يره قبله والاول ما قاله الحسن رض واختاره ابن جرير والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه او استانفا

من قبل الشرق

من قبل المغرب

البطر والاشر وهو شدة الفرح

الجحفة موضع بين مكة والمدينة وهي ميقات اهل الشام حوى

من جهته تعالى اذ يقول المنافقون منصوب بنزين او بنكص او بشديد العقاب والذين في قلوبهم مرض اى الذين لم تطمئن قلوبهم بالايمان بعد وبقي فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون في المدينة والعطف لتغاير الوصفين كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب غرهؤلاء يعنون المؤمنون دينهم حتى تعرضوا لمطاقة لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم من جهته تعالى ورد لمقالتهم فان الله عزيز غالب لا يذل من توكل عليه واحاره وان قل حكيم يفعل بالحكمة البالغة ما يستبعده العقول ويحار في فهمه الالباب الفحول وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه ولو ترى اى ولو رأيت فان لو الامتناعية ترد المضارع ماضيا كما ان ان ترد الماضي مضارعا والخطاب اما لرسول الله عليه السلام او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقدر كثيرون في قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وكلمة اذ في قوله تعالى اذ يتوفى الذين كفروا الملئكة ظرف لترى والمفعول محذوف اى ولو ترى الكفرة او حال الكفرة حين يتوفاهم الملئكة بسببه وتقديم المفعول للاهتمام به وقيل الفاعل ضمير عائد الى الله عز وجل والملئكة مبتدأ وقوله تعالى يضربون وجوههم خبره والجملة حال من الموصول واستغنى فيها بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منه او من الملئكة او منهما لاشتماله على ضميرهما وادبارهم واستاههم او ما اقبل منهم وما ادبر من الاعضاء وذوقوا عذاب الحريق على ارادة القول معطوفا على يضربون او حالا من فاعله اى ويقولون وقائلين ذوقوا بشارة بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن حدود البيان الى لرأيت امرا فظيعا لا يكاد يوصف ذلك اشارة الى ما ذكر من الضرب والعذاب وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونها في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره بما قدمت ايديكم اى ذلك الضرب والعذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي ويحتمل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدإ محذوف اى والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد حقيقة في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من انها معطوفة على ما للدلالة على ان سببية معتدة بانضمامها اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما ان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه نعم لو كان المدعى كون جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين لاحتيج الى ذلك كدأب آل فرعون في محل الرفع على انه خبر مبتدإ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان ان ما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم لا بشيء آخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال ما هو فيزما بالهلاك بسبب جرائمهم لزيادة تقبيح حالهم وللتنبيه على ان ذلك سنة مطردة فيما بين الامم المهلكة اى شانهم الذي استمروا عليه مما فعلوا وفعل بهم من ماضي كدأب آل فرعون المشهورين بغاية الاعمال وفظاعة العذاب والنكال والذين من قبلهم اى من قبل آل فرعون من الامم التي فعلوا من المعاصي ما فعلوا ولقوا من العقاب ما لقوا كقوم نوح وعاد واضرابهم من اهل الكفر وقوله تعالى كفروا بايات الله تفسير لدأبهم الذي فعلوه لدأب آل فرعون وكونهم كما قيل فان ذلك معلوم منه بقضية التشبيه وقوله تعالى فاخذهم الله تفسير لدأبهم الذي فعل بهم والاخذ اليم كونه من لوازم جناياتهم وتبعاتها المترتبة عليها وقوله تعالى بذنوبهم لتاكيد ما افاده الفاء من السببية مع الاشارة الى ان لهم مع كفرهم ذنوبا اخر لها دخل في استتباع العقاب ويجوز ان يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المترتبة على كفرهم فيكون الباء للملابسة اى فاخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها فدأبهم مجموع ما فعلوا وفعل بهم فقط كما قيل قال ابن عباس ان آل فرعون ايقنوا ان موسى نبي الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاء محمد عليه السلام بالصدق فكذبوه فانزل الله تعالى بهم عقوبة كما انزل بآل فرعون وجعل العذاب من جملة دأبهم مع انه ليس مما يتصور مداومتهم على ما يوجبه عليه واعتيادهم اياه كما هو المعتبر في مدلول الدأب اما لتغليب ما فعلوه على فعل بهم او لتنزيل مداومتهم من الكفر والمعاصي منزلة مداومتهم عليه لما بينهما في الملابسة التامة

وقوله تعالى ان الله قوى شديد العقاب اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وقوله تع ذلك الخ استئناف مسوق لتعليل ما يفيده
النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب منوطا باعمالهم السيئة غير واقع بلا سابقة ما يقتضيه وهو المشار اليه بالنفس ما حل بهم من العذاب
او الانتقام كما قيل فانه مع كونه معللا بما ذكر من كفرهم وذنوبهم لا يتصور تعليله بجريان عادته تع على عدم تغيير نعمة على قوم قبل تغيير حالهم
وتوهم ان السبب ليس ما ذكر كما هو منطوق النظم الكريم بل ما يستفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته تعالى على تغيير نعمتهم عند تغيير حالهم بناء
على تخيل ان المعلل ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه ركوب شطط مائل وابعاد خ الخ بمراحل وتهوين لامر الكون بايات الله واسقاط
لها عن رتبة ايجاب العقاب في مقام تهويله والتحذير منه فالمعنى ذلك اى ترتب العقاب على اعمالهم السيئة دون ان يقع ابتداء مع قدرته تع على ذلك
بان الله اى بسبب انه تعالى لم يك في حد ذاته مغيرا نعمة انعمها اى لم يسع سبحانه ولم يصح في حكمته ان يكون بحيث يغير نعمة
انعم بها على قوم من الاقوام اى نعمة كانت جلت او دقت حتى يغيروا ما بانفسهم من الاعمال والاحوال التي كانوا عليها
وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما فيها سواء كانت احوالهم السابقة مرضية صالحة او قريبة من الصلاح بالنسبة الى الحادثة كدأب هؤلاء
الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة اصنام مستمرين على حالة معوجة لا فاضة نعمة الامهال وسائر النعم الدنيوية عليهم فلما بعث اليهم
النبي عليه السلام بالبينات غيروا ما بانفسهم الى اسوء منها واسخط حيث كذبوه ع ومن عاداه ومن تبعه من المؤمنين وحرموا عليهم يعقوبهم الغوائل
فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال واصل يك يكن فحذفت النون تخفيفا شبها بالحروف اللينة
وان الله سميع عليم عطف على ان الله الخ داخل معه في حيز التعليل اى وبسبب انه تعالى سميع عليم يسمع ويعلم ما يقولون وما يدبرون من
الاقوال والافعال السابقة واللاحقة فيرتب على كل منها من ابقاء النعمة وتغييرها ما يقتضيه حكمته فالجملة تع استئناف
مقرر لمضمون ما قبلها وقوله تعالى كدأب آل فرعون والذين من قبلهم في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى صنعا مثل صنع
ما بانفسهم تغييرا كائنا كدأب آل فرعون اى كتغييرهم على ان دأبهم عبارة عما فعلوه فقط كما هو الانسب بمفهوم الدأب وقوله تع
كذبوا بآيات ربهم تفسير لدأبهم وقوله تعالى فاهلكناهم اخبار يترتب عليه لا انه من تمام تفسيره ولا ضير في توسط قوله تعالى وان الله
سميع عليم بينهما كما مر نظيره في سورة عمران حيث جوزوا انتصاب محل الكاف بلن تغني مع ما بينهما في قوله تع واولئك هم وقود النار
هذا على تقدير عطف الجملة على ما قبلها واما على تقدير كونها اعتراضا فلا غبار في توسطها قطعا وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
كما قبله فالجملة تع استئناف آخر مسوق لتقرير ما سيق له الاستئناف الاول بتشبيه دأبهم بدأب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض
بل بتغيير العنوان وجعل الدأب في الجانبين عبارة عما يلازم معناه الاول في تغيير الحال وتغيير النعمة اخذا مما نطق به قوله تع ذلك بان الله
لم يك مغيرا نعمة الآية اى دأب هؤلاء وشانهم الذي هو عبارة عن التغييرين المذكورين كدأب اولئك حيث غيروا حالهم فغير الله تعالى
نعمته عليهم فقوله تعالى كذبوا بآيات ربهم تفسير لدأبهم الذي فعلوه من تغييرهم وقوله تعالى فاهلكناهم تغيير لدأبهم الذي فعل بهم من تغيير ما
بهم من نعمة واما دأب قريش فمستفاد من حكم التشبيه فلله شان در التنزيل حين اكتفى في كل من التشبيهين بتغيير احد الطرفين
واضافة الآيات الى الرب المضاف اليهم لزيادة تقبيح ما فعلوا بها من التكذيب والالتفات الى نون العظمة في اهلكناهم جريا على سنن
الكبرياء لتهويل الخطب والكلام في الغرق وفي قوله تعالى بذنوبهم كالذي مر وعطف قوله تع واغرقنا آل فرعون على اهلكنا
مع اندراجه تحته للايذان بكمال هول الاغراق وفظاعته كعطف جبريل على الملائكة عليهم السلام وكل اى كل من الفرق المذكورين
او كل من هؤلاء واولئك وكل من عرق السبط وقتلى قريش كانوا ظالمين اى انفسهم بالكفر والمعاصي حيث عرضوها للهلاك
او واضعين للكفر والتكذيب مكان الايمان والتصديق ولذلك اصابهم ما اصابهم ان شر الدواب بعد ما شرح احوال الهالكين
من شرار الكفرة شرع في بيان احوال الباقين منهم وتفصيل احكامهم وقوله تع عند الله اى في حكمه وقضائه الذين كفروا
اى اصروا على الكفر ولجوا فيه جعلوا شر الدواب ومع ذلك شر من جميع افراد ما حيا نطق به قوله تعالى ان هم الا كالانعام بل هم اضل

وقوله تعالى فهم لا يؤمنون حكم مترتب على تماديهم في الكفر وسوء خبثهم فيه وتسجيل عليهم بكونهم من أهل الطبع لا بإيمانهم صارف ولا بشيء منها عاطف اصلا جئ به على وجه الاعتراض لأنهم عطف على كفروا داخل معهم في صلة الموصول لا محل لها بالنصب وقوله الذين عاهدت منهم بدل من الموصول الأول أو عطف بيان له أو نصب على الذم أي عاهدتهم ومن للايذان بأن المعاهدة التي هي عبارة عن اعطاء العهد واخذه من الجانبين معتبرة ههنا من حيث اخذه دون عهدهم إذ هو المناط لغاية ما نعي عليهم من النقض لا اعطاؤه دونهم إيانا بهم عهدا كأنه قيل الذين اخذت منهم عهدهم وقيل هي للتبعيض لأن المباشر بالذات للعهد بعضهم لا كلهم ثم ينقضون عهدهم عطف على عاهدت داخل معه في حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد النقض وتعدده وكونهم على نيته في كل حال أي ينقضون عهدهم الذي اخذ منهم في كل مرة أي من مرات المعاهدة أذهي التي يتوقع فيها عدم النقض ويستقبح وجوده لا من مرات المحاربة كما قيل إذ لا يتوقع فيها عدم النقض بل لا يتصور اصلا حتى يستقبح فيها وجوده لكونها مظنة لعدمه فلا فائدة في تقييد النقض بالوقوع في كل مرة من مراتها بل الصحة له قطعا لأن النقض لا يتحقق إلا في المرة الواردة على المعاهدة لا في المرة الواقعة بعد ما بلا معاهدة ولئن سلم أن المراد في المرات الواقعة اثر المعاهدة يبقى النقض الواقع بلا محاربة كبيع السلاح وكونها خارجا بالبيان ولئن عد ذلك من المحاربة فلا محيص من لزوم خلو الكلام عن الفائدة بالمرة لأن المحاربة بهذا المعنى عين النقض فيؤول الأمر إلى أن يقال ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات النقض وحمل المحاربة على محاربة غيرهم ليكون المعنى ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات محاربة الأعداء مع كونه في غاية البعد والركاكة يستلزم خروج بعضهم بالنقض من البيان وهم لا يتقون حال من فاعل ينقضون أي يستمرون على النقض والحال انهم لا يتقون سيئة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار وقوله تعالى فإما تثقفنهم شروع في بيان احكامهم بعد تفصيل احوالهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي فإذا حالهم كما ذكر فإما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب أي في تضاعيفها فشرد بهم أي فرق عن مناصبتك تفريقا عنيفا موجبا للاضطرار والانكسار وكل عنها بأن تفعل بهم من الكاية والتعذيب ما يوجب ان تنكل من خلفهم أي من وراءهم من الكفرة وفيه إيماء إلى أن لهم بعد الحراب قريبا من هؤلاء وقرئ شرذ بالذال المعجمة ولعله مقلوب شذر بمعنى فرق وقرئ من خلفهم أي افعل التشريد من ورائهم والمعنى واحد لأن اتباع التشريد في الورآء لا يتحقق إلا بتشريد من وراءهم لعلهم يذكرون يتعظون بما شاهدوا مما نزل بالناقضين فيرتدعون عن النقض أو عن الكفر وقوله تعالى وإما تخافن من قوم خيانة بيان لاحكام المشرفين على نقض العهد اثر بيان احكام الناقضين له بالفعل والخوف مستعار للعلم أي وإما تعلمن من قوم من المعاهدين نقض عهد فيما يأتي بالأمارات لك منهم من دلائل الغدر ومخائل الشر فانبذ اليهم اي فاطرح اليهم عهدهم على سواء على طريق مستو مقصد بان تظهر لهم النقض وتخبرهم اخبارا مكشوفا بأنك قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة والاتجاز لهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كيلا يكون من قبلك خيانة اصلا فالجار متعلق بمحذوف هو حال من النابذ اي فانبذ اليهم ثابتا على سواء وقيل على استواء العلم بنقض العهد بحيث يستوي فيه اقصاهم وادناهم او يستوي فيه انت وهم فهو على الاول حال من المنبوذ اليهم وعلى الثاني من الجانبين ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ اما باعتبار استلزام للنهي عن المداومة التي هي خيانة فيكون تحذيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها واما باعتبار استتباعه للقتال الآجل فيكون حثا له عليه على النبذ اولا وعلى قتالهم ثانيا كأنه قيل وإما تعلمن من قوم خيانة فانبذ اليهم ثم قاتلهم ان الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما عملت حالهم ولا يحسبن الذين كفروا اي انفسهم فحذف للاختصار وقوله تعالى سبقوا اي فاتوا واقبلوا من ان يظفر بهم مفعول ثان ليحسبن والمراد اقناطهم من الخلاص وقطع اطماعهم الفارغة عن الاشتغال بالنبذ والاقتصار على دفع هذا التوهم مع ان مقاومة المؤمنين بل الغلبة عليهم ايضا مما ينبئ به امانيهم الباطلة للتنبيه على ان ذلك مما لا يجوم حوله اوهامهم وحسبانهم وانما الذي يمكن ان يدور في خلدهم حسبان الفوت فقط وقيل الفعل مسند الى احد والى من خلفهم والمفعول الأول الموصول المتناول لهم ايضا وقيل

هو الفاعل وان محذوفة من سبقوا بمعنى في حيز ما سادّ مسدّ المفعولين والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا ويعضده قراءة
من قرأ انهم سبقوا او نظيره في الحذف قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وقوله تعالى افغير الله تأمروني اعبد الآية قاله الزجاج
وقرئ بالتاء على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قراءة واضحة وقرئ ولا تحسب الذين بكسر الباء وبفتحها على حذف النون
الخفيفة وقوله تعالى انهم لا يعجزون اى لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم تعليل للنهي على طريقة الاستئناف وقرئ
بفتح الهمزة على حذف لام التعليل وقيل الفعل واقع عليه ولا زائدة وسبقوا حال بمعنى سابقين اى مفلتين هاربين وهذا على قراءة الخطاب
لازاحة ما عسى يحذر عن عاقبة النبذ لما انه ايقاظ للعدو وتمكين لهم من الهرب والخلاص من ايدي المؤمنين وفيه نفي لقدرتهم على المقاومة
والمقابلة على ابلغ وجه وآكده كما اشير اليه وقيل نزلت فيمن افلت من قتل المشركين وقرئ لا يعجزون بكسر النون ولا يعجزون بالتشديد
واعدوا لهم توجيه الخطاب الى كافة المؤمنين لما ان المأمور به من وظائف الكل كما ان توجيهه فيما سبق وما لحق الى رسول الله عليه السلام
لكون ما في حيزه من وظائفه عليه السلام اى اعدوا لقتال الذين نبذ اليهم العهد وهيئوا لحرابهم او لقتال الكفار على الاطلاق وهو الانسب بسياق
النظم الكريم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب كائنا ما كان وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر
الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ولعل تخصيصه عليه السلام اياه بالذكر لانافته على نظائره من القوى ومن رباط الخيل اسم للخيل التي
تربط في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول او مصدر سميت هي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل
وفصال او جمع ربط ككعب وكعاب وكلب وكلاب وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها
من جملتها للايذان بفضلها على بقية افرادها كعطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام ترهبون به اى تخوفون وقرئ ترهّبون
بالتشديد وقرئ تخزون به والضمير لما استطعتم او للاعداد وهو الانسب ومحل الجملة النصب على الحالية من فاعل اعدوا اى اعدوا
مرهبين به او من الموصول او من عائده المحذوف اى اعدوا ما استطعتموه مرهبا به عدو الله وعدوكم وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين
الكفار مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد في العداوة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل
المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم اى لا تعرفونهم باعيانهم او لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهو الانسب بقوله تعالى
الله يعلمهم اى لا غيره فان اعيانهم معلومة لغيره تعالى ايضا وما تنفقوا من شيء للاعداد والعتاد قل او جل في سبيل الله
الذي اوضحه الجهاد يوف اليكم اى جزاؤه كاملا وانتم لا تظلمون بترك الاثابة او بنقص الثواب والتعبير عن تركها بالظلم
مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلما لبيان كمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره
عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى كما في تفسير قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم
وان جنحوا الجنوح الميل ومنه الجناح ويعدى باللام وبالى اى ان مالوا للسلم اى الصلح بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة
ما بكم من الاستعداد واعتاد العتاد فاجنح لها اى للسلم والتأنيث لحمله على نقيضه قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب
يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف ان يظهروا لك السلم وجوانحهم مطوية على المكر والكيد
انه تعالى هو السميع فيسمع ما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع العليم فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم
في نحرهم والآية خاصة باليهود وقيل عامة نسختها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك باظهار السلم وابطان
الحراب فان حسبك الله اى فاعلم ان محسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم هو الذي ايدك بنصره تعليل لكفايته
تعالى اياه عليه السلام بطريق الاستئناف فان تأييده تعالى اياه فيما سلف على ما ذكر من الوجه البعيد من الوقوع من دلائل تأييده تعالى
فيما سيأتي اى هو الذي ايدك بامداده من عنده بلا واسطة كقوله تعالى وما النصر الا من عند الله او بالملائكة مع خرقه للعادات وبالمؤمنين
من المهاجرين والانصار والف بين قلوبهم مع ما كان بينهم قبل ذلك من العصبية والضغينة والتهالك على الانتقام

بحيث لايكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة وهذا من أبهر معجزاته ﷺ لو أنفقت ما في الأرض جميعا
اى لتأليف ما بينهم ما ألفت بين قلوبهم استئناف مقرر لما قبله ومبين لعزة المطلب وصعوبة المأخذ أى تناهى التعادى فيما بينهم
الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات البين جميع ما في الأرض من الاموال والذخائر لم يقدر على تأليف والاصلاح وذكر القلوب
للاشعار بان التأليف بينها لا يتأتى وان امكن التأليف ظاهرا ولكن الله ألف بينهم قلبا وقالبا بقدرته الباهرة
إنه عزيز كامل القدرة والغلبة لا يستعصى عليه شئ مما يريده حكيم يعلم كيفية تسخير ما يريده وقيل الآية في الاوس والخزرج
كان بينهم احن لا امد لها وما نوائر فتت اعضادهم واعاظمهم ورفت اعناقهم وجاجهم فانساهم الله عز وجل جميع ذلك والف بينهم بالاسلام
حتى تصافوا واصبحوا يرمون عن قوس واحدة وصاروا انصارا يا أيها النبي شروع في بيان كفاية تعالى اياه ﷺ في مادة خاصة
وتصدير الجملة بحرف النداء والتنبيه للتنبيه على عزيد الاعتناء بمضمونها وايراده ﷺ بعنوان النبوة للاشعار بعليتها للحكم حسبك الله
اى كافيك في جميع الامور كل وفيما بينك وبين الكفرة من الحراب ومن اتبعك من المؤمنين في محل النصب على انه مفعول له
اى كفاك وكفى اتباعك الله ناصرا كما في قول من قال فحسبك والضحاك غضب مضند وقيل في موضع الجر عطفا على الضمير كما هو راى
الكوفيين اى كافيك وكافيهم او في محل الرفع عطفا على اسم الله تعالى اى كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت في البيداء في غزوة بدر
قبل القتال وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا وستة نسوة ثم اسلم عمر رضه فنزلت ولذلك قال
ابن عباس رضه نزلت في اسلام عمر رضه يا أيها النبي بعد ما بين كفاية اياهم بالنصر والامداد امرهم عليه السلام بترتيب مبادى
نصره وامداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لاظهار كمال الاعتناء بشان الامور حرض المؤمنين على القتال اى بالغ
في حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما امكن من الامور المرغبة اليه اعظمها تذكير وعده تعالى بالنصر وحكمه بكفايته تعالى او بكفايتهم واصل
التحريض الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقال الراغب كأنه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد
به وقيل فالاولى ان يجعل الحرض عبارة عن ضعف القلب الذى هو من باب نهك المرض وقيل معنى تحريضهم تشجيعهم وحثا
بان يقال اني اراك في هذا الامر حرضا اى محرضا فيه لترتيبه الى الاقدام وقوى حرض بالصاد المهملة وهو واضح ان يكن منكم
عشرون صابرون يغلبوا مائتين وعد كريم منه تعالى بتغليب كل جماعة من المؤمنين على عشرة امثالهم بطريق الاستئناف
بعد الامر بتحريضهم وقوله تعالى وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا مع انتهام مضمونه مما قبله لكون كل منهما عدة بنا بيد الواحد
على العشرة لزيادة التقرير المفيدة لزيادة الاطمئنان على انه قد يجرى بين الجمعين القليلين ما لا يجرى بين الجمعين الكثيرين مع التفاوت
فيما بين كل من الجمعين القليلين والكثيرين على نسبة واحدة فبين ان ذلك لا تفاوت في الصور بين وقوله تعالى من الذين كفروا
بيان للالف وهذا القيد معتبر انما بين ايضا وقد ترك ذكره تعويلا على ذكره هناك كما ترك قيد الصبر هنا مع كونه معتبرا ايضا ثمة
بذكره هناك بانهم قوم لا يفقهون متعلق بيغلبوا اى بسبب انهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الآخر لا يقاتلون احتسابا
وامتثالا لاوامر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء لرضوانه كما هو المؤمنون وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان
واثارة نائرة البغى والعدوان فلا يستحقون الا القهر والخذلان واما ما قيل من ان من لا يؤمن بالله واليوم الآخر
لا يؤمن بالمعاد والسعادة عنده ليست الا هذه الحيوة الدنيوية فيشتد بها ولا يوطنها للقاء الى مزاولة الحروب واقتحام مواقع الحتوف
فيميل الى ما فيه السلامة فيغلب واما من اعتقد ان لا سعادة في هذه الحيوة الفانية وانما السعادة هي الحيوة الباقية
فلا يبالي بهذه الحيوة الدنيا ولا يتيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوى وعزم صحيح فيقوم الواحد من مثله مقام الكثير
فكلام حق لكن لا يلائم المقام الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا لما كان الوعد السابق مقتضيا لان يجاب
معاونة الواحد للعشرة وغلبته لهم كما نقل عن ابن جريج انه كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وقد رغب رسول الله حرضه

فی ثلثین راکبا فلقی ایاجهل فی ثلثمائة راکب فهزمهم تعالی ذلک علیهم وضحاه منه بعد مدة فنسخ وخفف عنهم بمعاونة الواحد الاثنین
وقیل کان فیهم قلة فی الابتداء ثم لما کثر وانزل التخفیف والمراد بالضعف ضعف البدن وقیل ضعف البصیرة وکانوا متفاوتین فی
الی الاقال الا الضعف فی الدین کما قیل وقری ضُعفا بضم الضاد وهی لغة فیه کالفقر والفقر والمکث والمکث وقیل الضعف بالفتح
ما فی الرای والعقل وبالضم ما فی البدن وقری ضعفاء جمع ضعیف والمراد بعلمه تعالی بضعفهم علمه تعالی به من حیث هو متحقق بالفعل لا علمه
تعالی به مطلقا کیف لا وهو ثابت فی الازل وقوله تعالی فان یکن منکم مائة صابرة یغلبوا مائتین تقریر للتخفیف وبیان لکیفیته وقری
تکن ههنا وفیما سبق بالتاء والفوقانیة وان یکن منکم الف یغلبوا الفین باذن الله ای بتیسیره وتسهیله وهذا القید معتبر
فیما سبق من غلبة المائة المائتین والالف وغلبة العشرین المائتین کما ان قید الصبر معتبر ههنا وانما ترک ذکره ثقة بما قرر بعده تعالی
والله مع الصابرین فانه اغراض تذییلی مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعیة معیة نصره وتاییده ولم یتعرض ههنا لحال الکثرة من الخذلان
کما لم یتعرض هناک لحال المؤمنین مع ان مدار الغلبة فی الصورتین مجموع الامرین اعنی نصر المؤمنین وخذلان الکثرة اکتفاء باذکر فی کل
مقام عما ترک فی المقام الآخر وما یشوبه کلمة مع من متبوعیة مدلولها الاصالتهم من حیث انهم المباشرون للصبر کما قرر آنفا ما کان لنبی
وقری للنبئ والاول ابلغ لما فیه من بیان ان ما نذکر سنة مطردة فیما بین الانبیاء علیهم السلام ای ما صح وما استقام لنبی من الانبیاء قط
ان یکون له اسری وقری بتانیث الفعل والساری ایضا حتی یثخن فی الارض ای یکثر فی القتل وجعله بحیث لا حراک به وللابالغ
واصل الاثخان التی هی الغلظ والکثافة وقری بالتشدید للمبالغة تریدون عرض الدنیا استئناف مسوق للعتاب ای ترید ون
حطامها باخذکم الفداء وقری یریدون بالیاء والله یرید الآخرة ای یرید لکم ثواب الآخرة الذی لا مقدار عنده للدنیا وما فیها
او یرید سبب نیل الآخرة من اعزاز دینه وقمع اعدائه وقری بجر الآخرة علی حذف المضاف کما فی قوله اکل امری تحسبین امرءا
ونار توقد باللیل نارا والله عزیز یغلب اولیاءه علی اعدائه حکیم یعلم ما یلیق بکل حال ویخصه بها کما امر بالاثخان ونهی
عن اخذ الفداء حین کانت الشوکة للمشرکین وخیر بینه وبین المن بقوله تعالی فاما منا بعد واما فداء لما تحولت الحال وصارت الغلبة
للمؤمنین روی ان رسول الله صلی الله علیه وسلم اتی بسبعین اسیر افیهم العباس وعقیل بن ابی طالب فاستشارهم فقال ابوبکر
قومک واهلک استبقهم لعل الله یتوب علیهم وخذ منهم فدیة تقوی بها اصحابک وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الکفر فقال لعباس
عن الفداء مکان علیا من عقیل وحمزة من العباس ومکنی من فلان النسیب له فلنضرب اعناقهم فقال ع ما ان الله لیلین قلوب
رجال حتی یکون الین من اللبن وان الله لیشدد قلوب رجال حتی یکون اشد من الحجارة وان مثلک یا ابابکر مثل ابراهیم
قال فمن تبعنی فانه منی ومن عصانی فانک غفور رحیم ومثلک یا عمر مثل نوح قال رب لا تذر علی الارض من الکافرین دیارا
فخیره اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر علی رسول الله صلی الله علیه وسلم فاذا هو وابوبکر رضه یبکیان فقال یا رسول الله
اخبرنی فان وجدت بکاء بکیت والا تباکیت فقال ابکی علی اصحابک فاخذهم الفداء ولقد عرض علی عذابهم ادنی من هذه الشجرة
لشجرة قریبة منه وروی انه علیه السلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا غیر عمر وسعد بن معاذ رضه وکان هو ایضا ممن اثار
بالاثخان ولولا کتاب من الله سبق ای لولا حکم منه تعالی سبق اثباته فی اللوح المحفوظ وهو ان لا یعاقب المخطئ فی اجتهاد
او ان لا یعذب اهل بدر لو قوما لم یصرح لهم بالنهی والاذن الفدیة التی اخذوها استحل لهم فلا یصلح لهم ان یعد من موانع مساس
العذاب فان الحل اللاحق لا یرفع حکم الحرمة السابقة کما ان الحرمة اللاحقة لذلک الحل مثلا لا یرفع حکم الاباحة السابقة علی انه
قادح فی تهویل ما نعی علیهم من اخذ الفداء لمسکم ای لاصابکم فیما اخذتم ای لاجل ما اخذتم من الفداء عذاب عظیم
لا ینغمر قدره فکلوا مما غنمتم روی انهم امسکوا عن الغنائم فنزلت قالوا الفاء لترتیب ما بعدها علی سبب محذوف
ای قد احللت لکم الغنائم فکلوا مما غنمتم والاظهر انها للعطف علی مقدر یقتضیه المقام ای دعوه فکلوا مما غنمتم وقیل الاباحة

فاتقوا الله ان الله غفور رحیم

عن الغدية فانها من جملة الغنائم وايا ما سباق النظم الكريم وسياقه حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اكلا حلالا
وفائدة الترغيب في اكلها وقوله تعالى طيبا صفة لحلالا منبهة على تاكيد الترغيب واتقوا الله اى في مخالفة اوامره ونواهيه
ان الله غفور رحيم فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الغداء قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اتقيتموه
يا ايها النبي قل لمن في ايديكم اى في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم من الاسرى وقرئ من الاسارى ان يعلم الله
في قلوبكم خيرا اخلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء وقرئ اخذ على البناء للفاعل روى انها نزلت
فالعباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي ابني اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال ايا محمد تركتني اتكفف
قريشا ما بقيت فقال له عليه السلام فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي
هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله والفضل فقال العباس ما يدريك فقال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق
وان لا اله الا الله وانك عبد ورسوله وانه لم يطلع عليها احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت خزانا بارك
فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس بعد حين فابدلني الله خيرا من ذلك الآن عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب في عشر
الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي بنا ول ما في قوله تعالى ويغفر لكم والله
غفور رحيم فانه وعد بالمغفرة مؤكدة بما بعده من الاغراض التذييلي وان يريدوا خيانتك اى بعد ما بايعوك على
من الاسلام وهذا الكلام مسوق من جهته تعالى لتسلية رسوله والوعد لهم فقد خانوا الله من قبل بكفرهم ونقض ما اخذ
على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم اى اقدرك عليهم حسبما رايت يوم بدر فان اعادوا الخيانة فاعلم انه سيمكنك منهم ايضا
وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء وهو بعيد والله عليم فيعلم ما في نياتهم وما يستحقونه من العقاب حكيم
يفعل كل ما يفعله حسبما يقتضيه حكمته البالغة ان الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون ما جروا اوطانهم حبا لله ورسوله
وجاهدوا باموالهم بان صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على المجاهدين وانفسهم بمباشرة القتال واقتحام
المعارك والخوض في المهالك في سبيل الله متعلق بجاهدوا قيد لنوع الجهاد ولعل تقديم الاموال على الانفس
لان المجاهدة بالاموال اكثر وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث لا يقدر المجاهد بالنفس بلا مجاهدة بالمال والذين
اووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين وانزلوهم منازلهم وبذلوا لهم اموالهم وآثروهم على انفسهم ولو كان بهم
خصاصة ونصروهم على اعدائهم اولئك اشارة الى الموصوفين باكمل ما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه من معنى البعد للايذان
ببلوغ طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضيلة وهو مبتدا وقوله تعالى بعضهم اما بدل منه وقوله تعالى اولياء بعض خبره والجملة
ثان واولياء بعض خبره والجملة خبر للمبتدا الاول اى بعضهم اولياء بعض في الميراث وقد كان المهاجرون والانصار يتوارثون
بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله تعالى واولوا الارحام الآية وقيل في النصرة والمظاهرة وبرده قوله تعالى
فعليكم النصر بعد نفي موالاتهم والذين آمنوا ولم يهاجروا كسائر المؤمنين ما لكم من ولايتهم من شيء اى من توليتهم
في الميراث وان كانوا من اقرب اقاربكم حتى يهاجروا وقرئ بكسر الواو تشبيها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة
وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم منهم وبينكم
وبينهم ميثاق معاهدة فانه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير فلا تخالفوا امره كي لا يحل
بكم عقابه والذين كفروا بعضهم اولياء بعض آخر منهم اى في الميراث او في الموازرة وهذا مفهوم ما عهد لنفي الموارثة والموازرة
بينهم وبين المسلمين والايجاب المواعدة والمصادقة وان كانوا اقارب الا تفعلوه اى ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم
لبعض في التوارث ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض اى تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف

الايمان

وظهور الكفر وفساد كبير في الارض وقرئ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا
اولئك هم المؤمنون حقا كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم القدح المعلى من الايمان مع الموعد الكريم لقوله تعالى
لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه فلا تكرار لان مساق الاول لايجاب التوصل بينهم والذين آمنوا من بعد وهاجروا
وجاهدوا معكم في بعض مغازيكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاؤا من بعدهم
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الهمهم الله تعالى باتباعهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا في الايمان
والهجرة وفي توجيه الخطاب اليهم بطريق الالتفات من تشريفهم ورفع محلهم ما لا يخفى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض آخر منهم
في التوريث من الاجانب في كتاب الله اي في حكمه او في اللوح او في القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل
شئ عليم ومن جملة ما في تعليق التوارث بالقرابة الدينية اولا وبالقرابة النسبية آخرا من الحكم البالغة عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانهما تشفعان له يوم القيمة وتشهد بانه بريء من النفاق
واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته

سورة التوبة وهي مائة وثلاث وعشرون وتسع آيات

ولها اسماء سورة التوبة والمقشقشة والبحوث والمنقرة والمبعثرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة
والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من ذكر التوبة ومن التبرئة من النفاق والبحث والتنفير
عن حال المنافقين واثارتها والحوز عنها وما يجر بهم ويثيرهم ويدمدم عليهم واشتهارها بهذه الاسماء يقضي بانها سورة
مستقلة وليست بعضا من سورة الانفال او بعضا مختصا بالانفال ما بين ما باستقلالها خلاف الظاهر فيكون حكمة ترك
التسمية عند النزول نزولها في رفع الامان الذي ينافي مقامه التصدير بما يشعر ببقائه مما ذكر اسمه تعالى مشعرا بوصف الرحمة كما روي
عن ابن عيينة رضه لا لاشتباهها وعدم تمايزهما كما يحكى عن ابن عباس رضه ولا رعاية لما وقع بين الصحابة رضه من الاختلاف في ذلك
على ان ذلك ينزع الى القول بان التسمية ليست من القرآن وانما كتبت للفصل بين السور كما نقل من قدماء الحنفية وان مناط
اثباتها في المصاحف وتركها انما هو رأي من تصدى لجمع القرآن دون التوقيف ولا ريب في ان الصحيح من المذاهب انها آية
فرع من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وان لا مدخل لرأي احد في الاثبات والترك وانما المتبع في ذلك هو الوحي
والتوقيف ولا مرية في عدم نزولها ههنا وانه لا سبيل الى الاول وللنبي صلى الله عليه وسلم ليتحقق فرد الحاجة الى البيان
لتعاضدهما وله ان استقلال من كثرة الآيات وطول المدة فيما بين نزوليهما فحيث لم يتبين عدم تعين الثاني لان عدم البيان
من الشارع في موضع البيان بيان للعدم براءة خبر مبتدإ محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب على اسمعوا براءة
ومن في قوله عز وجل من الله ورسوله ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفته لها ليفيد تاكيد زيادة تفخيم وتهويل اي هذه
براءة مبتدأة من جهة الله عز وجل ورسوله واصلة الى الذين عاهدتم من المشركين وانما لم يذكر ما تعلق به البراءة
صريحا كما ذكر في قوله تعالى ان الله بريء من المشركين اكتفاء بما في حيز الصلة فانه منبئ عنه انباء ظاهرا واضرارا عن تكرير
لفظ من وقيل هي مبتدأ لتخصصها بالصفة اي الذين الخ والذي يقتضيه جزالة النظم هو الاول لان هذه البراءة
امر حادث لم يعهد عند المخاطبين ذاتها ولا عنوان ابتدائها من الله ورسوله حتى يخرج ذلك العنوان مخرج الصفة لها
ويجعل المقصود بالذات والعمدة في الاخبار شيئا آخر هو وصولها الى المعاهدين فانما الحقيق بان يعتنى بافادته حدوث
تلك البراءة من جهته تعالى ووصولها اليهم فان حق الصفة ان تكون قبل علم المخاطب بثبوتها للموصوف بها ان تكون اخبارا
وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها لما هي لان تكون صفات لما حقق في موضعه وقرئ من الله بكسر النون على ان الاصل في تحريك

لامتناع ان يقع في الاستقلال الاشتباه او الاختلاف فهو اي للاتحاد والتغاير كما ذكرنا

الكشاف والقاضي

الساكن الكسر ولكن الوجه هو الفتح فى لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع والعهد الموثق باليمين والخطاب فى عاهدتم للمسلمين وقد كانوا عاهدوا مشركى العرب من اهل مكة وغيرهم باذن الله تعالى واتفاق الرسول عليه السلام فنكثوا الا بنى ضمرة وبنى كنانة ظاهر المسلمون بنبذ العهد الى الناكثين وامهلوا الى اربعة اشهر ليسيروا اين ماشاؤا وانما ثبتت البراءة الى الله تعالى ورسوله مع ثبوتها للمسلمين واشتراكهم فى حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصة مع كونها باذن الله تعالى واتفاق الرسول عليه السلام للانباء عن تنجز ما وتحتمها من غير توقف على رأى المخاطبين لانها عبارة عن ارتفاع حكم الامان ورفع الحظر المترتب على عهدالسابق عن التعرض للكفرة وذلك منوط بجناب الله عز وجل لانه المدبر الآمر الجارية على حسب حكمته تقتضيها وداعية تستدعيها تترتب عليها انما من غير توقف على شئ اصلا واشتراك المسلمين فى حكمها ووجوب العمل بموجبها انما هو على طريقة الامتثال بالامر لا على ان يكون لهم مدخل فى اقامتها او فى ترتب احكامها عليها وانما المعاهدة فحيث كانت عقد من العقود الشرعية لا تحصل فى نفسها ولا تترتب عليها احكامها الا بمباشرة المتعاقدين على وجه مخصوص اعتبرها الشرع لم يتصور صدورها عنه سبحانه وانما الصادر عنه فى شانها هو الاذن فيها وانما الذى يباشرها ويتولى اجراءها المسلمون ولا يخفى ان البراءة انما تتعلق بالعهد المابوذن فيه فنسبت كل واحدة منهما الى من هو من اصله فيها على ان ذلك تفخيما لشان البراءة وتهويلا لامرها وتسجيلا على الكفرة بغاية الذل والهوان ونهاية الخزى والخذلان وتنزيلا لساحة الكبرياء والسبحان عما يوهم شائبة النقص والعدوان تعالى عن ذلك علوا كبيرا وادراجه عليه السلام فى النسبة الاولى وافرادها بالثانية لتنويه شانه الرفيع واجلال قدره المنيع فكلا المعاهدين وآثار الجملة الاسمية على الفعلية كان يقال قد برئ الله ورسوله من الذين او نحو ذلك للدلالة على دوامها واستمرارها وللتوسل الى تهويلها بالتنوين التفخيمى كما اشير اليه فسيحوا السياحة والتسيح الذهاب فى الارض والسير فيها بسرعة على مقتضى المشية كتسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه ما ليس فى سيروا ونظائره وزيادة قوله تعالى فى الارض لقصد التعميم لاقطارها من دار الاسلام وغيرها والمراد اباحة ذلك لهم وتخليتهم وشانهم من الاستعداد للحرب او تحصيل الامن والمال او تحصيل المهرب او غير ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها وتلوين الخطاب بصرفه عن المسلمين وتوجيهه اليهم مع حصول المقصود بصيغة امر الغائب ايضا للمبالغة فى الاعلام بالامهال صونا لمادة تظلمهم بالعجلة وقطعا لمعاذيرهم بعدم الاستعداد وآثار صيغة الامر مع تاتى افادة ذلك المعنى بطريق الاخبار ايضا كان يقال مثلا فلكم ان تسيحوا او نحو ذلك لاظهار كمال القوة والغلبة وعدم الاكتراث لهم ولاستعدادهم فكان ذلك امرا مطلوبا منهم والغاء الترتيب الامر بالسياحة مما يعقب على ما بوذن به البراءة المذكورة من الحراب على ان الاول مترتب على نفيه والثانى بكلا متعلقيه على عنوان كونه من الله العزيز للترتب الاول عليه وان ثانى على الاول كما فى قوله تعالى قل سيروا فى الارض فانظروا الخ كانه قيل هذه براءة موجبة لفنائكم فاسعوا فى تحصيل العدد والاسباب وبالغوا فى اعداد العتاد من كل باب اربعة اشهر واعلموا انكم بمرأى منى فى اقطار الارض فى الوعر والطول وان ركبتم متن كل صعب وذلول غير معجزى الله اى لا تفوتونه بالهرب والتحصن وان الله مخزى الكافرين اى مخزيكم ومذلكم فى الدنيا بالقتل والاسر وفى الاخرة بالعذاب وآثار الاظهار على الاضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالاشراك والاستدراج فى الآخرة اى من كفرهم ويجوز ان يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا اوليا والمراد بالاشهر الاربعة هى الاشهر الحرم التى علق القتال بانسلاخها فقيل من شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وجعلت حرما لحرمة قتالهم فيها او لتغليب ذى الحجة والمحرم على البقية وقيل من عشر ذى القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى ذلك الوقت للشئ الذى كان فيهم ثم صار فى العام المقابل فى ذى الحجة وذلك قوله ء م ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض روى انه عليه السلام امر ابى بكر رضه على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضه

اعلموا
شيحوا

على القضاء لينبذها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني وذلك لان عادة العرب ان لا يتولى
امر العهد والنقض على القبيلة الا رجل منها فلما دنا علي سمع ابو بكر رضه الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فمضيا فلما كان قبل يوم التروية خطب ابو بكر رضه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة
العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت
بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده واذان من الله ورسوله
اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالعطاء بمعنى الاعطاء ورفعه كرفع براءة والجملة معطوفة على مثلها واما قيل الى الناس
اي كافة لان الاذان غير مختص بقوم دون آخرين كالبراءة الخاصة بالناكثين بل هو شامل للعامة الكفرة وللمؤمنين ايضا يوم الحج الاكبر
هو يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع
فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج
ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين
ان الله بان الله وقرئ بالكسر لان الاذان فيه معنى القول بريء من المشركين اي المعاهدين الناكثين ورسوله عطف
على المستكن في بريء او على محل ان واسمها على قراءة الكسر وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار
وقيل على القسم فان تبتم من الكفر والغدر التفات من الغيبة الى الخطاب لزيادة تهديد وتشديد والفاء لترتيب مقدم الشرط
على الاذان بالبراءة المزيلة بالوعيد الشديد المؤذن بلين عريكتهم وانكسار شوكتهم فهو اي فالتوب خير لكم اي في الدارين
وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله غير سابقين ولا فائتين وبشر الذين
كفروا تلوين للخطاب وصرفه عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان البشارة بعذاب اليم وان كانت بطريق التهكم انما تليق
بمن يقف على الاسرار الالهية الا الذين عاهدتم من المشركين استدراك من النبذ السابق الذي اخر فيه القتال اربعة اشهر كانه قيل
لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين عاهدتموهم ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين في المسارعة الى قتالهم
بل اتموا اليهم عهدهم ولا يضر في ذلك تخلل الفاصل بقوله واذان من الله لانه ليس باجنبي بالكلية بل هو امر باعلام تلك البراءة
كانه قيل واعلموا وقيل هو استثناء متصل من المشركين الاول ويرده بقاء الثاني على العموم مع كونهما عبارة عن فريق واحد وجعله استثناء
من الثاني يأباه بقاء الاول كذلك وقيل هو استدراك من المقدر في فسيحوا اي فقولوا لهم سيحوا اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم منهم ثم
لم ينقصوكم شيئا من شروط الميثاق ولم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط وقرئ بالمعجمة اي لم ينقضوا عهدكم شيئا من النقض وكلمة ثم للدلالة
على ثباتهم على عهدهم مع تمادي المدة ولم يظاهروا اي لم يعاونوا عليكم احدا من اعدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة في غيبة رسول الله عم
فظاهرتهم قريش بالسلاح فاتموا اليهم عهدهم اي ادوه اليهم كاملا الى مدتهم ولا تفاجؤهم بالقتال عند مضي الاجل المضروب للناكثين
ولا تعاملوهم معاملتهم قال ابن عباس رضه بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ان الله يحب المتقين تعليل لوجوب
الامتثال وتنبيه على ان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفي والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا
فاذا انسلخ اي انقضى استعير من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده والاغلب اسناده الى الجلد والمعنى اذا انقضى الاشهر الحرم
وانفصلت عما كانت مشتملة عليه سائرة له انفصال الجلد عن الشاة وانكشفت عنه انكشاف الحجاب عما وراءه كما ذكره ابو الهيثم من انه
يقال اهللنا شهر كذا اي دخلنا فيه ولبسناه فنحن نزداد كل يوم لباسا منه الى مضي نصفه ثم نسلخه عن انفسنا جزءا فجزءا حتى نسلخه عن انفسنا كله
فينسلخ وانشد اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله كفى قاتلا سلخي الشهور واهلالي وتحقيقه ان الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال
الجلد للحيوان وكذا كل جزء من اجزائه الممتدة من الايام والشهور والسنين فاذا مضى فكأنه انسلخ عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه

العضباء لقب ناقة رسول الله عليه السلام

عطف القصة على القصة

اي الاعراض

ونحو ما حسد وعدت العداء بالفتح وتجاوز الحد في الظلم

وقد يسند الى الحيوان ومنه انا في المسلوخة

٥

الاشهر

من التلويح بان تلك الاشهر كانت حرزا لاولئك المعاهدين عن غوائل ايدى المسلمين فبسط قالهم بزوالها والمراد بها اما ما مر من الاربعة فقط ووضع المظهر موضع المضمر ليكون ذريعة الى وصفها بالحرمة تاكيدا لما ينبئ عنه اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء بشانها او هى مع ما فهم من قوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من تتمة مدة بقيت لغير الناكثين فعلى الاول يكون المراد بالمشركين فى قوله تعالى فاقتلوا المشركين الناكثين خاصة فلا يكون قتال الباقين منهوما من عبارة النص بل من دلالة وعلى الثانى منهوما من العبارة الا انه يكون الانسلاخ ومابنط به من القتال حكما شرعيا لا وقعة واحدة كانه قيل فاذا تم ميقات كل طائفة فاقتلوهم وحملها على الاشهر المعهودة الدائرة فى كل سنة لا يباعده النظم الكريم واما انه يستدعى لقاء وحمة القتال فيها اذ ليس فيما نزل بعد تسخها فلا اعتداد به لانا نسخت بقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كما توهم فانه رجم بالغيب لانه ان اريد به ما فى سورة الانفال فانه نزل عقيب غزوة بدر وقد صح ان المراد بالذين كفروا فى قوله تعالى للذين كفروا الى ابو سفيان واصحابه وقد سلم فى اواسط رمضان عام الفتح سنة ثمان وسورة التوبة انما نزلت فى سورة آل ستة تسع وان اريد ما فى سورة البقرة فانه ايضا نزل قبل الفتح كما يرب عنه ما قبله من قوله اخرجوهم من حيث اخرجوكم اى من مكة وقد فعل ذلك يوم الفتح فكيف ينسخ به ما نزل بعده بل لان انعقاد الاجماع على انتفائها كاف فى الباب من غير حاجة الى كون سنده منقولا الينا وقد صح ان النبى عليه السلام حاصر الطائف لعشرين يوما بين من المحرم حيث وجدتموهم من رحل وحرم وخذوهم اى اسروهم والاخذ الاسر واصروهم اى قيدوهم وامنعوهم من التقلب فى البلاد وقال ابن عباس صيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اى كل ممر ومجاز يجتازون منه لاسفارهم وانتصابه على الظرفية اى اقصدوهم وارقبوهم حتى لا يمروا بهم وفائدته على التفسيرين دفع احتمال ان يراد بالحصر المحاصرة المعهودة فان تابوا عن الشرك بالايمان عجبا اضطروا اليه مما ذكر من القتل والاسر والحصر وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم والكف بذكرهما عن ذكر بقية العبادات لكونهما رئيسى العبادات البدنية والمالية فخلوا سبيلهم فدعوهم وشانهم ولا تتعرضوا لهم بشئ مما ذكر ان الله غفور رحيم بغفرانهم ما قد سلف من الكفر والعدر ويشبههم بايمانهم وطاعاتهم وهو تعليل للامر بتخلية السبيل وان احد شروع فى بيان حكم المتصدين لمبادى التوبة من سماع كلام الله تعالى والوقوف على شعائر الدين اثر بيان حكم التائبين عن الكفر والمصرين عليه وهو مرتفع بشرط مضمر يغنى عنه الفعل الا بالابتداء لان ان لا تدخل الا الفعل من المشركين استجارك بعد انقضاء الاجل المضروب لاهل الشرك ان تؤمنه وتكون له جارا فاجره اى آمنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة ما يدعو اليه والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شئ آخر فان الفهم لكونهم من اهل اللسن والفصاحة وحتى سواء كانت للغاية او للتعليل متعلقة بما عندها لا بقوله استجارك لانه يؤدى الى اعمال حتى فى المضمر وذلك مما لا يكاد يرتكب فى غير ضرورة الشعر كما فى قوله فلا والله لا يلبق انا سن فمن صناك يا ابن ابى يزيد الا ان تعلق الاجارة بسماع كلام الله تعالى بالوجهين يستلزم تعلق الاستجارة ايضا كذلك وبما فى معناه من امور الدين وما روى عن على رضى الله عنه انه جاء رجل من المشركين فقال ان اراد الرجل منا ان ياتى محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله تعالى او لحاجة قيل قال لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك فاجره الخ فالمراد بما فيه من الحاجة ما يعم الحاجات الدنيوية كما ينبئ عنه قوله ان ياتى محمدا فان من ياتيه عليه السلام لامر من الامور المتعلقة بالدين ثم ابلغه بعد استماعه له ان لم يؤمن ثم امنه اى سكنه الذى يامن فيه وهو دار قومه ذلك يعنى الامر بالاجارة والابلاغ الى المامن بانهم بسبب انهم قوم لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقته او قوم جهلة فلا بد من اعطاء الامان حتى يتبين الحق ولا يبقى لهم معذرة اصلا كيف يكون للمشركين عهد شروع فى تحقيق ما سبق من البراءة واحكامها المترتبة عليها وتبيين الحكمة الداعية الى ذلك والمراد بالمشركين الناكثون لان البراءة انما هى شانهم والاستفهام انكارى لا بمعنى النفى الراجح كما فى قوله تع كيف تكفرون بالله الخ الكافر الوقح

ذكره صاحب النقاية ناقلا عن المبسوط منه

ويكون من الكون التام وكيف في محل النصب على التشبيه بالحال او الظرف وقيل من الكون الناقص وكيف خبر يكون قدم على اسمه
وهو عهد لاقتضائه الصدارة وللمشركين متعلق بمحذوف وقع حالا من عهد ولو كان مؤخرا لكان صفة له او يكون عند من يجوز
عمل الافعال الناقصة في الظروف وعند متعلق بمحذوف وقع صفة لعهد او بنفسه لانه مصدر او يكون كما قرر ويجوز ان يكون الخبر للمشركين
وعند كما ذكر او متعلق بالاستقرار الذي تعلق به للمشركين ويجوز ان يكون الخبر عند الله وللمشركين اما تبيين وامّا حال من عهد وامّا متعلق
بيكون او بالاستقرار الذي تعلق به الخبر ولا يجيء بتقديم معمول الاسم على الاسم لكونه حرف جر ويكفي على الوجهين الاخيرين نصب على التشبيه بالظرف
او الحال كما في صورة الكون التام وهو الاولى لان في انكار ثبوت العهد فرع من المبالغة ما ليس في انكار ثبوته للمشركين لان ثبوته الرابطي
فرع ثبوته العيني فانتفاء الاصل يوجب انتفاء الفرع رأسا وفي توجيه الانكار الى كيفية ثبوت العهد من المبالغة ما ليس في توجيهه الى ثبوته
لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني
اه على اي حال اوفى اي حال يوجد لهم عهد معتد به عهد عند الله وعند رسوله بسبب ان يراعى حقوقه ويحافظ عليه الى تمام المدة
ولا يتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا وامّا ان يأمنوا به من عذاب الآخرة كما قيل فلا سبيل له اعتباره اصلا اذ لا دخل لعهدهم في ذلك
الا من حطما وان كان مرعيا عند الله تعالى وعند رسوله كعهد غيرهم الناكثين وتكرير كلمة عند للايذان بعدم الاعتداد به عند كل منهما على حدة
الا الذين استدراك من النفي المفهوم من الاستفهام المستتبع لشموله لجميع المعاهدين اي لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام
وهم المستثنون فيما سلف فالتعرض لكون المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة بيان اصحابها والا فشعار بسبب وكادتها ومحل الرفع
على الابتداء خبره قوله عز وجل فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم والفاء لتضمنه معنى الشرط وما امّا مصدرية منصوبة المحل
على الظرفية بتقدير المضاف اي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم والشرطية منصوبة المحل على الظرفية الزمانية اي اي زمان
استقاموا لكم فاستقيموا لهم او مرفوعة على الابتداء والعائد محذوف اي اي زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم فيه وقيل
الاستثناء متصل محل النصب على ان صلة الجزء على البدل من المشركين والمراد بهم الجنس لا المعهود وايا ما كان فحكم الامر بالاستقامة
ينتهي بانتهاء مدة العهد لان استقامتهم التي وقت بدقتها الاستقامة المأمور بها عبارة عن مراعاة حقوق العهد وبعد انقضاء مدته
لا عهد ولا استقامة حتى يراعى الامر الوارد فيما سلف حيث قيل فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم فلا انه قد صرح ههنا بما لم يصرح به هناك
مع كونه مقررا قطعا وهو سد الاتمام المأمور به ببقائهم على ما كانوا عليه من الوفاء ان الله يحب المتقين تعليل للامر بالاستقامة
واشعار بان القيام بموجب العهد من احكام التقوى كما مر تكرير كيف لاستنكار ما مر من ان يكون للمشركين عهد حتى يطرأ عليه ما يطرأ
عند الله تعالى وعند رسوله واما ما قيل من انه من استبعاد ثباتهم على العهد فحكما ترى لان ما يذكر بعد التعليل للاستبعاد على عدم ثباتهم
على العهد لا انه شيء يستدعيه وانما اعيد الاستنكار والاستبعاد تأكيدا لتعدد العلل الموجبة لان اخلال نحو الخيانة بالارتباط
والتقريب وحذف الفعل المستنكر للايذان بالنفس مستحضرة له مترقبة لورود ما يوجب استنكاره لا لمجرد كونه معلوما كما في قوله
وحيز ما ان اتما الموت بالذي فكيف وما تا محضبة وطيب فانه علة مصححة لا موجبة اي كيف لهم عهد معتد به عند الله تعالى وعند رسوله
وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم اي لم يراعوا شانكم واصل الرقوب النظر
بطريق الحفظة والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل في مطلق الرعاية والمراقبة ابلغ منه كالمراعاة وفي نحو الرقوب من
ما ليس في نفيها الا ولا ذمة اي حلفا وقيل قرابة ولا عهدا او حقا يعاب على اغفاله مما سبق لهم من تاكيد الايمان
والمواثيق يعني ان وجوب مراعاة حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروط بمراعاة الآخر لها فاذا لم يراعها المشركون
فكيف تراعونها على منوال قول من قال غلام نقبل منهم فدية وهم لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا وقيل الجوار وماله
الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم لشهرته ولما كان تعليق عدم رعاية العهد بالظفر موهما للرعاية

المالغة

عند عدم كشف عن حقيقة شئونهم الجلية والخفية بطريق الاستئناف وبين انهم فى حالة البعد ايضا ليسوا من الوفاء فى شئ
وان ما يظهرونه مداهنة لانتهازه فقيل يرضونكم بافواههم حيث يظهرون الوفاء والمصافاة يعدون لكم بالايمان والطاعة
ويؤكدون ذلك بالايمان الفاجرة ويتملقون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة ونسبة الارضاء الى الافواه للايذان
بان كلامهم مجرد الفاظ يتفوهون بها من غير ان يكون لها مصداق فى قولهم مانيده كلامهم واكثرهم فاسقون عن الطاعة
فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة ممتنعون ليست لهم مروة رادعة ولا عقدة وازعة لا يتورعون عن كل قبيح
ممن يتعالى عن العذر ويتعفف عما يجر احدوثة السوء واشتروا بايات الله بايانه الآمرة بالايفاء بالعهود والاستقامة
فى كل امر وفى جميع آياته فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا اى تركوها واخذوا بدلها ثمنا قليلا اى شيئا حقيرا من حطام الدنيا
وهو اهواءهم وشهواتهم التى اتبعوها وما انفقه ابو سفيان من الطعام وصرفه الى الاعراب فصدوا اى عدلوا وانكبوا
من صد صدودا او صرفوا غيرهم من صد صدا والتاء للدلالة على سببية الاشتراء لذلك عن سبيله اى الدين الحق الذى
لاحيد عنه والاضافة للتشريف او سبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه انهم ساء ما كانوا يعملون اى بئس
ما كانوا يعملونه او عملهم المستمر والمخصوص بالذم محذوف وقد جوز ان يكون كلمة ساء على اصلها من التعرف لازمة بمعنى قبح
والمتعدية والمفعول محذوف اى ساءهم الذى يعملونهم او عملهم وقوله عز وعلا لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة تاكيد لما قبله
مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الاطلاق فلا تكرار وقيل هذا فى اليهود دون الاعراب المذكورين ومن يحذو حذوهم واما قيل
من انه تفسير لقوله تعالى يعلمون او دليل عليه ما هو مخصوص بالذم فمشعر باختصاص الذم والسوء بعلمهم هذا دون غيره والله اعلم
الموصوفون بما عدد من الصفات السيئة هم المعتدون المجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشرارة فان تابوا
اى عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم والفاء والا يذان بان توبتهم بما نفى عليهم من مساوى اعمالهم مزجرة عنها ومظنة للتوبة
واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة اى التزموهما وعزموا على اقامتها فاخوانكم اى فهم اخوانكم وقوله تعالى فى الدين متعلق
باخوانكم لما فيه من معنى الفعل اى لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم
ما لا مزيد عليه والاختلاف بين جواب هذه الشرطية وجواب التى مرت من قبل مع اتحاد الشرط فيهما لما ان الاولى سيقت اثر الاولى بفصل
ونظائره فوجب ان يكون جوابها اثرا بخلاف ذلك وهذه سيقت بعد الحكم عليهم بالاعتداء واشباهه فلا بد من كون جوابها اثرا
بخلافه البتة ونفصل الآيات اى نبينها والمراد بها اما ما مر من الآيات المتعلقة باحوال المشركين من الناكثين وغيرهم
واحكامهم حالتى الكفر والايمان واما جميع الآيات فيندرج فيها تلك الآيات اندراجا اوليا لقوم يعلمون اى ما فيها من الاحكام
او لقوم عالمين وهو اعراض للحث على التامل فى الاحكام المندرجة فى تضاعيفها والمحافظة عليها وان نكثوا عطف على قوله تعالى
فان تابوا اى وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا ايمانهم من بعد عهدهم الموثق بها واظهروا ما فى ضمائرهم من الشر واخرجوه من القوة
الى الفعل حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وان يظهروا عليكم لا يرقبوا الآية او ثبتوا على ما هم عليه من النكث لا انهم ارتدوا بعد الايمان كما قيل
وطعنوا فى دينكم قدحوا فيه بطى التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اى فقاتلوهم وانما اوثر على النظم الكريم
للايذان بانهم صاروا بذلك ذوى رياسة وتقدم فى الكفر احقاء بالقتل والقتال وقيل المراد بائمتهم رؤساؤهم وصناديدهم
وتخصيصهم بالذكر لما انهم قتلهم اولى للمنع من مراقبتهم لكونهم مظنة لها او للدلالة على استيصالهم فان قتلهم غالبا يكون
بعد قتل من دونهم وقرئ ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والافصح اخراج الثانية بين بين واما التصريح بالياء فلحن ظاهر
عند القراء انهم لا ايمان لهم اى على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون نقضها حذورا وان اخرجوها على السنتهم وانما علق
النفى بها كالنكث فيما سلف لانها بالعهد المؤكد بها اثرها العمدة فى المواثيق وجعل الجملة تعليلا للامر بالقتال لا بما عده تعليقه

بالنكث والطعن لان حالهم قران لا ايمان لهم حقيقة بعد النكث والطعن كما لهم قبل ذلك وحمله على معنى عدم بقاء ايمانهم بعد النكث
والطعن مع انه لا حاجة الى بيانه خلاف الظاهر ولعل الاولى جعلها تعليلا لمضمون الشرط كانه قيل وان نكثوا وطعنوا اذ لا ايمان
لهم حقيقة حتى لا ينكثوها او لاستمرار القتال المأمور به المستفاد من سياق الكلام كانه قيل فقاتلوهم الى ان يؤمنوا بهم لا ايمان لهم
حتى يعتقد معهم عهد آخر وقرئ بكسر الهمزة على انه مصدر بمعنى اعطاء الامان اى لا سبيل الى ان يقطعوهم امانا بعد ذلك ابدا والاكثر
كما قيل فلا وجه له لاشعاره بان معاهدتهم فلا يلائم بعد الانتهاء غاية للقتال فيما سيجئ فالوجه ان يجعل تعليلا لما ذكر من مضمون الشرط
كانه قيل ان نكثوا وطعنوا وهو الظاهر من حالهم لانه لا اسلام لهم حتى يرتدعوا عن نقض جنس ايمانهم وعن الطعن في دينكم لعلهم ينتهون
متعلق بقوله ع فقاتلوا اى قاتلوهم ارادة ان ينتهوا اى ليكن غرضكم من القتال انتهاؤهم عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم التي
ترتكبونها لا ايصال الاذية بهم كما هو دين الموذين الا تقاتلون الهمزة للحث والحاضة على انتفاء مقاتلتهم للانكار والتوبيخ تدل
على تحضيضهم على المقابلة بطريق حملهم على الاقرار بانتفائها كانه امر لا يمكن ان يعترف به طائعا لكمال شناعته فيلجأون الى ذلك
ولا يقدرون على الاقرار به فيختارون المقاتلة قوما نكثوا ايمانهم التي حلفوا عند المعاهدة على ان لا يبغوا ونكثوا عليهم فغاروا
بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين شاوروا ابا البختري في امره فيما ذكر في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا
فيكونوا نعيا عليهم خيانتهم القديمة وقيل هم اليهود نكثوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهموا باخراجه من المدينة وهم بدؤكم
بالمعاداة والمقاتلة اول مرة لان رسول الله عليه السلام جاءهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها
الى المقاتلة او بدؤا بقتال خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم لان اعانة بني بكر عليهم قتال معهم اتخشونهم الى التحشون
ان ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم وتجبنوا اولا بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الرغبة فيها وتحقيق ان من كان
على تلك الصفات السيئة حقيق بان لا تترك مصادمته ويوبخ من فرط فيها فالله احق ان تخشوه بحق الله امره وترك
قتال اعدائه ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان تخصيص الخشية به وعدم المبالاة بمن سواه وفيه من التشديد ما لا يخفى
قاتلوهم تحريض للامر بالقتال بعد التوبيخ على تركه وعد بنصرهم وبتعذيب اعدائهم واخزائهم وتشجيع لهم يعذبهم الله بايديكم
ويخزهم قتلا واسرا وينصركم عليهم اى يجعلكم جميعا غالبين عليهم اجمعين ولذلك اخر عن التعذيب والاخزاء ويشف
صدور قوم مؤمنين ممن يشهد القتال وهم خزاعة عن قتادة ابن عباس رضي الله عنهما بطون من اليمن وساقوا مواشيهم فاسلموا
فلقوا من اهلها اذى كثيرا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ع ابشروا فان الفرج قريب وقد ذهب
غيظ قلوبهم بالكايد وامر المكاره والمكافاة لقد اجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به على اجمل ما يكون فكان اخباره عما ذكر قبل
وقوعه معجزة عظيمة ويتوب الله على من يشاء كلام مستانف ينبئ عما سيكون من بعض اهل مكة من التوبة المقبولة بحسب
مشيئته تعالى المبنية على الحكم البالغة فكان كذلك حيث اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ بالنصب باضمار ان ودخول التوبة
في جملة ما اجيب به الامر بحسب المعنى فان القتال كما هو سبب لعذابهم وخزيهم فهو سبب للتقرب في اوهم وتوبتهم من الكفر
والمعاصي والا فلا خلاف في وجه السببية غير السبك والله اعلم والله ايثارا لاظهار الجلالة على الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة
عليم لا يخفى عليه خافية حكيم لا يفعل ولا يامر الا ما فيه حكمة ومصلحة ام حسبتم ام منقطعة جيء بها للاضراب الانتقال
عن التوبيخ السابق الى ما يليه من همزة الاستفهام للانكار التوبيخ لهم على الحسبان المذكور اى بل احسبتم ان تتركوا
على ما انتم عليه ولما تؤمروا بالجهاد ولما تبتلوا بما يمحصكم والخطاب للمؤمنين او للمنافقين و
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الواو حالية ولما للنفي مع التوقع والمراد نفي العلم بالمعلوم بالطريق البرهاني
اذ لو شم رائحة الوجود لعلم قطعا فلما لم يعلم لزم عدمه قطعا اى ام حسبتم ان تتركوا والحال انه لم يتبين الخلص من المجاهدين

تعال فرط في امره
اى قصر ونقص
اج

منكم من غيرهم وما في لما من التوقع منبئة على ان ذلك سيكون وفائدة التعبير عما ذكر من عدم التبين بعدم علم الله تعالى ان المقصود هو التبين من حيث كونه متعلقا للعلم ومدارا للثواب وعدم التعرض لحال المتعذرين لما ان ذلك معزل من الاندراج تحت ارادة اكرم الاكرمين ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في حيز الصلة او حال من فاعل اي جاهدوا حال كونهم غير متخذين من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اي بطانة وصاحب سر وهو الذي تطلعه على ما في ضميرك من الاسرار الخفية من الولوج وهو الدخول من دون الله متعلق بالاتخاذ ان ابقي على حاله او مفعول ثان له ان جعل بمعنى التصيير والله خبير بما تعملون اي بجميع اعمالكم وقرئ على الغيبة وهو التذييل بنوع ما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والحال انه يعلم جميع اعمالكم لا يخفى عليه شئ منها ما كان للمشركين اي ما صح وما استقام لهم ان يعمروا عمارة مقدارها مساجد الله اي المسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامرها كعامرها او لان كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حياله بخلاف سائر المساجد اذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد وقيل ما كان لهم ان يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس فيا باله انهم لا يقصدون لتعمير سائر المساجد ولا يغيرون وفيه بذلك على انه مبني على كون النفي بمعنى الجواز والاباحة دون نفي الوجود شاهدين على انفسهم بالكفر اي بظهور آثار الشرك من نصب الاوثان حول البيت والعبادة لها فان ذلك شهادة صريحة على انفسهم بالكفر وان ابوا ان يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن رضه وهو حال من الضمير في يعمروا اي ما صح ان يكون ما سعوه عمارة بيت الله مع ملابستهم لما ينافيها ويحيطها من عبادة غيره تعالى فانها ليست من العمارة في شئ واما قيل من ان المعنى استقام لهم ان يجمعوا بين المتنافيين انما يستدعي انتفاء احدهما لا بعينه لانتفاء العمارة الذي هو المقصود روي أن المهاجرين والانصار اقبلوا على اساري بدر يعيرونهم بالشرك وطفق علي رضه يوبخ العباس بقتال النبي صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا أو لكم محاسن قال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت أولئك الذين يتعرون عمارة المسجد وما يصاحبها من اعمال البر مع ما بهم من الكفر حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها فان قرنها الكفر فصارت هباء منثورا وفي النار هم خالدون لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجملة اسمية للمبالغة في الدلالة على الخلود والظرف متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام ومراعاة الفاصلة وكلتا الجملتين مستأنفة لتقرير النفي السابق الاولى من جهة نفي استتباع الثواب والثانية من جهة نفي استدفاع العذاب انما يعمر مساجد الله الكلام في ايراد صيغة الجمع كما مر فيما مر خلا ان ارادة جميع المساجد وادراج المسجد الحرام في ذلك غير مخالفة مقتضى الحال فان الايجاب ليس كالسلب قد قرئ بالافراد ايضا والمراد ههنا ايضا قصر تحقق العمارة ووجودها على المؤمنين لا قصر جوازها وامكانها اي انما يصح ويستقيم ان يعمر ما عمارة يعتد بها من آمن بالله وصح واليوم الآخر بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق به الوحي وأقام الصلوة وآتى الزكوة على ما علم من الدين فيندرج فيه الايمان بنبوته عليه السلام ضمنا وقيل هو مندرج تحت الايمان بالله خاصة فان احد جزئي كلمة الشهادة للكل اي انما يعمر ما من يجوز جميع هذه الكمالات العلمية والعملية والمراد بالعمارة ما يعم مرمتها ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودراسة العلوم فيها وكذا ذلك وصيانتها مما لا يليق بحالها كالحديث الدنيا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه عليه السلام من الف المسجد الف الله وقال عليه السلام اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملئكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوءه ولم يخش في امور الدين الا الله فعسى اولئك بموجب امره ونهيه غير آخذ له في الله لومة لائم والا خشية ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند الفعال ونحو ذلك

وأما الخوف الجبلي ومن الامور المخوفة فليس من هذا الباب ولا مما يدخل تحت التكليف والخطاب وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة أن يكونوا من المهتدين الى مباغيهم من الجنة ومعافيها من فنون المطالب العلية وأبراز اهتدائهم مع ما بهم من الصفات السنية في موضع التوقع لقطع اطماع الكفرة عن الوصول الى مواقف الاهتداء والانتفاع باعمالهم التي يحسبون في ذلك محسنون ولتوبيخهم بتعظيم باتهم مهتدون فان المؤمنين مع ما بهم من هذه الكمالات اذا كان امرهم دائرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم واعمالهم اعمالهم وفيه لطف للمؤمنين وترغيب لهم في جانب الخوف على جناح الرجاء ورفض الاعتذار بالله تعالى

أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام اى في الفضيل وعلو الدرجة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدران لا يقصد تشبيههما بالاعيان فلا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اى اجعلتم اهلها كمن آمن بالله الخ ويؤيده قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام او جعلتموها كايمان من آمن الخ وعلى التقديرين فالخطاب اما للمشركين على طريقة الالتفات وهو المتبادر من تخصيص ذكر الايمان لجانب المشبه به ولما ان بعض المؤمنين المؤثرين للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد وتحاقرهما وهو المناسب للاكتفاء في الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله للفريق الثاني وبيان اعظم درجتهم عند الله تعالى وعد بشر بعدم رجحان الاولين بالكلية وجعل محض التفضيل بالنسبة الى زعم الكفرة لا يجدي كثير نفع لانه ان لم يشر بعدم الرجحان فليس بشر للرجحان ايضا اما على الاول فهو توبيخ للمشركين ومداره انكار تشبيه انفسهم من حيث اتصافهم بوصفهم المذكورين في حد ذاتهما مع الاغماض عن مقارنتها للشرك بالايمان والجهاد ولما اعتبار مقارنتها له كما قيل فيأباه المقام كيف لا وقد بين انفا جنوح اعمالهم بذلك لاعتبار بالمرة وكونها بمنزلة العدم فتوبيخهم بعد ذلك على تشبيهها بالايمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشر بعدم رجحانهم عن اصل الفضيلة بالكلية كما اشير اليه مما لا يساعده النظم التنزيلي ولو اعتبر ذلك لما اصيح الى تقرير انكار التشبيه وتاكيده اذ لا شئ اظهر بطلانا من تشبيه المعدوم بالموجود فالمعنى جعلتم اهل السقاية والعمارة في الفضيلة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل او جعلتموها في ذلك كالايمان والجهاد وشتان بينهما فان السقاية والعمارة وان كانتا في انفسهما من اعمال الخير والبر لكنهما وان خلتا عن القوادح بمعزل عن صلاحية ان يشبه اهلها باهل الايمان والجهاد او يشبها نفسها بنفس الايمان وذلك قوله عز وجل لا يستوون عند الله اى لا يساوى الفريق الاول الثاني من حيث اتصاف كل منهما بوصف بهما ومن ضرورة عدم التساوي بين الوصفين الاولين وبين الاخيرين لا تحالة تباين الموصوفين واسناد عدم الاستواء الى الموصوفين لان الاهم بيان تفاوتهم وتوجيه النفي ههنا والانكار فيما سلف الى الاستواء والتشبيه مع ان دفع المفخرين بالسقاية والعمارة من المشركين والمؤمنين انما هو الافضلية دون التساوي والتشابه للمبالغة في الرد عليهم فان التساوي والتشابه نفي للافضلية دون التساوي والتشابه للمبالغة في الرد عليهم فان نفي التساوي والتشابه نفي للافضلية بالطريق الاولى والجملة استئناف لتقرير الانكار المذكور وتاكيده او حال من معمولي الجعل والرابط هو الضمير كانه قيل استويتم بينهم حال كونهم متفاوتين عنده تع وقوله تع والله لا يهدي القوم الظالمين حكم عليهم بانهم مع ظلمهم بالاشراك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ضالون في هذا الجعل غير مهتدين الى طريق موقة الحق وتمييز الراجح المرجوح وظالمون بوضع كل منهما موضع الآخر وفيه زيادة تقرير لعدم التساوي بينهم وقوله تع الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم استيناف لبيان مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم وزيادة الهجرة وتفصيل نوعي الجهاد للايذان بان ذلك من لوازم الجهاد لا انه اعتبر بطريق التدارك او لم يعتبر فيما سلف اى هم باعتبار اتصافهم بهذه الاوصاف الجليلة اعظم درجة عند الله اى اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم كان منهم كان وان حاز جميع اعدادها من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة واولئك اى المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة وما في اسم الاشارة من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الرفعة هم الفائزون المختصون بالفوز العظيم او بالفوز المطلق كان فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما على الكفر فهو توبيخ لمن يؤثر السقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد وفي اى اعتبار

قال للعباس رضه يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام
فلما نزلت قال ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا وروى النعمان بن بشير قال كنت عند منبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج وقال آخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال
الآخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر رضه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليتم
استفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل فانزل الله عز وجل هذه الآية والمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة من المؤمنين
في الفضيلة والرفعة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله او اجعلتموهما كالايمان والجهاد وانما لم يذكر الايمان في جانب المشبه مع كونه معتبرا
فيه قطعا تعويلا على ظهور الامر واشعارا بان مدار انكار التشبيه هو السقاية والعمارة دون الايمان وانما لم يترك ذكره في جانب المشبه به ايضا
تقوية للانكار وتذكيرا لاسباب الرجحان ومبادي الافضلية وايذانا بكمال التلازم بين الايمان وما تلاه ومعنى عدم الاستواء
عند الله تعالى على هذا التقدير ظاهر وكذا على تقدير الفريق الثاني واما قوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين فالمراد به عدم هدايته تعالى اياهم الى معرفة
الراجح من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الآخر لا عدم الهداية مطلقا ولا الظلم عموما والقصر في قوله تعالى واولئك هم الفائزون بالنسبة
الى درجة الفريق الثاني او الى الفوز المطلق ادعاء كما مر والله اعلم يبشرهم وقرئ بالتخفيف ربهم برحمة عظيمة منه ورضوان
كبير وجنات عالية لهم فيها في تلك الجنات نعيم مقيم دائم لا نفاد لها وفي التعرض لعنوان الربوبية تاكيد للمبشر به وتربية له
خالدين فيها اي في الجنات ابدا تاكيد للخلود لزيادة توضيح المراد اذ قد يراد به المكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم
لا قدر عنده لاجور الدنيا او للاعمال التي في مقابلته والجملة استئناف وقع تعليلا لما سبق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم
واخوانكم اولياء نهي لكل فرد من افراد المخاطبين عن موالاة فرد من المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد على الآحاد
كما في قوله عز وجل وما للظالمين من انصار لا عن موالاة طائفة منهم فان ذلك مفهوم من النظم دلالة لا عبارة والآية نزلت في المهاجرين
فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشيرتنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا
ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم وقيل
نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله
ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه ان استحبوا الكفر اي اختاروه على الايمان واصروا عليه اصرارا لا يرجى معه الاقلاع منه
اصلا وتعليق النهي عن الموالاة بذلك لما انها قبل ذلك ربما تؤدي الى الاسلام بسبب شعورهم بمحاسن الدين ومن يتولهم اي احدا
منهم كما يشير اليه افراد الضمير في الفعل مراعاة لكلمة لفظ الموصول والايذان باستقلال كل واحد منهم في الاتصاف بالظلم لان المراد تولي
فرد واحد وكلمة من في قوله تعالى منكم للجنس لا للتبعيض فاولئك اي اولئك المتولون هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير موضعها كان
ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم قل تلوين للخطاب وامر له عليه السلام بان يثبت المؤمنين ويقوي عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الآباء
والاخوان ويزهدهم فيهم وفيمن يجري مجراهم من الابناء والازواج ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا وزينتها على وجه الترهيب
ان كان آباؤكم واخوانكم وازواجكم لم يذكر الابناء والازواج فيما سلف لان موالاة الابناء والازواج غير معتادة بخلاف المحبة
وعشيرتكم اي اقرباؤكم ماخوذ من العشرة اي الصحبة وقيل من العشرة فانهم جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرئ عشيراتكم وعشائركم
واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها وانما وصفت بذلك ايذانا بعزتها عندهم لحصولها بكد اليمين وتجارة اي امتعة اشتريتموها
للتجارة والربح تخشون كسادها لفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة في ايام الموسم ومساكن ترضونها اي منازل
تعجبكم الاقامة فيها من الدور والبساتين والتعرض للصفات المذكورة للايذان بان اللوم على محبة ما ذكر من زينة الدنيا ليس لتعلقها بها
من مبادي المحبة وموجبات الرغبة فيها وانها مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل عن ان يؤثر حبها على حبه تعالى وحب رسوله الا ترى الذي هو

الاثة بالتحريك ما بقي من وزن الدرهم السنة وضرب الالف صحاح

الملازمة وعدم المفارقة لا الحب الجبلي الذي لا يخلو عنه البشر فانه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة وجهاد في سبيله نظم حبه في سلك
حبه عز وجل وحب رسوله عليه السلام تنويها لشأنه وتنبيها على انه مما يجب ان يحب فضلا عن ان يكره وايذانا بان محبته راجعة الى محبتهما فان الجهاد
عبارة عن قتال اعدائهما لاجل عداوتهم فمن يحبهما يجب ان يحب قتال من لا يحبهما فتربصوا اى انتظروا حتى يأتي الله بامره عن ابن عباس رضي
انه فتح مكة وقيل هي عقوبة عاجلة او آجلة والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة في موالاة المشركين او القوم الفاسقين
كافة فيدخل في زمرتهم هؤلاء دخولا اوليا اى لا يرشدهم الى ما هو خير لهم وفي الآية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه الا من تداركه لطف
من ربه عز وجل والله المستعان لقد نصركم الله الخطاب للمؤمنين خاصة في مواطن كثيرة من الحروب وهي مواقفها ومقاماتها والمراد بها وقعات
بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة ويوم حنين عطف على محل في مواطن بحذف المضاف في احدهما اى وموطن يوم حنين
او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير للايماء الى ما وقع فيه من قلة الثبات من اول الامر وقيل المراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين
وقيل يوم حنين منصوب بمضمر معطوف على نصركم اى ونصركم يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين ولا منع فيه من عطفه
على محل الظرف بناء على انه لم يكن في المعطوف عليه كثرة ولا اعجاب اذ ليس من قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما اضيف اليه المعطوف
او منصوب باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الواقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا عشرة آلاف منهم
ممن شهد فتح مكة من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فيمن ضامهم من امداد
سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة بن سلامة الانصاري لن نغلب اليوم من قلة فساء
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا الذراري فاكب المسلمون على الغنائم فتنادى المشركون
يا حماة السوء اذكروا الفضائح فتراجعوا فادركت المسلمين كلمة الاعجاب فانكشفوا وذلك قوله عز وعلا فلم تغن عنكم شيئا
والاغناء اعطاء ما يدفع به الحاجة اى لم يعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئا من الاغناء وضاقت عليكم الارض
بما رحبت اى برحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء بمعنى مع اى لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب
ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم مدبرين روي انه بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ليس معه
الا عمه العباس آخذا بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان بن الحرث آخذ بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو يقول انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب روي انه عليه السلام كان يحمل على الكفار فيفرون ثم يحملون عليه فيقف لهم فعل ذلك بضع عشرة مرة قال
العباس كنت اكف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على انه عليه السلام كان اشجع
ورابطة الجأش سباقا للغايات القاصية وما كان ذلك الا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يا رب ائتني بما وعدتني
وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا
واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ثم انزل الله سكينته على رسوله اى رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمئن اليها اطمئنانا كليا
مستتبعا للنصر القريب واما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له عليه السلام قبل ذلك ايضا وعلى المؤمنين عطف على رسوله وتوسيط
الجار بينهما للدلالة على ما بينهما من التفاوت اى المؤمنين الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم او على الكل
وهو الانسب ولا ضير في تحقق اصل السكينة في الثابتين من قبل والتعرض لوصف الايمان للاشعار بعليته للانزال وانزل
جنودا لم تروها اى بابصاركم كما يرى بعضكم بعضا وهم الملائكة عليهم البياض على خيول بلق فنظر النبي عليه السلام الى قتال
المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس فاخذ كفا من التراب فرمى به نحو المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلأت
به عيناه ثم قال انهزموا ورب الكعبة واختلفوا في عدد الملائكة يومئذ فقيل خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل
ستة عشر الفا وفي قتالهم ايضا فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا الا يوم بدر وانما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء

وفي قول سلمة الانصاري لن نغلب الخ

الخواطر الحسنة وتأييدهم بذلك وإلقاء الرعب في قلوب المشركين قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك اما فعل بهم بادئ بدء الكافر لكونهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء أن يتوب عليهم منهم لحكمة تقتضيه اي يوفقه للاسلام والله غفور يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصي رحيم يتفضل عليهم ويثيبهم روي أن ناسا منهم جاؤا رسول الله فقالوا انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقيل سبي يوم هوازن ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال عليه السلام ان عندي ما ترون وان خير القول اصدقه اختاروا احدى الطائفتين اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم وقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤنا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن رضا على اصح نصيب شيئا فشيئا فقالوا قد رضينا وسلمنا فقال عليه السلام انا لا ندري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليهم العرفاء انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس وصفوا بالمصدر مبالغة كأنهم عين النجاسة او هم ذوو نجس لخبث باطنهم أو لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس لانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن رضي الله عنه من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس كلبد في كبد كأنه قيل انما المشركون جنس نجس او ذو نجس وفي الكشاف ما جاز تعالى نجس فلا يقربوا المسجد الحرام تنزيع على نجاستهم وانما نهي عن القرب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ويؤيده قوله عز وجل بعد عامهم هذا فان تقييد النهي بذلك يدل على اختصاص المنهي عنه بوقت من اوقات العام اي لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حجهم عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وسائر المسجد عند ابي حنيفة رحمه الله كالحرم فلا يمكن المشركون من دخوله وعند مالك رحمه الله يمنعون من المسجد الحرم خاصة وعند الشافعي رحمه الله يمنعون من جميع المساجد ونهي المشركين ان يقربوا راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم من ذلك وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرم والقيام بمصالحه ويؤيده قراءة من قرأ فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبون اليكم من الارفاق والمكاسب وقرئ عائلة على انها مصدر كالعاقبة او حالا عائلة فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل الله السماء عليهم مدرارا واكثر بها خيرهم واكثر غيرهم واسلم تجارة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفوات ما فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض ان شاء أن يغنيكم مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها وانما قيدت لك بها لينقطع الآمال الى الله تعالى ولان الاغناء ليس مطردا بحسب الاوقات والاحوال في الاوقات ان الله عليم بمصالحكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله امر بقتال اهل الكتاب بعد ما امر بقتال المشركين وميز بينهم من ان يجوسوا حول ما كانوا يفعلونه من الحج والعمرة غير خائفين من القادة المتوقعة من انقطاعهم وتبتهم في تضاعيف ذلك على بعض طريق الاغناء الموعود على الوجه الكلي وارشدهم الى سلوكه ابتغاء لفضله واستنجاز الوعد والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للامر بالقتال اي بانتظامهم بسبب ذلك في سلك المشركين فان اليهود مشبهة والنصارى مثلثة فهم بمعزل من ان يؤمنوا بالله سبحانه ولا باليوم الآخر فان علمهم بحال الآخرة كلا علم فايمانهم المبني عليه ليس بايمان به ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي ما ثبت تحريمه بالوحي متلوا وغير متلو

جمع رفق وهو النفع

جرش موضع باليمن

وقيل المراد برسوله التوسل الذى يزعمون اتباعه اى يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق
الثابت الذى هو ناسخ لسائر الاديان وهو دين الاسلام وقيل دين الله من الذين اوتوا الكتاب من للتبيين الا ترى الى قوله
من بيانية لا تبعيضية حتى يكون بعضهم على خلاف ما نعت حتى يعطوا اى يعطوا ان يعطوا الجزية اى ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق
من جزى دينه اى قضاه اولانهم يجزون بها من منّ عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد حال من الضمير فى يعطوا اى عن يد مواتية مطيعة
يعنى منقادين او من يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير ما عتين بايدى غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك لم تجب الجزية
على الفقير العاجز او عن يد قاهرة عليهم اى بسبب يد بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان البقاء مجانا لوا
من الجزية نعمة عظيمة عليهم او من الجزية اى نقدا مسلمة عن يد الى يد وغاية القتال ليست نفس هذا الاعطاء بل قبوله
كما اشير اليه وهم صاغرون اى اذلاء وذلك بان يأتى بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس بتكبر
ويقال له ادِّ الجزية وان كان يؤديها وهى تؤخذ عند ابى ح رح من اهل الكتاب مطلقا ومن مشركى العرب والعجم لا من مشركى العرب
وعند ابى يوسف رح لا يؤخذ من العربى كتابيا كان او مشركا ويؤخذ من العجمى كتابيا كان او مشركا وعند ان فى رح تؤخذ
من اهل الكتاب عربيا او عجميا ولا تؤخذ من اهل الاوثان مطلقا وذهب مالك والاوزاعى الى انها تؤخذ من جميع الكفار
واما المجوس فقد اتفقت الصحابة على اخذ الجزية منهم لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروى عن على رضى الله عنه انه كان لهم كتاب
يدرسونه فاصبحوا وقد اسرى على كتابهم فرفع بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبيحتهم ومناكحتهم لقوله عليه السلام فى آخر ما نقل من الحديث
غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبيحتهم ووقت الاخذ وعند ابى حنيفة اول السنة وتسقط بالموت والاسلام وعند ابى يوسف
المعتمل اثنى عشر درهما وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلى الغنى ثمانية واربعون درهما ولا جزية على فقير
عن المكسب ولا على شيخ فان او زمن او صبى وامراة وعند ان فى رح تؤخذ فى آخر السنة من كل واحد دينار غنيا كان او فقيرا كان
المكسب اولم يكن وقالت اليهود جملة مبتدأة سيقت لتوبيخ من عدم ايمان اهل الكتاب بين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك فى سلك
المشركين عزير ابن الله مبتدأ وخبر وقرئ بغير تنوين على انه اسم عجمى كحازر وغير ار غير منصرف للعجمة والتعريف والا فتعليله بالتأنيث
الا كنين او وجهل ابن وصفا على ان الخبر محذوف فتعسف مستغنى عنه قيل هو قول قدمائهم ثم انقطع فحكى الله تعالى عنهم ذلك
ولا عبرة بانكار اليهود وقيل قول بعض ممن كان بالمدينة عن ابن عباس رضى الله عنه انه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم نائس منهم وهم سلام
ابن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو الذى قال ان الله فقير
ونحن اغنياء وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير
وهو غلام يسيح فى الارض فاتاه جبريل عليه السلام فقال اين تذهب قال لطلب العلم فحفظ التوراة فاطلعا عليهم عن ظهر لسانه لا يحرم
حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة فى صدره وهو غلام الا انه ابنه قال الامام الكلبى لما قتل بخت نصر علماءهم جميعا وكان عزير
اذ ذاك صغيرا فاستصغره ولم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى عزيرا ليجدد
لهم التوراة ويكون آية بعد ما اماته مائة عام يقال انه اتاه ملك بانائه فيه ماء فسقاه فمثلت فى صدره فلما اتاهم قالوا له
انى عزير كذبوه فقالوا ان كنت كما تزعم فأملل علينا التوراة فعملوا ان الله تعالى فى قلب رجل لا لانه ابنه تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اليهود اضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فان بهم الله تعالى التوراة وتسخها من صدورهم ورفع التابوت
نزل فرضوا بما تلاه عزير على ما فيه فوجدوه مثله فقالوا ما قالوا وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه
استحالة ان يكون ولد بغير اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك اشارة
الى ما صدر عنهم من العظيمتين وما فيه من معنى البعد للدلالة على درجة المشار اليه فى الشناعة والفظاعة قولهم بافواههم اما تاكيد

الا ترى اذا وقع بين علمين تسقط اللام من الخط واذا وقع خبر المبتدأ
فلا تقول حارثى زيد بن عمرو ولا زيد بن عمرو ح

لنسبة القول المذكور اليهم ونفي التجوز عنها او اشعارٌ بانهٗ قولٌ مجردٌ عن برهان وتحقيق مماثل للمحال الموجود في الافواه من غير ان يكون له مصداق في الخارج يضاهئون اى في الكفر والشناعة وفيٌ بغير همز قول الذين كفروا اى بنائه قولهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه عند انتقاله مرفوعًا قول الذين كفروا من قبل اى من قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملئكة بنات الله او اللات والعزى بنات الله لا قدماؤهم كما قيل اذ لا تعدد في القول حتى يتأتى التشبيه وجعله بين قولي الفريقين مع اتحاد المقول ليس فيه مزيد مزية وقيل الضمير للنصارى اى يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وهو ايضًا كما ترى فانهٗ يستدعي اختصاص الرد والابطال بقوله تع قولهم بافواههم بقول النصارى قاتلهم الله دعاءٌ عليهم جميعًا بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او نجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون من الحق الى الباطل والحال انهٗ لا سبيل اليه اصلًا اتخذوا زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تع احبارهم وهم علماء اليهود واختلف في واحد قال الاصمعي لا ادري اهو جرٌ ام جرٌ قال ابو الهيثم بالفتح لا غير وكان الليث وابن السكيت يقولان جبر وجبر للعالم ذمّيًا كان او مسلمًا بعد ان كان من اهل الكتاب ورهبانهم وهم علماء النصارى من اصحاب الصوامع اى اتخذ كل واحد من علمائهم للاكل اربابًا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احله الله تع وتحليل ما حرمه او بالسجود لهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان عبادة لهم في قوله تع يا ابت لا تعبد الشيطان وقوله تع بل كانوا يعبدون الجن قال عدي بن حاتم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فكان اذ ذاك على دين يستبي الركوسية فريق من النصارى وهو بتراسورة براءة فقال يا عدي اطرح عنك هذا الوثن مخاصمته فلما انتهى الى قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابًا من دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال عليه السلام اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه فقلت بلى فقال فذلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل قال انهم ربما وجدوا في كتاب الله تع ما يخالف اخبارهم كانوا ياخذون باقوالهم ويتركون حكم كتاب الله تع والمسيح بن مريم عطف على رهبانهم اى اتخذه النصارى ربًا معبودًا بعد ما قالوا انهٗ ابنه تع عن ذلك علوًا كبيرًا وتخصيص الاتخاذ بالبشير الآن اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتاخيره في الذكر مع ان اتخاذهم له عم ربًا معبودًا اقوى من مجرد الاطاعة في الاحلال والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابًا لانهٗ مختص بالنصارى ونسبة الامة من حيث دلالتها على مربوبيته المنافية للربوبية للايذان بكمال ركاكة رايهم والقضاء عليهم بنهاية الجهل والحماقة وما امروا اى والحال ان اولئك الكفرة وما امروا في كتابهم الا ليعبدوا الها واحدا عظيم الشان هو الله سبحانهٗ وتع ويطيعوا امره ولا يطيعوا امر غيره بخلافه فان ذلك مخل بعبادته تع فان جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبةً وقد قال المسيح عم انهٗ من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأويه النار وما اطاعه الرسول عم وسائر من امر الله تع بطاعته فهو في الحقيقة اطاعة لله عز وجل وما امر الذين اتخذهم الكفرة اربابًا من المسيح والاحبار والرهبان الا بما توحيد والله تع مكلف بصحة ان يكونوا اربابًا وهم مامورون ومتعبدون مثلهم ولا يقدح في ذلك كون ربوبية الاحبار والرهبان بطريق الاطاعة فان تخصيص العبادة به تع لا يتحقق الا بتخصيص الطاعة ايضًا به تع وحيث لم يخصوها به لم يخصوا العبادة به سبحانهٗ لا اله الا هو صفة ثانية للاها او استئناف مقرر للتوحيد سبحانهٗ عما يشركون عن الاشراك به في العبادة والطاعة يريدون ان يطفئوا نور الله اطفاء النار عبارة عن ازالته لها بالموجبة لزوال نورها لا عن ازالة نورها كما قيل لكن لما كان الغرض من اطفاء نار لا يراد بها الا النور كالمصباح ازالة نورها جعل اطفاؤها عبارة عنها ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن مطلق ازالة النور وان كان لغير النار والتعرض لذلك لخصوصه امكان الازالة في نورها والمراد بنور الله سبحانهٗ اما حجته النيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والاولاد او القرآن العظيم الناطق بذلك اى يريدون ان يردوا القرآن ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد والشرائع من جملتها ما خالفوه من احلال الحرمة باقواههم بافواههم الخارجة عنها من غير ان يكون لها مصداق تنطبق عليه او اصل تستند اليه حسبما حكي عنهم وقيل المراد به نبوة النبي عليه السلام هذا وقيل مثلت حالهم فيما ذكر بمن يريد ان يطفئ نور عظيم

الفريقين

مثبت في الآفاق بنفخة ﴿ويأبى الله﴾ اي لا يريد ﴿الا ان يتم نوره﴾ باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام وانما صح الاستثناء
المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي كما اشير اليه لوقوعه في مقابلة قوله تعالى يريدون وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس
في نفي الارادة اي لا يريد شيئا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج في المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلا عن الاطفاء وفي اظهار النور في مقام الاضمار مضافا
الى ضميره عز وجل زيادة اعتناء بشانه وتشريف له على تشريف واشعار بعلة الحكم ﴿ولو كره الكافرون﴾ جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه
والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة وكلتاهما في موقع الحال اي لا يريد الله الا اتمام نوره لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوا اي على كل حال مفروض
وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة بان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى
وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد وقد قرر زيادة تحقيق لهذا مرارا ﴿هو الذي ارسل رسوله﴾ ملتبسا ﴿بالهدى﴾ اي القرآن
الذي هو هدى للمتقين ﴿ودين الحق﴾ الثابت وهو دين الاسلام ﴿ليظهره﴾ اي رسوله ﴿على الدين كله﴾ اي على اهل الاديان كلهم او ليظهر
الدين الحق على سائر الاديان بنسخه اياها حسبما تقتضيه الحكمة والجملة بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة والكلام في قوله عز وعلا
﴿ولو كره المشركون﴾ كما فيما سبق خلا ان وصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر بالله ﴿يا ايها الذين
آمنوا﴾ شروع في بيان حال الاحبار والرهبان في اغوائهم لاراذلهم اثر بيان سوء حال الاتباع في اتخاذهم لهم اربابا يطيعونهم
في الاوامر والنواهي واتباعهم لهم فيما يأتون وما يذرون ﴿ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل﴾
يأخذونها بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرائع والتخفيف والمسامحة فيها وانما عبر عن ذلك بالاكل بناء على انه معظم الغرض منه وتقبيحا
لحالهم وتنفيرا للسامعين عنهم ﴿ويصدون الناس عن سبيل الله﴾ عن دين الاسلام او عن المسلك المقرر في التورية والانجيل الى الحق
وحرفوه باخذ الرشى او يصدون عنه بانفسهم باكلهم الاموال بالباطل ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾ اي يجمعونهما ويحفظونهما
سواء كان ذلك بالدفن او بوجه آخر والموصول عبارة اما عن الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في الوصف بالحرص والضن بهما بعد
وصفهم بما سبق من اخذ الرشوة والبراطيل في الاباطيل واما عن المسلمين الكانزين من غير المنفقين وهو الانسب بقوله عز وجل ﴿ولا ينفقونها
في سبيل الله﴾ فيكون نظمهم في قرن المرتشين من اهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم اسوة لهم في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم
والمراد بالانفاق في سبيل الله الزكوة لما روي انه لما نزل كبر ذلك على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى
لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وكقوله عليه السلام ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم
الانفاق فيما امر الله بالانفاق فيه واما قوله عليه السلام من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد بها ما لم تؤد حقوقها لقوله عليه السلام
ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره
﴿فبشرهم بعذاب اليم﴾ خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط ويجوز ان يكون الموصول منصوبا بفعل يفسره فبشرهم ﴿يوم﴾
منصوب بعذاب اليم او بمضمر يدل عليه ذلك اي يعذبون او باذكر ﴿يحمى عليها في نار جهنم﴾ اي يوم توقد النار ذات حمي شديد عليها واصله
تحمى بالنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى التذكير كما تقول رفعت
القصة الى الامير فان طرحت القصة قلت رفع الى الامير وانما قيل عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه
اربعة الاف فما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا الكلام في قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير للاموال والكنوز فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر
لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب كذلك بل اولى ﴿فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾
لان جمعهم لها وامساكهم اياها كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه
وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات
الاربعة التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنباه ﴿هذا ما كنزتم﴾ على ارادة القول ﴿لانفسكم﴾ لمنفعتها فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها ﴿فذوقوا﴾

لان الانفاق في الكنز لا يكون الا في سبيل الله
او اداء موانع الكنوز هم محرره

ملم

ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ بضم النون ان عدة الشهور اي عددها عند الله اي في حكمه وهو معمول لها لانها مصدر
اثنا عشر خبر لان شهرا تمييز مؤكد كما في قولك عندي من الدنانير عشرون دينارا والمراد الشهور القمرية اذ عليها يدور فلك الاحكام الشرعية
في كتاب الله في اللوح المحفوظ او فيما اثبته واوجبه وهو صفة اثني عشر وقوله عز وعلا يوم خلق السموات والارض
متعلق بما في الجار والمجرور من معنى الاستقرار او بالكتاب على انه مصدر والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والحركات والازمنة
منها اي من تلك الشهور الاثني عشر اربعة حرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ومنه قوله عليه السلام في خطبة في حجة الوداع الا ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر
الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه من الحل والحرمة وعاد الحج الى ذي الحجة بعد ما كانوا ازالوه من محله بالنسئ الذي
احدثوه بالجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر رض قبلها في ذي القعدة ذلك اي تحريم الاشهر الاربعة المعينة المعدودة
وما في ذلك من معنى البعد لتعظيم المشار اليه هو الدين القيم المستقيم دين ابراهيم واسمعيل عم وكانت العرب قد تمسكت به وراثة عنهما
وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى انه لو لقي رجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثوا
النسئ فغيروا فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن والجمهور على ان حرمة القتال فيها منسوخة وان الظلم
ارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا
وما نسخت ويؤيد الاول انه صلعم حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة
اي جميعا وهو مصدر كف عن الشئ فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين اي معكم بالنصر
والامداد فيما تباشرونه من القتال وانما وضع المظهر موضع مضمرهم مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليها وايذانا بانه المدار في النصر
وقيل هي بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسئ مصدر نسأه اذا اخره نسأ ونساء ونسيئا مثل مس
ومساسا ومسيسا وقرئ بقلب الهمزة ياء وتشديد الياء وفيها كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه
شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وربما زادوا في عدد الشهور بان يجعلوها ثلثة عشر او اربعة عشر
ليتسع لهم الوقت ويجعلوا اربعة اشهر من السنة حرما ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة اي انما تاخير حرمة الشهر الى شهر
آخر زيادة في الكفر لانه تحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله فهو كفر آخر مضموم الى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا على ضلالهم
القديم وقرئ على البناء للفاعل من الافعال على ان الفعل لله سبحانه اي يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه واسبابه وهو المعنى على القراءة
الاولى ايضا وقيل المضلون رؤساؤهم والموصول عبارة عن اتباعهم وقرئ يضل بفتح الياء والضاد من ضل يضل ونضل بنون
العظمة يحلونه اي النسئ من الاشهر المحرم عاما من الاعوام ويحرمون مكانه شهرا آخر مما ليس بحرام ويحرمونه اي يحافظون على حرمته كما كانت
والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار احلالهم له في العام الماضي او لاسنادهم له الى آلهتهم كما يجئ عاما اخر اذا لم تتعلق بتغييره غرض من اغراضهم
الكلبي اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان اذا هم الناس بالصدور من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت
وانا الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه ان ينسأهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا
الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة واغاروا وقيل هو جنادة بن عوف الكناني
وكان مطاعا في الجاهلية كان يقوم على جمل في الموسم فينادي على صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول
ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلمس قال قائلهم ومنا ناسئ الشهر القلمس وعن ابن عباس رض ان اول
من سن النسئ عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والجملتان تفسير للضلال او حال من الموصول والعامل عامله ليواطؤا اي ليوافقوا
عدة ما حرم الله من الاشهر الاربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بخصوصه

اسم قبيلة كانوا يكبرون هذه الشهور ويحرمونه حتى انهم كانوا لا ينحلونها مع اعدائهم فيه وكهذا اضيف اليهم في الحديث الشريف

الى العرب

الى الشهور

عسكر بالنصح التي نعني منه اي المطيعين

من الاشهر المعينة زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله سبحانه والمعنى جعل اعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس وقيل
خذلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا فاستمروا على ذلك والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى المطلوب البتة وانما يهديهم الى ما
اليه عند سلوكه وهم قد صدوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه الضلال يا ايها الذين امنوا رجوع الى حث المؤمنين وتحريضهم
على قتال الكفرة اثر بيان طرف من قبائحهم الموجبة لذلك ما لكم استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم
تباطأتم وتقاعستم اصله تثاقلتم وقد قرئ كذلك اي اي شيء حصل او حاصل لكم او ما تصنعون حين قال النبي صلى الله عليه وسلم انفروا
اي اخرجوا الى الغزو في سبيل الله متثاقلين على ان الفعل ماض لفظا مضارع معنى كانه قيل تتثاقلون فالعامل في الظرف الاستقرار المقدر في لكم
او معنى الفعل المدلول عليه بذلك ويجوز ان يعمل فيه الحال اي ما لكم متثاقلين حين قيل لكم انفروا وقرئ اثاقلتم بالاستفهام الانكاري التوبيخي فالعامل
في الظرف ح انما هو الاول الى الارض متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والاخلاد اي اثاقلتم مائلين الى الدنيا وشهواتها
الفانية عما قليل وكرهتم مشاق الغزو ومتاعبه المستتبعة للراحة الخالدة كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او الى الاقامة بارضكم
ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ وقد ادركت
ثمار المدينة وطابت ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الا
ورّى بغيرها الا في غزوة تبوك فانه عم بين لهم المقصد فيها ليستعدوا لها ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها
من الاخرة اي بدل الاخرة ونعيمها الدائم فما متاع الحيوة الدنيا اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير اي فما التمتع بها
وبلذائذها في الاخرة اي في جنب الاخرة الا قليل اي مستحقر لا يؤبه له وفي ترشيح الحيوة الدنيا بما يؤذن بنفاستها
ويستدعي الرغبة فيها وتجريد الاخرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة الدنيا ودناءتها وعظم شان الاخرة وعلوها الا تنفروا
الى ما استنفرتم اليه يعذبكم اي الله عز وجل عذابا اليما اي يهلككم بسبب فظيع هائل كقحط ونحوه ويستبدل بكم بعد
اهلاككم قوما غيركم وصفهم بالمغايرة لهم لتاكيد الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية والذاتية المستلزمة
للاستئصال اي قوما مطيعين مؤثرين للاخرة على الدنيا ليسوا من اولادكم ولا ارحامكم كاهل اليمن وابناء فارس وفيه من الدلالة
على شدة السخط ما لا يخفى ولا تضروه شيئا اي لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه اصلا فانه الغني عن كل شيء في كل امر وقيل الضمير
للرسول صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل وعده بالعصمة والنصرة وكان وعده مفعولا لا محالة والله على كل شيء قدير فيقدر
على اهلاككم والاتيان بقوم اخرين الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله الذي قد نصره في وقت ضرورة اشد
من هذه المرة فحذف الجزاء واقيم سببه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله
في غيره اذ اخرجه الذين كفروا اي تسببوا لخروجه حيث اذن له عم في ذلك حين هموا باخراجه ثاني اثنين حال من ضميره عم
وقرئ بسكون الياء على لغة من يجري الناقص مجرى المقصور في الاعراب اي احد اثنين من غير اعتبار كونه عم ثانيا فان معنى
قولهم ثالث ثلثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب
ما بعده بان يقال ثالث ثلثة ورابع اربعة وقد صرح في قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة من سورة المائدة
وجعله عم ثانيهما لمشي الصديق امامه ودخوله في الغار اولا لكنسه وتسوية البساط كما ذكر في الاخبار تمحل مستغنى عنه اذ هما
في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على ساعة مكثا فيه ثلثا
اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه اي الصديق لا تحزن ان الله معنا بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية
الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد بما فيه من المتبوعية هو
المتبوعية في الامر والمباشر روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي عم

ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت
فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله تعالى بأبصارهم عنه
وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رضي الله تعالى عنه وسابقة صحبته ما لا يخفى ومن ذلك قالوا من أنكر صحبة أبي بكر رضه فقد كفر لإنكاره كلام
سبحانه وتعالى فأنزل الله سكينته أمنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي صلى الله عليه وسلم فالمراد بها ما لا يحوم حوله
شائبة الخوف أصلا أو على صاحبه إذ هو المنزعج وأما النبي صلى الله عليه وسلم فكان على طمأنينة من أمره وأيده بجنود لم تروها
عطف على نصره الله والجنود هم الملائكة النازلون يوم بدر والأحزاب وحنين وقيل هم الملائكة أنزلهم ليحرسوه في الغار ويأباه وصفهم
بعدم رؤية المخاطبين لهم وقوله عز وعلا وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك أو دعوة الكفر فإن ذلك الجعل لا يتحقق بمجرد الإنجاء
بل بالقتل والأسر ونحو ذلك وكلمة الله أي التوحيد أو دعوة الإسلام هي العليا لا يدانيها شيء وتغيير الأسلوب للدلالة على أنها في نفسها
كذلك لا يتبدل شأنها ولا يتغير حالها دون غيرها من الكلم ولذلك وسط ضمير الفصل وقرئ بالنصب عطفا على كلمة الذين والله عزيز
لا يغالب حكيم في حكمه وتدبيره انفروا تجريد للأمر بالنفور بعد التوبيخ على تركه والإنكار على المساهلة فيه وقوله تعالى
خفافا وثقالا حالان من ضمير المخاطبين أي على أي حال كان من يسر أو عسر حاصلين بأي سبب كان من الصحة والمرض
أو الغنى والفقر أو قلة العيال وكثرتهم أو غير ذلك مما ينتظم مساعدة الأسباب وعدمها بعد الإمكان والقدرة في الجملة وما ذكر
في تفسيرهما من قولهم خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبانا وشيوخا
أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا ليس لتخصيص الأمرين المتقابلين بالإرادة من غير مقارنة للباقي وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله
عليه السلام أعلي أن أنفر قال عليه السلام نعم حتى نزل ليس على الأعمى حرج وعن ابن عباس رضه نسخت بقوله عز وجل ليس على الضعفاء الآية
وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله إيجاب للجهاد بهما إن أمكن أو بأحدهما عند إمكانه وإعواز الآخر حتى إن من ساعده
المال دون النفس يغزي مكانه من حاله على عكس حاله إلى هذا ذهب كثير من العلماء وقيل هذا إيجاب للقسم الأول فقط ذلكم
أي ما ذكر من النفير والجهاد وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته في الشرف خير لكم أي خير عظيم في نفسه
أو خير مما يبتغى بتركه من الراحة والدعة وسعة العيش والتمتع بالأموال والأولاد إن كنتم تعلمون أي تعلمون الخير علمتم
أنه خير أو إن كنتم تعلمون أنه خير إذ لا احتمال لغير الصدق في إخبار الله تعالى فبادروا إليه لو كان صرف للخطاب عنهم وتوجيه له إلى رسول الله
عليه السلام تعديدا لما صدر عنهم من الهنات فعلا وقولا على طريق المباثة وبيانا لدناءة هممهم وسائر رذائلهم أي لو كان ما دعوا إليه
عرضا قريبا العرض ما عرض لك من منافع الدنيا أي لو كان ذلك غنما سهل المأخذ قريب المنال وسفرا قاصدا أي متوسطا
بين القريب والبعيد لاتبعوك في النفير طمعا في الفوز بالغنيمة وتعليق الاتباع بكلا الأمرين يدل على عدم تحققه عند توسط
السفر فقط ولكن بعدت عليهم الشقة أي المسافة الشاقة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون
أي المتخلفون عن الغزو وقوله تعالى بالله إما متعلق بسيحلفون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد على الوجهين أي سيحلفون بالله
اعتذارا عند قفولك قائلين لو استطعنا أو سيحلفون قائلين بالله لو استطعنا الخ أي لو كان لنا استطاعة من جهة العدة
أو من جهة الصحة أو من جهتهما جميعا حسبما عن لهم من الكذب في التعلل وعلى التقديرين فقوله تعالى لخرجنا معكم ساد
مسد جوابي القسم والشرط أما على الثاني فظاهر وأما على الأول فلأن قولهم لو استطعنا في قوة بالله لو استطعنا لأنه بيان
لقوله تعالى سيحلفون وتصديق له والإخبار بما سيكون منهم بعد القفول وقد وقع حسبما أخبر به من جملة المعجزات الباهرة وقرئ
لو استطعنا بفتح الواو تشبيها لها بواو الجمع كما في قوله عز وجل فتمنوا الموت يهلكون أنفسهم بدل من سيحلفون لأن الحلف
الكاذب إهلاك للنفس ولذلك قال عليه السلام اليمين الغاجرة تدع الديار بلاقع أو حال من فاعله أي مهلكين أنفسهم

قاضي وكشاف (margin)

الغنم بالضم الغنيمة ق (margin)

أو من فاعل خرجنا ج به على طريقة الاخبار عنهم كأنه قيل لهلاك انفسنا اي لخرجنا معكم مهلكين انفسنا كما في قولك حلف ليفعلن ما كان لا فعلن
والله يعلم انهم لكاذبون اي في مضمون الشرطية وفيه ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا
عفا الله عنك صريح في انه سبحانه وتعالى قد عفا عنه صلى الله عليه وسلم ما وقع منه استيذان المتخلفين والتخلف معتذرين بعدم
الاستطاعة واذنه اعتمادا على اياتهم ومواثيقهم فلوما عن المزاحم من ترك الاولى والافضل الذي هو الثاني والتوقف الى انجلاء الامر وانكشاف الحال
وقوله عز وجل لم اذنت لهم اي لاي سبب اذنت لهم في التخلف حين اعتلوا بعللهم بيان لما اشير اليه بالعفو من ترك الاولى واشارة الى انه
ينبغي ان يكون اموره عليه السلام منوطة باسباب قوية موجبة لها او مصححة وان ما ابرزوه في معرض التعلل والاعتذار مشفوعا بالايمان كان يعول
من كونه سببا للاذن قبل ظهور صدقه وكلمة اللام متعلقة بالاذن لا ضمنا فهما في المعنى فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير
المجرور لجميع المستاذنين وتوجيه الانكار الى الاذن باعتبار شموله للكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد فرد لتحقق عدم استطاعة بعضهم
كما ينبئ عنه قوله سبحانه حتى يتبين لك الذين صدقوا اي فيما اخبروا به عند الاعتذار من عدم الاستطاعة من جهة المال او من جهة
البدن او من جهتهما معا صباعة لهم هناك وتعلم الكاذبين في ذلك فتعامل كلا منهم بما يستحقه وهو بيان لذلك
الاولى الافضل وتخصيص عليه السلام فان كلمة حتى سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى الى لا يكون تعلقها بقوله تعالى لم اذنت الا لتوهم ان يكون
اذنه عليه السلام معللا او مغيا بالتبيين والعلم ويكون توجيه الاستفهام اليه من تلك الجهة وذلك بين الفساد بل عايد الى عليه ذلك كانه قيل
لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تأنيت حتى يتجلى لك الامر كما هو فقيه اجزم قال قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله ولم يؤمر فيهما بشيء
اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله تعالى كما تسمعون وتغيير الاسلوب بان عبر عن التوبيخ الاول بالموصول الذي صلته
فعل دال على الحدوث وعن التوبيخ الثاني باسم الفاعل المفيد للدوام للايذان بان ما ظهر من الاولين صدق حادث في امر خاص غير مصحح لتظلمهم
في سلك الصادقين وان ما صدر من الاخرين وان كان كذبا حادثا متعلقا بامر خاص لكنه امر جار على عادتهم المستمرة ناشئ عن سوء
في الكذب والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين وعما يتعلق بالكذب بالعلم لما هو المشهور من ان مدلول الخبر نسبته بعد ما كان محتملا له
احتمالا عقليا واما كذبه فامر حادث لا دلالة للخبر عليه فالجملة حتى يكون ظهوره تبينا له بل هو نقيض مدلوله مما يتعلق به يكون علما
مستمرا واسناده الى ضمير عليه السلام الى المعلوم بتبع بناء الفعل للمفعول مع اسناد التبين الى الاولين لما ان المقصود ههنا علو مرتبتهم ومؤاخذتهم
بموجبه بخلاف الاولين حيث لا مؤاخذة عليهم ومن لم يتنبه لهذا قال تبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه واسناد التبين
الى الاولين وتعليق العلم بالآخرين مع ان مدار الاستناد والتعلق اولا وبالذات هو وصف الصدق والكذب كما اشير اليه لما ان المقصد
هو العلم بكلا التوبيخين باعتبار اتصافهما بوصفيهما المذكورين وما ملتهما بحسب استحقاقهما لا العلم بوصفيهما بذاتيهما او باعتبار قيامهما
بموصوفيهما المذكورين هذا وفي تصدير خاتمة الخطاب ببشارة المعفوين ما يوهم العتاب من مراعاة جانبه عليه السلام وتعهده بحسن المعاوضة
ولطف المراجعة ما لا يخفى على اولي الالباب قال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بذكر العفو قبل ذكر المعفو ولقد اخطأ
واساء الادب وبئسما فعل فيما قال وكتب من زعم ان الكلام كناية عن الجناية وان معناه اخطأت وبئسما فعلت حسب ان كناية ليس
اخبارا مما على التصريح بالجناية للتلطيف والخطاب والتخفيف في العتاب وحسب ان العفو مستلزم للخطاء فهل هو مستلزم لكون الصنع
واستتباع اللائمة بحيث يصح هذه المرتبة من المنافقة بالسوء او يسوغ انشاء الاستتباع بكلية تشعر المنبئة عن بلوغ القبح الى رتبة
يتعجب منها ولا يخفى ان لم يكن في خروجهم مصلحة للدين او منفعة للمسلمين بل كان فيه فساد وخبال فبما نطق به قوله تعالى لو خرجوا الخ
وقد كرهه سبحانه كما ينبئ عنه قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم الآية نعم كان الاولى تاخير الاذن حتى يظهر كذبهم او خذى الامر
وينقضي اعلى رؤس الاشهاد ولا يمكنوا من التمتع بالعيش على الامن والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بانهم غزوه وارضوه
بالاكاذيب على انهم لم يسلموا لهم وما قرب لهم عين اذا لم يكونوا على امن واطمئنان بل كانوا على خوف من ظهور امرهم وقد كان

قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يعرف المنافقين يومئذ حاكم

قوله من زعم رد لصاحب الكشاف

للمدقق رضي الله عنه ما اصل مرتبة وما اجود ما نقض

لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر تنبيه على انه كان ينبغى ان يستدل باستيذانهم على حالهم ولا يؤذن لهم
اى ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك فى ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم وان الخلص منهم يبادرون اليه من غير توقف
على الاذن فضلا عن ان يستاذنوك فى التخلف وحيث استاذنك هؤلاء فى التخلف كان ذلك مظنة للتانى فى امرهم بل دليلا على نفاقهم
وقيل المستاذن فيه محذوف وقوله تعالى ان يجاهدوا اى كراهة ان يجاهدوا وانتم قيل المحذوف هو التخلف والمعنى لا يستاذنك المؤمنون
فى التخلف كراهة الجهاد فيتوجه النفى الى القيد وبه يمتاز المؤمن من المنافق وهو وان كان فى نفسه امرا خفيا لا يوقف عليه بادى الامر لكن علامة ظهوره
لما كانت منبعثة عن ذلك جعل امرا ظاهرا متوترا وقيل هو الجهاد كراهة ان يجاهدوا وبناؤه على ان الاستيذان فى الجهاد ربما يكون لكراهته
ولا يخفى ان الاستيذان فى الشىء لكراهته مما لا يقع بل لا يعقل ولو سلم وقوعه فالاستيذان لعلة الكراهة مما لا يمتاز بحسب الظاهر من الاستيذان لعلة
الرغبة ولو سلم فالذى نفى عن المؤمنين يجب ان يثبت للمنافقين وظاهر انهم لم يستاذنوا فى الجهاد لكراهتهم له بل انما استاذنوا فى التخلف
والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام فى زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كانه قيل والله عليم بانهم كذلك
واشعار بان ما صدر عنهم معلل بالتقوى انما يستاذنك اى فى التخلف مطلقا على الاول او كراهة الجهاد على الثانى الذين لا يؤمنون
بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بهما فى الموضعين للايذان بان الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال انما هو الايمان بهما اذ به
يتسنى للمؤمنين استبدال الحيوة الابدية والنعيم المقيم الخالد بالحيوة الفانية والمتاع الكاسد وارتابت قلوبهم عطف على الصلة
وايثار صيغة الماضى للدلالة على تحقق الريب وتقرره فهم حال كونهم فى ريبهم وشكهم المستقر فى قلوبهم يترددون اى يتحيرون
فان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات ديدن المستبصر والتعبير عنه مما لا يخفى حسن موقعه ولو ارادوا الخروج يدل على ان بعضهم قالوا
عند الاعتذار كنا نريد الخروج لكن لم نتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد فقيل تكذيبا لهم لو ارادوه لاعدوا له اى
للخروج فى وقته عدة اى اهبة من الزاد والراحلة والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه للسفر وقرئ عده بحذف التاء والاضافة
الى ضمير الخروج كما فعل بالعدة من قال واخلفوك عد الامر الذى وعدوا اى عدته وقرئ عدة بكسر العين وعده بالاضافة ولكن كره الله
انبعاثهم اى نهوضهم للخروج قيل هو استدراك عما يفهم من مقدمة الشرطية فان انتفاء ارادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم
وكراهة الله تعالى انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج فكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق فى المعنى لا يمنع الوقوع بين طرفى
لكن بعد تحقق الاختلاف نفيا واثباتا فى اللفظ كقولك ما احسن الى زيد ولكن اساء والاظهر ان يكون استدراكا من نفس المقدم
على نهج ما فى الاقيسة الاستثنائية والمعنى لو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن ما ارادوه لان الله تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد
التى ستبين فثبطهم اى حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا له وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله
كراهة الخروج فى قلوبهم او لوسوسة الشيطان بالامر بالقعود او هو حكاية قول بعضهم لبعض او هو اذن الرسول لهم فى القعود والمراد
بالقاعدين اما المعذورون او غيرهم واياما كان فهو غير خال عن الذم لو خرجوا فيكم بيان لسر كراهته تعالى لانبعاثهم اى لو خرجوا
مخالطين لكم ما زادوكم اى ما اورثوكم شيئا من الاشياء الا خبالا اى فسادا وشرا فالاستثناء مفرغ متصل وقيل
منقطع وليس بذاك ولا اوضعوا خلالكم اى ولسعوا فيما بينكم بالنمائم والتضريب وافساد ذات البين من وضع البعير وضعا
اذا اسرع واوضعته انا اذا حملته على الاسراع والمعنى لاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد به المبالغة فى الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع
من الماشى وقرئ ولا رقصوا من رقصت الناقة اسرعت وارقصتها انا وقرئ ولا وفضوا اى اسرعوا يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم
بايقاع الخلاف فيما بينكم والقاء الرعب فى قلوبكم وافساد نياتكم والجملة حال من ضمير اوضعوا او استئناف وفيكم سماعون لهم اى نمامون
يسمعون حديثكم للنقل اليهم او فيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين اى يطيعونهم والجملة حال من مفعول يبغونكم او من فاعله لاشتمالها على ضميرهما
او مستانفة ولعلهم لم يكونوا فى كمية العدد وكيفية العدد بحيث يخل مكانهم فيما بين المؤمنين بامر الجهاد اخلالا عظيما ولم يكن فساد خروجهم معادلا لـ

المثبتة للعلامة

لمنفعة ولذلك لم تقتض الحكمة عدم خروجهم فخروج المؤمنين ولكن حيث كان انضمام المنافقين القاعدين اليهم مستتبعا للخلل الكلي كره الله
انبعاثهم فلم يثبت اصلا عهم فاندفع فسادهم ووجب العتاب على الاذن فعودهم مع تنزه الاحوال تتضمن خروجهم لهذه المفاسد لو قعدوا
بغير اذن منه تعالى يظهر نفاقهم فيما بين المسلمين من اول الامر ولم يقدروا على مخالطتهم التي فيما بينهم بالارجيف ولم يتسن لهم التمتع بالعيش الى ان يظهر حالهم بطريق
الآية النازلة والله عليم بالظالمين علما محيطا بضمائرهم وظواهرهم وما فعلوا فيما مضى وما يأتي منهم فيما يأتي ووضع المظهر موضع
المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والتشديد في الوعيد والاشعار بترتبه على الظلم وفيه شامل للمرتبين والسماعين والقاعدين لقد ابتغوا الفتنة
تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك من قبل اي يوم احد حين انصرف عبد الله ابن ابي بن سلول المنافق بمن معه وقد تخلف بمن معه
عن تبوك ايضا بعد ما خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع عن ابن جريج وقعوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم
على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا من المنافقين ليبتغوا به دم فردهم الله تعالى خائبين وقلبوا لك الامور تقليب الامر تصريفه
من وجه الى وجه وتردده لاجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل حول قلبا اي اجتهد وادبر وا
لك الحيل والمكائد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ بالتخفيف حتى جاء الحق اي النصر والتأييد وظهر امر الله
غلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون والحال انهم كارهون لذلك اي على رغم منهم والاتيان لتسلية الرسول والمؤمنين
عن تخلف المتخلفين وبيان ما تبطنهم الله تعالى لاجله وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعذارهم تذاركها ما عسى يفوت
بالمبادرة الى الاذن وايذانا بان ما فات بها ليس مما يكون ملافيه تهوينا للخطب ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني
اي لا توقعني في الفتنة وهي المعصية والاثم يريد اني متخلف لا محالة ان اذنت او لم تأذن فاذن لي حتى لا اقع في المعصية بالمخالفة
ولا تلقني في المهلكة فاني ان خرجت معك هلك مالي وعيالي لعدم من يقوم بمصالحهم وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار
اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكن اعينك بمالي فاتركني وقرئ ولا تفتني الا في فتنة
الا في الفتنة اي في عينها ونفسها والكمل افراد ما الغنى عن الوصف بالكمال الحقيق باختصاص اسم الجنس به سقطوا لا وقت مغايرة
لها فضلا عن ان يكون مهربا ومخلصا عنها وذلك بما فعلوا من العزيمة على التخلف والجرأة على الاستيذان بهذه الطريقة الشنيعة ومن العقوق
بالاذن المبني عليه وعلى الاعتذارات الكاذبة وقرئ بازدادا الفعل محافظة على لفظ من وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم الظرف
ايذان بانهم وقعوا فيها وهم يحسبون انها منجية من الفتنة تنزيلا لها منزلة المهواة المهلكة المفضحة عن تردديهم في دركات الردى
اسفل سافلين وقوله عز وجل وان جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة الناشئة داخل تحت التنبيه اي جامعة
لهم يوم القيمة من كل جانب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار او محيطة بهم الآن تنزيلا لما سيقع عن قريب منزلة الواقع
او وضعا للسبب موضع الشيء فان مبادي احاطة النار بهم من الكفر والمعاصي محيط بهم الآن من جميع الجوانب ومن جملتها ما قارفوا منه
وما استطافوا من الفتنة وقيل تلك المبادي المتشكلة بصور الاعمال والاخلاق هي النار بعينها ولكن لا تظهر ذلك في هذه النشأة وانما يظهر عند
تشكلها بصورها الحقيقية في النشأة الآخرة فالمراد بالكافرين اما المنافقون واظهار وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار
بانه معظم اسباب الاحاطة المذكورة واما جميع الكافرين الشاملين للمنافقين شمولا اوليا ان تصبك في بعض مغازيك حسنة
من الظفر والغنيمة تسؤهم اي تلك الحسنة اي توزبهم مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم لك قد اخذنا امرنا اي تلافينا ما يهمنا
من الامر يعنون به الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب والمدارة مع الكفرة وغير ذلك من امور الكفر والنفاق قولا وفعلا
من قبل اي من قبل اصابة المصيبة في وقت تداركه يشيرون بذلك الى ان المتابعة انما ترجح عند الكفرة بوفورها حال قوة الاسلام
لا بعد اصابة المصيبة ويتولوا عن مجلس الاجتماع والتحدث الى اهاليهم ويرضوا الى النبي عليه السلام وهم فرحون بما صنعوا
من اخذ الامر وبما اصاب عليه السلام والجملة حال من الضمير في يقولوا ويتولوا او الاخير فقط لمقارنة الفرح لهما معا وايثار الجملة الاسمية

للدلالة على دوام السرور وآسناد المسارة الى الحسنة والمسترة الى انفسهم دون المصيبة وآن يقال ولن يصيبك مصيبة تسؤهم للايذان باخلاق حالهم حالتي عروض المساءة والمسترة بانهم في الاولى مضطرون وفي الثانية مختارون قل يا ثانا لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد لن يصيبنا ابدا وقرئ يصيبنا وهل يصيبنا من فعل لامنه واوى يقال صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب الا ما كتب الله لنا اى اثبته لمصلحتنا الدنيوية والاخروية من النصر علينا والشهادة المؤدية الى النعيم الدائم هو مولانا ناصرنا ومتولي امورنا وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون التوكل تفويض الامر الى الله والرضى بما فعله وان كان ذلك بعد ترتب المبادي العادية والفاء للدلالة على آن السببية والاصل ليتوكل المؤمنون على الله قدم الظرف على الفعل لافادة القصر ثم ادخل الفاء للدلالة على استيجابه تعالى للتوكل عليه كما في قوله تعالى فاياي فارهبون والجملة ان كانت من تمام الكلام المأمور به فاظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار للاظهار التبرك واللذ وان كانت مسوقة من قبله تع او المؤمنين بالتوكل لتزامه عليه السلام بما ذكر فالامر ظ وكذا اعادة الامر في قوله عز وجل قل هل تربصون بنا لانقطاع حكم الامر الاول بالثاني وان كان امرا الغائب واما على الوجه الاول فهي لابراز كمال العناية بشان المأمور به والاشعار بما بينه وبين ما امر به قلا من الربط في السياق والتربص الكف مع انتظار مجئ شئ خيرا كان او شرا والباء للتعدية واحدى التائين محذوفة اى ما تتربصون بنا الا احدى الحسنيين اى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما ابهم في الجواب الاول وكشف لحقيقة الحال باعلام اى ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع مما يعدونه منفعة من النصر والغنيمة ونحن نتربص بكم احدى السوئين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة والظرف صفة عذاب وكذلك حذف عامله وجوبا او بعذاب بايدينا او هو القتل على الكفر فتربصوا انا معكم متربصون ما هو عاقبتنا فاذا لقي كل منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون الا ما يسوءكم قل انفقوا اموالكم في سبيل الله طوعا او كرها مصدران وقعا موقع الفاعل اى طائعين او كارهين وهو امر في معنى الخبر كقوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم والمعنى انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم ونظم الكلام في سلك الامر للمبالغة في بيان تساوي الامرين في عدم القبول كانهم امروا بان يجتهدوا في الحال فينفقوا على الحالين فينظر هل يتقبل منهم فتشاهدوا عدم القبول وهو جواب قول جد بن قيس ولكن اعينك بمالي ونفي القبول يحتمل ان يكون بمعنى عدم الاخذ منهم وان يكون بمعنى عدم الاثابة عليه وقوله عز وجل انكم كنتم قوما فاسقين اى عاصين متمردين تعليل لرد انفاقهم وما منعهم ان تقبل منهم وقرئ بالتحتانية نفقاتهم الا انهم كفروا بالله ورسوله استئناف مسوق لاعلام الاشياء اى ما منعهم قبول نفقاتهم منهم شئ من الاشياء الا كفرهم وقرئ بتاء على التأنيث للفاعل وهو الله تعالى ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى اى لا يأتونها في حال من الاحوال الا حال كونهم متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فقوله تعالى طوعا اى من غير الزام من جهته عليه السلام او هو فرضي لتوسيع الدائرة فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج لهم ووبال عليهم صيانة عنه قوله تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بما يكابدون بجمعها وحفظها من المتاعب ما يقاسون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع في النظر في العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة لا نعمة وآصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم في الدين والاسلام وما هم منكم في ذلك ولكنهم قوم يفرقون يخافون ان تفعل بهم ما تفعل بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ويؤيده بالايمان الفاجرة لو يجدون ملجأ موئلا لما سبق من انهم ليسوا من المسلمين وان التجاءهم الى الانتماء اليهم انما هو للتقية اضطرارا

تنظرون

لأنه بسبب انتفاء استمرار الاحصان فكان الشكر يتوقف على وجود الاحصان

حتى انهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ مكانا حصينا يلتجئون اليه من رأس جبل او قلعة او جزيرة وآثار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار عدم الوجدان فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء استمرار الفعل كما هو الظاهر فتدبر استمرار انتفائه ايضا صريحا بمقتضى المقام فان معنى ذلك لو تحرى الى شكر بتلك الآية انتفاء الشكر بسبب استمرار انتفاء الاحصان لا على استمراره كما حقق في موضعه او مغارات اى غيرانا وكهوفا يختفون فيها انفسهم وقرئ بضم الميم من اغار الرجل اذا دخل الغور وقيل متعد من غاره اذا دخل الغور اى امكنة يتغيرون فيها اشخاصهم واهليهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومغارعوا ومدخلا او نفقا يندسون فيه ويتحجرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من الدخول او مدخلا من الادخال اى مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرئ مندخلا ومندخلا من الدخل والاندخال لولوا اى نصرفوا وجوههم واقبلوا وقرئ لوألوا الى التجاء اليه اى الى احد ما ذكر وهم يجمحون اى يسرعون بحيث لا يردهم شئ من الفرس الجموح وهو الذى لا يليقه اللجام وفيه اشعار بكمال عتوهم وطغيانهم وقرئ يجمزون من جمز يجمز ويشتدون منه الجماز ومنهم من يلمزك بكسر الميم وقرئ بضمها اى يعيبك سرا وقرئ يلمزك بلا همز مبالغة في الصدقات اى في شانها وقسمتها فان اعطوا منها بيان لفا دلمزهم وانه لا مشاله سوى حرصهم على حطام الدنيا اى ان اعطوا منها قدرما يريدون رضوا بما وقع من القسمة واستحسنوا وان لم يعطوا منها ذلك المقدار اذا هم يسخطون اى يباشرون السخط ولذا نائب مناب فاء الجزاء قيل نزلت الآية في ابى الجواظ المنافق حيث قال الا ترون الى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير التميمى راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم والاول هو الاظهر ولو انهم رضوا ما اتيهم الله ورسوله اى ما اعطاهم الرسول من الصدقات طيبى النفوس به وآثر فعل وذكر الله دم للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول عليه السلام كان بامره سبحانه وقالوا حسبنا الله كفانا فضله وصنعه ما قسمه لنا سيؤتينا الله من فضله ورسوله بعد هذا جميعا نوجه ونؤمل انا الى الله راغبون في ان يجدلنا فضله والآية باسرها تدل على ان جواب الشرط محذوف بناء على ظهوره لكان خيرا لهم انما الصدقات شروع في تحقيق حقية ما صنعه الرسول عليه السلام من القسمة ببيان المصارف ورد المقالة الفاسدة في ذلك وحسم لاطماعهم الفارغة المبنية على زعمهم الفاسد ببيان انهم معزل من استحقاق اى جنس الصدقات المشتمل على الانواع للفقراء والمساكين اى مخصوصة بهؤلاء الاصناف الثمانية الآتية لا تتجاوزهم الى غيرهم كما انه قيل انما هي لهم فما للذين لا علاقة بينهم وبينهم يقولون فيها ما يقولون وما سوغهم انما يتكلمون فيها وقاسمها والفقير من لا دانى شئ والمسكين من لا شئ له هو المروى عن ابى حنيفة وقد قيل على العكس والكل منهما وجه يدل عليه والعاملين عليها الساعين في جمعها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم هم اصناف فمنهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتالفهم ليسلموا فيرضخ لهم ومنهم قوم اسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف قلوبهم باجزال العطاء كعيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس ومنهم من يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم ولعل التصنيف الاول كان بتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم من خمس الخمس الذى هو خالص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه شئ ربما على قتال الكفار وما نسخ الزكوة وقد سقط سهم هؤلاء بالاجماع لما ان ذلك كان لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله عز وعلا ولله الحمد استغنى عن ذلك وفي الرقاب اى وللصرف في فك الرقاب بان يعان المكاتبون بشئ منها على اداء نجومهم وقيل بان يشتري منها الرقاب فتعتق وانا يا كان خالصا عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للاستحقاق كالذين من قبلهم او للايذان بعدم اقتدار ملاكهم فيما اعطوا كما في الوجهين الاولين او لعدم ثبوته رأسا كما في الوجه الاخير او للاشعار برسوخهم في استحقاق الصدقة لما ان في الظرفية المنبئة عن احاطتهم بها وكونهم محلها ومركزها والغارمين اى الذين تدينوا لانفسهم في غير معصية او لمن يعين اهم نصا فاضل عن ديونهم وكذلك عند الشافعي رضا

وانت خبير بان في قول الامام ش [illegible]
نسخه صح

لاصلاح ذات البين واطفاء النائرة بين القبيلتين وان كانوا اغنياء وفي سبيل الله اي فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل
اي المسافر المنقطع عن ماله وتكرير الظرف في الاخيرين للايذان بزيادة فضلهما في الاستحقاق او لما ذكر من ايرادهما بعنوان غير مصحح للمالكية وفصلا من
فهذه مصارف الصدقات فللمتصدق ان يدفع صدقته الى كل واحد منهم وان يقتصر على صنف منهم لان اللام لبيان انهم مصارف لا يخرج عنهم لا لاثبات
الاستحقاق وقد روي ذلك عن عمر وابن عباس رضه وحذيفة رضه وعند الشافعي رحه لا يجوز الا ان يصرف الى ثلثة من تلك الاصناف فريضة
من الله مصدر مؤكد لما دل عليه صدر الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة ونقل عن سيبويه انه منصوب بفعله مقدرا اي فرض الله ذلك فريضة
او حال من الضمير المستكن في قوله للفقراء اي انما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة اي مفروضة والله عليم باحوال الناس ومراتب استحقاقهم
حكيم لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة من الامور الحسنة التي من جملتها سوق الحقوق الى مستحقيها ومنهم الذين يؤذون النبي نزلت في جماعة
من المنافقين قالوا في حقه عم ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ذلك فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا
ونحلف فيصدقنا بما نقول انما محمد اذن سامعة وذلك قوله عز وجل ويقولون هو اذن اي يسمع كل ما قيل من غير ان يتدبر فيه ويميز بين ما يليق
بالقبول لمساعدة امارات الصدق له وبين ما لا يليق به وانما قالوه لانه عليه السلام كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على سلامة
القلب وقالوا ما قالوا قل اذن خير لكم من قبيل رجل صدق في الدلالة على المبالغة في الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن
ويجوز ان يكون المراد اذن في الخير والحق وفيما ينبغي سماعه وقبوله لا في غير ذلك كما يدل عليه قراءة رحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع
غيرهما ولا يقبله وقرئ اذن بسكون الذال فيهما وقرئ اذن خير على انه صفة او خبر ثان وقوله عز وجل يؤمن بالله تفسير لكونه اذن خير لهم اي يصدق
بالله لما قام عنده من الادلة الموجبة له وكون ذلك خيرا للمخاطبين كما انه خير للعالمين مما لا يخفى ويؤمن للمؤمنين اي يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص
واللام مزيدة للتفرقة بين الايمان المشهورة وبين الايمان بمعنى التسليم والتصديق كما في قوله تعالى انؤمن لك الخ وقوله تعالى فما آمن لموسى الخ ورحمة
عطف على اذن خير اي وهو رحمة بطريق اطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة للذين آمنوا منكم اي للذين اظهروا الايمان منكم حيث يقبله منكم لكن
لا تصديقا لهم في ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم واسناد الايمان اليهم بصيغة الفعل بعد نسبته الى المؤمنين
بصيغة الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للايذان بان ايمانهم امر حادث ما له من قرار وقرئ بالنصب على انها علة لفعل دل عليه اذن خير
اي اذن لكم رحمة والذين يؤذون رسول الله بما نقل عنهم من قولهم هو اذن ونحوه وفي صيغة الاستقبال المشعرة بترتب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه
اشعار بقبول توبتهم كما افصح عنه قوله تعالى فيما سيأتي فان يتوبوا يك خيرا لهم لهم بما يجترؤن عليه من اذيته كما ينبئ عنه بناء الحكم على الموصول
عذاب اليم وهذا اعتراض مسوق من قبله عز وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب وفي تكرير الاسناد واثبات العذاب الاليم لهم ثم جعل
الجملة خبرا للموصول ما لا يخفى من المبالغة وايراده صلى الله تعالى عليه وسلم بعنوان الرسالة مضافا الى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على ان اذيته
راجعة الى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب يحلفون بالله لكم خطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم يأتونهم
فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالايمان ليعذروهم ويرضوا عنهم اي يحلفون لكم انهم ما قالوا ما نقل اليهم مما يورث اذاة النبي عليه السلام او ما تخلفوا
عن الجهاد غير معذورين ليرضوكم بذلك وافراد ارضائهم بالتعليل مع ان عمدة اغراضهم ارضاء الرسول عليه السلام وقد قبل عم
ذلك منهم ولم يكذبهم للايذان بان ذلك بمعزل من ان يكون وسيلة الى ارضائه عم وانه انما لم يكذبهم رفقا بهم وسترا لعيوبهم لا عن رضى بما فعلوا كما اليه
والله ورسوله احق ان يرضوه اي احق بالارضاء ولا يتسنى ذلك الا بالطاعة والمتابعة وايفاء حقوقهم في باب الاجلال والاعظام شهدا وغيبا
واما ما يتوهمون من الايمان الفاجرة فانما يرضى به من انحصر طريق علمه في الاخبار الى ان يجيء الحق ويزهق الباطل والجملة نصب على الحالية من ضمير يحلفون
اي يحلفون لكم لارضائكم والله تعالى ورسوله احق بالارضاء منكم اي يعرضون عما يهمهم ويجديهم ويشتغلون بما لا يعنيهم وافراد الضمير في يرضوه
اما للايذان بان رضاه عم مندرج تحت رضاه سبحانه وارضاؤه ارضاء له تعالى لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واما لانه مستعار لاسم الاشارة
الذي يشار به الى الواحد والمتعدد بتاويل المذكور كما في قول رؤبة * فيها خطوط من سواد وبلق * كانه في الجلد توليع البهق * اي كان ذلك

لا يقال الخ حاصله الى الاستعارة بعد التاويل المذكور لا نسلم لانا نقول لو لا الاستعارة لم يتم التاويل لما ان الضمير لا يتعرض الا للذات وما يرجع اليه من غير تعرض لوصف من اوصافه التي من جملتها المذكورية واما المتعرض لها اسم الاشارة وانما لانه عائد الى رسوله والكلام جملتان حذف خبر الاولى لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب اليه سيبويه ومنه قول من قال نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف اي المذكور خبر الجملة الاولى وخبر الثانية محذوف كما هو رأي المبرد ان كانوا مؤمنين جوابه محذوف تقديره دلالة ما سبق عليه اي ان كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فانهما احق بالارضاء الم يعلموا اي اولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما اقدموا عليه من العظيمة مع علمهم بسوء عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع والتوبيخ اي الم يعلموا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من فنون القوارع والانذارات انه الى الشان من يحادد الله ورسوله المحادة من الحد كالمشاقة من الشق والمعاداة من العدوة بمعنى الجانب فان كل واحد من مباشري كل من الافعال المذكورة في محل غير محل صاحبه ومن شرطية جوابها قوله تعالى فان له نار جهنم على ان خبر محذوف اي فحق ان له نار جهنم وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية في محل الرفع على انها خبر ان ومن مع خبرها مسد مسد مفعولي يعلموا وقيل المعنى فله ان لفظة تكرير اللاولى تاكيد الطول العهد لا من باب التاكيد اللفظي الانع للاول من العمل ودخول الفاء كما في قول من قال لعد علم الحي اليمانون انني اذا قلت اما بعد اني خطيبها وقد جوز ان يكون فان له معطوفا على انه وجواب الشرط محذوفا تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له الخ وردّ بان ذلك انما يجوز عند كون فعل الشرط ماضيا او مضارعا مجزوما بلم فالذي فيها حال مقدرة من الضمير المجرور ان اعتبر فيه الوصف ابتداء لا استمرار صدوره وانما اعتبر مطلق الاستقرار فالامر ظاهر ذلك اشير الى ما ذكر من العلاقة الحالية بذلك الخزي العظيم الخزي الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهي ثمرات نفاقهم حيث يتضمن علانيتهم الاشهاد بظهور ما وحق العذاب الخاص بهم والجملة تذييل لما سبق يحذر المنافقون ان تنزل عليهم في شانهم فان ما نزل في حقهم نازل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم من الاسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من اقاويل الكفر والنفاق ومعنى تنبئهم اياها تعريفهم اياها بان ما في قلوبهم امر معلق لهم وان المحذور عندهم اطلاع المؤمنين على اسرارهم لا اطلاع انفسهم عليها انما تدبع ما كانوا يخفونه من اسرارهم فتنتشر فيما بين الناس فيسمونها باخواتها الرجال مذاعة فكانما تخبرهم بها والمراد بالتنبئة المبالغة في كون السورة مشتملة على اسرارهم كانها تعلم من احوالهم الباطلة لا يعلمونه فتنبئهم بها وتبقى عليهم قبائحهم وقيل الضمير ان الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالى بالتفكك عند ظهور الاول وبقود المعنى اليه اي يحذر المنافقون ان تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب المنافقين وتهتك عليهم استارهم قال ابو مسلم كان اظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا اذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر كل شيء ويقول انه بطريق الوحي يكذبونه به ولذلك قيل قل استهزؤا اي افعلوا الاستهزاء وهو امر تهديد ان الله مخرج اي من القوة الى الفعل او من الكمون الى البروز ما تحذرون اي ما تحذرونه من اخراج السورة ومن مخازيكم ومثالبكم المستكنة في قلوبكم الفاضحة لكم على رؤس الناس والتاكيد لرد انكارهم بذلك للادعاء تردد في وقوع المحذور اذ ليس ضررهم بطريق الحقيقة ولئن سألتهم عما قالوا ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي انه عليه السلام كان يسير في غزوة تبوك في بعض ركب فقال المنافقين يستهزؤن بالقرآن وبالرسول هيهات هيهات فاطلع الله نبيه عليه السلام على ذلك فقال احبسوا علي الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر فقل غير ملتفت الى اعتذارهم ناعيا عليهم جنايتهم منزلا لهم منزلة الموقن بوقوع الاستهزاء موبخا لهم على خطائهم موقع الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن حيث عقب حرف التقرير بالمستهزأ به ولا بستقيم ذلك الا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا اي لا تشتغلوا بالاعتذار وهو عبارة عن مجرد الذنب فانه معلوم الكذب بين البطلان قد كفرتم اظهرتم بما بدا منكم من الاستهزاء والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم له ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او تجنبهم عن الايذاء والاستهزاء وقرئ يعف على اسناد الفعل الى الله تعالى وقرئ على البناء للمفعول مسندا الى الظرف وبتائية ايضا ذهابا الى المعنى كما في قبل ان نرحم طائفة نعذب

وهي همزة الاستفهام

وتأنيبا على التنابز للنعوت اسند الى العابد قالته ابنهم كانوا مجرمين مصرين على الاجرام وهم

بون العظمة وقرئ بالياء على البناء للفاعل غير الثائبين او مباشرين له وهم غير المجتنبين **قال** محمد بن اسحق الذي عفى عنه رجل واحد هو يحيى بن حمير الاشجعي لما نزلت هذه الآية تاب عن نفاقه وقال اللهم انى لا ازال اسمع آية تقشعر منه الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره المنافقون والمنافقات التعرض لاحوال الاناث للايذان بكمال عراقتهم فى الكفر والنفاق بعضهم من بعض اى متشابهون فى النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشىء الواحد الشخص **وقيل** ارى به نفى ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم فى حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم وقوله تعالى يأمرون بالمنكر اى بالكفر والمعاصى وينهون عن المعروف اى عن الايمان والطاعة استئناف مقرر لمضمون ما سبق ومفصح عن مضادة حالهم لحال المؤمنين او خبر ثان ويقبضون ايديهم اى عن المبرات والانفاق فى سبيل الله فان قبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون فى التمرد والفسق الذى هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة التقرير قوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار اى المجاهرين نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود فيها هى حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عقابها ولعنهم الله اى ابعدهم من رحمته واهانهم وفى اظهار الاسم الجليل من الايذان بشدة السخط ما لا يخفى ولهم عذاب مقيم اى نوع من العذاب غير العذاب النار دائم لا ينقطع ابدا ولهم عذاب مقيم معهم فى الدنيا لا ينفك عنهم وهو ما يقاسون من تعب النفاق الذى هم منه فى بلية دائمة لا يأمنون ساعة من خوف الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم كالذين من قبلكم التفات من الغيبة الى الخطاب للتشديد والكاف فى محل الرفع على الخبرية اى انتم مثل الذين من قبلكم من الامم المهلكة او فى حيز النصب بفعل مقدر اى فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا تفسير وبيان لتشبيههم بهم وتمثيل لحالهم بحالهم فاستمتعوا وتمتعوا وفى صيغة الاستفعال ما ليس فى التفعل من الاستزادة والاستدامة فى التمتع بخلاقهم بنصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير وهو ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الكاف فى محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى استمتاعا كاستمتاع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر فى العواقب الحقة واللذائذ الحقيقية تمهيد لذم المخاطبين بمشابهتهم اياهم واقتفائهم اثرهم وخضتم اى دخلتم فى الباطل كالذى خاضوا اى كالذين باسقاط النون او كالفوج الذى خاضوه اولئك اشارة الى المتصفين بالاوصاف المعدودة من المشبهين والمشبه بهم لا الى النوع الاخير فقط فان ذلك يقتضى ان يكون حبوط اعمال الاخيرين وضلالهم مفهومين ضمنا لا صريحا ويؤدى الى خلو تلوين الخطاب عن الفائدة اذ الظاهر اولئكم والخطاب لرسول الله عليه السلام او لكل من يصلح للخطاب اى اولئك الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة حبطت اعمالهم ليس المراد بها اعمالهم المعدودة كما يشعر به التعبير عنهم باسم الاشارة فان عاقلتها غنية عن البيان بل اعمالهم التى كانوا يستحقون بها اجورا حسنة لو قارنت الايمان اى ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها اثر فى الدنيا والآخرة بطريق المثوبة والكرامة اما فى الآخرة فظاهر واما فى الدنيا فلان ما يترتب على اعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم وهم فيها لا يبخسون ليس مترتبة عليها على طريقة المثوبة والكرامة بل بطريق الاستدراج واولئك اى الموصوفون بحبوط الاعمال فى الدارين هم الخاسرون الكاملون فى الخسران فى الدارين الجامعون لمباديه واسبابه طرا فانه قد ذهب رؤس اموالهم التى هى اعمالهم فما ظفر بهم ولم ينفعهم لكن بحسبانا وايراد اسم الاشارة فى الموضعين للاشعار بعلية الاوصاف المشار اليها للحبوط والخسران الم يأتهم اى المنافقين نبأ الذين من قبلهم خبرهم الذى له شأن وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اى انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل **وقيل** قريات المكذبين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات استئناف لبيان نبأهم فما كان الله ليظلمهم الفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام

الذى جمع مغازى الرسول صلى الله عليه وسلم كذا قال منه عفى عنه

ويسند عيه النظام فاهلكهم الله فاظلمهم بذلك وآثار ما عليه النظم الكريم للمبالغة فى تنزيه ساحة القدس عن الظلم اى ما فيه وما استقبح
ان يظلمهم ولكنهم ظلموا انفسهم والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل فى قوله عز وجل ولكن كانوا انفسهم يظلمون للدلالة
على استمرار ظلمهم حيث لم يزالوا يوضعونها للعقاب بالكفر والتكذيب وتقديم المفعول للجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد
الى قصر المظلومية عليهم على اى من لا يرى التقديم موجبا للقصر حيكون كما فى قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم على
او المفعول وسيجىء لهذا مزيد بيان فى قوله سبحانه ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
اولياء بعض بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالا ومآلا اثر بيان قبح حال اضدادهم عاجلا وآجلا والتعبير عن نسبة بعضهم
بعضهم الى بعض بالبنوة وعن نسبة اولئك من الانصالية للايذان بان نسبة هؤلاء بطريق الولاية الدينية المبنية على العقيدة المنبعثة
للآثار من المعونة والنصرة وغير ذلك فوق نسبة اولئك بمقتضى الطبيعة والعادة يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر اى عن
المعروف المنكر المتعلقين لكل خير وشر ويقيمون الصلوة فلا يزالون يذكرون الله سبحانه فهو فى مقابلة ما سبق من قولهم
نسوا الله ويؤتون الزكوة بمقابلة ايديهم ويطيعون الله ورسوله اى فى كل امر ونهى وهو بمقابلة وصف المنافقين
بكمال الفسق والخروج عن الطاعة اولئك اشارة الى المؤمنين والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات الفاضلة وما فيه
من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم فى الفضل اى اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة سيرحمهم الله اى يتعلق عليهم
آثار رحمته من التاييد والنصرة البتة فان السين مؤكدة للوقوع كما فى قولك سانتقم منك ان الله عزيز تعليل للوعد اى قوى
قادر على اعزاز اوليائه وقهر اعدائه حكيم بين احكامه على اساس الحكمة الداعية الى ايصال الحقوق الى مستحقيها من اهل
الطاعة واهل المعصية وهذا وعد للمؤمنين متضمن لوعيد المنافقين كما ان ما سبق فى شان المنافقين من قوله فنسيهم ووعيدهم متضمن
لوعد المؤمنين فان منع اللطف عمن لطف فى حق المؤمنين وعد الله المؤمنين والمؤمنات تفصيل لآثار رحمته الاخروية
اثر رحمته الدنيوية والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بعلية وصف الايمان وبالحصول ما تعلق به الوعد
وعدم التعرض لذكر ما قرن من الامر بالمعروف وغيره لكل لايذان بانه من لوازمه ومستتبعاته اى وعدهم وعدا شاملا لكل احد منهم
على اختلاف طبقاتهم فى مراتب الفضل كيفا وكما جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها فان كل احد منهم فائز بها
لا محالة ومساكن طيبة اى وعد بعض الخواص الكل منهم منازل يستطيبها النفوس او يطيب فيها العيش فى الجنات التى تقصر
من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر فى جنات عدن هى ابنية اماكن الجنات واسنادها الى النبى عليه السلام عدن دار الله
لم تر ما عين ولم يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك
وعن ابن عمر رضى الله عنه ان فى الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حورة
لا يدخله الا نبى او صديق او شهيد وعن ابن مسعود رضى الله عنه طوبى فى الجنة وسرتها فى عدن فى بيتها وقيل هو بطنان الفردوس
اعنى الاقامة والخلود فرجع العطف الى اختلاف الوصف وتغايره فكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو اشرف الاماكن الموعودة
عندهم فى الجنات ذات الانهار الجارية ليميل اليهم طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش مروى عن شواب
الكلوم التى لا يكاد يخلو عنها الماكن الا دنيا وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات فى جوار
العليين لا يعترهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اعلى من ذلك كله ورضوان من الله اى وشئ يسير من رضوانه تعالى
اكبر اذ به ورعليه فوز كل خير وسعادة وبه نيل كل شرف وسيادة ولعل عدم نظمه فى سلك الوعد مع عدته فى نفسه
لانه متحقق فى ضمن كل موعود لانه مستمر فى الادوار روى انه تعالى يقول لاهل الجنة اهل رضيتم فيقولون مالنا لا نرضى
وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واى شئ افضل من ذلك قال احل عليكم رضوانى

فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اشارة الى ما سبق ذكره وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في العظم والفخامة هو
الفوز العظيم دون ما يعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا فانها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدرها
ليست بالنسبة الى ادنى شئ من نعيم الآخرة بمثابة جناح البعوضة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن
عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ونعما قال من قال الله لو كانت الدنيا بجمعها تبقى علينا وما من رزقها رغدا
ما كان من حق ان يدل بها فكيف وهي متاع يضمحل غدا يا ايها النبي جاهد الكفار اي المجاهدين منهم بالسيف والمنافقين
بالحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تأخذك بهم رأفة قال عطا نسخت هذه الآية كل شئ من العفو والصفح
وداراهم جهنم جملة مستأنفة لبيان آجل امرهم اثر بيان عاجله ومثل عالية وبئس المصير تذييل للمقابلة والمخصوص بالذم
محذوف يحلفون بالله ما قالوا استئناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة للامر بالجهاد والغلظة عليهم ودخول
جهنم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن في المنافقين المختلفين فيسمعه من كان منهم
معهم فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير
فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا الصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله عليه السلام فاخذ فلف
بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل واثبار صيغة الاستقبال
في يحلفون لاستحضار الصورة او للدلالة على تكرر الحلف في صيغة الجمع فقالوا مع ان القائل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم برضاهم
بقوله صاروا بمنزلة القائلين ولقد قالوا كلمة الكفر هي كلمة تنفر والجملة مع ما عطف عليها اعتراض وكفروا بعد اسلامهم
اي واظهروا ما في قلوبهم من الكفر بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا هو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك
انه بوافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوا عنه في راحلته اذا استم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر آخذ الخطام وراحلته بتوذة
وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم
ملثمون فقال اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بتنفير عامر لدابته على الجلاس وقيل اراد وا ان يتوجوا عبد الله
بن ابي بن سلول وان لم يرض به رسول الله عليه السلام وما نقموا اي وما انكروا وما عابوا او وما يورث نقمتهم
الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله سبحانه وتعالى وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله عليه السلام المدينة
في غاية ما يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يجوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل جلاس مولى فارس رسول الله عليه السلام
بدية اثني عشر الف درهم فاستغنى الاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او من اعم العلل اي وما انكروا شيئا الا اغناء الله اياهم
او ما انكروا لما انكروا العلة من العلل الا اغناء الله اياهم فان يتوبوا عما هم عليه من الكفر والنفاق يك خيرا لهم في الآخرين
قيل لما تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر
فتاب الجلاس وحسنت توبته وان يتولوا الى استمروا على ما كانوا عليه من التولي والاعراض عن الدين او اعرضوا عن التوبة
بعد هذا العرض يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك من فنون العقوبات والآخرة
بالنار وغيرها من انواع العقاب وما لهم في الارض مع سعتها وتباعد اقطارها وكثرة اهلها المصحح لوجدان مانع
بقوله عز وجل من ولي ولا نصير يقيهم من العذاب بالشفاعة والمدافعة ومنهم بيان لفاعل عاهد ضمن آخر منهم
من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنتصدقن لنؤتين الزكوة وغيرها من الصدقات ولنكونن من الصالحين قال
ابن عباس رضي الله عنهما ما ورد الحج وقرئ بالنون الخفيفة فيهما قيل نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي حقه خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق

لئن رزقني مالاً لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل وادياً وانقطع
من الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لأخذ
الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله عليه السلام الذي فيه الفرائض
فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية ثم قال ارجعا حتى أرى رأيي وذلك قوله عز وجل • فلما آتاهم من فضله بخلوا به
أي منعوا حق الله تعالى منه • وتولوا • أي أعرضوا عن طاعة الله سبحانه فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن
يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام إن الله منعني أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال عليه السلام هذا
عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض عليه الصلاة والسلام فجاء بها إلى أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها إلى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها ثم هلك في خلافة
عثمان رضي الله عنه وقيل نزلت فيه وفي سهل بن الحرث وجد بن القيس ومعتب بن قشير والأول هو الأشهر • وهم معرضون • جملة معترضة
أي وهم قوم عادتهم الإعراض وحالية أي تولوا بأجرامهم وهم معرضون بقلوبهم • فأعقبهم • أي جعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقاً
راسخاً • في قلوبهم إلى يوم يلقونه • أي يوم موتهم الذي يلقون الله تعالى عنده أو يلقون فيه جزاء عملهم وهو يوم القيمة وقيل
فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم ولا يلائمه قوله عز وجل • بما أخلفوا الله ما وعدوه • أي بسبب إخلافهم ما وعدوه
تعالى من التصدق والصلاح • وبما كانوا يكذبون • أي وبكونهم مستمرين على الكذب في جميع المقالات التي من جملتها وعدهم المذكور
وتخصيص الكذب به يؤدي إلى تخلية الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل عن المزية فإن تسبيب الإعقاب المذكور بالإخلاف والكذب
يقتضي بإسناده إلى الله عز وجل إذ لا معنى لكونهما سببين لإعقاب النفاق والتحقيق أنه لما كانت الفاء الدالة على الترتيب والتفريع
منبئة عن ترتب إعقاب النفاق المخل على أفعالهم المحكية عنهم من المعاهدة بالتصدق والصلاح والبخل والتولي والإعراض وفيها
ما لا دخل له في الترتب المذكور كالمعاهدة أزيح ما في ذلك من الإبهام بتعيين ما هو المدار في ذلك والله أعلم وقرئ بتشديد الذال
ألم يعلموا • أي المنافقون أو من عاهد الله تعالى وقرئ بالتاء الفوقانية خطاباً للمؤمنين فالهمزة على الأول للإنكار والتوبيخ والتهديد
أي ألم يعلموا • أن الله يعلم سرهم ونجواهم • أي ما أسروه في أنفسهم وما تناجوا به فيما بينهم من المطاعن وتسمية الصدقة جزية
وغير ذلك مما لا خير فيه وسر تقديم السر على النجوى سيظهر في قوله تعالى وستردون إلى عالم الغيب والشهادة • وأن الله علام الغيوب
فلا يخفى عليه شيء من الأشياء حتى اجترؤوا على ما اجترؤوا عليه من العظائم وإظهار اسم الجليل في الموقعين لإلقاء الروعة وتربية
المهابة وفي إيراد العلم المتعلق بسرهم ونجواهم بصيغة الفعل الدال على الحدوث والتجدد والعلم المتعلق بالغيوب الكثيرة الدائمة بصيغة
الاسم الدال على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة ما لا يخفى وعلى الثاني للتقرير وتذكير علم المؤمنين بذلك وتنبيههم على أنه تعالى مؤاخذهم ومجازيهم
بما علم من أعمالهم • الذين يلمزون • نصب أو رفع على الذم ويجوز جره على البدلية من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ بضم الميم وهي لغة
أي يعيبون • المطوعين • أي المتطوعين المتبرعين • من المؤمنين • حال من المطوعين وقوله تعالى • في الصدقات • متعلق بيلمزون روي
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة فأتى عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب وقيل بأربعة آلاف درهم
وقال كان لي ثمانية آلاف درهم فأقرضت ربي أربعة وأمسكت لعيالي أربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت
وفيما أمسكت فبارك له حتى صولحت تماضر رابعة نسائه عن ربع الثمن على ثمانين ألفاً وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل
الأنصاري بصاع من تمر فقال بت ليلي أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعاً لعيالي وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات
فلمزهم المنافقون فقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل ولكن أحب أن يذكر بنفسه
ليعطى من الصدقات فنزلت • والذين لا يجدون إلا جهدهم • عطف على المطوعين أي ويلمزون الذين لا يجدون إلا طاقتهم وقرئ بفتح الجيم
وهو مصدر جهد في الأمر إذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة • فيسخرون منهم • عطف على يلمزون أي يهزؤون بهم

بضم الهمزة وتشديد الياء اهـ

والمراد بهم الفريق الاخير سخر الله منهم اخبار بمجازاته تعالى اياهم على ما فعلوا من السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة ولهم
اى ثابت لهم عذاب اليم التنوين للتفخيم والتهويل وايراد الجملة الاسمية للدلالة على الاستمرار استغفر لهم اولا تستغفر لهم اخبار
باستواء الامرين الاستغفار لهم وتركه فى استحالة المغفرة وتصويره بصورة الامر للمبالغة فى بيان استوائهما كانه قيل ائت باحد الحالين اما ان تستغفر
تارة وتتركه اخرى لتظهر له جلية الامر كما فى قوله عز وجل قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم
بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة فى الاستغفار اثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه روى ان عبد الله بن ابى وكان من المخلصين قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه ليته ان يستغفر له فعل ايم فنزلت فقال ايم مخافة على ما هو الاصل من ان مراتب الاعداد حدود معينة
يخالف حكم كل منها حكم ما فوقها ان الله قد رخص لى فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم
وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة فى مطلق التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانها العدد بامره وقيل
هى الجمل الاعداد يجمعها معانيها ولان الستة اول عدد تام لتعادل اجزائها الصحيحة اذ نصفها ثلثة وثلثها اثنان وسدسها واحد وجملتها
ستة وهى مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ الاحاد غايتها العشرات والسبعمائة
غاية الغايات ذلك اشارة الى امتناع المغفرة لهم وكونه بعد المبالغة فى الاستغفار اى ذلك الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل
بانهم الى بسبب انهم كفروا بالله ورسوله كفرا متجاوزا الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق فى قوله عز وعلا والله لا يهدى القوم
الفاسقين فان الفسق فى كل شئ عبارة عن التعدى والتجاوز عن حدوده اى لا يهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة لمخالفة ذلك
للحكمة التى عليها يدور فلك التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهى متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم استحبوها
فوقعوا فيما وقعوا وهو تذييل مؤكد لما قبله من الحكم فان المغفرة انما هى عن الكفر والاقبال الى الحق والمنهى فيه المطبوع عليه
بمعزل من ذلك وفيه تنبيه على عذر النبى صلى الله عليه وسلم فى استغفاره لهم وهو عدم يأسه عن ايمانهم حيث لم يعلم انهم مطبوعون
على الغى والضلال اذ الممنوع هو الاستغفار لهم بعد تبين حالهم كما ستبين من قوله عز وجل ما كان للنبى الآية فرح المخلفون الذين
خلفهم النبى عم بالاذن لهم فى القعود عند استئذانهم وخلفهم الله بشبط اياهم لما علم فى ذلك من الحكمة الخفية او خلفهم كسلهم
او نفاقهم بمقعدهم متعلق بفرح اى بقعودهم وتخلفهم عن الغزو خلاف رسول الله اى خلفه وبعد فروجه حيث خرج
ولم تخرجوا يقال اقام خلاف الحى اى بعدهم ظعنوا او لم يظعنوا وتؤيده قراءة من قرأ خلف رسول الله فانتصابه على انه ظرف
لمقعدهم اذ لا فائدة فى تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى المخالفة وبعضد قراءة من قرأ خلف رسول الله بضم الخاء فانتصابه
على انه مفعول له والعامل اما فرح اى فرحوا لاجل مخالفته ايم بالقعود واما مقعدهم اى فرحوا بقعودهم لاجل مخالفته ايم بالقعود
او على انه حال والعامل احد المذكورين اى فرحوا مخالفين له ايم بالقعود او فرحوا بالقعود مخالفين له ايم وكرهوا ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم فى سبيل الله لا ايثارا للدعة والخوض على طاعة الله تعالى فقط بل مع ما فى قلوبهم من الكفر والنفاق فان ايثار
احد الامرين قد يتحقق بادنى رجحان منه من غير ان يبلغ التاخر درجة الكراهية وانما اوثر ما عليه النظم الكريم على ان يقال وكرهوا ان تخرجوا
الى الغزو وانفاقا لما ان الجهاد فى سبيل الله مع كونه من اجل الرغائب واشرف المطالب التى يجب ان يتنافس فى مثلها المتنافسون
ذكروه كما ذكروا بقبح القبائح الذى هو القعود خلاف رسول الله عم وقالوا اى لاخوانهم تثبيطا لهم على التخلف والقعود ونواصيا
فيما بينهم بالشر والف داول المؤمنين تشبيطا لهم عن الجهاد ونهيا عن المعروف واظهارا لبعض العلل الداعية لهم الى ما فوجوا به من القعود
فقد جمعوا ثلث خلال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهية الجهاد ونهى الغير عن ذلك لا تنفروا اى الحر فانه
لا يستطاع شدته قل ردا عليهم وتجهيلا لهم نار جهنم التى ستدخلونها بما فعلتم اشد حرا مما تحذرون من الحر لو كانوا يعلمون
وتحذرون الناس منه فاحكم لا تحذرونها وترضون انفسكم لها بايثار القعود على النفير لو كانوا يفقهون اعراض تنبيه على

تخرجوا

القعود

من جهته سبحانه وتعالى غير داخل تحت القول المأمور به مؤكد للمضمونه وجواب لو اما مقدر اى لو كانوا يفقهون بها كذلك او كيف بها
او ان حالهم البهالى فعلوا اولئك ثم رد ابهذا الالزام واما غير منوى على ان لو لمجرد التمني المنبئ عن امتناع تحقق مدخولها اى لو كانوا من اهل
التفطانة والعقة كما في قوله عز وجل قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا اخبار عن عاجل امرهم وآجله من الضحك القليل والبكاء الطويل المؤدى اليه اعمالهم السيئة التي من جملتها
ما ذكر من النوح والبكاء السيئة ما سبق للاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لا لنفسهما اذ لا يتصور السببية في الاول اصلا وقليلا
وكثيرا منصوبان على المصدرية او الظرفية اى ضحكا قليلا وبكاء كثيرا او زمانا قليلا وزمانا كثيرا او اخبر في صورة الامر للدلالة على
تحتم وقوع المخبر به فان امر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المأمور به خلا ان المقصود افادته في الاول وهو وصف العلة فقط
وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوف روى ان اهل النفاق يكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز ان يكون
الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وان يكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام جزاء بما كانوا يكسبون من المعاصي والجمع
بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي ما دام امر الدنيا وجزاء منصوب للفعل الثاني اى ليبكوا جزاء او مصدر حذف زوائده
اى يجزون جزاء ما ذكر من البكاء الكثير جزاء بما كسبوا من المعاصي المذكورة فان رجعك الله الفاء لتنوع الامر الآتي على ما بين من امرهم
والفصل من الرجع المتعدي دون الترجع اللازم اى فان ردك الله تعالى الى طائفة منهم اى الى المنافقين المتخلفين في المدينة
فان تخلف بعضهم انما كان لعذر عائق مع الاسلام او الى من بقي من المنافقين المتخلفين بان ذهب بعضهم بالموت او بالغيبة عن البلد
او بان لم يستأذن البعض عن قتادة انهم كانوا اثني عشر رجلا فقيل لهم ما قيل لكم استأذنوك للخروج معك الى غزوة اخرى بعد غزوتك هذه
فقل اخبارا لهم بعدم جواز الغزاة ابعادا للمحلهم من محفل صحبتك لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا من الاعداء
وهو اخبار في معنى النهي للمبالغة وقد وقع كذلك انكم رضيتم بالقعود اى عن الغزو فرضيتم بذلك
اول مرة هي غزوة تبوك فاقعدوا الفاء لتنوع الامر بالقعود بطريق العقوبة على ما صدر عنهم من رضى بالقعود اى اذا رضيتم
بالقعود اول مرة فاقعدوا من بعد مع الخالفين اى المتخلفين الذين رضيتم بهم القعود والتخلف دأبا وقرئ الخلفين على النصر
فكان محواسا بهم عن دفتر المجاهدين ولزمهم في قرن الخالفين عقوبة لهم اى عقوبة وتذكير اسم التفضيل المضاف الى المؤنث
هو الاكثر الدائر على الالسنة فانك لا تكاد تسمع قائلا يقول هي كبرى امرأة اولى مرة ولا تصل على احد منهم صفة لاحد
وانما جيء بصيغة الماضي تنبيها على تحقق الوقوع لا محالة ابدا متعلق بالنهي اى لا تدع ولا تستغفر لهم ابدا ولا تقم على قبره
اى لا تقف عليه للدفن او للزيارة والدعاء روى انه عليه السلام كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض عبد الله
بن ابي بن سلول بعث الى رسول الله عليه السلام ليأتيه فلما دخل عليه قال لم اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر
لي لا لتؤنبني وسأله ان يكفنه في قميصه الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه وكان مؤمنا صالحا فجاءه فسلى له
وراعاه لجانبه وارسل اليه قميصه فكفن فيه فلما هم بالصلوة او صلى نزلت وعن عمر رضي الله عنه انه لما هلك عبد الله بن ابي ووضع ليصلي
عليه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى على عدو الله الكافر يوم كذا وكذا وعددت ايامه الخبيثة فبهتم ثم مشى معه وقام على قبره حتى دفن فوالله ما لبث الا يسيرا حتى نزل ولا تصل الخ فما صلى رسول الله عليه السلام على منافق بعد ذلك
ولا قام على قبره وانما لم ينه عن التكفين بقميصه ولان الصنيعة بالقميص كانت مكافأة لقميصه الذي كان ألبس العباس رضي الله عنه حين أسر ببدر والخبر مشهور انهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنهي على معنى ان الاستغفار
للميت والوقوف على قبره انما يكون لاستصلاحه وذلك مستحيل في حقهم لانهم استمروا على الكفر بالله وبرسوله مدة حيوتهم
وماتوا وهم فاسقون اى متمردون خارجون عن حدوده كما بين من معنى الفسق ولا تعجبك اموالهم واولادهم تكرير

لماسبق وتوفير لمضمونه بالاضبار لوقوعه ويجوز ان يكون هذا في غير فريق غير الفريق الاول وتقديم الاموال في امثال هذه المواقع
على الاولاد مع كونهم اعز منها اما لعموم مساس الحاجة اليها بحسب الذات وبحسب الافراد والاوقات فانها مما لابد منه
لكل احد من الاباء والامهات والاولاد في كل وقت وحين حتى ان من له اولاد ولا مال له فهو واولاده في ضيق وانكال واما الاولاد
فانما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الابوة واما لان المال مناط لبقاء النفس والاولاد لبقاء النوع واما لانها اقدم في الوجود من الاولاد
لان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية كما سياتي في سورة الكهف انما يريد الله لما متعهم به من الاموال والاولاد ان
يعذبهم بها في الدنيا بسبب معاناتهم المشاق ومكابدتهم الشدائد في شانها وتزهق انفسهم وهم كافرون اي فيموتوا
كافرين باشتغالهم بالتمتع بها والالتهاء عن النظر والتدبر في العواقب واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها
ان آمنوا بالله ان مفسرة لما في الانزال من معنى القول والوحي او مصدرية حذف عنها الجار اي بان آمنوا وجاهدوا
مع رسوله لاعزاز دينه واعلاء كلمته استأذنك اولوا الطول منهم اي ذووا الفضل والسعة والقدرة على الجهاد
بدنا ومالا وقالوا عطف تفسيري لاستأذنك مغن عن ذكر ما استأذنوا فيه يعني القعود ذرنا نكن مع القاعدين
اي الذين قعدوا عن الغزو ولما لهم من عذر رضوا استئناف لبيان سوء صنيعهم وعدم امتثالهم لكلام الآمرين ولم يرد
حرجا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء اللاتي شانهن القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالفة من
لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم بسبب ذلك لا يفقهون ما في الايمان بالله وطاعته في اداء ونواهيه واتباع رسوله في
والجهاد من السعادة وما في اضداد ذلك من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه بالله وبما جاء به من عنده تعالى
وفيه ايذان بانهم ليسوا من الايمان بالله في شيء وان لم يعرضوا عنه صريحا اعراضهم عن الجهاد باستئذانهم في القعود جاهدوا
باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء عن الغزو فقد نهد اليه ونهض له من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا وقاموا
امر الجهاد بكلا نوعيه كقوله تعالى فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين واولئك المنعوتون بالنعوت
الجليلة لهم بواسطة نعوتهم المذكورة الخيرات اي منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في العقبى
وقيل الحور لقوله عز قائلا فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون اي الفائزون
بالمطلوب لا من حاز بعضا من الحظوظ الفانية عما قليل وتكرير اسم الاشارة تنويه لشانهم وربا لمكانهم اعد الله لهم
استئناف لبيان كونهم مفلحين اي هيأ لهم في الآخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال مقدرة من الضمير
المجرور والعامل اعد ذلك اشارة الى ما فهم من اعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى الفوز العظيم
الذي لا فوز وراءه وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم شروع في بيان احوال منافقي الاعراب اثر بيان منافقي
اهل المدينة والمعذرون من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له
او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين وهم المعتذرون بالباطل وقرئ المعذرون من الاعذار وهو الاجتهاد
في العذر والاحتشاد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا لجهدا فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط
عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طيء على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلام سيغنيني الله تعالى عنكم وعن مجاهد نفر من غفار
اعتذروا فلم يعذرهم الله سبحانه وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن
اذ التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاء والصاد في المطوعين ويزكى واصدق وقيل اريد بهم المعتذرون بالصحة وبه فسر
المعذرون والمعذرون اي الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين
لم يجيئوا ولم يعتذروا واظهروا انهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان والطاعة سيصيب الذين كفروا منهم اي من الاعراب

كما يتبع الغوان / والابل يتبع الفحل / على بعض سعدي

[illegible]

ومن المعذرين فان منهم من اعتذر بكلمة الكفر عذاب اليم بالقتل والاسر في الدنيا والنار في الآخرة ليس على الضعفاء
ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كمزينة وجهينة وبنى عذرة حرج اثم التخلف
اذا نصحوا لله ورسوله وهو عبارة عن الايمان بهما والطاعة لهما في السر والعلن وتوليهما في السراء والضراء والحب فيهما
والبغض فيهما كما يجب الموالى الناصح بصاحبه ما على المحسنين من سبيل استئناف مقرر لمضمون ما قبله اى ليس عليهم جناح ولا
الى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتاكيد ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انتظامهم بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين او تعليل
لنفى الحرج عنهم اى ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من جملتهم والله غفور رحيم تذييل مؤيد لمضمون ما ذكر مشير الى ان لهم حاجة
الى المغفرة وان كان بخلقهم بعذر ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على المحسنين كما يؤذن به قوله عز وجل فيما يأتى
انما السبيل الآية وقيل عطف على الضعفاء وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله
بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن معقل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اندرنا الخروج
فاحملنا على الخفاف المرقوعة والبغال المخصوصة نغزمعك فقال لم لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد ونعمان
وقيل ابو موسى الاشعرى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك بضمار قد وما عامة لما سألوه
وغيره مما يحمل عليه عادة وايثار لا احد على النفس عندى من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفى كانه قيل ما بالهم يسألون
على الاستمرار فقيل اذا لا يجده تولوا جواب اذا واعينهم تفيض اى تسيل بشدة من الدمع اى دامعة فان من البيانية
مع مجرور تاتى خبر النصب على التمييز وهو ابلغ من تفيض دمعها لافادتها ان العين بعينها صارت دامعة فيضا والجملة حالية
وقوله عز اسمه حزنا نصب على العلية او الحالية او المصدرية بفعل دل عليه ما قبله اى يفيض للحزن فان الحزن يسند
الى العين مجازا كالفيض او تولوا وهم حزنين او يحزنون حزنا فيكون هذه الجملة حالا من الضمير في تفيض الا يجدوا
على حذف لام متعلقة بحزنا او تفيض اى لئلا يجدوا ما ينفقون في شراء ما يحتاجون اليه اذ لم يجدوه عندك انما السبيل
بالمعاتبة على الذين يستاذنونك في التخلف وهم اغنياء واجدون لاهبة الغزو مع سلامتهم رضوا استئناف
تعليلى لما سبق كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بان يكونوا مع الخوالف الذين شانهم الصعة والدناءة
وطبع الله على قلوبهم اى خذلهم ففعلوا عن وخامة العاقبة فهم بسبب ذلك لا يعلمون ابدا غائلة ما رضوا به وما استتبعه
اجلا كما لم يعلموا الخساسة شانه عاجلا يعتذرون اليكم استئناف لبيان ما يعتذرون له عند الفضول اليهم روى انهم كانوا
بضعة وثمانين رجلا فلما رجع رسم اليهم جاؤا يعتذرون اليه بالباطل والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانهم كانوا
يعتذرون اليهم ايضا الى رسول الله عليه السلام فقط اى يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم من الغزو متسببين اليه الا الرجوع الى
فلعل منهم من بادر الى الاعتذار قبل الرجوع اليها قل تخصيص هذا الخطاب برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه فيما سبق للاحتمال
ايضا لما ان الجواب وظيفته عم واما اعتذارهم فكان شاملا للمسلمين شمول الرجوع لهم لا تعتذروا اى لا تفعلوا الاعتذار كقوله تع
اخسئوا فيها ولا تكلمون ولا تعتذروا اليوم عند كم من المعاذير واما التعرض لعنوان كذبهم فلما سياتى قوله تعالى لن نؤمن لكم الى ان نصدقكم
في ذلك ابدا افادة استئناف تعليلى للنهى مبنى على سؤال من قبلهم متفرع على ادعاء الصدق في الاعتذار كانهم قالوا لم لا نعتذر
فقيل لانا لا نصدقكم ابدا فيكون عبثا اذ لا يترتب عليه غرض المعتذر وقوله عز وجل قد نبانا الله من اخباركم تعليل
لانتفاء التصديق اى اعلمنا بالوحى بعض اخباركم المنافية للتصديق مما باشرتموه من الشر والفساد واضمرتموه في ضمائركم
وهيأتموه للابراز في معرض الاعتذار من الاكاذيب وجمع ضمير المتكلم في الموضعين للمبالغة في حسم اطماعهم من التصديق رأسا
ببيان عدم رواج اعتذارهم عند احد من المؤمنين اصلا فان تصديق البعض لهم ربما يطمعهم في تصديق الرسول عليه السلام ايضا

بواسطة المصدقين وللايذان باقتضائهم بين المؤمنين كافة وسيرى الله عملكم فيما سيأتي انتبثون اليه مما انتم فيه من النفاق
ام تثبتون وكانة استنباء استنباءه وامهال للتوبة وتقديم مفعول الرؤية على ما عطف على فاعله من قوله تعالى ورسوله للايذان
باختلاف حال الرؤيتين وتفاوتهما وللاشعار بان مدار الوعيد هو علمه عز وجل باعمالهم ثم ترددون يوم القيمة الى عالم الغيب والشهادة
للجزاء بما ظهر منكم من الاعمال ووضع المظهر موضع المضمر لتشديد الوعيد فان علمه سبحانه وتعالى بجميع اعمالهم الظاهرة والباطنة واحاطته باحوالهم
البارزة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم فينبئكم عند ردكم اليه ووقوفكم بين يديه بما كنتم تعملون اى جاكنتم تعملونه في الدنيا
على الاستمرار من الاعمال السيئة السابقة واللاحقة على ان ما موصولة والعائد اليها محذوف او بعملكم المستمر على انها مصدرية والمراد
بالتنبئة بذلك المجازاة به واثبارة عليها للمراعاة ما سبق من قوله تعالى قد نبانا الله الخ فان المنبأ به الاخبار المتعلقة باعمالهم وللايذان
بانهم ماكانوا عالمين في الدنيا بحقيقة اعمالهم وانما يعلمونها يومئذ سيحلفون بالله لكم تاكيد المعاذيرهم الكاذبة وتقرير لها والتعيين
للتاكيد والمحلوف عليه محذوف يدل عليه الكلام وهو ما اعتذروا به من الاكاذيب والجملة بدل من يعتذرون وبيان له اذا انقلبتم
الى انصرفتم من الغزو اليهم ومعنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة معنى الموصول الاتيان وغائة تعييد حلفهم به للايذان
بانه ليس لرفع ما خاطبهم النبي عليه السلام به من قوله تعالى لا تعتذروا الخ بل هو امر مبتدأ لتعرضوا وتصفحوا عنهم صفح رضا فلا توبخوهم
ولا تعاتبوهم كما ينصح عنه قوله تع لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم لكن لا اعراض رضا كما طلبتم بل اعراض اجتناب ومقت كما يوب
عنه قوله عز وجل انه رجس فانه صريح في ان المراد بالاعراض عنهم لما فيهم من الرجس الروحاني وانما ترك استصلاحهم بترك
المعاتبة لان المقصود بها التطهير بالحمل على التوبة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فلا يتعرض لهم بها وقوله عز وعلا وماواهم
جهنم اما من تمام التعليل فان كونهم من اهل النار من دواعي الاجتناب عنهم وموجبات ترك استصلاحهم باللوم والعتاب واما تعليل
مستقل اى وكفتهم النار عقابا وتوبيخا فلا تكلفوا انتم في ذلك جزاء نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا
اى يجزون جزاء او لمضمون الجملة السابقة فانها معنى المجازاة قطعا كانه قيل يجزون جزاء بما كانوا يكسبون من فنون السيئات او على انه مفعول له يحلفون لكم بدل من سابق وعدم ذكر المحلوف به لظهوره واى يحلفون به تعالى لترضوا عنهم حسبما مر
فان ترضوا عنهم وساعدتموهم في ذلك فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اى فان رضاكم عنهم لا يجديهم نفعا لان الله ساخط
عليهم ولا اثر لرضاكم عند سبحانه وضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لما حل بهم من السخط
وللايذان بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك والمراد به نهي المخاطبين عن الرضى عنهم والاعراض عما ذر بهم الكاذبة وتقرير الها والتعيين
عمن لا يرضى عنه الله تعالى مما لا يكاد يصدر عن المؤمنين وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم منهم ان ترضى المؤمنين من دواعي رضى الله تعالى
قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين منافقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد م المدينة لا تجالسوهم
ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي يحلف انه لا يتخلف عنه ابدا • الاعراب • هي صيغة جمع وليست بجمع للعرب قاله سيبويه
لئلا يلزم كون الجمع اخص من الواحد فان العرب هو هذا الجيل الخاص سواء كان البوادي ام القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على
من يسكن البوادي ولهذا نسب الى الاعراب على اللفظ فقيل اعرابي قال اهل اللغة رجل عربي وجمعه العرب كما يقال مجوسي ويهودي
ثم يحذف ياء النسب في الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل اعرابي ويجمع على الاعاريب اى اصحاب البدو • اشد كفرا ونفاقا
من اهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم وتناهم في معزل من مشاهدة العلماء ومعاونتهم وهذا من باب وصف الجنس
بوصف بعض افراده كما في قوله تع وكان الانسان كفورا اذ ليس كلهم كما ذكر على ما سيحيط به خبرا • واجدر ان لا يعلموا • اى الى ان لا يعلموا
بان لا يعلموا • حدود ما انزل الله على رسوله • لبعدهم عن مجالسة ذوي العلم ومشاهدة معجزاته ومعاينة ما نزل عليه من الشرائع
في تضاعيف الكتاب والسنة • والله عليم • باحوال الكل من اهل الوبر والمدر • حكيم • فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب والثواب

ومن الاعراب شروع في بيان تشعب جنس الاعراب الى الفريقين وعدم انحصارهم على الفريق المذكور كما ستراى من مظاهر النظم الكريم
وشرح لبعض مثالب هؤلاء المتنوعة على الكفر والنفاق بعد بيان تمادیهم فيها وحمل الاعراب على الفريق المذكور خاصة وان ساعده كون
من يحكي حاله بعضا منهم وهم الذين يصدر الانفاق من اهل النفاق دون فقرائهم والاعراب اسد وغطفان وتميم كما قيل لاباعده ما سياتي
من قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله فان اولئك سواء من هؤلاء قطعا وانما هم من الجنس اى ومن جنس الاعراب الذى نعت بعض افراده بتلك
ما ينفق من المال اى يعد ما يصرف في سبيل الله ويتصدق به صورة مغرما اى غرامة وخسرانا لانه اذا لا ينفعه عند الله ثوابه
تعالى ليكون له مغنما وانما ينفقه رياء وتقية فهي غرامة محضة وما في صيغة الافتعال من معنى الاتخاذ والانتفاع مما يتخذ انما هو بالنظر الى
المنفق من الرياء والتقية لا باعتبار ذات النفقة اعني كونها غرامة ويتربص بكم الدوائر اصل الدائرة ما يحيط بالشيء والمراد بها
ما لا محيص عنه من مصائب الدهر اى ينتظر بكم دوائر الدهر وليذهب غلبتكم عليه فيتخلص مما ابتلى به عليه دائرة السوء دعاء عليهم
بنحو ما اراد وا بالمؤمنين على نهج الاعراض كقوله سبحانه غلت ايديهم بعد قولهم يد الله مغلولة والسوء مصدر ثم اطلق على كل
ضرر وشر واضيف اليه الدائرة ذما كما يقال رجل سوء لان من دارت عليه يذمها وهي من باب اضافة الموصوف الى صفته فوصفت
في الاصل بالمصدر مبالغة ثم اضيف الى صفتها كقوله عز وجل بل مكر الليل والنهار وقيل معنى الدائرة تقتضي معنى السوء فاضافتها اى
اضافة بيان وتاكيد كما قال شمس الظهيرة وطلعة راسه وقرئ بالضم وهو العذاب كما قيل لسيئة والله سميع بما يقولونه عند الانفاق
مما لا خير فيه عليم بما يضمرونه من الامور الفاسدة التي من جملتها ان يتربصوا بكم الدوائر وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى ومن الاعراب
اى من جنسهم على الاطلاق من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ اى يأخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار ما ينفق اى ما يعد
في سبيل الله تعالى قربات اى ذرائع اليها والمباينة بينهما من كمال الاختصاص جعل كانه نفس القربات والجمع باعتبار انواع
القربات او افرادها وهي ثاني مفعولي يتخذ وقوله عز وجل عند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول اى دعواته
اليها فانه كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته
لكن ليس لامته ان يصلوا عليه كما فعلوا عم قل اللهم صل على آل ابي اوفى فان ذلك منصب جليل ان يتفضل به على من يشاء
والتعرض لوصف الايمان بالله واليوم الآخر في الفريق الآخر مع ان مساق الكلام لبيان الفرق بين الفريقين في شان اتخاذ ما ينفقانه
حالا ومآلا لا وان ذكر اتخاذه ذريعة الى القربات والصلوة مغن عن التصريح بذلك لكمال العناية بامانهم وبيان انتفائهم بالكفر
والنفاق معلوم من سياق النظم الكريم صريحا الا انها قربة لهم شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة ما اعتقدوه وتصديق لرجائهم
والضمير لما ينفق والتانيث باعتبار الخبر مع ما مر من تعدده باحدى الوجهين والتنكير للتفخيم المغني عن الجمع اى قربة عظيمة لا يكتنه
بكنهها وقيل ارادوا الجملة اسمية وتصديرها بحرف التنبيه والتحقيق من اجزائه ما لا يخفى والاقتصار على بيان كونها قربة لهم لانها
الغاية القصوى وصلوات الرسول من ذرائعها وقوله تعالى سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة رحمته الواسعة بهم وتنكير الرحمة
كما ان قوله عز وعلا والله سميع عليم وعد للاولين عقيب الدعاء عليهم والتاكيد للدلالة على تحقق ذلك وتقرره البتة وقوله تعالى
ان الله غفور رحيم تعليل لتحقق الوعد على نهج الاستئناف التحقيقي قيل هذا في عبد الله ذي البجادين وقومه وقيل في بني مقرن
من مزينة وقيل في اسلم وغفار وجهينة وروى ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وغفار وشيء من جهينة
ومزينة خير عند الله يوم القيمة من تميم واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان والسابقون الاولون من المهاجرين بيان
لفضائل اشراف المسلمين اثر بيان فضيلة طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين
اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلا والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة
مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اى ملتبسين به والمراد به كل فضيلة حسنة

وهم الذاهبون بالتوبة من التوبة على أن من تبعيضية او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة فالمراد بالتابعين جميع المهاجرين
والانصار ومن بيانية رضي الله عنهم خبر للمبتدا اى رضى عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوه من رضاه
المستتبع لجميع المطالب طرا واعد لهم في الآخرة جنات تجري تحتها الانهار وفي من تحتها كما في سائر المواقع خالدين فيها
من غير انتهاء ذلك الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في درجات الفضل
وعظم الدرجة من مؤمني الاعراب ومن حولكم من الاعراب شروع في بيان احوال منافقي اهل المدينة ومن حولها من الاعراب بعد بيان
حال اهل البادية منهم اى ممن حول بلدتكم منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة
عطف على ممن حولكم عطف موزع على موزع وقوله تعالى مردوا على النفاق اما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان علوهم
في النفاق اثر بيان اتصافهم به واما صفة للمبتدا المذكور فصل بينها وبينه بما عطف على خبره واما صفة لمحذوف اقيمت هي مقامه
وهو مبتدا خبره من اهل المدينة كما في قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا والجملة عطف على الجملة السابقة اى ومن اهل المدينة قوم مردوا
على النفاق وعلى الوجه الاخير خاص لمنافقي اهل المدينة وهو الاظهر والانسب بذكر منافقي اهل البادية ثم ذكر منافقي الاعراب المجاورين
للمدينة ثم ذكر منافقي اهلها والله تعالى اعلم وقوله عز شانه لا تعلمهم بيان لتمردهم اى لا تعلمهم انت لكن لا بأعيانهم واسمائهم
وانسابهم بل بعنوان نفاقهم يعني انهم بلغوا من المهارة في النفاق والتفنن في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع التهم الى مبلغ يخفى
عليك حالهم مع ما انت عليه من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال الفطنة وصدق الفراسة وفي تعليق نفي العلم بهم مع انه متعلق
بحالهم مبالغة في ذلك وايماء الى ان ما هم فيه من صفة النفاق لوافتهم ورسوخهم بمنزلة ذاتياتهم او مشخصاتهم بحيث لا يعدو من
لا يعرفهم بتلك الصفة عالما بهم وحمل عدم علمه بأعيانهم على عدم علمه بعد مجيء هذا البيان على انه يعلم ان فيهم منافقين لكن لا يعلمهم بأعيانهم
مع كونه خلاف الظاهر عما ذكر من المبالغة وقوله عز وجل نحن نعلمهم تقرير لما سبق من مهارتهم في فن النفاق اى لا يقف على اسرارهم
المركوزة في ضمائرهم الا من لا يخفى عليه خافية لما هم عليه من شدة الاهتمام بابطان الكفر واظهار الاخلاص وفي تعليق العلم بهم مع ان المقصود
بيان تعلقه بحالهم ما مر في تعليق نفيه بهم وقوله عز شانه سنعذبهم وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله فيهم من موجباته والسين
للتاكيد مرتين عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق
فاخرج ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول الثاني اما القتل واما عذاب القبر او الاول هو القتل والثاني عذاب القبر والاول
اخذ الزكوة لما انهم يعدونها مغرما بحتا والثاني هتك الابدان وانتابها بالطاعات الفارغة عن الثواب ولعل تكرير عذابهم لما فيهم
من الكفر المشفوع بالنفاق والنفاق المؤكد بالتمرد فيه ويجوز ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله ثم ارجع البصر كرتين اى كرة
بعد اخرى ثم يردون يوم القيمة الى عذاب عظيم هو عذاب النار وفي تغيير الاسلوب باسناد عذابهم الاتي الى نون العظمة بعد
اسناد ما قبله من العلم واسناد ردهم الى العذاب الاتي الى انفسهم ايذان باختلافهما حالا وان الاول خاص لهم وقوعا وزمانا بتولاه
سبحانه وتعالى شامل لعامة الكفرة وقوعا وزمانا وان اتصلت طبقات عذابهم واخرون بيان لحال طائفة من المؤمنين ضيعة امرهم
الدين وهو عطف على منافقون اى ومنهم يعني وممن حولكم ومن اهل المدينة قوم آخرون اعترفوا بذنوبهم التي تخلفهم عن الغزو وآثار
الدعة عليه والرضى بسوء جوار المنافقين وتدموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم يحلفوا مما صدر عنهم من الاعمال السيئة
كما فعله من اعتاد اخفاء ما فيه وابراز ما ينافيه من المنافقين الذين اعتذروا بالاخير فيه من المعاذير المذكورة بالايمان الفاجرة حسب رسوخهم
الما لوفدهم رهط من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد عند ما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله عليه السلام فدخل المسجد فصلى
ركعتين حسب عادته الكريمة وراوهم كذلك فسالهم عن شانهم فقيل انهم اقسموا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا اطلقهم حتى اومر
فيهم فنزلت خلطوا عملا صالحا هو ما سبق منهم من الاعمال الصالحة والخروج الى المغازي الثابتة وغيرها وما حكي من الاعراف

ان لا يحلوا هم

بذنوبهم في التخلف عن هذه المرة وترفهم وندامتهم على ذلك وفي تخصيصه بالاعتراف الاشياء بالخلط لا انهما على وجه يؤذن بتوارد المختلطين وكون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء في قوله تعالى وآخر سيئا فان قولك خلطت الماء باللبن يقتضي ايراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه ايقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص احدهما بكونه مخلوطا ومخلوطا به وترك تلك الدلالة للدلالة على جعل كل منهما مقصودا بالوصفين جميعا وذلك فيما نحن فيه لورود كل من العملين على الآخر فرة بعد اخرى والمراد بالعمل السيء ما صدر عنهم من الاعمال السيئة اولا وآخرا وعن الكلبي هي التوبة والاثم وقيل الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاة شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم عسى الله ان يتوب عليهم اي يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من وجوب القبول فانها للاطماع الذي هو من اكرم الاكرمين ايجاب واي ايجاب خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال عليه السلام ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت فقيل هي الصدقة المفروضة لكونها مأمورا بها ولما روي انه عليه السلام اخذ منهم الثلث وترك لهم الثلثين فوقع ذلك بيانا لما في صدقة من الاجمال وانما هي كفارة لذنوبهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل تطهرهم اي عما تلطخوا به من اوضار التخلف والتاء للخطاب والفعل مجزوم على انه جواب الامر وقرئ بالرفع على انه حال من ضمير المخاطب في خذ او صفة لصدقة والتاء للخطاب او للصدقة والعائد على الاول محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتزكيهم بها باثبات الياء وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة حال من الضمير في الامر او في جوابه اي وانت تزكيهم بها اي تنمي بتلك الصدقة حسناتهم الى مراتب المخلصين او اموالهم او تبالغ في تطهيرهم هذا على قراءة الجزم في تطهرهم واما على قراءة الرفع فسواء جعل التاء للخطاب او للصدقة وكذا جعلت الجملة الاولى حالا من ضمير المخاطب او صفة للصدقة على الوجهين فالثانية عطف على الاولى حالا وصفة من غير حاجة الى تقدير المبتدأ لتوجيه دخول الواو في الجملة الحالية وصل عليهم اي واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلواتك وقرئ صلواتك مراعاة لتعدد المدعو لهم سكن لهم تسكن نفوسهم اليها وتطمئن قلوبهم بها ويثقون بانه سبحانه قبل توبتهم والجملة تعليل للامر بالصلوة عليهم والله سميع يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ومن الاخلاص في التوبة والدعاء او سميع يجيب دعاءك لهم عليم بما تقتضيه الحكمة والجملة حينئذ تذييل للتعليل مقرر لمضمونه وعلى الاول تذييل لما سبق من الآيتين محقق لما فيهما الم يعلموا وقرئ بالتاء والضمير اما للتائبين فهو تحقيق لما سبق من قبول توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها اياهم وتقرير لذلك وتوطين لقلوبهم ببيان ان المتولي لقبول توبتهم واخذ صدقاتهم هو الله سبحانه وان اسناد الاخذ والتطهير والتزكية اليه عليه السلام اي الم يعلم اولئك التائبون ان الله هو يقبل التوبة الصحيحة الخالصة عن عباده المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما ينبئ عنه كلمة عن والمراد بهم اولئك التائبون ووضع المظهر في موضع المضمر للاشعار بعلية العبادة لقبولها واما كافة العباد وهم داخلون في ذلك دخولا اوليا ويأخذ الصدقات اي يقبل صدقاتهم على ان اللام عوض عن المضاف اليه او جنس الصدقات المندرج تحته صدقاتهم اندراجا اوليا اي هو الذي يتولى قبول التوبة واخذ الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية وان كنت انت المباشر لها ظاهرا وفيه من تقرير ما ذكر ونفع شأن النبي عليه السلام على نهج قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ما لا يخفى وان الله هو التواب الرحيم تأكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير لما تقرره مع زيادة معنى ليس فيه اي الم يعلموا انه المختص المستأثر ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة وان ذلك سنة مستمرة له وشأن دائم والجملتان في حيز النصب بيعلموا بسد كل واحد منهما مسد مفعوليه واما لغير التائبين من المؤمنين روي انهم قالوا لما بنيت على الاولين هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت اي الم يعلموا ما للتائبين من الخصال الداعية الى التكرمة والتوجب الانتظام في سلك المؤمنين والتلقي بحسن القبول والمجالسة فهو ترغيب لهم في العمل الصالح الذي من جملته التوبة والاولين في الثبات على ما هم عليه اي قل لهم بعد ما بان لهم شان التوبة اعملوا ما تشاؤون من الاعمال الظاهرة

قال ... ان يقول آجرك الله فيما اعطيت وجعله لك طهورا وبارك لك فيما ابقيت ...

والسنة ان يدعو المتصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها مدارك

ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب وترهيب وقوله عز وعلا فسيرى الله عملكم اى ضر كان او شر تعليل لما قبله وتاكيد للترغيب والترهيب
والتبيين للتاكيد ورسوله عطف على الاسم الجليل وتاخيره عن المفعول للاشعار بما بين الامرين من التفاوت والمؤمنون فى الخبر
لو ان رجلا عمل فى صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان والمعنى ان اعمالكم غير خافية عليهم كما لو تبين
لكم ثم ان كان المراد بالرؤية معناها الحقيقى فالامر ظاهر وان اريد بها ما لها فى الجزاء خيرا او شرا فهو خارج مخرج الوعيد من اظهار
المدح والثناء والذكر الجميل والاعزاز وخلو ذلك من الاجرية واضدادها وستردون اى بعد الموت الى عالم الغيب والشهادة
فوضع الظاهر موضع المضمر من تهويل الامر وتربية المهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب فى الذكر لسعة علمه وزيادة خطره على الشهادة
غنى عن البيان وقيل ان الموجودات الغائبة عن الحواس علل كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل علة للعلم بالمعلولات فوجب سبق
العلم بالسبب على العلم بالشهادة وعن ابن عباس رضه الغيب ما يسترونه من الاعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون
فالتقديم رح لتحقيق ان نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحد على البدع وجه واكده بايهام ان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه كيف لا
وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شئ وحقيقته نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفى هذا المعنى تختلف
الحال بين الامور البارزة والكامنة واما للايذان بان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو مبادئه
القريبة والبعيدة مضمر قبل ذلك فى القلب فتعالى علمه تعالى فى حالته الاولى متقدم على تعلقه به فى حالته الثانية فينبئكم عقيب الرد الذى هو
عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيمة بما كنتم تعملون قبل فلك فى الدنيا والمراد بالتنبئة بذلك الجزاء بحسبه ان خيرا فخير وان شرا
فشر فهو وعد ووعيد واخرون عطف على آخرون قبله اى ومن المتخلفين من اهل المدينة ومن حولهم من الاعراب. قوم آخرون غير
المعترفين المذكورين مرجون وقرئ مرجئون من ارجيته وارجأته اى اخرته ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة
لامر الله فى شانهم قال ابن عباس رضه هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل
ابولبابة واصحابه من شدة انفتهم على السوارى واظهار الغم والجزع والندم على ما فعلوا فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى اصحابه
عن ان يسلموا عليهم ويكلموهم وكانوا من اصحاب مدر فهجروهم والناس فى شانهم على اصناف فمن قائل هلكوا وقائل عسى الله ان يغفر لهم
فصاروا عندهم مرجئين لامر الله تعالى اما يعذبهم ان بقوا على ما هم عليه من الحال وقيل ان امروا على النفاق وليس بذاك
فان المذكورين ليسوا من المنافقين واما يتوب عليهم ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة فى محل النصب على الحالية اى منهم
هؤلاء واما معذبين واما منوبا عليهم وقيل آخرون مبتدأ ومرجون صفته وهذه الجملة خبره والله عليم باحوالهم حكيم
فيما فعل بهم من الارجاء وما بعده وقرئ والله غفور رحيم والذين اتخذوا مسجدا عطف على ما سبق اى ومنهم الذين اوتصب
على الذم وقرئ بغير واو لانها قصة على حيالها ضرارا مضارة للمؤمنين وانتصابه على انه مفعول له او مصدر لان اتخذوا
او على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر منصوب على الحالية اى يضارون بذلك ضرارا او على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا من ضمير
اتخذوا اى مضارين للمؤمنين روى ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله عليه السلام ان ياتيهم فيصلى
بهم فى مسجدهم فلما فعل حسدتهم اخوتهم بنو ابن غنم ابن عوف وقالوا نبنى مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فيه
ويصلى ابو عامر الراهب ايضا اذا قدم من الشام وهو الذى سماه رسول الله عليه السلام الفاسق وقد كان قال رسول الله عليه السلام
يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يفعل ذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربا الى الشام
وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فانى ذاهب الى قيصر وآت بجنود فمخرج محمدا واصحابه من المدينة
فنهوا مسجدا الى مسجد قباء وقالوا للنبى عليه السلام بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن
نحب ان تصلى لنا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سالوه وهم انتياب المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدى

وعامر بن السكن ووحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل ولعوان يتخذ مكانه كناسة
تكفن فيها الجيف والقمامة وهلك ابو عامر الفاسق بالشام بقنسرين وكانوا نقوبة للكوز الذي يضمرونه وتزيقا بين المؤمنين
الذين كانوا يصلون في مسجد قباء مجتمعين فيفتق بهم فاراد وا ان يتفرقوا ويختلف كلمتهم وارصادا اعدادا وانتظارا
وترقبا لمن حارب الله ورسوله وهو الراهب الفاسق اى لاجله حتى يجئ فيصلي فيه ويظهر على رسول الله عليه السلام
من قبل متعلق باتخذوا اى اتخذوه من قبل ان بنافقوا بالتخلف حيث كانوا ينوه قبل غزوة تبوك او يحارب اى حاربهما
قبل اتخاذ هذا المسجد وليحلفن ان اردنا اى ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة
والذكر والتوسعة على المصلين او الارادة الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون فيحلفهم ذلك لا تقم للصلوة
فيه في ذلك المسجد جميعا دعوك الله ابدا لمسجد اسس اى بني اصله على التقوى يعني مسجد قباء انسه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بها وهي يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة
وقيل هو مسجد رسول الله عليه السلام بالمدينة وعن ابي سعيد رض سالت النبي عليه السلام عن المسجد الذي اسس على التقوى
فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة واللام للابتداء او للقسم المحذوف اى والله لمسجد
وعلى التقديرين فمسجد مبتدا وما بعده صفته وقوله تعالى من اول يوم اى من ايام تاسيسه متعلق باسس وقوله تعالى
احق ان تقوم فيه اى للصلوة وذكر الله خبره وقوله تعالى فيه رجال جملة مستانفة مبنية لاحقية لقيامه وعم
فيه من جهة الحال بعد بيان احقيته له من حيث المحل او صفة اخرى للمبتدا او حال من الضمير في فيه وعلى كل حال ففيه تحقيق وتقرير
لاستحقاق القيام فيه والمراد بكونه احق نفس كونه حقيقا به اذ لا استحقاق في مسجد الضرار رأسا وانما عبر عنه بصيغة التفضيل
لفضله وكماله في نفسه او الافضلية في الاستحقاق المتناول لما يكون باعتبار زعم البانين ومن يشايعهم في الاعتقاد وهو الانسب
بما سياتي يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال الذميمة لمرضاة الله تعالى وقيل من الجنابة فلا يناموا عليها
والله يحب المتطهرين اى يرضى عنهم ويديهم من جنابه ادناء المحب حبيبه وقيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال المؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر رض يا رسول الله انهم لمؤمنون
وانا معهم فقال ارضون بالقضاء قالوا نعم قال ارضون بالبلاء قالوا نعم قال تشكرون في الرخاء قالوا نعم قال يا مؤمنون
ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نستنجي بالماء
الاحجار ثم تتبع الاحجار الماء قبلا النبي صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام
في التطهر عن النجاسات كلها وكانوا يتبعون اثر البول وعن الحسن هو التطهر عن الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى
المكفرة لذنوبهم فمنوا عن آخرهم افمن اسس بنيانه على بناء الفعل الفاعل والنصب وقرئ على البناء للمفعول والرفع وقرئ
اسس بنيانه جمع اس ايضا وانس بنيانه وهي جملة مستانفة مبنية لخيرية الرجال المذكورين من اهل مسجد الضرار والكفرة
للانكار والفاء للعطف على مقدر اى ابعد ما علم حالهم من اسس بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان على قاعدة محكمة هي التقوى
من الله وابتغاء رضاه بالطاعة والمراد بالتقوى درجتها الثانية التي هي التوقي عن كل ما يؤثم من فعل او ترك وقرئ تقوى التنوين
على ان الالف للالحاق دون التانيث خير امن اسس بنيانه ترك الاضمار للايذان باختلاف البنيانين ذاتا اصلا فا
وصفا واضافة على شفا جرف هار الشفا الحرف الشفير والجرف ما جرفه السيل اى اكله واصله مالحته فبقي واهيا يريد
الانهدام والهار الهائر المنصدع المشرف الى السقوط من هار يهور ويهار او هار يهير قدمت لامه على عينه فصار كراع وفار وقيل
حذف عينه اعتباطا اى بغير موجب فجرى وجوه الاعراب على لامه فانهار به في نار جهنم مثل ما بنوا عليه امرهم في البطلان

وسرعة الانطماس بما ذكر ثم رشح بانهاره في النار ووضع بمقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظ من النار ويوصل الى الرضوان ومقتضياته التي اردنا بها الجنة وتاسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم مصيرهم اليها لا محالة وقرئ بجر الراء والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا نفهم او الواضعين للاشياء في غير مواضعها اي لا يرشدهم الى ما فيه نجاتهم وصلاحهم ارشادا موصلا لا محالة واما الدلالة على ما يرشدهم اليه ان استرشدوا به متحققة بلا اشتباه لا يزال بنيانهم الذي بنوا البنيان مصدر اريد به المفعول ووصفه بالموصول الذي صلته فعله للايذان بكيفية بنائهم له وتاسيسه على اوهن قاعدة واردى اساس وللاشعار بعلة الحكم اي لا يزال مسجدهم ذلك مبتنيا ومرديا ريبة في قلوبهم اي سبب ريبة وشك في الدين كاد نفس الريبة اما حال بناءه فظاهر لان اعز الدين المؤمنين واجتماعهم فمن جمع على صيانته يظهرون فيه ما في قلوبهم من الكفر والنفاق ويبرزون فيه امورهم ويتشاورون في ذلك ويلقي بعضهم الى بعض ما سمعوا في اسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين واما حال هدمه فلانه يتبع ما كان في قلوبهم من الشر ويضاعف اثره واحكامه او سبب ريبة في امرهم حيث ضعفت قلوبهم ووهى اعتقادهم بخفاء امرهم على المؤمنين لانهم اظهر وا لهم بعد البناء اكثر مما كانوا يظهرونه قبل ذلك وقت اضلالهم بالمؤمنين وساءت ظنونهم بانفسهم فلما هدم بنيانهم تضاعف ذلك الضعف وتقوى وصاروا مرتابين فان رسول الله عليه السلام لم يتركهم على ما كانوا عليه من قبل او يأمرهم بتملكهم ونهب اموالهم قال الكلبي معنى ريبة حسرة وندامة وقال السدي وجبت والبرد لا يزال يهدم بنيانهم خزازة وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع من التفعل بحذف احدى التاءين اي الا ان تقطع قلوبهم قطعا تتوزع اجزاءها بحيث لا يبقى لها قابلية ادراك واضمار قطعا وهو استثناء من اعم الاوقات او من اعم الاحوال ومحله النصب على الظرفية اي لا يزال بنيانهم ريبة في كل الاوقات او كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم او حال تقطع قلوبهم فحينئذ يسلمون عنها واما ما دامت سالمة فالريبة باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز ان يكون المراد صيرورتها قطعا عند قلعهم او في القبور او في النار وقرئ تقطع على بناء المجهول من التفعيل وعلى البناء للفاعل منه على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم اي الا ان انت قلوبهم بالقتل وقرئ على البناء للمجهول من الثلاثي ومذكرا او مؤنثا وقرئ الا ان تقطع قلوبهم والى تقطع قلوبهم على الخطاب وقرئ ولو قطعت قلوبهم من اسناد الفعل المجهول الى قلوبهم ولو قطعت قلوبهم على الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وقيل الا ان يتوبوا توبة تنقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله عليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما ذكر من احوالهم حكيم في جميع افعاله التي من جملتها احواله الواردة في صفتهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته اثر بيان حال المتخلفين عنه ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين انفسهم واموالهم التي بذلوها في سبيله بكا واثابته اياهم بمقابلتها الجنة بالشرى على طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصود في العقد انفس المؤمنين واموالهم والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الامر على العكس بان يقال ان الله ابتاع الجنة من المؤمنين بانفسهم واموالهم ليدل على ان المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الانفس والاموال وسيلة اليها ايذانا بعلو كمال العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل بان لهم الجنة مبالغة في تقرر وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كانه قبل الثابتة لهم المختصة بهم وانما نال من ان ذلك لمدح المؤمنين بانهم بذلوا اموالهم وانفسهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالى وان تمام الاستعارة موقوف على ان لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشرى حقيقة لانها صالحة للعوضية بخلاف الوعد بها فليس في الآن متسع لدلالة ما علية النظم الكريم على الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرة بان فان ذلك بمعزل من الدلالة على الاستقبال بل هو الجنة التي ستحصل وجودا في الدنيا ولو سلم ذلك يكون العوض الجنة الموعود بها لا الوعد بها يقاتلون في سبيل الله استئناف لكن لا لبيان نفس الاشتراء لان قتالهم في سبيل الله ليس باشتراء الله تعالى منهم انفسهم واموالهم بل هو بذلها في ذلك بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور كانه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله وهو بذل منهم لانفسهم واموالهم

الى جهة الله تعالى وتعريض لها للهلاك وقوله تعالى فيقتلون ويقتلون بيان لكون القتال في سبيل الله بذلا للنفس وان المقاتل في سبيله باذل
لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف بل بطريق وصف الكل بحال
البعض فانه يتحقق القتال من الكل سواء وجد القتل احدهما منهم او من بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احدهما ايضا
كما وجد المضاربة ولم يوجد القتل من احد الجانبين او لم يوجد المضاربة ايضا فانه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والتهيير وتكثير السواد وتقديم
حالة القاتلية على حالة المقتولية للايذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقا لكون القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبني للمفعول عناية
بكون الشهادة عزيمة في الباب وايذانا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى بل بكونه احب اليهم من السلامة كما قيل في صفتهم لا يزحون
اذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا لا يقع الطعن الا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل وقيل في يقاتلوا الا معنى الامر
كما في قوله تعالى يجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ووعدا عليه مصدر مؤكد لما دل عليه كون الثمن مؤجلا حقا نعت لوعدا
والظرف حال منه لانه لو تاخر لكان صفة وقوله تعالى في التورية والانجيل والقرآن متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا اي وعدا مثبتا
في التورية والانجيل كما هو مثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من صحة الوعد على نهج التعليل
في كونه سبحانه اوفى بالعهد من كل وافي اصلا اذ لا يتصور من كرام الخلق مع امكان صدور الغدر عنهم فكيف بجناب الخالق
الغني عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب وان كان على انكار ان يكون احد اوفى بالعهد منه سبحانه من غير تعرض لانكار المساواة
ونفيها لكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها لكن المقصود ونفيها قطعا فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه
فالمراد به ضمنا انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل فاستبشروا التفات الى الخطاب تشريفا لهم على تشريف وزيادة سرور
على سرور والاستبشار اظهار السرور والتبيين فيه ليس للطلب كما ستوقف عليه والفاء لترتيب الامر بالاستبشار والامر به على ما قبله
اي فاذا كان كذلك فسروا غاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل ببيعكم مع ان الابتهاج به باعتبار
ادائه الى الجنة لان المراد ترغيبهم في الجهاد الذي عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان الشرى لان ذلك من قبل الله سبحانه
لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تعالى الذي بايعتم به لزيادة توبيخهم وللاشعار بكونه معتبرا لدى
الانبياء عليهم السلام فانه بيع للفاني بالباقي وللاتي كلا البدلين له سبحانه وتعالى عن الحسن رضي الله عنه انه والله ما اشترى الا نفسه وما
لما بايعوه عليه السلام على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال عليه السلام اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا
به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني منه انكم فاعلون فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر بر رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرأ ما قال كلام الله عز وجل قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو
فاستشهد وذلك اي الجنة التي جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا من اموالهم وانفسهم هو الفوز العظيم الذي لا فوز اعظم منه
وكلمة ذلك من معنى البعد اشارة الى البيع الذي اريد الاستبشار به وجعل ذلك كانه نفس الفوز العظيم او جعل فوزا في نفسه
فالجملة على الاول تذييل للآية الكريمة وعلى الثاني لقوله تعالى فاستبشروا التائبون رفع على المدح اي هم التائبون
يعني المؤمنين المذكورين كما يدل عليه القراءة بالياء نصبا على المدح ويجوز ان يكون مجرورا على انه صفة للمؤمنين وقد جوز الرفع على الابتداء
والخبر محذوف اي التائبون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا لقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى ويجوز ان يكون خبره وقوله تعالى العابدون
وما بعده خبرا بعد خبر اي التائبون على الكمال على الحقيقة هم الجامعون لهذه النعوت الفاضلة اي المخلصون في عبادة الله تعالى الحامدون
لنعمائه او لما نالهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبههم بها لانه عائق عن الشهوات اولانه
رياضة نفسانية يتوسل بها الى التعود على ضغا بالملك والملكوت وقيل هم الذاكرون في الجهاد وطلب العلم الراكعون الساجدون
في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعطف فيه للدلالة على ان المتصفين

بمنزلة خصلة واحدة وأمّا قوله تعالى وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ اى فيما بيّنه وعيّنه من الحقائق والشرائع عملاً وحملاً للناس عليه فلا يتوهم
اختصاصه بأحد الوجهين وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ اى الموصوفين بالنعوت المذكورة ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ملاك
الامر هو الايمان وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للايذان بخروجه عن حد البيان وفي تخصيص الخطاب بالنبي
اظهار زيادة اعتناء بامرهم من الترغيب والتسلية مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا بالله وحده اى ما صح لهم في حكم الله عز وجل وحكمته وما استقام
أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ به سبحانه وَلَوْ كَانُوا اى المشركون أُولِي قُرْبَى اى ذوي قرابة لهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه
والجملة معطوفة على جملة اخرى قبلها محذوفة حذفا مطردا كما تبيّن في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره روى انه عليه السلام قال لعمه [illegible]
ابي طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاجّ لك بها عند الله فأبى فقال عليه السلام لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل
لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فأذن لي واستأذنته
في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل عليّ الآيتين مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ اى للنبي عليه السلام والمؤمنين أَنَّهُمْ اى المشركين
أَصْحَابُ الْجَحِيمِ بان ماتوا على الكفر او نزل الوحي بانهم يموتون على ذلك وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ بقوله واغفر
لابي بان توفقه للايمان وتهديه اليه كما يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين والجملة استئناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع
ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ وما استغفر ابراهيم لابيه وقرئ وما يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية وقوله إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ
استثناء مفرغ من اعم العلل اى لم يكن استغفاره عليه السلام لابيه آزر ناشئا عن شيء من الاشياء الا عن موعدة وَعَدَهَا إبراهيم عليه السلام
إِيَّاهُ اى اباه وقد قرئ كذلك بقوله لاستغفرن لك وقوله سأستغفر لك ربي بناء على رجاء ايمانه لعدم تحقق تبين حقيقة امره
والا لما وعدها اياه فكأنه قيل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة مبنية على عدم تبين امره كما ينبئ عنه قوله تعالى فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ [illegible]
اى لابراهيم بان اوحي اليه انه مصر على الكفر غير مؤمن ابدا وقيل بان مات على الكفر والاول هو الانسب بقوله تعالى أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ
فان وصفه بالعداوة مما يأباه حالة الموت تَبَرَّأَ مِنْهُ اى تنزه عن الاستغفار له وتجانب كل التجانب وفيه من المبالغة
ما ليس في تركه ونظائره إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ كثير التأوه وهو كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب حَلِيمٌ صبور على الاذية والمحنة
وهو استئناف لبيان ما كان يدعوه عليه السلام الى ما صدر عنه ما صدر من الاستغفار قبل التبين فليس لغيره ان يأتسي به في ذلك وتأكيد
لوجوب الاجتناب عنه بعد التبين بانه عليه السلام تبرأ منه بعد التبين وهو في كمال رقة القلب او الحلم فلا بد ان يكون غيره اكثر منه اجتنابا
وتبرؤا واما ان الاستغفار قبل التبين لو كان غير محظور لما استثني عن الائتساء به في قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك
فقد حقق في سورة مريم باذن الله تعالى وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا اى ليس من عادته ان يصفهم بالضلال عن طريق الحق ويجري
عليهم احكامه بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ للاسلام حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ بالوحي صريحا او دلالة مَا يَتَّقُونَ اى ما يجب اتقاؤه من محظورات
الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه واما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به ففيه تسلية للذين استغفروا
للمشركين قبل ذلك وفيه دليل على ان العاقل غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ تعليل لما سبق اى انه تعالى
عليم بجميع الاشياء التي من جملتها حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل في معرفته فيبين لهم ذلك كما فعل هنا إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ من غير شريك له فيه يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ لما منعهم من الاستغفار
يتأتى للمشركين وان كانوا اولي قربى وضمّن ذلك التبرؤ منهم رأسا بيّن لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي اموره والغالب عليه ولا
لهم نصر ولا ولاية الا منه تعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم متبرئين عما سواه غير قاصدين الا اياه لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ قال
ابن عباس رضه هو العفو عن اذنه للمنافقين في التخلف عنه وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ قيل هو في حق ثلاث سبقت منهم يوم احد
ويوم حنين وقيل المراد بيان فضل التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج اليها حتى النبي عليه السلام لما صدر عنه في بعض الاحوال

حنين على التصغير هو فيه يذكر ويؤنث
اذا اردت به الموضع فهو البلد وان
اردت به البلدة والبقعة لا [illegible]
اذا

من ترك الاولى الذين اتبعوه ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامر من اوامره في ساعة العسرة اى في وقتها والتعبير عنه بان ع
لزيادة تعيينه وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المؤرد والشعير
المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء المتغير وفي عسرة من الماء حتى
يجروا الابل واعتصروا فرثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والمحل والضيقة الشديدة ووصف المهاجرين والانصار
بما ذكر من اتباعهم له مع ما مثل ما ينيف المراتب من الشدة للمبالغة في بيان الحاجة الى التوبة فان ذلك حيث لم يغنهم عنها فلان لا يستغني عنها
غيرهم اولى واحرى من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم بيان لتناهي الشدة وبلوغها الى الغاية وراءها وهو اشراف بعضهم
على ان يميلوا الى التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم الراجع اليه الضمير في منهم وفي تثنية الفعل
وفي من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة واصحابه ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه
على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم بمزيد رحمته انه بهم رؤف رحيم استئناف تعليلي فان صفة
الرأفة والرحمة من دواعي التوبة والعفو ويجوز كون الاول عبارة عن ازالة الضرر والثاني عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما
للسوابق والآخر للتواخي وعلى الثلثة الذين خلفوا اى وتاب الله على الثلثة الذين اخر امرهم عن ابي لبابة واصحابه
حيث لم تقبل معذرتهم مثل اولئك ولا ردت ولم يقطع في شانهم بشيء امر الى ان نزل فيهم الوحي وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع
وهلال بن امية وقرئ خلفوا اى خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من المخالفة وظوف الغم وقرئ خالفوا وقرئ على المتخلفين
والاول هو الانسب لان قوله تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض غاية للتخليف ولا يناسبه الا المعنى الاول اى خلفوا واخر
امرهم الى ان ضاقت عليهم الارض بما رحبت اى برحبها وسعتها لاعراض الناس عنهم وانقطاعهم عن معاوضتهم وهو مثل
لشدة الحيرة كانه لا يستقر به قرار ولا تطمئن به دار وضاقت عليهم انفسهم اى اذا رجعوا الى انفسهم لا يطيعون بشيء لعدم
الانس والسرور واستيلاء الوحشة والحيرة وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه اى علموا ان لا ملجأ من سخطه الا الى استغفاره
ثم تاب عليهم اى وفقهم للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة
مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب المبالغ في قبول التوبة كما وكيفا وان كثرت الجنايات وعظمت
الرحيم المتفضل عليهم بفنون الآلاء كمنع اسخطهم لا فانين العقاب. روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله عليه السلام
منهم من بداله وكره مكانه فلحق به عليه السلام عن الحسن رضي الله عنه قال بلغني انه كان لاحدهم حائط كان احب من مائة الف درهم
فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمارك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن للآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما يطأني
ولا خلفني الا الضيق بك فلا جرم والله لا كابدن الشدائد حتى الحق برسول الله عليه السلام فنابطر زاده ولحق به وعن الحسن رضي
كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها عن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله
ماشيا فقال عليه السلام لما رأى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال يرحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث
وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأتان فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد
فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأتان حسناوان ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير
فقام ورحل ناقته واخذ سيفه ورمحه وسار كالريح فمذ رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقر له ومنهم من بقي لم يلحق به عليه السلام منهم الثلثة
قال كعب لما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني قال بالبيت شوى ما خلفك كعبا فقبل ما خلفه
الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال ما علمت الا فضلا واسلاما منهى عن كلامنا ايها الثلثة فتنكرنا الناس ولم يكلمنا
احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة اذا رسولي خزيمة فقال ان تعتزل نساءك ولا تقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع

ابشر بكعب بن مالك فخررت لله ساجدا وكنت كما وصفه ربي وضاقت علينا الارض بما رحبت وضاق علينا انفسنا وتتابع البشارة فلبثت ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انسها لطلحة قال رسول الله عليه السلام وهو يستنير استنارة القمر ابشر بكعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الآية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان يضيق على التائب بما رحبت ويضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه يا ايها الذين آمنوا خطاب عام يندرج فيه التائبون اندراجا اوليا وقيل لمن تخلف من الطلقاء من غزوة تبوك خاصة اتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون فتدخل فيه المعاملة مع رسول الله عليه السلام في اواخر المغازي دخولا اوليا وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا او في كل شأن من الشئون فيدخل ما ذكر دخولا اوليا ويكون المراد بهم هؤلاء الثلثة واضرابهم عن ابن عباس رضه انه خطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار واسلكوا في سلكهم في الصدق وسائر المحاسن وقوي من الصادقين فما كان لاهل المدينة اي ما صح وما استقام لهم ومن حولهم من الاعراب كمزينة وجهينة واشجع وغفار واضرابهم ان يتخلفوا عن رسول الله عند توجهه عليه السلام الى الغزو ولا يرغبوا نصب الجزم بانفسهم عن نفسه اي لا يصونوها عن نفسه الكريمة ولا يصونوها عما يعم الصين عنه نفسه بل يكابدوا معه ويقاسوا ما يقاسيه من الاهوال والخطوب والكلام في معنى النهي وان كان على صورة الخبر ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام من وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ اي عطش يسير ولا نصب ولا تعب ولا مخمصة اي مجاعة مما يستباح عند المحاربة من مراتبها فان الظمأ والنصب اليسيرين حين لم يخلوا من الثواب فلان لا يخلو ذلك منه اولى فلا حاجة الى تاكيد النفي بتكرير كلمته لا ويجوز ان تراد بها تلك المرتبة ويكون الترتيب بناء على كثرة الوقوع وقلته فان الظمأ اكثر وقوعا من النصب الذي هو اكثر وقوعا من المخمصة بالمعنى المذكور فتوسيط كلمة لا لتأكيد النفي بل للدلالة على استقلال كل واحد منها بالفضيلة والاعتداد به في سبيل الله واعلاء كلمته ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار اي لا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم دوسا او مكانا يسلكونه في طريقهم ولا ينالون من عدو نيلا مصدر كالقتل والكسر او النهب او مفعول او شيئا ينال من قبلهم الا كتب لهم به اي بكل واحد من الامور المعدودة عمل صالح وحسنة مقبولة مستوجبة بحكم الوعد الكريم للثواب الجميل وسبيل التزلف والتنويه للتفخيم وكون المكتوب عين ما فعلوه من الامور لا يمنع دخول الباقي فان اختلاف العنوان كاف في ذلك ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم تعليل لما سلف من الكتب والمراد بالمحسنين اما المبحوث عنهم ووضع المظهر مقام المضمر لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين وان اعمالهم من قبيل الاحسان وللاشعار بعلية الماخذ للحكم واما جنس المحسنين وهم داخلون فيه دخولا اوليا ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة كما فعل عثمان رضه والترتيب باعتبار ما ذكر من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استيعاب كل منهما للكتب والجزاء لتأكيد النفي كما في قوله عز وجل ولا يقطعون اي لا يجاوزون في مسيرهم واديا وهو في الاصل كل منفرج بين الجبال والاكام يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم شاع في الارض على الاطلاق الا كتب لهم اي اثبت لهم ذلك الذي فعلوه من الانفاق والقطع ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون احسن جزاء اعمالهم او جزاء احسن اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة اي ما صح واستقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يثبطوا جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش فلولا نفر فهلا نفر من كل فرقة اي طائفة كثيرة منهم كاهل بلدة او قبيلة عظيمة طائفة اي جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين اي ليتكلفوا الفقاهة فيه ويجتهدوا امشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اي وليجعلوا غاية سعيهم وثمرة غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم اذا رجعوا اليهم وتخصيصه بالذكر لانهم اهم وفيه دليل على ان التفقه في الدين من فروض الكفاية وان يكون غرض المتعلم الاستقامة لا التقدم والترفع على العباد والتبسط في البلاد كما هو دين ابناء الزمان والله المستعان لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلثة تنفر وابقيه طائفة الى التفقه لينذروها

كي يتذكروا ويحذروا فلولم يعتبر اخبارا لم يتواتر لم يفد ذلك وقد قيل للآية وجه آخر هو ان المؤمنين لما سمعوا ما نزل في المتخلفين سارعوا
الى التفير رغبة ورغبة وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي
هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فالضمير ليتفقهوا وليندروا البواقي النوح بعد الطوائف العائدة للغزو
وقد رجعوا اليهم وليندروا البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين
يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب منهم كما امر آدم اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاصلاح فيل
هم اليهود دعوا الى المدينة كبني قريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم يسكنون الشام وهو قريب من المدينة بالنسبة الى العراق وغيره و
وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وصبرا على القتال وقرئ بضم الغين كسخطة وبضمتها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين
بالعصمة والنصرة والمراد بهم اما المخاطبون وقد وضع الظ موضع الضمير للتنصيص على ان الاتيان والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى
والشهادة بكونهم من زمرة المتقين والجنس فيهم داخلون فيه دخولا اوليا والمراد بالمعية الولاية الداعية وقد ذكر وجه دخول مع التبع
في قوله تعالى ان الله معنا واذا ما انزلت سورة من سور القرآن فمنهم اي من المنافقين من يقول لاخوانه لشبيتهم على النفاق
او لعوام المؤمنين وضعفتهم ليصدهم عن الايمان ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ بنصب ايكم على تقدير فعل يفسره المذكور اي
ايكم زادت زادته هذه الخ وايراد الزيادة مع ان لا ايمان فيهم اصلا باعتبار اعتقاد المؤمنين حيث يقولون به قولا بتا انما المؤمنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فاما الذين امنوا جواب من جهته سبحانه وتعالى وتحقيق للحق وتعيين
لحالهم عاجلا وآجلا اي فاما الذين آمنوا بالقرآن وبما جاء من عنده فزادتهم ايمانا بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيه والوقوف
على ما فيها من الحقائق وانضمام ايمانهم بما فيها بايمانهم السابق وهم يستبشرون بنزولها وبما فيها من المنافع الدينية والدنيوية و
اما الذين في قلوبهم مرض اي كفر وسوء عقيدة فزادتهم رجسا الى رجسهم اي كفرا مضموما الى كفر بغيرها وعقائد باطلة
واخلاق ذميمة كذلك وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك الى ان ماتوا عليه اولا يرون الهمزة للانكار والتوبيخ والواو
للعطف على مقدر اي لا ينظرون ولا يرون انهم يفتنون في كل عام من الاعوام مرة او مرتين والمراد
مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب التعدد المذكور اي يبتلون بافانين البليات من المرض والشدة من غير تذكر الذنوب والوقوف بين يدي
رب العزة فيؤدي ذلك الى الايمان به تعالى وبالجهاد مع رسول الله عليه السلام فيما يتلون ما ينزل عليه من الآيات لا سيما الفوارع الزاجرة
للايمان الناعية عليهم ما فيهم من القبائح المحرمة لهم ثم لا يتوبون عطف على يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ وكذا قوله تعالى
ولا هم يذكرون والمعنى اولا يرون افتتانهم الموجب للايمان بهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولا هم يتذكرون بتلك الفتن الموجبة
للتذكر والتوبة وقرئ بالتاء والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجيب اي الا تنظرون ولا ترون احوالهم العجيبة التي هي افتنانهم على وجه التتابع
وعدم التنبه لذلك فقوله تعالى ثم لا يتوبون وما عطف عليه معطوف على يفتنون واذا ما انزلت سورة بيان لاحوالهم عند تنزلها وهو فعل
تبليغ الوحي كما ان الاول بيان لمقالاتهم وهم غائبون عنه نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها او سخرية بها او غيظا
لما فيها من مجاذبهم هل يريكم من احد اي قائلين هل يريكم احد من المسلمين لتتصرف مظهرين انهم لا يصبرون على استماعها
ويغلب عليهم الضحك فينتضحون او تراموا بانظارهم يشاورون في تدبير الخروج والانسلال واذا يقولون هل يراكم من احد ان قمتم وابرز
ضمير الخطاب لبعث المخاطبين على الجد في انتهاز الفرصة فان المرء بشانه اكثر اهتماما منه بشان اصحابه كما في قوله تعالى ولا يلتفت منكم
احد وقيل الهمز واذا ما انزلت سورة في عيوب المنافقين ثم انصرفوا عطف على نظر بعضهم والمراد بالانصراف باعتبار وجدان الفرصة والوقوف
على عدم رؤية احد من المؤمنين اي انصرفوا جميعا عن مجلس الوحي خوفا من الافتضاح او غير ذلك صرف الله قلوبهم اي عن الايمان
بسبب انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية او دعائية بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او لعدم التدبر لقد جاءكم

الخطاب

الخطاب للعرب ﴿رَسُولٌ﴾ اى رسول رسول عظيم الشأن ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ من جنسكم عربى قرشى مثلكم وقرئ بفتح الفاء اى اشرفكم وافضلكم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ اى شاق شديد عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع فى العذاب وهذا من نتائج ما سلف من المجانسة ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ فى ايمانكم وصلاح حالكم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ منكم ومن غيركم ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ قدم الابلغ منهما وهى الرأفة التى هى عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له الى النبى عليه السلام تسلية له اى ان اعرضوا عن الايمان بك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ فانه يكفيك ويعينك عليهم ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ استئناف مقرر لمضمون ما قبله على وظنه فلا ارجو ولا اخاف منه ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ اى الملك العظيم والجسم الاعظم المحيط الذى ينزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابى ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن على الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة البراءة وسورة قل هو الله احد فانهما انزلتا على ومعهما سبعون الف صف من الملئكة عليهم السلام والتحية

سورة يونس مكية مائة وتسعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الر﴾ بتفخيم الراء المفتوحة وقرئ بالامالة اجراء للاصلية مجرى المنقلبة من الياء وقرئ بين بين وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدى على احد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتداء محذوف اى هذه السورة مسماة بالر وهو اظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها لا جعلها عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب كما مر والاشارة اليها قبل جريان ذكرها لما انها باعتبار كونها على جناح الذكر وبصدده صارت فى حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وكلمة ﴿تِلْكَ﴾ اشارة اليها اما على تقدير كون الر مسرودا على نمط التعديد فقد نزل حضور مادتها التى هى الحروف المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها كانه قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس هذه الحروف المبسوطة الخ واما على تقدير كونه اسما للسورة فقد نوهت بالاشارة اليها بعد تنويهها بتعيين اسمها او لا او بذكرها او بنزلتها وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها فى الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدا خبره قوله عز وجل ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ وعلى تقدير كون الر مبتدا فهو مبتدا ثان او بدل من الاول والمعنى هى آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمقصود ببيان بعضيتها منه وصفها باشتهارها بما اتصف به من النعوت الفاضلة والصفات الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القرآن العظيم وان لم ينزل الكل حينئذ اما باعتبار تعينه وتحققه فى علم الله عز وعلا او فى اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا كما هو المشهور فان فاتحة الكتاب كانت مسماة بهذا الاسم وبام القرآن فى عهد النبوة ولما تحصل المجموع الشخصى اذ ذاك فلا بد من ملاحظة كل من الكتاب والقرآن باحد الاعتبارات المذكورة واما جميع القرآن النازل وقتئذ المتفاهم بين الناس اذ ذاك فانه كما يطلق على المجموع الشخصى يطلق على المجموع النازل فى كل عصر الا يرى الى ما روى عن جابر رضى الله عنه انه قال كان النبى عليه السلام يجمع بين الرجلين من قتلى احد فى ثوب واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقرآن فاذا اشير له الى احدهما قدمه فى اللحد فان ما يفهمه الناس من القرآن فى ذلك يحافظون على التعاهد فى اخذ انما هو المجموع النازل حينئذ من غير ملاحظة لتحقق المجموع الشخصى فى علم الله سبحانه او فى اللوح ولا لنزوله جملة الى السماء الدنيا ﴿الْحَكِيمِ﴾ ذى الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه بها او هو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه او من باب الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة هذا وقد جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة وكلمة تلك اشارة الى ما فى ضمنها من الآى فانها فى حكم الحاضر لا سيما بعد ذكر ما يتضمنها من السورة عند بيان اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها فينبغى ان يكون المشار اليه حينئذ كل واحدة منها لا جميعها من حيث هو جميع لانه عين السورة فلا يكون للاضافة وجه ولا التخصيص بالوصف بالحكمة فلا يتأتى ما قصد من مدح المضاف بما يضاف اليه من صفات الكمال ودلالة فى بيان اتصاف كل منهما بالكمال من المبالغة ما ليس فى بيان اتصاف الكل بذلك والمتبادر من الكتاب عند الاطلاق وان كان كلا باحد الوجهين المذكورين لكن صحة الاطلاق

ضمنها

على بعضه ايضا ما لا ريب فيها والمعهود والمشهور وان كان اتصاف الكل باحد الاعتبارين فما ذكر من نعوت الكمال آنا ان شهرة اتصاف
كل سورة منه بما اتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يدور تحقق مدح السورة بكونها بعضا من القرآن الكريم آذانا الا ان بعضه نعوت بعض
كلمة داخل تحت حكم لما يستثنى ذلك مع ما فيه من التكلف والتعسف • اكان للناس عجبا • الهمزة للانكار تعجبهم والتعجيب ان يعين
منه كونه في غير محله والمراد بالناس كفار مكة • وانما عبر عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم مع انه المدار لتعجبهم كما تعرض له في قوله تعالى
حال الكافرون الخ لتحقيق ما فيه الشركة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليل مدار التعجب في زعمهم ثم تبيين
خطائهم واظهار بطلان زعمهم بايراد الانكار والتعجيب واللام متعلقة بمحذوف وقع حالا من عجبا وقيل تعجبا على التوسع المشهور
في الظروف مع قيل المصدر اذا كان بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول جاز تقديم معموله عليه وقيل متعلقة بكان وهو مبني على دلالته كان التامة
على الحدث • ان اوحينا • اسم كان قدم عليه خبرها اهتماما بشانه لكونه مدار الانكار والتعجيب وتشويقا الى المؤخر وان في الاسم
غرابة تفصيل قضى مراعاة الاصل بوقوع اطناب الكلام وقرئ برفع عجب على انه اسم وهو نكرة وآخبر ان اوحينا وهو معرفة
لان ان مع الفعل في تاويل المصدر المختص الى الموغلة البتة والمحققون على ان يجعل كان تامة وان اوحينا متعلقا بعجب على حذف مضاف
التعليل اي اكذبت للناس عجب لان اوحينا او من ان اوحينا او بدلا من عجب لكن لا على توجيه الانكار والتعجب الى صدوره بل الى كونه
عجبا فان كون الابدال من حكم تنحية المبدل منه ليس معناه ابداره بالمرة وانما قيل للناس لان عند الناس للدلالة على انهم الحقوا
العجوبة لهم وتعيين زيادة تقبيح حالهم بالايذان • الى رجل منهم • اي الى بشر من جنسهم كقولهم ابعث الله بشرا رسولا او من اجلافهم ان صح
النقل لان من عظمائهم كقولهم لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا مزيد عليه
لان الاول فلان بعث الملك انما يكون عند كون المبعوث اليهم ملكة كما قال سبحانه قل لو كان في الارض ملكة يمشون مطمئنين لنزلنا
عليهم من السماء ملكا رسولا واما عامة البشر فهم بمعزل عن استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس
بعثت الملك اليهم مراعى للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع واما الذي يقتضيه الحكمة ان يبعث الملك من بينهم الى الخواص
المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب
ويلقوا الى جانب واما الثاني فلما ان مناط الاصطفاء للنبوة والرسالة هو التقدم في الاتصاف بما ذكر من النعوت الجليلة
والصفات الجليلة • والسبق في احراز الفضائل العلية • وصيرورة الملكات السنية • جبلة والتسابا ولا ريب لاحد منهم فانه عليه السلام
في ذلك الشان في غاية الغايات القاصية • ونهاية النهايات القائية • واما التقدم في رياسة الدنيا • والسبق في نيل الحظوظ الدنية
فلا دخل لهن في ذلك قطعا بل ربما يكون الاخلال بها غالبا قال عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها
شربة ماء • ان انذر الناس • ان مصدرية لجواز كون صلتها امرا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك في ذلك لان الخبر
والانشاء في الدلالة على المصدر سيان فساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فيخرج عند ذلك عن معنى الامر والنهي
نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال لوجوب كون الصلة في الموصول الاسمي خبرية انما هو للموصول لها
الى وصف المعارف بالجمل لا التصوير في دلالة الان على المصدر او مغايرة اذا لا يجاري فيه معنى القول وقد جوز كون ان مخففة من المثقلة
على ضمير الشان والقول من الجر والمعنى ان الشان قولنا انذر الناس والمراد به جميع الناس كافة لا ما اريد بالاول
وهو النكتة في ايثار الاظهار على الاضمار وكون الثاني عين الاول عند اعادة الموصول ليس على الاطلاق وبشر الذين امنوا
بما اوحيناه وصدقوه • ان لهم اي بان لهم قدم صدق • اي سابقة ومنزلة رفيعة • عند ربهم • وانما عبر بها اذ بها يحصل السبق
والوصول الى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد لانها تعطى بها وقيل مقام صدق والوجه ان الوصول الى المقام انما يحصل
بالقدم واضافتها الى الصدق للدلالة على تحققها وثباتها وللتنبيه على ان مدار نيل ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم فان الصدق

لا ينفك عن الصدق قال الكافرون هم المتعجبون وايرادهم ههنا بعنوان الكفر لما لا حاجة الى ذكر سببه وترك العاطف لجريه
مجرى البيان للجملة التي دخل عليها همزة الانكار او لكونه استئنافا مبنيا على السؤال كانه قيل فماذا صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد
والاستبعاد او قطعوا فيه بشيء فقيل قال الكافرون على طريقة التوكيد ان هذا يعنون به ما اوحي الى رسول الله عليه السلام
من القرآن الحكيم المنطوي على الانذار والتبشير لسحر مبين اي ظاهر وقرئ لساحر على ان الاشارة الى رسول الله عليه السلام
وقرئ ما هذا الا سحر مبين وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون بان ما عاينوه خارج عن طوق البشر نازل من جناب خلاق القوى
والقدر ولكنهم يسمونه بما قالوا تماديا في العناد كما هو ديدن المكابر اللجوج ودأب المفحم المحجوج ان ربكم كلام مستأنف
سيق لاظهار بطلان تعجبهم المذكور وما بنوا عليه من المقالة الباطلة غب الاشارة اليها بالانكار والتعجب وتحقيق حقية
ما تعجبوا منه وصحة ما انكروه بالتنبيه الاجمالي على بعض ما يدل عليها من شؤون الخلق والتقدير واحوال التكوين والتدبير ويرشدهم الى معرفتها
بادنى تذكير لاعترافهم به من غير نكير لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون وقوله تعالى
قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله تعالى ومن يدبر الامر فسيقولون الله اي ان ربكم ومالك امركم الذي تتعجبون من ان يرسل
اليكم رجلا منكم بالانذار والتبشير وتعدون ما اوحي اليه من الكتاب الحكيم سحرا الله الذي خلق السموات والارض
وما فيهما من الكائنات في ستة ايام اي في ستة اوقات او في مقدار ستة ايام معهودة فان نفس اليوم الذي هو عبارة
عن زمان كون الشمس فوق الارض مما لا يتصور تحققه حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة
على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث لهم على التأني في الاحوال والاطوار واما تخصيص ذلك بالعدد
المعين فامر قد استأثر بالعلم بما يستدعيه علام الغيوب جلت قدرته ودقت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور
من الايذان بانها اجرام مختلفة الطباع متباينة الآثار والاحكام ثم استوى على العرش العرش هو الجسم المحيط
بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الاوامر والتدابير منه تنزل وقيل هو الملك ومعنى استوائه
سبحانه عليه استيلاؤه عليه او استواء امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة له سبحانه بلا كيف والمعنى انه سبحانه
استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن التمكن والاستقرار وهذا بيان لجلالة ملكه وسلطانه بعد بيان عظمة شانه
وسعة قدرته بما مر من خلق هاتيك الاجرام العظام يدبر الامر التدبير النظر في ادبار الامور وعواقبها لتقع على الوجه المحمود
والمراد ههنا التقدير على الوجه الاتم الاكمل والمراد بالامر امر ملكوت السموات والارض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الحادثة شيئا
فشيئا على اطوار شتى وانحاء الاشكال المختلفة من المناسبات والمباينات في الذوات والصفات والازمنة والاوقات اي يقدر ما ذكر من امر الكائنات
الذي من جملته ما تعجبوا منه من امر البعث والوحي فرد من جملته وشعبة من دوحته ويهيئ اسبابه كل منها حدوثا وبقاء في اوقاتها المعينة ويرتب
بعضها على الوجه اللائق والنمط اللائق حسبما يقتضيه الحكمة ويستدعيه المصلحة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير استوى
وقد جوز كونه خبرا ثانيا لان او استئنافا لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال نشأ من ذكر الاستواء على العرش المنبئ عن اجراء احكام
الملك وعلى كل حال فايثار صيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير واستمراره وقوله عز وجل ما من شفيع بيان لاستبداده سبحانه
بالتقدير والتدبير ونفي للشفاعة على ابلغ الوجوه فان نفي جميع افراد الشفيع بمن الاستغراقية يستلزم نفي الشفاعة على اتم الوجوه كأنه قيل
لا عاصم اليوم من امر الله وهذا بعد قوله يدبر الامر جار مجرى قوله وهو يجير ولا يجار عليه عقيب قوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى
الا من بعد اذنه استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي ما من شفيع يشفع لاحد في وقت من الاوقات الا بعد اذنه المبني على الحكمة الباهرة وذلك
عند كون الشفيع من المصطفين الاخيار والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة كقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له
الرحمن وقال صوابا وفيه من الدلالة على عظمة جلاله سبحانه ما لا يخفى ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الشأن المنعوت

بما ذكر من نعوت الكمال التي عليها يدور استحقاق الالوهية الله وقوله لكم بيان لما وبدل منه او خبر ثان لاسم الاشارة وهذا بعد ما ان ربكم الذي خلق السموات والارض الخ لزيادة التقرير والمبالغة في التذكير والتفريع الامر بالعبادة عليه بقوله تع فاعبدوه اى وحدوه من غير ان تشركوا به شيئا من ملك او نبي فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وآمنوا بما انزلناه اليكم افلا تذكرون الى اخر ما ذكر من الدلائل الآفاقية والانفسية فلا تتذكرون ذلك حتى تتفوا على فساد ما انتم عليه فترتدعوا منه اليه لا الى احد سواه استقلالا او اشراكا مرجعكم اى بالبعث كما ينبئ عنه قوله تعالى جميعا حال من الضمير المجرور لكونه فاعلا في المعنى اى اليه رجوعكم مجتمعين والجملة كالتعليل لوجوب العبادة وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله عز وجل اليه مرجعكم وعد منه سبحانه بالبعث او لفعل مقدر اى وعدالله وعدا وايا ما كان فهو دليل على ان المراد بالمرجع هو الرجوع بالبعث لان ما بالموت بمعزل من الوعد كما انه بمعزل من الاجتماع وقرئ بصيغة الفعل حقا مصدر آخر مؤكد لما دل عليه الاول انه يبدؤا الخلق وقرئ يبدئ ثم يعيده وهو استئناف علل به وجوب المرجع اليه سبحانه وتعالى فان غاية البدء والاعادة هو جزاء المكلفين باعمالهم حسنة او سيئة وقرئ بالفتح اى لانه ويجوز كونه منصوبا بما نصب وعد الله اى وعد الله وعد ابتداء الخلق ثم اعادته وحرفوعا بما نصب حقا اى حق حقا بدء الخلق الخ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اى بالعدل وهو حال من فاعل يجزي اى ملتبسا بالعدل او متعلق بيجزي اى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم وانما اجمل ذلك ايذانا بانه لابين بالحمل او بقسطهم وعدم عدالتهم ومباشرتهم للاعمال الصالحة وهو الانسب بقوله عز وجل والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ويجزي الذين كفروا بسبب كفرهم وتكرير الاسناد بجعل الجملة الظرفية خبرا للموصول لتقوية الحكم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على مواظبتهم على الكفر وتغيير النظم الكريم للايذان باستحقاقهم للعقاب وان التعذيب بمعزل عن الانتظام في سلك العلة الغائية للخلق بدءا واعادة وانما يحيق ذلك بالكفرة على موجب سوء اختيارهم واما المقصود الاصلي من ذلك فهو الاثابة هو الذي جعل الشمس ضياء تنبيه على الاستدلال على وجوده تع ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته باثار صنعه في النيرين بعد التنبيه على الاستدلال بما قرر من ابداع السموات والارض والاستواء على العرش وغير ذلك وبيان لبعض افراد التدبير الذي اشير اليه اشارة اجمالية وارشاد الى انه حين دبرت امورهم المتعلقة بمعاشهم بهذا التدبير البديع فلان يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد بارسال الرسول وانزال الكتاب وتبيين طرائق الهدى وتعيين مراوي التقوى اولى واحرى والجعل ان جعل بمعنى الانشاء والابداع فضياء حال من مفعوله الاى خلقها حال كونها ذات ضياء على حذف المضاف او ضياء محضا للمبالغة بمعنى التنوير فهو مفعوله الثاني اى جعلها ضياء على احد الوجهين المذكورين لكن لا بد ان كانت خالية عن تلك الحالة بل ابدعها كذلك كما في قلوبهم ضيق فم الركية ووسع مغلها والضياء مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط وياؤه منقلبة من الواو لانكسار ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف بتقديم اللام على العين والنور الكلام فيه كالكلام في الشمس والضياء اقوى من النور وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور فضياء شعار بان نوره مستفاد من الشمس وقدره اى قدر له او جعل منازل او قدر مسيرة في منازل او قدره ذا منازل على تضمين التقدير معنى التصيير وتخصيص القمر بهذا التقدير لسرعة سيره ومعاينة منازله وتعلق احكام الشريعة به وكونه علما في تواريخ العرب وقد جعل الضمير لكل منها وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت بسير فيها من ليلة الاستهلال الى الثامنة وعشرين فاذا كان في آخر منازله وقع واستقوس ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر ويكون مقام الشمس في كل منزلة منها ثلثة عشر يوما وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي السرطان والبطين والثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرع الدلو المقدم فرع الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت لتعلموا ما يتعاقب الليل والنهار المتفاوتين بطلوع الشمس وغروبها او باختلاف نزول كل منهما تلك المنازل عدد السنين التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب

* ينبغي ان كان تسعة وعشرين

اى

علامة الالف واللام عوض عن المضاف اليه

اى حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالى وغير ذلك مما نيط به شئ من المصالح المذكورة وتخصيص العدد بالسنين والحساب بالاوقات لما انه لم يعتبر فى السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب الاعداد كما اعتبر فى الاوقات المحسوبة وتحقيقه ان الحساب احصاء ما له كمية منفصلة بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة المتحصلة من اثنى عشر شهرا قد تحصل كل من ذلك من ثلثين يوما قد تحصل كل من ذلك من اربع وعشرين ساعة مثلا والعد مجرد احصائه بتكرير امثاله من غير اعتبار ان يتحصل بذلك شئ كذلك ولما لم يعتبر فى السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير اسامى مراتب الاعداد وحكم مستقل اضيف اليها العدد وتحصل مراتب من العشرات والمئات والالوف اعتبارى لا يجدى فى تحصيل المعدود نفعا وحيث اعتبر فى الاوقات المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التى لها اسام خاصة واحكام مستقلة علق بها الحساب المنبئ عن ذلك والسنة من حيث تحققها فى نفسها مما يتعلق به الحساب وانما الذى يتعلق به العد طائفة منها وتعلقه فى ضمن ذلك بكل واحدة منها من تلك الطائفة ليس من الحيثية المذكورة اعنى حيثية تحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة من غير ان يعتبر معها شئ غير ذلك وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالى بما تعلق به الحساب تفصيلا او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل امر آخر حسبما حقق آنفا نازل من الحساب الذى اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب ما خلق الله ذلك اى ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكى من الاحوال وفيه ايذان بان معنى جعلهما على تلك الاحوال والهيئات ليس الا خلقهما كذلك كما اشير اليه ولا يتوهم فى ذلك ان استفادة القمر النور من الشمس امر حادث فان المراد بجعله نورا انما هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرائطه لا اتصافه به بالفعل الا بالحق استثناء مفرغ من اعم احوال الفاعل او المفعول اى ما خلق ذلك ملتبسا بشئ من الاشياء الا ملتبسا بالحق مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة او مراعى فيه ذلك وهو ما اشير اليه اجمالا من العلم باحوال السنين والاوقات المنوط به امور معاملاتهم وعباداتهم يفصل الآيات اى الآيات التكوينية المذكورة او جميع الآيات فيدخل فيه الآيات دخولا اوليا ويفصل الآيات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ بنون العظمة لقوم يعلمون الحكمة فى ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شؤون مبدعها جل وعلا او يعلمون ما فى تضاعيف الآيات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم لانهم المنتفعون به ان فى اختلاف الليل والنهار تنبيه آخر اجمالى على ما ذكر اى فى تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او فى تفاوتهما فى انفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او فى اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما فى الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالى ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما فى انفسهما فان كروية الارض تقتضى ان يكون بعض الاوقات فى الاماكن ليلا وفى مقابله نهارا وما خلق الله فى السموات والارض من اصناف المصنوعات لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته وبالغ حكمته التى من جملة مقتضياتها ما انكروه من ارسال الرسول وانزال الكتاب والبعث والجزاء لقوم يتقون خصهم بذلك لان الداعى الى النظر والتدبر انما هو تقوى الله تعالى والحذر من العاقبة فهم الواقفون على ان جميع المخلوقات آيات دون غيرهم وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ان الذين لا يرجون لقاءنا بيان لمآل حال من كفر بالبعث واعرض عن البينات الدالة عليه بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه تعالى وانه يعيدهم بعد بدئهم للجزاء ثوابا وعقابا وبعض الآيات الشاهدة بذلك والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث او لقاء الحساب كما فى قوله عز وعلا انى ظننت انى ملاق حسابيه واياما كان ففيه مع الالتفات الى ضمير الجلالة من تهويل الامر ما لا يخفى والمراد بعدم الرجاء عدم الوقوع مطلقا المنتظم لعدم الامل وعدم الخوف فان عدمهما لا يستدعى عدم اعتقاد وقوع المأمول والمخوف اى لا يتوقعون الرجوع الينا او لقاء حسابنا المؤدى اما الى حسن الثواب او الى سوء العذاب فلا يأملون الاول واليه اشير بقوله عز وجل ورضوا بالحيوة الدنيا

قوله تعالى ان فى اختلاف الليل والنهار ... عصم

اى وفيما خلق عصم

قوله

فاتة مبنئ من ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس كقوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة ولا يخافون الثانى والباقى بشر بقوله تعالى واطمأنوا بها اى سكنوا فيها سكون من لا يراح له منها آمنين من اغتيال المنية غير مخطرين ببالهم ما يسوءهم من عذابنا وقيل المراد بالرجاء معناه الحقيقى وباللقاء حسن اللقاء اى لا يأملون حسن لقائنا بالبعث والاحياء بالحيوة الابدية ورضوا بدلا منها وممّا فيها من فنون الكرامات السنية بالحيوة الدنيا الدنية الفانية واطمأنوا بها اى سكنوا اليها مكبّين عليها قانعين مجامع همتهم على لذائذها من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم وايثار الباء على كلمة الى المنبئة عن مجرد الوصول والانتهاء للايذان بتمام الملابسة ودوام المصاحبة والموانسة وحمل الرجاء على الخوف فقط لاباءه كلمة التضاد بالحيوة فانها مبنية عما ذكر من ترك الاعلى واخذ الادنى واضفاء صيغة الماضى فى الصلتين الاخيرتين للدلالة على التحقق والتقرر كما ان اختيار صيغة المستقبل فى الاولى للايذان باستمرار عدم الرجاء والذين هم عن اياتنا المفصلة فى صحائف الاكوان حسبما اشير الى بعضها واياتنا المنزلة المنبهة على الاستشهاد المنتفعة بمعانيها الدالة على صحتها مالا يجوز من اللقاء المترتب على البعث وعلى الاستشهاد المنتفعة بمعانيها الدالة بطلان ما رضوا به واطمأنوا اليه من الحيوة الدنيا غافلون لا يتفكرون فيها اصلا وان نبهوا على ذلك وذكروا بانواع التقارع لانهماكهم فيما يقعدهم عنها من الاحوال المعدودة وتكرير الموصول للتوسل به الى جعل صلته جملة اسمية منبئة عما هم عليه من استمرار الموصول ودوامها وتنزيل التغاير الذاتى ايذانا بمغايرة الوصف الاخير للاوصاف الاول واستقلاله باستتباع العذاب هذا واما ما قيل من ان العطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك فى الشهوات بحيث لا يخطر ببالهم الآخرة اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا بالآخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل فى الآجل فكلام ناء عن السداد اولئك الموصوفون باذكر من صفات الشر مأواهم اى مسكنهم ومقرهم الذى لا براح لهم منه النار لا ما اطمأنوا بها من الحيوة الدنيا ونعيمها بما كانوا يكسبون من الاعمال السيئة المعدودة وما يستتبعه من اصناف المعاصى والسيئات او بكسبهما ايانا والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددى والباء متعلقة بمضمون الجملة الاخيرة الواقعة خبرا لاسم الاشارة وهو مع خبره خبر لان فى قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا الخ الا الذين آمنوا اى فعلوا الايمان او آمنوا بما يشهد به الآيات التى غفل عنها الغافلون او لكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج فيه ذلك اندراجا اوليا وعملوا الصالحات اى الاعمال الصالحة فى انفسها الدائمة بالايمان وانما ترك ذكر الموصوف لجريانها مجرى الاسماء يهديهم ربهم اى يثيبهم على ايمانهم اثر التقائهم تفضلا لهم باضافة الرب اليهم واشعارا بعلية الهداية اى يهديهم بسبب ايمانهم الى مآويهم ومقصدهم وهى الجنة وانما لم يذكر تعويلا على ظهورها وانسياق النظم اليها لاستقلالها بملاحظة ما سبق من بيان مأوى الكفرة ومأواهم اليه من اعمالهم السيئة ومشاهدة ما لحق من التلويح والتصريح وفى النظم الكريم اشعار بان مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفى فى الوصول الى الجنة بل لا بد بعد ذلك من الهداية الربانية وان الكفر والمعاصى كافية فى دخول النار ثم انه لا نزاع فى ان المراد بالايمان الذى جعل سببا لتلك الهداية هو ايمانهم الخاص المشفوع بالاعمال الصالحة لا الايمان المجرد عنها ولا ما هو اعم منهما الا ان ذلك بمعزل عن الدلالة على خلاف ما عليه اهل السنة والجماعة من ان الايمان الخالى عن العمل الصالح يفضى الى الجنة فى الجملة ولا يخلد صاحبه فى النار فان منطوقة الآية الكريمة ان الايمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهداية الى الجنة وامّا ان كل ما هو سبب لها يجب ان يكون كذلك فلا دلالة لها ولا لغيرها عليه قطعا كيف لا وقوله عز وجل والذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون مناد بخلافه فان المراد بالظلم هو الشرك كما اطبق عليه المفسرون والمعنى لم يخلطوا ايمانهم بشرك ولئن حمل على ظاهره ايضا يدخل فى الاهتداء من آمن وعمل صالحا ثم مات قبل ان يظلم بفعل حرام او بترك واجب تجرى من تحتهم الانهار اى بين ايديهم كقوله سبحانه وهذه الانهار تجرى من تحتى او تجرى وهم على سرر مرفوعة وارائك مصفوفة والجملة مستانفة او خبر ثان لان او حال من مفعول يهديهم على تقدير كون المهدى اليه ما يريدونه كما قيل وقيل يهديهم وسددهم

لا يسلم

للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب والجنة وقوله تجري من تحتهم الانهار مجرى التفسير والبيان فان التمسك بحبل
السعادة في حكم الوصول اليها وقيل يهديهم الى ادراك الحقائق البديعة بحسب القوة العلمية كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله
علم ما لم يعلم في جنات النعيم خبر آخر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي فالمراد بالهداية ما ذكر او منازلهم
في الجنة او ما يريدونه فيها دعواهم اي دعاؤهم وهو هذا الكلام وهو معمول للقول المقدر لا يجوز اظهاره والمعنى انا نسبحك سبحانا ولعلهم
يقولونه عندما يعاينون فيها من تعاجيب آثار قدرته تعالى ونتائج رحمته ورأفته ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
تقديسا لمقامه تعالى عن شوائب العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن سمات الخلف وتحيتهم فيها التحية التكرمة بالحالة الجليلة
اصلها احياك الله حيوة طيبة اي ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام
او تحية الله عز وجل لهم كما في قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم سلام اي سلامة عن كل مكروه وآخر دعواهم اي خاتمة دعائهم
ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك نعتا له عز وجل بصفات الاكرام اثر نعته تعالى بصفات الجلال اي دعاؤهم منحصر
فيما ذكر اذ ليس لهم مطلب مترقب حتى ينتظموه في سلك الدعاء وان هي المخففة من ان المثقلة اصله انه الحمد لله فحذف ضمير الشان
كما في قوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين
دعائهم وخاتمته للتوسل الى ختم الحكاية بالتحميد تبركا مع ان التحية ليست باجنبية على الاطلاق ودعوى كون ترتيبها الوقوعي ايضا
كذلك بان كانوا حين دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله تعالى وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملئكة بالسلامة عن الآفات
والفوز باصناف الكرامات او حياهم بذلك رب العزة فحمدوه تعالى واثنوا عليه يأباها اضافة الآخر الى دعواهم وقد جوز ان يكون المراد
بالدعاء العبادة كما في قوله تعالى واعتزلكم وما تدعون من دون الله ايذانا بان لا تكليف في الجنة اي ما عبادتهم الا ان يسبحوه ويحمدوه وليس
ذلك بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا ولا بأس عن تعيين الخاتمة ولو يعجل الله للناس هم الذين لا يرجون لقاء الله
لانكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء اشير الى بعض من عظائم من معاصيهم المتفرعة على ذلك في استعجالهم بما اوعدوا به
من العذاب تكذيبا واستهزاء وايرادهم باسم الجنس لما ان تعجيل الخير لهم ليس دائرا على وصفهم المذكور اذ ليس كل ذلك بطريق
الاستدراج اي لو يعجل الله لهم الشر الذي كانوا يستعجلون به فانهم كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك وقوله تعالى استعجالهم بالخير نصب على انه مصدر تشبيهي وضع موضع
مصدر ناصبه دلالة على اعتبار الاستعجال في جانب المشبه كاعتبار التعجيل في جانب المشبه به واشعارا بسرعة اجابته تعالى لهم حتى كان
استعجالهم به تعجيل فحذف تعويلا على دلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لادي اليهم الاجل الذي عين لعذابهم واميتوا
واهلكوا بالمرة وما امهلوا طرفة عين وفي ايثار صيغة المبني للمفعول جري على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل وقرئ لقضينا
واختيار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على المضي للافادة ان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل فان المضارع المنفي الواقع
موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما حقق في موضعه واعلم
ان مدار الافادة في الشرطية ان يكون التالي امرا مغايرا للمقدم في نفسه مترتبا عليه في الوجود كما في قوله عز وجل لو يطيعكم في كثير من الامر
لعنتم فان العنت اي الوقوع في المشقة والهلاك امر مغاير لطاعته عليه السلام لهم مترتب عليها في الوجود او يكون فردا كاملا من افراده
ممتازا عن البقية بامر يخصه كما في الاجوبة المحذوفة في مثل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم وقوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وقوله
ولو ترى اذ المجرمون ونظائرها اي لرأيت امرا هائلا فظيعا ونحو ذلك وكما في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها
من دابة اذ اختير الجواب بالاستئصال لانه فرد كامل من مطلق المؤاخذة وقد عبر عنه بالافراد عليه في الدلالة على الشدة والفظاعة
فحسن موقعه في موضع التالي للمؤاخذة المطلقة واما ما نحن فيه من القضاء فليس بامر مغاير لتعجيل الشر في نفسه وهو ظاهر

اي القرآن او الرسول عليه السلام

الارض

بل هو اما نفسه او جزئ منه كسائر جزئياته من غير مزية له على البقية اذ لم يعتبر في مفهومه ما ليس في مفهوم تعجيل الشر من الشر والهول
فلا يكون في ترتيبه عليه وجودا او عدما مزيد فائدة مصحح لجعله تاليا له فالحق ان المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة
للقضاء المذكور وجودا وعدما كما في قوله تعالى لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب اى لو يريد مؤاخذتهم فان تعجيل العذاب لهم نفس المؤاخذة
او جزئ من جزئياتها غير ممتازة في البقية فليس في بيان ترتبه عليها وجودا او عدما مزيد فائدة واما الفائدة في بيان ترتبه على الارادة
حسبما ذكر وايضا في ترتيب التالي على ارادة المقدم ما ليس في ترتيبه على نفسه من المبالغة وهو ظاهر والدلالة على ان الامور منوطة
بارادته تعالى المبنية على الحكم البالغة فنذر الذين لا يرجون لقاءنا بنون العظمة الدالة على التشديد في الوعيد وهو عطف على مقدر
تنبئ عنه الشرطية كانه قيل لكن لا تفعل ذلك لما يقتضيه الحكمة فنذرهم امهالا واستدراجا في طغيانهم الذي هو عدم رجاء اللقاء والانكار
البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك من اعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة يعمهون يتحيرون ويترددون في وضع الموصول موضع الضمير
نوع بيان للطغيان بما في حيز الصلة واشعار بعلية للترك والاستدراج واذا مس الانسان الضر اى اصابه جنس الضر من مرض وفقر
وغيرهما من الشدائد اصابة يسيرة دعانا لكشفه والالتة لجنبه حال من فاعل بشهادة ما عطف عليه من الحالين واللام بمعنى على
كما في قوله تعالى يخرون للاذقان اى دعانا كائنا على جنبه اى مضطجعا او قاعدا او قائما اى في جميع الاحوال فما ذكر وما لم يذكر
وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم خلو الانسان غالبا عادة لو دعانا في جميع احوال مرضه على انه المراد بالضر خاصة مضطجعا عاجزا عن القعود
وقاعدا غير قادر على النهوض وقائما لا يستطيع الحراك فلما كشفنا عنه ضره الذي مسه غبا دعانا صحيحا ينبئ عنه الفاء مرر
اى مضى واستمر على طريقته التي كانت ينتجها قبل مساس الضر ونسب حالة الجهد والبلاء او مر عن موقف الضراعة والابتهال وناى بجانبه
كان لم يدعنا اى كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما في قوله كان لم يكن بين الحجون الى الصفا والجملة التشبيهية في محل النصب
على الحالية من فاعل مر اى مر مشبها بمن لم يدعنا الى كشف ضر مسه وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض افراده
ممن هو متصف بهذه الصفات كذلك نصب على المصدرية وذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للتفخيم والكاف
مفيدة للدلالة على زيادة فخامة المشار اليه افخاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل مكان
انت لا تبخل اى مثل ذلك التزيين العجيب زين للمسرفين اى للموصوفين بما ذكر من الصفات الذميمة واسرافهم لما ان الله تعالى
انما اعطاهم القوى والمشاعر ليصرفوها الى مصارفها ويستعملوها فيما خلقت له من العلوم والاعمال الصالحة فلما صرفوها الى الاضداد
وهي اس مالهم فقد ابلغوا واسرفوا اسرافا ظاهرا او التزيين اما من جهة الله على طريقة التخلية والخذلان او من الشيطان بالوسوسة
والتسويل ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر والدعاء والانهماك في الشهوات وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث ان في كل
منهما املاء للكفرة على طريقة الاستدراج بعد الانقاذ من الشر المقدر في الاولى ومن الضر المصرح في الاخرى ولقد اهلكنا القرون
اى القرون الخالية مثل قوم نوح واخزابهم ومن في قوله تعالى من قبلكم متعلقة باهلكنا اى اهلكناهم من قبل زمانكم والخطاب لاهل مكة
على طريقة الالتفات للمبالغة في تشديد التهديد بعد تأييده بالتوكيد القسمي وجاءتهم رسلهم الواو للحال من ضمير ظلموا او قوله تعالى
بالبينات متعلق بجاءتهم على ان الباء للتعدية او بمحذوف وقع حالا من رسلهم دالة على افراطهم في الظلم وتناهيهم في الكابرة اى ظلموا
بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالآيات البينة الدالة على صدقهم او على بينونتها في انفسها للتكذيب وقد جوز ان يكون للعطف على ظلموا
فلا محل للجملة عند سيبويه وعند غيره محلها الجر لانها معطوفة على ما هو مجرور بإضافة الظرف اليه ليس الظلم محضرا اذ التكذيب ضم اليه
الا الاعتذار بان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي كما في قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له الخ بل هو محمول
على سائر انواع الظلم والتكذيب مستفاد من قوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا على ابلغ وجه واكده فان اللام لتاكيد النفي اى وما صح
وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله اياهم لعلمه بان الالطاف لا تنجع فيهم والجملة على الاول عطف

آخر
انيس ولم يسمر بمكة سامر

على انه لا يجب ان يقع بعده
كلام متعلق بما قبله

على ظلموا الآية اخبار باحداث التكذيب وهذا بالاصرار عليه وعلى الثاني عطف عليه **وقيل** اعتراض بين الفعل وما يجري مجرى مصدره التشبيهين
اعني قوله تعالى كذلك فان الجزاء المشار اليه عبارة عما مصدر وأي مثل ذلك الجزاء التفظيع اي الاهلاك الشديد الذي هو استئصال
بالمرة نجزي القوم المجرمين اي كل طائفة مجرمة وفيه وعيد شديد ومهديد لاهل مكة لاشتراكهم للاولئك الهالكين في الجرائم
والجرائر التي هي تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والاصرار عليه وتوبيخ لمن قوله ثم من بعدهم ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وقرئ
بالياء على الالتفات الى الغيبة وقد جوز ان يكون المراد بالقوم المجرمين اهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذانا باتصافهم باعظم الاوصاف
وتباينهم كل التباين قوله عز وجل ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم فانه صريح في انه ابتداء التعرض لامورهم وان ما بين فيه
انما هو مبادي احوالهم لاختبار كيفية احوالهم على وجه يشعر باتمامها نحو الايمان والطاعة فحقال ان يكون ذلك اثر بيان منتهى اجرامهم وظلمهم
بيت القوم باهلاكهم لكمال اجرامهم والمعنى ثم استخلفناكم في الارض بعد اهلاك اولئك القرون التي تسمعون اخبارها وتشاهدون آثارها
استخلاف من يختبر لينظر اي لنعامل معاملة من ينظر كيف تعملون فهو استعارة تمثيلية وكيف منصوب على المصدرية تعملون
لا بننظر فان ما فيه مانع من تقدم عامله عليه اي اي عمل او على الحالية او على اي حال تعملون الاعمال اللائقة بالاستخلاف من اوصاف
الحسن كقوله عز وعلا ليبلوكم ايكم احسن عملا ففيه اشعار بان المراد بالذات والمقصود الاصلي من الاستخلاف انما هو ظهور الكيفيات الحسنة
للاعمال الصالحة واما الاعمال السيئة فبمعزل من ان تصدر عنهم لاجل ما سمعوا اخبار القرون المهلكة وشاهدوا آثار بعضها فضلا
عن ان ينتظم ظهورها في سلك العلة الغائية للاستخلاف **وقيل** منصوب على انه مفعول به اي اي عمل تعملون اخيرا ام شرا فنعاملكم بحسبه
فلا يكون في كلمة كيف حينئذ دلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الاعمال وكيفياتها لاذواتها كما هو راي القائل بل يكون حينئذ مستعارة
لمعنى اي شيء واذا تتلى عليهم التفات من خطابهم الى الغيبة اعراضا عنهم وتوجيها للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعديد
جناياتهم المضادة لما اريد منهم بان استخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالآيات البينات وغير ذلك كما فعل من قبلهم من القرون المهلكة
وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الآتي حسب تجدد التلاوة آياتنا الدالة على حقية التوحيد وبطلان الشرك
والاضافة لتشريف المضاف والترغيب في الايمان به والترهيب عن تكذيبه بينات حال كونها واضحات الدلالة على ذلك واريد
فعل التلاوة مبنيا للمفعول مسندا الى الآيات دون رسول الله عليه السلام ببنائه للفاعل الاشعار بعدم الحاجة لتعيين التالي وللايذان
بان كلامهم في نفس المتلو دون التالي قال الذين لا يرجون لقاءنا وضع الموصول موضع الضمير اشعارا بعلية ما في حيز الصلة
للعظيمة المحكية عنهم وانهم انما اجترؤا عليها لعدم خوفهم من عقابه تعالى يوم اللقاء لانكارهم له ولما هو من مبادئه من البعث وما يلحق به
اي قالوا لمن يتلو ما عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما لم يذكر ايذانا بتعينه ائت بقرآن غير هذا اشاروا بهذا الى
المشتمل على تلك الآيات لا الى انفسها فقط قصدا الى اخراج الكل من البين اي ائت بكتاب آخر تعده ليس فيه ما يستبعده من البعث
والحساب والجزاء وما ذكره من ذلك آية اخرى خالية عنها وانما قالوه كيدا وطمعا في المساعدة ليتوسلوا به الى الالزام والافتراء به قل
لهم ما يكون لي اي ما يصح وما تقتضيه لي ولا يمكنني اصلا ان ابدله من تلقاء نفسي اي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا
وقرئ بفتح التاء وقصر الجواب ببيان امتناع ما اقترحوه على اقتراحهم الثاني للايذان بان استحالة ما اقترحوه اولا بحيث من الظهور
لا حاجة الى بيانها وان التصدي لذلك مع كونه ضائعا ربما يعد من قبيل المجاراة مع السفهاء اذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح عن العقلاء
وللاشعار بما يدل على استحالته الثاني بدل على استحالته الاول بالطريق الاولى ان اتبع اي ما اتبع في شيء مما آتي وآذر الا ما يوحى
الي من غير تغيير له في شيء اصلا على معنى قصر حاله عليه السلام على اتباع ما يوحى اليه لا قصر اتباعه على ما يوحى اليه كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كأنه
قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي وقد مر تحقيق المقام في سورة الانعام وهو تعليل لمصدر الكلام فان من شانه اتباع الوحي على ما
عليه لا يستبد بشيء دونه قطعا وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض وورد لما عرضوا به بهذا السؤال من ان القرآن

القرآن
ذم آلهتنا ومعايبها والوعيد على عبادتها او بدله
بتغيير نسقه بان يجعل مكان الآية المشتملة على ذم

كلامه م ولذلك قيد التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسي وسماه عصيانا عظيما مستتبعا للعذاب العظيم بقوله تعالى إني أخاف أن عصيت
ربي عذاب يوم عظيم فانه تعليل بمضمون ما قبله من امتناع التبديل واقتصاره عليه على اتباع الوحي اي اخاف ان عصيته بتبعاض
ما ليس لي من التبديل من تلقاء نفسي فالاعراض عن اتباع الوحي عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة ويوم اللقاء الذي لا يرجونه وفيه اشعار
بانهم استوجبوه بهذا الاقتراح والتفوض بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره م لتهويل امر العصيان واظهار كمال نزاهته م وايراد
اليوم بالتنوين التفخيمي ووصفه بالعظم لتهويل ما فيه من العذاب وتعظيمه ولا مساغ لحمل معترضهم على التبديل والاتيان بقرآن آخر من
الوحي تغيير قوله تعالى ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي بانه لا يستقيل الى ان ابدله بالاستدعاء من جهة الوحي ما اتبع الا ما يوحى الي من غير
صنع ما من الاستدعاء وغيره من قبلي لانه يرده التعليل المذكور لكن لا لان المقترح حينئذ ليس فيه معصية اصلا كما توهم فان استدعاء
تبديل لا يأبى النازلة حسبما يقتضيه الحكمة التشريعية بعضها ببعض لاستجابوجب اقتراح الكفرة تماما لريب في كونه معصية بل لانه ليس فيه
معصية الا في آرائهم المقصودة بما ذكر في التعليل الاخروي الى ما بعده من الآيتين فانه صريح في ان معترضهم الاتيان بغير القرآن وتبديله
بطريق الافتراء وان زعموا في الاصل ايضا كذلك في قوله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم تحقيق لحقية القرآن وكونه
من عند الله تعالى اثر بيان بطلان ما اقترحوا الاتيان به واستحالته عبارة ودلالة وانما صدر بالامر المستقل مع كونه داخلا تحت
الامر السابق اظهارا لكمال الاعتناء بشانه وايذانا باستقلاله مفهوما واسلوبا فانه برهان دال على كونه بامر الله تعالى ومشيته
كما سيأتي ومجرد اخبار باستحالة ما اقترحوه ومفعول شاء محذوف ينبئ عنه الجزاء لا غير ذلك كما قيل فان مفعول المشية انما يحذف
اذا وقعت شرطا فكان مفعوله مضمون الجزاء ولم يكن في تعلقها به غرابة كما في قوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيت حيث لم يحذف
لفقدان الشرط الاخير ولان المستلزم للجزاء اعني تلاوته م للقرآن عليهم انما هو مشيته تعالى لا مشيته لغير القرآن والمعنى ان الامر كله
منوط بمشيته تعالى وليس لي منه شيء قط ولو شاء عدم تلاوتي اياه عليكم لابان شاء عدم تلاوتي له من تلقاء نفسي بان لم ينزله على
ولم يأمرني بتلاوته كما ينبئ ايثار التلاوة على القراءة ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به بوساطتي والتالي وهو عدم التلاوة
والادراء منتف فينتفي المقدم اعني مشية عدم التلاوة ولا يخفى ان انتفاءها مستلزم لعدم مشية التلاوة قطعا فانتفاؤها مستلزم
لانتفائه حتما وانتفاء عدم مشية التلاوة انما يكون بتحقق مشية التلاوة فثبت ان تلاوته م للقرآن بمشيته تعالى وارادته وانما فيدنا
الادراء بكونه بوساطتي م لان عدم الاعلام مطلقا من لوازم الشرط الذي هو مشية عدم تلاوته م فلا يجوز نظمه في سلك الجزاء
وفي اسناد عدم الادراء اليه تعالى المنبئ عن استناد الادراء اليه تعالى ايذان بان لا دخل له م في ذلك حسبما يقتضيه المقام وقرئ
ولا ادراكم ولا ادراكم بالهمزة فيهما على لغة من يقول اعطات وارضات في اعطيت وارضيت او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلكم
بتلاوته عليكم خصما تدرءونني بالجدال وقرئ ولا انذركم به وقرئ لادراكم بلام الجواب اي لو شاء الله ما تلوته عليكم انا ولا اعلمكم به
على لسان غيري على معنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به انا لارسل به غيري البتة او على معنى انه تعالى بين على من يشاء فخصني
بهذه الكرامة فقد لبثت فيكم عمرا تعليل للامرة المستلزمة لكونه تلاوته بمشيته تعالى وارادته حسبما بين آنفا لكن لا بطريق الاستدلال
عليها بعد تلاوته م فيما سبق بسبب مشيته تعالى اياه بل بطريق الاستشهاد عليها بما شاهدوا منه م في تلك المدة الطويلة من الامور
الدالة على استحالة كون التلاوة من جهته م بلا وحي وعمرا انتصب على التشبيه بظرف الزمان والمعنى قد اقمت فيما بينكم زمانا مديدا
مقدارا اربعين سنة تحفظون تفاصيل احوالي طرا وتحيطون بالدين خبرا من قبله من قبل نزول القرآن لا انعاطي شيئا مما يتعلق
لا من حيث معناه الكاشف عن اسرار الحقائق واحكام الشرائع افلا تعقلون ان الامر كذلك فلا تعقلون امتناع صدوره
عني مثلي ووجوب كونه منزلا من عند الله العزيز الحكيم فانه غير مناف لعقل سليم والحق الذي لا محيد عنه ان من له ادنى مسكة
من العقل اذا تامل في امره عليه السلام وانه نشأ فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة العلماء من شأن مثل الشؤون ولا مراجعة اليهم

فن من الفنون ولا مخالطة البلغاء في المفاوضة والمجاورة ولا خوض معهم في انشاء الخطب والاشعار ثم اتى بكتاب باهر في فصاحة
كل فصيح فائق وبذت بلاغته كل بليغ رائق على نظمه كل منثور ومنظوم وحوى فحواه بدائع اصناف العلوم كاشف عن اسرار
الغيب من ورآء استار الكمون ناطق بانباء ما قد كان وما سيكون مصدق لما بين يديه من الكتب المنزلة مهيمن عليها في احكامها
المجملة والمفصلة لا يبقى عنده شائبة اشتباه في انه وحي منزل من عند الله تعالى هذا هو الذي اتفقت عليه كلمة الجمهور ولكن الباب
بناء الجواب فيما سلف على مجرد امتناع صدور التغيير والتبديل عنه ﷺ لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم وانتفاء ذلك عليه ﷺ لامتناع
الوحي وامتناع الاستبداد بالرأي من غير تعرض هناك ولا ههنا لكون القرآن في نفسه امرا خارجا عن طوق البشر ولكونه ﷺ غير قادر
على الاتيان بمثله ان يستشهد ههنا على المطلب بما يلائم ذلك من احواله المستمرة في تلك المدة المتطاولة من كمال نزاهته ﷺ عما يوهم شائبة
صدور الكذب والافتراء عنه في حق احد كائنا من كان كما ينبئ عنه بعقبه بتعظيم المفترى على الله تعالى والمعنى قد لبثت فيما بين ظهرانيكم
قبل الوحي لا اتعرض لاحد قط بتحكم ولا جدال ولا اهوم حول مقال فيه شائبة شبهة فضلا عما فيه كذب او افتراء الا ما حظوته فلا تعقلون
ان من هذا شأنه للمطرد في هذا العهد البعيد مستحيل ان يفتري على الله عز وجل ويتحكم على كافة الخلق بالاوامر والنواهي الموجبة لسلب
الاموال اوسفك الدماء ونحو ذلك وان ما اتى به وحي مبين تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا استفهام انكاري معناه الجحد اي لا احد اظلم منه على معنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب مفيدا
للانكار ان يكون احد اظلم منه من غير تعرض للانكار ألما واة ونفيها فانه اذا قيل من افضل من فلان او لا اعلم منه يفهم منه ضمنا
انه افضل من كل فاضل واعلم من كل عالم وزيادة قوله تعالى كذبا مع ان الافتراء لا يكون الا كذلك للايذان بان ما اضافوه اليه
ضمنا وحملوه ﷺ صريحا بجامع كونه افترآء على الله تعالى كذب في نفسه فرب افتراء يكون كذبه في الاسناد فقط كما اسند ذنب زيد
الى عمرو وهذا للمبالغة عنه ﷺ في التنادي مما ذكر من الافتراء على الله سبحانه او كذب بآياته فكفروا بها وهذا تظليم للمشركين
بتكذيبهم للقرآن وحملهم على انه من جهته ﷺ والتعبير بالكلام على ما سبق من بيان كون القرآن بمثابته تعالى فلا محال يكون الافتراء
باتخاذ الولد والشرك الخ واذا كان الامر كذلك فمن افترى عليه تعالى بان يختلق كلاما فيقول هذا من عند الله تعالى وما هو من عند الله تعالى
ببعض ما يجوز ون ذلك في شأني وكذلك من كذب بآياته تعالى كما تفعلونه اظلم من كل ظالم انه الضمير للشان وقعا اسما
للشان والخبر ما بعقبه من الجملة ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرة المعنية عن ذكره وفائدة تصدير به الايذان بفخامة مضمونها
مع ما فيه من زيادة تقرير وتمكين الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فتمكن
عند وروده عليه فضل تمكن فكانه قيل ان الشان هذا اي لا يفلح المجرمون اي لا ينجون من محذور ولا يظفرون بمطلوب
والمراد جنس المجرمين فيندرج فيه المفترى والمكذب اندراجا اوليا ويعبدون من دون الله حكاية لجناية اخرى لهم
شنعاء عما جنايتهم الاولى معطوفة على قوله واذا تتلى عليهم الآية عطف قصة على قصة من دون متعلق يعبدون وكلمة الصب
على الحالية من فاعله اي متجاوزين الله تعالى لا بمعنى ترك عبادته بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينا لعبادة الاصنام
كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم ما لا يضرهم ولا ينفعهم اي ما ليس من شأنه الضر والنفع من الاصنام التي هي جمادات
وما موصولة او موصوفة وتقديم نفي الضر لان ادنى احكام العبادة دفع الضر الذي هو اول المنافع والعبادة او احداث
مسبوق بالعدم الذي هو مظنة الضر فحيث لم يقدر الاصنام على الضر لم يوجد لاحداث العبادة سبب وقيل لا يضرهم
ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها كما كان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة عزى ومناة وهبل واساف ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله عن النضر بن الحرث اذا كان يوم القيمة يشفع لي اللات قيل انهم كانوا يعتقدون ان
لكل قبيل روح معين من ارواح الافلاك فعينوا لذلك الارواح صنما معينا من الاصنام واشتغلوا بعبادته

المتولي

ومقصودهم ذلك التروح ثم اعتقدوا ان ذلك الروح يكون عند الاله الاعظم مشتغلا بعبوديته فقيل انهم كانوا يعبدون الكواكب
فوضعوا لها اصناما معينة واشتغلوا بعبادتها قصدا الى عبادة الكواكب وقيل انهم وضعوا طلسمات معينة على تلك الاصنام
ثم تقربوا اليها وقيل انهم وضعوا هذه الاصنام على صور انبيائهم واكابرهم وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة هذه الاباطيل فان اولئك
الموتى يشفعون لهم عند الله تعالى قل تبكيتا لهم أتنبئون الله بما لا يعلم اى اتخبرونه بما لا وجود له اصلا وهو كون
الاصنام شفعاؤهم عند الله تعالى اذ لولاه لعلمه علام الغيوب وفيه تقريع لهم وتهكم بهم وبما يدعونه من المحال الذى لا يكاد يدخل تحت
الصحة والامكان وقرئ أتنبئونه بالتخفيف وقوله تعالى في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف في يعلم مؤكدة للنفي لان
ما لا يوجد فيهما فهو منتف عادة سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة او عن شركائهم الذين
يعتقدونهم شفعاءهم عند الله تعالى وقرئ تشركون بتاء الخطاب على انه من جملة القول المأمور به وعلى الاول هو اعتراض تذييلي
من جهته سبحانه وتعالى وما كان الناس الا امة واحدة بيان لان التوحيد والاسلام ملة قديمة اجتمعت عليها الامم قاطبة
فطرة وتشريعا وان الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا للجمهور وشقا لعصا الجماعة واما حمل اتحادهم على الاتفاق
على الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والاصرار فمما لا احتمال له اى وما كان الناس كافة من اول الامر الا متفقين
على الحق والتوحيد من غير اختلاف وذلك من عهد آدم الى ان قتل قابيل هابيل وقيل الى زمن ادريس وقيل الى زمن نوح وقيل
من حين الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا الى ان ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من لدن ابراهيم الى ان اظهر عمرو بن لحي
عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب خاصة وهو الانسب بايراد الآية الكريمة اثر حكاية ما حكى عنهم من الهنات وتنزيه ساحة
الكبرياء عن ذلك فاختلفوا بان كفر بعضهم وثبت آخرون على ما هم عليه فخالف كل من الفريقين آخرين لا ان كلا منهما احدث
ملة على حدة من ملل الكفر مخالفة لملة الآخر فان الكلام ليس في ذلك الاختلاف اذ كل منهما مبطل حينئذ فلا يتصور ان يقضى بينهما بابقاء
المحق واهلاك المبطل والفاء التعقيبية لا تنافي امتداد زمان الاتفاق اذ المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة
الاتفاق لا عقيب حدوث الاتفاق ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير القضاء بينهم او بتأخير العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة
فانه يوم الفصل لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بتمييز الحق عن الباطل بابقاء المحق واهلاك المبطل وصيغة الاستقبال
لحكاية الحال الماضية والدلالة على الاستمرار ويقولون حكاية لجناية اخرى لهم معطوفة على قوله تعالى ويعبدون وصيغة المضارع لاستحضار
صورة مقالتهم الشنعاء والدلالة على الاستمرار والقائلون اهل مكة لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من الآيات التي اقترحوها
كأنهم لفرط العتو والعناد ونهاية التمادي في المكابرة والعناد لم يعدوا البينات النازلة عليه من جنس الآيات واقترحوا غيرها
مع انه قد انزل عليه من الآيات الباهرة والمعجزات المتكاثرة ما يضطرهم الى الانقياد والقبول لو كانوا من ارباب العقول فقل في الجواب
انما الغيب لله اللام للاختصاص العلمي دون التكويني فان الغيب والشهادة في ذلك الاختصاص سيان والمعنى ان ما اقترحتموه وزعمتم
انه من لوازم النبوة وعلقتم ايمانكم بنزوله من الغيوب المختصة بالله سبحانه لا وقوف لي عليه فانتظروا نزوله اني معكم من المنتظرين
اى لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الآيات واقتراح غيرها وجعل الغيب عبارة عن الصارف عن انزال الآيات المقترحة
يأباه ترتيب الامر بالانتظار على اختصاص الغيب به تعالى واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم
اى خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم واسناد المساس الى الضراء بعد اسناد الاذاقة الى ضمير الجلالة من الآداب القرآنية كما في قوله
واذا مرضت فهو يشفين ونظائره وقيل سلط الله تعالى على اهل مكة القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما
يطعنون في آياته تعالى ويعادون رسوله ويكيدونه وذلك قوله تعالى اذا لهم مكر في آياتنا اى بالطعن فيها وعدم الاعتداد
بها والاحتيال في دفعها واذا الاولى شرطية والثانية جوابها كأنه قيل فاجؤوا وقوع المكر منهم وتنكير مكر للتفخيم وفي متعلقة

الحيا بالقصر
المطر والخصب
اختري

بالاسوار

بالاستقرار الذى يتعلق به اللام قل الله اسرع مكرا اى اعجل عقوبة اى عذابا اسرع وصولا اليكم مما ياتى منكم فى دعوى الحق
وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها فى مقابلة مكرهم وجودا او ذكرا ان رسلنا الذين يحفظون اعمالكم والاضافة للتشريف يكتبون
ما تمكرون اى مكركم او ما تمكرونه وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبيه على ان ما دبروا فى اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير
وصيغة الاستقبال فى الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددى والجملة تعليل من جهته تعالى لاسرعية مكره سبحانه غير داخل فى الكلام الملقن
كتوله تعالى ولوضعنا بمثله مددا فان كتابة الرسل لما يمكرونه من مبادى بطلان مكرهم وتخلف اثره عنه بالكلية وفيه من المبالغة ما لا يخفى
وتلوين الخطاب بوصفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم للتشديد فى التوبيخ وقرئ على لفظ الغيبة فيكون ح تعليلا لما ذكر
او للامر هو الذى يسيركم كلام مستانف مسوق لبيان جناية اخرى لهم مبنية على ما مر آنفا من اختلاف حالهم حسب اختلاف
ما يعتريهم من السراء والضراء اى يمكنكم من السير تمكينا مستمرا عند الملابسة وقبلها فى البر مشاة وركبانا وبغيركم من النشر
ومنه قوله عز وجل بشر تنتشرون فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك اى السفن فانه جمع فلك على انه اسد جمع اسد
على وزن قفل وغاية التسيير ليست ابتداء ركوبهم فيها بل مضمون الشرطية بتمامه كما ينبئ عنه ايثار كون الموذن بالدواعى الركوب
المشوبا بالحدوث وجرين اى السفن بهم بالذين فيها والالتفات الى الغيبة للايذان بالهم من سوء الحال الموجب للاعراض عنهم
كانه تذكير لتغيرهم مساوى احوالهم ليعجبهم منها ويستدعى منه الانكار والتقبيح وقيل فيه ليس للتقابل معنى قوله تعالى حتى اذا كنتم
فى الفلك اذا كان بعضكم فيها اذ الخطاب للكل ومنهم المسيرون فى البر فالضمير الغائب عائد الى ذلك المضاف المقدر كما فى قوله تعالى
او كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج بريح طيبة لتمنة الهبوب موافقة لمقصدهم وفرحوا بها بتلك
الريح لطيبها وموافقتها جاءتها جواب اذا والضمير المنصوب للريح الطيبة اى تلقتها الاولى واستولت عليها من وافى مخالفة
لها فان الهبوب على وفقها لا يستتبع مجيئا لريح اخرى عادة بل هو اشتداد للريح الاولى وقيل للفلك والاظهر لاستلزامه الثانى
من غير عكس لان الهبوب على طريقة الريح اللينة يعد مجيئا بالنسبة الى الفلك دون الريح اللينة مع انه لا يستتبع تلاطم الامواج
الموجب لمجيئها من كل مكان ولان التهويل فى بيان استيلائها على ما فوجئوا به وعلقوا به حبال رجائهم اكثر ريح عاصف اى ذات
عصف وقيل العصوف مختص بالريح فلا حاجة الى الفارق وقيل الريح قد يذكر وجاءهم الموج فى الفلك من كل مكان
اى من امكنة مجئ الموج عادة ولا بعد فى مجيئه من جميع الجوانب ايضا اذ لا يجب ان يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط بل قد يكون
من غيرها بحسب اسباب تتفق وظنوا انهم احيط بهم اى هلكوا فان ذلك مناف الهلاك واصله احاطة العدو بالجيش اوسدت
عليهم مسالك الخلاص دعوا الله بدل من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم او استئناف مبنى على سؤال
يساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين من غير ان يشركوا به شيئا من الهتهم لا مختصين
للدعاء به تعالى فقط بل للعبادة ايضا فانهم بمجرد تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونون مخلصين له الدين لئن انجيتنا اللام موطئة
للقسم على ارادة القول اى قائلين والله لئن انجيتنا من هذه الورطة لنكونن البتة بعد ذلك ابدا من الشاكرين
لنعمك التى من جملتها هذه النعمة المسئولة وقيل الجملة مفعول دعوا لان الدعاء من قبيل القول والاول هو الاولى لاستدعاء الحال
لاقتصار دعائهم على ذلك فقط وفى قوله لنكونن من الشاكرين من المبالغة فى الدلالة على كونهم ثابتين فى الشكر مثابرين عليه
منتظمين فى سلك المنعوتين بالشكر الراسخين فيه ما ليس فى ان يقال لنشكرن فلما انجاهم تماغيهم من الكربة والبغى
للدلالة على سرعة الاجابة اذا هم يبغون فى الارض اى فاجئوا الفساد فيها وسارعوا اليه فرادفت فى ذلك متجاوزين
عما كانوا عليه من حدود الغيث من قولهم بغى الجرح اذا ترامى فى الفساد وزيادة فى الارض للدلالة على شمول بغيهم لاقطارها
وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقوله تعالى بغير الحق تاكيد لما يفيده البغى او معناه انه بغير الحق عندهم ايضا

بان يكون ذلك ظلما ظاهرا لا يخفى قبحه على احد كما في قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق واما ما قيل من انه للاحتراز عن البغي بحق كتخريب القرى وديارا لكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم فلا يساعده النظم الكريم لابتنائه على كون البغي بمعنى افساد صورة الشئ وابطال منفعته دون ما ذكر من المعنى اللائق بحال المفسدين يا ايها الناس توجيه للخطاب الى اولئك الباغين للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد انما بغيكم الذي تعاطونه وهو مبتدا وقوله تعالى على انفسكم خبره اى عليكم في الحقيقة لا على الذين يبغون عنهم وان ظن كذلك في قوله تعالى متاع الحيوة الدنيا بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة شيئا غير معتد به سريع الزوال دائم الوبال وهو نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستئناف اى تتمتعون متاع الحيوة الدنيا وقيل على انه مصدر وقع موقع الحال اى متمتعين بالحيوة الدنيا والعامل هو الاستقرار الذي في الخبر لا نفس البغي لانه يؤدي الى الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا يخبر عن الموصول الا بعد تمام صلته وانت خبير بانه ليس في تقييد كون بغيهم على انفسهم بحال التمتع بالحيوة الدنيا معنى يعتد به وقيل على انه ظرف زمان نحو مقدم الحاج اى في متاع الحيوة الدنيا وفيه ما مر بعينه وقيل على انه مفعول لفعل دل عليه المصدر ايضا بمعناه مما يجل بجزالة النظم الكريم لان الاستئناف لبيان سوء عاقبة ما حكي عنهم من البغي المفسر بالافساد المنوط اللائق بحالهم فاي مناسبة بينه وبين البغي بمعنى الطلب بجعل الاول ايضا بمعناه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقيل على انه مفعول له اى لاجل متاع الحيوة الدنيا والعامل ما ذكر من الاستقرار وفيه ان المعلل بما ذكر نفس البغي لا كونه على انفسهم وقيل العامل فيه مدلول عليه بالمصدر اى يبغون لاجل متاع الحيوة الدنيا على ان الجملة مستانفة وقيل على انه مفعول صريح للمصدر وعلى انفسكم ظرف لغو متعلق به والمراد بالانفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير انما بغيكم على ابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا محذورا او ظاهر الفساد ونحو ذلك وفيه ما مر من ابتنائه على ما لا يليقه بالمقام من كون البغي بمعنى الطلب نعم لو جعل نصبه على العلة اى انما بغيكم على ابناء جنسكم لاجل متاع الحيوة الدنيا محذورا كما اختاره بعضهم كان له وجه في الجملة لكن الحق الذي تقتضيه جزالة التنزيل انما هو الاول وقرئ متاع بالرفع على انه الخبر والظرف صلة للمصدر او خبر لمبتدا محذوف اى هو متاع الخ كما في قوله عز وجل الآية من نهار بلاغ اى هذا بلاغ فالمراد بانفسهم على الوجه الاول ابناء جنسهم وانما عبر عنهم بذلك هذا الشفقتهم عليهم وصالحهم ايثار التمتع المذكور على صفوتهم ولا مجال للحمل على الحقيقة لان كون بغيهم وبالا عليهم ليس بثابت عندهم حسبما يقتضيه ما حكي عنهم ولم يخبر به بعد حتى يجعل من تتمة الكلام ويجعل كونه متاعا مقصودا بالافادة على ان كونه وبالا عليهم قادح في كونه متاعا فضلا عن كونه من مبادي ثبوته للمبتدا الذي هو المتبادر من السوق واما كون البغي على ابناء الجنس فمعلوم الثبوت عندهم ومتقتض لمبادي التمتع من اخذ المال والاستيلاء على النساء وغير ذلك واما على الوجهين الاخيرين فلا موجب للعدول عن الحقيقة فان المبتدا اما نفس البغي او الضمير العائد اليه من حيث هو هو لا من حيث كونه وبالا عليهم على صورة كون الظرف صلة للمصدر فقد برز في متاع الحيوة الدنيا اما نصب متاعا على ما مر واما نصب الحيوة على انه بدل من متاعا بدل اشتمال وقيل على انه مفعول به لمتاعا اذا لم يكن انتصابه على المصدرية لان المصدر المؤكد لا يعمل عن النبي عليه السلام ان الله يحب الحبر التقي الغني ويبغض الفاحش البذي السائل الملحف ولا تعن ناكثا ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلو ما وكان محمد بن كعب يقول ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم وما يمكرون الا على انفسهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه وعنه عليه السلام اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغي ثم اليتا مرجعكم عطف على ما مر من الجملة المستانفة المقدرة كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ثم ترجعون الينا وانما غير السبك الى الالتفات مع تقديم المجرور للدلالة على ان التعريف فيتنبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا على الاستمرار من البغي وهو وعيد بالجزاء كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت

وفيه نكتة خفية مبنية على حكمة ابية وهي ان كل ما يظهر في هذه النشأة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مغايرة لصورته الحقيقية
التي بها يظهر في النشأة الاخرة فان المعاصي مثلا سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصور تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات
مع كونها احسن المحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فالبغي
في هذه النشأة وان برز بصورة تشتهيها البغاة وتستحسنها الغواة لتمتعهم به من حيث اخذ المال والتشفي من الاعداء ونحو ذلك
لكن ذلك ليس بتمتع في الحقيقة بل هو تضرر من حيث لا يحتسبون وانما يظهر لهم ذلك عند ابراز ما كانوا يعملونه من البغي بصورته الحقيقية
المضادة لما كانوا يشاهدونه على ذلك من الصورة وهو المراد بالتنبئة المذكورة والله سبحانه اعلم انما مثل الحيوة الدنيا كلام
مستأنف سيق لبيان شأن الحيوة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبه حالها العجيبة الشان
البديعة المثال المنتظمة لغرائبها في سلك الامثال في سرعة تقضيها وانصرام نعيمها غب اقبالها واغترار الناس بها بحال ما على الارض
من انواع النبات في زوال رونقها ونضارتها فجأة وذهابها حطاما لم يبق لها اثر اصلا بعد ما كانت غضة طرية قد التف
بعضها ببعض وزينت الارض بالوانها وتقوت بعد ضعفها بحيث طمع الناس وظنوا انها سلمت من الجوائح وليس المشبه به
ما دخله الكاف في قوله تعالى كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض بل ما يفهم من الكلام فانه من التشبيه المركب
مما يأكل الناس والانعام من البقول والزروع والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها جعلت الارض آخذة زخرفها
بما عليها من اصناف النباتات واشكالها والوانها المختلفة المونقة آخذة زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التي
قد اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقرئ على الاصل وقرئ وازينت كافعلت
من غير اعلال والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع
غلتها اتاها امرنا جواب اذا اي ضرب زرعها ما يجتاحه من الآفات والعاهات ليلا او نهارا فجعلناها اي زرعها وسائر
ما عليها حصيدا اي شبيها بما حصد من اصله كأن لم تغن كأنه لم تغن زرعها والمضاف محذوف للمبالغة وقرئ بتذكير الفعل
بالامس اي فيما قبل بزمان قريب فان الامس مثل في ذلك كأنه قيل لم تغن آنفا كذلك التفصيل البديع نفصل الآيات
اي الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآيات المنبهة على احوال الحيوة الدنيا اي نوضحها ونبينها لقوم يتفكرون في تضاعيفها
ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لانهم المنتفعون بها ويجوز ان يراد بالآيات ما ذكر في اثناء التمثيل من الكائنات والفاسدات
وبتفصيلها تصريفها على الترتيب المحكي ايجادا واعداما فانها آيات وعلامات يستدل بها من يتفكر فيها على احوال الحيوة الدنيا
حالا ومآلا والله يدعوا الى دار السلام ترغيب للناس في الحيوة الاخروية الباقية اثر ترغيبهم عن الحيوة الدنيوية الفانية
اي يدعو الناس جميعا الى دار السلامة عن كل مكروه وآفة وهي الجنة وانما ذكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها موضعا
للآفات او الى دار الله تعالى وتخصيص الاضافة التشريفية بهذا الاسم الكريم للتنبيه على ذلك او الى دار يسلم الله فيها او الملائكة فيها
على من يدخلها او يسلم بعضهم على بعض ويهدي من يشاء هدايته منهم الى صراط مستقيم موصل اليها وهو الاسلام
والتزود بالتقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان من اصر على الضلالة
لم يرد الله رشده للذين احسنوا اي اعمالهم اي عملوها على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي
وقد فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الحسنى اي المثوبة الحسنى وزيادة
اي وما يزيد على تلك المثوبة تفضلا لقوله عز اسمه ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة
ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم اي
لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة اي اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم

وهي الجنة مدارك

يقال رجل كاسف البال اي سيء الحال

ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال والتنكير للتحقير اي شيء منهما والجملة مستأنفة لبيان امنهم من المكاره اثر بيان فوزهم بالمطالب وعلى الثاني في النصب
الاول الا انه اذ كان ما ينقذهم الله تعالى برحمته وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام ببيان ان المصون من الرهق اشرف اعضائهم
وللتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده فاذا وردها يتمكن عنده فضل تمكن ولان في الفاعل ضرب تفصيل
كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله عز وجل وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين
باعتبار اتصافهم بالصفات المذكورة وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الحسنات
الجميلة الفائزون بالمثوبات الناجون عن المكاره اصحاب الجنة هم فيها خالدون بلا زوال دائمون بلا انتقال والذين
كسبوا السيئات اي الشرك والمعاصي وهو مبتدا بتقدير المضاف خبره قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها اي جزاء الذين كسبوا السيئات
ان يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في الحسنة وتغيير السبك لمراعاة ما بين الفريقين من كمال التنافي والتباين
وايراد الكسب للايذان بان ذلك انما هو لسوء صنيعهم وبسبب جنايتهم على انفسهم او الموصول معطوف على الموصول الاول كانه قيل
وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك في الدار زيد والحجرة عمرو وفيه دلالة على ان المراد بالزيادة الفضل وترهقهم ذلة
واي ذلة كما ينبئ عنه التنوين التفخيمي وفي اسناد الرهق الى انفسهم دون وجوههم ايذان بانها محيطة بهم غاشية لهم جميعا وقرئ
يرهقهم بالياء التحتانية ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخطه تعالى وعذابه او ما لهم من عنده تعالى من يعصمهم كما يكون
للمؤمنين وفي نفي العاصم من المبالغة في نفي العصمة ما لا يخفى والجملة مستأنفة او حال من ضمير ترهقهم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل
لفرط سوادها وظلمتها مظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف
عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرئ قطعا بسكون الطاء وهو طائفة من الليل قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا
من قطع ليل بهيم فيجوز كون مظلما صفة له او حالا منه وقرئ كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والجملة كما قبلها مستأنفة
او حال من ضمير ترهقهم اولئك اي الموصوفون بما ذكر من الصفات الذميمة اصحاب النار هم فيها خالدون وحيث كانت الاية
الكريمة في حق الكفار بشهادة السباق والسياق لم يكن فيها تمسك للوعيدية ويوم نحشرهم كلام مستأنف مسوق لبيان بعض
اخر من احوالهم الفظيعة وتأخيره في الذكر مع تقدمه في الوجود على بعض احوالهم المحكية سابقا للايذان باستقلال كل من السابق واللاحق
بالاعتبار ولو روعي الترتيب الخارجي لعد الكل شيئا واحدا كما في قصة البقرة ولذلك فصل عما قبله ويوم منصوب على المفعولية بمضمر
اي انذرهم او ذكرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين احسنوا والذين كسبوا السيئات لانه المتبادر من قوله تعالى جميعا ومن افراد
الفريق الثاني بالذكر في قوله ثم نقول للذين اشركوا اي نقول للمشركين من بينهم ولان توبيخهم وتهديدهم على رؤوس الاشهاد
افظع والاخبار بحشر الكل في تهويل اليوم ادخل وتخصيص وصف اشراكهم بالذكر في حيز الصلة من بين سائر ما اكتسبوه من السيئات لابتناء
التوبيخ والتقريع عليه مع ما فيه من الايذان بكونه معظم جناياتهم وعمدة سيئاتهم وقيل للفريق الثاني خاصة فيكون وضع الموصول موضع الضمير
لما ذكر انفا مكانكم نصب على انه في الاصل ظرف بفعل اقيم مقامه لا على انه اسم فعل وحركته حركة بناء كما هو رأي الفارسي اي الزموه
حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله لسده مسده وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على ان الواو بمعنى مع
فزيلنا من زلت الشيء عن مكانه ازيله ازالة والتضعيف للتكثير لا للتعدية وقرئ فزايلنا بمعناه نحو كلمته وكالمته وهو معطوف على نقول
وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق المورث لزيادة التوبيخ والتحسير والفاء للدلالة على وقوع التزييل ومباديه عقيب الخطاب من غير مهلة ايذانا
بكمال رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة اي فرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا لكن لا من الجانبين
بل من جانب العبدة فقط لعدم احتمال شمول الشركاء للملائكة كما سيجيء فخابت امالهم وانصرمت عرى اطماعهم وحصل لهم الياس الكلي
من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال وان كانت معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب لكن هذه المرتبة من اليأس

انصرمت
الا انقطاع

انما

انما حصلت عند المشاهدة والمشافهة وقيل المراد بالتزييل التفريق الحسى اى فباعدنا بينهم بعد الجمع فى الموقف وتبرأ شركاؤهم منهم
ومن عبادتهم كما فى قوله تعالى اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا فالواو فى قوله تعالى وقال شركاؤهم حالية بتقدير
كلمة قد عند من يشترطها وبدونه عند غيره لا عاطفة كما فى التفسير الاول لاستدعاء المجاورة الغائية بالمباعدة وكيف مع ترتيب التزييل بهذا المعنى
على الامر بلزوم المكان مانع ترتيبه عليه بالمعنى الاول من النكتة المذكورة لمصار الاجل رعايتها الى تغيير الترتيب الخارجى فان المباعدة
بعد المجاورة حتما واما قطع الاقران والعلائق فليس كذلك بل ابتداؤه حاصل من حين الحشر بل بعض مراتبه حاصل قبله ايضا وانما الحاصل
عند المجاورة اقصاها كما اشير اليه فلا اعتداد بما فى تقديمه من التغيير لا سيما مع رعاية ما ذكر من النكتة ولو سلم تأخر جميع مراتبه عن المجاورة
فمراعاة تلك النكتة كافية فى استدعاء تقديمه عليها وتجويز ان تكون حالية على هذا التقدير ايضا والمراد بالشركاء قيل الملائكة وعزير والمسيح
وغيرهم ممن عبدوه من اولى العلم ففيه تنبيه لرجوع الضمير الى الكل وقولهم ما كنتم ايانا تعبدون عبارة عن تبريهم عن عبادتهم وانهم انما عبدوا
فى الحقيقة اهواءهم وشياطينهم الذين اغووهم لانها الامرة لهم بالاشراك دونهم كقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم الاية وقيل الاصنام
ينطقها الله الذى انطق كل شىء فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التى كانوا يتوقعونها فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العليم
الخبير ان كنا عن عبادتكم لغافلين اى عن عبادتكم لنا وتركه للظهور وللايذان بكمال الغفلة عنها والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء والا فعدم
شعور الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر وهذا يقطع احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين كما قيل فان ارتضاءهم باشراكهم مما لا ريب فيه
وان لم يكونوا مجبرين لهم على ذلك وان مخففة من ان واللام فارقة هنالك اى فى ذلك المقام الدهش او فى ذلك الوقت على استعارة ظرف
المكان للزمان تبلو اى تخبر وتذوق كل نفس مؤمنة كانت او كافرة سعيدة او شقية ما اسلفت من العمل فتعاينه بكنهه
مستتبعا لاثاره من نفع او ضر او خير او شر واما ما علمت من حالها من حين الموت والابتلاء بالعذاب فى البرزخ فامر مجمل وقرئ نبلو
بنون العظمة ونصب كل وابدال ما منه اى نعاملها معاملة من يبلوها ويتعرف احوالها من السعادة والشقاوة باختبار ما اسلفت من الخير والشر
فيكون ما منصوبة بنزع الخافض وقرئ تتلو اى تتبع لان عملها هو الذى يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ فى صحيفة اعمالها
ما قدمت من خير او شر وردوا الضمير للذين اشركوا على انه معطوف على زيلنا وما عطف عليه وقوله عز وجل هنالك تبلو الخ اعتراض فى اثناء
الحكاية مقرر لمضمونها الى الله اى الى جزائه وعقابه مولاهم ربهم الحق اى المتحقق الصادق ربوبيته لا ما اتخذوه ربا باطلا
وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولهم الحمد لله اهل الحمد او على المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع اى ظهر ضياعه وضلاله لا انه كان قبل
ذلك غير ضال او ضل فى اعتقادهم ايضا ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها الهة هذا وجعل الضمير فى ردوا
للنفوس المدلول عليها بكل نفس على انه معطوف على تبلو وان العدول الى الماضى للدلالة على التحقق والتقرر وان ايثار صيغة الجمع للايذان
بان ردهم الى الله تعالى يكون على طريقة الاجتماع لا يلائمه التعرض لوصف الحقيقة فى قوله تعالى مولاهم الحق فانه للتعريض بالمردودين حتما
كما اشير اليه ولكن التعرض فيه بالتعريض ببعضهم او حمل الحق على معنى العدل فى الثواب والعقاب فقوله عز وجل عنهم ما كانوا يفترون مما لا مجال فيه
للتدارك قطعا فان ما فيه من الضمائر الثلثة للمشركين فيلزم التفكيك حتما وتخصيص كل نفس بالنفوس المشركة مع عموم البلوى للكل
يأباه مقام تهويل المقام والله تعالى اعلم قل اى لاولئك المشركين الذين حكيت احوالهم وبين ما يؤدى اليه عاقبتهم احتجاجا على حقية التوحيد
وبطلان ما هم عليه من الاشراك من يرزقكم من السماء والارض اى منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية
او من كل واحدة منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان كلمة من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض ام من يملك السمع والابصار
ام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاول لكن لا على طريقة الابطال بل على وجه الانتقال وصرف الكلام عنه الى استفهام اخر
تنبيها على كفايته فيما هو المقصود اى من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة او من يحفظهما من الافات مع كثرتها وسرعة
انفعالهما من ادنى شىء يصيبهما ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى اى ومن يحيى ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة

عاينت النسخ عيانا
ازواجا ثم بعينك

والنطفة من الحيوان ومن يدبر الامر اى ومن يلى تدبير امور العالم جميعا وهو تعميم بعد تخصيص بعض ما اندرج تحته من الامور
الظاهرة بالذكر فسيقولون بلا تلعثم وتاخير لله اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه والجر محذوف اى لله يفعل ما ذكر
من الافاعيل لا يزوله فقل عند ذلك تبكيتا لهم افلا تتقون الهمزة للانكار بعد الانكار الواقع كما فى اضرب ايا كان
لا بعد انكار الوقوع كما فى الاضرب امتى والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اى ا تعلمون ذلك فلا تتقون انتقامه عذابه
الذى ذكر لكم بما تتعاطونه من اشراكهم به ما لا يشاركه فى شئ مما ذكر من خواص الالهية فذلكم فذلكة لما تقدم اى ذلكم الذى تعرفتم
باتصافه بالنعوت المذكورة وهو مبتدأ وقوله تعالى الله خبره وقوله تعالى ربكم اى مالكم ومتولى امور كلكم على الاطلاق بدل منه او بيان
له وقوله تعالى الحق صفة له اى ربكم الثابت ربوبيته والمتحقق الوهيته تحققا لا ريب فيه فماذا يجوز ان يكون الكل اسما واحدا
قد غلب فيه الاستفهام على اسم الاشارة وان يكون ذا موصولا بمعنى الذى اى ما الذى بعد الحق اى غيره بطريق الاستعارة وانظارا
لما لان المراد به غير الارض واما لزيادة التقرير ومراعاة كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام انكارى بمعنى انكار الوقوع
ونفيه اى ليس غير الحق الا الضلال الذى لا يختاره احد فحيث ثبت ان عبادة من هو منعوت بما ذكر من النعوت الجليلة
حق ظهر ان ما عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما وانما سميت ضلالا مع كونها من اعمال الجوارح باعتبار
ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأى هذا على تقدير كون الحق عبارة عن التوحيد واما على تقدير كونه عبارة عن الاول
فالمراد بالضلال هو الاصنام لا عبادتها والمعنى فماذا بعد الرب الحق الثابت ربوبيته الا الضلال اى الباطل الضائع المضمحل
وانما سمى بالمصدر مبالغة كانه نفس الضلال والضياع وهذا انسب بقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون على التفسير الثانى فانى تصرفون
استفهام انكارى بمعنى انكار الوقوع واستبعاده والتعجيب منه وفيه من المبالغة ما ليس فى توجيه الانكار الى نفس الفعل لان كل
موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا واذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهانى كما
مر آنفا والفاء لترتيب الانكار على ما قبلها اى كيف تصرفون من الحق الذى لا محيد عنه وهو التوحيد الى الضلال عن السبيل المستبين
وهو الاشراك وعبادة الاصنام او من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته الى عبادة الباطل الذى سمعتم ضلاله وضياعه فى الآونة
وفى ايثار صيغة المبنى للمفعول ايذانا بان الانصراف من الحق الى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بارادته وانما يقع عند وقوعه
بالقسر من جهة صارف خارجى كذلك اى كما حقت الربوبية لله تعالى او كما انه ليس بعد الحق الا الضلال او انهم مصروفون
عن الحق حقت كلمة ربك وحكمه وقضاؤه على الذين فسقوا اى تمردوا فى الكفر وفرجوا من اقصى حدوده انهم لا يؤمنون
بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم احتجاج آخر على حقية التوحيد وبطلان الاشراك
باظهار كون شركائهم بمعزل من الحقاق الالوهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته به سبحانه وانما لم يعطف على ما قبله
ايذانا باستقلاله فى اثبات المطلوب والسؤال للتبكيت والالزام وقد جعلت بلية الاعادة وتحققها لوضوح مكانها وشيوع برهانها
بمنزلة بدء الخلق فنظمت فى سلكه حيث قيل من يبدؤا الخلق ثم يعيده اى هو يفعلهما لا غير كائنا ما كان لا بان ينوب عنهم
فى ذلك كما قيل لان القول المأمور به غير ما اريد منهم من الجواب وان كان مستلزما له اذ ليس المأمور به عين الجواب الذى اريد
منهم ويكون دم نائبا عنهم فى ذلك بل انما هو وجود من يفعل البدء والاعادة من شركائهم فالجواب المطلوب منهم لا غير
نعم اريد منهم ان يفتتحوا مقالته ايذانا بتعينه وتحتمه واشعارا بانهم لا يجترؤن على التفوه مخافة التبكيت والتهام المجزوم بها
فتدبر واعادة الجملة فى الجواب بتمامها غير محذوفة كما فى الجواب السابق لمزيد التاكيد والتحقيق فانى تؤفكون الافك
القرف والقلب عن الشئ وقد خص بالقلب عن الرأى وهو الانسب بالمقام اى كيف تقلبون من الحق الى الباطل والكلام
فيه كما ذكر فى تصرفون قل هل من شركائكم احتجاج آخر على ما ذكر انفا وافحام اثر افحام وفصله عما قبله لما ذكر من الدلالة

على استقلاله مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ اى بوجه من الوجوه فان ادنى مراتب العبودية هداية المعبود لعبده الى ما فيه صلاح امره والتعبير
بطريق الهداية وتخصيصه بنصب الحج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر كما قيل فتخل بما يقتضيه المقام من كمال التبكيت والالزام
فان العجز عن الهداية على وجه خاص لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية وهُدِيَ كما يستعمل بكلمة الى لتضمنه معنى الانتهاء يستعمل باللام
للدلالة على ان المنهج غاية للهداية وانما لم يتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك استعمل بها ما اسند الى الله تعالى حيث قيل قُلِ اللّٰهُ
يَهْدِي لِلْحَقِّ اى هو يهدي له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب الادلة والحج وارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق للنظر والتدبر وغير
ذلك من فنون الهدايات والكلام في الامر بالسؤال والجواب كما مر فيما مر أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وهو الله عز وجل أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ
أَمَّنْ لَا يَهِدِّي بكسر الهاء اصله يهتدي فادغم وكسر الهاء للتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء اتباعا لها لحركة الهاء وقرئ بفتح الهاء
نقلا لحركة التاء اليها اى لا يهتدي بنفسه فضلا عن هداية غيره وفيه من المبالغة ما لا يخفى وانما نفى عنه الاهتداء مع ان المفهوم مما سبق
نفي الهداية لما ان نفيها مستتبع لنفيه غالبا فان من اهتدى الى الحق لا يخل بهداية غيره في الجملة واذ ما كونه قدوة له بان يراه فيسلك
مسلكه من حيث لا يدري والمراد بالترتيب الاستفهام على ما سبق من تحقق هدايته تعالى حريا وعدم هداية شركائهم المفهوم من النفي وقد من عدم
الجواب بالنبي عن الجواب بالعدم فان ذلك مما يضطرهم الى الجواب الحق لا التوجيه الاستفهام الى الترتيب كما يقع في بعض المواقع فان ذلك
مختص بالانكارين كما في قوله تعالى افمن اتبع رضوان الله ونحوه والهمزة متأخرة في الاعتبار وانما تقدمها في الذكر لاظهار عراقتها
في اقتضاء الصدارة كما هو رأي الجمهور حتى لو كان السؤال بكلمة اى لاخرت حتما الا يرى الى قوله تعالى فاني تؤفكون اخر بالامس تقديرا
ما يجيء المشركين الى الجواب من حالهم وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ لا يهدي بمعنى لا يهتدي لجيئه لازما او لا يهتدي غيره
وصيغة التفضيل اما على حقيقتها والمفضل عليه محذوف كما اشاره مكي والتقدير أفمن يهدي الى الحق احق ان يتبع ممن لا يهدي
احق الخ واما بمعنى حقيق كما اشاره ابو حيان وايا ما كان فالاستفهام للالزام وان يتبع في حيز النصب او الجر بعد حذف الجار على الخلاف
المعروف اى بان يتبع إِلَّا أَنْ يُهْدَى استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا يهتدي آو لا يهدي غيره في حال من الاحوال الا حال
هداية الله تعالى له الى الاهتداء آو الى الهداية الغير وهذا حال اشراف حال شركائهم من الملائكة والمسيح وعزير وقيل المعنى لا يهتدي
من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان ينقل اليه آو الا ان ينقله الله تعالى من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه وقرئ الا ان
من التفعيل للمبالغة فَمَا لَكُمْ اى اى شيء لكم في اتخاذكم هؤلاء شركاء لله سبحانه وتعالى والاستفهام للانكار التوبيخي وفيه تعجيب
من حالهم وقوله تعالى كَيْفَ تَحْكُمُونَ اى بما يقتضي صريح العقل ببطلانه انكار لحكمهم الباطل وتعجيب منه وتشنيع لهم بذلك وانما لم يرتب
كلا الانكارين على ما ظهر من وجوب اتباع الهادي الى الحق ان قلت التبكيت بالاستفهام السابق في حق من عكس جريا على الصحيح حيث جعل
من يهدي بالاتباع دون من يهدي وهم ليسوا احاكم بل باحقية شركائهم لذلك دون الله تعالى بل باستحقاقهما جميعا مع رجحان جانبه بقولهم
حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قلت حكمهم باستحقاقه تعالى لذلك بطريق الاستدلال فصاروا احاكم في باستحقاق شركائهم له
دون اهليته من حيث لا يحتسبون وما يتبع اكثرهم كلام مبتدأ غير داخل في حيز الامر مسوق من قبله تعالى لبيان عدم فهمهم مضمون
ما فهم والتعميم الحجر من البرهان النير الموجب لاتباع الهادي الى الحق الناعي عليهم بطلان حكمهم وعدم تأثرهم من ذلك لعدم سلوكهم
الى طريق العلم اصلا انهم يتبعون اكثرهم في معتقداتهم ومحاوراتهم إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا ظَنًّا واهيا من غير التفات الى فرد من افراد العلم فضلا عن ان يسلكوا
مسالك الادلة الصحيحة الهادية الى الحق المبينة على المقدمات اليقينية الحقة فينهضوا مفحوصا بها ويقفوا على صحتها وبطلان ما يناقضها ويعلموا بطلان حكمهم
الباطل فيحصل التبكيت والالزام فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد الشامل للمقارن للقبول وللانقياد وما لا يقارنه وبالقصر المشار اليه يتبين ان لا يكون
لهم ذرة اتباع لفرد من افراد العلم والتفات اليه ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم للاشعار بان بعضهم قد يتبعون العلم فيتفقون
على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا آو فيحصل بالنسبة اليهم التأثر من البرهان المذكور وان لم يظهروه وكونهم

اشد كفرا واكثر عنادا من الفريق الاول لما بقدح فيما يفهم من فحوى الكلام عرفا من كون اولئك اسوء حالا من غيرهم اذ المعتبر سوء الحال من حيث
الفهم والادراك لا من حيث الكفر والعناد. اما بتبع اكثرهم متن عمرهم الا ظنا ولا يزكونه ابدا فان حرف النفي الداخل على المضارع يفيد استمرار
النفي بحسب المقام فالمراد بالاتباع باكثرهم مع مشاركة المعاندين لهم في ذلك التلويح بانه سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما سيأتي
وقد قيل المعنى وما يتبع اكثرهم في اقرارهم باسد عن الاظنا غير مستند الى برهان عندهم وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة الا ظنا
والمراد بالاكثر الجميع فنا فعل وقيل الضمير في اكثرهم للناس فلا حاجة الا التكلف ان الظن لا يغني من الحق من العلم الحقيقي والاعتقاد
الصحيح المطابق للواقع شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة استئناف بيان لشأن الظن وبطلانه وفيه
دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد ان الله عليم بما يفعلون وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيدرج تحتها ما
عنهم من الاعراض عن البراهين القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة انذارا وتنبيها وقرئ تفعلون بالتاء على الخطاب لتشديد الوعيد
وما كان هذا القرآن شروع في بيان رد هم للقرآن الكريم اثر بيان رد هم للادلة العقلية المندرجة في قضاعيفه اي وما صح وما استقام
ان يكون هذا القرآن المشحون بفنون المعجزات المستوجبة للاتباع الذي من جملتها ما ينبئ الحجج البينة الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك
ان يفترى من دون الله اي افتراء من الخلق اي مفترى منهم سمي بالمصدر مبالغة ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية
الشهود على صدقها اي مصدقا لها كيف لا وهو لكونه معجزا ادون منها عيارا عليها شاهد بحقيتها ونصبه بانه خبر كان مقدرا او قدر كونه
علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الخ وقرئ بالرفع على تقدير المبتدإ اي ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب عطف عليه
نصبا ورفعا اي وتفصيل ما كتب واثبت من الحقائق والشرائع لا ريب فيه خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك اي منتفيا عنه الريب
او حال من الكتاب ان كان مضافا عليفا ة منعوتا في المعنى او استئناف لا محل له من الاعراب من رب العالمين خبر آخر او كائن
من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل او بالفعل المعلل منهما ولا ريب فيه اعتراض كما في قولك زيد لا شك فيه كريم او حال من الكتاب
او من الضمير في فيه وما سيق الآية الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه ام يقولون افتراه اي بل ايقولون افتراه
محمد عليه الصلوة والسلام والهمزة للانكار الواقع واستبعاده قل تبكيتا لهم واظهارا لمعاندتهم الفاسق ان كان الامر كما تقولون
فاتوا بسورة مثله اي في البلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة وانتم مثلي
في النظم والعبارة وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا للمظاهرة والمعاونة من استطعتم دعاءه
والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم في المهمات والملمات ومدار حكم الذين يلجأون الى آرائهم في كل ما ناتون وما تذرون
من دون الله متعلق بادعوا او دون جار مجرى اداة الاستثناء وقد فرر تفصيله في قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله اي ادعوا
سواه تعالى من استطعتم من خلقه فانه لا يقدر عليه احد واخراجه سبحانه من حكم الدعاء للتنصيص على براءتهم منه تعالى وكونهم في عزلة
المضادة والمشاقة للايذان باستبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوجب انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه ان كنتم
صادقين اي في زعمكم فان ذلك مستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لقدرتكم عليه والجواب محذوف لدلالة
المذكور عليه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اضراب وانتقال عن ابطال ما قالوا في حق القرآن العظيم بالتحدي الى اظهار
بيان انه كلام ناشئ عن جهلهم بشانه الجليل فما عبارة عن كلمة لما فيه من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم كما قيل فانه مما
تنزه ساحة التنزيل عن مثله اي سارعوا الى تكذيبه اثر ذي اثير من غير ان يتدبروا فيه ويقفوا على ما في قضاعيفه من الشواهد الدالة
على كونه كما وصف آنفا ويعلموا انه ليس مما يمكن ان يكون له نظير يقدر عليه المخلوق والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون ان يقال بل كذبوا
من غير ان يحيطوا بعلمه او نحو ذلك للايذان بكمال جهلهم به وانهم لم يعلموا الا بعنوان عدم العلم به وبان تكذيبهم به انما هو بسبب عدم علمهم به
لما ان عدم ادارة الحكم على الموصول مشعرة بعلية ما في حيز الصلة له ولما ياتهم تاويله عطف على الصلة او حال من الموصول

اى

اى ولم يتفوا بعد على تاويله ولم يبلغ آذانهم معاينة الرائحة المنبئة عن علو شانه والتعبير عن ذلك بالبيان لان التاويل للاشعار بان تاويله
متوجه الى الاذهان منساق اليها بنفسه اولم يأتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن
معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجؤا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفكروا فى معناه او ينتظروا وقوع
ما اخبر به من الامور المستقبلة وفى اتيان التاويل بكلمة لا الدالة على التوقع بعد نفى الاحاطة بعلمه بكلمة لم لتاكيد الذم وتشديد التشنيع
فان الشناعة فى تكذيب الشئ قبل علم المتوقع اتيانه اخس منها فى تكذيبه قبل علمه مطلقا والمعنى انه كان يجب عليهم ان يتوقفوا الى زمان
وقوع المتوقع فلم يفعلوا واما ان المتوقع قد وقع بعد وانهم استمروا عند ذلك ايضا على ما هم عليه اولا فلا تعرض له ههنا والاستشهاد عليه بعدم انقطاع
الذم او ادعاء ان قولهم افتراء تكذيب بعد التدبر تا شئ من عدم التدبر فتدبر كيف وهم لم يتولوه بعد التحدى بل قبله وادعاء كونه مسبوقا
بالتحدى الوارد فى سورة البقرة يرده انها مدنية وهذه مكية واما الذى دل عليه ما سيتلى عليك من قوله تع ومنهم من يؤمن به ومنهم الخ
وقوله تعالى كذلك الخ وصف لحالهم المحكى وبيان لما يؤدى اليه من العقوبة اى مثل ذلك التكذيب المبنى على بادئ الراى والمجازفة
من غير تدبر وتامل كذب الذين من قبلهم اى فعلوا التكذيب او كذبوا اما كذبوا من المعجزات التى ظهرت على ايدى انبيائهم او كذبوا
انبيائهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وهم الذين من قبلهم من المكذبين واما وضع المظهر موضع المضمر للايذان بكون التكذيب
ظلما وبعلية للاصابة ما اصابهم من سوء العاقبة وبدخول هؤلاء الظالمين فى زمرتهم جريا ووعيدا دخولا اوليا وقوله عز وجل
ومنهم الخ وصف لحالهم بعد اتيان التاويل المتوقع اذ حينئذ يمكن تنوعهم الى المؤمن به وغير المؤمن به وضرورة امتناع الايمان بشئ
من غير علم به واشتراك الكل فى التكذيب والكفر به قبل ذلك حسبما افاده قوله تع بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اى من هؤلاء المكذبين من يؤمن به
عند الاحاطة بعلمه اتيان تاويله وظهور حقيقته بعد ما سوغوا فى المعارضة وبارزوا قواهم فيها فتقاعدت دونها او بعد ما شاهدوا وقوع
ما اخبر به كما اخبر به مرارا ومع الايمان به اما الاعتقاد بحقيته فقط اى يصدق به فى نفسه ويعلم انه احق ولكنه يعاند ويزيلها وهؤلاء
هم الذين اشير بقصر اتباع الظن على اكثرهم الى انهم يعلمون الحق على التفسير الاول كما اشير اليه فيما سلف واما الايمان بالحقيقة اى يؤمن به
ويتوب على الكفر وهم الذين اشير بالقصر المذكور على التفسير الثانى الى انهم سيتبعون الحق كما مر ومنهم من لا يؤمن به اى لا يصدق
به فى نفسه كما لا يصدق به ظاهرا النوط غباوته الناشئة عن الاحاطة بعلمه كما ينبئ وان كان فوق مرتبة عدم الاحاطة به اصلا او ضعفا
عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون والاوهام التى الفها فيسبق على ما كان عليه من الشك فى هذا القدر
من الاحاطة واتيان التاويل كاف فى مقابلة ما سبق من عدم الاحاطة بالمرة وهؤلاء هم الذين اريد وا فيما سلف بقوله عز وجل
وما يتبع اكثرهم الا ظنا على التفسير الاول او لا يؤمن به فيما ياتى بل يموت على كفره معاندا كان او شاكا وهم المستمرون على اتباع الظن على التفسير
من غير اذعان للحق وانقياد له وربك اعلم بالمفسدين اى بكلا الفريقين على الوجه الاول بالمعاندين فقط كما قيل لاشتراكهما
فى اصل الافساد المستدعى لاشتراكهما فى الوعيد او بالمصرين الباقين على الكفر على الوجه الثانى من المعاندين والشاكين وان كذبوك
اى ان تموا على تكذيبك واصروا عليه حسبما اخبر عنهم بعد التمام الحجة بالتحدى فقل لى عملى ولكم عملكم اى تبرا منهم فقد اعذرت
كقوله تع وان عصوك فقل انى برئ والمعنى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا وتوحيد العمل بالمضاف اليهم باعتبار الاتحاد
النوعى ولمراعاة كمال المقابلة انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون تاكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم تعدى
جزاء العمل الى غير عامله اى لكم جزاء عملكم لا تؤاخذون بعملى ولا اؤاخذ بعملكم ولا فيه من ايهام المشاركة وعدم التعرض لهم قبل انه منسوخ بآية السيف
ومنهم من يستمعون اليك بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم وانما جمع الضمير الراجع الى الكلمة من رعاية لجانب المعنى
كما اوذ فيما ياتى محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايذان بكثرة المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف عليه
النظر من المقابلة وانتفاء الحجب والظلمة اى ومنهم ناس يستمعون اليك عند قراءتك القرآن وتعليمك للشرائع افانت تسمع الصم

للموالى السعد الشنارانى

وهو حمل الاتباع على مطلق الاعتقاد ان
القبول والانتفاء وقفط

وهو حمل الاتباع على الانتفاء والاعتبار
الزمان فى القصر

ولا يتوقف هذا القصر واتفاء الاحاطة بالكنه
ليس باتباع بمر الظن ولا يستلزم له

على التفسير الثانى

عطف على قوله لا يصدق

همزة الانكار استفهامية والفاء عاطفة وليس الجمع بينهما للترتيب انكار الاسماع على الاستماع كما هو رأى سيبويه والجمهور على ان محل تقديم
الهمزة على الفاء الاقتضائها الصدارة كما تقرر في موضعه بل لانكار ترتبه عليه جميعا هو المعتاد لكن لا بطريق العطف على الفعل المذكور لاداته
الى اختلال المعنى لانه اما صلة او صفة وايا ما كان فالعطف عليه يستدعي دخول المعطوف في حيزه وتوجه الانكار اليه من تلك الحيثية ولا ريب
في فساده بل بطريق العطف على مقدر مفهوم من فحوى النظم كانه قيل ايستمعون اليك فانت تسمعهم لا انكار الاستماعهم فانه امر محقق بل انكار
لوقوع الاسماع عقيب ذلك وترتبه عليه حسب العادة الكلية بل نفيا لامكانه وايضا كما ينبئ عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم بعدم العقل
بقوله عز وجل ولو كانوا لا يعقلون اى ولو انتظم صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس اذا وصل اليه صوت واما اذا اجتمع
فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك وبيان دلائل بتوبيخ الواضحة افانت اى عقيب ذلك انت تهديهم
وانما قيل تهدي العمى تربية لانكار هدايتهم وابرازا لوقوعها في معرض الاستحالة وقد اكد ذلك حيث قيل ولو كانوا لا يبصرون اى ولو انضم
الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار الاعتبار والاستبصار والعمى في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر
وينفطن بما لا يدركه البصير الاحمق فحيث اجتمع فيهم العمى والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب لو قل الجملتين محذوف لدلالة قوله تعالى تسمع الصم
تهدي العمى عليه وكل منهما معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لها في النحوى كلتاهما في موضع الحال من مفعول الفعل السابق اى افانت
تسمع الصم لو كانوا يعقلون افانت تهدي العمى لو كانوا لا يبصرون ولو كانوا لا يبصرون اى على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى لكونها
حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند تحقق المانع او المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه او عند
تحقق المانع الضعيف اولى وعلى هذه النكتة يدور ما قيل لو وان الوصليتين من التاكيد وقد قرر الكلام في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره
ان الله لا يظلم الناس اشارة الى ما حكى عنهم من عدم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم في الادراك ليس الامر مستندا الى الله عز وجل
من خلقهم موفق المشاعر وكذا ذلك بل الى ما هو من قبلهم اى لا ينقصهم شيئا مما يليق به مصالحهم الدينية والدنيوية وكالاتهم الاولوية والاخروية
من مبادى ادراكاتهم واسباب علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة والارشاد الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب بل يوفيهم ذلك
من غير اخلال بشيء اصلا ولكن الناس وقرئ بالتخفيف ورفع الناس ووضع الظاهر موضع الضمير لزيادة تعيين وتقرير اى لكنهم بعدم
استعمال مشاعرهم فيما خلقت له واعراضهم عن قبول دعوى الحق وتكذيبهم للرسل والكتب انفسهم يظلمون اى ينقصون ما ينتقصون
مما يجلون به من مبادى كمالهم وذرائع اهتدائهم وانما لم يذكر لما ان مرمى الغرض انما هو قصر الظلم على انفسهم لا بيان ما يتعلق الظلم
والتعبير عن فعلهم بالنقص مع كونه تنقيصا بالكلية وابطالا بالمرة لمراعاة جانب قرينته وقوله عز وجل انفسهم تاكيد للناس
فيكون بمنزلة ضمير الفصل في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين في قصر الظالمية عليهم واما يظلمون حسبما وقع في سائر المواقع
وتقديمه لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على رأى من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله
وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم لا على الفاعل ولا على المفعول واما على رأى من يراه موجبا لفعل ايثار قصر ما دون قصر
الظالمية عليهم للمبالغة في بيان بطلان افعالهم وسخافة عقولهم لما ان اقبح الاشياء من عند الناس اخذ الفاعل والمفعول واشتهارهما بالكاذبين
عند العقل ونفرة لدى الطبع واوجبها حذرا منه عند كل احد هو المظلومية لا الظالمية على ان قصر الاولى عليهم مستلزم لما يقتضيه ظاهر
الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة انه اذا لم يظلم احد الناس الا انفسهم يلزم ان لا يظلم الا انفسهم اذ لو ظلم غيره يلزم ان يكون ذلك
الغير ظالما لغير نفسه والمفروض ان لا يظلم احد الا نفسه فاكتفى بالقصر الاول عن الثاني مع رعاية كون ما ذكر من الفائدة وصيغة المضارع
للاستمرار نفيا واثباتا فان حرف النفي اذا دخل على المضارع تفيد بحسب المقام استمرار النفي لا نفي الاستمرار الا يرى ان قولك ما زيدا
ضربت يدل على اختصاص النفي لا نفي الاختصاص ومساق الآية الكريمة للزام الحجة ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع المنفي
للاستقبال والمثبت للاستمرار والمعنى ان الله لا يظلم بتعذيبهم يوم القيمة شيئا من الظلم ولكنهم انفسهم يظلمون ظلما مستمرا فان مباشرتهم

ولو كانوا لا يعقلون ح

على قراءة كفى بالتشديد

المستمرة للاستيناف الموجبة للتعذيب عين ظلمهم لانفسهم وعلى الوجهين فالآية الكريمة تذييل للسابق ويوم يحشرهم منصوب بمضمر وذي النون على الالتفات اى اذكرهم او انذرهم يوم يحشرهم كأن لم يلبثوا اى كانهم لم يلبثوا الا ساعة من النهار اى شيئا قليلا منه فانها مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته اعرف حالا من ساعات الليل والجملة في موقع الحال من ضمير المفعول اى نحشرهم مشبهين في احوالهم الظاهرة للناس ممن لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب في نعيمها الا اذلك القدر اليسير فان من اقام بها دهرا او تمتع بمتاعها لا يخلو عن آثار بعض نعمة واحكام بهجة منافية لما بهم من رثاثة الهيئة وسوء الحال او بمن لم يلبث في البرزخ الا ذلك المقدار فعائدة التقييد بيان كمال بسر الحشر بالنسبة الى قدرته تعالى ولو بعد دهر طويل واظهار بطلان استبعادهم وانكارهم بقولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون وكذلك لبيان تمام الموافقة بين النشاتين في الاشكال والصور فان قلة اللبث في البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير فيكون قواه عز وعلا يتعارفون بينهم بيانا وتقريرا لهم لان التعارف مع طول العهد يتغلب تناكرا على الاول يكون استئنافا اى يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا الا قليلا وذلك اول ما خرجوا فانهم يعرفون على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال المذهلة ولغرابة الاحوال المغيرة للصور والاشكال المبدلة لها من حال الى حال قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة من الله سبحانه على خسرانهم وتعجيب منه وقيل حال من ضمير يتعارفون على ارادة القول والتعبير عنهم بالوصول مع كون المقام مقام اضمار لزيادة تهمهم بمزيد فضيحة الصلة والاشعار بعلية ما اصابهم والمراد بلقاء الله تعالى ان كان مطلق الحساب والجزاء او وصل اللقاء فالمراد بالخسران الوصفية والمعنى وصفوا انفسهم ومعاملاتهم واشتراءهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدى ومعنى قوله تعالى وما كانوا مهتدين ما كانوا عارفين باحوال التجارة مهتدين لطرقها فان سوء اللقاء فالخسار الهلاك والضلال اى قد ضلوا وهلكوا بتكذيبهم وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة وامّا نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة اكد الفعل بالنون اى نبصرنك بان نظهرك بعض الذى نعدهم اى وعدناهم من العذاب وتعجله في حياتك فتراه والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار اى نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار رغب انذار وفي تخصيص البعض بالذكر رمز الى العدة باراءة بعض الموعود وقد اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ذلك فالينا مرجعهم اى كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم اولا فالينا مرجعهم في الدنيا والآخرة فنفجعك بعض ما وعدناهم البتة وقيل المذكور جواب للشرط الثاني كانه قيل فالينا مرجعهم فنريه في الآخرة وجواب الاول محذوف اى فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون من الافعال السيئة التي حكيت عنهم والمراد بالشهادة اما مقتضاها ونتيجتها وهي معاقبتها اياهم واما اقامتها واداؤها بانطلاق الجوارح واظهار اسم الجلالة لادخال الروعة وتربية المهابة وتاكيد التهديد وقرئ ثمة اى هناك ولكل امة من الامم الخالية رسول بعث اليهم شريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم فبلغهم ما ارسل به فكذبوه وخالفوه قضي بينهم اى بين كل امة ورسولها بالقسط بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين به وهلاك المكذبين كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهم لا يظلمون في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لانه من نتائج اعمالهم او ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله عز وجل وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استعجالا لما وعدوه من العذاب على طريقة الاستهزاء به والانكار حسبما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقت مجيئه على وجه الالزام كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اى في انه يأتينا والخطاب للرسول عليه السلام والمؤمنين الذين يتلون عليهم الآيات المتضمنة للوعد المذكور وجواب الشرط محذوف اعتمادا على ما تقدمه صريحا حذف في مثل قوله تعالى فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان الاستعجال في قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليأتنا عجلة ان كنتم صادقين ولما فيه من الاشعار بكون اتيانه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم قيل قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا اى لا اقدر على شيء منهما بوجه من الوجوه وتقديم الضر لما ان مساق النظم لاظهار العجز عنه واما ذكر النفع فلتوسيع الدائرة تكملة للعجز وما وقع في سورة الاعراف من تقديم النفع

تهم

٢ على التشبيه بمن لم يلبث في الدنيا

البيضاوي والزمخشري

٢ بالاشتغال لان النهار لا يكون زمان الاشتغال بخلاف الليل

للاشعار بأهميته والمقام مقام ذم والمعنى انى لا املك شيئا من شؤنى رفدا وايرادا مع ان ذلك اقرب حصولا فكيف املك شؤنكم حتى اتسبب فى اتيان عذابكم الموعود الا ما شاء الله استثناء منقطع اى ولكن ما شاء الله كائن وحمله الا ما شاء الله ان املكه باياه مقام التبرؤ عن ان يكون له دخل فى اتيان الوعد فان ذلك سيتدعى بيانا كون المتنازع فيه مما لا يشاء الله ان يملكه م وجعل ما عبارة عن بعض الاحوال المعهودة المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة الى العباد على ان يكون المعنى لا املك لنفسى شيئا من الضر والنفع الا ما شاء الله ان املكه منهما من الضر والنفع المترتبين على افعال الاختيارية كالضر والنفع المترتبين على الاكل والشرب عدما ووجودا انعسف ظاهر وقوله تعالى لكل امة اجل بيان للابهام فى الاستثناء وتقييد للقضاء السابق من الاطلاق المشعر بكون المقضى به امرا منجزا غير متوقف على شئ غير مجئ الرسول وتكذيب الامة اى لكل امة امة من قضى بينهم وبين رسولهم اجل معين خاص بهم لا يتعدى الامة اولى المحروب لعذابهم بحل بهم عند حلوله اذا جاء اجلهم ان جعل الاجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر وان اريد به ما امتد اليه ذلك الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه اذ هناك يتحقق مجيئه بتمامه والضمير ان جعل اللام المدلول عليها بكل امة فاظهارا الاجل مضافا اليه للافادة المعنى المقصود الذى هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياما بعينها فى بين الامم بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده مع الجمعية كانه قيل اذا جاء آجالهم بان يجئ كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فى موقع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين اى اذا جاء اجلها الخاص بها فلا يستأخرون عن ذلك الاجل ساعة اى شيئا قليلا من الزمان فانها مثل فى غاية القلة منه اى لا يتأخرون عنه اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون اى لا يتقدمون عليه وهو عطف على يستأخرون لكن لا بيان انتفاء التقدم مع امكانه فى نفسه كالتأخر بل للمبالغة فى انتفاء التأخر بنظمه فى سلك المستحيل عقلا كما فى قوله سبحانه وتعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له رأسا قد نظم فى عدم قبول التوبة فى سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوى وجود التوبة بتركها وعدمها بالكلية كما فى سورة الاعراف وقد جوز ان يراد بمجئ الاجل دنوه بحيث يكون التقدم فى الجملة كمجئ اليوم الذى ضرب لهلاكهم ساعة معينة منه لكن ليس فى تقييد عدم الاستئخار بدنو فرط فائدة وتقديم بيان انتفاء الاستئخار على بيان انتفاء الاستقدام لان المقصود الاهم بيان عدم خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتأخر واما ما فى قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون من سبق التسبق فى الذكر فلما ان المراد هناك بيان استئخار غير عذابهم مع استعفائهم صبا ينبئ عنه قوله عز وجل ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالامم اذ ذاك بيان انتفاء السبق كما ذكر هناك قل لهم غب ما بينت كيفية جريان سنة الله تعالى فيما بين الامم على الاطلاق وبتهتهم على ان عذابهم امر مقرر حتمى لا يقبل التوقف الا على اجله المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيلا له منزلة اتيانه حقيقة ارأيتم اى اخبرونى ان اتيكم عذابه الذى تستعجلون به بياتا اى وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا اى عند اشتغالكم بأشغالكم صباحا حين لكم من الاجل بمقتضى المشية التابعة للحكمة كما عاينت لسائر الامم المهلكة وقوله عز وجل ماذا يستعجل منه المجرمون جواب للشرط بحذف الفاء كما فى قولك ان اتيتك ماذا تطعمنى والمجرمون موضع موضع المضمر لتأكيد الانكار ببيان مباينة حالهم للاستعجال فان حق المجرم ان يهلك فرقا من اتيان العذاب فضلا عن استعجاله والجملة الشرطية معلقة بارأيتم والمعنى اخبرونى ان اتيكم عذابه اى شئ تستعجلون منه سبحانه والشئ لا يكون مستعجلا بعد اتيانه والمراد به المبالغة فى انكار استعجاله باخراجه عن حيز الامكان وتنزيله فى استحالة منزلة استعجال بعد اتيانه بناء على تنزيل توقع اتيانه ودنوه منزلة اتيانه حقيقة كما اشير اليه وهذا الانكار بمنزلة النهى فى قوله عز وجل انى اجد الله فلا تستعجلوه فكأنه قيل لا تستعجلوه بناء على ما ذكر صريح وبناء ضمنى كما فى قول من قال لغريمه الذى يماطله انظرنى اليوم فان اعطيتك حقك فاذا تطلب منى بعد المبالغة فى انكار التقاضى بنظمه فى سلك المتقاضى بعد الاعطاء بناء على تنزيل توقعه منزلة نفسه فى قوله عز وجل أثم اذا ما وقع آمنتم به انكار لايمانهم بنزول العذاب بعد وقوعه حقيقة داخل مع ما قبله من انكار استعجالهم به بعد اتيانه حكما تحت القول الآمور به اى ابعد ما وقع العذاب وحل بكم حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الايمان انكارا لتأخيره الى هذا الحد

واما

قائله الزمخشرى

قائله ابن كمال باشا
وجوزه صاحب الكشاف

او الشرط باذا دون ان

وآبدًا انا باستتباعه للندم والحسرة ليقلعوا عما هم عليه من العناد ويتوجهوا نحو التدارك قبل فوت الوقت فتقديم الظرف للعصر وقيل ماذا يستعجل منه
متعلق بأرأيتم وجواب الشرط محذوف اى تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاءه والشرطية اعتراض متوسط لمضمون الاخبار وقيل الجواب قوله أثم
اذا ما وقع آمنتم به والاستفهامية الاولى اعتراض والمعنى اخبرونى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ثم جى بكلمة التراخى
دلالة على الاستبعاد ثم زيد اداة الشرط دلالة على استقلاله بالاستبعاد وعلى ان الاول كالتمهيد له وجى بماذا مؤكدا لما تم شيئا المعنى الوقوع
وزيادة للتجهيل وانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان البتة وقوله تعالى آلآن استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت القول الملقن بوقوع
مضمون ما سبق على ارادة القول اى قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به انكارا للتأخير وتوبيخا عليه ببيان انه لم يكن ذلك لعدم سبق
الانذار به ولا لاتأمل والتدبر فى شانه ولا لشئ آخر مما عسى يعد عذرا فى التأخير بل كان ذلك على طريق التكذيب والاستعجال به على وجه الاستهزاء
وقرئ آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقوله تعالى وقد كنتم به تستعجلون اى تكذيبا واستهزاء جملة وقعت حالا من فاعل آمنتم المقدر
لتشديد التوبيخ والتقريع وزيادة التنديم والتحسر وتقديم الجار والمجرور على الفعل لرعاية الفواصل دون القصر وقوله تعالى ثم قيل الخ تأكيد
للتوبيخ والعقاب وهو عطف على ما قدر قبل الآن للذين ظلموا اى وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق او ظلموا انفسهم
بتعريضها للعذاب والهلاك ووضع الموصول موضع الضمير لذمهم بما فى حيز الصلة والاشعار بعليته لاصابة ما اصابهم ذوقوا عذاب الخلد
المؤلم على الدوام هل تجزون اليوم الا بما كنتم تكسبون فى الدنيا من اصناف الكفر والمعاصى التى من جملتها ما مر من الاستعجال
ويستنبئونك اى يستخبرونك فيقولون على طريقة الاستهزاء والانكار أحق هو احق خبر قدم على المبتدأ الذى هو الضمير للاهتمام
ويؤيده قوله تعالى انه للحق او مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر والجملة فى موقع النصب بيستنبئونك وقرئ الحق هو تعريضا
بانه باطل كانه قيل هو الحق لا الباطل او هو الذى سميتموه الحق قل لهم غير ملتفت الى استهزائهم مغضيا عما قصدوا وبانيا
للامر على اساس الحكمة اى وربى اى من حروف الايجاب بمعنى نعم فى القسم خاصة كما ان هل بمعنى قد فى الاستفهام خاصة ولذلك يوصل
بواوه انه اى العذاب الموعود لحق اى الثابت البتة اكد الجواب باتم وجوه التأكيد حسب شدة انكارهم وقوته وقرر
تقريرا وتحقيقا بقوله عز اسمه وما انتم بمعجزين اى بفائتين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة وهو اما معطوف على جواب القسم
او مستانف سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدى على الغير او غير ذلك
من اصناف الظلم ولو مرة حسبما يفيده كون الصفة فعلا ما فى الارض اى ما فى الدنيا من خزائنها واموالها ومنافعها قاطبة بالكلية لافتدت به
اى لجعلته فدية لها من العذاب من افتداه بمعنى فداه واسروا اى النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول الى صيغة الجمع مع تحقق
العموم فى صورة الافراد ايضا لافادة تهويل الخطب بكون الاسرار بطريق المعية والاجتماع وانما لم يراع ذلك فيما سبق لتحقيق ما يتوخى
من فرض كون جميع ما فى الارض لكل واحدة من النفوس مع ايثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص او لتغليب ذكور مدلوله على اناثه
الندامة على ما فعلوا من الظلم اى اخفوها ولم يظهروها لكن لا للاصطبار والتجلد هيهات ولات حين اصطبار بل لانهم بهتوا لما رأوا العذاب
اى عند معاينتهم من فظاعة الحال وشدة الاهوال ما لم يكونوا يحتسبون فلم يقدروا على ان ينطقوا بشئ فلما بمعنى حين منصوب باسروا
او حرف شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل اسروها من رؤسائهم ممن اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم ولكن الامر اشد من ان يعتريهم
هناك شئ غير خوف العذاب وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اسرارها اخلاصها او لان سر الشئ خالصه حيث تخفى وتضن بها ففيه
تهكم بهم وقيل اظهروا الندامة من قولهم اسر الشئ اذا اظهره حين عيل صبره وفنى تجلده وقضى بينهم اى اوقع القضاء بين الظالمين
من المشركين وغيرهم من اصناف اهل الظلم بان اظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه او من حقوق العباد من الباطل وعومل اهل كل منها
بما يليق به بالقسط بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدى وحمل القضاء على مجرد الحكومة بين الظالمين والمظلومين من غير ان يتعرض لحال الكفرة
فهم الظلم الظالمين لا يساعده المقام فان مقتضاه اما كون الظلم عبارة عن الشرك وعما دخل فيه دخولا اوليا وهم اى الظالمون لا يظلمون

عطفا على ما قيل المقدر قبل الآن
س ح ف

وهو قيل

الضمير للعذاب الموعود
س ح ف

يستفهمونك اقائم زيد

بكسر الهمزة وسكون الياء
ه

توطئة ... تحتى
وقصد ...

فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازم الضرورية ألا إن لله ما في السموات والأرض اي ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا
عنهما متمكنا فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء فهو تقرير لكمال قدرته سبحانه على جميع الاشياء وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته بتصرف
فيه كيف يشاء ايجادا واعداما واثابة وعقابا ألا إن وعد الله اظهار للاسم الجليل لتفخيم شان الوعد والاشعار بعلة الحكم وهو تحقق
الموعود اي جميع ما وعد به كائنا ما كان فيندرج فيه العذاب الذي استعجلوه وما ذكر في بيان اشتماله حالا اندراجا اوليا او بمعناه المصدري اي الوعد
بجميع ما ذكر ففي قوله تعالى حق على الاول ثابت واقع لا محالة وعلى الثاني مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرف التنبيه والتحقيق للتسجيل بتحقق
مضمونهما المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة عليه ولكن اكثرهم لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة
عليهم والههم بالاحوال المحسوسة المعتادة لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون هو يحيي ويميت في الدنيا من غير دخل لاحد
في ذلك واليه ترجعون بالبعث والحشر يا ايها الناس التفات وجوع الى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم الى قبوله واتباعهم غب تحذيرهم
من غوائل الضلال بما تلي عليهم من الفواجع الناعية عليهم سوء عاقبتهم وآيذان بان جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم قد جاءتكم موعظة
هي الوعظ والعظة التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب او بالاستمالة والترغيب وكلمة من في قوله تعالى من ربكم ابتدائية
متعلقة بجاءتكم او تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة اي موعظة كائنة من مواعظ ربكم وفي التعرض لعنوان الربوبية من حسن
المواقع ما لا يخفى وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع فانه كاشف عن احوال
الاعمال حسناتها وسيئاتها مرغب في الاولى وزاجر عن الاخرى ومبين للمعارف الحقة التي هي شفاء لما في الصدور من الادواء القلبية
كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الزائغة وهاد الى طريق الحق واليقين بالارشاد الى الاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق
والانفس وفي مجيئه رحمة للمؤمنين حيث نجوا به من مهالك الكفر والضلال الى نور الايمان وتخلصوا من درجات النيران وارتقوا الى درجات
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا اللوم للخطاب وتوجيهه الى رسول الله عليه السلام ليأمر الناس بان يفعلوا ما في حق القرآن العظيم من الفضل والرحمة
واما الجنس في هاذا طلان فيه دخولا اوليا والباء متعلقة بمحذوف واصل الكلام ليفرحوا بفضل الله ورحمته وتكرير الباء في رحمته للايذان
باستقلال كل منهما باستجلاب الخ ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لافادة القصر ثم ادخل عليه الفاء لافادة معنى السببية فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا
ثم قيل فبذلك فليفرحوا للتاكيد والتقرير ثم حذف الفعل الاول لدلالة الثاني عليه والفاء الاولى جزائية والثانية للدلالة على السببية
والاصل افرحوا بشيء فبذلك ليفرحوا الا بشيء آخر ثم ادخل الفاء للدلالة على السببية ثم حذف الشرط ومعنى البعد في اسم الاشارة للدلالة
على درجة فضل الله تعالى ورحمته ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يتعلق بجاءتكم اي جاءتكم موعظة بفضل الله ورحمته
فبذلك اي فبمجيئها فليفرحوا وقرئ ابي فافرحوا وعن ابي بن كعب رضي الله عنه ان رسول الله عليه السلام تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله وبالاسلام
وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد اليه هو اي ما ذكر من فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا وقرئ يجمعون اي فبذلك
فليفرح المؤمنون هو خير مما يجمعون ايها المخاطبون قل ارايتم اي اخبروني ما انزل الله لكم من رزق ما منصوبة المحل بما بعدها
او بما قبلها واللام للدلالة على ان المراد بالرزق ما حللوه وجعله منزلا لانه مقدر في السماء محصل بها او يتوقف عليه وجودا او بقاء بانبات
سماوية من المطر والكواكب في الاضاءة والتلوين فجعلتم منه اي بعضه حراما اي حكمتم بانه حرام وحلالا اي وجعلتم بعضه حلالا
اي حكمتم بحليته مع كون كله حلالا وذلك قولهم هذه انعام وحرث حجر الآية وقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة الخ وكذلك وتقديم
الحرام لظهور اثر الجعل فيه ودوران التوبيخ عليه قل تكرير للتاكيد الامر بالاستخبار اي اخبروني آلله اذن لكم في ذلك الجعل فانتم فيه متمثلون
باوامره تعالى ام على الله تفترون ام متصلة والاستفهام للتقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير قطعا كانه قيل ام لم يأذن لكم بل تفترون
عليه سبحانه فاظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل دلالة على كمال قبح افترائهم وتاكيدا للتبكيت اثر تاكيد مع مراعاة الفواصل ويجوز ان يكون
الاستفهام للانكار وام منقطعة معنى بل فيها الانتقال من التوبيخ والتقرير بانكار الاذن الى ما يفيده من توبيخهم على الافتراء

عليه سبحانه وتقريره وتقديم الجار والمجرور على هذا يجوز ان يكون للقصر كأنه قيل بل على الله تعالى خاصة تفترون وما ظن الذين يفترون على الله
الكذب كلام مسوق من قبله تعالى لبيان هول ما سيلقونه غير داخل تحت القول المأمور به والتعبير عنهم بالموصول في موضع الاضمار لقطع احتمال
الشق الاول من الترديد والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا لاظهار كمال قبح ما افتعلوا وكونه كذبا
في اعتقادهم ايضا وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدأ وظن خبرها ومفعولاه محذوفان وقوله تعالى يوم القيمة ظرف لنفس الظن اى اى شيء
ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الافعال والاقوال والمجازاة عليها مثقالا بمثقال والمراد تهويله وتفظيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ
وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الامور التي ستقع يوم القيمة تنزيلا له وما فيه من الاحوال لكمال وضوح امره في التقرر والتحقق
منزلة المسلم عندهم اى اى شيء ظنهم لما سيقع يوم القيمة أيحسبون انهم لا يسئلون عن افترائهم او يجازون عليه او يجازون جزاء يسيرا ولاجل
ذلك يفعلون ما يفعلون كلا انهم لفي اشد العذاب لان معصيتهم اشد المعاصي ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وقرئ على لفظ الماضي اى اى ظن
ظنوا يوم القيمة وايراد صيغة الماضي لانه كائن فكأنه قد كان ان الله لذو فضل اى عظيم لا يكتنه كنهه على الناس اى جميعا حيث انعم
عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال الرسل وبين لهم الاسرار التي لا تستقل العقول في ادراكها
وارشدهم الى ما يهمهم من امر المعاش والمعاد ولكن اكثرهم لا يشكرون تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له
ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقونه يوم القيمة فلا يلتفتون اليه فيفعلون
ما يفعلون فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وما تكون في شأن اى في امر من شأنت شأنه اى قصدت قصده مصدر بمعنى المفعول
وما تتلو منه الضمير للشأن والظرف صفة لمصدر محذوف اى تلاوة كائنة من الشأن اذ هي معظم شؤونه عليه السلام او للتنزيل والاضمار
قبل الذكر لتفخيم شأنه ومن ابتدائية او تبعيضية او لله عز وجل ومن ابتدائية والتي في قوله تعالى من قرآن مزيدة لتأكيد النفي او ابتدائية
على الوجه الاول وبيانية او تبعيضية على الثاني والثالث ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمن هو قدوة الكل ولذلك ذكر حيث كل
من المقامين ما يليق به حيث ذكر اولا من الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانيا ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا استثناء
مفرغ من اعم احوال المخاطبين بالافعال الثلاثة اى ما تلابسون بشيء منها في حال من الاحوال الا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له
اذ تفيضون فيه اى تخوضون وتندفعون فيه واصل الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة وحيث اريد بالافعال السابقة الحالة المستمرة
الدائمة المقارنة للزمان الماضي ايضا اوثر في الاستثناء صيغة الماضي وفي الظرف كلمة اذ التي تفيد المضارع معنى الماضي وما يعزب عن ربك
اى لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل وفي التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار باللطف ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاء من مثقال ذرة كلمة من مزيدة
لتأكيد النفي اى ما يعزب عنه ما يساوي في الثقل نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اى في دائرة الوجود والامكان فان العامة
لا تعرف سواهما ممكنا ليس فيهما او في متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود اقامة البرهان على احاطة
علمه تعالى بتفاصيلها وقوله تعالى ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس واصغر اسمها
وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على مثقال ذرة في جعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محل مع الجار
جعل الاستثناء منقطعا كأنه قيل عن ربك شيء ما لكن جميع الاشياء في كتاب مبين فكيف يعزب عنه شيء منها وقيل يجوز ان يكون الاستثناء
متصلا ويعزب بمعنى يبين ويبعد والمعنى لا يصدر عنه تعالى شيء الا وهو في كتاب مبين والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله
بيان على وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة لاحوال المؤمنين وغاية لما ذكر قبله من كونه تعالى مهيمنا عليه عليه السلام وامته في كل ما يأتون وما يذرون
واحاطة علمه تعالى بجميع ما في السماء والارض وكون الكل مثبتا في الكتاب المبين بعد ما اشير الى فظاعة حال المفترين على الله تعالى يوم القيمة
وما سيعتريهم من الهول اشارة اجمالية على طريقة التهديد والوعيد وصدرت الجملة بحرف التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولي
لغة القريب والمراد باولياء الله خلص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه وتعالى كما سيفصح عنه تفسيرهم لا خوف عليهم في الدارين

روي عن وهب بن منبه قال الحواريون لعيسى بن مريم يا روح الله من اولياء الله قال الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها ونظروا الى آجل الدنيا حين نظر الناس الى عاجلها واحبوا ذكر الموت واماتوا ذكر الحيوة ويحبون الله ويحبون ذكره وقال الضحاك يعني المخلصين
تفسير وسيط علا

من لحوق المكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب أي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لأنهم لا يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولأنه لا يعتريهم
خوف وحزن أصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصارا
للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية تقتضي خصائص الخواص والمقربين وأما دنيا انتفاؤهما لا بيان دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا
لما مر مرارا من أن النفي وأن دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام وأنما يعتريهم ذلك لأن مقصدهم ليس الا طاعة الله تعالى
ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى وأما ما عدا ذلك
من الامور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهي بمعزل من الانتظام في سلك مقصدهم وجودا وعدما حتى تخافوا من حصول ضدها
أو يحزنوا بفواتها وقوله عز وجل الذين آمنوا بكل ما جاء من عند الله تعالى وكانوا يتقون أي يتقون انفسهم عما يحق
وقايتها من الافعال والتروك وقاية دائمة صح بما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل بيان وتفخيم لشأنهم وأشارة الى ما به نالوا ما نالوا
على طريقة الاستئناف المبني على السؤال ومحل الموصول الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف كأنه قيل من اولئك وما سبب فوزهم تلك الكرامة
فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين الى كل خير المنجيين عن كل شر وقيل محله النصب او الرفع على المدح أو على انه وصف
ما دخ للاولياء ولا يقدح في ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتها المرتقية عن الشرك الخفي فيدخل
الايمان ايضا ورتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك أعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكلية وهو
التقوى الحقيقي المأمور به في قوله تع يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود والحضور والقرب الذي عليه يدور
اطلاق الاسم عليه وهكذا الكلام في كل من دخل معهم تحت الخطاب بقوله عز وعلا من عمل صالحا أن لهم في شأن التبتل والتنزه درجات
متفاوتة حسب تفاوت درجاتهم استعدادا تهم الفائضة عليهم بموجب المشية المبنية على الحكم الابدية اقصاها انتهى اليه الانبياء عم
حتى جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق في عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة
بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية فملاك امر الولاية هو التقوى المذكور
فاولياء الله تعالى هم المؤمنون المتقون وبقرب منه ما قيل انهم الذين توالى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى
والدعوة اليه ولا يخالفه ما قيل من انهم الذين يذكر الله برؤيتهم بما روى عن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله
فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم اي بسمتهم واصطباتهم وسكينتهم ولا ما قيل من انهم المحابون في الله روى عن عمر رضي الله عنه قال سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله
قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان
وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن السمت والسكينة
المذكورة لله تعالى والتحاب في الله سبحانه من الاحكام الدينية اللازمة للايمان والتقوى والآثار الخاصة بهما الحقيقة بالذكر اظهر ما
وقر بها في افهام الناس فاورد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا من ذلك حسبما يقتضيه مقام الارشاد والتذكير ترغيبا للسائل
او غيره من الحاضرين فيما خصه بالذكر هناك من احكامهما فعلل الحاضرين اولا كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال
والملابس في ذلك وثانيا مفتقرين الى تأليف قلوبهم وعطفها نحو المؤمنين الذين لا علاقة بينهم من جهة النسب والقرابة
وتأكيد ما بينهم من الاخوة الدينية ببيان عظم شأنها وفرط مكانها وحسن عاقبتها الى غير ذلك مما يحق ويجدر ان لا يوافقهم في الدين
من ارحامهم وأما ما ذكر من انه يغبطهم الانبياء فتصوير لحسن حالهم على طريقة التمثيل قال الكواشي وهذا مبالغة والمعنى لو فرض
قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء وقيل اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله عز وجل الذين آمنوا
وكانوا يتقون تفسيرا لتولهم اياه تعالى وقوله عز وعلا لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة تفسير لتولية اياهم ولا ريب

التقوى يذكر ويؤنث ٦٣٠

فان اعتبار القيد الاخير فى مفهوم الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين فى تحصيلها والاثبات عليها وبشارتهم باثارها ونتائجها بل مخل
بذلك اذ التحصيل انما يتعلق بالمقدور والاستثناء لا يحصل الا باعلام وجود سببه والقيد المذكور ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله
ولا بمعلوم لهم عند حصوله حتى يعرفوا حصول الولاية لهم ويستبشروا بما بحسن اثارها بل التوقى بالكراهة عن نتيجة الولاية فاعتباره فى عنوان الموضوع
ثم الاضمار بعد الوقوف على المراد مما لا يليق بشان التنزيل الجليل فالذى يقتضيه نظمه الكريم ان الاول تفسير للاولياء كما شرح والثانى بيان
لما اولاهم من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورهما ومكارههما والجملة مستانفة كما سبق كانه قيل هل لهم ورآء ذلك من نوع كرامة
فقيل ما يسرهم فى الدارين وتقديم الاول لما ان التخلية سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن حال المؤمنين وسوء حال المقصرين
وتعجيل ادخال المسرة بتبشير الخلال عن الاهوال وتوسيط البيان السابق بين بشارة الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لاظهار كمال
العناية بتفسير الاولياء مع الايذان بان استحقاق الخوف والحزن لانتفائهم عما يؤدى اليهما فى الاسباب والبشرى مصدر اريد به المبشر به
من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك فى الآجلة الغنية عن البيان واثارا لابهام والاجمال للايذان بكونه وراء البيان والتفصيل
والظرفان فى موضع الحال منه والعامل ما فى الخبر من معنى الاستقرار اى لهم البشرى حال كونها فى الحياة الدنيا وحال كونها فى الآخرة اى عاجلة واجلة
او مما الخبر المجرور اى حال كونهم الخ ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس وعن ابى ذر رضى الله عنه قلت يا رسول الله
الرجل يعمل العمل ويحبه الناس فقال عليه السلام تلك عاجل بشرى المؤمن هذا وقيل البشرى مصدر والظرفان متعلقان به اما البشرى
فى الدنيا فهى البشارات الواقعة للمؤمنين المتقين فى غير موضع من الكتاب المبين وعن النبى صلى الله عليه وسلم هى الرؤيا الصالحة يراها
المؤمن او ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن عطاء هى البشرى عند الموت تاتيهم الملئكة بالرحمة قال الله تعالى
تتنزل عليهم الملئكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى وعدتم واما البشرى فى الآخرة فتلقى الملئكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة
وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحف بايمانهم وما يرون منها وغير ذلك من البشارات فيكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات
العاجلة والآجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها ولا يخفى ان صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى ساير ما لا يساعد عليه حال
التنزيل الكريم لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله التى من جملتها مواعيده الواردة بشارة للمؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارات
الواردة ههنا دخولا اوليا ويثبت امتناع الاخلاف فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بعدم
تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها فيما سياتى بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى ذلك اشارة
الى ما ذكر من ان لهم البشرى فى الدارين هو الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه وفيه تعظيم لما لهم فيما سبق وتاكيد الجملة والتى قبلها
اعتراض بتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطان يكون بعد كلام متصل بما قبله او بعده تذييلا وان بنى اعتراض ولا يحزنك
قولهم تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشية من مقالاتهم الموحشة وتبشير له بانه ينصره
ويغره عليهم اثر بيان ان له ولاتباعه امنا من كل محذور وفوزا بكل مطلوب وقرئ ولا يحزنك من احزن وهو فى الحقيقة نهى الملئكة عليهم السلام
عن الحزن كانه قيل لا تحزنوه بقولهم ولا تبالوا بتكذيبهم وتشاوروا فى تدبير هلاكك وابطال امرك وساير ما يتفوهون به فشانك مما لا يخفى
وانما وجه النهى الى قولهم للمبالغة فى نهيه عليه السلام عن الحزن لما ان النهى عن اثر الشئ نهى عن الشئ باصله ونفى له بالمرة وقد يوجه النهى الى اللازم
والمراد هو النهى عن الملزوم كما فى قولك لا ارينك ههنا وتخصيص النهى عن الحزن بالايراد مع شمول النفى السابق للخوف ايضا لما انه
لم يكن فيه يوم شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه يوم فى بعض الاوقات نوع حزن فسل عن ذلك فى قوله تعالى ان العزة تعليل
للنهى على طريقة الاستئناف اى الغلبة والقهر لله جميعا اى فى مملكته وسلطانه لا يملك احد شيئا منها اصلا لاهم ولا غيرهم وهو
يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان كذلك فهى من جملة البشرى العاجلة وقرئ بفتح ان على اضمار التعليل اى لان العزة لله
هو السميع لما يقولون فى شانك وبعلم ما يضمرون عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض

اى العقلاء من الملئكة والثقلين وتخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة الى التصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا له
سبحانه مقهورين تحت قدرته وملكته فما عداهم من الموجودات ادلى بذلك وهو مع ما فيه من التاكيد لما سبق من اختصاص العزة به تعالى موجب
لسلوبة دم وعدم مبالاته بالمشركين وبعقالاتهم تمهيد لما يلحق من قوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء وبرهان على بطلان
ظنونهم واعمالهم المبنية عليها وما اما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهور اى ما يتبع الذين يدعون من دون الله
شركاء فى الحقيقة وان سموها شركاء فاقتصر على احدهما لظهور دلالة الآخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول يدعون ويكون مفعول يتبع
محذوفا لانتهاء من قوله تعالى إن يتبعون إلا الظن اى ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم الباطل واما موصولة معطوفة على من
كانه قيل وما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اى وله شركاؤهم وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارة ودلالة للمبالغة
فى بيان بطلان اتباعهم وفساد ما بنوه عليه من ظنهم شركاءهم معبودين مع كونهم عبيدا له سبحانه وأما استفهامية اى واى شئ يتبعون شيئا ما
يتبعون الا الظن والخيال الباطل كقوله تعالى ما تعبدون الا اسماء سميتموها الخ وقرئ تدعون بالتاء فالاستفهام للتبكيت والتوبيخ كانه قيل
واى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء فى الملكة والتبيين تقريرا لكونهم متبعين لله تعالى مطيعين له وتوبيخا لهم على عدم اقتدائهم بهم فى ذلك
كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقيل ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن
ولا يتبعون ما يتبعه الملئكة والنبيون من الحق وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبونه اليه سبحانه ويخرصون ويقدرون انهم
شركاء تقديرا باطلا هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعم الشاملة
ليدلهم على توحيده سبحانه باخلاق العباد وتقريرا لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة قدرته وملكته المنصح عن اختصاص العزة به سبحانه
والجعل ان كان بمعنى الابداع والخلق فمبصرا حال والا فالكم مفعول الثانى او حال كما فى الوجه الاول والمفعول الثانى لتسكنوا فيه وهو محذوف
يدل عليه مفعوله الثانى من الجملة الثانية كما ان العلة الغائية منها محذوفة اعتمادا على الاولى والتقدير هو الذى جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا
فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه لمصالحكم كما يجئ نظيره فى قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله الآية
فحذف فى كل واحد من الجانبين ما ذكر فى الآخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار الى النهار مجازى كالذى فى نهاره صائم
إن فى ذلك اى فى جعل كل واحد منهما كما وصف اوفيهما وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه وعلو رتبته
لآيات اى عجيبة كثيرة او آيات اخر غير ما ذكر لقوم اى هؤلاء الآيات المتلوة ونظائرها المنبهة على تلك الآيات التكوينية الآمرة بالتامل
فيها سماع تدبر واعتبار فيعلمون بمقتضاها وتخصيص الآيات بهم مع انها منصوبة لمصلحة الكل لما انهم المنتفعون بها قالوا شروع فى ذكر
حرب اخر من اباطيلهم وبيان بطلانه اتخذ الله ولدا اى تنباه سبحانه تنزيها وتقديسا لساحة عزه عما ألبسوا اليه وتعجيبا من كلمتهم
الحمقاء هو الغنى على الاطلاق من كل شئ وفى كل شئ وهو علة لتنزيهه سبحانه وايذان بان اتخاذ الولد من احكام الحاجة وقوله تعالى
له ما فى السموات وما فى الارض اى من العقلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لما لكيته تعالى لكل ما سواه وقوله تعالى إن عندكم من سلطان
اى حجة بهذا اى بما ذكر من قولهم الباطل توضيح لبطلانه لتحقيق سلامة ما اقيم من البرهان الساطع عن المعارض فمن فى ومن سلطان زائدة
لتاكيد النفى وهو مبتدا والظرف المتقدم خبره ولو رفع على انه فاعل للظرف لاعتماده على النفى وبهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعنى الحجة
والبرهان واما بمحذوف وقع صفة له واما بما فى عندكم من معنى الاستقرار كانه قيل ان عندكم فى هذا القول من سلطان والالتفات الى الخطاب
لمزيد المبالغة فى الالزام والافحام فتاكيد ما فى قوله تعالى أتقولون على الله ما لا تعلمون من التوبيخ والتقريع على جهلهم واضلالهم وفيه تنبيه
على ان كل مقالة لا دليل عليها فهى جهالة وان العقائد لابد لها من برهان قطعى وان التقليد بمعزل من الاعتداد به قل تلوين للخطاب
وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتبين سوء مغبتهم ووخامة عاقبتهم إن الذين يفترون على الله الكذب اى فى كل
امر فيدخل ما خاضوا بصدده من الافتراء بنسبة الولد والشريك اليه سبحانه دخولا اوليا لا يفلحون اى لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب

اصلا

اصلا وتخصيص عدم النجاة والفوز بما يندرج في ذلك من عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة لما يناسب مقام المبالغة في الزجر
عن الافتراء عليه سبحانه متاع في الدنيا كلام مستانف سيق لبيان ان ما يتراءى فيهم بحسب النظر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ
الدنيوية على الاطلاق او في ضمن افترائهم ينزل من ان يكون من جنس الفلاح كانه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم فقيل
هو متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم اشير الى التفات النجاة عن المكروه ايضا بقوله عز وعلا ثم الينا مرجعهم اي بالموت
ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم المستمر او بكفرهم في الدنيا فانهم
هم في الفلاح وقيل المبتدا المحذوف صيرتهم او تقلبهم وقد قيل انه افتراؤهم ولا يخفى ان المتاع انما يطلق على ما يكون مطبوعا
عند النفس مرغوبا فيه فانه يتمتع وينتفع به وانما عدم الاعتماد به لسرعة زواله ونفي الافتراء عليه سبحانه افتح القبائح عند النفس فضلا
عن ان يكون مطبوعا عندها وعده كذلك باعتبار اجرائه حكم ما يؤدي اليه من رياستهم عليه مما لا وجه له فالوجه ما ذكر اولا وليس ببعيد
ما قيل من ان المحذوف هو الجزاء اي لهم متاع والآية الآتية مسوقة من جهته الله سبحانه لتحقيق عدم افلاحهم غير داخلة في الكلام المأمور به كما تقتضيه
ظاهر قوله تعالى الينا وقوله ثم نذيقهم وانما داخلة فيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مامور بتبليغه وحكايته عنه عز وجل وانزل عليهم
اي على المشركين من اهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من انهم لا يفلحون وان ما يتمتعون به على جناح الفوات وانهم مشرفون على العذاب
الخالد نبأ نوح اي خبره الذي له شان وخطر مع قومه الذين هم اخباب قومك في الكفر والغي فليدبروا ما فيه من زوال ما يتمتعوا به
من النعيم وطول عذاب الزوق الموصول بالعذاب الالم ليتزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر او تنكسر شرة تكبيرهم او يعترف بعضهم
بصحة نبوتك بان عرفوا ان ما تتلوه موافق لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما اصلا مع علمهم بانك لم تسمع ذلك من احد الا بطريق
الوحي وفيه من تسريا سبق من كون الكل بسجانه وتعالى واختصاص العزة به تعالى والتفاته الخوف والحزن من اوليائه عز وعلا ما فيه
وتشجيع النبي عليه السلام وحمله على عدم المبالاة بهم وبما قالوا لهم وافعالهم ما لا يخفى اذ قال معمول النبا او بدل منه بدل اشتمال وايا ما كان
فالمراد بعض نبائه عم لاكل ما جرى بينه وبين قومه واللام في قوله تعالى لقومه للتبليغ يا قوم ان كان كبر اي عظم وشق
عليكم اي في نفسي كما يقال فعليه لمكان فلان اي لشانه ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي خاف ربه اي قيامي ومكثي بين اظهركم
مدة طويلة او قياسي وتذكيري بايات الله فانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة يقومون على ارجلهم والجماعة قعود ليظهر حالهم ويسمع
مقالهم فعلى الله توكلت جواب للشرط اي دمت على تخصيص التوكل به تعالى ويجوز ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب
التوكل فاجمعوا امركم عطف على الجواب في الفاء لترتيب الامر بالاجماع على التوكل لا لترتيب نفس الاجماع عليه وهو الجواب
وما سبق جملة اعتراضية والاجماع العزم قيل هو متعد بنفسه وقيل هو حذف ايصال قال السدوسي اجمعت الامر افصح
من اجمعت عليه قال ابو الهيثم اجمع امره جعل مجموعا بعد ما كان متفرقا وتحقيقه انه يقول مرة افعل كذا واخرى افعل كذا فاذا اعزم
على امر واحد فقد جمعه اي جعله مجتمعا وشركاءكم بالنصب على ان الواو بمعنى مع كما يدل عليه القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل تنزيلا
للفصل منزلة التاكيد واسناد الاجماع الى الشركاء على طريقة التهكم وقيل انه عطف على امركم بحذف المضاف اي امر شركاءكم لكم وقيل
منصوب بفعل محذوف اي وادعوا شركاءكم وقد قرئ فاجمعوا من الجمع اي فاجمعوا على امركم الذي تريدون من السعي في اهلاكي
واحشدوا فيه على اي وجه يمكنكم ثم لا يكن امركم ذلك عليكم غمة اي مستورا من الغمة اذا ستره بل كونوا فاشهروا
ظاهرا وبني به فان الستر انما يصار اليه لاستدراب تواركي الخلاص بالهرب او نحوه فحيث استحال ذلك في حقي لم يكن للستر وجه وانما
بذلك اظهارا لعدم المبالاة بهم وانهم لن يجدوا اليه سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما وعده من عصمته وكلائه فكلة ثم للتراخي في الرتبة
والاظهار الامر في موقع الاضمار الذي مستلزمه النهي عن السر والاسرار وقيل المراد باجرامهم ما يغيرهم من جهته عز من الحال الشديدة
عليهم المكروهة لديهم والغمة الغم كالكربة والكرب وثم للتراخي الزماني والمعنى لا يكن حالكم عليكم غمة وتخلصوا بالهلاكي

طبعهم

من ثقلى مقامى وتذكيرى ولا يخفى أنه لا يساعد قوله عز وجل ثم اقضوا الى ولا تنظرون اى ادوا الى اى احكموا ذلك الامر الذى
تريدون بى ولا تمهلونى كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر اوادوا الى ما هو حق عليكم عندكم من اهلاكى كما يقضى الرجل غريمه فان توسيط الاجل
بعد الاهلاك بين الامر بالعزم على مبادية وبين الامر بقضائه من قبيل الفصل بين الشيء ولحائه وقرئ افضوا بالفاء اى انتهوا الى بشركم اوابرزوا الى
من افضى اذا خرج الى الفضاء فان توليتم الفاء لترتب التولى على ما سبق فالمراد اما الاستمرار على اما احداث التولى المخصوص اى ان اعرضتم عن
نصيحتى وتذكيرى اثر ما شاهدتم منى من محاسن صحة ما اقول ودلائلها التى من جملتها دعوتى اياكم جميعا الى تحقيق ما تريدون من السوء غير مبال بكم وبإباكم
منكم واجاحكم من الاجابة على منكم بانى على الحق المبين مؤيد من عند الله العزيز فما سئلتكم بمقابلة وعظى وتذكيرى من اجر توذونى
الى حتى يؤدى ذلك الى توليكم اما لانهاكم اياى بالطمع والسؤال واما الثقل ورفع المسئول عليكم اوحتى يضرنى توليكم المؤدى الى الحرمان فالاول
لاظهار بطلان التولى بتباعد ما يصحح والثانى لاظهار عدم مبالاته بهم بوجوده وعدمه وعلى التقديرين فالفاء الجزائية لسببية الشرط للعلم
مضمون الجزاء لا للنفسه والمعنى ان توليتم فاعلموا ان ليس بى مصحح له ولا ثمرة منه وقوله عز وجل ان اجرى الا على الله ينتظم المقيمين شيعا
ظلا انه على الاول تاكيد وعلى الثانى تعليل لاستغنائه عنهم اى ما توا بعلى العظة والتذكير الا عليه تعالى يثيبنى به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون
من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره او المستسلمين لكل ما يصيب من البلاء فى طاعة الله تعالى فكذبوه فاخذوا على ما
عليه من التكذيب بعد ما الزمهم الحجة وبين لهم المحجة ووضح ان توليهم ليس لسبب غير التمرد والعناد فلاجرم صفت عليهم كلمة العذاب فنجيناه ومن معه
فى الفلك من المسلمين وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا اى بالطوفان وتاخير ذكره
عن ذكر الانجاء والاستخلاف حسبما وقع فى قوله عز وعلا ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة
وغير ذلك من الآيات الكريمة لاظهار كمال العناية بشان المقدم والتعجيل المسرة للسامعين وللايذان بسبق الرحمة التى هى من مقتضيات
الربوبية على الغضب الذى هو من مستتبعات جرائم المجرمين فانظر كيف كان عاقبة المكذبين تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول
وتسلية له عليه السلام ثم بعثنا اى ارسلنا من بعده اى من بعد نوح عليه السلام رسلا التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا اى رسلا كراما ذوى عدد كثير
الى قومهم اى الى اقوامهم لكن لا بان ارسلنا كل رسول منهم الى اقوام الكل اوالى اقوام ما اى قوم كانوا بل كل رسول الى قومه خاصة مثل هود
الى عاد وصالح الى ثمود وغير ذلك ممن قص منهم ومن لم يقص فجاءوهم اى جاء كل رسول قومه المخصوصين به بالبينات اى المعجزات الواضحة
الدالة على صدق ما قالوا وآباء اما متعلقة بالفعل المذكور على انها للتعدية او بمحذوف وقع حالا من ضمير جاءوا اى ملتبسين بالبينات لكن لا بان
كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انتظام الآحاد لا الآحاد انما هى فيما بين غير ما
جاءوهم كما اشير اليه فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم فى الزمان الماضى للعدم استمرار ايمانهم كما مر مثله فى هذه السورة الكريمة غير مرة
ان فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام فى وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة تمكنهم فى الكفر والعناد
ثم ان كان المحكى آخر حال كل قوم حسبما يدل عليه حكاية قوم نوح فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد التنبيه والالتفات
فى قوله عز وعلا بما كذبوا به من قبل تكذيبهم من حين مجىء الرسل الى زمان الاصرار والعناد وانما يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول
حيث جعل صلة للموصول الايذانا بانه بتين بنفسه غنى عن البيان وانما المحتاج الى ذلك عدم تواترهم بعد تواتر البينات الظاهرة ونظاهر المعجزات الباهرة
التى كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذى تعلق به الايمان والتكذيب سببا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع
التى جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكى جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجىء الرسل الى آخره
وبما اشير اليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التى اجمعت عليها الرسل فاطبة ودعوا الناس
اليها اثر ذى اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها بما مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجىء ارسلهم انهم ما كانوا فى زمن الجاهلية
بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من اولئك الاقوام يتناقلون بها من بقايا من قبلهم كثمود من بقايا عاد ومن بقايا قوم نوح

اجم عن الشئ كفه عنه
مثل اجم فحار

وهو قوله او حتى يضرنى

على الوجه الثانى

حتى الابتدائية

ان فسره بالجمع لان القوم مفرد
الضمير بالجمع لتكونه جمعا

ثانى

من اجر

توذونى

فكذبوه

فيكذبونها ثم كانت بعد مجئ الرسل كالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول الظهور
حال الباقين على الاولى النقض فانهم لم يؤمنوا بما تؤدي به بعضهم اولى وعدم صبل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه مدار العذاب
والعقاب عند اضطراب التكذيب بالبين هو التكذيب الواقع بعد الدعوة فحسبما يوجب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا
لواقعهم فالكفر والتكذيب وعلى التقديرين فالضمائر الثلثة موافقة في الرجوع وقيل ضمير كذبوا راجع الى قوم نوح وهم والمعنى فما كان قوم الرسل
ليؤمنوا بما كذب به مثله قوم نوح وهم ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل الباء للسببية اى بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل
ولا يخفى ان ذلك يؤدي الى مخالفة الجمهور من جعل المصدرية من قبيل الاسماء كما هو راى الاخفش وابن السراج ليرجع اليها الضمير وفي ارجاعه جاءه
الى الحق باعتبار كونه مذكورا في الاذهان ما لا يخفى من التعسف كذلك اى مثل ذلك الطبع المحكم نطبع بنون العظمة وقرئ بالياء
على ان الضمير لله سبحانه على قلوب المعتدين المتجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الرشاد
وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشانهم لانهماكهم في الغي والضلال وفي امثال هذا دلالة على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وبكسب العبد
ثم بعثنا عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم عطف قصة على قصة من بعدهم اى من بعد اولئك الرسل عليهم السلام موسى
وهرون خصت بعثتهما عليهما السلام بالذكر ولم يكتف باندراج خبرهما فيما اشير اليها شارة اجمالية من اخبار الرسل مع اقوامهم واوثر
في ذلك ضرب تفصيل ايذانا بخطر شان القصة وعظم وقعها كما في نبا نوح هم الى فرعون وملائه اى اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر
لاصالتهم في اقامة المصالح والمهمات وتراجعة الكل اليهم في النوازل الملمات باياتنا اى ملتبسين بها وهي الايات المفصلات في الاعراف
فاستكبروا الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة اى فاتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعها وذلك
قول اللعين لموسى عليه السلام الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين الخ وكانوا قوما مجرمين اعتراض مؤكد لمضمون ما قبله
اى كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فان الاجرام موذن لعظم الذنب ومنه الجرم اى الجثة فلذلك لم يجترؤا على ما ارتكبوه من الاستهانة
برسالة الله عز وجل وحمل الاستكبار على الامتناع عن قبول الايات لما يساعده قوله عز وجل فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا
لسحر مبين فان صريح في ان المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجئ الحق الذي هو سحر الا عن العصا واليد البيضا كما ينبئ عنه سياق
النظم الكريم وذلك اول ما اظهره عز وجل من الايات العظام والفاء فيه ايضا فصيحة مؤذنة بمقدر قد صرح به في مواضع اخر كانه قيل فارسلنا موسى قد شفعنا
بينة من ربكم الى قوله تعالى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا اوعرفوه
قالوا من فرط عتوهم وعنادهم ان هذا لسحر مبين اى ظاهر كونه سحرا او فائق في بابه واضح فيما بين اضرابه وقرئ لساحر قال موسى
استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قال لهم موسى عند قيل قال على طريقة الاستفهام الانكاري التوبيخي
اتقولون للحق الذي هو ابعد شئ من السحر الذي هو الباطل البحت لما جاءكم اى حين جيئكم اياكم ودونكم علينا دون الاول من غير
تامل وتدبر وكلا الحالين مما ينافي القول المذكور والمقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه ايذانا بانه مما لا ينبغي ان ينفوه به
ولو نهج الحكاية لقيل اتقولون في انه سحر حتى يرجع الى انه قائل ويتكلم به متكلم او القول يعني العيب والطعن من قولهم فلان يقول
الخنا وبين الناس يتقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونظيره الذكر في قوله تعالى سنكتب ما قالوا الخ فيستغني عن المفعول اى تعيبونه
وتطعنون فيه وعلى الوجهين فقوله عز وجل أسحر هذا انكار مستانف من جهته عز وكونه سحرا وتكذيب لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك اثر توبيخ
وتجهيل بعد تجهيل اما على الاول فظاهر واما على الثاني فوجه انكار كونه سحرا على انكار كونه معيبا بان يقال مثلا انه عيب جسيما يستحقه
ظاهر الانكار السابق التصريح بالرد عليهم في خصوصية ما عابوه به بعد التنبيه بالانكار السابق على ان ليس فيه شائبة عيب قط وقد نفى هذا
من معنى التوبيخ لزيادة تعيين المشار اليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة على كونه آية باهرة في آيات الله تعالى المنادية على امتناع كونه سحرا
الى آخر هذا الذي اراه واضح مكشوف وشانه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه احد ممن له عين مبصرة وتقديم الخبر للايذان بانه مما يجب

ذكر للعلامة الزمخشري وذكر الامام البيضاوي

قوله تعالى اتقولون الخ
طعن فيه ابن المنير في مناسب نصر

قوله على ان المفعول محذوف الخ

الاولى كون القول بمعنى العيب

قوله الانكار

وامّا استلزام كونه سحرًا كونَ مَن أتى به ساحرًا فلكذا الانكار السابق وما فيه من التوبيخ والتجهيل بقوله عزّ وجلّ ولا يفلح الساحرون وهو جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو وبلا ضمير كما في قول من قال جاء الشتاء وأنت الملك غلّة وقولك جاء زيد وطلع الشمس اى اتقولون للحق انه سحر والحال انه لا يفلح فاعله اى لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره من مثلى من المؤيد من عند الله العزيز الحاكم الفائز بكل مطلب الناجين من كل محذور وقوله تعالى اسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها اكد بها الانكار السابق ببيان استحالة كونه سحرًا بالنظر الى ذاته قبل بيان استحالته بالنظر الى صدوره عنه عليه السلام هذا واما تجويز ان الكلام متوجّل القول على ان المعنى اجئتنا بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون فمما لا يساعد النظم الكريم اصلًا اما اوّلًا فلان ما قالوا هو الحكم بانه سحر من غير ان يكون فيه دلالة على ما اقتضى فيه من المعنى بوجه من الوجوه فصرف جوابه عليه السلام عن صريح ما خاطبوه به الى ما يفهم عنه اصلًا مما يجب تنزيه النظم التنزيلى عن الحمل على امثاله واما ثانيًا فلان التعرض لعدم افلاحه تعالى على الاطلاق من وظائف من يتمسك بالحق المبين دون الكفرة المتشبثين باذيال بعض منهم في معارضته عليه السلام ولو كان ذلك من كلامهم لناسب تخصيص عدم الافلاح بمن زعموه ساحرًا بناءً على غلبة ظنونهم من السحرة واما ثالثًا فلان قوله عزّ وجلّ قالوا اجئتنا الخ مسوق لبيان انه عليه السلام لتهم الخ فانقطعوا عن الاتيان بكلام يتعلق بكلامهم فضلًا عن الجواب القريح واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذى هو دأب كل عاجز مجموج ودين كل معاند لجوج على انه استئناف وقع جوابًا عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة قوله تعالى قال موسى الخ كما اشير اليه كانه قيل فماذا قالوا لموسى عليه السلام عند ما قال لهم ما قال فقيل قالوا اعاجزين عن المحاجة لتلفتنا اى لتصرفنا فان القلب واللفت اخوان عما وجدنا عليه آباءنا اى من عبادة الاصنام ولا ريب في ان ذلك انما يتسنى بكون ما ذكر من تتمة كلامه عليه السلام على الوجه الذى شرح آنفًا على تقدير كونه محكيًا من قبلهم بكون جوابهم خاليًا عن التشبث الملجئ اليهم الى العدول عن سنن المحاجة ولا ريب في انه لا علاقة بين قولهم اجئتنا الخ وبين انكاره عليه السلام لما طعنوا فيه مصحّحة لكونه جوابًا عنه وتكون لكما الكبرياء اى الملك او التكبر على الناس بسلب اتباعهم وقرئ بالياء التحتانية وكلمة في قوله تعالى في الارض اى ارض مصر متعلقة بتكون او بالكبرياء او بالاستقرار في لكما لوقوعه خبرًا او بمحذوف وقع حالًا من الكبرياء او من الضمير في لكما لتحملا اياه وما نحن لكما بمؤمنين اى بمصدقين فيما جئتما به وتثنية الضمير في هذين الموضعين بعد افراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبرياء لهما عليهما السلام واستلزام التصديق للآخر واما اللفت والمجئ له فحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة اسند الى موسى عليه السلام خاصّة وقال فرعون توحيدًا للفعل لان الآمر من وظائف فرعون اى قال الملائ بأمرهم بترتيب مبادئ الزامهم بالفعل بعد اليأس عن الزامهم بالقول ائتوني بكل ساحر عليم بفنون السحر حاذق ماهر فيه وقرئ سحّار فلما جاء السحرة عطف على مقدر يقتضيه المقام قد حذف ايذانًا بسرعة امتثالهم بأمر فرعون كما هو شأن الغاية الفصيحة في كل مقام اى فاتوا به فلما جاؤا قال لهم موسى لكن للاذان ابتداء تجهيلهم بل بعد ما قالوا له عليه السلام ما حكى عنهم في السور الاخر من قولهم اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين وكون ذلك القولًا اما انتم ملقون اى ملقون له كائنا ما كان من اصناف السحر فلما القوا ما القوا من العصى والحبال واسترهبوا الناس وجاؤا بسحر مبين قال لهم موسى غير مكترث بهم وبما صنعوا ما اصنعتم به السحر ما موصولة وقعت مبتدأة والسحر خبرها اى الذى جئتم به السحر لا ما تخيلتموه سحرًا وقرئ آلسحر على الاستفهام مما استفهامية اى اى شئ جئتم به اهو السحر الذى يعرف حاله كل احد ولا يتعدى لاعاقل وقرئ ما اصنعتم به سحر وقرئ ما اتيتم به بسحر ودلالتها على المعنى الثانى في القراءة المشهورة اظهر ان الله سيبطله اى سيمحقه بالكلية بما يظهره على يدى من التغير فلا يبقى له اثر اصلًا او سيظهر بطلانه للناس وتوسيط ان بين الفعل والفاعل للتاكيد ان الله لا يصلح عمل المفسدين اى عمل جنس المفسدين على الاطلاق فيدخل فيه السحر دخولًا اوّليًا او عملكم ويكون من باب وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالافساد والاشعار بعلة الحكم والمراد بعدم اصلاح عملهم عدم جعل فسادهم صلاحًا بل عدم اثابته واتمامه اى لا يثبته ولا يكمله بل يمحقه ويهلكه ويسلط عليه الدمار

استطالة عليهم وعلى سائر المبطلين

واظهر

والجملة تعليل لما سبق من قوله ان الله سيبطله والكل اعتراض تذييلي وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق
عطف على قوله تع سيبطله اى يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل في المقامين لادخال الروعة وتربية المهابة بكلماته باوامره
وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالاجرام من السحرة وغيرهم فما آمن لموسى معطوف على مقدر
تفصح عنه مواضع اخر اى فالقى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون الخ وانما لم يذكر تعويلا على ذلك وايثارا للايجاز وايذانا بان قوله تع ان الله سيبطله
مما لا يحتمل العدم اصلا وعطف على ذلك بالفاء مع كونه عدما مستمرا من قبيل ما في قوله عز وجل فاتبعوا فرعون وما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به
فلم ينزجر والسر في ذلك ان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث
اى فما آمن به عم مشاهدة تلك الآيات الباهرة الا ذرية من قومه اى الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون
واجابته طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وماشطته
وهو على خوف اى كائنين على خوف عظيم من فرعون وملئهم الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد في ضمائر العظماء ولا يأباه مقام بيان علوه
في الفساد وعلوه في الشر ولا تسلط على العباد او لان المراد به آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم اى على خوف من فرعون ومن اشراف عشائرهم لانهم
كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ان يفتنهم اى يعذبهم وهو بدل اشتمال او مفعول خوف فان اعمال المصدر المنكر كثير
كما في قوله عز وجل او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما او مفعول بعد حذف اللام واسناد الفعل الى فرعون خاصة لانه الآمر بالتعذيب وان فرعون لعال
في الارض لغالب في ارض مصر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء او في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق
اسباط الانبياء والجملتان اعتراض تذييلي مؤكد لمضمون ما سبق وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم آمنتم بالله
اى صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا وبه ثقوا ولا تخافوا احدا غيره فانه كافيكم كل شر وضر ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله
مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل عليه تع فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع
التخليط ونظيره ان احسن اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت عليه فقالوا مجيبين له من غير تلعثم في ذلك على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين
مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اى موضع فتنة للقوم الظالمين اى لا تسلطهم علينا فيعذبونا او يفتنونا عن ديننا
او يفتنوا بنا ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا وقوله تع ونجنا برحمتك من القوم الكافرين دعاء منهم بالانجاء من سوء جوارهم
وشؤم مصاحبتهم بعد الانجاء من ظلمهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعدما وصفوا بالظلم وفي ترتيب الدعاء على التوكل تلويح بان الداعي حقه ان
[يبني] دعاءه على التوكل عليه تع واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا ان مفسرة لان في الوحي معنى القول اى اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا
تسكنون فيها او ترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة
فان موسى عم كان يصلي اليها واقيموا الصلوة اى فيها امروا بذلك في اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم
وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا اجابة لدعوتهم والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه
رؤساء القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما يفعله كل احد ثم وحد لان بشارة الامة وظيفة صاحب الشريعة
ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان وللاشعار بانه المدار في التبشير وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة
اى ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما واموالا وانواعا كثيرة من المال في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم
بلفظ الامر بما علم بممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت او للعلة لان ايتاء النعم
على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها ذريعة الى الضلال فكأنهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول وتنبيها
على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله تع ربنا اطمس على اموالهم الطمس المحق وقرئ بضم الميم اى اهلكها واشدد
على قلوبهم اى اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان كما هو قضية شأنهم فلا يؤمنوا جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي وعطف

اشارة الى ان الالف واللام للعهد او عوض عن المضاف اليه

[illegible]

بيني

متن انبت

علة تقديمه سيكونها عاقبة

اى وسيلة

على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض حتى يروا العذاب الأليم اى جازيتهم وعاقبتهم بحيث لا ينفعهم ذلك وذاك قال قد اجيبت دعوتكما
يعنى موسى وهرون وانما لم يؤمن كما يشعر به اضافة الرب الى ضمير المتكلم مع الغير فى المواقع الثلثة فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه
من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتماه كائن من وقته لا محالة روى انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين
لا يعلمون اى بجاداته سبحانه فى تعليق الامور بالحكم والمصالح او سبيل الجهلة فى الاستعجال وعدم الوثوق بوعد الله تعالى وقرئ بنون الخفيفة
وكسرها على التقاء الساكنين ولا يتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر هو من جاوز المكان اذا خطاه وخلفه
والباء للتعدية اى جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلنا ماءه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرئ جوزنا وهو من التجويز المرادف للمجاوزة
لا انه هو بمعنى التفعيل كما وقع فى قول الاعشى كما جوزت الكى فالباب فتيق والا لقيل وجوزنا بنى اسرائيل فى البحر وتخلا النظم الكريم عن الايذان
بانفصالهم عن البحر وبمفارقته الغاية التى لا تحتمل لهم عند الجواز كما هو المشهور فى الفرق بين اذهبه وذهب فاتبعهم بتشديد التاء اتبعه اذا تبعه
اذا كان سبقك فلحقته اى ادركه ولحقهم فرعون وجنوده حتى تراءت الفئتان وكاد يجمع الجمعان بغيا وعدوا ظلما واعتداء اى بغيا
وعادين او للبغى والعدوان وقرئ عدوا وذلك ان موسى لما خرج ببنى اسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم ثم لحقهم ووصل
الى الساحل وهم قد خرجوا من البحر وسلكهم باقيا على حاله يبسا فسلكه بجنوده اجمعين فلما دخل آخرهم وهم اوائلهم بالخروج وغشيهم من اليم ما غشيهم
حتى اذا ادركه الغرق اى الحقه وابلجه قال آمنت انه اى بانه والضمير للشان وقرئ انه على الاستئناف بدلا من آمنت وتفسيره
لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل لم يقل كما قاله السحرة آمنا برب العالمين رب موسى وهرون بل عبر عنه تعالى بالموصول
وجعل صلة ايمان بنى اسرائيل به تعالى للاشعار برجوعه عن الاستعصاء وبابتاعه لمن كان يستتبعهم طمعا فى القبول والانتظام معهم فى سلك النجاة
وانا من المسلمين اى الذين اسلموا انفسهم لله اى جعلوها سالمة خالصة له تعالى واراد بهم اما بنى اسرائيل خاصة والمراد الجنس وهم داخلون فيه دخولا
اوليا والجملة على الاول عطف على آمنت والتكرير لاستمرار الاستعصاء لاد عاء الدوام والاستمرار وعلى الثانى تجعل الحالية ايضا من ضمير المتكلم اى آمنت
مخلصا لله منتظما فى سلك المؤمنين فيه وفى تكرير المعنى الواحد ثلث عبارات حرصا على القبول المفضى الى النجاة وتحصيلها بعد ما فات
ولات ما هو آت وقوله عز وجل الآن مقول لقول مقدر معطوف على قال اى فقيل الآن وهو على قوله تعالى آية حكاية لما جرى من سبحانه
من الغضب على المخذول ومقابلة ما اظهره بالرد على وجه الانكار والتوبيخ على توبيخه وتقريعه بالعصيان والافساد وغير ذلك فى ضمن الفعل المذكور
وابراز الخبر المحكى فى صورة الانشاء من الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب مالا يخفى كما لا يخفى عما روى من ان جبريل عليه السلام دسّ فاه
عند ذلك بحال البحر وسدّ به فاه تاكيدا للرد العقلى بالرد النقلى ولا ينافيه تعليله بمخافة ادراك الرحمة فيما نقل انه قال للنبى عليه السلام فلو رأيتنى
يا محمد وانا آخذ من حال البحر وادسه فى فيه مخافة ان تدركه الرحمة اذ المراد بها الرحمة الدنيوية اى النجاة التى هى طلبة المخذول ليس
من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما فى ايمان قوم يونس عليه السلام مما يستقبح فى شان جبريل من الرضاء بالكفر اذ لا استحالة فى ترتب
هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الايمان وان كان ذلك فى حالة اليأس والتباس فيحمل دسه على سد باب الاحتمال البعيد بكمال الغيظ وشدة
الحرد فتدبر والله الموفق وحتى العامل فى الظرف ان يقدر مؤخرا ليتوجه الانكار والتوبيخ الى تاخير الايمان الى حد يمتنع قبوله فيه اى الآن تؤمن
حين يئست من الحيوة وايقنت بالممات وقوله تعالى وقد عصيت قبل حال من فاعل الفعل المقدر جئ به لتشديد التوبيخ والتقريع على تاخير
الايمان الى هذا الآن ببيان انه لم يكن تاخيره لعدم بلوغ التاخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والافساد فان قوله وكنت
من المفسدين عطف على عصيت داخل فى حيز الحال اى وكنت من الغالبين فى الضلال والاضلال عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فساد الراجع الى نفسه والسارى الى غيره من الظلم والتعدى وصد بنى اسرائيل
عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص به فاليوم ننجيك اى نخرج مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا وفى التعبير عنه بالتنجية
تلويح بان مراده بالايمان هو النجاة كما قررتكم به او نلقيك بناحية الساحل ببدنك فى موضع الحال من ضمير المخاطب اى نجيئك طافيا

ببدنک فقط لا مع روحک کما هو مطلوبک فهو تخییب له وتهکم لا طماعه بالمرة او عاریا عن اللباس او کاملا او ببدرعک وکانت له درع
من الذهب یعرف بها وقرئ بابدانک ای باجزاء بدنک کلها کقولهم هوی باجرامه او ببدرو علی کانه کان مطاوحا ابها لتکون لمن خلفک
لمن وراءک علامة وهم بنو اسرائیل اذ کان فی نفوسهم من عظمته ما خیل الیهم انه لا یهلک حتی یروی انهم لم یصدقوا موسی لما اخبرهم
بغرقه الی ان عاینوه مطروحا علی ممرهم من الساحل او لتکون لمن یاتی بعدک من الامم اذا سمعوا مآل امرک ممن شاهدک عبرة ونکالا
من الطغیان او حجة تدلهم علی ان الانسان وان بلغ الغایة القصوی من عظم الشان وعلو الکبریاء وقوة السلطان فهو مملوک مقهور
بعید عن مظان الربوبیة وقرئ لمن خلفک من الجبابرة وقرئ لمن خلقک ای لتکون لخالقک آیة کسائر الآیات فان افراده
سبحانه ایاک بالالقاء الی الساحل دلیل علی انه قصد منه لکشف تزویرک واماطة الشبهة فی امرک وبرهان نیر علی کمال علمه وقدرته
وحکمته وارادته وهذا الوجه محتمل علی القراءة المشهورة ایضا وفی تعلیل تنجیته بما ذکر ایذان بانها لیست لاعزازه او لغائدة اخری
عائدة الیه بل لکمال الاستهانة به وتفضیحه علی رؤس الاشهاد وزیادة تفضیح حاله کمن یقتل ثم یجر جسده فی الاسواق او یدار برأسه
واللام الاولی متعلقة بننجیک والثانیة بمحذوف وقع حالا من آیة ای کائنة لمن خلفک وان کثیرا من الناس عن آیاتنا
غافلون ای لا یتفکرون فیها ولا یعتبرون بها وهو اعتراض تذییلی جیئ به عند الحکایة تقریرا لفحوی الکلام المحکی ولقد بوأنا
بنی اسرائیل کلام مستانف سیق لبیان النعم الفائضة اثر نعمة الانجاء علی وجه الاجمال واخلالهم بشکرها واداء حقوقها ای اسکنا
وانزلناهم بعد ما انجیناهم واهلکنا اعداءهم مبوأ صدق ای منزلا صالحا مرضیا وهو الشام ومصر ملکوها بعد الفراعنة
والعمالقة وتمکنوا فی نواحیها حسبما نطق به قوله تعالی واورثنا القوم الذین کانوا یستضعفون مشارق الارض ومغاربها التی بارکنا
فیها ورزقناهم من الطیبات ای اللذائذ فما اختلفوا فی امور دینهم حتی جاءهم العلم ای الا بعد ما جاءهم العلم بقراءتهم
التوریة وعلمهم باحکامها او فی امر محمد علیه السلام الا من بعد ما علموا صدق نبوته وتظاهر معجزاته فالمراد بالمختلفین اعقابهم الذین
کانوا فی عصر النبی علیه السلام ان ربک یقضی بینهم یوم القیمة فیما کانوا فیه یختلفون فیمیز بین المحق والمبطل بالاثابة
والتعذیب فان کنت فی شک ای فی شک ما یسیر علی الفرض والتقدیر فان مضمون الشرطیة انما هو تعلیق شیء بشیء من غیر تعرض
لامکان شیء منهما کیف وقد یکون کلاهما ممتنعا کقوله عز وجل قل ان کان للرحمن ولد فانا اول العابدین وقوله تعالی لئن اشرکت
لیحبطن عملک ونظائرهما مما انزلنا الیک من القصص التی من جملتها قصة فرعون وقومه واخبار بنی اسرائیل فاسئل الذین
یقرؤن الکتاب من قبلک فان ذلک محقق عندهم ثابت فی کتبهم حسبما القیناه الیک والمراد اظهار نبوته علیه السلام بشهادة الاحبار
حسبما هو المسطور فی کتبهم وان لم یکن الیه حاجة اصلا او وصف اهل الکتاب بالرسوخ فی العلم بصحة نبوته علیه السلام او تهییجه علیه السلام وزیادة
تثبیته علی ما هو علیه من الیقین لا تجویز صدور الشک منه علیه السلام ولذلک قال علیه السلام لا اشک ولا اسأل وقیل المراد بالموصول مؤمنوا اهل الکتاب
کعبد الله بن سلام وتمیم الداری وکعب واضرابه وقیل الخطاب للنبی علیه السلام والمراد امته او لکل من یسمع ای ان کنت ایها السامع
فی شک مما انزلنا الیک علی لسان نبینا وفیه تنبیه علی ان من خالجته شبهة فی الدین ینبغی ان یسارع الی حلها بالرجوع الی اهل
العلم
قیل فاسئل الذین یقرؤن الکتب لقد جاءک الحق الذی لا محید عنه ولا ریب فی حقیته من ربک وظهر ذلک بالآیات القاطعة
التی لا یحوم حولها شائبة الارتیاب وفی التعرض لعنوان الربوبیة مع الاضافة الی ضمیره علیه السلام من التشریف ما لا یخفی فلا تکونن من الممترین
بالتزلزل عما انت علیه من الجزم والیقین ودم علی ذلک کما کنت من قبل فلا تکونن من الذین کذبوا بآیات الله من باب التهییج
والالهاب والمراد به اعلام ان التکذیب من القبح والمحذوریة بحیث ینبغی ان ینهی عنه من لا یتصور امکان صدوره عنه فکیف
بمن یمکن اتصافه به وفیه قطع لاطماع الکفرة فتکون بذلک من الخاسرین انفسا واعمالا ان الذین حقت علیهم
شروع فی بیان سر اصرار الکفرة علی ما هم علیه من الکفر والضلال ای ثبتت ووجبت بمقتضی المشیة المبنیة علی الحکم البالغة

كلمة ربك حكمه وقضاؤه بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار كقوله تع ولكن حق القول مني لاملأن جهنم الخ لا يؤمنون
ابدا اذ لا كذب لكلماته ولا انتقاض لقضائه اى لا يؤمنون ايمانا نافعا واقعا في اوانه فيندرج فيهم المؤمنون عند معاينة العذاب
مثل فرعون بانيا عند اللوت فمن فهم المرتدون ولو جاءتهم كل آية واضحة الدلول مقبولة لدى العقول لان سبب ايمانهم وهو
تعلق ارادته تعالى به مفقود لكن فقدانه ليس بمنع منه سبحانه استحقاقهم بل سوء اختيارهم المنتفي على عدم استعدادهم لذلك حتى يروا
العذاب الاليم كدأب آل فرعون واضرابهم فلو لا كانت كلام مستانف لتقرير ما سبق من استحالة ايمان من حقت عليهم كلمة ربك
لسوء اختيارهم مع علمهم بم الندارك فيكون الاستثناء الآتي بيانا لكون قوم يونس ع ممن لم يحق عليه الكلمة لاهتدائهم الى التدارك
في وقته ولو لا بعض هذا وقرئ كذلك اى فهلا كانت قرية من القرى المهلكة آمنت قبل معاينة العذاب ولم يؤخر ايمانها الى حين
معاينته كما فعل فرعون وقومه فتنفعها ايمانها بان يقبله الله تعالى منها ويكشف بسببه العذاب عنها الا قوم يونس استثناء
منقطع اى لكن قوم يونس لما آمنوا اى كما رأوا امارة العذاب لم يؤخروا الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا
بعد ما أظلهم وكاد يحل بهم ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي كما ينصح عنه حرف التخضيض فيكون الاستثناء متصلا والمراد بالقرى
اناسها كانه قيل ما آمنت طائفة من الامم العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ع فيكون قوله تع لما آمنوا استئنافا لبيان نفع
ايمانهم ويؤيده قراءة الرفع على البدلية ومتعناهم بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم الى حين مقدر لهم في علم الله سبحانه
روى ان يونس ع لما تعب الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا
اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ع لم اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان عذابا اسرع اليك العذاب آمنا بك فلما مضت خمس وثلثون او ست
السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم هبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد
بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وهولادها تخن بعضها الى بعض وعلت الاصوات
بالعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضه
بلغ من توبتهم ان تتاردوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع على اساس بنائه فيرده الى صاحبه وقيل خرجوا الى شيخ
من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت
فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله
ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك لآمن من في الارض تحقيق لدوران ايمان كافة المكلفين وجودا وعدما
على قطب مشيته تعالى مطلقا اثر بيان سعة كنوز الكرة لكلمة ومفعول المشية محذوف لوجود ما يقتضيه من وقوعها شرطا
وكون مفعولها مضمون الجزاء وان لا يكون في تعلقها به غرابة كما هو المشهور اى لو شاء سبحانه ايمان من في الارض من الثقلين
لآمن كلهم بحيث لا يشذ عنهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه لكونه مخالفا لما اقتضته الحكمة التي عليها مبانى
التكوين والتشريع وفيه دلالة على ان من شاء الله تع ايمانه يؤمن لا محالة افانت تكره الناس على ما لم يشأ الله منهم جميعا
بني عنه حرف الامتناع في الشرطية والفاء للعطف على مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل اربك لا يشاء ذلك فانت تكرههم حتى يكونوا
مؤمنين فيكون الانكار متوجها الى ترتب الاكراه المذكور على عدم مشيته تع ويجوز ان يكون الفاء لترتيب الانكار على عدم مشيته تع
بناء على ان الهمزة متأخرة في الاعتبار وانما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو رأى الجمهور وايا ما كان فالمشية على الاطلاق
اذ لا فائدة بل لا وجه لاعتبار عدم مشية الالجاء خاصة في انكار الترتب عليه او ترتب الانكار عليه وفي ايلاء الاسم حرف الاستفهام
ايذان بان الاكراه امر ممكن لكن الشان في المكره فيه وما هو الا هو وصف ولا يشارك فيه لانه القادر على ان يفعل في قلوبهم ما
يضطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه ايذان باعتبار الالجاء في المشية كما اشير اليه وما كان لنفس بيان لتبعية

ايمان النفوس المؤمنة بمشيته تع وجودا بعد دوران الكلى عليها وجودا وعدما اى ماصح وما استقام لنفس من النفوس التى علم الله تعالى
انها تؤمن ان تؤمن الا باذن الله اى بتسهيله ومنحه للالطاف انما خصت النفس بمن ذكر ولم يجعل من قبيل قوله تع وما كان
لنفس ان تموت الا باذن الله لان الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اى ماكان لنفس ان تؤمن فى حال من الاحوال الا حال كونها ملتبسة باذنه تعالى
فلابد من كون الايمان مما يؤول اليه حالها كما ان الموت حال لكل نفس بحيث لا محيص لها عنه فلابد من تخصيص النفس بمن ذكر فان النفوس التى
علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيها حتى يستثنى تلك الحال عن غيرها ويجعل الرجس اى الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس الذى هو
عبارة عن القبيح المستقذر المستنكر المكون عقلا فى القبح والاستكراه وقيل هو العذاب او الخذلان المؤدى اليه وقرئ بنون العظمة وقرئ
بالراء اى يجعل الكفر ويبقيه على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر فى الحجج والآيات اولا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم
من الطبع فلا يحصل لهم الهداية التى عبر عنها بالاذن فيبقون معمورين بقبائح الكفر والضلال او معمورين بالعذاب والنكال والجملة معطوفة
على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم كانه قيل فباذن لهم بمنح الالطاف ويجعل الخ قل مخاطبا لاهل مكة بعثا لهم على التدبر فى ملكوت السموات
والارض وما فيهما من تعاجيب الآيات الانفسية والآفاقية ليتضح ذلك لهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم كلمة العذاب انظروا
اى تفكروا او قرئ بنقل حركة الهمزة الى الواو قل ماذا فى السموات والارض اى اى شئ بديع فيهما من عجائب صنعه الدالة على وحدته وكمال
قدرته على ان ماذا جعل بالتركيب اسما واحدا منصبا فيه الاستفهام على اسلوب الآية فهو مبتدأ خبره الظرف ويجوز ان يكون ما مبتدأ
وذا بمعنى الذى والظرف صلته والجملة خبر للمبتدأ فى محل النصب باسقاط الخافض وفعل النظر متعلق بالاستفهام وما تغنى اى ما تنفع
وقرئ بالتذكير الآيات وهى التى عبر عنها بشواهد ذلك فى السموات والارض والنذر جمع نذير على انه فاعل بمعنى منذر اى على انه مصدر
اى الا تنفع الآيات والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون فى علم الله سبحانه وحكمه فانافية والجملة اما حالية او اعتراضية
ويجوز كون ما استفهامية فى موضع النصب على المصدرية اى اى اغناء تغنى الخ فالجملة اعتراضية فهل ينتظرون اى ينتظر كفرة
واخرابهم الا مثل ايام الذين خلوا اى الا يوما مثل ايام الذين خلوا من قبلهم من مشركى الامم الماضية اى مثل وقائعهم ونزول
بأس الله بهم اذ لا يتوقعون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل تهديدا لهم فانتظروا ما هو عاقبتكم انى معكم من المنتظرين
لذلك ثم ننجى رسلنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه قوله مثل ايام الذين خلوا وما بينهما اعتراض جئ به
مسارعة الى التهديد ومبالغة فى تشديد الوعيد كانه قيل اهلكنا الامم الماضية ثم ننجى رسلنا المرسلة اليهم والذين امنوا
وصيغة الاستقبال لحكاية الاحوال الماضية لتهويل امرها باستحضار صورها وتاخير حكاية النجية عن حكاية الاهلاك على عكس ما فى قصة نوح
فنجيناه ومن معه فى الفلك الخ ونظائره الواردة فى مواقع عديدة ليتصل به قوله عز وعلا كذلك اى مثل ذلك الانجاء حقا
علينا اعتراض بين العامل والمعمول اى حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذى ناب عنه كذلك اى انجا مثل ذلك حقا والكاف
متعلقة بقوله ننجى المؤمنين اى من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين اما الجنس للتناول
للرسل ومن والاتباع واما الاتباع فقط وانما لم يذكر انجاء الرسل ابتداء بعدم الحاجة اليه وانما بما كان فيه تنبيها على ان مدار النجاة
هو الايمان قل لجمهور المشركين يا ايها الناس او ايها المخاطب بالجنس مصدرا بحرف التنبيه تعميما للتبليغ واظهارا
لكمال العناية بشان ما بلغ اليهم ان كنتم فى شك من ديني الذى اتعبده الله به عز وجل وادعوكم اليه ولم تعلموا ما هو
وما صفته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله فى وقت من الاوقات ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون
العذاب اى ما علموا انه تخصيص العبادة به تعالى ورفض عبادة ما سواه من الاصنام وغيرها مما تعبدونه جهلا وتقديم ترك عبادة الغير
على عبادة الله تعالى لتقدم التخلية على التحلية كما فى كلمة التوحيد وللايذان بالمخالفة من اول الامر اى ان كنتم فى شك من صحة ديني وسداده
فاعلموا ان خلاصة اخلاص العبادة لمن بيده الايجاد والاعدام دون ما هو بمعزل منهما من الاصنام فاعرضوا عما على عقولكم واجيلوا فيها

افكاركم وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا انه حق لا ريب فيه وفي تخصيص التوفي بالذكر متعلقا بهم ما لا يخفى من التهديد والتعبير عما هم فيه بالشك مع كونهم قاطعين لعدم الصحة للايذان بان اقصى ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته واما القطع بعدمها فمما لا سبيل اليه او ان كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا اني لا اتركه ابدا واوثر ان اكون من المؤمنين بادخل عليه النفي ونطق به الوحي وهو تصريح بان ما عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف بل بالامداد السماوي والتوفيق الالهي وحذف حرف الجر من ان يكون من باب الحذف المطرد مع ان وان يكون خافضا بفعل الامر كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون خلا ان صلة ان محله بصيغة الامر ولا ضير في ذلك لان مناط جواز وصلها بصيغ الانشاء دلالتها على القصد وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك اي واوثر بالاستقامة في الدين وان استبداد في بادآء المأمور به والانتهاء عن المنهي عنه او باستقبال القبلة في الصلوة وعدم الالتفات في الوجه الى اليمين والشمال حنيفا حالا من الدين او الوجه اي مائلا عن الاديان الباطلة ولا تكونن من المشركين عطف على اقم داخل تحت الامر اي لا تكونن منهم اعتقادا ولا عملا وقوله عز وعلا ولا تدع عطف على قوله تعالى قل يا ايها الناس غير داخل تحت الامر وقيل على ما قبله من النهي والوجه هو الاول لان ما بعده من الجمل الى آخر الآيتين متسقة لا يكاد يفصل بعضها عن بعض كما ترى ولا وجه لاندراجه تحت الامر وهو تاكيد للنهي المذكور وتفصيل لما اجمل اظهارا لكمال العناية بالامر وكشفا عن وجه بطلان ما عليه المشركون اي لا تدع من دون الله استقلالا ولا اشتراكا ما لا ينفعك اذا دعوته بدفع مكروه او جلب محبوب ولا يضرك اذا تركته لسلب المحبوب دفعا او رفعا او بابقاء المكروه وتقديم النفع على الضر غني عن بيان السبب فان فعلت اي ما نهيت من دعاء ما لا ينفع ولا يضر كنى به عنه تنويرا بانا نهوم وتنبيها على رفعة مكانه من ان يتسبب اليه عبادة غير الله سبحانه ولو في ضمن الجملة الشرطية فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسال عن نتيجة ما نهي عنه وان يمسسك الله بضر تقرير لما ورد في حيز الصلة من سلب النفع من الاصنام وتصوير لاقتضاءه سبحانه فلا كاشف له عنك كائنا من كان وما كان الا هو وصح فيثبت عدم كشف الاصنام بالطريق البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا فان رفع المكروه ادنى مراتب النفع فاذا انتفى انتفى النفع بالكلية وان يردك بخير تحقيق لسلب الضر الوارد في حيز الصلة اي ان يرادك بسوء فلا راد لفضله الذي من جملته ما اراد ان يمسك من الخير فهو دليل على جواب الشرط الاخير والجزاء وفيه ايذان بان فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه اي لا احد يتعدى على رده كائنا ما كان فيدخل فيه الاصنام دخولا اوليا وهو بيان لعدم ضرها بدفع المحبوب قبيل وقوعه المستلزم لعدم ضرها برفعه او بابقاء المكروه استدراكا جليا ولعل ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للايذان بان الخير مرادا بالذات والضر انما يمس من يمسه لما يوجبه من الذنوب اي انما رضينا بالقصد الاولي او اريد مع الفعلين في كل من الخير والضر وانه لا راد لما يريد منهما ولا مثير لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر في احدهما المتسبب في الآخر الارادة ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الآخر على انه قد صرح بالاصابة حيث قيل يصيب به اظهارا لكمال العناية بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاستثناء اي يصيب بفضله الواسع المستتبع لما اراد من به الخير وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على ان يكون من باب وضع المظهر موضع المضمر لما ذكر من الفائدة يا باه قوله عز وجل من يشاء من عباده فان ذلك ينادي بعموم الفضل وقوله عز قائلا وهو الغفور الرحيم تذييل لقوله تع يصيب به الخ مقرر لمضمونه والكل تذييل للشرطية الاخيرة محقق لمضمونها قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الاحكام التي من جملتها ما قررناه من اصول الدين والطعن على ما في تضاعيفه من البيتان والهدى والموعظة فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما في مطاويه فانما يهتدي لنفسه اي لمنفعة اهتدائه لها خاصة ومن ضل بالكفر به والاعراض عنه فانما يضل عليها اي فوبال الضلال مقصور عليها ولا تتعدى سيئة

الرسالة عن شائبة غرض عائد اليهم من جلب نفع او دفع ضر كما يلوح به اسناد المجئ الى الحق من غير اشعار بكون ذلك بواسطته
وما انا عليكم بوكيل بحفيظ ماكول الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع اعتقادا وعملا وتبليغا ما يوحى اليك على نهج التجدد والاستمرار
من الحق المذكور تاكيدا مفيدا ما فوق التعبير عن جلوة اليهم بالمجئ واليهم بالوحى تنبيه على ما بين المرتبتين من التفاوت واصبر على ما يعتريك من مشاق
التبليغ حتى يحكم الله بالنصرة عليهم او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يكون الخطاء فى حكمه كالطلاعه على السرائر الطلاعه على الظواهر عن ابن عباس
من قرأ سورة يونس اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق يونس وكذب به وبعدد من غرق بفرعون والحمد لله على التمام

سورة هود وهى مائة وثلث وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

الر محله الرفع على انه خبر لمبتداء محذوف وقيل على انه مبتدأ والاول هو الاظهر كما اشير اليه فى سورة يونس ام النصب بتقدير فعل يناسب
المقام نحو اذكر او اتلو على تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر او لا محل له من الاعراب مسرود على نمط التعديد حسبما فصل فى اخواتها
كتاب خبر على الوجه الثانى ولمبتداء محذوف على الوجوه الباقية احكمت ايانه نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه او حكمت
حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها او نسخ من النسخ بعض التغيير مطلقا او اديرت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله
عز وجل او على ثبوت مدلولاتها فالمراد بالايات جميعها او على صفة ما يشتمل عليها من الاحكام الشرعية فالمراد بها بعضها المشتمل عليها كما اذا فسر
الاحكام بالمنع فى النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعى خاصة واما تفسيره بالمنع فى الفساد اقتضاء من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة
تمنعها من الجماع فغير ملائم لما لا يخفى دليقى بيان الايات الكريمة من الدعاء الى الفساد لولا المانع وقد اسناد الاحكام الى الوجوه المذكورة
الى آيات الكتاب دون نفسه كما سيجئ على الوجوه الثلثة لكل آية آية من حسن الموقع والدلالة على كونه فى اقصى غاية منه ما لا يخفى ثم فصلت
اى جعلت فصولا فى الاحكام والدلائل والمواعظ والقصص او فصل فيها مهمات المعاد فى المعاش والمعاد على الاسناد المجازى والتغيير
بجعلها آية آية لا يساعده المقام لان ذلك من الاوصاف الاولية لها فلا يناسب عطفه على احكامها بكلمة التراخى ولما المعنيان الاولان
فيهما ان كانا مع الاحكام زمانا حيث لم تنزل الايات محكمة مفصلة الا آنها احكمت او فصلت بعد ان لم يكن كذلك اذ المعلل من قبيل
قولهم سجان من صغر البعوض وكبر الفيل الا انهما حيث كانا فى صفات الايات باعتبار نسبة بعضها الى البعض على وجه يستتبع احكاما مخصوصة
واثارا معتدا بها وبملاحظة مصالح العباد مناسب بان يشار الى تراخى رتبتها عن رتبة الاحكام وان حمل جعل آية آية على معنى تنزيل بعضها
عن بعض يكون من هذا القبيل الا انه ليس فى مثابة فى استتباع ما يستتبعه من الاحكام والآثار او فرق فى التنزيل منجما بحسب المصالح
فان اريد تنزيلها منجما بالفعل فالتراخى زمانى وان اريد جعلها فى نفسها بحيث يكون تنزيلها منجما مما يقتضيه الحكمة والمصلحة فهو تراخى
لان ذلك وصف لازم لها حقيق بان يرتب على وصف احكامها وقرئ احكمت ايانه ثم فصلت على صيغة التكلم وعن عكرمة والضحاك
ثم فصلت اى فرقت بين الحق والباطل من لدن حكيم خبير صفة للكتاب وصف بها بعد ما وصف ما بحكام آياته وتفصيلها الدالتين
على بنيته من حيث الاضافة او خبر بعد خبر للمبتداء المذكور او المحذوف او صلة للفعلين وفى بنائهما للمفعول ثم ايراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة
والاحاطة بجلائلها ودقائقها منكرا بالتنكير التفخيمى وربطهما به لا على النهج المعهود فى اسناد الافاعيل الى فواعلها مع رعاية حسن الطباق
من الجزالة والدلالة على فخامتها وكونهما على الكمل ما يكون ما لا يكتنه كنهه ان لا تعبدوا الا الله مفعول له حذف عنه اللام مع فقدان الشرط
اعنى كونه فعلا لفاعل المعلل جريا على احسن القياسين المطردين حذف حرف الجر مع ان المصدر بتة كما فى قيل كتاب احكمت ثم فصلت
لئلا تعبدوا الا الله اى لتشكروا عبادة غير الله وحل وتتحضوا فى عبادته فان الاحكام والتفصيل على ما فصلت فى المعانى عما يدعوهم الى الاباء والتوصيد
وما يترتب عليه من الطامات قالته وقيل ان متعسفة لما فى التفصيل من معنى القول اى قيل لا تعبدوا الا الله انتنى لكم منه اى من جهته لسدة تنزيه
انذركم بعقابه وبشير ابشركم بثوابه ان آمنتم به وتحضتم فى عبادته ولما ذكر شئون الكتاب من احكام آياته وتفصيلها المكونين ذلك من قبل الله
وادير معظم ما انتظم فى سلك العلة اردفه الامر بالتوحيد وترك الاشراك وتوسط بينه وبين قرينه اعنى الاستغفار والتوبة ذكرا ان من نزل عليه ذلك الكتاب

مرسل من عند الله تعالى لتبليغ احكامه وترشيحها بالمؤيدات من الوعد والوعيد للايذان بان التوحيد في اقصى مراتب الاهمية حتى افرد بالذكر و
ايجابه بالخطاب عقيب الكتاب مع تلويح بانه مما لا يتحقق في نفسه الا مقارنا للحكم برسالته عليه السلام وكذلك لا ينفك احدهما عن الآخر وقد روعي في سوق
الخطاب بتقديم الانذار على التبشير ما روعي في الكتاب من تقديم النفي على الاثبات والتخلية على التحلية لتتجاوب اطراف الكلام ويجوز ان يكون
قوله تعالى ان لا تعبدوا الا الله كلاما منقطعا عما قبله واردا على لسانه عليه السلام اغراء لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كانه قيل ترك عبادة غير الله
اي الزموه على معنى اتركوا عبادة غير الله تعالى تركا مستمرا انني لكم من جهته تعالى نذير وبشير اي نذير انذركم من عقابه على تقدير ترككم له او توحيدكم
ولما سبق اليهم ضرب التوحيد واكد ذلك بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم على وجه الانذار والتبشير شرع في ذكر ما هو من تتماته على وجه يتضمن تفصيل
ما اجمل في وصف البشير والنذير فقيل وان استغفروا ربكم وهو معطوف على ان لا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين فعلى الاول ان مصدرية
لجواز كون صلتها امرا او نهيا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر وهو موجود فيهما
ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا يوصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي
فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب مساغ وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك
عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة عن معنى المضي والاستقبال ثم توبوا اليه عطف على استغفروا والكلام فيه كالكلام فيما فعل ما فصل
من الاحكام والتفصيل لتخصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا فيه منه ستر ما فرط منكم من الشرك ثم ترجعوا اليه بالطاعة او استمروا على ما انتم عليه
من التوحيد والاستغفار وتستغفروا من الشرك وتتوبوا من المعاصي وعلى الثاني ان مفسرة اي قيل لهم في اثناء تفصيل الآيات لا تعبدوا الا الله
واستغفروا ثم توبوا اليه والتعرض لوصف الربوبية تلقين للمخاطبين وارشاد لهم الى طريق الابتهال في السؤال وترشيح لما يعقبه من التمتيع
بقوله تعالى يمتعكم متاعا حسنا اي يمتعكم تمتيعا وانتصابه على انه مصدر حذف عنه الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا او على انه مفعول به
وهو اسم لما يتمتع به من منافع الدنيا من الاموال والبنين وغير ذلك والمعنى يعيشكم عيشا رغدا لا يفوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينغصه شيء
من المكدرات الى اجل مسمى مقدر عند الله عز وجل هو آخر اعماركم ولما كان ذلك غاية لا يطمح وراءها طامح جرى التمتيع المذكور مجرى
التأبيد عادة او لا يهلككم بهلاك الاستيصال ويؤت كل ذي فضل في الطاعة والعمل فضله جزاء فضله اما في الدنيا او في الآخرة
وهذا تكملة لما اجمل من التمتيع الى اجل مسمى وتبيين لما عسى يبهم فهم حكمه من بعض ما يتفق في الدنيا من تفاوت الحال بين العاملين
فرب انسان له فضل طاعة وعمل لا يمتع في الدنيا اكثر مما متع آخر دونه في الفضل وربما يكون المفضول اكثر تمتيعا فقيل ويعط كل فاضل جزاء
فضله اما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد واما في الآخرة وذلك مما لا مرد له وهذا ضرب تفصيل لما اجمل فيما سبق من البشارة ثم شرع في الانذار
فقيل وان تولوا اي تتولوا عما القي اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة وانما اخر عن البشارة جريا على سنن تقدم الرحمة على الغضب
او لان العذاب قد علق بالتولي عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعي سابقة ذكره وقرئ تولوا من ولّى فاني اخاف
عليكم بموجب الشفقة والرأفة او اتوقع عذاب يوم كبير هو يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى الا يظن اولئك
انهم مبعوثون ليوم عظيم اما لكونه كذلك في نفسه او وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل في قوله تعالى ثقلت في السموات والارض وقيل
يوم الشدائد وقد ابتلوا بقحط اكلوا فيه الجيف واياما كان ففي اضافة العذاب اليه تهويل وتفظيع له الى الله مرجعكم رجعكم بالموت ثم البعث
للجزاء في مثل ذلك اليوم لا الى غيره جميعا لا يتخلف منكم احد وهو على كل شيء قدير فيندرج في تلك الكلية قدرته على اماتتكم ثم احيائكم فيعذبكم
بابلغ انواع العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما القي اليهم فحوى الكتاب على لسان النبي عليه السلام وسيق اليهم ما ينبغي ان يساق
من الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع انهم بعد ما سمعوا مثل هذا المقال الذي تخر له صم الجبال هل قابلوه بالاقبال ام تمادوا فيما كانوا عليه
من الاعراض والاضلال فقيل مصدرا بكلمة التنبيه اشعارا بان ما يعقبها من هناتهم امر يجب ان يفهم ويتعجب منه الا انهم يثنون صدورهم
يزورون عن الحق وينحرفون عنه اي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي والاعراض لان من اعرض عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه

وهذا

وهذا معنى جزل مناسب لما سبق وقد نحا نحوه العلامة الزمخشري ولكن حيث لم يحصل التوصل سببا للاستخفاء في قوله عز وجل ليستخفوا منه
التجأ الى اضمار الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنون على اغراضهم وجعله في حرف المعنى اليه
من قبيل الاضمار في قولهم اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق ولا يخفى ان انسياق الذهن الى توسيط الارادة بين
ثني الصدر وبين الاستخفاء ليس كانسياقه الى توسيط الضرب بين الامر بين الانفلاق ولعل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم
على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا فيها كما يعطف الثياب على ما فيها من الاشياء
المستورة ولما لم يذكر ذلك استئنافا بذكره اوايماء الا ان ظهوره مغن عن ذكره او كيذهب في هذا السامع الى ما لا يجري فيه الامور
المذكورة فيدخل فيه ما ذكر من توليهم عن الحق الذي القي اليهم وهو الاولى فيما يظهر وجه كونه ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حلو السباق للحديث يظهر لرسول الله عليه السلام
المحبة ويضمر في قلبه ما يضاد ذلك وقال ابن شداد انها نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره
وظهره وطاطأ رأسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه ويؤيد ذلك
ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق وقرئ يثنون صدورهم بالتاء والثاء من اثنوف افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة
وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كتثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعول من الثني وهو ما يثنى من الكلاء وضعف
بانه يعطف وعة صدورهم للثني كما يثنى الهشيم من النبات اوانا وة ضعف ايمانهم ورداءة قلوبهم تشئن من اشأن افعال منه
ثم همز كما قيل في ياجوج وماجوج وقرئ تثنوى بوزن ترعوى الا حين يستغشون ثيابهم اي يتغطون بها للاستخفاء
على ما نقل عن ابن شداد او حين يأوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فان ما يقع في حديث النفس عادة وقيل كان
رجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويجتهد ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي يعلم ما يسرون اي يضمرون
في قلوبهم وما يعلنون اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط بسترهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما يظهرونه فانما قدم السر على العلن
نعيا عليهم من اول الامر ما صنعوا واينذانا بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه تحقيقا للمساواة بين العلانية والبلوغ وجه فكان علمه
بما يسترونه اقدم منه بما يعلنونه ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء عكس ما
وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق باشعار ان المحاسبة بالاخفاء اولى منها بالابداء بل
غرض بل الامر بالعكس واما ههنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تعالى بما يسترونه اولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كونهما على السوية
كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه فوق هذا المعنى لا يخلف
المال بين الاشياء البارزة والكامنة واما قوله تعالى واعلم ما يبدون وما يكتمون فحيث كان وارد ابصدد الخطاب مع الملكة عدم
المزية مقامهم عن اقتضاء التاكيد والمبالغة في الاخبار بالمحاطة علمه تعالى بالظاهر والباطن لم يسلك فيه المسلك مع انه وقع الغيبة
بما قبله من قوله عز وجل اني اعلم غيب السموات والارض ويجوز ان يكون ذلك بالاعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلنه
الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه سبحانه بحالة الاولى انه عليم بذات الصدور تعليل لما سبق وتوكيد
واقع موقع الكبرى من القياس وفي صيغة التفعيل وتخلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير عن الضمائر بعنوان صاحبيتها مع البراءة
مالا يصفه الواصفون كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا يخفى عليه شيء
فكيف يخفى عليه ما يسترون وما يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب من قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والمعنى انه
عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه شيء من اسرارها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها الملائم لها
من حيث الخلق ومن حيث الايصال اليها بطريق طبيعي او ارادي لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما جيء على طريق الوجوب

اعتبارا لسبق الوعد وتحقيقا لوصوله اليها البتة وحملا للمكلفين على الثقة به تعالى والاعراض عن الكل الى التوكل في طلبه ويعلم مستودعا محل قرارها في الاصلاب ومستودعها موضعها في الارحام وما يجري مجراها من البيض ونحوها وانما خص اسم كل من الامرين بما خص من المكانين لان النطفة بالنسبة الى الاصلاب في حيز الطبيعي ومنشأ الخلق وانما بالنسبة الى الارحام وما يجري مجراها فهو مودعة فيها الى وقت معين او مستقرها في الارض حين وجدت بالفعل ومودعها المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الارض والمعنى ما من دابة في الارض الا يرزقها الله تعالى حيث كانت من اماكنها يسوقه اليها ويعلم مواد بنيتها المختلفة المندرجة في مراتب الاستعدادات المتفاوتة المنظورة في الاطوار المتباينة ومقارها المتنوعة وينفذ عليها في كل مرتبة ما يليق بها من مبادي وجودها وكمالاتها المتنوعة عليه وقد فسر المستودع بالمكان في الرحم ولا يلائمه مقام التفصيل بازدواجها كل في الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في كتاب مبين اي مثبت في اللوح المحفوظ المبين لمن ينظر فيه من الملئكة عليهم السلام والمظهر لما اثبت فيه للناظرين فكما انتهى الامر الى انه سبحانه وتعالى يحيط بجميع احوال ما في الارض من المخلوقات التي لا تكاد تحصى من مبدا فطرتها الى منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبدا خلق السموات والارض والحكمة الداعية لذلك فقيل وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام السموات في يومين والارض في يومين وما عليها من انواع الحيوان والنبات وغير ذلك في يومين صيما فصلا في سورة السجدة ولم تذكر خلق ما في الارض لكونه من تتمات خلقها وهو السر في جعل زمان خلقها في اربعة ايام والمراد بالايام الاوقات كما في قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اي في ستة اوقات اي مقدارها من ايام فان اليوم في المتعارف زمان كون الشمس فوق الارض ولا يتصور ذلك حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على خلقها دفعة دليل على انه قادر مختار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور واما تخصيص ذلك العدد المعين فلاستئثار بعلم ما يقتضيه علام الغيوب جلت حكمته وانما صيغ الجمع في السموات لما هو المشهور من الاشارة الى كونها اجراما مختلفة الطباع ومتفاوتة الآثار والاحكام وكان عرشه قبل خلقها على الماء ليس تحته شئ غيره سواء كان بينهما فرجة او كان موضوعا على متنه كما ورد في الاثر فلا دلالة على المكان الخلاء كيف ولا دليل لدل على وجوده لا على امكانه فقط ولا على كون الماء اول ما حدث في العالم بعد العرش فانما تدل على ان خلقها اقدم من خلق السموات والارض من غير تعرض للنسبة بينهما ليبلوكم متعلق بخلق اي خلق السموات والارض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها انتم ورتب فيها جميع ما تحتاجون اليه من مبادي وجودكم واسباب معاشكم واودع في تضاعيفها من تعاجيب الصنائع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يبتليكم انكم احسن عملا فيجازيكم بالثواب والعقاب غب ما تتبين المحسن من المسئ وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المرتبة على انظارهم فيما نصب من الحجج والدلائل والآيات والى مراتب اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلعم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به فكل اشرف من الثاني فكذا الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد اثر ذي اثير وانما طريقها النظري التفكر في بدائع صنائع الملك الخلاق والتدبر في آياته البينات المنصوبة في الانفس والآفاق ولا طاعة بدون فهم ما في مطاوي الكتاب الحكيم من الاوامر والنواهي وغير ذلك مما لا يدخل في الباب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على اخي يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك للتفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه مثل عمل اهل الارض تعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر وانظائره وكذلك جرى مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المتفاوتة الى الحسن والقبيح ايضا لان الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد

والعرش الجسم المحيط بسايه الاجسام اسمن لارتفاعه وتقدمه على الكل رد للبيضاوي

بالذات والمقصود الاصلي تمام ذكر من ابداع ملك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على
الوجوه اللائقة والكمال الرائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يجيد احد عن سنة المستبين بل المهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه
من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبها بحسب القوة والضعف والكثرة والقلة واما الاعراض عن ذلك والوقوع
في مهاوي الضلال فمعقول من الاندراج تحت النوع فضلا عن ان ينظم ظهوره في سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل
يصدر عن علم بسوء اختياره من غير معنى له ولا ترتيب ولا يخفى ما فيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر
عن مباشرة نقائضها والله تعالى اعلم ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت على ما يوجبه مقتضى الابتلاء لترتب عليه الجزاء
المتنوع على ظهور مراتب الاعمال ليقولن الذين كفروا ان وجه الخطاب في قوله تعالى انكم الى جميع المكلفين فالموصول مع صلته
للتخصيص اي ليقولن الكافرون منهم وان وجه الى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم ان هذا الا سحر مبين اي مثله
في الخديعة او البطلان وهذا اشارة الى القول المذكور اولى القرآن فان الاخبار عن كونهم مبعوثين وان لم يجب كونه بطريق
الوحي المتلو الا انهم عند سماعهم ذلك يخلصون الى القرآن لانباءته عنه في كل موضع وكونه علما عندهم في ذلك فعدوا الى تكذيبه
وتسميته سحرا اتماديا منهم في العناد وتعاميا عن سنن الرشاد وقيل هو اشارة الى نفس البعث والابلاغ التسمية بالسحر فانه
انما يطلق على شيء موجود ظاهرا لا اصل له في الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم بحت وتعلق الآية الكريمة بما قبلها اما من حيث
ان البعث كما اشير اليه من تتمات الابتلاء المذكور فكانه قيل الا ترى كما ذكر ومع ذلك ان اخبرتهم بمقدمة فذة من مقدماته
وقضية فردة من تتماته لا يتلعثمون في الرد وبعدون ذلك من قبيل ما لا صحة له اصلا فضلا عن تصديق ما هم من تتماته واما من حيث
ان البعث خلق جديد فكانه قيل وهو الذي خلق جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بانه يعيدهم تارة
اخرى وهو اهون عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وقرئ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة للاتيان
او الى القرآن على اسلوب شعر شاعر وقرئ بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او على ان انك بمعنى عنك في علمك اي ان قلت
لعلكم مبعوثون على ان الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين اي توقعوا ذلك ولا تبتوا القول بانكاره او على انه حكاية ان معهم
في الكلام على نهج المساعة لئلا يسارعوا الى اللجاج والعناد ربما وقع اسماعهم بت القول بخلافه الغواة الغواة اعلى اباءهم من البعث
ويكون ذلك داعيا لهم الى التأمل والتدبر وما فعلوه فانما هم الذين يوقنون ولئن اخرنا عنهم العذاب المترتب على بعثتهم الموعود في قوله تعالى فان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنه قبل جبريل عليه السلام يحبس
والظاهر ان المراد بالعذاب الشامل للكفرة دون ما يخص بعضهم منهم على انه لم يكن موعودا استعمل منه المحرومون الى امة معدودة الى طائفة
من الايام قليلة لان ما يحصره العد قليل ليقولن ما يحبسه اي اي شيء يمنعه من المجيء فكانه يريد فيمنعه مانع وانما كانوا يقولونه
بطريق الاستعجال استهزاء فعوملوا بما كانوا به يستهزؤن ودوادهم انكار المجيء والحبس بالاعراف به والالتفات بالاعراض عن خطابهم
الا يوم يأتيهم ذلك ليس مصروفا محبوسا عنهم على معنى انه لا يرفعه رافع ابدا ان اريد به عذاب الآخرة او لا يدفعه عنكم
دافع بل هو واقع بكم ان اريد به عذاب الدنيا ويوم منصوب بخبر ليس مقدما عليه واستدل البصريون على جواز تقديمه على ليس اذا المعمول
تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع متبوعه وورد بان الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا وبانه قد يقدم المعمول حيث لا يجال التقدم
العامل كما في قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فان اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المؤخرين قد تقدما عليهما
مع امتناع تقدم الفعل عليهما قال ابو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم معموله
الا ما دل عليه ظاهر هذه الآية الكريمة وقول الشاعر فيا بي فما يزداد الا لحاجة وكنت ابيا ذا الحي لست اقدم وحاق بهم
اي احاط بهم ما كانوا به يستهزؤن اي العذاب الذي كانوا يستعجلون به استهزاء وفي التعبير عنه بالموصول تهويل المكان

الناصية

واشعار بعلية ما ورد في حيز الصلة من استهزائهم به لنزوله واحاطته والتعبير عنهما بالماضي لوارد على عادة الله تعالى في اخباره لانهما في تحققها
وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر وتقرير وقوع المخبر به ما لا يخفى • ولئن اذقنا
الانسان منا رحمة • اي اعطيناه نعمة من صحة وامن وجدة وغيرها واوصلناها اليه بحيث يجد لذتها • ثم نزعناها منه • اي سلبناها
اياها وايراد النزع للاشعار بعلاقة تعلقه بها وحرصه عليها • انه ليؤس • شديد القنوط من ان تعود اليه امثالها
عاجلا او آجلا بفضل الله تعالى لقلة صبره وعدم توكله عليه وثقته به • كفور • عظيم الكفران لما سلف من النعم وفيه اشارة الى ان النزع
انما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من نعم الله عز وجل وتاخيره عن وصف يأسهم مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل على ان اليأس
من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عن افاضة امثالها في العاجل وايصال اجرها في الآجل من باب الكفران للنعمة السالفة ايضا • ولئن
اذقناه نعماء بعد ضراء مسته • كصحة بعد سقم وجدة بعد عدم وفرج بعد شدة وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق
المؤذن بلذتها وكونهما مما يرغب فيه وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونها في ادنى ما ينطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها واسناد
الاول الى الله عز وجل دون الثاني ما لا يخفى من الجزالة والدلالة على ان مراده تعالى انما هو ايصال الخير المرغوب فيه على احسن ما يكون
وانه تعالى انما يريد بعباده اليسر دون العسر وانما ينالهم ذلك بسوء اختيارهم نيلا يسيرا كانما يلاصق البشرة من غير تاثير واما نزع
الرحمة فانما صدر عنه بمقتضى الحكمة الداعية الى ذلك من كفرانهم بها كما سبق وتنكير رحمة باعتبار لحوق النزع بها • ليقولن
ذهب السيئات عني • اي المصائب التي ساءتني ولن يعتريني بعد امثالها كما هو شان اولئك الاشرار فان الترقب لورود
امثالها مما يكدر السرور وينغص العيش • انه لفرح • بطر واشر بالنعم مغتر بها • فخور • على الناس بما اوتي من النعم مشغول
بذلك عن القيام بحقها واللام في لئن في الآيات الاربع موطئة للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط • الا الذين صبروا •
على ما اصابهم من الضراء سابقا او لاحقا ايمانا بالله واستسلاما لقضائه • وعملوا الصالحات • شكرا على آلائه السالفة واللاحقة
واللام في الانسان اما للاستغراق فالاستثناء متصل او للعهد فمنقطع • اولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيزه
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة • لهم مغفرة • عظيمة
لذنوبهم وان جمت • واجر • ثواب لاعمالهم الحسنة • كبير • ووجه تعلق الآيات الثلث بما قبلهن من حيث ان اذاقة النعماء
ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من الاجمال الواقع في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا والمعنى ان كلا
من اذاقة النعماء ونزعها مع كونه ابتلاء للانسان ايشكر ام يكفر لا يهتدي الى سنن الصواب بل يحيد في كلتا الحالتين عنه
الى مهاوي الضلال فلا يظهر منه حسن عمل الا من الصابرين الصالحين ومن حيث ان انكارهم بالبعث واستهزاءهم بالعذاب
بسبب بطرهم وفخرهم كانه قيل انما فعلوا ما فعلوا لان طبيعة الانسان مجبولة على ذلك • فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك
من البينات الدالة على حقية نبوتك المنادية بكونها من عند الله عز وجل لمن له اذن واعية وضائق به صدرك اي عارض لك
ضيق صدر بتلاوته عليهم وتبليغه اليهم في اثناء الدعوة والمحاجة ان يقولوا لان يقولوا تعاميا عن تلك البراهين التي لا تكاد
تخفى صحتها على احد ممن له ادنى بصيرة وتماديا في العناد على وجه الاقتراح • لولا انزل عليه كنز • مال خطير مخزون يدل على صدقه
او جاء معه ملك • يصدقه قيل قاله عبد الله بن امية المخزومي وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا
جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال آخرون ائتنا بالملائكة يشهدوا بنبوتك فقال لا اقدر على ذلك فنزلت فكانه عليه السلام
لما عاين اجتراءهم على مثل هذه الاقتراحات العظائم غير قانعين بالبينات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من ارباب العقول
وشاهد ركوبهم من المكابرة متن كل صعب وذلول • مسارعين الى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها سحرا حل عليه السلام
محل من يتوقع منه ان يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات الناطقة عليهم وتبليغها اليهم فحمل على الحذر منه بما في لعل من الاشفاق

على اقتراح مثل هذه العظائم صح

انما انت نذير • ليس عليك الا الانذار بما اوحى اليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول • والله على كل شئ وكيل • يحفظ احوالك واحوالهم فتوكل عليه في جميع امورك فانه فاعل بهم ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير فيما قص عليه من اصناف المحن • ام يقولون افتريه • اضرب بالم المنقطعة عن ذكر تركهم اعتدادهم بما يوحى وتهاونهم به وعدم اقتناعهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدلالة على كونه من عند الله عز وجل وعاصفية نبوته عليه الصلوة والسلام وشروع في ذكر اركاكهم لما هو اشد منه واعظم وما فيها من الجهرة والتوبيخ والانكار والتعجيب والضمير المستكن في افتراه للنبي صلى الله عليه وسلم والبارز لما يوحى اى بل ايقولون افتراه وليس من عند الله • قل • ان كان الامر كما تقولون • فاتوا • انتم ايضا • بعشر سور مثله • في البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسورا اى امثاله وتوحيده اما باعتبار مماثلة كل واحد منها او لان المطابقة ليست بشرط حتى يوصف المثنى بالمفرد كما في قوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا او للايجاز لان وجه الشبه ومدار المماثلة في الجمع شئ واحد هو البلاغة الموازية الى مرتبة الاعجاز فكان الجميع واحدا • مفتريات • صفة اخرى لسور اخرت عن وصفها بالمماثلة للايذان بان الصفة المقصودة بالتكليف انما هي ظهر عجزهم وقعودهم عن المعارضة واما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه في مقام التحدي فانما ذكر على نهج المساهلة وارخاء العنان ولانه لو عكس بالترتيب لتوهم ان المراد هو المماثلة في الافتراء والمعنى فاتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة مختلقات من عندانفسكم ان صح اني اختلقته في عندي فانكم اقدر على ذلك مني لانكم عرب فصحاء بلغاء قد مارستم مبادي ذلك من الخطب والاشعار وحفظتم الوقائع والايام وزاولتم اساليب النظم والنثر • وادعوا • للاستظهار في المعارضة • من استطعتم • دعاءه والاستعانة به من الهتكم التي تزعمون انها مجدة لكم في كل ما تأتون وما تذرون والكهنة ومدارسكم الذين تلجأون الى آرائهم في المهمات ليسعدوكم فيها • من دون الله • متعلق بادعوا اى متجاوزين بهم الله تعالى ان كنتم صادقين • في اني افتريته فان ذلك يستلزم امكان الاتيان بمثله وهو ايضا يستلزم قدرتكم عليه والجواب محذوف يدل عليه المذكور فان لم يستجيبوا لكم • اى فان لم يفعلوا ما كلفتموه من الاتيان بمثله كقوله تعالى فان لم يستجيبوا لك • واتما عبر عنه بالاستجابة ايذانا الى انهم على كمال امن من اجابته لهم بالاتيان بمثله دعاءه لهم الى ما يريد وقوعه والضمير في لكم للرسول ص والجمع للتعظيم كما في قوله تعالى وان شئت حرمت النساء سواكم • اولا للمؤمنين لانهم اتباع له ص في الامر بالتحدي وفيه تنبيه لطيف على ان صنعهم ان لا يكتفوا عنه وبناصبوا معه لمعارضة المعاندين كما كانوا يفعلونه في الجهاد وارشاد الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ في الايمان والطمانينة بالايقان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل • فاعلموا • اى اعلموا حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع تهالكهم عليها علما يقينيا مثل ما حصل العين اليقين بحيث لا مجال للشائبة ريب بوجه من الوجوه كان ما عداه من مراتب العلم ليس بعلم لكن لا لاشعار بالحط من تلك المراتب بل بارتفاع هذه الرتبة وبه يتضح سر ايراد كلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل سائر المراتب منزلة العدم مستتبع لتنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه او اثبتوا واستمروا على ما كنتم عليه من العلم • انما انزل • ملتبسا • بعلم الله • المخصوص به بحيث لا يكون حوله العقول والافهام مستبدة الخصائص الاعجاز من جهتي النظم الرائق والاخبار بالغيب • وان لا اله الا هو • واعلموا ايضا ان لا شريك له في الالوهية واحكامها اولا يقدر على ما يقدر عليه احد • فهل انتم مسلمون • اي مخلصون في الاسلام او ثابتون عليه وهذا من باب التثبيت والترقية الى معارج اليقين ويجوز ان يكون الخطاب في الكل للمشركين من جهة الرسول ص داخلا تحت الامر بالتحدي والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اى فان لم يستجب لكم آلهتكم وسائر من اليهم تجارون في مهماتكم وملماتكم والمعاونة والمظاهرة فاعلموا ان ذلك خارج عن دائرة قدرة البشر وانه منزل من خالق القوى والقدر فابرزوا كلمة الشك مع الجزم بعدم الاستجابة من جهة آلهتهم تهكما بهم وتسجيلا عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الامر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث انه مسبوق بالدعاء المسبوق بعجزهم واضطرارهم فكانه قيل فان لم يستجيبوا لكم عند التجائكم اليهم بعد ما اضطررتم الى ذلك وضاقت عليكم الحيل وعيت

تكملة
وان شئت الحق نقطا والا بريدا

بكم العلل ومن حيث ان يستدرون بهم اقوى منهم في اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم وان كان ذلك قبل ظهور عجز انفسهم
اظهروا وضحوا واعلموا ايضا ان آلهتكم معزولون عن رتبة الشركة في الالوهية واحكامها فهل انتم داظلون في الاسلام اذا لم يبق بعد شائبة
شبهة في حقيته وفي بطلان ما كنتم فيه من الشرك فيدخل فيه الاذعان لكون القرآن من عند الله تعالى دخولا اوليا او منعا دون اللحق الاولى
هو كون القرآن من عند الله تعالى وتاركون لما كنتم فيه من المكابرة والعناد وفي هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه
على قيام الموجب في زوال العذر وانقطاع من ان يجبرهم الهتهم من بأس الله عز سلطانه هذا والاول انسب لما سلف من قوله تع وضائق به
صدرك والثاني يأتي من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الخ من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
اي ما يزينها ويحسنها من الصحة والامن في الرزق وكثرة الاولاد والرياسة وغير ذلك والمراد بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال
لا مجرد الارادة العلية لقوله تع نوف اليهم اعمالهم فيها وادخال كان عليها للدلالة على استمرارهم منهم بحيث لا يكادون يريدون
الا قوة اصلا وليس المراد باعمالهم اعمالهم كلها فانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل ما يهواه فان ذلك منوط بالمشية الجارية على حقيقته
كما نطق به قوله تع من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل اعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الامور المذكورة بطريق الاجر
والجزاء من اعمال البر وقد اطلقت واريد بها ثمراتها فالمعنى نوصل اليهم ثمرات اعمالهم في الحيوة الدنيا كاملة وقرئ يوف على الاسناد الى الله
عز وجل وتوف بالنون القائمة على البناء للمفعول ورفع اعمالهم وقرئ نوف بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضيا كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة
يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها اي في الحيوة الدنيا لا يبخسون اي لا ينقصون وانما عبر عن ذلك بالبخس الذي هو نقص الحق
مع انه ليس لهم شائبة حق فيها اولا وتا كما عبر عن اعطاء الحقوق مع ان اعمالهم معزول من كونها موجبة لذلك بناء
للامر على ظاهر الحال ومحافظة على صور الاعمال ومبالغة في نفي البعض كان ذلك نقص لحقوقهم فلا يفظ تحت الوقوع والصدور عن الكرام اصلا
والمعنى انهم فيها خاسة لا ينقصون ثمرات اعمالهم واجورها نقصا كليا مطردا ولا يجرمونها رأسا كليا واما في الآخرة فهم في الجزاء المطلق والناس
المحقق كما ينطق به قوله تع اولئك فانه اشارة للاولين المذكورين باعتبار ارادتهم الحيوة الدنيا او باعتبار توفيهم اجورهم من غير بخس او باعتبار
معا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في سوء الحال اي اولئك المريدين للحيوة الدنيا وزينتها والموفون فيها ثمرات اعمالهم من غير
بخس الذين ليس لهم في الآخرة الا النار لان اعمالهم كانت معروفة الى الدنيا واعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد اجتنبوا ثمرتها
ولا يكونوا يريدون بها شيئا آخر فلا جرم لم يكن لهم في الآخرة الا النار وعذابها الخلد وحبط ما صنعوا فيها اي ظهر في الآخرة حبوط
ما صنعوه من الاعمال التي كانت تؤدي لا للثواب لو كانت معمولة للآخرة او حبط ما صنعوه في الدنيا من اعمال البر اذ شرط الاعتداد بها
الاخلاص وباطل اي في نفسه ما كانوا يعملون في اثناء تحصيل المطالب الدنيوية ولاجل ان الاول من شانه استتباع الثواب
والاجر وان عدمه لعدم مقارنته للايمان والنية الصحيحة وان الثاني ليس من حقه صالحة قط على ما الاول المحبوط الموزن بسقوطه بصيغة
الفعل المبني عن الحدوث وبالثاني البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته اصلا بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا
فيه وفي زيادة كان في الثاني دون الاول ايماء الى ان صدور اعمالهم البر منهم وان كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام كصدور الاعمال
التي هي من مقدمات مطالبهم الدنية وقرئ وبطل على الفعل اي ظهر بطلانه حيث علم عناك ان ذلك مما يستتبع من الحظوظ الدنيوية تماما طائل
تحته اذا انقطع اثره الدنيوي فبطل مطلقا وقرئ وباطلا ما كانوا يعملون على ان ما الهامية او في معنى المصدر كقوله ولا فارجا من في
زور كلام معن انيس رضان المراد بقوله تع من كان يريد الخ اليهود والنصارى ان اعطوا سألوه وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة
في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا مع المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في الغنائم وانت خبير بان ذلك انما كان
بعد الهجرة والسورة مكية وقيل هم اهل الرياء ينال للغزاة منهم اردت ان تنال فلانا قارئ فقد قيل ذلك وبهذا الغير ممن يعمل اعمال البر
للوجه اصلا فعلى هذا لا بد من تقييد قوله تع ليس لهم الا النار بان ليس لهم بسبب اعمالهم الرياءية الا ذلك والذي يقتضيه جزالة النظم

الكريم

الكريم أن المراد به مطلق الكتبة بحيث يندرج فيهم المعاندون في القرآن العظيم اندراجا أوليا فانه عز وعلا أمر نبيه عليه السلام والمؤمنين
بأن يزدادوا علما ويقينا وأن القرآن منزل بعلم الله تعالى بأن لا قدرة لغيره على شئ أصلا وحجتهم على الثبات على الاسلام والترسخ فيه عند ظهور عجز
الكتبة وما يدعون من دون الله عن المعارضة وتبين أنهم ليسوا على شئ أصلا اقتضى الحال أن يتعرض لبعض شئونهم الموجبة لكونهم على شئ من الجملة
من تبليغ الخطوب العاجلة واستتباعهم على المطالب الدنيوية وبيان أن ذلك بمعزل من الدلالة عليه وكتب بين ذلك أي بيان ثم أعيد الترغيب فيما ذكر
من الايمان بالقرآن والتوحيد والاسلام فقيل أفمن كان على بينة من ربه أي برهان نير عظيم الشان يدل على حقية ما رغب الناس عليه
من الاسلام وهو القرآن وما عباره أو تبا ويل البرهان ذكر الضمير الراجع اليها في قوله تعالى ويتلوه أي يتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله تعالى
وهو الاعجاز في نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه أو ما وقع في بعض آياته من الاخبار بالغيب وكلاهما وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل
غير انه على تقدير الأول يكون في الكلام اشارة الى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلا بعلم الله
بشهادة الاعجاز منه أي من القرآن غير خارج عنه أو من جهته تعالى فان كلا منهما وارد من جهته تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير
ان يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك أيضا من الشواهد التابعة للقرآن الواردة من جهته تعالى
فالمراد بمن في قوله تعالى أفمن كل من اتصف بهذه الصفة الجميلة فيدخل فيها دخولا أوليا طبقا بقوله فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وقيل هو النبي عليه السلام
وقيل مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأخرابه وقيل المراد بالبينة دليل وبالشاهد القرآن فالضمير في منه لله عز وجل والبينة القرآن
ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل أو لسان النبي عليه السلام على ان الضمير له ومن التلو والشاهد ذلك لفظه والأول هو الأول ولما كان المراد بتلو
الشاهد للبرهان اقامة الشاهد بصحته وكونه من عند الله تعالى تابعا له بحيث لا يفارقه في مشهد من المشاهد فان القرآن بينة باقية على وجه
الدهر مع شاهدها الذي يشهد بأمرها الى يوم القيمة عند كل مؤمن وجاهد عطف كتاب موسى في قوله عز قائلا ومن قبله كتاب موسى
على فاعل يكون متقدما عليه في النزول فكأنه قيل أفمن كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى
وأنما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفا لازما له غير مفارق عنه ولمراعاة فواصل التلو والتكبر في بينة وشاهد للتفخيم أما ما
أي مؤتما به في الدين ومقتدى وفي التعرض لهذا الوصف بصدد بيان تلو الكتاب بالايذان من تفخيم شان المتلو ورحمة أي نعمة عظيمة
على أهل أنزل اليهم ومن بعدهم الى يوم القيمة باعتبار احكامه الباقية المؤيدة بالقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب أولئك الموصوفون
بتلك الصفة الجميلة وهي الكون على بينة من الله ولما أن ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون بطريق التقليد لمن سلف من علماء
الدين من غير غور على دقائق الحقائق وصفهم بانهم يؤمنون به أي يصدقونه حق التصديق حسبما يشهد به الشواهد الحقة الموجبة
عن حقيته ومن يكفر به أي بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة من الاحزاب من أهل مكة ومن يجب معهم على سواء الشم
فالنار موعده يرده لا محالة حسبما نطق به قوله عز وعلا ليس لهم في الآخرة الا النار وفي جعلها موعدا اشعار بان لهم فيها ما لا يوصف
من أنواع العذاب فلا تك في مرية منه أي في شك من أمر القرآن وكونه من عند الله عز وجل غب ما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك
بأنه الحق من ربك الذي يربيك في دينك ودنياك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بذلك لما تقصور أنظارهم واختلال أفكارهم ولما غلب
واستكبارهم فمن في قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه مبتدأ حذف خبره لدلالة ما ذكر وتعديده أمن كان على ضده من ربه كما ذلك الذين
ذكرت أعمالهم وبئس مصيرهم وما لهم يعني أن بينهما تفاوتا عظيما بحيث لا يكاد يرى ما بينهما وأريد الغاء بعد الهمزة لانكار ترتب توهم المماثلة
على ما ذكر من صفاتهم وعقد في صفاتهم كأنه قيل أبعد ظهور حالهم في الدنيا والآخرة كما وصف يتوهم المماثلة بينهم وبين من كان على أحسن ما يكون في العاجل
والآجل كما في قوله تعالى أفاتخذتم من دونه أولياء أي بعد أن علمتم رب السموات والأرض لم تتخذوا من دونه أولياء وقوله تعالى أمن علم أنما أنزل اليك من ربك الحق
كمن هو أعمى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا بان نسب اليه ما لا يليق به كقولهم للملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقولهم لآلهتهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله يعني أنهم مع كفرهم بآيات الله تعالى مفترون عليه كذبا وهذا التركيب ان كاد يكون أحد أظلم منهم من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها

ولكن المقصود به قصداً مطرداً انكار المساواة ونفيها وافادة انهم اظلم من كل ظالم كما ينبئ عنه ما سيتلى من قوله عز وجل لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون
فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد به حتماً انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل اولئك الموصوفون بالظلم البالغ الذي هو
الافتراء على الله تعالى وفي هذه الاشارة حصلت الغنية عن اسناد العرض الى اعمالهم والتنبيه باسناده اليهم حيث قيل يعرضون لان عرضهم من تلك الحيثية
وبذلك العنوان عرض لاعمالهم على وجه ابلغ فان عرض العامل بعمله افظع من عرض عمله مع غيبته على ربهم الخ وفيه ايماء الى بطلان رأيهم في اتخاذهم
ارباباً من دون الله عز وجل ويقول الاشهاد عند العرض من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف البليغين الرسالة علق
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بالافتراء عليه كان ذلك امر واضح غني عن الشهادة لوقوعه وانما المحتاج الى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك
فلذلك يقولون هؤلاء كذبوا على ربهم ويجوز ان يكون المراد بالاشهاد الحضار وهم جميع اهل الموقف على ما قاله قتادة ومقاتل ويكون قولهم هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم ذماً لهم بذلك لا شهادة عليهم كما يشعر به قوله ويقول دون ويشهد الخ وتوطئة لما يعقبه من قوله الا لعنة الله على الظالمين
بالافتراء المذكور ويجوز ان يكون هذا على الوجه الاول من كلام الله عز وجل فيه تهويل عظيم لما يحيق بهم من عاقبة ظلمهم اللهم انا نعوذ بك من الخزي
على رؤوس الاشهاد الذين يصدون اي كل من يقدرون على صده او يفعلون الصد عن سبيل الله عن دينه القويم ويبغونها عوجاً
انحرافاً اي يصفونها بذلك وهي ابعد شيء منه او يبغون اهلها ان ينحرفوا عنها يقال بغيتك خيراً او شراً اي طلبت لك وقصدهم بذلك تكذيبهم
بالقرآن وقولهم انه ليس من عند الله وهم بالآخرة هم كافرون اي يصفونها بالعوج والحال انهم كافرون بها الا انهم يؤمنون بها ويعلمون
ان لها سوءاً يهددون الناس اليه وتكرير الضمير لتأكيد كفرهم واختصاصهم به كأن كفر غيرهم ليس بشيء عند كفرهم اولئك مع ما وصف من احوالهم
الموجبة للتدمير لم يكونوا معجزين الله تعالى مفلتين بانفسهم من اخذه لو اراد ذلك في الارض مع سعتها وان هربوا منها كل مهرب
وما كان لهم من دون الله من اولياء ينصرونهم من بأسه ولكن اخر ذلك لحكمة تقتضيه والجمع اما باعتبار افراد الكفرة كانه قيل وما كان لاحد
منهم من ولي او باعتبار تعدد ما كانوا يدعون من دون الله تعالى فيكون ذلك بياناً لحال آلهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية يضاعف لهم العذاب
استئناف يتضمن حكمة تأخير المؤاخذة وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم له
كأنهم لا يقدرون على السمع ولما كان قبح حالهم في عدم اذعانهم للقرآن الذي طريق تلقيه السمع اشد منه في عدم قبولهم لسائر الآيات المنوطة
بالابصار بالغ في نفي الاول عنهم حيث نفى عنهم الاستطاعة واكتفى في الثاني بنفي الابصار فقال وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله
المبسوطة في الانفس والآفاق وهو استئناف وقع تعليلاً لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفي من ولاية الآلهة فان ما لا يسمع ولا يبصر
بمعزل من الولاية وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما نعياً عليهم من اول الامر سوء العاقبة اولئك المنعوتون بما ذكر
من القبائح الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله عز سلطانه وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها
او خسروا ما بذلوا وضاع ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم فيه ثلاثة اوجه الاول ان لا نافية لما سبق وجرم فعل
بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله والثاني ان جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام اي كسب ذلك خسرانهم والمعنى ما حصل من ذلك
الا ظهور خسرانهم والثالث ان لا جرم بمعنى لا بد اي لا بد انهم في الآخرة هم الاخسرون واياً ما كان فمعناه انهم اخسر من كل خاسر
فتبين انهم اظلم من كل ظالم وهذه الآيات الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من انكار المماثلة بين من كان على بينة من ربه وبين من كان
يريد الحياة الدنيا ابلغ تقرير فانهم حيث كانوا اظلم من كل ظالم واخسر من كل خاسر لم يتصور مماثلة بينهم وبين احد من الظلمة الخسرة
فما ظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو في اعلى معارج الكمال ولما ذكر فريق الكفار واعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم شرع في بيان حال اضدادهم اعني
فريق المؤمنين وما يؤول اليه امرهم من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه الآية ليتبين ما بينهما
من التباين البين حالاً ومآلاً فقيل ان الذين آمنوا اي بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج تحته ما نحن بصدده من الآيات والقرآن الذي
عبر عنه بالكون على بينة من الله وانما يحصل ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدي الى ذلك في الانفس والآفاق وعملوا

وتيرا لاوقام تبينا على النحو
محله رفع بالابتداء خبره انهم
في الآخرة ١٥ علق

الايمان كما ويعطى ويمنع وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اى اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخضوع والتواضع من الخبت
وهى الارض المطمئنة ومعنى اخبت دخل فى الخبت كأنهم وأنجد دخل فى نهامة ونجد اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة
اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون وبعد بيان حالتيهما عقبا ايراد بيان بينهما حتما فقيل مثل الفريقين المذكورين
اى حالهما العجيب لان المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال والصفات كالاعمى والاصم والبصير والسميع اى كحال هؤلاء
فيكون ذواتهم كذواتهم والكلام وان امكن ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بالاعمى والاصم وتشبيه الفريق الثانى بالبصير والسميع
لكن الادخل فى المبالغة والاقرب الى ما يشير اليه لفظ المثل والانسب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وبعدم الابصار
ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثانى بمن جمع بين البصر والسمع على ان يكون الواو فى قوله تعالى
والاصم وفى قوله والسميع لعطف القصة على القصة كما فى قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم وايا ما كان
فالظاهر ان المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهى التى يدور عليها امر التشبيه ما يلائم الاحوال المذكورة المعتبرة فى جانب
المشبه به من تعامى الفريق الاول عن مشاهدة آيات الله المنصوبة للنظر اليها بعين الاعتبار وتصامهم عن استماع آيات القرآن الكريم وتلقيها
بالقبول حسبما ذكر فى قوله تعالى يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وانما لم يراع هذا الترتيب ههنا لكون الاعمى اظهر واشهر سوء الحال
من الاصم من استماع الفريق الثانى لكل من ابصارهم واسماعهم فيما ذكر كما ينبغى المدلول عليه بما سبق من الآيات والعمل الصالح والاصابات
حسبما فسر به فيما حز فلا يكون التشبيه تمثيليا لاجميع الاحوال المعدودة لكل من الفريقين مما ذكر وما يؤدى اليه من العذاب المضاعف
والخسران البالغ فى احدهما من النعيم المقيم فى الآخر فان اعتبار ذلك يترتب الى كون التشبيه تمثيليا بان ينتزع من حال الفريق الاول
فى تصامهم وتعاميهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك فى العذاب المضاعف والخسران الذى لا خسران فوقه هيئة فتشبه بهيئة منتزعة
ممن فقد مشوتى البصر والسمع فتخبط فى مسلكه فوقع فى مهاوى الردى ولم يجد الى مقصده وينتزع من حال الفريق الثانى فى استعمال عرم
فى آيات الله تعالى حسبما ينبغى وفورهم بدار الخلود هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملهما فى مهماته فيهتدى الى ما يليه
وينال مرامه هل يستويان يعنى الفريقين المذكورين والاستفهام انكارى تذكير لما سبق من الانكار المماثلة فى قوله عز وجل
افمن كان على بينة الآية تمثلا اى حالا وصفة وهو تمييز من فاعل يستويان افلا تذكرون ايا ما تكونوا فى عدم الاستواء
وما بينهما من التباين او تغفلون عنه فلا تتذكرونه بالتأمل فيما ضرب لكم من المثل فيكون الانكار واردا على المعطوف فقط
او تسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده وهو المثل المضروب كما فى قوله
فان تابا او قتل انقلبتم على اعقابكم فان الخطاب هناك للانكار والانقلاب بعد تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بحلول الرسل قبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم او افلا تعقلون التذكر او افلا تعقلون ومعنى الهمزة انكار عدم التذكر واستبعاد صدوره
عن المخاطبين وانه ليس مما يصح ان يقع لا من قبيل الانكار فى قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى هل يستويان حاش ذلك
لنفى المماثلة ونفى الاستواء لما بين من فاتحة السورة الكريمة الى هذا المقام انها كتاب محكم الآيات مفصلها ناطق بشأن التوحيد وترك
عبادة غير الله سبحانه وان الذى انزل عليه نذير وبشير من جهته عز وجل وقد ترتب تضاعيف ذلك ما له مدخل فى تحقيق هذا المقام من الترغيب
والترهيب والزام المعاندين بما يقارنه من الشواهد الحقة الدالة على كونه من عند الله عز وجل وتسلية الرسول عما عراه من ضيق الصدر العارض له
من اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقرآن تارة سحرا واخرى مفترى وتشبيته هم والمؤمنين على التمسك به والعمل بموجبه على ابلغ
وجه وابدع اسلوب شرع فى تحقيق ما ذكر وتقريره بذكر قصص الانبياء عم المشتملة على ما اشتمل عليه فاتحة السورة الكريمة تأكيدا لذلك بطريق
احد هما ان ما امروا به من التوحيد ودعوة قومهم مما اطبق عليه الانبياء قاطبة والثانى ان ذلك مما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحى فلا يتوقع
كلامهم اصلا وليتسلى بما يشاهده فى معاناة الرسل قبله آلامهم ومقاساتهم الشدائد فى جهتهم فقيل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه الواو لتأكيد

والّلام جواب قسم محذوف وحرفه التاء لا الواو كما في سورة الاعراف لئلا يجتمع واوان ولا يكاد يطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة
التوقع وان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس م وهو اول نبي بعده قال ابن عباس رض
بعث م على رأس اربعين من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة
وقال مقاتل رض بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين
وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة اني لكم نذير بالكسر على ارادة القول اي فقال او قائلا
وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالفتح على اضمار حرف الجر اي ارسلناه ملتبسا بذلك الكلام وهو اني لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح
كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد واقتصر على ذكر كونه م نذيرا الا ان دعوته م كانت بطريق الانذار فقط
الا يرى الى قوله م فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الخ بل لانهم يغتنموا مغانم البشارة م مبين ابين لكم
موجبات العذاب ووجه الخلاص عنه لان الانذار اعلام المحذور لا مجرد التخويف والازعاج للتحذر منه فيتعلق منفعته بكلا وصفيه الا تعبدوا
الا الله اي بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية والباء متعلقة بارسلنا ولا ناهية اي ارسلناه ملتبسا بنهيهم عن الشرك الا انه وسط
بينهما بيان لبعض اوصافه واحواله م وهو كونه نذيرا ليكون ادخل في القبول ولم يفعل ذلك في صدر السورة لئلا يفرق بين الكتاب ومضمونه
بما ليس من اوصافه واحواله او مفسرة متعلقة به او بنذيرا او مفعول المبين وعلى قراءة الفتح بدل من اني لكم نذير مبين وتعيين لما يوجب
وقوع المحذور وتبيين لوجه الخلاص وهو عبادة الله تعالى وقوله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم تعليل لموجب النهي وتصريح
بالمحذور وتحقيق للانذار والمراد به يوم القيمة او يوم الطوفان ووصفه بالعظيم على الاسناد المجازي للمبالغة كما في نحو نهاره صائم وفي نهج المعاني
وما في معناه من تمام كلامه م في اثناء الدعوة على ما عزي اليه في سائر السور لما لم يصدر عنه م مرة واحدة بل كان يكرر ما عليه في تلك المدة المتطاولة على ما نطق
به قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الآيات عطف على فعل الارسال المقارن لها والقول المقدر بعده جوابهم المتوقع من احوال اولي الالباب الذين
اتبعوه م بعد التلبية والفاء للتعقيبية فقيل فقال الملأ الذين كفروا من قومه اي الاشراف منهم من قولهم فلان ملي بكذا اي مطيق
له لانهم ملؤا بكفايات او لانهم ملؤا القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملأ بالاحلام والآراء الصائبة ووصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم
بذلك من اول الامر لا لان بعض اشرافهم ليسوا بكفرة ما نراك الا بشرا مثلنا مرادهم ما انت الا بشر مثلنا ليس فيك مزية تخصك
من دوننا بما تدعيه من النبوة ولو كان كذلك لرأيناه لا ان ذلك محتمل لكن لا نراه وكذا الحال في قولهم وما نراك اتبعك الا الذين
هم اراذلنا بادي الرأي فالفعلان من رؤية العين وقوله تعالى الا بشرا مثلنا حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في بعض الحال منه
اما على حاله او بتقدير قد عند من يشترط ذلك وقد يجوز ان يكون من رؤية القلب وهو الظاهر فهما المفعول الثاني وتعلق الرأي في الاول بالمثلية لا بالبشرية
فقط وانما لم يسوا القول بذلك مع جزمهم به وامرارهم عليه ارادة بان ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعد التامل في الامر والتدبر فيه ولذلك اقتصروا
على ذكر الظن فيما سياتي وتوريتها في اول الامر برأي المتبعين فكان قولهم وما نراك جواب عما يرد عليهم من انه م ليس مثلهم حيث عاين دلائل
نبوته واغتنم اتباعه من له عين تبصر وقلب يدرك فزعموا ان هؤلاء اراذلنا اي اخساؤنا وادانينا جمع ارذل فانه صار بالغلبة جاريا
مجرى الاسم كالاكبر والاكابر او جمع ارذل جمع رذل كالكالب والكلاب وكلب يعنون انه لا عبرة لاتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصالة
رأي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي اي ظاهره من غير تعمق من البدو او في اوله من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها
وقد قرأ ابو عمرو بها وانتصابه على الظرفية على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم
اولي الالباب الراجحة لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهر الحيوة الدنيا كان الاشرف عندهم الاكثر منها حظا والارذل من حرمها
ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وان النعيم انما هو نعيم الآخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه نعوذ بالله من ذلك
وما نرى لكم اي لك ولمتبعيك فغلب المخاطب على الغائبين علينا من فضل يعنون ان اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا يجديكم

فضيلة تستتبع اتباعنا لكم واقتصارهم هنا على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم برذالتهم فيما سبق باعتبار حالهم السابق واللاحق
ومرادهم انهم كانوا اراذل قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة علينا بل نظنكم كاذبين جميعا لكون كلامكم واحدا
ودعواكم واحدة او اياك في دعوى النبوة واياهم في تصديقك واقتصارهم على الظن احتراز منهم عن نسبتهم الى المجازفة ومجاراة معهم
بطريق الاراءة على نهج الانصاف قال يا قوم ارأيتم اي اخبروني فيه ايماء الى ركاكة رأيهم المذكور ان كنت على بينة برهان ظاهر
من ربي وشاهد يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده هي النبوة ويجوز ان يكون هي البينة نفسها جيء بها ايذانا بانها مع
كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه افراد الضمير في قوله فعميت عليكم ح ظاهر وان اريد بها النبوة وبالبينة البرهان
الدال على صحتها فالافراد لارادة كل واحدة منهما او لكون الضمير للبينة والاكتفاء بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوة او لتقدير فعل آخر بعد البينة
ومعنى عميت اخفيت وقرئ عميت ومعناه خفيت وحقيقته ان الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة تجعل عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي
غيره وفي قراءة ابي فعماها عليكم على الاسناد الى الله عز وجل انلزمكموها اي انكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب ارأيتم وساد مسد جواب
الشرط وقرأ ابو عمرو باخفاء حركة الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد قدم اعرفهما جاز في الثاني الوصل والفصل فوصل كما في قوله تعالى
فسيكفيكهم الله وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها ومحصول الجواب اخبروني ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة
على صحة دعواي الا انها خافية عليكم غير مسلمة عندكم ايمكننا ان نكرهكم على قبولها وانتم معرضون عنها غير متدبرين فيها اي لا يكون ذلك
وظاهره مشعر بصدوره عنه عم بطريق اظهار اليأس عن الزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله ولا ينفعكم نصحي الخ لكنه محمول على ان مراده عم
ردهم عن الاعراض عنها وحثهم على التدبر فيها بصرف الانكار الى الالزام حال كراهتهم لها لا الى الالزام مطلقا هذا ويجوز ان يكون المراد
بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك الفضل وبحسبه يتمايز افراد البشر بعضها عن بعض وبه يناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتباء للرسالة
وبالكون عليها التمسك به والثبات عليه وبخفائها على الكفرة على ان يكون الضمير للبينة عدم ادراكهم لكونه عم عليها وبالرحمة النبوة التي
انكروا اختصاصه عم بها بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم ان عهد النبوة لا ينال الا من له فضيلة على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه
دونهم اخبروني ان امتزت عنكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي وآتاني نبوة من عنده فخفيت عليكم تلك البينة ولم تصيبوها
ولم تنالوها ولم تعلموا حيازتي لها وكوني عليها الى الآن حتى زعمتم اني مثلكم وهي متحققة في نفسها انلزمكم قبول نبوتي التابعة لها
والحال انكم لها كارهون لذلك فيكون الاستفهام للحمل على الاقرار وهو الانسب بمقام المحاجة وح يكون كلامه عم جوابا عن شبههم التي
ادرجوها في خلال مقالهم من كونه عم بشرا قصارى امرهم ان يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا لشأفة آرائهم الركيكة ويا قوم
لا اسألكم عليه اي على ما قلته في اثناء دعوتكم مالا تؤدونه الي بعد ايمانكم واتباعكم لي فيكون ذلك اجرا لي في مقابلة اهتدائكم
ان اجري الا على الله الذي يثيبني في الآخرة وفي التعبير عنه حين نسب اليهم بالمال ما لا يخفى من المزية وما انا بطارد الذين آمنوا
جواب عما لوحوا به بقولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا من انه لو اتبعه الاشراف لوافقوهم وان اتباع الفقراء مانع لهم عن ذلك
كما صرحوا به في قولهم انؤمن لك واتبعك الارذلون فكان ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم به عم بذلك انفة من الانتظام معهم
في سلك واحد انهم ملاقوا ربهم تعليل للامتناع عن طردهم اي انهم فائزون في الآخرة بلقاء الله عز وجل كانه قيل لا اطردهم ولا ابعدهم
عن مجلسي لانهم مقربون في حضرة القدس والتعرض لوصف الربوبية لتربية وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن طردهم او مصدقون في الدنيا
بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة فكيف اطردهم وحمله على معنى انهم ملاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان
صحيح ثابت كما ظهر لي او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف
سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون يأباه الجزم بترتب غضب الله تعالى على طردهم كما سيأتي وايضا فهم انما قالوا
ان اتباعهم انما هو بحسب بادي الرأي بلا تأمل وتفكر وهذا لا يكاد يصلح مدارا للطرد في الدنيا ولا للمؤاخذة في الآخرة غايته

أن لا يكونوا في رتبة المؤمنين وادعاء أن بناءهم الإيمان على ظاهر الرأي يؤدي إلى الرجوع عنه عند التأمل فكأنهم قالوا إنهم اتبعوك بلا تأمل
فلا يثبتون على دينك بل يرتدون عنه تعسف لا يخفى ولكني أراكم قوما تجهلون كل ما ينبغي أن يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقاء الله عز وعلا
وبمنزلتهم عنده وبما يستوجب لغضب الله كما سيأتي وبركاكة رأيهم في التماس ذلك وتوقيف إيمانهم عليه أنفة عن الانتظام معهم في سلك واحد وزعما
أن الرذالة بالفقر والشرف بالغنى وإيثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار وتسافهون على المؤمنين بنسبتهم إلى الخسة ويا قوم
من ينصرني من الله بدفع حلول سخطه عني إن طردتهم فإن ذلك أمر لا مرد له لكون الطرد ظلما موجبا لحلول السخط قطعا وإنما
لم يصرح به إشعارا بأنه غني عن البيان لا سيما بعدما قدم ما يلوح به من أحوالهم فكأنه قيل من يدفع عني غضب الله تعالى إن طردتهم وهم بتلك المثابة
من الكرامة والزلفى كما ينبئ عنه قوله تعالى أفلا تذكرون أي أتستمرون على ما أنتم عليه من الجهل المذكور فلا تتذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا
أن ما تأتونه بمعزل عن الصواب ولكون هذه العلة مستقلة بوجه مخصوص ظاهر الدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد أفردت
عن التعليل السابق وصدرت بيا قوم ولا أقول لكم حين أدعي النبوة عندي خزائن الله أي رزقه وأمواله حتى تستدلوا بعدمها
على كذبي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فإن النبوة أعز من أن ينال بأسباب دنيوية ودعواها بمعزل عن
المال والجاه ولا أعلم الغيب أي لا أدعي في قولي إني لكم نذير مبين إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم علم الغيب حتى تسارعوا
إلى الإنكار والاستبعاد ولا أقول إني ملك حتى تقولوا ما نراك إلا بشرا مثلنا فإن البشرية ليست من موانع النبوة بل
من مباديها يعني أنكم اتخذتم فقدان هذه الأمور الثلاثة ذريعة إلى تكذيبي والحال أني لا أدعي شيئا من ذلك ولا الذي أدعيه يتعلق
بشيء منها وإنما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر ولا أقول مساعدة لكم كما تقولون للذين
تزدري أعينكم أي تحتقرهم وتستهينهم من زراه إذا عابه وإسناد الازدراء إلى أعينهم بالنظر إلى قولهم وما نراك اتبعك
إلا الذين هم أراذلنا وإما للإشعار بأن ذلك لقصور نظرهم ولو تدبروا في شأنهم ما فعلوا ذلك أي لا أقول في شأن الذين استرذلتموهم
لفقرهم من المؤمنين لن يؤتيهم الله خيرا في الدنيا أو الآخرة فعسى الله أن يؤتيهم خير الدارين إن قلت هذا القول ليس مما يستنكره
الكفرة ولا مما يتوهم صدوره عنه عليه السلام أصالة أو استتباعا كادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن فما نفاه عليه السلام عن نفسه
بطريق التبرؤ والتنزه عنه فمن أي وجه عطف على نفيها قلت من جهة أن كلا النفيين رد لقياسهم الباطل الذي تمسكوا به فيما سلف فإنهم
زعموا أن النبوة تستتبع الأمور المذكورة وأنها لا تتسنى ممن ليس على تلك الصفات وأن العثور على مكانها واغتنام مغانمها ليس من دأب
الأراذل فأجاب عليه السلام بنفي ذلك جميعا فكأنه قال لا أقول وجود تلك الأشياء من مواجب النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع الخير الله أعلم
بما في أنفسهم من الإيمان وإنما اقتصر على نفي القول المذكور مع أنه عليه السلام جازم بأن الله سبحانه سيؤتيهم أجرا عظيما في الدارين وأنهم على يقين راسخ
في الإيمان جريا على سنن الإنصاف مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم وإرشادا لهم إلى مسلك الهداية بأن اللائق لكل أحد أن لا يبت القول إلا فيما يعلم
يقينا ويبني أموره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة إني إذا أي إني إذا قلت ذلك لمن الظالمين لهم
بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم أو من الظالمين لأنفسهم بذلك فإن وباله راجع إلى أنفسهم وفيه تعريض بأنهم ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم وقيل
إذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن وهو بعيد لأن تبعة تلك الأقوال مغنية عن التعليل بلزوم الانتظام في زمرة
الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فأكثرت جدالنا أي أطلته أو أتيت بأنواعه فإن إكثار الجدال يتحقق بعد وقوع أصله فلذلك
عطف عليه بالفاء أو أردت ذلك فأكثرته كما في قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولما حجهم وأبرز لهم بينات واضحة المدلول وحججا تلقاها العقول
بالقبول وألقمهم الحجر وشبههم الباطلة فضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وقالوا فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل والعذاب الذي أشير في قوله تعالى إني أخاف
عليكم عذاب يوم أليم على تقدير أن لا يكون المراد باليوم يوم القيامة إن كنت من الصادقين فيما تقول قال إنما يأتيكم به الله إن شاء
يعني أن ذلك ليس موكولا إلي ولا هو مما يدخل تحت قدرتي وإنما يتولاه الله الذي كفرتم به وعصيتموه يأتيكم به عاجلا أو آجلا إن تعلقت به مشيئته

النابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعود فكأنه قيل الاتيان به امر خارج عن دائرة قوى البشرية وانما يفعله الله عز وجل وما انتم بمعجزين
بالهرب او بالمدافعة كما تدافعونني في الكلام ولا ينفعكم نصحي النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موقع الغي
ليتقى وموضع الرشد ليقتفى ان اردت ان انصح لكم شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي
وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله تعالى ان كان الله يريد ان يغويكم والتقدير ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم
لا ينفعكم نصحي هذا على ما ذهب اليه البصريون من عدم تقديم الجزاء على الشرط واما على ما ذهب اليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وعلا ولا ينفعكم نصحي جزاء
للشرط الاول والجملة جزاء للشرط الثاني وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الاول وتعلقه به معلق بالشرط الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلتنا فاكثرت
جدالنا صدر عنه اثر اظهار العجز عن الزامهم بالحجج والبينات لتماديهم في العناد بناء على ان ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق النصيحة لهم والشفقة عليهم
وبانه لم يأل جهدا في ارشادهم الى الحق وهدايتهم الى سبيله المستبين وامحاض النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند ارادة الله تعالى لاغوائهم وتقييد عدم نفع النصح
بارادته مع انه محقق لا محالة للايذان بان ذلك النصح منه مقارن للارادة والارادة به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما وقع بازائه من ارادته تعالى
لاغوائهم وانما اقتصر في ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة في بيان غلبة جنابه عز وجل حيث دل ذلك
على ان نصيحته المقارن للاهتمام بها لا يجديهم عند مجرد ارادة الله سبحانه لاغوائهم فكيف عند تحقيق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان للاشعار بتقدم
ارادته تعالى زمانا كتقدمه رتبة وللدلالة على تجددها واستمرارها وانما قدم على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فأتنا بما تعدنا من قوله تعالى
انما يأتيكم به الله ان شاء ردا عليهم من اول الامر وتسجيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل على ان ارادته تعالى
يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده غير واقع وقيل معنى ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل اذا بشم وهلك هو ربكم خالقكم ومالك
امركم واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم لا محالة ام يقولون افتراه قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني نوحا عليه السلام ومعناه بل ايقول قوم نوح
ان نوحا افترى ما جاء به مسندا الى الله عز وجل قل يا نوح ان افتريته بالفرض البحت فعلي اجرامي اي وباله والاجرام كسب
الذنب وقرئ بلفظ الجمع وبنحوه ان فتره الاولون باجرامي وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم
عني ومعاداتكم لي وقال مقاتل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومعناه بل يقول مشركو مكة افترى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نوح فكأنه انما جيء به
في تضاعيف القصة عند سوق طرف منها تحقيقا لحقيتها وتأكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين الى استماعها لا سيما وقد قص منها طائفة
متعلقة بما جرى بينه وبين قومه من المحاجة وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك
اي المصرين على الكفر وهو اقناط له من ايمانهم واعلام بكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه الا من قد آمن الا من قد وجد منه ما كان يتوقع
من ايمانه وهذا الاستثناء على طريقة قوله تعالى الا ما قد سلف فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اي لا تحزن حزن بائس مستكين ولا تغتم بما كانوا
يتعاطونه من التكذيب والاستهزاء والايذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى افعالهم وحان وقت الانتقام منهم واصنع الفلك ملتبسا
باعيننا اي بحفظنا وكلاءتنا كأن معه من الله عز وجل حفاظا وحراسا يكلؤونه باعينهم من التعدي من الكفرة ومن الزيغ في الصنعة ووحينا اليك
كيف تصنعها وتعليمنا والهامنا عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تعالى اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر والامر للوجوب اذ لا سبيل الى صيانة
الروح من الغرق الا به فيجب كوجوبها واللام اما للعهد بان يحمل على ان هذا مسبوق بوحي الله تعالى اليه انه سيهلكهم بالغرق وينجيه ومن معه بشيء سيصنعه
بامره تعالى ووحيه من شأنه كيت وكيت واسمه كذا واما للجنس قيل صنعها في سنتين وقيل في اربعمائة وكانت من خشب الساج وجعلت ثلاثة بطون
حمل في البطن الاول الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وفي البطن الاعلى جنس البشر هو ومن معه مع ما يحتاجون اليه
من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وقيل جعل في الاول الدواب والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى الطير وقيل كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا
وسمكها ثلاثين ذراعا قال الحسن رضي الله عنه كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة
يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب

فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عم هكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة
فمن ثمة شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة
للطير وطبقة للبشر ثم قال عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم وفيه من
فيما لو قيل ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بما يستتبعه اكد التعليل فقيل انهم مغرقون اي محكوم عليهم بالاغراق قد مضى به القضاء
وجف القلم فلا سبيل الى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للآخرين ويصنع الفلك حكاية حال ماضية لاستحضار
صورتها العجيبة وقيل تقديره واخذ يصنع الفلك او اقبل يصنعها فاقتصر على يصنع وايا ما كان ففيه ملائمة للاستمرار المفهوم من الجملة
الواقعة حالا من ضميره اعني قوله تعالى وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة اما لانهم كان يصنعها في برية بهماء
في ابعد موضع من الماء وفي وقت عزته عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا وقيل لانه عم
كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثرا عدوه من باب المحال ثم لما رأوا اشتغاله باسباب الخلاص من ذلك
فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكار ان يكون لعلمه عم عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التي لا تكاد تطاق واستجهاله عم في ذلك
قال ان تسخروا منا مستجهلين لنا فيما نحن فيه فانا نسخر منكم اي نستجهلكم فيما انتم عليه واطلاق السخرية عليه للمشاكلة
وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم منه عم ولذلك تعرض الجميع للمجازاة في قوله تعالى فانا نسخر منكم الخ فكان الكلام من الجانبين وتغليب
استجهاله عم اياهم بما فعلوا من السخرية باعتبار اظهاره ومشافهته عم لهم بذلك لا الافعال عم جاهلين فيما يأتون ويذرون ان خطر
لا تعلق السخرية منهم لكنه عم لم يكن يتصدى لاظهاره جريا على نهج الاخلاق الحميدة وانما اظهره جزاء بما صنعوا بعد اللتيا والتي فان سخريتهم
كانت مستمرة ومتجددة حسب تجدد مرورهم منه ولم يكن يجيبهم في كل مرة والا لقيل ويقول ان تسخروا منا الخ بل انما اجابهم بعد بلوغ اذاهم
الغاية كما يؤذن به الاستئناف فكأن سائلا سأل فقال فما صنع نوح عم عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا اي تنسبونا فيما نحن بصدده
من التأهب والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الجهل وتسخروا منا لاجله فانا ننسبكم اليه فيما انتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالايمان
والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي والتوصل لاسباب حلول سخط الله تعالى التي من جملتها استجهالكم ايانا وسخريتكم منا والتشبيه في قوله عز وجل
كما تسخرون اما في مجرد التحقق والوقوع او في التجدد والتكرر حسبما صدر عن ملأ بعد ملأ لا في الكيفية والاحوال التي لا يليق بشأن
النبي صلى الله عليه وسلم فكلا الامرين واقع في الحال وقيل نسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق
في الآخرة ولعل مراده نعاملكم معاملة من يفعل ذلك لان نفس السخرية مما لا يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لا سداد له لان حالهم اذ ذاك
ليس مما يلائمه السخرية او ما يجري مجراها فتأمل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وهو عذاب الغرق ويحل عليه حلول الدين
المؤجل عذاب مقيم هو عذاب النار الدائم وهو تهديد بليغ ومن عبارة عنهم وهي اما استفهامية في حيز الرفع او موصولة في محل
النصب بتعلمون وما في حيزها ساد مسد مفعوليه او مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان مدار سخريتهم استجهالهم اياه عم
في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في بناء السفينة وكانوا
يعدونه عذابا وقيل بعد استجهالهم فسوف تعلمون من يأتيه العذاب يعني ان ما باشره ليس فيه عذاب لاحق به فسوف تعلمون من المعذب
ولقد اصاب العلم بعد استجهالهم محزه ووصف العذاب بالاخزاء لما في الاستهزاء والسخرية من لحوق الخزي والعار عادة والتعرض لحلول
العذاب المقيم للمبالغة في التهديد وتخصيصه بالمؤجل وايراد الاول بالاتيان في غاية الجزالة حتى اذا جاء امرنا حتى هي التي يبتدأ بها الكلام
دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لقوله ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب لكلما وقال استئناف على تقدير سؤال
سائل كما ذكرناه وقيل هو الجواب وسخروا منه بدل من مر او صفة لملأ وقد عرفت ان الحق هو الاول لان المقصود بيان تناهيهم
في ايذائه عم وتحمله لاذيتهم لا مسارعته عم الى جوابهم كلما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام وفار التنور نبع منه الماء وارتفع بشدة

كما يفور القدر بغليانها والتنور تنور الخبز وهو قول الجمهور روي انه قيل لنوح عم اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع الماء اخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عم وكان من حجارة فصار الى نوح وانما نبع منه وهو ابعد شيء من الماء على خرق العادة وكان في الكوفة موضع مسجدها في يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل السفينة في ذلك الموضع او في الهند او في موضع بالشام يقال له عين وردة وعن ابن عباس رض وعكرمة والزهري ان التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رض فار التنور طلع الفجر قلنا احمل فيها اي في السفينة وهو جواب اذا من كل اي من كل نوع لابد منه في الارض زوجين الزوج ماله شاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد ولازالة ذلك الاحتمال قيل اثنين كل منهما زوج للآخر وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك على اهله وسائر المؤمنين لكونه عريقا فيما امر به من الحمل لانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عم في تمييز بعضه من بعض وتعيين الازواج خاصة روي انه عم قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله تع اليه السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في اليسرى فيجعلهما في السفينة واما البشر فانما يدخل الفلك باختياره فيخف فيه معنى الحمل او لانه انما يحمل بمباشرة البشر وهم انما يدخلونها بعد حملهم اياها واهلك عطف على زوجين او على اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تع ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية والمراد به ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين والاستثناء منقطع ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر كما ستعرفه او متصل ان اريد به الاهل قرابة ويكفي في صحة الاستثناء المعلومية عند المراجعة الى احوالهم والتفحص عن اعمالهم وجيء بعلى لكون السابق ضارا لهم كما جيء باللام فيما هو نافع لهم في قوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ومن آمن من غيرهم وافراد الاهل منهم للاستثناء المذكور وايثار صيغة الافراد في آمن محافظة على لفظ من للايذان بقلتهم كما اعرب عنه قوله عز قائلا وما آمن معه الا قليل قيل كانوا ثمانية نوح عم واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن ابن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وعنه ايضا انهم كانوا عشرة سوى نسائهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء واعتبار المعية في ايمانهم للايماء الى المعية في مقر الامان والنجاة وقال اي نوح عم لمن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تع ان ربي لغفور رحيم ولو رجع الضمير الى الله تعالى لناسب ان يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد ادخال ما امر بحمله في الفلك من الازواج كانه قيل فحمل الازواج او ادخلها في الفلك وقال اركبوا فيها كما يشاهد مثله في قوله تع وهي تجري بهم والركوب العلو على شيء متحرك ويتعدى بنفسه واستعماله ههنا بكلمة في ليس لان المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن فان اظهر الروايات انه عم جعل الوحوش ونظائرها في البطن الاسفل والانعام في الاوسط وركب هو ومن معه في الاعلى بل لرعاية جانب المحلية والمكانية في الفلك والسر فيه ان معنى الركوب العلو على شيء له حركة اما ارادية كالحيوان او قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول يوفر له حظ الاصل فيقال ركبت الفرس وعليه قوله عز من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال ركبت في السفينة وعليه الآية الكريمة وقوله عز قائلا فاذا ركبوا في الفلك وقوله فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بسم الله متعلق باركبوا حال من فاعله اي اركبوا مسمين الله تعالى او قائلين بسم الله مجريها ومرسيها نصب على الظرفية اي وقت اجرائها وارسائها على انهما اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء بحذف الوقت كقولك آتيك خفوق النجم او اسما مكان انتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او ارادة القول ويجوز ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة مستقلة من مبتدأ وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله تع بمعنى التقدير كقوله تع ادخلوها خالدين او جملة مقتضبة على ان نوحا امرهم بالركوب فيها ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها باسم الله تعالى فيكون كلامين له عم اذا اراد ان يجريها يقول بسم الله فتجري واذا اراد ان يرسيها يقول بسم الله فترسو ويجوز ان يكون الاسم مقحما كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره

وقرئ مجريها ومرسيها على صيغة الفاعل مجروري المحل صفتين لله عز اسمه ومجراها ومرساها بفتح الميم مصدرين او زمانين او مكانين
من جرى ورسا ﴿ان ربي لغفور﴾ للذنوب والخطايا ﴿رحيم﴾ لعباده فلذلك نجاكم من هذه الطامة والداهية التامة ولولا ذلك
لما فعله وفيه دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله سبحانه وغفرانه ورحمته على ما عليه اهل السنة ﴿وهي تجري بهم﴾
متعلق بمحذوف دل عليه الامر بالركوب اي فركبوا فيها مسمين وهي تجري ملتبسة بهم ﴿في موج كالجبال﴾ وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه
كل موجة من ذلك كجبل في ارتفاعها وتراكمها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه كالحوت غير ثابت
والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا ولئن صح ذلك فهذا الجريان انما هو قبل ان يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله تعالى ﴿ونادى
نوح ابنه﴾ فان ذلك انما يتصور قبل ان ينقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يمكن جريان ما جرى بين نوح عليه السلام وبين ابنه من المفاوضة
بالاستدعاء الى السفينة والجواب بالاعتصام بالجبل وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وما يقال من انه كان لغير رشدة
لقوله تعالى فخانتاهما فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فان جناب الانبياء صلوات الله على محمد وعليهم اجمعين ارفع من ان يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد
بالخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف حرفها وانت خبير بانه لا يلائمه الاستدعاء الى السفينة فانه نص في انه
لم ييأس من حياته بعد ﴿وكان في معزل﴾ اي في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه واخوته وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج
الى النداء المذكور وقيل في معزل من الكفار قد انفرد عنهم وظن نوح انه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه الى السفينة وقيل كان ينافق
اباه فظن انه مؤمن وقيل كان يعلم انه كافر الى ذلك الوقت لكنه عليه السلام ظن انه عند مشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما كان عليه ويقبل
الايمان وقيل لم يكن الذي تقدم من قوله تعالى الا من سبق عليه القول نصا في كون ابنه داخلا تحته بل كان كالمجمل فحملته شفقة الابوة
على ذلك ﴿يا بني﴾ قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك
يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة ﴿اركب معنا﴾ قرأ ابو عمرو والكسائي وحفص بادغام
الباء في الميم لتقاربهما في المخرج وانما اطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعينها وللايذان بضيق المقام حيث حال الجريض دون القريض مع اغناء
المعية عن ذلك ﴿ولا تكن مع الكافرين﴾ اي في المكان وهو وجه الارض خارج الفلك لا في الدين وان كان ذلك مما يوجبه كما يوجب
ركوبه معه عليه السلام كونه معه في الايمان لانه عليه السلام بصدد التحذير عن المهلكة فلا يلائمه النهي عن الكفر ﴿قال سآوي الى جبل﴾ من الجبال ﴿يعصمني﴾
بارتفاعه ﴿من الماء﴾ زعما منه ان ذلك كسائر المياه في ازمنة السيول المعتادة التي ربما يتقى منها بالصعود الى الربى وانى له ذلك
وقد بلغ السيل الزبى وجهلا بان ذلك انما كان لاهلاك الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى الالتجاء الى ملجأ المؤمنين فلذلك
اراد عليه السلام ان يبين له حقيقة الحال ويصرفه عن ذلك الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيب بما ينطبق على كلامه ويتعرض لنفي ما اثبته
للجبل من كونه عاصما له من الماء بان يقول لا يعصمك منه مقيدا النفي وصف العصمة عنه فقط من غير تعرض لنفيه عن غيره ولا لنفي الموصوف
اصلا لكنه عليه السلام حيث ﴿قال لا عاصم اليوم من امر الله﴾ سلك طريقة نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد العاصم ذاتا وصفة للدلالة على انه
ليس فيه داع ولا مجيب اي احد من الناس للمبالغة في نفي كون الجبل عاصما بالوجهين المذكورين وزاد اليوم للتنبيه على انه ليس كسائر
الايام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء الى بعض الاسباب العادية وعبر عن الماء
في محل اضماره بامر الله اي عذابه الذي اشير اليه حيث قيل اذا جاء امرنا تفخيما لشانه وتهويلا لامره وتنبيها لابنه على خطائه في تسميته
ماء وتوهمه انه كسائر المياه التي يتفصى منها بالهرب الى بعض المهارب المعهودة وتعليلا للنفي المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه
لا يرد وتمهيدا لحصر العصمة في جناب الله تعالى عز جاره بالاستثناء كانه قيل لا عاصم من امر الله الا هو ﴿الا من رحم﴾ وتفخيما لشانه
الجليل بالابهام ثم التفسير وبالاجمال ثم التفصيل واشعارا بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقتها على غضبه وكل ذلك لكمال عنايته عليه السلام
بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شان الداهية وقطع اطماعه الفارغة وصرفه عن التعلل بما لا يغنيه عنه شيئا وارشاده

منفعل من عزله اذا نحاه وابعده
مدارك

الى العاذ

الى العياذ بالمعاذ الحق عز جاره وقيل لا مكان يعصم من امر الله الا مكان من رحمه الله وهو الفلك وقيل معنى لا عاصم لا ذا عصمة الا
من رحمه الله تعالى وحال بينهما الموج اى بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاوبة لا بين ابنه وبين الجبل لقوله تعالى فكان من المغرقين
اذ هو انما يتفرع على حيلولة الموج بينه عم وبين ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بمعزل من كونه عاصما وان لم يحل بينه وبين الملتجى اليه موج
وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة على ابلغ وجه فكان ذلك امرا مقرر الوقوع غير مفتقر الى البيان وفى ايراد كان دون صار مبالغة
فى كونه منهم وقيل يا ارض ابلعى اى انشفى استعير له من ازدراد الحيوان ما ياكله للدلالة على ان ذلك ليس كالنشف المعتاد
التدريجى ماءك اى ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار وعبر عنه بالماء بعدما عبر فيما سلف
بامر الله تعالى لان المقام مقام النقص والتقليل لا مقام التفخيم والتهويل ويا سماء اقلعى اى امسكى عن ارسال المطر يقال اقلعت السماء
اذا انقطع مطرها واقلعت الحمى اى كفت وغيض الماء اى نقص ما بين السماء والارض من الماء وقضى الامر اى انجز ما وعد
نوحا من اهلاك قومه وانجائه باهله او اتم الامر واستوت استقرت الفلك على الجودى هو جبل بالموصل وبالشام او بآمل
روى انه عم ركب فى الفلك فى عاشر رجب ونزل عنها فى عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين
اى هلاكا لهم والتعرض لوصف الظلم للاشعار بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ولقد بلغت
الآية الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها وملكت من غرر المزايا ناصيتها وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمرى ان ذلك
فوق ما يصفه الواصفون فحرى بنا ان نوجز الكلام فى هذا الباب ونفوض الامر الى تأمل اولى الالباب والله عنده علم الكتاب
ونادى نوح ربه اى اراد ذلك بدليل الفاء فى قوله فقال رب ان ابنى من اهلى وقد وعدتنى انجاءهم فى ضمن الامر
بحملهم فى الفلك والنداء على الحقيقة والفاء لتفصيل ما فيه من الاجمال وان وعدك الحق اى وعدك ذلك او ان كل وعد تعده
حق لا يتطرق اليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا اوليا وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او انت اكثر حكمة
من ذوى الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع وهذا الدعاء منه عم على طريقة دعاء ايوب عم اذ نادى ربه انى مسنى الضر وانت
ارحم الراحمين قال يا نوح لما كان دعاؤه عم بتذكير وعده جل ذكره مبنيا على كون كنعان من اهله نفى اولا كونه منهم بقوله تعالى
انه ليس من اهلك اى ليس منهم اصلا لان مدار الاهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر او ليس من اهلك الذين
امرتك بحملهم فى الفلك لخروجه عنهم بالاستثناء وعلى التقديرين ليس هو من الذين وعدنا بانجائهم ثم علل عدم كونه منهم على طريقة الاستئناف
التحقيقى بقوله انه عمل غير صالح اصله انه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة كما فى قول الخنساء فانما هى اقبال وادبار وايثار
غير صالح على فاسد اما لان الفاسد ربما يطلق على ما فيه صلاح ما ومن شانه الصلاح فلا يكون نصا فيما هو من قبيل الفاسد المحض كالقتل
والمظالم واما للتلويح بان نجاة من نجا انما هى لصلاحه وقرأ الكسائى ويعقوب انه عمل غير صالح اى عملا غير صالح ولما كان دعاؤه
مبنيا على ما ذكر من اعتقاد كون كنعان من اهله وقد نفى ذلك وحقق ببيان علته فرع على ذلك النهى عن سؤال انجائه الا انه جيء بالنهى على وجه
عام يندرج فيه ذلك اندراجا اوليا فقيل فلا تسألن اى اذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب منى ما ليس لك به علم اى مطلبا
لا تعلم يقينا ان حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن المسؤول الذى هو مفعول السؤال او طلبا لا تعلم انه صواب
على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذى هو مفعول مطلق فيكون النهى واردا بصريحه فى كل من معلوم الفساد ومشتبه الحال ويجوز ان يكون
المعنى ما ليس لك علم بانه صواب او غير صواب فيكون النهى واردا فى مشتبه الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد بالطريق الاولى وعلى التقديرين
فهو عام يندرج تحته ما نحن فيه كما ذكرناه وهذا كما ترى صريح ان نداءه عم ربه عز وعلا ليس استفسارا عن سبب عدم انجاء ابنه
مع سبق وعده بانجاء اهله وهو منهم كما قيل فان النهى عن استفسار ما لم يعلم غير موافق للحكمة اذ عدم العلم بالشىء داع الى الاستفسار عنه
لا الى تركه بل هو دعاء منه لانجاء ابنه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد اما بتقريبه الى الفلك بتلاطم الامواج او بتقريبها اليه

انعدتو

فظهر من هذه العبارة ان الشرع نفعه ان المراد
بقوله فيما سبق واهلك ليس لعموم ذا النوع
الشيخ فيهم بل المراد ذو النوع الذين
ايضا فافهم لمحرره

وقيل اوى نجاته فى قلة الجبل وناداه تذكير الوعد فى الدعاء فانه مخصوص بالانجاء فى الفلك وقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم
وتجرد حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به لظهور امكان عصمة الله تعالى اياه برحمته وقد وعد بانجاء اهله ولم يكن ابنه
مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه م ان يدعوه الى الفلك ويدعو ربه لانجاته واعتزاله عنه م وقصده الانجاء الى الجبل ليس بناقض للاصرار
على الكفر لظهور جواز ان يكون ذلك لجهله بانحصار النجاة فى الفلك وزعمه ان الجبل ايضا يجرى مجراه او لكراهة الاحتباس فى الفلك على قوله
تعالى اوى الى جبل يعصمنى من الماء بعد ما قال له نوح م ولا تكن مع الكافرين ربما يطمعه م فى ايمانه حيث لم يقل اكون معهم او سناوى
او يعصمنا فان افراد نفسه بنسبة الفعلين المذكورين ربما يشعر بانفراده م عن الكافرين واعتزاله عنهم وامتثاله ببعض ما امر به نوح م
الا انه م لو تامل فى شانه حق التامل وتفحص عن احواله فى كل ما ياتى ويذر لما اشتبه عليه انه ليس بمؤمن وانه المستثنى من اهله
ولذلك قيل انى اعظك ان تكون من الجاهلين وقرئ فلا تسالنى بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء
قال رب انى اعوذ بك ان اسئلك اى اطلب منك من بعد ما ليس لى به علم اى مطلوبا لا اعلم ان حصوله مقتضى الحكمة
او طلبا لا انه صواب سواء كان معلوم الفساد او مشتبه الحال اولا اعلم انه صواب او غير صواب على ما مر وهذه توبة منه م عما وقع
وانما لم يقل اعوذ بك ومن ذلك مبالغة فى التوبة واظهارا للرغبة والنشاط فيها وتبركا بذكر ما لقنه الله تعالى وهو ابلغ من ان يقول
اتوب اليك ان اسئلك لما فيه من الدلالة على كون ذلك امرا ما ئما محذورا لا محيص منه الا بالعود بالله تعالى وان قدرته قاهرة
عن النجاة من الكاره الا بذلك وان لا تغفر لى ما صدر عنى من السؤال المذكور وترحمنى بقبول توبتى اكن من الخاسرين
اعمالا بسبب ذلك فان الذهول عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول مثل هذه النعمة الجليلة التى هى النجاة وهلاك الاعداء والاشتراك
بالايمان خصوصا بمبادى خلاص من قبل فى شانه انه عمل غير صالح والتعرض الى الله تعالى فى امره معاملة غير رابحة وخسران مبين
وتاخير ذكر هذا النداء عن حكاية الامر الوارد على الارض والسماء وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الامر واستواء الفلك
على الجودى والدعاء بالهلاك على الظالمين مع ان حقه ان يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين جميعا وقع فى الخارج او فى تصوير
الدعاء بالانجاء لا بعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من استقلاله بغرض منهم هو جعل قرابة الدين عامة لقرابة النسب وان لا يتم
فى الامور الدينية الا صولية الا بعد اليقين قياسا على ما وقع فى قصة البقرة من تقديم ذكر الامر بذبحها على ذكر التمثيل الذى هو اول
القصة وكان حقها ان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها كما قرر فى موضعه فان تغيير الترتيب
هناك للدلالة على كمال سوء حال اليهود بتعديد جناياتهم المتنوعة وتشنيع التقريع عليهم بكل نوع نوع على حدة فقوله تع واذ قال
موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة الخ تقريع عليهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك وقوله تع واذ قتلتم نفسا
للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الامور العظيمة ولو عصة القصة على ترتيبها لفات الغرض الذى هو تشنيع التقريع فظن ان المجموع
تقريع واحد وانما ما نحن فيه فليس مما يمكن ان يراعى فيه مثل تلك النكتة اصلا وما ذكر من جعل القرابة الدينية عامة للقرابة النسبية
لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع ايضا بل لان ذكر هذا النداء كما تاتى مستدع لذكر ما قر من الجواب للمستدعى لذكر ما قر من توبته م
المؤدى ذكر ما الى ذكر قبولها فى ضمن الامر الوارد بنزوله م فى الفلك بالسلام والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين جميعا مجيئا تفصيلا
ولا ريب فى ان هذه المعانى اخذ بعضها بحجزة بعض بحيث لا يكاد يفرق الآيات الكريمة المنطوية عليها بعضها عن بعض وان ذلك
انما يتم بتمام القصة ولا ريب ان ذلك انما يكون بتمام الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمامها قبل هذا النداء وذلك انما يكون
عند ذكر كون كنعان من المغرقين ولهذه النكتة ازداد ايجاز البليغ وفيه فائدة اخرى هى التصريح بهلاكه فى اول الامر ولو ذكر
النداء الذى عقيب قوله فكان من المغرقين لربما توهم من اول الامر الى ان يرد قوله انه ليس من اهلك الخ انه ينجو بدعائه م
فينقض على هلاكه من اول الامر وذكر الامر الوارد على الارض والسماء الذى هو عبارة عن تعلق الارادة الربانية الازلية

بما ذكر من الفيض والاقلاع وبين بلوغ امر الله محله وجريان قضائه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام الطوفان
واستواء الفلك على الجودي فتقت العقصة الى هنا للمرتبة وبين ذلك اثر بيان ثم نوض لما وقع في تضاعيف ذلك متعاوى بين
نوح وبين العزة جلت حكمته فذكر بعد توبته ودعائه وقبولها بقوله قيل يا نوح اهبط اى انزل من الفلك وقرئ بفتح الباء بسلام ملتبسا بسلام
من المكاره كائنة نامية في نسلك وما يقوم به معاشك ومعاشهم من انواع الارزاق وقرئ بركة وهذا اعلام وبشارة من الله تعالى بقبول
توبته وخلاصه من الخسران بفيضان انواع الخيرات عليه في كل ما يأتي ويذر وعلى امم ناشئة ممن معك متشعبة منهم فمن بتدائية
والمراد الامم المؤمنة المتناسلة ممن معه الى يوم القيمة وامم سنمتعهم اى منهم على انه خبر حذف لدلالة ما سبق عليه فان ايراد الامم المباركة
عليهم المتشعبة منهم يدل على ان بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم يعني ليس جميع من تشعب منهم مسلما ومباركا عليه بل منهم امم
ممتعون في الدنيا معذبون في الآخرة وعلى هذا لا يكون الكائنون مع نوح عليه السلام مباركا عليهم صريحا واما بيانهم ذلك فيكونهم مع نوح عليه السلام
ذرياتهم كذلك بدلالة النقض ويجوز ان يكون من بيانية اى وعلى امم هم الذين معك وانما سموا امما لانهم امم متجزئة وجماعات متفرقة اولا
الامم فما تشعبت منهم فهي يكون المراد بالامم المشار اليهم في قوله تع وامم سنمتعهم بعض الامم المتشعبة منهم وهي الامم الكافرة المتناسلة منهم
الى يوم القيمة وبقي آخر الامم المؤمنة الناشئة منهم مبهما غير متعرض له ولا معول عليه ومع ذلك ففي دلالة المذكور على خبره المحذوف
خفاء لان من المذكور قيد بيانية والمحذوفة تبعيضية او بتدائية فتأمل ثم يمسهم الما في الآخرة او في الدنيا منا عذاب اليم
عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل لكاذ وعن ابن زيد
هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب
عليهم وبالعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى ما قص من قصة نوح عليه السلام اما لكونها بتفصيلها في حكم البعيد او للدلالة على بعد منزلتها وهي
مبتدأ اجره من انباء الغيب اى من جنسها او من قبيل سائر الانباء بل هي بتفاصيلها وعدم انفرادها عما عداها او بعضها نوحيها اليك
خبر ثان والضمير لها اى موحاة اليك او هو الخبر ومن انباء متعلق به فالتعبير بصورة المضارع لاستحضار الصورة او حال من انباء الغيب اى حالة
اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك خبر آخر اى مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا اى من قبل ايحائنا اليك واخبارك بها
او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اى جاهلا انت وقومك بها
وفي ذكر حالهم تنبيه على انه صلى الله عليه وسلم لم يتعلم اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يعلموه فكيف يؤخذ منهم فاصبر متفرع على الايحاء او العلم
او العلم المستفاد من المدلول عليه بقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اى واذ قد وحينا ما اليك او علمتها بذلك فاصبر على مشاق
تبليغ الرسالة واذية قومك كما صبر نوح على ما سمعته من انواع البلايا في هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر الى ما سبق من قوله تع ولعلك
تارك بعض ما يوحى اليك ان العاقبة بالنظر في الدنيا وبالفوز في الآخرة للمتقين كما شاهدته في نوح صلى الله عليه وسلم وقومه ولك فيه اسوة حسنة
وهي تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليل للامر بالصبر فان كون العاقبة الحميدة للمتقين وهم في اقصى درجات التقوى والمؤمنون
كلهم متقون مما يسلبه دم ويهون عليه المطلوب ويذهب عنه ما عسى يعتريه من ضيق صدر وهذا على تقدير ان يراد بالتقوى الدرجة
الاولى منها اعني التوقي من العذاب المخلد بالتبري عن الشرك في عليه قوله تعالى والزمهم كلمة ويجوز ان يراد الدرجة الثالثة منه وهي ان يتميز
عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تع اتقوا الله حق تقاته فان التقوى بهذا المعنى
منوط على الصبر المذكور فكأنه قيل فاصبر فان العاقبة للصابرين والى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح
وهو الناصب لقوله تع اخاهم اى وارسلنا الى عاد اخاهم اى واحدا منهم في النسب كقولهم يا اخا العرب وتقديم المجرور على المنصوب
ههنا للحذار عن الاضمار قبل الذكر وقيل متعلق بالفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا وقد قرئ سورة الاعراف وقوله تع
هودا عطف بيان لاخاهم وكان هو من جملتهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن العلوص بن ارم بن سام بن نوح

وقيل هود بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح ابن عم ابى عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله وارغب في اقتفائه
قال لما كان ذكر ارساله اليهم مظنة للسؤال عما قال لهم ودعاهم اليه اجيب عنه بطريق الاستيناف فقيل قال يا قوم اعبدوا الله
اى وحده كما ينبئ عنه قوله تعالى ما لكم من اله غيره فانه استيناف يجرى مجرى البيان للعبادة المامور بها والتعليل للامر بها كانه قيل خصوه
بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم من اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه ان انتم الا
باتخاذكم الاصنام شركاء له وبقولكم ان الله امرنا بعبادتها الا مفترون عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا
ان اجرى الا على الذى فطرنى خاطب به كل نبى قومه ازاحة لما عسى يتوهمونه وامحاضا للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع
بمعزل عن التاثير وايراد الموصول للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه اقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر الذى لا يتاتى
الا بالجريان على موجب امره الخالص عن شائبة المطامع الدنيوية التى من جملتها الاجر افلا تعقلون اى اتغفلون عن هذه القضية فلا تعقلون
فيها تعقلون بها او اتجهلون كل شئ فلا تعقلون شيئا اصلا فان هذا مما لا ينبغى ان يخفى على احد من العقلاء ويا قوم استغفروا ربكم
اى اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالايمان والطاعة ثم توبوا اليه اى توسلوا اليه بالتوبة وايضا التبرؤ عن الغير انما يكون
بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده يرسل السماء المطر عليكم مدرارا اى كثير الدرور ويزدكم قوة مضافة ومنضمة
الى قوتكم اى يضاعفها لكم وانما رغبهم بكثرة المطر لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم
ثلث سنين فوعدهم هود كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل على الايمان والتوبة ولا تتولوا اى لا تعرضوا عما ادعوكم اليه
مجرمين مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اى بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوه لفرط عنادهم
وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفائتة للحصر وما نحن بتاركى آلهتنا اى بتاركى عبادتها عن قولك اى صادرين عنه اى صادرا
تركنا عن ذلك باسناده حال الوصف الى الموصوف وفى معناه التعليل على ابلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام
وهذا كقولهم المنقول عنهم فى سورة الاعراف اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا وما نحن لك بمؤمنين اى بمصدقين
فى شئ مما تاتى وتذر فيندرج تحته ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة الآلهة وفيه من الدلالة على شدة الشكيمة وتجاوز الحد
فى العتو ما لا يخفى ان نقول الا اعتراك اى ما نقول الا قولنا اعتراك اى اصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك
عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الالوهية والمعبودية بما مر من قولك ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون والتنكير فى سوء للتقليل كانهم لم يبالغوا
فى العتو كما ينبئ عنه نسبة ذلك الى بعض آلهتهم دون كلها والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام متفرع
لما مر من قولهم وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه عم كما قالوا وحاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد
بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق والعمل بمقتضاه يعنون انا لا نعتقد كلامك الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب
من الهذيانات الصادرة عن المجانين فكيف نؤمن به ونعمل بموجبه ولقد سلكوا فى طريقة المخالفة والعناد الى سبيل الترقى من الادنى الى الاعلى
حيث اخبروا اولا عن عدم مجيئه بالبينة مع احتمال كون ما جاء به حجة فى نفسه وان لم يكن واضحة الدلالة على المراد وثانيا عن ترك الامتثال
بقوله عم بقولهم وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له عم فى كلامه ثم نفوا تصديقهم له عم بقولهم وما نحن لك
بمؤمنين مع كون كلامه عم مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة ايضا حيث قالوا ما قالوا قاتلهم الله انى يؤفكون قال
انى اشهد الله واشهدوا انى برئ مما تشركون من دونه اى من اشراككم من دون الله اى من غير ان ينزل به سلطانا كما قال
فى سورة الاعراف ان هى الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان او مما تشركونه من آلهة غير الله اجاب به عن مقالتهم
الحمقاء المبنية على اعتقاد كون آلهتهم مما يضر او ينفع وانها بمعزل عن ذلك ولما كان ما وقع اولا منه عم فى حق آلهتهم من كونها
بمعزل عن الالوهية انما وقع فى ضمن الامر بعبادة الله تعالى واختصاصه بها وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يورث شينا حتى زعموا انها

تصيبه

نصيبهم بسوء مجازاة لصنيعه معها صرح عم بالحق وصدع به حيث اخبر ببراءته العقدية عنها بالجملة الاسمية المصدرة بان واشهد الله تعالى
على ذلك وامرهم بان يسمعوا اذ لا يشهد وابه استهانة بهم ثم امرهم بالاجتماع والاحتشاد مع آلهتهم جميعا دون بعض منها حسبما يشعر به
قولهم بعض آلهتنا والتعاون في ايصال الكيد اليه عم ونهاهم عن الانظار والامهال في ذلك فقال فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اي
ان صح ما لوحتم به من كون آلهتكم مما يقدر على اضرار من ينال منها ويصد عن عبادتها ولو بطريق ضمني فاني بريء منها فكونوا انتم معها
جميعا وباشروا كيدي ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك فالفاء لتفريع الامر على زعمهم في قدرة آلهتهم على ما قالوا وعلى البراءة كليهما
وهذا من اعظم المعجزات فانه عم كان رجلا مفردا بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقرهم
وآلهتهم وهيجهم على مباشرة مبادي المضادة والمضارة وحثهم على التصدي لاسباب المعازة والمعارة فلم يقدروا على مباشرة شيء
مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك ظهورا بينا كيف لا وقد التجأ الى ركن منيع رفيع واعتصم بحبل متين حيث قال اني توكلت على الله ربي
وربكم يعني انكم وان بذلتم في مضارتي مجهودكم لا تقدرون على شيء مما تريدون فاني متوكل على الله تعالى وانما جيء بلفظ الماضي لكونه ادل
على الانشاء المناسب للمقام واوثق بكلاءته وحفظه عن غوائلكم وهو مالكي ومالككم لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني امر الا بارادته ومشيئته ثم برهن
عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا هو مالك لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء غير مستعصية عليه فان الاخذ بالناصية
تمثيل بذلك ان ربي على صراط مستقيم تعليل لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على اضراره اي هو على الحق والعدل فلا يكاد
يسلطكم علي اذ لا يضيع عنده معتصم ولا يفتات عليه ظالم والاقتصار على اضافة الرب الى نفسه اما بطريق الاكتفاء لظهور المراد
واما لان فائدة كونه تعالى على الحق والعدل راجعة اليه عم فان تولوا اي تتولوا بحذف احدى التاءين اي ان تستمروا على ما كنتم عليه من التولي
والاعراض فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اي لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان بلغكم الحق فابيتم الا التكذيب
والجحود ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله تعالى يهلكهم ويستخلف في ديارهم واموالهم قوما آخرين او عطف
على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رض بالجزم عطفا على الموضع كانه قيل فان تولوا يعذرني ويهلككم ويستخلف مكانكم
آخرين وفي الاقتصار على اضافة الرب اليه عم رمز الى اللطف به والتدمير للمخاطبين ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر لاستحالة
ذلك عليه ومن جزم ويستخلف اسقط منه النون ان ربي على كل شيء حفيظ اي رقيب مهيمن فلا يخفى عليه اعمالكم فيجازيكم
بحسبها او حافظ مستول على كل شيء فكيف يضره شيء وهو الحافظ للكل ولما جاء امرنا اي نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالامر مضافا الى ضمير العظمة عز وجل
وعن نزوله بالمجيء ما لا يخفى من التفخيم والتهويل او ورد امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه وكانوا اربعة آلاف
برحمة عظيمة كائنة منا وهي الايمان الذي انعمنا به عليهم بالتوفيق له والهداية اليه ونجيناهم من عذاب غليظ اي كانت
تلك التنجية تنجية من عذاب غليظ هي السموم التي كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطعهم اربا اربا وقيل اريد
بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وهذه التنجية وان لم تكن مقيدة بمجيء الامر لكن جيء بها تكملة
للنعمة عليهم وتعريضا بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم
الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها بعدما استيقنوها وعصوا رسله
جمع الرسل مع انه لم يرسل اليهم غير هود عم تفظيعا لحالهم واظهارا لكمال كفرهم ببيان ان عصيانهم له عم عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين
لاتفاق كلمتهم على التوحيد لا نفرق بين احد من رسله فيجوز ان يراد بالآيات ما اتى به هود وغيره من الانبياء عم وفيه زيادة ملاءمة لما تقدم من جمع
الآيات وما تأخر من قوله واتبعوا امر كل جبار عنيد من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة الى الضلال والى تكذيب الرسل فكانه قيل عصوا كل رسول
واتبعوا امر كل جبار عنيد وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان الرسل في الشمول لكل فرد فرد منهم فان الاتباع للامر من وصف
الاسافل دون الرؤساء والعنيد فعيل من عند عندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الهدى واطاعوا من دعاهم الى الردى

واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ابعادا عن الرحمة وعن كل خير اي صلت اللعنة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبعية للمبالغة وكانها لا تفارقهم
وان ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا ولو قوبهم في صحبة اتباعهم رؤسائهم يعني انهم لما اتبعوهم اتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم جزاء
وفاقا ويوم القيمة اي اتبعوهم يوم القيمة ايضا لعنة وهي عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الاولى عليها ولا يذان بكون كل من اللعنتين
نوعا برأسه لم تجتمعا في قرن واحد بان يقال واتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيمة لعنة كما في قوله واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة
ايذانا باختلاف نوعي الحسنتين فان المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة الاخروية الثواب والرحمة الا
ان عادا كفروا ربهم اي برهم او نعمة ربهم حملا له على نقيضه الذي هو الشكر او جحدوه الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم بالغين
اي هلاكا تسجيلا عليهم باستحقاق الهلاك واستيجاب الدمار وتكرير حرف التنبيه واعادة عاد للمبالغة في تفضيح حالهم والحث على اعتبار
بقصتهم قوم هود عطف بيان لعاد لفائدة التمييز عن عاد الثانية عاد ارم والا يذان باستحقاقهم للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين
هود عليه السلام وهم قومه والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله والى عاد اخاهم وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم
الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل صالح بن عبيد بن آسف بن
ماشخ بن عبيد بن حادر بن ثمود وكانا كان الاخبار بارساله اليهم مظنة لان يسال عن حاله فاذا قال لهم قبل جوابه عنه بطريق الاستئناف
قال يا قوم اعبدوا الله اي وصف وعلل ذلك بقوله ما لكم من اله غيره ثم زيد فيما بعثهم على الايمان والتوحيد وحثهم على الاخلاص
فيه بقوله هو انشاكم من الارض اي هو كونكم وخلقكم منها لا غيره فقط قلبا وقهرا فان خلق آدم وهم خلق لجميع افراد البشر
منها لما قرر انها في ان خلقته وهم لم يكن مقصورة عليه بل كانت اموذجا منطويا على جميع خلق ذريته التي ستوجد الى يوم القيمة
انطواء اجماليا وقيل ان خلق آدم وانشاء مواد النطف التي منها خلق نسله من التراب انشاء لجميع الخلق في الارض فتدبر واستعمركم
من العمران عمر واستبقاكم فيها او من العمارة اي اقدركم على عمارتها ولعركم بها وقيل هو من العمر بمعنى اعمركم فيها ديارهم ويورثها منكم
بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين ديارهم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لمثلكم فان ما يفعل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار
عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبائح وتقديم بيان ما يوجب ذلك ان ربي قريب اي قريب الرحمة
كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين مجيب لمن دعاه وسأله وقد روعي في النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المقتضية
على الامر بالاستغفار والتوبة وآخر عنه ذكر الغائية المانعة عنهما في الوجود اعني الاجابة قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا اي كنا
نرجو منك لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشاد ان تكون لنا سيدا ومستشارا في الامور وعن ابن عباس رضي الله عنهما
نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجوان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه قبل هذا الذي باشرته من الدعوة الى الحق وتركت عبادة
الاصنام (الى أن قطع) الالهية قبل هذا الوقت فكانهم لم يكونوا الى الآن على يأس من ذلك ولو بعد الدعوة الى التوحيد فالآن قد انصرم عنك رجاؤنا وزالت علة
مرجوة بالمد والهمزة أتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا اي عبدوه والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية وانا
لفي شك مما تدعونا اليه في التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك مما الاستغفار والتوبة مريب اي موقع في الريبة من اراب اذا دخل
في الريبة اي قلق النفس وانتفاء الطمانينة او من اراب اذا كان ذا ريبة وايتهما كان فالاسناد مجازي والتنوين فيه وفي شك
للتفخيم قال يا قوم ارايتم اي اخبروني ان كنت على الحقيقة على بينة اي حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة من ربي مالكي ومتولي
امري واتاني منه مع جهته رحمة نبوة وهي الامور وان كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا لحال
المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة لاستنزالهم عن المكابرة فمن ينصرني من الله اي من يجيرني من عذابه والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل والتفاقم
لترتب انكار النصرة على ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على بينة مزربة على تقدير العصيان صريحا يوجب عنه قوله ان عصيته اي بالمباحثة
في تبليغ الرسالة والمجاراة معكم فيما تاتون وتذرون فان العصيان مع ذلك شانه ابعد والمؤاخذة عليه ألزم وانكار نصرته ادخل

فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي كما ينبئ عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اي لا تفيدونني اذ لم يكن فيه اصلا لخسران ان يزيدوه فضلي
غير تخسير اي غير ان تجعلوني خاسرا بابطال اعمالي وتعريضي لسخط الله تعالى او فما تزيدونني بما تقولون غير ان انسبكم الى الخسران واقول
لكم انكم لخاسرون فالزيادة على معناه والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم من انكاره على تقدير العصيان مع تحقق ما ينفيه
من كونه عم على بينة من ربي واعطائه النبوة ويا قوم هذه ناقة الله الاضافة للتشريف والتنبيه على انها مفارقة لسائر ما يجانسها
من حيث الخلقة ومن حيث الخلق لكم آية معجزة دالة على صدق نبوتي وهي حال من ناقة الله والعامل ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال
من آية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تأخرت لكانت صفة ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية
فذروها خلوها وشأنها تأكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها واضافة الارض الى الله عز وجل لتربية استحقاقها
لذلك وتعليل الامر بذلك تركها وشأنها ولا تمسوها بسوء بولغ في النهي عن التعرض لها بما يضرها حيث نهى عن المس الذي هو من مبادي
الاصابة ونكر السوء اي لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من السوء فضلا عن عقرها وقتلها فيأخذكم عذاب قريب اي قريب
النزول روي انهم طلبوا منه ان يخرج من صخرة تسمى الكاتبة ناقة عشراء مخترجة جوفاء وبراء وقالوا ان فعلت ذلك لنؤمنن
فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا
مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت
الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البركة حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ
اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره
فشق عليهم ذلك فعقروها قيل زينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه
قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال
لهم صالح تمتعوا اي عيشوا في داركم في منازلكم او في الدنيا ثلاثة ايام قيل قال لهم تصبح وجوهكم مصفرة وبعد غد محمرة واليوم
الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب ذلك اشارة الى ما يدل عليه الامر بالتمتع ثلاثة ايام من نزول العذاب عقيبها والمراد بما فيه من معنى البعد
تفخيمه وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع المشهور كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على
كأن الواعد قال له اني بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا اي عذابنا
او امرنا بنزوله وفيه ما لا يخفى من التهويل نجينا صالحا والذين آمنوا معه متعلق بنجينا او بآمنوا برحمة بسبب رحمة
عظيمة منا وهي بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان كما مر او بنجينا برحمة ورأفة منا ومن خزي يومئذ اي
ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى انه كانت تلك التنجية تنجية من خزي يومئذ
او من ذلة ومهانة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة كما فسر به العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيمة
بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ
وقرئ بالتنوين ونصب يومئذ ان ربك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه
لا غيره ولكون الاخبار بتنجية الاولياء لا سيما عند الانباء بحلول العذاب اهم ذكرها اولا ثم اخبر بهلاك الاعداء واخذ الذين ظلموا
عدل عن المضمر الى المظهر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بعليته لنزول العذاب بهم الصيحة اي صيحة جبرائيل عم وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت
كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة
لتموج الهواء فاصبحوا اي صاروا في ديارهم اي بلادهم او مساكنهم جاثمين هامدين موتى لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند
الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ وسرعته اللهم انا نعوذ بك من حلول غضبك وقيل لما رأوا العذاب الذي

كأن الناقة ناقته والارض ارضه لا تعرض لغيره فيهما بوجه من الوجوه فسبحانه سبحانه ما اعظم سلطانه تحرير

الفصيل ولد الناقة اذا فصل عن امه قاموس

رغا البعير والضبع والنعام رغاء بالضم صوتت وضجت قاموس

وصبحته ايضا اتيته صباحا ولا يراد بها التبكير جوهري

يعني في سورة سال سائل من عذاب واقع

ارض هامدة لا نبات بها ونبات هامد يابس جوهري

بيتها صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى فصيلهم فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو
يوم السبت تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا كأن لم يغنوا اى كأنهم لم يقيموا فيها في بلادهم وفي مساكنهم
وهو في موضع الحال اى اصبحوا جاثمين ماثلين لمن لم يوجد ولم يقم في مقام قط الا ان ثمود وضع موضع المضمر لزيادة البيان ولونه ابو بكر
ضاوف النجم وقرئ ضفص ضاوف القرآن والعنكبوت بغير تنوين كفروا ربهم صرح بكفرهم مع كونه معلوما مما سبق من اعمالهم تشنيعا لحالهم
وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله تعالى الا بعدا لثمود وقرأ الكسائي بالتنوين ولقد جاءت رسلنا ابراهيم
وهم الملائكة على بن عباس رضي الله عنهما انهم جبرئيل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقالوا فتحاكم كانوا تسعة وعن محمد بن كعب
جبرئيل ومعه سبعة وعن السدي اثنا عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل كانوا اثني عشر ملكا عليهم وانما اسند اليهم مطلق المجيء
بالبشرى والسلام بكونوا مرسلين اليهم بل الى قوم لوط لتوقفه انما ارسلنا الى قوم لوط وانما جاؤه لداعية البشرى ولما كان المقصود
في السورة الكريمة ذكر سوء صنيع الامم السالفة مع الرسل المرسلة اليهم وتحقق العذاب بهم بسبب ذلك لم يكن جميع قوم ابراهيم ممن تحقق
بهم العذاب بل انما تحقق بقوم لوط منهم صاحبة غير الاسلوب المطرد فيما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا
ثم رجع اليه حيث قيل والى مدين اخاهم شعيبا بالبشرى اى بشيء هي قيل هي مطلق البشرى المتناولة للبشارة بالولدين سارة لقوله تعالى
فبشرناها باسحق الآية وقوله فبشرناه بغلام عليم وقوله فبشرناه بغلام حليم وكلتا البشارة بعدم تحقق الضرر به لقوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع
وجاءته البشرى لظهور نزوع المجادلة على مجيئها كما سيأتي وقيل بهلاك قوم لوط ويأباه مجادلته في شأنهم والاظهر انها البشارة
بالولد وستوقف على تحقق المجادلة على ذلك فلما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بانهم ماذا قالوا اجيب بانهم قالوا
سلاما اى سلمنا اى نسلم عليك سلاما ويجوز ان يكون نصبه بقالوا اى قالوا قولا ذا سلام او ذكروا سلاما قال سلام اى عليكم سلام
وسلام عليكم ضيابهم باحسن من تحيتهم وقرئ سلم كحرم فاجراه وقرأ ابن ابي عبلة قال سلاما وعنه انه قرأ بالرفع فيهما فما لبث
اى ابراهيم ان جاء بعجل اى في المجيء به او ما لبث مجيئه بعجل حنيذ اى مشويا بالرضف فالاحدود وقيل سمين يقطر ودكه كقوله
سميذ من حندث الفرس اذا عرقته بالجلال فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم للاكل نكرهم اى انكرهم
بقال نكره وانكره واستنكره بمعنى وانما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم ياكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وقد روى انهم
كانوا يكتفون بقداح كانت في ايديهم اللحم ولا تصل اليه ايديهم وهذا الانكار منه ما راجع الى فعلهم المذكور وانما انكار المتعلق بانفسهم
فلا تعلق له برؤية عدم اكلهم وانما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان بعهده من الناس الا يرى الى قوله تعالى في سورة الذاريات
سلام قوم منكرون واوجس منهم اى حس او اضمر من جهتهم خيفة لما ظن ان نزولهم للامر انكره الله تعالى عليه او لتعذيب قومه
وانما آخر المفعول للتصريح عن الظرف لان المراد الاخبار بانه ما اوجس من جهتهم شيئا هو الخيفة لا انه اوجس من جهتهم لا من جهة
غيرهم وتحقيقه ان تاخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند ورده عليها فضل تمكن قالوا لا تخف لما قالوه
بمجرد ما رأوا منه مخايل الخوف ازالة له منه بل بعد اظهاره بعدم سله قال تعالى في سورة الحجر قال انا منكم وجلون ولم يذكر هنا اكتفاء بذلك
انا ارسلنا ظاهره انه استئناف وفي معنى التعليل للنهي المذكور كان قوله تعالى انا نبشرك تعليل لذلك فان ارسالهم الى قوم آخرين يوجب
امنهم من الخوف اى ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط خاصة الا انه ليس كذلك فان قوله تعالى فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا
الى قوم مجرمين صريح في انهم قالوه جوابا عن سؤاله وعدا وجزاء الكلام اكتفاء بذلك وامرأته قائمة وراء الستر بحيث تسمع مجاوراتهم
او على وهم الخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اى قالوه وهي قائمة تسمع مقالتهم فضحكت سرورا بزوال الخوف
او بهلاك اهل الفساد بهما جميعا وقيل بوقوع الامر حسبما كانت تقول فيما سلف فانها كانت تقول لابراهيم اضمم الينا لوطا فانا نرى
ان العذاب نازل بهؤلاء القوم وقيل ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وهو بعيد وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق

مصدر مؤكد للبشرى المضمون

اى عقبنا سرورا بما بشرونا به على السنة رسلنا ومن وراء اسحق يعقوب بالنصب على انه مفعول لما دل عليه قوله بشرناها
اى وهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقرئ بالرفع على الابتداء وخبره الظرف اى من بعد اسحق يعقوب مولودا وموجود وعلما الاظهر
داخل فى البشارة كيحيى او واقع فى الحكاية بعد ان ولدا فتمسا بذلك وتوجيه البشارة هنا اليها مع ان الاصل فى ذلك ابراهيم عليه السلام
وقد وجهت حيث قيل بشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام عليم للايذان بان ما بشر به يكون منها ولكونها عقيمة وريبة على الولد قالت
استئناف ورد جوابا عن سؤال من قال وما فعلت اذ بشرت بذلك فقيل قالت يا ويلتى اصل الويل الحزن ثم شاع فى كل
امر فظيع والالف مبدلة من ياء الاضافة كما فى يالهفا ويا عجبا وقراء الحسن على الاصل وانا ويلها ابو عمرو وعاصم فى رواية وهما
يا ويلتا احضرى فهذا اوان حضوركِ وقيل هى الف الندبة ويوقف عليها بالسكون ءالد وانا عجوز بنت تسعين او تسع
وتسعين سنة وهذا الذى تشاهدونه بعلى اى زوجى وهل والبعل القائم بالامر شيخا وكان ابن مائة وعشرين سنة
ونصبه على الحال والعامل معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلى بدل من الشيخ
او بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير فى الدلتوبرمانيه من الاستبعاد وتعليله اى ولدا وكلانا على حالة منافية لذلك
وانما قدمت بيان حالها على بيان حاله رم لان مباينته حالها لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد للشيوخ من الشواب اما العجائز
او من عقائم ولان البشارة متوجهة اليها صريحا وكان العكس فى البيان ربما يوهم من اول الامر نسبة المانع عن الولادة تعالى جانب
ابراهيم رم وفيه ما لا يخفى من المحذور واقتصارها الاستبعاد على ولادتها من غير تعرض على حال الناقلة لانها المستبعد واما ولادة
ولدا فلا يتعلق بها استبعاد ان هذا اى ما ذكر من حصول الولد من عجوز مثلنا لشئ عجيب بالنسبة الى سنة الله المسلوكة
فيما بين عباده وهذه الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق الاستئناف التحقيقى ومقصدها استعظام نعمة الله عز وجل عليها فى ضمن
الاستعجاب العادى لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى قالوا اتعجبين من امر الله اى قدرته وحكمته وتكوينه
اوشانه انكروا عليها تعجبها من ذلك لانها كانت ناشئة فى بيت النبوة ومهبط الوحى والايات ومظهر المعجزات والامور الخارقة للعادات
فكان حقها ان تتوقع وتترقب امثال هذه الخوارق من الطاف الله الخفية ولطائف صنعه الغائضة
على كل احد ممن يتعلق بذلك مرتبة الازلية لا سيما على اهل بيت التى ليست مرتبتهم عند الله سبحانه كمراتب سائر الناس وان تسبح الله تعالى
وتحمده وتمجده والى ذلك اشار ابو البقاء رحمة الله التى وسعت كل شئ واستبعدت كل خير وانما وضع المظهر موضع المضمر لزيادة
تشريفها وبركاته اى خيراته النامية المتكاثرة فى كل باب التى من جملتها هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات
الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم رم عليكم اهل البيت نصب على المدح او الاختصاص لانهم اهل بيت
خليل الرحمن وعرف الخطاب لصيغة الواحد الى جميع الذكر لتعميم حكمه لابراهيم رم ايضا ليكون جوابهم لها جوابا له ايضا ان ظرف
بما له مثلا ما خطر بالها وآخر الجملة كلام مستانف علل به انكار تعجبها كانه قيل ليس المقام مقام التعجب فان الله تعالى على كل شئ قدير وسلم
يا اهل بيت النبوة والكرامة والتزلف كل الطوائف بل رحمته المستتبعة لكل خير الواسعة لكل شئ وبركاته اى خيراته النامية الغائضة
منه بواسطة تلك الرحمة الواسعة لازمة لكم لانتفاركم انه حميد فاعل يستوجب الحمد مجيد كثير الخير والاحسان الى عباده والجملة التعليل ما
من قوله رحمة الله وبركاته عليكم فلما ذهب عن ابراهيم الروع اى الوجس منهم من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم والفاء
لربط بعض احوال ابراهيم رم ببعض غب انفصالها بالسين ما جنبى بكل وجه بل مدخل تام فى السياق وتاخير الفاعل عن الظرف لانه يكتسب
الفائدة فان تاخير ما حقه التقديم ينبئ النفس منتظرة الى ورود فيتمكن فيها عند وروده اليها فضل تمكن وجادلنا البشرى اى فى شان
بتولهم لا تخف فسببية ذهاب الخوف ومجئ السرور للمجادلة المدلول عليها بقوله يجادلنا قوم لوط اى جادل رسلنا فى شانهم وعدل
الى صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها او طفق يجادلنا ظاهرا واما ان بشارة الولد وما يعقبها فلعل سببيتها لها مع حيث انها تفيد

زيادة اطمئنان قلب وسلامة اهله كافة ومجادلته اياهم انه قال لهم ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين
اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا اثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارأيتم ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها
قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا قيل المتبادر من هذا الكلام ان يكون ابراهيم قد علم انهم
مرسلون لاهلاك قوم لوط قبل ذلك بالشروع عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم في شانهم لاشتغال بشان نفسه فلما ذهب عنه الروع اتاهم
قبل ذلك لقوله تعالى قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط قلنا كان لوط مأمورا على شريعة ابراهيم وقومه مكلفين بها فلما رأى من الملائكة
ما رأى خاف على نفسه وعلى كافة امته التي من جملتهم قوم لوط ولا ريب في تقدم هذا الخوف على قولهم لا تخف واما الذي علموه بعد النهي عن الخوف
فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتامل والله الموفق ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام ممن اساء اليه اواه
كثير التاوه على الذنوب والتاسف على الناس منيب راجع الى الله تعالى والمقصود بعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حمله
على ما صدر عنه في المجادلة يا ابراهيم اي قالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه اي الشان قد جاء امر ربك
اي قدره الجاري وفق قضائه الازلي الذي هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ما هو
خاتم حسب تعلقها بالاشياء في اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر وانهم اتيهم عذاب غير مردود لا يجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما وللمجادلة
رسلنا لوطا قال ابن عباس رض انطلقوا من عند ابراهيم عم الى لوط عم وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه في صور غلمان مرد
حسان الوجوه سيئ بهم اي ساءه مجيئهم لظنه انهم انس فخاف ان يقصدهم قومه ويجري منافعهم وذرعا نافع وابن عامر والكسائي
وابو عمرو وسيء وسيئت بالشام التي روي ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوطا اربع شهادات فلما مشى معهم
منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات
فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت بقومها فقالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط وضاق بهم ذرعا
اي ضاق بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقيل ضاق بشانهم
عن هذا الحادث وذكر مثل وهو الساعة وكانه قدر البدن مجازا اي ان بدنه ضاق قدره من احتمال ما وقع وقيل الذرع اسم للجارحة
من المرفق الى الانامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع في مثل قوله لما ضاق بهم ذرعا قصر ما كما ان قصر الذرع اذا مد ما لينداول ما يتناول
الطويل الذرع فقاصر عنه وعجز عن مقاطعة فضرب مثلا للامر فقدرت طاقة دون بلوغ الامر وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه
اذا شده وطاره اي لوطا وهو في جمع اضياف قومه يهرعون اليه اي يسرعون كما يدفعون دعا لطلب الفاحشة من اضيافه والجملة حال
من قومه وكذا قوله ومن قبل اي من قبل هذا الوقت كانوا يعملون السيئات اي جاءوا امرا عنيفا والحال انهم كانوا منهمكين
في عمل السيئات فعزموا بها وتمرنوا فيها حتى لم يبق عندهم قباحتها وكذلك لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم صورة غير مجابين قال يا قوم هؤلاء
بناتي هن اطهر لكم فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم للعدم مشروعية فان تزويج المسلمات من
الكفار كان جائزا او قد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل
كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه واياما كان فقد اراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه
مجرى على الحقيقة من ارادة النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم واظهار الشفقة امتعاضة مما ورد وا عليه طمعا في ان يستحيوا
منه وبرقوا له اذا سمعوا ذلك فينزجروا عما اقدموا عليه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعا بان لا مناكحة بينهم وبينه هو اطهر
بقولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق كما ستقف عليه فاتقوا الله بترك الفواحش او بنائهن عليهم ولا تخزون في ضيفي
اي لا تفضحوني في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل وجاره اخزاء له ولا تجلوني في اخزايته وهل الجار الا من يجير ولا يجار اليس منكم رجل رشيد
يهتدي الى الحق القويم ويرعوي عن الباطل الوخيم قالوا معرضين عما نصحهم به من الامر بتقوى الله تعالى والنهي عن اخزائه مجيبين

عن اول كلامه لقد علمت ما الناقة منا بك من حيث مستشهدين بجملة في ذلك العنوان انك قد علمت ان لا سبيل الى المناكحة بيننا وبينك وما عرضك الاعراض سابرتنا ولا مطمع لنا في ذلك وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكران وقد بين لهم من انواعهم عما هم عليه من الغي قال لو اني بكم قوة اي لفعلت بكم ما فعلت وصنعت ما صنعت كنوع لي ولوان قوما نزلت بالجبال او كلم به الموتى او اوى الى ركن شديد عطف على ان لي بكم لما فيه من معنى الفعل اي لو قويت على دفعكم بنفسي او اويت الى ناصر عزيز قوي المنعة عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد روي انه لم يغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملئكة ما عالج لوط من الكرب قالوا ايها الرسل بما شاهدوا واعجز عن مدافعه يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك بضر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه رب العزة جل جلاله في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحيه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا يهتدون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة فانسر بالهلاك بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل صبح هاء من القرآن من التعري والتعاء لترتيب الامر على الاخبار برسالتهم المكوذنة برؤس الامر والنهي من جنابه عز وجل اليهم بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم اي لا يتخلف اولا ينظر الى ورائه احد منكم في اي مكان كان فانما نهوا عن ذلك ليتجدوا في السير فان من يلتفت الى ما وراءه لا يخلو عن ادنى وقفة او لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم الا امرأتك استثناء من قوله فاسر باهلك وتؤيده انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك قرئ بالرفع على البدل من احد فالالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر الى الخلف كيلا يلزم التناقض بين القراءتين المتواترتين فان النصب يقتضي كونها مأمورا بالاسراء بها والرفع يقتضي كونها مأمورا بذلك والاعتذار بان مقتضى الرفع انما هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعي الامر بالاسراء بها حتى يلزم المناقضة لجواز ان يشتري من نفسها كما يروى انه لما اسرى اهله تبعتهم فلما سمعت هول العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وان يسرى بها من غير اجر وذلك اذ موجب النصب انما هو عدم الامر بالاسراء بها لا النهي عن الاسراء بها حتى يكون عدم الامر بالاسراء بها مخالفا للنهي لا يجوز تبعا لان انصراف الاستثناء الى الالتفات يستدعي بقاء الاهل على عمومه فيكون الاسراء بها مأمورا به قطعا وفي حمل الاهلية في احدى القراءتين على الاهلية الدينية وفي الاخرى على النسبية مع ان فيه ما لا يخفى من التحكم والاعتراف بما فرمنه من المناقضة على الاول حتى ان جعل الاستثناء على القراءة التي هو في قوله لا يلتفت منكم احد الذي في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم فان ابن عامر قرأه بالنصب وان كان الافصح الرفع على البدل لا بعد في كون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امر بالالتفات بل عدم نهي عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم من العذاب وهو امطار الحجارة وان لم يصبها الخسف والضمير في انه للشان وقوله تعالى مصيبها خبره وقوله ما اصابهم مبتدأ والجملة خبر ان الذي اسمه ضمير الشان وفيه ما لا يخفى من تفخيم شان ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة ان موعدهم الصبح اي موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للامر بالاسراء والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على الاسراء اليس الصبح داع لا الاسراء في الاسراء للتباعد عن مواقع العذاب وروي انه قال لملئكة ربه متى موعد هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب اقطع وللنفس اسكن بكون ذلك عبرة للناظرين فلما جاء امرنا اي وقت عذابنا وموعده وهو الصبح جعلنا عاليها سافلها اي عالي قرى قوم لوط مهي التي عبر عنها بالمؤتفكة وهي خمس مدائن فيها اربعمائة الف الف سافلها اي قلبنا ها على تلك الهيئة وجعل عاليها مفعولا اول للجعل وسافلها مفعولا ثانيا له وان تحقق القلب بالعكس ايضا لكن الترتيب الاول هو تغليب الخطب لان جعل عاليها الذي هو مقارهم ومساكنهم سافلها اشد عليهم واشق من جعل سافلها عاليها ان كان مستلزما له وروي انه جعل جبريل جناحه تحت اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع الملئكة نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وانسناد الجعل والامطار الى ضميره سبحانه

رفعها

باعتبار انه السبب لتفخيم الامر وتهويل الخطب وامطرنا عليهم اى على اهل المدائن او سدادهم حجارة من سجيل من طين متحجر كقوله حجارة من طين وأصله سنك كل فعرب وقيل هو معرب سنكل اذا ارسل او اداة عطية والمعنى من مثل الشئ المرسل او مثل العطية فى الاقدار او من السجل اى مما كتب الله تعالى ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اى من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد فى السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه اثر بعض كقطار الامطار مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز من حجارة الارض او باسم من ترضى به عند ربك فى خزانته التى لا يتصرف فيها غيره بسجانه وما هى اى الحجارة الموصوفة من الطالمين من كل ظالم بعيد فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها وفيه وعيد شديد لاهل الظلم كافة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبرئيل عليه السلام فقال يعنى ظالمى امتك ما من ظالم الا وهو يوشك ان يقع عليه حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هى قريبة من ظالمى مكة يمرون بها فى مسايرهم واسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجارة بالحجر او اجرائه على حين هوت منها فهى اسرع شئ طوفا بهم فكانها بكان قريب منهم آولانة على ازنة المصدر كالزهير والقريبل والمصادر يستوى فى الوصف بها المذكر والمؤنث والى مدين اى اولاد مدين ابن ابراهيم وصح ارجعل اسما للقبيلة بالغلبة آو اهل مدين وهو بلد بنا مدين فسمى باسمه اخاهم اى نسبهم شعيبا وهو بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته بقومه والجملة معطوفة على قوله ع والى ثمود اخاهم صالحا اى ارسلنا الى مدين شعيبا قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن صدر الكلام فكانه قيل فاذا قال لهم فقيل قال كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ما لكم من اله غيره تحقيق للتوحيد وتعليل للامر به وبعد ما امرهم بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب على المكلفين نهاهم عن ترتيب مبادى ما اعتادوه من البخس والتطفيف عادة مستمرة فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان كى تتوسلوا بذلك الى البخس حقوق الناس انى اراكم بخير اى ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك او بنعمة من الله تمنع عنها ان تغابل بغير ما تأتونه من المماكسة والتفضل على الناس شكرا عليها او اراكم بخير فلا تزيلوه بما انتم عليه من الشر وهو على كل حال علة للنهى عن تلك سببة اخرى اعنى قوله عز وجل واني اخاف عليكم ان لم تنتهوا عن ذلك عذاب يوم محيط لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قولك احاط به العدو واحيط بثمره وأصله من احاطة العدو والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال ووصف اليوم بالاحاطة وهى حال العذاب على الاسناد المجازى وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فاذا احاط بعذاب فقد اجمع للعذاب ما اشتمل عليه منكرا اذا حاط بنعمة ويجوز ان يكون هذا تعليلا للامر والنهى جميعا ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اى بالعدل من غير زيادة ولا نقصان فان الزيادة فى الكيل والوزن وان كان تفضلا مندوبا اليه لكنها فى الاكثر محظورة كالنقص فلعل الزائد للاستعمال عند الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل وانما بتسويتهما وتعديلهما صريحا بعد النهى عن نقصهما مبالغة فى الحمل على الايفاء والمنع من البخس تنبيها على انه لا يكفيهم مجرد الكف عن البخس بل يجب عليهم اصلاح ما افسدوه وجعلوه معيارا لظلمهم وقانونا لعدوانهم ولا تبخسوا الناس بسبب نقصهما وعدم اعتدالهما اشياءهم التى تشترونها بهما وقد صرح بالنهى عن البخس بعد العلم ذلك فى ضمن النهى عن نقص المعيار والامر بابقائه اتماما لشانه وترغيبا فى ايفاء الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز ان يكون المراد بالامر بايفاء المكيال والميزان الامر بايفاء المكيلات والموزونات ويكون النهى عن البخس عاما للنقص فى المقدار وغيره تعميما بعد التخصيص كما فى قوله تعالى ولا تعثوا فى الارض مفسدين فان العثى يعم نقص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل البخس الكسر كاخذ العشور فى المعاملات قال زهير بن ابى سلمى ان كل اسواق اناوة ومكس وكل ما باع امرؤ يكس درهم والعثى فى الارض السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كافعال الخضر عليه السلام من فرق السفينة وقتل الغلام وقيل معنى ولا تعثوا فى الارض مفسدين اى آخذ تكم ومصالح دينكم بقية الله اى ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطى المحرمات خير لكم مما تجمعون بالبخس والتطفيف فان ذلك هباء منثور بل شر محض وان زعمتم ان فيه خيرا كقوله تعالى يمحق الله الربوا ويربى الصدقات

ان

إن كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان لا محالة او ان كنتم مصدقين
لي في مقالتي وقيل البقية الطاعة كقوله عز وعلا والباقيات الصالحات خير عند ربك وقرئ تقية الله بالفوقانية وهي تقواه عن المعاصي
وما انا عليكم بحفيظ احفظكم من القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت اذ انذرت ولم آل
في ذلك جهدا او ما انا بحافظ ومستبق عليكم نعم الله ان لم تتركوا ما انتم عليه من سوء الصنيع قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك
ما يعبد آباؤنا من الاوثان اجابوا بذلك امره عم اياهم بعبادة الله وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الاصنام ولقد بالغوا في ذلك
وبلغوا اقصى مراتب الخلاعة والمجون والضلال حيث لم يكتفوا بانكار الوحي الآمر بذلك حتى ادعوا ان لا امر به من العقل واللب اصلا وانه
من احكام الوسوسة والجنون فعلى ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء اصلوتك التي هي من نتائج الوسوسة وافاعيل المجانين تامرك
بان نترك عبادة الاوثان التي توارثناها ابا عن جد وانما جعلوه عم مامورا مع ان الصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تعالى
او غير ذلك من الشرائع لانه عم لم يكن يامرهم بذلك من تلقاء نفسه بل هو من جهة الوحي وانه كان يعلمهم بانه مامور بتبليغه اليهم وتخصيصهم
باسناد الامر الى الصلوة من بين سائر احكام النبوة لانه عم كان كثير الصلوة معروفا بذلك وكانوا اذا راوه يصلي يتغامزون ويتضاحكون
فكانت هي من بين سائر شعائر الدين ضحكة لهم وقرئ اصلوتك او ان نفعل في اموالنا ما نشاء جواب عن امره عم بايفاء الحقوق
ونهيه عن البخس والنقص معطوف على ما اي او ان نترك ان نفعل في اموالنا ما نشاء من الاخذ والاعطاء والزيادة والنقص وقرئ
بالتاء في الفعلين عطفا على مفعول تامرك اي اصلوتك تامرك ان تفعل انت في اموالنا ما تشاء وتجويز العطف على ما قيل يستدعي ان يراد
افعالهم بالترك معنيان مختلفان والمراد بفعلهم ايجاب الايفاء والعدل في معاملاتهم لا نفس الايفاء فان ذلك ليس من افعالهم بل من
وانما لم يقل عطفا على ان نترك لان الترك ليس مامورا به على الحقيقة بل المامور به تكليفه عم اياهم امره بذلك والمعنى اصلوتك تامرك
بالسعي وسعك وعهدتك من افاعيل غيرك ليكون ذلك تعريضا بهم بركاكة رايهم واستهزاء من تلك الجهة باباءه دخول الهمزة على الفعل
دون الامر ويستدعي ان يصدر عنه عم في اثناء الدعوة ما يدل على ذلك او يوهمه وانى ذلك فتامل وقرئ بالنون في الاول والتاء في الثاني
عطفا على ان نترك اي او ان تفعل انت في اموالنا عند المعاملة ما تشاء انت من التسوية والايفاء انك لانت الحليم الرشيد
بالصفتين وصفوه عم بالوصفين على طريقة التهكم وانما ارادوا بذلك وصفه بضديهما كقول الخزنة ذق انك انت العزيز الكريم ويجوز ان يكون
تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكروه على معنى انك لانت الحليم الرشيد على زعمك واما وصفهم بهما على الحقيقة فيأباه مقام الاستهزاء اللهم
الا ان يراد بالصلوة الدين كما قيل قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة اي حجة واضحة وبرهان عبر بهما عما اتاه الله تعالى من النبوة
والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء في جعلهم امره ونهيه غير مستند الى سند من ربي ومالك اموري وايراد حرف الشرط مع جزمه
بكونه على ما عليه من البينة والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم كما ذكرناه في نظائره ورزقني منه من لدنه
رزقا حسنا هو النبوة والحكمة ايضا عبر عنهما بذلك تنبيها على انهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك مناط الحيوة
الابدية له وللامة وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى الكلام اي تقولون في شاني ما تقولون والمعنى انكم نظمتموني في سلك
السفهاء الغواة وعددتم ما صدر عني من الاوامر والنواهي من قبيل ما لا يصح ان يتفوه به عاقل وجعلتموه من احكام الوسوسة والجنون
واستهزأتم بي وبافعالي حتى قلتم ان ما امرتكم به من التوحيد وترك عبادة الاصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف ليس مما يامر به العقل
رد على الكشاف والبيضاوي ويقضي به قاضي الفطنة وانما يامر به صلوتي التي هي من احكام الوسوسة والجنون فاخبروني ان كنت على حجة من ربي ومالك اموري ثابتا
على النبوة والحكمة التي ليس وراءها غاية للكمال ولا مطمح للطامح ورزقني بذلك رزقا حسنا اتقولون في شاني ما تقولون من الاباطيل فيه
ولا مترو وراءه هذا هو الجواب الذي يستدعيه السياق ويساعده النظم الكريم واما ما قيل من ان المحذوف فهل يصح لي ان لا آمركم بعبادة
مما في ذلك الاوثان والكف عن المعاصي او هل يسع مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه فمنول

وأما بيان تقديره ان حمل كلامهم على الحقيقة واريد بالصلوة الدين على معنى أدينك يأمرك ان نكلفنا بترك عبادة آلهتنا القديمة وترك
المتصرف المطلق في اموالنا وتحاكمنا في ذلكم تشق عصانا وهذا مما لا ينبغي ان يصدر عنك فانك انت المشهور بالحلم العاقل والرشيد
الكامل فيما بيننا كما كان قول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مسرودا على ذلك النمط فاجيبوا بما اجيبوا به وعلى هذا الوجه يكون المراد
بالرزق الحسن الحلال الذي آتانا الله تعالى والمعنى اخبروني ان كنت نبيا من عند الله ورزقني مالا حلالا استغني به عن العالمين أيصح
ان اخالف امره وأوافقكم فيما تأتون وما تذرون أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه اى اقصده بعدما وليتم عنه واستبد به دونكم
يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مولّ عنه وخالفته عن كذا اذا كان الامر على العكس إن أريد اى ما اريد بما اباشره من الامر
والنهي الا الاصلاح الا ان اصلحكم بالنصيحة والموعظة ما استطعت اى مقدار ما استطعته من الاصلاح والتقييد به للاحتراز
عن الاكتفاء بالاصلاح في الجملة لا عن ارادة ما ليس في وسعه وما توفيقي اى كوني موفقا لتحقيق ما انحيه من اصلاحكم الا بالله
اى بتأييده ومعونته بل الاصلاح من حيث الخلق مستند اليه سبحانه وانما انا من مباديه الظاهرة قال عليه السلام تحقيقا وازاحة
لما عسى يوهمه اسناد الاستطاعة اليه بارادته من استبداده بذلك عليه توكلت في ذلك معرضا عما عداه فانه القادر على مقدور وما عداه
عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل من مرتبة الاعتداد والاستظهار واليه أنيب اى ارجع فيما انا بصدده ويجوز
ان يكون المراد موفقا لاصابة الحق والصواب في كل ما آتيه وأذره الا بهدايته ومعونته عليه توكلت وهو اشارة الى محض التوحيد الذاتي والفعلي
واليه انيب اى عليه لا على غيره اشر نفسي في مجامع اموري وايثار صيغة الاستقبال على الماضي الانسب للتقرر والتحقق كما في التوكل لكمال
الصورة والدلالة على الاستمرار ولا يخفى ما في جوابه من مراعاة لطف المراجعة ورفق الاستنزال والمحافظة على قواعد حسن المجاراة والتحاور
وتمهيد معاقد الحق بطلب التوفيق من جناب الله عز وجل والاستعانة به في اموره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بعداوتهم
وأما تهديدهم بالرجوع الى الله تعالى للجزاء كما قيل فلا لان الانابة انما هي الرجوع الاختياري بالفعل الى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء
اذ ما يعمه ويا قوم لا يجرمنكم اى لا يكسبنكم من جرمه ذنبا مثل كسبته مالا شقاقي معاداتي واصلهما ان احد المتعاديين يكون في عدوة
وشق والآخر في آخر أن يصيبكم مفعول ثان ليجرمنكم اى لا يكسبنكم معاداتكم لي ان يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق
أو قوم هود من الريح او قوم صالح من الصيحة والرجفة وقرأ ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له كاسبا
وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسب المال فلا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه في المعنى الا ان الاول اصح
وادور على السنة الفصحاء وقرئ ليوصيبوه مثل ما أصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون
ذات اوقال وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشقاق عن كسب ما ذكر من العذاب لكنه في الحقيقة نهي للكفرة عن مشاقته ودم على الطف اسلوب
وابدعه كما مرّ في المائدة عند قوله ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم من الامم
المعدودة فاعتبروا بهم فكأنه انما غير اسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما اصابهم بل اكتفى بذكر قربهم ايذانا بان ذلك مغن عن ذكره
لشهرته لكونه منظوما في سمط ما ذكر من دواهي الامم المرقومة او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد ان يصيبكم مثل ما اصابهم وافراد
البعيد مع تذكيره لان المراد وما اهلاكهم على نية المضاف او وما هم بشيء بعيد لان المقصود افادة عدم بعدهم على الاطلاق لا من حيث
خصوصية كونهم قوما او ما هم في زمان بعيد او مكان ولا يبعد ان يكون ذلك لكونه على زنة المصادر كالنهيق والشهيق ولما انذرهم
بسوء عاقبة صنيعهم عقبه طمعا في ارعوائهم عما كانوا يعمهون فيه من طغيانهم بالحمل على الاستغفار والتوبة فقال واستغفروا ربكم ثم
توبوا اليه مر تفسيره في اول السورة إن ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود مبالغ في فعل ما يفعل البليغ المودة بمن يوده
من اللطف والاحسان وهذا تعليل للامر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول اى ما نفقه مراد
غرض المتكلم من كلامه اى انهم مرادكم وانما قالوه بعدما سمعوا منه دلائل الحق المبين على احسن وجه وابلغه وضاقت عليهم الحيل

اى ما وليتم عنه وبعد ما قصدته

رد على الكشاف والبيضاوي وابن الكمال رحمهم الله

وعيت بهم العلل فلم يجدوا الى محاورته سبيلاً سوى الصدود عن منهاج العقل والسلوك الى سبيل الشقا كما هو ديدن المفحم المحجوج ويقابل البينات بالسب والابراق والارعاد فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وانواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه وادمجوا في ضمن ذلك ان في تضاعيفه ما يستوجب اقصى ما يكون من المؤاخذة والعقاب ولعل ذلك ما فيه من التحذير من العواقب الامم السالفة ولذلك قالوا وانا لنريك فينا فيما بيننا ضعيفا لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع والايقاع والدفع ولولا رهطك لولا مراعاة جانبهم لا لولاهم يمانعوننا ويدافعوننا لرجمناك فان ممانعة الرهط وهو اسم للثلاثة الى السبعة او الى العشرة لهم وهم الوف مؤلفة مما لا يكاد يتوهم وقد ايد ذلك بقوله عز وجل وما انت علينا بعزيز مكرم محترم حتى تمتنع من رجمك وانما يليق عنه للمحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وايلاء الضمير حرف النفي وان لم يكن الخبر فعليا غير خال عن الدلالة على رجوع النفي الى الفاعل دون الفعل لا سيما مع قرينة قوله ولولا رهطك كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا وحيث كان غرضهم من عظمتهم بهذه عائدا الى نفي ما فيه من القوة والقوة الربانية حسبما يوجبه كونه على بينة من ربه مؤيدا من عنده وتقتضيه قضية طلب التوفيق منه والتوكل عليه والانابة اليه والى اسقاطه ذلك كلا عن درجة الاعتداد به والاعتبار قال عليه السلام في جوابهم يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله فان الاستهانة بمن لا يتعزز الا به عز وجل استهانة بجنابه العزيز وانما انكر عليهم اعزية رهطه منه تعالى مع ان ما اثبتوه انما هو مطلق عزة رهطه لا اعزيتهم منه عز وجل مع ان الاشتراك في اصل العزة لتثنية التقريع وتكرير التوبيخ حيث انكر عليهم اولا ترجيح جنبة الرهط على جنبة الله تعالى وثانيا بنفي العزة بالمرة والمعنى ارهطي اعز عليكم من الله فانه مما لا يكاد يصح والى انكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزة اصلا واتخذتموه بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يرد ولا يصدر الا بامره وراءكم ظهريا شيئا منبوذا وراء الظهر منسيا لا يبالى منسوب الى الظهر والكسر لتغيير النسب كالامسي في النسبة الى الامس ان ربي بما تعملون من الاعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه محيط لا يخفى عليه منها خافية وان جعلتموه منسيا فيجازيكم عليها ويحتمل ان يكون الانكار للرد والتكذيب فانهم لما ادعوا انهم لا يكفون عن رجمه عم لقوته وعزته بل لمراعاة جانب رهطه رد عليهم ذلك بانكم ما قدرتم الله حق قدره العزيز ولم تراعوا جنابه القوي فكيف تراعون جانب رهطي الاذلة ويا قوم اعملوا لما رأى النبي عم التي هي الاهانة به عم والعزيمة على رجمه عم لولا رهطه قال لهم على طريقة التهديد اعملوا على مكانتكم اي على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وانما قاله عم ردا لما ادعوا انهم اقوياء قادرون على رجمه وانه ضعيف فيما بينهم لا عز له او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والمشاقة لي وسائر ما انتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي وايقاع ما في نيتكم واخراج ما في امنيتكم من القوة الى الفعل اني عامل على مكانتي حسبما يؤيدني الله ويوفقني بانواع التأييد والتوفيق سوف تعلمون لما هددهم عم بقوله اعملوا على مكانتكم اني عامل كان مظنة ان يسأل منهم سائل فيقول فماذا يكون بعد ذلك فقيل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وصف العذاب بالاخزاء تعريضا بما اوعدوه عم به من الرجم فانه مع كونه عذابا فيه خزي ظاهر حيث لا يكون الا بجناية عظيمة توجبه ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا على انه قسيم له بل حيث اوعدوه بالرجم وكذبوه قيل سوف تعلمون من المعذب ومن الكاذب وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجمه عم وفي نسبته الى الضعف والهوان وفي ادعائهم الابقاء عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية والاسمية لان كذب الكاذب ليس بمترتب كاتيان العذاب بل انما المترتب ظهور الكذب السابق المستمر ومن اما استفهامية معلقة للعلم عن العمل كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا كاذب واما موصولة اي سوف تعرفون الذي يأتيه عذاب والذي هو كاذب وارتقبوا وانتظروا مآل ما اقول اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم والمراقب كالعشير والمرتقب كالرفيع وفي زيادة معكم اظهار منه عم لكمال

[illegible]

الوثوق بامره ولما جاء امرنا اي عذابنا كما ينبئ عنه قوله تع سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه او وقته فان الارتقاب موذن بذلك
نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وهي الايمان الذي وفقناه له او بمرحمة كائنة منا لهم وانما ذكر بالواو كما في قصة هود عم
لما انه لم يسبقه فيها ذكر وعد يجري مجرى السبب المقتضي لحصول الغاية في معلوله كما في قصتي صالح ولوط فانه قد سبق هنالك سابقة الوعد
بقوله ذلك وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح واخذت الذين ظلموا عدل اليه عن الضمير تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا
بان ما اخذهم انما اخذهم بسبب ظلمهم الذي فصل فيما سبق فنونه الصيحة قيل صاح بهم جبرئيل عم فهلكوا وفي سورة الاعراف
فاخذتهم الرجفة وفي سورة العنكبوت فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضي اليها
كما مر فيما قبل فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها ولما لم يجعل متعلق العلم في قوله تع سوف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه نفس مجيء العذاب بل من يجيئه ذلك جعل مجيئه بعد ذلك امرا مسلم الوقوع غنيا عن الاخبار به حيث جعل شرطا
وجعل تنجية شعيب عم واهلاك الكفرة جوابا له ومقصود الافادة وانما قدم تنجيته اهتماما بشانها وايذانا بسبق الرحمة التي هي مقتضى
الربوبية على الغضب الذي يظهر اثره بموجب جرائرهم وجرائمهم كان لم يغنوا اي لم يقيموا فيها متصرفين في اطرافها متقلبين في اكنافها
الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود العدول عن الاضمار الى الاظهار ليكون ادل على طغيانهم الذي اداهم الى هذه المرتبة وليكون
انسب بمن شبه هلاكهم بهلاكهم اعني ثمود وانما شبه هلاكهم بهلاكهم لانهما اهلكتا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير ان هؤلاء صيح بهم
من فوقهم واولئك من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد
مصدر لهما والبعد مصدر للمكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهي الايات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والانفس ومنهم من جعلهما آية واحدة وعد منها اظلال الجبل وليس كذلك
فانه لقبول احكام التورية حين اباه بنو اسرائيل والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول ارسلنا او نعتا لمصدره المؤكد اي
حال كونه ملتبسا باياتنا او ارسلناه ارسالا ملتبسا بها وسلطان مبين هو المعجزات الباهرة منها او هو العصا والافراد بالذكر
لاظهار شرفها لكونها ابهرها او المراد بالايات ما عداها او هما عبارتان عن شيء واحد اي ارسلناه بالجامع بين كونها آياتنا وبين كونه
سلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها من ابان لازما او متعديا او هو الغلبة والاستيلاء كقوله تع ونجعل لكما سلطانا
ويجوز ان يكون المراد ما بينه عم في تضاعيف دعوته حين قال له فرعون من ربكما فما بال القرون الاولى من الحقائق الرائقة
والدقائق اللائقة وجعله عبارة عن التورية او ادراجها في جملة الايات يرده قوله عز وجل الى فرعون وملائه فان نزولها
انما كان بعد مهلك فرعون وقومه قاطبة ليعمل بها بنو اسرائيل فيما يأتون وما يذرون واما فرعون وقومه فانما كانوا مامورين
بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال بني اسرائيل
من الاسر والقسر وتخصيص ملائه بالذكر مع عموم رسالته عم لقومه كافة لاصالتهم في الرأي وتدبير الامور واتباع غيرهم لهم في الورود
والصدور وانما لم يصرح بكفر فرعون بايات الله تعالى وانهماكه فيما كان عليه من الضلال والاضلال بل اقتصر على ذكر شان ملائه
فقيل فاتبعوا امر فرعون اي امره لهم بالكفر بما جاء به موسى عم من الحق المبين للايذان بوضوح حاله فكان كفره وامر ملائه
بذلك امر محقق الوجود غير محتاج الى الذكر صريحا وانما المحتاج الى ذلك شان ملائه المترددين بين هاد الى الحق وداع
الى الضلال فنعى عليهم سوء اختيارهم وايراد الفاء في اتباعهم المرتب على امر فرعون المبني على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة
للاشعار بمفاجاتهم في الاتباع ومسارعتهم الى الكفر وامرهم به فكان ذلك كله لم يتراخ عن الارسال والتبليغ بل وقع
جميع ذلك في وقت واحد فوقع اثر ذلك اتباعهم ويجوز ان يكون امر فرعون شانه المشهور وطريقته الزائغة فيكون معنى
فاتبعوا فاستمروا على الاتباع والفاء مثلها في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشيء بعد ورود

الرحمة بالنسبة الى شعيب عم النبوة وبالنسبة الى المؤمنين الايمان [illegible]

في قصة عاد

اي العذاب المذكور

قال ابن قتيبة بعد يبعد اذا كان بعده هلكة
اي صحاح

اي قول اللعين انا ربكم الاعلى

الزيغ العدول عن الحق
قاموس

ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فتأمل وترك الاضمار لرفع توهم الرجوع الى الحق
من اول الامر ولزيادة تقبيح حال المتبعين فان فرعون علم في الفساد والافساد والضلال والاضلال فاتباعه لفرط الجهالة وعدم الاستبصار
وكذا الحال في قوله تعالى وما امر فرعون برشيد الرشد ضد الغي وقد يراد به محمودية العاقبة فهو على الاول بمعنى المرشد وذي الرشد حقيقة
لغوية والاسناد مجازي وعلى الثاني مجاز والاسناد حقيقي يقدم قومه جميعا من الاشراف وغيرهم يوم القيمة اي يتقدمهم من قدمه بمعنى
تقدمه وهو استئناف وقع لبيان حاله في الآخرة اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه او لتوضيح عدم صلاح
مآل امره وسوء عاقبته فاوردهم النار اي يوردهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة شبه فرعون بالفارط الذي
يتقدم الواردة الى الماء واتباعه بالواردة والنار بالماء الذي يردونه ثم قيل وبئس الورد المورود اي بئس الورد الذي يردونه
لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك واتبعوا اي الملأ الذين اتبعوا امر فرعون في هذه اي في الدنيا
لعنة عظيمة حيث يلعنهم من بعدهم من الامم الى يوم القيمة ويوم القيمة ايضا حيث يلعنهم اهل الموقف قاطبة فهي تابعة لهم حيثما ساروا
دائرة معهم اينما داروا في الموقف فكما اتبعوا فرعون اتبعتهم اللعنة في الدارين جزاء وفاقا واكتفى ببيان حالهم الفظيع وشأنهم الشنيع
عن بيان حال فرعون اذ حين كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من اغواهم والقاهم في هذا الضلال البعيد وحيث كان شأن الاتباع ان يكونوا
اعوانا للمتبوع جعلت اللعنة رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل بئس الرفد المرفود اي بئس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء ولا يلائم
المقام واصله ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهي اللعنة في الدارين وكونه مرفودا من حيث ان كل لعنة منهما معينة
وممدة لصاحبتها ومؤيدة لها ذلك اشارة الى ما قص من انباء الامم وبعده باعتبار تقضيه في الذكر والخطاب لرسول الله عليه السلام
وهو مبتدأ خبره من انباء القرى المهلكة بما جنته ايدي اهلها نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى مقصوص عليك
منها اي من تلك القرى قائم وحصيد اي ومنها حصيد حذف لدلالة الاول عليه شبه ما بقي منها بالزرع القائم على ساقه وما عفا وبطل
بالحصيد والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وما ظلمناهم بان اهلكناهم ولكن ظلموا انفسهم بان جعلوها عرضة للهلاك
باقتراف ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا دفعت بأس الله تعالى عنهم آلهتهم التي يدعون اي يعبدونها من دون الله
اوثر صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او للدلالة على استمرار عبادتهم لها من شيء في موضع المصدر اي شيئا من الاغناء لما جاء امر ربك
اي حين مجيء عذابه وهو منصوب باغنت وقرئ آلهتهم اللاتي ويدعون على البناء للمجهول وما زادوهم غير تتبيب اي اهلاك وتخسير
فانهم انما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها وكذلك اي ومثل ذلك الاخذ الذي مر بيانه وهو رفع على الابتداء وخبره قوله تعالى اخذ ربك
وقرئ اخذ ربك فمحل الكاف على انه مصدر مؤكد اذا اخذ القرى اي اهلها وانما اسند اليها للاشعار بسريان اثره اليها حسبما ذكر وقرئ
اذ اخذ وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم في الاخذ اجريت الحال عليها وفائدتها الاشعار بانهم
اخذوا بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على المأخوذ لا يرجى منه الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد
والتحذير ان في ذلك اي في اخذه تعالى للامم المهلكة او في قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة فانه المعتبر حيث
يستدل بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على احوال عذاب الآخرة واما من انكر الآخرة واحال فناء العالم
وزعم ان ليس هو ولا شيء من احواله مستندا الى الفاعل المختار وان ما يقع فيه من الحوادث فانما يقع لاسباب تقتضيه من اوضاع فلكية
تتفق في بعض الاوقات لا لما ذكر من المعاصي التي تقترفها الامم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار تبا لهم ولما لهم من الافكار ذلك اشارة
الى يوم القيمة المدلول عليه بذكر الآخرة يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس للمحاسبة والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه
لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه فهو ابلغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك اي يوم القيمة مع ملاحظة عنوان جمع الناس له يوم
مشهود اي مشهود فيه حيث يشهد فيه اهل السموات والارضين باجراء الظرف مجرى المفعول به كما في قوله في محفل من نواصي الناس مشهود

والفرط المتقدم يتقدمهم فرط وفراط
يتقدمهم الى الورد لاصلاح
الحوض والدلاء
قاموس

الواردة
القوم يردون
الماء قاموس

اى كثير شائع هذه ولو جعل نفس اليوم مشهودا لكان ما هو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فان سائر الايام ايضا كذلك
وما نؤخره اى ذلك اليوم الملحوظ بعنوانى الجمع والشهود الا لاجل معدود اى الا لانقضاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة
يوم يأت اى حين يأتى ذلك اليوم المؤخر بانقضاء اجله كقوله تعالى ان ثانيهم الساعة وقيل يوم يأتى الجزاء الواقع فيه وقيل اى الله عز وجل
فان المقام مقام تفخيم شان اليوم وقرئ باثبات الياء على الاصل لا تكلم نفس اى لا تتكلم بما ينفع وينجى من جواب او شفاعة وهو العامل
فى الظرف او الانتهاء المحذوف فى قوله تعالى الا لاجل معدود اى ينتهى الاجل يوم يأتى او المضمر المعهود اعنى اذكر الا باذنه عز سلطانه
فى التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا فى موطن من مواطن ذلك اليوم وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن
لهم فيعتذرون فى موقف آخر من مواقفه كما ان قوله سبحانه يوم يأتى كل نفس تجادل عن نفسها فى آخر منها واما اذون فيه الجواب الحقة والمنع عن
الاعتذار الباطلة نعم قد يؤذن فيها ايضا لاظهار بطلانها كما فى قول الكفرة والله ربنا ما كنا مشركين ونظائره فمنهم شقى وجبت
له النار بموجب الوعيد وسعيد اى ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الاول عليه وهو من وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والتعبير لاهل الموقف
المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس او للناس وتقديم الشقى على السعيد لان المقام مقام التحذير والانذار فاما الذين شقوا اى بئست لهم
الشقاوة فى النار اى مستقرون فيها لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعيرا هنا فى اول النهيق
وآخره قال الشماخ يصف حمار الوحش يعيد حدس النطريب اول صوته زفير وتيلوه شهيق محشرج والمراد بهما وصف شدة كربهم
وتشبيه حالهم حال من استولت على قلبه الحرارة والخوف فهو يزفر روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم والجملة مستانفة كان
قال ما شانهم فيها فقيل لهم فيها كذا وكذا او منصوبة المحل على الحالية من النار او من الضمير فى الجار والمجرور كقوله عز اسمه خالدين فيها
ظلا انه ان اريد حدوث كونهم فى النار فالحال مقدرة ما دامت السموات والارض اى مدة دوامهما وهذا التوقيت عبارة عن
التأبيد ونفى الانقطاع بناء على منهاج قول العرب ما دام نهار وما قام بشير وما لاح كوكب مما اختلف الليل والنهار وما ظماء البحر ونزل
من كلمات التأبيد لا تعليق قرارهم فيها بدوام هذه السموات والارض فان النصوص القاطعة دالة على تأبيد قرارهم فيها وانقطاع دوامها
وان اريد التعليق فالمراد سموات الآخرة وارضها كما يدل على ذلك النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تعالى
واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وجزم كل احد بان اهل الآخرة لابد من مظلة ومقلة دائمتين يكون فى تعليق دوام قرارهم فيها
بدوامهما ولا حاجة الى الوقوف على تفاصيل احوالهما وكيفياتهما الا ما شاء ربك استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى
لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف وقوله تعالى حتى يلج الجمل فى سم الخياط
غير ان استحالة الامور المذكورة معلومة بحكم العقل واستحالة تعلق المشية بعدم الخلود معلومة بحكم النقل يعنى انهم مستمرون فى النار
فى جميع الازمنة الآتية زمان مشية الله تعالى عدم قرارهم فيها واذ لا امكان لتلك المشية ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود
فلا امكان لانتهاء مدة قرارهم فيها ولدفع ما عسى يتوهم من كون استحالة تعلق مشية الله تعالى بعدم الخلود دليلا على الله تعالى قال
ان ربك فعال لما يريد يعنى ان فى تخليد الاشقياء فى النار بحيث يستحيل خلافه وقوع خلافه فعال بموجب ارادته فاض بمقتضى مشيته
الجارية على سنن حكمته الداعية الى ترتيب الاجزية على افعال العباد والعدول من الاضمار الى الاظهار لتربية المهابة ولزيادة التقرير
وقيل هو استثناء من الخلود فى عذاب النار فانهم لا يخلدون فيه بل يعذبون بالزمهرير وبانواع اخر من العذاب وهو اغلظ
منها كلها وهو سخط الله تعالى عليهم وخسوره لهم واهانته اياهم وانت تدرى انا وان سلمنا ان المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب
المشتملة على انواع العذاب بل نفس النار فما خلا عذاب الزمهرير من تلك الانواع مقارن لعذاب النار فلا مصداق فى ذلك الاستثناء
ولك ان تقول انهم ليسوا بمخلدين فى العذاب الجسمانى الذى هو عذاب النار بل لهم من اخاديز العذاب ما لا يعلمه الا الله سبحانه ومن العقوبات
والآلام الروحانية التى لا تقف عليها فى هذه الحيوة الدنيا المنغمسون فى احكام الطبيعة المقصورة ادراكهم على ما القوا من الاحوال

الحمام

الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقي ما وراء ذلك من الاحوال الروحانية اذ الكل منهم متوغل لبيانه والكتن بهذه المرتبة
الاجمالية المنبئة عن التهويل في هذه العقوبة وان كانت تعريفهم وهم في النار لكنهم ينسون بها عذاب النار ولا يحسون بها وهذه المرتبة كافية
في تحقيق معنى الاستثناء هذا وقد قيل الا بمعنى سوى وهو اوفق بما ذكر وقيل بمعنى من على ارادة معنى الوصفية فالمعنى ان الذين شقوا
في النار مقدرين الخلود فيها الا الذين شاء الله عدم خلودهم فيها وهم عصاة المؤمنين واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها
ما دامت السموات والارض الكلام فيها كالكلام فيما سبق حذو النعل بالنعل من غير زيادة ونقصان كما ذكر في اهل النار من ان لهم فيها
زفيرا وشهيقا للايذان بان المقام مقام التحذير والانذار الا ما شاء ربك ان حمل على طريقة التعليق بالمحال فقوله سبحانه عطاء غير مجذوذ
نصب على المصدرية من معنى الجملة لان قوله ففي الجنة خالدين فيها يقتضي اعطاء وانعاما مكانه قيل يعطيهم اعطاء وهو اما اسم مصدر هو الاعطاء
او مصدر بحذف الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا وان حمل على ما اعتاد الله تعالى لعباده الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للمشية او تمييز فان نسبة المشية الى الجزاء
يحتمل ان يكون على جهة عطاء مجذوذ وعلى جهة عطاء غير مجذوذ ولم يجز ناما الذي شاء للاهل النار ويجوز ان يتعلق بكلا التعبيرين او بالاول
دفعا لما يتوهم من ظاهر الاستثناء من انقطاعه فلا تك في مرية اي في شك والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل من يتأتى منه الشك
في تضاعيفها من العواقب الدنيوية والاخروية مما يعبد هؤلاء اي من جهة عبادة هؤلاء المشركين وهو عاقبتها او من حال ما يعبدونه
من الاوثان في عدم نفعه لهم ولما كان مساق النظم الكريم قبل الشروع في القصص لبيان غاية سوء حال الكفرة وكمال حسن حال المؤمنين وقد قرر
لهم مثل فقيل مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون وقد فصل عقيب ذلك من انباء الامم السالفة
مع رسلهم المبعوثة اليهم ما يتذكر به المتذكرون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كونه في شك من مصير اولئك المشركين في العاجل والاجل
ثم علل ذلك بطريق الاستئناف فقيل ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم الذين قصصت عليهم قصصهم من قبل اي اهم واباؤهم
سواء في الشرك بما يعبدون عبادة الاكعباد تهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان والعدول الى صيغة المضارع لحكاية
الحال الماضية باحضار صورتها او مثل ما كانوا يعبدونه فحذف كان لدلالة قوله من قبل عليه ولقد بلغك بالحق اباءهم فسيلحقهم مثل ذلك
فانا عامل الاسباب بمقتضى عوامل المسببات وانا لموفوهم اي هؤلاء الكفرة نصيبهم اي حظهم المعين لهم حسب جرائمهم وجرائرهم
من العذاب عاجلا واجلا كما وفينا اباءهم النصباء هم المقدرة لهم او من الرزق المقسوم لهم فيكون بيانا لوجه تأخر العذاب عنهم مع تحقق
ما يوجبه غير منقوص حال مؤكدة من النصب كقوله تعالى ثم ولّيتم مدبرين وفائدته دفع توهم التجوز وجعلها مفيدة للوفاء احتمال
كونه منقوصا فان نفيه مبني على الذهول عن كون العامل هو التوفية فتأمل ولقد آتينا موسى الكتاب اي التورية فاختلف فيه
اي في شأنه وكونه من عند الله تعالى فآمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما آتيناك من القرآن وقولهم لولا انزل عليه كنز
او جاء معه ملك ونحو ذلك من افترياتهم ولولا كلمة سبقت من ربك وهي كلمة القضاء بانظارهم الى يوم القيمة على حسب الحكمة الداعية
الى ذلك لقضي بينهم اي لاوقع القضاء المختلفين من قومك بانزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميز وابه عن المحقين وقيل بين
قوم موسى وليس بذاك وانهم اي وان كفار قومك لفي شك عظيم منه اي من القرآن وان لم يجر له ذكر فان ذكر ايتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لا يتأتى بعد التسلية بنادى به نداء غير خفي
قريب موقع في الرتبة وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه اي وان كلا من المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين وقرأ
ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اي اجزية اعمالهم واللام الاولى
موطئة للقسم وان نافية جواب للقسم المحذوف ولما مركبة من من الجارة وما المصدرية او الموصولة او الموصوفة واصله لمن لما فقلبت النون
ميما للادغام فاجتمع ثلث ميمات فحذفت الاولى والمعنى لمن الذين او لمن ظلم او لمن فريق والله ليوفينهم ربك وقرئ لما بالتخفيف

اذ لا يلزم من عدم الاخبرين
عدم الادغام الذي
هو المحقق عند الكل
كما لا يخفى

على ان ما فريدة للفصل بين اللامين والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم الآية وقرئ لما بالتنوين اى جميعا كقوله بجانة الحلالما وقرأ ابى وان كلا لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقرئ به إنه بما يعملون اى بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر خبير بحيث لا يخفى عليه شئ من جلائله ودقائقه وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية اعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل اعمال الفريقين وما يستوجبه كل عمل يقتضى الحكمة من الجزاء المخصوص يوجب توفية كل حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر فاستقم كما امرت لما بين فى قصص المحكية عن الامم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل واشير الى ان منشأ الكثرة فى الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل اولئك المعذبين وان نصيبهم من العذاب اصل اليهم من غير نقص وان تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى عليه السلام للتورية وانه لم يسبق كلمة القضاء فى اخر عتوبتهم العامة ومؤاخذتهم التامة الى يوم القيمة لفعل بهم ما فعل بامثالهم من قبل وانهم يوفون نصيبهم غير منقوص وان كل واحد من المؤمنين والكافرين يوفى جزاء عمله اجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما امر به فى العقائد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين والاستقامة فى الاعمال الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل اعمال الرسالة بحيث يدخل تحته ما امر به فيما سبق من قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك الآية وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية والخروج عن عهدته فى غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبتنى سورة هود ومن تاب معك اى تاب من الشرك والكفر وشاركك فى الايمان وهو المعنى بالمعية وهو معطوف على المستكن فى قوله فاستقم وحسن من غير تاكيد لمكان الفاصل المقام مقامه وفى الحقيقة هو من عطف الجملة على الجملة اذ المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو منصوب على انه مفعول كما قاله ابو البقاء والمعنى استقم مصاحبا لمن تاب معك ولا تطغوا اى لا تجاوزوا ما حد لكم افراطا او تفريطا فان كلا طرفى قصد الامور ذميم وانما سمى ذلك طغيانا وهو تجاوز الحد تغليظا او تغليبا لحال سائر المؤمنين على حاله م إنه بما تعملون بصير فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للامر والنهى فى الآية ودلالة على وجوب اتباع المنصوص عليه من غير انحراف بحر الرأى فانه طغيان وضلال وامالعمل بمقتضى الاجتهاد التابع لجلى النصوص فلذلك من باب الاستقامة كما امر على موجب النصوص الآمرة بالاجتهاد ولا تركنوا اى لا تميلوا ادنى ميل الى الذين ظلموا اى الى الذين وجد منهم الظلم فى الجملة ومدار النهى هو الظلم والجمع لاعتبار جمعية المخاطبين وما قيل من ان ذلك للمبالغة فى النهى من حيث ان كونهم جماعة منظنة ان رخصة فى مداهنتهم انى ترى ان لو كان المراد النهى عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك فتمسكم بسبب ذلك النار واذا كان حال الميل فى الجملة الى من وجد منه ظلم ما فى الانتهاء الى مماسة النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين فى الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على مصاحبتهم ومناصرتهم ويلتمس شر اشرهم على مواساتهم ومعاشرتهم ويتهيج بالترقى بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم عما اوتوا من الظروف الدانية وهو فى الحقيقة من الجنة لطيف ومن جناح البعوض خفيف بمعزل من ان يميل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب والآية ابلغ ما يتصور فى النهى عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التى هى العدل فان المميل الى احد طرفى الافراط والتفريط ظالم على نفسه او على غيره وقرئ تركنوا على لغة بنى تميم وتركنوا على صيغة البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء اى من انصار يتعدونكم من النار والجملة نصب على الحالية من قوله فتمسكم النار ونفى الاولياء ليس بطريق نفى ان يكون لكل واحد منهم اولياء حتى يصدق مع ان يكون له ولى بل لكان لكم بطريق انقسام الآحاد على الآحاد لكن لا على معنى نفى استقلال كل منهم بنصير بل على معنى نفى ان يكون لكل واحد منهم نصير بقرينة المقام ثم لا تنصرون من جهته سبحانه اذ قد سبق فى حكمه ان يعذبكم بركونكم اليهم ولا مس عليكم وثم لتراخى رتبة كونهم غير منصورين من جهته تعالى بعد ما اوعدهم بالعذاب واوجب عليهم ويجوز ان يكون فيه لا مزلة القارئ بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا ينقذهم انتج انهم لا ينصرون اصلا وأقم الصلوة طرفى النهار اى غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية لكونه مضافا الى الوقت وزلفا من الليل اى ساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه جمع زلفة

الزلفى بكسر الزاء
الزلفة اصلها زلوى
قلبت الواو ياء واد غمت
الياء فى الياء ٥ لكاشه

[illegible]

عطف على طرفي النهار والمراد بصلوتها صلوة الغدوة والعصر وقيل الظهر موضع العصر لان ما بعد الزوال عشي وبصلوة الزلف المغرب
والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات التي من جملتها بل عمدتها
ما امرت به من الصلوات يذهبن السيئات التي قلما يخلو منها البشر اي يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما
ما اجتنب الكبائر وقيل نزلت في ابي اليسر الانصاري اذ قبل امراة ثم ندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال
انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر قال عم نعم اذهب فانها كفارة بكفارة لما عملت او ينعض من اقرانها كقوله تع ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر ذلك اشارة الى قوله تع فاستقم وما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين اي عظة للمتعظين واصبر على مشاق
ما امرت في تضاعيف الاوامر السابقة واما ما نهي عنه من الطغيان والركون الى الذين ظلموا فليس في الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له
اللهم الا ان يراد به ما لا يمكن عادة خلو البشر عنه من ادنى ميل بحكم الطبيعة من الاستقامة المامور بها ومن يسير ميل بحكم البشرية الى من وجد
منه ظلم ما فان في الاحتراز عن امثاله من المشقة ما لا يخفى فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي يوفيهم اجور اعمالهم من غير بخس اصلا
وانما عبر عن ذلك بنفي الاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة حقيقة كيف لا والاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها
ضياعها لبيان كمال نزاهته تع عن ذلك بتصويره بما يمتنع صدوره عنه سبحانه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه
وانما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع افادة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للامر بالصبر وفيه ايماء الى ان الصبر
على ما ذكر من باب الاحسان فلولا كان فهلا كان من القرون الكائنة من قبلكم على راي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته
او كائنة من قبلكم اولو بقية من الراي والعقل او اولو فضل وخير سميا بها لان الرجل انما يستبقي مما يخرجه عادة اجوده وافضله
فصار مثلا في الجودة والفضل وفلان من بقية القوم اي من خيارهم ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى التقوى
كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله تع وعقابه ويؤيده انه قرئ اولو بقية وهي المرة من مصدر
بقاه يبقيه اذا رقبه وانتظره اي اولو مراقبة وخشية من عذاب الله كانهم ينتظرون نزوله لاشفاقهم ينهون عن الفساد في الارض الواقع
منهم حسبما حكي عنهم الا قليلا ممن انجينا منهم استثناء منقطع اي لكن قليلا منهم انجيناهم لكونهم على تلك الصفة على ان من للبيان

في نسخة انجينا

لا للتبعيض لان جميع الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي المذكور الا القليل
من الناجين منهم كما اذا قلت هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم مريدا لاستثناء الصلحاء من المحضضين على القراءة نعم يصح ذلك ان جعل
استثناء من النفي اللازم للتحضيض فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح على البدلية واتبع
الذين ظلموا بمباشرة الفساد وترك النهي عنه ما اترفوا فيه اي انعموا من الشهوات واهتموا بتحصيلها اما المباشرون فظاهر واما [illegible]
فلما لهم في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل المراد بهم تاركوا النهي وانت خبير بانه يلزم منه عدم دخول مباشري الفساد في الظلم والاجرام
عبادة وكانوا مجرمين اي كافرين فهو بيان لسبب استيصال الامم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى فيهم وشيوع ترك النهي
عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اي لم ينهوا واتبع الخ فيكون العدول الى المظهر لادراج المباشرين معهم في الحكم
والتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بعلية ذلك لما حاق بهم من العذاب او على استئناف يترتب على قوله الا قليلا اي الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا
عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشري الفساد وتاركي النهي عنه فيكون الاظهار مقتضى الظاهر وقوله وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اي اتبعوا
الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام واريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبع اي اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع
مجرمين ويجوز ان يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم بانهم قوم مجرمون وقرئ واتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهور
ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى اي ما صح وما استقام بل استحال في الحكمة ان يهلك القرى التي يهلكها حسبما بلغك انباؤها
ويعلم من ذلك حال باقيها من القرى الظالمة واللام لتاكيد النفي وقوله بظلم اي ملتبسا به قيل هو حال من الفاعل اي ظالما لها والتنكير للتفخيم

والايذان بان اهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى والا فالظلم
فيما فعل الله تعالى بعباده كائنا ما كان لما تقرر من قاعدة اهل السنة وقد مر تفصيله في سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد
واهلها مصلحون حال من المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار تقييده بما وقع حالا من فاعله اعني بظلم لدلالة على تقييد نفي الاهلاك ظلما بحال
كون متصلحين ولا ريب في فساده بل مطلقا عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك والباء للسببية اي لا يهلك القرى بسبب اشراك اهلها وهم مصلحون
يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضيفون الى شركهم فسادا آخر وذلك لبقاء رحمة ومسامحة في حقوقه تعالى وعن ذلك فتم الغفران عند تزاحم الحقوق
حقوق العباد الفقراء على حقوق الله تعالى الغني الحميد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم وانت تدري ان مقام النهي عن المنكرات
التي افحشها الاشراك بالله لا يلائمه فان الشرك داخل في الفساد في الارض دخولا اوليا ولذلك ينهى كل من الرسل الذين قصت قصائدهم
امته اولا عن الاشراك ثم عن سائر المعاصي التي كانوا يتعاطون فالوجه حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من اصناف المعاصي
وحمل الاصلاح على الصلاح والاقلاع عنه بكون بعضهم متصدين للنهي عنه وبعضهم متوجهين الى الاتعاظ غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من انواع
الفساد ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مجتمعة على الحق ودين الاسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه احد ولكن لم يشأ ذلك
فلم يكونوا متفقة على الحق ولا يزالون مختلفين في الحق اي مخالفين له كقوله تعالى وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات
بغيا بينهم الا من رحم ربك الا قوما قد هداهم الله تعالى بفضله الى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه اي لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف
الشامل لما يصدر عن المحق والمبطل باباه الاستثناء المذكور ولذلك اي لما ذكر من الاختلاف خلقهم اي الذين بقوا بعد الشقيا
وهم المختلفون فاللام للعاقبة او للرحم فالضمير لمن واللام في معناها او لهما معا فالضمير للناس كافة واللام بمعنى مجازي عام لكل من المعنيين
وتمت كلمة ربك اي وعيده وقيل او قوله للملئكة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين او منهما
اجمعين لا من احدهما وكلا اي وكل نبا فالتنوين عوض عن المضاف اليه نقص عليك نخبرك به وقوله تعالى من انباء الرسل
بيان لكلا وقوله تعالى ما نثبت به فؤادك بدل منه والاظهر ان يكون المضاف اليه المحذوف في كلا المفعول المطلق لنقص اي كل
اسلوب من اساليب نقص عليك من انباء الرسل وقوله سبحانه ما نثبت به فؤادك مفعول لنقص وفائدة التنبيه على ان المقصود الاقتصاص
زيادة يقينه صلى الله عليه وسلم وطمانينة قلبه وثبات نفسه على ادآء الرسالة واحتمال اذية الكفار بالوقوف على تفاصيل احوال الامم السالفة في تضاعيف
الضلال ومقالة الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق وجاءك في هذه السورة او الانباء المقصوصة عليك الحق الذي لا محيد
عنه وموعظة وذكرى للمؤمنين اي الجامع بين كونه حقا في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين ولكون الوصف الاول حالا في نفسه
حلى باللام دون ما هو وصف له بالقياس الى الغير وتقديم الظرف اعني في هذه على العامل لان المقصود بيان منافع السورة والانباء
المقصوصة فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها لا في غيرها ولان عند تاخير ما حقه التقديم تبقى النفس
مترقبة اليه فيتمكن عند ورود ما فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقل للذين لا يؤمنون
بهذا الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون اعملوا على مكانتكم اي على حالكم وجهتكم التي هي عدم الايمان انا عاملون على حالنا
وهو الايمان به والاتعاظ والتذكير به وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون اي تنزل بكم كما نزل بامثالكم من الكفرة
ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امركم وامرهم اليه وقرئ على البناء للفاعل اي رجع بعضها
فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك والفاء لترتيب الامر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الامور كلها اليه عز وجل وفي تاخير الامر بالتوكل
عن الامر بالعبادة اشعار بانه لا ينفع دونها وما ربك بغافل عما يعملون فيجازيهم موجبه وقرئ تعملون على تغليب المخاطب اي انت وهم فيجازي كلا
منكم ومنهم بموجب الاستحقاق عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة هود اعطي عشر حسنات بعدد من صدق كل واحد من الانبياء المعدودين
على نبينا وعليهم الصلوة والسلام وبعدد من كذب بهم وكان يوم القيمة من السعداء بفضل الله سبحانه وتعالى

اضاءه البيضاوي

سورة يوسف مكية وهي مائة واحد عشر آية بسم الله الرحمن الرحيم

الر الكلام فيه وفي محله وفيما اريد بالاشارة والآيات والكتاب في قوله تعالى تلك آيات الكتاب عين ما سلف في مطلع سورة يونس
المبين من ابان بمعنى بان اي الظاهر امره من كونه من عند الله تعالى وفي اعجازه بنوعيه لا سيما الاخبار عن الغيب او الواضح معانيه
للعرب بحيث لا يشتبه عليهم حقائقه ولا يلتبس لديهم دقائقه لنزوله على لغتهم او بمعنى بين اي المبين لما فيه من الاحكام وخفايا الملك
والملكوت واسرار النشأتين في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فابانته
انباؤه عن قصة يوسف فانه قد روي ان احبار اليهود قالوا لرؤساء المشركين سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم لماذا انتقل آل يعقوب
من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عم ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالابانة من قبيل براعة الاستهلال لما سيأتي ولما وصف الكتاب
بما يدل على الشرف الذاتي عقب ذلك بما يدل على الشرف الاضافي فقيل انا انزلناه اي الكتاب المنعوت بالنعوت الجليلة فان كان عبارة عن الكل
وهو الاظهر الانسب بقوله تعالى قرآنا عربيا اذ هو المشهور بهذا الاسم الموصوف بهذا النعت المتسارع الى الفهم عند الاطلاق فالامر ظاهر
وان جعل عبارة عن السورة فتسميتها قرآنا لما عرفته فيما سلف والسر في ذلك انه اسم جنس في الاصل يقع على الكل والبعض كالكتاب
او لانه مصدر بمعنى المفعول اي انزلناه حال كونه مقروا بلغتكم لعلكم تعقلون اي لكي تفهموا معانيه كما او تحيطوا بما فيه من البدائع خبرا
وتطلعوا على انه خارج عن طوق البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر نحن نقص عليك اي نخبرك ونحدثك من اشتقاقه من قص
اثره اذا اتبعه لان من قص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن لانه يتبع ما حفظ منه آية بعد آية احسن القصص
اي احسن الاقتصاص فنصبه على المصدرية وفيه مع بيان الواقع ايهام لما في اقتصاص اهل الكتاب من القبح والخلل وترك المفعول اما لاعتماد
على انفهامه من قوله عز وجل بما اوحينا اي بايحائنا اليك هذا القرآن اي هذه السورة فان كونها موحاة منبئ عن كون ما في ضمنها
مقصوصا والتعرض لعنوان قرآنيتها لتحقيق ان الاقتصاص ليس بطريق الالهام او الوحي المتلو واما لظهوره من سؤال المشركين بتلقين
علماء اليهود واحسنيته لانه قد اقتص على ابدع الطرائق الرائعة الرائقة واعجب الاساليب الفائقة اللائقة كما لا يكاد يخفى
على من طالع القصة من كتب الاولين والآخرين وان كان لا يميز الغث من السمين ولا يفرق بين الشمال واليمين وفي كلمة هذا
ايماء الى مغايرة هذا القرآن لما في قوله تعالى قرآنا عربيا بان يكون المراد بذلك المجموع فتأمل او نقص عليك احسن ما يقص من الانباء
وهو قصة آل يعقوب عليهم السلام على ان القصص فعل بمعنى المفعول كالنبا والخبر او مصدر سمي به المفعول كالخلق والصيد ونصب احسن
على المفعولية واحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى كمال حسنه وان كنت ان مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الواقع
اسما لها محذوف واللام فارقة والجملة خبر والمعنى وان الشأن كنت من قبله اي من قبل ايحائنا اليك هذه السورة
لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لاجلال
شأن النبي عليه السلام وان غفل عنه بعض الغافلين اذ قال يوسف نصب باضمار اذكر وشروع في القصة انجازا للوعد باحسن
الاقتصاص او بدل من احسن القصص على تقدير كونه مفعولا بدل الاشتمال فان اقتصاص الوقت المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله
اقتصاص للمقصوص ويوسف اسم عبري لا عربي لخلوه عن سبب آخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض الروايات بناء
على التلقب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف لشهادة المشهورة بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
وقد روي عنه عليه السلام ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت
اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبت هاء في الوقف على قراءة ابن كثير وابي عمرو
ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لان الاصل يا ابتا فحذف الالف
وبقي الفتحة وانما لم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء

من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب إني رأيت من الرؤيا لا
من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وهذا تاويل رؤياي وآلات الظاهرات ووقوع مثل هذه الامور البديعة في عالم الشهادة لا يخفى برؤية
واحد رآه فيكون طامة كبرى لا يخفى على احد من الناس أحد عشر كوكبا والشمس والقمر روى عن جابر رضه ان يهوديا جاء الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف عم فسكت النبي عليه السلام فنزل جبرئيل عم فاخبره بذلك فقال عم اذا اخبرتك
بذلك هل تسلم قال نعم قال عم جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين
رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته
والكواكب اخوته وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب لاظهار مزيتهما وشرفهما على سائر الطوالع بعطفهما عليها كما في عطف جبريل وميكال على الملائكة
وقد جوز ان يكون الواو بمعنى مع اي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر ولا يبعد ان يكون ذلك اشارة الى تأخر ملاقاته ايهما عن ملاقاته
لاخوته وعن وهب ان يوسف عم رأى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة واذا
عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة
الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه
اربعون سنة وقيل ثمانون رأيتهم لي ساجدين استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها كأن سائلا سأل فقال كيف رأيتهم
لي ساجدين فاجاب بذلك وانما اجريت مجرى العقلاء في الضمير لوصفها بوصف العقلاء اعني السجود وتقديم الجار والمجرور للاظهار
العناية والاهتمام بما هو الاهم مع ما في ضمنه من رعاية الفاصلة قال يا بني صغره للشفقة او لها ولصغر السن وهو ايضا
استئناف مبني على سؤال من قال فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف يعقوب عم من هذه الرؤيا ان يوسف سيبلغه
الله مبلغا جليلا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه الكرام خاف عليه حسد الاخوة وبغيهم فقال صيانة
لهم من ذلك وله من معاناة المشاق ومقاساة الاحزان وان كان واثقا بان الله تعالى سيحقق ذلك لا محالة وطامعا في حصوله بلا مشقة
لا تقصص رؤياك هي ما في المنام كما ان الرؤية ما في اليقظة فرق بينهما بحرفي التأنيث كما في القربى والقربة وحقيقتها ارتسام
الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما يكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب
عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فيتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها
الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم اذا كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت
الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه على اخوتك فيكيدوا لك كيدا نصب باضمار ان اي فيفعلوا لك اي لاجلك ولاهلاكك كيدا
متينا راسخا لا تقدر على التفصي عنه او خفيا عن فهمك لا تتصدى لمدافعته وهذا اوفق بمقام التحذير وان كان يعقوب عم يعلم انهم
ليسوا بقادرين على تحويل ما دلت الرؤيا على وقوعه وهذا الاسلوب آكد من ان يقال فيكيدوك كيدا اذ ليس فيه دلالة على كون نفس
مقصود الايقاع وقد قيل انما جيء باللام لتضمينه معنى الاحتيال المتعدي باللام ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه للتأكيد اي فيحتالوا
لك ولاهلاكك حيلة وكيدا والمراد باخوته ههنا الذين يخشى غوائلهم ومكائدهم من بني علاته الاحد عشر وهم يهودا وروبيل
وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينه بنو يعقوب من ليا بنت خالته ودان ونفتال وجاد واشر بنوه
من سريتين زلفة وبلهة وهؤلاء هم المشار اليهم بالكواكب الاحد عشر واما بنيامين الذي هو شقيق يوسف عم وامهما
راحيل التي تزوجها يعقوب عم بعد وفاة اختها ليا او في حياتها اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذاك محرما فليس بداخل تحت هذا النهي
اذ لا يتوهم مضرته ولا يخشى معرته ولم يكن معدودا معهم في الرؤيا اذ لم يكن معهم في السجود ليوسف والمراد نهيه عن اقتصاص الرؤيا
عليهم كلا او بعضا إن الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة فلا يألو جهدا في اغواء اخوتك واضلالهم

الدارة الدائرة كالهالة بفتح الفاء

الالف والياء

وتربيت تحمل

النفل

وظلمهم

وعلم على ما لا اخر فيه وهو استئناف كأن يوسف ع قال كيف يصدر ذلك عن اخوتي الناشئين في بيت النبوة فقيل ان الشيطان
يحلهم على ذلك فانبهه ع على ان لرؤياه شانا عظيما يستتبع منافع وخدره اشاعتها المؤدية الى ان يحول اخوته بينها وبين
ظهور آثارها وحصولها او يتوسلوا بحصولها شرع في تعبيرها وتاويلها على وجه اجمالي فقال وكذلك اي ومثل ذلك الاجتباء
البديع الذي شاهدت آثاره في عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك ويجتبيك ربك يختارك
لجناب كبريائه ويستنبئك افتعال من جباه اذا جمعه ويصطفيك على اشراف الطوائف وسراة الناس خاطبة ويرى مصداق تلك الرؤيا
في عالم الشهادة صبحا عاينته من غير تصور والمراد بالتشبيه بيان المضايقة المتحققة بين الصور المرئية في عالم المثال وبين ما وقعت
هي صورا واشباحا له من الكائنات الظاهرة بجريها في عالم الشهادة اي كما سخرت لك تلك الاجرام العظام لتفخيم لك وجوه الناس
ونواصيهم منقادين لطاعتك خاضعين لك على وجه الاستكانة ومراده بيان اطاعة ابويه واخوته له لكنه اتم يصرح به حذرا
من اذاعته ويعلمك كلام مبتدا غير داخل تحت التشبيه اراد به ع تاكيد مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف ع بما اخبر به على طريقة
التعبير والتاويل كائنة قبل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث اي ذلك الجنس من العلوم او طرفا صالحا منه فتطلع على
ما اقول ولا يخفى ما فيه من تاكيد ما سبق والبعث على تلقي ما سيأتي بالقبول والمراد بتاويل الاحاديث تعبير الرؤى اذ هي
احاديث الملك ان كانت صادقة او احاديث النفس او الشيطان ان لم يكن كذلك والاحاديث اسم جمع للحديث كاباطيل
اسم جمع للباطل لا جمع احدوثة وقيل كانهم جمعوا حديثا على احدثة ثم جمعوا الجمع على احاديث كتطعيم واقطعة واقاطيع
وتسمية التعبير تاويلا لانه جعل المرئي آئلا الى ما يذكر المعبر بعد التعبير ورفعه اليه فكانه ع اشار بذلك الى ما سيقع من يوسف
من تعبيره لرؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة الى ما بلغه الله تعالى اليه من الرياسة العظمى التي عبر عنها باتمام النعمة
وانما عرف يعقوب ذلك منه عليهما السلام من جهة الوحي او اراد كون هذه الخصلة سببا لظهور امره ع على الاطلاق فيجوز ان
يكون معرفته ع بذلك بطريق الفراسة والاستدلال من الشواهد والدلائل والامارات والمخائل بان من وفقه الله لمثل
هذه الرؤيا لا بد من توفيقه لتعبيرها وتاويل امثالها وتمييز ما هو آفاقي منها ما هو انفسي كيف لا وهي تدل على كمال نفس ع
في عالم المثال وقوة تصرفاتها فيكون اقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك العالم وبما يحاكيه من الامور الواقعة بجريها في عالم
الشهادة واقوى وقوفا على النسب الواقعة بين الصور المعاينة في احد ذينك العالمين وبين الكائنات الظاهرة على وفقها في العالم
الآخر وان هذا الشان البديع لا بد ان يكون انموذجا لظهور امر من اتصف به وصدارة اكفاء فان لكل نبي من الانبياء ع
معجزة بها يظهر آثاره ويجري احكامه ويتم نعمته عليك بان يضم الى النبوة المستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تتمة لها
وتوسيط ذكر التعليم المذكور بينهما لكونه من لوازم النبوة والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي ولما اشرنا اليه من كون اثره
وسيلة الى تمام النعمة ويجوز ان يعد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى عليه فيكون جميع النعم الواصلة اليه بجهاتها مصداقا تاما لذلك النعمة
وعلى آل يعقوب وهم اهله من بيته وغيرهم فان رؤيته يوسف ع واخوته كواكب يهتدى بانوارها من نعم الله تعالى عليهم لا لانها
على مصير ارجع الى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة والفعل من كمالاتهم بحسب ذلك تماما لتلك النعمة لا محالة وانما اذا اريد بتمام النعمة
الملك فكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار انهم يقتبسون آثاره من العز والجاه والمال كما اثرتها على ابويك فنصب على المصدرية
اي ويتم نعمته عليك اتماما كائنا كاتمام نعمته على ابويك وهو نعمة الرسالة والنبوة واتمامها على ابويه ع باتخاذه خليلا
وانجائه من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وكل ذلك
نعم جليلة وعدت تتمة لنعمة النبوة والا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب المشبه به مثل ما وقع في جانب المشبه من كل وجه
من قبل اي من قبل هذا الوقت او من قبلك ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك والتعبير عنهما بالاب مع كونهما ابا جده

على ان يكون من للبيان ٥ منه

على اصل الرواتين

وابا ابيه للاشعار بكمال ارتباطه بالانبياء الكرام عم وتذكير بعض الولد سترا ابيه ليطمئن قلبه بما اخبر به فى ضمن التعبير الاجمالى لرؤيا
فى المشبه به على ذكر اتمام النعمة من غير تعرض للاجتباء من باب الاكتفاء فان اتمام النعمة يقتضى سابقة المستدعية للاجتباء لا محالة
ان ربك استئناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة اى يفعل ما ذكر لانه عليم بكل شئ فيعلم من يستحق الاجتباء وما يتنوع عليه من التعليم
المذكور واتمام النعمة العامة على الوجه المذكور حكيم فاعل لكل شئ مما تقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل كما يفعل جريا على سنن
علم وحكمة والتعرض لعنوان الربوبية فى الموضعين لتربية تحقق وقوع ما ذكر من الافاعيل هذا وقد قيل فى تفسير الآية الكريمة اى وكما
لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك ولامور عظام ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل
نعمة الدنيا بنعمة الآخرة حيث جعلهم فى الدنيا انبياء وملوكا ونعلهم عزها الى الدرجات العلى فى الجنة كما اتمها على ابويك بالرسالة
فتامل والله الهادى لقد كان فى يوسف واخوته اى فى قصتهم والمراد بهم ههنا اما جميعهم فان ابن يامين ايضا حصة من القصة
او بنو علاته المحدود فيما سلف اذ عليهم يدور رحاها آيات علامات عظيمة الشان دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته البالغة
للسائلين لكل من سال عن قصتهم وعرفها او الطالبين للآيات المعتبرين بها فانهم الواقفون عليها والمنتفعون بها دون من عداهم
ممن اندرج تحت قوله تعالى وكاين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالمراد بالقصة نفس المقصوص او على بنوة
لمن سال من المشركين او اليهود عن قصتهم فاخبرهم بذلك على ما هى عليه من غير سماع من احد ولا ممارسة شئ من الكتب فالمراد بها اقتصاصها
وجمع الآيات للاشعار بان اقتصاص كل طائفة من القصة آية بينة كافية فى الدلالة على نبوته عليه السلام على نحو ما ذكر فى قوله تعالى
مقام ابراهيم على تقدير كونها عطف بيان لقوله تعالى آيات بينات لما قيل من انه لتعدد جهة الاعجاز لفظا ومعنى وقرء ابن كثير آية
وفى بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله تعالى على النبى صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبنى اخوته عليه وما راى من بغى قومه عليه ليتاسى
اذ قالوا ليوسف واخوه اى شقيقته بنيامين واثما يذكر باسمه تلويحا بان مدار المحبة اخوته ليوسف من الطرفين لا ابويه
الى انهم كيف اكتفوا باخراج يوسف من البين من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف اخب الى ابينا منا وحد الخبر
مع تعدد المبتدا لان افعل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث نعم اذا عرف وجب الفرق واذا انث
جاز الامران وفائدة لام الابتداء فى يوسف تحقيق مضمون الجملة وتاكيده ونحن عصبة اى والحال انا جماعة قادرون
على الحل والعقد اختار بالمحبة والعصبة العشرة من الرجال فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم لانا بانا
فى ترجيحهما علينا فى المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من كفاية الامور بالصغر والقلة لفى ضلال اى ذهاب عن طريق
التعديل اللائق وتنزيل كل منا منزلته مبين ظاهر الحال روى انه كان احب اليه لما يرى فيه من دلائل الخير وكانت اخوته
يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم اقتلوا يوسف
او اطرحوه ارضا من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا وقد قاله بعض منهم مخالفا للباقين بقضية الغيرة فحكاتهم رضوا بذلك
كما يروى ان القائل شمعون او دان والباقون كانوا راضين الا من قال لا تقتلوا فجعلوا كانهم القائلون وادرج الخبر القول
المسند الى الجميع او قاله كل واحد منهم مخالفا للبقية ويدل على مساعدتهم الى ذلك القول وتنكير ارضا واخلوا بما من الوصف للابهام
اى ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وكذلك نصب نصب الظروف المبهمة يخل بالجزم جواب للامر ان خلص لكم وجه ابيكم
فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم لاياسهم فى محبة احد فذكر الوجه بتصوير معنى اقباله عليهم وتكونوا بالجزم عطف
على يخل او بالنصب على اضمار ان او الواو بمعنى مع مثل قوله ولا تكتموا الحق وانتم تعلمون فى لكم وما بعده للمبالغة فى حملهم على القتل
فان اعتناء المرء بشان نفسه واهتمامه بتحصيل منافعه اتم واكمل من بعده من بعد يوسف اى من بعد الوقوع من امره
او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله تعالى مما جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تقدمونه او صالحين

فى امور دنياكم بانتظامها بعد خلو وجه ابيكم قال قائل منهم هو يهودا وكان اصغرهم رأيا وهو الذى قال فلن ابرح الارض الخ
وقيل روبيل وهو استئناف مبنى على سؤال من سأل وقال اتفقوا على ما عرض عليهم من فصلتى الصنع ام خالفوهم فى ذلك واحد
فقيل قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف اظهره فى مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم عليه او استعظاما لما تقتل وهو هو فانه يروى انه
قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الاخرى واحاله على اولويته ما عرضه عليهم بقوله والقوه فى غيابت الجب اى فى قعره
وعوزه سمى بها الغيابة عن عين الناظر والجب البئر التى لم تطو بعد لانها ارض جبت جبا من غير ان يراد على ذلك بشئ وقرئ نافع
فى غيابات الجب فى الموضعين كان لكل الجب غيابات او اراد بالجب الجنس اى فى بعض غيابات الجب وقرئ غيابات وغيبة
يلتقطه يأخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط اخذ شئ مشرف على الضياع بعض السيارة اى بعض
طائفة تسير فى الارض واللام فى بعض السيارة كما فى الجب وما فيها وفى البعض من الابهام المحقق ما يتوخاه من ترويج كلامه
بموافقة لغرضهم الذى هو سائر يوسف منهم بحيث لا تدرى اثره ولا يروى خبره وقرئ تلتقطه على التأنيث لان بعض السيارة
سيارة كقوله كما تشرفت صدر القناة من الدم ومنه قطعت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين بمشورتى لم يبت القول عنهم
بل انما عرض عليهم ذلك تلقينا لهم وتوجيها لهم الى رأيهم وحذرا من نسبتهم الى التحكم والاحساس ان كنتم فاعلين ما ارشدتكم عليه
من ازالته من عند ابيه لا محالة ولما كان هذا مظنة لسؤال سائل يقول فما فعلوا بعد ذلك حال قيلوا ذلك منه لما قيل بطريق
الاستئناف على وجه ادرج فى قضاعيفه ليتولاهم له بما يجئ من قولهم او اجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب فقيل قالوا يا ابانا خاطبوه بذلك
تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيرا للرابطة الاخوة بينهم وبين يوسف ليتشبثوا بذلك الى استنزاله عن رأيه وحفظه منهم
للاحن منهم بامارات الحسد والبغى فكأنهم قالوا مالك اى اى شئ لك لا تأمنا اى لا تجعلنا أمناء على يوسف مع انك
أبونا ونحن بنوك وهو اخونا وانا له لناصحون مريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة والشفقة قط والتوراة
المشهورة بالادغام والاشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن السواه ترك الادغام ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع ابل نشط
فى اكل الفواكه وتحقيقا ان الرتع هو الاتساع فى الملاذ ويلعب بالاستباق والتناضل ونظائرهما مما يعد من باب التأهب للغزو
وانما عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته لما راموه من استمتاع يوسف وتمرينهم لهم بصورة ما يلائم حاله وقرئ نرتع ويلعب بالنون
وقرأ ابن كثير نرتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفى يلعب وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء
وانا له لحافظون من ان يناله مكروه اكدوا مقالتهم باصناف التأكيد من ايراد الجملة اسمية وتخليتها بان واللام واسناد الحفظ
الى كلهم وتقديم له على الجار اضنا لا فى تحصيل مقصدهم قال استئناف مبنى على سؤال من يقول فاذا قال يعقوب عليه السلام
انى ليحزننى اللام للابتداء كما فى قوله عز وجل ان ربك ليحكم بينهم ان تذهبوا به لشدة مفارقته على وقلة صبرى عنه
ومع ذلك اخاف ان يأكله الذئب لان الارض كانت مذأبة والحزن ألم القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج
النفس لنزول المكروه ولذلك اسند الاول الى الذات به للمبالغة لاستمرار مصاحبته وهو اصلة ليوسف والثانى الى ما يتوقع نزوله
من اكل الذئب وقيل رأى فى المنام انه قد شد عليه ذئب وكان بخيبر فقال فلك وقد لقنهم العلة ان البلاء موكل بالمنطق
وقرأ ابن كثير ونافع فى رواية اليزيدى بالهمز على الاصل وابو عمرو وحفص وابن عامر وحمزة درجا وقيل اشتقاقه من تئب
الريح اذا هاجت من كل جانب قال الاصمعى للاخر بالعكس وهو اظهر لفظا ومعنى وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب
او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اى والحال انا جماعة كثيرة حديرة بان يغلب بنا الامور العظام
وتكفى الخطوب بآرائنا وتدبيرنا واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب محرى عن الجواب
اى لهالكون ضعفا وعجزا او مستحقون للهلاك اذ لا غناء عندنا ولا جدوى فى صحبتنا او مستحقون لان يدعى علينا بالخسار

صيغة المبالغة تنبئ عن الارض مذأبة وذا سدة اى كثيرة الذئب والاسد
محرره

تعين بتقدم ضنا وتضييع الكفاية
عندك محرره

والدمار ويقال خسرهم الله ودمرهم حيث اكل الذئب بعضهم ومهم صغير **وقيل** ان لم نقدر على حفظه وهو اعز بنى عندنا فقد هلكت مواشينا اذن وضرنا ما **وانما** اقتصروا على جواب خوف يعقوب م من اكل الذئب لانه السبب القوى فى المنع دون الحزن لقصر مدته بناء على انهم يأتون به عن قريب فلما ذهبوا به واجمعوا اى ازمعوا **ان يجعلوه** مفعول لاجمعوا يقال اجمع الامر ومنه فاجمعوا امركم ولا يستعمل ذلك الا فى الافعال التى قويت الدواعى الى فعلها من غيابت الجب **وقيل** هى بئر بارض الاردن **وقيل** بين مصر ومدين **وقيل** على ثلثة فراسخ من يعقوب م كنعان التى هى من نواحى الاردن كما ان مدين كذلك **واتا** ما يقال من انها بئر بيت المقدس فبعيدة التعليل بالتقاط السيارة ومجيئهم اباهم عشاء ذلك اليوم فان بين فصل يعقوب م وبين بيت المقدس مراحل وجواب لما محذوف اى ذهبوا بظهوره واشعارا بان تفصيله لا يجوبه ويقرؤنه جمع كاد وا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهود الما عاهدتونى ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فتعلق بشيابهم فزعوا من يديه فدلوه فيها فتعلق بشفير فاوا بطوا يديه ونزعوا المتبصة لما عزموا عليه من تلطيخه بالدم اخيا لابيه فقال يا اخوناه ردوا على قميصى اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تونسك فدلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكى فنادوه وظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فاراد وه ان يرضخوه فمنعهم يهودا وكان يأتيه بالطعام كل يوم **وروى** ان ابراهيم م حين القى فى النار وجرد عن ثيابه اتاه جبريل م بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب فى تميمة وعلقها فى عنق يوسف م فجاء جبريل فاخرجه من التميمة فالبسه اياه **وأوحينا اليه** عند ذلك تشجيعا له بما يؤل اليه امره وازالة لوحشته وايناسا له **قيل** كان ذلك قبل ادراكه كما اوحى الى يحيى وعيسى **وقيل** كان اذ ذاك مدركا **قال** الحسن كان له سبعة عشر سنة **لتنبئنهم بامرهم هذا** اى لتخلصن مما انت فيه من سوء الحال وضيق المجال وتحدثن اخوتك عما فعلوا بك سلطانك وبعد حالك عن اوطانهم **وقيل** لبعد العهد المبدل للهيئة المغير للاشكال والاول اوخل فى التسلية **روى** انهم دخلوا عليه ممتازين فعرفهم وهم لا ينكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرنى هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف كان بدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه فى غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس وكيف يتأتى منهم ان لا يشعروا بالايحاء على معنى انا آنسناه بالوحى واوحينا الى قلبه الوحشة التى اورثوه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه وحشى لا انيس له وقرئ لتنبئنهم بالنون على انه وعيد لهم فقوله **وهم لا يشعرون** متعلق باوحينا لا بقال وجاؤا اباهم **عشاء** آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشى وعشى بالضم والقصر جمع عشية اى عشوا من البكاء يكونون متباكين **روى** انه لما سمع يعقوب م بكاءهم فزع وقال مالكم يا بنى واين يوسف **قالوا** ابانا انا ذهبنا **نستبق** اى مسابقين فى العدو او الرمى وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل ونظائرهما **وتركنا** يوسف **عند متاعنا** اى ما نتمتع به من الثياب والازواد وغيرها **فاكله الذئب** عقيب ذلك من غير مضى زمان يعتد به التفقد والتعهد وصيغ لما يكاد يطرح المتاع عادة الا فى مقام يؤمن فيه العوائق لم يعد تركه م من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم لما جا اذا لم يرجوه ولم يفيدوا عنه فكانهم قالوا انا لم نقصر فى محافظته ولم نغفل عن مراقبته فى ما منا ومجمعنا بمرأى منا لان ميدان السباق لا يكون عادة الا بحيث يرى غايته وما فارقناه الا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان **وما انت بمؤمن لنا** بمصدق لنا فى هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا فى امره **ولو كنا** عندك فى اعتقادك صادقين موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سئ الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو فى امثال هذه المواقع بيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنتفى على كل حال مفروض من الاحوال المغايرة له على الاجمال ما دخالها على ابعد ما منه واشد ما منافاة له لينظم بشيوعه او انتفائه معه او انتفاؤه مع غيره من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشئ متى تحقق مع المنافى القوى فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه ما شئ من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها ان امكن بجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وقد فرق تفصيلا فى سورة النور

عند قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي سورة الاعراف عند قوله تعالى اولو كنا كارهين وجاؤا على قميصه محله
النصب على الظرفية من قوله بدم اي جاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحماله او على الحالية منه والخلاف في تقدم الحال
على المجرور ربما اذا لم يكن الحال ظرفا كذب مصدر وصف به الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اي مكذوب فيه او بمعنى ذي كذب
اي ملابس للكذب وقرئ كذبا على انه حال من الضمير اي جاؤا كاذبين او مفعول له وقرأت عائشة بغير المعجمة اي كدر وقيل طري قال
ابن جني اصله من الكدب وهو النوب البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه
بدمها وزل عنهم ان يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عليهما السلام صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى
خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق قميصه عليه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث ايات
كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف عم حين قد من دبر قال استئناف مبني
على سؤال فكانه قيل ماذا قال يعقوب عم هل صدقهم فيما قالوا ام لا فقيل لم يكن ذلك بل سولت لكم انفسكم اي زينت وسهلت قال
ابن عباس رض والتسويل تقدير شيء في النفس مع الطمع في اتمامه وقال الازهري كان التسويل تفعيل من سول الانسان وهو امنيته التي
يطلبها فتزين لطالبها الباطل وغيره واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخاء امرا من الامور منكرا لا يوصف ولا يعرف
فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وامثل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق والا فقد قال
يعقوب عم انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا قال طول الزمان
وكثرة الاحزان فاوحى الله عز وجل اليه قال يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة اخطأتها فاغفر لي وقرأ ابي فصبرا جميلا والله المستعان
اي المطلوب منه العون وهو انشاء منه عم للاستعانة المستمرة على ما تصفون على اظهار حال ما تصفون وبيان كونه كذبا واظهار
سلامته فانه علم في الكذب قال سبحانه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو الاليق بما يجيء من قوله تع فصبر جميل عسى الله
ان ياتيني بهم جميعا وتفسير المستعان عليه باحتمال ما يصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه يأباه تكذيبه عم لهم في ذلك
ولا يساعده الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشيء بما ليس فيه كما اشير اليه وجاءت شروع في بيان ما جرى على يوسف في الجب بعد
الفراغ عن ذكر ما وقع من اخوته وبعد ابيه والتعبير بالمجيء لما ليس بالنسبة الى مكانهم فان كنعان ليس في الجانب المصري من مدين بل الى مكان
يوسف وذا ابناءه على الورود والاتيان او نحوهما ايماء الى كونه عم في الكرامة والزلفى عند مليك مقتدر والظاهر ان الجب كان
في ملمم المينا فان المتبادر من اسناد المجيء الى السيارة مطلقا في قوله عز وجل وجاءت سيارة اي رفقة تسير من جهة مدين
الى مصر وقوعه باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قوله تعالى فيما سلف يلتقطه بعض السيارة وقيل انه كان في قفرة بعيدة
من العمران لم يكن الا للرعاة فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه عم فارسلوا
واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان ذلك مالك بن ذعر الخزاعي وانما لم يذكر منتهى الارسال كما لم يذكر منتهى المجيء اعني الجب
للايذان بان ذلك معهود لا يضرب عنه الذكر صفحا فادلى دلوه اي ارسلها الى الجب والحذف لما عرفته فتدلى بها يوسف
فخرج قال استئناف مبني على سؤال يقتضيه الحال يا بشرى هذا غلام كانه نادى البشرى وقال تعالى فهذا اوانك حيث فاز
بنعمة باردة واي نعمة مكان ما يوجد مما جاء الماء وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي
واما صاحب فتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ يا بشري بالادغام وهي لغة وبشراي على قصد الوقف
واسروه اي اخفاه الوارد واصحابه عن بقية الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء
لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهودا كان ياتيه كل يوم بطعام فاتاه يومئذ بطعام فلم يجده فيها
فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه

ز اد رح بهذا التفسير ان قوله تع
فصبر جميل خبر الامري اعني
حذف المسند اليه وحذف
المسند محرره

ز تباء الطريق العارض

ز تفو منازة للانباث
جبها والامارء

من البُعد بضاعةً نصب على الحالية اى اضفوه حال كونه بضاعةً اى متاعة للتجارة فانها قطعة من المال بُضعت اى قُطعت
للتجارة والله عليم بما يعلمون وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف وهو عرضة للابتذال بالبيع والشرى وما يتروا فى ذلك
من الحيل وشروه اى باعوه والضمير للوارد واصحابه بثمن بخس زيف ناقص العيار دراهم بدل من ثمن اى لا دنانير معدودة
اى غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه مقدارًا بعد بيان نقصانه درهما وعن السدى انها كانت اثنين وعشرين درهما وكانوا
اى البايعون فيه فى يوسف من الزاهدين من الذين لا يرغبون فيما يباعون فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس فى سبب ذلك
انهم التقطوه والملتقط للشئ مترها ون به او غير واثق باجره يخاف ان يظهر له مستحق فينتزعه منه فيبيعه من اول مصادف باوكس ثمن ويجوز
ان معنى شروه اشتروه من اخوته على ما حكى وهم غير راغبين فى شراءه خشية ذئاب مالهم لما ظن فى اذهنهم من الامانة والعدول عن صيغة
الافتعال المنبئة عن الاتخاذ لما قد ان اخذهم انما كان بطريق البضاعة دون الاجتباء والاقتناء وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام
للتعريف وبيان لما زهدوا فيه ان جعلت موصولة كانه قيل فاى شئ زهدوا فقيل زهدوا فيه لان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم
على الموصول وقال الذى اشتراه من مصر وهو العزيز الذى كان على خزائنه واسمه قطفير او اطفير وبيان كونه من مصر لتربية ما يقع
عليه من الامور مع الاشعار بكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد العملقى وما
فى صيوة يوسف دم بعد ان آمن به فلك بعده قابوس بن مصعب فدعاه الى الاسلام فابى وقيل كان الملك فى ايامه فرعون موسى ثم عاش
اربعمائة سنة لعنه الله وحل لقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف ع والآية من قبيل خطاب الابناء
بما جرى على الآباء واختلف فى مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل بعشرين دينارًا وزوجى نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه فى السوق
يوضونه فما رضوا فى ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكًا ووزنه ورقًا ووزنه حريرًا فاشتراه قطفير بذلك المبلغ وكان سنة اذ ذاك
سبع عشرة سنة واقام فى منزله مع ما قد عليه من محنة لبثه فى السجن ثلث عشر سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلثين سنة واتاه
الله العلم والحكمة وهو ابن ثلث وثلثين سنة لامراته راعيل او زليخا وقيل اسمها هو الاول والثانى لقبها واللام متعلقة بقال
للذى اشتراه اكرمى مثواه اجعلى محل اقامته كريما مرضيا والمعنى احسنى تعهده عسى ان ينفعنا فى ضياعنا واموالنا
ونستظهر به فى مصالحنا او نتخذه ولدًا اى نتبناه وكان ذلك لما توسم فيه من مخايل الرشد والنجابة ولذلك قيل
افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التى قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضه وكذلك نصب على
وذلك اشارة الى ما يفهم من كلام العزيز وما فيه من معنى البعد لتفخيمه اى مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف فى الارض
اى جعلنا له فيها مكانًا يقال مكنه فيه اى اثبته فيه ومكن له فيه اى جعل له فيه مكانًا ولتمارسها وتلمارسها يستقل كل واحد منهما
فى محل الآخر قال ع وجل وكم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم اى ما لم نمكنكم فيها او مكنا لهم فى الارض الخ
والمعنى كما جعلنا له مثوى كريما فى منزل العزيز او مكانًا عليًا فى قلبه حتى امر امراته دون سائر حواشيه باكرام مثواه جعلنا له مكانة رفيعة
فى ارض مصر ولعله عبارة عن جعله وجيهًا فيما بين اهلها ومحساق قلوبهم كافة كما فى قلب العزيز لانه الذى يؤدى الى الغاية المذكورة
فى قوله تعالى ولنعلمه من تاويل الاحاديث اى نوفقه لتعبير بعض المنامات التى عمدتها رؤيا الملك وصاحبى السجن لقوله تعالى
ذلك مما علمنى ربى سواء جعلناه معطوفا على غاية مقدرة ينساق اليها الكلام ويستدعيها النظام كانه قيل ومثل ذلك التمكين
مكنا ليوسف فى الارض وجعلنا قلوب اهلها كافة محالة محبته ليترتب عليه ما يترتب مما جرى بينه وبين امراة العزيز ولنعلمه بعض تاويل
الاحاديث وهو تاويل الرؤس المذكورة فيؤدى ذلك الى الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف عليه للاشعار بعدم كونه مرادًا بالذات
او جعلناه علة لمعلل محذوف كانه قيل ولهذه الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكين دون غيره تاملين عاقبة حميدة هذا ولا يخفى عليك
ان الذى يدور عليه هذه الامور انما هو التمكين فى جانب العزيز وانما التمكين فى جانب الناس كافة فاضافته الى ذلك انما هى باعتبار اشتماله

على ذلك التمكين فان الخ ان يكون ذلك اشارة الى مصدر قوله لنمكن ليوسف على ان يكون هو عبارة عن التمكين في قلب العزيز
او في منزله وكون ذلك تمكينا في الارض بملابسة انه عزيز فيها لا عن تمكين آخر يشبهه كما قرر في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
من ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل آخر يقصد تشبيه هذا الجعل به فالكاف متعلق للدلالة على قوة شان
المشار اليه اخفاء لما لا يكاد يدرك في لغة العرب ولائق غيرها ومن ذلك قولهم ملك لا ينجلي وبهذا ينبغي ان يحقق المقام واما التمكين بمعنى
جعله ملكا يتصرف في ارض مصر بالامر والنهي فهو من آثار ذلك التعليم ونتائجه المترتبة عليه كما عرفته لا من مبادئه المؤدية اليه فلا سبيل
الى جعله غاية له ولم يعهد منه في تضاعيف قضاءه والعمل بموجب الرؤيا الصادقة المعهودة الا لهم الا ان يراد بتعليم تاويل الاحاديث
ما سبق من تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فيكون المعنى حينئذ مكناه في ارض مصر ليتصرف فيها بالعدل
والنصفة بكتب الله تعالى واحكامها ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فيقضي بها فيما بين اهلها والتعليم الاجمالي لتلك المعاني والاحكام وان كان غير
متاخر عن تمكينه بذلك المعنى الا ان تعليم كل معنى شخصي يتحقق في ضمن الحوادث والارشاد الى الحق في كل نازلة من النوازل متاخر عن ذلك صالح
لان يكون غاية له والله غالب على امره لا يستعصي عليه امر ولا يعانيه شئ بل انما امره لشئ اذا اراد ان يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شؤونه
المتعلقة بيوسف دخولا اوليا اي متول على امر يوسف لا يكله الى غيره وقد اريد به من العناية ما اريد بقرة عين فلم يكن الا ما اراد الله
له من العاقبة الحميدة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كذلك فيباتون ويذرون زعما منهم ان لهم من الامر شيئا وانى ذلك لهم وان الامر كله لله عز وجل اولا يعلمون لطائف صنعه وخفايا فضله ولما بلغ اشده اي منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف
ما بين الثلثين الى الاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم والاول هو الاظهر لقوله آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد
بالعمل او حكما بين الناس وفقها او نبوة وعلما اي تفقها في الدين وتنكيرهما للتفخيم اي حكما وعلما لا يكتنه كنههما طائلا قدرهما
فيهما ما آتاه الله تعالى عند تكامل قواه سواء كان ما عبارة عن النبوة والحكم بين الناس وغيرهما كتب لا وقد جعل ايتاؤهما جزاء لعمله يوم
صيف قيل وكذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي المحسنين اي كل من يحسن في عمله فيجيبان يكون ذلك بعد انتفاء اعماله
الحسنة التي من جملتها معاناة الاقران والشدائد وقد فسر العلم بعلم تاويل الاحاديث ولا صحة له الا ان يخص علم تاويل رؤيا الملك
فان ذلك حيث كان عندنا من ايام البلاء صح ان يعد اياه من جملة الجزاء واما رؤيا صاحبي السجن فقد لبث بعد تعبيرها
في السجن بضع سنين وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين اشعار بعلية الاحسان وتنبيه على انه سبحانه انما آتاه ما آتاه لكونه محسنا في عمله
متقيا في عنفوان امره وهل الجزاء الا الاحسان والزيادة التي هو في تبيينها رجوع الى شرح ما جرى عليه يوم في منزل العزيز
بعد ما اوجز اجازة باكرام مثواه وقوله تع وكذلك مكنا ليوسف الى هنا اعتراض جيء به انموذجا للقصة ليعلم السامع من اول الامر
ان ما القيه يوم من الفتن التي ستحكى بتفاصيلها لغاية جميلة وعاقبة حميدة وانه يوم محسن في جميع اعماله لم يصدر عنه في حالتي الشراء والضراء
ما يخل بنزاهته ولا يخفى ان مدار حسن التخلص الى هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة انما هو التمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج
الانجاء السابق تحت الاشارة بذلك في قوله تع وكذلك مكنا كما فعله الجمهور ناشئ من التغريب فتامل والمراودة المطالبة من راد يرود
اذا جاء وذهب لطلب شئ ومنه الرائد لطالب الماء والكلاء وهي مطالبة من واحد كنحو مطالبة الدائن ومحاطلة المديون ومداواة
الطبيب ونظائرها مما يكون من احد الجانبين الفعل ومن الآخر قبوله فان هذه الافعال وان كانت صادرة عن احد الجانبين لكن
اسبابها صادرة عن جعلت كانها صادرة عنها وهذا باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه ان سبب الشئ يقام مقامه
ويطلق عليه اسمه كما في قولهم كما تدين تدان اي كما تجزي تجزى فان فعل البادئ وان لم يكن جزاء لكنه لكونه سببا للجزاء اطلق
عليه اسمه وكذلك ارادة القيام الى الصلوة وارادة قراءة القرآن حيث كانتا سببا للقيام والقراءة عبر عنهما بهما فقيل
اذا قمتم الى الصلوة فاذا قرأت القرآن وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت اسباب الافعال المذكورة فيما نحن فيه صادرة عن الجانب

وانى لهم ذلك ٥٢

الملك

المقابل

لجانب فاعلها فان مطالبة الآبي للمماطلة التي هي من جانب الغريم وهي منه للمطالبة التي هي من جانب الدائن وكذا مداواة الطبيب للمرض الذي هو من جانب المريض كذلك مراودتها فيما نحن فيه لجمال يوسف عم نزل صدورها عن محالها بمنزلة صدور سببها تها التي هي تلك الافعال فبني الصيغة على ذلك قد روعي جانب الحقيقة بان اسند الفعل الى الفاعل واوقع على صاحب السبب فتأمل وتجوز ان يراد بصيغة المغالبة مجرد المبالغة **وقيل** الصيغة على بابها بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو منها الترك وتجوز ان يكون من الرود وهو الرفق والتمحل وتعديتها بمن يحين لتضمنها معنى المخادعة فالمعنى خادعته عن نفسه اى فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن شئ لا يريد اخراجه عن يده وهو يحتال ان يأخذه منه وهي عبارة عن التمحل في موافقته اياها والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة على الستر او للاستهجان بذكره وايراد الموصول لتقرير المراودة فان كونه في بيتها مما يدعو الى ذلك **قيل** لواحدة ما حملك على ما انت عليه مما لاخير فيه قالت قرب الوساد وطول السواد ولاظهار كمال نزاهته عم فان عدم ميله اليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصاءه عليها مع كونه تحت ملكتها ينادي بكونه عم في اعلى معارج العفة والنزاهة وغلقت الابواب **قيل** كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الافعال **وقيل** للمبالغة في الايثاق والاحكام وقالت هيت لك قرئ بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث اسم فعل معناه اقبل وبادر واللام للبيان اى لك اقول هذا كما في هلم لك وقرئ هئت على صيغة الفعل بمعنى تهيأت يقال هاء يهئ كجاء يجئ اذا تهيأ وهئت لك واللام صلة للفعل قال معاذ الله اى اعوذ بالله معاذا مما تدعونني اليه وهذا اجتناب منه على اتم الوجوه واشارة الى التعليل بانه منكر هائل يجب ان يعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذاك الا لانه عم قد شاهده بما اراه الله تع من البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته في غاية القبح ونهاية السوء انه ربي احسن مثواي تعليل للامتناع ببعض الاسباب الى رجية مما عسى يكون مؤثرا عندها وداعيا لها الى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذاتي الذي لا يكاد يقبله لما سولته لها نفسها والضمير للشان ومدار وضعه موضعه لو عاه شهرته اللغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به للايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا وهو اى سيدي العزيز احسن مثواي اى احسن تعهدي حيث امرك باكرامي فكيف يمكن ان اسئ اليه بالخيانة في حرمه وفيه ارشاد لها الى رعاية حق العزيز بالطف وجه **وقيل** الضمير لله عز وجل وربي خبر ان واحسن مثواي خبر ثان او هو الخبر والاول بدل من الضمير والمعنى ان الحال هذا فكيف اعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة وفيه تحذير لها عن عقاب الله عز وجل وعلى التقديرين في الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرض لاقتضائها الامتناع عما دعته اليه ايذان بان هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة على استحالته وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع اصلا وقوله تعالى انه لا يفلح الظالمون تعليل للامتناع المذكور غب تعليل والفلاح الظفر **وقيل** البقاء في الخير ومعنى افلح دخل فيه كاصبح واخواته والمراد بالظالمين كل من ظلم كائنا من كان فيدخل في ذلك المجازون للاحسان بالاساءة والعصاة لامر الله تعالى دخولا اوليا **وقيل** الزناة لانهم ظالمون لانفسهم وللمزني باهله ولقد همت به اى بمخالطته اذ الهم لا يتعلق بالاعيان اى قصدتها وعزمت عليها عزما جازما لا يلويها عنه صارف بعد ما باشرت مباديها وفعلت ما فعلت من المراودة وتغليق الابواب ودعوته الى نفسها بقولها هيت لك ولعلها تصدت هنالك لافعال اخر من بسط يدها اليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره عم الى الهرب نحو الباب والتأكيد لدفع ما عسى يتوهم من احتمال اقلاعها عما كانت عليه بما في مقالته عم من الزواجر وهم بها اى مال اليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب وقرمه ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لا انه قصدها قصدا اختياريا لان ذلك امر مذموم انبأ عن التجنب الى استعصامه المنبئ عن كمال كراهته له ونفرته عنه وحكمه بعدم افلاح الظالمين وهل هو الا تسجيل لاستحالة صدور الهم منه عم تسجيلا محكما وانما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه في صحبة همها

تكملة الكشاف

فی الذکر بطریق المشاکلة لا شبهة به کما قیل و لقد اشیر الی تباینهما حیث لم یلزّا فی قرن واحد من التعبیر بان قیل و لقد همّا بالمخالطة
او همّ کل منهما بالآخر و صدّر الاول بما یقرر وجوده من التوکید القسمی و عقّب الثانی بما یعفو اثره من قوله عز و جل لولا ان رأی
برهان ربه • ای حجته الباهرة الدالة علی کمال قبح الزنا و سوء سبیله و المراد برؤیته لها کمال ایقانه بها و مشاهدته لها مشاهدة
واصلة الی مرتبة عین الیقین الذی تتجلی هناک حقائق الاشیاء بصورها الحقیقیة و تتخلع عن صورها المستعارة التی بها تظهر فی هذه
النشأة علی ما نطق به قوله علیه السلام حفت الجنة بالمکاره و حفت النار بالشهوات و کان علیه السلام قد شاهد الزنا بموجب ذلک البرهان
النیر علی ما هو علیه فی حد ذاته اقبح ما یکون و اوجب ما یجب ان یحذر منه و لذلک فعل ما فعل من الاستعصام و الحکم بعدم افلاح
من ترکبه و جواب لولا محذوف یدل علیه الکلام ای لولا مشاهدته برهان ربه فی شأن الزنا لجری علی موجب میله الجبلی و لکنه
حیث کان مشاهدا له من قبل استمر علی ما هو علیه من قضیة البرهان و فائدة هذه الشرطیة بیان ان امتناعه علیه السلام لم یکن لعدم مساعدة
من جهة الطبیعة بل لمحض العفة و النزاهة مع وفور الدواعی الداخلیة و ترتب المقدمات الخارجیة الموجبة لظهور الاحکام الطبیعیة
هذا و قد نص ائمة الصناعة علی ان لولا فی امثال هذه المواقع جار من حیث المعنی لا من حیث الصیغة مجری التقیید للحکم
المطلق کما فی مثل قوله تعالی ان کاد لیضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا علیها فلا یتحقق هناک همّ اصلا و قد جوّز ان یکون
و همّ بها جواب لولا جریا علی ما عند الکوفیین من جواز التقدیم فالهمّ حینئذ علی معناه الحقیقی فالمعنی لولا انه قد شاهد برهان ربه لهمّ
بها کما همّت به و لکن حیث انتفی عدم المشاهدة بدلیل استعصامه و ما یتفرع علیه انتفی الهمّ رأسا و قد فسّر همّه علیه السلام بانه حل الهمیان
و جلس مجلس الختان • و بانه حل تکة سراویله و قعد بین شعبها و رؤیته البرهان بانه سمع صوتا ایاک و ایاها فلم یکترث ثم و ثم
الی ان تمثل له یعقوب علیه السلام عاضا علی انملته و قیل ضرب علی صدره فخرجت شهوته من انامله و قیل بدت کف فیما بینهما
لیس فیها عضد و لا معصم مکتوب فیها و ان علیکم لحافظین کراما کاتبین فلم ینصرف ثم رأی فیها و لا تقربوا الزنا انه کان
فاحشة و ساء سبیلا ثم رأی فیها و اتقوا یوما ترجعون فیه الی الله فلم ینجع فقال الله عز و جل لجبریل علیه السلام ادرک عبدی قبل
ان یصیب الخطیئة فانحط جبریل و هو یقول یا یوسف اتعمل عمل السفهاء • و انت مکتوب فی دیوان الانبیاء و قیل رأی
تمثال العزیز و قیل و قیل ان کل ذلک الا خرافات و اباطیل تمجها الآذان • و تردها العقول و الاذهان • و یل لمن لاکها
و لفقها او سمعها و صدقها • کذلک اشارة الی الاراءة المدلول علیها بقوله لولا ان رأی برهان ربه ای مثل ذلک التبصیر و التعریف
عرفناه برهاننا فیما قبل او الی التثبیت اللازم له ای مثل ذلک التثبیت ثبتناه لنصرف عنه السوء علی الاطلاق فیدخل فیه
خیانة السید دخولا اولیا و الفحشاء و الزنی لانه مفرط القبح و فیه آیة بینة و حجة قاطعة علی انه علیه السلام لم یقع منه همّ بالمعصیة
و لا توجه الیها قط و قیل لنصرف عنه السوء و الفحشاء و انما توجه الیه ذلک من خارج فصرفه تعالی عنه بما فیه من موجبات
العفة و العصمة فتأمل و قرئ لیصرف علی اسناد الصرف الی ضمیر الرب انه من عبادنا المخلَصین تعلیل لما سبق من مضمون الجملة
بطریق التحقیق و المخلَصون هم الذین اخلصهم الله تعالی لطاعته بان عصمهم عما هو قادح فیها و قرئ علی صیغة الفاعل و هم الذین
اخلصوا دینهم لله سبحانه و علی کلا المعنیین فهو منتظم فی سلکهم داخل فی زمرتهم من اول امره بقضیة الجملة الاسمیة لا ان ذلک حدث
له بعد ان لم یکن کذلک فانحسم مادة احتمال صدور الهمّ بالسوء منه علیه السلام بالکلیة و استبقا الباب متصل بقوله و لقد همّت
به و همّ بها لولا ان رأی برهان ربه و قوله کذلک الخ اعتراض جیء به بین المعطوفین تقریرا لنزاهته علیه السلام کقوله تعالی و کذلک نری ابراهیم
ملکوت السموات و الارض و المعنی لقد همّت به و ابی و استبقا ای تسابقا الی الباب البرانی الذی هو المخلص و لذلک وحّد
بعد الجمع فیما سلف و حذف حرف الجر و اوصل الفعل الی المجرور نحو و اذا کالوهم او ضمن الاستباق معنی الابتداء و اسناد السبق
فی ضمن الاستباق الیها مع ان مرادها مجرد منع یوسف و ذا لا یوجب الانتهاء الی الباب لانها لما رأته یسرع الی الباب

اعنی الخلع حل السراویل و الاعتصام و الحکم منه علیه السلام

و ذا الجوهری یکبر الهاء من ... هیان التاسع ... الهمیان بکسر تکة ... السراویل

ثم یلتفت

ثم لم یبال ...

و خرافة اسم رجل من عذرة استهوته الجن فکان یحدث بما رأی فکذبوه و قالوا حدیث خرافة و الرای فیه مخففة و لا تدخله الالف و اللام لانه معرفة الا ان ترید به الخرافات الموضوعة من حدیث اللیل صحاح جوهری

لیتخلص منها اسرع ہی ایضا لسبقه الیه وتمنعه عن الفتح والخروج او عبر عن اسراعها اره بذلک مبالغة وقدت قمیصه من دبر
اجتذبته من ورائه فانشق وهو الغذ کما ان الشق عرضا هو القط وقد قیل فی وصف علی رضه اذا العقل قد واذا العرض قط
والاسناد الیها خاصة مع ان بقوة یوسف ایضا دخلا فیه اما لانها الجزء الاخیر للعلة التامة واما للایذان بمبالغتها
فی منعه عن الخروج وبذل مجهود ها فی ذلک لغلوب المحبوب او لطوف الافتضاح والفیا سیدنا ای صاحبنا زوجها واذکر ان
ملکه لیوسف ع م صحیحا لم یقل سیدنا قیل الفیاه معتلا وقیل کان جالسا مع ابن عم للمرأة لدی الباب ای البرانی کما مر روی کعب
انه لما هرب یوسف جعل فراش التغلل یتناثر وبسقط فی خرج من الابواب قالت استئناف مبنی علی سؤال سائل یقول فاذا کان
حین الفیا العزیز عند الباب فقیل قالت ما جزاء من اراد بامرأتک سوءا من الزنا ونحوه الا ان یسجن او عذاب الیم
ما نافیة ای لیس جزاؤه الا السجن او العذاب الالیم قیل المراد به الضرب بالسیاط واستهانة ای ای شئ جزاؤه وغیر ذلک
والتذائث فی تلک الحالة التی تدهش فیها العقول حیث شاهدت العزیز علی تلک الهیئة المریبة بحیلة جمعت فیها غرضیها وهما تبرئة ساحتها
مما یلوح من ظاهر الحال واستزال یوسف عن رأیه فی استعصائه علیها وعدم موانانه علی مرادها بالقاء الرعب فی قلبه مکرا بها طمانی موانفتها
لها کرها عند یاسها عن ذلک اضطرارا کما قالت ولئن لم یفعل ما آمره لیسجنن ولیکونا من الصاغرین ثم انها جعلت صدور الارادة
المذکورة عن یوسف ع م امرا محققا مفروغا عنه غنیا عن الاخبار بوقوعه وان ما هی علیه من الافاعیل لاجل تحقیق جزائها فهی تزید
اتباعه حیثما تقتضیه قانون الالیاقة وفی ابهام المزید ونهویل شان الجزاء المذکور بکونه قانونا مطردا فی حق کل کائنا من کان
وفی ذکر نفسها بعنوان اهلیته العزیز اعظام للمخطب واغراء علی تحقیق ما توعدته بحکم الغضب والحمیة قال استئناف جوابا عما یقال
فاذا قال یوسف ع فقیل قال هی راودتنی عن نفسی ای طالبتنی للمواتاة لا انی اردت بها سوءا کما قالت وانما قالت ذلک
تنزیها لنفسها عما اسند الیه من الخیانة وعدم موافقة حق السید ودفع ما عرضه له من الامرین وفی التعبیر عنها بضمیر الغیبة دون
الخطاب اواسم الاشارة مراعاة لحسن الادب مع الایماء الی الاعراض عنها وشهد شاهد من اهلها قیل هو ابن عمها وقیل
هو الذی کان جالسا مع زوجها لدی الباب وقیل کان حکیما یرجع الیه الملک ویستنزه وقد جوز ان یکون بعض اهلها قد بصر بها من حیث
لا تشعر فاغضب الله تعالی یوسف ع م بالشهادة له والقیام بالحق وانما الق الله سبحانه الشهادة الی من هو من اهلها لیکون ادل علی تواطئهم
وانفی للتهمة وقیل کان الشاهد ابن خال لها صبیا فی المهد انطقه الله تعالی ببراءته وهو الاظهر فانه روی ان النبی علیه السلام قال تکلم
اربعة صغارا ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد یوسف وصاحب الجریج وعیسی ع م رواه الحاکم عن ابی هریرة وقال صحیح علی شرط الشیخین
وذکر کونه من اهلها لبیان الواقع اذ لا یختلف الحال فی هذه الصورة بین کون الشاهد من اهلها او من غیرهم ان کان قمیصه قد من قبل
ای ان علم انه قد من قبل فهو صادق فی نظیره ان اصدقت الخ فقد اصدقت الیک فیما قبل فان معناه ان تعتد باحسانی
السابق الیک فصدقت بتقدیر قد لانها تقرب الماضی الی الحال ای فقد صدقت وکذا الحال فی قوله فکذبت وهو ان لم تصدق بانه قد
اراد بها سوءا لان کلامها حیث کان واضح الدلالة علیه اسند الیها الصدق والکذب بذلک الاعتبار فانهما کما یعرضان للکلام
باعتبار منطوقه یعرضان له باعتبار ما یستلزمه وبذلک الاعتبار یعتبر بان للانسان وهو من الکاذبین وهذه الشرطیة لا ملازمة
عقلیة ولا عادیة بین مقدمها وتالیها لیست هذه الشهادة فی شئ وانما ذکرت توسلا للدائرة وارضاء للعنان الی جانب المرأة ما جرأه
ما عسی یحتمله الحال فی الجملة بان یقع القد من قبل بعد اقبالها علیه وعن نفسها عند ارادتها المخالطة والکشف فجری الظاهر الغالب الوقوع تنزیلا
لما هو المقصود بالاقامة الشهادة اعنی مضمون الشرطیة الثانیة التی هی قوله عز وجل وان کان قمیصه قد من دبر فکذبت وهو من الصادقین
الی التسلیم والقبول عند السامع لکونه اقرب الی الوقوع وادل علی المطلوب وان لم یکن بین طرفیها ایضا ملازمة وحکایة
الشرطیة بعد فعل الشهادة لکونها من قبیل الاقوال وبتقدیر القول ای شهد قائلا الخ وتسمیتها شهادة مع انه لا حکم فیها بالفعل

انتوبیخ للشئ النفیس،

والمجموع من کلتا الشرطیتین
من مقالات الشاهد کما لا یخفی
لمحرره

بالصدق والكذب لشاهديها مواد بل لانها شهادة على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها اما على تقدير كون الشاهد هو القميص فظاهر
اذ هو اصبار بها من قبيل علام الغيوب والتصوير بصورة الشرطية للايذان بان ذلك ظن من العلائم ايضا واما على تقدير كونه غيره
فلان الظن ان صورة الحال معلومة له على ما هي عليه اما مشاهدة او اخبارا فهو متيقن بعدم مقدم الشرطية الاولى وبوجود مقدم الشرطية الثانية
ومن ضرورة الجزم بانتفاء تالي الاولى وبوقوع تالي الثانية فاذن هو اخبار بكذبها وصدقه ثم لكنه ساق شهادته مساقا مؤمنا
من الجرح والطعن حيث صورها بصورة الشرطية المرددة ظاهرا بين نفعها ونفعه واما حقيقة فلا تردد فيها قطعا لان الشرطية الاولى
تعليق لصدقها بما يستحيل وجوده من قد القميص من قبل فيكون محالا لامحالة ومن ضرورة توركذبها والثانية تعليق لصدقه بم
باجر محقق الوجود وهو القد من دبر فيكون محققا البتة وهذا كما قيل فيمن قال لامراته زوجني نفسك فقالت لي زوج فكذبها ثم قال
فقالت ان لم يكن لي زوج فقد زوجتك نفسي فقبل الرجل ذاك لا زوج لها فهو نكاح اذ تعليق الشئ باجر متوقع تنجيز له وقرئ من قبل
ومن دبر بالضم لانها قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانها جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للتانيث والعلمية وقرئ بسكون
العين فلما رأى قميصه قد من دبر كانه لم يكن راى ذلك بعدا ولم يتدبر فلما نبه له وعلم حقيقة الحال قال انه الى الآخر
الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن ارادة السوء التي اسندت الى يوسف وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء من اراد باهلك
سوءا الخ لكن لا من حيث صدور تلك الارادة والاسناد عنها بل مع قطع النظر عن ذلك للايذان بجلو قوله تعالى من كيدكن اي
من جنس حيلكن ومكركن اريتها النساء لا من غيركن عن الافادة هو تدبير العقوبة وان لم يكن بحريم عن الاضافة اليها الا انها
لما صدرت بصورة غير الحق افاد الحكم بكونه من كيدهن افادة ظاهرة فتامل وتعميم الخطاب للتنبيه على ان ذلك خلق لهن عريق
ولا تحسبا هذا لها القدر وحده ما سبحته نفس كل غانية هند ورجع الضمير الى قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا فقط عدولا عن البحث
عن اصل ما وقع فيه النزاع من ارادة السوء ممن هي الى البحث عن شعبة من شعبه وجعله للسوء او للام المعتبر بعض طرفيها ليوسف
يا ايه الخبر فان الكيد يستدعي ان يعتبر مع ذلك هنات اخر من قبلها كما اشرنا اليه ان كيدكن عظيم فانه الطف
واغلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء مالا اخاف من الشيطان فانه تعالى يقول ان كيد الشيطان
كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم وكان الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال يوسف حذف عنه
حرف النداء لتوفية كمال تنحطه للحديث وفيه تنبيه له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا اي عن هذا الامر وعن الحديث به واكتمه
فقد ظهر صدقك ونزاهتك واستغفري انت عن ذنبك الذي صدر عنك وثبت عليك انك كنت بسبب ذلك
من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب او من جنسهم يقال خطئ اذا اذنب عمدا وهو تعليل للامر بالاستغفار والتذكير
لتغليب الذكور على الاناث وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة وقال نسوة
اي جماعة من النساء وكن خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وامراة الحاجب
والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقي كتانيث الثلة وهي اسم لجماعة النساء والثبة وهي اسم لجماعة الرجال قد ذلك
لم يلج فعله تاء التانيث في المدينة ظرف لقال او الشعن الا وفي مصر او صفة لنسوة امراة العزيز اي الملك يريد تنظير
واضافتهن لها اليه بذلك العنوان دون ان يقرض باسمها او اسمه ليست لقصد المبالغة في اشاعة الخبر بحكم ان النفوس
الى سماع اخبار ذوي الاخطار كما قيل اذ ليس مراد من تفضيل العزيز بل لقصد الاشباع في قولهن بقولهن تراود فتاها
اي تطالبه بموافقته لها وتتحيل في ذلك وتخادعه عن نفسه شغفها حبها اي وصل حبها شغاف قلبها وهو غلافه
على دوام المراودة والفتى من الناس الشاب واصله فتي لقولهم فتيان والنسوة شاذة وجمعه فتية وفتيان وفتيات
للمملوك وهو المراد ههنا وفي الحديث لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي وتغيرهن عن يوسف عليه السلام بذلك

وقوله على الافادة متعلق بقوله لتنلا تخلو قوله الخ

مضافًا اليها الى العزيز الذى لا يستلزم الاضافة اليه الهوان بل بما يشعر بنوع عزة لما بانه ما بينهما من التباين البين الناشئ
عن الملكية والمملوكية وكل ذلك لتربية ما مر من المبالغة والاشباع فى اللوم فان من لا زوج لها فى الناس اولها زوج دنى فقير
فى مراودة الاخدان لا سيما اذا كان فيهم علوا الجناب. واما التى زوج واى زوج عزيز مصر فمراودتها لغيره لا سيما العبد مما لا تكاد
بينها وبينه اصلًا وتمادیها فى ذلك غاية الغى والضلال قد شغفها حبًا اى شق حبه شغاف قلبها وهى جلابة او جلدة رقيقة
يقال لها سان القلب حتى وصل الى فؤادها وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فاوجره بالقطران وعن الضحاك عن ابن عباس
الشغف الحب دون ذلك وكان الشعبى يقول الشغف حب والشغف جنون والجملة خبر ثان او حال من فاعل تراود او من مفعوله
وايا ما كان فهو تكرير للوم وتاكيد المعذل لبيان اضلال حولها العلمية كما حولها الغالبية وجعلها تعليلًا لدوام المراودة من حيث
الانسية مصير الى الاستدلال على الاجلى بالاخفى ومن حيث اللمية مثل الى تمهيد العذر من قبلها ولذلك بذلك المقام وانتصاب حبا
على التمييز لنقله عن الفاعلية اذ الاصل قد شغفها حبه كما اشير اليه انا لنراها اى نعلمها علمًا متاخمًا للشاهدة والعيان فيما صنعت
من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة فى ضلال عن طريق الرشد والصواب او سنن العقل مبين واضح لا يخفى كونه ضلالًا
على احد وانظر لا مرها بين الناس فان جملة مؤكد لمضمون الجملتين السابقتين المسوقتين للام والتشنيع وتسجيل عليها بانها فارطة
على خطأ عظيم وانما لم يقلن انها لفى ضلال مبين اشعارًا بان ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم ورأى مع التلويح
بانهن منزهات عن امثال ما هى عليه فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وسوء حالتهن وقولهن امراة العزيز تشغف
عبدها الكنعانى وهو مقتها وتسميتها ماكرًا لكونه خفية منها لمكر الماكر وان كان ظاهرًا للغير بما وقيل استمكنهن سرًا
فاقشينه عليها وقيل انما قلن ذلك لتريهن يوسف ما ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امراة
منهن الخمس المذكورات واعتدت اى احضرت وهيات لهن متكئا اى ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد ورتب لهن
مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهى الرجل ان ياكل متكئا
وقيل متكئا طعاما من قولهم اتكانا عند فلان اى طعمنا قال جميل فظلنا بنعمة واتكانا وشربنا الحلال من قلله عن المجاهد
متكأ طعاما يخرج اذا كان المعنى بعد بالسكين عند القطع لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ بغير همز وقرئ بالمد
باشباع حركة الكاف كما مر فى منتزح وبناع فى بناع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد واسدت متكة لبنى ابيها بحب العشمة الوقاح
او بالقطع من متك الشئ اذا بتكه ومتكا من تكى اذا اتكى واتت كل واحدة منهن سكينا لتستعين
فى قطع ما تعهد قطعه مما قدم بين ايديهن وقرب اليهن من اللحوم والفواكه ولحانا وهن متكئات وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطع
ايديهن وقالت ليوسف وهن مشغولات بمعالجة السكاكين واعمالها فيما بايديهن من الفواكه واخراجها والعطف بالواو لتباين
الى ان قولها اخرج عليهن اى ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب امورهن ليتم غرضها من استفتانهن فلما رأينه عطف
على مقدر يستدعيه الامر بالخروج وينسحب عليه الكلام اى فخرج عليهن فرأينه واتى بحذف تحقيقًا للمفاجاة لرؤيتهن كانهن تفوت
عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة فى قوله عز وجل فلما راه مستقرا عنده بعد قوله انا اتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك فيه ايذان بسرعة امتثاله ما امرها فيما لا يشاهد مغرية من الافاعيل اكبرنه عظمنه وهن حسنه الفائق
وجماله الرائع الرائق فان فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب عن النبى عليه السلام
انه قال رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلالؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء
وقيل معنى اكبرن حضن والهاء للسكت او ضمير راجع الى يوسف ما على حذف اللام اى حضن لما من شدة السيف كما قال المتنبى
خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت فى الجذور العواتق وقطعن ايديهن اى جرحنها بما فى ايديهن

ورأيا بعضها بعضًا غديًا

من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتبار حتى لم يعلمن ما فعلن وفي التعبير عن الجرح بالقطع
ما لا يخفى من الدلالة على كثرة جراحهن ومع ذلك لم يبالين بل لم يشعرن به وقلن حاش لله تنزيها له سبحانه عن صفات النقص
والعجز وتعجبا من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع واصله حاشا كما قراه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف جر
يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فلا يستثنى به الا ما يكون موجبا للتنزيه فوضع موضع التنزيه حتى صار حاشا الله تنزيها لله وبراءة الله
وهي قراءة ابن مسعود واللام لبيان المنزه والمبرا كما في سقيا لك والدليل على وضعه موضع المصدر قراءة ابي السمال حاشا بالتنوين
وقراءة ابي عمرو بحذف الالف الاخيرة وقراءة الاعمش بحذف الاولى فان التصرف من خصائص الاسم فيدل على تنزيله منزلته
وعدم التنوين لمراعاة اصله كما في قولك جلست عن يمينه وقوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير وقرئ حاش الله بسكون
الشين اتباعا للفتحة الالف في الاسقاط وحاش الاله وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار
في ناحية من ان يقارف ما رمته به لله اي لطاعته او لمكانه او جانب المعصية لاجل الله ما هذا بشرا على اعمال ما بمعنى ليس
وهي لغة اهل الحجاز لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم نفين عنه البشرية لما شاهدن
فيه من الجمال العبقري الذي لم يعهد مثاله في البشر وقصرنه على الملكية بقولهن ان هذا الا ملك كريم بناء على ما ركز في العقول
من ان لا حي احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن
وصفه باقصى مراتب الحسن والجمال قالت فذلكن الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعنوان الذي وصفنه
الآن من الخروج في الحسن والجمال عن المراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم الاشارة مبتدا والموصول خبره والمعنى ان كان
كما قلتن فذلكن الملك الكريم النائي عن المراتب البشرية هو الذي لمتنني فيه اي عيرتنني في الافتتان به حيث قلتن
بمحلي نسبتي الى العزيز ووصفتنه بكونه من المماليك او بالعنوان الذي وصفنه به فيما سبق بقولهن امراة العزيز عشقت
عبدها الكنعاني فهو خبر لمبتدا محذوف اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ولمتنني فيه وفي ما قلتن فالآن
قد علمتن من هو وما قولكن فينا فعلى ما قيل تعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به
فلا يلائم المقام فان مرادها بذلك عذرهن وتمهيد ما تهددته لهن بتبكيتهن وتندمهن على ما صدر عنهن من اللوم وقد فعلت ذلك على الاعز عليه
وما ذكر من المقال محض المعتذر قبل ظهور معذرته وقد قيل في تعليل الملكية ان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة
البالغة من خواص الملكية وهو ايضا لا يلائم قولها فذلكن الذي لمتنني فيه فان عنوان العصمة مما ينافي تمشية مرامها ثم بعدما اقامت
عليهن الحجة واوضحت لديهن عذرها وقد اصابهن من قبله ما اصابها باحت لهن ببقية سرها فقالت ولقد راودته عن نفسه
حسبما قلتن وسمعتن فاستعصم اي امتنع طالبا للعصمة وهو بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة
وهو يجتهد في الاستزادة منها كما في استمسك واستجمع الراي وفيه برهان نير على انه لم يصدر عنه هم شيء يخل باستعصامه بقوله
معاذ الله من الهم وغيره اعترفت لهن اولا بما كن سمعنه من مراودتها له واكدته اظهارا لابتهاجها بذلك ثم زادت على ذلك انه اعرض
عنها على ابلغ ما يكون ولم يمل اليها قط ثم زادت عليه ايضا انها مستمرة على ما كانت عليه غير مرعوية عنه لا بلوم العواذل ولا بالاعراض
الحبيب فقالت ولئن لم يفعل ما آمره اي آمر به فيما سياتي كما لم يفعل فيما مضى فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير كما في امرتك
الخير فالضمير للموصول او امري اياه اي موجبه ومقتضاه فما مصدرية فالضمير ليوسف وعبرت عن مراودتها بالامر اظهارا لجريان
حكمها عليها واقتضاء للامتثال لامرها ليسجنن بالنون الثقيلة آثرت بناء الفعل للمفعول جريا على رسم الملوك او ايهاما بسرعة
ترتب ذلك على عدم امتثاله لامرها كانه لا يدخل بينهما فعل فاعل وليكونا من الصاغرين اي الاذلاء في السجن وقرئ
الفعلان بالتثقيل ولكن المشهورة اولى لان النون كتبت في الفاعل على حكم الوقف واللام الداخلة على حرف الشرط موطئة للقسم

ولم يفعل ولا نفع وجد منه / لم يحل تعلق العزم [illegible] / [illegible] عنه

اي فهذا المشار اليه لم يكن يعني يوسف عم

رد لصاحب المدارك

رد للبيضاوي

وجوابه ساد مسد الجوابين ولقد أتت بهذا الوعيد المنطوي على فنون التأكيد بمحضر منهن ليعلم يوسف أنها ليست في أمرها على خيفة ولا خفية
من أحد فيضيق عليه الحيل ويعيى بالعلل وينصحن له ويرشدنه إلى موافقتها ولما كان هذا الإبراق والإرعاد منها مظنة لسؤال سائل
يقول فما صنع يوسف ح قيل قال مناجياً لربه عز سلطانه رب السجن الذي أوعدتني بالإلقاء فيه وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر أحب
إلي أي آثر عندي لأنه مشقة قليلة نافذ أثرها راجحة جليلة أبدية مما يدعونني إليه من مواتاتها التي تؤدي إلى الشقاء والعذاب الأليم
وهذا الكلام منه ع مبني على ما فرح من انكشاف الحقائق لديه وبروز كل منها بصورتها اللائقة فصيغة التفضيل ليست على بابها إذ ليس له
شائبة محبة لما دعته إليه وإنما هو والسجن والتعبير عن الإيثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة خوفاً من الحبس والاقتصار على السجن
من حيث أن الصغار من فروعه وتستتبعاته وإسناد الدعوة إليهن جميعاً لأن النسبة رغبة في مطاوعتها وخوفته عن مخالفتها وقيل
إنما ابتلي ع بالسجن لقوله هذا فكان الأولى به أن يسأل الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله عليه السلام على من كان يسأل الصبر
وإلا تصرف أي إن لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك إلي وتحسينه لدي بأن تثبتني على ما أنا عليه من العصمة والعفة أصب
إليهن أي أمل إلى جانبهن أو إلى أنفسهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا فزع منه ع إلى ألطاف الله تعالى جرياً على سنن
الأنبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى والقدر عن أنفسهم ومبالغة في استدعاء
لطفه في صرف كيدهن بإظهار أن لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث أدركني وإلا هلكت لا أنه يطلب الإجبار والإلجاء إلى العصمة
والعفة وفي نفسه داعية تدعوه إلى هواهن والصبوة الميل إلى الهوى ومنه الصبا لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها
وقرئ أصب إليهن من الصبابة وهي رقة الشوق وأكن من الجاهلين أي الذين لا يعملون بما يعلمون لأن من لا جدوى لعلمه
فهو والجاهل سواء أو من السفهاء بارتكاب ما يدعونني إليه من القبائح لأن الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه دعاءه الذي
تضمنه قوله وإلا تصرف عني كيدهن الخ فإن فيه استدعاء لصرف كيدهن على أبلغ وجه وألطفه كما مر وفي إسناد الاستجابة إلى الرب
مضافاً إليه ع ما لا يخفى من إظهار اللطف فصرف عنه كيدهن حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة إنه هو السميع
لدعاء المتضرعين إليه العليم بأحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم أي ظهر للعزيز وأصحابه المتصدين للحل والعقد ريثما اكتفوا بأمر يوسف
بالكتمان والإعراض عن ذلك من بعد ما رأوا الآيات الصارفة لهم عن ذلك البداء وهي الشواهد الدالة على براءته — بمعنى المقدار
وفاعل بدا إما مصدره أو الرأي المفهوم من السياق أو المصدر المدلول عليه بقوله ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء أو رأي
أو سجنه المختوم قائلين والله ليسجننه فالقسم المحذوف وجوابه معمول للقول المقدر حالاً من ضميرهم وما كان ذلك البداء إلا باستنزال
المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطاوعاً لها ذلولاً تقوده حيث شاءت قال السدي إنها قالت للعزيز إن هذا — (زنقلت) — تعني التصرف
العبد العبراني قد فضحني في الناس فأما أن تحبسه كحبسه ولقد أرادت بذلك تحقيق وعيدها لتلين به عريكته وتنقاد لها قرونته لما انصرم
حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها وبأعوانها وقرئ لتسجننه على صيغة الخطاب بأن خاطب بعضهم العزيز
ومن يليه أو العزيز وحده على وجه التعظيم أو خاطب به العزيز ومن عنده من أصحاب الرأي عند العزيز ودونه وأما عند ما فحتى ينذلكه
التسجن وينحوه لها ويحسب الناس أنه المجرم وقرئ عتى حين بلغة هذيل ودخل معه أي في صحبته السجن فتيان من فتيان
الملك ومماليكه أحدهما شرابيه والآخر خبازه روي أن جماعة من أهل مصر ضمنوا لهما مالاً ليسما الملك في طعامه وشرابه
فأجاباهم إلى ذلك ثم إن الساقي نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز فلما حضر الطعام قال الساقي لا تأكل أيها الملك فإن الخبز
مسموم وقال الخباز لا تشرب أيها الملك فإن الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كله
فأبى فجرب بدابة فهلكت فأمر بحبسهما فاتفق أن أدخلا معه وتأخير الفاعل عن المفعول لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم
والتشويق إلى المؤخر ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول الصريح في قوله تعالى في نفسه

خيفة وتأخير السجن عن الظرف لايهام العكس انه يكون الظرف خبراً مقدماً على المبتدأ ويكون الجملة حالاً من فاعل دخل
فتأمل قال احدهما استئناف مبني على سؤال من يقول ما صنعا بعد ما دخلا معاً السجن فاجيب بانه قال احدهما وهو
الشرابي اني اراني اي رأيتني والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة الماضية اعصر خمراً اي عنباً سماه بما يؤول اليه لكونه
المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنباً وقال الآخر وهو الخباز اني اراني
احمل فوق رأسي خبزاً تأخير المفعول عن الظرف لما مر آنفاً وقوله تأكل الطير منه اي تنهش منه صفة للخبز او استئناف
مبني على السؤال نبئنا بتأويله بتأويل ما ذكر من الرؤيين او ما رؤي باجراء الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم
الاشارة يشار به الى متعدد كما في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق اي كأن ذلك والسر
في المصير الى اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة مع انه لا حاجة اليه بعد تأويل المرجع بما ذكر او بما رؤي ان الضمير انما يتعرض لنفس المرجع
من حيث هو من غير تعرض لحال من احواله فلا يتسنى تأويله باحد الامرين الا باجرائه مجرى اسم الاشارة الذي يدل على المشار اليه
بالاعتبار الذي جرى عليه في الكلام فتأمل هذا اذا قالاه معاً او قاله احدهما من جهتهما معاً واما اذا قاله كل منهما اثر ما قص
ما رآه فالخطاب المذكور ليس عبارتهما ولا عبارة احدهما من جهتهما لتعدد المرجع بل عبارة كل منهما نبئني بتأويله مستفسراً
لما رآه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة في الحكاية دون المحكي على طريقة قوله عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا
بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة مفردة خاصة به انا نراك تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفسارهما منه
من المحسنين من الذين يجيدون عبارة الرؤيا لما رأياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له تأويلاً حسناً
او من العلماء لما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله او من المحسنين الى اهل السجن اي فاحسن الينا بكشف غمتنا
ان كنت قادراً على ذلك روي انه عم كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق مكانه اوسع له واذا احتاج جمع له
عن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا فقالوا بارك الله عليك
ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله
اسحق بن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن
شئت وعن الشعبي انهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابي اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلثة عناقيد من عنب
فقطعتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني فوق رأسي جلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها
قال لا يأتيكما طعام ترزقانه في منامكما هذا حسب عادتكما المطردة الا نبأتكما بتأويله استثناء مفرغ من اعم
الاحوال اي لا يأتيكما طعام في حال من الاحوال الا حال ما نبأتكما به بان بينت لكما ماهيته وكيفيته وسائر احواله قبل
ان يأتيكما واطلاق التأويل عليه بالنظر الى ما رؤي في المنام وشبيه له واما بطريق المشاكلة حسبما وقع في عبارتهما في قولهما
نبئنا بتأويله ولا يبعد ان يراد بالتأويل الشيء الآيل لا المآل فانه في الاصل جعل شيء آيلاً الى شيء آخر فكما يجوز ان يراد بالمآل
يجوز ان يراد به الاول فالمعنى الا نبأتكما بما يؤول اليه من الكلام والخبر المطابق للواقع وكان عم يقول لهما اليوم يأتيكما طعام
من صفته كيت وكيت فيجدانه كذلك ومراده عم بذلك بيان كل ما يهمهما من الامور المترقبة قبل وقوعها وانما تخصيص الطعام بالذكر
لكونه عريقاً في ذلك بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص اليه مما استعبراه من الرؤيين المتعلقتين بالشراب والطعام وتوجيه
الضمير لما قصا من الرؤيين على معنى لا يأتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الا اخبرتكما بتأويل ما قصصتما علي قبل ان يأتيكما ذلك
الموقت واراد به الاخبار بالاستعجال في التنبئة وانت خبير بان النظم الكريم ظاهر في تعدد اتيان الطعام والاخبار بالتأويل
وتجددهما وان المقام مقام اظهار فضله في فنون العلوم بحيث يدخل في ذلك تأويل رؤياهما دخولاً اولياً وانه لم يكن عم

الحبلة قضيب الكرم صحاح

الطعام

بمجرد تأويل رؤياهما مع أن فيه دلالة على فضله لأنهما إنما تعناه بالانتظام في سلك المحسنين وأنهما قد علما ذلك حيث قالا
إنا نراك من المحسنين لتوسمهم فيهما خيرا وتوجها إلى قبول الحق فأراد أن يخرج أثر ذي أثير عما في عهدته من دعوة الخلق إلى الحق
فمهد قبل الخوض في ذلك مقدمة تزيدهما علما بعظم شأنه وثقة بأمره ووقوفا على علو طبقته في بدائع العلوم توسلا بذلك
إلى تحقيق ما يتوخاه وقد تخلص إليها من كلامهما فكأنه قال تأويل ما قصصتما علي خارج عن طرف التمام حيث رأيتماه مثالا في المنام
وإني أبين لكما كل جليل ودقيق من الأمور المستقبلة وإن لم يكن هناك مقدمة المنام حتى أن الطعام الموظف الذي يأتيكما كل
يوم أبينه لكما قبل إتيانه ثم أخبرهما بأن علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين بل هو فضل إلهي يؤتيه من يشاء ممن
للنبوة فقال ذلكما أي ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات ومعنى البعد في ذلك للإشارة إلى علو درجته وبعد منزلته مما علمني
ربي بالوحي والإلهام إلى بعض منه أو من ذلك الجنس الذي لا يحوم حول إدراكه العقول ولقد دلهما بذلك على أن له علوما
جمة ما سمعاه قطعة من جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين أن نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه ملة آبائه الأنبياء العظام
وامتناعه عن الشرك فقال إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله هو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من قوله ذلكما
مما علمني ربي وتعليلا له لا للتعليم الواقع صلة للموصول لتأديته إلى معنى أنه مما علمني ربي لهذا السبب دون غيره ولا لمضمون الجملة الخبرية لأن ذكر
بصدد التعليل ليس بعلة لكون التأويل المذكور بعضا مما علمه ربي أو لكونه من جنس بل النفس عليم ما علمه فكأنه قيل لماذا علمك ربك تلك
العلوم البديعة فقال لأني تركت ملة الكفرة أي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الأوثان والمراد بتركها الامتناع عنها رأسا كما ينبئ
عنه قوله ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء لا تركها بعد ملابستها وإنما عبر عنه بذلك لكونه أدخل بحسب الظاهر في اقتدائهما به والتعبير
عن كفرهم بالله تعالى بسلب الإيمان به للتنصيص مع أن عبادتهم له تعالى مع عبادة الأوثان ليس بإيمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل على ما جرى
في قوله تعالى إنه عمل غير صالح وهم بالآخرة وما فيها من الجزاء هم كافرون على الخصوص دون غيرهم لإفراطهم في الكفر واتبعت
ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب يعني أنه إنما حاز هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب أنه اتبع ملة آبائه الكرام ولم يتبع ملة
قوم كفروا بالمبدأ والمعاد وإنما قاله ترغيبا لصاحبيه في الإيمان والتوحيد وتنفيرا لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه
لملتهم على ذكر اتباعه لملة آبائه لأن التخلية متقدمة على التحلية ما كان أي ما صح وما استقام فضلا عن الوقوع لنا معاشر الأنبياء
لقوة نفوسنا ووفور علمنا أن نشرك بالله من شيء أي شيء كان من ملك أو جني أو إنسي فضلا عن الجماد البحت ذلك
أي التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء من فضل الله علينا أي ناشئ من تأييده لنا بالنبوة وترشيحه
إيانا لقيادة الأمة وهدايتهم إلى الحق وذلك مع كونه هو من موجبات التوحيد ودواعيه نعمة جليلة وفضل عظيم علينا بالذات وعلى الناس
ولكن أكثر الناس لا يشكرون أي لا يوفون حق التوحيد مع كونه من آثار ما ذكر من التأييد شكر الله عز وجل على تلك النعمة وإنما وضع
الظاهر موضع الضمير الراجع إلى الناس لزيادة توضيح وبيان لقطع توهم رجوعه إلى المجموع الموهم لعدم اختصاص غير الشكر بالناس وقيل
ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا أدلة ننظر فيها ونستدل بها على الحق وقد نصب مثل تلك الأدلة لسائر الناس أيضا
ولكن أكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بها اتباعا لأهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين ذلك أن نقول ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث
أعطانا عقولا ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد التي مهدها في الأنفس والآفاق وقد أعطى سائر الناس أيضا مثلها ولكن أكثرهم لا يشكرون
أي لا يصرفون تلك القوى والمشاعر إلى ما خلقت هي له ولا يستعملونها فيما ذكر من أدلة التوحيد الآفاقية والأنفسية والعقلية والنقلية يا صاحبي
السجن أي يا صاحبي في السجن كما تقول يا سارق الليلة ناداهما بعنوان الصحبة في مدار الأشجان ودار الأحزان التي تصفو فيها المودة
وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال أأرباب متفرقون لا ارتباط
بينهم ولا اتفاق يستعبدكما كل منهما حسبما أراد غير راقب للآخرين مع عدم استقلاله خير لكما أم الله المعبود بالحق الواحد

كما أشير إليه منه

أي ما يتصداه منه

أي كثيرة

توضيح الكلام في هذا المقام هو أن لفظ الشرك لما يستعمل [illegible] ... منه

وهو مجرور على أنه بيان للشيء أو بدل منه أو منصوب بتقدير أعني

المتفرد

المتفرد بالالوهية القهار الذى لا يغالب احد وبعد ما نبههما على فساد تعدد الارباب بين لهما سقوط آلهتهما فى درجة الاعتبار
ثالثا فضلا عن الالوهية فقال معمما للخطاب لهما ولمن على دينهما ما تعبدون من دونه اى من دون الله شيئا الا اسماء فارغة
لا مطابق لها فى الخارج لان ما ليس فيه مصداق الاطلاق الاسم عليه لا وجود له اصلا فكانت عبادتهم تلك الاسماء فقط سميتموها
جعلتموها اسماء وانما لم يذكر المسميات تربية لما يقتضيه المقام من اسقاطها عن رتبة الموجود وايذانا بان تسميتهم فى البطلان حيث
كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود انتم وآباؤكم بحض جهلكم وضلالكم ما انزل الله بها اى بتلك التسمية المنتسبة
للعبادة من سلطان من حجة تدل على صحتها ان الحكم وما العبادة المتفرعة على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لانه المستحق
لها بالذات اذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك لكل شىء امر استئناف مبنى على سؤال ناشىء من قوله ان الحكم الا لله فكانه قيل
فاذا حكم الله تعالى وهذا شانه فبقبل امر على السنة الانبياء عليهم السلام الا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه مما تقتضى به قضية
العقل ايضا ذلك اى تخصيصه تعالى بالعبادة الدين القيم الثابت المستقيم الذى تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين اولا يعلمون شيئا اصلا فيعبدون اسماء سموها من
تلقاء انفسهم معرضين عن البرهان العقلى والسلطان النقلى وبعد تحقيق الحق ودعوتهما اليه وبيانه لهما مقداره بالبرهان الرفيع وحرضهما
على الواسع شرع فى تفسير ما استفسراه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب فقال يا صاحبى السجن اما احدكما
وهو الشرابى وانما لم يعينه ثقة بدلالة التعبير وتوسلا الى ابهام امر صاحبه حذار مشافهته بما يسوءه فيسقى ربه اى سيده
خمرا روى انه عم قال له ما رايت من الكرمة وحسنها الملك فى حسن مالك عنده وانا القضبان الثلثة ايام تمضى فى السجن ثم تخرج
وتعود الى ما كنت عليه وقرأ عكرمة فيسقى ربه على البناء للمفعول اى يسقى ما يروى به واما الآخر وهو الخباز فيصلب فتاكل
الطير من رأسه روى انه عم قال له ما رايت من السلال الثلث ثلثة ايام ثم تخرج فتقتل فقضى اى انتم والحكم الامر
الذى فيه تستفتيان وهو ما رآياه من الرؤيا بين قطعا لما له الذى عبارته عن نجاة احدهما وهلاك الآخر كما توهمه اسناد
القضاء اليهما فان الاستفتاء انما يكون فى الحادثة لان حكمها يقال استفتى الفقيه فى الحادثة اى طلب منه بيان حكمها ولا يقال استفتاه
فى حكمها وكذا الافتاء فانه يقال افتى فلان فى الواقعة الفلانية بكذا ولا يقال افتى فى حكمها او جوابها بكذا وما هو علم فى ذلك قوله انعم
بارتيها الملا افتونى فى رؤياى ومعنى استفتائهما فيه طلبهما التاويل بقولهما نبئنا بتاويله وانما عبر عن ذلك بالامر وعن طلب تاويله
بالاستفتاء تهويلا لامره وتفخيما لشانه اذ الاستفتاء انما يكون فى النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب واثر صيغة الاستقبال
من سبق استفتائهما فى ذلك مما انهما بصدد ما الى ان يقضى يوم من الجواب وطرو واسناد القضاء اليه مع انه من احوال الماله
لانه فى الحقيقة عين ذلك المال وقد ظهر فى عالم المثال تلك الصورة وانما توحيده مع تعدد مرئيهما فوارد على حسب وحداه فى قولهما
نبئنا بتاويله للاشعار بان الامر ما انتهما به وشتان ما بين علم الملك فانهما لم يستفتيا فيه وبين فيما هو صورته بل فيما هو صورة ما له وعاقبته
فتامل وانما اخبرهما يوسف بذلك تحقيقا للتعبير وتاكيدا له وقيل لما عبر رؤياهما جدا وقال ما راينا شيئا فاخبرهما ان ذلك كائن
صدقتما او كذبتما ولعل الجود من الخباز اذ لا داعى الى الجحود الشرابى الا ان يكون ذلك لمراعاة جانبه وقال اى يوسف عم للذى
ظن انه ناج او فر على صيغة المضارع مبالغة فى الدلالة على تحقق النجاة حسبما يفيده قوله تقضى الامر الذى فيه تستفتيان
وهو الشرف ايثارا ما عليه النظم الكريم على ان يقال للذى ظنه ناجيا منهما من صاحبيه وانما ذكر بوصف النجاة تعيينا لما نيط التوصية
بالذكر عند الملك وعنوان التقرب المذكور وان كان ادخل فى ذلك وادعى الى تحقيق ما وصاه به لكنه ليس بوصف فارق بين وبين
بينه وبين صاحبه المذكور وادعى الى تحقيق ما وصاه به بوصف الهلاك والظاهر هو يوسف عم لصاحبه لان التوصية المذكورة تلائم
على ظن الناجى بل على ظن يوسف وهو بمعنى التيقن كما فى قوله تعالى فلست ادرى ملاق حسابيه فالتعبير بالوحى كما ينبئ عنه قوله تعالى قضى الامر الذى

قضيان بضم القاف وكسرها
بعد واحد مختار

رؤياهما ساه

التوهم من التعبير

وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الامر ايضًا اجتهادي اذكرني بما انا عليه من الحال والصفة عند ربك بتدارك
وصفني له بصفتي شاهدتها فانساه الشيطان اى انسى الشرابي بوسوسته والقائه في قلبه اشتغالا تعوقه عن الذكر والا
فالانساء في الحقيقة لله عز وجل والفاء للسببية فان توصيته المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه كانت باعثة لما ذكر من الانساء
ذكر ربه اى ذكر الشرابي له عند ذلك والاضافة لادنى ملابسة او ذكر اخبار ربه فلبث اى يوسف بسبب ذلك الانساء او التوسل
في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل انه لبث فيه سبع سنين روى عن النبي
رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد وان كانت رخصة لكن اللائق
بمناصب الانبياء الاخذ بالعزائم وقال الملك اى الريان اني ارى اى رأيت واتيان صيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية سبع بقرات
سمان جمع سمين وسمينة ككرام في جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام يأكلهن اى اكلهن والعدول الى المضارع لاستحضار
الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات او صفة لها سبع عجاف اى سبع بقرات عجاف هي جمع عجفاء والقياس عجف
لان فعلاء وافعل لا يجمع على فعال ولكن عدل به عن القياس حملا على نقيضه على الاكثر وانما لم يقل سبع عجاف بالاضافة لان التمييز
موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك فلا يقال ثلثة ضخام واربعة غلاظ واما في ذلك ثلثة فرسان وخمسة ركبان فلجريان
الفارس والراكب مجرى الاسماء روى انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية
الهزال فابتلعت العجاف السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات اى وسبعا اخر يابسات
قد ادركت والتوت على الخضر حتى غلبتها على ما روى ولعل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات يا ايها الملأ
خطاب للاشراف من العلماء والحكماء افتوني في رؤياى هذه اى عبروها وبينوا حكمها وما تؤول اليه من العاقبة والتعبير عن التعبير
بالافتاء لتشريفهم وتفخيم امر رؤياه ان كنتم للرؤيا تعبرون اى تعلمون عبارة جنس الرؤيا علما مستمرا وهو الانتقال من الصور
الخيالية المشاهدة في المنام الى ما هي صور وامثلة لها من الامور الآفاقية والانفسية الواقعة في الخارج من العبور وهو المجاوزة
تقول عبرت النهر اذا قطعته وجاوزته ونحوه اولتها اى ذكرت مآلها وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا والجمع
بين الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار كما اشير اليه واللام للبيان او لتقوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل او لتضمين تعبرون
معنى فعل متعد باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارتها ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر اذا كان
مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر آخر قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال الملأ للملك فقيل قالوا هي
اضغاث احلام اى تخاليطها جمع ضغث وهو في الاصل ما جمع من اخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من احاديث
النفس ووساوس الشيطان وتريها في المنام والاحلام جمع حلم وهو من جنس الرؤيا التي لها عاقبة تؤول اليها ويعتني بامرها وجمعوها
وهي رؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطلان كما في قوله فلان يركب الخيل ويلبس العمائم لمن لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة فردة
او لتضمنها اشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر والاخر اليابسات فتأمل حسن موضع الاضغاث
مع السنابل فلله در شأن التنزيل وما نحن بتأويل الاحلام اى المنامات الباطلة التي لا اصل لها بعالمين لا لان لها تأويلا
ولكن لا نعلمه بل لانه لا تأويل لها وانما التأويل للمنامات الصادقة ويجوز ان يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وانهم ليسوا بنحارير
في تأويل الاحلام مع ان لها تأويلا كما يشعر به ما وقع في كلام الملك المنبئ عن التعرف والتكلف في ذلك لما بين الآيل والمآل من التبعد
ويؤيده قوله وعلا انا انبئكم بتأويله وقال الذي نجا منهما اى من صاحبي يوسف وهو الشرابي وادكر بغير المعجمة
وهو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة اى تذكر يوسف عم وشؤونه التي شاهدها ووصيته بتقريب رؤيا الملك واشكال تأويلها على الملأ
بعد امة اى مدة طويلة وقرئ امه بالكسر وهي النعمة اى بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اى نسيان والجملة حال من الموصول

اى اضافة الذكر الى ربه

او ملابسة الذكر الى رب

ابن الوليد

التوى طولا شديدا

اى لتوكيد الادراك

يقال فلان ثبت من الاثبات اى حجة يتمن الحجج

تحتبرا او استمرارا تحرير

ندبته فانتدب اى دعوته فاجاب وحيدة بما الكلام

وضغث الشيء جمعا شده وضمه واضرم وتحزم اى تلبب وذلك اذا اشتد وسلط الحبل والحزمة من الحطب وغيره قاموس

[illegible]

من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال الى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الاحلام او عبارتها الى التأويل صح

قوله تنتدبون تفتعلون من ندبه للامر فانتدب له اى دعاه للامر فاجاب فبناء الافتعال فيه للمطاوعة تفعل مسعدي

او من

او من الضمير في الصلة وقيل معطوفة على نجا ولبث بعد ان كان حق كلّ من الصفة والصلة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف والموصول عند المخاطب كما عند المتكلم ولذلك قيل ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات وانت تدري ان تذكره بعد امة انما علم بهذه الجملة فلا مجال لنظمها مع نجاته المعلومة في سلك الصلة انا انبئكم بتاويله اى اخبركم به بالتلقي عمن عنده علمه لا من تلقاء نفسي ولذلك لم يقل انا افتيكم فيها وعقبه بقوله فارسلون اى الى يوسف وانما لم يذكره ثقة بما سبق من التذكر وما لحق من قوله يوسف ايها الصديق اى ارسل اليه فاتاه فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة في الصدق حسبما شاهده وذاق احواله وجربها لكونه بصدد اغتنام اثاره واقتباس انواره فهو من باب براعة الاستهلال افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اى في رؤيا ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من معاملتهما ولدلالة مضمون الحادثة عليه حيث لا امكان لوقوعه في عالم الشهادة اى بيّن لنا ما لها وحكمها وحيث عاين علو رتبته عم في الفضل عبّر عن ذلك بالافتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه نبئنا بتاويله وفي قوله افتنا مع انه المستفتي وحده اشعار بان الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بامور العامة وانه في ذلك معبّر وسفير كما اذن بذلك حيث قال لعلي ارجع الى الناس اى الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد ان كان السجن في الخارج كما قيل فانبئهم بذلك لعلهم يعلمون ذلك ويعملون بمقتضاه او يعلمون فضلك ومكانك مع ما انت فيه من الحال فتتخلص منه وانما لم يبت القول في ذلك مجاراة معه على نهج الادب واحترازا عن المجازفة اذ لم يكن على ثقة من الرجوع فربما اخترم دونه ولعل المراد ما دون ما بعد اني ولا من علمهم بذلك فربما لم يعلموه قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال يوسف عم في التاويل فقيل قال تزرعون سبع سنين دابا قرئ بفتح الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر دأب في العمل اذا جد فيه وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون اى دائبين او دائبون دابا على انه مصدر مؤكد لفعل هو الحال اوّل عليه السلام البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة فاخبرهم بانهم يواظبون سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها اذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصداق البقرات السمان وتاويلها ودلهم في تضاعيف ذلك على امر نافع لهم فقال فما حصدتم اى في كل سنة فذروه في سنبله ولا تذروه كيلا ياكله السوس كما هو شان غلال مصر ونواحيها ولعله عم استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وانما امرهم بذلك اذ لم يكن معتادا فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يامرهم بها وجعلها امرا محقق الوقوع وتاويلا للرؤيا ومصداقا لما فيها من البقرات السمان الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين وفيه ارشاد منه عم لهم الى التقليل في الاكل والاقتصار على استثناء الماكول دون البذر لكون ذلك معلوما من قوله تزرعون سبع سنين وبعد اتمام ما امرهم به شرع في بيان بقية التاويل التي يظهر منها حكمة الامر المذكور فقال ثم ياتي وهو عطف على تزرعون فلا وجه لحمله بمعنى الامر حثا لهم على الجد والمبالغة في الزراعة على انه يحصل بالاخبار ايضا بذلك من بعد ذلك من بعد السنين السبع المذكورات وانما لم يقل من بعدهن قصدا الى الاشارة الى وصفهن فان الضمير ساكت عن اوصاف المرجع بالكلية سبع شداد اى سبع سنين صعاب على الناس ياكلن ما قدمتم لهن من الحبوب المتروكة في سنابلها وفيه تنبيه على ان امره عم بذلك كان لوقت الضرورة واسناد الاكل اليهن مع انه حال الناس فيهن مجازي كما في نهاره صائم وفيه تلويح بانه تاويل لاكل العجاف السمان واللام في لهن ترشيح لذلك كانما ادخر في السنابل من الحبوب شيء قد هيئ وقدم لهن كالذي يقدم للنازل والا فهو في الحقيقة مقدم للناس فيهن الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتي من بعد ذلك اى من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة واكل الغلال المدخرة عام لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا عن المدلول الاصلي لها من عام القحط وتنبيها من اول الامر على اختلاف الحال بينه وبين السوابق فيه يغاث الناس من الغيث اى يمطرون يقال غيثت البلاد اذا مطرت في وقت الحاجة او من الغوث يقال اغاثنا الله اى امدنا برفع المكاره حين اظلتنا وفيه يعصرون اى ما من شانه ان يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها

حال من سبع بقرات باعتبار كونها ... وثبتة في الكلام منه

في العبارة لطافة تامل تمت

اى لانهم ورواحات في العمل

اى ونحوه

من الفواكه لكثرتها والتعرض لذكر العصر مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الغيث المستلزم له عادة كما اكتفى به عن ذكر تصرفهم في الحبوب اما لان
استلزام الغيث له ليس كاستلزامه للحبوب اذ المذكورات يتوقف صلاحها على مباد اخرى غير المطر واما لمراعاة جانب المستفتي باعتبار حالته
الخاصة به بشارة له وهي التي يدور عليها حسن موقع تغليبه على الناس في القراءة بالفوقانية وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع
وتكرير فيه اما للاشعار باختلاف اوقات ما يقع فيه من الغيث زمانا وهوية وعنوانا فان الغيث والغوث من فضل الله تعالى والعصر من فعل
الناس واما لان المقام مقام تعداد منافع ذلك العام ولاجله قدم في الموضعين على الفعلين فان المقصود الاصلي بيان انه يقع في ذلك
العام هذا النفع وذاك النفع لا بيان انهما يقعان في ذلك العام كما يفيده التاخير ويجوز ان يكون التقديم للقصر على معنى ان غيثهم وعصرهم
في سائر السنين بمنزلة العدم بالنسبة الى عامهم ذلك وان يكون ذلك في الاخير لمراعاة الفواصل وفي الاول لرعاية حاله وقرئ يعصرون
على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو المناسب للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل ايضا منه كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه
يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة اما بتضمين اعصرت معنى مطرت وتعديته
واما بحذف الجار وايصال الفعل على ان الاصل اعصرت عليهم واحكام هذا العام المبارك ليست مستنبطة من رؤيا الملك وانما
تلقاها عليه السلام من جهة الوحي فبشرهم بها بعد ما اول الرؤيا بما اول وامرهم بالتدبير اللائق في شانه ابانة لعلو كعبه ورسوخ قدمه
في الفضل وانه محيط بما لم يخطر ببال احد فضلا عما يرى صورته في المنام على نحو قوله لصاحبيه عند استفتائهما في منامهما لا ياتيكما
طعام ترزقانه الآية تكميلا لما لديه واتماما للنعمة عليهم حيث لم يشاركه عم في العلم بوقوعها احد ولو برؤية ما يدل عليها في المنام
وقال الملك بعدما جاءه الرسول بالتعبير وسمع ما سمع من نقير وقطمير ائتوني به لما علم من علمه وفضله فلما جاءه
اي يوسف عم الرسول واستدعاه الى الملك قال ارجع الى ربك اي سيدك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن
ايديهن اي فتشه عن شانهن وانما لم يقل فسله ان يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد في التفتيش ليتبين براءته
ويتضح نزاهته اذ السؤال مما يهيج الانسان على الاهتمام في البحث للتفصي عما توجه اليه واما الطلب فمما قد يتسامح ويتساهل فيه ولا يبالى
به وانما لم يتعرض لامراة العزيز مع ما لقي منها ما لقي من مقاساة الاحزان ومعاناة الاشجان محافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها
حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة واما النسوة فقد كان يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن باقرارها بانها راودته عن نفسه
فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الايدي ولم يصرح بمراودتهن له وقولهن اطع مولاتك واكتفى بالايماء الى ذلك
بقوله ان ربي بكيدهن عليم مجاملة معهن واحترازا عن سوء قالتهن عند الملك وانتصابهن للخصومة مدافعة عن انفسهن
متى سمعن بنسبته لهن الى الفساد قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال بعد ذلك فقيل قال الملك اثر ما بلغه
الرسول الخبر واحضرهن ما خطبكن اي شانكن وهو الامر الذي يحق لعظمه ان يخاطب المرء صاحبه اذ راودتن يوسف
وخادعتنه عن نفسه ورغبتنه في طاعة مولاته هل وجدتن فيه شيئا من سوء وريبة قلن حاش لله تنزيها له وتعجيبا
من نزاهته وعفته ما علمنا عليه من سوء بالغن في نفي جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من قالت امراة العزيز وكانت
حاضرة في المجلس وقيل اقبلت النسوة عليها يقررنها وقيل خافت ان يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاقرت قائلة الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر او تبين وظهر بعد
خفاء قاله الخليل وقيل هو ماخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة اي تبين حصة الحق من حصة الباطل كما تتبين حصص الاراضي وغيرها وقيل بان
وظهر من حص شعره اذا استاصله بحيث ظهرت بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول من حصحص البعير مباركه اي القاها في الارض للاناخة قال
فحصحص في صم الصفا ثفناته • وناء بسلمى نوأة ثم صمما • والمعنى اقر الحق في مقره ووضع في موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن
من مطلق نزاهته عم فيما احاط به علمهن من غير تعرض لنزاهته في سائر المواطن خصوصا فيما وقع فيه التشاجر بمحضر العزيز ولا بحث عن حال نفسها

الغيث مثل الغوث

اي يوسف عم

ولو قال في هوا الاه مولاته لكان احسن والطف محمد

۴۵۷

وما صنعت فى ذلك بل اراد ظهور ما هو متحقق فى نفس الامر وثبوته من نزاهته عم فى محل النزاع وخيانتها فقالت انا راودته عن
لا انه راودنى عن نفسه وانه لمن الصادقين اى فى قوله حين افترت عليه هى راودتنى عن نفسى واردت بالآن زمان تكلمها
بهذا الكلام لا زمان شهادتهن فتأمل ايها المنصف هل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء من الشهادة بها
والفضل ما شهدت به الخصماء وانما تصدى عم لتمهيد هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة ساحته عما قرف به لا سيما عند العزيز قبل ان
ما عقده كما يعرب عنه قوله عليه السلام لما رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن ذلك اى ذلك التثبت المؤدى الى ظهور حقيقة الحال
ليعلم اى العزيز انى لم اخنه فى حرمته كما زعمه لا علما مطلقا فان ذلك لا يستدعى تقديم التفتيش على الخروج من السجن بل قبل
ما ذكر من نقض ما ابرمه ولعله لمراعاة حقوق السيادة لان المباشرة للخروج من حبسه قبل ظهور بطلان ما جعله سببا وان كان ذلك بامر
الملك مما يوهم الافتيات على رأيه واما ان يكون ذلك لئلا يتمكن من تقبيح امره عند الملك تمحلا لامضاء ما قضاه فلا يليق بشأنه عم
فى الوثوق بامره والتوكل على ربه جل جلاله بالغيب اى بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اى لم اخنه وانا غائب عنه
او وهو غائب عنى او ظرف اى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وايا ما كان فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة
وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد اسبابها وان الله اى وليعلم ان الله تع لا يهدى كيد الخائنين اى لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله
ويزهقه او لا يهديهم فى كيدهم ايقاعا للفعل على الكيد مبالغة كما فى قوله تع يضاهئون قول الذين كفروا اى يضاهون فى قولهم وفيه
تعريض بامرأته فى خيانتها امانته وبه فى خيانته امانة الله تع حين ساعدها على حبسه بعدما رأوا الآيات نزاهته عم ويجوز ان يكون ذلك
لتأكيد امانته وانه لو كان خائنا لما هداه الله عز وجل لامره واحسن عاقبته وما ابرئ نفسى اى لا انزهها عن السوء قاله عم
هضما لنفسه الكريمة الزكية عن كل سوء وربأ بمكانها عن التزكية والاعجاب بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على اسلوب قوله عم
انا سيد ولد آدم ولا فخر او تحدثا بنعمة الله عز وجل عليه وابرازا لسره المكنون فى شأن افعال العباد اى لا انزهها عن السوء
من حيث هى هى ولا اسند هذه الفضيلة اليها بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله عز وعلا ان النفس البشرية التى
من جملتها نفسى فى حد ذاتها لامارة بالسوء مائلة الى الشهوات مستعملة للقوى والآلات فى تحصيلها بل انما ذلك بتوفيق
وعصمته ورحمته كما يفيده قوله تع الا ما رحم ربى اى من النفوس التى يعصمها عن الوقوع فى المهالك ومن جملتها نفسى او الا امارة
بالسوء فى كل وقت من الاوقات الا وقت رحمة ربى وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع اى لكن رحمة ربى هى التى تصرف
عنها السوء كما فى قوله تع ولا هم ينقذون الا رحمة منا ان ربى غفور رحيم عظيم المغفرة لما يعترى النفوس بموجب
طباعها ومبالغ الرحمة لها بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك وفى ايثار الاظهار فى مقام الاضمار مع التعرض لعنوان الربوبية
لتربية مبادى المغفرة والرحمة وقيل انه من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذى قلت ليعلم يوسف انى لم اخنه بالكذب
عليه فى حالة الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع وما ابرئ نفسى مع ذلك من الخيانة حيث قلت فى حقه ما قلت وفعلت به
ما فعلت ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى اى الا نفسا رحمها الله تع بالعصمة كنفس يوسف ان ربى غفور لمن استغفر
لذنبه واعترف به رحيم له فعلى هذا يكون تأنيه عم فى الخروج من السجن لعدم رضاه بملاقاة الملك وامره بين بين فعل ما فعل
ليتبين نزاهته وانما يتجلى بنظم عظيم مع ما له من الفضل ونباهة الشأن ليتلقاه الملك بما يليق به من الاعظام والاجلال وقد وقع
وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى اجعله خالصا لنفسى وخاصا بى فلما كلمه اى فأتوا به فلما كلمه فحذف للايذان بسرعة
الاتيان به فكأنه لم يكن بين الامر باحضاره والخطاب معه زمان اصلا والضمير المستكن فى كلمه ليوسف والبارز للملك اى فلما كلم
يوسف اثر ما اتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة رفيعة امين مؤتمن
على كل شئ واليوم ليس بمعيار لمدة المكانة والامانة بل هو آن التكلم والمراد تحديد مبدئهما احترازا عن احتمال كونهما بعد حين

وتربطهن بخرب ابتسمت

بجل

بنفاک بهو یتزاف بکوانی یوحی به دیتهم بهو مقذوف لعه

الله تع

وانت خبير بان هذا القول لا يلائم كونها او ذاك من عبدة الاوثان ناطق
تامل

روي انه عليه السلام لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك
بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف
سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها
فاجلسه على السرير وفوض اليه وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها عذراء وولدت له افراثيم وميشا
ولعل ذلك انما كان بعد تعيينه عليه السلام لما عين له من امر الخزائن كما يعرب عنه قوله عز وجل قال اجعلني على خزائن الارض اي ارض مصر
اي ولني امرها من الايراد والصرف اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها وفيه دليل على جواز طلب
الولاية اذا كان الطالب ممن يقدر على اقامة العدل واجراء الاحكام الشرعية وان كان من يد الجائر والكافر وعن مجاهد انه
اسلم الملك على يده عليه السلام ولعل ايثاره عليه السلام لتلك الولاية خاصة انما كان للقيام بما هو اهم امور السلطنة اذ ذاك من تدبير امر السنين
حسبما فصل في التأويل لكونه من فروع تلك الولاية لا لمجرد عموم الفائدة وشمول العائدة كما قيل وانما لم يذكر اجابة الملك الى ما
سأله عليه السلام من جعله على خزائن الارض ايذانا بان ذلك امر لا مرد له غني عن التصريح به لا سيما بعد تقديم ما يندرج تحته احكام السلطنة
بحذافيرها من قوله انك اليوم لدينا مكين امين وللتنبيه على ان كل ذلك من الله عز وجل وانما الملك آلة في ذلك فقيل وكذلك
اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف اي جعلنا له مكانا في الارض اي في ارض مصر روي انها كانت اربعين
فرسخا في اربعين وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الارض مسندا الى ضميره عز سلطانه من تشريفه عليه السلام والمبالغة في كمال ولايته والاشارة
الى حصول ذلك من اول الامر لا انه حصل بعد السؤال ما لا يخفى يتبوأ منها ينزل من بلادها حيث يشاء ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال
قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه فكأنها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وقرأ ابن كثير بالنون روي
ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال عليه السلام اما السرير فاشد به ملكك واما
الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له
الملوك وفوض اليه امره واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الاولى بالدنانير
والدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا ما رأينا كاليوم
ملكا اجل واعظم منه ثم اعتقهم ورد اليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس نصيب برحمتنا
بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء بمقتضى الحكمة الداعية الى المشيئة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفيه
بكماله وفيه اشعار بان مدار المشيئة المذكورة احسان من يصيبه الرحمة المرقومة وانها اجر له ولدفع توهم انحصار ثمرات الاحسان فيما ذكر
من الاجر العاجل قيل على سبيل التوكيد ولاجر الآخرة اي اجرهم في الآخرة فالاضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا نفاد له
خير لهم اي للمحسنين المذكورين وانما وضع موضعه الموصول فقيل للذين آمنوا وكانوا يتقون تنبيها على ان المراد بالاحسان هو
الايمان والثبات على التقوى المستفاد من جمع صيغتي الماضي والمستقبل وجاء اخوة يوسف ممتارين لما اصاب ارض كنعان وارض
الشام ما اصاب مصر وقد كان ارسلهم يعقوب عليه السلام جميعا غير بنيامين فدخلوا عليه اي على يوسف وهو في مجلس ولايته فعرفهم
لقوة فهمه وعدم مباينة احوالهم السابقة لحالهم يومئذ لمفارقته اياهم وهم رجال وتشابه هيئاتهم وزيهم في الحالين ولكون همته
معقودة بهم وبمعرفة احوالهم لا سيما في زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له وهم له منكرون اي والحال انهم منكرون له
لطول العهد وتباين ما بين حاليه عليه السلام في نفسه ومنزلته وزيه ولاعتقادهم انه هلك وقيل كان انكارهم له لاستمرار في حالتي الحضور
والمغيب اخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عليه السلام اياهم ولما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه
المسافر واوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة وقرئ بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لم يقل باخيكم مبالغة في اظهار

الخاتم

ملكهم

التمكين الاقرار واعطاء المكانة

بما كان من حسن الملكة اي حسن الصنيع

تقديره ما رأينا ملكا مثل ملك اليوم اي مثل الملك الذي رأيناه اليوم فقدم مثل المضاف اليه فصار مثل ملك اليوم فحذف ملك فصار مثل اليوم فوضع الكاف موضع المثل فصار كاليوم ملكا فيها ولن قطب

تبدو رثي بالكسر غني

عدم

عدم معرفتهم له عليه السلام انما قال لما قيل من انهم سالوه حملاً زائداً على المعتاد لبنيامين فاعطاهم ذلك وشرطهم ان يأتوا به او لما قيل انه
لما رأوه وكلموه بالعبرية قال لهم من انتم فاني انكركم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لهم لعلكم جئتم
عيوناً فقالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر
فهلك منا واحد فقال كم انتم هنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم
عيوناً وان ما تقولون حق قالوا نحن ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو
يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده اذ لا يأباه عدم ورود الاتيان به عند التجهيز ولا الحث عليه بايفاء
الكيل ولا الاحسان تماما في الانزال ولا الاقتصار على منع الكيل على تقدير عدم الاتيان به بطريق الامر او رده ولا تعليلهم عند ابيهم ارسال اخيهم
بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على ان استبقاء شمعون لو وقع لكان ذلك طامة ينسى عندها كل ما قيل وقال الا ترون اني اوفي الكيل اي اتمه لكم
وايثار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة له مستمرة وانا خير المنزلين جملة حالية اي الا ترون
اني اوفي الكيل لكم ايفاء مستمرا والحال اني في غاية الاحسان في انزالكم فقد كان متمماً فيما سبق وحق ولذلك اخبر عنه بالجملة الاسمية
ولم يعللوه بطريق الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما امرهم به والاقتصار بالحث على ذكر الايفاء لان معاملته معهم في ذلك كمعاملته مع غيرهم
في مراعاة مواجب العدل واما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم في ذلك بما شاء فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي من بعد
فضلاً عن ايفائه ولا تقربون بدخول بلادي فضلاً عن الاحسان في الانزال والضيافة وهو اما نهي او نفي معطوف على محل الجزاء
وفيه دليل على انهم كانوا على نية الامتيار مرة بعد اخرى وان ذلك كان معلوماً له عليه السلام قالوا سنراود عنه اباه اي سنخادعه عنه
ونحتال في انتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله وانا لفاعلون ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين
او لقادرون عليه لا نتعانى به وقال يوسف لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيته وهي جمع قلة له اجعلوا
بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل رجلاً يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالاً وادماً وانما فعله عليه السلام
تفضلاً عليهم وخوفاً من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من رجوعهم باخيه كما يؤذن به
قوله لعلهم يعرفونها اي يعرفون حق ردها والتكرم في ذلك ولكي يعرفوها وهو ظاهر التعلق بقوله اذا انقلبوا الى اهلهم
فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتفريغ الاوعية قطعاً واما معرفة حق التكرم في ردها فهي وان كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن
لما كان ابتداؤها حينئذ قيدت به لعلهم يرجعون حسبما امرتهم به فان التفضل عليهم باعطاء البدلين ولا سيما عند اعواز البضاعة
من اقوى الدواعي الى الرجوع وما قيل انه عليه السلام لم ير من الكرم ان يأخذ من ابيه واخوته ثمناً فكلام حق في نفسه ولكن
يأباه التعليل المذكور واما ان علية الجعل المذكور للرجوع من حيث ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لانهم لا يستحلون امساكها
فمداره حسبانهم انها بقيت في رحالهم نسياناً وظاهر ان ذلك مما لا يخطر ببال احد اصلاً فان هيئة التعبية تنادي بان ذلك
بطريق التفضل الا يرى انهم كيف جزموا بذلك حين رأوها وجعلوا ذلك دليلاً على التفضل اذ ما نبغي كما سيحكيه خبراً
فلما رجعوا الى ابيهم قبل ان يشتغلوا بفتح المتاع قالوا يا ابانا منع منا الكيل اي فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون
الامتيار مرة بعد مرة معهوداً فيما بينهم وبينه عليه السلام فارسل معنا اخانا بنيامين الى مصر وفيه ايذان بان مدار المنع عدم كونه
منهم نكتل بسببه من الطعام ما نشاء وقرئ بالياء على اسناده الى الاخ لكونه سبباً للاكتيال او يكتل لنفسه مع
اكتيالنا وانا له لحافظون من ان يصيبه مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه يوسف من قبل وقد قلتم
في حقه ايضاً ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم وانما افوض الامر الى الله فالله خير حافظاً وقرئ حفظاً وانتصابه
على التمييز والحالية على القراءة الاولى توهم تقييد الخيرية بتلك الحالة وهو ارحم الراحمين فارجوا ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين

وسبب علمه عليه السلام بان ذلك القحط كان مستمراً الى السبع سنين تفكره ان هذا المقدار من الكيل لا يكفي تلك المدة الطويلة مع ما لهم من كثرة المرزوقة [illegible]

قوله الا كما امنتكم منصوب على انه نعت لمصدر محذوف اي الا ائتماناً مثل ائتماني اياكم على اخيه سعدي

قوله تعالى هل آمنكم الاستفهام في معنى النفي والا في آمنكم فعل مضارع والاتي في الاتيان بعوض سعدي

قوله او يكتل لنفسه [illegible] سبب [illegible] الحقيقة سعدي

وهذا كما ترى ميل منه رحمه الله الى الاذن والارسال لما رأى فيه من المصلحة ولما فتحوا امتاعهم ووجدوا بضاعتهم اى نفضلا وقد علموا ذلك بما قرن من دلالة الحال وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة الى الراء كما قيل وكيل قالوا استئناف مبني على السؤال كأنه قيل ماذا قالوا حين فعلوا ما فعلوا بهم ولعله كان حاضرا عند الفتح يا ابانا ما نبغي اذا فسر البغي بالطلب فما اما استفهامية منصوبة به فالمعنى ما نبغي وراء ما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الداعي الى امتثال امره والمراجعة اليه فلا حوائج وقد كانوا اضروه بذلك وقالوا اتاخذ منا على خبر رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامة وقوله تعالى هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستأنفة موضحة لما دل عليه الانكار من بلوغ اللطف غايته كأنهم قالوا كيف لا ونهذه بضاعتنا ردتا الينا تفضلا من حيث لا ندري بعد ما منا علينا من الملك العظام حمل من فريد على هذا فنطلبه ولم يريدوا به الاكتفاء على ذلك مطلقا والتقاعد عن طلب ظفائره بل اراد والاكتفاء به فلا يستجلب الا مثال لاجره والانتجاد اليه فلا يستجلب المزيد كما اشرنا اليه وقوله تعالى ردت الينا حال من بضاعتنا والعامل معنى الاشارة وانما رصيغة البناء للمفعول للايذان بكمال الاحسان الناشئ عن كمال انتفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله عز وجل ونمير اهلنا اى نجلب اليهم الطعام من عند الملك معطوف على مقدر ينسحب عليه ردت البضاعة اى فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا من المكاره وعدنا فما يصيبه من مكروه ونزداد اى بواسطته ولذلك وسط الاضمار بحفظه بين الاصل والمزيد كيل بعير اى وسق بعير زائدا على اوساق اباعرنا على قضية التفريط ذلك اى الحمل اباعرنا كيل يسير اى مكيل قليل لا يقوم بأود نا فهو استئناف وقع تعليلا لما سبق كأنه قيل اى حاجة الى الازدياد فقيل ما قيل وذلك المكيل الزائد شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك او سهل عليه لا يتعاظمه او اى مطلب نطلب من مهماتنا والجمل الواقعة بعده توضح وتبين ما يشق الانكار من كونهم فائزين ببعض المطالب او متمكنين من تحصيلها فكأنهم قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء من المكاره ونزداد بسببه غير ما نكتاله لانفسنا كيل بعير فاي شيء ينبغي وراء هذه المباغي وقرئ ما نبغي على خطاب يعقوب عم اي اي شيء نبغي وراء هذه المباغي المشتملة على سلامة اخينا وسعة ذات ايدينا او وراء ما فعل بنا الملك من الاحسان داعيا الى التوجه اليه والجملة الاستئنافية موضحة لذلك او اي شيء نبغي على شاهد صدقنا فيما ذكرنا من احسانه والجملة المذكورة تعليل للاخبار عن الشاهد المدلول عليه بنحو الانكار او نافية فالمعنى ما سبق شيئا غير ما رأينا من احسان الملك فوجوب المراجعة اليه او ما نبغي غير هذه المباغي وقبل ما نطلب منك بضاعة اخرى والجملة المستأنفة تعليل له واما اذا فسر البغي بمجاوزة الحد فنافية فقط والمعنى ما نبغي في القول او ما نزيد فيما وصفناك من احسان الملك الينا وكرمه الموجب لما ذكر والجملة المستأنفة لبيان ما ادعوا من عدم البغي وقوله ونمير اهلنا عطف على ما نبغي اي ما نبغي فيما ذكرنا من احسانه ونحصل امتاله من مير اهلنا وحفظ اخينا فان ذلك اهون شيء بواسطة احسانه وقد جوز ان يكون كلاما مبتدأ اي جملة اعتراضية تذييلية على معنى وينبغي ان نمير اهلنا وشبه ذلك يقولك سعيت في حاجة فلان وجب ان اسعى وانت خبير بان شان الجمل التذييلية ان تكون مؤكدة لمضمون المقدم ومقررة له كما في المثال المذكور وقولك فلان ينطق بالحق والحق ابلج وان قوله نمير الخ وان ساعدنا في حمله على معنى ينبغي ان نمير اهلنا بمعزل من ذلك او ما نبغي في الرأي وما نعدا عن الصواب فيما نشير به عليك من ارسال اخينا معنا والجمل الى آخرها تفصيل وبيان لعدم بغيهم واجابة الى ما اشاروا اليهم اي بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا ونصنع كيت وذيت فتأمل قال لن ارسله معكم بعد ما عاينت منكم ما عاينت حتى تؤتون موثقا من الله اي ما توثق به من جهته تعالى وهو اذن منه عز وعلا لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني الا ان يحاط بكم اي الا ان تغلبوا فلا تطيقوا به او الا ان تهلكوا او اصله من احاطة العدو فقد هلك غالبا وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم العلل على تأويل الكلام بالنفي الذي يناسب المثبت اي لتأتنني به ولا تمتنعون منه في حال من الاحوال او لعلة من العلل الا حال الاحاطة بكم او لعلة الاحاطة بكم ونظيره قولهم اقسمت عليك لما فعلت الا فعلت

---

١ اي فنستظهر بها

٢ على التفسير الاخير وانما قدمه لئلا يقع الفصل بين المستثنى منه

٣ على التفسير الاول منه

٤ معطوف على قوله انا استفهامية

٥ عطف على قوله اذا فسر البغي

٦ المجوز صاحب الكشاف

اي

اى ما اريد منك الا فعلك فقد جوز الاول بلا تأويل ايضا اى لا تنتفى بوعلى كل حال الا حال الاحاطة بكم وانت تدرى انه حيث لم يكن الاتيان
من الافعال الممتدة الشاملة للاحوال على سبيل المعية كما فى قولك لا الزمنك الا ان تعطينى حقى ولم يكن مراده عدم مقارنته على سبيل البدل
لما عدا الحال المستثناة كما اذا قلت صلّ الا ان تكون محدثا بل مجرد تحققه ووقوعه من غير اخلال به كما فى قولك لا تحج العام الا ان انخفض
فان مرادك الاخبار بعدم منع ما سوى الاحصار عن الحج لا الاخبار بمقارنته لتلك الاحوال على سبيل البدل كما هو مرادك فى مثال الصلوة كان
اعتبار الاحوال معه من حيث عدم منعها منه فال المعنى لا تأتون به لامر من الامور الا لاحاطة بكم فلما آتوه موثقهم عهدهم من الله حسبما اراده يعقوب عليه السلام
قال الله على ما نقول اى ما قلنا فى اثناء طلب الموثق وايتائه من الجانبين وايثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدية الى تمكينهم
ومحافظتهم على تذكره ومراقبته وكيل مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله تعالى وحثهم على مراعاة ميثاقهم وقال ناصحا لهم لما ازمع
على ارسالهم جميعا يا بنى لا تدخلوا مصر من باب واحد نهاهم عن ذلك حذارا من اصابة العين فانهم كانوا ذوى جمال وشارة حسنة
وقد كانوا تجملوا فى هذه الكرة اكثر مما فى المرة الاولى وقد اشتهروا فى مصر بالكرامة والزلفى لدى الملك بخلاف النوبة الاولى فكانوا
مئنة لان يكونوا مطمح نظر كل ناظر ومطمح كل طامح واصابة العين بتقدير العزيز الحكيم ليست مما ينكر فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم ان العين
لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسنين رضى الله عنهما بقوله اعيذكما بكلمات الله التامة من كل
شيطان وهامة ومن كل عين لامة وكان يقول كان ابوكما يعوذ بها اسمعيل واسحق عليهما السلام رواه البخارى فى صحيحه وقد شهدت بذلك التجارب
ولما لم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزما للدخول من ابواب متفرقة وكان فى دخولهم من بابين او ثلثة بعض ما فى الدخول من باب واحد من نوع
اجتماع مصحح لوقوع المحذور قال وادخلوا من ابواب متفرقة بيانا لما هو المراد بالنهى وانما لم يكتف بهذا الامر مع كونه
مستلزما للنهى اظهارا لكمال العناية به وايذانا بانه المراد بالامر المذكور لا تحقيق شىء آخر وما اغنى عنكم اى لا انفعكم ولا ادفع
عنكم بتدبيرى من الله من شىء اى شيئا مما قضى عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به الغاء الحذر بالمرة كيف لا وقد قال
عز قائلا ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقال جلت كلمته خذوا حذركم بل اراد بيان ان ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة
بل هو تدبير فى الجملة وانما التأثير وترتب المنفعة عليه من العزيز القدير وان ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه اليه ان الحكم مطلقا الا لله لا يشاركه احد ولا يمانعه شىء عليه
لا على احد سواه توكلت فى كل ما آتى وما اذر وفيه دلالة على ان ترتيب الاسباب غير مخل بالتوكل وعليه دون غيره فليتوكل
المتوكلون جمع بين الحرفين فى عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص مفيدا بالواو عطف فعل غيره من تخصيص التوكل
بالله عز وجل على فعل نفسه وبالفاء سببية فعله لكونه نبيا لفعل غيره من المقتدين به فيدخل فيهم بنوه دخولا اوليا وفيه ما لا يخفى
من حسن هدايتهم وارشادهم الى التوكل فيما هم بصدده على الله عز وجل غير مغترين بما وصاهم به من التدبير ولما دخلوا من حيث
امرهم ابوهم من الابواب المتفرقة من البلد قيل كانت له اربعة ابواب فدخلوا منها وانما اكتفى بذكره لاستلزامه الانتهاء
عما نهوا عنه ما كان ذلك الدخول يغنى عنهم فيما سيأتى عند وقوع ما وقع عنهم عن الداخلين لان المقصود به استدفاع الضرر
عنهم والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل لتحقيق المقارنة الواجبة بين جواب لما ومدخوله فان عدم الاغناء بالفعل انما يتحقق عند نزول
المحذور لا وقت الدخول وانما المتحقق حينئذ ما افاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول المذكور مغنيا فيما سيأتى فتأمل من الله
من جهته من شىء اى شيئا مما قضاه عليهم مع كونه مظنة لذلك فى بادى الرأى حيث وصاهم به يعقوب عليه السلام وعملوا بموجبه والنفى بجواره
من فضل الله تعالى فليس المراد سببية الدخول المذكور لعدم الاغناء كما فى قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فان مجىء النذير
هناك سبب لزيادة نفورهم بل بيان عدم سببيته للاغناء مع كونها متوقعة فى بادى الرأى كما فى قولك حلف ان يعطينى حقى
عند حلول الاجل فلما حل لم يعطنى شيئا فان المراد بيان عدم سببية حلول الاجل للاعطاء مع كونها مرجوة بموجب الحلف لا سببيته
لعدم الاعطاء فالمآل بيان عدم ترتب الغرض المقصود على التدبير المعهود لكنه مرجو الوجود لا بيان ترتب عدمه عليه ويجوز ان يراد

اى اللباس والابنية

وروى عنه عليه السلام من الاحاديث ان رقية العين حق ... ان العين حق

لانظار الجبابرة العين

اثرها بالكلية

انما هو ذلك من الآيات الواردة فى القدر

ذلك ايضا بناء على ما ذكره ره من قضاء عيف وصيته من انه لا يغني عنهم من الله شيئا فكانه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يفد ذلك شيأ ووقع الامر حسبما قال ره فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع المتوقع فتأمل الا حاجة استثناء منقطع اى ولكن حاجة وقرأ نكاشة في نفس يعقوب قضاها اى اظهرها ووصاهم بها دفعا للخاطرة غير معتقدين للتدبير تاثيرا في تغيير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل في قضاها للاخوة على معنى ان ذلك الدخول قضى حاجة في نفس يعقوب وهي ارادته ان يكون دخولهم من ابواب متفرقة فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغني عنهم من جهة الله شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة في نفس يعقوب بوقوعه حسب ارادته فالاستثناء منقطع ايضا وعلى التقدير لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطرة فاما اصابة العين فانما لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لا لانها اندفعت عليهم بذلك مع كونها مقضية عليهم وانه لذو علم جليل لما علمناه لتعليمنا اياه بالوحي ونصب الادلة حيث لم يعتقدوا ان الحذر يرفع القدر وان التدبير لا حظ من التاثير صح بتبيين الخلل في رايه عند تخلف الاثر او حيث بت القول بانه لا يغني عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال وفي تاكيد الجملة بان واللام وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند الى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شان يعقوب عم وعلو مرتبته علم ومخافته ما لا يخفى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اسرار القدر ويزعمون انه يغني عنه الحذر واما ما يقال من ان المغني لا يعلمون ايجاب الحذر مع انه لا يغني شيأ من القدر فسيأتيك مقام بيان تخلف المطلوب عن المبادي ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه بنيامين اى ضمه اليه في الطعام او في المنزل او فيهما روى انه لما دخلوا عليه قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم وستجدون ذلك فاكرمهم ثم اضافهم واجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بل اخوكم فريدا واجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله ثم انزل كل اثنين منهم بيتا فقال هذا لا ثاني معه فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحة صحة اصح وسأله عن والده فقال لي عشرة بنين اشتقت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلد يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف ثم وقام اليه وعانقه وتعرف اليه وعند ذلك قال اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس اى فلا تحزن ولا تكن من الذين هم يعملون بنا فيما مضى فان الله تعالى قد احسن الينا وجمعنا بخير ولا تعلمهم بما اعلمتك فقال له ابن عباس رضي عنه وهب انه لم يتعرف اليه بل قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن بما كنت تلقاهم من الحسد والاذى فقدا منتهم وروى انه قال له فانا لا افارقك قال لقد علمت باغتمامي والدي لي فاذا حبستك بتزداد غما ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا تحمد قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال ادس صواعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم فافعل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية اى المشربة قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تنسق بها الادوية ويكال بها الحبوب وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت اناء مستطيلا تشبه المكوك التي يشرب بها الاعاجم وقيل كانت مرصعة بالجواهر في رحل اخيه بنيامين ووري وجعل على لفظ جواب لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى منادٍ ايتها العير وهي الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اى تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير وانما فعل ما فعل مثل سقف وسقف فعل به ما فعل بيض وعبد وانما اذاصاحبها كما في قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا منيزلا وقيل خرجوا من العمارة ثم ارسلهم فادركوا ونودوا انكم لسارقون هذا الخطاب ان كان بامر يوسف فلعله اريد به السرقة اخذهم له من ابيه ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب والا فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه والاول هو الاظهر الاوفق للسياق وقرء اليماني سارقون بلا لام قالوا اى الاخوة واقبلوا اليهم جملة حالية من ضمير قالوا مبينة لما للدلالة على انزعاجهم مما سمعوه لما بنته لحالهم ماذا تفقدون اى تعدمون تتنول فقدت الشيء اذا عدمته بان ضل عنك لا بفعلك وانما ك

ماذا ضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وعلى التقديرين فالعدول عما يقتضيه
الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم بأنفسهم بأنه لم تسرق منهم شئ قيل لانهم لما ذا وقفوا على ارشادهم الى مراعاة
حسن الادب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البراءة الى ما لا خير فيه ولا سيما بطريق التوكيد فلذلك عبروا كلامهم حيث قالوا في جوابهم
نفقد صواع الملك ولم يقولوا اخذوه او سرق وقرئ صاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها وبابهال العين واعجامها من الصياغة
ثم قالوا تربية لما نكفوه من قبلهم وارادة لاعتقاد انه اتما بق في رحلهم تعاقا لمن جاء به من عند نفسه مظهرا له قبل التفتيش
حمل بعير من الطعام جعلا له على تحقيق نية الوعد ووجوب الشرط وعزمهم على ما لا يخفى من اخذ من وجد في رحله وانا به زعيم كفيل
اوده اليه وهو قول المؤذن قالوا تالله المشهور على ان التاء بدل من الواو ولذلك لا تدخل الا على الجلالة بالمعظمة او الرب
المضاف الى الكعبة او الرحمن في قول ضعيف ولو قلت تالرحيم لم يجز وقيل من البار وقيل اصل بنفسها وايا ما كان ففيه تعجب
لقد علمتم علما جازما مطابقا للواقع ما جئنا لنفسد في الارض اى لنسرق فانه من اعظم انواع الافساد او لنفسد فيها
اى افساد كان مما عرفتم او كان فضلا عما نسبتموناليه من السرقة ونفى المجئ للافساد وان يكن مستلزما لما هو مقتضى المقام من نفى الافساد
مطلقا لكنهم جعلوا المجئ الذى يترتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق مجيئا لغرض الافساد ومفعولا لاجله ادعاء لظهور الكلام فيجه
عندهم وتربية لاستحالة صدوره عنهم كما قيل في قوله تعالى ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد الدال بظاهره على نفى المبالغة فانظلم دون
نفى الظلم والجملة الذى هو مقتضى المقام من ان المعنى اذا عذبت من لا يستحق التعذيب كنت ظلاما فموطن الظلم مكانهم قالوا الان صدر
عنا افساد ما كان مجيئا لذلك مريدين به تقبيح حاله واظهار كمال نزاهتهم عنهم يعنون انه قد شاع بينكم كرة مجيئا ما نحن عليه وقد كانوا
على غاية ما يكون من الديانة والصيانة فيما يأتون ويذرون حتى روى انهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول
زرعا او طعاما لاحد وكانوا مشاهير على فنون الطعام وعلم بذلك انه لا يصدر عنا افساد وما كنا سارقين اى ما كنا موصوفين
بالسرقة قط وانما حكموا بعلمهم ذلك لان العلم باحوالهم الشاهدة يستلزم العلم باحوالهم الغائبة وانما لم يكتفوا بنفى الامرين
المذكورين بل استشهدوا بعلمهم بذلك الزاما للحجة عليهم وتحقيقا للتعجب المفهوم من تاء القسم قالوا اى اصحاب يوسف عم فما جزاؤه
الضمير للمصدر او للصواع على حذف المضاف اى فما جزاء سرقته عندكم وفى شرعتكم ان كنتم كاذبين لان دعوى البراءة عن السرقة فانهم صادقون
فيها بل فيما يستلزمه ذلك من نفى كون الصواع فيهم كما يؤذن به قوله عز وجل قالوا جزاؤه من وجد في رحله اى اخذ من وجد
الصواع في رحله حيث ذكر بعنوان الوجدان في الرحل دون عنوان السرقة فان كان ذلك مستلزما لها في اعتقادهم المبنى
على قواعد العادة ولذلك اجابوا بما اجابوا فان الاخذ والاسترقاق سنة لنا هو جزاء السارق دون من وجد في يده
مال غيره كيف ما كان فتأمل واصل كلام كل فريق على ما لا يزاحم رأيه فانه اقرب الى معنى الكيد وابعد من الافتراء وقوله فهو جزاؤه
تقرير لهذا الحكم اى فاخذه جزاؤه كقولك حق الضيف ان يكرم فهو حقه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هى خبره
على اقامة الظاهر مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو على ان الاول لمن والثانى للمطاوع الذى وضع موضعه
كذلك اى مثل ذلك الجزاء الاوفى نجزى الظالمين بالسرقة تاكيد للحكم المذكور غب تاكيد وبيان لقبح السرقة ولقد فعلوا
ذلك ثقة بكمال الامانة عنها وهم عما فعل بهم غافلون فبدأ يوسف بعد ما رجعوا اليه للتفتيش باوعية الاخوة
اى بتفتيشها العشرة قبل تفتيش وعاء اخيه بنيابين لنفى التهمة روى انه لما بلغت النوبة الى وعائه قال ما اظن هذا
اخذ شيئا فقالوا والله ما نتركه حتى ننظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا ثم استخرجها اى السقاية او الصواع فانه يذكر
ويؤنث من وعاء اخيه لم يقل منه على رجع الضمير الى الوعاء او من وعائه على رجعه الى اخيه قصدا الى زيادة كشف وبيان
وقرئ بضم الواو وتقلب همزة كما في اشاح كذلك نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة على فخامة المشار اليه

ذلك ايضا بناء على ما ذكره ومرّ في تضاعيف حقيته من انه لا يغني عنهم من الله شيئا فكانه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يفد ذلك شيئا ووقع
الامر حسبما قال عم فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع المتوقع فتأمل **الا حاجة** استثناء منقطع اي ولكن حاجة وفرازنا كائنة **في نفس
يعقوب قضاها** اي اظهرها ووصاهم بها دفعا للخاطرة غير معتقد ان للتدبير تاثيرا في تغيير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل في قضاها للدخول
على معنى ان ذلك الدخول قضى حاجة في نفس يعقوب وهي ارادته ان يكون دخولهم من ابواب متفرقة فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغني عنهم
من جهة الله شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة في نفس يعقوب بوقوعه حسب ارادته فالاستثناء منقطع ايضا وعلى التقديرين لم يكن
للتدبير فائدة سوى دفع الخاطرة فاما اصابة العين فانها لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لا لانها اندفعت عليهم بذلك مع كونها مقضية عليهم
وانه لذو علم جليل **لما علمناه** لتعليمنا اياه بالوحي ونصب الادلة حيث لم يعتقد ان الحذر يدفع القدر وان التدبير
له حظ من التاثير حتى يتبين الخلل في رايه عند تخلف الاثر او حيث بت القول بانه لا يغني عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال
وفي تاكيد الجملة بان واللام وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند الى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شان يعقوب عم وعلو مرتبة
علمه وفخامته ما لا يخفى **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** اسرار القدر ويزعمون انه يغني عنه الحذر واما ما يقال من ان المعنى لا يعلمون
ايجاب الحذر مع انه لا يغني شيئا من القدر فيأباه مقام بيان تخلف المطلوب عن المبادي **ولما دخلوا على يوسف آوى اليه**
[illegible]

[illegible]

اليه بل قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس [illegible]
انه قال له فانا لا افارقك قال لقد علمت باغتمام والدي بي فاذا حبستك يزداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يحمد
قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل
فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية اي المشربة **قيل** كانت مشربة جعلت صاعا يكال به **وقيل** كانت تسقى بها الدواب
ويكال بها الحبوب وكانت من فضة **وقيل** من ذهب **وقيل** من فضة مموهة بالذهب **وقيل** كانت اناء مستطيلة تشبه المكوك
الفارسي الذي يلتقي طرفاه يستعمله الاعاجم **وقيل** كانت مرصعة بالجواهر **في رحل اخيه** بنيامين ووقى وجعل على حذف جواب
لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا **ثم اذن مؤذن** نادى مناد **ايتها العير** وهي الابل التي عليها الاحمال لانها تعير
اي تذهب وتجيء **وقيل** هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل مثل سقف وسقف فعل به
ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحابها كما في قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا منزلا
وقيل خرجوا من العمارة ثم ادركهم فادركوا ونودوا **انكم لسارقون** هذا الخطاب ان كان بامر يوسف فلعله اريد بالسرقة
اخذهم له من ابيه ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب والا فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه والاول هو الاظهر الاوفق للسباق
وقرء اليماني سارقون بلا لام **قالوا** اي الاخوة **واقبلوا عليهم** جملة حالية من ضمير قالوا جيء بها للدلالة على انزعاجهم
مما سمعوه لمباينته لحالهم **ماذا تفقدون** اي تعدمون تقول فقدت الشيء اذا عدمته بان ضل عنك لا بفعلك وما لك

المكوك بتشديد الكاف الاولى [illegible] صاع [illegible]
[illegible]

مشربة بكسر الميم اناء يشرب منه

يقال اذنه اي اعلمه واذن اكثر الاعلام [illegible] المؤذن [illegible] مدارك

۲۶۰

ماذا ضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وعلى التقديرين فالعدول عما يقتضيه
الظاهر من قولهم ماذا سُرق منكم لبيان كمال نزاهتهم باظهار انه لم يُسرق منهم شئ فيا لونهم الا ماذا وفيه ارشاد لهم الى مراعاة
حسن الادب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البراء الى ما لا خير فيه ولا سيما بطريق التوكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث قالوا في جوابهم
نفقد صُواعَ المَلِك ولم يقولوا سرقتموه او سرق وقرئ صاع وصوع وصُوع بفتح الصاد وضمها وباهمال العين واعجامها من الصياغة
ثم قالوا ترغيبا لما تلقوه من قبلهم وازاحة لاعتقاد انه انما بقي في رحلهم اتفاقا ولمن جاء به من عند نفسه مظهرا له قبل التفتيش
حمل بعير من الطعام جعلا له على تحقيق نية الوعد وجواب الشرط وعزمهم على ان لا يخون من اخذ من وجد في رحله وانا به زعيم كفيل
اودعه اليه وهو قول المؤذن قالوا تالله الجمهور على ان التاء بدل من الواو ولذلك لا تدخل الا على الجلالة المعظمة او الرب
المضاف الى الكعبة او الرحمن في قول ضعيف ولو قلت تالرحيم لم يجز وقيل من التاء وقيل اصل بنفسها وايا ما كان ففيه تعجب
لقد علمتم علما جازما مطابقا للواقع ما جئنا لنفسد في الارض اى لنسرق فانه من اعظم انواع الافساد او لنفسد فيها
اى افساد كان فضلا عما نسبتمونا اليه من السرقة ونفي المجئ للافساد وان يكن مستلزما لما هو مقتضى المقام من نفي الافساد
مطلقا لكنهم جعلوا المجئ الذي يترتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق مجيئا لغرض الافساد ومفعولا لاجله ادعاء اظهارا لكمال قبحه
عندهم وتربية لاستحالة صدوره عنهم كما قيل في قوله تعالى ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد الدال نظائره على نفي المبالغة في الظلم دون
نفي الظلم والجملة التي هو مقتضى المقام من ان المعنى اذا عذبت من لا يستحق التعذيب كنت ظلاما مفرطا في الظلم فكأنهم قالوا ان صدر

ثم انه تعالى لما فرغ من اقامة دلائل التوحيد وبطلان الشرك وتقريع المشركين وتهديدهم بتعزيره في انهم في جهنم شرع في تثبيت المؤمنين
على ما هم عليه الى آخر ... كل ما يجب مجاهدته من النفوس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين فقال والذين جاهدوا فينا اى جهدوا
وبذلوا وسعهم في حقنا ولاجلنا ووجهنا خالصا لنهدينهم سبيل السير الينا والوصول الى جنابنا فان من جاهد في الله حق جهاده وهو صرف الافتقار
الى الله بالانقطاع عن كل شئ سوى الله انكشف عنه الحجب النفسانية وحجب عالم الاكوان كلها وتجلى له اسرار الملكوت وانوار عالم الغيب ومن اجتهد
في رفض العادات البشرية ونفي الاخلاق الطبيعية وطهر ظاهره عن المخالفات المنهية بملازمة الاعمال السنية وباطنه عن الاخلاق الردية
بالتحلي بالاخلاق المرضية انفتح له سبيل السير الى الله بالقوة القدسية والقابلية الملكية واللطائف الروحانية فانه يقدر الجد يكتسب المعالي سهر راده

الصواع في رحله حيث ذكر بعنوان الوجدان في الرحل دون عنوان السرقة وان كان ذلك مستلزما لها في اعتقادهم بناء
على قواعد العادة ولذلك اجابوا بما اجابوا فان الاخذ والاسترقاق سنة انما هو جزاء السارق دون من وجد في يده
مال غيره كيف ما كان فتأمل واحمل كلام كل فريق على ما لا يزاحم رأيه فانه اقرب الى معنى الكيد وابعد من الافتراء وقوله فهو جزاؤه
تقرير لهذا الحكم اى فاخذه جزاؤه كقولك حق الضيف ان يكرم فهو حقه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره
على اقامة الظاهر مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو على ان الاول لمن والثاني للظاهر الذي وضع موضعه
كذلك اى مثل ذلك الجزاء الاوفى نجزي الظالمين بالسرقة تأكيد للحكم المذكور غب تأكيد وبيان لقبح السرقة ولقد فعلوا
ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها وهم عما فعل بهم غافلون فبدأ يوسف بعد ما رجعوا اليه للتفتيش باوعيتهم باوعية الاخوة
اى بتفتيشها العشرة قبل تفتيش وعاء اخيه بنيامين لنفي التهمة روي انه لما بلغت النوبة الى وعائه قال ما اظن هذا
اخذ شيئا فقالوا والله ما نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا ثم استخرجها اى السقاية او الصواع فانه يذكر
ويؤنث من وعاء اخيه لم يقل منه على رجع الضمير الى الوعاء او من وعائه على رجعه الى اخيه قصدا الى زيادة كشف وبيان
وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كما في اشاح كذلك نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة على فخامة المشار اليه

وكذا ما في ذلك من معنى البعد اى مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافتراء المذكور باجرائه على الستهم وحملهم عليه
بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا فمعنى قوله عز وجل كذلك كدنا ليوسف ضعفناله ودبرنا له الاجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها
من دس الصواع وما يلوه فاللام كيف كان في قوله تعالى فكيدوا لك كيدا فانها داخلة على المقدر على ما هو الاستعمال الشائع وقوله ما كان
ليأخذ اخاه في دين الملك استئناف وتعليل لذلك الكيد وصفه لا تفسير وبيان له كما قيل كانه قيل لما ذا فعل ذلك فقيل لانه لم يكن
ليأخذ اخاه بما فعله في دين الملك في امر السارق اى في سلطانه قاله ابن عباس رض لو في حكمه وقضائه قاله قتادة الا انه لان جزاء السارق
اى في دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما اخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب ع فلم يكن يمكن بما صنعه من اخذه
اخيه بالسرقة التي نسبها اليه في حال من الاحوال الا ان يشاء الله اى الا حال مشيئة التي هي عبارة عن ارادته لذلك الكيد
او الا حال مشيئة للاخذ بذلك الوجه ويجوز ان يكون الكيد عبارة عنه وعن مباديه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف وقومه الى ما صدر
عنهم من الافعال والاقوال جميعا شرح وتنبيه لكن لا على ان يكون القصر المستفاد من تقديم المجرور ماخوذا بالنسبة الى غيره مطلقا على معنى
ذلك الكيد كدنا لا كيدا آخر اذ لا معنى لتعليله بعجز يوسف ع عن اخذ اخيه في دين الملك في شان السارق قطعا اذ لا علاقة بين مطلق
الكيد ودين الملك في امر السارق اصلا بل بالنسبة الى بعضه على معنى مثل ذلك الكيد البالغ الى هذا الحد كدنا له ولم يكف بعض من ذلك
لانه لم يكن ياخذ اخاه في دين الملك بالا حال مشيئتنا له باجراء ما يجري مجرى اجزاء الصورى من العلة التامة وهو ارشاد اخوته
الى الافتراء المذكور وعلى هذا ان جعل القصر في تفسير من فسر قوله ع كدنا ليوسف بقوله علمناه اياه واوحينا اليه اى مثل ذلك التعليم
المستتبع لما شرح وتنبيه علمناه دون بعض من ذلك فقط الخ وعلى كل حال فالاستثناء من اعم الاحوال ع ويجوز ان يكون من اعم العلل
والاسباب اى لم يكن ياخذه اخاه لعلة من العلل او بسبب من الاسباب الا لعلة مشيئة تعالى او لا بسبب مشيئته ع وايا ما كان فهو
متصل لان اخذ السارق اذا كان ممن يرى ذلك في معتقده دينا لا سيما عند رضاه وافتائه به ليس مخالفا لدين الملك وقد قيل
معنى الاستثناء الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك ع انت تدري ان المراد بدينه ما عليه ع فتغييره محال بالاتصال
وارادته مطلق ما يتدين به اعم منه ومما يحدث ينقض الكون الاستثناء من قبيل التعلق بالمحال اذ المقصود بيان عجز يوسف ع
عن اخذ اخيه ع ولم يتعلق المشية بالجعل المذكور اذ ذاك وارادته عجزه مطلقا تؤدي الى خلاف المراد فان استثناء حال المشية
المذكور ينافي حال عجزه دائما مما يشوش بعدم الحاجة الى الكيد المذكور فتدبر وقد جوز الانقطاع اى لكن اخذ بمشية الله تعالى واذنه
في دين غير دين الملك نرفع درجات اى درجات كثيرة عالية في العلم وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض
اى الى درجات والمفعول قوله تعالى من نشاء اى نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف وآثار صيغة
الاستقبال للاشعار بان ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وفوق كل ذي علم
من اولئك المرفوعين عليم لا يتسامون شأوه واعلم انه ان جعل الكيد عبارة عن المعنيين الاولين فالمراد برفع يوسف ما اعتبر
فيه بالشرطية او الشرطية من ارشاده ع الى دس الصواع في رحل اخيه وما يتوقف عليه من المقدمات المرتبة لاستبقاء اخيه مما يتم
من قبله والمعنى ارشدنا اخوته الى الافتراء المذكور لانه لم يكن ممكنا في اخذ اخيه بدونه او ارشدنا كلا منهم ومن يوسف واصحابه
الى ما صدر عنهم ولم نكتف بما تم من قبل يوسف فقط لانه لم يكن ممكنا في اخذ اخيه بذلك فقوله نرفع درجات الى قوله عليم
توضيح لذلك على معنى ان الرفع المذكور لا يوجب اتمام مراده اذ ليس ذلك بحيث لا يغرب عن علمه شيء انما نرفع كل من نرفع حسب
استعداده ونهم وفوق كل واحد منهم عليم لا يتاخر عن قدر علمه ولا يكتنه كنهه يرفع كلا منهم الى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه
وقد رفع يوسف ع الى ما يليق به من الدرجات العالية وعلم ان ما هو فيه دائرة على لا يبغي بمراده فارشد اخوته على الافتراء المذكور عن اخوة
وان كان على طمع منه فان ذلك الى الله تعالى وصل وجودا وعلما والتعرض لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفي صيغة المبالغة

في العبارة بطانة

الشأو الغاية قاموس

مع التنكير والالتفات الى الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه عز وعلا وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا يخفى واما ان جعل عبارة عن التعليم
المستتبع للافتاء المذكور فالترفع عبارة عن ذلك التعليم والافتاء وان لم يكن داخلا تحت قدرته عليه السلام لكنه كان داخلا تحت علمه بالوحي
الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الافتاء الذي سيصدر عن اخوته اذ لم يكن
متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك نرفع درجات من نشاء توضيح لقوله كذلك كدنا وبيان لان ذلك من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم
ومدح ليوسف برفعها اليها وقوله وفوق كل ذي علم عليم تذييل له اي نرفع درجات عالية من العلم من نشاء رفعه وفوق كل منهم عليم هو اعلى
درجة قال ابن عباس رض فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى والمعنى ان اخوة يوسف كانوا علماء الا ان يوسف افضل منهم
وقرئ درجات من نشاء بالاضافة والاول انسب بالتذييل حيث نسب فيه الرفع الى من نسب اليه الفوقية لا الى درجته ويجوز كون العليم
في هذا التفسير ايضا عبارة عن الله عز وجل اي وفوق كل من اولئك المرفوعين عليم يرفع كلا منهم الى درجته اللائقة به والله اعلم
قالوا ان يسرق يعنون بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يريدون به يوسف عم وما جرى عليه من جهة عمته على ما قيل
من انها كانت تحضنه فلما شب اراد يعقوب عم انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة ورثتها من ابي اسحق عم
فاحتالت لاستبقاء يوسف عم فعمدت الى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا
من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وقيل كان
اخذ في صباه صنما لابي امه فكسره فالقاه في الجيف وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه فاسرها
يوسف اي اكن الحزازة الحاصلة مما قالوا في نفسه لا انه اسرها لبعض اصحابه كما في قوله تعالى واسررت لهم اسرارا ولم يبدها
لهم لا قولا ولا فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تأكيد لما سبق قال اي في نفسه وهو استئناف مبني على سؤال نشأ من الاخبار
بالاسرار المذكور كأنه قيل فماذا قال في نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار فقيل قال انتم شر مكانا اي منزلة حيث سرقتم
اخاكم من ابيكم ثم طفقتم تفترون على البرئ وقيل بدل من اسرها والضمير للمقالة المفسرة بقوله انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون
اي عالم علما بالغا الى اقصى المراتب بان الامر ليس كما تصفون من صدور السرقة منا بل انما هو افتراء علينا فالصيغة لمجرد
المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم قالوا عندما شاهدوا مخايل اخذ بنيامين استعطافا
يا ايها العزيز ان له ابا لم يريدوا بذلك الاخبار ان له ابا فان ذلك معلوم مما سبق وانما ارادوا الاخبار بان له ابا شيخا كبيرا
في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علالة به يتعلل عن شقيقه الهالك فخذ احدنا مكانه فليس عنده بمنزلته من المحبة
والشفقة انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك بهذه التتمة او المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال
معاذ الله اي نعوذ بالله معاذا من ان نأخذ فحذف الفعل واقيم مقامه المصدر مضافا الى المفعول به بعد حذف الجار
الا من وجدنا متاعنا عنده لان اخذنا له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخلال بموجبها وايثار صيغة المتكلم مع الغير
مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوحيد من باب السلوك الى سنن الملوك او للاشعار بان الاخذ والاعطاء ليس
مما يستبد به بل هو منوط بآراء اولي الحل والعقد وايثار من وجدنا متاعنا عنده دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق
والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فانهم لا يحملون وجدان الصواع في الرحل على محمل غير السرقة انا اذا اي اذا اخذنا
غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه لظالمون في مذهبكم بما قلناه وهذا المعنى هو الذي اريد بالكلام في اثناء الحوار
وله معنى باطن هو ان الله عز وجل امرني بالوحي ان آخذ بنيامين لمصالح علمها الله في ذلك فلو اخذت غيره كنت ظالما
وعاملا بخلاف الوحي فلما استيأسوا منه اي يئسوا من يوسف واجابته لهم اشد يأس بدلالة صيغة الاستفعال
وانما حصلت هذه المرتبة من اليأس لما شاهدوه من عوذه بالله مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده في اقصى مراتب الكراهية

فيه لطائف

صفح عنه اي اعرض عن ذنبه

يعني لفظ اعلم

من العادة

وآنه ما يجب ان يجترز عنه ويعاذ منه بالله عز وجل ومن ثمة ظلما بقوله انا اذا لظالمون خلصوا انفردوا واعتزلوا عن الناس
نجيا اى ذوى نجوى على ان يكون بمعنى التجوى والتناجى او فوجا نجيا على ان يكون بمعنى المناجى كالعشير والنسير بمعنى المعاشر
والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا ويجوز ان يقال هم صديق لانه بزنة المصادر من النذير والزئير قال كبيرهم فى السنة
وهو رويبل او ذو العقل وهو يهوذا او شمعون وهو شمعون له الم تعلموا كانهم جمعوا عند التناجى على الانقلاب جملة
ولم يرض به فعال منكرا عليهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا توثق به وهو حلفهم بالله وكونه من الله
لاذنه فيه وكون الحلف باسمه الكريم ومن قبل اى من قبل هذا ما فرطتم فى يوسف قصرتم فى شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم
وقد قلتم وانا له لحافظون وما مزيدة او مصدرية ومحل المصدر النصب عطفا على مفعول تعلموا اى الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم السابق
فى شان يوسف والاخير فرق بين العاطف والمعطوف بالظرف وقد جوز النصب عطفا على اسم ان والخبر فى يوسف
او من قبل على معنى الم تعلموا ان تفريطكم السابق وقع فى شان يوسف ع م وان تفريطكم الكائن او كائنا فى شان يوسف م
وقع من قبل وفيه ان مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التفريط لا يكون تفريطهم الكائن فى شانه واقعا من قبل كما هو
مفاد الثانى على ان الظرف المقطوع عن الاضافة لا يقع خبرا ولا فى شانه صفة ولا صلة ولا حالا عند البعض كما تقرر فى موضعه
وقيل محله الرفع على الابتداء والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل موصولة او موصوفة ومحلها النصب او الرفع والحق هو النصب
عطفا على مفعول تعلموا اى ما فرطتموه بمعنى قد تمكنتم فى حقه من الخيانة واما النصب عطفا على اسم ان او الرفع على الابتداء
فقد عرفت حاله فلن ابرح الارض متفرع على ما ذكره اياهم من ميثاق ابيه وقوله لتاتننى به الا ان يحاط بكم
اى فلن افارق ارض مصر جريا على مقتضى الميثاق حتى ياذن لى ابى فى الفراق بالانصراف اليه وكان اياسهم كما ينبئ عنه
مقصودة على عدم الرجوع بغير اذنه يعقوب ع م او يحكم الله لى بالخروج منها على وجه لا يؤدى الى نقض الميثاق او بجلاء
اخر بسبب من الاسباب. روى انهم كلموا العزيز فى الطلاقة فقال رويبل ايتها الملك لتردن الينا اخانا او لاصيحن صيحة
لا تبقى بمصر حاملا الا القت ولدها وقفت كل شعرة من جسده مخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لا يطاق
حتى انه اذا مس احدهم ذا غضب واحدهم سكن غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فقال رويبل من هذا الذى فى هذا
البلد بدرا من بدر يعقوب ع م وهو خير الحاكمين اذ لا يحكم الا بالحق والعدل ارجعوا انتم الى ابيكم فقولوا
يا ابانا ان ابنك سرق على ظاهر الحال وقرئ سرق اى نسب الى السرقة وما شهدنا الا بما علمنا وشاهدنا
ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب اى باطن الحال حافظين فما ندرى ان حقيقة الامر
كما شاهدنا ام خلافه او ما كنا عالمين صريحا عطفا على ما قبله انه سيسرق او انا ما فى هذا الامر او انك تصاب به
كما اصيبت بيوسف واسئل القرية التى كنا فيها اى مصر او قرية يوتبها حتى نهم المنادى عندها اى ارسل الى اهلها
واسالهم عن القصة والعير التى اقبلنا فيها اى اصحابها فان القصة معروفة فيما بينهم وكانوا قوما من كنعان من جيران
يعقوب ع م وقيل من صنعاء وانا لصادقون تاكيد فى محل القسم قال اى يعقوب ع م وهو استئناف مبنى على سؤال
نشا مما سبق كانه قيل فاذا قال عند قول المتوقف لاخوته ما قال فقيل قال يعقوب عند ما رجعوا اليه ما قالوا وانما حذف
للايذان بان مسارعتهم الى قبوله ورجوعهم به الى ابيهم اثر مسلم غنى عن البيان وانما المحتاج اليه جواب ابيهم بل سولت
اى زينت وسهلت وهو اخراب لا عن صريح كلامهم فانهم صادقون فى ذلك بل عما تضمنه من ادعاء البراءة عن التسبب
فيما نزل به وانه لم يصدر منهم ما يؤدى الى ذلك من قول او فعل كانه قيل لكن الامر كذلك بل زينت لكم انفسكم امرا
من الامور فاتيتموه يريد بذلك فتياهم باخذ السارق بسرقته فصبر جميل اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل

في الحزن والأسف

عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً بيوسف وأخيه والمتوقف بمصر إنه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم الذي لم يبتلني
إلا لحكمة بالغة وتولى أي أعرض عنهم كراهة لما سمع منهم وقال يا أسفا على يوسف الأسف أشد الحزن
والحسرة أضافه إلى النفس والألف بدل من الياء فناداه أي يا أسفا تعال فهذا أوانك وإنما تأسف على يوسف مع
أن الحادث مصيبة أخويه لأن رزأه كان قاعدة الأرزاء غضاً عنده وإن تقادم عهده آخذاً بمجامع قلبه لا ينساه
ولأنه كان واثقاً بحياتهما عالماً بمكانهما طامعاً في إيابهما وأما يوسف فلم يكن في شأنه ما يحرك سلسلة رجائه سوى
رحمة الله تعالى وفضله وفي الخبر لم تعط أمة من الأمم إنا لله وإنا إليه راجعون إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى إلى يعقوب
حين أصابه ما أصابه لم يسترجع بل قال ما قال والتجانس بين لفظي الأسف ويوسف مما يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله
عز وجل وهم ينهون عنه وينأون عنه وقوله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم وقوله ثم كلي من كل الثمرات وقوله وجئتك من سبإ
بنبإ يقين ونظائرها وابيضت عيناه من الحزن الموجب للبكاء فإن العبرة إذا كثرت محقت سواد العين وقلبته
إلى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك إدراكاً ضعيفاً روي أنه ما جفت عينا يعقوب من يوم فراق
يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً وما على وجه الأرض أكرم على الله عز وجل من يعقوب يومئذ وعن رسول الله عليه السلام أنه سأل
جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الأجر قال أجر مائة شهيد وما ساء ظنه
بالله تعالى ساعة قط وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند النوائب فإن الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف
فإنه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على إبراهيم ولده وقال القلب يحزن والعين
تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون وإنما الذي لا يجوز ما يفعل الجهلة من الصياح والنياحة
ولطم الخدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بكى على ولد بعض بناته
وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وإنما نهيتكم عن صوتين أحمقين صوت
عند الفرح وصوت عند الترح فهو كظيم مملوء من الغيظ على أولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول
بدليل قوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء إذا شده على ملئه أو بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ إذا اجترعه
وأصله كظم البعير جرته إذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤا أي لا تفتؤ ولا تزال تذكر يوسف تفجعاً عليه فحذف حرف
لا كما في قوله فقلت يمين الله أبرح قاعداً لعدم الالتباس بالإثبات فإن القسم إذا لم يكن معه علامة الإثبات يكون على النفي البتة
حتى تكون حرضاً مريضاً مشفياً على الهلاك وقيل الحرض من أذابه هم أو مرض وهو في الأصل مصدر ولذلك لا يؤنث
ولا يثنى ولا يجمع والنعت منه بالكسر كدنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب وغرب أو تكون من الهالكين أي الميتين
قال إنما أشكو بثي البث أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس أي ينشره فكأنهم قالوا بطريق
التسلية والإشكاء فقال لهم إني لا أشكو ما بي إليكم أو إلى غيركم حتى تتصدوا للتسلية وإنما أشكو همي وحزني إلى الله
تعالى ملتجئاً إلى جنابه متضرعاً لديه في دفعه وقرئ بفتحتين وضمتين وأعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فأرجو
أن يرحمني ويلطف بي ولا يخيب رجائي أو أعلم وحياً أو إلهاماً من جهته ما لا تعلمون من حياة يوسف وقيل رأى ملك الموت
في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف أنه سيخر له أبواه وإخوته سجداً يا بني اذهبوا فتحسسوا
أي تعرفوا وهو تفعل من الحس وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب أي تطلبوا من يوسف وأخيه أي من خبرهما ولم يذكر
الثالث لأن غيبته اختيارية لا يعسر إزالتها ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ بضم الراء
أي من رحمته التي يحيي بها العباد وهذا إرشاد لهم إلى بعض ما أبهم في قوله وأعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم عن ترك الطلب

بموجب نهيه بقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط في حال
من الاحوال فلما دخلوا عليه اى على يوسف بعد ما رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم فانهم لم يذكر ذلك ابتداء انما بدأوا عند
وصولهم الى الامر وابتدأوا اشعارا بان ذلك امر محقق لا يفتقر الى الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز اى الملك القادر المتمتع متسنا واهلنا الضر
الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واضفالها من ازجيته اذا دفعته وطردته
والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل
والاقط وقيل دراهم زيوفا لانهم خذلانا بوضيعة وانما قدموا ذلك ليكون ذريعة الى استعطافه اياهم بتبعث الشفقة وحق العطف
والرأفة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا فاوف لنا الكيل اى اتمم لنا وتصدق علينا برد اخينا الينا قاله الضحاك
وابن الجريج وهو الانسب بحالهم نظرا الى ابراهيم او بالانبياء او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها تفضلا
وانما سموه تصدقا تواضعا واراد وا التصدق فوق ما يعطيهم بالثمن بناء على خصائص حرمة الصدقة بنبينا عليه السلام وانما ابدوا
بما ابدوا به استجلابا للرأفة والشفقة ليبعثوا ما فقدوا من رقة الحال رقة القلب والعلوق على ان ما ساقوه كلام ذو وجهين فان قولهم
وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين يحتمل الحمل على المجملين فلعله ع حمله على المحمل الاول وكذلك قال مجيبا
عما عرضوا به وضمنوه كلامهم من طلب اخيهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وكان الظاهر ان يعترض لما فعلوا باخيه فقط
وانما تعرض لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم له ع بيوسف واذلاله بذلك حتى كان
لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اى هل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه فهو سؤال عن الملزوم والمراد لازمه اذ انتم جاهلون
بقبحه فلذلك اقدمتم على ذلك وجاهلون عاقبته وانما قاله نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى عجزهم
وتمكنهم لا معاتبة وتثريبا ويجوز ان يكون هذا الكلام منه ع منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم على ما هو حقهم ولطيفتهم من الاعراض
عن جميع المطالب والتمحض في طلب نبيامين بل يجوز ان يقف ع بطريق الوحي او الالهام على وصية ابيه وارساله اياهم للتجسس منه
ومن اخيه فلما رآهم قد اشتغلوا عن ذلك قال ما قال وقيل اعطوه كتاب يعقوب ع وقد كتب فيه من يعقوب اسرائيل الله
بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه
فرمي به في النار فنجاه الله تعالى وجعلت النار له بردا وسلاما فاما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا
فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد اكله الذئب فذهبت
عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا الي قالوا انه سرق واناكم صبية
انا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك التابع من ولدك الى السلام فلما رآه
لم يتمالك وعيل صبري فقال لهم ما قال وقيل لما قرأه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبرت وانظر كما ظفروا قالوا انك لانت يوسف
استفهام تقرير وكذلك اكده بان واللام قالوا استغرابا وتعجبا وقرئ انك بالايجاب قيل عرفه بروائه وشمائله
عين كلمهم به وقيل تبسم فعرفه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه ص تشبه الشامة البيضاء وكان
لسارة ويعقوب مثلها وقرئ انك او انت يوسف على معنى انك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه
وفيه زيادة استغراب قال انا يوسف جوابا عن مسألتهم وقد زاد عليه قوله وهذا اخي اى من ابوي مبالغة في تعريف نفسه
وتفخيما لشان اخيه وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه حسبما يفيده قوله قد من الله علينا فكانه قال
هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والاذلال فانا يوسف وهذا اخي قد منا الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع بعد
الفرقة والعزة بعد الذلة والانس بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم لرد بنيامين بانه اخي

ع الصنوبر شجر وقيل ثمره

ع اسعف الرجل حاجة فلانا اى قضاها

ع الذي هو قفا

ع بضم اى بنظره

ع عند ذلك فعرفوه بثناياه وكان كاللؤلؤ المنظوم بها كالدر

ع او جانب رأسه

لا اخوكم فلا وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستئناف التعليلي إنه من يتق اى يفعل التقوى فى جميع احواله او يتق نفسه
مما يوجب سخط الله تعالى وعذابه ويصبر على المحن او على مشقة الطاعات او عن المعاصى التى تستلذها النفس فإن الله لا يضيع
اجر المحسنين اى اجرهم وانما وضع المظهر موضع المضمر تنبيها على ان المنعوتين بالتقوى والصبر موصوف بالاحسان قالوا
تالله لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنا وان الشأن كنا لخاطئين
لمتعمدين للذنب اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك قال لا تثريب عليكم
اى لا عتب ولا تأنيب وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشى للكرش ومعناه ازالته كما ان التجليد ازالة الجلد والتقريع ازالة
القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذى يذهب بماء الوجه وقوله عز وعلا اليوم منصوب
بالتثريب او بالمقدر خبرا للا اى لا اثرب بكم او لا تثريب مستقرا عليكم اليوم الذى هو مظنته له فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم
لانه صفح عن جريمتهم وعفا عن جريرتهم بما فعلوا من التوبة وهو ارحم الراحمين يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب
بالقبول ومن كرمه عم ان اخوته ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيى منك بما فرط منا فيك فقال عم
ان اهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ ولقد شرفت بكم الآن وعظمت
بالعيون حيث علم الناس انكم اخوتى وانى من حفدة ابرهيم عم اذهبوا بقميصى هذا قيل هو الذى كان عليه وقيل
هو القميص المتوارث الذى كان فى التعويذ امره جبريل عم بارساله اليه واوحى اليه ان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفى
فالقوه على وجه ابى يأت بصيرا يصر بصيرا او يأت الى بصيرا وينصره قوله وأتونى باهلكم اجمعين اى بابى وغيره ممن ينتظمه
لفظة الاهل جميعا من النساء والذرارى قيل انما حمل القميص يهودا وقال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فأفرحه
كما احزنته قيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر
يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرء ابن عباس رضه انفصل العير قال ابوهم يعقوب عم
لمن عنده انى لأجد ريح يوسف اوجده الله سبحانه ما عبق بالقميص من ريح يوسف من ثمانين فرسخا حين اقبل به يهودا
لولا ان تفندون اى تنسبونى الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند
ولا يقال عجوز مفندة اذ لم تكن فى شبيبتها ذات رأى فتفند فى كبرها وجواب لولا محذوف اى لصدقتمونى قالوا
اى الحاضرون عنده تالله انك لفى ضلالك القديم لفى ذهابك عن الصواب قدما فى افراط محبتك ليوسف ولهجك
بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم قد مات فلما ان جاء البشير وهو يهودا ألقاه اى القى البشير القميص
على وجهه اى وجه يعقوب او ألقاه يعقوب على وجه نفسه فارتد عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال
ألم اقل لكم يعنى قوله انى لاجد ريح يوسف فالخطاب لمن كان عنده بكنعان او قوله ولا تيأسوا من روح الله فالخطاب
لبنيه وهو الانسب بقوله انى اعلم من الله ما لا تعلمون فان مدار النهى المذكور انما هو العلم الذى اوتى يعقوب
من جهة الله سبحانه وعلى هذا يجوز ان يكون هذا مقول القول اى الم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامرتكم بالتحسس ونهيتكم
عن اليأس من روح الله تعالى اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف عم روى انه سأل البشير كيف يوسف فقال
هو ملك مصر فقال ما اصنع بالملك على اى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة قالوا يا ابانا
استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق من اعترف بذنبه ان يصفح عنه ويستغفر له فكأنهم كانوا على ثقة
من عفوه عم ولذلك اقتصروا على استدعاء الاستغفار او ادرجوا ذلك فى الاستغفار قال سوف استغفر لكم ربى
انه هو الغفور الرحيم هذا مشعر بعفوه قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة

اى يتقوا لله باداء الفرائض واجتنابا بالمعاصى حالا بصبر

اى اخوة يوسف معتذرين له

اخوة يوسف

يقال خطئ فلان خطأ اذا تعمد الذنب واخطأ اذا لم يتعمده صحاح الجوهرى

ثم ثرب عنف ابلك وفقلة سوء ملك وملامت ابلك ترجمان صحاح

وقيل اخره الى ان يسجل لهم من يوسف ع م او يعلم انه قد عفى عنهم فان غفور المظلوم شرط المغفرة ويفضل انه روى عنه انه
استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اولئك خمسة وعشرين سنة صح بلغ جهدهم ظنوا انهم الهالكة
نزل جبريل ع م فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فان صح ثبت نبوتهم وان ما صدر عنهم
انما صدر قبل الاستنباء وقيل المراد الاستمرار على الدعاء وفي رواية انه كان يستغفر كل ليلة جمعة فريضة وعشرين سنة وقيل
قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما فرغ
انوا الى اخيهم فاوحى الله تعالى اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين فلما دخلوا على يوسف روى انه وجه يوسف الى ابيه جهازا
وما يحتاج اليه في رحلته ليتجهز الى مصر فاستقبله يوسف والملك واربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فلما رآهم يعقوب ع م
وهو يمشي متوكئا على يهوذا نظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا اهذا فرعون مصر قال لا بل ولدك فلما لقيه قال له السلام عليك
يا مذهب الاحزان وقيل قال يوسف يا ابت بكيت على حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيمة تجمعنا فقال بلى ولكني خشيت
ان تذهب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة
وكان حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الفا الف
ومائتي الف اوى اليه ابويه اي اباه وخالته وتنزيلها منزلة الام كتنزيل العم منزلة الاب في قوله عز وجل واله آبائك
ابرهيم واسمعيل واسحق لان يعقوب تزوجها بعد امه وقال الحسين وابن اسحق كانت امه في الحيوة فلما جاء الى
مصر آوى اليه ضمهما اليه واعتنقهما وكانوا ستة وستين نفسا دخلوا عليه فآواهما اليه وقال ادخلوا
مصر انشاء الله آمنين من الشدائد والمكاره فاطلقه والمشية متعلقة بالدخول على الامن ورفع ابويه عند
نزولهم بمصر على السرير تكرمة لهما فوق ما فعله لاخوته وخروا له اي ابويه واخوته سجدا تحية له فانه
كان السجود عندهم جاريا مجرى التحية والكرامة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحو ما من عادات الناس الفاشية في التعظيم الا ترى
وقيل ما كان ذلك الا انحناء دون تعفير الجباه وقيل بايماء الحرور وقيل خروا لاجله سجدا لله شكرا ويرده قوله تعالى
وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي التي رايتها وقصصتها عليك من قبل قد جعلها ربي حقا
صدقا واقعا بعينه والا عتداد بجعل يوسف بمنزلة القبلة وجعل اللام كما في قوله اليس لقول من صلى لقبلتكم تعنيف
لا يخفى وتاخيره عن الرفع على العرش ليس بمنكر في ذلك لان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي كما علل
تاخيره عنه ليتصل به ذكر كونه تعبيرا لرؤياه وما يتصل به من قوله وقد احسن بي المشهور استعمال الاحسان بالى
وقد يستعمل بالباء ايضا كما في قوله عز اسمه وبالوالدين احسانا وقيل هذا بتضمين لطف وهو الاحسان الخفي كما يؤذن
به قوله تعالى ان ربي لطيف لما يشاء وفيه فائدة لا تخفى اي لطف لي محسنا الى غير هذا الاحسان اذ اخرجني من السجن
بعد ما اتبليت به ولم يصرح بغصة الجب حذارا من تثريب اخوته لان الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب خرورهم
سجدا او اكتفاء بما يتضمنه قوله تعالى وجاء بكم من البدو اي البادية من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين
اخوتي اي افسد بيننا بالاغراء واصله من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه
وتعقب بالغ ع م في الاحسان حيث اسند ذلك الى الشيطان ان ربي لطيف لما يشاء اي لطيف التدبير لاجله
رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب ما من صعب الا وهو بالنسبة الى تدبيره سهل انه هو العليم بوجوه المصالح
الحكيم الذي يفعل كل شيء على مقتضى الحكمة روى ان يوسف ع م اخذ بيد يعقوب عليه السلام فطاف به في خزائنه
فادخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزائن

وقد اختلف في استنبائهم

فقد روى

اي ليذهب اليه مع الجهاز

عليهم

الى بابل

القراطيس قال يا بنيّ ما اغفلك عندك هذه القراطيس وما كتبت اليّ على ثماني مراحل قال امرني جبريل قال او ما تسأله
قال انت ابسط اليه مني فسأله قال جبريل الله تعالى امرني بذلك لقولك اخاف ان يأكله الذئب قال فهلّا خفتني وروي ان يعقوب
اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر
وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له تاقت نفسه الى الملك الدائم الخالد فتمنى الموت فقال
رب قد آتيتني من الملك اي بعضا منه عظيما وهو ملك مصر وعلمتني من تأويل الاحاديث اي بعضا من ذلك
كذلك ان اريد بتعليم تأويل الاحاديث تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فالامر
ظاهر واما ان اريد به تعليم تعبير الرؤيا كما هو الظاهر فلعل تقديم ايتاء الملك عليه في الذكر لانه بمقام تعداد النعم الفائضة
عليه من الله سبحانه والملك اعرف في كونه نعمة من التعليم المذكور وان كان ذلك ايضا نعمة جليلة في نفسه ولا يخفى نكتة هذا
الاعتذار فيما سبق لان التعليم هنالك وارد على نهج العلة الغائية للتمكين فان حمل على معنى التمليك لزم تأخره عنه
واما الواقع هٰهنا فمجرد التأخر في الذكر والعطف بحرف الواو لا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود فاطر السموات
والارض مبدعهما وخالقهما نصب على انه صفة للمنادى او منادى آخر ووصفه تعالى به بعد وصفه بالربوبية مبالغة في ترتيب
مبادي ما يعقبه من قوله انت وليي مالكي او متولي امري في الدنيا والآخرة او الذي يتولاني بالنعمة فيهما واذ قد تمت
عليّ نعمة الدنيا توفني مسلما والحقني بالصالحين من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة فانما تتم النعم
بذلك وقيل لما دعا توفاه الله عز وجل طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في دفنه وتشاحوا في ذلك حتى هموا بالقتال
فرأوا ان يعملوا له تابوتا من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه في النيل ليمر عليه ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا واحدا في
ذلك وولد له افرايم وميشا ولافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى عم ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم يزل
بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف عم وآبائه الى ان بعث الله تعالى موسى عم ذلك اشارة الى ما سبق من نبإ
يوسف عم وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الدلالة على بعد منزلته او لكونه بالانقضاء في حكم البعيد والخطاب للرسول عم
وهو مبتدأ خبره من انباء الغيب الذي لا يحوم حوله احد وقوله نوحيه اليك خبر بعد خبر او حال من الضمير في الخبر ويجوز
ان يكون ذلك اسما موصولا ومن انباء الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه اليك وما كنت لديهم يريد اخوة يوسف
اذ اجمعوا امرهم وهو جعلهم اياه في غيابة الجب وهم يمكرون به ويبغون له الغوائل حتى تقف على ظواهر اسرارهم
وبواطنها وتطلع على سرائرهم طرا وتحيط بما لديهم خبرا وليس المراد مجرد نفي حضوره عم في مشهد اجماعهم ومكرهم فقط
بل في سائر المشاهد ايضا وانما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة وافق احوالها لما ينبئ عنه قوله وهم يمكرون والخطاب
وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن المراد الزام المكذبين والمعنى ان ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اذ لا سبيل
الى معرفتك اياه سوى ذلك اذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك للكتب امر لا يشك فيه المكذبون ايضا ولم تكن
بين ظهرانيهم عند وقوع الامر حتى تعرفه كما هو فتبلغه اليهم وفيه تهكم بالكفار فكأنهم يشكون في ذلك فيدفع شكهم وفيه ايضا
ايذان بان ما ذكر من النبإ هو الحق المطابق للواقع وما ينقله اهل الكتاب ليس على ما هو عليه يعني ان مثل هذا التحقيق
بلا وحي لا يتصور الا بالحضور والمشاهدة واذ ليس ذلك بالحضور فهو بالوحي ومثله قوله تع وما كنت لديهم اذ يلقون
اقلامهم ايهم يكفل مريم وقوله تع وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما اكثر الناس يريد به
العموم او اهل مكة ولو حرصت اي على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات القاطعة الدالة على صدقك بمؤمنين
لتصميمهم على الكفر واصرارهم على العناد روي ان اليهود وقريشا لما سألوا عن قصة يوسف وعدوا ان يسلموا

اي اشتاقت

اي بتعليم تأويل الاحاديث

في اوائل السورة الكريمة في قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث

اي تعيين

تشاح الرجلان على الامر لا يريدان ان يفوتهما وفلان يتشاح على فلان اي يضن به صحاح

التبرك به

خبرا اي علما

لما اخبرهم بها على موافقة التوراة فلم يسلموا حزن النبي صلى الله عليه وسلم فنزل له ذلك وما تسئلهم عليه اى على الانباء او على القرآن
من اجر من جعل كما يفعل حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله تعالى للعالمين كافة لا الانس فلذلك يخصهم وكاين
من اية اى كاى عدد شئت من الايات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وحكمته غير هذه الاية التى تشتمل عليها
في السموات والارض اى كائنة فيهما من الاجرام الفلكية وما فيهما من النجوم وتغير احوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما في الارض
من العجائب الفائتة للحصر يمرون عليها اى يشاهدونها ولا يعباؤن بها وقرئ يرفع الارض على الابتداء ويمرون خبره وقرئ بنصبها
على معنى ويطؤن الارض يمرون عليها وفى معنى عبد الله والارض يمشون عليها والمراد ما يرون فيها فى آثار الامم الهالكة وغير ذلك من الايات
والعبر وهم عنها معرضون غير ناظرين اليها ولا متفكرين فيها وما يؤمن اكثرهم بالله فى اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون
بعبادتهم لغيره او باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا او بقولهم باتخاذه تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا او بالنور والظلمة
وهى جملة حالية اى لا يؤمن اكثرهم الا وهو حال شركهم قيل نزلت الاية فى اهل مكة وقيل فى المنافقين وقيل فى اهل الكتاب
افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله اى عقوبة تغشاهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة فجاة من غير سابقة علامة
وهم لا يشعرون بانيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلى وهى الدعوة الى الايمان والتوحيد بالاخلاص فى تفسيرها بقوله
ادعو الله على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء وهى حال من الفاعل فى سبيلى والعامل فيها معنى الاشارة انا
تاكيد مستكن فى ادعو وعلى بصيرة لانه حال منه او مبتدا خبره على بصيرة ومن اتبعنى عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين
مؤكد لما سبق من الدعوة الى الله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا ردا لقولهم لو شاء الله لانزل ملئكة نوحى اليهم
كما اوحينا اليك فقرئ بالياء من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادى فيهم الجهل والجفاء والقسوة افلم يسيروا فى الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا ان تكذبك ولدار الاخرة الى الساعة
او الحياة الاخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصى افلا تعقلون فتستعملوا عقولكم لتعرفوا خيرية دار الاخرة وقرئ بالياء
غرا داخل تحت قل حتى اذا استيئس الرسل غاية لمحذوف دل عليه السياق اى لا يغرنهم تمادبهم فيما هم فيه من الدعة والرخاء
فان من قبلهم قد مهلوا حتى ايس الرجل عن النصر عليهم فى الدنيا او فى ايمانهم لانهما كهم فى الكفر وعنادهم فى الطغيان من غير وازع
وظنوا انهم قد كذبوا كذبهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون عليهم او كذبهم رجاؤهم فانه يوصف بالصدق والكذب
والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت حتى استشعروا القنوط
وتوهموا ان لا نصر لهم فى الدنيا جاءهم نصرنا فجاة عن ابن عباس رضه وظنوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر فان صح ذلك عنه
فلعله اراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس انما عبر عنه بالظن تهويلا للخطب واما الظن الذى ترجح احد الجانبين
على الآخر فلا يتصور ان يعبر عنه بالظن تهويلا للخطب فى ذلك من آحاد الامة فكيف بالانبياء عليهم السلام وهم وصفتهم فى شؤن الله سبحانه
من انهم وقيل الضمير ان للمرسل اليهم وقيل الاول لهم والثانى للرسل وقرئ بالتشديد اى ظن الرسل ان القوم كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ بالتخفيف
على بناء الفاعل على ان الضمير ان للرسل اى ظنوا انهم كذبوا عند قومهم فيما حدثوا به لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا او على ان الاول لقومهم
فننجى من نشاء هم الرسل والمؤمنون وقرئ فنجى على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين
اذا نزل بهم وفيه بيان لمن تعلق بهم المشية لقد كان فى قصصهم اى قصص الانبياء واممهم وقرئ قراءة من قرا بكسر القاف على
او قصص يوسف واخوته عبرة لاولى الالباب لذوى العقول المبراة عن شوائب الاكدار الحسن ما كان اى القرآن المدلول عليه
بما سبق دلالة واضحة حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذى بين يديه من الكتب السماوية وقد قرئ بالرفع على انه
خبر مبتدا محذوف اى ولكن هو تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ مما يحتاج اليه فى الدين اذ ما من امر دينى

الا وهو مستند الى القرآن بالذات او بواسط وهدى من الضلالة ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون اى يصدقونه لانهم
المنتفعون به واما من عداهم فلا يهتدون بهداه ولا ينتفعون بجدواه • وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارقاكم سورة يوسف
فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله تعالى عليه سكرات الموت واعطاه قوة ان لا يحسد مسلما •

سورة الرعد مكية ثلث واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

المر اسم للسورة ومحله اما الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى هذه السورة مسماة بهذا الاسم وهو اظهر من الرفع على الابتداء اذ لم يسبق
العلم بالتسمية كما قرر آنفا وقوله تعالى تلك على الوجه الاول مبتدأ مستقل وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان او بدل من الاول المشار اليه
ايذانا بفخامته واما النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اقرأ او اذكر فتلك مبتدأ كما اذا جعل المر مسرودا على نمط التعديد
او بمعنى انا الله اعلم وارى على ما روى عن ابن عباس رضي الله عنه والجر على القسم دون قوله تعالى آيات الكتاب اى الكتاب العجيب الكامل
الغنى عن الوصف به المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل
ح حينئذ كما مر في مطلع سورة يونس ع م اذ هو المتبادر من مطلق الكتاب المستغنى عن النعت وبه يظهر ما اريد من وصف الآيات بوصف
ما اضيفت اليه من نعوت الكمال بخلاف ما اذا جعل عبارة عن السورة فانها ليست بتلك المثابة من الشهرة في الاتصاف بتلك الصفة المغنية
عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من التعسف الذي تفصيله
في سورة يونس ع م والذي انزل اليك من ربك اى الكتاب المذكور بكماله لا هذه السورة وحدها الحق اى الثابت المطابق
للواقع في كل ما نطق به الحقيق بان يخص به الحقية لعراقته فيها وليس فيه ما يدل على ان ما عداه ليس بحق اصلا على ان حقيته مستتبعة لحقية
سائر الكتب السماوية لكونه مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه وفي التعبير عنه بالموصول واسناد الانزال اليه بصيغة المبني للمفعول والتعرض لوصف
الربوبية مضافا الى ضميره ع م من الدلالة على فخامة المنزل التابعة لجلالة شان المنزل وتشريف المنزل اليه والايماء الى وجه بناء الخبر
ما لا يخفى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك الحق المبين لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه فعدم ايمانهم متعلق بعنوان حقيته لانه المرجع
للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا كما قيل ولانه وارد على طريقة الوصف دون الاخبار الله الذي رفع السموات اى خلقهن
مرتفعات على طريقة قولهم سبحان من كبر الفيل وصغر البعوض لا انه رفعها بعد ان لم يكن كذلك والجملة مبتدأ وخبر كقوله وهو الذي
مد الارض بغير عمد اى بغير دعائم جمع عماد كاهاب واهب وهو ما يعمد به اى يسند يقال عمدت الحائط اى دعمته وقرئ عمد
على جمع عمود بمعنى عماد كرسل ورسول وايراد صيغة الجمع لجمع السموات لا لان المنفي عن كل واحدة منها عمد لا عماد ترونها
استئناف استشهد به على ما ذكر من رفع السموات بغير عمد وقيل صفة لعمد جيء بها ايهاما لان لها عمدا غير مرئية هي قدرة الله سبحانه
ثم استوى اى استولى على العرش بالحفظ والتدبير او استوى امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله عز وجل بلا كيف
وايا ما كان فليس المراد به القصد الى ايجاد العرش وخلقه فلا حاجة الى جعل كلمة ثم للتراخي في الرتبة وسخر الشمس والقمر ذللهما
وجعلهما طائعين لما اريد منهما من الحركات وغيرها كل يجري لاجل مسمى اى كل من الشمس والقمر يجري بما اريد منهما لمدة معينة فيها
تتم دورته كالسنة للشمس والشهر للقمر فان كلا منهما تجري كل يوم على مدار معين من المدارات اليومية او لمدة ينتهي فيها حركاتهما وتخرج
جميع ما اريد منهما من القوة الى الفعل او لغاية يتم عندها ذلك والجملة بيان لحكم تسخيرهما يدبر بما صنع من الرفع والاستواء
والتسخير اى يقضي ويقدر حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة الامر امر الخلق كله وامر ملكوته وربوبيته يفصل الآيات الدالة
على كمال قدرته وبالغ حكمته اى يأتي بها مفصلة وهي ما ذكر من الافعال العجيبة وما يتلوها من الاوضاع الفلكية الحادثة شيئا
فشيئا المستتبعة للآثار الغريبة في السفليات على موجب التدبير والتقدير فالجملتان اما حالان من ضمير استوى وقوله وسخر الشمس
والقمر من تتمة الاستواء واما مفسرتان له والاولى حال منه والثانية من الضمير فيها او كلاهما من ضمائر الافعال المذكورة

ع ما ذكر العرش الى الاخر •
او اعلموا او اعلمو ان او ارى بعون •
الخلق وما يعلمون
يعلمون

او خلقها صغيرا او كبيرا
ومنه قولك ضيق
فم الركية ووسع اسفلها

ع يوم القيامة
ع الاجزاء الاخير

لما تعلق بقوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم
ايكم احسن عملا وغير ذلك
من نصوص

وقوله كل يجري لاجل مسمى من تتمة التسخير او خبر ان من قول الله خبرا بعد خبر والموصول صفة للمبتدا جيء به للدلالة على تحقق الخبر وتعظيم شأنه كما في قول الفرزدق ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول لعلكم عند معاينتكم لها وعثوركم على خصائصها بلقاء ربكم بملاقاته للجزاء توقنون فان من تدبر بما حق التدبر ايقن على ان من قدر على ابداع هذه الصنائع البديعة على الحكمة قادر على الاعادة وان لهذه التدبيرات المتقنة عواقب وغايات لا بد من وصولها وقد بينت على ألسنة الانبياء عم ان ذلك ابتلاء المكلفين ثم جزاؤهم حسب اعمالهم فاذن لا بد من الايقان بالجزاء ولما قرر الشواهد العلوية اردفها بذكر الدلائل السفلية فقال وهو الذي مد الارض اي بسطها طولا وعرضا قال الاصم المد هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه ففيه دلالة على بعد مداها وسعة اقطارها وجعل فيها رواسي اي جبالا ثوابت في احيازها من الرسو وهو ثبات الاجسام الثقيلة ولم يذكر الموصوف لاغناء غلبة الوصف بها عن ذلك والخصائص جمع فواعل جمعا لفاعل في فوارس وهوالك ونواكس انما هو في صفات العقلاء واما في غيرهم فلا يرى في ذلك اصلا كما في قوله اياما معدودات وقوله الحج اشهر معلومات الى غير ذلك فلا حاجة الى ان يجعل مفردها صفة لجمع القلة اعني اجبلا ويعتبر في جمع الكثرة اعني جبالا لانتظامها معا لطائفة من جموع القلة وتنزيل كل منها منزلة مفردها كما قيل على انه لا مجال لذلك فان جمعية كل من صيغتي الجمعين انما هي باعتبار الافراد التي تحتها لا باعتبار انتظام جمع القلة للافراد وجمع الكثرة لجموع القلة فكل منهما جمع جبل لا ان جبالا جمع اجبل كما ان طوائف جمع طائفة ولا الى ان يلتجأ الى جعل الوصف المذكور بالغلبة في عداد الاسماء التي تجمع على فواعل كما ظن على انه لا وجه له لما ان الغلبة انما هي في الجمع دون المفرد والتعبير عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الارض على ثباتها وانهارا مجاري واسعة والمراد ما يجري فيها من المياه وفي نظمها مع الجبال في سلك مفعولية فعل واحد اشارة الى ان الجبال منشأ للانهار وبيان لفائدة اخرى للجبال غير كونها حافظة للارض عن الاضطراب المخل بثبات الاقدام وتقلب الحيوان متنوعة على ظهره وتقلبه في معيشته بالماء والكلأ ومن كل الثمرات جعل فيها متعلق بجعل وقع له زوجين اثنين اي اثنينية حقيقية وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الآخر واكده به لئلا يتوهم ان المراد بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع وذلك اثنينية اعتبارية اي جعل كل نوع من انواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين اما في اللونين كالابيض والاسود او في الطعم كالحلو والحامض او في القدر كالصغير والكبير او في الكيفية كالحار والبارد وما اشبه ذلك ويجوز ان يتعلق بجعل الاول ويكون الثاني استئنافا لبيان كيفية ذلك الجعل يغشي الليل النهار استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه ازالة نور الجو بالظلمة بتغطية الاشياء الظاهرة بالاغطية اي يستر النهار بالليل والتركيب وان احتمل العكس ايضا بالحمل على تقديم المفعول الثاني على الاول فان ضوء النهار ايضا ساتر لظلمة الليل الا ان الانسب بالليل ان يكون هو الغاشي وعده في تضاعيف الآيات السفلية وان كان تعلقه بالآيات العلوية ظاهرا باعتبار ان ظهوره في الارض فان الليل انما هو ظلها وفيما فوق موقع ظلها لا ليل اصلا ولان الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد والانضاج على انهما ايضا زوجان متقابلان مثلها وقرئ يغشّي من التغشية ان في ذلك اي فيما ذكر من مد الارض وايتادها بالرواسي واجراء الانهار وخلق الثمرات واغشاء الليل النهار وفي الاشارة بذلك تنبيه على عظم شأن المشار اليه في باب الآيات لآيات باهرة وهي آثار تلك الافاعيل منوطة بها ويجوز ان يشار بذلك الى تلك الآثار المدلول عليها بتلك الافاعيل ففيه تجريدية لقوم يتفكرون فان التفكر فيها يؤدي الى الحكم بان تكوين كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب اللائق لا بد له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويختار ما يريد لا معقب لحكمه وهو الحميد المجيد وفي الارض جملة مستأنفة مشتملة على طائفة اخرى من الآيات اي بقاع كثيرة مختلفة في الاوصاف فمن طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة الى غير ذلك قطع متجاورات اي متلاصقات وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات اي جعل في الارض قطعا وجنات من اعناب اي بساتين كثيرة منها وزرع ونخيل من كل نوع من انواع الحبوب وافراده لمراعاة اصله ولعل تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حال تلك في اختلافها ومباينتها

قوله ... طريقة ... ذلك الا وان ... مصحح

يقال الارض سبخة اي ذات ملح ونز

لسائرها ورسوخ ذلك فيها وتأخير قوله تعالى صنوان لئلا يقع بينها وبين صفتها وهي قوله تعالى وغير صنوان فاصلة والصنوان
جمع صنو كقنوان جمع قنو وهي النخلة التي لها رأسان وأصلهما واحد وقرئ بضم الصاد على لغة بني تميم وقيس وقرئ جناتٍ بالنصب
عطفاً على زوجين وبالجر عطفاً على كل الثمرات فلعل عدم نظم قوله تعالى وفي الأرض قطع متجاورات في هذا السلك مع أن اختصاص كل من تلك
القطع بما لها من الأحوال والصفات بمحض جعل الخالق الحكيم جلت قدرته حين مد الأرض ودحاها للإيماء إلى كون تلك الأحوال صفات راسخة أي بسطها
لتلك القطع وقرئ وزرعٍ ونخيلٍ بالجر عطفاً على أعناب أو جنات يسقى أي ما ذكر من القطع والجنات والزرع والنخيل وقرئ بالتاء نظراً إلى
اللفظ والأول أوفق بمقام بيان اتحاد الكل في حالة السقي بماء واحد لا اختلاف في طبعه سواء كان السقي بماء الأمطار أو بماء الأنهار
ونفضل مع تحقق أسباب التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا بعضها على بعض آخر منها في الأكل فيما يحصل منها من الثمر والطعم
وقرئ بالياء على بناء الفاعل ردّاً على يدبر ويفصل ويغشي وعلى بناء المفعول وفيه ما لا يخفى من الدلالة والفخامة على أن عدم احتمال
إسناد الفعل إلى فاعل آخر مغن عن بناء الفعل للفاعل إن في ذلك الذي فصل من أحوال القطع والجنات لآيات
كثيرة عظيمة ظاهرة لقوم يعقلون يعملون على قضية عقولهم فإن من عقل هذه الأحوال العجيبة لا يتلعثم في الجزم بأن من قدر على إبداع
هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة في الأشكال والألوان والطعوم والروائح في تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حدائق
ذات بهجة قادر على إعادة ما أبداه بل هو أهون في القياس وهذه الأحوال وإن كانت هي الآيات أنفسها لا أنها فيها إلا أنه قد جرد
عنها أمثالها مبالغة في كونها آية ففي تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد أو الإشارة إلى الأحوال الكلية والآيات أفرادها الحادثة
شيئاً فشيئاً في الأزمنة وآحادها الواقعة في الأقطار والأمكنة المشاهدة لأهلها فتدبر على أغنائها وحيث كانت دلالة هذه الأحوال
على مدلولاتها أظهر مما سبق علق كونها آيات بمحض التعقل ولذلك لم يتعرض لغير تفضيل بعضها على بعض في الأكل الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك
في الخواص والكيفيات مما يتوقف العثور عليه على نوع تفكر كأنه لا حاجة في ذلك إلى التفكر أيضاً وفيه تعريض بأن المشركين غير عاقلين
وإن تعجب يا محمد من شيء فعجب لا عجب منه حقيق بأن يتعجب منه قولهم بعد مشاهدة ما عدد من الآيات الشاهدة
بأنه تعالى على كل شيء قدير أئذا كنا تراباً على طريقة الاستفهام الإنكاري المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار وهو في محل الرفع على أنه بدل
من قولهم أو على أنه بمعنى المقول أو في محل النصب على المفعولية منه على أنه مصدر فالتعجب على الأول كلامهم وعلى الثاني تكلمهم بذلك
والعامل في إذا ما دل عليه قوله تعالى أئنا لفي خلق جديد وهو نبعث أو نعاد وتقديم الظرف لتقوية الإنكار بالبعث وتوجيهه
إليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم أئنا لتأكيد الإنكار وليس مدار إنكارهم كونهم ثابتين في الخلق الجديد بالفعل عند الكشاف
كونهم تراباً بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة على غلوهم وتماديهم في النكير ما لا يخفى وقيل وإن تعجب
من قولهم في إنكار البعث فعجب قولهم والمآل وإن تعجب فقد تعجبت في موضع التعجب وقيل وإن تعجب من إنكارهم البعث فعجب قولهم القاضي
الدال عليه فتأمل وقد جوز كون الخطاب لكل من يصلح له أي إن تعجب يا من ينظر في هذه الآيات من قدرة من هذه أفعاله فازدد
تعجباً ممن ينكر مع هذه الدلائل قدرته تعالى على البعث وهو أهون من هذه والأنسب بقوله تعالى ويستعجلونك بالسيئة هو الأول وقوله فعجب
خبر قدم على المبتدأ للقصر والتسجيل من أول الأمر بكون قولهم ذلك أمراً عجيباً وجوز أن يكون مبتدأ لكونه موصوفاً بالوصف المقدر
كما أشير إليه فالمعنى وإن تعجب فقولهم هذا عجب لا عجب فوقه أولئك مبتدأ والموصول خبره أي أولئك المنكرون لقدرته تعالى بمعنى الصيرورة
على البعث ريثما عاينوا ما فصل من الآيات الباهرة الملجئة لهم إلى الإيمان لو كانوا يبصرون الذين كفروا بربهم وتمادوا في ذلك
فإن إنكارهم لقدرته عز وجل كفر به وأي كفر وأولئك مبتدأ خبره قوله الأغلال في أعناقهم أي مقيدون بقيود
الضلال لا يرجى خلاصهم أو مغلولون يوم القيامة وأولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات أصحاب النار هم فيها
خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بمنكري البعث خاصة بل بالجميع المدلول عليه بقوله تعالى

اولئك الذين كفروا بربهم ويستعجلونك بالسيئة بالعقوبة التي تهددهم بها وذلك حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم
بالعذاب واستهزاء منهم بانذاره قبل الحسنة اي العافية والاحسان اليهم بالامهال وقد خلت من قبلهم المثلات
اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها ولا يجوزون حلول مثلها بهم والجملة الحالية لبيان ركاكة رأيهم في الاستعجال
بطريق الاستهزاء اي يستعجلونك بها مستهزئين بانذارك منكرين لوقوع ما انذرتهم اياه والحال انه قد مضت العقوبات النازلة على امثالهم
من المكذبين المستهزئين والمثلة بوزن السمرة العقوبة سميت بها لما بينها وبين المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثال للقصاص
وقرئ المثلات بضمتين باتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء
تخفيف المثلات والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة عظيمة للناس على ظلمهم انفسهم بالذنوب
والمعاصي ومحلها النصب على الحالية اي ظالمين والعامل فيها المغفرة والمعنى ان ربك لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة
وان كانوا ظالمين بل يمهلهم بتأخيرها وان ربك لشديد العقاب يعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتأخير ما استعجلوه ليس
للاهمال وعنه عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول
الذين كفروا وهم المستعجلون ايضا وانما عدل عن الاضمار الى الموصول ذما لهم ونعيا عليهم كفرهم بآيات الله التي تخر لها صم
الجبال حيث لم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من جنس الآيات وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه مثل آيات موسى وعيسى عنادا
ومكابرة والا فلم ينزل على نبي آية اجلى واغنى من آية انزلت عليه عليه السلام غنية وعبرة لاولي الالباب انما انت منذر مرسل للانذار من سوء عاقبة ما يأتون
ويذرون كدأب من قبلك من الرسل وليس عليك الا الاتيان بما يعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة الى الزامهم
والقامهم الحجر بالاتيان بما اقترحوا من الآيات ولكل قوم هاد معين لا بالذات بل بعنوان الهداية اي لكل قوم نبي مخصوص
له هداية مخصوصة يقتضي اختصاص كل منهم بما يختص به حكم لا يعلمها الا الله تعالى او لكل قوم هاد عظيم الشان قادر على ذلك
هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم ولا يهمنك عنادهم وانكارهم للآيات المنزلة عليك وازدراؤهم بها ثم عقب بما يدل على كمال
علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره المبنيين على الحكم والمصالح تنبيها على ان تخصيص كل قوم بنبي وكل نبي بجنس معين من الآيات
انما هو للحكم الداعية الى ذلك اظهارا لكمال قدرته على هدايتهم لكن لا يهدي الا من تعلق بهدايته مشيئته التابعة لحكم استأثر
بعلمها فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي تحمله فما موصولة اريد بها ما في بطنها من حين العلوق الى زمن الولادة لا بعد تكامل
الخلق فقط والعلم متعد الى واحد او اي شيء تحمل او على اي حال هو من الاحوال المتواردة عليه طورا فطورا فهي استفهامية
معلقة للعلم او حملها فهي مصدرية وما تغيض الارحام وما تزداد اي تنقصه وتزداده في الجثة كالخديج والتام وفي المدة
كالمولود في اقل مدة الحمل والمولود في اكثرها وفيما بينهما وقيل ان الضحاك ولد في سنتين وهرم بن حيان في اربع ومن ذلك سمي
هرما وفي العدد كالواحد فما فوقه يروى ان شريكا كان رابع اربعة او يعلم نقصها وازديادها فانهما متعديان كما في قوله
وغيض الماء وقوله وازدادوا تسعا وقوله ونزداد كيل بعير او لازمان قد اسند الى الارحام مجازا وهما لما فيها وكل شيء
من الاشياء عنده بمقدار بقدر لا يمكن تجاوزه عنه كقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر فان كل حادث من الاعيان والاعراض
له في كل مرتبة من مراتب التكوين ومباديها وقت معين وحال مخصوص لا يكاد يتجاوزه والمراد بالعندية الحضور العلمي
بل العلم الحضوري فان تحقق الاشياء في انفسها في اي مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد لذلك علم لها بالنسبة الى الله
عز وجل
عالم الغيب اي الغائب عن الحس والشهادة اي الحاضر له عبر عنهما بهما مبالغة وقيل اريد بالغيب المعدوم وبالشهادة
الموجود وهو خبر مبتدأ محذوف او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من انه يعلم الخ الكبير العظيم
الشان الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته والمنزه عن نعوت المخلوقات وبعد ما بين سبحانه انه عالم

بما

بجميع ما يأتون وما يذرون من الافعال والاقوال وانه لا فرق بالنسبة اليه بين السر والعلن فقال سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به اظهره لغيره ومن هو مستخف مبالغ في الاختفاء كأنه مختف بالليل وطالب للزيادة وساربٌ مابرز بيراه كل احدٍ بالنهار من سرب سروبا اي برز وهو عطف على من هو مستخف وعلى مختفٍ من عبارة عن الاثنين كما في قوله ولي فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وساربٌ بالنهار والاستواء وان اسند الى من اسر ومن جهر والى المستخفي والساربٍ لكنه في الحقيقة مسندٌ الى ما اسره وما جهر به آوالى الفاعل من حيث هو فاعل كما في الاخرين وتقديم الاسرار والاستخفاء لاظهار كمال علمه بهما فكأنه في التعلق بالمخفيات اقدم منه بالظواهر والاضافة الى الكل سواءٌ لما عرفته آنفا له اي لكل من اسر واظهر والمستخفي والساربٍ معقباتٌ ملائكة يعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا اجاءه على عقبه كأنه بعضهم يعقب بعضا اوّلا انهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب فاء حذفت التاء وفي الفاء للمبالغة آوالمراد بالمعقبات الجماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقب على تعويض الياء من احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جميع جوانبه ومن الاعمال ما قدم وأخر يحفظونه من امر الله من بأسه حين أذنب بالامهال والاستغفار او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في نوبهم من قضاء الله تعالى إن الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بأنفسهم من الاعمال الصالحة او ملكاتها التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها الى اضدادها واذا اراد الله بقوم سوءً لسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك فلا مرد له فلا رادّ له والعامل فيه اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من والٍ يلي امرهم ويدفع عنهم السوء الذي اراده الله بهم بما قدمت ايديهم من تغيير ما بهم وفيه دلالة على ان تخلف مراده محالٌ وآيذان بانهم بما باشروه من انكار البعث واستعجال السيئة واقتراح الآية قد غيروا ما بانفسهم من الفطرة واستحقوا بذلك حلول غضب الله وعذابه هو الذي يريكم البرق خوفا من الصاعقة وطمعا في المطر محموله عدم الخوف على الطمع ظاهرٌ لان المخوف عليه السعي آو الرزق العتيد والمطموع فيه الرزق المترقب وقيل الخوف ايضا من المطر لكن الخائف منه غير الطامع فيه كالحراث والحراث وبالعكس التهم الآن بتكلف ما اشير اليه من ان الخوف عتيد والمطموع فيه مترقب وانتصابهما اما على المصدرية اي فيخافون خوفا ويطمعون طمعا او على الحالية من البرق والمخاطبين باضمار ذوي او بجعل المصدر بمعنى المفعول آو الفاعل مبالغة او على العلية بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او بتاويل الاخافة والاطماع ليتحد فاعل العلة والفعل المعلل بها الرؤية التي يتضمنها الارادة على طريقة قول النابغة وحلت بيوتي في بناع ممنع تخال به راعي الحمولة طائرا حذارا على ان يبال معادتي ولا سوتي حين يبأس حائرا اي حللت بيوتي حذارا فلا سبيل اليه لان ما وقع في غرض العلة الغائية لاسيما الخوف لا يصلح علة لوقوعهم وينشئ السحاب الغمام المنسحب في الجو الثقال بالماء وهي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحدة سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امرأة كريمة ونسوة كرام ويسبح الرعد اي سامعوه من العباد الراجين للمطر ملتبسين بتحميده يضجون بسبحان الله والحمد لله واسناده الى الرعد لحملهم على ذلك آو يسبح الرعد نفسه على ان تسبيحه عبارة عن دلالته على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده وعن النبي عليه السلام انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده واذا اشتد يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن علي كرم الله وجهه سبحان من سبحت له وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن رضي الله عنه ملك من خلق الله تعالى ليس بملك والملائكة اي يسبح الملائكة من خيفته من هيبته واجلاله جل جلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه بذلك وهم اي الكفرة المحاطبون في قوله تع هو الذي يريكم البرق وقد التفت الى الغيبة ايذانا باستحقاقهم عن درجة الخطاب واعراضا عنهم

الابل

تأنيث

علة لما مر من قوله ان الله لا يغير الخ

حاضر

ضجيج صوت وفزع الملك آخر

والمخاريق جمع مخراق وهو ما يلعب به ويضرب الصبيان بعضهم بعضا والمراد به هنا آلة يسوق بها الملك السحاب ناموس

وتعد الجنابا بانهم لدى كمال من سبحة الخطاب. كما ت قيل هو الذي يفعل امثال هذه الافاعيل العجيبة من اراءة البرق وانشاء السحاب الثقال
وارسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المؤمنين آ والرعد نف او الملك الموكل والملئكة ويعملون بموجب ذلك
من التسبيح والحمد والخوف من هيبته تعالى وهم اى الكفرة الذين حكيت هناتهم مع ذاتهم وهواتهم وحقارة شانهم يجادلون في الله
اى في شانه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون من انكار البعث واستعجال العذاب استهزاء واقتراح الآيات قالوا او لعطف الجملة على ما قبلها
من قوله تعالى هو الذي يريكم البرق الخ ت وقوله الله يعلم ما تحمل الخ ت واما العطف على قوله ويقول الذين كفروا كما قيل فلا مجال له لان قوله تع الله يعلم الخ
استيناف لبيان بطلان قولهم ذلك وفي نظائره من استعجال العذاب وانكار البعث قاطع لعطفه بعده على ما قبله وقيل للحال اى فيصيب بالصواعق
من يشاء وهم في الجدال وقد اريد به ما اصاب اربد بن ربيعة اخا لبيد فانه اقبل مع عامر بن الطفيل الى رسول الله عليه السلام يبغيانه الغوائل (اى يطلبانه)
فدخلا المسجد وهو عليه السلام جالس في نفر من الاصحاب رض فاستشرفوا لجمال عامر وكان من اجمل الناس ت وقد كان اوصى الى اربد انه
اذا رايتني اكلم محمدا عليه السلام فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه عم فدار اربد من خلفه فاخترط من سيفه شبرا فحبسه الله تعالى
فلم يقدر على سله وجعل عامر يومى اليه فراى النبي عليه السلام الحال فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله عز وجل على اربد صاعقة في يوم صحو
صائف فاحرقته وولى عامر هاربا فنزل في بيت امراة سلولية فلما اصبح ضم اليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء
ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن اصحر لي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذنهما برمحي فارسل الله
ملكا فلطمه بجناحه فارداه في التراب فخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت
في بيت سلولية ثم دعا بفرسه وركبه فاجراه حتى مات على ظهره وقيل اريد به ما روي عن الحسن انه كان رجل من طواغيت العرب فبعث
النبي عليه السلام نفرا من اصحابه يدعونه الى الله عز وجل فقال لهم اخبروني عما تدعونني اليه ما هو ومم هو من ذهب ام من فضة ام من نحاس ام من حديد
ام من در فاستعظموا مقالته فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما راينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال ارجعوا اليه
فرجعوا اليه فما زاد الا مقالته الاولى واخبث فرجعوا اليه عم واخبروا بما صنع فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبينما هم عنده ينازعونه
اذا ارتفعت سحابة ورعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر فجاءوا يسعون ليخبروه عم بالخبر فاستقبلهم الاصحاب فقالوا
احترق صاحبكم قالوا من اين علمتم قالوا اوحي الى النبي عليه السلام وهو شديد المحال والحال انه شديد المماحلة هو المكايدة والمماكرة
لاعدائه من محل به اذا كاده وعرضه للهلاك ت ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيل وقيل وهو محال من المحل بمعنى القوة وقيل محول
من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ت ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ت ويجوز ان يكون بمعنى (الفقار فيكون)
مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق اى الدعوة الثابتة الواقعة في محلها المجابة
عنده وقوعها ت والاضافة للايذان بملابستها الحق واختصاصها به وكونه بمعزل من شائبة البطلان والضياع والضلال ت كما يقال كلمة الحق
وقيل لدعوة الله سبحانه اى الدعوة اللائقة لحضرته كما في قوله عم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ت والتعرض
لوصف الحقية لتربية معنى الاستجابة ت والاولى هو الاول لقوله تع وما دعاء الكافرين الا في ضلال ت وتعلق الجملتين بما قبلهما من حيث ان اهلاك
اربد وعامر محال من الله تع واجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما ان كانت الآية نزلت في شانهما او من حيث انه وعيد
للكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتحذير لهم باجابة دعوته عليهم والذين يدعون اى الاصنام الذين
يدعوهم المشركون فحذف العائد من دونه من دون الله عز وجل لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه الى الماء
اى الا استجابة كائنة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر اعني لا يستجيبون
ويجوز ان يكون من المبني للمفعول وجودا وعدما كانه قيل لا يستجيبون لهم بشيء فلا يستجاب لهم استجابة الا استجابة كائنة كاستجابة من بسط كفيه
الى الماء كما في قوله وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف اى لم يدع فلم يبق الا مسحت او مجلف ليبلغ

قبيلة من العرب
الطواغيت جمع طاغوت وهو الكاهن سدر
الفقار عمود الظهر سدر
الموسى ما يحلق به من اوسى راسه حلقه سدر

الماء

ای الماء بنفسه من غیر ان یأخذ بشیء من الاناء ونحوه فاه وما هو ای الماء ببالغه ببالغ فیه ابداً لکونه جماداً لا یشعر بعطشه ولا ببسط
یده الیه فضلاً عن الاستطاعة لما اراده من البلوغ الی فیه شبه حال المشرکین فی عدم حصول لهم فی دعاء آلهتهم علی شیء اصلاً ورکاکة رأیهم
فی ذلک بحال عطشان هائم لا یدری ما یفعل قد بسط کفیه من بعید الی الماء یبغی وصوله الی فیه من غیر ملاحظة التشبیه فی جمیع مفردات الاطراف
فان الماء فی نفسه شیء نافع بخلاف آلهتهم والمراد نفی الاستجابة رأساً الا انه قد اخرج الکلام مخرج التهکم بهم فقیل لا یستجیبون لهم شیئاً
من الاستجابة الا استجابة کائنة رأساً الا انه قد اخرج الکلام فی هذه الصورة التی لیست فیها شائبة الاستجابة قطعاً فهو فی الحقیقة من باب
التعلیق بالمحال وقرئ تدعون بالتاء وکباسط بالتنوین وما دعاء الکافرین الا فی ضلال ای ذهاب وضیاع وخسار ولله وحده
یسجد یخضع وینقاد لا لشیء غیره استقلالاً ولا اشتراکاً فالقصر ینتظم القلب والافراد من فی السموات والارض من الملئکة
والثقلین طوعاً وکرهاً ای طائعین وکارهین او انقیاد طوع وکره فان خضوع الکل لعظمة الله عز وجل وانقیاده لاحداث
ما اراده فیهم من احکام التکوین والاعدام شاؤا او ابوا او عدم مداخلة حکم غیره بل غیر حکمه تعالی فی تلک الشئون مما لا یخفی علی احد
وظلالهم ای تنقاد له تعالی ظلال من له ظل منهم اعنی الانس حیث یتصرف علی مشیئته وتتأتی لارادته فی الامتداد والتقلص الخ
والزوال بالغدو والآصال ظرف للسجود المقدر او حال من الظلال وتخصیص الوقتین بالذکر مع انقیادها متحقق فی جمیع
اوقات وجودها لظهور ذلک فیهما والغدو جمع غداة کقنی فی جمع قناة والآصال جمع اصیل وهو ما بین العصر والمغرب وقیل الغدو
مصدر ویؤیده انه قرئ والایصال ای الدخول فی الاصیل هذا وقد قیل ان المراد حقیقة السجود فان الکفرة حال الاضطرار وهو المعنی
بقوله تعالی وکرهاً یخصون السجود به سبحانه قال تعالی واذا رکبوا فی الفلک دعوا الله مخلصین له الدین ولا یبعد ان یخلق الله تعالی فی الظلال
افهاماً وعقولاً بها تسجد لله سبحانه کما خلقها للجبال حتی اشتغلت بالتسبیح وظهر فیها آثار التجلی کما قاله ابن الانباری ویجوز ان یراد
بسجودها ما یشاهد فیها من هیئة السجود تبعاً لاصحابها وانت خبیر بان اختصاص سجود الکافر بحالة الضرورة والشدة بالله سبحانه
لا یجدی فان سجودهم لاصنامهم حالة الرخاء مخل بالقصر المستفاد من تقدیم الجار والمجرور فالوجه حمل السجود علی الانقیاد ولان تحقیق
انقیاد الکل فی الابداع والاعدام له تعالی ادخل فی التوبیخ علی اتخاذ اولیاء من دونه من تحقیق سجودهم له تعالی وتخصیص انقیاد العقلاء بالذکر مع
کون غیرهم ایضاً کذلک لانهم العمدة وانقیادهم دلیل انقیاد غیرهم علی انه یغنی ذلک بقوله عز وجل قل من رب السموات والارض
فانه لتحقیق ان خالقهما ومتولی امرهما مع ما فیهما علی الاطلاق هو الله سبحانه وقوله قل الله امر بالجواب من قبله واشعار بانه متعین
للجوابیة فهو والخصم فی تقریره سواء او امر بحکایة اعترافهم ایذاناً بانه امر لا بد لهم من ذلک کأنه قیل احک اعترافهم فبکتهم بما یلزمهم من الحجة
والقمهم الحجر او امر بتلقینهم ذلک ان یلعثموا فی الجواب حذراً من الالزام فانهم لا یتمالکون اذ ذاک ولا یقدرون علی انکاره قل الزاماً
لهم وتبکیتاً أفاتخذتم لانفسکم والهمزة لانکار الواقع کما فی قولک اضربت اباک لا لانکار الوقوع کما فی قوله اضرب ابی والفاء للعطف
علی مقدر بعد الهمزة ای اعلمتم ان ربهما هو الله الذی ینقاد لامره من فیهما کافة فاتخذتم من دونه اولیاء عاجزین لا یملکون
لانفسهم نفعاً یستجلبونه ولا ضراً یدفعونه عن انفسهم فضلاً عن القدرة عن جلب النفع لغیره ودفع الضر عنه لا علی ان یکون
الانکار متوجهاً الی المعطوفین معاً کما فی قوله تعالی افلا تعقلون اذا قدر المعطوف علیه الا تسمعون بل الی ترتب الثانی علی الاول مع وجوب
ان یترتب علیه نقیضه والمعنی بعد ان علمتم ان ربهما هو الله جل جلاله اتخذتم من دونه اولیاء عجزة والحال ان قضیة العلم بذلک انما هو قصرها
علی تولیة الامر کما فی قوله تعالی کان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذریته اولیاء من دونی ووصف الاولیاء هنا بعدم الکسب للنفع
والضر فی ترشیح الانکار وتأکیده کتقیید الاتخاذ هناک بالجملة الحالیة اعنی قوله تعالی وهم لکم فان کلا منهما مما یقوی الاتخاذ المذکور
ویؤکد انکاره قل تصویراً لآرائهم الرکیکة بصورة المحسوس هل یستوی الاعمی الذی هو المشرک الجاهل بالعبادة ومستحقها
والبصیر الذی هو الموحد العالم بذلک والاول عبارة عن المعبود الغافل والثانی اشارة الی المعبود العالم بکل شیء ام هل تستوی الظلمات

انتهی ما بعد الزوال من الظل والفیء
الرجوع وذلک حتی انتقل الظل من جانب الی جانب
[illegible]

انفصال شعاع الظل
وهو نسخة

آیة سجدة

البیضاوی

التى هى عبارة عن الكفر والضلال والنور الذى هو عبارة عن التوحيد والايمان وقرئ بالياء ولما دل النظم الكريم على ان الكفرة
فيما فعلوا من اتخاذ الاصنام اولياء من الله سبحانه وتعالى الضلال المحض والخطاء البحت بحيث لا يخفى بطلانه على احد وانهم فى ذلك كالاعمى
الذى لا يهتدى الى شئ اصلا وليس لهم فى ذلك شبهة تصلح ان تكون منشأ لغلطهم وخطائهم فضلا عن الحجة اكد ذلك فقيل ام جعلوا لله
اى بل اجعلوا له شركاء خلقوا كخلقه سبحانه والهمزة للانكار الواقع مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقه هو الذى يتوجه اليه
الانكار واما نفس الجعل فهو واقع لا يتعلق به الانكار بهذا المعنى والمعنى انهم لم يجعلوا لله شركاء خلقة كخلقه فتشابه الخلق عليهم بسبب ذلك
وقالوا هؤلاء خلقوا كخلقة تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك منشأ لخطائهم بل انما جعلوا له شركاء ما هو بمعزل عن ذلك بالمرة
وفيه مالا يخفى من التعريض بركاكة رايهم والتهكم بهم قل تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه الله خالق كل شئ كافة لا خالق سواه فيشاركه
فى استحقاق العبادة وهو الواحد المتوحد بالالوهية القهار المتفرد بالربوبية القهار لكل ما سواه فكيف يتوهم ان يكون له شريك وبعد
ما مثل المشرك والشرك بالاعمى والظلمات والموحد والتوحيد بالبصير والنور مثل الحق الذى هو القرآن العظيم فيضانه من جناب القدس
على قلوب خالية عنه متفاوتة الاستعداد فمن جرياته عليها ملاحظة وحفظا وعلى الالسنة مذاكرة وتلاوة ومن ثباته فيها مع كونه مما
يجيونها الروحانية وما يتلوها من الملكات السنية والاعمال المرضية بالماء النازل من السماء السائل فى اودية يابسة لم تجر عادتها بذلك
سيلانا مقدرا بمقدار اقتضته الحكمة فاحياء الارض وما عليها الباقى فيها حميد ورعيه منافع الناس ومن كونه طيبا يحلى به
النفوس وتصل الى البهجة الابدية ومتاعا يتمتع به فى المعاش والمعاد بالذهب والفضة وسائر الفلزات التى تتخذ منها انواع
الآلات والادوات وتبقى منتفعا بها مدة طويلة ومثل الباطل الذى ابتلى به الكفرة لقصور نظرهم بما يظهر فيهما من غير مداخلة
لهما واضمحلال يصفهما من الزبد الطافى فوقهما المضمحل سريعا فقيل انزل من السماء اى من جهتها ماء اى كثيرا اودقا
منه وهو ماء المطر فسالت بذلك اودية واقعة فى مواقعه لجميع الاودية اذ للامطار لا تستوعب الاقطار وهو جمع واد
وهو مفرج بين جبال او تلال او اكام على الشذوذ كناد واندية وناج وانجية قالوا ووجهه ان فاعل يجئ بمعنى فعيل كناصر ونصير
وشاهد وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على افعلة كرغيف واجربة جمع فاعل ايضا على فعلة فان اريد بها ما يسيل فيها مجازا فاما
ان السيل اليها حقيقى فللاسناد مجازى كما فى جرى النهر واما ان التمثيل لها على الانهار المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شأنها وشأن
ما مثل بها كما اشير اليه بقدرها اى سالت ملتبسة بقدرها الذى عينه الله تعالى واقتضته حكمته فى نفع الناس او بمقدارها المتفاوت
قلة وكثرة بحسب تفاوت محالها صغرا وكبرا لان بكونها مالئة لها منطبقة عليها بالمجرد قلتها بصغرها المستلزم لقلة موارد الماء وكثرتها بكبرها
المستدعى لكثرة الموارد فان مورد السيل الجارى فى الوادى الصغير اقل فى موارد السيل الجارى فى الوادى الكبير هذا ان اريد بالاودية ما يسيل فيها
اما ان اريد بها معناها الحقيقى فالمعنى سالت مياهها بقدر تلك الاودية على كونها عرفية آنفا او يراد بضمير ما مياهها بطريق الاتحاد ويراد
بقدرها ما ذكر اولا من المعنيين فاحتمل السيل الجارى فى تلك الاودية اى حمل معه زبدا اى غثاء ورغوة وانما وصف ذلك
بقوله تعالى رابيا اى عاليا منتفخا فوقه بيانا لما اريد بالاحتمال المحتمل لكون الحمل غير مطاف كالاشجار الثقيلة وانما لم يرفع ذلك الاحتمال
بان يقال فاحتمل السيل فوقه للايذان بان تلك الفوقية مقتض شان الزبد لا من جهة المحمل تحقيقا للمماثلة بينه وبين ما مثل به من الباطل الذى شانه
الظهور فى بادى الرأى من غير مداخلة الحق وما يوقدون عليه فى النار اى يفعلون الايقاد عليه كائنا فى النار والضمير للناس اجمع مع عدم سبق
ظهوره وقرئ بالخطاب ابتغاء حلية او متاع اى لطلب اتخاذ حلية وهى ما يتزين ويتجمل به كالحلى المتخذة من الذهب والفضة او اتخاذ
متاع وهو ما يتمتع به من الاوان والآلات المتخذة من الرصاص والحديد وغير ذلك من الفلزات زبد مثله خبث مثل ما ذكر من زبد الماء فى كونه
رابيا فوقه فقوله زبد مبتدأ خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدأ وما بعدها لا تبعيضية موبخ كونه بعضا منه كما قيل لاظهار
ذلك بالتمثيل وفى التعبير عن ذلك بالوصول والتعرض لما فى حيز الصلة من ابتعاد النار عليه جرى على سنن الكبرياء من اظهار الرزانة والتهكم بهم كما فى قوله تعالى فاوقد لى يا هامان

الاعتمال التكلف في العمل

على التخيير واشارة الى كيفية حصول الزبد منه بزوبانه وفي زيادة في النار اشعار بالمبالغة في الاعتمال للاذابة وحصول الزبد كما اشير اليه وعدم التعرض لافراحه من الارض لعدم دخل ذلك العنوان في التمثيل كما ان لعنوان انزال الماء من السماء دخلا فيه صيانة فصل فيما سلف بل الاطلاق بذلك كذلك اى مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت رائقة يضرب الله الحق والباطل اى مثل الحق ومثل الباطل والحذف للانباء عن كمال التماثل بين المثل والممثل به كان المثل المضروب عين الحق والباطل وبعد تحقيق التمثيل مع الايماء الى تضاعيف ذلك الى وجوه المماثلة على ابدع وجوه وانقاها صبا اشير اليه في مواقعها بين عاقبة كل من الممثلين على حدة والتمثيل مع التعريج ببعض ما به المماثلة من البقاء تتمة للغرض من التمثيل من الحث على اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزائل فقيل فاما الزبد من كل منهما فيذهب جفاء اى مرميا به وقرئ جفلا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس منهما كماء الصفاء والفلز الخالص فيمكث في الارض اما الاول فيثبت بعضه في مناقعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقناة والآبار والفلز فيصاغ من بعضه انواع الحلي ويتخذ من بعضه امتعة الآلات والادوات فيستفع بكل من ذلك انواع الانتفاعات مدة طويلة فالمراد بالمكث في الارض ما هو اعم من المكث في نفسها من البقاء في ايدي المستعملين فيها وتغيير ترتيب اللف الواقع في الفذلكة الموافقة للترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملائمة بين حالتي الذكر والبقاء وبين ذكرهما فان المعتبر انما هو بقاء الباقي بعد ذهاب الذاهب لا قبله كذلك يضرب الله اى مثل ذلك الضرب العجيب يضرب الامثال وكل باب اظهار الكمال اللطف والعناية في الارشاد والهداية وفيه تفخيم لشان هذا التمثيل وتاكيد لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اما باعتبار ابتناء هذا على التمثيل الاول او بجعل ذلك اشارة اليهما جميعا بعد ما بين شان كل من الحق والباطل حالا ومآلا اكمل بيان شرع في بيان حال اهل كل منهما مآلا تكميلا للدعوة ترغيبا وترهيبا فقيل للذين استجابوا لربهم اذ دعاهم الى الحق بفنون الدعوة التي من جملتها ضرب الامثال فانه الطف ذريعة الى تفهيم القلوب الغبية واقوى وسيلة الى تسخير النفوس الابية كيف لا وهو تصوير للمعقول بصورة المحسوس وابراز لما وابدا للمعاني في هيئة المانوس فاي دعوة اولى منه بالاجابة والقبول الحسنى اى المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا له وعاندوا الحق الجلي لو ان لهم ما في الارض لو ان من اصناف الاموال جميعا بحيث لم يشذ منه شاذ في اقطارها مجموعا غير متفرق بحسب الاذمان ومثله معه لافتدوا به اى بما في الارض ومثله معه جميعا ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به البيان فالموصول مبتدا والشرطية كما هي خبره لكن لا على انها وصفت موضع السوآى اى فوضعت في مقابلة الحسنى الواقعة في القرينة الاولى لمراعاة حسن المقابلة فصار كانه قيل والذين لم يستجيبوا له السوآى كما توهم فان الشرطية وان دلت على كمال سوء حالهم لكنها بمعزل من القيام مقام لفظ السوئى مصحوبا باللام الداخلة على الموصول او ضميره وعليه يرد حصول المرام وانما الواقع في تلك المقابلة سوء الحساب في قوله تعالى اولئك لهم سوء الحساب وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتدا في هذه الجملة عبارة عن الموصول الواقع مبتدا في الجملة السابقة كان خبرا عن الجملة الظرفية خبرا عن الموصول في الحقيقة ومستتبعا لابهام مضمون الشرطية الواقعة خبرا عنه اولا ولذلك ترك العطف فصار كانه قيل والذين لم يستجيبوا لهم سوء الحساب وذلك ان يقال والذين لم يستجيبوا سوء الحساب مع زيادة تاكيد فتم حسن المقابلة على ابلغ وجه وآكده ثم بين مؤدى ذلك فقيل ومأواهم اى مرجعهم جهنم وفيه نوع تاييد لتفسير الحسنى بالجنة وبئس المهاد اى المستقر والمخصوص بالذم محذوف وقيل اللام في قوله للذين استجابوا لربهم متعلقة بقوله يضرب الله الامثال السابقة وقوله الحسنى صفة للمصدر اى استجابوا استجابة الحسنى وقوله والذين لم يستجيبوا له معطوف على الموصول الاول وقوله لو ان لهم الخ كلام مستانف مسوق لبيان ما اعد لغير المستجيبين من العذاب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين وللمستجيبين والكافرين المعاندين اى هما مثلا الفريقين وانت خبير باغناء هذا التمثيل الاستجابة وعدمها لا مناسبة بينه وبين ما يؤدي اليه التمثيل وان الاستعمال المستفيض دخول اللام على من يقصد ذكره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى ايضا كما في قوله سبحانه ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ونظائره

هو قوله تع يضرب الله الحق والباطل

هو قوله تع فاما الزبد فيذهب جفاء وهو الوجه الثاني

رد على الكشاف والبيضاوي

اى المفسر

الضرب بمعنى التطبيق

على ان بعض الامثال المضروبة لا سيما مثل الآخر الموصول بالكلام ليس مثل الفريقين بل مثل للحق والباطل ولامساغ لجعل
الفريقين مفردًا بالهم ايضا بان يجعل في حكم ان يقال كذلك يضرب الامثال للناس آذ لا وجه صحيح لتنويعهم الى المستجيبين وغير المستجيبين
فتأمل • أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ • من القرآن الذي مثل بالماء المنزل من السماء والابريز الخالص
في المنفعة والجدوى الحق الذي لاحق وراءه او الحق الذي اشير اليه بالامثال المضروبة فيستجيب له كمن هو أعمى •
عمى القلب لا يشاهده وهو ناء عن علم ولا يقدر قدره وهو واقف مراتب العلو والعظم فيبقى حائرًا في ظلمات الجهل وغياهب الضلال
او لا يتذكر بما ضرب من الامثال • اي كمن لا يعلم ذلك الا انه ازيد زيادة تقبيح حاله فعبر عنه بالاعمى وآثر ايراد الفاء بعد الهمزة
لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة حال كل منهما بما ضرب من الامثال وبين المصير والمآل كأنه قيل بعد ما بين على ظهور حال كل
من الفريقين ومالهما يتوهم المماثلة بينهما ثم استوف فقيل • انما يتذكر • بما ذكر من المذكرات فيقف على ما بينهما من التفاوت والتنافي
أُولُوا الْأَلْبَابِ • اي العقول الخالصة المبرأة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم • الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ • بما عقدوا
على انفسهم من الاقرار بربوبيته حين قالوا بلى وما عاهد الله عليهم في كتبهم • وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ • ما وثقوه على انفسهم
وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد التخصيص فيه تأكيد الاستمرار المفهوم من صيغة
المستقبل • وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ • من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء المجمعين على الحق
من غير تفريق بين احد منهم ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق كل ما يتعلق بهم من الحر والدجاج • وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
خشية جلال وجبروت ورهبة فلا يقصونه فيما أمرهم • وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ • فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا وفيه دلالة
على كمال فظاعة حساب ذكر فيما قبل • وَالَّذِينَ صَبَرُوا • على كل ما يكرهه النفس من الافعال والتروك • ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ •
طلبا لرضاه وخاصة من غير ان ينظروا الى جانب الخلق رياء وسمعة ولا الى جانب النفس نيلا وعجبا وحيث كان الصبر
على الوجه المذكور ملاك الامر في كل ما ذكر من الصلات الثابتة واللاحقة أورد على صيغة الماضي اعتناء بشأنه ودلالة على
تحققه فان ذلك مما لا بد منه آناء ما في نفس الصلات كما في ما عدا الاولى والرابعة والخامسة او في اظهار احكامها كما في الصلات
المذكورات فانها وان استغنت عن الصبر في انفسها حيث لا مشقة على النفس في الاقرار بالربوبية والخوف والخشية لكن اظهار
احكامها والجري على موجبها غير خال عن الاحتياج اليه • وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ • المفروضة • وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ • اي بعضه الذي
يجب عليهم انفاقه • سِرًّا • لمن لم يعرف بالمال أو لمن لا يتهم بترك الزكوة او عدوا اعطائه مَنْ يمنعه المروءة من اخذه ظاهرا
وَعَلَانِيَةً • لمن لم يكن كما ذكر أو الاول في التطوع والثاني في الفرض • وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ • اي يجازون الاساءة
بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها عن ابن عباس رضي الله عنه يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سفيه غيرهم وعن الحسن
اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا رأوا منكرا أمروا بالمعروف
وتقديم المجرور على المنصوب لاظهار كمال العناية بالحسنة • أُولَئِكَ • المنعوتون بالنعوت الجليلة • وَالْمَكَانُ الْجَلِيلُ
وهو مبتدأ خبره الجملة الظرفية اعني قوله • لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ • اي عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل امرها وهي الجنة وقيل
الجار والمجرور خبر لاولئك وعقبى الدار فاعل الاستقرار وايا ما كان فليس فيه قصر حتى يرد ان بعض ما في خير الصلة ليست
من الغوائم التي يخل اخلالها بالوصول الى حسن العاقبة والجملة خبر للموصول المتعاطفة او استئناف لبيان ما استوجبوه بتلك
ان جعلت الموصولات المتعاطفة صفات لاولي الالباب على طريقة المدح من غير ان يقصد ان يكون للصلات المذكورة مدخل في التذكر
جَنَّاتُ عَدْنٍ • بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره • يَدْخُلُونَهَا • والعدن الاقامة ثم صار علما للجنة من الجنان او جنات يستقرون
فيها وقيل هي بطنان الجنة • وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ • جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم وامهاتهم • وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ •

وهو عطف على المرفوع فى يدخلون وانما ساغ ذلك للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تتميما لهم تعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة والموصوف بتلك الصفات يعرف بعضهم بعضا لما بينهم من القرابة والوصلة فى دخول الجنة زيادة فى انسهم وفى التقييد بالصلاح قطع للاطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل النسب والملئكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب القصور والتحف قائلين سلام عليكم بشارة لهم بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اى هذه الكرامة العظمى بما صبرتم اى بسبب صبركم او بدل مما اصطلتم من شقاء الصبر ومتاعبه والمعنى لان بقيتم فى الدنيا لقد استرحتم الساعة وتخصيص الصبر بالذكر من بين الخصلات السابقة لما قدمناه من ان له دخلا فى كل منها او مزية زائدة من حيث انه ملاك الامر فى كل منها وان شيئا منها لا يعتد به الا بان يكون لابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس فنعم عقبى الدار اى فنعم عقبى الدار الآخرة وقرئ بفتح النون على الاصل نعم فيكسر العين بنقل حركتها الى النون تارة وبدونه اخرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يأتى قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذا عن الخلفاء الاربعة رض والذين ينقضون عهد الله اريد بهم من يقابل الاولين ويعاندهم فى الاتصاف بنقائض صفاتهم من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل من الايمان بجميع الانبياء المجمعين على الحق حيث يؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الارحام وموالاة المؤمنين وغير ذلك مما لا يراعون حقوقه من الامور المعدودة فيما سلف وانما لم ينقض لنقض الخشية والخوف عنهم صريحا لدلالة النقض والقطع على ذلك وانما عدم التعرض لنفى الصبر المذكور فلانه انما اعتبر لحقيقة فى ضمن الحسنات المعدودة ليعقبن معتدا بها فلا وجه لنفيه عن بينه وبين الحسنات بعد المشرفين كما لا وجه لنفى الصلاة والزكوة ممن لا يحوم حول اهل الايمان بالله تعالى فضلا عن فروع الشرائع وان اريد بالانفاق التطوع ففيه مندرج تحت امرا الله تعالى لوصله وانما درء السيئة بالحسنة فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق ولحق فان من يجازى احسانه عز وجل بنقض العهد ومخالفة الامر ويباشر الفساد بدأ حسبما يحكيه عز وعلا ويفسدون فى الارض اى بالظلم وتهييج الفتن كيف يتصور منه مجازاة الاساءة بالاحسان على ان ذلك شعر بان له دخلا فى الاقضاء الى العقوبة التى ينبئ عنه قوله تع اولئك الخ اى اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح لهم بسبب ذلك اللعنة اى الابعاد من رحمة الله تعالى ولهم مع ذلك سوء الدار اى سوء عاقبة الدنيا او عذاب جهنم فانها دارهم لان ترتب الحكم على الموصول مشعر بعلية الصلة له ولا يخفى انه لا دخل لذلك على اكثر التفاسير فان مجازاة السيئة بمثلها ماذون فيها ودفع الكلام السئ بالحسن وكذا الاعطاء عند المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس مما يورث تركه تبعة واما ما اعتبر اندراجه تحت الصلة الثانية من الاخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا خير فى ذلك لان اعتباره من حيث انه من مستتبعات الاخلال بالعزائم بالكفر ببعض الانبياء وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق الواجبة وتكرير لهم للتاكيد والايذان باختلافهما واستقلال كل منهما فى الشيوع الله يبسط الرزق اى يوسعه لمن يشاء من عباده ويقدر اى يضيقه على من يشاء حسبما تقتضيه الحكمة من غير ان يكون لاحد مدخل فى ذلك ولا شعور بحكمته فربما يبسط للكافر املاء واستدراجا وربما يضيقه على المؤمنين من زيادة الاجر فلا تغتر ببسط الكافر كما لا يتنط بقدر المؤمن وفرحوا اى اهل مكة فرح اشر وبطر لا فرح سرور بفضل الله تعالى بالحيوة الدنيا وما بسط لهم فيها من نعيمها وما الحيوة الدنيا وما يتبعها من النعيم فى جنب نعيم الآخرة الا متاع الا شئ نزر يتمتع به كما يتمتع الراكب وزاد الراعى والمعنى انهم رضوا بحظ الدنيا موضع عن نعيم الآخرة والحال انما اشر دابه فى جنب ما اعرضوا عنه شئ قليل النفع سريع النفاد ويقول الذين كفروا اى مكة واثباره هذه الطريقة على الاضمار مع ظهور ارادتهم

عائد الى العهد ٩

نزر اى قليل ٢

عتيب ذكر فوحهم بالجبوة الدنيا لذقهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكى عنهم من قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه فان ذلك
فى اقصى مراتب المكابرة والعناد كان ما انزل عليهم من الآيات العظام الباهرة ليس بآية حتى اقترحوا ما لا تقتضيه الحكمة من الآيات
المحسوسة التى لا يبقى لاحد بعد ذلك طاقة بعدم القبول ولذلك اوثر الجواب بقوله تع قل ان الله يضل من يشاء اضلاله مشيته
تابعة للحكمة الداعية عليها اى يخلق فيه الضلال لصرفه واختياره الى تحصيله ويدعه منهمكا فيه لعلمه بانه لا ينجع فيه اللطف ولا تنفعه
الآيات لكن كان على صفتكم فى المكابرة والعناد شدة الشكيمة والغلو فى الفساد فلا سبيل له الى الاهتداء ولو جاءته كل آية
ويهدى اليه الى جنابه العلى الكبير هداية موصلة اليه لادلالة مطلقة على ما يوصل اليه فان ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من
مالا يوصف من اناب اقبل الى الحق وتامل فى نصائح ما نزل من الدلائل الواضحة وحقيقة الانابة الدخول فى نوبة اخيرا
وآثارا ايرادها فى الصلة على ايراد المشية كما فى الصلة الاولى للتنبيه على الداعى الى الهداية بل الى مشتهيها والاشعار بما دعى الى
الاولى من المكابرة وفيه حث للكفرة على الاقلاع فيما هم عليه من العتو والعناد وآثارا رصيغة الماضى للايذاء بالاستدعاء الهداية
سابقة الانابة كما آن ايثار صيغة المضارع فى الصلة الاولى للدلالة على استمرار المشية حسب استمرار مكابرتهم الذين آمنوا
بدل من اناب فان اريد بالهداية المستمرة فالامر ظاهر لظهور كون الايمان مؤديا اليها فان اريد احداثها فالمراد
بالذين آمنوا الذين صادفوهم لا الايمان كما فى قوله تع هدى للمتقين الصائرين الى التقوى والا فالايمان لا يؤدى الى الهداية
نفسها او هو خبر مبتدا محذوف اى هم الذين آمنوا او منصوب على المدح وتطمئن قلوبهم اى تستقر وتسكن بذكر الله
بكلامه المعجز الذى لا ريب فيه كقوله تع وهذا ذكر مبارك انزلناه وقوله تع انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وعلموا
ان الآية اعظم منه فيقترحوها والعدول الى صيغة المضارع لافادة دوام الاطمئنان وتجدده حسب تجدد الآيات وتعددها
الا بذكر الله وحده تطمئن القلوب دون غيره من الامور التى تميل اليها النفوس من الدنيا وآثارها وهذا ظاهر اما سائر
المعجزات فالقصر من حيث انها ليست فى افادة الطمانينة بالنسبة الى من لم يشاهدها بمثابة القرآن المجيد فانه معجزة باقية
الى يوم القيمة يشاهده كل احد وتطمئن به القلوب كافة وفيه اشعار بان الكفرة ليست لهم قلوب وافئدتهم هواء حيث لم تطمئن
بذكر الله تع ولم يعدوه آية وهو اظهر الآيات وابهرها وقيل تطمئن قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشية
كقوله تع ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او بذكر دلائله الدالة على وحدانيته او بذكره جل جلاله انسا به وتبتلا اليه
فالمراد بالهداية دوامها واستمرارها الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل حسبما مر اليه
اى قلوب الذين آمنوا وفيه ايماء الى ان الانسان انما هو القلب او مبتدا خبره الجملة الدعائية على التاويل الاعنى قوله تع
طوبى لهم او خبر مبتدا مضمر او نصب على المدح فطوبى لهم حال عاملها الفعلان وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى والواو
منقلبة من الياء لكونها وموسرة وقرا كموزة الاعرابى طيبى ليسلم الياء والمعنى اصابوا خيرا او محلها النصب كسلاما لك
او الرفع على الابتداء وان كانت نكرة لكونها فى معنى الدعاء كسلام عليك يدل على ذلك القراءة فى قوله تعالى وحسن مآب
بالنصب والرفع واللام فى لهم للبيان مثلها فى سقيا لك كذلك اى مثل ذلك الارسال العظيم الشان المنعوت بهذه المعجزة
الباهرة ارسلناك فى امة قد خلت اى مضت من قبلها امم كثيرة قد ارسل اليهم رسل لتتلو لتقرأ عليهم
الذى اوحينا اليك من الكتاب العظيم الشان وبهديهم الى الحق رحمة لهم وتقديم المجرور على المنصوب من قبيل اللهم
ثم البيان كلمة قولية وضعناعنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس الى ما سيرد وحسن قبولها له عند ورودة عليهم وهم
اى والحال انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذى وسعت كل شئ رحمته واحاطت به نعمته والعدول الى المظهر
المقتضى لوصف الرحمة من حيث ان الارسال ما شئ منها كما قال تع وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلم يقدروا قدره ولم يشكروا نعمه

لا سيما ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذى هو مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي
مكة حين أمروا بالسجود فقالوا وما الرحمن • قل هو • اى الرحمن الذى قد كفرتم به وانكرتم معرفته • ربى • الرب في الاصل بمعنى
التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت اى خالقي ومبلغي الى مراتب الكمال
وايراده قوله • لا اله الا هو • اى لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على ان استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل ان ابا جهل سمع النبي ع م
يقول يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين فنزلت ونزل قوله تع قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الاية • عليه
توكلت • في جميع اموري لا سيما في النصرة عليكم لا على احد سواه • واليه • خاصة • متاب • اى توبتي كقوله تع واستغفر لذنبك امر ع م
بذلك ابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تع وانها صفة الانبياء ع م وبعثا للكفرة على الرجوع عما هم عليه بابلغ وجه والطفه
فانه ع م حيث امر بها وهو منزه عن شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب وان قل فتوبتهم وهم عاكفون على انواع الكفر والمعاصي مما لا بد
منه اصلا وقد فسر المتاب بمطلق الرجوع فقيل مرجعي ومرجعكم وزيد فيحكم بيني وبينكم وقد قيل فيثيبني على مصابرتكم فتامل •
ولو ان قرآنا • اى قرآنا ما وهو اسم ان والخبر قوله تعالى • سيرت به الجبال • وجواب لو محذوف لانسياق الكلام اليه بحيث يتلقفه
السامع من التالي والمقصود اما بيان عظم شان القرآن العظيم وفساد راي الكفرة حيث لم يقدروا قدره العلي ولم يعدوه
من قبيل الآيات فاقترحوا غيره مما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام واما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في الضلال البعيد
فالمعنى على الاول لو ان قرآنا سيرت به الجبال اى بانزاله او بتلاوته عليها وزعزعت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى ع • او قطعت به
الارض • اى شققت وجعلت انهارا او عيونا كما فعل بالحجر حين ضربه عليه السلام بعصاه او جعلت قطعا متصدعة • او كلم به الموتى • اى
ان احيي بقراءته عليها كما احييت بعيسى ع م لكان ذلك هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله لانه الغاية في الاعجاز
وفي هذا الآثار ولانه في التذكير والانذار والتخويف لاختصاصها بالعقلاء مع انه لا علاقة لها بتكليم الموتى واعتبار فيض العقول اليها مخل بالمبالغة
المقصودة وتقديم المجرور بالمواضع الثلثة على المرفوع لما مر غير مرة من قصد الابهام ثم التفسير لزيادة التقرير لان بتقديم ما حقه التاخير
تبقى النفس مستشرفة ومترقبة الى المؤخر انه ماذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن وكلمة او في الكل لمنع الخلو لا لمنع الجمع واقتراحهم
وان كان متعلقا بمجرد ظهور مثل هذه الافاعيل العجيبة على يده ع م لا بظهورها بواسطة القرآن لكن ذلك حيث كان مبنيا على علوم شانه
في زعمهم على الخوارق نيط ظهورها به مبالغة في بيان اشتماله عليها وانه حقيق بان يكون مصدرا لكل خارق وابانة لركاكة رايهم
في شان القرآن الرفيع كانه قيل لو ان ظهور امثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القرآن الذى لم يعدوه آية وفيه من تفخيم
شان العزيز ووصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى • بل لله الامر جميعا • اى له الامر الذى عليه يدور فلك الاكوان وجودا وعدما يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد لما يدعو اليه من الحكم البالغة وهو اضراب عما تضمنته الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجبه ومؤداه
اى لو ان قرآنا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشان الآن لان الامر كله لله وحده فالاضراب
ليس بمتوجه الى كون الامر لله سبحانه بل الى ما يؤدي اليه ذلك من كون الشان على ما كان لما تقتضيه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار
أفلم ييأس الذين آمنوا • اى افلم يعلموا على لغة هوازن او قوم من النخع او على استعمال الياس في معنى العلم لتضمنه اياه ويؤيده
قراءة علي وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين افلم يتبين بطريق التفسير والعطف على مقدر اى اغفلوا
عن كون الامر جميعا لله تعالى فلم يعلموا • ان لو يشاء الله • على حذف ضمير الشان وتخفيف ان • لهدى الناس جميعا • باظهار
امثال تلك الآيات العظيمة فالانكار متوجه الى المعطوفين جميعا او اعلموا كون الامر جميعا لله تعالى فلم يعلموا ما يوجبه ذلك العلم مما ذكر فهو متوجه
الى ترتب المعطوف على المعطوف عليه اى تخلف العلم الثاني عن العلم الاول وعلى التقديرين فالانكار انكار الوقوع كما في قوله تع الم يعدكم
ربكم وعدا حسنا لا انكار الواقع كما في قولك الم تخف الله حتى عصيته ثم ان مناط الانكار ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط

ولو قال ابانة لفضل الانابة لكان الطف محرره

رد على الكشاف والبيضاوي في لكان ذلك جواب لو ان قرآنا

بل مع علمهم بعدم تحقق مقدمها كأنه قيل ألم يعلموا أن الله تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم وأنهم لم يشاءها وذلك لأنهم كانوا يودون
أن يظهر ما اقترحوا من الآيات ليجتمعوا على الإيمان وعلى الثاني لو أن قرآنا فعل به ما فصل من التعاجيب لما آمنوا به كقوله تعالى ولو أننا نزلنا
إليهم الملائكة وكلمهم الموتى الآية فالإضراب ح متوجه إلى ما سلف من اقتراحهم مع كونهم في العناد على ما شرح أي فليس لهم ذلك بل لله الأمر
إن شاء أتى بما اقترحوا وإن شاء لم يأت به حسبما يستدعيه داعية الحكمة من غير أن يكون لأحد عليه تحكم أو اقتراح وأن اليأس بمعنى القنوط
أي ألم يعلم الذين آمنوا حالهم عن علم فييئسوا من إيمانهم حتى احتبوا ظهور مقترحاتهم فالإنكار متوجه إلى المعطوفين أو أعلموا ذلك فلم ييئسوا من إيمانهم
فهو متوجه إلى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه أي إلى تخلف القنوط عن العلم المذكور و الإنكار على التقديرين إنكار الواقع كما في قوله تعالى
أفلا تتقون ونظائره لا إنكار الوقوع فإن عدم قنوطهم منه مما لا مرد له وقوله تعالى أن لو يشاء الله الخ متعلق بمحذوف أي أفلم ييأسوا
من إيمانهم علماً منهم أو عالمين بأنه لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً على معنى أفلم ييأس من إيمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية وبعدم
تحقق مقدمها المنفهم من مكابرتهم حسبما تحكيه كلمة لو فالوصف المذكور من دواعي إنكار يأسهم وقيل إن أبا جهل وأضرابه قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت نبيا سيّر بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا ونتخذ فيها البساتين والقطائع
وقد سخرت لداود فلست بأهون على الله منه إن كنت نبيا كما زعمت أو سخر لنا به الريح كما سخرت لسليمان عليه السلام لنتجر عليها
إلى الشام فقد شق علينا قطع الشقة البعيدة أو ابعث لنا به رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا فنزلت فمعنى تقطيع الأرض ح
قطعها بالسير ولا حاجة ح إلى الاعتذار في إسناد الأفاعيل المذكورة إلى القرآن كما احتيج إليه في الوجهين الأولين وعن الفراء أنه
متعلق بما قبله من قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وهو بالحقيقة دال على الجواب في التقدير ولو أن قرآنا سيرت به الجبال
أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لكفروا بالرحمن والتذكير في كلم بالموتى لتغليب المذكر من الموتى على غيره ولا يزال الذين
كفروا من أهل مكة تصيبهم بما صنعوا أي بسبب ما صنعوه من الكفر والتمادي فيه وعدم بيانه إما للقصد إلى تهويله أو استهجانه وهو
تصريح بما أشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له مع ما في صيغة الصنع من الإيذان برسوخهم في ذلك قارعة داهية تقرعهم
وتقلقهم وهو ما كان يصيبهم من أنواع البلايا والمصائب من القتل والأسر والنهب والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مرارا
من إرادة التفسير إثر الإبهام لزيادة التقرير والإحكام مع ما فيه من بيان أن مدار الإصابة من جهتهم تؤدي إثر أو تحل تلك القارعة
قريبا أي مكانا قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير إليهم شرارها شبهت القارعة بالعدو المتوجه إليهم فأسند إليها
الإصابة تارة والحلول أخرى ففيه استعارة بالكناية وتخييل وترشيح حتى يأتي وعد الله أي موتهم أو القيامة فإن كلا منهم
وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على أن ما يصيبهم عند ذلك من العذاب في غاية الشدة وأن ما ذكر سابقا نفحة يسيرة بالنسبة إليه
ثم حقق ذلك بقوله تعالى إن الله لا يخلف الميعاد أي الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على الله سبحانه
وقال ابن عباس رض أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله عليه السلام يبعثها وكانوا بين إغارة واختطاف وتخويف بالهجوم عليهم
في ديارهم فالإصابة والحلول ح من أحوالهم ويجوز على هذا أن يكون قوله تعالى أو تحل قريبا من دارهم خطابا بالرسول عليه السلام وأراد به حلوله عليه السلام بجيشه
والمراد وعد الله ما وعد به فتح مكة ولقد استهزئ برسل كثيرة خلت من قبلك فأمليت للذين كفروا أي تركتهم ملاوة من الزمن
في أمن ودعة كما يملى للبهيمة في المرعى وهذا تسلية لرسول الله عليه السلام عما لقي من المشركين من التكذيب والاقتراح على طريقة الاستهزاء به
ووعيد لهم والمعنى أن ذلك ليس مختصا بك بل هو أمر مطرد قد فعل ذلك برسل كثيرة كائنة من قبلك فأمهلت الذين فعلوه بهم والعدول عن الإمهال
إلى وصف الكفر ليس لأن المملى لهم غير المستهزئين بل لإرادة الجمع بين الوصفين أي فأمليت للذين كفروا مع استهزائهم لا باستهزائهم فقط
ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أي عقابي إياهم وفيه من الدلالة على تناهي كيفيته في الشدة والفظاعة ما لا يخفى أفمن هو
قائم أي رقيب مهيمن على كل نفس كائنة من كانت بما كسبت من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من ذلك بل يجازي كلا

والسرية قطعة من الجيش يقال خير السرايا أربعمائة رجل صحاح

يقال هجم على الشيء هجوما يعني ... انسزین شئ اوزرینه گلدی
اغارت بغتة اختطاف وتخطف قاپمق ترجمان

شاهد

بما

بعمله وهو الله سبحانه والخبر محذوف اى أفمن ليس كذلك انكاراً لذلك وادخال الفاء لتوجيه الانكار الى توهم المماثلة غبّ ما علم مما فعل
بالمستهزئين من الاملاء المديد والاخذ الشديد ومن كون الامر كله لله تعالى وكون هداية الناس جميعاً منوطة بمشيئته تعالى ومن
تواتر القوارع على الكفرة الى ان يأتى وعد الله كأنه قيل الامر كذلك أفمن هذا شأنه كما ليس فى عداد الاشياء حتى تشركوه به فالانكار متوجه الى
المعطوف اعنى توهم المماثلة على المعطوف عليه المقدر اعنى كون الامر كما ذكر فى ذلك العلم الجلى فلا تعلق به وقوله تعالى وجعلوا لله شركاء
جملة مستقلة جىء بها للدلالة على الخبر او حالية اى أفمن هذه صفاته كما ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكاً واحداً او معطوفة
على الخبر ان قدر ما يصلح لذلك اى أفمن هذا شأنه لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع المضمر للتنصيص على وحدانيته ذاتاً
واسماً وللتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان بعد الابهام بايراده موصولاً للدلالة على التفخيم وقوله تعالى قل سموهم
تبكيت لهم اثر تبكيت اى سموهم من هم وماذا اسماؤهم او صفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة
أم تنبئونه اى بل أتنبئون الله بما لا يعلم فى الارض اى بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى ولا يعزب عنه مثقال
ذرة فى السموات والارض وقرئ بالتخفيف أم بظاهر من القول اى بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون له معنى
وحقيقة كتسمية الزنجى كافوراً كقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم وهاتيك الاساليب البديعة التى وردت عليها الآيات الكريمة منادية على انها
خارجة عن قدرة البشر من كلام خلاق القوى والقدر فتبارك الله رب العالمين بل زين للذين كفروا وضع الموصول موضع
المضمر ذماً لهم وتسجيلاً عليهم بالكفر مكرهم تمويههم الاباطيل او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل اى سبيل الحق
من صدّه صداً وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليها وقرئ بفتحها اى صدوا الناس او من صد صدوداً ومن يضلل الله
اى يخلق فيه الضلال بسوء اختياره او يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب شاق فى الحيوة الدنيا بالقتل
والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب فانها انما تصيبهم عقوبة على كفرهم ولعذاب الآخرة أشق من ذلك بالشدة والمدة
وما لهم من الله من عذابه المذكورين من واق من حافظ يعصمهم من ذلك فمن الاولى صلة للوقاية والثانية مزيدة
للتأكيد مثل الجنة اى صفتها العجيبة الشأن التى فى الغرابة كالمثل التى وعد المتقون عن الكفر والمعاصى وهو مبتدأ خبره محذوف
عند سيبويه اى فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى تجرى من تحتها الانهار تفسير لذلك المثل على انه حال من الضمير
المحذوف من الصلة العائد الى الجنة اى وعدها وهو الخبر عند غيره كقولك شأن زيد يأتيه الناس ويعظمونه او على حذف
موصوف اى مثل الجنة جنة تجرى الخ اكلها ثمرها دائم لا ينقطع وظلها ايضاً كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال
الدنيا تلك الجنة المنعوتة بما ذكر عقبى الذين اتقوا الكفر والمعاصى اى مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار
لا غير وفيه ما لا يخفى من اطماع المتقين واقناط الكافرين والذين آتيناهم الكتاب هم المسلمون من اهل الكتاب كعبد الله
بن سلام وكعب احزابهما ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلاً اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون بالحبشة
يفرحون بما انزل اليك اذ هو الكتاب الموعود فى التورية والانجيل ومن الاحزاب اى من احزابهم وهم كفرتهم الذين
تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف والسيد والعاقب أسقفى نجران واتباعهما من ينكر بعضه
وهو الشرائع الحادثة انشاءً ونسخاً لا ما يوافق ما حرفوه والا لتعين عليهم من اول الامر ان مدار ذلك انما هو جنايات ايديهم
واما ما يوافق كتبهم فلم ينكروه وان لم يفرحوا به وقيل يجوز ان يراد بالموصول الاول عامتهم فانهم ايضاً يفرحون به لكونه مصداقاً لكتبهم
فى الجملة فيكون قوله تعالى ومن الاحزاب الخ تتمة بمنزلة ان يقال ومنهم من ينكر بعضه قل الزاماً لهم ورداً لانكارهم انما امرت
ان اعبد الله ولا اشرك به اى شيئاً من الاشياء او لا افعل الاشراك به والمراد قصر الامر بالعبادة على الله لا قصر
الامر مطلقاً على عبادته تعالى خاصة اى قل لهم انما امرت فيما انزل الى بعبادة الله وتوحيده وظاهر ان لا سبيل لكم الى انكاره

الاملاء الامهال
تواتر
ترتب
اى لا يعلمه
المشقة بالكسر التعب
اى جمعا
أسقف النصارى رئيس من رؤسائهم ونجران موضع معروف بين الشام والحجاز واليمن قاموس

لاطباق جميع الانبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا
فما لكم تشركون به عزيرا والمسيح وقرئ ولا اشرك به بالرفع على الاستئناف اي وانا لا اشرك به • اليه • الى الله تعالى خاصة على النهج المذكور
من التوحيد او الى ما امرت به من التوحيد • ادعو • الناس لا الى غيره ولا الى شيء آخر مما لا يطبق عليه الكتب الالهية والانبياء عليهم السلام
من وجه الخارج • واليه • الى الله تعالى وحده • مآب • مرجعي للجزاء وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصا
امره بان يخاطبهم بذلك الزاما وتبكيتا لهم ثم شرع في رد انكارهم لفروع الشرائع الواردة ابتداء او بدلا من الشرائع المنسوخة ببيان الحكمة في ذلك فقيل
وكذلك انزلناه • اي ما انزل اليك وفي ذلك اشارة الى مصدر انزلناه او انزل اليك ومحله النصب على المصدرية اي مثل ذلك الانزال البديع
المنتظم لاصول مجمع عليها وفروع متشعبة الى موافقة ومخالفة حسبما تقتضيه قضية الحكمة والمصلحة انزلناه • حكما • حاكما بالحكم في القضايا
والوقائع بالحق او يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع ان بعضه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته وتحتم المحافظة عليه • عربيا
مترجما بلسان العرب والتعرض لذلك للاشارة الى ان ذلك احد مواد المخالفة للكتب السابقة مع ان ذلك مقتضى الحكمة اذ بذلك يسهل فهمه
وادراك اعجازه والاقتصار على اشتمال الانزال على اصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيده قوله تعالى قل انما امرت ان اعبد الله الخ يابى التعرض لاتباع
اهوائهم وحديث المحو والاثبات وان لكل اجل كتاب فان المجمع عليه لا يتصور فيه الاستتباع • ولئن اتبعت اهواءهم • التي يدعونك
اليها من تقرير الامور المخالفة لما انزل اليك من الحق كالصلوة الى بيت المقدس بعد التحويل • بعد ما جاءك من العلم • العظيم الشان
الفائض من ذلك الحكم العربي او العلم بمضمونه • ما لك من الله • من جنابه العزيز والالتفات من التكلم الى الغيبة وايراد الاسم الجليل لتربية المهابة
قال الازهري لا يكون الها حتى يكون معبودا وحتى يكون خالقا ورازقا ومدبرا • من ولي • يلي امرك وينصرك على من يبغيك الغوائل
ولا واق • يقيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم نفي الناصر على العدو نفي الواقي من نكايته ادخل على المعطوف حرف النفي للتاكيد كقولك
ما لي دينار ولا درهم او ما لك من باس الله من ناصر وواق وهذا لاتباعك اهواءهم وامثال ما ينك القوارع انما هي لقطع اطماع الكفرة وتهييج
المؤمنين على الثبات في الدين واللام في لئن موطئة وما لك ساد مسد جوابي الشرط والقسم • ولقد ارسلنا رسلا • كثيرة كائنة
من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية • نساء واولادا كما جعلناها لك وهو رد لما كانوا يعيبونه عليه السلام بالزوج والاولاد كما كانوا
يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام الخ • وما كان لرسول • منهم اي ما صح وما استقام ولم يكن في وسعه • ان ياتي باية • مما اقترح
عليه وحكم مما التمس منه • الا باذن الله • ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح التي عليها يدور امر الكائنات لا سيما مثل هذه الامور العظام
والالتفات لما قدمناه ولتحقيق مضمون الجملة بالايماء الى العلة • لكل اجل • اي لكل مدة ووقت من المدد والاوقات • كتاب •
حكم معين يكتب على العباد حسبما تقتضيه الحكمة فان الشرائع كلها لاصلاح احوالهم في المبدا والمعاد ومن قضيته ذلك ان تختلف حسب
اختلاف احوالهم المتغيرة حسب تغير الاوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف احوال المرضى بحسب الاوقات • يمحو الله ما يشاء • اي ينسخ
ما يشاء ان ينسخه من الاحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت • ويثبت • بدله ما فيه المصلحة او يبقيه على حاله غير منسوخ او يثبت ما يشاء
اثباته مطلقا اعم منهما ومن الانشاء ابتداء او يمحو من ديوان الحفظة ديدنهم كتبة كل قول وعمل لا يتعلق به الجزاء ويثبت الباقي
او يمحو سيئات التائب ويثبت مكانها الحسنة او يمحو قرنا ويثبت آخرين او يمحو الفاسدات من العالم الجسماني ويثبت الكائنات
او يمحو الرزق ويزيد فيه او يمحو الاجل والسعادة والشقاوة وبه قال ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم والقائلون به يتضرعون الى الله
تعالى ان يجعلهم سعداء وهذا رواه جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم والانسب تعميم كل من المحو والاثبات ليشمل الكل ويدخل
في ذلك مواد الانكار دخولا اوليا وقرئ بالتشديد • وعنده ام الكتاب • اي اصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن من الذاهبات والثابتات
الا وهو مكتوب فيه كما هو • واما نرينك • اصله ان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة الحقت النون بالفعل
بعض الذي نعدهم • اي وعدناهم من انزال العذاب عليهم والتعبير بصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او نعدهم على تجدد

نسخه اي

وقيل يمحو الله المودة من قلوب من يشاء ويثبت في قلب من يشاء • عيون

لا انشغفا بد

زيت

ص ب

حسبما يقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفي ايراد البعض رمز الى ارادة بعض الموعود أو نتوفينك قبل ذلك فانما عليك البلاغ
اي تبليغ احكام الرسالة بتمامها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد الذي هو من جملتها وعلينا لا عليك الحساب محاسبة اعمالهم
السيئة والمؤاخذة بها اي كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوي او لم نركه فعلينا ذلك وما عليك الا تبليغ الرسالة
فلا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه بطلوع
تباشيره فقال أولم يروا استفهام انكاري والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انكروا نزول ما وعدناهم او اشكوا او لم ينظروا
في ذلك ولم يروا انا نأتي الارض اي ارض الكفر ننقصها من اطرافها بان نفتحها على المسلمين شيئا فشيئا ونلحقها بدار الاسلام
ونذهب منها اهلها بالقتل والاسر والاجلاء اليس هذا من ذلك ومثله قوله عز سلطانه اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم
الغالبون وقوله ننقصها حال من فاعل نأتي او من مفعوله وقرئ ننقصها بالتشديد وفي لفظ الاتيان المؤذن بالاستيلاء المحتوم
والاستيلاء العظيم من الفخامة ما لا يخفى كما في قوله عز وجل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والله يحكم ما يشاء
كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعزة والاقبال وعلى الكفر بالذلة والادبار حسبما يشاهد من المخايل والآثار وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة
وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا يخفى وهي جملة اعتراضية
جيء بها لتاكيد فحوى ما تقدمها وقوله تعالى لا معقب لحكمه اعتراض في اعتراض لبيان علو شأن حكمه جل جلاله وقيل نصب على الحال
كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على رأسه اي حاسرا والمعقب من يكر على الشيء فيبطله وحقيقته من يعقبه
ويقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب وهو سريع الحساب فعما قليل
يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة بافانين العذاب غبما عذبهم بالقتل والاسر والاجلاء حسبما يرى وقال ابن عباس رضي الله عنهما سريع الانتقام
وقد مكر الكفار الذين خلوا من قبلهم من قبل كفار مكة بانبيائهم وبالمؤمنين كما مكر هؤلاء وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بانه لا عبرة بمكرهم ولا تأثير بل لا وجود له في الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليله اعني قوله تعالى فلله المكر اي جنس المكر
جميعا لا وجود لمكرهم اصلا اذ هو عبارة عن ايصال المكروه الى الغير من حيث لا يشعر به وحيث كان جميع ما يأتون وما يذرون بعلم الله تعالى
وقدرته وانما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تأثير حسبما يبينه قوله عز وجل يعلم ما تكسب كل نفس ومن قضيته عصمة اوليائه
وعقاب الماكرين بهم توفية لكل نفس جزاء ما تكسبه ظهر ان ليس لمكرهم بالنسبة الى من مكروا بهم عين ولا اثر وان المكر كله لله تعالى
حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون او فلله المكر الذي باشروه جميعا لا لهم على معنى ان ذلك ليس
مكرا منهم بالانبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السيء الا باهله وسيعلم الكفار حين يقضي
بمقتضى علمه فيوفي كل نفس جزاء ما تكسبه لمن عقبى الدار اي العاقبة الحميدة من الفريقين وان جهلوا ذلك يومئذ وقيل السين لتاكيد
وقوع ذلك وعلمهم به حتما وقرئ سيعلم الكافر على ارادة الجنس والكافرون والكفر اي اهله وسيعلم الذين كفروا وسيعلم الذين على صيغة
المجهول من الاعلام اي سيخبر ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل قاله رؤساء اليهود وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة
كلمتهم الشنعاء تعجيبا منها او للدلالة على تجدد ذلك واستمراره منهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه قد اظهر على رسالتي
من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد آخر ومن عنده علم الكتاب اي علم القرآن وما عليه
من النظم المعجز او من هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته عليه السلام في كتبهم والآية مدنية بالاتفاق او من عنده
علم اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه اي كفى شاهدا بيننا بالذي يستحق العبادة فانه قد شحن كتابه بالدعوة الى عبادته وايدني بانواع
التاييد وبالذي يختص بعلم ما في اللوح من الاشياء الكائنة التي من جملتها رسالتي وقرئ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع
بالظرف المعتمد على الموصول او مبتدأ خبره الظرف وهو متعين على الثاني ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء للمفعول ورفع الكتاب

تباشير الصبح اوائله وكذلك اوائل كل شيء صح

المكر

حاق به اي احاط به

ارسالته

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل سحاب يكون إلى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله عز وجل والله أعلم بالصواب

سورة ابراهيم وهي اثنتان وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم

الر مر الكلام فيه في محله غير مرة وقوله تعالى كتاب خبره على تقدير كون الر مبتدأ والمبتدأ مضمر على تقدير كونه خبر المبتدأ محذوف أو مسرود على نمط التعديد ويجوز ان يكون خبرا ثانيا لهذا المبتدأ المحذوف وقوله تعالى انزلناه اليك صفة له وقوله تعالى لتخرج الناس متعلق بانزلناه اى لتخرجهم كافة بما في تضاعيفه من البينات الواضحة المفصحة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقائد الحقة وقرئ ليخرج الناس من الظلمات من العقائد الزيغ والضلال التي كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة الى النور الى الحق الذي هو نور بحت لكن لا كيف ما كان فانك لا تهدي من احببت بل باذن ربهم اى بتيسيره وتوفيقه وللايذان بكون ذلك منوطا بايجابهم الى الحق كما ينبئ عنه قوله تعالى ويهدي اليه من اناب استعير له الاذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود وأضيف الى ضميرهم اسم الرب المفصح عن التربية التي هي عبارة عن تبليغ الشيء الى كماله المنوط به وشمول الاذن بهذا المعنى للكل واضح وعليه يدور كون الانزال لاخراجهم جميعا وعدم تحقق الاذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرط المستند الى سوء اختيارهم غير مخل بذلك والباء متعلقة بتخرج او بمضمر وقع حالا من مفعوله اى ملتبسين باذن ربهم وجعله حالا من فاعله ايا ما اضافة الرب اليهم لا اليه وحيث كان الحق مع وضوحه في نفسه وايضاحه لغيره موصلا الى الله عز وجل واستعير له النور زيادة وتصريحا بما فيه قيل الى صراط العزيز الحميد على وجه الابدال بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم واصل البدال البيان بالاستعارة انما هو في الحقيقة لا في المجاز كما في قوله سبحانه حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وقيل هو استئناف مبني على سؤال نشأ كانه قيل الى اى نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضافة الصراط اليه تعالى لانه مقصده او المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الامن والعاقبة الحميدة الله بالجر عطف بيان للعزيز الحميد لجريانه مجرى الاعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود بالحق كما ينبئ عنه القراءة بالرفع على هو الله اى العزيز الحميد هو الله الذي اضيف اليه الصراط اى الله الذي له ملكا وملكا ما في السموات وما في الارض اى ما وجد فيهما داخلا فيهما او خارجا عنهما تمكنا فيهما كما مر في آية الكرسي فنبه على التوحيد بعد التنبيه على الكمال فخامة شان الصراط واظهار لتحتم سلوكه على الناس قاطبة وتجويز الرفع على الابتداء بجعل الموصول خبرا بمنزلة المنقول عن هذه الكلمة وقوله عز وجل وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور بالويل وهو نقيض الوائل وهو النجاة واصله النصب كسائر المصادر ثم رفع رفعها للدلالة على الثبات كسلام عليك من عذاب شديد متعلق بويل على معنى يولولون ويضجون منه قائلين يا ويلاه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون الحيوة الدنيا اى يؤثرونها استعمال من المحبة فان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من غيره ويصدون اى الحيوة الابدية الاخروية عن الناس سبيل الله التي بين شانها والاقتصار على الاضافة الى الاسم الجليل المنطوي على كل وصف جميل لزيادة الاقتصار وتهجين صده صدا وقرئ يصدون من اصد المنقول من صد صدودا اذا ذهب وهو غير فصيح كما وقف فان في صده ووقفه لمندوحة عن تكلف التعدي ويبغونها اى يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير اى يطلبون لها عوجا اى زيغا واعوجاجا وهو ابعد شيء من ذلك اى يقولون لمن يريدون صده واضلاله انها سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة ومحل الموصول بين الضلالات الجر على انه بدل من الكافرين او صفة له فيغير كما وصف من اوصافهم بازاء ما ينالهم من المعاذ المعتبرة في الصراط فالكفر المبني عن الستر بازاء كونه نورا واستحباب الحيوة الدنيا المفصح عن ذم وخامة العاقبة بمقابلة كون سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بازاء كونه مامونا وفيه من الدلالة على تمادیهم في الغي ما لا يخفى والنصب على الذم او الرفع

يولولون اى يكبرون الويل

على الابتداء

على الابتداء والخبر قوله تعالى اولئك في ضلال بعيد وعلى الاول جملة مستانفة وقعت معللة لما سبق من لحوق الويل
بهم تاكيدا لما اشعر به بناء الحكم على الموصول اي اولئك الموصوفون بالقبائح المذكورة من استحباب الحيوة الدنيا على الآخرة
وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج وهي منه بمعزل في ضلال عن طريق الحق بعيد بالغ في ذلك غاية الغايات
القاصية والبعد وان كان من احوال الضال الا انه قد وصف به وصفه مجازا للمبالغة كجد جده وداهية دهياء ويجوز ان يكون
المعنى في ضلال ذي بعد او فيه بعد فان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل بعيدا وفي جعل الضلال محيطا بهم احاطة
الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة وما ارسلنا اي في الامم الخالية من قبلك كما سيذكر اجمالا من رسول ملتبسا الا بلسان قومه
متكلما بلغة من ارسل اليهم من الامم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم ولا وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش وبلسن بضمتين
وبضمة وسكون كعمد وعمد ليبين لهم ما امروا به فيتلقوه منه بيسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة الى الترجمة ممن لم
وحيث لم يمكن مراعاة هذه القاعدة في سيدنا ادم لعموم بعثته الثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل
حسب تعدد السنة الامم ادعى الى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق ايدي التحريف اذ استقلال البعض من ذلك بالاعجاز
دون غيره مئنة لقدح القادحين واتفاق الجميع فيه امر قريب من الالجاء وحصل البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة
اتحاد النظم المنبئ عن العزة وجلالة الشان المستتبع لفوائد غنية عن البيان على ان الحاجة الى الترجمة تتضاعف عند التعدد اذ لا بد
لكل امة من معرفة توافق الكل وتحاذيه حذو النعل بالنعل من غير مخالفة ولو في فصلة فذة وانما يتم ذلك بمن يترجم عن الكل
واحدا او متعددا وفيه من التعذر ما لا يخفى الامتناع ثم لما كان اشرف الاقوام واولاهم بدعوة قومه الذين بعث فيهم
ولغتهم افضل اللغات نزل الكتاب المتين بلسان عربي مبين وانتشرت احكامه فيما بين الامم اجمعين وقيل الضمير
في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فانه تعالى انزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها جبريل او كل من نزل عليه من الانبياء بلغة
من نزل عليهم ويرده قوله تعالى ليبين لهم فانه ضمير القوم وظاهر ان جميع الكتب لم ينزل ليتبين العرب وفي رجعه الى قوم
كل نبي كانه قيل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قوم محمد صلى الله عليه وسلم ليبين الرسول لقومه الذين ارسل اليهم
ما لا يخفى من التكلف فيضل الله من يشاء اضلاله اي يخلق فيه الضلال لمباشرة اسبابه المؤدية اليه او يخذله ولا يلطف به
لما يعلم انه لا ينجع فيه الالطاف ويهدي بالتوفيق ومنح الالطاف من يشاء هدايته لما فيه من الانابة والاقبال
الى الحق والالتفات باسناد الفعلين الى الاسم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم شانهما وترشيح مناط كل منهما [illegible]
فصيحة مثلها في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق كانه قيل فبينوه لهم فاضل الله منهم من شاء اضلاله لما لا يليق الا به
وهدى من شاء هدايته لاستحقاقه لها والحذف للايذان بان مسارعة كل رسول الى ما امر به وجريان كل من اهل الخذلان
والهداية على سننه امر محقق غني عن الذكر والبيان والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد
والاستمرار حسب تجدد البيان من الرسل المتعاقبة وتقديم الاضلال على الهداية اما لانه ابقاء ما كان والهداية انشاء ما لم يكن
او للمبالغة في بيان ان لا تاثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل وان مدار الامر انما هو مشيته تعالى بايهام ان ترتب الضلالة
على ذلك اسرع من ترتب الاهتداء وهذا محقق لما سلف من تقييد الاخراج من الظلمات الى النور باذن ربهم عز شانه
وهو العزيز فلا يغالب في مشيته الحكيم الذي لا يفعل شيئا من الاضلال والهداية الا لحكمة بالغة وفيه ان ما فوض الى الرسل
انما هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق واما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
ولقد ارسلنا موسى شروع في تفصيل ما اجمل في قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الخ باياتنا اي ملتبسا بها
وهي معجزاته التي اظهرها لبني اسرائيل ان اخرج بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول او بان اخرج كما في قوله تعالى

به
اليه
اي بالاضطرار

وان اقم وجهك فان صيغ الافعال في الدلالة على المصدر سواء وهو المدار في صحة الوصل والمراد بذلك اخراج بني اسرائيل بعد مهلك
فرعون من الظلمات من الكفر والجهالات التي اداهم الى ان يقولوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة الى النور الايمان
بالله وتوحيده وسائر ما امروا به وذكرهم بايام الله اي بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله تع واذكروا نعمة الله عليكم لكن لا بما جرى
عليهم فقط بل عليهم وعلى من قبلهم من الامم في الايام الخالية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم الايات او بايامه
المنظومة على ذلك كما يلوح به قوله تع اذ انجاكم والالتفات من التكلم الى الغيبة باضافة الايام الى الاسم الجليل للايذان بفخامة شانها
والاشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطبين قومه كما يوهمه الاضافة الى ضمير المتكلم اي عظهم بالترغيب والترهيب والوعد
والوعيد وقيل ايام الله وقائعه التي وقعت على الامم قبلهم وايام للحرب وقائعها ووقوعها وملاحمها اي انذرهم وقائعه التي
وهنت الامم الدارجة ويؤيده ما تصدى له عم بصدد الامتثال من التذكير بكل من السراء والضراء مما جرى عليهم وعلى غيرهم حتما
عليك ان في ذلك اي في التذكير بها او في مجموع تلك النعماء والبلاء او في ايامها لايات عظيمة او كثيرة دالة على وحدانية الله تع
وقدرته وعلمه وحكمته فهي على الاول عبارة عن الايام سواء اريد بها انفسها او ما فيها من النعماء والبلاء ومعنى ظرفية التذكير لها
كونه مناطا لظهورها وعلى الثالث عن ملاك النعماء والبلاء ومعنى الظرفية ظاهر واما على الثاني ففي كل واحدة من تلك النعماء والبلاء
والاشارة اليه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع او كلية في بجزئية مثلها اذ قوله تع لهم فيها دار الخلد لكل صبار على بلائه شكور
لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتعبير عنهم بذلك للاشعار بان الصبر والشكر عنوان المؤمن اي لكل من يليق بكمال الصبر والشكر
او الايمان ويصيره اليها لا لمن اتصف بهما بالفعل لانه تعليل للامر بالتذكير المذكور السابق على التذكر المؤدي الى تلك المرتبة
فان من تذكر ما فاض او نزل عليه او على من قبله من البلاء ومن النعماء وتنبه لعاقبة الشكر والصبر والايمان لا يكاد يغادرهما
وتخصيص الايات بهم لانهم المنتفعون بها لانها حافية عن غيرهم فان التبيين حاصل بالنسبة الى الكل وتقديم الصبار على الشكور
لتقدم متعلق الصبر اعني البلاء على مطلق الشكر اعني النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر واذ قال موسى لقومه شروع في بيانه
تصديه عم لما امر به من التذكير للاخراج المذكور واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه السلام وتعليق الامر بالوقت
مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره غير مرة اي اذكرهم وقت قوله عم لقومه اذكروا نعمة الله عليكم تبدئ
عم بالترغيب لانه عند النفس اقبل وهي اليها اميل والظرف متعلق بنفس النعمة ان جعلت مصدرا او بالمحذوف وقع حالا منها
ان جعلت اسما اي اذكروا النعامة عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم وكذا كلمة اذ في قوله تع اذ انجاكم من آل فرعون
اي اذكروا انعامه عليكم وقت انجائه اياكم من آل فرعون او اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائه منهم او بدل اشتمال
من نعمة الله مرادا بها الانعام والعطية يسومونكم يبغونكم من ساموه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب
في طلب الشيء سوء العذاب السوء مصدر ساء يسوء والمراد به جنس العذاب السيئ او استعبادهم واستعمالهم في
الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحم ونصبه على انه مفعول ليسومونكم ويذبحون ابناءكم المولودين وانما عطفه
على يسومونكم اخراجا له عن مرتبة العذاب المعتاد وانما فعلوا ذلك لان فرعون راى في المنام او قال له الكهنة انه سيولد من
من يذهب بملكه فاجتهد وافي ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله تعالى شيئا ويستحيون نساءكم اي يبقونهن في الحيوة
مع الذل والصغار وكذلك عد من جملة البلاء والجمل احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين او منهما جميعا لان فيها
ضمير كل منهما وفي ذلكم اي فيما ذكر من افعالهم الفظيعة بلاء اي ابتلاء منه لان البلاء عن تلك الافعال اللهم
الا ان يجعل في بجزئية فنسبته الا الله تعالى انما من حيث الخلق او الاقدار والتمكين من ربكم عظيم لا يطاق ويجوز
ان يكون المشار اليه الانجاء من ذلك البلاء والابتلاء بالنعمة وهو الانسب كما يلوح به التعرض لوصف الربوبية وعلى الاول

وهو كونه اشارة الى مجموع النعماء

الاول

يكون

يكون ذلك باعتبار المآل الذي هو الانجاء او باعتبار ان بلاء المؤمنين من رسله وإذ تأذن ربكم من جملة مقال موسى عم
لقومه معطوف على نعمة الله عليكم اي اذكروا حين تأذن ربكم اي آذن ايذاناً بليغاً لا تبقى معه شائبة شبهة لما في صيغة التفعل من معنى
التكلف المحمول في حقه سبحانه على غايته التي هي الكمال وقيل هو معطوف على قوله تعالى اذ انجاكم اي اذكروا نعمة الله في هذين الوقتين فان هذا
التأذن ايضاً نعمة من الله تعالى عليهم ينالون بها خيري الدنيا والآخرة وفي قراءة ابن مسعود رضه واذ قال ربكم ولقد ذكرهم عم اولاً بنعماء
عليهم صريحاً وضمنه تذكير ما اصابهم قبل ذلك من الضراء ثم امرهم ثانياً بتذكير ما جرى سبحانه من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب
على تقدير الكفر والمراد بتذكير الاوقات تذكير ما وقع فيها من الحوادث مفصلة اذ هي محيطة بذلك فاذا ذكرت ذكر ما فيها كأنه مشاهد معاين
لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك من النعم والآلاء الفائتة للحصر وقابلتموه بالايمان والطاعة
لأزيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ذلك وغمطتموه إن عذابي لشديد فعسى يصيبكم ما يصيبكم ومن عادة الكرام
التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظنك بأكرم الاكرمين ويجوز ان يكون المذكور تعليلاً للجواب المحذوف اي لأعذبنكم واللام في الاول
موطئة للقسم وكل من الجوابين ساد مسد جوابي الشرط والقسم والجملة اما مفعول لتأذن لانه ضرب من القول او القول مقدر بعده
كأنه قيل واذ تأذن ربكم فقال إن تكفروا نعمه تع ولم تشكروها أنتم يا بني اسرائيل ومن في الارض من الخلائق
جميعاً فإن الله لغني عن شكركم وشكر غيركم حميد مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما يوجبه من اياديه وان لم يحمده احد او محمود
تحمده الملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده والحمد حيث كان بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل كان دالاً على كماله سبحانه وهو
تعليل لما حذف من جواب ان اي ان تكفروا لم يرجع وباله الا عليكم فان الله تعالى لغني عن شكر الشاكرين ولعله عم انما قاله عندما عاين
منهم دلائل العناد ومخايل الاصرار على الكفر والفساد وتيقن انه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض بالترهيب او قاله غب تذكيرهم
بما ذكر من قول الله عز سلطانه تحقيقاً لمضمونه وتحذيراً لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب بتذكير ما جرى على الامم الخالية فقال ألم يأتكم
نبأ الذين من قبلكم لتتدبروا ما اصاب كل واحد من حزبي المؤمن والكافر فتقلعوا عما انتم عليه من الشر وتنيبوا الى الله تع وقيل
هو ابتداء كلام من الله سبحانه خطاباً للكفرة في عهد النبي عم فيختص تذكير موسى عم بما اختص ببني اسرائيل من السراء والضراء والايام
بالايام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد وايضاً لا يظهر حينئذ وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي عم بما اصاب اولئك
المعدودين مع ان غيرهم اسوة لهم في الخلو قبل هؤلاء قوم نوح بدل من الموصول او عطف بيان وعاد وثمود معطوف على قوم نوح
والذين من بعدهم اي من بعد هؤلاء المذكورين عطف على قوم نوح وما عطف عليه وقوله تعالى لا يعلمهم إلا الله اعتراض او الموصول
مبتدأ ولا يعلمهم الخ خبره والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله سبحانه وعن ابن عباس رضه ما بين عدنان
واسمعيل ثلاثون اباً لا يعرفون وكان ابن مسعود رضه اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله تعالى
علمها عن العباد جاءتهم رسلهم استئناف لبيان نبأهم بالبينات بالمعجزات الظاهرة والبينات الباهرة فبين كل رسول لامته
طريق الحق وهداهم اليه ليخرجهم من الظلمات الى النور فردوا أيديهم في أفواههم مشيرين بذلك الى السنتهم وما يصدر عنها من المقالة
اعتناء منهم بشأنها وتنبيهاً للرسل على تلقيها والمحافظة عليها واقناطاً لهم عن التصديق والايمان باعلام ان لا جواب لهم سواه وقالوا إنا كفرنا
بما أرسلتم به اي على زعمكم وهي البينات التي اظهروها حجة على صحة رسالاتهم او عضوها غيظاً وضجراً مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم
الانامل من الغيظ او وضعوها عليها ضحكاً منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك او اسكتوا الانبياء واشاروا اليهم باطباق الافواه او ردوها في افواه
الانبياء عليهم السلام يمنعونهم من التكلم تحقيقاً او تمثيلاً او جعلوا ايدي الانبياء في افواههم تعجباً من عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه
تعجيبهم بقولهم أفي الله شك الخ وقيل الايدي بمعنى الايادي عبر بها عن مواعظهم ونصائحهم وشرائعهم التي هي مدار النعم الدينية والدنياوية
لانهم لما كذبوه فلم يقبلوها فكأنهم ردوها الى حيث جاءت منه وإنا لفي شك عظيم مما تدعوننا إليه من الايمان بالله والتوحيد

فلا بناف شكهم فى ذلك كفرهم القطعى بما ارسل به الرسل من البينات فانهم كفروا بها قطعا حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات
ولذلك قالوا فاتونا بسلطان مبين وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع فى الريبة من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة من اراب الرجل اذا صار ذا ابل
وعدم اطمئنانها بالشئ قالت رسلهم استئناف مبنى على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فاذا قالت لهم رسلهم فاجيب بانهم قالوا
منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم الحمقاء أفى الله شك بادخال همزة على الظرف للايذان بان مدار الانكار ليس نفس الشك
بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك اصلا متفادين عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بان يقولوا انتم فى شك مريب فى الله توبيخا مبالغة
فى تنزيه ساحة التيقن عن شائبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة العقول اى افى شانه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب الايمان به وحده
شك ما وهو اظهر من كل ظاهر واجلى من كل جلى حتى تكونوا من قبله فى شك مريب وحيث كان مقصدهم الاقصى الدعوة الى الايمان
والتوحيد وكان اظهر البينات وسيلة الى ذلك لم يتعرضوا للجواب بنحو قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به واقتصروا على بيان ما هو الغاية القصوى
ثم عقبوا ذلك الانكار بما يوجبه من الشواهد الدالة على انتفاء المنكر فقالوا فاطر السموات والارض اى مبدعهما وما فيهما من المصنوعات
على نظام ابدع شاهد بتحقق ما انتم منه فى شك وهو صفة للاسم الجليل او بدل منه وشك مرتفع بالظرف لاعتماده على الاستفهام وجعله
مبتدأ على ان الظرف خبره يفضى الى الفصل بين الموصوف والظرف بالاجنبى اعنى المبتدأ والفاعل الذى هو اجنبى من رافعه وقد جوز ذلك ايضا
يدعوكم الى الايمان بارساله اياينا لا انا ندعوكم اليه من تلقاء انفسنا كما يوهمه قولكم تما تدعونا اليه لنغفر لكم بسببه او يدعوكم لاجل
المغفرة كقولك دعوته ليأكل معى من ذنوبكم اى بعضها وهو ما عدا المظالم فما بينهم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه قيل
هكذا وقع فى جميع القرآن فى وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك لان المغفرة حيث جاءت فى خطاب الكفرة
رتبة على محض الايمان وشان المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصى ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم وقيل
المعنى ليغفر لكم بدل ما فى ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله تعالى وجعله منتهى اعماركم على تقدير الايمان قالوا
استئناف كما سبق ان انتم اى ما انتم الا بشر من غير فضيلة توهلكم لما تدعونه من النبوة مثلنا صفة ثانية لبشر جيء
على المعنى كقولك ما جاءنى من احد بل رجلان او كلام مستانف اى تريدون لا تقصدون له من الدعوة والارشاد تريدون ان تصدونا
بتخصيص العبادة بالله سبحانه عما كان يعبد آباؤنا اى عن عبادة ما استمر آباؤنا على عبادته من غير شئ يوجبه فاتونا بسلطان
اى ان لم يكن الامر كما قلنا بل كنتم رسلا من جهة الله تعالى كما تدعون فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة
او على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبده آباءنا جيلا بعد جيل ولقد كانوا اتوهم من الآيات الظاهرة والبينات الباهرة ما تخر له الجبال
ولكنهم انما يقولون من العظائم مكابرة وعنادا او امارة لمن وراءهم ان ذلك ليس من جنس ما يطلق عليه السلطان المبين قالت لهم
رسلهم ان نحن مجاراة معهم فى اقل مقالتهم وانما قيل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث اريد الزامهم بخلاف ما سلف من انكار وقوع
الشك فى الله سبحانه فان ذلك عام وان اختص بهم ما يعقبه الا بشر مثلكم كما تقولون ولكن الله يمن على من يشاء
من عباده يعنون ان ذلك عطية من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير داعية توجبه قالوه
تواضعا وهضما للنفس وما نحن من الملكة بل نحن مشاركم فى الصورة اوفى الدخول تحت الجنس ولكن الله تعالى يمن بالفضائل والكمالات
على من يشاء من عباده التى مبادئها ومايشاء ذلك الا لعلمه باستعدادها لتلك الفضائل والكمالات والاستعدادات التى تدور عليها تلك الاصطفاء للنبوة
وما كان اى وما صح وما استقام لنا ان نأتيكم بسلطان اى بحجة من الحج فضلا عن السلطان المبين بشئ من الاشياء وسبب من الاسباب
الا باذن الله فانه امر يتعلق بمشيته تعالى ان شاء كان والا فلا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا فليتوكل المؤمنون
امر منهم للمؤمنين بالتوكل ومقصودهم حمل انفسهم عليه اثر ذى اثير الا يرى الى قوله عز وجل وما لنا الا نتوكل على الله اى فى ان لا
عليه والاظهار لاظهار النشاط بالتوكل عليه والاستلذاذ بذكر اسمه تع وتعليل التوكل وقد هدانا اى والحال انه قد فصل بنا

نتوكل

مايوجبه ويستدعيه حيث هدانا سبلنا اى ارشد كلاً منا سبيله ومنهاجه الذى شرع له واوجب عليه سلوكه فى الدين وحيث كانت
اذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح فى التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسمى مظهرين لكمال العزيمة ولنصبرن على ما
آذيتمونا بالعناد واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا خير فيه وعلى الله خاصة فليتوكل المتوكلون اى فليثبت المتوكلون على ما احدثوه
من التوكل والمراد ماهو المراد مما سبق من ايجاب التوكل على انفسهم والمراد بالمتوكلين المؤمنون والتعبير عنهم بذلك لسبق ذكر اتصافهم عليه
فليتوكل من يتوكل دون غيره وقال الذين كفروا لرسلهم لعل هؤلاء القائلين بعض المتمردين الغالين فى الكفر من اولئك
الامم الكافرة التى نقلت مقالاتهم الشنيعة دون جميعهم كقوم شعيب واضرابهم ولذلك لم يقل وقالوا لنخرجنكم من ارضنا
او لتعودن فى ملتنا لم يقتنعوا بعصيانهم الرسل ومعاندتهم الحق بعدما راوا البينات الفائتة للحصر حتى اجترؤا على مثل هاتيك العظيمة
التى لا يكاد يحيط بها دائرة الامكان فحلفوا على ان يكون احد الحالين والعود اما بمعنى مطلق الصيرورة او باعتبار تغليب المؤمنين
على الرسل وقد مر فى الاعراف وسيأتى فى الكهف فاوحى اليهم اى الى الرسل ربهم مالك امرهم عند تناهى كفر الكفرة وبلوغهم من العتو
الى غاية لا مطمع بعدها فى ايمانهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول او على اجراء الايحاء مجراه لكونه ضربا منه ولنسكننكم الارض
اى ارضهم وديارهم عقوبة لهم بقولهم لنخرجنكم من ارضنا واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها الخ
من بعدهم اى من بعد اهلاكهم وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا للايحاء كقولهم حلف زيد ليخرجن غدا ذلك اشارة الى الموحى
وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اى ذلك الامر محقق ثابت لمن خاف مقامى موقفى وهو الموقف الذى يقف فيه
العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامى عليه وحفظى لاعماله وقيل لفظ المقام مقحم وخاف وعيد وعيدى بالعذاب
او عذابى الموعود للكفار والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا اى استنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح او استحكموا وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهى الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وبهلاك المبطل
وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن الظالمين اى اوحى اليهم ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب اى خسر
وهلك كل جبار عنيد متصف بضد ما اتصف به المتقون اى فنصروا عند استفتاحهم وظفروا بما سألوا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد
وهم قومهم المعاندون فالخيبة بمعنى مطلق الحرمان من المطلوب او ذلك باعتبار انهم كانوا يزعمون انهم على الحق واستفتح الكفار على الرسل وظنوا
ولم يفلحوا وانما قيل وخاب كل جبار عنيد ذما لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد لا ان بعضهم ليسوا كذلك وانه لم تصبهم الخيبة
او استفتحوا جميعا فنصر الرسل وانجز لهم الوعد وخاب كل عات متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان عن المطلوب وفى اسناد الخيبة الى كل منهم ما لا يخفى
من المبالغة من ورائه جهنم اى بين يديه فانه مرصد لها واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الآخرة وقيل من وراء حياته
وحقيقته ما توارى عنك ويسقى معطوف على مقدر جوابا عن سؤال سائل كانه قيل فماذا يكون اذن فقيل يلقى فيها ويسقى من ماء
مخصوص لا كالمياه المعهودة صديد اى قيح ودم مختلط بمدة يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من اجساد اهل النار وهو
عطف بيان لماء ابهم اولا ثم بين بالصديد تهويلا لامره وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على انه من اشد انواعه يتجرعه
هو صفة لماء او حال منه والاظهر انه استئناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا يفعل به فقيل يتجرعه اى يتكلف جرعه مرة
بعد اخرى لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه ولا يكاد يسيغه اى لا يقارب ان يسيغه فضلا عن الاساغة بل يغص به فيشربه
بعد اللتيا والتى جرعة غب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش واخرى بشربه على تلك الحال فان السوغ انحدار الشراب فى الحلق بسهولة
وقبول نفس ونفيه لا يوجب نفى ما ذكر جميعا وقيل لا يكاد يدخله فى جوفه وعبر عنه بالاساغة لما انها المعهودة فى الاشربة وهو حال
من فاعل يتجرعه او من مفعوله او منهما جميعا ويأتيه الموت اى اسبابه من الشدائد من كل مكان ويحيط به من جميع الجهات او من كل
مكان من جسده حتى اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت اى والحال انه ليس بميت كما هو الظاهر من جميع اسبابه لا يتما

من جميع الجهات حتى لا يتألم باغته من اصناف الموبقات ومن ورائه من بين يديه عذاب غليظ يستقبل كل وقت عذابا اشد وأشق
مما كان قبله فغيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كذا عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في النار وقيل هو حبس الأنفاس وقيل
المراد بالاستفتاح والخيبة استفتاح اهل مكة في سنيهم التي ارسلها الله تع عليهم برعوتة نبيهم وضيقتهم في ذلك وقد وعدهم بدل ذلك صلبد
اهل النار مثل الذين كفروا بربهم اى صفتهم وحالهم العجيبة الشان التي هي كالمثل في الغرابة وهو مبتدا خبره قوله تع اعمالهم كرماد
كقولك صفة زيد عرضه مهتوك وماله منهوب وهو استئناف مبني على سؤال من قال ما بال اعمالهم التي عملوها في وجوه البر من صلة الارحام
واعتاق الرقاب وفداء الاسارى واغاثة الملهوفين وقرى الأضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل امرهم الى هذا المآل فاجيب
بان ذلك كرماد اشتدت به الريح حملته واعرت الذهاب به في يوم عاصف العصف اشتداد الريح ووصف به زمانها مبالغة
كقولك ليلة ساكرة وانما التكوير شبهت صنائعهم المعهودة لا بتنائها على غير اساس من معرفة الله تع والايمان به والتوجه بها اليه تع برماد
طرحته الريح العاصفة او استئناف مسوق لبيان اعمالهم جملة مستأنفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كيت وكيت سواء
اريد بها صنائعهم واعمالهم لاصنامهم وقيل اعمالهم بدل من مثل الذين وقوله كرماد خبره لا يقدرون اى يوم القيمة على شيء
من ذلك الاعمال ذلك اى ما لا يرون له اثرا من ثواب او تخفيف عذاب كذا ب الرماد المذكور وهو فذلكة التمثيل والاكتفاء ببيان
عدم رؤية الاثر لاعمالهم للاصنام مع ان لها عقوبات هائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم وزعمهم انها شفعاء لهم عند الله تع وفيه تهكم بهم هو
اى ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم انهم على شيء الضلال البعيد عن طريق الحق والصواب اولم تر
خطاب للرسول عليه السلام والمراد به امته وقيل لكل احد من الكوة لقوله تع يذهبكم والرؤية رؤية القلب وقوله تع
ان الله خلق السموات
والارض ساد مسد مفعوليها اى الم تعلم انه تع خلقها بالحق ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق ان يخلق عليه وقرئ خالق السموات
والارض ان يشأ يذهبكم بعدكم بالمرة ويأت بخلق جديد اى يخلق بدلكم خلقا آخر مستانفا لا علاقة بينكم وبينهم رتب
قدرته تع على ذلك على قدرته تع على خلق السموات والارض على هذا النمط البديع ارشادا الى طريق الاستدلال فان من قدر على خلق مثل
تانيك الاجرام العظيمة كان على تبدل خلق آخر بهم اقدر ولذلك قال وما ذلك اى اذهابكم والاتيان بخلق جديد مكانكم على الله بعزيز
اى بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه حقيق بان يؤمن به ويرجى ثوابه
ويخشى عقابه وبرزوا لله جميعا اى يبرزون يوم القيمة واثبار صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله تع ونادى اصحاب الجنة
اصحاب النار اولانه لا مفر ولا استقبال بالنسبة اليه سبحانه والمراد ببروزهم من قبورهم للحساب او لله تع ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم
كانوا يظنون عند ارتكابهم الفواحش سرا انها تخفى على الله سبحانه فلما كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم فقال الضعفاء للاتباع
جمع ضعيف والمراد ضعف الرأى وانما كتب بالواو على لغط من يفخم الالف قبل الهمزة للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم
واستغووهم انا كنا في الدنيا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغيب في جمع غائب او مصدر
لغب مبالغة او على اضمار ذوى اى ذوى تبع فهل انتم مغنون دافعون عنا والفاء للدلالة على سببية الاتباع للاغناء والمراد التوبيخ
والتقريع والتكبيت من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض اى بعض شيء هو
عذاب الله والاعراب كما سبق ويجوز ان يكون الاول مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون عنا بعض العذاب بعض الاغناء ويؤيد
الاول قوله تع فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قالوا اى المستكبرون جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم
لو هدانا الله اى للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا باختياركم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله
طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنينا عنكم كما عرضتم له ولكن سددونا طريق الخلاص ولات حين مناص سواء علينا الجزع منا
مما لقينا ام صبرنا على ذلك اى مستو علينا الجزع والصبر في عدم الانجاء والهمزة في ام لتاكيد التسوية كما في قوله تع سواء عليهم

عاندتهم ام لم تنذرهم وانما اسندوها ونسبوا استواءها الى ضمير المتكلم المنتظم للمخاطبين ايضا مبالغة في النهي عن التوبيخ باعلام انهم شركاءهم فيما ابتلوا به وتسلية لهم ويجوز ان يكون قوله سواء علينا الخ من كلام الفريقين على منوال قوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه وبوبتم مارووا انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان ان لا جدوى في ذلك فقالوا ما لنا من محيص من محاص الحمار اذا عدل بالفرار وهو اما اسم مكان كالمبيت والمصيف او مصدر كالمغيب والمشيب وهي جملة معتبرة لاجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة او بدل اشتمال منه وقال الشيطان الذي اضل كلا الفريقين واستتبعهما عند ما عتبا بما قاله الاتباع للمستكبرين لما قضي الامر اي حكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا فيه تجهيل الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق اي وعدا من حقه ان ينجز فانجزه او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم اي وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب ولئن كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يصح ببطلانه لما دل عليه قوله فاخلفتكم اي هو عدي على حذف المفعول الثاني اي نقضته جعل خلف وعدي كالاخلاف منه كانه كان قادرا على انجازه وانه لذلك وما كان لي عليكم من سلطان اي تسلط او حجة تدل على صدق ما دعوتكم الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليه وتسويلي مهدوا ان لم يكن من باب السلطان لكنه ابرزه في معرزه على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع مبالغة في نفي السلطان كانه قال انما يكون لي عليكم سلطان افاكان مجرد الدعاء من مايه ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي فاسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوعيدي اياكم حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر والالجاء كما يدل عليه الفاء ويؤيده بالياء على وجه الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم حيث استجبتم لي باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجرد تزيين وتسويل ولم يستجيبوا لكم اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج وليس مراده التنصل عن توجه اللائمة اليه بالمرة بل بيان انهم احق بها منه وليس فيه دلالة على استقلال العبد بافعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي في ذلك ان يكون لقدرته الكاسبة التي عليها يدور فلك التكليف مدخل فيه فانه سبحانه انما خلق افعاله عند اختياره وعليه يترتب السعادة والشقاوة وما قيل من انه يستدعي ان يقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه مبني على عدم الفرق بين مذهب اهل الحق وبين مسلك الجبرية ما انا بمصرخكم اي بمغيثكم مما انتم فيه من العذاب وما انتم بمصرخي مما انا فيه وانما تعرض لذلك مع انه لم يكن في حيز الاضمار مبالغة في بيان عدم اصراخه اياهم وانبأ انا بانه ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج الى الاصراخ فكيف من اصراخ الغير ولذلك آثر الجملة الاسمية فكان ما مضى كان جوابا منه عن توبيخهم وتقريعهم وهذا جواب عن استغاثتهم واستعانتهم به في استدفاع ما وقعوا فيه من العذاب وقرئ بكسر الياء اني كفرت اليوم بما اشركتمون من قبل اي باشراكم اياي بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم بمعنى ان فعل اشراكهم بالله سبحانه هو الذي يطمعهم في نصرتي لكم بان كان لكم علي حق حيث جعلتموني معبودا وكنت اود ذلك وارغب فيه فاليوم كفرت بذلك ولم اعده وقيل من قبل منكم بل تبرأت منه ومنكم فلم يبق بيني وبينكم علاقة او كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي اشركتموني به وهو الله عز وجل كما ان قوله سبحانه بمنزل من الاغاثة سواء كان ذلك بالمدافعة او الشفاعة وما صلة تعليلا لعدم اصراخهم اياه فلا وجه له اذ لا اشكال يحتاج الى التعليل ولان تعليل عدم اصراخهم بكفره بهم انما يتم بسبيل من ذلك لو لا المانع من جهته ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من جهته الله عز وجل وفي حكايته امتثال اللطف الملك معين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم اي بامره او بتوفيقه وهدايته والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار مزيد اللطف بهم والمدخلون هم الملائكة عليهم السلام وقرئ على صيغة التكلم فتكون قوله تعالى باذن ربهم متعلقا بقوله تعالى تحيتهم فيها سلام اي يحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر الخطاب للرسول عليه السلام

وقد علق بما بعده من قوله تعالى كيف ضرب الله مثلا اى كيف اعتمد ووضعه فى موضعه اللائق به كلمة طيبة منصوب بضمن اى جعل
كلمة طيبة هى كلمة التوحيد او كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة كشجرة طيبة اى حكم بانها مثلها
لانه تعالى حيث ما مثلها فى الخارج وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرفا لامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان يكون كلمة بدلا
من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدإ محذوف اى هى كشجرة وان يكون اول مفعولى ضرب اجراء له مجرى جعل قد اقر عن ثانيهما اعنى مثلا
لئلا يبعد عن صفته التى هى كشجرة وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت اى ضارب لعروقه فى الارض وقرا انس بن مالك
كشجرة طيبة ثابت اصلها وقراءة الجماعة اقوى سبكا وانسب بقرينة اعنى قوله تعالى وفرعها اى اعلاها فى السماء من جهة العلو
ويجوز ان يراد فروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع توتى ثمرها كل حين وقته الله تعالى لاثمارها باذن ربها
بارادته خالقها والمراد بالشجرة المنعوتة اما النخلة كما روى مرفوعا او شجرة فى الجملة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون
لان فى ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعانى بصور المحسوسات ومثل كلمة خبيثة اى كلمة الكفر والدعاء اليه او كل مذهب الحق
او كما يعم الكفر او كل كلمة قبيحة كشجرة خبيثة اى كمثل شجرة خبيثة قيل اى كل شجرة لا يطيب ثمرها كالحنظل والكشوث ونحوهما
وتغيير الاسلوب للايذان بان ذلك غير مقصود بالضرب والبيان وانما ذلك امر ظاهر يوقف عليه كل احد اجتثت استوصلت واخذت
جثتها بالكلية من فوق الارض لكون عروقها قريبة منها ما لها من قرار استقرار عليها يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن فى قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التى ذكرت صفتها العجيبة فى الحياة الدنيا وفى الآخرة
فلا يزالون عنه اذا افتتنوا فى دينهم كذكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنهم صحابة الاخدود ويضل الله الظالمين فلا يثبتون
اذا سئلوا من معتصدهم فى الموقف ولا يدرى بهم اهوال القيمة او عند سؤال القبر روى انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد
روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى
محمد عليه الصلوة والسلام فينادى منادٍ من السماء انه صدق عبدى فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
وهذا مثال لاثناء الشجرة المذكورة اكلها حين قال الثعلبى فى تفسيره اخبرنى ابو القاسم بن حبيب فى سنة ست وثمانين وثلثمائة
قال سمعت ابا الطيب محمد بن على الخياط يقول سمعت سهل بن عمار العملى يقول رايت يزيد بن هرون فى منامى بعد موته فقلت
ما فعل الله بك قال اتانى فى قبرى ملكان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك فاخذت بلحيتى البيضاء فقلت المثلى
يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا ويفعل الله ما يشاء اى يخلى فيهم الضلال عن الحق الذى ثبت المؤمنين
عليه حسب ارادتهم واختيارهم والمراد بهم الكفرة بدليل ما يقابله ووصفهم بالظلم اما باعتبار وضعهم الشىء فى غير موضعه واما باعتبار ظلمهم
لانفسهم حيث بدلوا فطرة الله التى فطر الناس عليها فلم يهتدوا الى القول الثابت او كل من ظلم نفسه بالاقتصار على التقليد والاعراض
عن البينات الواضحة فلا تثبت فى مواقف الفتن ولا يهتدى الى الحق فالمراد بالذين آمنوا اخ المخلصون فى الايمان اثر الرسوخ فى الايقان
كما ينبئ عنه التثبيت لكنه يوهم كون كلمة التوحيد اذا كان لا عن ايقان داخلة تحت ما لا قرار له من الشجرة المفروبة مثلا الم تر الى الذين
بدلوا تثبيت بعض واضلال آخرين مما يوجبه مشيئته التابعة للحكم البالغة المقتضية لذلك وفى اظهار الاسم الجليل فى الموضعين
من التفخيم وتربية المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الايذان بالتفاوت فى مبدإ التثبيت والاضلال فان مبدإ صدور كل منهما
عنه سبحانه وتعالى من صفات العلى غير ما هو مبدإ صدور الآخر الم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد مما صنع الكفرة
من الاباطيل التى لا تكاد تصدر عمن له ادنى ادراك اى الم تنظر الى الذين بدلوا نعمة الله اى شكر نعمة الله بان وضعوا موضعه
كفرا عظيما وغطاها او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروا اسلبوا ما فى حيزها كفرا كاهل مكة حين خلفهم الله سبحانه
واسكنهم حرمه الآمن الذى يجبى اليه ثمرات كل شىء وجعلهم قوام بيته وشرفهم لمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين

وقتلوا واسروا يوم بدر فصاروا اذلاء مسلوبي النعمة باقين بالكفر بدلها وعن عمر وعلي رضه الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية
اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين كأنهما يأولان ما يتلى من قوله عز وجل قل تمتعوا الخ واحلوا
اي انزلوا قومهم بارشادهم اياهم الى طريقة الشرك والضلال وعدم التعرض لحلولهم لدلالة الاحلال عليه اذ هو فرع الحلول كقوله
يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار دار البوار دار الهلاك الذي لا اهلاك وراءه جهنم عطف بيان لها وفي الابهام ثم البيان
ما لا يخفى يصلونها حال منها او من قومهم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او استئناف لبيان كيفية الحلول او مفسر لفعل مقدر ناصب
لجهنم فالمراد بالاحلال المذكور تعريضهم للهلاك بالقتل والاسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار انسب بالتفسير الاول
وبئس القرار على حذف المخصوص بالذم اي بئس المقر جهنم او بئس القرار قرارهم فيها وفيه بيان ان حلولهم وصليهم على وجه
الدوام والاستمرار وجعلوا عطف على احلوا او تعطف عليه داخل معه في حيز الصلة وحكم التعجب اي جعلوا في اعتقادهم وحكمهم لله
الفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء وهو الواحد القهار اندادا اشباها في التسمية او في العبادة ليضلوا قومهم الذين
يشايعونهم حسبما ضلوا عن سبيله القويم الذي هو التوحيد ويوقعوهم في ورطة الكفر والضلال وفي تغيير الترتيب مع ان مقتضى
ظاهر النظم ان يذكر كفرانهم نعمة الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الانداد ثم اضلالهم لقومهم المؤدي الى احلالهم دار البوار
واتخاذ الانداد للاضلال او بمقتضى العجب وفي توسيق النظم على نسق الوجود لزيادة التعجب من مجموع القبائح ما لا يخفى
البقرة وقرئ ليضلوا بالفتح واياما كان فليس ذلك غرضا حقيقيا لهم من اتخاذ الانداد لكن لما كان ذلك نتيجة له
شبه بالغرض وادخل عليه بطريق الاستعارة التبعية قل تمتعوا تهديدا لاولئك الضالين المضلين ونعيا عليهم الدنيا
بانهم لشدة ابائهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك بحال اعتقاد بان يترك فيهم صفحا ويطوى عنهم
عنان العظة ويخلوا وشانهم ولا ينهوا عنه بل يعبا بشرته مبالغة في التخلية والخذلان ومسارعة الى بيان عاقبة الوخيمة
ويقال لهم فان مصيركم بما انتم عليه من الشهوات التي من جملتها كفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة
الاصنام الى النار ليس الا فلا بد لكم من تعاطي ما يوجب ذلك ويقتضيه من احوالكم بل هي في الحقيقة صورة فلا هو
ومثال الحال ما يلوح به قوله سبحانه واحلوا قومهم دار البوار الخ فهو تعليل للامر المأمور وفيه من التهديد الشديد والوعيد
الاكيد ما لا يوصف او قيل لهم بتصويرهم وتعبيرا عما يلجئهم الى ذلك تمتعوا ايذانا بانهم لفرط انغماسهم في التمتع بما هم فيه
من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم مأمورون بذلك من قبل آمر الشهوة مذعنون لحكمه منقادون لامره كذاب
مأمور ساع في طاعته او مطاع فليس قوله تعالى فان مصيركم الى النار تعليلا للامر بل هو جواب شرط ينسحب عليه الكلام
كأنه قيل هذه حالكم فان قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة اليه تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لوظائف العبودية الموفون بحقوقها
وترك العطف بين الامرين للايذان بتباين حالهما باعتبار المقول تهديدا وتشريفا والمقول ههنا محذوف دل عليه الجواب اي قل
لهم اقيموا وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم اي يداوموا على ذلك وفيه ايذان بكمال مطاوعتهم الرسول
وغاية مسارعتهم الى الامتثال بالاوامر وقد جوزوا ان يكون المقول يقيموا وينفقوا بحذف لام الامر عنهما وانما حسن ذلك
دون الحذف في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا
قد اقيموا مقامهما وليس بذاك سرا وعلانية منتصبان على المصدرية من الامر المقدر لا من جواب الامر المذكور اي انفقوا
انفاق سر وعلانية والاحب في الانفاق انفاق المتطوع به واعلان الواجب والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله
سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون اليها كما هو صنيع الكفرة من قبل ان يأتي يوم لا بيع
فيه فيبتاع المقصر ما يتلافى به تقصيره او يفتدي به نفسه والمقصود نفي عقد المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع بالذكر

تحقة

وقيل عليه فان مصيركم الى النار وفيه التهديد
قل لعبادي الذين آمنوا مع
والوعيد لان الامر

فان مقول الاول التهديدي
ومقول الثاني الامر التشريعي

ويكون هذا هو المقول ك

ارتفاعهم وذلك يقيموا الخ

المخالة المودة يعني بكديكري دوستي داشتن

للايجاز مع المبالغة في نفي العقد فان انتفاء البيع يستلزم انتفاء الشراء على ابلغ وجه وانتفاؤه ربما يتصور مع تحقق الايجاب من قبل البائع
ولا خلال ولا مخالة فيشفع خليل او يسامح بمال يفتدي به نفسه او من قبل ان ياتي يوم لا اثر فيه لما ينحو بتعاطيه من البيع والمخالة
ولا انتفاع بذلك وانما الانتفاع والارتفاق فيه بالانفاق لوجه الله سبحانه والظاهر ان من متعلقة بانفقوا وتذكير اتيان ذلك
اليوم لتاكيد مضمونه كما في سورة البقرة من حيث ان كلا من فقدان الشفاعة وما يتدارك به التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع آثار
البيع والخلال الواقعين في الدنيا وعدم الانتفاع بهما من اقوى الدواعي الى الاتيان بما تبقى عوائده وتدوم فوائده من الانفاق في سبيل الله
عز وجل او من حيث ان ادخار المال وترك انفاقه انما يقع غالبا للتجارة والمهاداة بحيث لا يمكن ذلك في الآخرة فلا وجه لادخاره الى وقت
الموت وتخصيص التاكيد بذلك لميل الطباع الى المال وكونها مجبولة على حبه والضنة به ولا يبعد ان يكون تاكيدا لمضمون الامر باقامة الصلوة
ايضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون بالاشتغال بالبياعات والمخالات كما في قوله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقرئ بالفتح فيهما على ارادة
النفي العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطابي هو وقوعه في جواب هل فيه بيع او خلال الله مبتدأ خبره الذي خلق السموات
وما فيها من الاجرام العلوية والارض وما فيها من انواع المخلوقات لما ذكر احوال الكافرين لنعم الله تعالى وامر المؤمنين باقامة مراسم الطاعة
شكرا لنعمه شرع في تفصيل ما يستوجب على كافة الانام المثابرة على الشكر والطاعة من النعم العظام والمنن الجسام حثا للمؤمنين عليها
وتقريعا للكفرة المخلين بها الواضعين موضعها الكفر والمعاصي وفي جعل المبتدأ الاسم الجليل والخبر الاسم الموصول بتلك الافاعيل العظيمة
من خلق هذه الاجرام العظام وانزال الامطار واخراج الثمرات وما يتلوها من الآثار العجيبة ما لا يخفى من تربية المهابة والدلالة على قوة
السلطان وانزل من السماء اي السحاب فان كل ما علاك سماء او من الفلك فان المطر منه يبتدئ الى السحاب ومنه الى الارض
على ما دلت عليه ظواهر النصوص او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى الجو فينعقد سحابا ماطرا او ايا ما كان
فمن ابتدائية ماء اي نوعا منه هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب اما باعتبار كونه مبدأ لنزوله او لتشريفه كما في قولك اعطاه السلطان
من خزائنه مالا او لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر فاخرج به بذلك الماء من الثمرات الفائتة للحصر اما لان صيغ الجموع يتعاور
بعضها موضع بعض واما لانه اريد بمفردها جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستان فلان رزقا لكم تعيشون به وهو
بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن للتبيين كقولك انفقت للدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا
حالا منه او مصدرا لاخرج لانه بمعنى رزق او للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات كانه قيل انزل من السماء فاخرج به بعض الثمرات
ليكون بعض رزقكم اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمرا وخروج الثمرات وان كان
بمشيئته عز وجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى بافاضة صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة من الماء والتراب واودع في الماء
قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ايجاد الاشياء بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس
الاسباب كذلك لما ان له تعالى في انشائها مدرجا من طور الى طور صنائع وحكما يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته
ليس ذلك في ابداعها دفعة وقوله لكم صفة لقوله رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قيل رزقا اياكم وسخر لكم الفلك
بان اقدركم على صنعها واستعمالها بان الهمكم كيفية ذلك لتجري في البحر جريا تابعا لارادتكم بامره بمشيئته التي نيط كل شيء
وتخصيصه بالذكر للتنصيص على ان ذلك ليس بمزاولة الاعمال واستعمال الآلات كما يتراءى من ظاهر الحال وسخر لكم الانهار ان اريد
بها المياه العظيمة الجارية في الانهار العظام كما يومي اليه ذكرها عند البحر فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها
جداول يسقون بها زروعهم وجناتهم وما اشبه ذلك وان اريد بها نفس الانهار فتسخيرها تيسيرها لهم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين
يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما اصلاحه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان
خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها واذ ذكر سبحانه وتعالى انواع النعم العظام الفائضة عليهم وابرز كل واحدة منها

ساحل

في جملة مستقلة تنويهًا بشانها وتنبيهًا على رفعة مكانها وتنصيصًا على كل منها بخصة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التعريف
المتعلق بما ذكر من الفلك والانهار والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير من الاشعار بما فيها من صعوبة المأخذ وعزة المنال
والدلالة على عظم السلطان وشدة الحال وتاخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما يتقدمه من الامور المعدودة مع ما بينه وبين خلق السموات
من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكر ما لذكر انزال الماء منها اليها الموجب لذكر اخراج الرزق الذي من جملته
ما يحصل بواسطة الفلك والانهار او للتنادي عن توهم الكل اعني خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما ترى في قصة
البقرة وآتاكم من كل ما سالتموه اي اعطاكم بعض جميع ما سالتموه حسبما تقتضيه مشيته التابعة للحكمة والمصلحة كقولك لمن جاءك
يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد او آتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ونيطه انتظام احوالكم على الوجه المقدر فكانكم سالتموه
او كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد او كل ما سالتموه على ان من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شيء واتاه كل الناس
وعليه قوله عز وجل ففتحنا عليهم ابواب كل شيء وقيل والاصل واتاكم من كل ما سالتموه وما لم تسالوه فحذف الثاني لدلالة ما ابقى لما الحق
وقرئ بتنوين كل على ان ما نافية وكل ما سالتموه النصب على الحالية اي اتاكم من كل غير سائليه وان تعدوا نعمة الله التي انعم بها
عليكم لا تحصوها لا تطيقوا بحصرها ولو اجمالا غير مناهية والاصل في الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد
وضع حصاة ليحفظ بها قضيه اذ ان بعد بلوغ مرتبة معتد بها من مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها كيف لا ومن فرد من افراد الناس
وان كان في اقصى مراتب الغوص والاخلاص ممنوحا باصناف العطايا منقلبا في انواع الرزايا فهو بحيث لو تامله القيته منقلبا فيهم
لا تحده ومن لا تحصى ولا تعد كانه قد اعطي كل ساعة وآن من النعماء ما حواه ضبطة الامكان وان كنت في ريب من ذلك
فقدر انه ملك ملك اقطار العالم ودانت له كافة الامم واذعنت لطاعته السراة وخضعت لهيبته رقاب العتاة وفاز بكل مرام
ونال كل منال وحاز جميع ما في الدنيا من اصناف الاموال من غير تدبر لجمعه ولا شريك ينازعه بل قد ان جميع ما فيها من حجر ومدر
يوافيت غالبته ونفائس درر ثم قدر انه قد وقع من فقد مشروب او مطعوم في حالة بلغت نفسه الحلقوم وهل يشتري وهو في تلك الحال
جميع ماله من الملك والمال نعمة تنجيه عن رواء او شربة ترويه من ظماء ام يختار الهلاك فيذهب الاموال والاملاك بغير بدل يبقى عليه
ولا نفع يعود اليه كلا بل يبذل لذلك كل ما يحويه البدان كائنا ما كان وليس في صفقته شائبة الخسران فاذن ملاك اللقمة والشربة
خير قيما في الدنيا بالف رتبة مع انهما في طرف الثمام بنالهما متى شاء من الليالي والايام او قدر انه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه
ما خرج ولا خرج منه ما ولج والحبس قد هان وانا الموت من كل مكان اما يعطي ذلك كله بمقابلة نفس واحد بل يعطيه وهو له راض
حامد فاذن هو خير من اموال الدنيا بجملتها ومطالبها بارمتها مع انه قد يبح له كل آن من آنات الليالي والايام حال اليقظة والمنام
من هذا الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على احد من العقلاء وان رمت العثور على حقيقة الحق والوقوف على كنه ما هو
من الستر ودقق فاعلم ان الانسان بمقتضى حقيقة الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات الآنية بحيث لو انقطع
ما بينه وبين العناية الالهية من العلاقة لما استقر له القرار ولا اطمانت به الدار الا في مطورة العدم والبوار ومهاوي الهلاك
والدمار لكن يفيض من الجناب الاقدس تعالى شانه وتقدس في كل زمان يمضي وكل آن يمر وينقضي من انواع الفيوض المتعلقة
بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير
وتوضيحه انه كما لا يتحقق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء
ما لا يستند عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بجملته ما لم يستند عليه جميع انحاء عدمه الطاري الان الاستمرار
والدوام من خصائص الوجود الواجبي وانت خبير بان ما يتوقف وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه وان وجب
كونها مشاهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده ليست كذلك آذ لا استحالة

فى ان يكون لشى واحد موانع غير متناهية وانما الاستحالة فى دخولها تحت الوجود فارتفاع تلك الموانع التى لا تتناهى اعنى بقاؤها على العدم
مع امكان وجودها فى انفسها فى كل آن من آنات وجوده نعم غير متناهية حقيقة لا ادعاء وكذا الحال فى وجودات علله وشرائطه القريبة
والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا فى كمالاته التابعة لوجوده فاتضح انه يفيض عليه فى كل آن نعم لا تتناهى من وجوه شتى فسبحانك سبحانك
ما اعظم سلطانك لا يلاحظك العيون بانظارها ولا يطالعك العقول بافكارها شانك لا يضاهى واحسانك لا يتناهى ونحن فى معرفتك
حائرون وفى اقامة مراسم شكرك قاصرون نسئلك الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصى ثناء عليك
لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او بوضعها فى غير موضعها او يظلم نفسه بتعريضها للحرمان كفار
شديد الكفران وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع واللام فى الانسان للجنس ومصداق الحكم بالظلم والكفران
بعض من وجدا فيه من افراده وبه حصل فى ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا الخ دخولا اوليا واذ قال ابرهيم اى واذكر وقت قوله عم
والمقصود من تذكيره تذكير ما وقع فيه من مقالاته عم على نهج التفصيل والمراد به تاكيد ما سلف من تعجيبه عم ببيان فن آخر من جناياتهم
حيث كفروا بالنعم الخاصة بعدما كفروا بالنعم العامة وعصوا اباهم ابرهيم عم حيث اسكنهم بمكة شرفها الله تع لاقامة الصلوة والاجتناب
عن عبادة الاصنام والشكر لنعم الله تع وسأله تع ان يجعله بلدا آمنا ويرزقهم من الثمرات ويهوى قلوب الناس اليهم من كل اوب سحيق
فاستجاب الله تعالى دعاءه وجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ فكفروا بتلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا
لله تعالى اندادا وفعلوا ما فعلوا رب اجعل هذا البلد يعنى مكة شرفها الله سبحانه آمنا اى ذا امن او آمنا اهله بحيث لا يخاف
عليه على ما مر فى سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا ان المسئول هناك البلدية والامن معا
وههنا الامن فقط حيث جعل هو المفعول الثانى للجعل وجعل البلد صفة للمفعول الاول فان حمل على تعدد السؤال فلعله عم سال اولا
كلا الامرين فاستجيب له فى احدهما وتاخر الآخر الى وقته المقدر لما تقتضيه من الحكمة الداعية اليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد فى الدعاء
والابتهال او كان المسئول اولا مجرد الامن المصحح للسكنى كما فى سائر البلاد وقد اجيب اليه وثانيا الامن المعهود او كان هو
سورة البقرة المسئول فيهما وقد اجيب اليه ايضا لكن السؤال الثانى للاستدامة والاقتصار على ذلك لانه المقصود الاصلى او لان المعتاد فى البلدية
الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسئول كلا الامرين وقد حكى
اولا واقتصر ههنا على حكاية سؤال الامن لا لمجرد ان نعمة الامن ادخل فى استيجاب الشكر فذكره انسب بمقام تقريع الكفرة على اغفاله
كما قيل بل لان سؤال البلدية قد حكى بقوله تعالى فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم اذ المسئول هو تهويها اليهم للمساكنة معهم لا للحج فقط
وهو عين سؤال البلدية قد حكى بعبارة اخرى وكان ذلك اول ما قدم عم مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رض انه عم
قال لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول الى من تكلنا فى هذا البلقع وهو لا يرد عليها
جوابا حتى قالت الله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادى فقال
ربنا انى اسكنت الآية وانما فصل ما بينهما تثنية للامتنان وايذانا بان كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة لشكر كثير كما فى قصة البقرة
ملة م واجنبنى وبنى بعدنا وآباهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها فى جانب بعيد اى ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام
والبعد عن عبادة الاصنام وقرئ واجنبنى من الافعال وهما لغة اهل نجد يقولون جنبنى شره واما اهل الحجاز فيقولون جنبنى
شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء عم بتوفيق الله تع والظاهر ان المراد ببنيه اولاده الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة رح
اى ثبتنا عليه على ان احدا من اولاد اسمعيل عم لم يعبد الصنم وانما كان لكل قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر وكانوا يدورون به
ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وليت شعرى كيف ذهب عليه ما فى القرآن العظيم من قوارع
تنعى على قريش عبادة الاصنام على ان فيما ذكره كرا على ما فر منه رب انهن اى الاصنام اضللن كثيرا من الناس

اى

اى تستبين له كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا وهو تعليل لدعائه وانما صدره بالنداء اظهارا لاعتنائه به ورغبته فى استجابته فمن تبعنى
منهم فيما ادعوا اليه من التوحيد وملة الاسلام فانه منى اى بعضى قاله ع م مبالغة فى بيان اختصاصه به او متصل بى لا ينفك عنى فى امر الدين
ومن عصانى اى لم يتبعنى والتعبير عنه بالعصيان للايذان بانه ع م مستمر على الدعوة وان عدم اتباع من لم يتبعه انما هو لعصيانه لا لانه
لم يبلغه الدعوة فانك غفور رحيم قادر على ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد توبته وفيه ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره
حتى الشرك خلا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره ربنا آثر عليه السلام الجماعة لا لما قيل من تقدم ذكره وذكر بنيه والا
لراعاه فى قوله رب انهن الخ بل لان الدعاء المصدر به ما اورده بصدد تمهيد مبادى اجابته من قوله انى اسكنت الاية متعلقة
بذريته فالتعرض لوصف الربوبية لهم ادخل فى القبول واجابة المسؤل من ذريتى اى بعضهم او ذرية من ذريتى
فحذف المفعول وهو اسمعيل ع م وما سيولد له فان اسكانه حيث كان على وجه الاطمئنان متضمن لاسكانهم روى ان هاجر
ام اسمعيل ع م كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم ع م فلما ولدت له اسمعيل غارت عليها فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما
من ارض مكة فاظهر الله تعالى عين زمزم بواد غير ذى زرع لا يكون فيه زرع اصلا وهو وادى مكة شرفها الله تعالى عند بيتك
ظرف لاسكنت كقولك صليت بمكة عند الركن لا انه لواد او بدل منه اذ المقصود اظهار كون ذلك الاسكان مع فقدان مباديه
بالمرة لمحض التقرب الى الله تعالى والالتجاء الى جواره الكريم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجأ وعصمته عن المكاره فقوله
المحرم حيث حرم التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممتنعا يهابه الجبابرة فى كل عصر او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك
سمى عتيقا وتسميته اذ ذاك بيتا ولم يكن له بناء وانما كان نشزا مثل الرابية تأتيه السيول فتأخذ ذات الشمال باعتبار ما يؤول
اليه الامر من بنائه ع م فانه ينزع الى اعتبار عنوان الحرمة ايضا كذلك بل انما هى باعتبار ما كان من قبل فان تعدد بناء الكعبة
المعظمة مما لا ريب فيه وانما الاختلاف فى كيفيته وعدده وقد ذكرناه فى سورة البقرة بفضل الله سبحانه ربنا ليقيموا الصلوة متوجهين اليه
متبركين به وهو متعلق باسكنت وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير النداء وتوسيطه لاظهار كمال العناية
باقامة الصلوة والاهتمام بعرض ان الغرض من اسكانهم بذلك الوادى البلقع ذلك المقصد الاقصى والمطلب الاسنى وكل ذلك
لتمهيد مبادى اجابة دعائه واعطاء مسؤله الذى لا يتسنى ذلك المرام الا به ولذلك ادخل عليه الفاء فقال فاجعل
افئدة من الناس اى افئدة من افئدتهم ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم وما يرد
رد للبيضاوي
عليه من قولهم ولحجت اليهود والنصارى فغير مناسب للمقام اذ المسؤل توجيه القلوب اليهم للمساكنة معهم لا توجيهها الى البيت للحج
والا لقيل تهوى اليه فانه عين الدعاء بالبلدية قد حكى بعبارة اخرى كما مر او للابتداء الغاية كقولك القلب منى سقيم اى افئدة
ناس وقرئ آفدة على القلب كآدر فى ادؤر او على انه اسم فاعل من افدت الرحلة اى عجلت اى جماعة من الناس وافدة بطرح
الهمزة من الافئدة او على النعت من افد تهوى اليهم تسرع اليهم شوقا ووداد وقرئ على البناء للمفعول من اهواه غيره وتهوى
من باب علم اى تحب وتعديته بالى لتضمنه معنى الشوق والنزوع واول آثار هذه الدعوة ما روى انه مرت رفقة من جرهم
تريد الشام فرأوا الطير تحوم على الجبل فقالوا ان هذا الطائر لعائف على الماء فاشرفوا فاذا هم بهاجر فقالوا لها ان شئت
كنا معك وآنسناك والماء ماؤك فاذنت بهم وكانوا معها الى ان شب اسمعيل ع م وماتت هاجر فتزوج اسمعيل ع م منهم
كما هو المشهور وارزقهم اى ذريتى الذين اسكنتهم هناك او مع من ينحاز اليهم من الناس وانما لم يخص الدعاء بالمؤمنين
منهم كما فى قوله وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر اكتفاء بذكر اقامة الصلوة من الثمرات من انواعها
بان يجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه
الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد روى عن ابن عباس رضه ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابرهيم ع م

بهذه الادعية رفعها الله ووضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة
ابراهيم ع لعلهم يشكرون تلك النعمة باقامة الصلوة واداء سائر وجوه العبودية وقيل اللام في ليتعبدوا لام الامر والمراد
امرهم باقامة الصلوة والدعاء من الله تعالى بتوفيقهم لها ولا يناسبه الفاء في قوله تعالى فاجعل الخ وفي دعائه ع من مراعاة حسن الادب
والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرأفة مالا يخفى فانه ع لم يذكر كون الوادي غير ذي زرع
بعين كمال افتقارهم الى المسئول وتذكر كونا سكانهم عند البيت المحرم اشارة الى ان الجواد الكريم يستوهب افاضة النعيم وبعرض كون
ذلك للاسكان مع كمال اعوازهم في المعاش لمحض اقامة الصلوة واداء حقوق البيت بعد جميع مبادي اجابة المسئول ولذلك رتب
دعوته ع بحرف الترجي رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ من الحاجات وغيرها والمراد بما نخفي ما يقابل ما نعلن سواء تعلق
به الاخفاء ام لا اي تعلم ما نطوي وما لا نطوي فان علمه تعالى متعلق بما لا يخطر ببالنا مما فيه من الاحوال الخفية فضلا عن اخفائه
وتقديم ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم به على ابلغ وجه فكان تعلقه بما يخفى اقدم منه بما يعلن اولان مرتبة السر
والخفاء متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو قبل ذلك خفي متعلق علمه سبحانه بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته
الثانية ومقصوده ع من اظهار رعاية هذه الحاجات وما هو من مباديها وتمماتها ليس لكونها غير معلومة لله بل انما هو لاظهار العبودية
والتخشع لعظمته والتذلل لعزته وعرض الافتقار الى عنده والاستعجال لنيل ما لديه وتكرير النداء للمبالغة في الضراعة والابتهال
وغير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره وعلنه بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض وما يخفى
على الله من شئ في الارض ولا في السماء لما انه العالم بالذات فما من امر يدخل تحت الوجود كائنا ما كان في زمن من الازمان
الا وجوده في نفسه علم بالنسبة اليه سبحانه وانما قال ع ما يخفى على الله الخ دون ان يقول ونعلم ما في السموات والارض تحقيقا لما علمناه
بقوله تعالى يعلم ما يخفى من ان علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة الى علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة الى علوم المخلوقات
وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشئ اي من شئ كائن فيهما اعم من ان يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية منهما
او بخفى وتقديم الارض على السماء مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب والبعد من المستدعين للتفاوت بالنسبة الى علومنا والالتفات
من الخطاب الى الاسم الذات المستجمع للصفات لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم على نهج قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير
والابذان بعمومه لانه ليس شان يختص به او بمن يتعلق به بل شامل لجميع الاشياء فالمناسب ذكره مع عنوان مصحح لعلمه الكل
وقيل هو من كلام الله تعالى ابتدئ بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السلام كقوله سبحانه وكذلك يفعلون ومن للاستغراق على الوجهين
الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي مع كبري ويأسي عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة واظهارا للشكر بها
اسمعيل واسحق روي انه ولد اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة
او مائة وسبع عشرة سنة إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتد به من اثبية المبالغة
العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله باسناد السماع الى دعاء الله تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر وهو وصف له تعالى
بان ذلك الجميل سنته المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة وفيه ايذان بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء لقوله تعالى
رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد ضمير المتكلم وان كان عقيب ذكر ابنيهما لما ان نعمة الهبة فائضة عليه
خاصة وهما من النعم لا من المنعم عليهم رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَوٰةِ مثابرا عليها معتدا لها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته
لذرية الناسخ قال ومن ذرية بعضي اي بعضهم من المذكورين ومن يسير سيرتهم من اولادهما للاشعار بانه المقتدى في ذلك
وذرية اتباع لو ان ذكرهم بطريق الاستئناف اولا كما في قوله ربنا اني اسكنت الخ فان اسكانهم مع تحققه بالملابسة لمن اسكنه
انما هو مذكور بطريق التمهيد للدعاء الذي هو مخصوص بذرية وانما خص هذا الدعاء ببعض ذريته لعلمه من جهة الله تعالى ان بعضهم

لا يكون

لايكون مقيمًا للصلوة كقوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ربنا وتقبل دعاء اى دعائى هذا المتعلق
بجعلى وجعل بعض ذريتى مقيم الصلوة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام ولذلك جئ بغير الجماعة ربنا اغفر لى اى لما فرط
منى من ترك الاولى فى باب الدين وغيره ذلك مما لايسلم البشر ولوالدىّ وقرئ بالتوحيد ولابوىّ وهذا الاستغفار منه ان كان
قبل تبين الامر له ، وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويرده قوله الا آل ابراهيم الآية وقد عرف سورة التوبة
نوع تحقيق للمقام وسيأتى تمامه فى سورة حرم بفضل الله تعالى وللمؤمنين كافة من ذريته وغيرهم وللابذان باشتراك الكل فى الدعاء
بالمغفرة جئ بغير الجماعة يوم يقوم الحساب اى يثبت ويتحقق محاسبة اعمال المكلفين على وجه العدل ستعلم له من ثبوت القائم على الرجل
بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق والمراد تهويله وقيل اسند اليه قيامهم لهوله مجازًا او حذف المضاف كما فى واسئل القرية واعلم
ان ما حكى عنه عز وجل من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكى بل الصادر عنه فى ازمنة متفرقة
حكى مرتبًا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور اجابة دعوة الملة وارشاد الناس الى التضرع الى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية ولا
تحسبن الله غافلًا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بتثبيته على ما كان عليه من عدم حسبانه غفول الله تعالى عن ذلك
نحو قوله ولا تكونن من المشركين ونظائره مع ما فيه من الايذان بكونه واجب الاحتراز عنه فى الغاية حتى نهى عنه من لايمكن تعاطيها ونهيه عز وجل
عن حسبانه تعالى تاركًا لعقابهم على طريقة العفو والتعبير عنه بذلك للمبالغة فى النهى والايذان بان ذلك الحسبان بمنزلة حسبانه تعالى
غافلًا عن اعمالهم اذ العلم بذلك مستوجب لعقابهم لامحالة فتركه لو كان لكان للغفلة عما يوجبه من اعمالهم الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ووعد له اكيد ووعيد للكفرة وسائر الظالمين شديد اولكل احد ممن يستعجل عذابهم او يتوهم امهالهم للجهل بصفاته تعالى والاغترار
بامهاله وقيل معناه لاتحسبنه تعالى بحالهم معاملة الغافل عما عملوا بل معاملة من يحافظ على اعمالهم ويجازيهم بذلك تقريرًا وتقريرًا
والمراد بالظالمين اهل مكة ممن عدت مساويهم من تبديل نعمة الله كفرًا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الانداد كما يوذن به
التعرض لحكمة التاخير المنبئ عن قوله تعالى فلا تعجل الآية او جنس الظالمين وهم داخلون فى الحكم دخولًا اوليًا انما يؤخرهم ليمهلهم
متمتعين بالحظوظ الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم حسبما شاهدوه استئناف واقع تعليلًا للنهى السابق اى دم على ما كنت عليه من عدم
حسبانه تعالى غافلًا عن اعمالهم ولا تحزن لتاخير ما تستوجبه من العذاب الاليم ان تاخيره للتشديد والتغليظ ولا تحسبنه تعالى بحالهم
معاملة الغافل ولا يؤاخذهم بما عملوا الماضى من التاخير انما هو لهذه الحكمة وقرئ بالنون واتباع التاخير عليهم معان المؤخر
انما هو عذابهم لتهويل الخطب وتفظيع الحال ببيان انهم متوجهون الى العذاب مترصدون لامرًا لانهم بائنون باختيارهم
والدلالة على ان صفتهم من العذاب هو الاستيصال بالمرة وان لاتبقى منهم فى الوجود عين ولا اثر وللايذان بان المؤخر له
من جملة العذاب وعنوانه وتوقيل انما يؤخر عذابهم الخ لما فهم ذلك ليوم تاءل تشخص فيه الابصار ترفع ابصار
اهل الموقف فيدخل فيهم الكفرة دخولًا اوليًا اى تبقى مفتوحة لاتجرك اجفانهم من هول ما ترون واغبار عدم قرارها فى اماكنها
اما باغبار الاشعاع المحتقن فى جرم العين واما بجعل الصيغة من شخص من بلد الى بلد وسار بارتفاع مهطعين مسرعين
الى الداعى مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع او مقبلين بابصارهم لايقلعون عنه ولايطرفون هيبة وخوفا حيث كان
ادامة النظر هنا بالنظر الى الداعى قيل مقنعى رؤسهم اى رافعيها مع ادامة النظر مع التفات الى شئ قال العتبى
وابن عرفة اوناكسيها ويقال قنع راسه اى طاطاها وناكسها فهو من الاضداد وهما حالان متداخلتان على الابصار من اصحابها
والثانى حال متداخلة من الضمير فى الاول اضافته غير حقيقية فلا ينافى المغايرة لايرتد اليهم طرفهم لايرجع اليهم تحريك
اجفانهم التى هى آلة الطرف فيكون اسناد الرجوع الى الطرف مجازيًا او هو نقل الحبق ، قال الفيروزابادى الطرف العين
لايجمع لانه مصدر فى الاصل او اسم جامع للعين اولا يرجع نظرهم الى انفسهم فضلًا عن ان يرجع الى شئ آخر فيبقون مهطعين

وهو ايضا حال او بدل من مفعول او استئناف والمعنى لا تزال اعراهم من شخوص الابصار وتأخيره عما هو من تتمة الاسطاع للايذاء
مع ما بينه وبين الشخوص المذكور من المناسبة لرعاية المعنى وافئدتهم هواء خالية عن العقول والفهم لفرط الحيرة والدهش
كانها نفس لها هواء الخالي عن كل شاغل ومنه قيل للجبان والاحمق قلبه هواء اى لا قوة ولا راى فيه واعتبار خلوها عن كل خير
لا يناسب المقام وهو اما حال عاملها ولا يرتد مفيدة لكون شخوص ابصارهم وعدم ارتداد طرفهم بلا فهم ولا اعتبار او جملة مستقلة
وانذر الناس خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعلامه ان تاخيرهم لما ذا واوانه بانذارهم وتخويفهم منه والمراد
بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهر اتيان العذاب والعدول اليه من الاضمار للاشعار بان المراد بالانذار هو الزجر
عما هم عليه من الظلم شقيقة عليهم لا التخويف للانزعاج والايذاء فالمناسب عدم ذكرهم بعنوان الظلم او الناس جميعا فان الانذار
عام للموقنين كقوله انما تنذر من اتبع الذكر والاتيان بهما من حيث كونهما من اوصاف الموقف وان كان لحوقه بالكفار خاصة ان انذرهم
وخوفهم يوم ياتيهم العذاب المعهود وهو اليوم الذي وصف بما لا يوصف من الاوصاف الهائلة اعني يوم القيمة وقيل هو
يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بالبشرى او يوم هلاكهم بالعذاب العاجل وتاباه العطف الآتي فيقول الذين
ظلموا اى فيقولون والعدول عنه الى ما على النظم الكريم للتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بان مالهوة من السذاجة انما هو
لظلمهم واثباره على صيغة الفاعل صريحا ذكرا اولا للايذان بان الظلم كاف في الافضاء الى ما ذكر من الاهوال من غير خاصة
الى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير كون المراد بالناس من يعم المسلمين ايضا فالمعنى الذين ظلموا منهم وهم
الكفار او يقول كل من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذرين وغيرهم من الامم الخالية فان اتيان العذاب يعمهم كما يشعر بذلك
وعدهم باتباع الرسل ربنا اخرنا ردنا الى الدنيا او امهلنا الى اجل قريب الى امد وحد من الزمان قريب يجب
دعوتك اى الدعوة اليك والى توحيدك او دعوتك لنا الى سنة الرسل فنعبيك ايذانا الى انهم صدقوهم فانهم مرسلون
من عند الله تعالى ونتبع الرسل فيما جاؤا به اى نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع اما باعتبار
اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسول عصيانا لهم جميعا ام واما باعتبار ان المحكي كلام ظالمي الامم جميعا
والمقصود بيان وعيد كل واحد باتباع رسولها اولم تكونوا اقسمتم من قبل على اضمار القول معطوفا على فيقال
لهم توبيخا وتبكيتا الم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا اقسمتم اذ ذاك بالسنتهم بطرا واشرا وجهلا وسفها مالكم
من زوال تما انتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية او بالسنة الحال حيث بنيتهم مشيدا اواكلتم بعيدا ولم تحدثوا
انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد زمان التاخير وبعد مداه او مالكم من زوال من هذه الدار
الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وصيغة الخطاب في جواب القسم لمراعاة
حال الخطاب اقسمتم كما في قوله حلف بالله لينخرجن وهو اذ ظ في التوبيخ من ان يقال ما لنا مراعاة لحال المقسم ذكر
البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه قال لاهل جنس دعوات يجيبهم الله تعالى في الربع منها فاذا كانت القيامة
لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم الله
ذلك بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا
نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك
ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم الآية ثم يقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تع
اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما
ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسؤوا فيها ولا تكلمون بعدها ابدا ان هو الا زفير وشهيق وعند ذلك تنقطع رجاؤهم

واقبل بعضهم بنتج فبعض اطلعت عليهم فهتم اللهم انا بك نعوذ وبكنفك نلوذ عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك
وسكنتم من السكنى بمعنى التبوء والايطان وانما استعمل بكلمة في صيت قيل في مساكن الذين ظلموا انفسهم جريا
على الاصل لانه منقول عن مطلق السكون الذي صفة التعدية بها او من السكون واللبث اي قررتم في مساكنهم مطمئنين سائرين
سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين لانفسكم بالقوا الاولون بسبب ما اجترحوا من الموبقات وفي ايقاع الظلم على انفسهم بعد اطلاعه
فيما سلف ايذان بان غائلة الظلم آئلة الى صاحبه والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم المهلكة على تقدير اختصاص الاستهال والخطاب
بالمنذرين ولعل اوائلهم من قوم نوح وهود على تقدير عمومهما للكل وهذا الخطاب وما يتلوه باعتبار حال اواخرهم وتبين لكم
بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار كيف فعلنا بهم من الاهلاك والتعقوبة بافعالهم من الظلم والفساد وكيف منصوب بما بعده
من الفعل وليس الجملة فاعلا لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله ما دلت هي عليه لانه واضحة اي فعلنا وفيه من المبالغة ما ليس
في ان يقال ما فعلنا بهم العجيب بهم كما قرن قوله تعالى ليس بجنة وقرئ يبين وضربنا لكم الامثال اي بينا لكم في القرآن العظيم
على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين او على السنة الانبياء عليهم السلام على تقدير عمومه لجميع الظالمين صفات ما فعلوا واحوالهم
بهم من الامور التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا بها وتعتبروا اعمالكم على اعمالهم وما لكم على مالهم وتنتقلوا
من طول العذاب العاجل الى طول العذاب الآجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي او بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق
العذاب والجملة الثلث في موقع الحال من ضمير اقمتم اي اقمتم بالخلود والحال انكم سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم
وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم على جلية الحال بضرب الامثال وقوله عز وجل وقد مكروا مكرهم حال من الضمير
الاول في فعلنا بهم او من الثاني او منهما جميعا وانما قدم عليه قوله تعالى وضربنا لكم الامثال لشدة ارتباطه بما قبله اي فعلنا بهم
ما فعلنا والحال انهم قد مكروا في ابطال الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا فيه
كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم او قد مكروا مكرهم المذكور في ترتيب مبادي
البقاء ومدافعة اسباب الزوال فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها عند قدرة الله تعالى وعند الله مكرهم
اي جزاء مكرهم الذي فعلوه على ان المكر مضاف الى فاعله واخذه تنبيه على انه مضاف الى مفعوله وتسمية مكر الكونه بمقابلة
مكرهم وجودا وذكرا او لكونه في صورة المكر في الاتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما افاده قوله تعالى
كيف فعلنا بهم لا انه وعيد مستانف والجملة حال من الضمير في مكروا اي مكروا ومكرهم وعند الله جزاؤه وما هو اعظم منه والمقصود
بيان رأيهم حيث باشروا فعلا مع تحقق ما يوجب تركه وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال
اي وان كان مكرهم في غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه مستوى ومعدى لازالة الجبال عن مقارها لكونه مثلا
في ذلك والجملة المصدرة بان الوصلية معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم او المكر الذي يحق بهم
ان لم يكن مكرهم لتزول منه الجبال وان كان الخ وقد حذف ذلك حذفا مطردا لدلالة المذكور عليه لانه اوضح فان الشيء
اذا تحقق عند وجود المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذا فالنكتة بديعة وربما فان الوصلية من ان تكيد المعنوي والجواب
محذوف دل عليه ما سبق وهو قوله تعالى وعند الله مكرهم وقيل ان نافية واللام لتاكيد ما كما في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وبصيغة
قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم فالجملة ح حال من الضمير في مكروا لا من قوله تعالى وعند الله مكرهم اي مكروا ومكرهم والحال ان مكرهم
لم يكن لتزول منه الجبال على انها عبارة من آيات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على ايدي الرسل السالفة عليهم السلام
التي هي بمنزلة الجبال الراسيات في الرسوخ واما كونها عبارة عن امر النبي صلى الله عليه وسلم واحوال القرآن العظيم كما قال فلان
لا اذا لماكرون هم المهلكون لا الساكنون في مساكنهم من المخاطبين وان خص الخطاب بالمنذرين وقيل هي مخففة من ان والمعنى

انه كان مكرهم لتزول منه ما هو كالجبال في الثبات مما ذكر من الآيات والشرائع والمعجزات والجملة كما هي حال من ضمير مكروا اى مكروا
مكرهم المعهود وان الشان كان مكرهم لازالة الآيات والشرائع على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك وكان ثبات الآيات
والشرائع مانعا من مباشرة المكر لازالته وقد قرأ الكسائي لتزول بفتح اللام على انها الفارقة والمعنى تعظيم مكرهم فالجملة حال من
وعند الله مكرهم اى عنده تعالى جزاء مكرهم او المكر بهم والحال ان مكرهم بحيث تزول منه الجبال اى في غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب
على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم هذا هو الذي يقتضيه النظم الكريم ويساق اليه الطبع السليم وقيل ان الضمير لمكروا
للمنذرين والمراد بمكرهم ما افاده قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا الى يخرجوك او يقتلوك او يخرجوك الآية وغيره من انواع مكرهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الوجه ان يكون قوله وقد مكروا الخ حالا من القول المقدر اى فيقال لهم ما يقال الى الحال انهم ما فعلوا
من الاقسام المذكور مع ما ينافيه من التكون في مساكن المهلكين وتبين احوالهم وضرب الامثال فمكروا مكرهم العظيم اى لم يكن
الصادر عنهم مجرد الاقسام الذي ذكر وانحوا به بل اجتروا على مثل هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير مكروا جيء
ذكرنا من قبل وقوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال مسوق لبيان عدم تفاوت المال في تحقيق الجزاء بين كون مكرهم قويا
او ضعيفا كما مر هناك وعلى تقدير كون ان نافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن امر النبي عليه السلام اى وقد مكروا
والحال ان مكرهم ما كان لتزول منه تلك الشرائع والآيات التي هي في القوة كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من الثقيلة واللام الفارقة
يكون حالا منه ايضا على معنى ان ذلك المكر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر لذلك لان شان
الشرائع اعظم من ان يكيدها مكر وعلى تقدير فتح اللام فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم لما ذكرنا من قبل فليتأمل
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله لم يرد به والله سبحانه اعلم ما وعده بقوله تعالى انا لننصر رسلنا الآية وقوله كتب الله
لاغلبن انا ورسلي كما قيل فانه لا اختصاص له بالتعذيب لاسيما الاخروي بل ما سلف آنفا من وعده بتعذيب الظالمين بقوله انما يؤخرهم الآية كما يفصح عنه الفاء الداخلة على النهي الذي اريد به تثبيته صلى الله عليه وسلم على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى والتيقن
بانجاز وعده المذكور والمؤدون بالامر بانذارهم يوم اتيان العذاب المتضمن لذكر تعذيب الامم السالفة بسبب كفرهم وعصيانهم
رسلهم بعد ما وعدهم بذلك كما فصلت قصة كل منهم في القرآن العظيم فكانه قيل واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيمة
واخبرناك بما يلقونه من الشدائد وما يؤول اليه من الخزي في الدنيا وبما اجبناهم به وفرعنا هم بعد تمهلهم فلا تحسبن ان من سلفهم
من الامم الذين اهلكناهم بظلمهم بعد ما وعدنا رسلهم ما بهلاكهم قدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم اخلاف ما وعدنا
ان الله عزيز غالب لا يكره ولا يقدر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه والجملة تعليل للنهي المذكور وتمهيد له
وحيث كان الوعد عبارة عما ذكرنا من تعذيبهم خاصة لم يزل بان يقال ان الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة
والانتقام المشعرين بذلك والمراد بالانتقام ما اشير اليه بالفعل وعبر عنه بالمكر يوم تبدل الارض غير الارض
ظرف لمضمر مستانف ينسحب عليه النهي المذكور اى لينجزه يوم الخ او معطوف عليه نحو وارتقب يوم تبدل الارض غير الارض
او للانتقام وهو يوم ياتيهم العذاب بعينه ولكنه احوال جمة تذكر كل مرة بعنوان مخصوص والتقييد به مع عموم انتقامه
للاوقات كلها للايذان بفصاح عما هو المقصود من تعذيب الكفرة المؤخر الى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية وقيل بدل من يوم
ياتيهم العذاب او نصب باذكر او باضمار لا يخلف وعد يوم تبدل الخ وفيه ايضا ما في الوجه الثالث من الحاجة الى الاعتذار
ولا يجوز ان ينتصب بقوله مخلف وعده لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده وقيل هو غير مانع لان قوله تعالى ان الله عزيز ذو انتقام
جملة اعتراضية فلا يبالى بها فاصلا واعلم ان التبديل قد يكون في الذات كما في بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله عز وجل بدلناهم
جلودا غيرها وقد يكون في الصفات كما في قولك بدلت الحلقة خاتما اذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات

على بعض الاقوال والآية الكريمة ليست بنص في احد الوجهين فعن علي كرم الله وجهه تبدل الارض فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود رض تبدل الارض بارض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة وعن ابن عباس رض وانما تغير صفاتها وآنسد وما الناس بالناس الذين عهدتهم وما الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا ويدل عليه ما روى ابو هريرة رض انه عليه السلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا والسموات اى وتبدل السموات غير السموات حسبما مر من التفصيل فقد يتم تبديل الارض لقربها منا ولكون تبديلها اعظم اثرا بالنسبة الينا وبرزوا اى الخلائق والظالمون المدلول عليهم بعونة السياق والمراد بروزهم من اجداثهم التي فوق بطون الارض او ظهورهم باعمالهم التي كانوا يعلونها سترا ويزعمون انها لا تظهر او يعلون عمل من يزعم ذلك ولعل اسناد البروز اليهم معانة لاعمالهم للايذان بتشكلهم باشكال تناسبها وهو معطوف على تبدل والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه او حال من الارض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو لتعدد الواحد القهار للحساب والجزاء والتعرض للوصفين لتهويل الخطب وتربية المهابة ولاظهار بطلان الشرك في تحقيق الانتقام في ذلك اليوم على تقدير كونه طرفا له وتحقيق اتيان العذاب فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يعاز فقادر لا يضار ولا يعار كان في غاية ما يكون من الشدة والصعوبة وترى المجرمين عطف على برزوا والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار الصورة او للدلالة على الاستمرار وانما البروز فهو دفعي لا استمرار فيه وعلى تقدير حالية برزوا فهو معطوف على تبدل ويجوز عطفه على عامل الظرف المتقدم على تقدير كونه بتذكره يومئذ اذا برزوا عز او يوم تبدل الارض او يوم اذ ينجزه وعد مقرنين قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم في الجرائم والاجرام او قرنوا مع الشياطين الذين اغووهم او قرنوا مع اقرانهم من العقائد والملكات الردية والاعمال السيئة عقب تصور كل منها وتشكلها بما يناسبها من الصور الموحشة والاشكال الهائلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم وهو حال من المجرمين في الاصفاد في القيود والاغلال هواما متعلق بقرنوا او حال من ضميرهم اى مصفدين سرابيلهم اى قمصانهم من قطران جملة من مبتدإ وخبر محلها النصب على الحالية من المجرمين او من ضميرهم في مقرنين رابطها الضمير فقط كما في كلمة فوه الى فيّ او مستأنفة والقطران من يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد يصل حرارته الى الجوف وهو مما يسرع فيه اشتعال النار يطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الالوان الاربعة من العذاب لذعه وحرقته ولسرعة النار في جلودهم واللون الموحش والنتن على ان التفاوت بينه وبين ما نشاهده وبين النار لا يكاد يتقادر قدره فكان ما نشاهده جهنما سما مستحيا تها في الآخرة فنعوذ بالله العظيم ونعوذ وبكلماته الواسعة نلوذ ويحتمل ان يكون ذلك تمثيلا لما يحيط بوجوه النفس من الملكات الردية والهيئة الموحشة فتجلب اليها الآلام والغموم بل ان يكون القطران المذكور عينا لا يسوءه في وضم النشأة وجعلوه شعارا لهم من العقائد الباطلة والاعمال السيئة المستجلبة لفنون العذاب قد حدث في النشأة الآخرة بتلك الصورة المستتبعة لاشتداد العذاب عصمنا الله سبحانه عن ذلك بمنه ولطفه وقرئ من قطران اى نحاس مذاب متناه حره وتغشى وجوههم النار اى تعلوها وتحيط بها النار التي تمس جسدهم المسربل بالقطران وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومه لسائر اعضائهم لكونها اعز الاعضاء الظاهرة واشرفها كقوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب ولكونها مجمع المشاعر والحواس التي خلقت لادراك الحق وقد اعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبره كما ان الفؤاد اشرف الاعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملؤها بالجهالات وكذلك قيل تطلع على الافئدة او خلوها عن القطران المغني عن ذكر غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه لتعارفوا عند انكشاف اللهب عيانا ويتضاعف عذابهم بالجزي على رؤس الاشهاد وقرئ تغشى اى تتغشى بحذف احدى التاءين والجملة نصب على الحالية لا على ان الواو حالية لانه مضارع مثبت على انها معطوفة على الحال قال ابو البقاء ليجزي الله متعلق بمضمر اى يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت

من انواع الكفر والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه ايذان بان جزاءهم مناسب لاعمالهم او بقوله برزوا على تقدير كونه معطوفا على بدل
والضمير للخلق وقوله وترى المجرمين الخ اعتراض بين المتعلق والمتعلق به اى برزوا للحساب ليجزى الله كل نفس مطيعة او عاصية ما كسبت
من خير او شر وقد اكتفى بذكر عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال لا سيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة ان الله سريع الحساب
اذ لا يشغله شان عن شان فينجز في اعجل ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء كحبة او سريع المجئ باتي عن قريب او سريع الانتقام كما قاله
ابن عباس رضي الله عنه وقوله تعالى وهو سريع الحساب هذا اى ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا الى قوله سريع الحساب بلاغ كفاية
في العظة والتذكير من غير حاجة الى ما انطوى عليه السورة الكريمة او كل القرآن المجيد من فنون العظات والقوارع للناس للكفار
خاصة على تقدير اختصاص الانذار بهم في قوله تعالى وانذر الناس او لهم وللمؤمنين كافة على تقدير شمولها لهم ايضا وان كان بما شرح مختصا
بالظالمين وليندروا به عطف على مقدر والام متعلقة بالبلاغ اى كفاية لهم في ان ينصحوا او ينذروا او هذا ابلاغ لهم لينفعهم
وليندروا به على ان البلاغ اى كفاية لهم بمعنى الابلاغ كما في قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ او متعلقة بمحذوف اى وليندروا انزل او ترك
ليندروا به من نذر بالشئ اذا علم وحذر له واستعد له وليعلموا بالتامل فيما فيه من الدلائل الواضحة التي هي املاك الام واسكان
آخرين مساكنهم وغيرها ما سبق والحق انما هو اله واحد لا شريك له وتقديم الانذار لانه الداعي الى التامل المؤدي الى ما هو غاية له
من العلم المذكور والتذكر في قوله تعالى وليذكر اولوا الالباب اى ليتذكروا ما كانوا يجهلونه من قبل من التوحيد وغيره ومن شؤون
ومعاملة مع عباده فيرتدعوا عما يردعهم من الصفات التي يتصف بها الكفار ويتدرعوا بما يخطيهم من العقائد الحقة والاعمال
الصالحة وفي تخصيص التذكر باولي الالباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على ان المشار اليه بهذا ما ذكرنا من التوابع المسوقة
لشانهم لا كل السورة المشتملة على وعلى ما سبق للمؤمنين ايضا فان ما يفيدهم فائدة جديدة وحيث ما كان يفيده البلاغ
من التوحيد وما يترتب عليه من الاحكام بالنسبة الى الكفرة آحادا وبالنسبة الى اولي الالباب اثباتا على اثبات على ذلك جميعا
اشير اليه عبر عن الاول بالعلم وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه اعلم نسئل الله بالسعادة والحسنى
ورزقنا الفوز برضاته والاكرام والعفو والامن عن النبي ع من قرأ سورة ابراهيم والحجر اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ولم يعبد والحمد لله وحده

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

الر قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد وما فعاتها تلك اشارة اليها اى تلك السورة العظيمة الشان
آيات الكتاب الكامل المحمود الغني عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به على الاطلاق
اى بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع اذ ذاك اذ هو المتارع الى الفهم عند الاطلاق
وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بنعت ما اضيفت اليه من نعوت الكمال لا على جعله عبارة عن السورة اذ هي في الانصاف
بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغنى عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة
الى الكل واحدة منها وفيه من التكلف ما لا يخفى كما ذكر في سورة الرعد وقرآن اى قرآن عظيم الشان مبين مظهر لما فيه عين
من الحكم والاحكام والسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ولقد فخم شانه العظيم مع ما جمع فيه من وصفي
الكتابية والقرآنية على طريقين احديهما اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الالهية فكانه كلها والثانية طريقة كونه ممتازا
عن غيره مسمى وصفة بابة خارجا عن دائرة البيان واعرف الطريقة الثانية لما ان الاشارة الى امتيازه عن سائر الكتب بعد
التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب ادخل في المدح كيلا يتوهم من اول الامر امتيازه عن غيره لاستقلاله باوصاف خاصة به من غير
اشتمال على نعوت الكمال سائر الكتب الكريمة وبهذا الكلام في خاتمة سورة النمل خلا انه قدم فيها القرآن على الكتاب كما سيذكر هناك
ولما بين كون السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقرآن لتوجيه المخاطبين الى حق تلقي ما فيها من الاحكام والقصص والمواعظ

شرع فى بيان ما تتضمنه فقيل ربما بفتح الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد وبفتح الراء مخففًا وبزيادة التاء مشددًا وفيه ثمانية لغات فتح الراء وضمها مخففًا ومشددًا وبزيادة التاء ايضًا مشددًا ومخففًا ورب حرف جر لا تدخل الا على الاسم وما كافة مصححة لدخولها على الفعل وصحة الدخول على الماضى ودخولها على قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لما ان المترقب فى اخباره تعالى كالماضى المقطوع فى تحقق الوقوع فكأنه قيل ربما ود الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب والقرآن وكونه من عند الله تعالى لو كانوا مسلمين منقادين لحكمه ومذعنين لاحقيته وقيل يذاق بان كفرهم انما كان بالجود بعد ما علموا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم القيمة او عند موتهم او عند معاينة حالهم وحال المسلمين من النار روى ان ابا موسى الاشعرى انه قال النبى عليه السلام اذا كان يوم القيمة واجتمع اهل النار فى النار ممن شاء الله تعالى من اهل القبلة قال لهم الكفار الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا الى النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغضب الله تعالى لهم بفضل رحمته فيأمر بكل من كان من اهل القبلة فى النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع اليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الاسلام والحق ان ذلك محمول على شدة ولادتهم واما نفس الودادة فليست بمختصة بوقت دون وقت بل هى مستمرة فى كل آن يمر عليهم وان المراد بيان ذلك على ما هو من الكثرة وانما جىء بصيغة التقليل جريًا على سنن العرب فيما يقصدون به الافراط فيما يعكسون عنه تقول البعض فوادك العاكر عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندى اولًا تعدم عندى فارسًا وعندى معانب جمة من الكتائب وقصده فى ذلك التمادى فى تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار ربرباته من التزيد وابراز انه ممن تقلل لعلو الهمة كثيرا ما عنده فضلًا عن تكثير القليل وهذه من طريقة ان تسلك فى الكلام الامر من الوضوح بحيث لا يجوم حوله شائبة ريب منها راليه ايمأ فدل النظم الكريم على مودة الكافرين للاسلام فى كل آن من آنات اليوم الآخر وان ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه على احد ولو جىء بكلام يدل على ضده وان تلك الودادة مع كثرتها فى نفسها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء وهذا هو الموافق لمقام بيان مقارة شان الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ذرهم يأكلوا الخ اذ ذكر بالى الاشعار بان من شان العاقل اذا عن له امر يكون مظنون الجدوى قليلًا به ما يكون كذلك ان لا يفارقه ولا يفارق ضده فكيف اذا كان متيقن الجدوى كما فى قولهم لعلك تستند على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فان المقصود ليس بيان كون الندم مرجو الوجود بل بيان كونه مرجو الوقوع بل التنبيه على ان العاقل لا يباشر ما يرجى فيه الندم او يقل وقوعه فيه فكيف بغلظ الوقوع وانه يكفى قليل الندم فى كونه حاجزًا عن ذلك العقل فكيف كثيره والمقصود من سلوك هذه الطريقة اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالنهى بناء على ادعاء ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم ان لا يفارقوه فكيف وهم يودونه كل آن وهذا اوفق بمقام استزجارهم عما هم عليه من الكفر وهذان طريقان متمايزان ذاتًا ومقامًا فمن ظنهما واحدًا فقد نأى عن توفية المقام حقه ذرهم ردع لهم عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة اولًا سبيل الى ارعوائهم عن ذلك وبالغ عن تخليتهم وشانهم بل مرهم بتعاطى ما يتعاطونه يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وفى تقديم الاكل ايذان بان تمتعهم انما هو من قبيل تمتع البهائم بالمآكل والمشارب والمراد دوامهم على ذلك لا احداثه فانهم كانوا كذلك ولم تمتعهم بلا استمتاع ما ينغص عليهم من القوارع والزواجر فان التمتع على ذلك الوجه حادث يصلح ان يكون مترتبا على تخليتهم وشانهم ويلههم ويشغلهم عن اتباعك وعن التفكر فيما هم بصيرون اليه او عن الايمان والطاعة فان الاكل والتمتع يفضيان الى ذلك الامل والتوقع لطول الاعمار وبلوغ الاوطار واستقامة الاحوال وان لا يلتفوا الى العاقبة والمآل الاخرا فالافعال الثلثة مجزومة على الجوابية للامر حسبما اوفت من تضمن الامر بالترك للامر بها على طريقة المجاز او على ان يكون المراد بالاكل المرقومة مباشرتهم لها غافلين عن وخامة عاقبتها غير مبالين لسوء منقلبتها اصلًا ولا ريب فى ترتب ذلك على الامر بالترك

فان النهى عما عليهم من ارتكاب القبائح مما يشوش عليهم تمتعهم وينغص عليهم عيشهم فاذا رام بتركه ليتمرغوا فيما هم فيه من حظوظهم
فيدهمهم ما يدهمهم وهم عنه غافلون فسوف يعلمون سوء صنيعهم او وخامة عاقبته او حقيقة الحال التى تجيئهم الى التمنى
المذكور حيث لم يعلموا ذلك من جهتك وهو مع كونه وعيدا اتما وعيدا وتهديدا اغيب تهديد تعليل للامر بالترك فان علمهم ذلك علة
لترك النهى والنصيحة لهم وفيه الزام للحجة ومبالغة فى الانذار اذ لا يتحقق الامر بالضد الا بعد تمرر الانذار وتقرر الجحود والانكار
كذلك ما رتب عليه من الاكل والتمتع والالهاء وما اهلكنا شروع فى بيان سر تاخير عذابهم الى يوم القيمة وعدم تعظيمهم فى سلك الامم
الدارجة فى تعجيل العذاب اى ما اهلكنا من قرية من القرى بالحسب بها وباهلها كما فعل ببعضها او باخلائها عن اهلاكهم كما فعل
باخرين الا ولها فى ذلك الشان كتاب اى اجل مقدر مكتوب فى اللوح واجب المراعاة بحيث لا يكون تبديله وقوعه حسب
الحكمة المقتضية له معلوم لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يصور التخلف عنه بالتقدم والتاخر
ان يكون لها كتاب اى اجل موقت لمهلكها قد كتبناه لا نهلكها قبل بلوغه معلوم لا يغفل عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم والتاخر
او تتصف بالظرف والجملة كما هى حال اى ما اهلكنا قرية من القرى فى حال من الاحوال الا وقد كان لها فى حق هلاكها كتاب
اى اجل مقدر مكتوب فى اللوح معلوم لا يغفل عنه او صفة لكن لا للقرية المذكورة بل للمقدرة التى هى بعض من المذكورة على المختار
فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة اى ما اهلكنا قرية فى القرى الا قرية لها كتاب معلوم كما فى قوله تع ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن
فان قوله تعالى لا يسمن صفة لكن لا للطعام المذكور لانه انما يدل على انحصار طعامهم الذى لا يسمن فى الضريع وليس المراد ذلك بل الطعام
المقدر بعد الا اى ليس لهم طعام من شئ من الاشياء الا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة بجملة الا كما توهم
واما توسيط الواو بينهما وان كان القياس عدمه فلا بد ان كان للالصاق بينهما من حيث ان الواو شانها الجمع والربط فان
فيه من التصفة اقوى لصوقا بالموصوف منها به فى قوله تع وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فان امتناع الانفكاك للاهلاك
عن الاجل المقدر عقلى وعن الانذار عادى جرى عليه السنة الالهية ولما بين ان الامم المهلكة كان لكل منهم وقت معين
لهلاكهم وان هلاكهم لم يكن الا حيثما كان مكتوبا فى اللوح بين ان امة من الامم منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن التقدم عليه
ولا التاخر عنه فقيل ما تسبق من امة من الامم المهلكة وغيرهم اجلها المكتوب فى كتابها اى لا يجئ هلاكها قبل مجئ
كتابها او لا يمضى امة قبل مضى اجلها فان السبق اذا كان واقعا على زمانى فمعناه المجاوزة والتخليف فاذا قلت سبق زيد عمرا
فمعناه انه جاوزه وخلفه وراءه واذا كان واقعا على زمان كان الامر بالعكس والسر فى ذلك ان الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه
الى المتكلم فاسبقه يتحقق قبل تحققه واما الزمانى فانما يعتبر فيه الحركة والتوجه الى ما ياتى من الزمان فالسابق ما تقدم الى المقصد
واريد ذه بعنوان الاجل باعتبار ما يقتضيه من السبق كما ان ايراده بعنوان الكتاب المعلوم باعتبار ما يوجب من الاهلاك
وما يستاخرون اى وما يتاخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له واثبات صيغة المضارع فى النعلين
بعد ما ذكر نفى الاهلاك بصيغة الماضى لان المقصود بيان دوامها واستمرارها فيما بين الامم الماضية والباقية واسنادها الى الامة
بعد اسناد الاهلاك الى القرية لما ان السبق والاستيخار بحال الامة دون القرية مع ما فى الامة من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم ممن
اخرت عقوباتهم الى الاخرة وتاخير عموم ذكر عدم تاخر عن ذكر عدم سبقهم مع كون المبالغة فى بيان تحقق عذابهم اما باعتبار تقدم
السبق فى الوجود واما باعتبار ان المراد بيان تاخر عذابهم مع استحقاقهم لذلك وايراد الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى
مع التغليب ورعاية الفواصل ولذلك حذف العائد والمجرور والجملة مبنية لما سبق والمعنى ان تاخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما
اشير اليه ببيان دوامهم للاسلام اذ ذاك وبالامر بتركهم وشانهم الى ان يعلموا حقيقة الحال انما هو لتاخر اجلهم المقدر

لما يقتضيه من الحكم البالغة ومن جملتها ما علم الله تعالى من ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيمة وقالوا شروع فى بيان كفرهم من انزل
عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب وما يؤل اليه حالهم والقائلون مشركو مكة لغاية تماديهم فى العتو والغى يا ايها الذى نزل
عليه الذكر خاطبوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا له بل استهزاء بهم واشعارا بعلة حكمهم الباطل فى قولهم
انك لمجنون كذاب فرعون اذ قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون تعنون يا من يدعى هذا الامر البديع الخارق للعادات انك
بسبب تلك الدعوى او بشهادة ما يعتريك عند ما تدعى انه ينزل عليك لمجنون وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لان الكلام
متوجه الى كون النازل ذكرا من الله تعالى لا الى كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون النازل منه تعالى كما فى قوله تعالى لو انزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم فان الانكار هناك متوجه الى كون المنزل عليه رسول الله تعالى وايراد الفعل على صيغة المجهول لايهام ان ذلك ليس
بفعل لفاعل او لتوجيه الانكار الى كون النزل عليه لا الى اسناده الى الفاعل لو ما تاتينا كلمة لو عند تركبها مع ما تفيد ما تفيده عند
تركبها مع لا من معنى امتناع الشئ لوجود غيره ومعنى التحضيض ظاهرا انه عند ارادته لا يليها الا فعل ظاهرا او مضمرا وعند ارادة المعنى
الاول لا يليها الا اسم ظاهرا او مقدر عند البصريين والمراد هنا هو الثانى اى هلا تاتينا بالملئكة يشهدون لصحة نبوتك ويعضدونك
فى الانذار كقوله تعالى لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا ويعاقبونا على التكذيب كما فى قصة ثمود ارسلهم ان كنت من الصادقين
فى دعواك فان قدرة الله تعالى على ذلك مما لا ريب فيه وكذا احتياجك اليه فى تشييد امرك فانا لا نصدقك بدون ذلك وان كنت من جملة
تلك الرسل الصادقين الذين عذبت امم المكذبة لهم ما ننزل الملئكة بالنون على بناء الفعل لضمير الجلالة من التنزيل وقرئ من الانزال
وقرئ ينزل مضارعا من التنزيل على صيغة البناء للمفعول ومن التنزيل بحذف احدى التاءين وما ضيا منه ومن التنزيل ومن الانزال
وهو كلام مسوق الى النبى صلى الله عليه وسلم جوابا لهم عن مقالتهم المحكية ورد الاقتراحهم الباطل وشدة استدعاء ذلك للجواب
قدم رده على ما هو جواب عن اولها اعنى قوله انا نحن نزلنا الذكر الآية كما فعل فى قوله تعالى قل انما يأتيكم به الله فانه مع كونه جوابا عن قولهم
فأتنا بما تعدنا قدم على قوله ولا ينفعكم نصحى الآية مع كونه جوابا عن اول كلامهم الذى هو قولهم يا نوح قد جادلتنا لما ذكر من شدة
اقتضائه للجواب وليكون احد الجوابين متصلا بالسؤال وفى العكس يلزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله والعدول عن طريقة نظائر
كلامهم بصدد الاقتراح وهو ان يقال ما تأتيهم بهم للايذان بانهم قد اخطأوا فى التعبير حيث اقترحوا ان الملئكة لعلو
رتبتهم اعلى من ان ينسب اليهم مطلق الاتيان الشامل للانتقال من احد الامكنة المتساوية لا لآخر منها بل من الاسفل الى الاعلى
وان يكون مقصد حركاتهم اولئك الكثرة وان يدخلوا تحت ملكوت احد من البشر وانما الذى يليق بشانهم النزول من مقامهم العالى
وكون ذلك بطريق التنزيل من جناب الرب الجليل الا بالحق اى ملتبسا بالوجه الذى حق ملابسة التنزيل به مما يقتضيه الحكمة
ويجرى اليه السنة الالهية كقوله سبحانه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق والذى اقترح من التنزيل لاجل الشهادة لهم
وهم هم وفى نزلتهم فى الحقارة والهوان منزلتهم لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة اصلا فان ذلك من باب التنزيل بالوحى الذى لا يكاد ينفتح
على غير الانبياء الكرام من افراد كمل المؤمنين فكيف على امثال اولئك الكفرة اللئام وانما الذى يدخل فى حقهم تحت الحكمة فى الجملة
هو التنزيل للتعذيب والاستيصال كما فعل باضرابهم من الامم السالفة ولو فعل ذلك لاستوصلوا بالمرة وما كانوا اذا منظرين
جزاء الشرط مقدر وفيا يذان بانتاج مقدماتهم لنقيض مطلوبهم كما فى قوله تعالى واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا قال صاحب النظم
لفظة اذن مركبة من اذ وهو بمعنى الحين تقول اتيتك اذ جئتنى اى حين جئتنى ثم ضم اليها ان فصارا اذا ان ثم استثقلوا الهمزة
فحذفوها فجرى لفظة ان دليلا على اضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا اذا ان كائن ما طلبتم انتهى والمعنى لو نزلنا لهم ما كانوا
مؤخرين كاضرابهم من الامم المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك تجرى عليهم سنة القضاء بتاخير العذاب الى يوم القيمة حسبما
اجمل فى قوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل وحال حامل الحكمة بينهم وبين استيصالهم لتعلق العلم والارادة بازدياد هم

عذابا وبإيمان بعض ذراريهم وأما نظم ايمان بعضهم في بعض الحكمة فبأباه مقام بيان تماديهم في الكفر والفساد ولجاجهم في المكابرة والعناد
هذا هو الذي يستدعيه اعجاز التنزيل الجليل وأما ما قيل في تعليل عدم موافقة التنزيل للحكمة من أنهم حتم يكونون مصدقين
عن اضطرار أو أنه لا حكمة في ان نأتيكم بصور نشاهدونها فانه لا يزيدكم الآيات وان انزال الملئكة لسوا مصرين على كفرهم فيصير عشا باطلا
ولا يكون حقا فمع اضلال كل من ذلك بقطعية الباقي لا يلزم من فرض وقوع شئ من ذلك تعجيل العذاب الذي يفيده قوله تعالى وما كانوا
اذا منظرين بناء على تقدير كون اقتراحهم لاتيان الملئكة لاجل الشهادة على تقدير كون ذلك تعذيبهم فالمعنى انا ما ننزل الملئكة للتعذيب
الا تنزيلا ملتبسا بالحق الذي يقتضيه الحكمة ويستدعيه المصلحة ضما بحيث لا محيد عنه ولو نزلناهم حسبما نزل ذلك التنزيل المنبئ بمقتضى الحكمة
الموجبة لتأخير عذابهم الى يوم القيمة لارتفعنا بهم بل تشديدا عليهم كما مر من قبل وحيث كان في نسبة تنزيلهم للتعذيب الى عدم موافقته للحكمة
نوع ايهام لعدم استحقاقهم التعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر الى ما علا النظم الكريم تحكما قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين وذلك غير موافق للحكمة
الموجبة لتأخير عذابهم لتشديد عقابهم وقيل المراد بالحق الوحي وقيل العذاب فتدبر انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم التنزيل
واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وتسلية له اي نحن نعظم شاننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذي انكروه وانكروا
نزوله ونسبوك بذلك الى الجنون وعوامل جعلت بنوا الفعل للمفعول ايماء الى انه اخر لا مصدر له وفعل الفاعل وانا له لحافظون
عن كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزائهم به دخولا اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين وانما الحفظ عن مجرد التحريف والزيادة
والنقص وامثالها فليس بمقتض للمقام فالوجه الحمل على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيقته ويجوز ان يراد
حفظه بالاعجاز دليلا على التنزيل من عنده تعالى اذ لو كان من عند غير الله لتطرق عليه الزيادة والنقص والاختلاف وفي سبك الجملتين من الدلالة
على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شان التنزيل ما لا يخفى وفي ايراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه اعلم
وقيل الضمير المجرور للرسول عليه السلام كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتأخير هذا الكلام وان كان جوابا عن اول كلامهم الباطل
رد له لما ذكر آنفا ولارتباطه بما يعقبه من قوله ولقد ارسلنا اي رسلا وانما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه من قبلك متعلق
بارسلنا او بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف اي رسلا كائنة من قبلك في شيع الاولين اي فرقهم واحزابهم جمع شيعة
وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب من شاعه اذا تبعه واضافة الى الاولين من اضافة الموصوف الى الصفة عند الفراء ومن حذف
الموصوف عند البصريين اي شيع الامم الاولين ومعنى ارسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة منهم ليتابعوه في كل
ما يأتي ويذر من امور الدين وما يأتيهم من رسول المراد نفي اتيان كل رسول لشيعته الخاصة به لا نفي اتيان كل رسول لكل
واحدة من تلك الشيع رسول خاص بها الا كانوا به يستهزؤن كما يفعله ابو لهب وامثاله والجملة في محل النصب على انها حال مقدرة
من ضمير المفعول في يأتيهم اذا كان المراد بالاتيان صدوره او في محل الرفع على انه صفة رسول فان محلة الرفع على الفاعلية اي الا رسول
كانوا به يستهزؤن واما الجر على انها صفة باعتبار لفظه فيفضي الى زيادة من في الاستغراقية في الاثبات فيجوز ان يكون منصوبا على الوصفية
بان يقدر الموصوف منصوبا على الاستثناء وان كان المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى تسلية لرسول الله عليه السلام بان هذه
عادة الجهال مع الانبياء عليهم السلام وحيث كان الرسول معصوما بالكتاب من عند الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالرسول استهزائهم
بالكتاب ولذلك قيل كذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام السابق من القاء الوحي متونا بالاستهزاء اي مثل ذلك السلك الذي
سلكناه في قلوب اولئك المستهزئين برسلهم وبما جاؤا به من الكتب نسلكه اي الذكر في قلوب المجرمين اي اهل مكة
او جنس المجرمين فيدخلون دخولا اوليا ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف او حال منه اي مسلكه سلكا مثل ذلك السلك
او نسلك السلك حاكيه مثله اي متونا بالاستهزاء غير مقبول لما يقتضيه الحكمة فانهم من اهل الخذلان ليس لهم استحقاق القبول
الحق وصيغة المضارع لكون المشبه به متقررا في الوجود وهو السلك الواقع في الامم السابقة او للدلالة على استحضار الصورة

والسلك ادخال الشئ فى آخر بحال سلكت الخيط فى الابرة والرمح فى المطعون لا يؤمنون به اى بالذكر حال من ضمير سلكناه اى غير مؤمنين
او بيان للجملة السابقة فلا محل لها وقد جعل الضمير للاستهزاء فيتعين البيانية الا ان يجعل الضمير المجرور ايضا له على ان الباء للملابسة
اى نسلك الاستهزاء فى قلوبهم حال كونهم غير مؤمنين بملابسته والحال المقدرة او مقارنة للابذان بان كونهم مقارنين للاقارير المكذبة فى
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد خلت سنة الاولين اى قد مضت طريقتهم سنها الله تعالى فى اهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء
وهو استئناف جئ به تكملة للتسلية ونصرة بالوعيد والتهديد ولو فتحنا عليهم اى على هؤلاء المقترحين المعاندين بابا من السماء
اى بابا ما لا بابا من ابوابها المعهودة كما قيل ويسر لهم الترقى والصعود اليه فظلوا فيه فى ذلك الباب يعرجون بانفسهم او بغيرهم
ويرون ما فيها من العجائب عيانا كما يفيده الظلول او فظل الملئكة الذين افترحوا اتيانهم يعرجون فى ذلك الباب وهم يرونه عيانا متوغلين
طول نهارهم لقالوا لغلظ عنادهم وغلوهم فى الكابرة وتنافيهم عن قبول الحق انما سكرت ابصارنا اى سدت من الاحساس من السكر
كما يدل عليه القراءة بالتخفيف او حيرت كما بعضد قراءة من قرأ سكرت اى حارت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم
كما قالوا عند ظهور بشائر الآيات الباهرة وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على انهم يثبتون القول بذلك وان ما يرونه لا حقيقة له واما هو
امر يخيل اليهم بالسحر وفى اسمية الجملة دلالة على دوام معنونها وايراده بعد تسكير الابصار لبيان انكارهم ما يرونه فان عروج كل منهم الى السماء
وان كان مرئيا لغيره فهو معلوم له بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الابصار فهم يدعون ان ذلك نوع آخر من السحر غير تسكير الابصار
ولقد جعلنا فى السماء بروجا صورا يزينها السيارات وهى البروج الاثنا عشر المشهورة المختلفة الاشكال والخواص مما يدل عليه
الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء والجعل ان جعل بمعنى الخلق والابداع وهو الظاهر فالجار متعلق به وان جعل
بمعنى التصيير فهو مفعول ثان له متعلق بمحذوف اى جعلنا بروجا كائنة فى السماء وزينا ها اى السماء بتلك البروج المختلفة الاشكال
والكواكب سيارات كانت او ثوابت للناظرين اليها فمن الزينين ظاهر او للمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدرها
وحكمة مدبرها فتزيينها ترتيبها على نظام بديع مستتبع للآثار الحسنة وحفظناها من كل شيطان رجيم مرجوم بالنجوم فلا يقدر
ان يصعد اليها ويوسوس فى اهلها ويتصرف فيها ويقف على احوالها الا من استرق السمع وهو على الاستثناء المتصل ان فسر
الحفظ بمنع الشياطين عن التعرض لها على الاطلاق والوقوف على ما فيها فى الجملة او المنقطع ان فسر ذلك بالمنع عن دخولها والتصرف
فيها عن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات ولما ولد النبى صلى الله عليه وسلم
منعوا من السموات كلها واسترق السمع اختلاسه شرا شبه بخطفة اليسيرة من فطان السموات لما بينهم من المناسبة فى الجوهر
او بالاستدلال من الاوضاع فاتبعه اى تبعه ولحقه شهاب لهب محرق وهى شعلة نار ساطعة وقد يطلق على الكوكب
والسنان لما فيهما من البريق مبين ظاهر اوه للمبصرين قال معمر قلت لابن شهاب الزهرى اكان يرمى بالنجوم فى الجاهلية قال نعم
وان النجم ينقض ويرمى الشيطان فيقتله او يخبله لئلا يعود الى استراق السمع ثم يعود الى مكانه قال افرأيت قوله تعالى انا كنا
نقعد منها مقاعد للسمع الآية قال غلظت وشددا مرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة ان الرجم كان
قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن فى شدة الحراسة كما بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الشياطين تركت بعضهم بعضا الى السماء
الدنيا يسترقون السمع من الملئكة فيرمون بالكواكب فلا يخطئ ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من يحرق وجهه وجنبه ويده حيث
يشاء الله تعالى ومنهم من يخبله فيصير عونا فيضل الناس فى البوادى قال القرطبى اختلفوا فى ان الشهب هل تقتل ام لا قال ابن
عباس رضى الله عنهما يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل قال والاول اصح والارض مددناها بسطناها وهو بالنصب
على الحذف على شريطة التفسير ولم نوا بالرفع لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية اعنى قوله تعالى ولقد جعلنا الخ والقينا فيها رواسى
ما يجده اعنى قوله تع والقينا فيها رواسى اى جبالا ثوابت وقد مر بيانه فى اوائل الرعد وانبتنا فيها اى فى الارض

او فيها وفي رواسيها من كل شيء موزون بميزان الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة
وغيرهما او من كل شيء مستحسن مناسب وما يوزن ويقدر من ابواب النعمة وجعلنا لكم فيها معايش ما تعيشون به
من المطاعم والملابس وغيرها مما يتعلق به البقاء وهي بيآء مرتجلة وقرئ بالهمزة تشبيها له بالشمائل ومن لستم له برازقين
عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل جعلنا لكم من تسمونهم بوازقه من العيال والمماليك والخدم والدواب وما اشبهها على طريقة
التغليب وذكرهم بهذا العنوان لرد حسبانهم انهم يكفون مؤناتهم ولتحقيق ان الله تعالى هو الذي يرزقهم واياهم ووجعلنا لكم فيها معايش
ومن لستم له برازقين وان من شيء إن للنفي ومن مزيدة للتاكيد وشيء في محل الرفع على الابتداء اي ما من شيء من الاشياء
الممكنة فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا إلا عندنا خزائنه النظرف خبر للمبتدإ وخزائنه مرتفع به على انه فاعله
لاعتماده او خبر له والجملة خبر للمبتدإ الاول والخزائن جمع الخزانة وهي ما يحفظ فيه نفائس الاموال لا غير غلب في العرف على ما للملوك
والسلاطين من خزائن ارزاق الناس شبهت مقدورات النفائد للحصر المندرج تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم
العالمين ومصونة عن وصول ايديهم مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها مهيأة ومتأتية لايجاده وتكوينه بحيث متى
تعلقت الارادة وجودها وجدت بلا تاخر سائر الاموال المخزونة في الخزائن السلطانية فذكر الخزائن على طريقة الاستعارة
التخييلية وما ننزله اي ما نوجد وما نكون شيئا من تلك الاشياء ملتبسا بشيء من الاشياء إلا بقدر معلوم اي الا ملتبسا
بمقدار معين تقتضيه الحكمة ويستدعيه المشية اتابعة لها لا بما تقتضيه القدرة فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل شيء بصفة
معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عداه ذلك مع استواء الكل في الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لابد له من حكمة تقتضي
اختصاص كل من ذلك بما اختص به وذلك لبيان سر عدم تكوين الاشياء على وجه الكثرة حسبما هو في خزائن القدرة وهو اما عطف
على مقدر اي ننزله وما ننزله الخ او حال مما سبق اي عندنا خزائن كل شيء والحال انا ما ننزله الا بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة
والثاني لبيان بالغ الحكمة وحيث كان انشاء ذلك بطريق التفصيل من العالم العلوي الى العالم السفلي كما في قوله تعالى وانزل لكم
من الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك بطريق التدريج عبر عنه بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وارسلنا الرياح
عطف على جعلنا لكم فيها معايش وما بينهما لتحقيق ما سبق وترشيح ما الحق اي ارسلنا الرياح لواقح اي حوامل شبهت الريح
التي يجيء بالخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك او ملقحات بالشجر والسحاب وتنظره الطوائح بعض
المطاوح في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح اي المهلكات وقرئ وارسلنا الريح على ارادة الجنس وانزلنا من السماء
بعد ما انشانا بتلك الرياح سحابا ماطرا ماء فاسقيناكموه اي جعلناه لكم سقيا وهو ابلغ من سقيناكم لما فيه من الدلالة
على جعل الماء معدا لهم ينتفعون به متى شاؤا وما انتم له بخازنين نفي عنهم ما اثبته لخازنيه بقوله وان من شيء الا عندنا
خزائنه كانه قيل نحن القادرون على ايجاده وخزنه في السحاب انزاله وما انتم على ذلك بقادرين وقيل ما انتم بخازنين له
بعد ما انزلناه في العذران والانهار والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع ان طبيعة الماء تقتضي الغور وانا لنحن نحيي
بالجادات الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها ويميت بازالتها عنها وقد يعم الاحياء والاماتة لما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير
للحصر وهو اما تاكيد للاول ومبتدا خبره الفعل والجملة خبر لانا ولا يجوز كونه ضمير الفصل لان اللام مانعة كما قيل فان النحاة
جوزوا دخول لام الابتداء التاكيد على ضمير الفصل كما في قوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق بل لانه لم يقع بين اسمين ونحن الوارثون
اي الباقون بعد فناء الخلق فاطبة المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك المجازي الحاكمون في الكل اولا وآخرا
وليس لهم الا التصرف التصوري والملك المجازي وفيه تنبيه على ان المتاخرين ليسوا بوارث للمتقدم كما يتوهمه من ظاهر الحال
ولقد علمنا المستقدمين منكم من تقدم منكم ولادة وموتا ولقد علمنا المستاخرين من تاخر ولادة وموتا او من خرج

كما ينزل الى سماء

وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستاخرين في تاخر

من

من اصلاب الآباء ومن ارحام الامهات بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تاخر في ذلك لا يخفى عليه شيء من احوالكم
وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على احدهما دليل عليه وفي تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى من الدلالة
كمال التاكيد وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل لان امراة حسناء كانت
تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتقدم بعض الناس ليتاخر او يتاخر آخر وليرى ما فنزلت والاول هو المناسب
لما سبق ولما لحق من قوله تعالى وان ربك هو يحشرهم الخ وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على انه هو القادر على حشرهم والمتولي
لامرهم لانهم كانوا يستبعدون ذلك وينكرونه ويقولون من يحيي العظام وهي رميم اي هو يحشرهم لا غير وفي الالتفات والتعرض للعنوان
الربوبية اشعار بعلة الحكم وفي الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم دلالة على اللطف بوعد انه حكيم بالغ الحكمة متقن في افعاله فانها عبارة عن العلم
بحقائق الاشياء على ما هي عليه والاتيان على الافعال على ما ينبغي عليم وسع علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للايذان بانقضائها للحشر
والجزاء ولقد خلقنا الانسان اي هذا النوع بان خلقنا اصله وادم فرد من افراده خلقا بديعا منظورا به على خلق سائر افراده
انطوى اجمالا كما مر تحقيقه في سورة الانعام من صلصال من طين يابس غير مطبوخ يصلصل اي يصوت عند نقره قيل
اذا نوهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تصحيف صل الذا انتن من حمإ من طين
متغير واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال اي من صلصال كائن من حمإ مسنون اي مصور من سنة الوجه
وهي صورته او مصبوب من سن الماء صبه اي مفرغ على هيئة الانسان كما يفرغ الصور من الجواهر المذابة في القوالب وقيل
مسنون فهو صفة لحمإ وعلى الاولين حقه ان يكون صفة لصلصال وانما اخر عن حمإ تنبيها على ان ابتداء مسنونيته ليس في حال كونه
صلصالا بل في حال كونه حمأ كما مر فيجوز ان يراد بالصلصال ما فرغ الحمأ مصورا من ذلك كمثال انسان اجوف منبعث منه الصوت ثم غيرته الجواهر آخر
فتبارك الله احسن الخالقين والجان اما الجنس وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان يشعب
الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وقرئ بالجر والنصب بفعل يفسره خلقنا
وهو اقوى من الرفع للعطف على الجملة الفعلية من قبل من قبل خلق الانسان ومن هذا يظهر جواز كون المراد بالمستقبل من احد
الشقين فيما سيأتي من الآخر والخطاب بقوله مكم للكل من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا امتناع
في خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا امتناع في خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي غالب اجزائها الجزء
النارى فانها اقبل للحياة التي غالب اجزائها الجزء الارضي وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب فاساق
الآية الكريمة كما هو للدلالة على كمال قدرته الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها
امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك منصوب باضمار اذكر وتذكير الوقت لما تقرر انه ادخل
في تذكير ما وقع فيه من الحوادث وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء الى كماله اللائق به شيئا فشيئا مع الاضافة
الى ضميره صلى الله عليه وسلم تعليل الحكم وتشريف لعليه السلام اي اذكر وقت قوله تعالى للملئكة اني خالق فيما سياتي وقيه السين في صيغة
المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل البتة من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه بشرا اي انسانا قيل ليس هذا عين
العبارة الجارية وقت الخطاب بل الظاهر ان يكون قد قيل لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية
على الاسم وقيل جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي البشرة بلا صوف ولا شعر من صلصال متعلق بخالق او بمحذوف
وقع صفة لمفعوله اي بشرا كائنا من صلصال كائن من حمإ مسنون تقدم تفسيره ولا تنافي هذا ما في قوله تعالى
في سورة ص من قوله بشرا من طين فان عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين من التغير والاسوداد وما ورد عليه من انه
التكوين لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكي غاية انه لم يتعرض لها هناك اكتفاء بما شرح ههنا فاذا سويته

اى صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبائعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح
الى تجويف جسم صالح لامساكها والا متلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة القابلة
لها اى فاذا كملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح التى هى من امرى فقعوا له امر من وقع يقع وفيه دليل على ان الامر مورد
مجرد الاقتضاء كما قيل اى اسقطوا له ساجدين تحية له وتعظيما او اسجدوا لله تعالى على انه دم بمنزلة القبلة حيث ظهرت فيه عجائب
آثار قدرته تعالى وحكمته كقول صائن رضه اليس اول من صلى لقبلتكم واعلم الناس بالقرآن والسنن فسجد الملئكة الى خلقته
فتوانه فنفخ فيه الروح فسجد الملئكة كلهم بحيث لم يشذ منهم احد اجمعون بحيث لم يتاخر فى ذلك احد منهم عن اخذ والافضل
لافادة هذا المعنى بالحالية بل تفيده التاكيد ايضا فان الاشتقاق الواضح يرشد الى ان فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والسياق
فى الخطابى التكميل على اكمل احوال الشئ ولا ريب فى ان السجود معا اكمل اصناف السجود لكن شاع استعماله بحو كل وافهم فعلم
كل فى افادة معنى الاحاطة من غير نظر الى الكمال فاذا فهمت الاحاطة من لفظ آخر لم يكن بتر اعاة الاصل سونا للكلام عن الالغاء
وقيل اكد تاكيد يفيد مبالغة فى التعميم هذا وان سجودهم هذا بل ترتب على ما حكى التعليق كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والتى
فى سورة ص او على الامر التنجيزى كما يسند عيانا فى غيرهما فقد خر جنا بفضل الله عز وجل عن عهدة تحقيقه فى تفسير سورة البقرة
الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا مزوجا مغمورا بالوف من الملئكة فغلبهم منهم تغليبا واما ان الملئكة جنسا
يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين استئناف مبين لكيفية عدم السجود وقد يكون مع التردد
وبه علم انه مع الاباء والاستكبار او منقطع فيتصل به ما بعده اى لكن ابليس ابى ان يكون معهم وفيه دلالة على كمال شكاكة
زايه حيث ادرج فى معصيته واحدة ثلث معاص مخالفة الامر والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام ومفارقة الجماعة والاباء
عن الانتظام فى سلك اولئك المقربين الكرام قال استئناف مبنى على سؤال من قال فماذا قال له عند ذلك فقيل قال
يا ابليس مالك اى اى سبب لك لاداى غرض لك كما قيل كقوله تعالى ما منعك الا تكون فى ان لا تكون مع الساجدين
لآدم مع انهم هم ومنزلتهم فى الشرف منزلتهم ولما كان التوبيخ عند وقوعه بمجرد تخلفه عنهم بل الكل من المعاصى الثلث المذكورة
قال الحاكى فى سورة الاعراف ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك ثم فى سورة ص قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى
ولكن اقتصر عند الحكاية فى كل موطن على ما ذكر فى موطن آخر واشعارا بان كل واحدة من تلك المعاصى الثلث كافية فى التوبيخ
واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا فى سورة البقرة وسورة بنى اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه
قال ابليس وهو ايضا استئناف مبنى على السؤال الذى يساق اليه الكلام لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفى اى ينافى حالى
ولا يستقيم منى لانى مخلوق من اشرف العناصر واعلاها انا اسجد لبشر اى جسم كثيف خلقته من صلصال من حمإ مسنون
اقتصر هنا على الاشارة الاجمالية الى ادعاء الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به حين قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته
من طين ولم يكيف اللعين بمجرد ذكر كونه دم من التراب الذى هو اخس العناصر واسفلها بل تعرض لكونه مخلوقا من احسن
احواله من كونه طينا متغيرا وقد اكتفى فى سورة الاعراف وسورة ص بما حكى عنه هنا فاقتصر على حكاية تعرضه لخلقة دم من طين
وكذا فى سورة بنى اسرائيل حيث قيل ءاسجد لمن خلقت طينا وفى خوابه دليل على ان قوله تعالى لم اكن لاسجد استئنافا عن الغرض
بل هو استئناف عن السبب وفى عدوله عن تطبيق جوابه على السؤال ورمه للتنصيص على المنافاة والى ذلك كانه قال
لم امتنع عن امتثال امرك ولا عن الانتظام فى سلك الملئكة بل عما بلغ شانى من الخضوع للمفضول ولقد جرى خذلان الله تعالى
على سنن قبايح عظيم وزلل عنه ان ما يدور عليه فلك الفضل والكمال هو التحلى بالمعارف الربانية والتخلى عن الملكات الرذيلة
التى افتخرها التكبر والاستعصاء على مربى العالمين جل جلاله قال فاخرج منها اى من جملة الملئكة المقربين

لا من السماء فان وسوسته لآدم وهم في الجنة انما كانت بعد هذا الطرد وقوله تعالى فاهبط منها ليس نصا في ذلك فان الخروج من بين الملأ الاعلى هبوط واي هبوط وآدم من الجنة على ان وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روي عن الحسن البصري او بطريق المشافهة بعد ان احتال في دخولها وتوسل اليه بالحية كما روي عن ابن عباس رض ولا ينافي هذا طرده على وجه الاهانة لما يقتضيه من الحكم البالغة فانك رجيم مطرود من كل رحمة وكرامة فان من نظر ديرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهة فان من عارض النص بالقياس فهو رجيم ملعون وان عليك اللعنة الابعاد عن الرحمة حيث كان ذلك من جهة الله سبحانه وان كان جاريا على السنة العباد قيل في سورة ص وان عليك لعنتي الى يوم الدين الى يوم الجزاء والعقوبة وفيه اشعار بتناخير عقابه وجزائه اليه وان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لفعله وانما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التهويل ما لا يوصف وجعل ذلك اقصى امد اللعنة ليس لانها تنقطع هنالك بل لانه عند ذلك يعذب بما ينسيه اللعنة من اصناف العذاب افتضحي كالزائل وقيل انما حدث به لانه ابعد غاية يضربها الناس كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وحيث امكن كون تاخير العقوبة مع الموت كسائر من اخرت عقوباتهم الى الآخرة من الكوة طلب اللعين تاخير موته كما حكي عنه بقوله تعالى قال رب فانظرني اي امهلني واخرني ولا تمتني والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذا جعلتني رجيما فامهلني الى يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ما شاء وينجو من الموت لاستحالة بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله للآخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعا في ذلك دليل على اذا اخبارا بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء للانظار خاص به وقع اجابة لدعائه اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما يقتضيه حكمة التكوين فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قوله فان ترحم فانت لذاك اهل فانه لا امكان لجعل العارف فيه لربط ما فيه من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها وان استنظاره كان طلبا لتاخير الموت آذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما قيل ونظم في ذلك في سلك من اخرت عقوبتهم الى الآخرة في علم الله تعالى ممن سبق من الجن والحق من التعليل لايلائم الاستنظار مع الحبق ولان ذلك التاخير معلوم من اضافة اليوم الى الدين مع اضافته في السؤال الى البعث كما عرفته وفي سورة الاعراف قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين بترك التوحيت والنداء والعارة في الاستنظار والانظار تحريا على ما ذكر ههنا في سورة ص فان ايراد كلام واحد على اسالب متعددة غير عزيز في الكلام البليغ واما ان كل اسلوب من اساليب النظم الكريم لابد ان يكون له مقام يقتضيه كما مر وان ملك من اللعين انما صدر عنه قرة وكذا اجوابه لم يقع الا دفعة فمقام المحاورة ان اقتضى احد الاساليب المذكورة فهو المطابق المقتضى الحال والبالغ الى طبقة الاعجاز فقد قر تحقيقه بتوفيق الله في سورة الاعراف الى يوم الوقت المعلوم فهو وقت النفخة الاولى التي علم انه يصعق عندها من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله تعالى ويجوز ان يكون المراد بالايام واحد والاختلاف في العبارات لاختلاف الاعتبارات فالتعبير بيوم البعث لان غرض اللعين به يتحقق وبيوم الدين لما ذكر من الجزاء بيوم الوقت المعلوم لما ذكر اولا ستيثاره تعالى بعلمه فلعل كلا من هذه الاوقات يجمع الخلق جميعا وبعثهم وجزاءهم في يوم واحد بيوت اللعين في اوله ويبعث في اواسطه ويعاقب في بقيته يروى ان بين موته وبعثه اربعين سنة من سني الدنيا مقدار بين النفختين ونقل عن الاحنف بن قيس انه قال قدمت المدينة اريد جبر المؤمنين عمر رضه فاذا انا بحلقة عظيمة وكعب الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول الناظر آدم عليه السلام الوفاة قال يارب سبقت بي عدوي ابليس اذا رآني مينا وهو منظر الى يوم القيمة فاجيب ان يا آدم انك ستردد الى الجنة ويؤخر اللعين الى النفخة ليذوق الم الموت بعد الاولين والآخرين ثم قال ملك الموت صف لي كيف تنزعه الموت

فلما وصفه قال يا رب صبي فنفخ الناس وقالوا يا أبا محمد كيف ذلك فأبى فأوحوا فقال يقول الله سبحانه لملك الموت عجبا لنفخ الأولى قد جعلت فيك قوة أهل السموات السبع وأهل الأرضين وأتى البستك اليوم ثوب السخط والغضب كلها فانزل بغضبي وسطوتي على رضيعي إبليس فأذقه الموت واحمل عليه فيه حرارة الأولين والآخرين من الثقلين أضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون ألفا قد امتلأوا غيظا وغضبا وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من أغلالها وانزع روحه المنتن بسبعين ألف كلاب من كلابها ونار ومالك لا يفتح أبواب النيران فتنزل ملك الموت بصورة لو نزل إليها أهل السموات والأرضين لماتوا بغتة من هولها فينتهي إلى إبليس فيقول قف لي يا خبيث لأذيقنك الموت كم من عباد ركت وقرون أضللت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين إلى المشرق فإذا هو بملك الموت بين عينيه فهرب إلى المغرب فإذا هو بين عينيه فيغوص البحار فتشرر منه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الأرض ولا يختفي له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم ويم فيتمرغ في التراب من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق حتى إذا كان في الموضع الذي أهبط فيه آدم وحواء وقد نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت الأرض كالجمرة أصوتشته الزبانية وطعنوه بالكلاليب ويبقى في النزع والعذاب إلى حيث يشاء الله تعالى ويقال لآدم وحواء اطلعا اليوم إلى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران إلى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا أتممت علينا نعمتك قال رب بما أغويتني الباء للقسم وما مصدرية والجواب لأزينن لهم أي أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم المعاصي في الأرض أي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى أخلد إلى الأرض وإقامته بعزة الله المغرة بسلطانه وقهره لإياي في إقامته بهذا فإنه فرع من فروعها وأثر من آثارها فلعله أقسم بها جميعا فحكى تارة قسمه بهذا وأخرى بذلك واللام في لأزينن جواب قسم محذوف والمعنى بسبب تسبيبك لإغوائي أقسم لأفعلن بهم مثل ما فعلت بي من التسبيب لإغوائهم بتزيين المعاصي وتسويل الباطل والمعتزلة أولوا الإغواء بالنسبة إلى الغي والتسبب له بأمره إياه بالسجود لآدم ونهوا عن حمل الآية وتسليطه على أغواء بني آدم بأنه تعالى قد علم منه ومن تبعه أنهم يموتون على الكفر ويصيرون إلى النار فأهملهم وأن في إهمالهم تعريضا لمن خالفه لاستحقاق فريد الثواب ولأغوينهم أجمعين لأحملنهم على الإغواء إلا عبادك منهم المخلصين الذين أخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعلم فيهم كيدي وقرئ بكسر اللام أي الذين أخلصوا نفوسهم لله عز وجل قال هذا صراط علي أي حق علي أراعيه مستقيم لا عوج فيه والإشارة إلى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من إغوائه أو الإخلاص على معنى أنه طريق يؤدي إلى الوصول إلي من غير اعوجاج وضلال والأظهر أن ذلك لما وقع في عبارة إبليس حيث قال لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية وقرئ علي من علو الشرف إن عبادي وهم المشار إليهم بالمخلصين ليس لك عليهم سلطان تسلط وتصرف بالإغواء إلا من اتبعك من الغاوين وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين تفخيم لشأن المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الإغواء عنهم وأن إغوائه للغاوين ليس بطريق التسلط بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم وإن جهنم لموعدهم أي موعد المتبعين أو الغاوين والأول أنسب وأدخل في الزجر عن اتباعه وفيه دلالة على أن جهنم مكان الوعد وأن الموعود مما لا يوصف في الفظاعة أجمعين تأكيد للضمير أو حال والعامل فيها الوعد أن جعل مصدرا على تقدير المضاف أو معنى الإضافة أن جعل اسم مكان لها سبعة أبواب بدخولها لكثرتهم أو سبع طبقات بنو لكونها بحسب مراتبهم في الغواية والمتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية لكل باب منهم من الأتباع والغواة جزء مقسوم حزب معين مقدر من غيره بما يقتضيه استعداده فاعلا ما للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وعن ابن عباس أن جهنم لمن أدعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الأصنام

وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ولعل حصرها في السبع لانحصار المهلكات في المحسوسات
بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرئ بضم الزاي وبحذف الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها مع تشديد الزاي في الوقف
والوصل ومنهم حال من جزء او من ضميره في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر
والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات وعيون اي مستقرون فيها خالدين لكل واحد منهم جنة وعين او لكل منهم عدة منهما كقوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ بكسر العين حيث وقع في القرآن العظيم ادخلوها على ارادة القول امرا من الله تع لهم بالدخول
وقرئ ادخلوها امرا منه تع للملائكة بادخالهم وقرأ الحسن ادخلوها مبنيا للمفعول على صيغة الماضي من الادخال بسلام ملتبسا
بسلام اي سالمين او مسلما عليكم آمنين من الآفات والزوال ونزعنا ما في صدورهم من غل اي حقد كان في الدنيا عن علي رض
ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم رضي الله عنهم اخوانا حال من الضمير في قوله تع في جنات او من فاعل ادخلوها او من الضمير
في آمنين والضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذلك قوله تع على سرر متقابلين ويجوز كونهما صفتين لاخوانا
او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وكون الثاني حالا من المستكن في الاول وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فهم
متقابلون في جميع احوالهم لا يمسهم فيها نصب اي تعب بان لا يكون لهم فيها ما يوجبه من الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول
كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل اصلا او بان لا يعتريهم ذلك وان باشروا الحركات العنيفة لكمال قوتهم وهو استئناف او حال بعد
حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين ابد الآباد لان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي وهم الذين عبر عنهم بالمتقين
اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة
اشعار بانه ليس المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصفه تع ذاته بالرحمة على وجه القصر دون التعذيب
ايذان بانهما مما يقتضيهما الذات وان العذاب انما يتحقق بما يوجبه من خارج ونبئهم عطف على نبئ عبادي والمقصود اعتبارهم
بما جرى على ابرهيم عم من البشرى في تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط من العذاب او نجاته عم مع اهله التابعين له في ضمن الخوف
وتنبيههم لحلول انتقامه تع من المجرمين وعلمهم بان عذاب الله هو العذاب الاليم عن ضيف ابرهيم عن ابن عباس رضا انهم
جبرئيل عم وملكان معه وقال محمد بن كعب وسبعة معه عم وقيل جبرئيل وميكائيل واسرافيل عم وقال الضحاك كانوا تسعة وعن السدي
كانوا احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل انهم كانوا اثني عشر ملكا وانما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لانهم لم يكونوا
مرسلين الى ابرهيم عم بل الى قوم لوط حسبما يأتي ذكره اذ دخلوا عليه نصب بفعل مضمر معطوف على نبئ اي واذكر وقت دخولهم
عليه او خبر مقدر مضاف الى ضيف اي خبر ضيف ابرهيم حين دخولهم عليه او بنفس ضيف على انه مصدر في الاصل فقالوا عند ذلك
سلاما اي نسلم سلاما او سلمنا او سلمت سلاما قال انا منكم وجلون اي خائفون فان الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه
قاله عم حين امتنعوا من اكل ما قربه اليهم من العجل الحنيذ لما ان المعتاد عندهم انه اذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا انه
لم يجئ بخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تع فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفه عم بسبب
دخولهم بغير اذن ولا بغير وقت اذ لو كان كذلك لما اجابوا بما اجابوا به ولم يتصد عم لتقريب الطعام اليهم وانما لم يذكر ههنا اكتفاء
بما بين في غير هذا الموضع الا يرى انه لم يذكر ههنا رده عم سلامهم قالوا لا توجل لا تخف وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله
اي اخافه ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف لتعليل النهي عن الوجل فان المبشر به لا يكاد يحوم حول
ساحته خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء اهله في عافية وسلامة زمانا طويلا بغلام هو اسحق عم لقوله تعالى
فبشرناه باسحق ولم يتعرض ههنا البشارة بيعقوب عم اكتفاء به عم ثم باسحق عم ولم يتعرض ههنا ليس لبشارة يعقوب عم
من ههنا اكتفاء بذكره في سورة هود عليم اذا بلغ وفي موضع بغلام حليم قال ابشرتموني بذلك على ان مسني الكبر

الاسرة بالضم الجماعة كالامة

وانما فى تعجبهم من بشارتهم بالولد فى حالة مبنية سابقة للولادة وزاد فى ذلك فقال فبم تبشرون اى بای اعجوبة تبشرونني فان البشارة بالامر المتصور وقوعه عادة بشارة بغير شئ او بای طريقة تبشرونني وقرئ تبشرنني بنون مكسورة على ادغام نون الجمع فى نون الوقاية قالوا بشرناك بالحق اى بما يكون لا محالة او بالیقين الذى لا لبس فيه او بطريقة هى حق وهو امر الله تعالى وقوله تعالى فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ من القنطين وكان مقصدهم على ان بشرا بغير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان مقصده عليه السلام استعظام نعمة الله تعالى فى صورة التعجب العادى المبنى على سنة الله تعالى المملوكة فيما بين عباده لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه كما ينبئ عنه قول الملئكة فلا تكن من القانطين دون ان يقولوا من المبشرين او نحوه قال ومن يقنط استفهام انكارى اى لا يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريقة المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه السلام لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومراده نفى القنوط عن نفسه على ابلغ وجه اى ليس لى قنوط من رحمة الله تعالى وانما الذى قلت لبنيّ مناف حالى لسعصان تلك النعمة الجليلة على وفق التعرض لوصف الربوبية والرحمة مالا يخفى من الجزالة وقرئ بضم النون وبكسر ما من قنط بالفتح ولم يكن هذا المعاوضة من الملئكة مع ابرهيم عليه السلام خاصة بل مع من سارة ايضا حسبما شرح فى سورة هود ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر ههنا ما ذكر هناك قال ابرهيم عليه السلام وتوسيط هذه بين قوله انا نبشرك وبين قوله فما خطبكم اى امركم وشانكم الخطير الذى لاجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون صريح فى ان بينهما مقالة طويلة لهم اشير به الى مكانها كما فى قوله تعالى قال اسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذى كرمت على الآية فان قوله الا خير ليس موصولا لقوله الاول بل هو مبنى على قوله فاخرج منها فانك رجيم فان توسيط قال بين قوليه للايذان بعدم اتصال الثانى بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره ثم خطابه لهم عليهم السلام بعنوان الرسالة بعد ما كان خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصديره بالفاء دليل على ان مقالتهم المطوية كانت متضمنة لبيان ان مجيئهم ليس لمجرد البيان بل لهم شان آخر لاجله ارسلوا فكانه قال م ان لم يكن شانكم مجرد البشارة فما ذا هو فلا حاجة الى الالتجاء الى ان علة م بان كل المقصود ليس البشارة بسبب انهم كانوا ذوى عدد والبشارة لا تحتاج الى عدد ولذلك اكتفى بالواحد فى زكريا وم ولا الى انهم بشروه فى تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدوا بها فتامل قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وجئ بهم بطريق التنكير ذما لهم واستهانة بهم الا آل لوط استثناء متصل من الضمير فى مجرمين اى الى قوم اجرموا جميعا الا آل لوط فان القوم والارسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط لنهلك الاولين وننجى الآخرين ويدل عليه قوله تعالى انا لمنجوهم اى لوطا واهله اجمعين اى مما يصيب القوم فانه استحاف للاخبار بنجاتهم لعدم اجرامهم او لبيان ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون حالهم بين بين والتعليل فان من تعلق بهم التنجية بمنجى من شمول العذاب او منقطع من قوم وقوله تعالى انا لمنجوهم متصل بال لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا قوله تعالى الا امراته استثناء من آل او من ضميرهم وعلى الاول من الضمير خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرئ بالتخفيف قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لنهلك معهم وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما علق فعل التقدير مع اختصاص ذلك بافعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قول واصله جعل الشئ على مقدار غيره واسنادهم له الى انفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لهم من المنزلة والاختصاص فلما جاء آل لوط المرسلون شروع فى بيان كيفية اهلاك المجرمين وتنجية آل لوط حسبما اجمل فى الاستثناء فصل فى التعليل نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به من الاهلاك والتنجية

وليس المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق كينونتهم عند آل لوط فان ما حكى عنه عم بقوله تعالى قال انكم قوم منكرون انما قاله عم
بعد اللتيا والتي حين ضاقت عليه الحيل وعيت به العلل لما لم يشاهد من المرسلين عند مقاساة الشدائد ومعاناة المكائد
من قومه الذين يريدون ما يريدون ما هو المعهود والمعتاد من الاعانة والامداد فيما يأتي ويذر عند تجشمه في تحصيلهم انكارا
لخذلانهم له وترك نصرته في مثل تلك المضايقة المعترية له بسببهم حيث لم يكونوا مباشرين معه لاسباب المدافعة والممانعة
حتى الجأته الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد حسبما فصل في سورة هود لا انه قاله عند ابتداء ورودهم له
خوفا ان يطرقوه بشر كما قيل كيف لا وهم بجوابهم المحكي بقوله قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي بالعذاب الذي
كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك قد قشروا العصا وبينوا جلية الامر فانى يمكن ان يعتريه بعد ذلك المساءة وضيق الذرع
وليست كلمة بل اضرابا عن موجب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل بما يسرك ويشفي به غيظك بل هو اضراب عما فهمه
من ترك النصرة له والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك حين تتوعدهم
ولعل تقديم هذه المقاولة على ما جرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة للمسارعة الى بشارة لوط عم باهلاك قومه وتنجية
آله عقيب ذكر بشارة ابراهيم عم وبهما اشير الى ذلك اجمالا ثم ذكر ما فعل القوم وما فعل بهم ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوعي
ثقة بمراعاته في مواقع اخر ونسبة المجيء بالعذاب اليهم مع انه نازل بالقوم بطريق تفويض امره اليهم لا بطريق نزوله
عليهم حسبما كان يتوعدهم به واتيناك بالحق اي باليقين الذي لا مجال فيه للامتراء والشك وهو عذابهم عبر عنه بذلك
تنصيصا على نفي الامتراء عنه او المراد بالحق الاخبار بمجيء العذاب المذكور وقوله تعالى وانا لصادقون تأكيد له
اي اتيناك فيما قلنا بالحق اي المطابق للواقع وانا لصادقون بالحق في ذلك الخبر او في كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم فيه
وعلى الاول تأكيدا اثر تأكيد وقوله تعالى فاسر باهلك شروع في ترتيب مبادي النجاة اي اذهب بهم في الليل وقرئ بالوصل
وكلاهما من السرى وهو السير في الليل وقرئ فسر من السير بقطع من الليل بطائفة منه او من آخره قال فتى الباب
وانظري في النجوم كم عليها من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد ما مضى منه شيء صالح واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم
وتسرع بهم وتطلع على احوالهم ولعل ايثار الاتباع على السوق مع انه المقصود بالامر للمبالغة في ذلك اذ السوق ربما يكون
بالتقدم على بعض مع التأخر عن بعض ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتأخر والالتفات المنهي عنه بقوله تعالى ولا يلتفت
منكم اي منك ومنهم احد فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه او يصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف منكم احد ولا يتخلف لغرض
فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن ذلك ليوطنوا انفسهم على المهاجرة او هو نهي عن ربط القلب بما خلفوه وهو للاسراع
في السير فان الملتفت قلما يخلو عن ادنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة من الاسراء والالتفات لا يستدعي عدم وقوعه
فان ذلك كما عرفت مرارا للاكتفاء بما ذكر في مواضع اخر وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله تعالى بالمضي اليه وهو الشام
او مصر وحذف الصلتين على الاتساع المشهور وايثار المضي الى ما ذكر على الوصول اليه واللحوق به للايذان باهمية النجاة
ولمراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين وقضينا اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر
مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع على انه بدل منه وفي ايثار اسم الاشارة على الضمير للدلالة على اتصافهم بصفاتهم
القبيحة التي مدار ثبوت الحكم اي دابر هؤلاء المجرمين وايراد صيغة المفعول بدل صيغة المضارع لكونها ادخل في الدلالة
على الوقوع وفي لفظ القضاء والتعبير عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك وتأخيره عن الجار والمجرور وابهامه اولا ثم تفسيره
ثانيا من الدلالة على فخامته وفظاعته ما لا يخفى وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد
مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء بمعنى مدبري هؤلاء

وجاء اهل المدينة شروع فى حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم على مكان الاضياف من الفعل والقول وما ترتب عليه بعد ما اشير الى ذلك اجمالا صيانة عليه اى جاء اهل سدوم فزلة لوطا م يستبشرون اى مستبشرين باضيافه م طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفى الضيف حيث كان مصدرا فى الاصل اطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث واطلاقه على الملكة بحسب اعتقاده م لكونهم فى زى الضيف والتاكيد ليس لانكارهم بذلك بل لتحقيق اتصالهم له واظهار اعتنائه بشانهم وتشمره لمراعاة حقوقهم وحمايتهم عن السوء ولذلك قال فلا تفضحون اى عندهم بان تتعرضوا لهم بسوء فيفعلوا اذ ليس لحد عندكم قدر وحرمة او لا تفضحون بتضييع ضيفى فان من المسئ الى ضيفه فقد مسئ اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه عارا واتقوا الله فى مباشركم لما يسوءنى ولا تخزون اى لا تذلون ولا تهينونى بالتعرض لمن اجرتهم بمثل تلك الفعلة الجيئة وحيث كان التعرض لهم بعد ان نزلهم م عن ذلك بقوله فلا تفضحون اكثر تاثيرا فى جانبه م واجلب للعار اليه اذ التعرض للجار قبل شعور المجير بذلك ربما يتسامح فيه واما بعد الشعور به والمناصبة لحمايته والذب عنه فذلك اعظم العار عبرهم عما يعتريه من جهتهم بعد النهى المذكور بسبب لجاجهم ومجاهرتهم بمخالفته بالجزى وامرهم بتقوى الله فى ذلك وانما لم يصرح بالنهى عن نفس تلك الفاحشة لانه كان يعرف انه لا يفيدهم ذلك وقيل المراد تقوى الله تعالى فى ركوب الفاحشة ولا سبيل الى توسيط بين النهيين عن امرين متعلقين بشئ م وكذلك قوله تعالى قالوا اولم ننهك عن العالمين اى عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر اى الم نتقدم اليك ولم ننهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل احد من الغرباء بالسوء وكان م ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه م عن ان يجير احدا فكانهم قالوا ما ذكرت من التضييع والخزى انما جاءك من قبلك لا من قبلنا اذ لو لا تعرضك لنا لما اغراك تلك الحالة وانما لم ينتهوا عما هم عليه قال هؤلاء بناتى يعنى نساء القوم فان نبى كل امة بمنزلة ابيهم او بناته حقيقة اى فتزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعية التزوج بين المسلمات والكفار وقد فصل ذلك فى سورة هود ان كنتم فاعلين اى قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بالله تعالى بحياة النبى صلى الله عليه وسلم او من الملئكة بحيوة لوط م والتقدير لعمرك قسمى او لعيشة فى العمر يختص به القبائح الخفة لكثرة دورانه على الالسنة انهم لفى سكرتهم غوايتهم او شدة غلمتهم التى ازالت عقولهم وتميزهم بين الخطا والصواب يعمهون يتحيرون ويتمادون فكيف يسمعون النصح وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة اى الصيحة العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبريل م مشرقين داخلين فى وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها اى عالى المدينة او عالى قراهم وهو المفعول الاول لجعلنا وقوله تعالى سافلها مفعول ثان وهو ادخل فى الهول والفظاعة من العكس كما مر وامطرنا عليهم فى تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب حجارة كائنة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب وقد فصل ذلك فى سورة هود وان فى ذلك اى فيما ذكر من القصة لايات لعلامات يستدل بها على حقية الحق للمتوسمين اى المتفكرين المتفرسين الذين يثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشئ بسمته وانها اى المدينة او القرى لبسبيل مقيم اى طريق ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان فى ذلك اى فيما ذكر من المدينة او القرى او فى كونها بمرئى من الناس لاية عظيمة للمؤمنين بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون ان ما حاق بهم من العذاب الذى ترك ديارهم بلاقع انما حاق بهم بسوء صنيعهم واما غيرهم فينجلون ذلك على الاتفاق او اوضاع الفلكية وافراد الاية بعد جمعها فيما سبق لما ان المشاهد ههنا بقية الآثار لا كل القصة كما فيما سلف وان كان ان مخففة من ان وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف واللام هى الفارقة اى وان الشان كان اصحاب الايكة وهم قوم شعيب م والايكة والليكة الشجرة الملتفة المكاثفة وكانت عامة شجرهم المقل وكانوا يكفرونها فبعثه الله تعالى اليهم فظالمين منهما وزين من الحد فانتقمنا منهم بالعذاب روى ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سحابة فالتجاوا اليها يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا

ارجوعهم

فاوهم

فاخذتهم فهو عذاب يوم الظلة وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة مدين فانه ارسل اليهم فذكر احدهما مثنيا على الآخر لبامام مبين بطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به حتى يستبين به الطريق ومعلم البناء واللوح الذي يكتب فيه لانهما مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر يعني ثمود المرسلين صالحا فان من كذب واحدا من الانبياء فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل الجنيبون لجنيب بن عبد الله بن الزبير واصحابه وكانوا وادي بين المدينة والشام كما يسكنونه وآتيناهم آياتنا وهي الايات المنزلة على نبيهم او المعجزات من الناقة وسقيها وشربها ودرها او الادلة المنصوبة لهم فكانوا عنها معرضين اعراضا كليا بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء او من العذاب لحسبانهم ان ذلك يحميهم منه عن جابر رضه انه قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصابهم ثم زجر رسول الله عليه السلام راحلته فاسرع حتى خلفها فاخذتهم الصيحة وهكذا وقع في سورة هود وقيل صاح بهم جبريل وقيل انتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة وقد تجيء من رواد في الصيحة المستتبعة لتموج الهواء تموجا شديدا يفضي اليها كما مر في سورة هود فما اغنى عنهم ولم يدفع عنهم ما نزل بهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال الوافرة والعدد الكثيرة وفيه تهكم بهم والغاء لترتيب عدم الاغناء الخاص بوقت نزول العذاب حسبما كانوا يرجونه لا عدم الاغناء المطلق فانه امر مستمر وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي الخلق ملتبسا بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد واستمرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء دفعا لفسادهم او ارشادا لمن بقي الى الصلاح او ان بسبب العدل الانصاف يوم الجزاء على الاعمال كما ينبئ عنه قوله تعالى وان الساعة لآتية فينتقم الله تعالى لك فيها من كذبك فاصفح اي اعرض عنهم الصفح الجميل اعراضا جميلا وتحمل اذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة بآية السيف ان ربك الذي يبلغك الى غاية الكمال هو الخلاق لكل هم ولسائر الموجودات على الاطلاق العليم باحوالك واحوالهم بتفاصيلها فلا تخش عليه شيئا مما جرى بينك وبينهم حقيق بان تكل جميع الامور اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم تفاصيل احوالكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح فهو تعليل للامر بالصفح على التقدير دون مصحف عثمان وابي رضه هو الخالق وهو صالح للتعليل والكثير والخلاق مختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وعليه عمر وعلي وابن مسعود وابو هريرة والحسن وابو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة رحمهم الله وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابعتها الانفال والتوبة فانهما في سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل يونس والحواميم السبع وقيل الصحائف السبع وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير فان كان المراد الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرير قراءتها في غير الصلوة كما قيل فليس بحيث يكون مدارا للتسمية ولانها بنصف ما يقرأ بعدها في الصلوة واما تكرر نزولها فلا يكون وجها للتسمية لانها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثاني اذ السورة مكية بالاتفاق وان كان المراد غيرها فوجه كونها من المثاني ان كلا من ذلك يكرر قراءته والفاظه وقصصه ومواعظه او من الثناء لاشتماله على ما هو ثناء على الله تعالى واصرحها مثناة او مثنية صفة للآية واما السور او الاسباع فلما فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك مما فيها من الثناء على الله تعالى كما انها تثنى عليه سبحانه بافعاله وصفاته الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن لما ذكر اولانه مثنى عليه بالاعجاز وكتب الله تعالى كلها قرن للتبعيض وعلى الاول للبيان والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص

كما روي من الدعا على النبي صلى الله عليه وسلم للاعجاز
ان يكون المراد بالقرآن مفهوم الكلام المنزل
ان يكون المراد بالقرآن مجموع السور
فمن عطف الكل على الخاص او العام على الخاص

وان اريد به الاسباع وكل القرآن فهو عطف احد الوصفين على الآخر كما في قوله تعالى الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتائب في المزدحم •
اى ولقد اتيناك ما يقال له سبع المثاني والقرآن العظيم • لا تمدن عينيك • لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك
الى ما متعنا به • من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها • ازواجا منهم • اصنافا من الكفرة فان ما في الدنيا من اصناف
الاموال والذخائر بالنسبة الى ما اوتيته مستحقر لا يعبأ به اصلا وفي حديث ابي بكر رض من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي
افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا • وروي انه وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها
انواع البز والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فقيل لهم
قد اعطيتم سبع آيات وهي خير من هذه القوافل السبع • ولا تحزن عليهم • حيث لم يؤمنوا ولم ينتظموا في سلك اتباعك ليتقوى بهم
ضعفاء المسلمين وقيل انهم المتمتعون به وتاباه كلمة على فان تمتعهم به لا يكون مدارا للحزن عليهم • واخفض جناحك للمؤمنين •
اى تواضع لهم وارفق بهم والن جانبك لهم وطيب نفسا عن ايمان الاغنياء • وقل اني انا النذير المبين • اى المنذر المظهر
لنزول عذاب الله تعالى وحلوله • كما انزلنا على المقتسمين • قيل انه متعلق بقوله تعالى ولقد آتيناك الخ اى انزلنا عليك كما انزلنا
على اهل الكتاب • الذين جعلوا القرآن عضين • اى قسموه الى الحق والباطل حيث قالوا عنادا وعدوانا بعضه حق موافق
للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او اقتسموه لانفسهم استهزاء حيث كان يقول بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم سورة
آل عمران لي وهكذا او قسموا ما قرأوا من كتبهم وحرفوه فاقروا ببعضه وكذبوا ببعضه وحمل توسط قوله تعالى لا تمدن عينيك على ما ادام
ما هو المراد بالكلام من التسلية وعقب ذلك بانه حال المقام عن التشبيه ولقد اوتي ما لم يؤت احد قبله ولا بعده مثله وقيل انه
متعلق بقوله وقل اني انا النذير المبين فانه في قوة الامر بالانذار كانه قيل انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين يعني اليهود وهو
ما جرى على قريظة والنضير بان جعل المتوقع كالواقع وقد وقع كذلك وانت خبير بان ما شبه به العذاب المنذر لا بد ان يكون محقق
الوقوع معلوم الحال عند المنذرين اذ به يتحقق فائدة التشبيه وهي تأكيد الانذار وتشديده وعذاب بني قريظة والنضير مع عدم
وقوعه اذ ذاك لم يسبق به وعد ووعيد فهو منه في غفلة محضة وشك مريب وتنزيل المتوقع منزلة الواقع له موقع جليل من الاعجاز
لكن اذا صادف مقاما يقتضيه كما في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ونظائره على ان تخصيص الاقتسام باليهود يجدد اختصاص
العذاب المذكور بهم مع شركتهم للنصارى في الاقتسام المتنوع على الموافقة والمخالفة وفي الاقتسام بمعنى التحريف الشامل
للكتابين بل تخصيص العذاب المذكور بهم مع كونه من نتائج الاقتسام تخصيص من غير مخصص وقد جعل الموصول مفعولا
اول لانذر اى انذر المعضين الذين يجزؤن القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر
الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعد كل منهم في مدخل ليغروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم
لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب فاهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله بآفات وفيه مع ما فيه من الاشتراك
لما سبق في عدم كون العذاب الذي شبه به العذاب المنذر واقعا ولا معلوما للمنذرين ولا موعود الوقوع انه لا داعي الى تخصيص
وصف التعضية بهم واخراج المقتسمين من بينهم مع كونهم اسوة لهم في ذلك فان وصفهم لرسول الله عليه السلام بما وصفوا من الشعر
والسحر والكذب متفرع على عضهم ووصفهم للقرآن بتلك وهل هو الا نفس التعضية ولا الى اخراجهم من حكم الانذار على ما نزل بهم
من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به عذاب غيرهم ولا مخصوصا بهم بل عاما لكلا الفريقين وغيرهم مع ان بعض المنذرين
كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن مطلب قد هلكوا قبل ما هلك اكثر المقتسمين يوم بدر ولا الى تقديم المفعول الثاني
على الاول كما ترى وقيل انه وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم القاعدون في مداخل مكة كما مر وفيه مع ما مر
ان قوله تعالى كما انزلنا صريح في انه من قول الله تعالى لا من قول الرسول عم والاعتذار بان ذلك من باب ما يقوله بعض خواص الملك

انا

الموافاة الاتيان • سعدي

قوله صغر عظيما ... القرآن وعظم صغيرا ... غيره كازروني

اى عن المعضين و

سعدي

[illegible]

بالسلام سعدي

امرنا بكذا وان كان الآمر هو الملك حسبما سلف في قوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين لتعسف لا يخفى وان اعمال الوصف الموصوف
مما لم يجوزه البصريون فلا بد من الهرب الى مسلك الكوفيين او المصير الى جعله مفعولا لغير صريح اى انا النذير المبين بعذاب مثل عذاب
المقتسمين **وقيل** المراد بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام فاهلكهم الله تعالى وانت تدرى ان عذابهم حيث
كان متحققا ومعلوما للمنذرين حسبما نطق به القرآن العظيم صالح لان يقع مشبها به العذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقيبه حيث
لم يمكن كونه صفة للمقتسمين ح جعلناه مفعولا اول للنذير لدلالة ما دل عليه من انذر لا يكون للتعرض لعنوان التعضية في حيز
الصلة ولا العنوان للاقتسام بالمعنى المذكور في حيز المفعول الثاني خارج لما ان ذلك انما يكون للاشعار بعلية الصلة والصفة للحكم
الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك وجه تشبيه يدور عليه التشبيه عذابهم بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فان المقتسمين
بمعزل من التقاسم على التبييت الذي هو السبب لهلاك هؤلاء كما ان اولئك بمعزل من التعضية التي هي السبب لهلاك هؤلاء
ولا علاقة بين السببين مصححة لما طاع وجودا تصحح وقوع احدهما في جانب الآخر في جانبه كما ان اتفاق الفريقين على مطلق الانتقام
على الشر المفهوم من الاتفاق على الشر المخصوص الذي هو التبييت المدلول عليه بالتقاسم غير مفيد اذ لا دلالة لعنوان التعضية عليه وكذا
واما ما يدل عليه اقتسام المداخل وجعل الموصول مبتدأ على ان خبره الجملة القسمية لا يليق بجزالة التنزيل وجلالة شانه الجليل
اذا عرفت هذا فاعلم ان الاقرب من الاقوال المذكورة انه متعلق بالاول وان المراد بالمقتسمين اهل الكتابين وان الموصول
مع صلته صفة مبينة لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف النصب على المصدر وحديث جلالة المقام على التشبيه من لوائح النظر
الجليل والمعنى لقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ايتاء مماثلا لانزال الكتابين على اهلهما وعدم التعرض
لذكر ما انزل عليهم من الكتابين لان الغرض بيان المماثلة بين الايتاءين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيق ما في جانب
المشبه به بان يقال كما آتينا المقتسمين حسبما وقع في قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الخ للتنبيه على ما بين الايتاءين من التنافي
فلان الاول على وجه التكرمة والامتنان فشتان بينه وبين الثاني ولا يقدح ذلك في وقوعه مشبها به فان ذلك انما هو
لمسلميته عندهم وتقدم وجوده على المشبه زمانا لا لمزية تعود الى ذاته كما في الصلوات الجليلة فان التشبيه فيها ليس
لكون رحمة الله تعالى الفائضة على ابراهيم عليه السلام وآله اتم واكمل مما فاض على النبي صلى الله عليه وسلم وانما ذلك للتقدم في الوجود
والتنصيص عليه في القرآن العظيم فليس في التشبيه شائبة ايهام بافضلية المشبه به من المشبه فضلا عن ايهام افضلية
ما تعلق به الاول مما تعلق به الثاني وانما ذكروا بعنوان الاقتسام ابكارا لاتصافهم به مع تحقق ما ينفيه من الانذار
المذكور وايذانا بانه كان من حقهم ان يؤمنوا بكله حسب ايمانهم بما انزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة والاتحاد في الحقيقة
التي هي مطلق الوحي وفي توسيط قوله تعالى لا تمدن الخ لكمال اتصاله بما هو المقصود من بيان حال ما اوتي النبي عليه السلام
وتقديره اولا علو شانه ورفعة مكانه بحيث يستوجب اغتباطهم بمكانه واستغنائه به عما سواه ثم نهيه عن الالتفات
الى زهرة الدنيا وعبر عن ايتائها لاهلها بالتمتيع المنبئ عن وشك زوالها عنهم ثم عن الحزن بعدم ايمان المنهمكين فيها وامر
بمراعاة المؤمنين والاستغناء بهم عن غيرهم وباظهار قيامه بمواجب الرسالة ومراسم النذارة حسبما فصل في تضاعيف
ما اوتي من القرآن العظيم ثم رجع الى كيفية ايتائه على وجه ادمج فيه ما يزيح شبه المكرمين ويستنزلهم عن العناد من بيان
مشاركته لما لا ريب لهم في كونه وحيا صادقا فتأمل والله عنده ام الكتاب هذا **وقد قيل** المعنى قل اني انا النذير المبين
كما انزلنا في الكتب انك ستأتي نذيرا على ان المقتسمين اهل الكتاب انتهى يريد كما ان ما في كما موصولة والمراد بالتشبيه
المستفادة من الكاف الواقعة وهي مع ما في حيزها في محل النصب على الحالية من مفعول انزل اى قل هذا القول حال كونه
كما انزلنا على اهل الكتابين اى مطابقا لما فيها فلا يناسب ح حمل الاقتسام على التحريف لا يكون وصفهم بذلك تعريضا بما خلوا

اثره وقوعه مشبها به

من تجزيئهم وتكذيبهم لنعت النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى عضين جمع عضة وهي الفرقة أصلها عضوة فعلة من عضى الشاة تعضية اذا جعلها اعضاء وانما جمعت جمع السلامة جبرا للمحذوف كسنين وعزين والتعبير عن تجزية القرآن بالتعضية التي هي تمزيق الاعضاء من ذوي الروح المستدعي لازالة صيورته وابطال اسمه دون مطلق التجزية والتمزيق الذين ربما يوجدان فيما لا يقبل التبعيض من المثليات للتنصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم وقيل هي فعلة من عضه اذا بهته ومنع عكرمة العضة السحر بلسان قريش فتقصها بها على الاول واو وعلى الثاني تاء فوربك لنسألنهم أجمعين اي لنسألن يوم القيمة اصناف الكفرة من المستهزئين وغيرهم سؤال توبيخ وتبزيخ عما كانوا يعملون في الدنيا من قول وفعل وترك فيدخل فيه ما ذكر من الاقسام والتعضية دخولا اوليا ويجازيهم بذلك جزاء موفورا وفيه من التهديد وتاكيد الوعيد ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعيد على اعمالهم التي ذكر بعضها وفي التعرض لعنوان الربوبية مضافا اليه صلى الله عليه وسلم اظهار اللطف به ثم فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا والفرق بين الجهر والمجاهرة ان اصله الاباحة والتجهير وما مصدرية او موصولة والعائد محذوف اي ما تؤمر به من الشرائع المودعة في بعض آيات السبع والقرآن العظيم واعرض عن المشركين اي لا تلتفت الى ما يقولون ولا تبال بهم ولا تتعرض للانتقام منهم انا كفيناك المستهزئين بعقابهم وتدميرهم وقيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحرث بن قيس بن الطلاطلة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب بدا بالطعن في ايذاء النبي عليه السلام والاستهزاء به فمر جبريل عليه السلام على الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات ومر الى الحصى العاصي فدخلت في اخمصه شوكة فمال لونه وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي والى الحرث فاصفر فمات وآلى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينظر الى رأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوكة فمات الذين يجعلون مع الله الها آخر وصفهم بذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهويلا للخطب عليه باعلامهم انهم لم يقتصروا على الاستهزاء به بل اجترؤا على العظيمة التي هي الاشراك بالله تعالى فسوف يعلمون عاقبة ما يأتون ويذرون ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من كلمات الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به وبك وتخلية الجملة بالتاكيد للافادة بتحقيق ما يقتضيه من التسلية وصيغة الاستقبال للافادة استمرار العلم حسب استمرار متعلقه باستمرار ما يوجبه من اقوال الكفرة فسبح بحمد ربك فافزع الى الله تعالى فيما نالك من ضيق الصدر والحرج بالتسبيح والتقديس ملتبسا بالحمد والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم لما لا يخفى من اظهار اللطف به ثم والاشعار بعلة الحكم اعني الامر بالتسبيح والحمد وكن من الساجدين اي المصلين يكفك ويكشف الغم عنك او فثق بوعدنا تكن ملتبسا بحمدنا على ان هداك للحق المبين وعصمك من الخلق واعبد ربك داوم على ما انت عليه من عبادته تعالى واثر الاظهار بالعنوان المذكور لما مر آنفا لتاكيد ما سبق من اظهار اللطف به ثم والاشعار بعلة الامر بالعبادة حتى يأتيك اليقين اي الموت فانه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق واستعمال الاتيان اليه للايذان بانه متوجه الى الحي طالب للوصول اليه والمعنى دم على العبادة ما دمت حيا من غير اخلال بها لحظة عن رسول الله من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم على آله

سورة النحل مائة وعشر ون وثمان اية بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله اي الساعة او ما يقربها وغرنا من العذاب الموعود للكفرة عبر ذلك بامر الله للتفخيم والتهويل وللايذان بان تحققه في نفسه وانيانه منوط بحكمه الذي هو قضاؤه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع

فى سلك الواقع عن اتيان مبادية الغريبة على منهج اسناد حال الاسباب الى المسببات واتيانا ما كان فيه تنبيه على كمال قربه من الوقوع
واتصاله به وتكميل حسن موقع التنزيع فى قوله عز وجل فلا تستعجلون فان النهى عن استعجال الشئ وان صح تنزيعه على قرب وقوعه
لو على وقوع اسبابه الغريبة لكنه ليس بمثابة تنزيعه على وقوعه اذ بالوقوع يستحيل الاستعجال اصلا لا بما ذكر من قرب وقوعه ووقوع مباديه
والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه التوعرة على صيغة نهى الغائب واستعجالهم وان كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة وهو اعنى
بضرب من التهكم لا مع المؤمنين سواء اريد بامر الله ما ذكر او العذاب الموعود للكفرة خاصة اما الاول فلانه لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة
او ما يعمهم من العذاب حتى يعمهم المنهى عنه واما الثانى فلان استعجالهم لا بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا تشتظم هما
صيغة واحدة والالتجاء الى ارادة معنى مجازى يعمهما معا من غير ان يكون هناك علاقة نكتة سرية تعتف لا يليق بشان التنزيل الجليل
وما روى من انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا نوع ان البعثة قربت فامسكوا عن بعض ما يعملون حتى
ينظروا وهو كائن فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام
فقالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفناه فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فلما نزل فلا تستعجلوه
الخ قالوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل لما توهم من ان التعبير بالفاء ايذانا به فانه بمعزل عن ايذانه صحا تحققته بلا ان مناط
اطمئنانهم انما هو وقوفهم على ان المراد بالاتيان هو الاتيان الاذعانى لا الحقيقى الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزمة لامتناع
النهى عنه لما ان النهى عن الشئ يقتضى امكانه فى الجملة ومدار ذلك الوقوف انما هو النهى عن الاستعجال المستلزم لامكانه المقتضى
لعدم وقوع المستعجل بعد ولا يختلف ذلك باختلاف المستعجل كائنا من كان بل فيه دلالة واضحة على عدم العموم لان المراد
بامر الله انما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور استعجالها عن المؤمنين نعم يجوز تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون امر الله
عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن الذى يقتضيه الاعجاز التنزيلى انه خاص بالكفرة كما ستقف عليه ولما كان استعجالهم
ذلك من نتائج اشراكهم المستتبع لنسبته الله عز وجل الى ما لا يليق به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقاد ان احدا يجره عن انجاز وعده
او امضاء وعيده وقد قالوا ان تضاعيفه ان صح مجئ العذاب فالاصنام تخلصنا عنه شفاعتها رد ذلك فقيل بطريق الالتفات
سبحانه وتعالى عما يشركون اى تنزه وتقدس بذاته وجل عن اشراكهم المؤدى الى صدور امثال هذه الاباطيل عنهم او عن ان يكون
له شريك فيدفع ما اريد بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد اشراكهم واستمراره والالتفات الى الغيبة للايذان
بانقضاء ذكر قبائحهم للاعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب ومكافاة شناعتهم لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين يفوت
هذه النكتة كما يفوت ارتباط المنهى عنه المنزه عنه وقوله على صيغة الخطاب تنزل الملئكة بيان لتحتم التوحيد حسبما تتلى عليه
تنبيها اجماليا ببيان تقدس جناب الكبرياء وتعالية عن ان يحوم حوله شائبة ان يشاركه شئ فى شئ وانذار بان دين الجميع
جمهور الانبياء عليهم السلام وامروا بدعوة الناس اليه مع الاشارة الى سر البعثة والتشريع وكيفية افادة الوحى والتنبيه على طريق
اسلم الرسول صلى الله عليه وسلم بايتان ما اوعدهم به وما قرابه ازاحة لاستبعادهم اختصاصه بذلك واظهار البطلان
رايهم فى الاستعجال والتكذيب واتيان صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملئكة
اما جبريل عليه السلام قال الواحدى يسمى الواحد بالجميع اذا كان رئيسا او هو ومن معه من حفظة الوحى بامر الله تعالى وقرئ ينزل
من الانزال وتنزل بحذف احدى التاءين وعلى صيغة المبنى للمفعول من التنزيل بالروح اى بالوحى الذى من جملته
القرآن على نهج الاستعارة فانه يحيى القلوب الميتة بالجهل او يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد والباء متعلقة بالفعل
او بما هو حال من مفعوله اى ملتبسين بالروح من امره بيان للروح الذى اريد به الوحى فانه امر بالخير او حال منه
اى حال كونه ناشئا ومبتدأ من امره او صفة له اى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اى بالروح الكائن من امره الناشئ منه

لعله فيما روى
ان يكون

من نجز نعوتهم وكتمانهم لنعت النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى عضين جمع عضة وهي الفرقة اصلها عضوة فعلة من عضى الشاة
تعضية اذا جعلها اعضاء وانما جمعت جمع السلامة جبرا للمحذوف كسنين وعزين والتعبير عن تجزية القرآن بالتعضية التي
هي تفريق الاعضاء من ذوي الروح المستلزم لازالة حيوته وابطال اسمه دون مطلق التجزية والتفريق الذين ربما يوجدان
فيما لا يضره التبعيض من المشتات للتنصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم وقيل هي فعلة من عضته اذا بهته وعن عكرمة
العضة السحر بلسان قريش يقولون للساحر عاضه قيل فعلى الاول لامها واو وعلى الثاني ها فوربك لنسألنهم اجمعين اي لنسألن يوم القيمة
اصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع عما كانوا يعملون في الدنيا من قول وفعل وترك فنجازيهم فيه ما ذكر
من الاقت … لا يخفى والفاء لترتيب
الوعيد … بما تؤمر فاجهر به
من صدع … وضيطه والعائد
محذوف … واعرض عن المشركين
اي لا … ترتدم جرهم وقيل
كانوا … الاسود بن عبد يغوث
والا … ان الكفيكم فاومى
الى … وادى الى الحصن العاجر
فدخلها … المطلب فعمي والى الغب
الحرث … ويضرب وجهه بالشوكة
حتى مات … تحقيقا للمخاطب عليه
باعلا … يعلمون عاقبة
ما يأتون … ان والاستهزاء به
وبك … ارالعلم حسن استمرار
متعلقه … التقدير والحرج بالتسبيح
والتقديس … من اظهار اللطف به م والاشعار
بعلية الحكم اعني الامر بالتسبيح والحمد وكن من الساجدين … يكشف الغم عنك او فزع هو عما يقولون ملتبسا
بحمده على ان هداك للحق المبين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك دم على ما انت عليه
من عبادته تعالى وايثار الاظهار بالعنوان السابق آنفا لتأكيد ما سبق من اظهار اللطف به م والاشعار بعلية الامر
بالعبادة حتى يأتيك اليقين اي الموت فانه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق واسناد الاتيان اليه للايذان
بانه متوجه الى الحي طالب للوصول اليه والمعنى دم على العبادة ما دمت حيا من غير اخلال بها لحظة عن رسول الله
من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله
سورة النحل مائة وعشرون وثمان آية بسم الله الرحمن الرحيم
اتى امر الله اي الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر ذلك بامر الله للتفخيم والتهويل وللايذان
بان تحققه في نفسه واتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع

فى سلك الواقع عن اتيان مبادية الغريبة على نهج اسناد حال الاسباب الى المسببات وآتيا ما كان فيه تنبيه على كمال قربه من الوقوع
واتصاله به وتكميل حسن موقع التنزيع فى قوله عز وجل فلا تستعجلوه فان النهى عن استعجال الشئ وآن صح تنزيعه على قرب وقوعه
او على وقوع اسبابه الغريبة لكنه ليس بمثابة تنزيعه على وقوعه اذ الوقوع يستجيل الاستعجال اراسا لا يجاذكر من قرب وقوعه ووقوع مباديه
والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه التوآرة على صيغة نهى الغائب واستعجالهم وآن كان بطريق الاستهزآء لكنه حمل على الحقيقة وهو عنه
بضرب من التهكم لامع المؤمنين سواد اريد بامر الله ما ذكر او العذاب الموعود للكفرة خاصة اما الاول فلانه لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة
او ما يقربها من العذاب حتى يتجهم المنهى عنه واما الثانى فلان استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة بطريق الاستهزآء كما عرفته فلا تنظم هما
صيغة واحدة والالتجآء الى ارادة معنى مجازى يعمهما معا من غير ان يكون هناك عاية نكتة سرية تعتف لا يليق بشان التنزيل الجليل
وما روى من انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا نوع ان البعثة قريب فامسكوا عن بعض اعمالكم لعلنا ان نحن
ينظروا وهو كاذب فلما تاخر
فقالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخ
اما تواطيس فيه دلالة على ع
اطمئنانهم انما هو وقوفهم على ان ا
النهى عنه لما ان النهى عن الشئ
لعدم وقوع المستعجل بعد ولا ب
بامر الله انما هو الساعة وقد ع
عبارة عن العذاب الموعود للكف
ذلك من نتايج اشراكهم المستند
او امضاء وعيد وقد قالوا

سبحانه وتعالى عما يشركون
لا شريك فيدفع ما اراد بهم بوجه
باقتضاء ذكر قبايحهم للاعراض ع
هذه النكتة كما يفوت ارتباط الن
تنبيها اجماليا ببيان تقدس جناب
جمهور الانبياء عم وامروا بدعوة الناس اليه مع ا
اسلم الرسول صلى الله عليه وسلم بابيان ما اوعدهم به من عذاب الساعة لاستبعادهم اقتضاءه عدم ذلك واظهار البطلان
راهم فى الاستعجال والتكذيب وآثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملائكة
اما جبريل عم قال الواحدى يستعمل الواحد بالجميع اذا كان رئيسا او هو ومن معه من حفظة الوحى باذن الله تعالى وقرئ ينزل
من الانزال وتنزل بحذف احدى التاءين وعلى صيغة المبنى للمفعول من التنزيل بالروح اى بالوحى الذى من جملته
القرآن على نهج الاستعارة فانه يحيى القلوب الميتة بالجهل او بتقدم فى الدين مقام الروح فى الجسد والباء متعلقة بالفعل
او بما هو حال من مفعوله اى ملتبسين بالروح من امره بيان للروح الذى اريد به الوحى فانه امر بالخير او حال منه
اى حال كونه ناشئا ومبتدأ منه او صفة له اى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اى بالروح الكائن من امره الناشئ منه

اى بما روى

ان يكون

تنبيه
اذا دعى ربه انى اريانى ستى الضر وترى بالكسر
على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضم تابع للكاف
وبالضم خاص بما فى النفس ثم مرض فهزال ونحوهما وانشد الاصمعى
وصفه تعالى بغاية الرحمة بعد ما ذكر نقمه كما يوجبها والكشف
عن عرض المعاب لطفا فى السؤال ابو السعود
عفى الانباء

او متعلق بينزل ومن للسببية كالباء مثلها في قوله تعالى مما خطيآتهم اى ينزلهم بامره على من يشاء من عباده اى ينزلهم به
عليهم لاختصاصهم بصفات تأتاى لهم لذلك ان انذروا بدل من الروح اى ينزلهم ملتبسين بان انذروا اى بهذا القول المحكم الجلى
به الانبياء الذين نزلت الملئكة عليهم السلام عليهم السلام والامر هو الله سبحانه والملئكة تتعلق بالامر كما يشعر به الباء في المبدل منه وان اما مخففة
من ان وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف اى ينزلهم ملتبسين بان الشان اقول لكم انذروا او مفسرة على ان تنزيل الملئكة بالوحى فيه
معنى القول كانه قيل يقول بواسطة الملئكة لمن يشاء من عباده انذروا فلا محل لها من الاعراب او مصدرية لجواز كون صلتها انشائية كما في قوله تعالى
وان اقم وجهك حنيفا ذكر في اوائل سورة هود فمحلها الجر على البدلية والانذار الاعلام خلا انه مختص باعلام المحذور من نذر بالشئ
اذا علم فحذره وانذره بالامر اى علمه وحذره وخوفه في البلاغة كذا في القاموس اى اعلموا الناس انه لا اله الا انا فالضمير للشان
ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن التصريح به وفائدة تصدير الجملة به الايذان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة
تقرير له في الذهن فان الضمير لا يفهم منه ابتداء الا شان مبهما له خطر فيتشوق الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل تمكن كانه قيل
انذروا شان الخطير هذا وانباء مضمونه عن المحذور احسن لذاته بل من اتصاف المنذرين بما يضاده من الاشراك وذلك كاف في كون
اعلامه انذارا وقوله سبحانه فاتقون خطاب للمتعاقبين على طريقة الالتفات والفاء فصيحة اى اذا كان الامر كذلك من جريان عادته
بتنزيل الملئكة على الانبياء عليهم السلام وامرهم بان ينذروا الناس انه لا شريك له في الالوهية فاتقون في الاصلال المضمون ومباشرة
ما ينافيه من الاشراك وفروعه التي من جملتها الاستعجال والاستهزاء وبعد تمهيد الدليل السمعي للتوحيد شرع في تحرير الادلة العقلية
فقيل خلق السموات والارض بالحق اى اوجدهما على ما هما عليه من الوجه الفائق والنمط اللائق تعالى وتقدس بذاته
لا سيما بافعاله التي من جملتها ابداع هذين المخلوقين عما يشركون عن اشراكهم المعهود او عن شركة ما يشركونه به من الباطل الذى
لا يبدئ ولا يعيد وبعد مباينته على صنعه الكلى المنطوى على تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه من خلائقه فبدء بفعله المتعلق بالانفس
فقال خلق الانسان اى هذا النوع عبر الفرد الاول منه من نطفة جماد لا حس له ولا خواص تستأهل لان يحفظ شكلا ولا وضعا
فاذا هو بعد الخلق خصيم منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين لحجته لقن بها وهذا انسب بمقام الامتنان
باعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووجدانه او مخاصم لخالقه منكر له قائل من يحيي العظام وهي رميم
وهذا انسب بمقام تعداد عنات الكفرة روى ان ابى بن خلف الجمحى اتى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم رميم فقال يا محمد ترى الله يحيي
يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام وهي الازواج الثمانية من الابل والبقر والضان والمعز وانتصابها بمضمر يفسره
قوله تعالى خلقها او بالعطف على الانسان وما بعده بيان ما خلق لاجله والذى بعده تفصيل لذلك وقوله تعالى لكم اما متعلق
بقوله فيها خبر مقدم وقوله دفء مبتدا وهو ما يدفؤ به فيتقى من البرد والجملة حال من المنفعول والظرف الاول خبر للمبتدا الثاني
وفيها حال من دفء لانه لو تاخر لكان صفة ومنافع وهي درها وركوبها وحملها والحراثة بها وغير ذلك اتما عبر عنها بها ليتناول
الكل مع انه الانسب بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء على المنافع لرعاية اسلوب الترقي الى الاعلى ومنها تاكلون
اى تاكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم للايذان بانها لا تبقى عند الاكل كما في السابق واللاحق فان
المنافع والجمال يحصل منها وهي باقية على حالها ولذلك جعلت محالا لها بخلاف الاكل وتقديم الظرف للايذان بان الاكل منها
المعتاد المعتد في المعاش وان الاكل مما عداها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر من قبيل التفكه مع ان فيه مراعاة للفواصل
ويحتمل ان يكون معنى الاكل منها الاكل مما يحصل بسببها فان الحبوب والثمار المأكولة تكتسب بالكراء وباثمان نتاجها والبانها وجلودها
ولكم فيها اى مع ما فصل من انواع المنافع الضرورية جمال اى زينة في اعين الناس ووجاهة عندهم حين تريحون
تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشى وحين تسرحون تخرجونها بالغداة من حظائرها الى مسارحها فالمفعول محذوف

الدفء

من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين الوقتين لان ما يدور عليه امر الجمال من تزيين الافنية والاكناف بها وبتجاوب ثغائها
ورغائها انما هو عند ورودها وصدورها في ذينك الوقتين واما عند كونها في المراعي فينقطع اضافتها الحسية الى اربابها وعند كونها
في الحظائر لا يراها راء ولا ينظر اليها ناظر وتقديم الاراحة على السرح لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منها في استتباع ما ذكر من الجمال
واتم في استجلاب الانس والبهجة اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار على احسن ما يكون ملأى البطون مرتفعة الضلوع حافلة الضروع
وقرئ حينا تريحون وحينا تسرحون على ان كلا الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم جمع ثقل وهو
متاع المسافر وقيل انفسكم واجرامكم الى بلد قال ابن عباس رضي الله عنهما اريد به اليمن ومصر والشام ولعله نظر الى انها متاجر اهل مكة وقال
عكرمة اريد به مكة ولعله نظر الى ان اثقالهم واحمالهم عند القفول من متاجرهم اكثر وحاجتهم الى الحمولة امس والظاهر انه عام لكل بلد
سحيق لم تكونوا بالغيه واصلين اليه بانفسكم مجردين عن الاثقال لولا الابل الا بشق الانفس فضلا عن استصحابها معكم
وقرئ بفتح الشين وهما لغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر من شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي
هو الصدع والمكسور النصف كانه يذهب نصف القوة لما يناله من الجهد فالاضافة الى الانفس مجازية او على تقدير مضاف اي الا بشق
قوى الانفس وهو استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي لم تكونوا بالغيه بشيء من الاشياء الا بشق الانفس ولعل تغيير النظم الكريم السابق
الدال على كون الانعام مدار النعم السابقة الى الجملة الفعلية المفيدة لمجرد الحدوث للاشعار بان هذه النعمة ليست في العموم بحسب
المنشا وبحسب المتعلق وفي الشمول للاوقات والاطراد في الاحيان المعهودة بمثابة النعم السالفة فانها بحسب المنشا خاصة بالابل
وبحسب المتعلق بالضاربين في الارض المتقلبين فيها للتجارة وغيرها في احايين غير مطردة واما سائر النعم المعدودة فموجودة في جميع
اصناف الانعام وعامة لكافة المخاطبين دائما او في عامة الاوقات ان ربكم لرؤوف رحيم ولذلك اسبغ عليكم هذه النعم الجليلة
ويسر لكم الامور الشاقة والخيل هو اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه كالابل وهو عطف على الانعام اي خلق الخيل
والبغال والحمير لتركبوها تعليل بمعظم منافعها والا فالانتفاع بها بالحمل ايضا مما لا ريب في تحققه وزينة عطف على محل
لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلا لفاعل الفعل المعلل دون الاول وتاخيره لان الركوب اهم منه او مصدر لفعل محذوف اي وتتزينوا
بها زينة وقرئ بغير واو اي خلقها زينة لتركبوها ويجوز ان يكون مصدرا واقعا موقع الحال من فاعل تركبوها او مفعوله اي متزينين
بها او متزينا بها ويخلق ما لا تعلمون اي يخلق في الدنيا غير ما عدد من اصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول
الى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد او لاستحضار الصورة او يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون
اي ما ليس من شانكم ان تعلموه وهو ما اشير اليه بقوله عليه السلام حكاية عن الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز ان يكون هذا اخبارا بانه سبحانه يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة
الموجبة للتوحيد كنعمه الباطنة والظاهرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع
والبحار السبع يدخل فيه جبريل كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة
تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور وسبعون الف ملك الكعبة لا يعودون اليه الى يوم
القيمة وعلى الله قصد السبيل القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم على طريقة الاستعارة او على اسناد
حال سالكه اليه كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه اي حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق
المستقيم الموصل لمن يسلكه الى الحق الذي هو التوحيد بنصب الادلة وارسال الرسل وانزال الكتب لدعوة الناس اليه او مصدر بمعنى
الاقامة والتعديل قاله ابو البقاء اي عليه عز وجل تقويمها وتعديلها اي جعلها بحيث يصل سالكها الى الحق لكن لا بعد ما كانت في نفسها
منحرفة عنه بل ابداعها ابتداء كذلك على نهج قوله سبحانه سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب الادلة

ر ... جمع

اثر ظاهر او بعيد

ر ... انعم

بالتعبير

وقد فعل ذلك حيث ابدع هذه البدائع التي كل واحد منها لاحب يهتدي ببنائه وعلى استقصائه وارسل رسلا مبشرين ومنذرين
وانزل عليهم كتبا من جملتها هذا الوحي الناطق بحقيقة الحق الفاصل عن كل ما جل من الاسرار ودق المهادي الى سبيل الاستدلال
بتلك الادلة المفضية الى معالم الهدى المنجية الى عن مهاوي الضلال ومهاوي الردى الا يرى كيف بين اولا تنزهه جناب الكبرياء
بحسب الذات عن ان يكون محلا لشائبة توهم الاشراك ثم اوضح ستر الغطاء الموحى عن الانبياء عليهم السلام وكيفية ارجم بانذار الناس ودعوتهم
الى التوحيد ونهيهم عن الاشراك ثم اكد عن بيان تعاليه عن ذلك بحسب الافعال مرشدا الى طريقة الاستدلال فبدء بفعله المتعلق بمحيط
العالم الجسماني ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والارض تعالى عما يشركون ثم فصل افعاله المتعلقة بما بينهما فبدء بفعله المتعلق
بانفس المخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لابد لهم منه في معاشهم ثم بين قدرته على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله وخلق ما لا تعلمون وكمل
ذلك كما ترى بيان لسبيل التوحيد غب بيان وتعديل له انما تعديل فالمراد بالسبيل على الاول الجنس بدليل اضافة القصد اليه
وقوله تعالى ومنها في محل الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما في قوله ومنا دون ذلك فقد حرف قوله تعالى
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر اي بعض السبيل او بعض من السبيل فانها تؤنث وتذكر جائر اي مائل عن الحق
منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طرق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر وعلى الثاني نفس السبيل المستقيم
والضمير في منها راجع اليها بتقدير المضاف اي ومن جنسها لما عرفت من ان تعديل السبيل وتقويمه ابداء على وجه الاستقامة والعدالة
لا تقويمه بعد انحرافه وانما كان فليس في النظم الكريم تغيير الاسلوب رعاية لامر مطلوب كما قيل فان ذلك انما يكون فيما اقتضى
الظاهر سبكا معينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة اهم كما في قوله سبحانه الذي يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين
فان مقتضى الظاهر ان يقال والذي يسقني ويشفين ولكن غير الى ما عليه النظم الكريم تفاديا عن اسناد ما يكرهه النفس اليه سبحانه
وليس المراد ببيان قصد السبيل مجرد اعلامهم انه مستقيم حتى يصح اسناد انه جائر اليه تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه
لو اريد ذلك لم يوجد لتغيير الاسلوب نكتة وقد بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد ما دل من نصب الادلة والهداية الناس
اليه وتلا امكان لاسناد مثله اليه تعالى بالنسبة الى الطريق الجائر بان يقال جائر ما حتى يصرف ذلك الاسناد منه تعالى الى غير لنكتة
تستدعيه ولا يتوهم متوهم حتى يقتضي الحال دفع ذلك بان يقال لا جائر ما ثم بغير سبك النظم عن ذلك لداعية اقوى منه الى
الظرفية اعني الداعية التي جيء بها لبيان الحاجة الى البيان والتعديد واظهار جلالة قدر النعمة في ذلك والمعنى على الله تعالى بيان الطريق
المستقيم الموصل الى الحق وتعديل ما ذكر من نصب الادلة لسلكه الناس باختيارهم ويصلوا الى المقصد وهذا هو الهداية
المعتبرة بالدلالة على ما يوصل الى المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتداء البتة فان ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لذاته
والا بحسب رحمته بل هو محال بالحكمة حيث يستدعي تسوية المحسن والمسيء والمطيع والعاصي بحسب الاستعداد والا لما تبين الرشد من الغي
ولو شاء لهداكم اجمعين اي لو شاء ان يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه البتة مستلزمة لاهتدائكم اجمعين
لفعل ذلك ولكن لم يشأه لان مشيته تابعة للحكم الدالة اليها ولا حكمة في تلك المشية كما ان الذي عليه يدور ذلك التكليف
والاليه ينسحب الثواب والعقاب انما هو الاختيار الجزئي الذي يترتب عليه الاعمال التي عليها يناط الجزاء هذا هو الذي يقتضيه المقام
ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر كون قصد السبيل عليه تعالى بانتهائه اليه على منهج الاستقامة وآثار حرف الاستعلاء
على ادارة الانتهاء وتاكيد الاستقامة على وجه تمثيلي من غير ان يكون هناك استعلاء شيء عليه سبحانه وتعالى عنه علوا كبيرا
كما في قوله تعالى هذا صراط علي مستقيم فالقصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما مر وقوله تعالى ومنها جائر
معطوف على الجملة الاولى والمعنى ان قصد السبيل واصل اليه تعالى بالاستقامة وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهداكم
جميعا الى الاول وانت خبير بان هذا حق في نفسه ولكنه بمعزل عن نكتة موجبة لتوسيط بين ما سبق من ادلة التوحيد وبين ما لحق

الجملة

ولما بين الطريق السمعي بالتوحيد على وجه اجمالي وفصل بعض دلائله المتعلقة باحوال الحيوانات عقب ذلك ببيان السر
الداعي اليه بعثا للمخاطبين على التأمل فيما سبق وحثا على حسن التلقي لما يلحق اتبع ذلك ذكر ما يدل عليه من احوال النبات فقيل
هو الذي انزل بقدرته القاهرة من السماء اي من السحاب او من جانب السماء ماء اي نوعا منه وهو المطر وتاخيره
عن المجرور لما مر مرارا ان المقصود هو الاخبار بانه انزل من السماء شيئا هو الماء لا انه انزله من السماء والسر فيه سلف
من ان عند تاخير ما حقه التقديم يبقى الذهن مترقبا له مشتاقا اليه فيتمكن لدى عند وروده عليه فضل تمكن فلكم منه شراب
اي ما تشربونه وهو مرتفع بالظرف الاول او مبتدا وهي خبره والجملة صفة للماء والظرف الثاني نصب على الحالية من شراب
ومن تبعيضية وليس في تقديمه ما يوهم صفو الشروب فيه حتى يحتاج الى الاعتذار بانه لا بأس به لان مياه العيون والانهار كما يعرب عنه
قوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض وقوله تعالى فاسكناه في الارض وقيل الظرف الاول متعلق بانزل والثاني خبر شراب والجملة صفة للماء
وانت خبير بان فيه من توسيط المنصوب بين المجرورين وتوسيط الثاني منهما بين الماء وصفته ما لا يليق بجزالة النظم
التنزيلي الجليل ومنه شجر من ابتدائية ومنه بحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت من الارض سواء كان له ساق
او لا او تبعيضية مجازا لانه لما كان سقيه من الماء جعل كانه منه كقولهم استمة الابل في ذبابه تعني بالمطر الذي ينبت
به الكلاء الذي تاكله الابل فتسمن اسمنها وفي حديث عكرمة لا تاكلوا من الشجر فانه سحت يعني الكلأ فيه ترعون
ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض تنبت
اي الله عز وجل وقرئ بالنون لكم به بما انزل من السماء الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بيان للنعم
الفائضة عليهم من الارض بطريق الاستئناف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار وانها سنة الهية
على قر الدهور او لاستحضار صورة الانبات وتقديم الظرفين على المفعول القريح لما قرآنفا مع ما في تقديم اولهما من الاهتمام به
لاد خال المسرة ابتداء وتقديم الزرع على ما عداه لانه اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون لما فيه من الشرف من حيث
انه ادام من وجه وفاكهة من وجه وتقديم النخيل على الاعناب لظهور اصالتها وبقائها وجمع الاعناب للاشارة الى ما فيها من الاشتمال
على الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع المعدودة بالذكر مع اندراجها تحت قوله تعالى ومن كل الثمرات للاشعار بفضلها
وتقديم الشجر عليها مع كونه غذاء للانعام لحصوله بغير صنع من البشر او للارشاد الى مكارم الاخلاق فان مقتضاها ان يكون اهتمام
الانسان بما يحاكي بين اكمل من اهتمامه بما دونه او لان اكثر المخاطبين من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ثمر وقيل
المراد تقديم ما يسام لتقديم غذائيته فانه غذاء حيواني للانسان وهو اشرف الاغذية وقرئ ينبت من الثلاثي مسندا الى الزرع
وما عطف عليه لكن في ذلك اي في انزال الماء وانبات ما فصل لآية عظيمة دالة على تفرده تعالى بالالوهية اشتمالا على كمال
العلم والقدرة والحكمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في ان الحبة والنواة تقع في الارض وتصل اليها ندوة وتنفذ فيها
فينشق اسفلها فيخرج منه عروق تنبسط في اعماق الارض وتنشق اعلاها وان كانت متشكلة في الوقوع فيخرج منه ساق فينمو
ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة على اجسام مختلفة الاشكال والالوان والخواص والطبائع وعلى نواة
قابلة لتوليد الامثال على النمط المحرر الى نهاية مع اتحاد المواد واستواء نسبة الطبائع السفلية والتاثيرات العلوية بالنسبة
الى الكل علم ان من هذه افعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه شيء في شيء من صفات الكمال فضلا عن ان يشاركه في اخص الاشياء
واخص صفاته التي هي الالوهية واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحيث اقتر سلوك هذه الطريقة الى ترتيب
المقدمات الفكرية قطع الآية الكريمة بالتفكر وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنافعكم ومعاشكم ولعقد الثمار
وانضاجها والشمس والقمر بدآبان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من الكائنات

التى من جملتها ما فصل واجمل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم وليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من تصرفها كيف شاؤا كما فى قوله تعالى سبحان الذى
سخر لنا هذا ونظائره بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم كان ذلك تسخيرا لهم وتصرف من قبلهم حسب ارادتهم فى التعبير
عن ذلك التعريف بالتسخير ايذانا بالاباق المسخرات من صعوبة المأخذ بالنسبة الى المخاطبين وآثار صيغة الماضى للدلالة على ان ذلك امر واحد
مستمر وان تجددت آثاره والنجوم مسخرات باوامره مبتدا وخبر اى سائر النجوم فى حركاتها واوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما
مسخرات لله تعالى اولما خلق له بارادته ومشيته وحيث لم يكن عود منافع النجوم اليهم فى الظهور بمثابة ما قبلها من الملوين والقمرين لم يجب
تسخيرها اليهم باداة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شئ آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على التجدد
الى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ برفع الشمس والقمر ايضا وقرئ بنصب النجوم على انه مفعول اول لفعل مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور
ومسخرات مفعول ثان له اى وجعل النجوم مسخرات باوامره او على انه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل
ما فى مسخر من معنى نفع اى لنفعكم بها حال كونها مسخرات لله الذى خلقها ودبرها كيف شاء اولما خلق له بايجاده وتقديره او حكمه او مصدر
ميمى جمع لاختلاف الانواع اى انواعا من التسخير وما قيل من ان فيه ايذانا بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر فى تكوير الثمار وكلف
الكواكب واوضاعها بان ذلك ان سلم فلا ريب فى انها امور ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه الممكنة فلا بد لها
من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل فمبناه حسبان ما ذكر ادلة على وجود الصانع تعالى وقدرته واختياره
وانت ندرى ان ليس الامر كذلك فانه ليس مما ينازع فيه الخصم ولا يتلعثم فى قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون وقال ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها ليقولن الله
وانما ذلك ادلة التوحيد من حيث ان من هذا شانه لا يتوهم ان يشاركه شئ فى شئ فضلا عن ان يشاركه الجماد فى الالوهية
ان فى ذلك اى فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملا ومفصلا لآيات باهرة بمكان لقوم يعقلون وحيث كانت هذه
الآثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيم القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية اظهر جمع الآيات وعلقت بمجرد العقل من غير
حاجة الى التأمل والتفكر ويجوز ان يكون المراد لقوم يعقلون ذلك والاشارة اليه تعاجيب الدقائق المودعة فى العلويات
المدلول عليها بالتسخير التى لا تتصدى لمعرفتها الا الماهرة من اساطين علماء الحكمة ولا ريب فى ان اضيافها الى التفكر اكثر وما ذرأ
عطف على قوله تعالى والنجوم رفعا ونصبا على انه مفعول لجعل او لما خلق لكم فى الارض من حيوان ونبات حال كونه مختلفا الوانه
اى اصنافه فان اختلافها غالبا يكون باختلاف الالوان مسخر لله تعالى او لما خلق له من الخواص والاحوال والكيفيات او جعل ذلك
مختلف الالوان اى الاصناف لتنتفعوا من ذلك باى صنف شئتم وقد عطف على ما قبله من المصنوعات وعقب بان ذكر الخلق لهم غير
الزام صعب المنال وقيل هو منصوب بفعل مقدر اى خلق وانت على ان قوله مختلفا الوانه حال من مفعوله ان فى ذلك الذى ذكر من التسخيرات
وغيرها لآية بينة الدلالة على ان من هذا شانه واحد لا ند له ولا ضد لقوم يذكرون فان ذلك لا يحتاج الا الى تذكر ما عسى
ينفصل عنه من الطعوم الفردية واما ما يقال من ان اختلافها فى الطباع والذات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم قدره
بالوضع به من حسبان ما ذكر دليلا على اثبات الصانع تعالى وقد عرفت حقيقة الحال فان ايراد ما يدل على اتصافه سبحانه بما ذكر
من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه من حيث ان ذلك من المقدمات المسلمة جئ به للاستدلال به على ما يقتضيه ضرورة من وجوب
تعالى واستحالة ان يشاركه شئ فى الالوهية وهو الذى سخر البحر شروع فى تعداد النعم المتعلقة بالبحار اثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر
حيوانا ونباتا اى جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك والتعبير عنه باللحم
مع كونه حيوانا لا تذبح باخصار الانتفاع به فى الاكل وقصره بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة الى اكله كما ينبئ عنه
الفاء وكما ينبئ عنه جعل البحر مبدأ الاكل وللايذان بكمال قدرته تعالى فى خلقه عذبا طريا فى ماء ينعاق ومن اطلاق اللحم عليه ذهب مالك

والثوري أن من حلف لا يأكل اللحم حنث بأكله **والجواب** أن مبنى الأيمان العرف ولا ريب فإنه لا يفهم من اللحم عند الاطلاق ولذلك لو أخذ يشتري اللحم فجاء بالسمك لم يكن ممتثلا بالاجماع أرأيت الى ان الله سبحانه سمى الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يخفى بركوبه من حلف لا يركب دابة **وتستخرجوا** منه حلية **كاللؤلؤ والمرجان تلبسونها** غرف مقام الامتنان عن لبس نسائهم بلبسهم لكونهن منهم ولكون لبسهن لاجلهم **وترى الفلك** السفن **مواخر** فيه جواري فيه مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة تشقه بجريها من المخر وهو شق الماء **وقيل** هو صوت جري الفلك **ولتبتغوا** عطف على تستخرجوا وما عطف عليه وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادي الابتغاء ودفع توهم كونه باستخراج الحلية او علة محذوفة اى لتنتفعوا بذلك ذكره ابن الانباري او متعلقة بفعل محذوف اى وفعل ذلك لتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة **ولعلكم تشكرون** اى توفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون بادائها بالطاعة والتوحيد ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث ان فيها قطعا مسافة طويلة مع احمال ثقيلة في مدة قليلة من غير مزاولة اسباب التنزيل من غير حركة اصلا مع انها تفاجئ تضاعيف المهالك وعدم توسط الفوز بالمطلوب بين الابتغاء والشكر للايذان باستقلاله بالتفريع به وكصولهما معا **والقى في الارض رواسي** اى جبالا ثوابت وقد قرر تحقيقه في اول سورة الرعد **ان تميد بكم** كراهة ان تميل بكم وتضطرب اولئلا تميد بكم فان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان يتحرك بالاستدارة كالافلاك او تتحرك بادنى سبب محرك فلما خلقت الجبال تفاوتت حافاتها وتوجهت الجبال ثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد **وقيل** لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور فقالت الملئكة ما هذى تمور على ظهرها فاصبحت وقد ارست بالجبال **وانهارا** اى وجعل فيها انهارا الآن فالآن في الحين من الجعل **وسبلا لعلكم تهتدون** بها الى مقاصدكم **وعلامات** معالم يستدل بها السابلة بالنهار من جبل ومنهل وريح وقد تقل ان جماعة يشمون التراب ويتوقون به الطرقات **وبالنجم هم يهتدون** بالليل في البراري والبحار حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم الجنس **وقيل** هو الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي وقرئ بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع كرهن ورهن **وقيل** الاول بطريق حذف الواو من النجوم للتخفيف ولعل التصدير لقريش فانهم كانوا كثيري التردد للتجارة مشهورين بالاهتداء وبالنجوم في اسفارهم وصرف النظم عن سنن الخطاب وتقديم النجم وايلاء الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم **افمن يخلق** هذه المصنوعات العظيمة وينعم بمثلها الافاعيل البديعة او بكل شئ كمن لا يخلق شيئا اصلا وهو تبكيت للكفرة وابطال لاشراكهم وعبادتهم للاصنام بانكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاء ظاهرا وتعقيب الغرة بالفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الامور الخطيرة الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة كذلك فيما بينهم حسبما يؤذن به ما تلوناه من قوله تعالى ولئن سألتهم الآيتين والاقتصار على ذكر الخلق من بينها لكونه اعظمها واظهرها واستتباعه اياها او لكون كل منها خلقا مخصوصا اى بعد ظهور اختصاصه تعالى بعبدية تلك الشئون الواضحة الدلالة على وحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية واستبداده باستحقاق العبادة بتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل من ذلك بالمرة كما هو مقتضى اشراكهم وصار ما وان كان على تشبيه غير العاقل بالعاقل لكن التشبيه حيث كان نسبة تقوم بالمتشابهين اختير ما على النظم الكريم وما عاملة لحق سبق الملئكة على العدم وتفاوتا ما عن توسيط عدمها بينها وبين جزئياتها المفصلة قلبا وتبينها على كمال قبح ما فعلوه من حيث ان ذلك ليس مجرد ترفع الاصنام عن محلها بل هو حط لمنزلة البرية الى رتبة الجماد وهو لا ريب في انه اقبح من الاول والمراد بمن لا يخلق كل من هذا شانه كائنا ما كان والتعبير عنه بما يختص بالعقلاء للمشاكلة او العقلاء خاصة وصف منه حال غيرهم بدلالة النص فان من يخلق حيث لم يكن كمن لا يخلق وهو من جملة العقلاء فما ظنك بالجماد وايا ما كان فدخول الاصنام في حكم عدم المماثلة والمشابهة اما بطريق الاندراج تحت الوصول العام واما بطريق الانتهاض بدلالة النص على الطريقة البرهانية لا بانتهاض الارادة بالموصول خاصة **افلا تذكرون** اى الا تلاحظون فلا تتذكرون ذلك فانه لوضوحه بحيث لا يحتاج الى شئ

سوى التذكر وإن تعدوا نعمة الله تذكير إجمالي لنعمه تعالى وخلق ما لا تعلمون ولعل فصل ما بينهما بقوله تعالى الذي خلقكم ثم رزقكم للمبادرة إلى إلزام الحجة والقيام بالشكر إثر تفصيل ما فصل من الأفاعيل التي هي أدلة الوحدانية مع ما فيه من ستر مستقف عليه وقد دلالتها عليها وإن لم تكن مقصورة على حيثية الخلق ضرورة ظهور دلالتها عليها من حيث الانعام أيضا لكنها حيث كانت من مستتبعات الحيثية الأولى استغنى عن التصريح بها تم بين حالها بطريق الاجمال أي إن تعدوا نعمة الله الفائضة عليكم مما ذكر وما لم يذكر حسبما يوحي عنه قوله تعالى هو الذي جعل لكم ما في الأرض جميعا لا تحصوها أي لا تطيقوا بحصرها وضبط عددها وتواجهوا فضلا عن القيام بشكرها وقد فرض عن عمدة تحقيقه في سورة إبراهيم بفضل الله سبحانه إن الله لغفور حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والاخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك رحيم بحيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تأتون وما تذرون من أصناف الكفر التي من جملتها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة وأيا نعمة فالجملة تعليل للحكم بعدم الاحصاء وتقديم وصف المغفرة على نعمة الرحمة لتقدم التخلية على التحلية والله يعلم ما تسرون تضمرونه من العقائد والاعمال وما تعلنون أي تظهرونه منها وحذف العائد لمراعاة الفواصل أي سيتوى بالنسبة إلى علمه المحيط سركم وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت الالهية ما لا يخفى وتقديم السر على العلن لما ذكرناه في سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة بين علمه تعالى المتعلقين بهما على أبلغ وجه وآكده كان علمه تعالى بالسر أقدم منه بالعلن أو لان كل شيء يعلن فهو قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى أقدم من تعلقه بحالته الثانية والذين يدعون شروع في تحقيق كون الاصنام بمعزل من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب بعد بيان أوصافها وأحوالها المنافية لذلك منافاة ظاهرة وتلك الاحوال وإن كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها وأنهم لا يعرفون ذلك إلا بالتصريح أي والآلهة الذين يعبدهم الكفار من دون الله سبحانه وقرئ على صيغة المبني للمفعول وعلى الخطاب لا يخلقون شيئا من الاشياء أصلا أي ليس من شأنهم ذلك ولما لم يكن بين نفي الخالقية وبين المخلوقية تلازم بحسب المفهوم وإن تلازما في الصدق أثبت لهم ذلك صريحا فقيل وهم يخلقون أي شأنهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية لانها ذوات ممكنة مفتقرة في ماهياتها ووجوداتها إلى الموجد وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضاد والمقابلة بين ما أثبت لهم وبين ما نفي عنهم من وصفي المخلوقية والخالقية وللايذان بعدم الافتقار إلى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل به فاعلا جل جلاله ويجوز أن يجعل الخلق الثاني عبارة عن النحت والتصوير رعاية لمشاكلته بينه وبين الأول ومبالغة في كونهم مصنوعين لعبدتهم وأبعد عنهم وأيدانا بكمال ركاكة عقولهم حيث اشركوا بخالقهم مخلوقهم وأما جعل الأول أيضا عن ذلك كما فعل فلا وجه له لأن العدول على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة أصلا ولما أن إثبات المخلوقية لهم غير مستدع لنفي الحيوة عنهم لما أن بعض المخلوقين أحياء صرح بذلك فقيل أموات وهو خبر ثان للموصول لا للضمير كما قيل أو خبر مبتدأ محذوف وجيء كما في بعض الأموات مما يعتريه الحيوة سابقا أو لاحقا كالجماد والحيوان والنطف التي ينشئ منها الله تعالى حيوانا حر عن ذلك فقيل غير أحياء أي لا يعتريها الحيوة أصلا فهو أموات على الاطلاق وأما قوله تعالى وما يشعرون أيان يبعثون أي ما يشعر أولئك الآلهة أيان يبعث عبدتهم فعلى طريقة التهكم بهم لان شعور الجماد بالامور الظاهرة بديهي الاستحالة عند كل أحد فكيف بما لا يعلمه إلا العليم الخبير وفيه إيذان بأن البعث من لوازم التكليف وأن معرفة وقته مما لا بد منه في الالوهية إلهكم إله واحد لا شائبة شيء في شيء وهو تصريح بالمدعى وتخصيص بالنتيجة غب إقامة الحجة فالذين لا يؤمنون بالآخرة وأحوالها التي من جملتها ما ذكر من البعث وما يعقبه من الجزاء المستلزم لعقوبتهم وذلتهم قلوبهم منكرة للوحدانية جاحدة لها أو للآيات الدالة عليها وهم مستكبرون عن الاعتراف بها أو عن الايمان بالآيات الدالة عليها والفاء للايذان بأن إصرارهم على الانكار واستمرارهم على الاستكبار وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والمعنى أنه قد ثبت بما قرر

وقد فصل الأمر هناك بما لا مزيد عليه منه

من

من الحج والبيتات اختصاص الآلهة به سبحانه فكان من نتيجة ذلك اصرارهم على ما ذكر من الانكار والاستكبار فبناء الحكم المذكور على الموصول
بكونه معللا بما في حيز الصلة فان الكفر بالآخرة وبما فيها من البعث والجزاء المتسبع الى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية
يؤدي الى قصر النظر على العاجل والاعراض عن الدلائل السمعية والعقلية الموجب للانكار بها والانكار موادعا والاستكبار عن اتباع الرسل عم
وتصديقهم اما الايمان بها وبما فيها فيحول محالة الى التامل في الآيات والدلائل رغبة ورهبة فيورث ذلك يقينا بالوحدانية وخضوعا لامر الله
لا جرم اي حقا وقد مر تحقيقه في سورة هود ان الله يعلم ما يسرون من انكار قلوبهم وما يعلنون من استكبارهم قولهم للقرآن
اساطير الاولين وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك انه لا يحب المستكبرين تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد اي لا يحب المستكبرين
عن التوحيد واعن الآيات الدالة عليها اي لا يحب جنس المستكبرين فكيف بمن استكبر عما ذكر واذا قيل لهم اي لاولئك المستكبرين من المستكبرين
وهو بيان لاضلالهم عقيب بيان ضلالهم ماذا انزل ربكم القائل الواقدون عليهم او المسلمون او بعض منهم على طريق التهكم وماذا
منصوب بما بعده او مرفوع اي اي شيء انزل او بالذي انزل قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل بطريق السخرية
احاديث الاولين واباطيلهم وليس من الانزال وقيل هو لاء القائلون هم المقتسمون الذين اقتسموا مداخل مكة يقفون على رسول الله
عند سؤال وفود الحاج عما نزل عليه م ليحملوا متعلق بقالوا اي قالوا ما قالوا ليحملوا اوزارهم الخاصة بهم وهي اوزار ضلالهم
كاملة لم يكفر منها شيء بنكبة اصابتهم في الدنيا كما يكفر بها اوزار المؤمنين يوم القيمة ظرف ليحملوا ومن اوزار الذين يضلونهم
وبعض اوزار من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شريكان هذا بضلته وهذا باطاعته فيتحاملان الوزر واللام للتعليل في نفس
الامر من غير ان يكون غرضا وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار الاضلال او باعتبار حال قولهم لا حال الحمل بغير علم حال من الفاعل
اي يضلونهم غير عالمين بان ما يدعون اليه بطريق الضلال وانما حملنا على معنى غير عالمين بانهم يحملون يوم القيمة اوزار الضلال والاضلال
على ان يكون العامل في الحال قالوا ويؤيده ما سيأتي بمثله قوله تعالى واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث ان ما ذكر من اوزار الضلال
والاضلال من قبيل اتيان العذاب من حيث لا يشعرون فيرده ان الحمل المذكور انما هو يوم القيمة والعذاب المذكور انما هو العذاب الدنيوي
كما ستقف عليه او حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدة التقييد بها الاشعار بان مكرهم لا يروج عند ذي لب
وانما يتبعهم الاغبياء والجهلة والتنبيه على ان جهلهم ذلك لا يكون عذرا اذا كان يجب عليهم ان يحيوا ويميزوا بين الحق الحقيق بالاتباع
وبين المبطل الا ساء ما يزرون اي بئس شيئا يزرونه ما ذكر قد مكر الذين من قبلهم وعيد لهم برجوع غائلة مكرهم الى انفسهم
كدأب من قبلهم من الامم الخالية الذين اصابهم ما اصابهم من العذاب العاجل اي قد سود امنصوبا بالمكر وابهم رسل الله تعالى فاتى الله
اي امره وحكمه بنيانهم وقرئ بيتهم وبيوتهم من القواعد من جهة القواعد وهي الاساطين التي تعمد واساسه
فضعضعت اركانه فخر عليهم السقف من فوقهم اي سقط عليهم سقف بنيانهم اذ لا يتصور القيام بعد تهدم القواعد
شبهت حال اولئك الماكرين في تسويتهم المكائد والمنصوبات التي ارادوا بها الايقاع برسل الله سبحانه وفي ابطاله تع تلك الحيل والمكائد
وجعله اياها اسبابا لاهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى ذلك من قبل اساطينه بان ضعضعت فسقط عليهم السقف واهلكوا
وقرئ فخر عليهم السقف بضمتين واتيهم العذاب اي الهلاك والدمار من حيث لا يشعرون باتيانه منه بل يتوقعون اتيان مقابله
مما يريدون ويشتهون والمعنى ان هؤلاء الماكرين القائلين للقرآن العظيم اساطير الاولين شأنهم من العذاب مثل ما انبهم وهم لا يحتسبون
والمراد به العذاب العاجل لقوله سبحانه ثم يوم القيمة يخزيهم فانه عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي هذا الذي فعلهم من التمثيل من عذاب هؤلاء
او مما هو اعم منه ومما ذكر من عذاب الآخرة اولئك جزاؤهم في الدنيا ويوم القيمة يخزيهم اي يذلهم بعذاب الخزي على رؤوس الاشهاد واصل الخزي
ذل يستحيى منه وثم للايذان بما بين الجزاءين من التفاوت مع ما يدل عليه من التراخي الزماني وتغيير السبك بتقديم الظرف ليس لقصر الخزي
على يوم القيمة كما هو المتبادر من تقديم الظرف على الفعل لان الاخبار بخزيهم في الدنيا موذن بان لهم جزاء خزي اخر فيبقى النفس مترقبة

الى ورود سائلة منه بانه ماذا مع تيقنها بانه في الآخرة فسيق الكلام على وجه يوذن بان المقصود بالذكر اخزاؤهم لا كونه يوم القيمة والتعبير
اما للمغترين في صحة القرآن الكريم او لهم ولمن مثلوا بهم من الماكرين كما اشير اليه وتخصيصه بهم بما يأباه السباق والسياق كما ستقف عليه
ويقول لهم تقبيحا وتوبيخا فهو الى آخره بيان للاخزاء اين شركائي اضافهم اليه سبحانه حكاية لاضافتهم الكاذبة فتفيد توبيخ اثر توبيخ
مع استهزائهم الذين كنتم تشاقون فيهم اى تخاصمون الانبياء والمؤمنين في شانهم بانهم شركاء حقا حين بتنوا بطلانها والمراد بالاستهزاء
استحضارها للمشاقة او المخاصمة على طريقة الاستهزاء والتبكيت والاستفسار عن مكانهم للايجاب غيبتهم صفقة حتى يعتذر بانهم كيف زالت الاحوال
بينهم وبين عبدتهم حتى ليتفقد وما ذا ساعة علقوا بها الرجاء فيها او بانهم لما لم ينتفعوهم فكانهم غيب بل يكفي في ذلك عدم حضورهم المعنوي
الذي كانوا يزعمون انهم متصفون به من عنوان الالهية يطلبون حينئذ شركاء ولا امكانها على ان قوله لينتفعوا وليس بسديد فانه قد تبين عندهم
الامر فوضعوا ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقرئ بكسر النون اى تشاقونني على ان مشاقة الانبياء والمؤمنين لاجتماعهم شان
متعلق به سبحانه مشاقة له عز وجل قال الذين اوتوا العلم من اهل الموقف وهم الانبياء والمؤمنون الذين اوتوا علما بدلائل التوحيد
وكانوا يدعونهم في الدنيا الى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم اى يقولون توبيخا لهم واظهارا للشماتة بهم وتقريرا لما كانوا يعظونهم
وتحقيقا لما اوعدوهم به وآثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق وتحتم وقوعه بما هو المعتاد في اضباره سبحانه كقوله ونادى اصحاب الجنة
اصحاب الاعراف ان الخزي الفضيحة والذل والهوان اليوم منصوب بالخزي على رأي من يرى اعمال المصدر باللام او بالاستقرار
في الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا انه مغتفر في الظروف وايراده للاشعار بانهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق
والسوء العذاب على الكافرين بالله تعالى وبايآته ورسله الذين تتوفاهم الملئكة بمباشرة القتل وقرئ بتذكيره وبادغام
التاء في التاء والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم اياهم لما فيها من الهول والوصول في محل الجر على انه نعت للكافرين او البدل
او في محل النصب او الرفع على الذم وفائدة تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره الى حين الموت دون من آمن منهم ولو في آخر عمره
اى على الكافرين المستمرين على الكفر الى ان يتوفاهم الملئكة ظالمي انفسهم اى حال كونهم مستمرين على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم
واي ظلم حيث عرضوها للعذاب المخلد وبدلوا فطرة الله تبديلا فالقوا السلم اى فبيقون والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق
الوقوع وهو عطف على قوله تعالى فيقول اين شركائي وما بينهما جملة اعتراضية جيء بها تحقيقا لما حاق بهم من الخزي على رؤس الاشهاد اى فيبالون
ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة قائلين ما كنا نعمل في الدنيا من سوء اى من شرك
قالوه منكرين لصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وانى عبروا عنه بالسوء اعترافا بكونه سيئا لانكارهم الكون كذلك للاعتراف
بصدوره عنهم ويجوز ان يكون تغيير السلم على ان يكون المراد به الكلام الدال عليه وعلى التقديرين فهو جواب عن قوله سبحانه اين شركائي
كما في سورة الانعام لا عن قول اولي العلم ادعاء لعدم انتحائهم لما وهمهم من الخزي والسوء بلى رد عليهم من قبل اولي العلم واثبات لما نفوا
اى بلى كنتم تعملون ما تعلمون ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا آوانه فادخلوا ابواب جهنم اى كل صنف بابا منها المعدة له
وقيل ابوابها اصناف عذابها فالتوزيع باعتبار تلك الاصناف خالدين فيها ان اريد بالدخول صلوحه فالحال مقدرة وان اريد مطلق الكون
فيها فهي مقارنة فلبئس مثوى المتكبرين اى عن التوحيد كما قال تعالى طورهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر بعلية لشؤاتهم فيهلو المخصوص
محذوف اى جهنم وتأويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بما ما كنا عاملين ذلك فاعتقادنا روما للمحافظة على ان لا كذب ثمة يرده الدور المذكور
في سورة الانعام في قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم وقيل للذين اتقوا اى المؤمنين وصفوا بالتقوى اشعارا بان ما صدر عنهم من الجواب
ناشئ عن التقوى ماذا انزل ربكم قالوا خيرا سلكوا في الجواب مسلك السؤال من غير تلعثم ولا تغيير في الصورة والمعنى اى انزل خيرا فانه جواب مطابق
للسؤال سبكا وللواقع في نفس الامر مضمونا واما الكفرة فانهم خذلهم الله تعالى غيروا الجواب عن نهج الحق الواقع الذي ليس لهم من دافع
غيروا صورته وعدلوا بها عن سنن السؤال حيث رفعوا الاساطير وما عاد من انكار التنزيل روى ان اصحاب العرب كانوا يبعثون ايام الموسم

من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد
ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين
قالوا خيرا للذين احسنوا اي اعمالهم او فعلوا الاحسان في هذه الدنيا حسنة اي مثوبة حسنة مكافأة فيها ولدار الآخرة اي
مثوبتهم فيها خير مما اوتوا في الدنيا من المثوبة او خير على الاطلاق فيجوز اسناد الخيرية الى نفس دار الآخرة ولنعم دار المتقين اي دار الآخرة
حذف لدلالة ما سبق عليه وهذا كلام مبتدأ مدح الله تعالى به المتقين وعد جوابهم المحكي من جملة احسانهم ووعدهم بذلك ثوابي الدنيا
والآخرة فلا محل له من الاعراب او بدل من خيرا او تفسير له اي انزل خيرا هذا هو الكلام الجامع قالوه ترغيبا للسائل جنات عدن
خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي لهم جنات ويجوز ان يكون هو المخصوص بالمدح يدخلونها صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك
تجري من تحتها الانهار او كلاهما حال على تقدير علميته لهم فيها في تلك الجنات ما يشاؤن الظرف الاول خبر لما والثاني حال منه
والعامل ما في الاول او متعلق به اي حاصل لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وتقديمه للاحتراز عن توهم تعلقه بالمشية او لما مر من
ان تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن كذلك مثل ذلك الجزاء الاوفى يجزي الله
المتقين اللام للجنس اي كل من يتقي من الشرك والمعاصي ويدخل فيه المتقون المذكورون دخولا اوليا ويكون فيه بعث لغيرهم
على التقوى او للعهد فيكون فيه تحسير للكفرة الذين تتوفاهم الملائكة نعت للمتقين وقوله تعالى طيبين طاهرين عن دنس الظلم
لانفسهم حال من الضمير وفائدته الايذان بان ملاك الامر في التقوى هو الطهارة عما ذكر الى وقت توفيهم ففيه حث للمؤمنين على الاستمرار
على ذلك ولغيرهم على تحصيله وقيل فرحين طيبي النفوس ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية
الى جناب القدس يقولون حال من الملائكة اي قائلين لهم سلام عليكم قال القرطبي اذا استدعيت نفس المؤمن جاءه
ملك الموت [illegible] فقال السلام عليك يا ولي الله الله تعالى يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة ادخلوا الجنة اللام للعهد اي جنات عدن
ولذلك تجردت عن النعت والمراد دخولهم في وقته فان ذلك بشارة عظيمة وان تراخى المبشر به لا دخول القبر الذي هو روضة من رياضها
اذ ليس في البشارة به ما في البشارة بدخول نفس الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة او بالذي كنتم تعملونه من ذلك
وقيل المراد بالتوفي التوفي للحشر لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق هل ينظرون اي ما ينتظر كفار مكة المار ذكرهم الا ان تأتيهم
الملائكة لقبض ارواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وشتان بينهم وبين انتظاره لانه يلحقهم البتة لحوق الامر المنتظر بل لمباشرتهم
لاسبابه الموجبة له المؤدية اليه فكأنهم يقصدون اتيانه ويترصدون لوروده وقرئ بتذكير الفعل او يأتي امر ربك التعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره ع م للاشعار بان اتيانه لطف به ع م وان كان عذابا عليهم والمراد بالامر العذاب الدنيوي لا القيامة
لكن لا لان انتظارها لا يجامع اتيان انتظار الملائكة فلا يلائمه العطف باو لانها ليست نصا في العناد اذ يجوز ان يعتبر منع الخلو ويراد
بايرادها كفاية كل واحد من الامرين في عذابهم بل لان قوله تعالى فيما سيأتي ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم الآية صريح في ان المراد به
ما اصابهم من العذاب الدنيوي كذلك اي مثل ما فعل هؤلاء من الشرك والظلم والتكذيب والاستهزاء فعل الذين خلوا من قبلهم
من الامم وما ظلمهم الله بما سينزل من عذابهم ولكن كانوا بما كانوا مستمرين عليه من القبائح الموجبة لذلك انفسهم يظلمون كان النظم
ان يقال ولكن كانوا هم الظالمين كما في سورة الزخرف لكنه اوثر ما عليه النظم الكريم لافادة ان غائلة ظلمهم آيلة اليهم وعاقبته
مقصورة عليهم مع استلزام اقتصار ظلم كل احد على نفسه من حيث الوقوع اقتصاره عليه من حيث الصدور وقد مر تحقيقه في سورة يونس ع م
فاصابهم عطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان ان فعلهم ذلك ظلم لانفسهم سيئات ما عملوا اي اجزية
اعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعته لا على حذف المضاف فانه يوهم ان لهم اعمالا غير سيئاتهم وحاق بهم
اي احاط بهم من الحيق الذي هو احاطة الشر وهو ابلغ من الاصابة وافظع ما كانوا به يستهزؤن من العذاب وقال الذين اشركوا

اى اهل مكة وهو بيان لفن آخر من كفرهم والعدول عن الاضمار الى الموصول لتقريعهم بما في حيز الصلة وذمهم بذلك من اول الامر لو شاء الله
ما عبدنا من دونه من شيء اى لو شاء عدم عبادتنا لشيء غيره كما تقول ما عبدنا ما لك نحن ولا آباؤنا الذين نقتدي بهم في ديننا
ولا حرمنا من دونه من شيء من السوائب والبحائر وغيرها وانما قالوا ذلك تكذيبا للرسول عليه السلام وطعنا في الرسالة رأسا متمسكين
بان ما شاء الله تعالى يجب وما لم يشأ يمتنع فلو انه شاء ان نوحده ولا نشرك به شيئا ولا نحرم مما حرمنا شيئا كما تقول الرسل وينقلونه من جهة الله عز وجل
لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفي الاشراك وما يتبعهما وحيث لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ شيئا من ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء انفسهم فاجيب عنه
بقوله عز وجل كذلك اى مثل ذلك الفعل الشنيع فعل الذين من قبلهم من الامم اى اشركوا بالله وحرموا من حل ما احله وردوا رسله وجادلوهم بالباطل
حين نبهوهم على الخطأ وهدوهم الى الحق فهل على الرسل الذين يبلغون رسالات الله وعزائم امره ونهيه الا البلاغ المبين اى ليست
وظيفتهم الا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا او موضحا وابانة طريق الحق واظهار احكام الوحي الذي من جملتها تحتم تعلق مشية الله تعالى
باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم
شاؤوا او ابوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التي عليها يدور امر التكليف في شيء حتى يستدل بعدم ظهور آثاره
على عدم حقية الرسل او على عدم تعلق مشيته تعالى بذلك فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب من افعال العباد لا بد في تعلق مشيته تعالى بوقوعه
من مباشرتهم الاختيارية له وصرف اختيارهم الجزئي الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطراريين والفاء للتعليل كانه قيل كذلك فعل
اسلافهم وذلك باطل فان الرسل ليس شأنهم الا تبليغ اوامر الله تعالى ونواهيه لا تحقيق مضمونهما واجراء موجبهما على الناس قسرا والجاء وايراد
كلمة على للايذان بانهم في ذلك مأمورون او بان ما يبلغونه حق للناس عليهم اداؤه وبهذا ظهر ان حمل قولهم لو شاء الله تعالى الخ على الاستهزاء
لا يلائم الجواب والله تعالى اعلم بالصواب ولقد بعثنا في كل امة رسولا تحقيقا لكيفية تعلق مشيته تعالى بافعال العباد بعد بيان ان الالجاء
ليس من وظائف الرسالة ولا من باب المشية المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب من الافعال الاختيارية لهم اى بعثنا في كل امة من الامم
الخالية رسولا خاصا بهم ان اعبدوا الله يجوز ان تكون ان مفسرة لما في البعث من معنى القول وان تكون مصدرية اى بعثنا بان اعبدوا الله
وحده واجتنبوا الطاغوت هو الشيطان وكل ما يدعو الى الضلالة فمنهم اى من تلك الامم والفاء فصيحة اى فبلغوا ما بعثوا به
من الامر بعبادة الله تعالى وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم من هدى الله الى الحق الذي هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد
صرف قدرتهم واختيارهم الجزئي الى تحصيله ومنهم من حقت عليه الضلالة اى وجبت وثبتت الى حين الموت لعناده واصراره عليها
وعدم صرف قدرته الى تحصيل الحق وتغيير الاسلوب للاشعار بان ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فلم يكن كل من
الهداية وعدمها الا حسبما حصل منهم من التوجه الى الحق وعدمه لا بطريق القسر والالجاء حتى يستدل بعدمهما على عدم تعلق مشيته تعالى
بعبادته تعالى وحده فسيروا يا معشر قريش في الارض فانظروا في اكنافها كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود ومن سار
سيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون في منازلهم وديارهم آثار الهلاك والعذاب وترتيب الامر بالسير على مجرد
الاخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير اخبار بحلول العذاب للايذان بانه غني عن البيان وان ليس الخبر كالعيان وترتيب النظر على السير
لما انه بعده وان ملاك الامر في تلك العاقبة هو التكذيب والتعلل بانه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ان تحرص خطاب للرسول عليه السلام
وقرئ بفتح الراء وهي لغية على هداهم اى تطلب هدايتهم بجدك فان الله لا يهدي من يضل اى فاعلم انه تعالى لا يخلق الهداية تصغير لغة
جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على انهم ممن حقت عليه الضلالة وللاشعار
بعلة الحكم ويجوز ان يكون المذكور علة للجزاء المحذوف اى ان تحرص على هداهم فلست بقادر على ذلك لان الله لا يهدي من يضل وهؤلاء
من جملتهم وقرئ لا يهدى على بناء المفعول اى لا يقدر احد على هداية من يضله الله تعالى وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وادغام تاء يهتدي في الدال
ويجوز ان يكون يهدي بمعنى يهتدي وقرئ يضل بفتح الياء وقرئ لا هادي لمن اضل وما لهم من ناصرين ينصرونهم في الهداية او يدفعون

العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في الضمير فان مقابلة الجمع بالجمع مقابلة انقسام الآحاد الى الآحاد لا ان المراد
نفي طائفة من الناصرين من كل منهم واقسموا بالله شروع في بيان فن آخر من اباطيلهم وهو انكارهم البعث جهد ايمانهم
مصدر في موقع الحال اي جاهدين في ايمانهم لا يبعث الله من يموت وقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد بقوله الحق بلى اي يبعثهم
وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فان ذلك موعد من الله سبحانه او لمحذوف اي وعد بذلك وعدا عليه صفة لوعدا اي وعدا ثابتا
عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث من مقتضيات الحكمة حقا صفة اخرى له او نصب على المصدرية اي حق حقا ولكن
اكثر الناس لجهلهم بشؤون الله عز وجل شانه من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم
على سر التكوين والغاية القصوى منه وعلى ان البعث مما تقتضيه الحكمة التي جرت عادته سبحانه بمراعاتها لا يعلمون انه يبعثهم فيبتون القول
بعدمه او انه وعد عليه حق فيكذبونه قائلين لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين ليبين لهم غاية
لما دل عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت اذ التبيين يعم المؤمنين ايضا فانهم وان كانوا عالمين بذلك لكنه عند معاينة حقيقة الحال
يتضح الامر فيصل علمهم الى مرتبة عين اليقين اي يبعثهم ليبين لهم بذلك وبما يحصل لهم من مشاهدة الحال كما هي ومعاينتها بصورها
الحقيقية الشان الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا بالله سبحانه بالاشراك وانكار البعث وعدة الحق انهم كانوا كاذبين
في كل ما يقولون لا سيما في قولهم لا يبعث الله من يموت والتعبير عن الحق بالموصول للدلالة على فخامته وللاشعار بعلية ما ذكر في حيز الصلة
للتبيين وما عطف عليه وجعلهما غاية للبعث المشار اليه باعتبار وروده في معرض الرد على المخالفين وابطال مقالة المعاندين
المستدعي للتعرض لما يردعهم عن المخالفة ويلجئهم الى الاذعان للحق فان الكفرة اذا علموا ان تحقيق البعث اذا كان للتبيين انه حق
وليعلموا انهم كاذبون في انكاره كان ذلك ازجر لهم عن انكاره وادعى الى الاعتراف به ضرورة انه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول
لمن ينكر انك تصلي لاصلين رغما لانفك واظهارا لكذبك ولان تكرر الغايات ادل على وقوع الفعل المغيا بها والا فالغاية الاصلية للبعث
باعتبار ذاته انما هو الجزاء الذي هو الغاية القصوى للخلق المغيا بها في قوله عز وجل وانما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره في مواضع اخر
وشهرته وانما لم يدرج علم الكفار بكذبهم تحت التبيين بان يقال وان الذين كفروا كانوا كاذبين مع تصيغة العلم لان ذلك ليس مما يتعلق
به التبيين الذي هو عبارة عن اظهار ما كان مبهما قبل ذلك بان يخبر به فيختلف فيه كالبعث الذي نطق به القرآن فاختلف فيه المختلفون
واما كذب الكافرين فليس من هذا القبيل مما يتعلق به علم ضروري حاصل لهم من قبل انفسهم وقد مر تحقيقه في سورة التوبة عند قوله تعالى حتى
يتبين لك الذين صدقوا وانما خص الاسناد بهم حيث لم يقل وليعلموا ان الكافرين الآية لان علم المؤمنين بذلك حاصل قبل ذلك ايضا انما قولنا
استئناف لبيان كيفية التكوين على الاطلاق ابداء واعادة بعد التنبيه على آنية البعث ومنه يظهر كيفيته فما كافة وقولنا مبتدأ
لشيء اي اي شيء كان مما عز وهان متعلق به على ان اللام للتبليغ كهي في قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية اي لاجل شيء
وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته تعالى به لا انه كان شيئا قبل ذلك اذا اردناه ظرف لقولنا
اي وقت اردنا لوجوده ان نقول له كن خبر للمبتدأ فيكون اما عطف على مقدر فانما نقول له كن فيكون واما جواب لشرط محذوف
اي فاذا قلنا ذلك فهو يكون وليس هناك قول ولا مقول له ولا امر ولا مامور حتى يقال انه يلزم منه احد المحالين اما خطاب المعدوم او تحصيل
الحاصل او يقال ان هاهنا يستدعي انحصار التكوين فيه بكلمة كن بعيده قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان المراد بالامر
هو الشان الذي مثل للعقول والعقلاء بما ورد انحصاره في كلمة كن انحصارا اسنادا على الاطلاق بل انما هو تمثيل لسهولة تاتي المقدورات
حسب تعلق مشيئته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة المامور المطيع للآمر المطاع فالمعنى
انما ايجاد شيء عند تعلق مشيئتنا به ان نوجده في اسرع ما يكون ولما عبر عنه بالامر الذي هو مخصوص وجب ان يعبر عن مطلق
الايجاد بالقول المطلق فتأمل وفي الآية الكريمة من الفخامة والجزالة ما لا يخفى على اولي الالباب وقرئ بالنصب بكون عطفا على نقول

او تشبيها بالجواب الامر والذين هاجروا في الله اي في شان الله تعالى ورضاه وفي حقه ولوجهه من بعد ما ظلموا ولعلهم الذين ظلمهم اهل مكة
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجوهم من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم تواعدهم الله تعالى المدينة صباحا وعد بقوله تعالى لنبوئنهم في الدنيا
حسنة اي مباءة حسنة او تبوئة حسنة كما قال قتادة وهو الانسب بما هو المشهور من كون السورة غير ثلثة آيات من آخرها مكية والما نقل
عن ابن عباس رضه من انها نزلت في صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس في جبل وابي جندل بن سهيل اخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم
ليردوهم عن الاسلام فاما صهيب فقال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه
ابو بكر قال ربح البيع يا صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فانما يناسب ما حكي عن الاصم من كون كل السورة مدنية والما نقل عن قتادة
من كون هذه الآية الى آخر السورة مدنية فيحمل ما نقلناه عنه من نزول الآية في اصحاب الهجرتين على ان يكون نزولها بالمدينة بين الهجرتين
واما جعل رسول الله عم من جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شانه الجليل وقرئ لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة او لننزلنهم في الدنيا
منزلة حسنة والى الغلبة على من ظلمهم من اهل مكة وعلى العرب قاطبة واهل المشرق والمغرب كافة ولاجر الآخرة اي اجر اعمالهم المذكورة
في الآخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه
هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر في الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين
خيري الدارين لوافقوهم في الدين وقيل للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في الاجتهاد ولما تألموا لما اصابهم من المهاجرة وشدائدها
الذين صبروا على الشدائد من اذية الكفار ومفارقة الاهل والوطن وغير ذلك في محل النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم
خاصة يتوكلون منقطعين اليه تعالى موضنين عما سواه مفوضين اليه الامر كله والجملة اما معطوفة على الصلة وتقديم الجار
والمجرور للدلالة على قصر التوكل على الله تعالى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل او حال من ضمير صبروا وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا نوحي اليهم وقرئ ما ليا مبنيا للمفعول وهو رد لقريش حين قالوا الله اجل من ان يكون له رسول من البشر
كما هو مبنى قولهم لو شاء الله ما عبدنا الخ اي جرت السنة الالهية بما اقتضته الحكمة بان لا يبعث للدعوة العامة الا البشر
يوحي اليهم بواسطة الملك لوادته ونواهيه ليبلغوها الناس ولما كان المقصود في الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه الكفار
على مضمونه صرف الخطاب اليهم فقيل فاسئلوا اهل الذكر اي اهل الكتاب او علماء الاخبار او كل من يذكر بعلم وتحقيق لعلكم
ذلك ان كنتم لا تعلمون حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى جاعل
الملكة رسلا الرسل الى الملكة اولى الرسل ولا امرأة ولا صبيا ولا نبيا فيه نبوة عيسى عم وهو في المهد لانها اعم في الرسالة وآثار
الى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع جوابا عن سؤال من
قال لم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات والزبر او بما ارسلنا اضلعت الاستثناء مع ما بعده من مجوزه اي ما ارسلنا الا رجالا
بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او على نية التقديم قبل اداة الاستثناء اي ما ارسلنا قبلك بالبينات والزبر الا رجالا
عند من يجوز تأخر صلة ما قبل الا الى ما بعده او بما وقع صفة للمستثنى اي الا رجالا ملتبسين بالبينات او بيوحى على المفعولية او الحالية
من القائم مقام فاعل يوحى وهو اليهم على ان قوله تعالى فاسئلوا اعتراض او بنوحي الا تعلمون على ان الشرط للتبكيت كقول الاجير ان كنت
عملت فاعطني حقي وانزلنا اليك الذكر اي القرآن وانما سمي به لانه تذكير وتنبيه على الغافلين لتبين للناس كافة
ويدخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا ما نزل اليهم في ذلك الذكر من الاحكام والشرائع وغير ذلك من احوال القرون المهلكة بانواع
العذاب حسب اعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافيا كما ينبئ عنه صيغة التفضيل في الفعلين لاسيما بعد ورود الباقي
اولا على صيغة الافعال وفي ان التبيين اعم من التصريح بالمقصود ومن الارشاد الى ما يدل عليه دخل تحت العباس على الاطلاق
سواء كان في الاحكام الشرعية او غيرها ولعل قوله عز وجل ولعلهم يتفكرون اشارة الى ذلك اي ارادة ان يتأملوا فيتنبهوا

للحفاظ

للحقائق وما فيه من العبر وتحترزوا عما يؤدي الى مثل ما اصاب الاولين من العذاب أفأمن الذين مكروا السيئات هم اهل مكة
مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان عليهم الرضوان لا الذين احتالوا لهلاك الانبياء كما قيل ولا اعم
الوعيدين لما ان المراد تحذير هؤلاء عن اصابة مثل ما اصاب اولئك من فنون العذاب المعدودة والسيئات نعت لمصدر محذوف اي مكروا
المكرات السيئات التي قصت عنهم او مفعول به للفعل المذكور على تضمينه معنى العمل اي عملوا السيئات فقوله تعالى ان يخسف الله بهم
الارض مفعولا من او السيئات صفة لما هو المفعول اي أفأمن الماكرون العقوبات السيئة وقوله ان يخسف الخ بدل من ذلك وعلى كل
حال فالفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اي انزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذي من جملته انباء الامم المهلكة بفنون العذاب
ويتفكروا في ذلك ألم يتفكروا فأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض كما فعل بقارون على توجيه الانكار الى المعطوفين
معا او أتفكروا فامنوا من توجيهه الى المعطوف على ان الامن بعد التفكر مما لا يكاد يصدر عن احد وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه الصلة
اي امكروا فأمن الذين مكروا الخ او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة اي في حال غفلتهم او من مأمنهم او من حيث يرجون
اتيان ما يشتهون كما حكي فيما سلف مما نزل بالماكرين او يأخذهم في تقلبهم اي في حالة تقلبهم في مسائرهم ومتاجرهم فما هم
بمعجزين بممتنعين او فائتين بالهرب والفرار على ما يوهمه حال التقلب والسير والفاء اما لتعليل الاخذ او لترتيب عدم الاعجاز
عليه دلالة على شدته وفظاعته فيما قال عليه السلام ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وايراد الجملة الاسمية للدلالة على دوام
النفي لا نفي الدوام او يأخذهم على تخوف اي مخافة وحذر عن الهلاك والعذاب بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم
العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف مظنة للهرب عبر عن اصابة العذاب فيهما بالاخذ وعن اصابته
حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالاتيان وقيل التخوف التنقص قال قائلهم تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن
اي يأخذهم على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر الاحوال الثلث بيان قدرة الله تعالى على اهلاكهم
باي وجه كان لا الحصر فيها فان ربكم لرؤوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها أولم يروا
استفهام انكاري وقرئ على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه متوجهين الى ما خلق الله من شيء اي من كل شيء
يتفيؤ ظلاله اي ترجع شيئا فشيئا حسبما يقتضيه ارادة الخالق تعالى فان التفيؤ مطاوع الافاءة وقرئ بالتاء
عن اليمين والشمائل اي ألم يروا الاشياء التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة من
ذلك من يميني الانسان وشماله سجدا لله حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال والمراد بالسجود ما انتظم فيها
على مشيئة الله سبحانه وما بها لارادته تعالى في الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى وهم داخرون
اي صاغرون منقادون حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايراد الصيغة الخاصة بالعقلاء لما ان الدخور من خصائصهم
والمعنى ترجع الظلال من جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها فانها كل يوم من ايام السنة
تتحرك على مدار معين من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها
على هيئة الساجد والحال ان اصحابها من الاجرام داخرة منقادة لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به او كلاهما حال
من المشار اليه والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها منقادة لله تعالى داخرة فوصفها بهما مغن عن وصف ظلالها بهما ولعل
المراد بالموصول الجمادات من الجبال والاشجار والاحجار التي لا تظهر لظلالها اثر سوى التفيؤ بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها
او اختلاف مشارقها ومغاربها واما الحيوان فظله يتحرك بتحركه وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي
لان الكواكب منه تظهر آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدئ من الشرق
واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من الغرب واقعة على الربع الشرقي منها وبعد ما بين سجود الظلال

الانقياد والدخور ح

وفي التفسير الكبير الانقياد وحكمنا
وما قيل من ان المراد باليمين

واصحابها من الاجرام السفلية الثابتة فى احيازها ودخورها له سبحانه وتعالى شرع فى بيان سجود المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كانت
لها ظلال او لا فقيل ولله يسجد اى له تعالى وحده يخضع وينقاد لا لشئ غيره استقلالا او اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد
الا ان الانسب بحال المخاطبين قصر الافراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ما فى السموات قاطبة وما فى الارض
كائنا ما كان من دابة بيان لما فى الارض وتقديمه لقلته ولئلا يقع بين المبين والمبين فصل وافراده مع ان المراد الجمع لافادة
وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما اتانى من رجل مثله وما اتانى من الرجال مثله والملئكة
عطف على ما فى السموات عطف جبريل على الملئكة تعظيما واجلالا او على ان يراد بما فى السموات الخلق الذى يقال له الروح او يراد به
ملائكة السموات وبقوله والملئكة ملئكة الارض من الحفظة وغيرهم وهم اى الملئكة مع علو شانهم لا يستكبرون عن عبادته
عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة اما حال من ضمير الفاعل فى يسجد مسندا الى الملئكة او استئناف اخبر عنهم بذلك
يخافون ربهم اى مالك امرهم وفيه تربية للمهابة واشعار بعلة الحكم من فوقهم اى يخافونه جل وعلا خوف هيبة واجلال وهو فوقهم
بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده او يخافون ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم والجملة حال من الضمير فى لا يستكبرون او بيان له وتقرير
لان من يخاف الله سبحانه لا يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون اى ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وايراد
الفعل مبنيا للمفعول جرى على سنن الجلالة وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده الى غيره سبحانه وفيه
ان الملئكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبعد ما بين ان جميع الموجودات يخصونه بالخضوع والانقياد البليغ
وما يجرى مجراه من عبادة الملئكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد اصلا بالله تعالى اردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين
عن الاشراك فقيل وقال الله عطفا على قوله ولله يسجد واظهار الفاعل وتخصيص لفظ الجلالة بالذكر للايذان بانه متعين للالوهية
وانما المنهى عنه هو الاشراك به لا ان المنهى عنه مطلق اتخاذ الهين بحيث يتحقق الانتهاء عنه برفض ايهما كان اى قال الله تعالى
لجميع المكلفين لا تتخذوا الهين اثنين وانما ذكر العدد مع ان صيغة التثنية مغنية عن ذلك دلالة على ان مساق النهى
هو الاثنينية وانها منافية للالوهية كما ان وصف الاله بالوحدة فى قوله تعالى انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود
اثبات الوحدانية وانها من لوازم الالهية واما الالهية فامر مسلم الثبوت له سبحانه واليه اشير حيث اسند اليه القول وفيه
الوجه التفات من التكلم الى الغيبة على راى من اكتفى فى تحقق الالتفات بكون الاسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك
فاياى فارهبون التفات من الغيبة الى التكلم والقاء الرهبة فى القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر الفعل اى ان كنتم راهبين
شيئا فاياى ارهبوا فارهبون لا غير فانى ذلك الواحد الذى يسجد له ما فى السموات والارض وله ما فى السموات والارض خلقا وملكا
تقرير لعلة انقياد ما فيهما له سبحانه خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به تعالى وتقديم الظرف لتقوية ما فى اللام من معنى الاختصاص وكذا
فى قوله تعالى وله الدين اى الطاعة والانقياد واصبا اى واجبا ثابتا لا زوال له لما تقرر انه الاله وحده الحقيق
بان يرهب وقيل واصبا من الوصب اى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء الدائم بحيث لا ينقطع
ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه السياق اى اعقيب
تقرر الشئون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات للسجود به تعالى وكون ذلك كله له تعالى ونهيه عن اتخاذ الانداد وكون
الدين له واصبا المستدعى ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه غير الله الذى شانه ما ذكر تتقون فتطيعون وما بكم اى اى شئ يلابسكم
ويصاحبكم من نعمة فمن الله تعالى فما شرطية او موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان ملابسة
النعمة بهم سبب للاخبار بانها منه تعالى لا لكونها منه تعالى ثم اذا مسكم الضر مساسا يسيرا فاليه تجأرون تتضرعون
فى كشفه لا الى غيره والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا

وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها وفى المساس المنبئ عن ادنى اصابة وايراده بالجملة الفعلية المؤذنة بالحدوث مع ثم
الدلالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتخلية الضر بلام الجنس المفيد لمساس ادنى ما يطلق عليه اسم الجنس مع ايراد النعمة بالجملة الاسمية الدالة
على الدوام والتعبير عن علابتها للمخاطبين بباء المصاحبة وايراد ما الموتة عن العموم مالا يخفى من الجزالة والفخامة وكعل ايراد اذا دون
ان للتوسل به الى تحقق وقوع الجواب. ثم اذا كشف الضر عنكم وقرئ كاشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تراخى مساس الضر
ووقوع الكشف بعد برهة مديدة بل للدلالة على تراخى رتبة ما يترتب عليه من مفاجاة الاشراك المدلول عليها بقوله سبحانه اذا فريق
منكم بربهم يشركون فان ترتبها على ذلك فى غاية من الفضلال ثم ان وجه الخطاب الى الناس جميعا فمن للتبعيض والفريق
فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة فمن للبيان كانه قيل اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر واندم كقوله تعالى
فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد فمن تبعيضية ايضا والتعرض لوصف الربوبية للايذان بكمال قبح ما ارتكبوه من الاشراك والكفران
ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم فى الشرك كفران النعمة وانكار كونها من الله عز وجل فتمتعوا
امر تهديد والالتفات الى الخطاب للايذان بتناهى السخط وقرئ بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على ان يكون كفران
النعمة والتمتع غرضا لهم من الاشراك ويجوز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد فسوف تعلمون عاقبة امركم وما ينزل
بكم من العذاب وفيه وعيد اكيد مبنى عن اخذ شديد حيث لم يذكر المفعول اشعارا بانه مما لا يوصف ويجعلون لعله عطف
على ما سبق بحسب المعنى تعدادا لجناياتهم اى يجعلون ما يفعلون من الجور الى الله تعالى عند مساس الضر ومن الاشراك به عند كشفه
لما لا يعلمون اى لما لا يعلمون حقيقته وقدره الخسيس من الجمادات التى يتخذونها شركاء لله سبحانه جهالة وسفاها ويزعمون
انها تشفعهم وتشفع لهم على ان ما موصولة والعائد اليها محذوف او لما لا علم اصلا وليس من شانه ذلك فما موصولة ايضا
والعائد اليها ما فى الفعل من الضمير المستكن وصيغة جمع العقلاء لكون ما عبارة عن آلهتهم التى وصفوها بصفات العقلاء
او مصدرية واللام للتعليل اى لعدم علمهم والمجعول له المحذوف للعلم بمكانه نصيبا مما رزقناهم من الزرع والانعام
وغيرهما تقربا الى الهتنا تالله لتسئلن سؤال توبيخ وتقريع عما كنتم تفترون فى الدنيا بانها آلهة حقيقة بان يتقرب
اليها وفى تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد بالغ ويجعلون لله البنات
هم خزاعة وكنانة الذين يقولون الملئكة بنات الله سبحانه تنزيه وتقديس له عز وجل عن مقولهم ذلك او تعجب من جراءتهم
على التفوه بمثل تلك الكلمة الشنعاء ولهم ما يشتهون من البنين مرفوعة المحل على انه مبتدأ والظرف المقدم خبره والجملة حالية ويجعلون لله سبحانه
اعتراض فى حاق موقعه وجعلها منصوبة بالعطف على البنات اى يجعلون لانفسهم ما يشتهون من البنين يؤدى الى جعل الجعل
بعض نوع الزرع والاختيار إذا بشر احدهم بالانثى اى اخبر بولادتها ظل وجهه اى صار اودام النهار كله
مسودا ممتلئا حنقا وغيظا يتوارى يستخفى من القوم من سوء ما بشر به من اجل سوئه والتعبير عنها بما
لاستقباحها فى درجة العقلاء أيمسكه اى متردد فى امره هل يحدث نفسه فى شانه ايمسكه أم يدسه اى يخفيه فى التراب
بالوأد والتذكير باعتبار لفظة وقرئ بالتانيث الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون ما هذا شانه عندهم من الهوان والحقارة
لله تعالى عن الصاحبة والولد والحال انهم يتحاشون عنه ويختارون لانفسهم البنين فمدار الخطاء جعلهم ذلك لله سبحانه
مع ابائهم اياه لا جعلهم البنين لانفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه ويجوز ان يكون مداره التعكيس لتوهمهم ان تلك اقسمة ضيزى
للذين لا يؤمنون بالآخرة ممن ذكرت قبائحهم مثل السوء صفة السوء الذى هو كالمثل فى القبح وهى الحاجة الى الولد
ليقوم مقامهم عند موتهم واثبار الذكور لاستظهارهم ووأد البنات لدفع العار وخشية الاملاق المتاخى كل ذلك بالعجز
والقصور والشح البالغ ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر بالآخرة ولله سبحانه

المثل الاعلى اى الصفة العجيبة الشان التى هى مثل فى العلو مطلقا وهو الوجوب الذاتى والمعنى المطلق والجود الواسع والرحمة
عن صفة المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى عما قالوه علوا كبيرا وهو العزيز المتوحد بكمال القدرة العجيبة ومن لا يتيسر على مؤاخذتهم
بذنوبهم الحكيم الذى يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا ايضا من جملة صفاته العجيبة تعالى ولو يؤاخذ الله الناس الكفار
بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم التى من جملتها ما عدد من قبائحهم وهذا تصريح بما افاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم وانبأن بان مكان اقوى
من القبائح قد تناهى الى احد لاغاية ورآءه ما ترك عليها على الارض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى من دابة اى ما ترك
عليها شيئا من دابة قط بل اهلكها بالمرة بشوم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
وعن ابى هريرة رضه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت فى وكرها ظلم الظالم
وعن ابن مسعود رضه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء لم يكن الابناء فيلزم ان لا يكون
فى الارض دابة لما انها مخلوقة لمنافع البشر لقوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ولكن لا يؤاخذهم بذلك بل
يؤخرهم الى اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم كى يتوالدوا ويكثر عذابهم فاذا جاء اجلهم المسمى لا يستاخرون
عن ذلك الاجل اى لا يتاخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عنه مع طلبهم له ساعة فتة وهى مثل فى غاية القلة
ولا يستقدمون اى لا يتقدمون وانما تعرض لذكره مع انه لا يتصور الاستقدام عن مجئ الاجل مبالغة فى بيان عدم استنجاز
بنظمه فى سلك ما يمتنع لما فى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين
يموتون وهم كفار فان من ماتكافرا مع انه لا توبة له اذا قد نظم فى سمطها من لم يقبل توبته للايذان بانهما سيان فى ذلك
وقد مر فى تفسير سورة يونس ويجعلون لله اى يثبتون له سبحانه ويجعلون اليه فى زعمهم ما يكرهون لانفسهم مما ذكر وهو
تكرير لما سبق تشنيعا للتوبيخ وتوطئة لقوله تعالى وتصف السنتهم الكذب اى يجعلون لله تعالى ما يجعلون ومع ذلك تصف
السنتهم الكذب وهو ان لهم الحسنى اى العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله عز من قائل ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى
وقرئ الكذب وهو جمع كذوب على انه صفة الالسنة لا جرم رد لكلامهم ذلك واثبات لنقيضه اى حقا ان لهم النار وانهم فرطون
اليها من افرطه اى قدمه فى طلب الماء وقيل منسيون من افرطت فلانا فى طلب فاذا خلفته ونسيته وقرئ بالتشديد وفتح
الراء من فرطه فى طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفريط فى الطاعات وبكسر المخففة من الافراط فى المعاصى فلا يكون
ح من احوالهم الاخروية كما عطف عليه تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك تسلية لرسول الله عليه السلام عما يانا له
من جهالات الكفرة ووعيد لهم على ذلك اى ارسلنا لهم رسلا فدعوهم الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك فزين لهم الشيطان اعمالهم
القبيحة فعكفوا عليها مصرين فهو وليهم اى قرينهم وبئس القرين اليوم اى كما يوم زين لهم اعمالهم ضيع على طريقة حكاية
الحال الماضية او فى الدنيا يوم القيمة على طريقة الحكاية الحال الآتية وهى حال كونهم معذبين فى النار والولى بمعنى الناصر فهو
ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره مبالغة فى نفى الناصر عنهم ويجوز ان يكون الضمير عائدا الى مشركى قريش والمعنى زين للامم الخالية
اعمالهم وهو ولى هؤلاء لانهم منهم وان يكون على حذف المضاف اى ولى امثالهم ولهم فى الآخرة عذاب اليم هو عذاب النار
وما انزلنا عليك الكتاب اى القرآن الا لتبين استثناء مفرغ من اعم العلل اى ما انزلناه عليك لعلة من العلل الا لتبيين
لهم اى للناس الذى اختلفوا فيه من التوحيد والعدل واحكام الافعال واحوال المعاد وهدى ورحمة معطوفان على محل
لتبين اى وللهداية والرحمة لقوم يؤمنون وانما انتصبا لكونهما اثرا فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقدان
شرطه ولعل تنكيره عليهما للتقدم فى الوجود وتخصيص كونهما هدى ورحمة للمؤمنين لانهم المنتفعون بالنار وانزل
من السماء اى من السحاب او من جانب السماء حسبما مر وهذا اكبر مما سبق تاكيد لمضمونه وتوطئة لما يعقبه من ادلة التوحيد

ماءً نوعًا خاصًّا من الماء هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب لما قرر ارًا من التشويق الى المؤخر فاحيى به الارض بما انبت
فيها من انواع النبات بعد موتها اى بعد يبسها وما بعيده الفاء من التعقيب العادى لا ينافيه ما بين المعطوفين من المهلة
ان فى ذلك اى فى انزال الماء من السماء واحياء الارض الميتة به لآية واية آية دالة على وحدته سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته
لقوم يستمعون هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر فكان من ليس كذلك اصم وان لكم فى الانعام لعبرة عظيمة تولى عبرة
يجارف درکها العقول ويهتم فى فهمها اللب نسقيكم استئناف بيان ما انبهم اولا من العبرة مما فى بطونه اى بطون
الانعام والتذكير هنا لمراعاة جانب اللفظ فانه اسم جنس ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنية على افعال كاكباش واخلاق
كما ان تأنيثه فى سورة المؤمنين لرعاية جانب المعنى ومن جعل جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن ليس بجميعها اولا على المعنى فان المراد
به الجنس وقرئ بفتح النون ههنا وفى سورة المؤمنين من بين فرث ودم لبنا الفرث فضالة ما يبقى من العلف فى الكرش
المنهضمة بعض الانهضام وكشف ما يبقى فى المعاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها
كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعل المراد به ان الاوسط يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذى يعيد
البدن لان علف بكونها فى الكرش مما لا ريب فيه بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم فى الكرش ويبقى سفله وهو الفرث
ثم يمسكها ريثما تنهضم فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فيتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين
الصفراء والسوداء ويدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقى على الاعضاء بحسبها فيجرى على كل خفية على ما يليق به بتقدير
العزيز العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائدة اذ للاصل
الجنين على الرحم فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورته لحومها الغدية البيض يلذ طعمه فيصير لبنا
ومن تدبر فى بدائع صنع الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط والالبان واعدادها ومقاديرها ومجاريها والاسباب المولدة لها وتسخير القوى
المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاعتراف بكمال علمه وقدرته وحكمته ومنافعها ورحمته ومن الاولى بتبعيضية لان اللبن
بعض ما فى بطونه لانه مخلوق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التى فى الفرث صبما فصل والثانية ابتدائية كقولك
سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم مبدء الاستقاء وهى متعلقة بنسقيكم وتقديمه على المفعول لما مر قرارًا لان تقديم ما حقه التاخير
يعث للنفس شوقا الى المؤخر موجبا لفضل تمكنه عند وروده عليها لا سيما اذا كان المقدم منتظما لوصف مناف لوصف المؤخر
كالذى نحن فيه فان بين وصفى المقدم والمؤخر تنافيا وتنائيا بحيث لا يرآى ما زادهما فان ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف الى المؤخر
كما فى قوله تعالى هو الذى اخرج لكم من الشجر الاخضر نارا او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره والتنبيه على انه موضع العبرة خالصا عن شائبة
ما فى الدم والفرث من الاوصاف بمزرخ من القدرة القاهرة الحاجزة عن بغى احدهما عليه عن كونهما مكتنفين له سائغا للشاربين
سهل المرور فى حلقهم فيل لم يغص احد باللبن وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف مثل هين وهين ومن ثمرات النخيل
والاعناب متعلق بما يدل عليه الاستقاء من مطلق المنتظم لاعطاء المطعوم والمشروب فان اللبن مطعوم كما انه مشروب اى ونطعمكم
من ثمرات النخيل ومن الاعناب اى من عصيرهما وقوله تعالى تتخذون منه سكرا استئناف لبيان كنه الاطعام وكشفه او بقوله
تتخذون وتكرير الظرف للتاكيد او خبر لمبتدا محذوف صفة تتخذون اى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه وحذف
الموصوف اذا كان فى الكلام كلمة من شائع نحو قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وتذكير الضمير على الوجهين للاولين لانه المضاف
المحذوف او لان المراد هو الجنس والسكر مصدر سمى به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم ورزقا حسنا كالدبس
والزبيب والخل والآية ان كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدلالته على كراهتها والا فمجامعته بين العتاب والمنة لا تخفى وكذلك
الآية ماجرة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم فى الآيات بالنظر والتامل واوحى ربك الى النحل اى الهمها وقذف

فى قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ بفتحتين اَنِ اتَّخِذِى اى بان اتخذى على ان ان مصدرية ويجوز ان يكون مفسرة
لما فى الايحاء من معنى القول وتانيث الضمير مع ان النحل مذكر للحمل على المعنى او لانه جمع نحلة والتانيث لغة اهل الحجاز من الجبال
بُيُوتًا اى اوكارا مما فيها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ اى يرفعونه من كروم
او سقف فان قيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذى لنفسك بيوتا من الجبال والشجر اذا لم يكن لك ارباب والا
فاتخذى ما يعرشونه لك واريد حرف التبعيض لما انها لا تبنى فى كل جبل وكل شجر وكل عريش ولا فى كل مكان منها ثم كلى
من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهينها حلوا وحمضا فاسلكى ما كلت منها سُبُلَ رَبِّكِ اى مسالكه التى يرتاد بحيث الجبل
فيها بقدرته القاهرة النور المرعى اذا جاءك او فاسلكى الطرق التى الهمك فى عمل العسل او فاسلكى راجعة الى بيوت ربك
لا تتوعر عليك ولا تتيهى ذُلُلًا جمع ذلول وهو حال من السبل اى مذللة غير متوعرة ذللها الله تعالى وسهلها لك او من الضمير فى اسلكى
منقادة لما امرت ربه يخرج مِنْ بُطُونِهَا استئناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من تعاجيب صنع الله تعالى التى هى موضع
العبرة بعد ما امرت بما امرت شَرَابٌ اى عسل لانه مشروب واحتج به وبقوله تعالى كلى من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق
العطرة فتستحيل فى بطنها علائم تبقى آثارا الى آخره ومن زعم انها ملتقط بافواهها ابوالها قليلة حلوة صغيرة متفرقة على الازهار
والاوراق وتضعها فى بيوتها فاذا اجتمع فيها شئ كثير يكون علائم تلك البقول بالازهار مختلف الوانه ابيض واسود واصفر
واحمر حسب اختلاف سن النحل او الفصل او الذى اخذت منه العسل فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ اما بنفسه كما فى الامراض البلغمية
او مع غيره كما فى سائر الامراض اذ قلما يكون معجون لا يكون فيه عسل مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتفخيم وعن عقبة
ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال اسقه عسلا فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع
فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه فبرئ كانما انشط من عقال وقيل الضمير
للقرآن او لما بين الله تعالى من احوال النحل وعن ابن مسعود رضه العسل شفاء لكل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور فعليكم
بالشفائين العسل والقرآن اِنَّ فِى ذَٰلِكَ ذكر من اعاجيب آثار قدرة الله تعالى لَآيَةً عظيمة لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
فان من تفكر فى اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة المشتمل على حسن الصنعة وصحة القسمة التى لا تقدر
عليها حذاق المهندسين الا بآلات دقيقة وادوات انيقة وانظار دقيقة جزم قطعا بان له خالقا قادرا حكيما يلهمها ذلك
ويهديها اليه جل جلاله والله خلقكم لما ذكر سبحانه من عجائب احوال ما ذكر من الماء والنبات والانعام والنحل اشار الى بعض
عجائب احوال البشر من اول عمره الى آخره وتصوراته فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر فى اربع الاولى سن النشو والنماء
والثانية سن الوقوف وهى سن الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل وهى سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكبير وهى
سن الشيخوخة ثم يتوفاكم للموت حسبما تقتضيه مشيته المبنية على حكم بالغة بآجال مختلفة اطفالا وشبانا وشيوخا
ومنكم مَنْ يُرَدُّ قبل توفيه اى يعاد اِلَىٰ اَرْذَلِ الْعُمُرِ اى اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة على ما روى عن على
وتسعون سنة على ما نقل عن قتادة رض وقيل خمس وتسعون وآثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوها للايذان
بان بلوغه والوصول اليه رجوع فى الحقيقة الى الضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق ولا عمر اسوء حالا من عمر الهرم
الذى يشبه الطفل فى نقصان العقل والقوة لِكَيْلَا يَعْلَمَ بعد علم كثير شيئا من العلم او من المعلومات او لكيلا يعلم شيئا
بعد علم ذلك الشئ وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا اِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بمقادير اعماركم قَدِيرٌ على كل شئ يميت ان شاء قبل التنكيس
وبعض الهرم الثانى وفيه تنبيه على ان تفاوت الآجال ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب بينهم وعدل الامر فيهم على قدر معلوم
ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى الرِّزْقِ اى جعلكم متفاوتين فيه

ما عطاكم

منه افضل فما اعطى مما لبكم فما الذين فضلوا فيه على مما ليهم برادى رزقهم اى الملاك والمماليك فيه اى فى الرزق
سواء اى لا يردونه عليهم بحيث يساونهم فى التصرف ويشاركونهم فى التدبير والفاء للدلالة على ترتب التساوى على الرد
اى لا يردونه عليهم ردا مستتبعا للتساوى وانما يردون عليهم منه شيئا يسيرا بحيث لا يرضون بمساواة مماليكهم لانفسهم وهم لغالهم
فى البشرية والمخلوقية لله عز سلطانه فى شئ لا يستحقون بهم بل هم واياهم من الرزق الذى هم اسوة لهم فى استحقاقه فمالهم يشركون بالله
سبحانه وتعالى فيما لا يليق الا به من الالوهية والمعبودية الخاصة به تعالى لذاته بعض مخلوقاته الذى هو بمعزل من درجة الاعتبار وهذا
كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله المشركون توبيخا عليهم كقوله تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم شركاء فيما آتيناكم فانتم فيه سواء
الآية افبنعمة الله يجحدون حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضى ان يضيفوا نعم الله سبحانه
الفائضة عليهم الى شركائهم ويجحدوا كونها من عند الله تعالى وحيث انكروا امثال هذه الحجج البالغة بعد ما انعم الله بها عليهم والباء
لتضمين الجحود معنى الكفر نحو وجحدوا بها والفاء للعطف على مقدر وهى داخلة فى الملفق على الفعل اى اشركوا به فيجحدون نعمة
وقرئ تجحدون على الخطاب اوكيف الموالى برادى رزقهم على مماليكهم بل انما الذى ارزقهم واياهم فلا يحسبوا انهم يفعلون بهم شيئا
وانما هو رزق اجريه على ايديهم فيختلف ذلك سوء الاخرية هم على مماليكهم الا يعنون ذلك فيجحدون نعمة الله فهو رد على زعم المفضلين
او على رعمهم الموذن بذلك او ما المفضلون برادى بعض فضلهم على مماليكهم فيتساوون فى ذلك جميعا مع ان التفضيل ليس
الا ليبلوهم ايشكرون ام يكفرون الا يعرفون ذلك فيجحدون نعمة الله كانه قيل فلم يردوه عليهم والجملة الاسمية للدلالة على استمرار هم
على عدم الرد يحكى عن ابى ذر رضه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تاكلون
فما رؤى عبد بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت والله جعل لكم من انفسكم من جنسكم
ازواجا لتانسوا بها وتتعاونوا بذلك جميع مصالحكم ويكون اولادكم امثالكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم وجعل لكم
من ازواجكم وضع الظاهر موضع المضمر للايذان بان المراد جعل لكم منكم من زوجه لا من زوج غيره بنين وهى نتيجة
الازدواج هو التوالد وحفدة جمع حافد وهو الذى يسرع فى الخدمة والطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد
اى جعل لكم خدما يسرعون فى خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم اولاد الاولاد وقيل البنات عبر عنهن بذلك ايذانا بوجه المنة
فانهن يخدمن البيوت اتم خدمة وقيل اولاد المراة من الزوج الاول وقيل البنون والعطف لاختلاف الوصفين وقيل الاضافة
على البنات وتاخير المنصوب فى الموصين عن المجرور ربما للتشويق وتقديم المجرور ربما للاهتمام على المجرور وزعم للايذان من اول الامر بعود
منفعة الجعل اليهم ابتداء للتشويق وتقوية له اى جعل لصلحتكم قرابنا سبكم ازواجا وجعل المتفكم من جهة مناسبة لكم بنين وحفدة
ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض اذ المرزوق فى الدنيا انموذج للاخرة افبالباطل
يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم وان البحائر وتحوها حرام والفاء فى الملفق داخلة على الفعل وهى للعطف على مقدر
اى اكفروا بالله الذى شانه هذا فيؤمنون بالباطل او بعد تحقيق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه
وبنعمة الله تعالى الفائضة عليهم مما ذكر ومما لا يحيط به دائرة البيان هم يكفرون حيث يضيفونها الى الاصنام وتقديم الصلة
على الفعل للاهتمام او للايهام الاختصاص مبالغة او لرعاية الفواصل والالتفات الى الغيبة للايذان باستتباج حالهم للاعراض عنهم
وصرف الخطاب الى غيرهم من الناس تعجيبا لهم مما فعلوه ويعبدون من دون الله لعله عطف على يكفرون داخل تحت الانكار
التوبيخى اى اكفروا بنعمة الله تعالى ويعبدون من دونه ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ان جعل الرزق مصدرا
فشيئا نصب على المفعولية منه اى ما لا يقدرون على ان يرزقهم شيئا لا من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وان جعل اسما للمرزوق
فنصب على البدلية منه بعنى قليلا ومن السموات والارض صفة لرزقا اى كائنا منهما ويجوز كونه تاكيدا لا يملك اى لا يملك رزقا ما شيئا
من الملك

للذين كفروا امرأة نوح وضرب الله مثلا

والتم لا تعلمون فتفعلون فيما تفعلون فيه من مهاوي الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الامثال

ولا يستطيعون ان يملكوه آذ لا استطاعة لهم رأسا لانها موت لا حياة بها فالضمير للاصنام وجوز ان يكون للكفرة على معنى انهم مع كونهم احياء متصرفين في الامور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس له فلا تضربوا لله الامثال التفات الى الخطاب للايذان بالانتقام لشان التهى اى لا تشركوا به شيئا والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد الى النهى عن الاشراك به تعالى في شان من الشئون فان ضرب المثل مبناه تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة اى لا تشبهوا به شانا من الشئون واللام مثلها في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون لا مثلها في قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ونظائره والفاء للدلالة على ترتب النهى على ما عدد من النعم الفائضة عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركونه به بمعزل عن ان يملك لهم من اقطار السموات والارض شيئا من رزق ما فضلا عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل في الرزق ونعمة الازدواج والاولاد إن الله يعلم تعليل للنهى المذكور ووعيد على المنهى عنه اى انه تعالى يعلم كنه ما تأتون وما تذرون وانه فرغ اية العظم والتبح وانتم لا تعلمون ذلك واللام فعلقوه اوانه تعالى كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا انكم وقفوا في مواقف الامثال بادر د عليكم من الامر والنهى ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال في هذا الباب فقال ضرب الله مثلا اى ذكر واذر د شيئا يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين ما اشركوا به على تباعدهما بحيث ينادي الفساد ما ارتكبوه نداء جليا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء بدل من مثلا وتفسير له والمثل في الحقيقة حالة العارضة له من المملوكية والعجز التام وجعلها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية للتنبيه على الخروج عن اشتراكهما في كونهما عبدا لله سبحانه وقد اريد مع فيه ان الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة للتنبيه على الكاتب والمأذون اللذين لهما تصرف في الجملة وقد ابهم المثل اولا ثم بيانه باذكر مما لا يخفى من الفخامة والجزالة ومن رزقناه من موصوفة معطوفة على عبدا اى رزقناه بطريق الملك والالتفات الى التكلم للاشعار باختلاف حالي ضرب المثل والرزق منا من جنابنا الكبير المتعالي رزقا حسنا حلالا طيبا او حسنا عند الناس مرضيا فهو يتفق منه تفضلا واحسانا والفاء لترتيب الانفاق على الرزق كانه قيل ومن رزقناه منا رزقا حسنا فانفق وايثار ما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر للدلالة على ثبات الانفاق واستمراره التجددي سرا وجهرا اى حال السر والجهر او انفاق سر وانفاق جهر والمراد بيان عموم انفاقه للاوقات وشمول انعامه لمن يجتنب عن قبوله جهرا والاشارة الى اصناف نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة وتقديم السر على الجهر للايذان بفضله عليه والعدول عن تطبيق الترتيب بان يقال وجهرا مما للاموال مع كونه ادل على تباين الحال بينه وبين قسيمه لتوخي تحقيق الحق بان الاحرار تحت ربقة عبودية سبحانه وتعالى وان ما لكيتهم لا يكون ليست الا بان يرزقهم الله تعالى اياه من غير ان يكون لهم مدخل في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين المثلين فان العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك فما ظنك بالجماد ومالك الملك الخلاق للعالمين هل يستوون جمع الضمير للايذان بان المراد بما ذكر من الصفات معا ان الفريقين ستيان في البشرية والمخلوقية لله سبحانه وانما يتفاوت الاحرار ليسر حالهم وخلو ايجاده ولا في ملكه بل هو مما اعطاه الله تعالى اياهم فحيث لم يستو الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا ذليل اذل منه وهو الاصنام الحمد لله اى كله له لانه مولى جميع النعم لا يتجه احد غيره وان ظهرت على ايدي بعض الوسائط فضلا عن استحقاق العبادة وفيه ارشاد الى ما هو الحق من ان ما يظهر على يد من ينفق فيما ذكر راجع الى الله سبحانه كما نوه به قوله تعالى رزقناه بل اكثرهم لا يعلمون ما ذكر فيفيضون نعمه تعالى الى غيره ويعبدونه لاجلها ونفى العلم عن اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ذلك وانما لا يعلمون بموجبه عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون وضرب الله مثلا اى مثلا آخر يدل على ما دل عليه المثل السابق على وجه اوضح واظهر وبعد ما ابهم ذلك لينتظر النفس الى وروده وتتشوقه معنى ليتمكن لديها عند وروده بيّن فقيل رجلين احدهما ابكم وهو من ولد اخرس لا يقدر على شيء

من الاشياء المتعلقة بنفسه او بغيره لحدس وفراسة لقلة فهمه وسوء ادراكه وهو كل ثقل وعيال على مولاه على من يعوله
ويلي امره وهذا العدم قدرته على اقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته على شئ مطلقا وقوله تعالى اينما يوجهه اى حيث
يرسله مولاه وان كانت مصلحته يسيرة وقرئ يوجه على البناء للمفعول وعلى صيغة الماضي من التوجه لا ياتي بخير بنجح وكفاية
مهم البتة هل يستوي هو مع ما فيه من الاوصاف المذكورة ومن يامر بالعدل اى من هو منطبق فهم ذو اى كفاية ورشد
ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل وهو في نفسه مع ما ذكر من نفعه التام للخاص والعام على صراط مستقيم
ومقابلة الصفات المذكورة بهذين الوصفين لانهما حقائق ما يقابلها فان تحصل الصفات المذكورة عدم استحقاق المأمورية كمال ٢
وملخص هذين استحقاق كمال الآمرية المستتبع لحيازة المحاسن باجمعها وتغيير الاسلوب حيث لم يقل والآخر آمر بالعدل الآية
لمراعاة الملائمة بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين بين الترتيبين واعلم ان كلا من الفعلين ليس المراد بهما حكاية
الضرب الماضي بل المراد اناؤه باذكر عقيبه ولا يبعد ان يقال ان الله تعالى مثلا يخلق الزوجين على ما هي فكان خلقهما كذلك
للاستدلال بعدم تساويهما على امتناع التساوي بينه تعالى وبين ما يشركون فيكون كل من الزوجين حكاية للضرب الماضي لله
تعالى خاصة لا لاحد غيره استقلالا ولا اشتراكا غيب السموات والارض اى الامور الغائبة عن علوم المخلوقين فاطبة
بحيث لا سبيل لهم اليها لا مشاهدة ولا استدلالا وفي الاضافة اليها التعلق بها لما باعتبار الوقوع فيها او لما لا ولما باعتبار
الغيبة عن اهلها والمراد بيان الاختصاص به تعالى من حيث المعلومية حسبما ينبئ عنه عنوان الغيبة لا من حيث المخلوقية
والمملوكية وان كان الامر كذلك في نفس الامر وفيه اشعار بان علمه سبحانه ضروري فان تحقق الغيوب في انفسها
علم بالنسبة اليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السموات والارض وما امر الساعة التي هي اعظم ما وقع فيه المراء
من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتهما عن اهلها او ظهور آثار ما فيهما عند وقوعها فان وقت وقوعها بعينه من الغيوب
المختصة به سبحانه وان كان آيتها من الغيوب التي نصبت عليها الادلة اى ما شاركها في سرعة المجئ الا كلمح البصر اى كرجع
الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اى بل امرها فيما ذكر اقرب من ذلك واسرع زمانا بان يقع في بعض من زمانه
فان ذلك وان قصر حركة آنية لها هوية اتصالية منطبقة على ما له هوية اتصالية كذلك قابل للانقسام الى الابعاض هي
ازمنة ايضا بل في آن غير منقسم من ذلك الزمان وهو آن ابتداء تلك الحركة او امرها الاكالشئ الذي يستقرب ويقال هو
كلمح البصر او هو اقرب واياما كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما عبر عنها في فاتحة السورة الشريفة بالاتيان ان الله على كل شئ
قدير ومن جملة الاشياء ان يجئ بها اسرع مما يكون هو قادر على ذلك واما اقامة الساعة التي كنهها وكيفيتها من الغيوب الخاصة
به سبحانه وهي اماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين وتبديل صور الاكوان اجمعين وقد انكرها المنكرون وضلوا
من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان في سرعة الوقوع وسهولة التأتي الا كلمح البصر او هو اقرب على ما مر من الوجهين ان الله على كل
شئ قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل غيب السموات والارض عبارة عن يوم القيمة بعينه لما ان علمه مختصة به غائب عن اهلها
فوضع الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة والله اخرجكم من بطون امهاتكم عطف على قوله والله جعل لكم من انفسكم
ازواجا منتظم معه في سلك ادلة التوحيد من قوله تعالى والله انزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى والله فضل
بعضكم على بعض في الارزاق بضم الهمزة وقرئ بكسرها ايضا جمع الام زيدت الهاء فيه كما زيدت في احراق من اراق وشذت
زيادتها في الواحدة قال انتهى خلافا لابي الناس ابي لا تعلمون شيئا في موقع الحال اى غير عالمين شيئا اصلا وجعل لكم
السمع والابصار والافئدة عطف على اخرجكم وليس فيه دلالة على تاخر الجعل المذكور من الاخراج لما ان مدلول الواو
وهو الجمع مطلقا لا الترتيب على ان اثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الاخراج اى جعل لكم هذه الاشياء التي تحصلون بها العلم والمعرفة

بان تحسوا بمشاعركم جزئيات الاشياء وتدركوها بافئدتكم وتتنبهوا للمابينها من المشاركات والمباينات بتكرر الاحساس فتحصل لكم علوم برهنية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والافئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من الصدر وهو من جموع القلة التى جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم المجرور على المنصوب لما مر من ان الاصل ان يكون المحمول نافعا لهم وتشويق النفس الى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن • لعلكم تشكرون • كى تعرفوا ما انعم به عليكم طورا عجيبا طورا فشكروه وتقديم السمع على البصر لما انه طريق تلقى الوحى اولا وادراكه اقدم من ادراك البصر وآلاته باعتبار كونه مصدرا والاصل الم يروا وترى بالتاء • الى الطير • جمع طائر اى الم ينظروا اليها • مسخرات • مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والالات الملائمة وفيه مبالغة من حيث ان معنى التسخير جعل الشئ منقادا لآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والفلك والدواب للانسان والوقع ههنا تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيف يشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فتسخيرها ان خلق للطيران وفيه تنبيه على ان الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى • فى جو السماء • اى فى الهواء المتباعد من الارض والسماء والجو ابعد منه واضافته الى السماء لما انه فى جانبها الناظر ولاظهار كمال القدرة • ما يمسكهن فى الجو حين قبض اصنحتهن وبسطها فهو قبض الا الله عز وجل بقدرته الواسعة فان ثقل جسدها ورقة قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها • وهو اما حال من الضمير المستتر فى مسخرات او من الطير واما مستانف ان فى ذلك الذى ذكر من تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يتمكن بها منه بان جعل بها اجنحة خفيفة واذنا بالك وجعل افادها من الخفة بحيث اذا بسطت اجنحتها واذنا بها لا يطين تعلقها بحرف ما تحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق ما بين يديها من الهواء لانها لا ملاقه بحجم • لآيات • ظاهرة لقوم يؤمنون اى من شانهم ان يؤمنوا وانما خص ذلك بهم لانهم المنتفعون به والله جعل لكم معطوف على ما مر وتقديم لكم على ما سياتى من المجرور والمنصوب لما مر من الايذان من اول الامر بانه لمصلحتهم ومنفعتهم لتشويق النفس الى ورود • من بيوتكم • اى من بيوتكم المعهودة التى تبنونها من الحجر والمدر سميت لذلك المجعول المبهم فى الجملة وتاكيد لما سبق من التشويق سكنا فعل بمعنى مفعول الامر وضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم او تسكنون اليه من غير ان ينتقل من مكانه اى جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون اليه وتطمئنون به • وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا • اى بيوتا اخر مغائرة لبيوتكم المعهودة هى الخيام والقباب والاخبية والفساطيط • تستخفونها • تجدونها خفيفة سهلا للاخذ • يوم ظعنكم • وقت ترحالكم فى النقض والحمل والنقل وقرئ بفتح العين ويوم • اقامتكم • وقت نزولكم فى الضرب والبناء • ومن اصوافها واوبارها واشعارها • عطف على قوله تعالى من جلود والضمائر للانعام على وجه التنويع اى وجعل لكم من اصواف الضان واوبار الابل واشعار المعز • اثاثا • اى متاع البيت واصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر اثيث • ومتاعا • اى شيئا يتمتع به بنون التمتع • الى حين • الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى فانه فى معرض البلى والفناء وقيل الى الوان تموتوا والكلام فى ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل • والله جعل لكم مما خلق • من غير صنع من قبلكم • ظلالا • اشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها • وجعل لكم من الجبال اكنانا • مواضع تسكنون فيها من الكهوف والغيران والشروب والكلام فى ترتيب الواقع بين المفاعيل كالذى مر غير مرة • وجعل لكم سرابيل • جمع سربال وهو كل ما يلبس اى جعل لكم ثيابا تقيكم الحر والصوف وغيرها • تقيكم • خصه بالذكر اكتفاء بذكر احد الضدين عن ذكر الآخر اولان وقايته هى الاهم عندهم لانها آتقاء • وسرابيل • من الدروع والجواشن • تقيكم باسكم • اى الباس الذى يصل الى بعضكم من بعض فى الحرب من الضرب والطعن ولقد من الله تعالى علينا حيث ذكر جميع نعمه الفائضة على جميع الطوائف فبدء بما يخص المخاطبين حيث قال وجعل لكم من جلود الانعام الخ ثم بما يعم من لا يقدر على ذلك كالبدوية الا الظلال حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالا الى آخره

جمع سرابيل بزكى اين

بالاغنى عنه فى الحروب حيث قال وسرابيل تقيكم بأسكم ثم قال كذلك اى مثل ذلك الاتمام البالغ يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون
اى ارادة ان تنظروا فيما اسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والانفسية والآفاقية فتعرفوا حق منعمها فتوحدوه
وصح وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا لامره وايراد النعمة اما لان المراد بها المصدر او لاظهار ان ذلك بالنسبة الى صنائع
الكبرياء شئ قليل وقرئ تسلمون اى تسلمون من العذاب او من الشرك وقيل الجراح يلبس للدروع فان تولوا فعلى ماض على طريقة
الالتفات وحرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له اى فان اعرضوا عن الاسلام ولم يقبلوا ما مكنا لك الهم من البينات
والعبر والعظات فانما عليك البلاغ المبين اى فلا قصور من جهتك لان وظيفتك هى البلاغ للموضح او الواضح وقد فعلته بالا
فهو من باب وضع السبب موضع المسبب يعرفون نعمة الله استئناف لبيان ان توليهم واعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم
بما عدد من نعمه الله اصلا فانهم يعرفونها ويعرفون انها من الله تعالى ثم ينكرونها بافعالهم حيث ما يعبدون غيره منعمها او بقولهم انها
بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات كما يعرفون ابناءهم ثم انكروها عنادا
ومعنى ثم لاستبعاد الانكار المتفرع عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق من باب اسناد الحال البعض الى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا
وانما القاتل واحد منهم فان بعضهم لسوا كذلك لقوله سبحانه واكثرهم الكافرون اى المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر
والحكم عليهم بمطلق الكفر الموذن بالكمال من حيث الكمية لا ينافى كمال الفرقة الاولى من حيث الكيفية هذا وقد قيل ذكر الاكثر
امالان بعضهم لا يعرفون انتفاء الفعل او للتفريط فى النظر او لم يتم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف فتدبر ويوم نبعث
من كل امة شهيدا يشهد لهم بالايمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان وهو يوم القيامة ثم لا يؤذن للذين كفروا فى الاعتذار
اذ لا عذر لهم وثم للدلالة على ان امتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المبنى عن الاقناط الكلى وهو عند ما يقال لهم اخسئوا فيها ولا
تكلمون اشد من ابتلائهم بشهادة الانبياء عليهم السلام عليهم والهم ولا هم يستعتبون يسترضون اى لا يقال لهم ارضوا ربكم
لا يوصف اذ الآخرة دار الجزاء لا دار العمل والعتاب الظرف بمحذوف تقديره اذكر واخوفهم يوم نبعث او يوم نبعث يحيق بهم ما يحيق مما
وكذا قوله تعالى واذا راى الذين ظلموا العذاب الذى يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم فلا يخفف عنهم ذلك
ولا هم ينظرون اى يمهلون كقوله تعالى بل تاتيهم بغتة فتبهتهم واذا راى الذين اشركوا شركاءهم الذين كانوا
يدعونهم فى الدنيا وهم الاوثان او الشياطين الذين شاركوهم فى الكفر بالحمل عليه وقارنوهم فى الغى والضلال قالوا
ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك اى نعبدهم او نطيعهم ونعلهم قالوا ذلك طمعا فى توزيع العذاب
بينهم كما ينبئ قوله سبحانه فالقوا اى شركاؤهم اليهم القول انكم لكاذبون فان تكذيبهم اياهم فيما قالوا ليس
الا للمفاجاة والتخلص عن غائلة مضمونه وانما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لان الاوثان ما كانوا راضين بعبادتهم
لهم لعدم شعورهم بها اذ ذاك فكان عبادتهم لم تكن عبادة لهم كما قالت الملئكة بل كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن هم الذين
كانوا راضين بعبادتهم لا لكن اوكذبوهم فى تسميتهم شركاء والهة تنزيها لله سبحانه من الشريك والشياطين وان كانوا
راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم على وجه القسر والالجاء كما قال ابليس وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لى فكانهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم اهواءكم والقوا اى الذين اشركوا الى الله يومئذ السلم
الاستسلام والانقياد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه فى الدنيا وضل عنهم اى ضاع وبطل ما كانوا يفترون
من ان لله سبحانه شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم تبرؤا منهم الذين كفروا فى انفسهم وصدوا
غيرهم عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب الذى كانوا يستحقونه بكفرهم قيل
فى زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن فيتحذ صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل

فريد عليه
بعد المعرفة لان حق من عرف النعمة الاعتراف بها
لا الانكار وما نافى المعرفة والانكار

يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد الى النار بما كانوا يفسدون متعلق بقوله زدناهم اى زدناهم عذابا بسبب
استمرارهم على الافساد وهو الصد المذكور ويوم نبعث تكرير لما سبق تشنيعا للتهديد فى كل امة شهيدا عليهم اى نبيا من انفسهم
من جنسهم قطعا لمعذرتهم وفى قوله تعالى عليهم شعار بان شهادة انبيائهم على الامم تكون بحضر منهم وجئنا بك آثار لفظ المجئ
على البعث لكمال العناية بشانه ودم وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع شهيدا على هؤلاء وشهادته عليهم كقوله تعالى فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقيل على الممتد والعامل فى الظرف محذوف كما مر والمراد به يوم القيمة ونزلنا
عليك الكتاب الكامل فى الكتابية الحقيق بان يخص به اسم الجنس وهو اما استئناف او حال بتقدير قد تبيانا بيانا بليغا
لكل شئ يتعلق بامور الدين ومن جملة ذلك احوال الامم مع انبيائهم فيكون كالدليل على كونه شهيدا عليهم وكذا من جملة ما اخبر
به فى هذه الآية الكريمة من بعث الشهداء وبعثه ودم شهيدا عليهم عليهم السلام والتبيان كالتلقاء فى كسر اوله وكونه تبيانا لكل شئ
من امور الدين باعتبار ان فيه نصا على بعضها واحالة لبعضها على السنة حيث امر باتباع النبى عليه السلام وطاعته وقيل فيه
وما ينطق عن الهوى وحث على الاجماع وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته باتباع اصحابه حيث قال اصحابى كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا وطوا طرق الاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس مستندا الى تبيان الكتاب
ولم يضر ما فى البعض من الخفاء فى كونه تبيانا فان المبالغة باعتبار الكلية دون الكلية كما قيل فى قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد انه من قولك
فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده ومنه قوله سبحانه وما للظالمين من انصار وهدى ورحمة للعالمين فان حرمان الكفرة من مغانم
اثاره من تنزيلهم لا من جهة الكتاب وبشرى للمسلمين خاصة او يكون كل ذلك خاصا بهم لانهم المنتفعون بذلك ان الله يامر
فيما نزله تبيانا لكل شئ وهدى وبشرى وآثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لافادة التجدد والاستمرار بالعدل اعاده التوسط
بين طرفى الافراط والتفريط وهو راس الفضائل كلها يندرج تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الجربزة
والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية من العفة المتوسطة بين الخلاعة والخمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية
من الشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن فمن الحكمة الاعتقادية التوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس
ان العدل هو التوحيد ان يقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر ومن الحكمة العملية التعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة
والترهب ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان اى الاتيان بما امر به على الوجه اللائق وهو اما بحسب
الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما يشير اليه قوله عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك وايتاء ذى القربى اى اعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص اثر تعميم اهتماما بشانه وينهى عن الفحشاء
الافراط فى غاية القوة الشهوية كالزنا مثلا والمنكر ما ينكر شرعا او عقلا من الافراط فى اظهار آثار القوة الوهمية
الشيطانية التى هى حاصلة من رذيلتى القوتين المذكورتين الشهوية والغضبية وليس فى البشر شر الا وهو مندرج فى هذه
الاقسام صادر عنه بواسطة هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رضه هى اجمع آية فى القرآن للخير والشر ولو لم يكن فيه غير
هذه الآية الكريمة لكفت فى كونه تبيانا لكل شئ وهدى يعظكم بما يامر وينهى وهو اما استئناف واما حال من الضمير فى الفعلين
لعلكم تذكرون طلبا لان تتعظوا بذلك واوفوا بعهد الله هو البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانها مبايعة لله سبحانه
لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واذا عاهدتم اى حافظوا على حدود ما عاهدتم الله عليه بايعتم به رسوله ودم
ولا تنقضوا الايمان التى تحلفون بها عند المعاهدة بعد توكيدها حسبما هو المعهود فى اثناء العهود لا على ان يكون النهى متعلقا
بالتوكيد مختصا به وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا رقيبا فان الكفيل يراعى حال المكفول به محافظ عليه ان الله يعلم ما تفعلون
من نقض الايمان والعهود فيجازيكم على ذلك ولا تكونوا فيما تصنعون من النقض كالتى نقضت غزلها اى ما غزلته

واكثر ووكد لعنان
فصيحتان والاصل
الواو والهمزة بدل
منه ٠٠ عفى

مصدر بمعنى المفعول مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ مستعلى بنقضت اى كالمرأة التى نقضت غزلها من بعد ابرامه واحكامه انكاثا حالا بمعنى منكوثة فيما
جمع نكث وانتصابه على الحالية من غزلها او على انه مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد بيان تقبيح حال النقض بتشبيه
الناقض بمثل هذه المرأة المعتوهة قيل هى ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت منزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة
عظيمة على قدر ما كانت تنزل حبى وجوارياها من العذاة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن تَتَّخِذُونَ ايمانكم دخلا بينكم
حال من الضمير فى لا تكونوا او فى الجار والمجرور الواقع فى موقع الخبر اى شابهين بامرأة شأنها هذا حال كونكم متخذين ايمانكم مفسدة
ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشئ وليس منه اَنْ تَكُونَ اُمَّةٌ اى جماعة هى اربى اى ازيد عددا واوفر مالا
مِنْ اُمَّةٍ من جماعة اخرى اى لا تعدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة مناصبتهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا رأوا اسوكة
فى اعادى خلفائهم نقضوا عهدهم وخالفوا اعداءهم اِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّٰهُ بِهٖ اى بان تكون اُمَّةٌ هى اربى من امة اى يعاملكم معاملة
مَنْ يختبركم لينظر اتتمكنون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله عليه السلام ام تغرهون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم
بحسب ظاهر الحال وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ حين جازاكم باعمالكم ثوابا وعقابا ولو شاء الله مشيته قهر
واجبار لَجَعَلَكُمْ اُمَّةً وَاحِدَةً متفقة على الاسلام ولكن لا يشاء ذلك لكونه مزاحما للحكمة التكليفية بل يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ
اضلاله اى يخلق فيه الضلال حسبما يصرف اختياره الجزئى اليه وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ هدايته حسبما يصرف اختياره الى تحصيلها
وَلَتُسْـَٔلُنَّ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فى الدنيا وهذا اشارة الى ما يوقع به من الكسب الذى عليه يدور امر الهداية
والضلال وَلَا تَتَّخِذُوا اَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ تصريح بالنهى عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة فى بيان قبح المنهى وتمهيدا
لقوله سبحانه فَتَزِلَّ قَدَمٌ عن محجة الحق بعد ثبوتها عليها وسعيها فيها بالايمان وافراد القدم وتنكيرها للايذان بان ذلل
قدم واحدة اى قدم كانت عزت او هانت محذور عظيم فكيف باقدام كثيرة وَتَذُوقُوا السُّوٓءَ اى العذاب الدنيوى
بِمَا صَدَدْتُمْ بصدودكم او بصدكم غيركم عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ الذى ينتظم الوفاء بالعهود والايمان فان من نقض البيعة
وارتد جعل ذلك سنة لغيره وَلَكُمْ فى الاخرة عَذَابٌ عَظِيمٌ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللّٰهِ اى لا تأخذوا بمقابلة عهده تع
وبيعة رسوله ما توليه الناطقة بايجاب المحافظة على العهود والايمان ثَمَنًا قَلِيلًا اى لا تستبدلوا بها عوضا يسيرا او هو
ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشترطون على الارتداد من حطام الدنيا اِنَّمَا عِنْدَ اللّٰهِ عز وجل فى النصر والتقديم
والثواب الاخروى هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مما يعدون اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ اى ان كنتم من اهل العلم والتمييز وهو تعليل للنهى على طريقة
التحقيق كما ان قوله تعالى مَا عِنْدَكُمْ تعليل للخيرية بطريق الاستئناف اى ما تتمتعون به من نعم الدنيا وان جل فانه الى الدنيا والفنا
جميعا يَنْفَدُ وان جم عدده وتنقضى وان طال امده وَمَا عِنْدَ اللّٰهِ من خزائن رحمة الدنيوية والاخروية بَاقٍ لا انفاد له
اما الاخروية فظاهرة واما الدنيوية فحيث كانت موصولة بالاخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت فى سمط الباقيات الصالحات
وفى ايثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى وَلَنَجْزِيَنَّ بنون العظمة على طريقة الالتفات
تكرير للوعد للاستفادة فى قوله تعالى ان ما عند الله هو خير لكم على منهج التوكيد القسمى مبالغة فى الحمل على الثبات فى الدين والالتفات
عما يقتضيه ظاهر الحال من ان يقال ولنجزينكم اجركم باحسن ما كنتم تعملون للتوسل الى التنويه لاعمالهم والاشعار بعلية ما للجزاء اى ولنجزين
الَّذِينَ صَبَرُوا على اذية المشركين ومشاق الاسلام التى من جملتها الوفاء بالعهود والنهوض بالياء من غير
التفات وَاَجْرَهُمْ مفعول ثان لنجزين اى لنعطينهم اَجْرَهُمْ الذى هو بمقابلة ما امنوا به من الامور المذكورة بِاَحْسَنِ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ اى لنجزينهم بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وانما اضيف الاحسن للاشعار بكمال حسنه كما فى قوله تعالى وحسن ثواب
الاخرة للافادة بقصر الجزاء على الاحسن منه دون الحسن فان ذلك مما لا يخطر ببال احد لا سيما بعد قوله تعالى اجرهم ولنجزينهم

بحسب احسن افرادها على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الادنى من اعمالهم المذكور ما نعطيه بمقابلة الفرد الاعلى منها من الاجر الجزيل
لا انا نعطى الاجر بحسب افرادها المتفاوتة فى مراتب الحسن بان نجزى الحسن منها بالاجر الحسن والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى
من العدة الجميلة باعتقاد ما عسى يعزيهم فى تضاعيف الصبر من بعض جزع ونظمه فى سلك الصبر الجميل او نجزيهم بجزاء اصل من اعمالهم
واما التعبير بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بما ترجح تركه ايضا كالمحرمات والمكروهات دلالة على ان ذلك هو المدار
للجزاء دون ما يستوى فعله وتركه كالمباحات فلا يساعده مقام الحث على الاتيان بما هم عليه من الاعمال الحسنة المخصوصة والترغيب فى تحصيل
مزاياها بل التعرض لاخراج بعض اعمالهم عن مدارية الجزاء من قبيل تحرير الرحمة الواسعة فى مقام توسيع حالها من عمل صالحا اى عملا صالحا
اى عمل كان وهذا شروع فى تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح مخصوص فعالتوعم اختصاص الاجر الموعود بهم وبعملهم المذكور
وقوله تعالى من ذكر او انثى مبالغة فى بيان شموله للكل وهو مؤمن قيد به اذ لا عتداد باعمال الكفرة فى استحقاق الثواب
او تخفيف العذاب وقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا او انكار ارادة بالجملة الاسمية الحالية على نظمها
فى سلك الصلة لافادة وجوب دوامها او مقارنتها للعمل الصالح فلنحيينه حياة طيبة فى الدنيا بان يعيش عيشا طيبا
اما ان كان موسرا فظاهر واما ان كان معسرا فبان يطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم كالصائم يطيب
نهاره بملاحظة نعيم ليله بخلاف الحاقد فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشة
ولنجزينهم فى الآخرة اجرهم باحسن ما كانوا يعملون حسبما نفعل بالصابرين فليس فيه شائبة تكرار والجمع فى الضمائر
العائدة الى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد فيما سلف لرعاية جانب اللفظ وآثار ذلك على العكس على ان وقوع
الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية ووقوع ما فى حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق التعاقب الملائم للافراد وآذانت
الاخرى ان مدار الجزاء المذكور هو صلاح العمل وحسنه ترتب عليه بالفاء الارشاد الى ما به يحسن العمل الصالح ويخلص شوب
الفساد فقيل فاذا قرأت القرآن اى اذا اردت قراءته عبر بها عن ارادتها على طريق اطلاق اسم المسبب على السبب
ايذانا بان المراد هى الارادة المتصلة بالقراءة فاستعذ بالله فسئله عز جاره ان يعيذك من الشيطان الرجيم
من وسواسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة فان له حرصا بذلك قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى
الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته الآية وتوجيه الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءة القرآن من بين
الاعمال الصالحة بالاستعاذة عند ارادتها للتنبيه على انها لغيره دم وفى سائر الاعمال الصالحة اهم فانه دم صيانة عن تعريها
عند قراءة القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظنك بمن عداه دم فيما عدا القراءة فى الاعمال والاذكار
للندب وعند عطا للوجوب وهذا مذهب الجمهور وقد اخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة ابو هريرة ومالك
وابن سيرين وداود وحمزة من القراء وعن ابن مسعود رضى الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم
من الشيطان الرجيم فقال عليه السلام قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل رفع القلم عن اللوح المحفوظ
انه الضمير الشان او للشيطان ليس له سلطان اى تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
اى اليه يفوضون امورهم ويه يعوذون فى كل ما يأتون وما يذرون فان وسوسته لا يؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم
وآثار صيغة الماضى فى الصلة الاولى للدلالة على التحقق كما ان اختيار صيغة المستقبل فى الثانية لافادة الاستمرار التجددى
وفى التعرض لوصف الربوبية مع كريم باضافة المتوكلين والجملة تعليل للامر بالاستعاذة او لجوابه المنوى او بمحذوف
او نحو انما سلطانه اى تسلطه وولايته بدعوته المتبعة للاستجابة لا سلطانه والا لجار فانه منتف من الرأس بتعبير
لقوله سبحانه حكاية عنه وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وقد اضيع عنه قوله تعالى على الذين يتولونه

اى يتخذونه وليًا ويستجيبون دعوته ويطيعونه فان المنسوب يعمل من ذلك والذين هم به سبحانه وتعالى مشركون
او بسبب الشيطان مشركون اذ هو الذى حملهم على الاشراك بالله سبحانه وقصر سلطانه عليهم عقب نفيه عن المؤمنين المتوكلين
دليل على ان لا واسطة فى الخارج بين التوكل على الله سبحانه وبين تولى الشيطان وان كان بينهما واسطة فى المفهوم
وان من لم يتوكل على الله لم ينتظم فى سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب اذ به يتم التعليل ففيه مبالغة فى الحمل
على التوكل والتحذير عن مخالفته واثبار الجملة الفعلية الاستقبالية فى الصلة الاولى لما مر من افادة الاستمرار التجددى كما ان اختيار
الجملة الاسمية فى الثانية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية مفيدة لعدم دخول غير
المشركين من اولياء الشيطان تحت سلطانه وتقديم الاولى على الثانية بمقابلة الصلة الاولى فيما سلف لرعاية المقارنة
بينها وبين ما يقابلها من التوكل على الله سبحانه ولورود على الترتيب الثابتة لا تفصل كل من الترتيبين عما يقابلها واذ بدلنا
آية مكان آية اى اذا انزلنا آية من القرآن مكان آية منه وجعلناها بدلا منها بان نسخنا بها والله اعلم بما ينزل
اولا وآخرا او بان كلا من تلك ما نزلت حينما نزلت الا حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فان كلا من وقت له مقتضى
غير مقتضى الآخر حكم من مصلحة فى وقت تتعلق فى وقت آخر مفسدة وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك وما الشرائع
الا مصالح للعباد فى المعاش والمعاد تدور حسبما تدور المصالح والجملة آثار معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على جهلهم
وقلة التفاتهم الى العبرة مع اسناد الخبر الى الاسم الجليل المشتمل على الصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض
او حالية وقرئ بالتخفيف من الانزال قالوا اى الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ انما انت مفتر اى متقول على الله تعالى
ما لم يشرعه ثم يبدو لك فتنهى عنه وحكاية هذا القول عنهم ههنا للايذان بان ذلك كفرة ناشئة من نزغات الشيطان وانه ولبعض
بل اكثرهم لا يعلمون شيئا اى لا يعلمون او لا يعلمون ان فى النسخ حكما بالغة واسناد هذا الحكم الى الاكثر لما ان منهم
من يعلم ذلك وانما ينكره عنادا قل نزله اى القرآن المدلول عليه بالآية روح القدس يعنى جبريل عليه السلام والروح
المطهر من الادناس البشرية واضافته الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود حيث قال حاتم الجود للمبالغة
فى ذلك الوصف فانه طبع منه وفى صيغة التربية اشعار بما فى المضاف اليه من الدلالة على تحقيق الاضافة اثار الربوبية عليه مما يخيل اضافته
الى آثار المتكلم المبنية على التلقين المحض بالحق متعلق بنزله الحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية لايجابها
اياه وتنسخا وفيه دلالة على ان النسخ حق ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلام الله تعالى فانهم اذا سمعوا
الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح بالحال رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وقرئ ليثبت على الافعال
وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت اى تثبيتا وهداية وبشارة
وفيه تنبيه على حصول اضدادها للامور المذكورة لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم انهم يقولون عطف على المقالة
الشنعاء انما يعلمه اى القرآن بشر على طريق البت مع ظهور انه مما نزله روح القدس وتخلية الجملة بالنون
للتاكيد لتحقيق ما تضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم بحسب الاستمرار التجددى فى متعلقه اى هم
مستمرون على تفوه تلك العظيمة يعنون بذلك جبر الرومى غلام عامر بن الحضرمى وقيل جبر ويسار كانا
يصنعان السيف بمكة ويقرآن الكتب والانجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل
عايش غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسى وانما لم يقصح باسم من زعموا
انه يعلم مع كونه ادخل فى ظهور كذبهم للايذان بان مدار خطائهم ليس نسبته ما الى التعلم من شخص معين بل الى التعلم من البشر
كائنا من كان مع كونه مما لا تعلم للاولين والآخرين لسان الذى يلحدون اليه اعجمى الالحاد الامالة

من الحد القبر اذا امال حفره عن الاستقامة فحرف شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقالوا الحد فلان في قوله تعالى والحد في دينه اى لغة الرجل الذى يميلون اليه القول من الاستقامة اعجمية غير بينة وقرئ بفتح الياء والحاء وبتعريف اللسان وهذا اى القرآن الكريم لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره ان القرآن معجز بنظمه كما انه معجز بمعناه فان زعتم ان بشرا يعلم معناه فكيف يعلم هذا النظم الذى اعجز جميع اهل الدنيا والتثبت في اثناء الطعن باذيال امثال هذه الخرافات الركيكة دليل على كمال عجزهم ان الذين لا يؤمنون بايات الله لان لا يصدقون انها من عند الله بل يعتقدون فيها ما يقولون ليستمروا تارة افتراء واخرى اساطير معلمة من البشر لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة هداية موصلة الى المطلوب لما علم انهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ولهم في الآخرة عذاب اليم وهذا تهديد لهم ووعيد على ما هم عليه من الكفر بآيات الله تعالى ونسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الافتراء والتعلم من البشر بعد اماطة شبههم ورد طعنهم وقوله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله رد لقولهم انما انت مفتر وقلب للامر عليهم ببيان انهم هم المفترون بعد رده بتحقيق انه منزل من عند الله تعالى بواسطة روح القدس وانما وسط بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الآية لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد الاول والمعنى والله اعلم ان المفترى هو الذى يكذب بآيات الله ويقول انه افتراء ومعلم من البشر اى يكذبها على الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لان حقيقة الكذب والحكم بان ما كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى كونه كذبا وافتراء كالحكم بان ما ليس بكلامه تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة في بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه اعني قوله تعالى لا يؤمنون وقيل المعنى انما يفتري الكذب ويليق ذلك بمن لا يؤمن بآيات الله لانه لا يترقب عقابا عليه ليرتدع عنه واما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن ان يصدر عنه افتراء البتة واولئك الموصوفون باذكر من عدم الايمان بآيات الله هم الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب او لا كذب اعظم من تكذيب آيات الله تعالى والطعن فيها باشالها هيهات الا باطيل والتمرن في ذلك ان الكذب الناشئ الذى هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الامر بخلق الله تعالى او بوقوع ما لم يقع كذلك مدافعة لله سبحانه في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه في فعله وقوله المنبئ عنه او الذين عادتهم الكذب لا يزعجهم عنها وازع من دين او مروءة وقيل الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بالله اى تلفظ بكلمة الكفر من بعد ايمانه به تعالى وهو ابتداء كلام لبيان حال من كفر بآيات الله بعد ما آمن بها بعد بيان حال من لم يؤمن بها رأسا ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر الآتي عليه او خبرها او النصب على الذم الا من اكره على ذلك بان خاف على نفسه او على عضو من اعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب او الذم لان الكفر لغة يتم بالقول كما اشير اليه وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع بالاكراه لا نفس الاكراه لان مقارنة اطمئنان القلب بالايمان للاكراه ولا يجدى نفعا وانما المجدى مقارنته للكفر الواقع به اى الا من كفر باكراه او الا من اكره فكفر والحال ان قلبه مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدته وانما لم يقع به ايماء الى انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اى عتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب عظيم لا يكتنه كنهه من الله اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم العذاب ولهم عذاب عظيم اذ لا جرم اعظم من جرمهم والجمع في الضميرين المجرورين لرعاية جانب المعنى كما ان الافراد في المستكن في الصلة لرعاية جانب اللفظ روى ان قوما اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فاباه وابواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انا اسلمنا من اجل الرجال فقتلوها وقتلوا ياسرا وهما اول

ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الخ

الكشاف

الفراء

وزعته ازعه وزعا اى كففته فانزع هو ان كف

ر يطعن ،

مسلمين في الاسلام وأما عمار فاعطاهم بلسانه ما اكرهوا عليه فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا
ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله عليه السلام وهو يبكي فجعل رسول الله عليه السلام يمسح عينيه
وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الاكراه الملجئ وان كان الافضل ان يتجنب عنه
اعزازا كما فعله ابواه وروي ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال
انا اصم فاعاد ثلثا فاعاد جوابه فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة واما الثاني فقد صدع بالحق ذلك
اشارة الى الكفر بعد الايمان او الى الوعيد المذكور بانهم اي بسبب انهم استحبوا الحيوة الدنيا اي آثروها على الآخرة وان الله
لا يهدي اي الى الايمان والى ما يوجب الثبات عليه هداية قسر والجاء القوم الكافرين في علمه المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ وما يؤدي اليه
من الغضب والعذاب العظيم ولولا احد الامرين اما ايثار الحيوة الدنيا على الآخرة واما عدم هداية الله تعالى للكافرين هداية قسر بان آثروا
الآخرة على الدنيا او بان هداهم الله هداية قسر لما كان ذلك لكن الثاني مخالف للحكمة والاول مما لا يدخل تحت الوقوع واليه اشير بقوله تعالى
اولئك اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق
والتأمل فيه واولئك هم الغافلون اي الكاملون في الغفلة اذ لا غفلة اعظم من الغفلة عن تدبر العواقب لا جرم انهم
في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا يفضي الا الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا الى دار
الاسلام وهم عمار واصحابه اي لهم بالولاية والنصر لا عليهم كما يوجبه ظاهر اعمالهم السابقة فالجار والمجرور خبر لان ويجوز ان يكون
خبرها محذوفا لدلالة الخبر الآتي عليه ويجوز ان يكون ذلك خبرا لها ويكون ان الثانية تاكيدا للاولى وثم للدلالة على تباعد رتبة
حالهم التي تفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الاشارة لا عن رتبة حال الكفرة من بعد ما فتنوا
اي عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان قلوبهم بالايمان وقرئ على بناء الفاعل اي عذبوا المؤمنين كالحضرمي
اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا في سبيل الله تعالى وصبروا على مشاق الجهاد ان ربك من بعدها
من بعد الفتنة المذكورة وهو لبيان عدم اخلال ذلك بالحكم لغفور لما فعلوا من قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا
من بعد وفي التعرض لعنوان الربوبية في الموضعين ايماء الى علة الحكم وفي اضافة الرب الى ضميره عليه السلام مع ظهور الاثر في الطائفة
المذكورة اظهار لكمال اللطف به عليه السلام واشعار بان افاضة آثار الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة بواسطته عليه السلام ولكونهم
اتباعا له يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم او بما ذكر وهو يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين تجادل
عن نفسها عن ذاتها تسعى في خلاصها بالاعتذار لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس اي تعطى
وافيا كاملا ما عملت اي جزاء ما عملت بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اشعارا بكمال الاتصال بين الاجزية
والاعمال وايثار الاظهار على الاضمار لزيادة التقرير وللايذان باختلاف وقتي المجادلة والتوفية وان كانتا في يوم واحد
وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم او لا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد في عقابهم على ذنوبهم وضرب الله مثلا قرية
قيل ضرب المثل صنعه واعماله وقد مر تحقيقه في سورة البقرة ولا يتعدى الا الى مفعول واحد وانما عدي الى اثنين لتضمينه
معنى الجعل وتأخير قرية مع كونها مفعولا اول لئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب عليها اذ التأخير عن الكل مخل
بتجاذب اطراف النظم وتجاوبها ولان تأخير ما حقه التقديم مما يورث النفس ترقبا لوروده وتشوقا اليه لا سيما اذا كان
في المقدم ما يدعو اليه فان المثل مما يدعو الى المحافظة على تفاصيل احوال ما هو مثل فيتمكن المتأخر عند وروده لديها فضل تمكن
والقرية اما محققة في الغابرين ولكنها مقدرة اي جعلها مثلا لاهل مكة خاصة او لكل قوم انعم الله تعالى عليهم فابطرتهم النعمة
ففعلوا ما فعلوا فبدل الله تعالى بنعمتهم نقمة ودخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا كانت آمنة ذات امن من كل مخوف

مسيلمة بكسر اللام تصغير مسلمة اسم الكذاب المشهور ومن نقولها بفتح اللام وقيل على الصحة الكذب منه
صح

مطمئنة لا يزعج اهلها مزعج يأتيها رزقها اقوات اهلها صفة ثانية لقرية وتغيير سبكها عن الصفة الاولى لما ان اتيان رزقها متجدد
وكونها آمنة مطمئنة ثابت مستمر رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت اى كفر اهلها بانعم الله اى بنعمه
جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس والمراد بها نعمة الرزق والامن المستمر وايثار جمع القلة للايذان
بان كفران نعمة قليلة حيث اوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة فاذاقها الله اى اذاق اهلها لباس الجوع والخوف
شبه اثر الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم باللباس الغاشى للابس فاستعير له اسمه واوقع عليه الاذاقة المستعارة لمطلق الايصال المنبئة
عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكى اللامسة والذائقة على نهج التجريد فانها لشيوع استعمالها فى ذلك وكثرة جريانها على الالسنة
جرت مجرى الحقيقة كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فان الغمر مع كونه فى الحقيقة من احوال الماء لما كان
كثير الاستعمال فى المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصارت اضافته الى الرداء المستعار للمعروف تجريدا او شبه اثرهما وضررهما
من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم باللباس الغاشى للابس المناسب للخوف بجامع الاحاطة واللزوم تشبيه معقول بمحسوس فاستعير له
اسمه استعارة تصريحية واخرى لطعم المر والبشع الملائم للناشئ من فقد الرزق بجامع الكراهة فاومى اليه بان اوقع عليه الاذاقة
المستعارة لايصال المضار المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكى اللامسة والذائقة وتقديم الجوع الناشئ مما ذكر
من فقدان الرزق على الخوف المترتب على زوال الامن المقدم فيما تقدم على اتيان الرزق لكونه انسب بالاذاقة او لمراعاة المقارنة بينها
وبين اتيان الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه ايضا عطفا على المضاف او اقامة له مقام مضاف محذوف واصله ولباس الخوف
بما كانوا يصنعون فيما قبل او على وجه الاستمرار وهو الكفران المذكور اسند ذلك الى اهل القرية تحقيقا للامر بعد اسناد
الكفران اليها وايقاع الاذاقة عليها ارادة للمبالغة وفى صيغة الصنعة ايذان بان كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة
مسلوكة ولقد جاءهم من تتمة التمثيل جيء بها لبيان ان ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان
ذلك معارضة لحجة الله على الخلق ايضا اى ولقد جاء اهل تلك القرية رسول منهم اى من جنسهم يعرفونه باصله ونسبه فاخبرهم
بوجوب الشكر على النعمة وانذرهم سوء عاقبة ما يأتون وما يذرون فكذبوه فى رسالته او فيما اخبرهم به مما ذكر فالفاء فصيحة
وعدم ذكره للايذان بمفاجأتهم للتكذيب من غير تلعثم فاخذهم العذاب المستأصل لشأفتهم غب ما ذاقوا نبذة من ذلك
وهم ظالمون اى حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذى هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب رسوله غير مقلعين عنه بما ذاقوا من مقدماته
الزاجرة عنه وفيه دلالة على تماديهم فى الكفر والعناد وتجاوزهم فى ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على تكذيب الرسول
جرى على سنة الله تعالى حسبما يشير اليه قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبه يتم التمثيل فان حال اهل مكة سواء ضرب
المثل لهم خاصة او لمن سار سيرتهم كافة محاذية لحال اهل تلك القرية حذو القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو فى خصلة
فذة كيف لا وقد كانوا فى حرم آمن ويتخطف الناس من حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت تجبى اليه ثمرات كل شىء
ولقد جاءهم رسول منهم واى رسول تحار فى ادراك سمو رتبته العقول ما اختلف الدبور والقبول فكفروا بانعم الله وكذبوا رسوله
فاذاقهم الله لباس الجوع والخوف حيث اصابهم بدعائه عم بقوله اللهم اعنى عليهم بسبع كسبع يوسف ما اصابهم من جدب شديد وازمة
حصت كل شىء حتى اضطرتهم الى اكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم
الارض بما رحبت من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم اخذهم يوم بدر
ما اخذ من العذاب هذا هو الذى يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام واما ما اجمع عليه اكثر اهل التفسير من ان الضمير فى قوله
ولقد جاءهم لاهل مكة قد ذكر حالهم صريحا بعد ما ذكر مثلهم وان المراد بالرسول محمد رسول الله عليه السلام وبالعذاب ما اصابهم
من الجدب ووقعة بدر فبمعزل من التحقيق كيف لا وقوله سبحانه فكلوا مما رزقكم الله مفرع على نتيجة التمثيل وصد لهم عما يؤدى

التجريد اتيان ما يلائم المستعار له

فى العبارة لطف جدا
محرره

القذة اوق يلكى

الجدب ضد الخصب

ازمه قحط يلى ديمكدر

حصته بمعنى اهلكته

القبول ما يقابل الدبور يعنى بادصبا

الى

الى مثل عاقبته والمعنى واذ قد استبان لكم حال من كفر بانعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من الفنا والبلى اولا
وآخرا فانتهوا عما انتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول لم كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم واعرفوا حق نعم الله تعالى ولطيعوا رسوله فى امره
ونهيه وكلوا مما رزق الله حال كونه حلالا طيبا وذروا ما تفترون من تحريم البحائر ونحوها واشكروا نعمة الله واعرفوا حقها
ولا تقابلوها بالكفران وآثار فى المعنى داخلة على الامر بالشكر وانما ادخلت على الامر بالاكل لكون الاكل ذريعة الى الشكر فكانه قيل
فاشكروا نعمة الله عند اكلها حلالا طيبا وقد ادمج فيه النهى عن زعم الحرمة والتسيب فان هذا انما يتصور حيث كان العذاب المستأصل
متوقعا بعد وقد تمهدت مبادية وبعد ما وقع فمن ذا الذى يحذر ومن ذا الذى يؤمر بالاكل والشرب وحمل قوله تع فاخذهم العذاب
وهم ظالمون على الاخبار بذلك قبل الوقوع بابائه التصدى لاصلاحهم بالامر والنهى وتوجيه خطاب الامر بالاكل الى المؤمنين مع ان البلوى
من خطاب النهى متوجهة الى الكفار كما فعل الواحدى حيث قال فكلوا انتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله من الغنائم مما لا يليق بشان
التنزيل الجليل ان كنتم اياه تعبدون اى تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته تع انما حرم
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به تعليل لمحل ما امروا به باكله مما رزقهم اى انما حرم عليكم من الاشياء دون ما تفترونه
حرمته من البحائر والسوائب ونحوها فمن اضطر بما اعراه من الضرورة فتناول شيئا من ذلك غير باغ اى على مضطر آخر
ولا عاد اى متجاوز غير الضرورة فان ربك غفور رحيم اى لا يؤاخذه بذلك فاقيم سببه مقامه ووقع التعرض لوصف الربوبية
ايذانا الى علة الحكم وفى الاضافة الى ضميرهم اظهار كمال اللطف بهم وتصدير الجملة بانما لحصر المحرمات فى الاجناس الاربعة الا ما خص النبى
كالسباع والحمر الاهلية ثم اكد ذلك النهى عن التحريم والتحليل بما هو آثم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب اللام صلة مثلها
فى قوله تع ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات اى لا تقولوا فى شان ما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة فى قولكم هذا حلال يطعمه
من نشاء وهذا حرام علينا ونحو ذلك لوصف على ملاحظة وذكر فضلا عن استناده الى وحى
او قياس مبنى عليه هذا حلال وهذا حرام بدل منه ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اى لا تقولوا لاجل ما تصف السنتكم
فتقول هذا حلال وهذا حرام وان يكون القول المقدر حالا اى قائلة هذا حلال الخ ويجوز ان ينتصب الكذب بتصف
ويتعلق هذا حلال الخ بلا تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية اى لا تقولوا لهذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اى لاجل
ولا تحرموا المجرد وصف السنتكم الكذب وتصويره بصورة مستحسنة وتزيينها لهم فان السنتكم لكونها منشأ
للكذب ومنبعا للزور شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته بصفه للناس ويعرفه اوضح وصف وابين تعريف على طريقة الاستعارة
بالكناية كما يقال وجه يصف الجمال وعين تصف السحر وقرئ بالجر صفة لما مع مذكولها كانه قيل لوصفها الكذب بعد الكاف
كقوله تع بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب
على الشتم او بعد الكواذب او هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جنى لتفتروا على الله الكذب فان قدار
لحل ما لحرمة ليس الا امرا لله تعالى فالحكم بالحل والحرمة استناد للتحليل والتحريم الى الله سبحانه من غير ان يكون ذلك منه واللام لام
العاقبة ان الذين يفترون على الله الكذب فاجر من الامور لا يفلحون لا يفوزون بمطالبهم التى ارتكبوا
الافتراء للفوز بها متاع قليل خبر مبتدا محذوف اى منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة هم فى الآخرة
عذاب اليم لا يكتنه كنهه وعلى الذين هادوا خاصة دون غيرهم من الاولين والآخرين حرمنا ما قصصنا عليك فى سورة
حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الآية من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وهو تحقيق لما سلف
من حصر المحرمات فيما فصل ابطال لما يخالفه من دعوة اليهود وتكذيبهم فى ذلك فانهم كانوا يقولون لم نزل اول من حرمت عليه
عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا وما ظلمناهم بذلك التحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون

حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه حسما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الخ ولقد تقدم الكلام
كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين روى انه عليه السلام
لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجترءوا ان يخرجوا التورية كيف وقد بين فيها ان تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا
اوضح بيان وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة اى بسبب جهالة او متلبسين
بها اى بعدم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافراد على الله تعالى وغيره ثم تابوا من بعد ذلك
اى من بعد ما عملوا والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتاكيد فى المبالغة واصلحوا اى اصلحوا اعمالهم او دخلوا فى الصلاح ان ربك
من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على طاعة تركا وفعلا وتكرير قوله تعالى ان ربك لتاكيد الوعد
واظهار كمال العناية بانجازه والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم مع ظهور الاثر فى التائبين للاياء الى ان اعراضهم
الربوبية مع المغفرة والرحمة عليهم بتوسطه عم وكونهم من اتباعه كما اشير اليه فيما مر ان ابراهيم كان امة على حياله الحيازة
من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد الا متفرقة فى امة جمة حسبما قيل ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد وهو
رئيس اهل التوحيد وقدوة اصحاب التحقيق جادل اهل الشرك والتهم الحجر ببينات باهرة لا تبقى ولا تذر وابطل مذاهبهم
الزائغة بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة اولا بانه كان عم مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقيل هى فعلة بمعنى مفعول
كالرحلة والنخبة من امة اذا قصده او اقتدى به فان الناس كان يقصدونه ويقتدون بسيرته كقوله تعالى انى جاعلك للناس اماما
وايراد ذكره عم عقيب توقيف مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوة وتحريم ما احله الله تعالى للايذان بان حقية دين الاسلام
وبطلان الشرك وفروعه امر ثابت لا ريب فيه قانتا لله مطيعا له قائما بامره حنيفا مائلا عن كل دين باطل الى الدين الحق
غير زائل عنه بحال ولم يك من المشركين فى امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك مع ظهوره لا سيما فى كفار قريش فقط
فى قولهم نحن على ملة ابينا ابراهيم بل عليهم وعلى اليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله فى اقرارهم وادعائهم انه عم كان على ما هم عليه
كقوله سبحانه ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين آذن بمنتظم امر ابراهيم التحريم والسبت
سابتا ولاحقا شاكرا لانعمه صفة ثالثة لكان او خبر ثان او خبر صيغة جمع العلة للايذان بانه عم كان لا يخل بشكر النعمة القليلة
فكيف بالكثيرة والتصريح بكونه عم على خلاف ما هم عليه من الكفران بانعم الله تعالى حسبما بين ذلك بضرب المثل اجتباه للنبوة
الى صراط مستقيم موصل اليه سبحانه وهو ملة الاسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه عم بل مع ارشاد الخلق ايضا
بعونة قرينة الاجتباء وآتيناه فى الدنيا حسنة حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس قاطبة حتى انه ليس
من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل معالجة والنبوة وقيل قول المصلى منا كما صليت على ابراهيم والالتفات الى التكلم لاظهار
كمال الاعتناء بشانه وتفخيم مكانه عم وانه فى الآخرة لمن الصالحين اصحاب الدرجات العالية فى الجنة حسبما سالها بقوله والحقنى
بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم ثم اوحينا اليك مع علو طبقتك وسمو رتبتك
ان اتبع ملة ابراهيم الملة لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الانبياء عليهم السلام من املت الكتاب اذا امليته وهو الدين
بعينه لكن باعتبار الطاعة له وتحقيقه ان الوضع الالهى مهما نسب الى من يؤدى عن الله تعالى يسمى ملة وتهما نسب
الى من يقيمه ويعمل به يسمى دينا قال الراغب الفرق بينهما ان الملة لا تضاف الا الى النبى عليه السلام ولا يكاد توجد مضافة
الى الله سبحانه ولا الى آحاد الامة ولا تستعمل الا فى جملة الشرائع دون آحادها والمراد بملة عم الاسلام الذى عبر عنه آنفا بالصراط
المستقيم حنيفا حال من المضاف اليه لان المضاف لشدة اتصاله به عم جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل ليت
وجهك قائم والمامور به الاتباع فى الاصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الاعصار وكم ثم من التراخى فى الرتبة لا يذان

بان هذه النعمة اجل النعم الفائضة عليه ع م وما كان من المشركين تكرير لما سبق لزيادة تاكيد وتقرير لنزاهته ع م عما هم عليه من عقد
وعمل وقوله سبحانه انما جعل السبت اى فرض تعظيمه والتخلى فيه للعبادة وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النفى الكلى
وتوضيح له بابطال ما عسى يتوهم كونه قادحا فى كليته حسبما سلف فى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الخ فان اليهود كانوا يدعون
ان السبت من شعائر الاسلام وان ابرهيم ع م كان محافظا عليه اى ليس السبت من شعائر ابرهيم ع م وشعائر ملته التى امرت باتباعها
حتى يكون بينه ع م وبين بعض المشركين علاقة فى الجملة وانما شرع ذلك لبنى اسرائيل بعد مدة طويلة وايراد الفعل مبنيا للمفعول
جرى على سنن الكبرياء وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة الاسناد الى الغير وقد قرئ على البناء للفاعل وانما عبر عن ذلك
بالجعل موصولا بكلمة على وعنهم بالاسم الموصول باختلافهم فقيل انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه للايذان بتضمنه للتشديد
والابتلاء المؤدى الى العذاب وبكونه معللا باختلافهم فى شانه قبل الوقوع ايثارا له على ما امر الله تعالى به واختيارا للعكس لكن لا باعتبار
شمول العلية لطرفى الاختلاف وعموم الغائلة للفريقين بل باعتبار حال من تصدى للاختلاف من الطرف المخالف للحق وذلك ان موسى ع م
امر اليهود ان يجعلوا فى الاسبوع يوما واحدا للعبادة وان يكون ذلك يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذى فرغ الله تعالى فيه
من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فاذن الله تعالى لهم فى السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه
فاطاع امر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله سبحانه قردة دون اولئك المطيعين
وان ربك ليحكم بينهم اى بين الفريقين المختلفين فيه يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اى يفصل ما بينهما من الخصومة والاختلاف
فيجازى كلا بما يناسبه من الثواب والعقاب وفيه ايماء الى ان ما وقع فى الدنيا من مسخ احد الفريقين وانجاء الآخر بالنسبة
الى ما سيقع فى الآخرة شىء لا يعتد به هذا هو الذى يستدعيه الاعجاز التنزيلى وقد قيل المعنى انما جعل وبال السبت
وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه اى احلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى وكان حتما عليهم ان يتفقوا على تحريمه حسبما امر الله سبحانه به
وفسر الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف افعالهم بالاحلال تارة والتحريم اخرى ووجه ايراده ههنا بانه اريد انذار المشركين من سخط الله
تعالى على العصاة والمخالفين لاوامره كضرب المثل بالقرية التى كفرت بانعم الله ولا ريب فى ان كلمة بينهم تحكم بان المراد بالحكم
هو فصل ما بين الفريقين من الاختلاف وان توسيط حديث المسخ للانذار المذكور بين حكاية امر النبى عليه السلام باتباع ملة
ابرهيم ع م وبين امره عليه السلام بالدعوة اليها من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فتامل ادع اى من بعثت اليهم من الامة
قاطبة فحذف المفعول او افعل الدعوة كما فى قولهم يعطى ويمنع اى يفعل الاعطاء والمنع فحذفه للقصد الى ايجاد نفس الفعل
اشعارا بان عموم الدعوة غنى عن البيان وانما المقصود الامر بايجادها على وجه مخصوص الى سبيل ربك الى الاسلام
الذى عبر عنه بالصراط المستقيم وملة ابرهيم ع م وفى التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية وتبليغ الشىء الى كماله
اللائق شيئا فشيئا مع اضافة الرب الى ضمير النبى عليه السلام فى مقام الامر بدعوة الامة على الوجه الحكيم وتكميلهم باحكام الشريعة
الشريفة من الدلالة على اظهار اللطف به ع م والايماء الى وجه بناء الحكم ما لا يخفى بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل
الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة اى الخطابيات المقنعة والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم انك
تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم ويجوز ان يكون
المراد بهما القرآن المجيد فانه جامع لكلا الوصفين وجادلهم اى ناظر معانديهم بالتى هى احسن بالطريقة
التى هى احسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الايسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكينا
لشغبهم واطفاء للهبهم كما فعله الخليل عليه السلام ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله الذى امرك بدعوة الخلق اليه
واعرض عن قبول الحق بعد ما عاين ما عاين من الحكم والمواعظ والعبر وهو اعلم بالمهتدين اليه بذلك تعليل لما ذكر من الامر

والمعنى والله تعالى اعلم اسلك في الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فانه تعالى اعلم بحال من لا يرعوى عن الضلال بموجب
استعداده المكتسب فيحال من يصيره الى الاهتداء لما فيه من خير جبلي فما شرعه لك في الدعوة هو الذي يقتضيه الحكمة فانه
كاف في هداية المهتدين وازالة عذر الضالين او ما عليك الا ما ذكر من الدعوة والمجادلة بالاحسن واما حصول
الهداية والضلال والمجازاة عليها فالله سبحانه اذ هو اعلم بمن يبقى على الضلال وبمن يهتدي اليه فيجازي كلا
منهما ما يستحقه وتقديم الضالين لما ان مساق الكلام لهم واريد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث
لما انه تبديل لفطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها واعراض عن الدعوة وذلك امر عارض بخلاف الاهتداء الذي هو
عبارة عن الثبات على الفطرة وكذلك جيء به على صيغة الاسم المنبئ عن الثبات وتكريره اعلم للتاكيد والاشعار بتباين حال
المعلومين وتاخيرهما من العقاب والثواب وبعدما امره الله تعالى بما يختص من شان الدعوة بامره بما هو من الوجه اللائق تعقيبه
بخطاب شامل له ولمن شايعه فيما يتم الكل فقال فان عاقبتم اي ان اردتم المعاقبة على طريق قول الطبيب للمحتمي
ان اكلت فكل قليلا فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اي بمثل ما فعل وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب
نحو كما تدين تدان او على نهج المشاكلة والمقصود ايجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم من غير تجاوز حيث آمال الجدال
الى القتال واذى النزاع الى النزاع فان الدعوة بها للامتناع تنفك عن ذلك كيف لا وهي موجبة لصرف الوجوه عن قبلة المعبودية
وادخال الاعناق في قلادة غير معهودة فاضية عليهم بفساد ما يأتون وما يذرون وبطلان دين استمرت عليه آباؤهم الاولون وقد ضاقت
عليهم الحيل وعيت بهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة والمناظرة وارتجت دونهم ابواب المباحثة والمحاورة وقيل انه عليه السلام
لما رأى حمزة رضي الله عنه يوم احد قد مثل به قال لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكف عن يمينه وكفر عما اراده
وقرئ وان عقبتم فعقبوا اي ان قفيتم بالانتصار فتفوا بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين عنه والامر وان دل على اباحة المماثلة من غير
تجاوز لكن في تقييده بقوله وان عاقبتم حثا على العفو تعريضا وقد صرح به على وجه الاكد فقيل ولئن صبرتم اي عن المعاقبة بالمثل
لهو اي لصبركم ذلك خير لكم من الانتصار بالمعاقبة وانما قيل للصابرين مدحا لهم وثناء عليهم بالصبر ووصفا لهم
بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة ويجوز عود الضمير الى المطلق الصبر المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم كدخول انفسهم في جنس
الصابرين دخولا اوليا ثم امر عليه السلام صريحا بما ندب اليه غيره تعريضا من الصبر لانه اولى الناس بعزائم الامور لزيادة علمه بشؤنه
سبحانه ووفور وثوقه به فقيل واصبر اي على ما اصابك من جهتهم من فنون الآلام والاذية عاينت منا عراضهم عن الحق بالكلية
وما صبرك الا بالله استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي وما صبرك بشيء من الاشياء الا بالله اي بذكره والاستعداد في مراقبة شؤنه والتبتل اليه بالجامع
الاتم وفيه من تسليته ره وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد عليه او الآية بمثابة المبنية على حكم بالغة مستتبعة
لعواقب حميدة فالتسلية من حيث اشتمالها على غايات جميلة وقيل الا بتوفيقه ومعونته فهي من حيث تسهيله وتيسيره فقط
ولا تحزن عليهم اي على الكافرين بوقوع اليأس من ايمانهم بك ومتابعتهم لك فلا تأس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين
وما فعل بهم والاول هو الانسب بجلالة النظم الكريم ولا تك في ضيق بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل
اي لا تكن في ضيق صدر وحرج وتجوز كون الاول تخفيف ضيق كهين من هين اي في امر ضيق مما يمكرون اي من مكرهم بك فيما
فالاول نهي عن التالم بمطلوب من قبلهم فات والثاني عن التالم بمجذور من جهتهم آت والنهي عنهما مع ان انتفاءهما مما لزم التصبر
انما هو به لا ستيجابه على الوجه الاول لزيادة التاكيد واظهار كمال العناية بشان التسلية والا فهل يخطر ببال من توجه الى الله سبحانه
بشراشر نفسه منتزعا عن كل ما سواه من الشواغل شيء من مطلوب فينهى عن الحزن بنوايته او مجذور فتكف عن الخوف من وقوعه
ان الله مع الذين اتقوا تعليل لما سبق من الامر والنهي والمراد بالمعية الولاية التي لا تخرم حول صاحبها نائبة شيء

من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشوبه دخول كلمة مع متبوعته المتقين انما هي من حيث انهم المباشرون للتقوى وكذا الحال
في قوله سبحانه ان الله مع الصابرين ونظائرهما كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي
عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك اعني التنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشر نفسه
وهو التقوى الحقيقي بالوراثة الولاية المؤذنة ببشارة قوله سبحانه ألا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى ان الله
ولي الذين تبتلوا اليه بالكلية وتنزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه فلم يخطر ببالهم شيء من مطلوب او محذور فضلا عن الحزن بغوايته
او الخوف من وقوعه وهو المعنى بما به الصبر المأمور به حسبما أشير اليه وبه يحصل الترتيب ويتم التعليل كما في قوله تعالى فاصبر ان العاقبة
للمتقين على احد التفسيرين كما حقق في مقامه والا فمجرد التوقي عن المعاصي لا يكون بمثابة تستتبع من الغرائم المرخص في تركها تكليف بالصبر
المشار اليه ورديفه واتما مداره المعنى المذكور فكانه قيل ان الله مع الذين صبروا واتما اوثر ما عليه النظم الكريم مبالغة في الحث
على الصبر بالتنبيه على انه من خصائص اهل النعوت الجليلة ورواذفه كما ان قوله تعالى والذين هم محسنون للاشعار بانه
من باب الاحسان الذي يتنافس فيه المتنافسون على فعل ذلك حيث قيل واصبر ان الله لا يضيع اجر المحسنين وقد نبه على ان كلا
من الصبر والتقوى من قبيل الاحسان في قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وحقيقة الاحسان
الاتيان بالاعمال على الوجه الأتم الذي هو صنها الوصف المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره بقوله ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وتحرير الموصول للايذان بكفاية كل من الصلتين في ولايته سبحانه من غير ان يكون احديهما تتمة
للاخرى وايراد الاولى فعلية للدلالة على الحدوث كما ان ايراد الثانية اسمية لافادة كون مضمونها شيمة راسخة لهم وتقديم
التقوى على الاحسان لما ان التخلية متقدمة على التحلية والمراد بالموصولين اما جنس المتقين والمحسنين وهو تم داخل
في زمرتهم دخولا اوليا واما هو وم ومن شايعه عبر عنهم بذلك مدحا لهم وثناء عليهم بالنعتين الجميلين وفيه رمز الى ان صبرهم
مستتبع للاقتضاء الامة به كقوله من قال لابن عباس رضي الله عنهما عند التعزية اصبر يكن بك صابرين فانما صبر الرعية عند صبر الرأس وعن
مهران خان انه قيل له حين الاحتضار اوصني قال انما الوصية من المال اوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله
بانعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة الاسراء مائة واحدى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده سبحان علم للتسبيح كغفران للرجل وحيث كان المسمى ذاتا لا عينا وحدثا لا اختصاصا
لم يكن اضافته من قبيل اضافة زيد المعارك او حاتم طي وانتصابه بفعل متروك الاظهار تقديره اسبح الله سبحان الخ وفيه مالا يخفى
من الدلالة على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومنه فرس سبوح اي واسع
الجري ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما وهو علم يشير الى الحقيقة الحاضرة
في الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزيه ففيه مبالغة من حيث اضافة التنزيه الى ذاته
المقدسة ومناسبة تامة بين المحذوف وبين ما عطف عليه في قوله سبحانه وتعالى كانه قيل تنزه بذاته وتعالى والاسراء السير بالليل
خاصة كالسرى وقوله تعالى ليلا لافادة قلة زمان الاسراء بما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الاجزاء ولالة على البعضية
من حيث الافراد فان قولك سريت ليلا كما يفيد بعضية زمان السير من الليالي يفيد بعضية من فرد واحد منها بخلاف ما اذا قلت سريت
الليل فانه يفيد استيعاب السير لجميعها فيكون معيار النظر لا فاله ويؤيده قراءة من الليل اي بعضه واتيان لفظ العبد
للايذان بتحقيقه من في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات الدانية حسبما يلوح به مبدأ الاسراء
ومنتهاه واضافة التنزيه او التنزه الى الموصول المذكور للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للمضاف فان ذلك من ادلة كمال قدرته

وبالغ حكمة ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين **من المسجد الحرام** اختلف في مبدإ الاسراء فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر
فانه روى عنه عم بينا انا في المسجد في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرئيل عم بالبراق وقيل هو دار ام هانى
بنت ابى طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به او لان الحرم كله مسجد فانه روى عن ابن عباس رضه
انه عم كان نائما في بيت ام هانى بعد صلوة العشاء فكان ما كان فقصه عليها فلما قام ليخرج الى المسجد تشبثت بثوبه
لتمنعه خشية ان يكذبه القوم قال عم وان كذبونى فلما خرج جلس اليه ابو جهل فاخبره عم بحديث الاسراء فقال ابو جهل
يا معشر كعب بن لوى بن غالب هلم فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به
وسعى رجال الى ابى بكر فقال ان كان قال ذلك فقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال انى اصدقه على ابعد من ذلك فسمى
الصديق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت
فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس تقدمها جمل اورق فخرجوا
يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد اشرقت فقال آخر هذه والله العير قد اقبلت تقدمها
جمل اورق كما قال محمد عم ثم لم يؤمنوا قاتلهم الله انى يؤفكون واختلف في وقته ايضا فقيل كان قبل الهجرة بسنة
وعن انس رضه والحسن انه كان قبل البعثة واختلف ايضا انه في اليقظة او في المنام فعن الحسن انه كان في المنام
واكثر الاقاويل بخلافه والحق انه كان في المنام قبل البعثة وفي اليقظة بعدها واختلف ايضا انه كان جسمانيا او روحانيا
فعن عائشة رضه انها قالت ما فقد جسد رسول الله ولكن عرج بروحه وعن معاوية رضه انه قال انما عرج بروحه والحق
انه كان جسمانيا على ما ينبئ عنه التصدير بالتنزيه وما في ضمنه من التعجب فان الروحاني ليس بمبلغ الاستبعاد والانكار
وخرق العادة بهذه المثابة ولذلك تعجبت منه قريش واحالوه ولا استحالة فيه فانه قد ثبت في الهندسة ان قطر
الشمس ضعف قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى موضع طرفها الاعلى بحركة
الفلك الاعظم مع معاوقة حركة فلكها لها في اقل من ثانية وقد تقرر ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض
التي من جملتها الحركة وان الله سبحانه قادر على كل ما يحيط به حيطة الامكان فيقدر على ان يخلق مثل تلك الحركة بل اسرع
منها في جسد النبي عليه السلام او فيما يحمله ولو لم يكن مستبعدا لم يكن معجزة **الى المسجد الاقصى** اى بيت المقدس
سمى به اذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد وفي ذلك من تربية معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى **الذى باركنا حوله** ببركات
الدين والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء عليهم السلام **لنريه** غاية الاسراء **من آياتنا** العظيمة التي من جملتها
ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ولا يقدح في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء
له ووقوفه على مقاماتهم العلية عليهم السلام والالتفات الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء **انه هو**
السميع لاقواله عم بلا اذن **البصير** بافعاله بلا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويقربه بحسب ذلك وفي ايمائه
الى ان الاسراء المذكور ليس الا لتكرمته عم ورفع منزلته والا فالاحاطة باقواله وافعاله حاصلة من غير حاجة الى التقريب
والالتفات الى الغيبة لتربية المهابة **وآتينا موسى الكتاب** اى التورية وفيه ايماء الى دعوته عم الى الطور وما وقع
من المناجاة جمعا بين الامرين المتحدين في المعنى ولم يذكر ههنا العروج بالنبي الى السماء وما كان فيه مما لا يكتنه كنهه
حسبما نطق به سورة النجم ترقيا بالاسراء الى قبول السامعين اى آتيناه التورية بعد ما اسرينا به الى الطور **وجعلناه**
اى ذلك الكتاب **هدى لبنى اسرائيل** يهتدون بما في مطاويه **الا تتخذوا** على ان لا تتخذوا نحو كتبت اليه
ان افعل كذا وقرئ بالياء على ان ان مصدرية والمعنى آتينا موسى الكتاب لهداية بنى اسرائيل لئلا تتخذوا

ز تفارق فحدثهم فصيحة
اى فجاؤوا اليه فحدثهم لنا

اى اظهر له في الحال

الاورق من الابل الذى في لونه
بياض الى سواد وهو اطيب
الابل لحما صح

الثنية حاشية

مِن دُونِي وَكِيلًا اى ربًّا تكلون اليه امورکم والافراد لما ان فعيلًا مودٌ فى اللفظ جمعٌ فى المعنى ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مع نوح نصبٌ على الاختصاص او النداء على قراءة النهى والمرادُ تاكيد الحمل على التوحيد بتذكير انعامه تعالى عليهم فى ضمن انجاء آبائهم من الغرق فى سفينة نوح على نبينا وعليه السلام او على انه احد مفعولى لا تتخذوا والملئكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف او بدل من واو لا تتخذوا ابدال الظاهر من ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض البغادة وقرئ ذرية بكسر الذال إِنَّهُ اى ان نوحًا عليه السلام كَانَ عَبْدًا شَكُورًا كثير الشكر فى مجامع حالاته وفيه ايذانٌ بان انجاءَ مَنْ معه كان ببركة شكره وحثٌّ للذرية على الاقتداء به وزجرٌ لهم عن الشرك الذى هو اعظم مراتب الكفران وَقَضَيْنَا اى اتممنا واحكمنا فرائض الى بنى اسرائيل او اوحينا اليهم فى الكتاب اى فى التورية فان الانزال والوحى الى موسى عم انزال واوحى اليهم لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ جواب قسم محذوف ويجوز اجراء القضاء المختوم مجرى القسم كانه قيل واقسمنا لتفسدن مرتين مصدر والعامل فيه من غير لفظه اولاهما مخالفة حكم التورية وقتل سعياء عم وحبس ارمياء حين انذرهم بسخط الله تعالى والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عم وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا لتستكبرن عن طاعة الله سبحانه وتعالى او لتغلبن الناس بالظلم والعدوان وتوطن فى ذلك اذهانًا مجاوزًا للحدود فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا اى اولى كرتى الافسادِ اى حان وقت حلول العقاب الموعود بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ لمؤاخذتكم بجنايتكم عِبَادًا لَنَا وقرئ عبيدًا لنا اولى بَأْسٍ شَدِيدٍ اى قوةٍ وبطشٍ فى الحروب هم سنجاريب من اهل بتنوى وجنوده وقيل بخت نصر عامل الهراسب وقيل جالوت فَجَاسُوا اى ترددوا لطلبكم بالفساد وقرئ بالحاء والمعنى واحد وقرئ وجوسوا خِلَالَ الدِّيَارِ فى اوساطها للقتل والغارة وقرئ خلل الديار فقتلوا علماءهم وكبارهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بعضًا بما جرت به السنة الالهية وَكَانَ ذَلِكَ وَعْدًا مفعولًا لامحالة بحيث لا صارف عنه ولا مبدل ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ اى الدولة والغلبة عليهم اى على الذين فعلوا بكم ما فعلوا حين تبتم ورجعتم عما كنتم عليه من الافساد والعلو هى قتل بخت نصر واستنقاذ بنى اسرائيل من اسارهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وذلك انه لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف بن لهراسب القى الله تعالى فى قلبه الشفقة عليهم فرد اسارهم الى الشام وملك عليهم دانيال فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر وقيل هى قتل داود عم لجالوت وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ كثيرة بعد ما نهبت اموالكم وَبَنِينَ بعد ما سبيت اموالكم وجعلناكم أَكْثَرَ نَفِيرًا تما كنتم من قبل او من عددكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم القوم المجتمعون للذب عما يعد الى العدو كالعسد والعسر إِنْ أَحْسَنْتُمْ اعمالكم سواء كانت لازمة لانفسكم او متعدية الى الغير اى علمتموها على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك الا بعد ان يكون الاعمال حسنة فى انفسها او ان فعلتم الاحسن احسنتم لانفسكم لان ثوابها لها وَإِنْ أَسَأْتُمْ اعمالكم بان علمتموها لا على الوجه اللائق ويلزمه سوء الذاتى او فعلتم الاساءة فلها اذ عليها وبالها وعن على كرم الله وجهه ما احسنت الى احد ولا اساءت اليه قط الا بدا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ فان عاودتم ما وعد من عقوبة المرة الآخرة لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ متعلق بفعل محذوف دل عليه ما سبق اى بعثناهم ليسوءوا ومعنى ليسوء وجوهكم ليجعلوا آثار المساءة والكآبة بادية فى وجوهكم كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء على ان الضمير لله تعالى او للوعد او للبعث وليسوء بنون العظمة وفى قراءة على رد ليسوء على انه جواب اذا وقرئ لنسوأن بالنون الخفيفة وليسوءن واللام فى قوله عز وجل وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ عطف على ليسوء او متعلق بما تعلق به كما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ اى فى اول مرة وَلِيُتَبِّرُوا اى ليهلكوا ما غلبوه واستولوا عليه او متن علوهم تَتْبِيرًا فظيعًا لا يوصف بان سلط الله عز سلطانه عليهم الفرس فنوا هم ملك بابل

قوله وان اسأتم فلها فى تفسير النيسابورى قال اهل الاشارة انه اعاد الاحسان ولم يذكر الاساءة الامرة فيه دليل على ان جانب الرحمة اغلب وجوز ان يتركى تذكيره استهجانا

سعد رحمه الله الهادى

من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل جردوس وقيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا
دم قربان لم يتقبل قربانا فقال لم تصدقوني فقتل على ذلك الوفا فلم يهدا الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا
فقالوا انه دم يحيى بن زكريا عليهما السلام فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك
من اجلك فاهدا باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي منهم احدا فاهدا • عسى ربكم ان يرحمكم • بعد المرة الآخرة ان تبتم توبة
اخرى وانزجرتم عما كنتم من المعاصي • وان عدتم • الى ما كنتم فيه من الفساد مرة اخرى • عدنا • الى عقوبتكم ولقد عادوا فاعاد الله
سبحانه عليهم النقمة بان سلط عليهم الاكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الاتاوة ونحو ذلك وعن الحسن عادوا فبعث الله
تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة مثله • وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا •
اى محبسا لا يستطيعون الخروج منها ابد الآبد وقيل بساطا كما يبسط الحصير وانما عدل عن ان يقال وجعلنا جهنم لكم
تسجيلا على كونهم بالعود وذما لهم بذلك واشعارا بعلة الحكم • ان هذا القرآن • الذى آتيناكه • يهدى • اى الناس
كافة لا فرقة مخصوصة منهم كالكتاب الذى آتيناه موسى • للتى • للطريقة التى هى اقوم • اى اقوم الطرائق واسدها
اعنى ملة الاسلام والتوحيد وترك ذكرها ليس لقصد التعميم لها وللحالة الخصلة ونحوها مما يعبر به عن المقصد المذكور بل الايذان
المغنى عن التصريح بها لغاية ظهورها لا سيما بعد ذكر الهداية التى هى روادفها والمراد بهدايته لها كونه بحيث يهتدى
اليها من يتمسك به لا تحصيل الاهتداء بالفعل فانه مخصوص بالمؤمنين • ويبشر المؤمنين • بما في تضاعيفه من الاحكام
والشرائع وقرئ بالتخفيف • الذين يعملون الصالحات • التى شرحت فيه • ان لهم • اى بان لهم بمقابلة تلك الاعمال
اجرا كبيرا • بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر مرات فصاعدا • وان الذين لا يؤمنون بالآخرة • واحكامها المشروحة
من البعث والحساب والجزاء وتخصيصها بالذكر من بين سائر ما كفروا به لكونها معظم ما امروا بالايمان به ولمراعاة التناسب
بين اعمالهم وجزائها اى انبأناهم عن قوله عز وجل • اعتدنا لهم عذابا اليما • وهو عذاب جهنم اى اعتدنا لهم فيما كفروا وانكروا
وجوده من الآخرة عذابا اليما وهو ابلغ فى الزجر لما انه اتيان العذاب من حيث افظع واصعب والجملة معطوفة
على جملة يبشر باضمار يخبر او على قوله تعالى ان لهم داخلة معه تحت التبشير المراد به مجازا مطلق الاخبار المنتظم بالخبر السار
وبالنبأ الضار حقيقة فيكون ذلك بيانا لهداية القرآن بالترغيب والترهيب ويجوز كون التبشير بمعناه والمراد تبشير
المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم وقوله تعالى • ويدع الانسان بالشر • بيان لحال المهدى اثر بيان حال
الهادى واظهار لما بينهما من التباين والمراد بالانسان الجنس اسند اليه حال بعض افراده او حكى عنه حاله فى بعض احيانه
فالمعنى على الاول ان القرآن يدعو الانسان الى الخير الذى لا خير فوقه من الاجر الكبير ويحذره من الشر الذى لا شر
وراءه من العذاب الاليم وهو اى بعض منه وهو الكافر يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب المذكور اما بلسانه حقيقة
كدأب من قال منهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقال فأتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين الى غير ذلك مما حكى عنهم واما باعمالهم السيئة المفضية اليه الموجبة له مجازا كما هو ديدن
كلهم • وكان الانسان • اى من اسند اليه الدعاء المذكور من افراده • عجولا • يسارع الى طلب كل ما يخطر بباله
متعاميا عن ضرره او مبالغا فى العجلة يستعجل العذاب وهو آتيه لا محالة ففيه نوع تهكم به وعلى تقدير حمل الدعاء
على اعمالهم لحمل العجولية على اللج والتمادى فى استيجاب العذاب بتلك الاعمال وعلى الثانى ان القرآن يدعو الانسان
الى ما هو خير وهو فى بعض احيانه كما عند الغضب يدعو ويدعو الله لنفسه واهله وماله بما هو شر وكان الانسان بحسب جبلته
عجولا ضجرا لا يتأنى الى ان يزول عنه ما يعتريه روى انه عليه السلام رفع الى سودة اسيرا فاقبل يئن فرقت له فارخت كتافه رحمة لانينه

اى الخراج والجزية

اى ذليلون

رد على القاضي والكشاف

اى تنبيه

كتفت الرجل شددت يديه الى خلف بالكتاف وهو حبل

بالليل من الم القدفهرب فلما اخبرته النبى صلى الله عليه وسلم قال اللهم اقطع يديها فتوقع الاجابة فقال ما ان سالت الله تعالى
ان يجعل دعائى على من لا يستحق من اهلى عذابا ورحمة وبدعوة بما هو شر وهو يحسبه خيرا وكان الانسان عجولا غير متبصر لابتدر
فى امور حتى التدبر ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به وهو شر جدير بالاستعاذة منه • وجعلنا الليل والنهار آيتين •
شروع فى بيان بعض وجوه ما ذكر من الهداية بالارشاد الى مسلك الاستدلال بالآيات والدلائل الآفاقية التى كل واحدة
منها برهان نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضل من ينحيه فان الجعل المذكور وما عطف عليه من محو آية الليل وجعل آية النهار
مبصرة وان كانت من الهدايات التكوينية لكن الاخبار بذلك من الهدايات القرآنية المنبهة على تلك الهدايات وتقديم الليل للاعتناء
بالترتيب الوجودى اذ منه ينسلخ النهار وفيه تظهر غرر الشهور ولوان الليلة اضيفت الى ما قبلها من النهار لكانت من شهر
وصاحبها من شهر آخر والترتب غاية آية النهار عليها بلا واسطة اى جعلنا الملوين بهيأتهما وتعاقبهما واختلافهما فى الطول
والقصر على تيرة عجيبة يحار فى فهمها العقول آيتين تدلان على ان لهما صانعا حكيما قادرا عليهما وتهديان الى المهدى اليه
القرآن الكريم من ثلثة الاسلام والتوحيد • فمحونا آية الليل • الاضافة اما بيانية كما فى اضافة العدد الى المعدود اى
محونا الآية التى هى الليل وفائدتها تحقيق مضمون الجملة السابقة ومحونا جعلها ممحوة الضوء مطموسة لكن لا بعد ان لم يكن
كذلك بل ابداعها على ذلك كما فى قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اى انشاءها كذلك والفاء تفسيرية لان المحول
المذكور وما عطف عليه لما تحصل عقيب جعل الجديدين آيتين بل هما من جملة ذلك الجعل ومتمماته • وجعلنا آية النهار •
اى الآية التى هى النهار على نحو ما مر • مبصرة • مضيئة يبصر فيها الاشياء وصفها بحال اهلها او مبصرة للناس
من ابصره فبصروا تا حقيقة وآية الليل والنهار نيراهما ومحو الغرا ما خلقه مطموس النور فى نفسه فانه كالكمر واما نقص ما
استفاده من الشمس شيئا فشيئا الى المحاق على ما هو معنى المحو والفاء للتعقيب وجعل الشمس مبصرة ابداعها مضيئة بالذات
ذات اشعة تظهر بها الاشياء المظلمة • لتبتغوا • متعلق بقوله تعالى وجعلنا آية النهار كما اشير اليه اى جعلنا مضيئة لتطلبوا
لانفسكم فى بياض النهار • فضلا من ربكم • اى رزقا اذ لا يتسنى لذلك الا فى الليل وفى التعبير عن الرزق بالفضل والكسب
بالابتغاء والتعرض لصفة الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا دلالة على ان ليس للعبد فى تحصيل الرزق تاثير
سوى الطلب واما الاعطاء الى الله سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا بحكم الربوبية • ولتعلموا • متعلق بكلا الفعلين
اعنى محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة لا باحدهما فقط اذ لا يكون ذلك بانفراده مدارا للعلم المذكور اى لتعلموا بتعاورت
الجديدين او تيرهما ذاتا من حيث الاظلام والاضاءة مع تعاقبهما ادوكا تهما واوضاعهما وسائر احوالهما • عدد السنين •
التى يتعلق بها غرض علمى لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية • والحساب • اى الحساب المتعلق بما فى ضمنها من الاوقات اى الاشهر
والقبالى والايام وغير ذلك تمانيط بشئ من المصالح المذكورة ونفس السنة من حيث تحققها تمانيط الحساب واما الذى يتعلق به
العد طائفة منها وتعلقه فى ضمن ذلك لكل واحدة منها لين من الحيثية المذكورة اعنى حيثية تحققها وتحصلها من عدة اشهر
قد يحصل كل واحد منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات مثلا فان ذلك فى طبيعة الحساب بل من حيث انها فرد
من تلك الطائفة المعدودة بعدا اى بعينها من غير ان يعتبر فى ذلك تحصل شئ معين وتحقيقه ما فى سورة يونس من ان الحساب
احصاء مالكمية منفصلة بتكرير امثالها من حيث يحصل لطائفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل كما اشير اليه
آنفا والعد احصاؤه بمجرد تكرير امثالها من غير ان يحصل منه شئ كذلك فلما ان السنين لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص
وحكم مستقل اضيف اليها العدد دون الحساب باعدادها مما اعتبر فيه تحصل مراتب معينة لها اسام خاصة واحكام مستقلة
وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف اعتبارى لا يجدى فى تحصل المعدودات وتقديم العدد على الحساب

رد على ابن الكمال رحمه الله

مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس للتنبيه من اول الامر على ان متعلق الحساب ما في تضاعيف السنين من الاوقات اولان العلم
المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما تعلق به الحساب تفصيلا اولان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه شيء آخر منه حسبما ذكر نازل من الحساب المعتبر فيه
ذلك منزلة البسيط من المركب اولان العلم المتعلق بالاول اقصى المراتب فكان جديرا بالتقديم في مقام الامتنان والله سبحانه اعلم وكل شيء
تفتقرون اليه في المعاش والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما يتبعه من المنافع الدينية والدنيوية وهو منصوب بفعل يفسره قوله
فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا اي بيناه في القرآن الكريم بيانا بليغا لالتباس ما تركقوله تع ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء فظهر كونه تاديا
للتي هي اقوم ظهورا بينا وكل انسان مكلف ألزمناه طائره اي عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كانه طائر اليه
من عش الغيب ووكر القدر او ما وقع له في العلم الازلي الواقعة حسب استحقاقه في العلم الازلي من قولهم طار له سهم كذا في عنقه
تصويرا لشدة اللزوم وكمال الارتباط اي الزمناه عملا بحيث لا يفارقه ابدا بل يلزم لزوم القلادة او الغل للعنق لا ينفك عنه بحال
وقرئ بسكون النون ونخرج له بنون العظمة وقد قرئ بالياء مبنيا للفاعل على ان الضمير لله تعالى وللمفعول والضمير للطائر
كما في قراءة يخرج من اخرج يوم القيمة والبعث للحساب كتابا مسطورا فيه ما ذكر من عمله نقيرا او قطميرا وهو مفعول لنخرج على القراءتين
الاوليين او حال من المفعول المحذوف الراجع الى الطائر وعلى الاخريين حال من المستتر في الفعل من ضمير الطائر تلقاه اي يلقى
الانسان او يلقاه الانسان منشورا وهما صفتان للكتاب او الاول صفة والثاني حال منها وقد قرئ يلقاه من لقيه كذا
اي يلقى الانسان اياه حال انحن بسطت صحيفة وكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك
واما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى يخرج لك يوم القيمة اقرأ كتابك
اي قائلين لك عن قتادة تنزه ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وقيل المراد بالكتاب نفس المنتقشة بآثار اعماله فان كل عامل يصير
من الانسان خيرا وشرا يحدث منه في جوهر روحه او مخصوص الا انه يخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى
فاذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته لان النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود
الى العالم العلوي فيزول الغطاء وينكشف الاحوال وينظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة
كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك البارزة الواضح واليوم ظرف للكفى وحسيبا تمييز وعلى صلة لانه بمعنى الكتاب كاليوم
بمعنى الصارم من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعى ما اهمه وتذكيره لان ما ذكر من الحساب والكفاية
مما يتولاه الرجال او لانه مبني على تاويل النفس بالشخص على انها عبارة عن نفس المذكر كقول حبلت بن حريث يا نفس
انك بالاذات مسرور فاذكر فعل ينفعنك تذكر من اهتدى فانما يهتدي لنفسه فذلكة لما تقدم من بيان كون القرآن هاديا
لاقوم الطرائق وامهم الاعمال لاصحابها اي من اهتدى بهدايته وعمل بما في تضاعيفه من الاحكام وانتهى عما نهاه عنه فانما يعود منفعة
اهتدائه الى نفسه لانتخطاه الى غيره ممن لم يهتد ومن ضل عن الطريقة التي يهديه اليها فانما يضل وعليها اي فانما وبال ضلاله
عليها لا على من عداه ممن لم يباشره حتى يكون مفارقة العمل صاحبه ولا تزر وازرة وزر اخرى تاكيد للجملة الثانية
اي لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس اخرى حتى يكون تخلص النفس الثانية عن وزرها وتحمل ما بين العامل وعمله من التلازم
وانما تحمل كل منها وزرها وهذا تحقيق لمعنى قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه واما ما يدل عليه قوله لكي من شفع شفاعة
حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين
يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته فهو في الحقيقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر بسيئة
نفسه فان اجزاء الحسنة والسيئة اللتين يعملها العامل لازمة له واما الذي يصل الى من يشفع جزاء شفاعته لا جزاء اصل الحسنة
والسيئة وكذلك جزاء الضلال مقصور على الضالين وما يحمله المضلون انما هو جزاء الاضلال وانما فصل التاكيد بالجملة الثانية

قطعًا للاطماع الفاحشة حيث كانوا يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعة على اسلافهم الذين قلدوهم وما كنا معذبين
بيان للعناية الربانية اثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال باصحابها وعدم رمان المهتدى من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذة
النفس بجناية غيرها اى وما صح وما استقام مناسبا لاستحالة الخ استثناء المبنية على المبالغة او ما كان في حكمنا الماضي وقضائنا الذي لا يتخلف
ان نعذب احدا من اهل الضلال والاوزار الكثيرة بمقتضى العقل حتى نبعث اليهم رسولا يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال
ويقيم الحجج ويمهد الشرائع حسبما تضاعيف الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفي اما عذاب الاستيصال كما قاله الشيخ ابو منصور الماتريدي
وهو المناسب لما بعده او الجنس الشامل للدنيوي والاخروي وهو من افراد مدلول اما كان فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه في وقته
المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقا كيف لا والاخروي لا يكون وقوعه عقيب البعث والدنيوي ايضا لا يحصل الا بعد تحقق ما يوجبه من الفسق
والعصيان الآيل الى قوم نوح كيف تأخر عنهم ما حل بهم زمانا ما الف سنة وقوله تعالى وإذا أردنا ان نهلك قرية بيان
لكيفية وقوع التعذيب بعد البعثة التي جعلت غاية لعدم صحته وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يتحقق عند المراد ولا الارادة
الازلية المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدر له اذ لا يقارنها الجزء الآتي بل دنو وقتها كما في قوله تعالى اتى امر الله اى اذا دنا
وقت تعلق ارادتنا باهلاك قرية بان نعذب اهلها باذكرنا من عذاب الاستيصال الذي بيناه انه لا يصح منها قبل البعثة
او بنوع مما ذكرنا شانه من مطلق العذاب اعني عذاب الاستيصال لما من الظلم والمعاصي دنوا يقتضيه الحكمة من غير ان يكون له
حد معين امرنا بواسطة الرسول المبعوث الى اهلها مترفيها منعميها وجبابرتها وملوكها خصهم بالذكر مع توجه الامر
الى الكل لانهم الاصول في الخطاب والباقي اتباع لهم ولان توجه الامر اليهم اكد وعدم التعرض لما مور به اما لظهور ان المراد
به الحق والخير لان الله لا يامر بالعكس سيما بعد ذكر هداية القرآن لما يهدي اليه واما لان المراد وجدنا الامر كما يقال فلان
يعطي ويمنع ففسقوا فيها اى خرجوا عن الطاعة وتمردوا فحق عليها القول اى كلمة العذاب السابق
معاصيهم او بانهماكهم فيها فدمرناها بتدمير اهلها تدميرا لا يكتنه كنهه ولا يوصف هذا هو المناسب لما سبق وقيل
الامر مجاز من الحمل على الفسق والتسبب له بان صب عليهم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسق وقيل هو بمعنى التكثير يقال
امرت الشيء فامر اى كثرته وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اى كثيرة النتاج وتعضيد
قراءة آمرنا وامرنا من الافعال والتفعيل وقد جعلنا من الامارة اى جعلنا خيارها امراء وكل ذلك لا يساعد مقام الزجر عن الضلال
والحث على الاهتداء فان مؤدى ذلك ان طغيانهم منوط بارادة الله سبحانه وانعامه عليهم بنعم وافرة ابطرتهم وحملتهم
على الفسق حملا حقيقيا بان يعبر عنه بالامر به وكم اهلكنا اى وكثيرا ما اهلكنا من القرون بيان للكم وتمييز له من
مدة الزمان يجزم فيها القوم وهي عشرون او ثلثون او اربعون او ثمانون او مائة وقد اتى ذلك بانه عليه السلام
دعا الرجل فقال عش قرنا فعاش مائة سنة او مائة وعشرون من بعد نوح من بعد رسلهم كعاد وثمود ومن بعدهم
ممن قصت احوالهم في القرآن العظيم ومن لم يقص وعدم نظم قومه م في تلك القرون المهلكة لظهور امرهم على ان ذكره م
رمز الى ذكرهم وكفى بربك اى كفى ربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا بحيث يطلع على بواطنها فيعاقب عليها
وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادي الاعمال الظاهرة او لعمومه حيث يتعلق بغير
المبصرات ايضا وفيه اشارة الى ان البعث والاخر وما يتلوها من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فان ذلك
حاصل قبل ذلك انما هو لقطع الاعذار والزام الحجة من كل وجه من كان يريد باعماله التي يعملها سواء كان ترتب
المراد عليها بطريق الجزاء كاعمال البر او بطريق ترتب المعلولات على العلل كالمساعي الدنيوية والاعمال الاخرة فالمراد بالمريد
على الاول الكثرة واكثر النفسة وعلى الثاني اهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة العاجلة فقط

ار مقدار الف سنة

بحلوله او بظهور

ار فرمس انثی بزرگ شوند

من غير ان يريد معها الآخرة كما ينبئ عنه الاستمرار المستفادة من زيادة كان ههنا مع الاقتصار على مطلق الارادة في قسم
والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبارادتها ارادة ما فيها من فنون مطالبها كقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا ويجوز ان يراد
الحيوة العاجلة كقوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها لكن الاول هو الانسب بقوله تعالى عجلنا له فيها اي في تلك العاجلة
فان الحيوة واستمرارها من جملة ما عجل له فالانسب بذلك كله من كما في قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ما نشاء
اي ما نشاء تعجيله لمن يقيها لا كل ما يريد لمن نريد تعجيل ما نشاء له وهو بدل من الضمير في له باعادة الجار بدل البعض فان بعض
الى الموصول المنبئ عن الكثرة وقرئ لمن نشاء على ان الضمير لله سبحانه وقيل هو لمن فيكون مخصوصا بمن ان ربه بذلك وهو واحد
من الآحاد وتقييد المعجل والمعجل له بما ذكر من المشية والارادة لما ان الحكمة التي عليها يدور فلك التكوين لا تقتضي وصول كل
طالب الى مرامه والا لتيسر كل واصل لما يطلبه بتمامه واما ما يرى من قوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف
اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نسل كل مؤمل لجميع آماله ووصول كل عامل الى نتيجة اعماله فقد اشير الى تحقيق
القول فيه في سورة هود بفضل الله تعالى وجعلنا له كما ما نشاء لمن نريد جهنم وما فيها من اصناف العذاب يصلونها
يدخلونها هو حال من الضمير المجرور او من جهنم او استئناف مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى وقيل الآية
في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم وكونا وياباه ما يقال ان السورة
مكية سوى آيات معينة ومن اراد بها عمله الآخرة الدار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم وسعى لها سعيها
اي السعي اللائق بها وهو الاتيان بالمأمور والانتهاء عما نهى لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار
النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا يخالط شيئا قادحا فيه وايراد الايمان بالجملة الحالية للدلالة
على شرط المقارنة لما ذكر في حيز الصلة فاولئك اشارة الى الموصول بعنوان اتصافه بما في حيز الصلة وما في ذلك
من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمعية لمراعاة جانب المعنى ايا ما الى ان الاثابة المنوطة من الخبر
تقع على وجه الاجتماع او كل الى معمول لما قبله من الحصال الحميدة اعني ارادة الآخرة والسعي الجميل لها وللايمان كان
سعيكم مشكورا مقبولا عند الله تعالى بحسن القبول مثابا عليه وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينتها اشعار
بانه العمدة فيها كلا التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل واحد من الفريقين لا الفريق الآخر المريد للخير الحقيقي بالاسعاف
فقط نمد اي نزيده مرة بعد مرة بحيث يكون الآن مدد اللسالف وما به الامداد ما عجل لاحدهما من العطايا العاجلة
وما اعد للآخر من العطايا الآجلة المشار اليها بمشكورية السعي وانما لم يصرح به تعويلا على سبق تعرضا وتلويحا والتفاتا الى ما
عبارة واشارة كما ستقف عليه وقوله تع هؤلاء بدل من كلا وهؤلاء عطف عليه اي نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم
فان الاشارة متوضحة لشان المشار اليه بالام من العنوان للالتفات فقط كالاضمار فقبه تذكير لما به الامداد وتعيين للمضاف اليه المتحد
دفعا لتوهم كونه افرادا للزبح الاخير وتاكيد للقسم المستفاد من تقديم المفعول وقوله تع من عطاء ربك اي من معطاه الواسع الذي
لا تناهى له متعلق بنمد ومغن عن ذكر ما به الامداد المذكور ليس بطريق الاستجابة بالسعي والعمل بل بمحض التفضل وما كان
عطاء ربك اي دنيويا كان او اخرويا وانما اظهر اضمار المزيد الاعتناء بشانه واشعارا بعلية للحكم محظورا ممنوعا
ممن يريد بل هو فائض على من قدر له بموجب المشية المبنية على الحكمة وان وجد منه ما يقتضي الحظر كالكفر وهو في معنى التعليل
لشمول الامداد للفريقين والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين للاشعار بمبدئيتها لما ذكر من الامداد وعدم الحظر انظر
كيف فضلنا بعضهم على بعض كيف في محل النصب بفضلنا على الحالية والمراد توضيح ما قدر من الامداد وعدم الحظر بالتنبيه على استحضار مراتب احد العطائين والاستدلال بها على مراتب الآخر اي بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض

فيما امددناهم به من العطايا العاجلة فمن وضيع ورفيع وضالع وضليع ومالك ومملوك وموسر وصعلوك تتوف بذلك مراتب
العطايا الآجلة ودرجات تفاضل اهلها على طريقة الاستشهاد بحال الادنى على حال الاعلى كما افصح عنه قوله تعالى وللآخرة
اكبر اى هى وما فيها اكبر من الدنيا وفى اكثر درجات واكبر تفضيلا لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية
التى لا يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها كيف لا وقد عبر عنه بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا ويجوز ان يراد
بما به الامداد العطايا العاجلة فقط ويحمل القصر المذكور على دفع توهم اختصاصها بالفريق الاول فان تخصيص ارادتهم لها وجوهم
اليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينها وبين الفريق الثانى ارادة ووصولا مما يوهم اختصاصها بالاولين فالمعنى كل واحد من الفريقين
نمد بالعطايا العاجلة لا من ذكرنا ارادته لها فقط من الفريق الاول من عطاء ربك الواسع وما كان عطاؤه الدنيوى محظورا من احد
ممن يريده وممن يريد غيره انظر كيف فضلنا فى ذلك العطاء بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما وللآخرة الآية واعتبار عدم
المحظورية بالنسبة الى الفريق الاول لخفيفا لشمول الامداد كما فعله الجمهور حيث قالوا لا يمنعه من عاص لعصيانه يقتضى كون القصر
لدفع توهم اختصاص الامداد الدنيوى بالفريق الثانى مع انه لم يسبق فى الكلام ما يوهم ثبوته له فضلا عن ايهام اختصاصه لا تجعل
مع الله الها آخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وهو من باب التهييج والالهاب او لكل احد ممن يصلح للخطاب
فتقعد بالنصب جوابا للنهى والقعود بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او بمعنى العجز من قعد عنه
بمعنى عجز عنه مذموما مخذولا خبران او حالان اى جامعا على نفسك الذم من الملئكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وفيه اشعار
بان الموحد جامع بين المدح والنصرة وقضى ربك اى امر امرا مقطوعا به واوصى ربك ووصى ربك الا تعبدوا اى
بان لا تعبدوا الا اياه على ان ان مصدرية ولا نافية او اى لا تعبدوا على انها مفسرة ولا ناهية لان العبادة غاية التعظيم
فلا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل للسعى للآخرة وبالوالدين اى بان تحسنوا بهما او واحسنوا
احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما مركبة من ان الشرطية
وما المزيدة لتاكيدها ولذلك دخل الفعل نون التاكيد ومعنى عندك فى كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع ان حقه
التأخر عنه للتشويق الى وروده فانه مدار تضاعف الرعاية والاحسان واحدهما فاعل للفعل وتأخيره عن الظرف والمفعول لئلا
الكلام به وبما عطف عليه وقد قيل الى جعل كلاهما تأكيدا للضمير وتوحيد ضمير الخطاب فى عندك وفيما بعده مع ان ما سبق على الجمع
للاحتراز عن التباس المراد فان المقصود نهى كل احد عن تأفيف والديه ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع او بالتثنية لم يحصل هذا
المرام فلا تقل لهما اى لواحد منهما حالتى الانفراد والاجتماع اف وهو صوت ينبئ عن تضجر او اسم فعل هو اتضجر
وقرئ بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم منونا وغير منون اى لا تتضجر بما تستقذر منهما وتستثقل من مؤنهما وبهذا النهى يفهم
النهى عن سائر ما يؤذيهما بدلالة النص وقد خص بالذكر بعضه اظهارا للاعتناء بشأنه فقيل ولا تنهرهما اى لا تزجرهما
عما لا يعجبك باغلاظ قيل النهى والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما ذا كرم وهو وصف
بوصف صاحبه اى قولا صادرا عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذى يقتضيه حسن الادب ويستدعيه النزول على المروة مثل
ان يقول يا ابتاه ويا اماه كدأب ابرهيم عم اذ قال لابيه يا ابت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء
الادب ودين الدعار وسئل الفضيل بن عياض رضه عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وقيل ان لا ترفع
صوتك عليهما ولا تنظر اليهما شزرا ولا يريا منك مخالفة فى ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم
بخدمة اوداثهما من بعدهما فعن النبى عليه السلام ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه واخفض لهما جناح الذل
عبارة عن الانة الجانب والتواضع والتذلل لهما فان اعزازهما لا يكون الا بذلك فكأنه قيل واخفض لهما جناحك الذليل

كشاف

تشحيذ كسكين البلبك اتمك

بطول

استقذار كسو عند البلبك

الدعارة الخبث والفسق تعال هو خبيث
داعر والجمع الدعار مثل جاهل
وجهال ونافق ونافق
صح

العطايا

أو جعل لذله جناحا كما جعل لبيد في قوله • وغداة ريح قد كشفت وقرة • وإذ أصبحت بيد الشمال زمامها • للقرة زماما وللشمال يدا تشبيها
للطائر يخفض جناحه لأفراخه تربية لها وشفقة عليها وأما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعله القفال فلا يناسب
المقام من الرحمة من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لهما لافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله تعالى إليهما ولا تكتف
برحمتك الفانية بل ادع الله تعالى لهما برحمته الواسعة الباقية وقل رب ارحمهما برحمتك الدنيوية والأخروية التي من جملتها الهداية
إلى الإسلام طالبا في ذلك كونهما كما ربياني الكاف في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي رحمة مثل تربيتهما لي أو مثل رحمتهما
علي أن التربية رحمة ويجوز أن يكون لهما الرحمة والتربية معا وقد ذكر أحدهما في أحد الجانبين والآخر في الآخر كما يلوح به التعرض
لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كأنه قيل رب ارحمهما وربهما كما رحماني وربياني صغيرا ويجوز أن يكون الكاف للتعليل أي لأجل
تربيتهما لي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ عز وجل في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده
ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الأمر في باب مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع ما له من موجبات
الضجر ما لا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها بأن جعل رحمته التي وسعت كل شيء مشبهة بتربيتهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم
رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما شاء أن يفعل فلا يدخل النار ويفعل العاق ما شاء أن يفعل
فلن يدخل الجنة وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبوي بلغا من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما
حقهما قال لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما وروي أن شيخا أتى النبي عليه السلام
فقال إن ابني هذا له مال كثير وإنه لا ينفق علي من ماله فنزل جبريل عليه السلام وقال إن هذا الشيخ قد أنشأ في ابنه أبياتا ما قرع سمع
بمثلها فاستنشدها فأنشدها الشيخ فقال غذوتك مولودا ومنتك يافعا • تعل بما أجني عليك وتنهل • إذا ليلة ضافتك
بالسقم لم أبت • لسقمك إلا ساهرا أتململ • كأني أنا المطروق دونك بالذي • طرقت به دوني وعيني تهمل • فلما بلغت
السن والغاية التي • إليها مدى ما كنت فيك أؤمل • جعلت جزائي غلظة وفظاظة • كأنك أنت المنعم المتفضل •
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي • فعلت كما الجار المجاور يفعل • فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أنت ومالك لأبيك
ربكم أعلم بما في نفوسكم من البر والعقوق إن تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر دون العقوق والفساد
فإنه تعالى كان للأوابين أي الرجاعين إليه تعالى عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر غفورا لما وقع منهم من نوع
تقصير أو أذية فعلية أو قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد في الأمر بمراعاة حقوقهما ويجوز أن يكون عاما لكل تائب ويدخل فيه
الجاني على أبويه دخولا أوليا وآت ذا القربى أي ذا القرابة حقه توصية بالأقارب إثر التوصية ببر الوالدين ولعل المراد
بهم المحارم وبحقهم النفقة كما ينبئ عنه قوله تعالى والمسكين وابن السبيل فإن المأمور في حقهما المواساة المالية لا محالة
أي وآتهما حقهما مما كان مفترضا بمكة بمنزلة الزكاة وكذا النهي عن التبذير وعن الإفراط في القبض والبسط فإن الكل من التصرفات
المالية ولا تبذر تبذيرا نهي عن صرف المال إلى من سواهم ممن لا يستحقه فإن التبذير تفريق في غير موضعه مأخوذ من تفريق
الحب وإلقائه كيف ما كان من غير تعهد لمواقعه لا عن الإكثار في صرفه إليهم وإلا لناسبه الإسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه
وقد نهي عنه بقوله تعالى ولا تبسطها وكلاهما مذموم إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين تعليل للنهي عن التبذير ببيان
أنه يجعل صاحبه ملزوزا في قرن الشياطين والمراد بالأخوة المماثلة التامة في كل ما لا خير فيه من صفات السوء التي من جملتها التبذير
أي كانوا بما فعلوا من التبذير أمثال الشياطين أو الصداقة والملازمة أي كانوا أصدقاءهم وأتباعهم فيما ذكر من التبذير والصرف
في المعاصي فإنهم كانوا ينحرون الإبل ويتياسرون عليها ويبذرون أموالهم في السمعة وسائر ما لا خير فيه من المناهي والملاهي أو للمقارنة
أي قرناءهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا من تتمة التعليل أي مبالغا في كفران نعمه تعالى لأن شأنه

ابن عطا ابو البقا

ارحني اشفق

من مان يمين المؤنة
يافع سيو مكه ميل ايتمك
تململ نائم ويقظان اراسنده او لمق
اخترى

ان

ان يصرف جميع ما اعطاه الله تعالى من القوى والقدر الى غير ما خلقت هي له من انواع المعاصي والافساد في الارض واضلال الناس
وحملهم على الكفر بالله وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها الى غير ما امر الله تعالى به وتخصيص هذا الوصف بالذكر من بين سائر اوصاف
القبيحة للايذان بان التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى الى غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر الذي هو عبارة
عن صرفها الى ما خلقت هي له والتعرض لوصف الربوبية للاشعار بكمال عتوه فان كفران نعمة المربي مع كون الربوبية من اقوى
الدواعي الى شكرها غاية الكفران ونهاية الضلال والطغيان وامّا تُعْرِضَنَّ عنهم اي ان اعرضت اضطرارا لفقد ما ترتجي
اولئك المستحقين ابتغاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ اي لانتظار رزق من ربك اقامة للمسبب مقام السبب للابتغاء ترجوها
من الله تعالى لتعطيهم وكان عليه الصلوة والسلام اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء فامر بتعهدهم بالقول
الجميل لئلا يغيرهم الوحشة بسكوته دم فقيل فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا من يسر الامر نحو سعد
او قل لهم رزقنا الله وايانا من فضله على انه دعاء لهم بيسر عليهم فوهم وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ولا تبخل بها كل البخل
تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر زجرا لهما عنهما وحملا على ما بينهما من الاقتصاد كلا طرفي قصد الامور ذميم وحيث
قبح الشح مقارنا له معلوما من اول الامر وعلى ذلك ذو التصوير بقبح التصوير ولما كان غائلة الاسراف في آخره بين قبحه
في اثره فَتَقْعُدَ مَلُومًا اي فتصير ملوما عند الله تعالى وعند الناس وعند نفسك اذا صحت وندمت على ما فعلت مَّحْسُورًا
نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسر البعير اذا بلغ وما قيل من انه روي عن جابر رضي الله عنه قال بينا رسول الله قاعد
اذا اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال عليه السلام من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل ان امي
تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل عليه السلام داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال فانتظروا وهو لم يخرج للصلوة
فنزلت فانباه ان السورة مكية خلا آيات في آخرها وكذا ما قيل انه عليه السلام اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وكذا عيينة بن
حصن الفزاري فجاء عباس بن مرداس فانشاء يقول اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس
يفوقان مرداس في مجمع ومائت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع فقال عليه السلام يا ابا بكر اقطع لسانه عني فاعطاه مائة
من الابل وكانوا جميعا من المؤلفة قلوب فنزلت إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ تعليل لما مر اي هو
على بعض ويضيقه على آخرين حسبما تعلق به مشيته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة التي يوجبك الى الاعراض عن السائلين
او نفاذ ما بيدك اذا بسطتها كل البسط لاقتضاء مصلحتك انه كان بعباده خَبِيرًا بَصِيرًا تعليل لما سبق اي يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصلحتهم
ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من مخاير الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر الذي بيده خزائن السموات والارض فاما العباد
فعليهم ان يقتصدوا وان يراد انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته فلا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط
وان يراد انه تعالى يبسط ويقدر حسب مشيته فلا تبسطوا على من قدر عليه رزقه وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم
خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ اي مخافة فقر وقرئ بكسر الخاء كانوا يئدون بناتهم مخافة الفقر فنهوا عن ذلك نحن نرزقهم وايا كم
لا انتم فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم فهو ضمان لرزقهم وتعليل للنهي المذكور بابطال موجبه في زعمهم
وتقديم ضمير الاولاد على المخاطبين على عكس ما وقع في سورة الانعام للاشعار باصالتهم في افاضة الرزق اولا لان الباعث على القتل
هناك الاملاق الناجز ولذلك قيل من املاق وههنا الاملاق المتوقع ولذلك قيل خشية املاق فكانه قيل نرزقهم من غير ان ينتقص
من رزقكم شيء فيعتريكم ما تخشونه وايا كم ايضا رزقا الى رزقكم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا تعليل آخر ببيان ان النهي عنه في
منكر عظيم والخِطْءُ الذنب والاثم يقال خَطِئَ خِطْئًا كاثم اثما وقرئ بالفتح والسكون وبفتحتين بمعناه كالحذر والحذر وقيل
بمعنى خطإ الصواب وبكسر الخاء والمد وبفتحها ممدودا وبفتحها وحذف الهمزة وبكسرتا كذلك ولا تقربوا الزنا بمباشرة مباديه

(ع غنيمتي)
(ش نوس)

القريبة او البعيدة فضلًا عن مباشرته وانما نهى عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق من الفعل للمبالغة في النهي عن نفس ولان قربانه
داع الى مباشرته وتوسيط النهي عنه بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على الاطلاق باعتبار انه قبل
الاولاد لما انه تضييع للانساب فان من لم يثبت نسبه مبتّت حكمًا انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح عن الحد
وساء سبيلا اي بئس طريقا طريقه فانه عصب الابضاع المؤدي الى اختلال امر الانساب وهيجان الفتن كيف لا
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على رأسه كالظلة فاذا انقطع رجع اليه وقال عليه السلام
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وعن حذيفة رضه انه قال عليه السلام اياكم والزنى فان فيه ست خصال ثلث في الدنيا
وثلث في الآخرة فاما التي في الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر واما التي في الآخرة فسخط الله تعالى وسوء الحساب
والخلود في النار ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد الا بامر
مثل كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس معصومة عمدًا فالاستثناء مفرغ اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب
الحق او طلب بين او طلبة شيء من الاشياء ويجوز ان يكون نعتًا لمصدر محذوف اي لا تقتلوها قتلًا ما الا قتلًا ملتبسًا بالحق
ومن قتل مظلومًا بغير حق يوجب قتله او يبيحه للقاتل حتى انه لا يعتبر اباحته لغير القاتل فان من عليه القصاص غير من له القصاص
ينتقل له ولا يغني قول الولي انا امرته بذلك ما لم يكن الامر ظاهرًا فقد جعلنا لوليه لمن يلي امره من الورث او الوارث
او السلطان عند عدم الورث سلطانا تسلطا واستيلاء على القاتل يؤاخذه بالقصاص او بالدية حسبما يقتضيه جنايته
او حجته غالبة فلا يسرف في القتل اي لا يسرف الولي في امر القتل بان يتجاوز الحد المشروع
بان يزيد على المثلة او بان يقتل غير القاتل من اقاربه او بان يقتل الاثنين مكان الواحد كما يفعله اهل الجاهلية او بان يقتل القاتل
قبل ادية الدية وقرئ بصيغة النهي فالفاء معنى النهي انه كان منصورًا تعليل للنهي والضمير للولي على معنى انه تعالى نصره
بان اوجب القصاص او الدية وامر الحكام بمعونته في استيفاء حقه فلا يبغ ما وراء حقه ولا يسترذ عليه ولا يخرج من دائرة
امر الناصر او للمقتول ظلمًا على معنى انه تعالى نصره باذكر فلا يسرف في ليه في شانه او للذي يقتله الولي ظلمًا واسرافًا ووجه التعليل ظاهر
وعن مجاهد ان الضمير في لا يسرف للقاتل الاول في بعض قراءة فلا تسرفوا والضميران في التعليل عائدان الى الولي
او المقتول فالمراد بالاسراف حينئذ اسراف القاتل على نفسه بتعريضها للهلاك العاجل والآجل لا الاسراف وتجاوز الحد في القتل
اي لا يسرف على نفسه في شان القتل كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم ولا تقربوا مال اليتيم نهي عن قربانه
لما ذكر من المبالغة في النهي عن التعرض له ومن اضافته ذلك اليه وللتوسل الى الاستثناء بقوله تعالى الا بالتي هي احسن
اي الا بالخصلة والطريقة التي هي احسن الخصال والطرائق وهي حفظه واستثماره حتى يبلغ اشده غاية الجواز
التصرف على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثناء لا للوجه المذكور فقط واوفوا بالعهد سواء جرى بينكم وبين ربكم
او بينكم وبين غيركم من الناس والايفاء بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالبا
فرقًا بينه وبين الايفاء الحسي كالايفاء الكيل والوزن ان العهد اظهر في مقام الاضمار اظهارًا لكمال العناية بشانه ولان
مطلق العهد المنتظم للعهد المعهود كان مسئولا اي مسئولا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعًا مستكنا فاسم
للمفعول كقوله تعالى وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه ونظيره ما في قوله تعالى تلك ايات الكتاب الحكيم على ان اصله الحكيم قائله فحذف
المضاف وجعل الضمير مستكنا فالحكيم بعد انقلابه مرفوعًا ويجوز ان يكون تخييلًا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفى بك تبكيتًا
للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت واوفوا الكيل اي اتموه ولا تخسروه اذا كلتم اي وقت كيلكم للمشترين
وتقييد الامر بذلك لان التطفيف هناك يكون والتمام وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة الى الامر بالتعديل قال ع اذا اكتالوا

التطفيف نقصان الكيال من

من موازين الدراهم وغيرها

القاضي

الكشاف

على الناس يستوفون وزنوا بالقسطاس هو الميزان رومي عرب وقيل كل ميزان صغيرا كان او كبيرا رومي معرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لانتظام المعرب في سلك الكلم العربية وقرئ بضم القاف المستقيم اي العدل السوي ولعل الاكتفاء باستقامته عن الامر بايفاء الوزن لما ان عند استقامته عن الامر بايفاء الوزن لما ان عند استقامة لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا ما يقع التطفيف مع استقامة الآلة كما ان الاكتفاء بايفاء الكيل عن الامر بتعديله لما ان ايفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد امر بتعديله ايضا في قوله تعالى واوفوا المكيال والميزان بالقسط ذلك اي ايفاء الكيل والوزن بالميزان السوي خير في الدنيا اذ هو امانة توجب الرغبة في معاملته والذكر الجميل بين الناس واحسن تأويلا عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع من قفا اثره اي تبعه وقرئ ولا تقف من قاف اثره اي قفاه ومنه القافة في جمع القائف ما ليس لك به علم اي لا تكن في اتباع ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى المقصد واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعيا كان او ظنيا واستعماله بهذا المعنى لا ينكر شيوعه وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج ومنه قول الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد وقرئ بفتح الفاء والواو المقلوبة من الهمزة عند ضم الفاء كل اولئك اي كل واحد من تلك الاعضاء فاجريت مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن احوالها شاهدة على اصحابها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا الذي يعم القبيلين جاء لغيرهم ايضا قال ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤولا اي كان كل من تلك الاعضاء مسؤولا عن نفسه على ان اسم كان ضمير يرجع الى كل وكذا الضمير المجرور وقد جوز ان يكون الاسم ضمير القافي بطريق الالتفات اذ الظاهر ان يقال كنت عنه مسؤولا وقيل الجار والمجرور في محل الرفع وقد اسند اليه مسؤولا معللا بان الجار والمجرور لا يلتبس بالمبتدأ فهو السبب في منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه ولكن النحاس حكى الاجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل اذا كان جارا ومجرورا وجوز ان يكون من باب الحذف على شريطة التفسير بحذف الجار من المفسر ويعود الضمير مستكنا كما ذكرنا في قوله تعالى يوم مشهود وجوز ان يكون مسؤولا مسندا الى المصدر المدلول عليه بالفعل وان يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب وسأل ابن جني ابا علي عن قولهم فيك يرغب وقال لا يرتفع بما بعده فاين المرفوع فقال المصدر اي فيك يرغب الرغبة بمعنى يفعل الرغبة كما في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع وجوز ان يكون اسم كان او فاعله ضمير كل بحذف المضاف اي كان صاحبه عنه مسؤولا او مسؤولا صاحبه ولا تمش في الارض التقييد لزيادة التقرير والاشعار بان المشي عليها مما لا يليق بالمرح مرحا تكبرا وبطرا واختيالا وهو مصدر وقع موقع الحال اي ذا مرح او تمرح مرحا او لاجل المرح وقرئ بالكسر انك لن تخرق الارض تعليل للنهي وفيه تهكم بالمختال وايذان بان ذلك مخافة مع الارض وتكبر عليها اي لن تخرق بدوسك وشدة وطأتك وقرئ بضم الراء ولن تبلغ الجبال التي هي بعض اجزاء الارض طولا حتى يمكن ان تتكبر عليها اذ التكبر انما يكون بكثرة القوة وعظم الجثة وكلاهما مفقود وفيه تعريض بما عليه المختال من رفع رأسه ومشيه على صدور قدميه كل ذلك اشارة الى ما علم في تضاعيف ذكر الاوامر والنواهي من خصال الخمس والعشرين كان سيئه الذي نهي عنه وهي اثنتا عشرة خصلة عند ربك مكروها مبغضا غير مرضي او غير مراد بالارادة الاولية لا غير مراد مطلقا لقيام الادلة القاطعة على ان جميع الاشياء واقعة بارادته سبحانه وهو تعليل الامور للنهي عنها جميعا ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع ان البعض من الكبائر للايذان بان مجرد الكراهة عنده تعالى

ردغة بفتح الدال وسكونها وبالغين المعجمة الماء والطين الخبال اي عصارة اهل النار وهو في الاصل الفساد والحواصن جمع حاصنة بمعنى محصنة وهي المرأة العفيفة قاموس قفينا اصله تقفينا

البيضاوي

كافية فى وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه الاشارة الى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها اليه ابتداءً لما ان البعض المذكور
ليس بمذكور جملة بل على وجه الاختلاط وفيه اشعارٌ بكون ما عداه مرضيًا عنده تعالى وانما لم يصرح بذلك ايذانًا بالغنى عنه
وقيل الاضافة بيانية كما فى آية الليل وآية النهار وقرئ سيئةٌ على انه خبر كان وذلك اشارة الى ما نُهى عنه من الامور المذكورة
ومكروهًا بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى شيئًا وقد قرئ به او مجرًى على موصوفٍ مذكر اى امرًا مكروهًا
او مجرًى مجرى الاسماء زال عنه معنى الوصفية ويجوز كونه حالًا من المستكن فى كان او فى الظرف على انه صفة سيئة وقرئ سيئاته
وقرئ سيئاته ذلك اى الذى تقدم من التكاليف المفصلة مما اوحى اليك ربك اى بعضٌ منها ومن جنسه من الحكمة
التى هى علم الشرائع او معرفة الحق لذاته والعمل به او من الاحكام المحكمة التى لا يتطرق اليها النسخ والف دوعن ابن عباس رض
ان هذه الآيات الثمانى عشرة كانت فى الواح موسى عم وهى اولها لا تجعل مع الله الهًا آخر قال تعالى وكتبنا له فى الالواح من كل
شئ موعظة وهى عشر آيات فى التوراة ومن انا متعلقة باوحى على انها تبعيضية او ابتدائية واما محذوف وقع حالًا من الموصول
او من ضميره المحذوف والصلة اى كائنًا من الحكمة واما بدل من الموصول باعادة الجار ولا تجعل مع الله الهًا آخر الخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ممن يتصور منه صدور المنهى عنه وقد كرر للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه
وانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدم لم ينفعه علومه وحكمه وان بذّ فيها اساطين الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء
وقد رتب عليه ما هو عائد الاشراك اولا حيث قيل فتقعد مذمومًا مخذولًا ورتب عليه ههنا نتيجته فى العقبى فتلقى
فى جهنم ملومًا من جهة نفسك ومن جهة غيرك مدحورًا مبعدًا من رحمة الله تعالى وفى ايراد الالقاء مبنيًا للمفعول
جرى على سنن الكبرياء وازدراء بالمشرك وجعل له من قبيل خشبة باخذ ما آخذ بكفه فيطرحها فى التنور افاصفاكم
ربكم يا لبنين واتخذ من الملئكة اناثا خطاب للقائلين بان الملئكة بنات الله سبحانه والافصاح بالشئ
جعله خالصًا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المذكور اى افاخصكم على ابنائه فخصكم بافضل الاولاد
على وجه الخلوص وآثر لذاته اختيارها وادناها كما فى قوله سبحانه الكم الذكر وله الانثى وقوله تعالى ام له البنات ولكم البنون وقد قصد بها التعرض
لعنوان الربوبية تشديدًا وتاكيدًا وآثر بذكر الملئكة ذم وازدراء الاناث مكان البنات الى كفرة لهم اخرى وهى وصفهم لهم عليهم السلام
بالانوثة التى هى اخس صفات الحيوان كقوله تعالى وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا انكم لتقولون بمقتضى مذهبكم
الباطل الذى هو اضافة الولد اليه سبحانه قولًا عظيمًا لا يقدر قدره فى استتباع الاثم وخرقه لقضايا العقول بحيث لا يجترئ
عليه احد حيث تجعلونه تعالى من قبيل الاجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثله شئ وهو الواحد القهار الباقى بذاته ثم تضيفون اليه
ما تكرهونه من اخس الاولاد وتفضلون عليه انفسكم بالبنين ثم تصفون الملئكة الذين هم من اشرف الخلائق بالانوثة التى هى اخس
اوصاف الحيوان فيالها من ضلة ما افبحها وكفرة ما اشنعها وافظعها ولقد صرفنا هذا المعنى وكررناه فى هذا القرآن
على وجوه من التعريف فى مواضع منه وانما ترك الضمير تعويلًا على الظهور وقرئ بالتخفيف ليذكروا ما فيه ويقفوا على بطلان
ما يقولونه والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء الحال ان يعرض عنهم ويحكى للسامعين هناتهم وقرئ بالتخفيف من الذكر
بمعنى التذكر ويجوز ان يراد بهذا القرآن ما نطق ببطلان مقالتهم المذكورة من الآيات الكريمة الواردة على اساليب مختلفة ومعنى
التصريف فيه جعله مكانا لاى ادغام فى التصريف كقوله تخرج فى عراقيبها نصلى وقد جوز ان يراد به ابطال اضافتهم البنات
وانت تعلم ان ابطالها من آثار القرآن ونتائجها وما يزيدهم اى والحال ان ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ الا نفورا
عن الحق واعراضا عنه فضلًا عن التذكر المؤدى الى معرفة بطلان ما هم عليه من القبائح قل فى اظهار بطلان ذلك من جهة اقوى
لو كان معه تعالى آلهة كما يقولون اى المشركون قاطبة وقرئ بالتاء خطابًا لهم من قبل النبى عليه السلام والكلام فى محل النصب

على

على انها نعت مصدر محذوف اى كونا مشابها لما يقولون والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة اذا لابتغوا جواب عن مقالتهم
التشنعاء وجزاء لو اى لطلبوا الى ذى العرش سبيلا اى الى من له الملك والربوبية على الاطلاق سبيلا بالمغالبة والمنازعة
كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض على طريقة قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل بالتقرب اليه تعالى كقوله تعالى
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة والاول هو الاظهر الانسب لقوله سبحانه فانه صريح فى ان المراد بيان انه يلزم
مما يقولونه محذور عظيم من حيث لا يحتسبون واما ابتغاء السبيل اليه بالتقرب فليس مما يحتمل هذا التقدير ولا هو مما يلزمهم من حيث
لا يشعرون بل هو امر يعتقدونه ويراسا اى تنزه بذاته تنزها حقيقا به وتعالى متباعدا عما يقولون من العظمة التى هى
ان يكون معه آلهة وان يكون بنات علوا تعاليا كقوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا كبيرا لا غاية وراءه كيف لا
وانه سبحانه وتعالى واجب الوجود وهو الوجوب الذاتى ومما يقولونه من ان له تعالى شركاء واولادا فى ابعد مراتب العدم على الامتناع
لان له تعالى فى اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه كما قيل
فكان ما يقولونه ليس بداخل فى حد الامكان فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه من ادنى مراتب الوجود انما هو بالنسبة الى من شانه
ذلك تسبح بالفوقانية وقرئ بالتحتانية وقرئ يسبحن له السموات السبع والارض ومن فيهن من الملائكة والثقلين
على ان المراد بالتسبيح معنى منتظم لما ينطق به لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز وان من شئ من الاشياء حيوانا كان
او نباتا او جمادا الا يسبح ملتبسا بحمده اى ينزهه تعالى بلسان الحال عما لا يليق بذاته الاقدس من لوازم الامكان
ولواحق الحدوث اذ ما من موجود الا وهو بامكانه وحدوثه يدل دلالة واضحة على ان له صانعا حكيما واجبا لذاته قطعا للسلسلة
ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذى به يفهم ذلك وقرئ لا يفقهون على صيغة المبنى
للمفعول من باب التفعيل انه كان حليما ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما انتم عليه من موجباتها من الاعراض عن التدبر
فى الدلائل الواضحة الدالة على التوحيد والانهماك فى الكفر والاشراك غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن الذى هو
بالتسبيح والتنزيه ودعوتهم الى العمل بما فيه من التوحيد والشكر وغير ذلك من الشرائع جعلنا بقدرتنا ومشيتنا المبنية على دواعى
الحكم الخفية بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة اثر الموصول على الضمير فى امثالهم جاء فى حيز الصلة وانما خص بالذكر كونهم
بالآخرة من بين سائر ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على انها معظم ما انكروا بالايمان به فى القرآن وتمهيدا لما سيقتل عنهم من انكار
البعث واستحالته ونحو ذلك حجابا يحجبهم من ان يدركوك على ما انت عليه من النبوة وينهموا قدرك الجليل ولذلك اجتراوا على تلك
العظيمة التى هى قولهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا وجعل الحجاب على ما روى عن اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنهما من انه لما نزلت
سورة تبت اقبلت العوراء ام جميل امرأة ابى لهب ولها فهر وابو بكر رضى الله عنه قاعد قرب المسجد ومعه ابو بكر رضى الله عنه
فلما رأته قال يا رسول الله لقد اقبلت هذه واخاف ان تراك قال انها لن ترانى وقرأ قرآنا فوقفت على ابى بكر رضى الله عنه ولم تر
رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يقبله الذوق السليم ولا ياعن النظم الكريم مستورا ذا ستر كما قيل سيل مفعم او مستورا عن الحس
بمعنى غير حسى او مستورا فى نفسه وبحجاب آخر او مستورا لكونه حجابا حيث لا يدرون انهم لا يدرون وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية
كثيرة جمع كنان ان يفقهوه مفعول لاجله اى كراهة ان يفهموه او مفعول لما دل عليه الكلام اى منعناهم ان يتفوا على كنهه ويعرفوا
انه من عند الله تعالى وفى آذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماع الآيات به وهذه تمثيلات معربة عن كمال جهلهم بشئون النبى
وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومجج اسماعهم له جئ بها بيانا لعدم فقههم لتسبيح لسان المقال اثر بيان عدم فقههم لتسبيح لسان
الحال وايذانا بان هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهمه الا لمانع قوى يعترى المشاعر فيبطلها وتنبيها على ان حالهم
السابق لاحكايته لما قالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا وقصدهم بذلك انما هو

٢ مجرد اتخاذ الولد بل اتخاذه تعالى وان يكون معه آلهة ولا ريب فى ان ذلك ليس ٤

قهر بر آدم خاش و بكدر

الاخبار مما اعتقدوه في حق القرآن والنبي عليه السلام جهلا وكفرا من انتفائهما باوصاف مانعة من التصديق والايمان ككون القرآن شعرا وسحرا
واساطير وقس عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار بان هناك امرا وراء ما ادركوه قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم
ولا ريب في ان ذلك المعنى مما لا يكاد يلائم المقام وَاِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ واحدا غير مشفوع به آلهتهم وهو
مصدر وقع موقع الحال اصله يحد وحده وَلَّوْا عَلَى اَدْبَارِهِمْ اى هربوا ونفروا نُفُورًا او ولوا نافرين نَحْنُ اَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ
ملتبسين به من اللغو والاستخفاف والتهزء بك وبالقرآن يروى انه كان يقوم عن يمينه رجلان من عبد الدار وعن يساره رجلان
فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار اِذْ يَسْتَمِعُونَ ظرف لاعلم وفائدته تأكيد الوعيد بالاخبار بانه كما يقع الاستماع
المزبور عنهم يتعلق به العلم لا ان العلم يستفاد هناك من احد وكذا قوله تعالى وَاِذْ هُمْ نَجْوَى لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع
بل بما به التناجي المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن اعلم بالذي يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الامور المذكورة وبالذي يتناجون به
فيما بينهم او الاول ظرف ليستمعون والثاني ليتناجون والمعنى نحن اعلم بما به الاستماع وقت استماعهم من غير تأخير وبما به التناجي
وقت تناجيهم ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف اى ذووا النجوى او هو جمع نجي كقتلى جمع قتيل اى متناجون اِذْ يَقُولُ
الظَّالِمُونَ بدل من اذ هم وفيه دليل على ان ما يتناجون به غير ما يستمعون به وانما وضع الظالمون موضع المضمر اشعارا بانهم في ذلك
ظالمون مجاوزون للحد اى يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم اِنْ تَتَّبِعُونَ ما تتبعون ان وجد منكم الاتباع فرضا او ما تتبعون
باللغو والهزء اِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا اى سحر فجن او رجلا ذا سحر اى رئة يتنفس اى بشرا مثلكم اُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْاَمْثَالَ
اى مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فَضَلُّوا في جميع ذلك عن منهاج المحاجة فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا اى طعنا يمكن
ان يقبله احد فيتهافتون ويخبطون ويأتون بما لا يرتاب في بطلانه احد او الى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول
ما لا يخفى وَقَالُوا اَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا استفهام انكاري لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد ما آل الحال
الى هذا المآل لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي كأن استحالة الاول من الظهور بحيث لا يقدر المقدر المخاطب
على التكلم به والرفات ما بولغ في دقه وتفتيته وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام واذا متمحضة للظرفية
وهو الاظهر والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى اَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ لا نفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها
وهو نبعث او نعاد وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيصه به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان
البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم ائنا لتأكيد النكير وتحلية الجملة
بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله
افلا تعقلون ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم
كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم عظاما ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له
ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه خَلْقًا جَدِيدًا
نصب على المصدر من غير لفظه او الحالية على ان الخلق بمعنى المخلوق قُلْ جوابا لهم وتقريبا لما استبعدوه كُونُوا حِجَارَةً
اَوْ حَدِيدًا اَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ اى يعظم عندكم عن قبول الحيوة لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه
فانكم مبعوثون ومعادون لا محالة فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة
قُلْ لهم تحقيقا للحق وازاحة للاستبعاد وارشادا لهم الى طريقة الاستدلال اَلَّذِي اى يعيدكم القادر العظيم الذي
فَطَرَكُمْ اخترعكم اَوَّلَ مَرَّةٍ من غير مثال يحتذيه ولا اسلوب ينتحيه وكنتم ترابا ما شممتم رائحة الحيوة أليس الذي يقدر
على ان يعيد العظام البالية الى حالتها المعهودة بلى انه على كل شئ قدير فَسَيُنْغِضُونَ اِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ اى يحركونها

اى [illegible] ونازه الملق

والتنافي المنافاة

لان البعث بمعنى الخلق

نحوك تعجبا وانكارا ويقولون استهزاء متى هو اى ما ذكرته من الاعادة قل لهم عسى ان يكون ذلك قريبا
نصب على انه خبر لكون او ظرف على ان كان تامة اى ان يقع فى زمان قريب ومحل ان مع ما فى حيزها اما نصب على انه خبر لعسى
وهى ناقصة واسمها ضمير عائد الى ما عاد اليه هو اى عسى البعث ان يكون قريبا او عسى البعث يقع فى زمان قريب او رفع على انه فاعل
لعسى وهى تامة اى عسى كونه قريبا او وقوعه فى زمان قريب يوم يدعوكم منصوب بفعل مضمر اى اذكروا على انه بدل من قريبا
على انه ظرف او يكون تامة بالاتفاق او ناقصة عند من يجوز اعمال الناقصة فى الظروف او بضمير المصدر المستكن فى عسى او يكون العامل فى
عند من يجوز اعمال ضمير المصدر كما فى قوله حير وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرقم فهو ضمير المصدر وقد تعلق به ما بعده
من الجار فتستجيبون اى يوم يبعثكم فتبعثون وقد استعير لهما الدعاء والاجابة ايذانا بكمال سهولة الاتى والمقصود
منهما الاحضار للمحاسبة والجواب بحمده حال من ضمير تستجيبون اى منقادين لامره حامدين لما فعل بكم غير مستعصين او حامدين له تعالى
على كمال قدرته عند مشاهدة آثارها ومعاينة احكامها وتظنون عطف على تستجيبون اى تظنون عند ما ترون من الامور الهائلة
إن لبثتم اى ما لبثتم فى القبور إلا قليلا كالذى مر على قرية او ما لبثتم فى الدنيا وقل لعبادى اى المؤمنين يقولوا عند مجاورتهم
مع المشركين التى اى الكلمة التى هى احسن ولا يخاشنوهم كقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن إن الشيطان
ينزغ بينهم اى يفسد ويهيج الشر والمراء ويقوى بعضهم على بعض لتقع بينهم المشاقة والمشارة والمعارة والمضارة فعل ذلك
يؤدى الى تاكد العناد وتمادى الفساد فهو تعليل للامر السابق وقرئ بكسر الزاء ان الشيطان كان قديما للانسان عدوا
مبينا ظاهر العداوة وهو تعليل لما سبق من ان الشيطان ينزغ بينهم ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم بالتوفيق للايمان او ان يشا
يعذبكم بالاماتة على الكفر وهذا تغيير التى هى احسن وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه الكلمة وما يشاكلها ولا تصرحوا
بانهم من اهل النار فانه مما يهيجهم على الشر مع ان العاقبة مما لا يعلمها الا الله سبحانه فعسى بعد بهم الى الايمان وما ارسلناك عليهم
وكيلا موكولا اليك امورهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم وداصحابك بالمداراة والاصغاء وترك
المخاشنة والمشاقة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزل فى عمر رضه شتمه رجل فامر بالعفو وقيل اوائل اذية المشركين بالمؤمنين
فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التى هى احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وربكم اعلم بمن فى السموات
والارض وتفاصيل احوالهم الظاهرة والكامنة التى بها يستاهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوة وولاية من يشاء
من يستحقه وهو رد عليهم اذ قالوا بعيد ان يكون يتيم ابى طالب نبيا وان يكون العوة الجوع اصحابه دون ان يكون فيهم
من الاكابر والصناديد وذكر من فى السموات لابطال قولهم لولا انزل علينا الملئكة وذكر من فى الارض لرد قولهم لولا انزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والنزة عن العلائق
الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع واتينا داود زبورا بيان لحسية تفضيله ما فان ذلك ايتاء الزبور لا ايتاء الملك
والسلطنة وفيه ايذان بتفضيل النبى عليه السلام فان نعوته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطورة فى الزبور وان المراد بعباد الله
الصالحين فى قوله تعالى ان الارض يرثها عبادى الصالحون هو النبى عليه السلام وامته وتوفيق الزبور تارة وتنكيره اخرى
اما لانه فى الاصل فعول بمعنى المفعول كالحلوب او مصدر بمعناه كالقبول واما ان المراد اتيناه داود زبورا من الزبر او بعضا
من الزبور فيه ذكره عليه السلام وقرئ بضم الزاء على انه جمع زبر بمعنى مزبور قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه تعالى
من الملئكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ونحو ذلك ولا تحويلا
اى ولا تحويلا الى غيركم اولئك الذين يدعون اى اولئك الذين يدعوهم المشركون من المذكورين يبتغون يطلبون
لانفسهم الى ربهم ومالك امورهم الوسيلة القربة بالطاعة والعبادة ايهم اقرب بدل من فاعل يبتغون والمعنى موصلة

اى يبتغى من هو اقرب اليه تعالى الوسيلة فكيف بمن دونه وضمن الابتغاء معنى الحرص فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اليه اقرب بالطاعة والعبادة ويرجون رحمته بها ويخافون عذابه بتركها كذاب سائر العباد فاين هم من كشف الضر فضلا عن الالهية ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملئكة والرسل عليهم السلام وهو تعليل للتوله تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لما ان المقام مقام التحذير من العذاب وان بينهم وبين العذاب بونا بعيدا وان من قرية بيان لتحتم حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره اثر بيان ان تحقق بالحذر وان اساطين الخلق من الملئكة والنبيين على حذر من ذلك وكلمة ان نافية ومن استغراقية والمراد بالقرية القرية الكافرة اى ما من قرية من قرى الكفار الا نحن مهلكوها اى مخربوها البتة بالخسف بها او باهلاك اهلها بالمرة لما ارتكبوا من عظائم الموبقات المستوجبة لذلك وفى صيغة الفاعل وان كانت بمعنى المستقبل ما ليس فيه من الدلالة على التحقق والتقرر وانما قيل قبل يوم القيمة لان الاهلاك يومئذ غير مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق العقوبة وانما هو لانقضاء عمر الدنيا او معذبوها اى معذبو اهلها على الاسناد المجازى عذابا شديدا كالقتل والسبى ونحوهما من البلايا الدنيوية فقط بل بما لا يكتنه كنهه من فنون العقوبات الاخروية ايضا فجعل عنه طلاق التعذيب عما قيد به الاهلاك من قبلية يوم القيمة كيف لا وكثير من قرى العاتية العاصية قد اخرت عقوباتها الى يوم القيمة كان ذلك الذى ذكر من الاهلاك والتعذيب فى الكتاب اى اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا لم يغادر منه شيئا الا اثبت فيه بكيفياته واسبابه الموجبة له ووقته المضروب له هذا وقد قيل الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت فى كتاب الضحاك بن مزاحم فى تفسير ما اتاه مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فهلاكها خروب ثم ذكر ما بلدا بلدا وقال الحافظ ابو عمرو الدانى فى كتاب الفتن انه روى عن وهب بن منبه ان الجزيرة الآمنة من الخراب حتى يخرب ارمينية آمنة حتى يخرب مصر ومصر آمنة حتى يخرب الكوفة ولا يكون الملحمة الكبرى حتى يخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت القسطنطينية على يدى رجل من بنى هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحصرهم حتى لا يستطيعون ان يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل الغرق وخراب الابلة من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا وخراب الرى من الديلم وخراب خراسان من قبل الترك وخراب الترك من قبل الصين وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة وقد اخرجه العمرى من هذا الوجه وانت خبير بان تعميم القرية لا يساعده السباق ولا السياق وما منعنا ان نرسل بالآيات اى الآيات التى اقترحتها قريش من احياء الموتى وقلب الصفا ذهبا ونحو ذلك الا ان كذب بها الاولون الاستثناء مفرغ من اعم الاشياء اى وما منعنا ارسالها شئ من الاشياء الا تكذيب الاولين بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم ارساله تع بها وان كان بمشيئته المبنية على الحكم البالغة للمنع مانع عن ذلك من التكذيب او غيره لاستحالة العجز عليه تعالى لكن تكذيبهم المذكور بواسطة استتباعه لاستئصالهم بحكم السنة الالهية واستلزامه لتكذيب الآخرين بحكم الاشتراك فى العتو والعناد وافضائه الى ان يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة فى الجريرة لما كان منافيا لارسال ما اقترحوه من الآيات لتعين التكذيب المستدعى لاستئصال المخالف لما جرى به قلم القضاء من تاخير عقوبات هذه الامة الى الآخرة الحكم باهرة من جملتها ما يتوهم من ان ايمان بعض اعقابهم عبر عن تلك المنافاة بالمنع على نهج الاستعارة ايذانا بالمعاضدة مبادى الارسال لما كانوا يزعمون من عدم ارادته تع لتاييده وعدم بالمعجزات وهو السر فى ايثار الارسال على الاتيان لما فيه من الاشعار بتداعى الآيات الى النزول لولا ان تمسكها بايدى التقدير واسناد هذا المنع

الى تكذيب الاولين لا الى علمه تعالى بما سيكون من الآخرين كما في قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا
وهم معرضون لاقامة الحجة عليهم بابراز الانموذج وللايذان بان مدار عدم الاجابة الى اباء مقترحهم ليس الا ضيعهم
وآتينا ثمود الناقة عطف على ما يفصح عنه النظم الكريم كانه قيل وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون
حيث آتيناهم ما اقترحوا من الآيات الباهرة وكذبوا بها وآتينا باقتراحهم ثمود الناقة مبصرة على صيغة الفاعل اى بينة
ذات ابصار او بصائر يدركها الناس او اسند اليها حال من يشاهدها مجازا او جاء عليهم ذوى ابصار مثل ابصره جعله بصيرا
وقرئ على صيغة المفعول وبفتح الميم والصاد وهى نصب على الحالية وقرئ بالرفع على انها خبر مبتدا محذوف فظلموا بها
فكفروا او ظالمين اى لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر او ظلموا انفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها
ولعل تخصيصها بالذكر لما ان ثمود عرفت عقلهم وان لهم من العلم بحالهم ما لا يزيد عليه حيث يشاهدون آثار هلاكهم وديارهم
وصدورا اولانها من جهة انها حيوان اخرج من الحجر اوضح دليل على تحقيق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا
وما نرسل بالآيات المقترحة الا تخويفا بمن ارسلت هى عليهم مما يعقبها من العذاب المستاصل كالطليعة له
وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم ما فعل فلا محل للجملة ح من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ضمير ظلموا اى فظلموا بها ولم يخافوا
عاقبته والحال انا ما نرسل بالآيات التى هى من جملتها الا تخويفا من العذاب الذى يعقبها فنزل بهم ما نزل واذ قلنا
لك ان ربك احاط بالناس اى علما كما نقله الامام الثعلبى وعن ابن عباس رضه فلا يخفى عليه شئ من افعالهم
الماضية والمستقبلة من الكفر والتكذيب وقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس الى آخر
الآية تنبيه على تحقيقها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجئ بعض الآيات لاشتراك الكل فى كونها امورا خارقة للعادات
فنزله من جناب الله تعالى لتصديق النبى صلى الله عليه وسلم فتكذيبهم بعضها مستلزم لتكذيبها الباقى كما ان تكذيب الآخرين
بغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالآيات المقترحة والمراد بالرؤيا ما عاينه عليه السلام ليلة المعراج من عجائب الارض والسماء
حسبما ذكر فى فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا لما انه لا فرق بينها وبين الرؤية اولانها وقعت بالليل
اولان الكفرة قالوا لعلها رؤيا اى وما جعلنا الرؤيا التى اريناكها عيانا مع كونها آية عظيمة وآية
حقيقة بان لا يتلعثم فى تصديقها احد ممن له ادنى بصيرة الا فتنة افتتن بها الناس حتى ارتد بعضهم والشجرة
الملعونة فى القرآن عطف على الرؤيا والمراد بلعنها فيه لعن طاعميها على الاسناد المجازى او ابعادها عن الرحمة
فانها تنبت فى اصل الجحيم فى بعد مكان من الرحمة اى وما جعلنا تلك الا فتنة لهم حيث انكروا ذلك وقالوا ان محمدا يزعم
ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولقد ضلوا فى ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا اقتضية عقولهم
فانهم يرون النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحماة فلا تضرها ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندر
تلقى فى النار فلا تؤثر فيها ويرون فى كل شجر نارا وقرئ بالرفع على حذف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة فى القرآن
كذلك ونخوفهم بذلك وبنظائره ما من الآيات فان الكل للتخويف واثبات صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد
والاستمرار فلا يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا متجاوزا عن الحد فلو اتانا ارسلنا بالاقترحى من الآيات
لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم ما فعل بامثالهم وقد قضينا بتاخير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة الكبرى
هذا هو الذى يستدعيه النظم الكريم وقد حمل اكثر المفسرين الاحاطة على الاحاطة بالقدرة تسلية لرسول الله صلعم
عما يعتريه من عدم الاجابة الى نزال الآيات التى اقترحوها لان انزالها لمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة
حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا حقا لاتيت بهذه المعجزات كما اتى بها موسى وغيره من الانبياء عليهم السلام فكانه قيل

البيضاوى

اذكر وقت قولنا لك ان ربك اللطيف بك قد احاط بالناس فهم في قبضة قدرته لا يقدرون الخروج من مشيئته فهو يحفظك منهم فلا تهتم بهم وامض لما امرتك به من تبليغ الرسالة الا يرى اى الرؤيا التى اريناك من قبل جعلناها فتنة للناس مورثة للشبهة مع انها اورثت ضعفا لادراكهم وفتورا في حالك وقد فسر الاحاطة باهلاك قريش يوم بدر وانما عبر عنه بالماضي مع كونه منتظرا حسبما ينبئ عنه قوله تع سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تع قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وغير ذلك جريا على عادته سبحانه في اخباره واولت الرؤيا بما عاينه عم في المنام من مصارعهم لما روى انه عم لما ورد ماء بدر قال والله لكأني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش فاستسخروا منه وبما رآه عم انه سيدخل مكة واخبر به اصحابه فتوجه اليها فصده المشركون عام الحديبية واعتذر عن كون ما مدنيا بانه يجوز ان يكون الوحي باهلاكهم وكذا الرؤيا واقعا بمكة وذكر الرؤيا وتعيين المصارع واقعين بعد الهجرة وانت خبير بانه يلزم ان يكون افتتان الناس بذلك واقعا بعد الهجرة وان يكون ازديادهم طغيانا متوقعا غير واقع عند نزول الآية وقد قيل الرؤيا ما رآه عليه السلام في وقعة بدر من مضمون قوله سبحانه اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولا ريب في ان تلك الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما جعلت فتنة للناس واذ قلنا للملئكة تذكير لما جرى منه تع من الامر وما جرى من الملئكة من الامتثال والطاعة من غير تردد وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تع اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وتعليم من حال الملئكة حال غيرهم من عيسى وعزير عليهما السلام في الطاعة وابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة ومخافة العذاب ومن حال ابليس حال من يعاند الحق ويخالف الامر اى واذكر وقت قولنا لهم اسجدوا لآدم تحية وتكريما لما له من الفضائل المستوجبة لذلك فسجدوا من غير تلعثم امتثالا بالامر واداء لحقه عم الا ابليس وكان خلافا في زمرتهم منفردا جانحا الى الاباء بالسجود قال اى عند ما وبخ بقوله عز سلطانه يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك وقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي كما اشير اليه في سورة الحجر ءاسجد لمن خلقت طينا نصب على نزع الخافض اى من طين او حال من الراجع الى الموصول اى خلقته وهو طين او من نفس الموصول اى أأسجد له واصله طين والتعبير عنه عم بالموصول لتعليل انكاره بما في حيز الصلة قال اى ابليس لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد الانظار المترتب على استنظاره المتفرع على الامر بخروجه من بين الملأ الاعلى باللعن المؤبد وانما لم يصرح بذلك اكتفاء بما ذكر في مواضع اخر فان توسيط قال بين كلامي اللعين للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره كما في قوله تع قال فما خطبكم بعد قوله تع قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ارأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول اول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه اى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بان امرتني بالسجود له لم كرمته وقيل هذا مبتدأ حذف عنه حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار والاستحقار اى اخبرني اهذا من كرمته علي وقيل معنى ارأيتك اتأملت كأنه المتكلم ينبه المخاطب على استحضار ما يخاطب به عقيبه لئن اخرتن حيا الى يوم القيمة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه قوله لاحتنكن ذريته الا قليلا اى لاستأصلنهم من قولهم احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا اى لاقودنهم حيث ما شئت ولاستولين عليهم استيلاء قويا من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها اذا جعلت في حنكها الاسفل حبلا تقودها به وهذا كقوله لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين وانما علم تسني ذلك المطلب تلقيا من جهة الملئكة عم واستنباطا من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او توسما من خلقه قال اذهب منهم وهم المخلصون الذين

الذين عصمهم الله تعالى فمن تبعك منهم اي اطاعك بذلك الذي افتريته وبطرده وتخليته بينه وبين شهوته لتغ
فان جهنم جزاؤكم اي جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب رعاية لحق المتبوعية جزاء موفورا اي جزاء
مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة اي اكمله وهو نصب على انه مصدر مؤكد لما في قوله فان جهنم جزاؤكم
من معنى تجازون او للفعل المقدر او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف من استطعت منهم ان تستفزه بصوتك
بدعائك الى الفساد واجلب عليهم اي صح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك اي باعوانك وانصارك من راكب
وراجل من اهل العيث والعبث قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فكل من
يقاتل في معصية الله فهو من خيل ابليس وكل من راجل يقاتل في معصية الله فهو من رجل ابليس والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام
يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم في قراءة حفص على انه فعل بمعنى فاعل كتعب
وتاعب وبضمة مثل حدث وحدث ندس وندس ونظايرهما اي جمعك الراجل ليطابق الخيل وقرئ رجالك ورجالك
ويجوز ان يكون استفزازه بصوته واجلابه بخيله ورجله تمثيلا لتسلطه على من يغويه فكانه مغوار اوقع على
قوم فصوت بهم صوتا يزعجهم من اماكنهم ويقلقهم من مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استاصلهم
وشاركهم في الاموال اي بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل اليهم
بالاسباب المحرمة والاشراك كتسميتهم بعبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة
وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتاخير التوبة بتطويل الامل وما يعدهم
الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان حال مواعيده والالتفات الى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف
الكلام عن خطابه وبيان شانه للناس ومن الاشعار بعلية شيطنته للغرور وهو تزيين الخطاء بما يوهم انه صواب ان عبادي
وهم المخلصون وفي اضافتهم الى ضميره تعالى تشريف لهم وان الاضافة لتشريفهم الحكم في قوله تعالى ليس لك عليهم سلطان اي تسلط وقدرة
على اغوائهم كقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون عليه
ويستمدون به في الخلاص عن اغوائك والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام للاشعار بكيفية كفايته تعالى لهم اعني سلب قدرته على اغوائهم ربكم الذي يزجي لكم الفلك مبتدأ
وخبر والازجاء السوق حالا بعد حال اي هو القادر الحكيم الذي يسوق لمنافعكم الفلك ويجريها في البحر لتبتغوا
من فضله من رزقه الذي هو فضل من قبله او من الربح الذي هو معطيه او من مزيدة او تبعيضية وهذا تذكير
لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكملة لما مر من قوله تعالى فلا يملكون الآية
انه كان بكم رحيما ازلا وابدا حيث هيا لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر من مباديه وهذا التذييل
فيه تعليل لما سبق من الازجاء لابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على ان المراد بالرحمة الرحمة الدنيوية
والنعم العاجلة المنقسمة الى الجليلة والحقيرة واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق فيه ضل من تدعون اي ذهب عن خواطركم
ما كنتم تدعون من دون الله من الملائكة والناس او غيرهم الا اياه وحده من غير ان يخطر ببالكم احد منهم وتدعونه لكشفه
استقلالا او اشتراكا او ضل كل من تدعونه عن اغاثتكم وانقاذكم ولم يقدر على ذلك الا الله على الاستثناء المنقطع
فلما نجاكم من الغرق واوصلكم الى البر اعرضتم عن التوحيد او اتسعتم في كفران النعمة وكان الانسان كفورا تعليل
لما سبق من الاعراض افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم ان يخسف بكم
جانب البر الذي هو مامنكم اي يقلبه ملتبسا بكم او بسببكم فبكم حال وفي زيادة الجانب تنبيه على تساوي الجانب والجهات بالنسبة

اي قدرته تعالى وقهره وسلطانه وقرئ بنون العظمة او يرسل عليكم من فوقكم وقرئ بالنون حاصبا اي ريحا ترمي
بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك او يصرفه عنكم فانه لا راد لامره الغالب ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة
كلمة على كلمة الى المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه تارة اخرى وفي اسناد الاعادة اليه تعالى مع ان العود
باختيارهم باعتبار خلق الدواعي الملجئة اليهم الى ذلك ايماء الى كمال شدة هول ما لاقوه في التارة الاولى بحيث لولا الاعادة
لما عادوا فيرسل عليكم وانتم في البحر وقرئ بالنون قاصفا من الريح وهي التي لا تمر بشيء الا كسرته وجعلته كالرميم او التي لها
قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر فيغرقكم بعد كسر فلككم كما ينبئ عنه عنوان القصف
وقرئ بالنون على الاسناد الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم لنعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا
اي ثائرا يطالبنا بما فعلنا او دركا للثار من جهتنا كقوله تعالى ولا يخاف عقباها ولقد كرمنا بني ادم قاطبة تكريما شاملا
لبرهم وفاجرهم اي كرمناهم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الارض والتمتع به والتمكن من الصناعات
وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة ومن جملته ما ذكره ابن عباس من ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده
وما قيل من شركة القرد في ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد والرجل فانه متناول برجله التي يطأ بها القاذورات الابدة
وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته اذا جعلت له ما يركبه ليس من المخلوقات كذلك او حملناهم فيهما حيث لم نخسف بهم الارض
ولم نغرقهم بالماء وانزجيز ان الاول هو الانسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات كذلك ورزقناهم من الطيبات اي فنون النعم وضروب المستلذات
مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم وفضلناهم بالعلوم والادراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح
على كثير ممن خلقنا وهم ما عدا الملائكة تفضيلا عظيما فحق عليهم ان يشكروا هذه النعم ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد
الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله احد ممن له ادنى تمييز فضلا عمن فضل على من عدا الملأ الاعلى الذين هم العقول
وانما استثني جنس الملائكة من هذا التفضيل لان علومهم دائمة عارية عن الخطأ والخلل وليس فيه دلالة على افضليتهم
بالمعنى المتنازع فيه فان المراد ههنا بيان التفضيل في امر مشترك بين جميع افراد البشر صالحيهم وطالحيهم ولا يمكن ان يكون ذلك هو
التفضيل في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله تعالى ان قيل اي حاجة الى تعليل ما فيه التفضيل بعد بيان ان المراد بالمفضل عليهم ما سوى
الملائكة من تفضيل جميع افراد البشر عليهم لا يستلزم الاستثناء اذ ان تفضيل بعض افراده عليهم قلنا لابد من تعليل التفضيل
اذ ليس من الافراد التي هي الكفرة احد يفضل على احد من المخلوقات فانه هو المتنازع فيه اصلا بل هم ادنى من كل دني حسبما نطق
به قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا وقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا يوم ندعو نصب على المفعولية باضمار
اذكر او ظرف لما دل عليه قوله تعالى ولا يظلمون وقرئ بالياء على البناء للفاعل وللمفعول ويدعو بقلب الالف واوا على لغة
من يقول افعو في افعى وقد جوز كون الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى واسروا النجوى او ضميرا وكلا بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة
فانها ليست الا علامة الرفع وقد يكتفي بضمة كما في يدعي كل اناس من بني ادم الذين فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم و
التفضيل وهذا شروع في بيان تفاوت احوالهم في الاخرة بحسب احوالهم واعمالهم في الدنيا بامامهم اي بمن ائتموا به
من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا اصحاب كتاب الخير يا اصحاب كتاب الشر او يا اهل
دين كذا او يا اهل كتاب كذا وقيل الامام جمع ام كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم بامهاتهم اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف
الحسنين والستر على اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه صحيفة اعماله بيمينه ابانة لخطر الكتاب المؤتى
وتشريفا لصاحبه وتبشيرا من اول الامر بما في مطاويه فاولئك اشارة الى من باعتبار معناه ايذانا
بانهم حزب مجتمعون على شان جليل اشعارا بان قراءتهم لكتبهم يكون على وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد كما في حال الا

علان
المستلذات

رد للنواصب

الانباء وما فيه من معنى البعد للاشعار برفعة درجاتهم اى اولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها الاتيان المذبور يقرؤن
كتابهم الذي اوتوه على الوجه المبين تبجحا بما سطر فيه من الحسنات المستتبعة لفنون الكرامات ولا يظلمون فتيلا اى لا ينقصون
من اجور اعمالهم المرتسمة في كتبهم بل يؤتونها فان الفتيل مثل في القلة والحقارة ومن كان من المدعوين المذكورين في هذه
الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل من فنون التكريم والتفضيل اعمى فاقد البصيرة لا يهتدى الى رشده ولا يعرف ما اوليناه
من نعمة التكرمة والتفضيل فضلا عن شكرها والقيام بحقوقها ولا يستعمل ما اودعناه فيه من العقول والقوى فيما خلقن له من العلوم
والمعارف الحقة فهو في الآخرة التي عبر عنها بيوم ندعو اعمى كذلك اى لا يهتدى الى ما ينجيه ولا يظفر بما يجديه لان العمى الاول
موجب للثاني وقد جوز كون الثاني بمعنى التفضيل على ان عماه في الآخرة اشد من عماه في الدنيا ولذلك قرا ابو عمرو الاول ممالا
والثاني مفخما واضل سبيلا اى من الاعمى لزوال الاستعداد الممكن وتعطل الآلات بالكلية وهذا بعينه هو الذي اوتى كتابه بشماله
بدلالة ما سبق من الفريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع انه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة
الحاقة وسورة الانشقاق للايذان بالعلة الموجبة له كما في قوله تعالى واما ان كان من المكذبين الضالين بعد قوله تعالى فاما ان كان
من اصحاب اليمين وللرمز الى علة حال الفريق الاول وقد ذكر في احد الجانبين المسبب وفي الآخر السبب ودل بالمذكور في كل منهما
على المتروك في الآخر تعويلا على شهادة العقل كما في قوله عز وعلا وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد
لفضله وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف اذ قالوا للنبي عليه السلام لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها
على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة
وان تحرم وادينا وج كما حرمت مكة فاذا قالت العرب لم فعلت فقل ان الله امرني بذلك وقيل في قريش حيث قالوا
اجعل لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة او قالوا لا نمكنك من استلام الحجر الاسود حتى تلم بالهتنا فان
مخففة من المشددة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية اى ان الشان قاربوا
ان يفتنوك اى يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفترى
علينا غيره لتتقول علينا غير الذي اوحينا اليك مما اقترحته ثقيف او قريش حسبما نقل واذا لاتخذوك خليلا
اى لو اتبعت اهواءهم لكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك على ما انت عليه من الحق بعصمتنا لك
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا من الركون الذي هو ادنى ميل اى لولا تثبيتنا لك لقاربت ان تميل اليهم شيئا
يسيرا من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم الركون وهذا صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها
ودليل على ان العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته اذا لو قاربت ان تركن ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات
اى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير خطير وكان اصل الكلام
عذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت اضافة موصوفها وقيل الضعف
من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع عنك
العذاب وان كادوا الكلام فيه كما في الاول اى كاد اهل مكة ليستفزونك اى ليزعجونك بعداوتهم
ومكرهم من الارض اى الارض التي انت فيها وهي ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون بالرفع عطفا
على خبر كاد وقرئ لا يلبثوا بالنصب باعمال اذن على ان الجملة معطوفة على جملة وان كادوا ليستفزونك خلافك
اى بعدك قال خلت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا اى لو خرجت لا يبقون بعد خروجك وقرئ
خلفك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته عليه السلام وقيل نزلت الآية

ثقيف ابو قبيلة من هوازن صح

التجبية قيام الركوع

باللات [illegible] الى صلح وجمع ما تقرؤ صح

خطر الرجل قدره ومنزلته وهذا خطير لهذا اى مثله في القدر جوهري

الشطب شاخ تر از درخت خرما ترجمان

فان كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر كما ستعرفه ان شاء الله تعالى

في اليهود حيث حسدوا مقام النبي عليه السلام في المدينة فقالوا الشام مقام الانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلوبهم فخرج رحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلى بنو النضير بتقليل سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قبلك مِنْ رُسُلِنَا نصب على المصدرية اى سن الله تعالى سنة وهي ان يهلك كل امة اخرجت رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله تعالى واضافتها الى الرسل لانها سنت لاجلهم على ما ينطق به قوله عز وجل وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا اى تغييرا اَقِمِ الصَّلٰوةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ لزوالها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام اتاني جبريل عم لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر فاشتقاقه من الدلك لان من نظر اليها حين تزول تدلك عينه وقيل لغروبها من دلكت الشمس اى غربت وقيل اصل الدلوك الميل فينتظم كلا المعنيين واللام للتاقيت مثلها في قولك لثلث خلون اِلٰى غَسَقِ اللَّيْلِ الى اجتماع ظلمته وهو وقت صلوة العشاء وليس المراد اقامتها فيما بين الوقتين على وجه الاستمرار بل اقامة كل صلوة في وقتها الذي عين لها بيان جبريل عم كما ان اعداد ركعات كل صلوة موكولة الى بيانه عم ولعل الاكتفاء ببيان المبدا والمنتهى فراوقات الصلوات من غير فصل بينهما بما ان الان فيما بين لاوقات هذه على التيقظ فبعضها متصل ببعض بخلاف اول وقت العشاء والفجر فانه باشتغاله فيما بينهما بالنوم ينقطع احدهما عن الآخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الاوقات وقيل المراد بالصلوة صلوتا المغرب والتحديد المذكور بيان لمبدئه ومنتهاه واستدل به على امتداد وقتها الى غروب الشفق وقوله وَقُرْاٰنَ الْفَجْرِ اى صلوة الفجر نصب عطفا على مفعول اقم او على الاغراء قال الزجاج وانما سميت قرانا لانه ركنها كما تسمى ركوعا وسجودا واستدل به على الركنية ولكن لا دلالة له على ذلك لجواز مدار التجوز كون القراءة مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر لدل الامر بها منها على كون الوجوب فيها نصا وفيما عداها دلالة ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثا على تطويل القراءة في صلوة الفجر اِنَّ قُرْاٰنَ الْفَجْرِ اظهر في مقام الاضمار اعانة لمزيد الاهتمام كان مشهودا يشهده ملئكة الليل وملئكة النهار وشواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم الذي هو اخو الموت او يشهده كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير فالآية على تغيير الدلوك بالزوال جامعة للصلوات الخمس وعلى تغيير بالغروب للاعدا الظهر والعصر وَمِنَ اللَّيْلِ قيل نصب على الاغراء اى الزم بعض الليل وقيل لا يكون المغرى به حرفا ولا يجدى نفعا كون معناها التبعيض فان من ليست اسما بالاجماع وان كانت بمعنى الاسم القريب بل هو منصوب على الظرفية بمضمر اى قم بعض الليل فَتَهَجَّدْ بِهٖ اى ازل والق الهجود اى النوم فان صيغة التفعل تجئ للازالة كالتجرح والتحنث والتاثم ونظائرها والضمير المجرور للقرآن من حيث هو لا بعيد اضافته الى الفجر او للبعض المفهوم من قوله تعالى من الليل اى تهجد في ذلك البعض على ان الهاء بمعنى في وقيل منصوب بتهجد اى تهجد بالقرآن بعض الليل على طريقة واياي فارهبون نَافِلَةً اى فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة باب دون الامة ولعل هو الوجه في تاخيرها عن ذكر صلوة الفجر مع تقدم وقتها على وقتها وتطوعا لكن لا لكونها زيادة على الفرائض بل لكونها زيادة له عليه السلام في الدرجات على ما قاله مجاهد والسدي فانه عم مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فيكون تطوعه زيادة في درجاته بخلاف من عداه من الامة فان تطوعهم لتكثير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع في فرائضهم وانتصابها اما على المصدرية بتقدير تنفل او بجعل تهجد بمعناه او بجعل نافلة بمعنى تهجد فان ذلك عبادة زائدة واما على الحالية من الضمير الراجع الى القرآن اى حال كونها صلوة نافلة واما على المفعولية بتهجد اذا جعل بمعنى صل وجعل الضمير المجرور للبعض اى فصل في ذلك البعض نافلة لَكَ عَسٰى اَنْ يَّبْعَثَكَ رَبُّكَ الذي يبلغك الى كمالك اللائق بك من بعد الموت الاكبر لما انبعث من الموت الذي هو الموت الاصغر بالصلوة والعبادة مَقَامًا نصب على الظرفية على اضمار فيفيدك او تضمين البعث معنى الاقامة اذ لا بد ان يكون العامل في مثل هذا الظرف فعلا فيه معنى الاستقرار ويجوز ان يكون حالا بتقدير مضاف اى يبعثك ذا مقام محمودا عندك وعند جميع الناس وفيه تهويل

لسنة قيام الليل روى ابو هريرة رضه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذي اشفع فيه لامتي
وعن ابن عباس رضه مقاما يحمدك فيه الاولون والاخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع
ليس احد الا تحت لوائك وعن حذيفة رضه يجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم نفس فاول مدعو محمد عليه السلام فيقول لبيك
وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت عبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت
سبحانك رب البيت وقل رب ادخلني اي القبر مدخل صدق اي ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث
مخرج صدق اي اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة فهو ملقب للبعث على دعاء وعده من المقام المحمود بالاقامة فيه او الى
لاكرامة فوقها وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة تغليبا بتيسير الوجوه لكن الادخال المتقدم وقيل ادخاله مكة
ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة
واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح
على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا كقوله وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف
اي لم يدع فلم يبق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا ناصرا للاسلام مظهرا له
على الكفر فاجيبت دعوته عم بقوله والله يعصمك من الناس فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله
ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق وزهق الباطل اي جاء الاسلام والوحي الثابت الراسخ وزهق اي ذهب
وهلك الشرك والكفر وتسويلات الشيطان من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان شانه ان كان زهوقا اي
ان يكون مضمحلا غير ثابت وهو عدة كريمة باجابة الدعاء بالسلطان النصير التي لقنه عن ابن مسعود رضه انه عم دخل مكة
يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة كانت بيده في عينيه واحدها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى
جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم فصعد فرمى به فكسره وننزل من القرآن
وقرئ ننزل من الانزال ما هو شفاء لما في الصدور من ادواء الريب واسقام الاوهام ورحمة للمؤمنين
به العالمين بما فيه تضاعيف اي هو في دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن تبعيضية فقدم على المبتغى
اعتناء فان كل القرآن كذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله وتبعيضية بحسب الاوقات
بعضه يكفي لكل ما انما ننزل في كل نوبة ما يستدعي الحكمة نزوله ثم ينتفع بذلك من نزل عليهم بسبب موافقته لاحوالهم
الداعية الى نزوله موقع الدواء الشافي المصادف لابانه من المرضى المحتاجين اليه بحاله من غير تقدم ولا تاخر فلا
يعني منه ببعضه شفاء لكل فان حينئذ بل عند تنزله وتحقق التبعيض باعتبار الشفاء الحاصل لما في الوقت وايات الشفاء لا عدم
قوله ولا يزيد الظالمين الا خسارا اي لا يزيد القرآن كلا او كل بعض الكافرين المكذبين به الواضعين الشيء في غير موضعه مع كونه في نفسه
شفاء من الاسقام الا خسارا اي هلاكا لكفرهم بتكذيبهم لا لنقصان فيه فان ما بهم من ادواء الكفر والضلال حقيق بان يعبر
عنه بالهلاك لا بالنقصان المنبئ عن حصول بعض مبادي الاسلام فيهم وزيادتهم في مراتب الهلاك من حيث انهم كلما جددوا الكفر والتكذيب
بالآيات النازلة تدريجا ازدادوا بذلك هلاكا وفيه ايماء الى ان ما بالمؤمنين من الشكوك والشبه المعترية لهم في اثناء الاهتداء
والاسترشاد بمنزلة الامراض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك واسناد الزيادة المذكورة الى القرآن مع انهم المزدادون
في ذلك بسوء صنيعهم باعتبار كونه سببا لذلك وفيه تعجيب من امره من حيث كونه مدارا للشفاء والهلاك واذا انعمنا على الانسان
بالصحة والسعة اعرض عن ذكرنا فضلا عن القيام بمواجب الشكر ونأى بجانبه اي تباعد عن طاعتنا بجانبه الثاني بالجانب ان
يلوي عن الشيء عطفه ويوليه عرض وجهه فهو تاكيد للاعراض او عبارة عن الاستكبار لانه من ديدن المستكبرين واذا مسه

اي على الكفر
وابى الكل

الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل وفي اسناد المس الى الشر بعد اسناد الانعام الى ضميره جلاله ايذان
بان الخير مراد بالذات والشر ليس كذلك كان يؤسا شديد اليأس من روح الله وهذا وصف للجنس باعتبار بعض افراده
ممن هو على هذه الصفة فلا ينافيه قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ونظايره فان ذلك شأن بعض منهم وقيل
اريد به الوليد بن المغيرة وقرئ ناء على القلب كما يقال راء في راى او على انه بمعنى نهض قل كل اى كل واحد منكم ومنهم
على خلافكم يعمل على شاكلته طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه
فربكم الذي براكم على هذه الطبايع المتخالفة اعلم بمن هو اهدى سبيلا اى اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت
الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسئلونك عن الروح الظاهر ان السؤال كان عن حقيقة الروح الذي
هو مدبر البدن الانسانى ومبدأ حيوته روى ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين
وعن الروح فان اجاب عنها جميعا او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم
امر الروح وهو مبهم في التورية قل الروح اظهر في مقام الاضمار لاظهار كمال الاعتناء بشأنه من امر ربي كلمة من بيانية
والامر بمعنى الشأن والاضافة للاختصاص العلمي لا الايجادي لاشتراك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما في
الاضافة الثانية من تشريف المضاف اليه اى هو من جنس ما استأثر الله تعالى بعلمه من الاسرار الخفية التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر
وما اوتيتم من العلم الا قليلا لا يمكن تعلقه بامثال ذلك روى انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب
قال صلى الله عليه وسلم بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وتارة تقول
هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الآية وما قالوه لسوء فهمهم فان الحكمة الانسانية ان يعلم
من الخير ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينتظم به المعاش والمعاد وذلك بالاضافة الى ما لا نهاية له من متعلقات علمه تعالى قليل لكنه
عند كثير في نفسه او بالنسبة الى الانسان او هو من الابداعيات الكائنة بمحض الامر التكويني من غير تحصل من مادة وتولد
من اصل كاعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مباديه ما دل على انه من عالم الامر لا من عالم الخلق وكلمة من هذا اى قبيل
قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان ذلك عبارة عن سرعة التكوين سألوا كان الروح
من عالم الامر او من عالم الخلق وفيه تنبيه على انها لا يحيط بكنهها دائرة ادراك البشر وانما الممكن هذا القدر الاجمالي المندرج تحت قوله تعالى
وما اوتيتم من العلم الا قليلا الا علما قليلا تستفيدونه من طرق الحواس فان تعقل المعارف النظرية انما هو من احساس الجزئيات
ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله التي تدور عليها معرفة ذاته وانما ذكر
على السؤال من توهم قدمه وحدوثه وجعلها اخبارا بحدوثه اى كائن بتكوينه حادث باحداثه بالامر التكويني مع عدم ملائمته لحال
السائلين لا عرض السؤال عن حقيقة علمهم فان ما سألوا عنه مما يبين به علمهم ح وقد اخبر عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم روحاني
اعظم من الملك وقيل جبريل عليه السلام وقيل القران ومعنى من امر ربي من وحيه وكلامه لا من كلام البشر ولئن شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك من القران الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع للعلوم التي اوتيتموها وثبتناك عليه
حتى كانوا يفتنونك عنه ولولاه لكدت تركن اليهم شيئا قليلا وانما عبر عنه بالموصول تفخيما لشانه ووصفا له بما في حيز الصلة
ابتداء واعلاما بحاله من اول الامر وبانه ليس من قبيل كلام المخلوق واللام موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء
الشرط وبذلك حسن حذف مفعول المشية والمراد من الذهاب بالمحو عن المصاحف والصدور وهو ابلغ من الاذهاب وعن ابن مسعود رضي الله
عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن
تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فيقول رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا

ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلاً فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب ثم لا تجد لك به اي بالقرآن
علينا وكيلاً من يتوكل علينا استرداده مسطوراً محفوظاً الا رحمة من ربك فانها ان نالتك لعلها تسترده عليك ويجوز
ان يكون استثناء منقطعاً بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتناناً بابقائه بعد المنة بتنزيله وترغيباً
في المحافظة على اداء حقوقه وتحذيراً من ان لا يقدر قدره الجليل ويفرط في القيام بشكره وهو اجل النعم واعظمها ان فضله كان عليك
كبيراً كارساله وانزال الكتاب عليك وابقائه في حفظك وغير ذلك قل للذين لا يعرفون قدر جلالة التنزيل ولا يفهمون فخامة شأنه
الجليل بل يزعمون انه كلام البشر لئن اجتمعت الانس والجن اي اتفقوا على ان يأتوا بمثل هذا القرآن المنعوت
بما لا تدركه العقول من النعوت الجليلة في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى وتخصيص الثقلين بالذكر لان المنكر لكونه من عند الله تعالى
منهما لا من غيرهما لا لان غيرهما قادر على المعارضة لا يأتون بمثله اوثر الاظهار على ايراد الضمير الراجع الى المثل المذكور احترازاً
عن ان يتوهم ان له مثلاً معيناً وايذاناً بان المراد نفي الاتيان بمثل ما اي لا يأتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم
العرب العاربة ارباب البراعة والبيان وهو جواب القسم الذي ينبئ عنه اللام الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولولا هي لكان جواباً له
بغير جزم لكون الشرط ماضياً كما في قول زهير وان اتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غائب مالي ولا حرم وحيث كان المراد بالاجتماع
على الاتيان بمثل القرآن مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان التصدي للمعارضة من كل واحد منهم على الانفراد او من المجموع بان يتألبوا
على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضد الانظار قيل ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً اي في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان
بمثله وهو عطف على مقدر اي لا يأتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيراً لبعض ولو كان الخ وقد حذف المعطوف عليه حذفاً مطرداً لدلالة
المعطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثله حيث انتفى عند التظاهر فلان ينتفي عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو
الوصليتين من التاكيد كما مر غير مرة ومحله النصب على الحالية حسبما عطف عليه اي لا يأتون بمثله على كل حال مفروض ولو في هذه
الحال المنافية لعدم الاتيان به فضلاً عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في روم تبديل بعض آياته ببعض ولا مساغ لكون
الآية تقريراً لما قبلها من قوله تعالى ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً كما قيل لكن لا لما قيل من ان الاتيان بمثله اصعب من استرداد عينه
ونفي الشيء انما يقرره نفي ما دونه لا نفي ما فوقه فان اصعبية الاسترداد بغير امره تعالى من الاتيان بمثله مما لا شبهة فيه بل لان الجملة
القسمية ليست مسوقة الى النبي عليه السلام بل الى المكابرين من قبله ولقد صرفنا كررنا ورددنا على انحاء مختلفة توجب
زيادة تقرير وبيان ووكادة رسوخ واطمئنان للناس في هذا القرآن المنعوت بما ذكر من النعوت الفاضلة من كل مثل
من كل معنى بديع هو في الحسن والغرابة واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فابى اكثر الناس اوثر الاظهار
على الاضمار تاكيداً وتوضيحاً الا كفوراً اي الا جحوداً وانما صح الاستثناء من الموجب مع انه لا يصح ضربت الا زيداً لانه متأول
بالنفي كانه قيل ما قبل اكثرهم الا كفوراً وفيه من المبالغة ما ليس في ابوا الايمان لان فيه دلالة على انهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور
من التوقف في الامر ونحو ذلك وانهم بالغوا في عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الاباء وقالوا عند ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم
بالاعجاز التنزيلي وغيره من المعجزات الباهرة متعللين بما لا يمكن في العادة وجوده ولا يقتضي الحكمة وقوعه من الامور كما هو ديدن
المبهوت المحجوج لن نؤمن لك حتى تفجر وقرئ بالتشديد لنا من الارض ارض مكة ينبوعاً عيناً لا ينضب
ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او يكون لك جنة اي بستان يستر اشجاره ما تحتها من العرصة
من نخيل وعنب فتفجر الانهار اي تجريها بقوة خلالها تفجيراً كثيراً والمراد اما اجراء الانهار خلالها عند سقيها
او ادامة اجرائها كما ينبئ عنه الفاء لا ابتداؤه او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً جمع كسفة كقطعة وقطع
لفظاً ومعنى وقرئ بالسكون كسدرة وسدر وهي حال من السماء والكاف في كما في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف

قاضی

اليعبوب الفرس الكثير الجري والنهر الشديد الجريان صح

نضب الماء اي ذهب وغار في الارض صحاح

اى اسقاطا مماثلا لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى او تسقط علينا كسفا من السماء او تاتى بالله والملئكة قبيلا اى مقابلا
كالكفيل والمعاشر او كفيلا يشهد بصحة ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال الملئكة محذوفة لدلالتها عليها اى والملئكة قبالى كالصف
الجزء قوله فاتى وقبائلها بها الغريب او جماعة فيكون حالا من الملئكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد زينت
واصله الزينة او ترقى فى السماء اى فى معارجها فحذف المضاف ويقال رقى فى السلم وفى الدرجة ولن نؤمن لرقيك
اى لاجل رقيك فيها وصعوده اولن نصدق رقيك فيها حتى تنزل منها علينا كتابا فيه تصديقك نقرؤه نحن من غير
ان نتلقى من قبلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال عبد الله بن ابى امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها
وتاتى معك ببطاقة منشورة معه اربعة من الملئكة يشهدون انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الباطلة
الا العناد واللجاج ولو انهم اوتوا اضعاف ما اقترحوا من الايات ما ازادهم ذلك الا مكابرة ولا فقد كان يكفيهم بعض ما شاهدوا
من المعجزات التى تخر لها صم الجبال قل تعجبا من شدة شكيمتهم وتنزيها لساحة النبى عما لا يليق بها من مثل هذه الاقتراحات
الشنيعة التى تكاد السموات يتفطرن بها او عن طلبك ذلك تنبيها على بطلان ما قالوه سبحان ربى هل كنت الا بشرا
لا ملكا حتى يتصور منى الرقى فى السماء ونحو رسولا مامورا من قبل ربى بتبليغ الرسالة من غير
ان يكون لى خيرة فى الامر كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله تعالى على ايديهم حسبما يلائم حال قومهم ولم يكن
اقتراح الايات اليهم ولا لهم ان يحكموا على الله بشئ منها وقوله بشرا خبر لكنت ورسولا صفته وما منع الناس اى الذين حكيت
اباطيلهم ان يؤمنوا مفعول ثان لمنع وقوله اذ جاءهم الهدى اى الوحى ظرف لمنع او ليؤمنوا اى وما منعهم وقت
مجئ الوقت المؤون بالمعجزات المستدعية للايمان ان يؤمنوا بالقرآن وبنبوتك الا وقت منعهم ان يؤمنوا بذلك وقت مجئ ما ذكر
الا ان قالوا فى محل الرفع على انه فاعل منع الى الاقوالهم ابعث الله بشرا رسولا منكرين ان يكون رسول الله تعالى
من جنس البشر وليس المراد ان هذا القول صدر عن بعضهم فمنع بعضا آخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل للكل
المستتبع لهذا القول منهم وانما عبر عنه بالقول ايذانا بانه مجرد قول يقولونه بافواههم من غير ان يكون له مفهوم ومصداق وصح
المانع من الايمان فيما ذكر مع ان لهم موانع شتى لان انه معظمها او لانه هو المانع بحسب الحال عند سماع الجواب بقوله تعالى
هل كنت الا بشرا رسولا اذ هو الذى يتشبثون به حتما من غير ان يخطر ببالهم شبهة اخرى من شبههم الواهية وفيه
ايذان بكمال عنادهم حيث يشير الى ان الجواب المذكور مع كونه حاسما لمواد شبههم ملجما لهم الى الايمان يعكسون الامر ويجعلونه
مانعا منه قل لهم اولا من قبلنا تبيينا للحكمة وتحقيقا للحق المزيح للريب لو كان اى لو وجد واستقر فى الارض
بدل البشر ملئكة يمشون مطمئنين قارين فيها من غير ان يعرجوا الى السماء ويعلموا ما يجب ان يعلم لنزلنا عليهم
من السماء ملكا رسولا يهديهم الى الحق ويرشدهم الى الخير لتمكنهم من الاجتماع والتلقى منه واما عامة البشر فهم
بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف وهى منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم لمراعاة الحكمة التى عليها مدار التكوين
والتشريع وانما يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين كلا
العالمين الروحانى والجسمانى ليتلقوا من جانب ويلقوا الى الجانب وقوله ملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون
موصوفا به وكذلك بشرا فى قوله لو كان الله بشرا رسولا والاول اولى قل لهم ثانيا من جهتك بعد ما قلت لهم
من قبلنا ما قلت وبينت لهم ما يقتضيه الحكمة فى البعثة ولم يرضوا اليه رأسا كفى بالله وحده شهيدا على ان ادعيتا
ما علمتى من مواجب الرسالة الكمل اداء وانكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب والعناد وتوجيه الشهادة الى كونه رسولا
باظهار المعجزة على وفق دعواه كما اختر لآبائه عدة قوله بينى وبينكم وما بعده من التعليل حينئذ لم يقل بيننا تحقيقا
للمفارقة والبائنة للمباينة وشهيدا اما حال او تمييز انه كان بعباده من المرسل والمرسل اليهم خبيرا بصيرا

اول — ومن يك امسى بالمدينة رحله

الاقتراح سؤال الشئ من غير روية

البيضاوى

محيطا

محيطا بظواهر اعمالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهد الله
كلام مبتدا يفصل ما اثير اليه الكلام السابق من مجازاة العباد اشارة اجمالية اى من يهده الله الى الحق بما جاء من قبله من الهدى
فهو المهتدى اليه والى ما يؤدى اليه من الثواب او المهتدى الى كل مطلوب ومن يضلل اى يخلق فيه الضلال بسوء اختياره كهؤلاء
المعاندين فلن تجد لهم اولى ثم ضمير الجماعة اعتبارا لمعنى من عقب او شرف مقابلة الافراد نظرا الى لفظها ثم لوحظ طريق
الحق وظلمة سالكيه وبعد سبيل الضلال وكثرة الضلال اولياء من دونه من دون الله تعالى اى انصارا يهدونهم الى طريق الحق
يوصلهم الى مطالبهم الدنيوية او الاخروية او الى طريق النجاة من العذاب الذى يستدعيه ضلالهم على معنى ان لكل احد منهم وليا
على ما يقتضيه قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الآحاد ونحشرهم التفات من الغيبة الى التكلم ايذانا بكمال الاعتناء بامر الحشر
يوم القيامة على وجوههم حال من الضمير المنصوب اى كائنين عليها سحبا كقوله تعالى يسحبون فى النار على وجوههم او مشيا
فقد روى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال الذى امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم
عميا حال من الضمير المجرور فى الحال السابقة وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا ينطقون ما يقبل منهم ولا يسمعون
ما يلذ مسامعهم لما كانوا فى الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يسمعونه ويجوز ان يحشروا بعد الحساب الموقف
الى الناموس فى القوى والحواس وان يحشروا كذلك يعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكاتهم بهذه المشاعر فى بعض المواطن
مما لا ريب فيه مأواهم جهنم المآل او استئناف وكذا قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا اى كلما سكن لهبها
بان اكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم ما يتعلق به النار وتحرقه زدناهم توقدا بان بدلنا لهم جلودا غيرها فعادت ملتهبة
ومستقرة ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكرير امثالها مرة بعد اخرى ليروها عيانا حيث لم يعلموا برهانا
كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك اى ذلك العذاب جزاؤهم بانهم اى بسبب انهم كفروا بآياتنا العقلية والنقلية
الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك مبتدا وجزاؤهم خبره ويجوز ان يكون مبتدا ثانيا وبانهم خبره والجملة خبر الاول
وان يكون جزاؤهم بدلا من ذلك او بيانا له والخبر هو الظرف وقالوا منكرين اشد الانكار ائذا كنا عظاما ورفاتا
انا لمبعوثون خلقا جديدا اما مصدر مؤكد من غير لفظه اى مبعوثون بعثا جديدا او حال اى مخلوقين مثابتين
اولم يروا اى اولم يتفكروا اولم يعلموا ان الله الذى خلق السموات والارض من غير مادة مع عظمها قادر على ان يخلق
مثلهم فى الصغر على ان المثل مقحم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقا جديدا وجعل لهم اجلا لا ريب فيه
عطف على اولم يروا فانه فى قوة قدر والمعنى قد علموا ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم
من الناس وجعل لهم ولبعثهم اجلا محققا لا ريب فيه هو القيمة فابى الظالمون وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد
بلجة الا كفورا اى جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى خزائن رزقه الذى افاضها على كافة الموجودات
وانتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حاتم لو ذات سوار لطمتنى لهان وفائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاتصاف اذا
لامسكتم بلخلتم خشية الانفاق مخافة النفاد بالانفاق اذلين فى الدنيا احد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو اثر غيره
بشئ فانما يؤثره لعوض يفوقه فاذن هو بخيل بالاضافة الى جود الله سبحانه وكان الانسان قتورا مبالغا فى البخل لان مبنيه
على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض بما يبذله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات واضحة الدلالة
على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله وهى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات
وقيل انفجار الماء من الحجر ونتق الطور على بنى اسرائيل وانفلاق البحر بدل الثلث الاخيرة وياباه ان هذه الثلث لم تكن منزلة
اذ ذاك وان الاولين لا تعلق لهما بنو عون وانما اوتيهما بنو اسرائيل وعن صفوان بن عسال ان يهوديا قال لنبى عم

اجره

اي بنوا اسرائيل

عنها فقال ان لا تشركوا به شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا — اي عن الآيات التسع ٣
ولا تمشوا ببري الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنة ولا تولوا الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت
فقبل اليهودي يديه ورجليه عليه السلام ولا عن ايضا ما ذكره ولعل جوابهم بتلك لما انه المهم للسائل وقبوله لما انه كان في التورية
مسطورا وقد علم انه ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من جهة الوحي فاسأل بني اسرائيل وقرئ فسل اي فقلنا له
سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم او عن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك ويؤيده قراءة رسول الله
على صيغة الماضي وقيل الخطاب للنبي عليه السلام اي فاسالهم عن تلك الآيات لتزداد يقينا وطمأنينة او ليظهر صدقك اذ جاءهم
متعلق بقلنا او بسال على القراءة المذكورة او بآتينا او بمضمر هو يخبروك او اذكر على تقدير كون الخطاب للرسول عم فقال له فرعون
الفاء فصيحة اي فاظهر عند فرعون ما آتيناه من الآيات البينات وبلغه ما ارسل به فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا
سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت ما انزل هؤلاء يعني الآيات التي اظهرها الا رب السموات والارض خالقهما
ومدبرهما والمتوصل لربوبيته لهما لان احدا لا يقدر على ايتاء مثل تلك الآيات العظام الا خالقهما ومدبرهما بصائر
العلم — حال من الآيات اي بينات مكشوفات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وتكابر نحو وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ومن ضرورة ذلك
العلم بانه عم على كمال حصانة العقل فضلا عن توهم المسحورية وقرئ علمتُ على صيغة المتكلم اي لقد علمت بيقين ان هذه الآيات
الباهرة انزل الله سلطانه فكيف يتوهم ان يحوم حولي وانّي لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا
على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا ولقد قارع عم ظنه بظنه وشتان بينهما كيف لا وظن فرعون
افك مبين وظنه عم يتاخم اليقين فاراد اي فرعون ان يستفزهم اي يستخفهم ويزعجهم من الارض اي ارض مصر — الازعاج
او من الارض مطلقا بالقتل كقوله سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره واستفززناه — القلع ٤١
وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد اغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد
الآخرة الكرة الآخرة او الحيوة او الساعة او الدار الآخرة اي قيام الآخرة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم
ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا
بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه او ما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول
الا محفوظا من تخليط الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له اول الامر وآخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع
بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب وهو تحقيق لحقية بعثته عم اثر تحقيق حقية انزال القرآن وقرآنا منصوب بمضمر يفسره
قوله تعالى فرقناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه لتقراه على الناس على مكث على مهل وتثبت فانه ايسر للحفظ
واعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة ويقع من الحوادث والواقعات قل
للذين كفروا آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم به لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا ان الذين اوتوا العلم
من قبله اي العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق
والباطل والمحق والمبطل ورأوا فيها نعتك ونعت ما انزل اليك اذا يتلى اي القرآن عليهم يخرون للاذقان اي يسقطون
على وجوههم سجدا لامر الله تعالى او شكرا لانجاز ما وعد به في تلك الكتب من نعتك وتخصيص الاذقان بالذكر للدلالة على اختصاص — السجدة
الخرور بها كما في قوله فخر صريعا لليدين وللفم وهو تعليل لما يفهم من قوله تعالى آمنوا به او لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك اي ان لم تؤمنوا
به فقد آمن احسن ايمان من هو خير منكم ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل تسل بايمان — اي لا تغتر
العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم ويقولون في سجودهم سبحان ربنا عما يفعل الكفرة من التكذيب

او

او عن خلف وعده إن كان وعد ربنا مفعولا إن مخففة من المثقلة واللام فارقة اى ان الشان هذا ويخرون للاذقان
كرر الخرور للاذقان لاختلاف السبب فان الاول لتعظيم الله او انكار الاخبار الوعد والثانى لما اثر فيهم من مواعظ القرآن يبكون
حال كونهم باكين من خشية الله ويزيدهم اى القرآن بسماعهم خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
نزل حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا عن عبادة الهين وهو يدعو الها آخر
وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله تعالى في التوراة والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما عبارتان عن ذات واحدة
وان اختلف الاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذى هو المعبود وعلى الثانى انهما سيان في حسن الاطلاق والاقتضاء الى المقصود
وهو اوفق لقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه
وايا للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما مزيدة لتاكيد ما في اى من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له بالاسم
وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه اذ حسن جميع اسمائه
يستدعى حسن ذينك الاسمين وكونهما حسنى لدلالتهما على صفات الكمال من الجلال والجمال والاكرام ولا تجهر بصلوتك اى بقراءة
صلوتك بحيث تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها اى بقراءتها بحيث لا تسمع من خلفك
من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا اى بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور سبيلا اى طريقا وسطا قصدا فان خير الامور اوسطها
والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار ارائة يتوجه اليه المتوجهون ويؤمه المقتدون ويوصلهم الى المطلوب ورد ان ابا بكر يخفت بقول
انا اجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضه كان يجهر بها ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت او رسول الله عليه السلام
ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها بل ابتغ بين ذلك سبيلا
بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقيل بصلوتك بدعائك وذهب قوم الى انها منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقل
الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا كما يزعم اليهود والنصارى وبنو مليح حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملئكة بنات الله
تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم يكن له شريك في الملك اى الالوهية كما يقول الثنوية القائلون بتعدد الآلهة ولم يكن له ولي
من الذل ناصر ومانع لاعزازه به ولم يوال احدا من اجل مذلة ليدفعها به وفي التعرض في اثبات الحمد لهذه الصفات الجليلة ايذان
بان المستحق للحمد من هذه نعوته دون غيره آذن بذلك تمام الكمال والقدرة التامة على الايجاد وما يتفرع عليه من افاضة انواع النعم وما عداه
ناقص مملوك نعمة او منعم عليه وتلك على ما علمت عليه قوله تعالى وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتحميد
والتمجيد واجتهد في الطاعة والتوحيد ينبغي ان يعترف بالقصور في ذلك روى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا فصح
الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين
كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية الحمد لله سبحانه ولا الكبرياء والعظمة والجبروت

سورة الكهف مائة وعشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انزل على عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الكتاب اى الكتاب الكامل الغنى عن الوصف بالكمال المعروف
بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل حتى كما قرء ابى وفي وصفه تعالى
بالموصول اشعار بعلية ما في حيز الصلة لاستحقاق الحمد وايذان بعظم شان التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة الدارين
وفي التعبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبد مضافا الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه رتبة الاعلى معارج العبادة وتشريفه الاتى تشريف
واشعار بان شان الرسول ان يكون عبدا للمرسل لا كما زعت النصارى في حق عيسى وفي تاخير المفعول التقريع على الجار والمجرور مع ان حقه
التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى ولم يجعل له عوجا اى شيئا من العوج بنوع اختلال في النظم وتناف في المعنى وانحراف عن الاعتدال

قوله شيئا من العوج
لان النكرة اذا كان دخول
في حيز النفي يفيد العموم
كما مر في

الى الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان وأما قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا مع كون الجبال من الاعيان فللدلالة على انتفاء
ما لا يدرك من العوج بحاسة البصر بل انما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية وقلما كان مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة
عد من قبيل ما في المعاني وقيل الفتح في اعوجاج المنتصب كالعود والحائط والكسر في اعوجاج غيره عينا كان او معنى قيما بالمصالح الدينية
والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الانذار والتبشير فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على ما قبله من الكتب السماوية وشاهدا
بصحتها ومهيمنا عليها او متناهيا في الاستقامة فيكون تأكيدا لما دل عليه نفي العوج مع افادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له
صيانة عن ان تضيفه الا انه نفي عنه العوج تقديرا جعله قيما واما على تقدير كونها حالية فهو على الحالية من الكتاب اذ لا فصل حينئذ بين البعض
المعطوف عليه وقرئ قيما لينذر متعلق بأنزل والفاعل ضمير الجلالة كما في الفعلين المعطوف عليه والالتفات عن ذكر المفعول الاول
للايذان بان ما سيق له الكلام هو المفعول الثاني وان الاول ظاهر لاحاجة الى ذكره اي انزل الكتاب لينذر عاقبة الذين كفروا بأسا
اي عذابا شديدا من لدنه اي صادرا من عنده نازلا من قبله عقابا لكفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة
وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر بالتشديد وقرئ بالتخفيف المؤمنين المصدقين به الذين يعملون
الصالحات الاعمال الصالحة التي بينت في تضاعيف وآثار صيغة الاستقبال في الصلة للاشعار بتجدد الاعمال الصالحة واستمرارها
واجراء الموصول على موصوف المذكور لما ان مدار قبول الاعمال هو الايمان ان لهم اي بان لهم بمقابلة ايمانهم واعمالهم المذكورة
اجرا حسنا هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى ماكثين حال من الضمير المجرور فلهم فيه اي في ذلك الاجر ابدا من غير
انتهاء اي خالدين فيه وهو نصب على الظرفية لماكثين وتقديم الانذار على التبشير لاظهار كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه
مع مراعاة تقديم التخلية على التحلية وتكرير الانذار بقوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بقوله خاصة
ممن عمه الانذار لان سابق من مستحقي البأس الشديد للابذان بكمال فظاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم اي وينذر من بين سائر
الكفرة هؤلاء المتفوهين بمثل تلك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله واليهود القائلون
عزير ابن الله والنصارى القائلون المسيح ابن الله وترك اجراء الموصول على الموصوف كما فعل في قوله تعالى ويبشر المؤمنين للايذان بكفاية
ما في حيز الصلة في الكفر على اقبح الوجوه وآثار صيغة الماضي في الصلة للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق وجعل
المفعول المحذوف فيما سلف عبارة عن هذه الطائفة يؤدي الى خروج سائر اصناف الكفرة عن الانذار والوعيد وتعميم الانذار
هناك للمؤمنين ايضا بجعله على معنى مجرد الاخبار بالجزاء من غير اعتبار طول المنذر به على المنذر كما في قوله تعالى انذر الناس
ويبشر الذين آمنوا ايفضي الى خلو النظم الكريم عن الدلالة على طول البأس الشديد على من عدا هذه الفرقة ويجوز ان يكون الفاعل
في الافعال الثلثة ضمير الكتاب او ضمير الرسول عليه السلام ما لهم به اي باتخاذه سبحانه ولدا من علم مرفوع على الابتداء او الفاعلية
لاعتماد الظرف ومن مزيدة لتأكيد النفي والجملة حالية او مستأنفة لبيان حالهم في امثالهم اي لهم بذلك شيء من علم اصلا لان حالهم
بطريق مع تحقق المعلوم او امكانه بل استحالة في نفسه ولا لآبائهم الذين قلدوهم فتاهوا جميعا في تيه الجهالة والضلالة
او مالهم علم بما قالوه او هو صواب ام غلط بل انما قالوه رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله تعالى وخرقوا له بنين
وبنات بغير علم او بحقيقة ما قالوه وبعظم رتبته في الشناعة كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات
يتفطرن منه آلايات وهو الانسب بقوله تع كبرت كلمة اي عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبة ما لا يليق
بجناب كبريائه والفاعل في كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بما قالوا وكلمة نصب على التمييز او ضميرهم مفسر بما بعده من النكرة
المنصوبة تمييزا كبئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هي كلمة خارجة من افواههم وقرئ كبرت باسكان الباء
واشمام الضم وقرئ كلمة بالرفع تخرج من افواههم صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها واسناد الخروج اليها

مع أن الخارج هو الهواء المكيف بكيفية الصوت الملابسة بها إن يقولون ما يقولون في ذلك الشأن إلا كذبا
لا يكاد يدخل تحت امكان الصدق اصلا والضمير ان لهم ولآبائهم مثل حاله عليه السلام في شدة الوجد لاعراض القوم وتوليهم عن الايمان
وكمال التحير عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند مفارقته احتة اشفاقا على مفارقتهم وتلهفا على مهاجرتهم
فقيل على طريقة التمثيل حملا له صلى الله عليه وسلم على الحذر والاشفاق من ذلك فلعلك باخع اى مهلك نفسك على آثارهم غما ووجدا عليهم
وقرئ بالاضافة إن لم يؤمنوا بهذا الحديث اى القرآن الذى عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة
ما سبق عليه وقرئ ان لم يؤمنوا على ان المفتوحة اى لان لم يؤمنوا فاعمال باخع بجعله على حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل باسط ذراعيه
أسفا مفعول له لباخع اى لوقوط الحزن والغضب او حال تمافيه من الضمير اى متاسفا عليهم ويجوز حمل النظم الكريم على الاستعارة التبعية
بجعل التشبيه بين اجزاء الطرفين لا بين الهيئتين المنتزعتين منهما كما في التمثيلي وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم
إنا جعلنا ما على الأرض استئناف وتعليل للاشفاق لعل من معنى الاشفاق اى انا جعلنا ما عليها من عدا من وجه التكليف
اليه من الزخارف حيوانا كان او نباتا او معدنا كقوله تعالى هو الذى خلق لكم ما في الارض جميعا زينة مفعول ثان للجعل او حال
على معنى التصيير لو حال ان حمل على معنى الايداع فاللام في لها اما متعلقة بزينة او بمحذوف هو صفة لها اى كائنة لها
اى ليتمتع بها الناظرون من المكلفين وينتفعوا بها نظرا او استدلالا فان الجناب والعقاب من حيث تذكيرهما العذاب الآخرة
من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالته على وجود الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد ايضا
من زينة الحيوة الدنيا بل اعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فانهم من جملة انسابهم الى اصحابهم داخلون تحت الزينة
ومن جهة كونهم مكلفين داخلون تحت الابتلاء لنبلوهم متعلق بجعلنا اى جعلنا ما جعلنا للناظرين معاملة من يختبرهم
أيهم أحسن عملا فنجازيهم بالثواب والعقاب حسبما تبين المحسن من المسئ وامتازت طبقات افراد كل منهما الموبنين حسب
امتياز مراتب علومهم المترتبة على انظارهم وتفاوت درجات اعمالهم المتفرعة على ذلك كما قررناه في مطالع سورة وآتى اما
مرفوعة بالابتداء واحسن خبرها والجملة في محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر
ولذلك اجرى مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية وأما موصولة بمعنى الذى واحسن خبر مبتدا مضمر والجملة صلة لها
وهي في حيز الصلة النصب بدلا من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلو الذى هو احسن عملا فيجعل ان يكون الفتنة في اتهم
للبناء كما في قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد عتيا على احد الاقوال لتحقق شرط البناء الذى هو الاضافة لفظا
وحذف صدر الصلة وان يكون للاعراب وان ما ذكر شرط لجواز البناء لا للوجوب وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاغترار بها
والقناعة باليسير منها والحرص فيها على ما ينبغي والتأمل في شانها وجعلها ذريعة الى ذريعة خالقها والتمتع بها حسبما اذن الشرع
واداء حقوقها وان كلها لا اجمادا وما وسيلة الى الشهوات والاغراض الفاسدة كما يفعله الكفرة واصحاب الاهواء وايراد صيغة
التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المتفاوتة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للاشعار
بان الغاية الاصلية للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين على ما حقق في تفسير قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا
وانا لجاعلون فيما ياتي عند تناهي عمر الدنيا ما عليها من المخلوقات قاطبة بافنائها بالكلية وانما اخر في مقام الاظهار
لزيادة التقرير او لادراج المكلفين فيه صعيدا مفعول ثان للجعل والصعيد التراب او وجه الارض قال ابو عبيدة هو
المستوى من الارض وقال الزجاج هو الطريق الذى لا نبات فيه جرزا ترابا لا نبات فيه بعد ما كان ينتجب من بهجة
النظار ويتشرف بشاهدة الابصار يقال ارض جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء جرزت الارض
فهي مجروزة اى ذهب نباتها بقحط او جراد او شاة والابل اذا اكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في الآية من التعليل

استئنافية

والمعنى لا تحزن بما عاينت من القوم من التكذيب لما انزلنا عليك من الكتاب فانا قد جعلنا ما على الارض من فنون الاشياء زينة لها
لنختبر اعمالهم فنجازيهم بحسبها وانا لمفنون جميع ذلك عن قريب ومجازون لهم بحسب اعمالهم ام حسبت الخطاب لرسول الله
والمراد انكار حسبان امته وام منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث الى حديث لا للابطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور
وببل وحدها عند غيرهم اى بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا في ابقائهم على الحيوة مدة طويلة من الدهر
من آياتنا من بين آياتنا التي من جملتها ما ذكرنا من جعل ما على الارض زينة لها للحكمة المشار اليها ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا
كان لم تغن بالامس عجبا اى آية ذات عجب وضعا له موضع المضاف او وصفا لذلك بالمصدر مبالغة وهو خبر لكانوا
ومن آياتنا حال منه والمعنى ان قصتهم وان كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة الى سائر الآيات التي من جملتها
ما ذكر من عجائب خلقه تعالى بل هي عندنا كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم كلبهم قال امية بن ابي الصلت
وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب
الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقمة الوادي اى جانبه وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان
وايلة دون فلسطين وقيل اصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم احسن عمله على ما فصل
في الصحيحين اذ اوى الفتية ظرف لعجبا لا لحسبت او مفعول لاذكر اى حين التجأ الفتية اى اصحاب الكهف
اوثر الاظهار على الاضمار لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية من اشراف الروم اراد هم
دقيانوس على الشرك فهربوا منه بدينهم ولان صاحبية الكهف من فروع التجائهم الى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل ما
الى الكهف يجعلهم بجلوس واتخذوه مأوى فقالوا ربنا آتنا من لدنك من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة
عن عيون اهل العادات ومن ابتدائية متعلقة بآتنا او بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخر
لكانت صفة له اى كائنة من لدنك رحمة خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا
الذي نحن فيه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك واصل التهيئة احداث هيئة الشيء اى اصلح ورتب واتمم لنا
من امرنا رشدا اصابة للطريق الموصل الى المطلوب واهتداء اليه وكلا الجارين متعلق بهيئ لاختلافهما في المعنى
وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تأخير ما حقه التقديم عما هو من
احواله المرغبة فيه مما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وكذا الكلام
في تقديم قوله تعالى من لدنك على تقدير تعلقه بآتنا وتقديم لنا على امرنا للايذان من اول الامر بكون المسئول مرغوبا فيه لديهم او اجعل
امرنا رشدا كله على ان من تجريدية مثلها في قولك رأيت منك اسدا فضربنا على آذانهم اى انمناهم على طريقة التمثيل
المبني على تشبيه الانامة الثقيلة المانعة عن وصول الاصوات الى الآذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الآذان بالذكر
مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم لما انها المحتاج الى الحجب عادة اذ هي الطريقة للتيقظ غالبا
لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الآذان كناية عن الانامة الثقيلة وحمله على تعطيلها كما في قولهم
ضرب الامير على يد الرعية اى منعهم من التصرف مع عدم ملائمته لما سيأتي من البعث لا يدل على النوم مع انه المراد قطعا والفاء في فضربنا
كما في قوله عز وجل فاستجبنا له بعد قوله تعالى اذ نادى فان الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال والبعث
وغير ذلك ايثار رحمة لدنية خافية عن ابصار المتمسكين بالاسباب العادية استجابة لدعوتهم في الكهف ظرف مكان لضربنا
سنين ظرف زمان له باعتبار بقائه لا ابتدائه عددا اى ذوات عدد او تعد عددا على انه مصدر او معدودة على انه بمعنى
المفعول ووصف السنين بذلك اما للتكثير وهو الانسب باظهار كمال القدرة او للتقليل وهو الاليق بمقام انكار كون القصة عجبا

من بين سائر الآيات العجيبة فان مدة لبثهم كبعض يوم عند عز وجل ثم بعثناهم اى ايقظناهم من تلك النومة الثقيلة
الشبيهة بالموت لنعلم بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل بطريق الالتفات وايا ما كان فهو غاية للبعث الحادث
من العلم الحالى الذى يتعلق به الجزاء كما فى قوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا
ونظائرهما التى يتحقق فيها العلم بتحقق متعلقه قطعا فان تحويل القبلة قد ترتب عليه تحزب الناس الى متبع ومنقلب وكذا
مداولة الايام بين الناس ترتب عليه تحزبهم الى الثابت على الايمان والمتزلزل فيه بجعل من التوفيق بين العلم الحالى والاظهار والتمييز فاما
هؤلاء فلم يترتب عليه تفرقهم الى المحصى وغيره حتى يتعلق بهما العلم او الاظهار والتمييز وينتفى نظم شئ من ذلك فى سلك الغاية وانما الذى
ترتب عليه تفرقهم الى مقدر تقديرا غير مصيب ومفوض الى العلم الربانى وليس شئ منهما من الاحصاء فى شئ بل كمال النظم الكريم على التمثيل
المبنى على جعل العلم عبارة عن الاختبار مجازا بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به
عن المختبر قطعا بل قد يكون لاظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى فأتوا بها من المغرب وهو المراد ههنا فالمعنى
بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم اى الحزبين اى الفريقين المختلفين فى مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سيأتى الخصص
اى ضبط لما لبثوا اى للبثهم امدا اى غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك الى العليم الخبير ويتوقفوا حالهم وما صنع الله بهم
من حفظ ابدانهم واديانهم فيزدادوا يقينا بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به او البعث ويكون ذلك لطفا للمؤمنى زمانهم وآية
بينة للكفارهم وقد اقتصر هنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل فيما سيأتى على ما صدر عنهم من التساؤل المؤدى
اليها وهذا اولى من تصوير التمثيل بان يقال بعثناهم بعث من يريد ان يعلم الخ ضمادقع فى تضاعيف قوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا على احد
الوجوه حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان من غيره الثابت اذ ربما يتوهم منه استلزام الارادة
لتحقق المراد فيعود المحذور ومنيصارا الى جعل ارادة العلم عبارة عن الاختبار فاختبروا خبر هذا وقد قرئ ليعلم مبنيا للمفعول
ومبنيا للفاعل من الاعلام على ان المفعول الاول محذوف والجملة المصدرة بأى فى موقع المفعول الثانى فقط ان جعل العلم عرفانيا
وفى موقع المفعولين ان جعل يقينيا اى ليعلم الله الناس اى الحزبين احصى الخ وروى عطا عن ابن عباس رضى الله عنه ان احد الحزبين
الفتية والآخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والاول هو الاظهر فان اللام للعهد ولا عهد
لغيرهم والامد بمعنى المدى كالغاية فى قولهم ابتداء الغاية وانتهاء الغاية وهو مفعول الاحصى والجار والمجرور حال منه قدم عليه لكونه
نكرة وليس معنى احصاء ذلك المدة ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فانه لا يتأتى احصاء بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة
العارضة لها باعتبار قسمتها الى السنين وبلوغها من تلك الحيثية الى مراتب الاعداد على ما يرشدك اليه كون تلك المدة عبارة عما مضى
من السنين ويجوز ان يراد بالامد معناه الوضعى بتقدير المضاف اى الزمان لبثهم وبدونه ايضا فان اللبث عبارة عن الكون المستمر
المنطبق على الزمان المذكور فباعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون له امد لا محالة لكن ليس المراد به ما يقع غاية ومنتهى لذلك
الكون المستمر باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد بالذات وهو ان انبعاثهم من نومهم فان معرفته
من تلك الحيثية لا يخفى على احد ولا يتأتى احصاء كما قبل باعتبار كميته المنفصلة العارضة له بسبب عروضها الزمانة المنطبق هو عليه
باعتبار انقسامه الى السنين ووصوله الى مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق فى الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين
ان ما تعلق به الاحصاء فى الصورة السابقة نفس المدة المنقسمة اليها الى السنين فهو مجموع ثلثمائة وتسع سنين وفى الصورة الاخيرة
منتهى تلك المدة المنقسمة اليها اعنى السنة التاسعة بعد الثلثمائة وتعلق الاحصاء بالامد بالمعنى الاول ظاهر واما تعلقه به
بالمعنى الثانى فباعتبار انتظامه لما لاحقة من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما فى قوله تعالى لما لبثوا مصدرية ويجوز
ان يكون موصولة حذف عائده اى الذى لبثوا فيه من الزمان الذى عبر عنه فيما قبل سنين عددا فالامد بمعناه الوضعى

على تحقيقه وقيل اللام مزيدة والموصول مفعول وأمد انتصب على التمييز وأما قيل من ان احصى اسم تفضيل لانه الموافق لما وقع في سائر الآي الكريمة نحو اتيهم احسن عملا اتيهم اقرب لكم نفعا الى غير ذلك مما لا يحصى وللان كونه فعلا ماضيا يشعر بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم على البعث للابالاحصاء المتأخر عنه وليس كذلك وادعاء ان مجيء افعل التفضيل من المزيد عليه غير قياسي مدفوع بانه عند سيبويه قياس مطلقا وعند ابن عصفور فيما ليست همزته للنقل وللاريب في ان ما لحق فيه من ذاك البقيل وامتناع عمله انما هو في غير التمييز من المعمولات وأما ان التمييز يجب كونه فاعلا في المعنى فلما نع ان يمنعه بصحة ان تقال انهم احفظ لهذا الشرود ثنا او تقطيعا او تقال ان العامل في امدا فعل محذوف يدل عليه المذكور اى يحصى لما لبثوا امدا كما في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا وحديث الوقوع في المحذور بلا فائدة مدفوع بما اشير اليه من فائدة الموافقة للنظائر مع ما فيه من الاعتساف وتطلل بمعزل من السداد لان مؤداه ان يكون المقصود بالاختبار اظهار افضل الحزبين وتميزه عن الادنى مع تحقق اصل الاحصاء فيهما ومن البين ان لا تحقق له اصلا وان المقصود بالاختبار اظهار عجز الكل عنه رأسا فهو فعل ماض قطعا وتوهم ابدا نه بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم عليه مردود وبان صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية والله اعلم نحن نقص عليك شروع في تفصيل ما اجمل فيما سلف من قوله تعالى اذ اوى الفتية الخ اى نحن نخبرك بتفاصيل اخبارهم وقد مر بيان اشتقاقه في مطلع سورة يوسف عليه السلام نبأهم الخبر الذي له شان وخطر بالحق اما صفة لمصدر محذوف او حال من ضمير نقص او من نبأهم او صفة له على رأي من يرى حذف الموصول مع بعض صلته اى نقص قصصا ملتبسا بالحق او نقصه ملتبسين به او نقص نبأهم ملتبسا به او نبأهم الملتبس به ونبأهم مما ذكره محمد بن اسحق بن يسار انه قد مرح اهل الكتاب وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ في ذلك وطغا عتوا كبيرا دقيانوس فاتته غلافه غلوا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد بالعيث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح ودعاهم الى عبادة الاوثان فمن بين القتل وبين عبادة الاوثان فمن رغب في الحيوة الدنيئة يصنع ما يصنع ومن آثر عليها الحيوة الابدية قتله وقطع ارابه وعلقها في سورة المدينة وابوابها فلما رأى الفتية ذلك وكانوا عظماء مدينتهم وقيل كانوا من اعوان الملك قاموا فتضرعوا الى الله عز وجل واشتغلوا بالصلوة والدعاء فبينا هم كذلك اذ دخل عليهم اعوان الجبار فاحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال وخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فقالوا ان لنا آلهة ملأ السموات والارض عظمة وجبروتة لن ندعو من دونه احدا ولم نقر لما تدعونا اليه ابدا فاقض ما انت قاض فامر فنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة واخرجهم من عنده وخرج هو الى مدينة نينوى ليقضي شانه واهملهم الى رجوعه ليتأملوا في امرهم فان رجعهم والا فعل بهم ما فعل بسائر الممتنعين فاذ معت الفتية على الفور بالذين والتجاءوا الى الكهف الحصين فاخذ كل منهم من بيت ابيه شيئا فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقي فاووا الى الكهف فجعلوا يصلون فيه آناء الليل واطراف النهار ويبتهلون الى الله سبحانه بالانين والبكاء وفوضوا امر نفقتهم الى يملخا فكان اذا اصبح يضع عنده ثيابه الحسان ويلبس ثياب المساكين ويدخل المدينة ويشتري ما يهمهم ويتجسس ما فيها من الاخبار ويعود الى اصحابه فلبثوا على ذلك الى ان قدم الجبار المدينة فطلبهم واحضر آباءهم فاعتذروا بانهم عصوهم وذهبوا اموالهم وبذروها في الاسواق وفروا الى الجبل فلما رأى يملخا ما رأى من الشر رجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه قليل من الزاد فاخبرهم بما شاهده من الهول فوزعوا الى الله عز وجل وفوضوا اليه سبحانه ثم رفعوا رؤسهم وجلسوا يتحدثون فيما بينهم كذلك اذ ضرب الله تعالى على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤسهم فخرج دقيانوس في طلبهم بخيله ورجله فوجدوهم قد دخلوا الكهف فامر باخراجهم فلم يطق احد ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم ابيس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا ويكون كفاية لهم فبر لهم ففعل ثم كان من شانهم ما قص الله عز وعلا منهم انهم فتية استئناف تحقيقي مبني على تقدير السؤال من قبل المخاطب والفتية جمع قلة للفتى كالصبية للصبي آمنوا بربهم اوثر الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية لايمانهم ولاعاة ما صدر

عنهم

عنهم من المقالة حسبما يحكى عنهم وزدناهم هدى بان ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين واظهرنا لهم مكنونات محاسنه وفيه التفات من الغيبة
الى ما عليه سبك النظم سابقا ولاحقا من التكلم وربطنا على قلوبهم اى قويناها حتى اقتحموا مضائق الصبر على هجر الاهل والاوطان
والنعيم والاخوان واجترؤا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا منصوب بربطنا والمراد
بقيامهم انتصابهم لاظهار شعائر الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال اكبرهم انى لاجد فى نفسى شيئا ان ربى
رب السموات والارض فقالوا نحن ايضا كذلك نجد فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض ضمنوا دعواهم ما يحقق فحواها
ويقضى بمقتضاها فان ربوبيته عز وجل لهما تقتضى ربوبيته لما فيهما اى اقتضاء وقيل المراد قيامهم بين يدى الجبار من غير مبالاة به
حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام فحينئذ يكون ما سيأتى من قوله تعالى هؤلاء الخ منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من عنده لن ندعو
لن نعبد ابدا من دونه الها معبودا آخر لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول عن ان يقال ربا للتنصيص على رد المخالفين حيث
كانوا يسمون اصنامهم آلهة وللاشعار بان مدار العبادة وصف الالوهية وللايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الالوهية لا بطريق
المالكية المجازية لقد قلنا اذا شططا اى قولا ذا شطط اى تجاوز عن الحد او قولا هو عين الشطط على انه وصف بالمصدر
مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما انها لا تعرى عن الاعتراف بالوهية المعبود
والتضرع اليه قيل لقد قلنا واذا جواب وجزاء اى لو دعونا من دونه الها والله لقد قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطا فى الظلم
هؤلاء هو مبتدا وفى اسم الاشارة تحقير لهم قومنا عطف بيان له اتخذوا من دونه آلهة خبره وفيه معنى الانكار
لولا يأتون تحضيض فيه معنى الانكار والتعجيز اى هلا يأتون عليهم على الوهيتهم او على صحة اتخاذهم لها آلهة بسلطان
بين بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو تبكيت لهم والفاء فى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه
تعالى عن ذلك علوا كبيرا او المعنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم على انكار الاظلمية من غير تعرض لانكار المساواة
كما حقق فى سورة هود واذ اعتزلتموهم اى فارقتموهم فى الاعتقاد او اردتم الاعتزال الجسمانى وما يعبدون
الا الله عطف على الضمير المنصوب وما موصولة او مصدرية اى اذا اعتزلتموهم ومعبوديهم الا الله او وعبادتهم الا عبادة الله
وعلى التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كاهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم فى عبادة الاوثان ويجوز
كون ما نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه فأووا الى الكهف قال الفراء
هو جواب اذ كما تقول اذ فعلت فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه اى اذا اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم
اعتزالا جسمانيا او اذا اردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء الى الكهف ينشر لكم يبسط لكم ويوسع عليكم ربكم
مالك امركم من رحمته فى الدارين ويهيئ لكم يسهل لكم من امركم الذى انتم بصدده من الفرار بالدين مرفقا
ما ترتفقون وتنتفعون به وقرئ بفتح الميم والفاء مصدرا كالمرجع وتقديم لكم فى الموضعين لما مر مرارا من الايذان من اول
الامر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق الى وروده وترى الشمس بيان لحالهم بعدما اووا الى الكهف ولم يصرح به
ايذانا بعدم الحاجة اليه لظهور جريانهم على موجب الامر به لكونه صادرا عن راى صائب وتعويلا على ما سلف من قوله منه
والخطاب للرسول عم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وليس المراد به الاخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الانباء بكون الكهف بحيث لو رأيته
ترى الشمس اذا طلعت تزاور اى تتزاور اى تتنحى بحذف احدى التائين وقرئ بادغام التاء فى الزاء وتزور كتحمر
وتزوار كتحمار وتزوئر وكلها من الزور وهو الميل عن كهفهم الذى اووا اليه فالاضافة لادنى ملابسة ذات اليمين
اى جهة ذات اليمين الكهف عند توجه الداخل الى قعره اى جانبه الذى يلى المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم واذا غربت
اى تراها عند غروبها تقرضهم من القطيعة والصرم ذات الشمال اى جهة ذات شمال الكهف اى جانبه الذى يلى المشرق

قوله ذا شطط
يشير الى ان قوله تعالى
شططا صفة لمصدر محذوف
بتقدير المضاف لكاتبه

وفى اسم الاشارة
نسخه

وكان ذلك بتصريف الله سبحانه على منهاج خرق العادة كرامة لهم وقوله الخ وهم في فجوة منه جملة حالية مبينة لكون ذلك امرا بديعا
اى ترا ما تميل عنهم يمينا وشمالا ولا تخوم حولهم مع انهم في متسع من الكهف معرض لاصابتها لولا ان صرفتها عنهم بد التقدير ذلك
اى ما صنع الله تعالى بهم من تزاور الشمس وقرضتها حالتي الطلوع والغروب مع كونهم في موضع شعاعها من آيات الله العجيبة الدالة
على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة اهله عند سبحانه وتعالى وهذا قبل الخ سد ذي القرنين باب الكهف وقيل كان باب الكهف
شماليا مستقبل بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرقا راس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مدارة
تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه وتخلل عفونته
وتعدل هواءه ولا يقع عليهم فيوذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ولعل ميل الباب الى جانب الغرب كان اكثر ولذلك لو قع التزاور على عكسهم
والتوضع على انفسهم فذلك الخ اشارة الى ابوابهم الى كهف هذا شانه واما جعلا اشارة الى حفظ الله سبحانه اياهم في ذلك الكهف
تلك المدة الطويلة او اطلاعه سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم على اخبارهم فلا يعارضه ارادته في تضاعيف القصة من يهد الله
الى الحق بالتوفيق له فهو المهتدي الذي اصاب الفلاح والمراد اما الثناء عليهم او الشهادة لهم باصابة المطلوب والاخبار بتحقق الموعود
من نشر الرحمة وتهيئة المرافق او التنبيه على ان امثال هذه الآية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله سبحانه للاستبصار بها
ومن يضلل اى يخلق فيه الضلال بصرف اختياره اليه فلن تجد له ابدا وان بالغت في التتبع والاستقصاء وليا
ناصرا مرشدا يهديه الى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لانك لا تجد مع وجوده او امكانه وتحسبهم
بفتح السين وقرئ بكسرها ايضا والخطاب فيه كما فيما سبق ايقاظا جمع يقظ بفتح القاف وكسرها وهو اليقظان ومدار الحسبان
انفتاح عيونهم على هيئة الناظر وقيل كثرة تقليبهم وللملائمة قوله تعالى وتقلبهم وهم رقود اى نيام وهو تعريض للامم بذكر فيما سلف
اعتمادا على ذكره السابق من القرب على آذانهم وتقلبهم في رقدتهم ذات اليمين نصب على الظرفية اى جهة تلي ايمانهم
وذات الشمال اى جهة تلي شمائلهم كيلا تاكل الارض ما يليها من ابدانهم قال ابن عباس رضه لو لم تقلبوا لاكلتهم الارض قيل
لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة يوم عاشوراء وقيل في كل تسع سنين وقيل تقلبهم على الاسناد الى ضمير الجلالة
وتقلبهم على المصدر منصوبا بمضمر ينبئ عنه وتحسبهم وقرئ تقلبهم اى وترى تقلبهم وكلبهم قيل هو كلب حرسوا به فتبعهم
فطردوه حارسا فلم يرجع فانطلقه الله تعالى فقال لا تخشوا جانبي فاني احب احباء الله فناموا حتى ارسكم وقيل هو كلب راع
قد تبعهم على دينهم وتؤيده قراءة كالبهم اذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد احدهم او زرعه واضلف في لونه فقيل كان ابيض
وقيل اصفر وقيل اصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير وقيل تعود وقيل قطون وقيل توءم قال خالد بن معدان لبس
في الجنة من الدواب الا كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان اسدا باسطا ذراعيه
حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وابي جعفر من البصريين يجوز اعماله مطلقا والذراع
من المرفق الى راس الاصبع الوسطى بالوصيد اى بموضع من الكهف لو اطلعت عليهم اى لو عاينتهم وشاهدتهم
واصل الاطلاع الاشراف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة وقرئ بضم الواو لوليت منهم فرارا هربا مما شاهدت
منهم وهو اما نصب على المصدرية من معنى ما قبله اذ التولية والفرار من واد واحد واما على الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل
اى فارا او بجعل الفاعل مصدرا مبالغة كما في قولها فانما هي اقبال وادبار واما على انه مفعول له ولملئت منهم رعبا
وقرئ بضم العين اى خوفا بملا الصدر وهو اما مفعول ثان او تمييز وذلك بما البسهم الله عز وجل من الهيبة والهيبة
كانت اعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم ولما ياعده قولهم لبثنا يوما او بعض
يوم وقوله ولا يشعرن بكم احدا فان الظاهر من ذلك عدم اختلاف احوالهم في انفسهم وقيل لعظم اجرامهم ولعل تاخير هذا

من ذكر التولية للايذان باستقلال كل منهما في الترتب على الاطلاع اذ لو روعي ترتب الوجود لتبادر الى الفهم ترتب المجموع من حيث
هو عليه وللاشعار بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو المعتاد وعن معاوية رضه لما بلغه ان الروم قد خربوا الكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء
فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضه ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك حيث قال لو اطلعت عليهم الآية قال معاوية لا انتهى
حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاخرقتهم وقرئ بتشديد اللام على التكثير
وابدال الهمزة تاء مع التخفيف والتشديد وكذلك بعثناهم اى كما اميتناهم وحفظنا اجسادهم من البلى والتحلل آية دالة
على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم ليتساءلوا بينهم اى ليسال بعضهم بعضا فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة وجعله غاية
للبعث المعلل فيما سبق بالاضمار من حيث انه من احكامه المترتبة عليه والاقتصار على ذكره لاستتباعه لسائر آثاره قال
استئناف لبيان تساءلهم قائل منهم هو رئيسهم واسمه مكسلمينا كم لبثتم فى منامكم لعله قاله لما راى من مخالفة حالهم
لما هو المعتاد فى الجملة قالوا اى بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم قبل انما قالوه لما انهم دخلوا الكهف غدوة
وكان انقلابهم آخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما رأوا ان الشمس لم تغرب بعد قالوا او بعض يوم وكان ذلك بناء على ظن الغالب
فلم يتفوهوا الى الكذب قالوا اى بعض آخر منهم بعد ما سنح لهم من الادلة او بالهام من الله سبحانه ربكم اعلم بما لبثتم اى انتم لا تعلمون
منه لبثكم وانما يعلمه الله سبحانه وتعالى ردا منهم على الاولين باجمل مما يكون من مراعاة حسن الادب وبه يتحقق التخلص الى المخبر
المعهود بين فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم ولكن فى حالتين ولا باس عن النظم الكريم فان الاستئناف فى الحكاية والمخاطبة
فى المحكى يقضى بان الكلام جار على منهاج المجاورة والمجاورة والا فقيل ثم قالوا ربنا اعلم بما لبثنا فابعثوا احدكم
بورقكم هذه الى المدينة قالوا اعراضا عن التعمق فى البحث واقبالا على ما يهمهم حسب الحال كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة
مضروبة او غير مضروبة ووصفها باسم الاشارة يشعر بان القائل ولیها بعض اصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك قرئ بسكون
الراء مع الادغام وحملهم لها دليل على التردد لا تناقض التوكل على الله تعالى فلينظر ايها اى اى اهلها ازكى احل واطيب
او اكثر وارخص طعاما فليات بكم برزق منه اى من ذلك الازكى طعاما وليتلطف وليتكلف اللطف فى المعاملة
كيلا يغبن او فى الاختفاء لئلا يعرف ولا يشعرن بكم احدا من اهل المدينة فانه يستدعى شيوع اخباركم الى ما يفعلن بكم ما يؤدى
الى ذلك فالنهى على الاول تاسيس وعلى الثانى تاكيد للامر بالتلطف انهم تعليل لما سبق من الامر والنهى اى لبالغوا فى التلطف
وعدم الاشعار لانهم ان يظهروا عليكم اى تطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر فى ايها يرجموكم
ان شبتم على ما انتم عليه او يعيدوكم فى ملتهم اى بصيروكم اليها ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى التصيير وردة كقوله يعود
اولتعودن فى ملتنا وقيل كانوا اولا على دينهم واثار كلمة فى على كلمة على للدلالة على الاستقرار الذى هو اشد شئ عندهم
كراهته وتقديم الرجم على احتمال الاعادة لان الظاهر من حالهم هو الشبات على الدين المؤدى اليه وضمير الخطاب فى المواضع الاربعة
للمبالغة فى حمل المبعوث على الاختفاء وحثا لهم على الاهتمام بالتوصية فان احراص النصحاء ادخل فى القبول واهتمام انسان
بشانه اكثر واوفر ولن تفلحوا اذا اى ان دخلتم فيها ولو باكره والا فالاجبار والخير ابدا لا فى الدنيا ولا فى الاخرة
وفيه من التشديد فى التحذير ما لا يخفى وكذلك اى وكما اميتناهم وبعثناهم لما مر من ازديادهم فى مراتب اليقين
اعثرنا عليهم اى وعده بالبعث فى هذا الوقت الموعود دخولا اولا حتى صادف لا خلف فيه او ثابت لا مرد له لان نوعهم
وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة اى القيمة التى هى عبارة عن وقت بعث الخلائق جميعا للحساب والجزاء
لا ريب فيها لا شك فى قيامها فان من شاهد انه جل وعلا توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنة واكثر حافظا ابدانها
من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها لا يبقى له شائبة شك فى ان وعده تعالى حق وانه يبعث من فى القبور فيرد اليهم ارواحهم

ليعلموا ان وعد الله

فيحاسبهم ويجزيهم بحسب اعمالهم اذ يتنازعون ظرف لقوله اعثرنا قدم عليه العناية اظهارا لكمال العناية بذكره لا لقوله ليعلموا كما قيل
لدلالة على ان التنازع يحدث بعد الاعثار وليس كذلك اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم ليرتفع الخلاف ويتبين الحق
قيل المتنازع فيه امر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقر له وجاحد به وقائل يقول يبعث الارواح دون الاجساد وقائل
يقول ببعثهما معا قيل كان ملك المدينة حينئذ رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف اهل مملكته في البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته واغلق بابه
ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه ان يظهر الحق فالقى الله عز وجل في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به دقيانوس باب الكهف
ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من التقاول ما جرى روي ان المبعوث لما دخل المدينة اخرج الدرهم ليشتري
به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فاتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا
بان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مسلم وكافر فابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية
للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فالقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل منهم تابوتا
من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم
الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا وقيل المتنازع فيه امر الفتية قبل بعثهم اي اعثرنا
عليهم حين يتذاكرون بينهم امرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الاحوال والاهوال ويتلقون ذلك من الاساطير وافواه الرجال
وعلى التقديرين فالفاء في قوله تعالى فقالوا فصيحة اي اعثرناهم عليهم فرأوا ما رأوا فماتوا فقالوا اي قال بعضهم ابنوا عليهم
اي على باب كهفهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين
كأنهم لما رأوا عدم اهتدائهم الى حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث مدة اللبث في الكهف قالوا ذلك
تفويضا للامر الى علام الغيوب او من كلامه سبحانه ردا لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين وقيل هو لاحوالهم وتدبيرهم لله
وفاتهم او شانهم من الموت والنوم حيث اختلفوا في انهم ماتوا او ناموا كما في اول مرة فانه ح متعلق بقوله تعالى قال الذين
غلبوا على امرهم وهم الملك والمسلمون لنتخذن عليهم مسجدا وقوله تعالى فقالوا معطوف على يتنازعون وايثار
صيغة الماضي للدلالة على ان هذا القول ليس مما يستمر ويتجدد كالتنازع وقيل متعلق باذكر مضمرا واما تعلقه باعثرنا فيأباه ان اعثارهم
ليس في زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وجعل وقت التنازع لعتف للاجق مع انه لا مخصص لاضافته الى التنازع وهو موخر في الوقوع
سيقولون الضمير في الافعال الثلثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي عليه الصلوة والسلام من اهل الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه اسناد
كل منها الى كلهم بل الى بعضهم ثلثة رابعهم كلبهم اي هم ثلثة اشخاص رابعهم كلبهم قيل قالته اليهود وقيل قاله السيد من نصارى
نجران وكان يعقوبيا وقرئ ثلث بادغام الثاء في التاء ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قيل قالته النصارى او العاقب
منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع عليه او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانتصابه
على الحالية من الضمير في الفعلين جميعا اي راجمين او على المصدرية منهما فان الرجم والقول واحد او من محذوف مستأنف او واقع موقع
الحال من ضمير الفعلين معا اي يرجمون رجما وعدم ايراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم هو
ما يقوله المسلمون بطريق التلقي من هذا الوحي وما فيه مما يرشدهم الى ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو
المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا بوحي آخر كما قيل قل تحقيقا للحق وردا على الاولين ربي اعلم اي اقوى
علما بعدتهم بعددهم ما يعلمهم اي ما يعلم عدتهم او ما يعلمهم فضلا عن العلم بعدتهم الا قليل من الناس قد وفقهم الله
للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس رضه حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار قوله رضه انا من ذلك القليل
ولو كان في ذلك وحي آخر لما خفي عليه ولما احتاج الى الاستشهاد بالواو ولكان اسوة له في العلم وعن علي كرم الله وجهه انهم سبعة

اي جاعلهم اربعة بانضمامه اليهم

اسماؤهم

اسماؤهم يمليخا ومكسلينيا وهؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان آخر
هؤلاء الستة في اوله السابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كفيشيطيوس فلا تمار الغاء للتنويع
النهي على ما قبله اي قد عرفت جهل اصحاب القولين الاولين فلا تجادلهم فيهم في شان الفتية الا مراء ظاهرا قدر ما تعرض الوحي
من وصفهم بالترجم بالغيب وعدم العلم على الوجه الاجمالي وتفويض العلم الى الله سبحانه من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فانه تمايخل
بمكارم الاخلاق ولا تستفت فيهم في شانهم منهم من احد المخاطبين احدا فان حاصل عليك بالمذمومة عن ذلك مع انه
لا علم لهم بذلك وقال عطاء الا قليل من اهل الكتاب فالضمائر الثلثة في الافعال الثلثة لهم لما ذكر من الشواهد لارشاد المؤمنين الى صحة
القول الثالث وفيه تحميق عما في الاول من التكلف في جعل احد الاقوال المحكية المنطوية في سمط واحد ناشيا في المكالمة مع كون الاخير
بخلافه ودموج في سبب حذف المفعول في الاستثمار والمعنى ح واذ قد وقفت على ان كلهم لبسوا على خطا في ذلك فلا تجادلهم الا جدالا
ظاهرا تطلع به الوحي المبين من غير تجهيل بجميعهم فان فيهم مصيبا وان قل والنهي عن الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه
او احتمال وقوعه بناء على اصابة بعضهم فالمعنى لا تراجع اليهم في شان الفتية ولا تصدق القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من
صدوره عنهم بل من حيث التلقي من الوحي ولا تقولن لشيء اي لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا
ان فيما يستقبل من الزمان مطلقا فيدخل فيه الغد دخولا اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوا عن الروح وعن اصحاب
الكهف وذي القرنين فسالوه عليه السلام فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش
وما قيل من ان المدلول بالعبارة هو الغد وما بعد ذلك مفهوم بطريق دلالة النص يرده ان ما بعده ليس بمعناه في مضاطر النهي على وسعة
المجال ودليل العذرة فليتامل الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من النهي اي لا تقولن ذلك في حال من الاحوال الا حال ملابسته
بمشيئة تعم على الوجه المعتاد وهو ان يقال ان شاء الله او في وقت من الاوقات الا وقت ان يشاء الله ان تقوله لا مطلقا بل مشيئة
اذن فان النسيان ايضا بمشيئته لغو ولا مساغ لتعليقه بما علق لعدم سداد استثناء اقتران المشية بالفعل ومنافاة استثناء
اعراضها النهي وقيل الاستثناء جار مجرى التابيد كانه قيل لا تقولن ابدا لكونه تعالى مما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله
واذكر ربك بقولك الا ان يشاء الله متداركا له اذا نسيت اذا فرط منك نسيان ثم ذكرته وعن ابن عباس رضه
ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق
ولم يعلم صدق ولا كذب قال القرطبي هذا فرع تدارك الترك والتخلص عن الاثم واما الاستثناء المغير للحكم فلا يكون الا متصلا ويجوز
ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او واذكر ربك في عقابه اذا تركت
بعض ما امرك به سيبعثك ذلك على التدارك او واذكره اذا عراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلوة المنسية عند
ذكرها وقل عسى ان يهدين ربي اي يوفقني لامر اقرب من هذا الى شيء اقرب واظهر من نباء اصحاب الكهف من الايات والدلائل
الدالة على نبوتي رشدا اي ارشادا للناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وعلا ذلك حيث اتاه من البينات ما هو اعظم من ذلك
وابين كقصص الانبياء المتباعدة ايامهم والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي
ولبثوا في كهفهم احياء مضروبا على آذانهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا وهي جملة مستانفة مبينة لما اجمل فيما سلف
واشير الى غرابة حاله وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم هكذا
وبعضهم ثلثمائة وروي عن علي رضه انه قال عند اهل الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية والتفاوت
بينهما في كل مائة سنة ثلث سنين فيكون ثلثمائة وتسع سنين وسنين عطف بيان لثلثمائة وقيل بدل وقرئ على الاضافة وضعا للجمع
موضع المفرد وتمايجب ههنا ان علامة الجمع فيه جبرا لما حذف في الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع قل الله اعلم بما لبثوا

اى بالزمان الذى لبثوا فيه لله غيب السموات والارض اى ما غاب فيهما وخفى من احوال اهلها واللام للاختصاص العلمى دون التكوينى
فانه غير مختص بالغيب ابصر به واسمع دل بصيغة التعجب على ان شان علمه سبحانه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين
لا يحجبه شئ ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة اليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والخفى والجلى والهاء ضمير الجلالة
ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر فصار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر للاشعار فبرز الضمير لعدم قابلية
الصيغة له اولزيادة الباء كما فى كفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت
الهمزة للتعدية ومتعدية ان كانت للصيرورة ولعل تقديم امر ابصاره تعالى لما ان الذى نحن بصدده من قبيل المبصرات مالهم اى لاهل
السموات والارض من دونه تعالى من ولى يتولى امورهم وينصرهم استقلالا ولا يشرك فى حكمه فى قضائه اى فى علم الغيب
احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وهو كما ترى ابلغ فى نفى الشريك من ان يقال من ولى ولا شريك له قرئ على صيغة نهى الحاضر
على ان الخطاب لكل احد ولما دل انتظام القرآن الكريم لفقة اصحاب الكهف من حيث انها بالنسبة الى النبى عليه السلام من الغيبيات على انه
وحى معجز امره بالمداومة على دراسته فقال واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير
هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا قادر على تبديله وتغييره غيره ولن تجد ابدا الدهر وان بالغت فى الطلب
من دونه ملتحدا ملجاء تعدل اليه عند الملام ملمة واصبر نفسك احبسها وثبتها مصاحبة مع الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشى اى دائمين على الدعاء فى جميع الاوقات وقيل فى طرفى النهار وقرئ بالغدوة على ان ادخال
اللام عليها وهى علم فى الاغلب على تاويل النكرة والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب ونحوهم وقيل اصحاب الصفة
وكانوا نحو سبعمائة رجل قيل انه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله عليه السلام نحن نجالس هؤلاء الموالى الذين كان رثة هيئتهم تخ
العفاء حتى نجالسك كما قال قوم نوح ام انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الامر بما فى حيز الصلة
من الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة يريدون بدعائهم ذلك وجهه حال من المستكن فى يدعون اى مريدين لرضاه تعالى
ولا تعد عيناك عنهم اى لا تجاوزهم نظرك الى غيرهم من عداه اى جاوزه واستعماله بعن لتضمينه معنى النبو اى ولا تصرف
عيناك النظر عنهم الى غيرهم من عدوته عن الامر اى صرفته عنه على ان المفعول محذوف لظهوره وقرئ ولا تعد عينيك من الاعداء
والتعدية والمراد نهيه عن الازدراء بهم لرثاثة زيهم طمحا الى زى الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا اى تطلب مجالسة
الاشراف والاغنياء واصل الدنيا الدنو وهى حال من الكاف على الوجه الاول من التراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثانى
منها وضمير تريد للعينين واسناد الارادة اليهما جاز وتوحيده للتلازم كما فى قوله لمن زحلوقة زل بها العينان تنهل ومن اسكن
فى الفعل على القراءتين الاخيرتين ولا تطع فى تنحية القرآن عن مجلسك من اغفلنا قلبه اى جعلناه غافلا لبطلان
استعداده للذكر بالمرة او وجدناه غافلا كقولك اجنبته واخلته اذا وجدته كذلك او هو من اغفل ابله اى لم تسم بالذكر
عن ذكرنا كاولئك الذين يدعونك الى طرد القرآء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون من الدعاء
فى مجامع الاوقات وفيه تنبيه على ان الباعث له الى ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه وجهته وانهماكه فى الحسيات حتى غض عليه
الى الطلب اى حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة من اغفلته اذا وجدته غافلا واتبع هواه وكان امره فرطا
ضياعا وهلاكا او متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط اى متقدم للخيل او هو بمعنى الافراط والتفريط
فان الغفلة عن ذكره سبحانه تؤدى الى اتباع الهوى المؤدى الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالموصول
للايذان بعلية ما فى حيز الصلة للنهى عن الاطاعة وقل لاولئك الغافلين المتبعين هواهم الحق من ربكم اى ما اوحى
الى الحق لا غير كائنا من ربكم او الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهتى حتى يتصور فيه التبديل ويمكن الرد فى اتباعه وقوله تعالى

فمن

فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ الخ من تمام القول المأمور به والفاء لترتيب ما بعده على ما قبلها بطريق التهديد لا للتوزيع عليه كما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وقوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين أي عقيب تحقق أن ما أوحي إليك حق لا ريب فيه وأن ذلك الحق من جهة ربكم من شاء أن يؤمن به فليؤمن كسائر المؤمنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعلل ومن شاء أن يكفر به فليفعل وفيه من التهديد والإظهار الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم وبإيمانهم وجودا وعدما ما لا يخفى وأما تهديدهم من جهة الله تعالى والنار لترتيب ما بعدها من التهديد على الأمر والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء أن يؤمن به أو أن يقصد ذلك فيه فليؤمن ومن شاء أن يكفر به أو أن يكذب به فليفعل فقوله تعالى أنا أعتدنا وعيد شديد تأكيد للتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر عن الكفر أو لما يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وعلة الاهتمام بزجرهم عنه فإن إعداد خزائنه من دواعي الإملاء والإمهال وعلى الوجه الأول هو تعليل للأمر بما ذكر من التخيير التهديدي أي قل لهم ذلك إنا أعتدنا للظالمين أي هيأنا للكافرين بالحق بعد ما جاءهم من الله سبحانه والتعبير عنهم بالظالمين للتنبيه على أن مشية الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع للشيء في غير موضعه نارا عظيمة عجيبة أحاط بهم أي يحيط بهم وإيثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق سُرادِقُها أي فسطاطها شبه ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سُرادِقُها دخانها وقيل حائط من نار وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا من العطش يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا يا بني التصليم يشوي الوجوه إذا قدم ليشرب الشوي الوجه لحرارته وعن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه بِئْسَ الشَّرابُ ذلك وَساءَتْ النار مُرْتَفَقاً متكأ وأصل المرتفق ما ارتفق به نصب المرفق تحت الخد وإنما ذلك في النار وأما هو لمقابلة قوله تعالى حسنت مرتفقا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا في محل التعليل للحكم على الإيمان المفهم من التخيير كأنه قيل وللذين آمنوا ولعل تغيير سبكه للإيذان بكمال تنافي مآلي الفريقين أي ان الذين آمنوا بالحق الذي أوحي إليك وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ حتما في تضاعيفه إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً خبر الأولى هي الثانية مع ما في خبرها والراجع محذوف أي من أحسن منهم عملا أو مستغنى عنه كما في قولك نعم الرجل زيد أو واقع موقعه الظاهر فإن من أحسن عملا في الحقيقة هو الذي آمن وعمل الصالحات أولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ بَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ استئناف لبيان الأجر أو هو الخبر وما بينهما اعتراض أو هو خبر بعد خبر يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ من الأولى ابتدائية والثانية بيانية صفة لأساور والتنكير للتفخيم وهو جمع أسورة أو أسوار جمع سوار وَيَلْبَسُونَ ثِياباً خُضْراً خصت الخضرة بثيابهم لأنها أحسن الألوان وأكثر ما طراوة مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ أي مما رق من الديباج وما غلظ جمع بين النوعين للدلالة على أن فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الْأَرائِكِ على السرر في الحجال هو شأن المتنعمين نِعْمَ الثَّوابُ ذلك وَحَسُنَتْ أي الأرائك مُرْتَفَقاً أي منكا وَاضْرِبْ لَهُمْ أي للفريقين الكافر والمؤمن مَثَلاً رَجُلَيْنِ مفعولان لاضرب أولهما ثانيهما لأنه المحتاج إلى التفصيل والبيان أي اضرب للكافرين والمؤمنين لمن حيث أحوالهما المستفادة مما ذكر من أن للأولين في الآخرة كذا وللآخرين كذا بل من حيث عصيان الأولين مع تنعيمهم في نعم الله تعالى وطاعة الآخرين مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين أو محققين هما اخوان من بني إسرائيل أو شريكان كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا اقتسما ثمانية آلاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا وصرف المؤمن نصيبه إلى وجوه المبار فعمر بها الدار حكاه الله تعالى قيل هما الأخوان من بني مخزوم كافر هو الأسود بن عبد الأشد ومسلم هو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأشد زوج أم سلمة رضي الله عنها أولا جَعَلْنا لِأَحَدِهِما وهو الكافر جَنَّتَيْنِ بستانين مِنْ أَعْنابٍ من كروم متنوعة والجملة تبيانية للتمثيل أو صفة لرجلين وَحَفَفْناهُما بِنَخْلٍ أي جعلنا النخل محيطة بهما موزعة إياها كما يحف القوم إذا طافوا به وحففته بهم جعلتهم حافين حوله فجيء بالباء مفعولا ثانيا

تمامه
غضبت تميم أن تقتل عامر
يوم النسار فاغضبوا لا تصلم

كعوانك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة
والوضع الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وبلغ مبلغا صالحا للاكل وقرئ بكون الكاف وقرئ كل الجنتين اتى اكله
ولم تظلم منه لم تنقص منه اكلها شيئا بعد ذلك في سائر السنين فان الثمار غالبا تكثر في عام وتقل في آخر وكذا بعض الاشجار
يأتي بالثمر في بعض الاعوام دون بعض وفجرنا خلالهما فيما بين كل من الجنتين نهرا على حدة ليدوم شربهما ويزيدهما وقرئ
بالتخفيف ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر ايتاء الاكل مع ان الترتيب الخارجي على العكس للايذان باستقلال كل من ايتاء الاكل وتفجير النهر
في تكميل محاسن الجنتين كما في قصة البقرة وكلوهما وكلوا عكس لانهم ان المجموع خصلة واحدة بعضها مترتب على بعض فان ايتاء الاكل
متفرع على السقي عادة وفيه ايماء الى ان ايتاء الاكل لا يتوقف على السقي كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وكان له
لصاحب الجنتين ثمر انواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله اذا كثره قال ابن عباس رضه هو جميع المال من الذهب والفضة
والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد هو الذهب والفضة خاصة فقال لصاحبه المؤمن وهو اي القائل يحاوره اي صاحبه المؤمن
وان جاز العكس اي يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا خدما واعوانا او اولادا ذكورا
لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته التي شرحت احوالها وعددها وصفاتها وهيئاتها وتوصيدها اما لعدم تعلق الغرض
بتعددها واما لاتصال احديهما بالاخرى واما لان الدخول يكون في واحدة فواحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره
قال استئناف مبني على سؤال نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كانه قيل فاذا قال ذلك فقيل قال ما اظن ان تبيد هذه
الجنة اي تفنى ابدا لطول امده وتمادي غفلته واغتراره بمهلته ولعله انما قاله بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنته
ونهيه عن الاغترار بها واموه بتحصيل الباقيات الصالحات وما اظن الساعة قائمة كائنة فيما سياتي ولئن رددت
بالبعث عند قيامها كما تقوله ائي لاجدن يومئذ خيرا منها اي من هذه الجنة وقرئ منهما اي من الجنتين منقلبا
مرجعا وعاقبة وهذا ادهى الطمع واليمين الفاجرة اعتقاده ان الله تعالى انما اولاه ما اولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه سبحانه
ولم يدر ان ذلك استدراج قال له صاحبه استئناف كما سبق وهو يحاوره جملة حالية كما مر فائدتها التنبيه
من اول الامر على ان ما يتلوه كلام معتنى بشانه مسوق للمحاورة اكفرت حيث قلت ما اظن الساعة قائمة بالذي
خلقك اي في ضمن اصل خلقك من تراب فان خلق آدم عم منه متضمن لخلقه منه لما ظهر كل فرد من افراد البشر فاطن
من خلقه عم اذ لم يكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس لنطواء اجمالي
مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عم من التراب خلقا للكل منه وقيل خلقك منه لانه اصل مادتك اذ به يحصل النطفة
فتدبر من نطفة اي مادتك القريبة فالمخلوق واحد والمبدأ متعدد ثم سواك رجلا اي عدلك وكملك انسانا
ذكرا او صيرك رجلا والتعبير عنه تارة بالموصول للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لانكار الكفر والتلويح بدليل البعث الذي نطق به
قوله عز من قائل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب الخ لكنا هو الله ربي اصله لكن انا
وقد قرئ كذلك فحذفت الهمزة فالقيت النون فكان الادغام وهو ضمير الشان وهو مبتدأ خبره الله ربي وتلك الجملة خبر انا
والعائد منها اليه الضمير وقرئ باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وفي الوقف خاصة وقرئ لكنه بالهاء ولكن بطرح انا
ولكن انا لا اله الا هو ربي ومدار الاستدراك قوله تعالى اكفرت كانه قال انت كافر لكني مؤمن موحد ولا اشرك بربي احدا
فيه ايذان بان كفره كان بطريق الاشراك ولولا اذ دخلت جنتك قلت اي هلا قلت عند ما دخلتها وتقديم الظرف
على المختص عليه للايذان بتحتم القول فوان الدخول من غير ريث للقصر ما شاء الله اي الامر ما شاء الله او ما شاء الله
كائن على ان ما موصولة مرفوعة المحل او اي شيء ما شاء الله كان على انها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تخطئته

على الاعتراف بانها وما فيها بمشية الله تعالى ان شاء ابقاها وان شاء افناها ﴿ لا قوة الا بالله ﴾ اى هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وبان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها انما هو بمعونة الله تعالى واقداره ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ﴾ ﴿ ان ترن انا اقل منك مالا وولدا ﴾ انا اما مؤكد لياء المتكلم او ضمير فصل بين مفعولى الرؤية ان جعلت علمية واقل ثانيهما وحال ان جعلت بصرية فيكون انا حينئذ تاكيدا لا غير لان شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدا والخبر او ما اصله المبتدا والخبر وقرئ اقل بالرفع خبر الان والجملة مفعول ثان للرؤية او حال وفى قوله تعالى وولدا نكتة من قبيل التنزل بالولد ﴿ فعسى ربى ان يؤتين خيرا من جنتك ﴾ هو جواب الشرط والمعنى ان ترنى افقر منك فانا اتوقع من صنع الله سبحانه ان يقلب بابى وبك من الفقر والغنى فيرزقنى لايمانى جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب جنتك ويرسل عليها ﴿ حسبانا ﴾ هو مصدر بمعنى الحساب كالبطلان والغفران اى مقدارا قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها ﴿ وقيل عذاب حسبان ﴾ وهو حساب ما كسبت يداه ﴿ وقيل مرامى جمع حسبانة وهى الصواعق وقاعة النظم فيما ياتى للاولين اكثر من السماء فتصبح صعيدا زلقا ﴾ مصدر اريد به المفعول مبالغة اى ارضا ملساء يزلق عليها لاستيصال ما عليها من البناء والشجر والنبات ﴿ او يصبح ﴾ عطف على قوله تعالى فتصبح وعلى الوجه الثالث على يرسل ﴿ ماؤها غورا ﴾ اى غائرا فى الارض اطلق عليه المصدر مبالغة ﴿ فلن تستطيع له ﴾ اى للماء الغائر ﴿ طلبا ﴾ فضلا عن وجدانه وردّه ﴿ واحيط بثمره ﴾ اهلك اموالها المعهودة من جنته وما فيها واصله من احاطة العدو وهو عطف على مقدر كانه قيل فوقع بعض ما وقع فحذف لدلالة السياق والسباق عليه كما فى المعطوف عليه بالفاء الفصيحة ﴿ فاصبح يقلب كفيه ﴾ ظهر البطن وهو كناية عن الندم كانه قيل فاصبح نادما ﴿ على ما انفق فيها ﴾ اى فى عمارتها من المال والعمل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن من الجنة لما انه انما يكون على الافعال الاختيارية ولان ما انفق فى عمارتها كان قليلا مما يكن صيانة عن طوارق الحدثان وقد صرفه الى مصالحها رجاء ان تمتع لها اكثر مما تمتع به وكان يرى انه لا ينالها ابدى الردى وكذلك قال الظن ان تبيد هذه ابدا فلما ظهر له انها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من انفاق ما يكون اذخاره فى مثل هذا الشئ السريع الزوال ﴿ وهى ﴾ اى الجنة من الاعناب المحفوفة بنخل ﴿ خاوية ﴾ ساقطة ﴿ على عروشها ﴾ هى دعائمها المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع اما لانها اعمر وبها من متمماتها واما لان ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقى لانها حيث هلكت وهى مشيدة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الاولى واما لان الانفاق فى عمارتها اكثر ﴿ وقيل ارسل الله تعالى عليها نارا فاحرقتها وغارماؤها ﴾ ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره اى وهو يقول ﴿ يا ليتنى لم اشرك بربى احدا ﴾ كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه انما اتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يصبه ما اصابه قبل ويجعل ان يكون ذلك توبة من الشرك وندما على ما فرط منه ﴿ ولم تكن له ﴾ وقرئ بالياء التحتانية ﴿ فئة ينصرونه ﴾ يقدرون على نصره برفع الاهلاك او على رد المهلك والاتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما فى قوله عز وعلا يردونهم مثليهم ﴿ من دون الله ﴾ فانه القادر على ذلك وحده ﴿ وما كان فى نفسه ﴿ منتصرا ﴾ ممتنعا بقوته عن انتقامه سبحانه هنالك فى ذلك المقام وفى تلك الحال ﴿ الولاية لله الحق ﴾ اى النصرة لوحده لا يقدر عليها احد فهو يقدر لما قبل او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر ما فعل بالكافر فراخاه المؤمن وبعضد قوله تعالى ﴿ هو خير ثوابا وخير عقبا ﴾ اى لاوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو ومعناها الملك والسلطان اى هنالك السلطان له عز وجل لا الغلب ولا يمتنع منه احد فهو يثيب من يشاء ويعاقب من يشاء كما يعبد غيره كقوله تعالى واذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتنى لم اشرك الخ كان عن اضطرار وجزع عما دعاه على اسلوب قوله تعالى الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴿ وقيل هنالك اشارة الى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ وقرئ برفع الحق على انه صفة للولاية بنصبه على انه مصدر مؤكد وقرئ عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى

على طريق اللف والنشر المرتب

والكل بمعنى العاقبة ﴿ واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا ﴾ اى واذكر لهم ما يشبهها فى زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا عن الآخرة صفحا بالمرة او يبين لهم صفتها العجيبة التى هى فى الغرابة كالمثل ﴿ كماء ﴾ استئناف لبيان المثل اى هى كماء ﴿ انزلناه من السماء ﴾ ويجوز كونه مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير ﴿ فاختلط به ﴾ اشتبك بسبب ﴿ نبات الارض ﴾ فالتف وخالط بعضه بعضا من كثرة وتكاثف او بخ الماء فى النبات حتى روى ورف فتعشى الظاهر فاختلط بنبات الارض وآثارها على النظم الكريم للمبالغة فى الكثرة فان كلا من المختلطين موصوف بصفة صاحبه ﴿ فاصبح ﴾ ذلك النبات الملتف اثر هجمها ورفيقها ﴿ هشيما ﴾ مهشوما مكسورا ﴿ تذروه الرياح ﴾ تفرقه وتذريه من اذراه وتذروه الريح وليس التشبيه بنفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح كان لم تغن بالامس ﴿ وكان الله على كل شئ ﴾ من الاشياء التى من جملتها الانشاء والافناء ﴿ مقتدرا ﴾ قادرا على الكمال ﴿ المال والبنون زينة الحيوة الدنيا ﴾ كما قال الاخ الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا اشد بيان شان نفسها بما هو من المثل وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه كما فى الآية المحكية آنفا وقوله تعالى وامددناكم باموال وبنين وغير ذلك وعمومه بالنسبة الى الاولاد والاموال فانها زينة لكل احد من الآباء والبنين فى كل وقت وحين واما البنون ورجاء امدادهم انما يكون بالنسبة الى من بلغ مبلغ الابوة والمال مناط لبقاء النفس والبنون لبقاء النوع ولان الحاجة اليه امس من الحاجة اليهم ولانه اقدم منهم فى الوجود ولانه زينة بدونهم من غير عكس فان من له بنون بلا مال فهو فى ضيق حال وآفات الزينة مع انها مستندة الى الاثنين لما انها مصدر فى الاصل اطلق على المفعول مبالغة كانها نفس الزينة والمعنى ان ما يفتخرون به من المال والبنين شئ يتزين به فى الحيوة الدنيا وقد علم شانها فى سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بما هو من اوصافها التى شانها ان تزول قبل زوالها ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ هى اعمال الخير وقيل هى الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل ما اريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها اعمال فقراء المؤمنين يدعون ربهم بالغدوة والعشى يريدون وجهه دخولا اوليا اما صلاحها فظاهر واما بقاؤها فبقاء عوائدها عند فناء محل ما تطمح اليه النفس من خطوط الدنيا ﴿ خير ﴾ اى مما نعت شانه من المال والبنين واخراج بقاء تلك الاعمال وصلاحها مخرج الصفات المفروغ عنها مع ان حقها ان يكون مقصودى الافادة لاستتمام مقابلة الفناء لما يقابلها من المال والبنين على طريقة قولهم ما عندكم ينفد وما عند الله باق للايذان بان بقاء ما لا محقق لا حاجة الى بيانه بل لفظ الباقيات اسم للحالة الوصف ولذلك لم يذكر الموصوف وانما الذى يحتاج الى التعرض له خيريتها ﴿ عند ربك ﴾ اى فى الآخرة وهو بيان لما يظهر فيه آثار خيريتها بمنزلة اضافة الجنة الى الحيوة الدنيا لا فضليتها من المال والبنين مع مشاركة الكل فى الاصل اذ لا مشاركة لهما فى الخيرية فى الآخرة ﴿ ثوابا ﴾ عائدة تعود الى صاحبها ﴿ وخير املا ﴾ حيث ينال بها صاحبها فى الآخرة كل ما كان يؤمله فى الدنيا واما ما هو من المال والبنين فليس لصاحبه الا مل بنائه وتكرير خير للاشعار بما خلاف جهتى الخيرية والمبالغة فيها ﴿ ويوم نسير الجبال ﴾ منصوب بمضمر اى اذكر حين تقلعها من اماكنها ونسيرها فى الجو على هيئتها كما ينبئ عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ونسير اجزائها بعد ان جعلها هباء منبثا والمراد بتذكير ما تحذير المشركين مما فيه من الاوابد وقيل هو معطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك اى الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقرئ نسير على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن الاسناد الى الفاعل لتعينه وقرئ تسير ﴿ وترى الارض ﴾ اى جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية وقرئ وترى على صيغة البناء للمفعول ﴿ بارزة ﴾ اى بروز ما تحت الجبال فظاهر واما ما عداه فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك فالآن اضحى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا ﴿ وحشرناهم ﴾ جمعناهم الى الموقف من كل ادب وآثار صيغة الماضى على نسير وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذى ينكره المنكرون وعليه يدور امر الجزاء وكذا الكلام

بما عطف عليه منفيا وموجبا وقيل هو للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاهوال كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك
فلم نغادر اي لم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر الذي هو ما تركه السيل في الارض الغائرة
وقرئ بالياء وبالفوقانية على اسناد الفعل الى ضمير الارض كما في قوله تعالى والقت ما فيها وتخلت وعرضوا على ربك شبهت
حالهم بحال جند عرضوا على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم بما يأمر وفي الالتفات الى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية
والاضافة الى ضميره عليه السلام من تربية المهابة والجري على سنن الكبرياء واظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى صفا اي غير متفرقين ولا مختلطين
فلا تعرض فيه لوحدة الصف وتعدده وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا
لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا اي مقولا لهم او وقلنا لهم واما كونه عاملا في يوم نسير كما قيل
فبعيد عن جزالة النظم الجليل كيف لا ويلزم منه ان هذا القول هو المقصود بالاصالة دون سائر القوارع ومع انه خاص
التعلق بما قبله من العرض والحشر دون تسيير الجبال وبروز الارض كما خلقناكم نعت لمصدر مقدر اي مجيئا كائنا كمجيئكم
عند خلقنا لكم اول مرة او حال من ضمير جئتمونا اي كائنين اول مرة حفاة عراة غرلا او ما معكم شيء مما تفتخرون به من الاموال
والانصار لقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل زعمتم ان لن نجعل
لكم موعدا اضراب وانتقال من كلام الى كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع اي زعمتم في الدنيا انه لن نجعل لكم ابدا وقتا
ننجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وان مخففة من المثقلة يفصل بحرف النفي بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة
غير دعاء والظرف اما مفعول ثان للجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو موعدا او حال من موعدا وهو بمعنى الخلق والابداع
ووضع الكتاب عطف على عرضوا داخل تحت الامور الهائلة التي اريد تذكيرها بتذكير وقتها واورد فيه ما اورد في امثاله
من صيغة الماضي دلالة على التقرر ايضا اي وضع صحائف الاعمال وايثار الافراد للاكتفاء بالجنس والمراد بوضعها اما وضعها
في ايدي اصحابها يمينا وشمالا واما في الميزان فترى المجرمين قاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا اوليا
مشفقين خائفين مما فيه من الجرائم والذنوب ويقولون عند وقوفهم على ما في تضاعيفه نقيرا وقطميرا يا ويلتنا
نادين لهلكتهم التي هلكوها من بين المهالك مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا اهوال ما لاقوه اي يا ويلتنا احضري فهذا
اوانك ما لهذا الكتاب اي اي شيء له وقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اي حواها وضبطها
جملة حالية محققة لما في الاستفهام من التعجب او استئنافية مبنية على سؤال نشأ من التعجب كأنه قيل ما شأنه حتى
يتعجب منه فقيل لا يغادر سيئة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا في الدنيا من السيئات او جزاء ما عملوا
حاضرا مسطورا عتيدا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل من السيئات او يزيد في عقابه المستحق فيكون اظهارا
لمعدلة العلم الازلي واذ قلنا للملائكة اي اذكر وقت قولنا لهم اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم وقد مر تفصيله
فسجدوا جميعا امتثالا بالامر الا ابليس فانه لم يسجد بل ابى واستكبر وقوله تعالى كان من الجن كلام مستأنف
سيق مساق التعليل لما يفيده استثناء اللعين من الساجدين كأنه قيل ما له لم يسجد فقيل كان اصله جنيا ففسق عن امر ربه
اي خرج عن طاعته كما ينبئ عنه الفاء او صار فاسقا كافرا بسبب امر الله تعالى اذ لولاه لما ابى والتعرض لوصف الربوبية
المنبئة للفسق لبيان كمال قبح ما فعله والمراد بتذكير قصته تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بانسابهم واموالهم المستنكفين
عن الانتظام في سلك فقراء المؤمنين ببيان ان ذلك من صنيع ابليس وانهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله تعالى
افتتخذونه الخ فان الهمزة للانكار والتعجيب والفاء للتعقيب اي اعقيب علمكم بصدور تلك القبائح عنه تتخذونه
وذريته اي اولاده واتباعه جعلوا ذرية مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل يدخل ذنبه في دبره

احصوها ادراكا طرها وجمعها كلية

فيبيض فينفلق البيضة من جماعة من الشياطين ﴿أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي﴾ فتتبدلونهم فتطيعونهم بدل طاعتي ﴿وَهُمْ﴾ أي في الحال ان ابليس
وذريته ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ اي اعداء كما في قوله تعالى فانهم عدو لي الا رب العالمين وقوله تعالى هم العدو وانما فعل به تشبيها له بالمصادر
نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتاكيد الانكار وتشديده فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعا
﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ﴾ اي الواضعين للشيء في غير موضعه ﴿بَدَلًا﴾ من الله سبحانه ابليس وذريته وفي الالتفات الى الغيبة مع وضع الضمير موضع الايذان
بكمال التخطئة والاشارة الى ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ﴾ استئناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور في انفسهم
بعد بيان الصوارف عن ذلك من جناية الحقد والفسق والعداوة اي ما احضرت ابليس وذريته ﴿خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حيث خلقتها
قبل خلقهم ﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم هذا مما اجمع عليه الجمهور خلافا لمن تمسك
الضمير ومحافظة على ظاهر لفظ الانفس ولك ان ترجع ضمير الثاني الى الظالمين بناء على قوة المعنى اليه فان نفي اشهاد الشياطين خلق الذرية
يتولونهم هو الذي يدور عليه انكار اتخاذهم اولياء بناء على ان ادنى ما يصح التولي حضور الولي المتولى وحيث لا حضور لا صحة
للتولي قطعا واما نفي اشهاد بعض الشياطين على خلق بعض منهم فليس من مدار نية الانكار المذكور في شيء على ان اشهاد بعضهم خلق بعض
ان كان مصححا للتولي الشاهد بناء على دلالته على كماله باعتبار ان له مدخلا في خلق المشهود في الجملة فهو محل بتولي المشهود بناء على عموم
من شهد خلقه فلا يكون الاشهاد المذكور متحققا في نفي الكمال المصحح للتولي عن الكل وهو المناط للانكار المذكور ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ﴾
اي متخذهم وانما وضع موضعه المظهر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال وتاكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم اولياء ﴿عَضُدًا﴾ اعوانا
في شان الخلق او في شان من شؤوني حتى يتوهم شركتهم في التولي بناء على الشركة في بعض احكام الربوبية وفيه تهكم بهم وايذان
بكمال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يتوهمون هذا الامر الجلي الذي لا يكاد يشتبه على البله والصبيان فيحتاجون الى التصريح به
وآثار نفي الاشهاد على نفي شهودهم ونفي اتخاذهم اعوانا على نفي كونهم كذلك للاشعار بانهم مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون
لمشيته وارادته فيهم وانهم بمعزل من استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء انفسهم من غير اصغاء واتخاذ وانما قضارى امرهم
في شانهم ان يبلغوا في ذلك المبلغ بامر الله عز وجل ولم يكد ذلك يكون ﴿وَقِيلَ﴾ الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وانما اطلعتهم
على اسرار التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يكون بها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيقولوا بامامتهم كما يزعمون فلا تلتفتوا الى قولهم طمعا
في نفرتهم للدين فانه لا ينبغي لك ان اعتضد بالمضلين وبعضد القراءة بفتح التاء خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح
لك الاعتضاد بهم ووصفهم بالاضلال لتعليل نفي الاتخاذ وقرئ متخذ المضلين على الاصل وقرئ عضدا بضم العين وسكون الضاد وبفتح
وسكون بالتخفيف وبضمتين بالاتباع وبفتحتين على انه جمع عاضد كركب وراكب ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ اي الله عز وجل للكافرين توبيخا
وتعجيزا او قرئ بنون العظمة ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من دونه تعالى
وقيل ابليس وذريته ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ اي نادوهم للاغاثة وفيه بيان لكمال اعتنائهم باعانتهم على طريقة الشفاعة اذ معلوم ان لا طريق
الى المدافعة ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ فلم يغيثوهم اذ لا امكان لذلك في ارادة مع ظهوره تهكم بهم وايذان بانهم في الخيانة
بحيث لا يغيثونهم الا بالتقريح به ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾ بين الداعين والمدعوين ﴿مَّوْبِقًا﴾ اسم مكان او مصدر من وبق وبوقا
كوثب وثوبا او وبق وبقا كفرح فرحا اذا هلك اي مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في الشدة نفس الهلاك
كقول عمر رضي الله عنه لا تكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا ﴿وَقِيلَ﴾ البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا في الآخرة ويجوز ان يكون
المراد بالشركاء الملئكة وعزير وعيسى ومريم عليهم السلام وبالموبق البرزخ البعيد اي جعلنا بينهم امدا بعيدا اهلك فيه الاشواط
لوط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ وضع المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما
بذلك ﴿فَظَنُّوا﴾ اي فايقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ مخالطوها واقعون فيها وظنوا اذا رأوها من مكان بعيد انهم مواقعوها لان

ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او معدلا ينصرفون اليه ولقد صرفنا اى كررنا واوردنا على وجوه كثيرة من التنظيم فى هذا القرآن
للناس لمصلحتهم ومنفعتهم من كل مثل من جملته ما مر من مثل الرجلين ومثل الحيوة الدنيا او من كل نوع من انواع المعانى البديعة
الداعية الى الايمان التى هى فى الغرابة والحسن واستجلاب النفس كالمثل لتشوقه بالقبول فلم يفعلوا وكان الانسان بحسب جبلته
اكثر شىء جدلا اى اكثر الاشياء التى تبانى منه الجدل وهو ههنا شدة الخصومة بالباطل والمماراة من الجدل الذى هو الفتل والمجادلة
الملاواة لان كلا من المجادلين يلتوى على صاحبه وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدله اكثر من جدل كل مجادل وما منع الناس
اى اهل مكة الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا من ان يؤمنوا بالله تعالى وحده ويتركوا ما هم فيه من الاشراك اذ جاءهم الهدى
اى القرآن العظيم الهادى الى الايمان بما فيه من فنون المعانى الموجبة له ويستغفروا ربهم عما فرط منهم من انواع الذنوب التى
من جملتها مجادلتهم للحق بالباطل الا ان تاتيهم سنة الاولين اى الا طلب اتيان سنتهم او الا اتيان انتظارا لاتيانها
او الا تقديره فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستيصال او يأتيهم العذاب اى عذاب الآخرة قبلا اى انواعا
جمع قبيل او عيانا كما فى قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بضمتين اى مستقبلا يقال لقيته قبلا وقبلا وقبلا وانتصابه على الحالية
من الضمير او العذاب والمعنى ان ما تضمنه القرآن الكريم من الامور المستوجبة للايمان بحيث لو لم يكن مثل هذه الحكمة القوية لما امتنع الكافر
من الايمان وان كانوا مجبولين على الجدل المفرط وما نرسل المرسلين اى الى الامم ملتبسين بحال فى الاحوال الا حال كونهم مبشرين
للمؤمنين بالثواب ومنذرين للكفرة والعصاة بالعقاب ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات
والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به اى بالجدال الحق اى يزيلوه عن مركزه ويبطلوه من ادحاض القدم
وهو ازالتها وهو قولهم للرسل عليهم السلام ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملئكة ونحوها واتخذوا آياتى التى نحرلها
صم الجبال وما انذروا اى انذروه من القوارع النازعة عليهم العقاب والعذاب او انذارهم هزوا استهزاء وقرئ بالسكون
الرآء وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه وهو القرآن العظيم فاعرض عنها ولم يتدبر بها ولم يتذكر بها
وهذا السبك وان كان مدلوله الوضعى نفى الاظلمية من غير تعرض لنفى المساواة فى الظلم الا ان مفهومه العرفى انه اظلم من كل ظالم
وبناء الاظلمية على ما فى حيز الصلة من الاعراض عن القرآن للاشعار بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا خارج عن الحد وانسى
ما قدمت يداه اى عمله من الكفر والمعاصى التى من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر فى عاقبتها
انا جعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه
مفعول لما دل عليه الكلام اى منعناهم ان يفقهوا اعلى كونه او مفعول له اى كراهة ان يفقهوه وفى آذانهم اى جعلنا فيها
وقرا اى ثقلا يمنعهم من استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا اى فلن يكون منهم اهتداء البتة
مدة التكليف واذا جواب للشرط وجواب عن سؤال النبى صلى الله عليه وسلم المدلول عليه بكمال عناية باسلامهم كانه قال عم مالى
ادعوهم فقيل ان تدعهم الخ وجمع الضمير الراجع الى الموصول فى هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده فى المواطن الخمسة
المتقدمة باعتبار لفظه وربك مبتدأ وقوله تعالى الغفور خبره وقوله تعالى ذو الرحمة اى الموصوف بهما خبر بعد خبر واريد
المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب ولان المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر على ترك ما لا ينبغى
من العذاب واما الرحمة فهى فعل وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا ما لا ينبغى وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية
اولانه اهم بحسب الحال اذ المقام مقام بيان تاخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله تعالى ولو يؤاخذهم
اى لو يريد مؤاخذتهم بما كسبوا من المعاصى التى من جملتها ما حكى عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن آيات ربهم وعدم المبالاة
بما اقترفوا من الموبقات لعجل لهم العذاب لاستيجابهم اعمالهم لذلك وايثار المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة

على التعذيب والعقوبة ونحوهما للايذان بان النفي المستفاد من مقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة كما ينبئ عنه تاليها وايثار صيغة
الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار عدم ارادة المؤاخذة فان المضارع الواقع
موضع الماضي يفيد استمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما حقق في موضعه بل لهم موعد اسم زمان هو يوم بدر او يوم القيمة والجملة معطوفة
على مقدر كانه قيل لكنهم ليسوا مؤاخذين بغتة لن يجدوا البتة من دونه موئلا منجى او ملجأ يقال وأل اى نجا ووأل اليه اى لجأ اليه
وتلك القرى اى قرى عاد وثمود واضرابها وهي مبتدأ على تقدير المضاف اى واهل تلك القرى كما خبره قوله تعالى اهلكناهم او مفعول
مضمر مفسر به لما ظلموا اى وقت ظلمهم كما فعلت قريش بما حكى عنهم من القبائح وترك المفعول اما لتعميم الظلم او لتنزيله منزلة اللازم
اى لما فعلوا الظلم ولما اما حرف كما قال ابن عصفور واما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد به الوقت المعين الذي عملوا فيه الظلم بل زمان
ممتد من ابتداء الظلم الخ وجعلنا لمهلكهم اى عينا لهلاكهم موعدا اى وقتا معينا لا يحيدون عنه ذلك وهذا استشهاد على
ما فعل بقريش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك ولا يغتروا بتأخر العذاب وقرئ بضم الميم وفتح اللام اى اهلاكهم وبفتحهما و
واذ قال موسى نصب باضمار فعل اى اذكر وقت قوله لفتيه وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عم سمى فتاه
اذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه ويسمى التلميذ فتى وان كان شيخا ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان ان لكل امة موعدا
تذكير ما في القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة لا ابرح من برح الناقص كزال يزال اى لا ازال اسير فحذف
الخبر اعتمادا على قرينة الحال اذ كان ذلك عند التوجه الى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله حتى ابلغ فان ذلك غاية تستدعي
ذا غاية تؤدي اليها ويجوز ان يكون اصل الكلام لا يبرح سيري حتى ابلغ فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فينقلب الضمير
المجرور المنحل مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة الغيبة الى التكلم ويجوز ان يكون من برح التام كزال يزول اى لا افارق ما انا
بصدده حتى ابلغ مجمع البحرين ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق قيل طنجة وقيل بحر الكر والرس بارمينية وقيل افريقية
وقرئ بكسر الميم كالمشرق او امضي حقبا اسير زمانا طويلا اتيقن معه فوات المطلب والحقب الدهر او ثمانون سنة وكان منشأ هذه العزيمة
ان موسى عم لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله تعالى ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فخطب خطبة
بليغة رقت لها القلوب وذرفت بها العيون فقالوا له من اعلم الناس قال انا فعتب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم الى الله عز وجل
فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر عم وكان في ايام افريدون قبل موسى عم وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر
وبقي الى ايام موسى عم وقيل ان موسى عم سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي
يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده
عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال
يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيثما فقدته فهو هناك فاخذ حوتا فجعله في مكتل فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني
فذهبا يمشيان فلما بلغا الفاء فصيحة كما اشير اليه مجمع بينهما اى مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه اتساعا او بمعنى
الوصل نسيا حوتهما الذي جعل فقدانه امارة لوجدان المطلوب اى نسيا تفقد امره وما يكون منه وقيل نسي يوشع ان يقدمه
وموسى عم ان يأمره فيه بشئ روى انهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة وعين الحيوة التي لا يصيب ماؤها ميتا الا حيي وضعا
رؤسهما على الصخرة فناما فلما اصاب الحوت برد الماء وروحه عاش وقد كانا اكلا منه وكان ذلك بعد ما استيقظ يوشع عم
وقيل توضأ يوشع عم من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش فوقع في الماء فاتخذ سبيله في البحر سربا مسلكا كالسرب وهو
النفق قيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه معجزة لموسى او للخضر عم وانتصاب سربا على انه مفعول ثان
لاتخذ وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز ان يتعلق باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين الذي جعل موعد الملاقاة قيل

ذرف بشردی دیکیدر

اولها

او لجاوزا الليلة والغد الى الظهر والقى موسى عليه السلام الجوع فعند ذلك قال لفتيه آتنا غداءنا اى ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبئ
عنه الجواب. لقد لقينا من سفرنا هذا اشارة الى ما سارا بعد مجاوزة الموعد نصبا تعبا واعياء قيل لم ينصب ولم يجع قبل ذلك
والجملة فى محل التعليل للامر بايتاء الغداء اما باعتبار ان النصب انما يعترى بسبب الضعف الناشئ عن الجوع واما باعتبار ما فى اثناء التغدى
من استراحة ما قال اى فتاه وهو يوشع أرأيت اذ أوينا الى الصخرة اى التجأنا اليها واقمنا عندها وذكر الايواء اليها مع ان المذكور
فيما سبق ترتبه على بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فان المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة اليه ولتمهيد العذر
فان الايواء اليها والنوم عندها مما يؤدى الى النسيان عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عم
مما اعتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهده من العظائم التى لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان المطلوب وهذا اسلوب معتاد فيما بين
الناس يقول احدهم لصاحبه اذا نابه خطب أرأيت ما نابنى يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه منه وانه مما لا يعهد وقوعه لا استخباره عن ذلك كما قيل
والمفعول محذوف اعتمادا على ما يدل عليه من قوله عز وجل فانى نسيت الحوت وفيه تأكيد للتعجيب وتربية لاستعظام المنسى وايقاع النسيان على اسم
الحوت دون ضمير الغداء مع انه المأمور بايتائه للتنبيه من اول الامر على انه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده فى المنزل وان ما شاهده ليس من قبيل
الاحوال المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر الحيتان مع زيادة اى نسيت ان اذكر لك امره وما شاهدت
منه من الامور العجيبة وما انسانيه الا الشيطان بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى ان اذكره بدل اشتمال من الضمير اى
ما انسانى ان اذكره لك وفى تعليق الفعل بضمير الحوت اولا وبذكره له ثانيا على طريق الابدال المنبئ عن تنحية المبدل منه اشارة الى ان متعلق
النسيان ايضا ليس نفس الحوت بل ذكر امره وقرئ ان اذكره وايثاره ان اذكره على المصدر للمبالغة فان مدلوله نفس الحدث عند وقوعه
والحال وان كانت غريبة لا يعهد نسيانها لكنه لما تعود مشاهدة امثالها عند موسى عم والفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها واتخذ
سبيله فى البحر عجبا بيان لطرف من امر الحوت منبئ عن طرف آخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء بالاعتذار كأنه قيل
حى واضطرب ووقع فى البحر واتخذ سبيله فيه سبيلا عجبا فعجبا ثانى مفعولى اتخذ والظرف حال من اولهما او ثانيهما او هو المفعول الثاني
وعجبا صفة مصدر محذوف اى اتخاذا عجبا وهو كون مسلكه كالطاق والسرب او مصدر فعل محذوف اى اتعجب منه عجبا وقد قيل انه
من كلام موسى عم وليس بذاك قال اى موسى عم ذلك الذى ذكرت من امر الحوت ما كنا نبغ وقرئ باثبات الياء والضمير
العائد الى الموصول محذوف اصله نبغيه اى نطلبه لكونه امارة للفوز بالمرام فارتدا اى رجعا على آثارهما طريقهما الذى جاءا منه
قصصا يقصان قصصا اى يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا التنكير للتفخيم
والاضافة للتشريف والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس عم آتيناه رحمة من عندنا
هى الوحى والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء وعلمناه من لدنا علما خاصا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره
وهو علم الغيوب قال له موسى استئناف مبنى على سؤال نشأ من السياق كأنه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى
هل اتبعك على ان تعلمن استيذانا منه فى اتباعه له على وجه التعلم مما علمت رشدا اى علما ذا رشد ارشد به فى دينى وقرئ رشدا
اصابة الخير وقرئ بالفتحتين وهو مفعول علمت محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدى الى مفعول واحد ويجوز كونه علة لاتبعك او مصدرا
باضمار فعله ولا ينافى نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من اسرار العلوم الخفية ولقد راعى فى سوق الكلام غاية التواضع معه عم
قال اى الخضر انك لن تستطيع معى صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنه مما لا يصح ولا يستقيم وعلله بقوله
وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ايذانا بانه يتولى امورا خفية المدار منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة
لا يتمالك ان يشمئز عند مشاهدتها وفى صحيح البخارى قال الخضر يا موسى انى على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم
علمكه الله لا اعلمه وخبرا تمييز اى لم يحط به خبرك قال موسى عليه السلام ستجدنى ان شاء الله صابرا معك غير معترض عليك

وتوسيط الاستثناء بين مفعولي الوجدان لكمال الاعتناء بالتيقن وللتنبيه بتوهم تعلقه بالصبر ولا أعصي لك أمرا عطف على صابرا وغير عاص وقع بعد هذا الوجدان من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان أو على سجدني فلا محل له من الاعراب وهو الاول لما عرفت والظهور تعلقه بالاستثناء ح وفيه دليل على أن أفعال العباد بمشية الله سبحانه قال فإن اتبعتني إذن لزوال الاتباع بعد الاستثناء والفاء لتفريع الشرطية على ما مر من التزام موسى عم الصبر والطاعة فلا تسألني عن شيء تشاهده من افعالي لا تفاتحني بالسؤال عن حكمة فضلا عن المناقشة والاعتراض حتى أحدث لك منه ذكرا اي حتى أبتدئ ببيانه وفيه ايذان بأن صدوره عنه فلته حكمة وعلة جديدة البتة وهذا من ادب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسألن بالنون المثقلة فانطلقا اي موسى والخضر عم بطلبان السفينة وأما يوشع فقد صرفه موسى عم الى بني اسرائيل قيل انهما مرا بسفينة فكلما اهلها فعرفوا الخضر حملوهما بغير نول حتى إذا ركبا في السفينة استعمال الركوب في امثال هذه المواضع بكلمة في مع تجريده عنها في مثل قوله تعالى اركبوا فيها وزينة على ما يقتضيه تعديته لما اشرنا اليه في قوله تعالى وقال اركبوا فيها لا لما قيل من ان في اركبوا ايهاما معنى الدخول خرقها قيل خرقها بعد ما لجوا حيث اخذ فاسا فقلع من الواحها لوحين مما يلي الماء فعند ذلك قال موسى أخرقتها لتغرق أهلها من الاغراق وقرئ من التغريق وليوفق اهلها من الثلاثي لقد جئت انيت وفعلت شيئا إمرا اي عظيما هائلا من امر الامر اذا عظم قيل الاصل امر فخفف قال اي الخضر الم اقل إنك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما قاله من قبل وتحقيق لمضمونه متضمن للانكار على عدم الوفاء بالوعد قال لا تؤاخذني بما نسيت بنسياني أو بالذي نسيته او شيء نسيته وهو وصيته بان لا يسأله عن حكمة ما صدر عنه من الافعال الخفية الاسباب قيل بيانه ارادة شيء وصيته ولا مؤاخذة على الناسي كما ورد في صحيح البخاري من ان الاول كان من موسى نسيانا أو اخرج الكلام في موضع النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي بسط عذره في انكاره وهو من معاريض الكلام التي تبقى بها الكذب مع التوسل الى الغرض أو اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقني اي لا تغشني ولا تحملني من امري عسرا اي لا تعسر علي متابعتك وبسرها على بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بفتحتين فانطلقا الفاء فصيحة اي فعقيب عذره فخرجا من السفينة فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قيل كان الغلام يلعب بالغلمان فقتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه بالسكين قال اي موسى عم أقتلت نفسا زكية طاهرة عن الذنوب وقرئ زاكية بغير نفس اي بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان لانه الاقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر عن الخضر عم ههنا من جملة الشرط وابراز ما صدر عن موسى عم في موضع الجزاء المقصود افادة مع ان التحقيق انما هو ما صدر عن الخضر عم من الخوارق البديعة لاستشراف النفس الى ورود خبرها العلة ووقوعها في نفس الامر وسرعة وصول خبرها الى الاذهان ولذلك روعيت تلك النكتة في الشرطية الاولى لما ان صدور الخوارق منه عم فرع بوقوعه مخرج العادة فانصرفت عن ترتب الى ترتب احوال موسى عم هل يحافظ على مراعاة شرطه بموجب وعده الاكيد عند مشاهدة خارق آخر او يسارع عند المناقشة كما فعل في المرة الاولى فكان المقصود افادة ما صدر عنه عم فعل ما فعل وقد درت شان التنزيل وانا قيل من ان القتل اقبح الامرين عليه اوخل فكان جديرا بان يجعل عمدة في الكلام فليس من دفع الشبهة في شيء بل هو مؤيد لها فان كون القتل اقبح من مبادي قتله صدوره عن المؤمن العاقل وسرعة وصول خبره الى الاسماع وذلك مما يستدعي جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض عليه ادخل من موجبات كثرة صدوره عن كل عاقل في ذلك مما لا يقتضي جعله كذلك لقد جئت شيئا نكرا قيل معناه انكر في الاول اذ لا يكون تدارك كما يكون تدارك الاول بالسديد ونحوه وقيل الامر اعظم من النكر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زيد لك لدلالة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية وقلة التثبت والتدبر لما نكرا الاستبراء والانكار ولم يرعوا بالتذكير حتى زاد في التكير في المرة الثانية قال اي موسى عم إن سألتك عن شيء بعدها اي بعد هذه المرة فلا تصاحبني

وقرئ

وقرئ من الافعال اي لا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا اي قد اعذرت ووجدت من قبلي عذرا حيث خالفتك ثلث مرات
عن النبي عليه السلام رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع لدني بتخفيف النون وقرئ بسكون
الدال كعضد وعضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية انطاكية وقيل ابلة وهي ابعد ارض الله من السماء وقيل برقة
وقيل قرية بالاندلس وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن
السبيل حقه وقوله استطعما اهلها في محل الجر على انه صفة قرية ولعل العدول عن استطعامهم على ان يكون صفة للاهل لزيادة تشنيعهم على سوء
صنيعهم فان الاباء من الضيافة وهم اهلها قاطنون بها اقبح واشنع وروي انهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم
فابوا ان يضيفوهما بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الاضافة يقال ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفا وحقيقة
ضاف مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اي يداني ان يسقط فاستعير
الارادة للمشارفة للدلالة على المبالغة في ذلك والانقضاض الاسراع في السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض
ومنه انقضاض الطير والكوكب لسقوطه بسرعة وقيل هو افعلال من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاض من انقاضت
السن اذا انشقت طولا فاقامه قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل كان سمكه مائة ذراع قال
لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل لتنتعش به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كانه لما راى الحرمان ومساس
الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك الصبر واتخذ افتعل من تخذ بمعنى اخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرئ
لتخذت اي لاخذت وقرئ بادغام الذال في التاء قال اي الخضر عليه السلام هذا فراق بيني وبينك على اضافة المصدر الى الظرف اتساعا
وقد قرئ على الاصل والمشار اليه نفس الفراق كما في هذا اخوك او الوقت اي هذا الوقت وقت فراق بيني وبينك او
السؤال الثالث اي هذا سبب الفراق حسبما المعهود سانبئك السين للتاكيد لعدم تراخي التنبئة بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا الخ وعد بالرجوع الى التسبيب الذي اراده
والمراد به هنا المآل والعاقبة اذ هو المنبأ به دون التاويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص ابوي الغلام من شره مع الفوز
بالبدل الاحسن واستخراج اليتيمين للكنز وفي جعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى عليه السلام للصبر دون ان يقال بتاويل ما فعلت او بتاويل ما رايت
ونحوهما نوع تعريض به وعتاب اما السفينة فكانت لمساكين لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت
لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر واسناد العمل الى الكل حينئذ بطريق التغليب او لان عمل الوكلاء بمنزلة
عمل الموكلين فاردت ان اعيبها اي اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك اي امامهم وقد قرئ به او خلفهم وكان رجوعهم عليه
لا محالة واسمه جلندي بن كركر وقيل منوار بن جلندي الازدي ياخذ كل سفينة اي صالحة وقد قرئ كذلك غصبا
من اصحابها وانتصابه على انه مصدر مبين لنوع الاخذ ولعل تفريع ارادة تعييب السفينة على مسكنة اصحابها قبل بيان
خوف الغصب مع ان مدارها كلا الامرين للاعتناء بشانها اذ هي المحتاجة الى التاويل وللايذان بان الاقوى في المدارية هو الامر الاول
ولذلك لا يبالي بتخليص سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب في حقهم ايضا ولان في التاخير فصلا بين السفينة وضميرها مع توهم
رجوعه الى الاقرب واما الغلام الذي قتله فكان ابواه مؤمنين لم يصرح بكفره او بكونه اشعارا بعدم الحاجة
الى الذكر لظهوره فخشينا ان يرهقهما فخفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه
وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه
ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وانما خشي الخضر عليه السلام منه ذلك لان الله تعالى اعلمه بحاله واطلعه على سره وقرئ فخاف ربك اي
كره سبحانه وتعالى كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على الحكاية بمعنى فكرهنا كقوله لاقتلنك
فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه بان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه وفي التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة

على الارادة وصيانة الخير الى ما زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما اي رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما
جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا
مثلهما وقرئ يبدلهما بالتشديد وقرئ رحما بضم الحاء ايضا وانتصابه على التمييز مثل زكوة واما الجدار فكان لغلامين
يتيمين في المدينة هي القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لاظهار نوع اعتداد بها باعتداد ما فيها من اليتيمين
واليتيمين قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسور وكان تحته كنز لهما من فضة وذهب كما روي مرفوعا
والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما يتعلق بهما من حقوقهما وقيل كان لوحا
ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب
كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم وكان ابوهما
صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء فاراد ربك اي
مالكك ومدبر امورك في اضافة الرب الى ضمير موسى عم دون ضميرهما تنبيه له عليه السلام على تحتم كمال الانقياد والاستسلام
للارادة به ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيها وفي حسن الامور المذكورة ان يبلغا اشدهما اي حلمهما وكمال رأيهما
ويستخرجا كنزهما من تحت الجدار ولولا اني اقمته لانقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظه والانتفاع به وضاع بالكلية
رحمة من ربك مصدر في موقع الحال اي مرحومين منه تعالى او مفعول له وهو مصدر موكد لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف
اي فعلت ما فعلت من الامور التي شاهدتها رحمة من ربك ويعضده اضافة الرب الى ضمير المخاطب دون ضميرهما لكون قوله
وما فعلته عن امري اي عن رأيي واجتهادي وانما فعلته بامر الله ذلك اشارة الى العواقب المنظومة في سلك البيان وما فيه من
معنى البعد للايذان ببعد درجتها في الفخامة تاويل ما لم تسطع اي لم تستطع فحذف التاء للتخفيف عليه صبرا من الامور
التي رأيتها اي مآله وعاقبته فيكون انجاز للتنبئة الموعود او الى التنبئة نفسه فيكون التاويل بمعناه وعلى كل حال
فهو فذلكة لما تقدم وفي جعل الصلة عين ما مر تكرير للنكير وتشديد للعتاب. تنبيه. اختلفوا في حيوة الخضر فقيل انه حي
وانه كان على مقدمة ذي القرنين فلما دخل الظلمات اصاب الخضر عم عين الحيوة واغتسل منها وشرب منها واخطأ
ذو القرنين الطريق فعاد قالوا والياس ايضا في الحيوة يلتقيان في كل سنة بالموسم وقيل انه ميت لما روي انه عليه السلام
صلى العشاء ذات ليلة ثم قال ارايتكم ليلتكم هذه فانه رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان
الخضر حيا لما عاش بعد مائة عام روي ان موسى عم لما اراد ان يفارقه قال له اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به
واطلبه لتعمل به ويسألونك عن ذي القرنين هم اليهود سألوه على وجه الامتحان او مشركوا قريش بتلقينهم وضع الاستقبال
للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين الاكبر اسمه الاسكندر بن فيلقوس اليوناني قال ابن اسحق
اسمه مرزبان مرذبة من ولد يافث بن نوح عليه السلام وكان اسود وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان
بن منصور بن عبد الله بن الازد بن عون بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان وقال السهيلي قيل ان اسمه مرزبان بن
مدركة ذكره ابن هشام وهو اول التبابعة وقيل افريدون بن اثفيان الذي قتل الضحاك وذكر ابو الريحان البيروني في كتابه
المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية ان ذا القرنين هو ابو كرب سمي بن عبير بن افريقش الحميري وان ملكه بلغ مشارق الارض
ومغاربها وهو الذي افتخر به التبع اليماني حيث قال قد كان ذو القرنين جدي مسلما ملكا علا في الارض غير مفند بلغ المشارق
والمغارب يبتغي اسباب امر من حكيم وجعل هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن كذي المنار وذي نواس وذي النون
وذي رعين وذي يزن وذي جدن قال الامام الرازي الاول اظهر لان من بلغ ملكه من السعة والقوة الى الغاية التي

مطلب مما يحفظ ويتقل به

التى نطق به التنزيل الجليل انما هو الاسكندر اليونانى كما تشهد به كتب التواريخ **يروى** انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوائف
ثم قصد ملوك العرب وقهرهم ثم امعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد
بنى اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح فى مذبحه ثم انعطف الى رمنية وباب الابواب ودان له الواقيون والقبط والبربر ثم توجه
نحو دارا بن دارا وهزمه دارا الى ان قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند وفتحه وهى مدينة سرنديب وغيرها ثم قصد الصين
وغزا الامم البعيدة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات انتهى كلام الامام **وروى** ان اهل النجوم قالوا له انك لا تموت الا على ارض من حديد
وتحت سماء من خشب وكان يدفن كنز كل بلدة فيها ويكتب فى لك بصفته وموضعه فبلغ بابل فرعف فسقط عن دابته فبسطت له دروع فنام عليها
فاذا ته الشمس فاظلوه بترس فنظر فقال هذا ارض من حديد وسماؤه من خشب فابقى بالموت فمات وهو ابن الف وستمائة سنة **وقيل**
ثلثة الاف سنة **قال** ابن كثير وهذا غريب واغرب منه ما قاله ابن عساكر من انه بلغ انه عاش ستا وثلثين سنة او ثنتين وثلثين سنة
وانه كان بعد داود وسليمان عليهما السلام فان ذلك لا يطابق الا على ذى القرنين الثانى كما سنذكره **قلت** وكذا ما ذكره الامام من قصد بنى اسرائيل
وورود بيت المقدس والذبح فى مذبحه فان ذلك انما كان يتأتى نسبته الى الاول **واختلف** فى نبوته بعد الاتفاق على اسلامه وولايته فقيل كان نبيا
لقوله تعالى انا مكنا له فى الارض وظاهره انه متأول للمتكلمين فى الدين وكما له بالنبوة ولقوله تعالى وآتيناه من كل شئ سببا ومن جملة الاشياء النبوة
ولقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين وخوذ لك **وقيل** كان ملكا لما روى ان عمر رضه سمع رجلا يقول لآخر يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا ما رضيتم ان تسموا
باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملئكة **قال** ابن كثير انه ما كان نبيا ولا ملكا وانما كان ملكا صالحا عادلا ملك الاقاليم وقهر اهلها
من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وانه كان داعيا الى الله تعالى سائرا فى الخلق بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المنصور وكان الخضر
على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذى هو من الملك بمنزلة الوزير **وقد** ذكر الازرقى وغيره انه اسلم على يدى ابرهيم الخليل فطاف معه بالكعبة
واسمعيل **وروى** انه حج ماشيا فلما سمع ابرهيم بقدومه تلقاه ودعا له واوصاه بوصايا وقال انه ابنى بنوس ليركب فقال الاركب فيه
فيه الخليل فعند ذلك سخر له السحاب وطوى له الاسباب وبشر ابرهيم بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلاتهم اذا ارادوا
غزوة قوم **قال** ابو الطفيل سئل عنه على رضه اكان نبيا او ملكا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا لكن كان عبدا احب الله فاحبه وناصح الله
فناصحه سخر له السحاب **وقد** له الاسباب **واختلف** فى وجه تسميته بذى القرنين فقيل لانه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها **وقيل** لانه ملك
الروم والفارس **وقيل** الروم والترك **وقيل** لانه كان فى راسه اوفى تاجه مايشبه القرنين **وقيل** لانه كان له ذوابتان **وقيل** لانه كان صفحتا
راسه من النحاس **وقيل** لانه دعا الناس الى الله عز وجل فضرب بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تعالى فضرب بقرنه الايسر فمات ثم بعثه الله تعالى
وقيل لانه راى فى منامه انه صعد الفلك فاخذ بقرنى الشمس **وقيل** لانه انقرض فى عهده قرنان **وقيل** لانه سخر النور والظلمة فاذا سرى
يهدى النور من امامه وتخوط الظلمة من ورائه **وقيل** لقب به لشجاعته هذا **واما ذو القرنين الثانى** فقد قال كثير انه الاسكندر بن فيلبس بن مهم
بن مهرس بن مبطون بن رومى بن ليطى بن يونان بن يافث بن نوح بن شرخون بن رومية بن توقط بن نوفيل بن رومى بن الاصغر
بن العيز بن العيص بن اسحق بن ابرهيم الخليل عليه السلام كذا نسبه بن العاكر المقدونى اليونانى المصرى بانى الاسكندرية الذى يؤرخ
بايامه الروم وكان متاخرا عن الاول بدهر طويل اكثر من الفى سنة كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلثمائة سنة وكان وزيره ارسطاطاليس
الفيلسوف وهو قتيل دارا بن دارا واذل ملوك الفرس ووطئ ارضهم ثم قالوا انما بنينا هذا لان كثيرا من الناس يعتقد انهما واحد وان المذكور
فى القرآن العظيم هو هذا المتأخر فيقع بذلك خطأ كبير وفساد كثير كيف لا والاول كان عبدا صالحا مؤمنا وملكا عادلا ووزيره الخضر
وقد قيل انه كان نبيا **وقيل** فقد كان كافرا ووزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وقد كان ما بينهما فى الزمان اكثر من الفى سنة
فاين هذا من ذاك انتهى **قلت** المقدونى نسبة الى بلدة من بلاد الروم غربى دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لا زالت مشحونة
بالشعائر الدينية بينهما من المسافة مسيرة خمسة عشر يوما وكذلك عند مدينة سيروز اسمها بلغة اليونانيين مقدونيا

كانت سرير ملك هذا الاسكندر وهي اليوم بلقع لا يقيم بها احد ولكن فيها علائم تحكي كمال عظمها في عهد عمرانها ونهاية شوكة واليها وسلطانها
ولقد مررت بها عند التغول عن بعض المغازي السلطانية فعاينت فيها من تعاجيب الآثار ما فيه عبرة لاولي الابصار قل لهم في الجواب
سأتلو عليكم سأذكر لكم منه اي من ذي القرنين ذكرا اي نبأ مذكورا وحيث كان ذلك بطريق الوحي المتلو حكاية عما جرى به الله عز وجل
قيل سأتلو في شأنه من جهته تعالى ذكرا اي قرآنا والتنوين للتأكيد والدلالة على التحقق المناسب لمقام تأييده وتصديقه بالانجاز وعد
اي لا اترك التلاوة البتة كما في قول من قال سأشكر عمرا ان تراخت منيتي ايادي لم تمنن وان هي جلت للدلالة على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل
كما قيل ان هذه الآية ما نزلت بانفراده بل قبل الوحي بتمام القصة بل موصولة بما بعدها ريثما تلوه وعن وقوع الروح وعن اصحاب الكهف فقال لهم
ائتوني غدا اخبركم فابطأ عليه الوحي خمسة عشر يوما او اربعين كما ذكر فيما سلف وقوله عز وجل إنا مكنا له في الأرض شروع في تلاوة
الذكر المعهود صباح الموعود والتمكين ههنا الاقدار والتمهيد الاسباب يقال مكنه ومكن له ومعنى الاول قادرا وقويا ومعنى الثاني جعل له قدرة
وقوة وتلازمهما في الوجود وتقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الآخر كما في قوله عز وعلا مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي جعلناهم قادرين
من حيث القوى والاسباب والآلات على انواع التصرفات فيها ما لم نجعله لكم من القوة والسعة في المال وآلات ظهاره بالعدد والاسباب فكانه قيل ما لم نمكنكم
فيها اي ما لم نجعلكم قادرين على ذلك فيها او مكنا لهم في الارض ما لم نمكن لكم وهكذا اذا كان التمكين ماخوذا من المكان بناء على توهم معنى اصلية
كما اشير اليه في سورة يوسف وم والمعنى انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الارض من حيث التدبير والرأي والاسباب حيث سخرنا الاسباب
ومهدنا له في الاسباب وبسطنا النور وكملنا الليل والنهار عليه سواء وسهلنا عليه السير في الارض وذللنا له طرقها وآتيناه من كل شيء
اراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه سببا اي طريقا يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة
فأتبع بالقطع اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية وقرئ فاتبع
من الافتعال والفرق ان الاول فيه معنى الادراك والاسراع دون الثاني حتى إذا بلغ مغرب الشمس اي منتهى الارض من جهة المغرب
بحيث لا يمكن احد من مجاوزته وقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له اوقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة بالخالدات التي هي
مبدأ الاطوال على احد القولين وجدها اي الشمس تغرب في عين حمئة اي ذات حمأة وهي الطين الاسود من حمئت البئر اذا كثر
حمأتها وقرئ حامئة اي حارة روي ان معاوية رضه قرأ حامية وعند ابن عباس فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرأ
قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين وروي فناطحها فوافق قول ابن عباس رضه قوله
بينهما مناقاة قطعية لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون الياء في الثانية منقلبة من الهمزة للانكسار ما قبلها وآما رجوع معاوية رضه
الى قول ابن عباس رضه باتسعه من كعب مع ان قراءته ايضا مسموعة قطعا فلكون قراءة ابن عباس رضه قطعية في حد ذاتها وقراءته محتملة ولعله
لما بلغ ساحل المحيط رآها كذلك اذ ليس في مطمح نظره غير الماء كما يلوح به قوله تعالى وجد من دونهما قوما عند تلك العين
قيل كان لباسهم جلود الوحوش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله جل ذكره بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم
الى الايمان وذلك قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين إما ان تعذب بالقتل من اول الامر وإما ان تتخذ فيهم حسنا اي امرا
ذا حسن على حذف المضاف او على طريقة اطلاق المصدر على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة الى الاسلام والارشاد الى الشرائع وحمل ان صلته
اما الرفع على الابتداء او الخبرية واما النصب على المفعولية اي اما تعذيبك واقع او اما اوكل تعذيبك وهكذا الحال في الاتخاذ ومن لم يقبل
بنبوته قال كان الخطاب بواسطة نبي في ذلك العصر وكان ذلك الهاما لا وحيا بعد ان كان ذلك التخيير موافقا لشريعة ذلك النبي
قال اي ذو القرنين لذلك النبي او لمن عنده من خواصه بعد ما بلغ امره تعالى مختارا للشق الاخير أما من ظلم اي نفسه ولم يقبل
دعوتي واصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك فسوف نعذبه بالقتل وعن قتادة انه كان يطبخ من كفر في القدور
ومن آمن اعطاه وكساه ثم يرد الى ربه في الآخرة فيعذبه فيها عذابا نكرا اي منكرا فظيعا وهو عذاب النار وفيه دلالة

اي على التقديرين منه

ظاهرة على ان الخطاب لم يكن بطريق الوحي اليه وان مقاولته مع النبي او مع من عنده من اهل مشورته واما من آمن بموجب دعوتي
وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى اي فله المثوبة الحسنى والفعلة الحسنى او الجنة جزاء على
مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدا اعتناء به او منصوب بمضمر اي نجزي بها جزاء والجملة حالية او معترضة بين المبتدا والخبر المتقدم عليه او حال
اي مجزيا بها او تمييز وقرئ منصوبا بغير منون على انه سقط تنوينه للاتقاء الكنين او مرفوعا منونا على انه المبتدا والحسنى بدله والخبر الجار
والمجرور وقيل خير بين الفعل والامر والجواب من باب الاسلوب الحكيم لان الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال اما الكافر فيراعى في حقه قوة
الاسلام واما المؤمن فلا يتعرض له الا بما يجب ويجوز ان يكون اما واما للتوزيع دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان
فالاول لمن بقي على حاله والثاني لمن تاب وسنقول له من امرنا اي مما يامرنا به يسرا اي طريقا واجبا من مغرب الشمس موصلا الى آخر ما
صنع اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي يطلع عليه الشمس اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف اي مكان
طلوع الشمس فانه مصدر قيل بلغه فراشتي عشرة سنة وقيل في اقل من ذلك بناء على ما ذكر من انه تسخر له السحاب وطوى له الاسباب
ووجد ما تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء وقيل هم الزنج وعن كعب ان ارضهم لا يمسك الماء وبها
اسراب فاذا طلع الشمس دخلوا الاسراب او البحر فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت القبض فسالت
عن هؤلاء فقالوا ابيك وبينهم مسيرة يوم وليلة فطلعتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له
جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس
على الماء اذا هو فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا رباهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس
فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك اي امر ذي التوسيع كما وصفناه
ذلك في رفعة المحل وبسطة الملك او امره فيهم كامره في امر المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف او جعل
او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك العجيل الذي يوب عليهم الشمس في الكفر والحكم او سترا مثل ستركم من اللباس والاكنان والجبال وغير ذلك
وقد احطنا بالدنيه من الاسباب والعدد خبرا يعني ان ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير مذعنا على الوجه الاول
واما على الوجوه الباقية فالمراد بما لدنه ما يتناول ما جرى عليه وما صدر عنه وما لاقاه فتامل ثم اتبع سببا اي طريقا ثالثا معترضا
بين المشرق والمغرب اخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين اللذين سد ما بينهما وهو منقطع ارض
الترك مما يلي المشرق لا جبل ارمينية وآذربايجان كما توهم وقرئ بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل الخلق فهو
مفتوح وانتصاب بين على المفعولية لانه مبلوغ وهو من الظروف تستعمل اسماء ايضا كما ارتفع في قوله تعالى لقد تقطع بينكم والجر في قوله
فراق بيني وبينك ووجد من دونهما من ورائهما مجاوزا عنهما قوما اي امة من الناس لا يكادون يفقهون قولا
لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ من باب الافعال اي لا يفهمون السامع كلامهم واضلفوا فانهم من اتى الا قوم قال بعضهم هم صيل
من الترك وقال السدي الترك سرية من ياجوج وماجوج خرجت فضربت ذو القرنين السد فنقبت خارجة فجميع الترك منهم
وعن قتادة انهم اثنان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة منهم ونقبت واحدة فخرجوا الترك لانهم نزكوا
خارجين قال اهل التاريخ اولاد نوح ثلثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج
والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة وياجوج وماجوج قالوا اي بواسطة مترجمهم او بالذات على ان يكون فهمهم ذو القرنين
كلامهم وافهام كلامه اياهم من جملة ما آتاه الله تعالى من الاسباب يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج قد ذكرنا انتهاء اولاد
يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل واضلف في صفاتهم فقيل في عاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد
قدهم على شبر واحد وقيل في نهاية عظم الجسم وطول القامة يبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه كذلك

وقيل لهم مخالب واضراس كالسباع وهما اسمان لعجميين بدليل منع الصرف وقيل عربيان من آج الظلم اذا اسرع وآصلها الهمزة كما ذكر اعلم
وقد قرئ بغير همزة ومنع صرفها للتعريف والتانيث مفسدون في الارض اى في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل
كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضرا الا اكلوه ولا يابسا الا اصطلموه وقيل كانوا ياكلون الناس ايضا فهل نجعل لك خرجا
اى جعلا من اموالنا والفاء للتنبيه على فساد عرضهم في الارض وقرئ خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل
الخراج ما على الارض والذمة والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل راس والخراج ما كان على البلد وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج
ما لزمك اداؤه على ان تجعل بيننا وبينهم سدا وقرئ بالضم قال ما مكنني بالادغام وقرئ بالفك اى ما مكنني فيه ربي
وجعلني فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب خير اى مما تريدون ان تبذلوه الي من الخرج فلا حاجة بي اليه فاعينوني
بقوة اى بعملة وصناع يحسنون البناء والعمل وآلات لا بد منها في البناء والفاء لتنزيل الامر بالاعانة على ما مكنه الله تعالى فيه
من مالهم او على عدم قبول خرجهم اجعل جواب للامر بينكم وبينهم تقديم اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافة الى ضمير ياجوج وماجوج
لاظهار كمال العناية بمصالحهم كما راعوه في قولهم بيننا وبينهم ردما اى حاجزا حصينا وبرزخا متينا وهو اكبر من السد
واوثق تعال ثوب زردم اى فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه آتوني زبر الحديد جمع زبرة كغرف
في غرفة وهي القطعة الكبيرة وهذا لا ينافي ردغ اجرهم لان الامور الا بالثمن او المناولة كما ينبئ عنه التواوة بوصل الهمزة
اى جيئوني بزبر الحديد على حذف الباء كما في فرشته الخير ولان اتيانه الآلة من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل ولعل
تخصيص الامر بالاتيان بها دون سائر الآلات من الحطب والخشب ونحوهما لما ان الحاجة اليها امس اذ هي الركن في السد ووجود
اعز قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم
سد ما بين الجبلين الى اعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله عز قائلا حتى اذا ساوى بين الصدفين اى اتاه ما يافاخ
سى شيئا فشيئا حتى اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان مساويا بالهما في السمك على النهج المحكي قيل كان ارتفاعه
مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا وقرئ سوى من التسوية وسوى على البناء للمجهول قال للعملة انفخوا اى بالكير
في الحديد المبني ففعلوا حتى اذا جعله اى المنفوخ فيه نارا اى كالنار في الحرارة والهيئة واسناد الجعل المذكور الى ذي العرش
مع انه فعل العملة للتنبيه على ان العمدة في ذلك هو هم بمنزلة الآلة قال الذين يتولون امر النحاس من الاذابة ونحوها آتوني
افرغ عليه قطرا اى آتوني قطرا ما افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ بالوصل اى جيئوني كما تقدم
يستدعي للاعانة باليد عند الافراغ واسناد الافراغ الى نفسه للسر الذي وقفت عليه آنفا وكذا الكلام في قوله تعالى اجعل
فما اسطاعوا بحذف تاء الافتعال تخفيفا وصدرا غير ملتئمين وقرئ بالادغام وفيه جمع على الساكنين على غير حده وقرئ
بقلب السين صادا وللفاء فصيحة اى فجعلوا ما امروا به من اتيان القطر والافراغ فافرغه عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض
فصار جبلا صلدا فجاء ياجوج وماجوج فقصد ان يعلوه وينقبوه فما اسطاعوا ان يظهروه اى يعلوه ويرقوه وقيه للارتفاع
وملاسته وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته وهذه معجزة عظيمة لان تلك الزبر مع الكمية الكثيرة اذا اثرت فيها حرارة النار
لا يقدر الحيوان على ان يجوم حولها فضلا عن النفخ فيها الى ان تكون كالنار او عن انواع القطر عليها فكانه سبحانه وضع حرف تاثير تلك
الحرارة العظيمة في ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان والله على كل شيء قدير وقيل بناه من الصفر وتبطا بعضها ببعض
بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها بحيث لم يبق هناك فرجة اصلا قال اى ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك الديار
وغيرهم هذا اشارة الى السد وقيل الى تمكينه من بنائه والفضل للمتقدم اى هذا الذي ظهر على ايدي وحصل بمباشرتي من السد
الذي شانه ذكر من المتانة وصعوبة المنال رحمة اى اثر رحمة عظيمة عبر عنه بها مبالغة من ربي على كافة العباد لا سيما

أبرة بيان

على مجاوريه وفيه ايذان بانه ليس من قبيل الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو احسان الهي محض وان ظهر بمباشرتي والتعرض
لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة فاذا جاء وعد ربي مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيمة لا خروج ياجوج وماجوج كما قيل
اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئه مجيء مبادیه من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عم ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط كما قيل
فان بعض الامور التي ستحكى يقع بعد مجيئه حتما جعله اي السد المشار اليه مع متانته ورصانته من الاجزاء التي ما ليس في توجيه
الاشارة السابقة الى التمكين المذكور دكاء اي ارضا مستوية وقرئ دكا اي مدكوكا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع
فقد اندك ومنه جمل الادك اي المنبسط السنام وهذا الجعل وقت مجيء الوعد بمجيء بعض مباديه وفيه بيان لعظم قدرته عز وجل بعد بيان
سعة رحمته وكان وعد ربي اي وعده المعهود او كل ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا حقا ثابتا لا محالة واقعا البتة
وهذه الجملة تذييل من ذي القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر لمضمونها وهو آخر ما حكي من قصته وقوله عز وجل وتركنا بعضهم
كلام مسوق من جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكا ومحقق لمضمونه اي جعلنا بعض الخلائق يومئذ اي يوم اذ جاء الوعد بمجيء بعض
مباديه يموج في بعض آخر منهم يضطربون اضطراب امواج البحر ويختلط انسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل
النفخة الاولى او تركنا بعض ياجوج وماجوج يموج في بعض آخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين في البلاد روي انهم ياتون البحر
فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت
المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا في اقفائهم فيدخل في آذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل الله تعالى طيرا فتلقيهم في البحر ثم يرسل مطرا
يغسل الارض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها البركة وذلك بعد نزول المسيح عليه السلام وقتل الدجال ونفخ
في الصور هي النفخة الثانية بقضية الفاء في قوله تعالى فجمعناهم ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الاولى لانها داهية عامة ليس فيها حالة مختصة
بالكفار ولئلا يقع الفصل بين ما يقع في النشاة الاولى من الاحوال والاهوال وبين ما يقع منها في النشاة الآخرة اي جمعنا الخلائق بعد
ما تفرقت اوصالهم وتمزقت اجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء جمعا اي جمعا عجيبا لا يكتنه كنهه وعرضنا جهنم اظهرناها
وابرزناها يومئذ يوم اذ جمعنا الخلائق كافة للكافرين منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظا وزفيرا
عرضا اي عرضا فظيعا هائلا لا يقادر قدره والتعرض بهم مع انها بمرأى من اهل الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم خاصة الذين
كانت اعينهم وهم في الدنيا في غطاء كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب عن ذكري عن الآيات
المؤدية لاولي الابصار المتدبرين فيها الى ذكري بالتوحيد والتمجيد او كانت اعين بصائرهم في غطاء عن ذكري على وجه يليق بشاني
او عن القرآن الكريم وكانوا مع ذلك لا يستطيعون لفرط تصامهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول صلى الله عليه وسلم سمعا
استماعا لذكري وكلامي الحق الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا تمثيل لاعراضهم عن الادلة السمعية كما ان الاول
تصوير لتعاميهم عن الآيات المشاهدة بالابصار والموصول للكافرين او بدل منه او بيان جيء به لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار
بعليته لاصابة ما اصابهم من عرض جهنم لهم فان ذلك انما هو لعدم استعمال مشاعرهم فيما عرض لهم في الدنيا من الآيات واعراضهم عنها مع كونها
اسبابا منجية عما ابتلوا به في الآخرة افحسب الذين كفروا اي كفروا بي كما يعرب عنه قوله تعالى عبادي والحسبان بمعنى الظن
وقد قرئ افظن والهمزة للانكار والتوبيخ على معنى انكار الواقع واستقباحه كما في قولك اضربت اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله
تعالى اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه الصلة على توجيه الانكار والتوبيخ الى المعطوفين جميعا كما اذا قدر المعطوف عليه
في قوله تعالى افلا تعقلون منفيا اي الا تسمعون فلا تعقلون لا الى المعطوف فقط كما اذا قدر مثبتا اي اتسمعون فلا تعقلون والمعنى
اكفروا بي مع جلالة شاني فحسبوا ان يتخذوا عبادي من دوني من الملئكة وعيسى وعزير وهم تحت سلطاني وملكوتي
اولياء معبودين ينصرونهم من باسي وما قيل انها للعطف على قبلها من قوله تعالى كانت الخ وكانوا الخ دلالة على ان الحسبان

وهو دود يكون في انوف الغنم

ناشئ من التعامي والتصامي وادخل عليها همزة الانكار ذمًّا على ذمٍّ وقطعًا له عن المعطوف عليها لفظًا لا معنًى للايذان بالاستقلال
المؤكد للذم بأباءه ترك الاضمار والتعرض لوصف آخر غير التعامي والتصامي على انهما أفرغا فحوى الاحوال الجبلية لهم ولم يذكر ان حيث
انهما من افعالهم الاختيارية الحادثة لحسابهم ليحسن تنويعه عليهما وايضًا فانه دين قديم لهم لا يمكن جعله ناشئًا عن تصاممهم عن كلامه
عز وجل وتخصيص الانكار لحسبانهم المتأخر عن ذلك تعسف لا يخفى وما في حيز صلة ان سادة مفعولي حسب كما في قوله تحسبوا
ان لا يكون فتنة اي اخبروا انهم يتخذونهم اولياء على معنى ان ذلك ليس من الاتخاذ في شيء لما ان اتما يكون من الجانبين وهم عليهم السلام
منزهون عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقيل مفعولا الثاني محذوف اي افحسبوا اتخاذهم نافعهم والوجه
هو الاول لان في هذا تسليمًا للنفس الاتخاذ واعتدادًا به في الجملة وقرئ أفحسب الذين كفروا اي افحسبهم وكافيهم ان يتخذوهم اولياء
على الابتداء والجار والفعل والفاعل خبر ان النعت اذا اعتمد الهمزة سادّ مسدّ الفعل فالهمزة مع بعض انكار الوقوع انا اعتدنا
جهنم اي هيأنا لهم الكافرين المعهودين عدل عن الاضمار ذمًّا لهم واشعارًا بان ذلك الاعتداد بسبب كفرهم المتقدم لحسبانهم
نزلا اي شيئا يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزيل اول الضيف مما حضر من الطعام وفيه تخطئة لهم في حسبانهم وتهكم بهم
حيث كان اتخاذهم اياهم اولياء من قبيل اعداد العتاد واعداد الزاد ليوم المعاد فكانه قيل انا اعتدنا لهم مكان ما اعدوا لانفسهم
من العدة والذخر جهنم عدة وفي ايراد النزل ايماء الى ان لهم وراء جهنم من العذاب ما هي انموذج له وقيل النزل موضع النزول
وكذلك فسره ابن عباس رضه بالمثوى قل هل ننبئكم الخطاب الثاني للكفرة على وجه التوبيخ والجمع في صيغة المتكلم لتعيينه فانه لا يليق الا
وللايذان بعلو منزلة النباء للمؤمنين ايضًا بالاخسرين اعمالا منصوب على التمييز والجمع للايذان بتنوعها وهذا بيان لحال الكفرة
باعتبار ما صدر عنهم من الاعمال الحسنة في انفسها وفي حسبانهم ايضًا حيث كانوا معجبين واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة آثار ما يغبطون
حالهم باعتبار اعمالهم السيئة في انفسها مع كونها حسنة في حسبانهم الذين ضل سعيهم في اقامة تلك الاعمال اي ضاع وبطل
بالكلية في الحيوة الدنيا متعلق بالسعي لا بالضلال لان بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا وقيل المراد بهم اهل الكتابين قاله
ابن عباس وسعد بن ابي وقاص ومجاهد رضه والحق عمومهم ويدخل في الاعمال جميع ما عملوه مما لا حكم المنسوخة المتعلقة بالعبادات وقيل
الرهبانية الذين يحسبون انفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة ولعله ما يعمهم وغيرهم من الكفرة وتخلل الموصول الرفع على انه
خبر مبتدإ محذوف لانه جواب للسؤال كانه قيل من فعيل الذين الخ وجعله مجرورًا به على انه نعت للاخسرين او بدل منه او منصوبًا
على الذم على ان الجواب ما سيأتي من قوله تعالى اولئك الآية بأباه ان صدره ليس منبئًا عن خسران الاعمال وضلال السعي
كما يستدعيه مقام الجواب والتنويع الاول وان دل على صولها لكنه ساكت عن انباء ما هو العمدة في تحقيق معنى الخسران من الوثوق
بترتب النتائج واعتداد النفع فيما صنعوا على ان التنويع الثاني مما يقطع ذلك الاحتمال رأسًا اذ لا مجال للاخبار تحت الامر بمقتضية
كون العظة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق وهو هنا الوصف المستلزم
لحسنها الذاتي اي يحسبون انهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لاعجابهم باعمالهم التي سعوا في اقامتها وكابدوا في تحصيلها
والجملة حال من فاعل ضل اي بطل سعيهم المذكور والحال انهم يحسبون انهم يحسنون في ذلك ويبتغون بآثاره او من المضاف اليه
لكونه في محل الرفع نحو قوله تعالى اليه مرجعكم جميعًا اي بطل سعيهم والحال انهم الخ والفرق بينهما ان المقارن لحال حسبانهم المذكور
في الاول ضلال سعيهم وفي الثاني نفس سعيهم والاول ادخل في بيان خطئهم اولئك كلام مستأنف من جهته تعالى مسوق
لتكميل تعريف الاخسرين وتبيين سبب خسرانهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين بغير داخل تحت الامر
اي اولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان المذكور الذين كفروا بآيات ربهم بدلائله الداعية الى التوحيد
عقلًا ونقلًا والتعرض لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح حالهم في الكفر المذكور ولقائه بالبعث وما يتبعه من امور الآخرة على ما هي عليه

فبطلت

فحبطت لذلك اعمالهم المعهودة حبوطا كليا فلا نقيم لهم اى لاولئك الموصوفين بما مر من حبوط الاعمال وقرئ بالياء
يوم القيمة وزنا اى فنزدريهم ولا نجعل مقدارا واعتبارا لان مداره الاعمال الحاطة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء
من عواقب حبوط الاعمال عطف عليه بطريق التعريف واما ما هو من اجزية الكفر فسيجئ بعد ذلك او لا نضع لاجل وزن اعمالهم ميزانا
لآخرتنا يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين بطريق الكمية واما الكفرة فاحاطة الحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم
الميزان قطعا ذلك بيان لمآل كفرهم وسائر معاصيهم اثر بيان مآل اعمالهم المحبطة بذلك اى الامر ذلك فقوله عز وجل جزاؤهم
جهنم جملة مبينة ذلك او ذلك مبتدأ والجملة خبر فالعائد محذوف اى جزاؤهم بسببه عطف بيان للخبر بما كفروا تصريح بان ما ذكر
جزاء لكفرهم المتضمن لسائر القبائح التي أنبأ عنها قوله تعالى واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اى مهزوا بهما فانهم لم يقنعوا
بمجرد الكفر بالآيات والكفر بل ارتكبوا امثل تلك العظيمة ايضا إن الذين آمنوا بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتصفوا
باضداد ما اتصف به الكفرة اثر بيان مآلهم بطريق الوعيد اى آمنوا بآيات ربهم ولقائه وعملوا الصالحات من الاعمال
كانت لهم فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده ووفيه ايماء الى ان اثر الرحمة يصل اليهم بمقتضى الرأفة الازلية بخلاف ما مر من حصول جهنم
للكافرين نزلا فانه بموجب ما احدثوه من سوء اختيارهم جنات الفردوس عن مجاهد ان الفردوس هو البستان بالرومية
وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال الضحاك هي الجنة الملتفة الاشجار وقيل هي الجنة التي تنبت حولها من النبات وقيل هي الجنة
من الكرم خاصة وقيل ما كان غالبه كرما وقال المبرد هو فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والاغلب عليه ان يكون من العنب و
وعن كعب انه ليس في الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الجنة مائة درجة ما بين كل درجة مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها وفيها الانهار الاربعة فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس
فان فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة نزلا خبر كانت والجار والمجرور متعلق بمحذوف على انه حال من نزلا آخر على انه
بيان او حال من جنات الفردوس والجار والمجرور فان جعل النزل بمعنى ما يتهيأ للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنات
الفردوس نزلا او جعلت نفس الجنات نزلا مبالغة في الاكرام وفيه ايذان بانها انما اعدت لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله
اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بعد الانزال بالنسبة الى الضيافة وان جعل
بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر خالدين فيها نصب على الحالية لا يبغون عنها حولا مصدر كالعود والصغر اى لا يطلبون تحولا
عنها اذ لا يتصور ان يكون شئ اعز عندهم وارفع منها حتى تنازعهم اليه انفسهم وتطمح نحوه ابصارهم ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود
والجملة حال من صاحب خالدين او من ضميره فيكون حالا متداخلة قل لو كان البحر اى جنس البحر مدادا وهو ما يمد به الدواة
من الحبر لكلمات ربي لتحرير كلماته وحكمه التي من جملتها ما ذكر من الآيات الداعية الى التوحيد المحذرة عن الاشراك لنفد البحر
مع كثرته ولم يبق منه شئ لتناهيه قبل ان تنفد وقرئ بالياء والمعنى من غير ان تنفد كلمات ربي لعدم تناهيها فلا دلالة
للكلام على نفاد ما بعد نفاد البحر وفي اضافة الكلمات الى اسم الرب المضاف الى ضميره عليه السلام في الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف
المضاف اليه ما لا يخفى واظهار البحر والكلمات في موضع الاضمار لزيادة التقرير ولو جئنا بمثله كلمات من جهته تعالى غير داخل في الكلام
الملقن جئ به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتاكيد والواو لعطف الجملة على نظيرتها السابقة المقابلة لها
المحذوفة لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة اى لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى ولم يجئ بمثله مددا ولو جئنا بقدر تناهيه
بمثله مددا عونا وزيادة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا لقيام
الادلة القاطعة على تناهي الابعاد وقرئ مدادا جمع مدة وهي ما تسد الكاتب وقرئ مددا قل لهم بعد ما بينت لهم شان
كلماته تعالى إنما أنا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة بكلماته التامة يوحى الي من تلك الكلمات انما إلهكم إله واحد

فمن كان يرجو لقاء ربه • فمن كان يأمل حسن لقائه • وان يلقى لقاء رضا وقبول • او فمن كان يخاف سوء لقائه • والمراد باللقاء القدوم عليه • وقيل رؤيته كما هو حقيقة اللفظ • والرجاء على هذا محمول على حقيقته • مدارك

لا شريك له في الخلق ولا في سائر احكام الالوهية وانما تميزت عنكم بذلك • فمن كان يرجو لقاء ربه • الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل والمراد بلقائه تع كرامته وادخال الماضي على المستقبل للدلالة على ان اللائق بحال المؤمن الاستمرار والاستدامة على رجاء اللقاء اي فمن استمر على رجاء كرامته تع فليعمل لتحصيل تلك الطلبة العزيزة عملا صالحا • في نفسه لائقا بذلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات • ولا يشرك بعبادة ربه احدا • اشراكا جليا كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا اشراكا خفيا كما يفعله اهل الرياء ومن يطلب به اجرا وايثار صيغة المظهر موضع المضمر في الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير وللاشعار بعلية العنوان للامر والنهي ووجوب الامتثال فعلا وتركا وروي ان جندب بن زهير رض قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله تع فاذا اطلع عليه سرني فقال عليه السلام ان الله تع لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له عليه السلام وروي انه عم قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه السلام من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم الخ كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ • والحمد لله على التمام • والصلوة على رسوله اشرف الانام •

الطلبة بالفتح وكسر اللام المطلوب ١٢ ص

الكرامة بالفتح العزة والاكرام ١٢ ص

413928
31

20243710010

2024371810

y